من كتب يحيى
دام سعده



بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وعليه التوكل

هذه فهرسة السيرة الحلبية وما اشتملت عليه من الابواب والفصول على صاحبها افضل الصلاة والسلام فاولها باب نسبه الشريف صلى الله عليه وسلم فصل في تسمية شيبة الحمد عبد المطلب غير ما تقدم باب تزويج عبد الله ابي النبي صلى الله عليه وسلم امنة امه وحفر زمزم وما يتعلق بذلك باب ذكر حمل امه به صلى الله عليه وسلم باب وفاة والده صلى الله عليه وسلم باب ذكر مولده صلى الله عليه وسلم باب تسميته صلى الله عليه وسلم محمدا واحمدا باب ذكر رضاعه صلى الله عليه وسلم وما اتصل به باب وفاة امه صلى الله عليه وسلم وحضانة ام ايمن له وكفالة جده عبد المطلب اياه باب وفاة عبد المطلب وكفالة عمه ابي طالب له صلى الله عليه وسلم باب ذكر سفره صلى الله عليه وسلم مع عمه ابي طالب الى الشام باب ما حفظه الله تعالى به في صغره صلى الله عليه وسلم من امر الجاهلية باب رعيته صلى الله عليه وسلم الغنم باب حضوره صلى الله عليه وسلم حرب الفجار باب شهوده صلى الله عليه وسلم حلف الفضول باب سفره صلى الله عليه وسلم الى الشام ثانيا باب تزوجه صلى الله عليه وسلم بخديجة بنت خويلد رضي الله عنها باب بنيان قريش للكعبة شرفها الله تعالى باب ما جاء من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن احبار اليهود وعن الرهبان من النصارى وعن الكهان من العرب على السنة الجان وعلى غير السنتهم وما سمع من الهواتف ومن بعض

الوحوش



الوحوش ومن بعض الاشجار وطرد الشياطين من استراق السمع عند مبعثه بكثرة تساقط النجوم وما وجد من ذكره وذكر صفته في الكتب القديمة وما وجد فيه اسمه مكتوبا من النبات والاحجار وغيرهما باب سلام الحجر والشجر عليه صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه باب بيان حين البعث وعموم بعثته صلى الله عليه وسلم باب بدء الوحي له صلى الله عليه وسلم باب ذكر وضوئه وصلاته صلى الله عليه وسلم اول البعثة باب ذكر اول الناس ايمانا به صلى الله عليه وسلم باب استخفائه صلى الله عليه وسلم واصحابه في دار الارقم بن ابي الارقم ودعائه صلى الله عليه وسلم الى الاسلام جهرة وكلام قريش لابي طالب في ان يخلي بينهم وبينه وما لقي هو واصحابه من الاذى واسلام عمه حمزة باب عرض قريش عليه صلى الله عليه وسلم اشيا من خوارق العادات معينات وغير معينات وبعثهم الى احبار يهود بالمدينة ليسالوهم عن صفة النبي صلى الله عليه وسلم وعن ما جاء به وحديث الزبيدي وحديث المستهزئين به صلى الله عليه وسلم ومر حديث الاراشي ومن قصد اذيته فرد خايبا باب الهجرة الاولى الى الحبشة وسبب رجوع من هاجر من المسلمين الى مكة واسلام عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه تم الجزء الاول باب اجتماع المشركين على منابذة بني هاشم وبني المطلب ابني عبد مناف وكتابة الصحيفة باب الهجرة الثانية الى ارض الحبشة باب ذكر خبر وفد نجران باب ذكر وفاة عمه ابي طالب وزوجته صلى الله عليه وسلم خديجة رضي الله تعالى عنها ليعلم انهما ماتا في عام واحد باب ذكر خروج النبي صلى الله عليه وسلم الى الطايف باب ذكر خبر الطفيل بن عمرو الدوسي واسلامه رضي الله تعالى عنه باب ذكر الاسرا والمعراج وفرض الصلوات الخمس باب عرض النبي صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل من العرب ان يحموه وينا صروه على ما جاء به من الحق باب الهجرة الى المدينة باب بدء الاذان ومشروعيته باب ذكر مغازيه صلى الله عليه وسلم غزوة بواط غزوة العشيرة غزوة سفوان باب تحويل القبلة باب غزوة بدر الكبرى غزاة بني سليم غزوة بني قينقاع غزوة السويق غزوة قرقرة الكدر غزوة ذي امر غزوة بحران غزوة احد غزوة حمرا الاسد غزوة بني النضير غزوة ذات الرقاع غزوة بدر الاخرة غزوة دومة الجندل غزوة بني المصطلق غزوة الخندق غزوة بني قريظة غزوة بني لحيان بناحية عسفان غزوة ذي قرد غزوة الحديبية غزوة خيبر غزوة وادي القرى

غزوة تبوك **باب** عمرة القضا غزوة موتة فتح مكة غزوة الطائف غزوة تبوك
سرية سرايا صلى الله عليه وسلم وبعوثه سرية حمزة بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه سرية
عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه سرية سعد بن ابي وقاص رضي الله
تعالى عنه الى الخرار سرية عبد الله بن جحش رضي الله تعالى عنه الى بطن نخلة بعث
عمير بن عدي الخطمي الضرير الى عصما بنت مروان بعث سالم بن عمير الى ابي عفك
سرية عبد الله بن مسلمة رضي الله عنه الى كعب بن الاشرف الاوسي سرية عبد الله
ابن عتيك رضي الله عنه لقتل ابي رافع سلام بن ابي الحقيق سرية زيد بن حارثة
رضي الله تعالى عنه الى القردة سرية ابي سلمة عبد الله بن عبد الاسد الى قطن بعث
عبد الله بن انيس الى سفيان بن خالد الهذلي ثم اللحياني سرية الرجيع سرية القراد
رضي الله تعالى عنه الى بير معونة سرية محمد بن مسلمة الى القرطا سرية عكاشة
ابن محصن رضي الله عنه الى الغمر سرية محمد بن مسلمة رضي الله عنه لذي القصة
سرية ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه الى ذي القصة ايضا سرية زيد بن
حارثة رضي الله عنه الى بني سليم بالجموح سرية زيد بن حارثة رضي الله عنهما
الى العيص سرية زيد بن حارثة رضي الله عنهما الى بني ثعلبة سرية زيد بن
حارثة رضي الله عنهما الى الجذام سرية عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه الى دومة
الجندل سرية زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهما الى مدين سرية امير المومنين
علي بن ابي طالب كرم الله وجهه الى بني سعد بن بكر
بفدك سرية عبد الله بن رواحة رضي الله عنه الى اسير سرية عمرو بن امية
الضمري رضي الله عنه وسلمة بن اسلم بن حريس الى ابي سفيان بن حرب بمكة ليقتلاه
سرية سعيد بن زيد رضي الله تعالى عنه الى العرنيين سرية امير المومنين
عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الى طايفة من هوازن سرية ابي بكر الصديق رضي
الله تعالى عنه الى بني كلاب سرية بشير بن سعد الانصاري رضي الله تعالى عنه
الى بني مرة بفدك سرية غالب بن عبد الله الليثي رضي الله تعالى عنه الى بني عوال
سرية بشير بن سعد الانصاري رضي الله عنه الى يمن سرية ابن ابي العوجا
السلمي رضي الله عنه الى بني سليم سرية غالب بن عبد الله الليثي رضي الله عنه الى بني
الملوح بالكديد سرية غالب بن عبد الله الليثي رضي الله عنه الى مصاب اصحاب
بشير بن سعد بفدك سرية شجاع بن وهب الاسدي رضي الله تعالى عنه الى بني
عامر سرية كعب بن عمير الغفاري سرية عمرو بن العاص رضي الله عنه الى ذات السلاسل
سرية الخبط وهو ورق السمر سرية ابي قتادة رضي الله عنه الى غطفان سرية

عبدالله

عبد الله بن ابي حدرد الاسلمي رضي الله تعالى عنه الى الغابة سرية ابي قتادة رضي
الله تعالى عنه الى بطن اضم سرية خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه الى العزى
سرية عمرو بن العاص رضي الله عنه الى سواع سرية سعد بن زيد الاشهلي
رضي الله عنه الى مناة سرية خالد بن الوليد رضي الله عنه الى بني جذيمة سرية
ابن عامر الاشعري رضي الله عنه الى اوطاس سرية الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه
الى ذي الكفين سرية عيينة بن حصن الفزاري رضي الله تعالى عنه الى بني تميم سرية
قطبة بن عامر رضي الله تعالى عنه الى حي من خثعم سرية الضحاك الكلابي رضي الله عنه
في جمع الى بني كلاب سرية علقمة بن مجزز رضي الله عنهما الى جمع من الحبشة سرية
علي بن ابي طالب كرم الله وجهه الى هدم الفلس سرية علي بن ابي طالب كرم الله وجهه
الى بلاد مذحج سرية خالد بن الوليد رضي الله عنه الى اكيدر بن عبد الملك سرية
اسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنهم الى ابنى **باب** يذكر فيه ما يتعلق بالوفود
التي وفدت على النبي صلى الله عليه وسلم اي غير ما تقدم و وفد عليه صلى الله عليه وسلم
قبل الهجرة الداريون و وفد عليه صلى الله عليه وسلم وهو في خيبر الاشعريون ، ومن الوفود
وفد بني تميم ، ومنها وفد بني عامر ، ومنها وفود ضمام بن ثعلبة ، ومنها وفد عبد
القيس وفيهم الجارود ، ومنها بني حنيفة ومعهم مسيلمة الكذاب ، ومنها وفد
طي فيهم زيد الخيل ، ومنها وفود عدي بن حاتم الطائي ، ومنها وفود فروة بن
مسيك المرادي ، ومنها وفد بني زبيد ، ومنها وفد كندة ، ومنها وفد ازد شنوءة
ومنها وفود رسول ملوك حمير وحامل كتابهم اليه صلى الله عليه وسلم ، ومنها وفد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنها وفد رسول فروة بن عمرو الجذامي ، ومنها وفد بني
الحارث بن كعب ، ومنها وفد رفاعة بن زيد الخزاعي ، ومنها وفد همدان ، ومنها
وفد تجيب ، ومنها وفد بني ثعلبة ، ومنها وفد بني سعد هذيم من قضاعة ، ومنها
وفد بني فزارة ، ومنها وفد بني اسد ، ومنها وفد بني عذرة قبيلة باليمن ، ومنها
وفد بلي ، ومنها وفد بني مرة ، ومنها وفد خولان ، ومنها وفد بني محارب ، ومنها
وفد صداحي من عرب اليمن ، ومنها وفد غسان ، ومنها وفد سلامان ، ومنها وفد
بني عبس ، ومنها وفد النخع **باب** بيان كتبه صلى الله عليه وسلم التي
ارسلها الى الملوك يدعوهم الى الاسلام ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى قيصر
المدعو هرقل ملك الروم ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى كسرى ملك فارس على يد عبد الله
ابن حذافة ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم للنجاشي رضي الله تعالى عنه ملك الحبشة
على يد عمرو بن امية الضمري ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم للمقوقس ملك القبط وهم

اهل مصر او لاسكندرية وعن عايشة رضى الله تعالى عنها سبع لم تفارق رسول الله
صلى الله عليه وسلم في سفر ولا حضر القارورة التي يكون فيها الدهن والمشط والمكحلة
والمقراض والسواك والمراة زاد بعضهم والابرة والخيط ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم
للمنذر بن ساوى العبدى بالبحرين على يد العلا بن الحضرمى ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم
الى جيفر وعبد بن الجلندى ملكى عمان ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى هوذة
صاحب اليمامة ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى الحارث بن ابى شمر الغسانى حجة
الوداع ويقال لها حجة البلاغ وحجة الاسلام باب ذكر عمره صلى الله عليه وسلم
باب ذكر نبذ من معجزاته صلى الله عليه وسلم فمن معجزاته صلى الله عليه وسلم
ومن اعظمها القران ومنها اخباره عن صفة بيت المقدس ومنها اخباره عن
موت النجاشى يوم موته وهكذا الى اخر ما ذكر منها في هذا الباب باب
نبذ من خصايصه صلى الله عليه وسلم باب ذكر اولاده صلى الله عليه وسلم
باب ذكر اعمامه وعماته صلى الله عليه وسلم باب ذكر ازواجه
وسرايره صلى الله عليه وسلم باب ذكر المشاهير من خدمه صلى الله
عليه وسلم من الاحرار باب ذكر المشاهير من مواليه صلى الله عليه وسلم
باب ذكر المشاهير من كتابه صلى الله عليه وسلم باب يذكر فيه
حراسه صلى الله عليه وسلم قبل ان نزل عليه والله يعصمك من الناس باب
يذكر فيه من ولى السوق فى زمنه صلى الله عليه وسلم باب يذكر فيه من كان
يضحكه صلى الله عليه وسلم باب يذكر فيه امنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
باب يذكر فيه شعراوه صلى الله عليه وسلم باب يذكر فيه
من كان يضرب الاعناق بين يديه صلى الله عليه وسلم باب يذكر فيه
موذنوه صلى الله عليه وسلم باب يذكر فيه العشرة المبشرون
بالجنة باب يذكر فيه جواريه صلى الله عليه وسلم باب يذكر
فيه سلاحه صلى الله عليه وسلم باب يذكر فيه خيله وبغاله وحميره
صلى الله عليه وسلم باب يذكر فيه صفته صلى الله عليه وسلم الظاهرة
باب يذكر فيه صفته صلى الله عليه وسلم الباطنة وان شاركه فيها
غيره باب يذكر فيه مدة مرضه وما وقع فيه ووفاته صلى الله عليه وسلم
باب بيان ما وقع من الحوادث من عام ولادته صلى الله عليه وسلم
الى زمن وفاته صلى الله عليه وسلم
تم وكمل والله اعلم



بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لمن نضّر وجوه أهل الحديث • وصلاة وسلاما على من نزل عليه أحسن
الحديث • وعلى آله وأصحابه أهل التقدم في القديم والحديث • صلاة وسلاما
دائمين ما سارت الائمة في جمع سير المصطفى السير الحثيث • وبعد فيقول
أفقر المحتاجين • وأحوج المفتقرين • لعفو ذي الفضل والطول المتين • علي
ابن برهان الدين • الحلبي الشافعي ان سيرة المصطفى عليه افضل الصلاة
والسلام • من أهم ما اهتم به العلماء الاعلام • وحفاظ ملة الاسلام • كيف
لا وهو الموصل لعلم الحلال والحرام • والحامل على التخلق بالاخلاق العظام • وقد
قال الزهري في علم المغازي خير الدنيا والآخرة وهو اول من الف في السير قال
بعضهم اول سيرة الفت في الاسلام سيرة الزهري وعن سعد بن ابي وقاص انه
قال كان ابي يعلمنا مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه فيقول يا بني
هذه شرف آبائكم فلا تنسوا ذكرها • واحسن ما الف في ذلك وتداولته
الاكياس • سيرة الحافظ ابي الفتح ابن سيد الناس • لما جمعت من تلك الدراري
والدرر • ومن ثم سماها عيون الاثر • غير انه اطال بذكر الاسناد • الذي كان
للمحدثين به مزيد الاعتداد • وعليه لهم كثير الاعتماد • اذ هو من خصائص
هذه الامة • ومفاخر الائمة • لكنه صار الآن لقصور الهمم لا تقبله الطباع •
ولا تمتد اليه الاطماع • واما سيرة الشمس الشامي فهو وان اتى فيها بما يعد

في صفايح

في صفايح وجوه الصحايف حسنات لكنه اتى فيها بما هو في اسماع ذوي الافهام
كالمعادات ولا يخفى ان السير تجمع الصحيح والسقيم والضعيف والبلاغ والمرسل
والمنقطع والمعضل دون الموضوع ومن ثم قال الزين العراقي رحمه الله تعالى وليعلم
الطالب ان السيرا • تجمع ما صح وما قد انكرا • وقد قال الامام احمد بن حنبل وغيره من
الائمة اذا روينا في الحلال والحرام شددنا واذا روينا في الفضائل ونحوها تساهلنا
وفي الاصل والذي ذهب اليه كثير من اهل العلم الترخص في الرقائق وما لا حكم
فيه من اخبار المغازي وما يجري مجرى ذلك وانه يقبل منها ما لا يقبل في الحلال
والحرام لعدم تعلق الاحكام بها فلما رايت السيرتين المذكورتين على الوجه الذي
لا يكاد ينظر اليه لما اشتملتا عليه عن لي ان الخص من تينك السيرتين نموذجا
يروق للاحداق • ويحلو للاذواق • بضم ما اضم اليه بين يدي المشايخ
غاية الانسجام • ونهاية الانتظام • ولا زلت في ذلك اقدم رجلا واؤخر اخرى
لكوني لست من اهل هذا الشان • ولا ممن يسابق في ميدانه على خيل الرهان •
حتى اشار علي بذلك • وسلوك تلك المسالك • من اشارته ولجية الاتباع
ومخالفة امره لا تستطاع • ذو البديهة المطاوعة • والفضائل البارعة •
والفواضل الكثيرة النافعة • من اذا سئل عن اي معضلة اشكلت على ذوي
المعرفة والوقوف لا تراه يتوقف • ولا يخرج عن صوب الصواب ولا يتعسف •
ولا اخبر في كثير من الاوقات • عن شيء من المغيبات • وكاد ان يتخلف • وهو الا
الاعظم • والملاذ الاكرم • مولانا الشيخ ابو عبد الله وابو المواهب محمد فخر
الاسلام البكري الصديقي كيف لا وهو محل نظر والده من نشر ذكره ملأ المشارق
والمغارب • وسرى سره في سائر المساري والمسارب • ولي الله والقائم بحق
في الاسرار والاعلان • والعارف به الذي لم يتمار في انه القطب الفرد الجامع
الشان • مولانا الاستاذ ابو عبد الله وابو بكر محمد البكري الصديقي ولا بدع في انه
نتيجة صدر العلماء العاملين • واستاذ جميع الاستاذين • والمعدود من المجتهدين
صاحب التصانيف المفيدة • في العلوم العديدة • مولانا الاستاذ محمد ابو الحسن
تاج العارفين البكري الصديقي اعاد الله علي وعلى احبابي من بركاتهم • وجعلنا في الآخرة
من جملة اتباعهم • فلما اشار علي بذلك الاستاذ بتلك الاشارة • ورايتها
منه اعظم بشارة • شرعت معتمدا في ذلك على من يبلغ كل مؤمل امله • ولم يخيب
من قصده وامله • وقد يسر الله ذلك على اسلوب لطيف • ومسلك شريف •
لا تمله الاسماع • ولا تنفر منه الطباع • والتي اخذتها من سيرة الشمس الشامي

سناد

على سيرة ابي الفتح بن سيد الناس الموسومة بعيون الاثر ان كثرت مزيتها بقولي في اولها قلت وفي اخرها انتهى وان قلت ايت بلفظة اي وجعلت في اخر القولة دايرة هكذا ٥ بالحمرة وربما اقول في السيرة الشامية وربما عبرت عن الزيادة القليلة بقال وعن الكبيرة باي وما ليس بعده تلك الدايرة فهو من الاصل اعني عيون الاثر غالبا وقد يكون من زيادتي على الاصل والشامي كما يعلم بالوقوف عليهما وربما ميزت تلك الزيادة بقولي في اولها اقول وفي اخرها والله اعلم وقد يكون من الزيادة ما اقول وفي السيرة الهشامية بتقديم الهاء على الشين وحيث اقول قال في الاصل او ذكر في الاصل او نحو ذلك فالمراد به عيون الاثر ثم عن لي ان اذكر من ابيات القصيدة الهمزية المنسوبة لعالم الشعراء واشعر العلماء وهو الشيخ شرف الدين الابوصيري ناظم القصيدة المعروفة بالبردة ما تضمنته تلك الابيات واشارت اليه من ذلك السياق فانه لحلي في الاذواق وربما احل ذلك النظم بما يوضح معناه ويظهر تركيب مبناه ٥ وربما اذكر من ابيات تائية الامام السبكي ما يناسب المقام وربما اذكر ايضا بعض ابيات من كلام صاحب الاصل من قصائده النبوية المجموعة بديوانه المسمى بشرى اللبيب ٥ بذكرى الحبيب ٥ وقد سميت مجموع ذلك انسان العيون ٥ في سيرة الامين المامون ٥ واسال من لا مسئول الا اياه ٥ ان يجعل ذلك وسيلة لرضاه ٥ امين

باب نسبه

الشريف صلى الله عليه وسلم هو محمد بن عبد الله ومعنى عبد الله الخاضع الذليل له تعالى وقد جا احب اسمائكم وفي رواية احب الاسما الى الله عبد الله وعبد الرحمن وجا احب الاسما الى الله ما تعبد به وقد سمى صلى الله عليه وسلم بعبد الله في القران قال تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه وعبد الله هذا هو ابن عبد المطلب ويدعى شيبة الحمد لكثرة حمد الناس له اي لانه كان مفزع قريش في النوايب ٥ وملجاهم في الامور ٥ فكان شريف قريش وسيدها كمالا وفعالا من غير مدافع وقيل قيل له شيبة الحمد لانه ولد وفي راسه شيبة اي وفي لفظ كان وسط راسه ابيض ه او سمي بذلك تفاولا بان سيبلغ سن الشيب قيل اسمه عامر وعاش مائة واربعين سنة اي وكان ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية وكان مجاب الدعوة وكان يقال له الفياض لجوده ومطعم طير السما لانه كان يرفع من مائدته للطير والوحوش في روس الجبال قال وكان من حلما قريش وحكمايها وكان نديمه حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف والد ابي سفيان وكان في جوار عبد المطلب يهودي فاغلظ ذلك اليهودي القول على حرب في سوق من اسواق تهامة فاغرى عليه حرب من قتله فلما علم عبد المطلب

بذلك ترك منادمة حرب ولم يفارقه حتى اخذ منه مائة ناقة دفعها لابن عم اليهودي حفظا للجوار ثم نادم عبد الله بن جدعان انتهى ملخصا وقيل له عبد المطلب لان عمه المطلب لما جا به من المدينة صغيرا اردفه خلفه اي وكان بهيئة رثة اي ثياب خلقة فصار كلما سئل عنه ويقول من هذا يقول عبدي اي حيا ان يقول ابن اخي فلما دخل مكة احسن من حاله واظهر انه ابن اخيه وصار يقول لمن يقول له عبد المطلب ويحكم انما هو شيبة بن اخي هاشم لكن غلب عليه الوصف المذكور فقيل له عبد المطلب اي وقيل لانه تربى في حجر عمه المطلب وعادة العرب ان تقول لليتيم الذي يتربى في حجر احد هو عبده وكان عبد المطلب يامر اولاده بترك الظلم والبغي ويحثهم على مكارم الاخلاق وينهاهم عن دنيات الامور وكان يقول لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم منه وتصيبه عقوبة الى ان هلك رجل ظلوم من ارض الشام لم تصبه عقوبة فقيل لعبد المطلب في ذلك ففكر وقال والله ان وراء هذه الدار دارا يجزى فيها المحسن باحسانه ويعاقب المسيء باساءته اي فالظلوم شانه في الدنيا ذلك حتى اذا خرج من الدنيا ولم تصبه العقوبة فهي معدة له في الاخرة ورفض في اخر عمره عبادة الاصنام ووحد الله ويوثر عنه سنن جاء القران باكثرها وجاءت السنة بها منها الوفاء بالنذر والمنع من نكاح المحارم وقطع يد السارق والنهي عن قتل الموءودة وتحريم الخمر والزنا وان لا يطوف بالبيت عريان كذا في كلام سبط بن الجوزي ابن هشام وهاشم هو عمرو العلا اي لعلو مرتبته وهو اخو عبد شمس وكانا توامين وكانت رجل هاشم اي اصابعها ملصقة بجبهة عبد شمس ولم يمكن نزعها الا بسيلان دم فكانوا يقولون سيكون بينهما دم فكان بين ولديهما اي بين بني العباس وبين امية سنة ثلاث وثلاثين ومائة من الهجرة ووقعت العداوة بين هاشم وبين ابن اخيه امية بن عبد شمس لان هاشما لما ساد قومه بعد ابيه عبد مناف حسده امية بن اخيه فتكلف ان يصنع كما يصنع هاشم فعجز فعيرته قريش وقالوا له اتتشبه بهاشم ثم دعى امية هاشما للمنافرة فابى هاشم ذلك لسنه وعلو قدره فلم تدعه قريش فقال هاشم لامية انافرك على خمسين ناقة سود الحدق تنحر بمكة والجلا عن مكة عشر سنين فرضي امية بذلك وجعلا بينهما الكاهن الخزاعي وكان بعسفان فخرج كل منهما في نفر فنزلوا على الكاهن فقال قبل ان يخبروه خبرهم والقمر الباهر والكوكب الزاهر والغمام الماطر وما بالجو من طائر وما اهتدى بعلم مسافر من منجد وغائر لقد سبق هاشم امية الى المفاخر فنفر هاشم الى امية فعاد هاشم الى مكة ونحر الابل واطعم الناس وخرج امية الى الشام فاقام بها عشر سنين فكان

هذه اول عداوة وقعت بين هاشم وامية وتوارث ذلك بنوهما وكان يقال لهاشم
واخوته عبد شمس والمطلب ونوفل اقداح النضار اى الذهب ويقال لهم المجيرون لكرمهم
وفخرهم وسيادتهم على سائر العرب قال بعضهم ولا يعرف بنو أب تباينوا فى محال موتهم
مثلهم فان هاشما مات بغزة اى كالسيالك وعبد شمس مات بمكة وقبر بأجياد
ونوفل مات بالعراق والمطلب مات بردمان ارض اليمن اى وقيل له هاشم لانه اول من
هشم الثريد بعد جده ابراهيم فان ابراهيم اول من فعل ذلك اى ثرد الثريد واطعمه
المساكين وفيه ان اول من ثرد الثريد واطعمه بمكة بعد ابراهيم جد هاشم قصى
فقيل لا امتناع وقصى اول من ثرد الثريد واطعمه بمكة وفيه ايضا هاشم عمرو
العلا اول من اطعم الثريد بمكة وسيأتى ان اول من فعل ذلك عمرو بن لحى فليتأمل
وقد يقال لا منافاة لان الاولية فى ذلك اضافية فاولية قصى لكونه من قريش
واولية عمرو بن لحى لكونه من خزاعة واولية هاشم باعتبار شدة مجاعة حصلت لقريش والى
ذلك يشير صاحب الاصل بقوله

واطعم فى المحل عمرو العلا • فللمسنتين به خصب عام

وقد قال ايضا •

عمرو العلا ذو الندا من لا يسابقه • مر السحاب ولا ريح تجاريه
جفانه كالجوابى للوفود اذا • لبوا بمكة نادام منا ديه
او ابحلوا الحصب حتى امنها وقد بليت • فوتا الحاضر منهم وباديه

وقد قيل فيه •

قل للذى طلب السماحة والندا • هلا امررت بآل عبد مناف
الرابشون وليس يوجد رائش • والقايلون هلم للاضياف

وعن بعض الصحابة قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر رضى الله عنه على باب
بنى شيبة فمر رجل وهو يقول •

يا ايها الرجل المحول رحله • هلا نزلت بآل عبد مناف الدار
هبلتك امك لو نزلت برحلهم • منعوك من عدم ومن اقتار

فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابى بكر فقال اهكذا قال الشاعر فقال لا
والذى بعثك بالحق لكنه قال •

يا ايها الرجل المحول رحله • الا نزلت بآل عبد مناف
هبلتك امك لو نزلت برحلهم • منعوك من عدم ومن اقراف
الخالطين غنيهم بفقيرهم • حتى يعود فقيرهم كالكافى

فتبسم

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هكذا سمعت الرواة ينشدونه وكان
هاشم بعد ابيه عبد مناف على السقاية والرفادة فكان يعمل الطعام للحجاج يأكل
منه من لم يكن له سعة ولا زاد ويقال لذلك الرفادة واتفق انه اصاب الناس سنة
جدب شديد فخرج هاشم الى الشام وقيل بلغه ذلك وهو بغزة من الشام فاشترى
دقيقا وكعكا وقدم به مكة فى الموسم فهشم الخبز والكعك ونحر الجزر وجعله ثريدا
واطعم الناس حتى اشبعهم فسمى بذلك هاشما وكان يقال له ابو البطحا وسيد البطحا
قال بعضهم لم تزل مائدته منصوبة لا ترفع فى السرا والضرا قال ابن الصلاح
روينا عن الامام سهل الصعلوكى انه قال فى قوله صلى الله عليه وسلم فضل عائشة على النساء
كفضل الثريد على سائر الطعام اراد فضل ثريد عمرو العلا الذى عظم نفعه وقدره
وعم خيره وبره وبقى له ولعقبه ذكره وقد ابعد سهل فى تاويل الحديث والذى اراه ان
معناه تفضيل الثريد من الطعام على باقى الطعام لان سائر بمعنى باقى اى فالمراد اى
ثريد لا خصوص ثريد عمرو العلا حتى يكون افضل من ثريد غيره وكان هاشم يحمل ابن
السبيل ويؤمن الخايف قال وقد ذكر انه كان اذا اهل هلال ذى الحجة قام صبيحته
واسند ظهره الى الكعبة من تلقاء بابها ويخطب ويقول فى خطبته يا معشر قريش انكم سادة
العرب احسنها وجوها واعظمها احلاما اى عقولا واوسط العرب اى اشرفها
انسابا واقرب العرب بالعرب ارحاما يا معشر قريش انكم جيران بيت الله اكرمكم
الله بولايته وخصكم بجواره دون بنى اسمعيل وانه ياتيكم زوار الله يعظمون بيته
فهم اضيافه واحق من اكرم اضياف الله انتم فاكرموا ضيفه وزواره فانهم يأتون
شعثا غبرا من كل بلد على ضوامر كالقداح فاكرموا ضيفه وزوار بيته فورب هذه
البنية لو كان لى مال يحمل ذلك لكفيتكموه وانا مخرج من طيب مالى وحلاله ما لم يقطع
فيه رحم ولم يؤخذ بظلم ولم يدخل فيه حرام فمن شاء منكم ان يفعل مثل ذلك فعل
واسألكم بحرمة هذا البيت ان لا يخرج رجل منكم من ماله لكرامة زوار بيت الله
وتقويتهم الا طيبا لم يؤخذ ظلما ولم يقطع فيه رحم ولم يؤخذ غصبا فكانوا يجتهدون
فى ذلك ويخرجونه من اموالهم فيضعونه فى دار الندوة انتهى

فصل

فى تسمية شيبة الحمد عبد المطلب غير ما تقدم فقد قيل انما سمى شيبة الحمد عبد المطلب
لان اباه هاشما قال للمطلب الذى هو اخو هاشم وهو بمكة حين حضرته الوفاة
ادرك عبدك يعنى شيبة الحمد بيثرب فمن ثم سمى عبد المطلب كذا فى المواهب وقد
مر على ما تقدم وفيه انه حكى غير واحد ان هاشما خرج تاجرا الى الشام فنزل على شخص
من بنى النجار بالمدينة وتزوج بنته على شرط انها لا تلد ولدا الا فى اهلها اى ثم مضى

لوجهه قبل ان يدخل بها ثم انصرف راجعا فبنى بها في اهلها ثم ارتحل بها الى مكة
فلما اثقلت بالحمل خرج بها فوضعها عند اهلها بالمدينة فمضى الى اهل الشام فمات
بغزة قيل وعمره ح عشرون سنة وقيل اربع وقيل خمس وعشرون وولدت شيبة
الحمد فمكث بالمدينة سبع سنين وقيل ثمان فمر رجل على غلمان يلعبون اى ينتضلون
بالسهام واذا غلام فيهم اذا اصاب قال انا ابن سيد البطحا فقال له الرجل ممن انت
يا غلام فقال انا شيبة بن هاشم بن عبد مناف فلما قدم الرجل مكة وجد المطلب جالسا
بالحجر فقص عليه ما راى فذهب المطلب الى المدينة فلما راه عرف شبه ابيه فيه ففاضت
عيناه وضمه اليه خفية من امه وفي لفظ انه عرفه بالشبه وقال لمن كان يلعب معه
اهذا ابن هشام قالوا نعم فعرفهم انه عمه فقالوا له ان كنت تريد اخذه فالساعة قبل
ان تعلم به امه فانها ان علمت لم تدعك وحالت بينك وبينه فدعاه المطلب وقال يا ابن
اخي انا عمك وقد اردت الذهاب بك الى قومك واناخ راحلته فجلس على عجز الناقة
فانطلق به ولم تعلم امه حتى كان الليل فقامت تدعو فاخبرت ان عمه قد ذهب به
وكساه حلة يمانية ثم قدم به مكة فقالت قريش هذا عبد المطلب اى فان هذا
السياق يدل على ان عبد المطلب انما ولد بعد موت ابيه هاشم بغزة وكون عمه
المطلب كساه حلة لا ينافى ما سبق انه دخل به مكة وثيابه رثة خلقة لانه يجوز ان
تكون هذه الحلة البست له عند اخذه ثم نزعت عنه في السفر اى او ان هذه الحلة اشتراها
بمكة كما يصرح به كلام بعضهم وما وقع هنا من تصرف الراوى على انه يجوز ان يكون
اشترى له حلتين وحلة البسها له بالمدينة واخرى اشتراها بمكة والبسها له وفي السيرة
الهشامية ان ام عبد المطلب كانت لا تنكح الرجال لشرفها في قومها حتى يشرطوا لها ان
امرها بيدها اذا كرهت رجلا فارقته اى وانها لا تلد ولدا الا في اهلها كما تقدم وان عمه المطلب
لما جاء لاخذه قالت له لست بمرسلته معك فقال لها المطلب انى غير منصرف حتى اخرج
به معى ان ابن اخى قد بلغ وهو غريب في غير قومه ونحن اهل بيت شرف في قومنا وقومه عشيرته
وبلده خير من الاقامة في غيرهم فقال شيبة لعمه لست بمفارقها الا ان تاذن لى فاذنت له
ودفعته اليه فاردفه خلفه على بعيره ويحتاج الى الجمع بين هذا وما قبله فقالت قريش عبد
المطلب ابتاعه اى ظنا منهم انه اشتراه من المدينة فان الشمس لوحت فيه وعليه ثياب الخلق
فقال لهم ويحكم انما هو ابن اخى هاشم ولا يخالف هذا ما سبق من انه صار يقول لمن يساله عنه
من هذا فيقول عبدى لانه يجوز ان يكون بعض الناس قال من عند هذا فيقول عبدى لانه
يجوز ان يكون بعض الناس قال من عند نفسه هذا عبد المطلب ظنا منه وبعضهم ساله
فاجابه بقوله هذا عبدى لما تقدم فلما دخل مكة قال لهم ويحكم الى اخره وهاشم بن عبد

مناف

مناف وعبد مناف اسمه المغيرة اى وكان يقال له قمر البطحا لحسنه وجماله وهذا الجد
الثالث لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الجد الرابع لعثمان بن عفان والجد التاسع
لامامنا الشافعى رضى الله عنه ووجد كتاب في حجر انا المغيرة بن قصى اوصى قريشا
بتقوى الله جل وعلا وصلة الرحم ومناف اصله مناة اسم صنم كان اعظم اصنامهم
وكانت امه جعلته خادما لذلك الصنم وقيل وهبته له لانه كان اول ولد لقصى على ما
قيل لان عبد مناف بن قصى اى ويسمى قصى زيدا وعن امامنا الشافعى رضى الله عنه ان
اسمه يزيد ويدعى مجمعا ايضا وقيل له قصى لانه تقصى اى بعد عن عشيرته الى اخواله
من كلب في باديتهم وقيل بعد الى قضاعة مع امه لانها كانت منهم اقول لا منافاة
لجواز ان يكون ام قصى من كلب وابوها من قضاعة وانها رحلت بعد موت عبد مناف
اى ابيه كلاب ثم لما تزوجت من قضاعة رحلت اليها ولعل قضاعة كانت جهة الشام
فلا يخالف ما قيل قيل له قصى لانه بعد مع امه الى الشام لان امه تزوجت بعد
موت ابيه وهو فطيم لم يفطم يقال له ربيعة بن حرام وقيل حرام بن ربيعة العذرى
فرحل بها الى الشام وكان قصى لا يعرف له ابا الا زوج امه المذكور فلما كبر وقع بينه وبين
آل زوج امه شر اى فانه ناضل رجلا منهم فنضله قصى اى غلبه فغضب ذلك الرجل
وعير قصيا بالغربة وقالوا له الا تلحق بقومك وبلادك فانك لست منا وفي لفظ
لما قيل له ذلك قال ممن انا قيل له سل امك فشكى الى امه فقالت له بلادك خير من بلادهم
وقومك خير من قومهم انت اكرمهم ابا منهم انت ابن كلاب بن مرة وقومك بمكة عند البيت الحرام
تفد اليه العرب وقد قالت لى كاهنة رانك صغيرا انك تلى امرا جليلا فلما اراد الخروج
الى مكة قالت له امه لا تعجل حتى يدخل الشهر الحرام فتخرج مع حجاج قضاعة فانى اخاف
عليك فخرج مع الحجاج فقدم قصى مكة على قومه مع حاج قضاعة فعرفوا له فضله
وشرفه فاكرموه وقدموه عليهم فساد فيهم ثم تزوج بنت حليل بالحا المهملة المضمومة
الخزاعى وكان امر مكة والبيت اليه وهو اخر من ولى امر البيت والحكم بمكة من خزاعة فجاءه منها
باولاده الاربعة ذكور فلما انتشر ولده وكثر ماله وعلم شرفه مات حليل فراى قصى انه
اولى بامر مكة من خزاعة لان قريشا اقرب الى اسمعيل من خزاعة فدعى قريشا وبنى كنانة
الى اخراج خزاعة من مكة فاجابوه الى ذلك وانضم اليهم قضاعة جاءهم اخو قصى لامه
فاناخ قصى بخزاعة وولى امر مكة وقيل ان حليلا جعل امر البيت لقصى ولا منافاة
لجواز ان تكون خزاعة لم ترض بما فعله حليل من ان يكون امر البيت لقصى فحاربهم واخرجهم
من مكة وقيل ان حليلا اوصى بذلك لابى غبشان بضم الغين المعجمة بعد ان اوصى
بذلك لابنته زوج قصى وقالت لا قدرة لى على فتح البيت واغلاقه وان قصيا اخذ ذلك

منه بزق خمر فقالت العرب اخسر صفقة من ابي غبشان وقيل ان ابا غبشان اعطى ذلك لبنت حليل زوج قصي واعطاه قصي اثوابا وابعرة فكان ابو غبشان اخر من ملك امر مكة والبيت من خزاعة ولا يخالف ذلك ما تقدم من ان حليلا اخر من ولي امر البيت والحكم بمكة لجواز ان يكون المراد اخر من ولي ذلك واستمر كذلك الى ان مات قال بعضهم وكان ابو غبشان خالا لقصي وكان في عقله شيء فخدعه قصي فاشترى منه امر مكة والبيت باذواد من الابل والجمع بين هذه الروايات من ان قصيا اخذ ذلك من ابي غبشان بزق خمر وبين انه اخذ ذلك بالاثواب والابعرة وبين انه اخذ ذلك باذواد من الابل ممكن لجواز ان يكون جمع بين الخمر والاثواب والابل ووقع الاقتصار على بعضها من بعض الرواة تأمل ثم جمع قصي قريشا بعد تفرقها في البلاد وجعلها اثنتي عشرة قبيلة كما سيأتي ومن ثم قيل له مجمع وفي كلام بعضهم ولذلك سماه النبي صلى الله عليه وسلم والى ذلك يشير قول الشاعر

قصي لعمري كان يدعى مجمعا ۞ به جمع الله القبائل من فهر

وهذا البيت من قصيدة مدح بها عبد المطلب مدحه بها حذافة بن غانم فان ركبا من جذام فقدوا رجلا منهم ثم الفوه ببيوت مكة فلقوا حذافة فاخذوه فربطوه ثم انطلقوا به فتلقاهم عبد المطلب مقبلا من الطائف ومعه ابنه ابو لهب يقوده وقد ذهب بصره فلما نظر اليه حذافة هتف به فقال عبد المطلب لابي لهب ويلك ما هذا قال حذافة بن غانم مربوطا مع ركب قال الحقهم واسألهم ما شأنهم فلحقهم فاخبروه الخبر فرجع الى عبد المطلب فقال ما معك قال والله ما معي شيء قال الحقهم لا ام لك واعطهم ما بيدك واطلق الرجل فلحقهم ابو لهب فقال قد عرفتم تجارتي ومالي وانا احلف لكم لاعطينكم عشرين اوقية ذهبا وعشرا من الابل وفرسا وهذا ردائي رهنا بذلك فقبلوا منه واطلقوا حذافة فاقبل به فلما سمع عبد المطلب صوت ابي لهب قال وابي انك لعاص ارجع لا ام لك قال يا ابتاه هذا الرجل معي فناداه يا حذافة اسمعني صوتك فقال ها انا ذا بابي انت يا ساقي الحجيج اردفني فاردفه خلفه حتى دخل مكة فقال حذافة هذه القصيدة ومطلعها

بنو شيبة الحمد الذي كان وجهه ۞ يضيء ظلام الليل كالقمر البدر

وهي قصيدة جيدة فان قيل قبل القوم من ابي لهب رهن ردائه على ما ذكر لهم في ان يخلوا عن الرجل مع ان رداءه لا يقع موقعا من ذلك اجيب بان سنة العرب وطريقتهم ان الواحد منهم اذا رهن شيئا ولو شيئا حقيرا على امر جليل لا يغدر بل يحرص على وفاء ما رهن عليه ومن ثم لما اجدبت ارض تميم بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم ذهب سيدهم

حاجب

حاجب بن زرارة والد عطارد رضي الله عنه ذهب الى كسرى ليأخذ منه امانا لقومه لينزلوا ريف العراق لاجل المرعى فقال له كسرى انتم قوم غدر واخاف على الرعايا منكم فقال له حاجب انا ضامن ان لا يفعل قومي شيئا من ذلك فقال له كسرى ومن اين لي بوفائك قال هذه قوسي رهينة فجهله كسرى وجلساؤه وضحكوا منه فقيل لهم ان العرب لو رهن احدهم شيئا لا بد ان يفي فلما اخصبت ارض تميم بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم لهم لما وفد اليه جماعة منهم واسلموا ومات حاجب امر عطارد قومه بالذهاب الى بلادهم وجاء عطارد الى كسرى فطلب قوس ابيه فقال انك لم تسلم الي شيئا فقال ايها الملك ابن وارث ابي وقد وفينا بالضمان وان لم تدفع الي قوسه صار عارا علينا وسبة فدفعها له وكساه حلة فلما وفد عطارد على النبي صلى الله عليه وسلم واسلم دفعها للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يقبلها وقال انما يلبس هذه الحلة من لا خلاق له فكانت بنو تميم تعد ذلك القوس من مفاخرهم والى هذا اشار بعض الشعراء ولقد احسن واجاد وتلطف بقوله

تزهو علينا بقوس حاجبها ۞ تيه تميم بقوس حاجبها

وصار قصي رئيسا لقريش على الاطلاق حين ازاح يد خزاعة عن البيت واجلاهم من مكة بعد ان لم يسلموا لقصي في ولاية امر البيت ولم يجيزوا ما فعل حليل او ابو غبشان على ما تقدم وذلك بعد ان اقتتلوا احيانا من بعد ان حذرتهم قريش الظلم والبغي وذكرتهم ما صارت اليه جرهم حين الحدوا في الحرم بالظلم فابت خزاعة فاقتتلوا قتالا شديدا وكثر القتل والجراح في الفريقين الا انه في خزاعة اكثر ثم تداعوا للصلح وان يتفقوا على ان يحكموا بينهم رجلا من العرب فحكموا يعمر بن عوف وكان رجلا شريفا فقال لهم موعدكم فناء الكعبة غدا فلما اجتمعوا قام يعمر فقال الا اني قد شدخت ما كان بينكم من دم تحت قدمي هاتين فلا تباعة لاحد على احد في دم وقيل قضى بان كل دم اصابته قريش من خزاعة موضوع وان ما اصابته خزاعة من قريش فيه الدية وقضى لقصي بانه اولى بولاية مكة فتولاها قيل وكان يعشر من دخل مكة من غير اهلها اي بتجارة وكانت خزاعة قد ازالت يد جرهم عن ولاية البيت فان مضاض بن عمرو الجرهمي الاكبر ولي امر البيت بعد ثابت بن اسمعيل عليه الصلاة والسلام فانه كان جد ثابت وغيره من اولاد اسمعيل لامهم واستمرت جرهم ولاة البيت والحكام بمكة لانهم ابناؤهم وولد اسمعيل في ذلك لخؤولتهم واعظاما لان يكون بمكة بغي ثم ان جرهما بغوا بمكة وظلموا من يدخلها من غير اهلها واكلوا مال الكعبة الذي يهدى لها حتى ان الرجل منهم كان اذا اراد ان يزني ولم يجد مكانا دخل البيت فزنى فيه واجمعت

اى غرمت خزاعة لحربهم واخراجهم من مكة ففعلوا ذلك بعد ان سلط الله على جرهم دواب
تشبه النغف بالغين المعجمة والفاء وهو دود يكون فى انوف الابل والغنم فهلك منهم
ثمانون كهلا فى ليلة واحدة سوى الشباب وقيل سلط الله عليهم الرعاف فافنى غالبهم
اى وجاز ان يكون ذلك الدم ناشئا عن ذلك الدود فلا مخالفة وذهب من بقى الى اليمن
مع عمرو بن الحارث الجرهمى اخر من ملك مكة من جرهم وحزنت جرهم على ما فارقوا من امر مكة ملك امرهم
وملكها حزنا شديدا وقال عمرو ابياتا منها

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا * انيس ولم يسمر بمكة سامر
وكنا ولاة البيت من بعد نابت * نطوف بذاك البيت والخير ظاهر
بلى نحن كنا اهلها فابادنا * صروف الليالى والدهور البواتر

ومن غريب الاتفاق ما حكاه بعضهم قال كنت بين يدى الوزير يحيى بن خالد البرمكى
ايام الرشيد فاخذه النوم فنام برهة ثم انتبه مذعورا فقال لى لامر ما كان والله
ذهب ملكنا وذل عزنا وانقضت ايام دولتنا قلت وما ذاك اصلح الله الوزير قال
سمعت منشدا انشد كان لم يكن بين الحجون البيت واجبته من غير روية بلى نحن
كنا اهلها البيت فلما كان اليوم الثالث وانا بين يديه على عادتى اذ جاء انسان
واكب عليه واخبره ان الرشيد قتل جعفرا الساعة قال او قد فعل قال نعم فما زاد ان
رمى القلم من يده وقال هكذا تقوم الساعة بغتة ومما يؤثر عن يحيى هذا ينبغى
للانسان ان يكتب احسن ما يسمع ويحفظ احسن ما يكتب ويحدث باحسن
ما يحفظ وقال من لم يبت على سرور الوعد لم يجد للصنيعة طعما وصارت خزاعة
بعد جرهم ولاة البيت والحكام بمكة كما تقدم وكان كبير خزاعة عمرو بن لحى وهو ابن بنت
عمرو بن الحارث الجرهمى اخر ملوك جرهم المتقدم ذكره وقد بلغ عمرو بن لحى فى العرب
من الشرف ما لم يبلغه عربى قبله ولا بعده فى الجاهلية وهو اول من اطعم الحاج بمكة
سدايف الابل ولحمانها على الثريد والسدايف جمع سديف وهو السنام وذهب شرفه
فى العرب كل مذهب حتى صار قوله دينا متبعا لا يخالف وفى كلام بعضهم صار عمرو للعرب
ربا لا يبتدع لهم بدعة الا اتخذوها شرعة لانه كان يطعم الناس ويكسوهم فى الموسم فربما
نحر فى الموسم عشرة الاف بدنة وكسى عشرة الاف حلة وهو اول من غير دين ابراهيم
اى فقد قال بعضهم تظافرت نصوص العلماء على ان العرب من عهد ابراهيم
استمرت على دينه اى من رفض عبادة الاصنام الى زمن عمرو بن لحى فهو اول من غير دين
ابراهيم وشرع للعرب الضلالات تعبد الاصنام وسيب السائبة وبحر البحيرة وقيل
اول من بحر البحيرة رجل من بنى مدلج كانت له ناقتان فجدع اذنيهما وحرم البانهما فقال

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم رايته فى النار يخبطانه باخفافهما ويعضانه بافواههما
وعمرو اول من وصل الوصيلة وحمى الحامى ونصب الاصنام حول الكعبة واتى بهبل من ارض
الجزيرة ونصبه فى بطن الكعبة فكانت العرب تستقسم عنده بالازلام على ما سياتى
واول من ادخل الشرك فى التلبية فانه كان يلبى تلبية ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام
وهى لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك فعند ذلك تمثل له الشيطان فى صورة
شيخ يلبى معه فلما قال عمرو لبيك لا شريك لك قال له ذلك الشيخ الا شريكا هو لك فانكر
عمرو ذلك فقال له ذلك الشيخ تملكه وما ملك وهذا لا باس به فقال ذلك عمرو فتبعته
العرب على ذلك اى فيوحدونه بالتلبية ثم يدخلون معه اصنامهم ويجعلون
ملكها بيده قال تعالى توبيخا لهم وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون وهو اول من
احل ايضا اكل الميتة فان كل القبائل من ولد اسمعيل لم تزل تحرم اكل الميتة حتى جاء عمرو
ابن لحى فزعم ان الله لا يرضى تحريم اكل الميتة قال كيف لا تاكلون ما قتل الله وتاكلون ما
ما قتلتم وروى البخارى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رايت جهنم يحطم بعضها
بعضا ورايت عمرا يجر قصبه فى النار وفى رواية امعاءه اى وهى المرادة بالقصب بضم القاف
وفى رواية يؤذى اهل النار بريح قصبه ويقال للامعاء الاقتاب واحدها قتب بكسر
القاف وسكون المثناة الفوقية اخره باء موحدة ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم يجاء
بالرجل يوم القيمة فيلقى فى النار فتندلق اقتاب بطنه فى النار والاندلاق الخروج بسرعة
وقال صلى الله عليه وسلم لاكثم بن الجون الخزاعى واسمه عبد العزى واكثم بالثاء المثلثة
وهو فى اللغة واسع البطن يا اكثم رايت عمرو بن لحى يجر قصبه فى النار فما رايت رجلا اشبه
من رجل منك به ولا بك منه فقال اكثم فعسى ان يضرنى شبهه يا رسول الله قال لا
انك مؤمن وهو كافر انه اول من غير دين اسماعيل فنصب الاوثان اى ودين اسماعيل هو
دين ابراهيم عليهما الصلاة والسلام فان العرب من عهد ابراهيم استمرت على دينه
لم يغيره احد الى عهد عمرو المذكور كما تقدم وفى كلام بعضهم ان اكثم هذا هو ابو ام
معبد التى مر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الهجرة واكثم هذا هو الذى قال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم رايت الدجال فاذا هو اشبه الناس بك اكثم بن عبد العزى فقام
اكثم فقال ايضرنى شبهى اياه فقال لا انت مؤمن وهو كافر ورده ابن عبد البر حيث قال
الحديث الذى فيه ذكر الدجال لا يصح انما يصح ما قاله فى ذكر عمرو بن لحى وانما كان عمرو بن
لحى اول من نصب الاوثان لانه خرج من مكة الى الشام فى بعض اموره فراى بارض البلقاء
العماليق ولد عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح وراهم يعبدون الاصنام فقال لهم ما هذه
قالوا هذه اصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا فقال لهم افلا

تعطون صنما يقال له هبل فقدم به مكة فنصبه فى بطن الكعبة على بيرها وامر الناس بعبادته
وتعظيمه فكان الرجل اذا قدم من سفر بدا به قبل اهله بعد طوافه بالبيت وحلقه راسه
عنده وكان عند هبل سبع قداح قدح فيه مكتوب العقل اذا اختلفوا فيمن يحمله
منهم ضربوا به فعلى من خرج حمله وقدح مكتوب فيه نعم وقدح فيه لا وذلك للامر الذى
يريدونه وقدح فيه منكم وقدح فيه ملصق من غيركم اذا اختلفوا فى ولد هل هو منهم
اولا وقدح فيه نها وقدح فيه مابها اذا ارادوا ارضا يحفروها للما وكان هبل من
العقيق على صورة انسان وعاش عمرو بن لحى هذا ثلثماية سنة واربعين سنة وراى من
ولده وولد ولده الف مقاتل اى وملك هو وولده من بعده فى ولاية البيت خمسماية
سنة وكان اخرهم حليل الذى تزوج قصى بنته كما تقدم وقيل كان لعمرو تابع من
الجن فقال له اذهب الى جدة وات منها بالالهة التى كانت تعبد فى زمن نوح واد ريس
وهى ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر فذهب واتى بها الى مكة ودعى الى عبادتها فانتشرت
عبادة الاصنام فى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان وقيل لهذيل ويغوث
لمذحج بالذال المعجمة على وزن مسجد ابو قبيلة من اليمن ويعوق لمراد وقيل لهمدان ونسر
لحمير وكانوا هولاء على صور عباد ماتوا فحزن اهل عصرهم عليهم فصورهم ابليس اللعين
امثالهم من صفر وغاس ليستانسوا بهم فجعلوها فى موخر المسجد فلما هلك اهل ذلك
العصر قال اللعين لاولادهم هذه الهة ابائكم تعبدونها ثم ان الطوفان دفنها فى ساحل
جدة فاخرجها اللعين وفى كلام بعضهم ان ادم كان له خمسة اولاد صلحا وهم ود
وسواع ويغوث ويعوق ونسر فمات وحزن الناس عليهم حزنا شديدا واجتمعوا حول قبورهم
لا يكادون يفارقونه وذلك بارض بابل فلما راى ابليس ذلك من فعلهم جا اليهم فى صورة
انسان وقال لهم هل لكم ان اصور لكم صورهم اذا نظرتم اليها ذكرتموهم قالوا نعم فصور
لهم صورهم ثم صار كلما مات واحد منهم صور صورته وسموا تلك الصور باسمائهم ثم لما
تقادم الزمن وتناسب الاباء والابناء وابناء الابناء قال لمن حدث بعدهم ان الذين كانوا
قبلكم يعبدون هذه الصور فعبدوها فارسل الله لهم نوحا فنهاهم عن عبادتها
فلم يجيبوه لذلك وكان بين ادم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاول ما قلم
حدثت عبادة الاصنام فى قوم نوح فارسل الله اليهم ينهاهم عن ذلك ويقال ان عمرو بن
لحى هو الذى نصب مناة على ساحل البحر مما يلى قديد وكانت الازد يحجون اليه ويعظمونه
وكذلك الاوس والخزرج وغسان وذكر الشيخ عبد الوهاب الشعرانى فى تفسيره
لبعض الايات القرانية عند قوله تعالى ولله يسجد من فى السموات والارض ان اصله
وضع الاصنام انما هو من قوة التنزيه من اهل الاديان فانهم نزهوا الله تعالى عن كل

شئ

شئ واسرفوا بذلك عامتهم فلما راوا ان بعض عامتهم صرح بالتعطيل وضعوا لهم الاصنام
وكسوها الديباج والحلى والجواهر وعظموها بالسجود وغيره ليتذكروا بها الحق الذى غاب
عن عقولهم وغاب عن اوليك العلماء ان ذلك لا يجوز الا باذن من الله هذا كلامه وكان
فى زمان جرهم رجل يقال له اساف بامراة يقال لها نايلة فى جوف الكعبة اى قبلها
فيهما كما فى تاريخ الازرقى وقيل زنى بها فمسخا حجرين فاخرجا منها ونصبا على الصفا
والمروة ليكونا عبرة فلما كان عمرو بن لحى اخذهما عمرو ونصبهما حول الكعبة اى على زمزم
وجعلا فى وجهها وصار من يطوف يتمسح بهما يبدا باساف ويختم بنايلة وذلك قبل
ان يقدم عمرو بهبل وبتلك الاصنام وكانت قريش تذبح ذبايحها عندهما وذكر
انه صلى الله عليه وسلم لما كسر نايلة عند فتح مكة خرجت منها سودا شمطا تخمش وجهها
وتنادى بالويل والثبور وكان عمرو يخبر قومه بان الرب يشتى بالطايف عند اللات
ويصيف عند العزى فكانوا يعظمونهما وكانوا يهدون للات والعزى كما يهدون الى الكعبة
وقصى هو الذى امر قريشا ان يبنوا بيوتهم داخل الحرم حول البيت وقال لهم ان فعلتم
ذلك هابتكم العرب ولم تستحل قتالكم فبنوا حول الكعبة البيت من جهاتها الاربع وجعلوا
ابواب بيوتهم جهته لكل بطن منهم باب ينسب الان اليه كباب بنى شيبة وباب
بنى سهم وباب بنى مخزوم وباب بنى جمح وتركوا قدر الطواف بالبيت فبنى قصى دار الندوة
وهى اول دار بنيت بمكة واستمر الامر على انه ليس حول الكعبة الا قدر المطاف وليس حوله
جدار فى زمنه صلى الله عليه وسلم وزمن ولاية الصديق فلما كان زمن ولاية عمر بن الخطاب
رضى الله عنه اشترى تلك الدور من اهلها وهدمها وبنى المسجد المحيط بها ثم لما كان
زمن ولاية عثمان اشترى دورا اخر وغالى فى ثمنها وهدمها وزاد فى سعة المسجد ثم ان
ابن الزبير زاد فى المسجد زيادة كثيرة ثم ان عبد الملك بن مروان رفع جداره وسقفه
بالساج وعمره عمارة حسنة ولم يزد فيه شيا ثم ان الوليد بن عبد الملك وسع المسجد
وحمل اليه اعمدة الرخام ثم زاد فيه المهدى والرشيد مرتين واستقر بناه على
ذلك الى الان وكانت قريش قبل ذلك اى قبل بناء منازلهم فى الحرم يحترمون الحرم
ولا يبيتون به ليلا واذا اراد احدهم قضا حاجة الانسان خرج الى الحل وقد جاء
انه صلى الله عليه وسلم لما كان بمكة اذا اراد حاجة الانسان خرج الى المغمس بكسر الميم
الثانية وفتحها وهو على ثلثى فرسخ من مكة وهابت قريش قطع شجر الحرم الذى فى منازلهم
التى بنوها فقد كان بمكة شجر كثير من العضاة والسلم وشكوا ذلك الى قصى فامرهم
بقطعها فهابوا ذلك فقالوا نخشى ان ترى العرب انا استخففنا بحرمنا فقال قصى انما
تقطعونه لمنازلكم وما تريدون به فسادا اى لعنة الله على من اراد فسادا

نقطعها قصي بيده وبيد اعوانه وفي كلام السهيلي عن الواقدي الاصح ان قريشا حين
ارادوا البنيان قالوا لقصي كيف نصنع في شجر الحرم فحذرهم قطعها وخوفهم العقوبة
في ذلك فكان احدهم يحوق بالبنيان حول الشجرة حتى يكون في منزله قال فاول
من ترخص في قطع شجر الحرم للبنيان عبد الله بن الزبير حين ابتنى دورا بقعيقعان
لكنه جعل فدا كل شجرة بقرة فليتامل الجمع وانزل قصي القبايل من قريش بما فانتجعلها
اثنى عشر قبيلة كما تقدم في نواحي مكة بطاحها وظواهرها ومن ثم قيل لمن سكن البطاح
قريش البطاح ولمن سكن الظواهر قريش الظواهر والاولى اشرف من الثانية ومنها الاولى
بنو هاشم والى ذلك يشير صاحب الاصل في وصفه صلى الله عليه وسلم بقوله من بني هاشم
ابن عبد مناف وبنو هاشم بحار الحباء من قريش البطاح من عرف الناس لهم
فضلهم بغير امتراء قال بعضهم كان قصي اول رجل من بني كنانة اصاب ملكا
ولما حضر الحج قال لقريش قد حضر الحج وقد سمعت العرب بما صنعتم وهم لكم معظمون
ولا اعلم مكرمة عند العرب اعظم من اطعام الطعام فليخرج كل انسان منكم من ماله خرجا
ففعلوا فجمع من ذلك شيئا كثيرا فلما جاء اوايل الحاج نحر على كل طريق من طرق مكة
جزورا ونحر بمكة وجعل الثريد واللحم وسقى الماء المحلى بالزبيب وسقى اللبن وهو اول
من اوقد النار بمزدلفة ليراها الناس من عرفة ليلة النفر ومما يوثر عن قصي من
اكرم لئيما اشركه في لومه ومن استحسن قبيحا ترك الى قبحه ومن لم تصلحه الكرامة اصلحه
الهوان ومن طلب فوق قدره استحق الحرمان والحسود العدو الخفي ولما احتضر
قال لاولاده اجتنبوا الخمر فانها تصلح الابدان وتفسد الاذهان وكان قصي شرف
مكة فكان بيده السقاية والرفادة والحجابة والندوة واللوا والقيادة وكان عبد الدار
اكبر اولاد قصي وعبد مناف اشرفهم اي لانه شرف في زمان ابيه قصي وذهب شرفه
كل مذهب وكان يليه في الشرف اخوه المطلب كان يقال لهما البدران وكانت قريش تسمى
عبد مناف الفياض لكثرة جوده فاعطى قصي ولده عبد الدار جميع تلك الوظايف التي
هي السقاية والرفادة والحجابة والندوة واللوا والقيادة اي فانه قال له اما
والله يا بني لالحقنك بالقوم يعني اخويه عبد مناف والمطلب وان كانوا قد شرفوا
عليك لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون انت تفتحها له بسبب الحجابة للبيت ولا
يعقد لقريش لوا لحربها الا انت بيدك اي وهذا هو المراد باللوا ولا يشرب رجل بمكة الا من
سقايتك وهذا هو المراد بالسقاية ولا ياكل احد من اهل الموسم الا من طعامك اي
وهذا هو المراد بالرفادة ولا تقطع قريش امرا من امورها الا في دارك يعني دار الندوة
اي ولا يكون احد قايدا للقوم الا انت وذلك بسبب القيادة فلما مات عبد الدار

واخوه

واخوه عبد مناف اراد بنو عبد مناف وهم هاشم وعبد شمس والمطلب وهولاء
اخوة لاب وام امهم عاتكة بنت مرة ونوفل اخوهم لابيهم وامه واقدة بنت حرملة
ان ياخذوا تلك الوظايف من بني عمهم عبد الدار واجمعوا على المحاربة اي واخرج
بنو عبد مناف جفنة مملوة طيبا فوضعوها لاحلافهم في المسجد عند باب الكعبة ثم
غمس القوم ايديهم فيها وتعاقدوا هم وحلفاؤهم ثم مسحوا الكعبة بايديهم توكيدا
على انفسهم فسموا المطيبين اي اخرجتها لهم ام حكيم البيضا بنت عبد المطلب عمة
النبي صلى الله عليه وسلم وتوامة ابيه ووضعتها في الحجر وقالت من تطيب بهذا فهو
منا فتطيب منها مع بني عبد مناف بنو زهرة وبنو اسد بن عبد العزى وبنو تيم بن
مرة وبنو الحارث بن فهر فالمطيبون من قريش خمس قبايل وتعاقد بنو عبد الدار هم
واحلافهم وهم بنو مخزوم وبنو سهم وبنو جمح وبنو عدي بن كعب على ان لا يتخاذلوا
ولا يسلم بعضهم بعضا فسموا الاحلاف لتحالفهم بعد ان اخرجوا جفنة مملوة
دما من دم جزور نحروها ثم قالوا من ادخل يده في دمها فلعق منه فهو منا كما
وصاروا يضعون ايديهم فيها ويلعقونها فسموا لعقة الدم وقيل الذي لعق
الدم بنو عدي خاصة ثم اصطلحوا على ان تكون السقاية والرفادة والقيادة لبني
عبد مناف والحجابة واللوا لبني عبد الدار ودار الندوة بينهم بالاشتراك وتحالفوا
على ذلك هذا والذي رايته في المشرق فيما يحاضر به من اداب المشرق ولما شرف عبد مناف
ابن قصي في حياة ابيه وذهب شرفه كل مذهب وكان قصي يحب ابنه عبد الدار اراد ان يبقي
له ذكرا فاعطاه الحجابة ودار الندوة واللوا واعطى عبد مناف السقاية والرفا ده
والقيادة وجعل عبد الدار الحجابة لولده عثمان وجعل دار الندوة لولده عبد مناف
ابن عبد الدار ثم وليها عنه العبدري بن عثمان بن عبد الدار ثم وليها ولده من بعده
والسقاية كانت حياضا من ادم توضع بفناء الكعبة وينقل اليها الماء العذب من الابار
على الابل في المزاود والقرب قبل حفر زمزم وربما قذف فيها التمر والزبيب في غالب
الاحوال لسقي الحاج ايام الموسم حتى يتفرقوا وهذه السقاية والرفادة فلما مات
المطلب وثب عليه نوفل بن عبد مناف وغصبه اركاحا اي افنية ودورا فسال عبد
المطلب رجالا من قومه النصرة على عمه نوفل فابوا وقالوا لا ندخل بينك وبين عمك
فكتب الى اخواله بني النجار بالمدينة بما فعله معه عمه نوفل فلما وقف خاله ابو سعد بن
عدي النجاري على كتابه بكى وسار من المدينة في ثمانين راكبا حتى قدم مكة فنزل الابطح
فتلقاه عبد المطلب وقال له المنزل يا خال فقال لا والله حتى القى نوفلا فقال تركته
في الحجر جالسا في مشايخ قريش فاقبل ابو سعد حتى وقف عليهم فقام نوفل قايما

وقال يا اباسعد انعم صباحا فقال له ابو سعد لا انعم الله لك صباحا وسل سيفه
وقال ورب هذه البنية لان لم ترد على ابن اختي اركاحه لاملأن منك هذا السيف
فقال قد رددتها عليه فاشهد عليه مشايخ قريش ثم نزل على عبد المطلب فاقام
عنده ثلاثا ثم اعتمر ورجع الى المدينة ولما جرى ذلك حالف نوفل وبنوه بني اخيه
عبد شمس على بني هاشم وحالفت بنو هاشم خزاعة على بني نوفل وبني عبد شمس
اى فان خزاعة قالت نحن اولى بنصرة عبد المطلب لان عبد مناف جد عبد المطلب
امه حبى بنت حليل سيد خزاعة كما تقدم فقالوا لعبد المطلب هلم فلنحالفك
فدخلوا دار الندوة وتحالفوا وتعاقدوا وكتبوا بينهم كتابا باسمك اللهم هذا ما تحالف
عليه بنو هاشم ورجال لا ثعمرو بن ربيعة من خزاعة على النصرة والمواساة ما بل بحر
صوفة وما اشرقت الشمس على ثبير وهب بفلاة بعير وما اقام الاخشبان واعتمر
بمكة انسان والمراد من ذلك الابد فعبد المطلب لما حفر زمزم صار ينقل الماء
منها لتلك الاحواض ويقذف فيها التمر والزبيب ثم بعده قام بها ولده ابو طالب
ثم اتفق ان ابا طالب املق افتقر في بعض السنين فاستدان من اخيه العباس
عشرة الاف درهم الى الموسم الاخر فصرفها ابو طالب في الحجيج عامه ذلك فيما يتعلق
بالسقاية فلما كان العام المقبل لم يكن مع ابي طالب شيء فقال لاخيه العباس اسلفني
اربعة عشر الفا الى العام المقبل لاعطيك جميع مالك فقال له العباس بشرط ان
لم تعطني تترك السقاية لاكفلها فقال نعم فلما جاء العام الاخر لم يكن مع ابي طالب
ما يعطيه لاخيه العباس فترك له السقاية فصارت الى العباس ثم لولده عبد الله
ابن عباس واستمر ذلك في بني العباس الى زمن السفاح ثم تركت بنو العباس ذلك
والرفادة اطعام الحاج ايام الموسم حتى يتفرقوا فان قريشا كانت على زمن قصي
تخرج من اموالها في كل موسم فتدفعه الى قصي فيصنع به طعاما للحاج ياكله من لم يكن
معه سعة ولا زاد كما تقدم حتى قام بها بعده ولده عبد مناف ثم بعد عبد مناف
ولده هاشم ثم بعد هاشم ولده عبد المطلب ثم ولده ابو طالب وقيل ولده العباس
ثم استمر ذلك الى زمنه صلى الله عليه وسلم وزمن الخلفاء بعده ثم استمر ذلك في
الخلفاء الى ان انقرضت الخلافة من بغداد ثم من مصر واما القيادة وهي امارة
الركب فقام بها عبد مناف بن عبد شمس ثم كانت بعد عبد شمس لابنه امية ثم لابنه
حرب ثم لابنه ابي سفيان فكان يقود الناس في غزواتهم قاد الناس يوم احد ويوم
الاحزاب ومن ثم لما قال الوليد بن عبد الملك لخالد بن يزيد بن معوية لست في العير
ولا في النفير قال له ويحك العير والنفير غير جدي اى وعابي لان العيبة ما يجعل فيه

الثياب جدي ابو سفيان صاحب العير وجدي عتبة بن ربيعة صاحب النفير ودار
الندوة كانت قريش تجتمع فيها للمشاورة في امورها ولا يدخلها الا من بلغ الاربعين
وكانت الجارية اذا حاضت تدخل دار الندوة ثم يشق عليها بعض ولد عبد الدار
درعها ثم يدرعها اياه وانقلب بها فتحجب وهذه كانت سنة قصي فكان لا ينكح
رجل امراة من قريش الا في دار قصي التي هي دار الندوة ولا يعقد لواء حرب الا فيها
ولا تدرع جارية من قريش الا في تلك الدار فيشق عنها درعها ويدرعها بيده فكانت
قريش بعد موت قصي يتبعون ما كان عليه في حياته كالدين المتبع ولا زالت هذه
الدار في يد بني عبد الدار الى ان صارت الى الحكيم بن حزام فباعها في الاسلام بمائة
الف درهم فلامه عبد الله بن الزبير وقال ابتعت مكرمة ابائك وشرفهم فقال حكيم
ذهبت المكارم الا التقوى والله لقد اشتريتها في الجاهلية بزق خمر وقد بعتها
بمائة الف واشهدكم ان ثمنها في سبيل الله فاينا المغبون قيل وقصي هو جامع قريش
فلا يقال لاحد من اولاد من فوقه قرشي ونسب هذا القول لبعض الرافضة وهو قول
باطل لانه توصل به الى ان لا يكون سيدنا ابو بكر وسيدنا عمر رضي الله عنهما من قريش
فلا حق لهما في الامامة العظمى التي هي الخلافة لقوله صلى الله عليه وسلم الائمة من قريش
ولقوله صلى الله عليه وسلم لقريش انتم اولى الناس بهذا الامر ما كنتم على الحق الا ان
تعدلوا عنه لانهما لم يلتقيا مع النبي صلى الله عليه وسلم الا فيما بعد قصي لان ابا
بكر رضي الله عنه يجتمع معه في مرة كما سياتي لان بين تيم بن مرة وبين ابي بكر وتيم
خمسة اباء وعمر يجتمع معه في كعب كما سياتي وبين عمر رضي الله عنه وكعب سبعة
ابا وقصي بن كلاب اى واسمه حكيم وقيل عروة ولقب بكلاب لانه كان يحب الصيد
واكثر صيده كان بالكلاب وهو الجد الثالث لامنة امه صلى الله عليه وسلم ففي كلاب
يجتمع نسب ابيه وامه ابن مرة وهو الجد السادس لابي بكر رضي الله عنه والامام مالك
رضي الله عنه يجتمع معه صلى الله عليه وسلم في هذا الجد الذي هو مرة ايضا بن كعب
اى وهو الجد الثامن لعمر رضي الله عنه وكان كعب يجمع قومه يوم العروبة اى يوم الرحمة
الذي هو يوم الجمعة ويقال انه اول من سماه يوم الجمعة لاجتماع قريش فيه اليه لكن في الحديث
كان اهل الجاهلية يسمون يوم الجمعة العروبة واسمه عند الله يوم الجمعة قال ابن دحية
ولم تسم العروبة الجمعة الا منذ جاء الاسلام وسياتي في ذلك كلام فكانت قريش تجتمع
الى كعب ثم يعظهم ويذكرهم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم ويعلمهم بانه من ولده
ويامرهم باتباعه فيقول سيأتي لحرمكم نبأ عظيم وسيخرج منه نبي كريم وينشد ابياتا منها

على غفلة ياتي النبي محمد ۝ فيخبر اخبارا صدوق خبيرها ۝

وينشد ايضا

يا ليتني شاهد نجوى دعوته ۞ حين العشيرة تبغي الحق خذلانا

وكان بينه وبين مبعثه صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة وستون سنة وفي الامتاع وعشرون سنة لان الحق ان الخمسمائة والستون انما هو بين موت كعب والفيل الذي هو مولده صلى الله عليه وسلم كما ذكره ابو نعيم في الدلائل النبوية وقيل ان كعب اول من قال اما بعد فكان يقول اما بعد فاسمعوا وافهموا وتعلموا واعلموا ليل داج وفي رواية ليل ساج ونهار صاح والارض مهاد والسماء بناء والجبال اوتاد والنجوم اعلام والاولون كالاخرين فصلوا ارحامكم واحفظوا اصهاركم وثمروا اموالكم الدار امامكم والظن غير ما تقولون اي وقيل له كعب لعلوه وارتفاعه لان كل شيء علا وارتفع فهو كعب ومن ثم قيل للكعبة كعبة ولعلوه وارتفاع شانه ارخوا بموته حتى كان عام الفيل ارخوا به ثم ارخوا بعد عام الفيل بموت عبد المطلب وكعب بن لؤي اي بالهمزة اكثر من عدمها اي وفي شيب تصغير خلاف ابن غالب بن فهر سماه ابوه فهرا وقيل هو لقب واسمه قريش والمناسب اذ يكون لقبا لقولهم انما سمي قريشا لانه كان يقرش اي يفتش على خلة حاجة المحتاج فيسدها بماله وكان بنوه يقرشون اهل الموسم عن حوائجهم فيرفدونهم فسموا بذلك قريشا كذا قال بعضهم وهو جماع قريش عند الاكثر قال الزبير بن بكار اجمع النسابون من قريش وغيرهم على ان قريشا انما تفرقت عن فهر وفهر هذا هو الجد السادس لابي عبيدة بن الجراح ولما جاء حسان بن عبد كلال من اليمن في حمير وغيرهم لاخذ احجار الكعبة الى اليمن ليبني بها بيتا ويجعل حج الناس اليه ونزل بنخلة خرج فهر لمقاتلته بعد ان جمع قبائل العرب فقاتله واسره وانهزمت حمير ومن انضم اليهم واستمر حسان في الاسر ثلاث سنين ثم افتدى نفسه بمال كثير وخرج فمات بين مكة واليمن فهابت العرب فهرا وعظم وعلا امره ومما يؤثر عن فهر قوله لولده غالب قليل ما في يديك اغنى لك من كثير ما اخلق وجهك وان صار اليك وفهر هو بن مالك قيل له ذلك لانه ملك العرب بن النضر اي ولقب به لنضارته وحسنه وجماله واسمه قيس وهو جماع قريش عند الفقهاء فلا يقال لاحد من اولاد من فوقه قرشي ويقال لكل من اولاده الذين منهم مالك واولاده قرشي فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش فقال من ولد النضر اي وعلى ان جماع قريش فهر كما تقدم فمالك واولاده والنضر وحده واولاده ليسوا من قريش والنضر بن كنانة قيل له كنانة لانه لم يزل في كن بين قومه وقيل الستيرة على قومه وحفظه لاسرارهم وكان شيخا حسنا عظيم القدر تحج اليه العرب لعلمه وفضله وكان يقول

قد آن خروج نبي من مكة يدعى احمد يدعو الى الله والى البر والاحسان ومكارم الاخلاق فاتبعوه تزدادوا شرفا وعزا الى عزكم ولا تعتدوا اي تكذبوا ما جاء به فهو الحق قال ابن دحية كان كنانة يأنف ان يأكل وحده فاذا لم يجد احدا اكل لقمة ورمى لقمة الى صخرة نصبها بين يديه انفة من ان يأكل وحده ومما يؤثر عنه رب صورة تخالف المخبرة قد غرت بجمالها واختبر قبح فعالها فاحذروا الصور واطلبوا الخبر وكنانة بن خزيمة ابن مدركة ومدركة اسمه عمرو وقيل له مدركة لانه ادرك كل عز وفخر كان في ابائه وكان فيه نور رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ولعل المراد ظهوره فيه ومدركة بن الياس بهمزة قطع مكسورة وقيل مفتوحة ايضا وقيل بهمزة وصل وتنسب للجمهور وقيل سمي بذلك لان اباه مضر كان قد كبر سنه ولم يولد له ولد فولد له هذا الولد فسماه الياس وعظم امره عند العرب حتى كانت تدعوه بكبير قومه وسيد عشيرته وكانت لا تقضي امرا دونه وهو اول من اهدى البدن الى البيت واول من ظفر بمقام ابراهيم لما غرق البيت في زمن نوح فوضعه في زاوية البيت كذا في حياة الحيوان نقلا تأمل وجاء في حديث لا تسبوا الياس فانه كان مؤمنا وقيل انه جماع قريش اي فلا يقال لاولاد من فوقه قرشي وكان الياس يسمع من صلبه تلبية النبي من صلبه صلى الله عليه وسلم المعروفة في الحج قيل وكان في العرب مثل لقمان الحكيم في قومه وهو اول من مات بعلة السل ولما مات حزنت عليه زوجته خندف حزنا شديدا لم يظلها سقف بعد موته حتى ماتت ومن ثم قيل احزن من خندف ابن مضر قيل وهو جماع قريش فلا يقال لاولاد من فوق مضر قرشي ففي جماع قريش خمسة اقوال قيل قصي وقيل فهر وقيل النضر وقيل الياس وقيل مضر ويقال له مضر الحمراء قيل لانه لما اقتسم هو واخوه ربيعة مال والدهما اعني نزارا اخذ مضر الذهب فقيل له مضر الحمراء واخذ ربيعة الخيل ومن ثم قيل له ربيعة الفرس وجاء في حديث لا تسبوا ربيعة ولا مضر فانهما كانا مؤمنين اي وفي رواية لا تسبوا مضر فانه كان على ملة ابراهيم وفي حديث غريب لا تسبوا مضرا فانه كان على دين اسمعيل ومما حفظ عنه من يزرع شرا يحصد ندامة اقول سيأتي في بنيان قريش للكعبة انهم وجدوا فيها كتابا بالسريانية من جملته كتاب فيه من يزرع خيرا يحصد غبطة ومن يزرع شرا يحصد ندامة الى اخر ما يأتي وعن ابي عبيدة البكري ان قبر مضر بالروحاء يزار والروحاء على ليلتين من المدينة والله اعلم وكان مضر من احسن الناس صوتا وهو اول من حدا للابل فانه وقع فانكسرت يده فصار يقول يا يداه فجاءت اليه الابل من المرعى فلما صح وركب حدا وقيل اول من سن الحداء للابل عبد له ضرب مضر يده ضربا وجيعا فصار يقول يا يداه فجاءت اليه الابل من

مرتعا ها اى لان الحدا ما ينشط الابل لاسيما ان كان بصوت حسن فانها عند سماعه
تمد اعناقها وتصغى الى الحادى وتسرع فى سيرها وتستخف الاحمال الثقيلة فربما
قطعت المسافة البعيدة فى زمن قصير وربما اخذت ثلاثة ايام فى يوم وللحدا
وفى ذلك حكاية مشهورة ولاجل ما ذكرته كما بينته انه مستحب وفى الاذكار
للامام النووى باستحباب الحدا للسرعة فى السير وتنشيط النفوس وترويحها وتسهيل
السير عليها فيه احاديث كثيرة مشهورة ومضر بن نزار بكسر النون كان يرى نور
النبى صلى الله عليه وسلم بين عينيه وهو اول من كتب الكتاب العربى على الصحيح والامام
احمد بن حنبل رضى الله عنه يجتمع معه صلى الله عليه وسلم فى هذا الجد الذى هو نزار بن
معد بن عدنان هذا هو النسب الصحيح المجمع عليه فى نسبه صلى الله عليه وسلم عند
العلما بالانساب ومن ثم لما قال فقهاؤنا شرط الامام الاعظم ان يكون قرشيا فان لم
يوجد قرشى جامعا للشروط التى ذكروها فكنانى قال بعضهم وقياس ذلك ان يقال
فان لم يوجد كنانى فخزيمى فان لم يوجد خزيمى فمدركى فان لم يوجد مدركى فالياسى فان لم
يوجد الياسى فمضرى فان لم يوجد مضرى فنزارى فان لم يوجد نزارى فمعدى فان لم
يوجد معدى فعدنانى فان لم يوجد عدنانى فمن ولد اسماعيل لان من فوق عدنان
لا يصح فيه شئ ولكن حفظ النسب فيه منه الى اسماعيل وقيل له معد لانه كان صاحب
حروب وغارات على بنى اسرائيل ولم يحارب احدا الا ورجع بالنصر والظفر قال بعضهم
ولا يخرج عرب فى الانساب عن عدنان وقحطان قيل وولد عدنان يقال لهم قيس وولد
قحطان يقال لهم يمن ولما سلط الله بخت نصر على العرب امر الله تعالى ارميا ان يحمل
معه معد بن عدنان على البراق كيلا تصيبه النقمة وقال فانى ساخرج من صلبه نبيا
كريما اختم به الرسل ففعل ارميا ذلك واحتمل معدا الى ارض الشام فنشا مع بنى اسرائيل
ثم عاد بعد ان هدأت الفتن اى بموت بخت نصر وكان عدنان فى زمن عيسى عليه
الصلاة والسلام وقيل فى زمن موسى عليه الصلاة والسلام قال الحافظ بن حجر
وهو اولى اى ومما يضعف الاول ما فى الطبرانى عن ابى امامة الباهلى قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لما بلغ معد بن عدنان اربعين رجلا وقعوا فى عسكر موسى
عليه الصلاة والسلام فانتهبوه فدعا عليهم موسى عليه الصلاة والسلام فاوحى
الله تعالى اليه لا تدع عليهم فان منهم النبى صلى الله عليه وسلم الامى النذير البشير
الحديث اذ يبعد بقاء معد الى زمن عيسى ومعلوم انه لا خلاف فى ان عدنان من
ولد اسماعيل نبى الله اى ارسله الله الى جرهم والى العماليق والى قبائل اليمن فى زمن ابيه
ابراهيم وكذا بعث اخوه اسحاق الى اهل الشام وبعث ولده يعقوب الى الكنعانيين

فى حياة

فى حياة ابراهيم فكانوا انبيا على عهد ابراهيم عليهم الصلاة والسلام وذكر بعضهم
ان من العماليق فرعون موسى عليه الصلاة والسلام وهو الريان بن الوليد فرعون يوسف
عليه الصلاة والسلام وكان اسماعيل بكر ابيه جاء له وقد بلغ ابوه من العمر سبعين
سنة وقيل ستا وثمانين سنة ولد بين الرملة وايليا وكان بين عدنان واسماعيل اربعون
ابا وقيل سبعة وثلاثون وفى النهر لابى حيان ان ابراهيم هو الجد الحادى والثلاثون
لنبينا صلى الله عليه وسلم هذا كلامه ولا يخفى ان اسماعيل اول من تسمى بهذا الاسم من بنى ادم
ومعناه بالعبرانية مطيع الله وهو اول من تكلم بالعربية اى البينة الفصيحة والا فقد
تعلم اصل العربية من جرهم ثم الهمه الله العربية الفصيحة البينة فنطق بها وفى الحديث
اول من فتق لسانه بالعربية البينة اسماعيل وهو ابن اربع عشرة سنة وفى كلام
بعضهم لما خرج ابراهيم بهاجر وولدها اسمعيل الى مكة على البراق واحتمل معه قربة
ما ومزودا فيه تمر فلما انزلهما بها وولى راجعا تبعته هاجر وهى تقول الله امرك ان تدعنى
وهذا الصبى فى هذا المحل الموحش الذى ليس به انيس قال نعم فقالت اذا لا يضيعنا
ولا زالت تاكل من التمر وتشرب من الما الى ان نفد الما الحديث وكان انزاله لهما بموضع
الحجر وذلك لمضى مائة سنة من عمر ابراهيم وكون اسمعيل اول من تكلم بالعربية البينة
لا ينافى ما قيل ان اول من تكلم بالعربية يعرب بن قحطان وقحطان اول من قيل له ابيت
اللعن واول من قيل له عم صباحا ويعرب هذا قيل له يمن لان هودا نبى الله قال له انت
ايمن ولدى وسمى اليمن يمنا بنزوله فيه وهو اول من قال القريض والرجز وقيل سمى اليمن
يمنا لانه على يمين الكعبة وقيل اول من كتب الكتاب العربى اسماعيل والصحيح ان اول
من كتب ذلك نزار بن معد كما تقدم وكذا كون اسماعيل اول من تكلم بالعربية البينة
لا ينافى ما قيل اول من تكلم بالعربية ادم فى الجنة فلما اهبط الى الارض تكلم بالسريانية
قيل وسميت سريانية لان الله تعالى علمها ادم سرا من الملائكة وانطقه بها واول
من كتب الكتاب العربى والفارسى والسريانى والعبرانى وغيرها من بقية الاثنى عشر
كتابا وهى الحميرى واليونانى والرومى والقبطى والبربرى والاندلسى والهندى والصينى ادم
كتبها فى طين وطبخه فلما اصاب اسماعيل الكتاب العربى اى وجده واول من خط بالقلم ادريس
فالمراد به خط الرمل وفى كلام بعضهم اول من تكلم بالعربية المحضة وهى عربية قريش
التى نزل بها القرآن اسماعيل واما عربية قحطان وحمير فكانت قبل اسماعيل ويقال
لمن يتكلم بلغة هؤلا العرب العاربة ويقال لمن يتكلم بلغة اسماعيل العرب المستعربة
وهى لغة الحجاز وما والاها وجا من احسن ان يتكلم بالعربية فلا يتكلم بالفارسية فانه
يورث النفاق وقد ذكر بعضهم ان اهل الكهف كلهم اعجام ولا يتكلمون الا بالعربية

وانهم يكونون وزرا المهدى واشتهر على السنة الناس انه صلى الله عليه وسلم قال
انا افصح من نطق بالضاد فى جمع لا اصل له ومعناه صحيح لان المعنى انا افصح
العرب لكونهم هم الذين ينطقون بالضاد ولا توجد فى غير لغتهم واسماعيل اول
اول من ركب الخيل وكانت وحوشا اى من ثم قيل لها العراب اولما سيأتى وقد
قال صلى الله عليه وسلم اركبوا الخيل فانها ميراث ابيكم اسماعيل وفى رواية اوحى الله
تعالى الى اسماعيل ان اخرج الى اجياد الموضع المعروف سمى بذلك لانه قتل فيه
مائة رجل من العمالقة من جياد الرجال فادع يأتيك الكنز فخرج الى اجياد فالهمه
الله تعالى دعاء فدعى به فلم يبق على وجه الارض فرس بارض العرب الا اجابته وامكنته
من نواصيها وذللها الله تعالى له فاركبوها واعلفوها فانها ميامين وهى ميراث
ابيكم اسماعيل وذكر الحافظ السيوطى ان له كتابا فى الخيل سماه جر الذيل فى
علم الخيل وفى العرائس ان الله لما اراد ان يخلق الخيل قال لريح الجنوب انى خالق
منك خلقا فاجعله عزا لاوليائى ومذلة على اعدائى اى وجمالا لاهل طاعتى فقالت
افعل ما تشاء فقبض قبضة فخلق فرسا فقال له خلقتك عربيا وجعلت الخير
معقودا بناصيتك والغنائم مجموعة على ظهرك وعطفت عليك صاحبك
وجعلتك تطير بلا جناح فانت للطلب وانت للهرب وعن وهب ان قيل
لسليمان صلوات الله وسلامه عليه ان خيلا بلقا لها اجنحة تطير بها وترد ماء
كذا فقال للشياطين على بها فصبوا فى العين التى ترد ها خمرا فشربت فسكرن فربطوها
وساسوها حتى تأنست قيل ويجوز ان يكون من تلك الخيل الفرس الذى قال فيه
صلى الله عليه وسلم اتيت بمقاليد الدنيا على فرس ابلق جاءنى به جبريل وجا ان الله
لما عرض على ادم كل شئ مما خلق قال له اختر من خلقى ما شئت فاختار الفرس فقيل له
اخترت عزك وعز ولدك خالدا ما خلدوا وباقيا ما بقوا ابدا الابدين ودهر الداهرين
وهذا صريح فى ان الخيل خلقت قبل ادم وقد سئل الامام السبكى هل خلقت الخيل
قبل ادم او بعده وهل خلقت الذكور قبل الاناث او الاناث قبل الذكور فاجاب
بانا نختار ان خلق الخيل قبل ادم لان الدواب خلقت يوم الخميس وادم خلق يوم الجمعة
بعد العصر وان الذكور خلقت قبل الاناث لامرين احدهما ان الذكر اشرف من
الانثى والثانى حرارة الذكر اقوى من الانثى ولذلك كان خلق ادم قبل حوى فليتأمل
وذكر السهيلى ان فى الفرس عشرين عضوا كل عضو منها يسمى باسم طاير ذكرها وبينها الاصمعى
فمنها النسر والنعامة والقطاة والذباب والعصفور والغراب والصقر والصرد قالوا
وفى الحيوان اعضاء باردة يابسة كالعظام نظير السوداء واعضاء باردة رطبة كالدماغ

نظير

نظير البلغم واعضاء حارة يابسة كالقلب نظير الصفراء واعضاء حارة رطبة رطبة
كاللحم نظير الدم وعن انس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن شئ احب
اليه بعد النساء من الخيل وجا ما من ليلة الا والفرس يدعو فيها ويقول رب انك
سخرتنى لابن ادم وجعلت رزقى فى يده اللهم فاجعلنى احب اليه من اهله وولده
قيل لبعض الحكماء اى المال اشرف قال فرس يتبعها فرس وفى بطنها فرس ومن ثم
قيل ظهور الخيل حرز وبطونها كنز وفى الحديث لما اراد ذو القرنين ان يسلك فى
الظلمة الى عين الحياة سال اى الدواب فى الليل ابصر فقالوا الخيل فقال اى الخيل
ابصر قالوا الاناث قال فاى الاناث ابصر قالوا البكارة فجمع من عسكره ستة الاف
كذلك واعطى الله اسماعيل القوس العربية وكان لا يرمى شيئا الا اصابه وفى
الحديث ارموا بنى اسمعيل فان اباكم كان راميا اى قال ذلك لجماعة مر عليهم وهم ينتضلون
فقال حسن هذا اللهو مرتين او ثلاثا زاد فى بعض الروايات ارموا وانا مع بنى فلان
فامسك الفريق الاخر فقال لهم ما بالكم لا ترمون فقالوا يا رسول الله كيف نرمى وانت
معهم اذ ينتضلونا قال ارموا وانا معكم كلكم اخرجه البخارى فى صحيحه زاد البيهقى
فى دلايل النبوة فرموا عامة يومهم ذلك ثم تفرقوا على السواء ما نضل بعضهم بعضا
وقد جا احب اللهو الى اجرا الخيل والرمى ارموا واركبوا وان ترموا احب الى من ان تركبوا
وجا احب اللهو الى الله تعالى اجرا الخيل والرمى وجا كل شئ يلهو به الرجل باطل الا رمى
الرجل بقوسه وتاديبه فرسه وملاعبته امراته فانهن من الحق وجا علموا اولادكم
السباحة والرمى وفى رواية الرماية وفى رواية تعلموا بنيكم الرمى فانه نكاية العدو
وقد جا تعلموا الرمى فان ما بين الهدفين روضة من رياض الجنة وروى مرفوعا
حق الولد على الوالد ان يعلمه الكتابة والسباحة والرمى وجا من تعلم الرمى ثم نسيه
فليس منا وفى رواية فهو نعمة جحدها قال الحافظ السيوطى والاحاديث المتعلقة
بالرمى كثيرة قال وقد الفت كتابا فى الرمى سميته غرس الانشاب فى الرمى بالنشاب
وفى العرائس كان اسماعيل مولعا بها بالصيد مخصوصا بالقنص والفروسية والرمى
والصراع والرمى سنة اذا نوى به التاهب للجهاد لقوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم
من قوة وقوله صلى الله عليه وسلم القوة الرمى على حد قوله الحج عرفة والا فقد قال
ابن عباس رضى الله عنهما فى الاية واعدوا لهم ما استطعتم من قوة قال الرمى والسيوف
والسلاح وسئل الحافظ السيوطى هل ما ذكره الطبرى والمسعودى فى تاريخهما
ان اول من رمى بالقوس العربية ادم عليه الصلاة والسلام وذلك لما امره الله تعالى
بالزراعة حين اهبط من الجنة وزرع ارسل الله تعالى له طايرين يخرجان ما يبذره

وبا كلاً فشكى الى الله تعالى ذلك فهبط عليه جبريل عليه السلام وبيده قوس
ووتر وسهمان فقال ادم ما هذا يا جبريل فاعطاه القوس وقال هذه قوة الله واعطاه
الوتر وقال هذه شدة الله واعطاه السهمين وقال هذه نكاية الله وعلمه الرمى
بهما فرمى الطاير فقتلهما وجعلهما يعنى السهمين عدة فى غربته وانسًا فى وحشته
ثم صارت القوس العربية الى ابراهيم الخليل ثم الى ولده اسماعيل وهو يدل على ان
قوس ابراهيم هى القوس التى هبطت على ادم من الجنة وانه ادخرها لابراهيم وهو
خلاف قول بعضهم انها غيرها اهبطت الى ابراهيم من الجنة فاجاب الحافظ
السيوطى بقوله راجعت تاريخ الطبرى فى تاريخ ادم وابراهيم عليهما الصلاة والسلام
فلم اجده فيه ولا ابعد صحته فان الله تعالى علم ادم علم كل شئ وذكر ابن ابى الدنيا
فى كتاب الرمى من طريق الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس رضى الله عنه قال اول من
عمل القسى ابراهيم عمل لاسمعيل ولاسحاق قوسين فكانا يرميان بهما وتقدم ان
اسحاق جا لابراهيم بعد اسماعيل بثلاثة عشر وقيل باربع عشرة سنة اى حملت
به امه سارة فى الليلة التى خسف الله بقوم لوط فيها وعاش العمر تسعون سنة
وفى جامع ابن شداد يرفعه كان اللواط فى قوم لوط فى النسا قبل الرجال باربعين
سنة ثم استغنى النسا بالنسا والرجال بالرجال فخسف الله بهم قيل ولا يعمل عمل
قوم لوط من الحيوان الا الحمار والخنزير وكان اول من اتخذ القوس الفارسية نمروذ
فليتأمل الجمع وقد يقال لا منافاة لجواز ان يكون ابراهيم اول من عمل القسى بعد
ذهاب تلك القوس فالاولية اضافية ومعلوم ان اسمعيل بن ابراهيم خليل
الله عليهما الصلاة والسلام اى فلم يبعث بشريعة مستقلة من العرب بعد اسمعيل
الا محمد صلى الله عليه وسلم واما خالد بن سنان وكان من ولد اسماعيل على ما قيل
قال بعضهم لم يكن فى بنى اسمعيل نبى غيره قبل محمد صلى الله عليه وسلم الا انه لم يبعث
بشريعة مستقلة بل بتقرير شريعة عيسى اى وكان بينه وبين عيسى ثلاثماية سنة
وخالد هذا هو الذى اطفا النار التى خرجت بالبادية بين مكة والمدينة كادت العرب
ان تعبدها كالمجوس كان يرى ضوها من مسافة ثمان ليال وربما كان يخرج منها العنق
فيذهب فى الارض فلا يجد شيا الا اكله فامر الله تعالى خالد بن سنان باطفايها وكانت
تخرج من بير ثم تنتشر فلما خرجت وانتشرت اخذ خالد بن سنان يضربها ويقول بدا
بدا بدا كل هدى ومى تاخر حتى نزلت الى البير فنزل الى البير خلفها فوجد كلابا تحتها
فضربها وضرب النار حتى اطفاها ويذكر انه كان هو السبب فى خروجها فانه لما دعى قومه
وكذبوه فقالوا انما تخوفنا بالنار فان تسيل علينا هذه الحرة نارًا اتبعناك فتوضا

ثم قال

ثم قال اللهم ان قومى كذبونى فلم يومنوا بى الا ان تسيل عليهم هذه الحرة نارًا فارسلها
عليهم نارًا فخرجت فقالوا يا خالد ارددها فانا مومنون بك فردها قيل وكان خالد
ابن سنان اذا استسقى يدخل راسه فى جيبه فيجئ المطر ولا يقلع الا ان رفع راسه
قيل وقدمت ابنته وهى عجوز على النبى صلى الله عليه وسلم فتلقاها بخير واكرمها
وبسط لها رداءه وقال لها مرحبا يا بنة اخى مرحبا يا بنة نبى ضيعه قومه فاسلمت
فاسلمت وهذا الحديث مرسل رجاله ثقات وفى البخارى انا اولى الناس بابن مريم فى الدنيا
والاخرة وليس بينى وبينه نبى قال بعضهم وبه يرد على من قال كان بينهما خالد بن
سنان وقد يقال مراده صلى الله عليه وسلم بالنبى الرسول الذى ياتى بشريعة مستقلة
وحينيذ لا يشكل هذا لما علمت انه لم يات بشريعة مستقلة ولاما جا فى رواية اخرى
ليس بينى وبينه نبى ولا رسول ولاما فى كلام البيضاوى تبعا للكشاف من ان بين عيسى
ومحمد صلى الله عليه وسلم اربعة انبيا ثلاثة من بنى اسرائيل وواحد من العرب وهو
خالد بن سنان وبعده حنظلة بن صفوان ارسله الله تعالى لاصحاب الرس بعد
خالد بماية سنة لانه يجوز ان يكون كل من هولاء الثلاثة لم يبعث بشريعة مستقلة
بل كان مقررا لشريعة عيسى ايضا كخالد بن سنان والرس البير الغير المطوية اى الغير
المبنية كذا فى الكشاف والذى فى القاموس كالصحاح المطوية باسقاط غير فانهم
قتلوا حنظلة ودسوه فيها اى وجين دسوه فيها غار ماؤها وعطشوا بعد ريهم
وبيست اشجارهم وانقطعت ثمارها بعد ان كان ماؤها يرويهم ويكفى ارضهم جميعا
وتبدلوا بعد الانس الوحشة وبعد الاجتماع الفرقة لانهم كانوا ممن يعبد الاصنام
اى وقد كان ابتلاهم الله بطير عظيم ذى عنق طويل كان فيه من كل لون فكان ينقض
على صبيانهم يخطفهم اذا اعوزه الصيد وكان اذا خطف احدا منهم اغرب به اى
ذهب به الى جهة المغرب فقيل له لطول عنقه ولذهابه الى جهة المغرب عنقا مغرب
فشكوا ذلك الى رسول الله حنظلة فدعى على تلك العنقا فارسل الله عليها صاعقة
فاهلكتها ولم تعقب وكان جزاؤه منهم ان قتلوه وفعلوا به ما تقدم وذكر
بعضهم ان حنظلة هذا كان من العرب من ولد اسماعيل ثم رايت ابن كثير ذكر ان
حنظلة هذا كان قبل موسى وانه لما ذكر ان فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فتحت تستر
المدينة المعروفة وجدوا تابوتا وفى لفظ سريرا عليه دانيال عليه السلام ووجدوا طول
انفه شبرا وقيل ذراعا ووجدوا عند راسه مصحفا فيه ما يحدث الى يوم القيمة وان من
وفاته الى ذلك اليوم ثلثماية سنة قال ان كان تاريخ وفاته القدر المذكور فليس بنبى بل
هو رجل صالح لان عيسى بن مريم ليس بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم نبى بنص

الحديث في البخاري **اقول** وقد علمت الجواب عن ذلك من ان المراد بالنبي الرسول **وفيه** ان هذا
يبعده عطف الرسول على النبي الا ان يجعل من عطف التفسير والله اعلم **والفترة** التي
كانت بينهما اربعمائة سنة وقيل ستمائة سنة وقيل بزيادة عشرين سنة **قالت**
عايشة رضي الله عنها ما وجدنا احدا يعرف ما وراء عدنان ولا قحطان الا تخرصا اي كذبا
لان الخراص الكذاب كذا قيل **اقول** لعل المراد بالكذب الغير المقطوع بصحته لان الخرص
حقيقته الحدس والتخمين وكل من تكلم كلاما بناء على ذلك قيل له خراص ثم قيل للكذاب
خراص توسعا وحينئذ كان القياس ان يقال الا تخرصا اي حرزا وتخمينا وعلى هذا كانت
الصديقة رضي الله تعالى عنها ارادت المبالغة للتنفير عن الخوض في ذلك والله اعلم **وعن**
عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم انتسب حتى بلغ النضر بن
كنانة ثم قال فمن قال غير ذلك اي بما زاد على ذلك فقد كذب **اقول** اطلاق الكذب على من
زاد كنانة الى عدنان يخالف ما سبق من ان المجمع عليه الى عدنان الا ان يقال لا ينافيه
لانه يجوز ان يكون عمرو بن العاص لم يسمع ما زاد على النضر بن كنانة الى عدنان مع ذكره صلى
الله عليه وسلم له الذي سمعه غيره وفي اطلاقه الكذب على ذلك التاويل السابق **واخرج**
الجلال السيوطي في الجامع الصغير عن البيهقي انه صلى الله عليه وسلم انتسب فقال انا محمد
ابن عبد الله بن عبد المطلب الى ان قال ابن مضر بن نزار وهذا هو الترتيب المالوف
وهو الابتدا بالاب ثم بالجد ثم بابي الجد وهكذا **وقد** جاء في القران على خلافه في قوله تعالى
حكاية عن سيدنا يوسف واتبعت ملة اباءي ابراهيم واسحاق ويعقوب **قال بعضهم**
والحكمة في ذلك انه لم يرد مجرد ذكر الابا وانما ذكرهم ليذكر ملتهم التي اتبعها فبدا بصاحب
الملة ثم بمن اخذها عنه اولا فاولا على الترتيب والله اعلم **وعن** ابن عباس رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا انتسب لم يجاوز معد بن عدنان بن ادد ثم يمسك ويقول
كذب النسابون مرتين او ثلاثا قال البيهقي والاصح ان ذلك اي قوله كذب النسابون
من قول ابن مسعود اي لا من قوله صلى الله عليه وسلم **اقول** والدليل على ذلك ما جاء
كان ابن مسعود اذا قرا قوله تعالى الم ياتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين
من بعدهم لا يعلمهم الا الله قال كذب النسابون يعني الذين يدعون علم الانساب ونفى
الله علمها عن العباد ولا مانع ان يكون هذا القول صدر منه صلى الله عليه وسلم ما نع
ان يكون هذا القول صدر منه صلى الله عليه وسلم اولا ثم تابعه ابن مسعود عليه وقد يقال
هذه الرواية تقتضي اما الزيادة على المجمع عليه واما النقص عنه اي زيادة ادد ونقص
عدنان فهي مخالفة لما قبلها **وفي كلام بعضهم** ان بين عدنان وادد فيقال عدنان بن
اد بن **ادد** قيل له ادد لانه كان مديد الصوت وكان طويل العز والشرف قيل وهو

اول

اول من تعلم الكتابة اي العربية من ولد اسماعيل وتقدم ان الصحيح ان اول من كتب نزار
اسماعيل وتقدم ان الصحيح ان اول من كتب نزار وانظر هل يشكل على ذلك ما رواه الهيثم
ابن عدي ان الناقل لهذه الكتابة يعني العربية من الحيرة الى الحجاز حرب بن امية بن عبد شمس
وقال الاولية اضافية اي من قريش وعدنان سمي بذلك قيل لان اعين الانس والجن كانت
اليه ناظرة **قال بعضهم** اختلف الناس فيما بين عدنان واسماعيل من الابا فقيل
سبعة وقيل تسعة وقيل خمسة عشر وقيل اربعون والله اعلم قال الله عز وجل
وقرونا بين ذلك كثيرا اي لا يكاد يحاط بها **فقد جا** كان ما بين ادم ونوح عشرة
قرون وبين نوح وابراهيم عشرة قرون **وعن** ابن عباس رضي الله عنهما ان مدة الدنيا اي من
ادم سبعة الاف سنة اي وقد مضى منها قبل وجود النبي صلى الله عليه وسلم خمسة
الاف سنة وسبعمائة واربعون سنة **وعن** ابي خيثمة وثمانمائة سنة **وفي** كلام بعضهم من
خلق ادم الى بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم خمسة الاف سنة وثمانمائة سنة وثلاثون سنة
فقد جا عن ابن عباس من طريق صحاح انه قال الدنيا سبعة ايام كل يوم الف سنة وبعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم في اخر يوم منها **وفي كلام الحافظ** السيوطي دلت الاحاديث والاثار
على ان مدة هذه الامة تزيد على الالف سنة ولا تبلغ الزيادة خمسمائة سنة اصلا وانما تزيد
بنحو اربعمائة سنة تقريبا وما اشتهر على السنة الناس ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يمكث
في قبره اكثر من الف سنة باطل لا اصل له هذا كلامه **وقوله** لا تبلغ الزيادة على خمسمائة
سنة هل يخالف ما اخرجه ابو داود ولن يعجز الله ان يؤخر هذه الامة نصف يوم يعني
خمسمائة سنة **وفي كلام بعضهم** قد اكثر المنجمون في تقدير مدة الدنيا **فقال**
بعضهم عمرها سبعة الاف سنة بعدد النجوم السيارة اي وهي سبعة وبعضهم اثنى
عشر الف سنة بعدد البروج **وبعضهم** ثلاثمائة الف وستون الفا بعدد
درجات الفلك وكلها تحكمات عقلية لا دليل عليها **وفي كلام الشيخ محيي الدين** بن
العربي ان الله خلق الموجودات من الجمادات والنبات والحيوان بعد انتهاء خلق
العالم الطبيعي باحدى وسبعين الف سنة ثم خلق الله الدنيا بعد ان انقضى من مدة
خلق الله الدنيا بعد ان انقضى من مدة خلق العالم الطبيعي اربع وخمسون الف
سنة ثم خلق الله الاخرة يعني الجنة والنار بعد الدنيا بتسعة الاف سنة ولم يجعل
الله للجنة والنار امدا ينتهي اليه بقاؤهما فلهما الدوام وخلق الله تعالى
طينة ادم بعد ان مضى من عمر الدنيا سبعة عشر الف سنة ومن عمر الدنيا الاخرة التي
لا نهاية لها في الدوام ثمانية الاف سنة وخلق الله الجان في الارض قبل ادم بستين
الف سنة اي ولعل هذا هو المعنى بقول بعضهم خلق الله قبل ادم خلقا في صورة البهائم

ثم اماتهم قيل وهم الحن والبن والطم والرم والحس والبس فافسدوا في الارض
وسفكوا الدماء كما سياتي قال الشيخ محيي الدين وقد طفت بالكعبة مع قوم لا اعرفهم
فقال لي واحد منهم اما تعرفني فقلت لا فقال انا من اجدادك الاول فقلت له كم
لك منذ مت قال لي بضع واربعون الف سنة فقلت ليس لادم هذا القدر من السنين
فقال لي عن اي ادم تقول عن هذا الاقرب اليك او عن غيره فتذكرت حديثا روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق ماية الف ادم فقلت قد يكون ذلك الجد الذي
نسبني اليه من اوليك والتاريخ في ذلك مجهول مع حدوث العالم بلا شك هذا
كلامه وفي كلام الشيخ عبد الوهاب الشعراني وكان وهب بن منبه رضي الله
عنه يقول سال بنو اسرايل المسيح عليه الصلاة والسلام ان يحيي لهم سام بن نوح
عليه الصلاة والسلام فقال اروني قبره فوقف على قبره وقال يا سام قم باذن
الله تعالى فقام واذا راسه ولحيته بيضا فقال انك مت وشعرك اسود فقال
لما سمعت النداء ظننت انها القيمة فشابت راسي ولحيتي الان فقال له عيسى عليه السلام
كم لك من السنين ميت قال خمسة الاف سنة الى الان لم يذهب عني حرارة طلوع روح
وسبب الاختلاف فيما بين عدنان وادم ان قدما العرب لم يكونوا اصحاب كتب
يرجعون اليها وانما كانوا يرجعون الى حفظ بعضهم بعض ولعله لا يخالف ما تقدم
من ان اول من كتب معد او نزار وفي كلام سبط بن الجوزي ان سبب الاختلاف في المذكور
اختلاف اليهود فانهم اختلفوا اختلافا فاحشا وتافيما بين ادم ونوح وفيما بين الانبيا
من السنين قال ابن عباس رضي الله عنهما لو شا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعلمه
لعلمه اي لو اراد ان يعلم ذلك الناس لعلمه لهم وهذا اولى من يعلمه بفتح اليا وسكون العين
وذكر ابن الجوزي ان بين ادم ونوح شيث وادريس وبين نوح وابراهيم هود ثم
صالح وبين ابراهيم وموسى بن عمران اسماعيل واسحق ولوط وهو ابن اخي ابراهيم
وكان كاتبا لاهل براهيم وشعيب وكان يقال له خطيب الانبيا ويعقوب ويوسف
ولد يوسف ليعقوب وله من العمر احد وتسعون سنة وكان فراقه ليوسف من العمر
ثماني عشرة سنة وبقيا متفرقين احدى وعشرين سنة وبقيا مجتمعين بعد ذلك
سبع عشرة سنة هذا وفي الاتقان القي يوسف في الجب وهو ابن عشرة سنة ولقي
اباه بعد الثمانين وعاش مايه وعشرين سنة وكان كاتبا للعزيز حين وسبب الفرقة
بين سيدنا يعقوب وسيدنا يوسف ان سيدنا يعقوب ذبح جديا بين يدي امه فلم
يرض الله له ذلك فاراه دما بدم وفرقة بفرقة وحرقة بحرقة وموسى ابن منشا
وبين موسى بن عمران وهو اول انبيا بني اسرايل وداود يوشع وكان كهارون يوشع كيت

لموسى

لموسى ويذكر ان مما اوصى به داود ولده سليمان لما استخلفه يا بني اياك والهزل فان
نفعه قليل ويهيج العداوة بين الاخوان اي ومن ثم قيل لا تمازح الصبيان فتهون
عليهم ولا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا تمازح الدني فيجتري عليك لكل شي بذر وبذر
العداوة المزاح وقد قيل المزاح يذهب بالمهابة ويورث الضغينة وقيل الكذاب
العطيعة المزاح وقد قيل من كثر مزاحه لم يخل من استخفاف به او حقد عليه واقطع طمعك
من الناس فان ذلك هو الغنى واياك وما تعتذر فيه من القول والفعل وعود
لسانك الصدق والزم الاحسان ولا تجالس السفها واذا غضبت فالصق نفسك بالارض
اي وقد جا في الحديث اذا جهل على احدكم جاهل فان كان قايما جلس وان كان جالسا
فليضطجع ومن مات من الانبيا بحياة داود ولده سليمان ابراهيم الخليل
ثم كالب بن لوقيا وهو خليفة يوشع ثم حزقيل وهو خليفة كالب ويقال له ابن العجوز لان
امه سالت الله ان يرزقها ولدا بعد ما كبرت وعقمت فجاءت به وهو ذو الكفل لانه
تكفل بسبعين نبيا وانجاهم من القتل والياس ثم طالوت الملك اي فان شمويل عليه
الصلاة والسلام لما حضرته الوفاة سال بنو اسرايل ان يقيم فيهم ملكا فاقام
فيهم طالوت ملكا فلم يكن من اعيانهم بل كان راعيا وقيل سقا وقيل غير ذلك وبين
داود وعيسى وهو اخر انبيا بني اسرايل ايوب ثم يونس ثم شعيا ثم احصيا ثم زكريا
فيحيى وفي النهر لابي حيان في تفسير قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب وقفينا من
بعده بالرسل كان بينه وبين عيسى من الرسل يوشع وشمويل وشمعون وداود وسليمان
وشعيب وارميا وعزير اي من اولاد هارون بن عمران وحزقيل والياس ويونس وزكريا ويحيى
وكان بين موسى وعيسى الف نبي هذا كلامه وكان يحيى بينهما بين موسى وعيسى الف
نبي هذا كلامه وكان يحيى يكتب لعيسى وتقدم الكلام على من بين عيسى ومحمد صلى الله
الله عليه وسلم ومما يدل على شرف هذا النسب وارتفاع شانه وفخامته وعلو مكانته
ما جا عن سعد بن ابي وقاص رضي الله تعالى عنه قال قيل يا رسول الله قتل فلان الرجل من
ثقيف فقال ابعده الله انه كان يبغض قريشا وفي الجامع الصغير قريش صلاح الناس
ولا يصلح الناس الا بهم كما ان الطعام لا يصلح الا بالملح قريش خالصة الله تعالى فمن نصب
لها حربا سلب ومن ارادها بسو خزي في الدنيا والاخرة قال وعن سعد بن ابي وقاص
ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يرد هوان قريش اهانه الله تعالى انتهى
اي واشد الاهانة ما كان في الاخرة وحينيذ اما ان يراد بالارادة العزم والتصميم
او المراد المبالغة او يكون ذلك من خصايص قريش فلا ينافي ان حكم الله المطرد
في عدله انه لا يعاقب على مجرد الارادات انما يعاقب ويجازي على الافعال والاقوال

الواقعة او ما هو منزل منزلة الواقعة كالتصميم فان من خصائص هذه الامة عدم مؤاخذتها بما تحدث به نفسها وعن ام هانئ بنت ابي طالب رضي الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل قريشا اي وذكر تفضيلهم بسبع خصال لم يعطها احد قبلهم ولا يعطاها احد بعدهم النبوة فيهم والخلافة والحجابة فيهم والسقاية فيهم ونصروا على الفيل اي على اصحابه وعبدوا الله سبع سنين وفي لفظ عشر سنين لم يعبده احد غيرهم ونزلت فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها احد غيرهم لايلاف قريش وتسميته لايلاف قريش سورة يرد ما قيل ان سورة الفيل ولايلاف قريش سورة واحدة ولبسط ما معنى عبادتهم الله دون غيرهم في تلك المدة وعن انس رضي الله عنه حب قريش ايمان وبغضهم كفر وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه الناس تبع لقريش مسلمهم تابع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم وقال صلى الله عليه وسلم العلم في قريش اي وقال الائمة من قريش وقد جمع الحافظ ابن حجر طرق هذا الحديث في كتاب سماه لذة العيش في طرق حديث الائمة من قريش وفي الحديث عالم قريش يملأ طباق الارض علما وفي رواية لا تسبوا قريشا فان عالمها يملأ الارض علما اللهم اهد قريشا فان عالمها يملأ طباق الارض علما قال جماعة من الائمة منهم الامام احمد هذا العالم هو الشافعي رضي الله تعالى عنه لانه لم ينتشر في طباق الارض من علم عالم قريش من الصحابة وغيرهم ما انتشر من علم الشافعي وفي كلام بعضهم ليس في الائمة المتبوعين في الفروع قرشي غيره وفيه ان الامام مالك بن انس من قريش ويجاب بانه انما يكون قرشيا على القول الباطل ان جماع قريش قصي وقد ذكر ابن السبكي انهم ذكروا ان من خواص الشافعي من بين الائمة ان من تعرض اليه او الى مذهبه بسوء او نقص هلك قريبا واخذوا ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم من اهان قريشا اهانه الله هذا كلامه قال الحافظ العراقي اسناد هذا الحديث يعني لا تسبوا قريشا فان عالمها يملأ الارض علما لا يخلو عن ضعف وبه يرد ما زعمه الصغاني من انه موضوع وحاشا الامام احمد ان يحتج بحديث موضوع او يتكلم به في فضل الشافعي وقال ابن حجر الهيتمي هو حديث معمول به في مثل ذلك اي في المناقب وزعم وضعه حسدا وغلط فاحش اي وعن الربيع قال رايت في المنام كان آدم مات فسالت عن ذلك فقيل لي هذا موت اعلم اهل الارض لان الله علم آدم الاسماء كلها فما كان الا يسيرا حتى مات الشافعي رضي الله تعالى عنه ورضي الله عنا به ومما يؤثر عن امامنا الشافعي رضي الله عنه من اطراك في وجهك بما ليس فيك فقد شتمك ومن نقل اليك نقل عنك ومن نم عندك نم بك ومن اذا ارضيته قال فيك ما ليس فيك اذا اسخطته قال فيك ما ليس فيك وقال صلى الله عليه وسلم قدموا قريشا ولا تقدموها وفي رواية ولا تعالموها اي لا تغالبوها بالعلم ولا تكاثروها فيه وفي رواية ولا تعلموها اي لا تجعلوها

في المقام

في المقام الادنى الذي هو مقام المتعلم بالنسبة للمعلم وقال صلى الله عليه وسلم احبوا قريشا فانه من احبهم احبه الله وقال صلى الله عليه وسلم لولا ان تبطر قريش لاخبرتها بالذي لها عند الله عز وجل وفي السنن الماثورة عن امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه رواية المزني عنه قال فيه الطحاوي قال حدثنا المزني قال حدثنا الشافعي ان قتادة بن النعمان وقع بقريش وكانه نال منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا قتادة لا تشتم قريشا فانك لعلك ترى منهم رجالا اذا رايتهم لولا ان تطغى قريش لاخبرتها بالذي لها عند الله اي لولا انها اذا علمت ما لها عند الله من الخير المدخر لها تركت العمل بل ربما ارتكبت ما لا يحل اتكالا على ذلك لاعلمتها به لكن في رواية لاخبرتها بما لمحسنها عند الله من الثواب وهذا دليل على علو منزلتها وارتفاع قدرها عند الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم يوما يا ايها الناس ان قريشا اهل امانة من بغاها العواثر اي من طلب لها المكايد اكبه الله لمنخريه اي اكبه على وجهه قال ذلك ثلاث مرات وعن سيدنا عمر رضي الله عنه انه كان بالمسجد فمر عليه سعيد بن العاصي فسلم عليه فقال له اي والله يا ابن اخي ما قتلت اباك يوم بدر وما بي ان اكون اعتذر من قتل مشرك فقال له سعيد بن العاصي لو قتلته كنت على الحق وكان على الباطل فتعجب عمر من قوله قريش افضل الناس احلاما واعظم الناس امانة ومن يرد بقريش سوءا يكبه الله لفيه هذا كلامه والذي قتل العاصي والد سعيد علي بن ابي طالب وقيل سعد بن ابي وقاص فعن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه قال قتلت يوم بدر العاصي واخذت سيفه ذا الكتيفة وقال صلى الله عليه وسلم شرار قريش خير شرار الناس وفي رواية خيار قريش خيار الناس وشرار قريش شرار الناس اي ولعله سقط من هذه الرواية قبل شرار الثانية لفظ خيار لتوافق الرواية قبلها المقتضي لذلك المقام ويحتمل ابقاء ذلك على ظاهره لانهم ممن يقتدى به فكانوا اشرار الاشرار ويكون هذا هو المراد بوصفهم بانهم خيار الشرار الناس ثم رايت في كتاب السنن الماثورة عن امامنا الشافعي رضي الله عنه رواه المزني عنه رواه المزني بسنده خيار قريش خيار الناس وشرار قريش خيار شرار الناس وفي الحديث قريش ولاة هذا الامر فبر الناس تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم ومن ثم قال الطحاوي قريش اهل امانة هكذا قراه علينا المزني اهل امانة اي بالنون وانما هو اهل امامة اي بالميم وفي كلام فقهائنا قريش قطب العرب وفيهم الفتوة ومما يدل على شرف هذا النسب ايضا ما جاء عن عمرو بن العاصي رضي الله تعالى عنه ان الله اختار العرب على الناس واختارني على من انا منه من اولئك العرب وما جاء عن واثلة بن الاسقع رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم

اقول وجاء بلفظ اخر عن واثلة بن الاسقع وهو ان الله اصطفى من ولد ادم ابراهيم
واتخذه خليلا واصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل ثم اصطفى من ولد اسمعيل نزار ثم
اصطفى من ولد نزار مضر ثم اصطفى من ولد مضر كنانة ثم اصطفى من كنانة قريشا
ثم اصطفى من قريش بنى هاشم ثم اصطفى من بنى هاشم بنى عبد المطلب ثم اصطفانى
من بنى عبد المطلب والله اعلم قال وفى رواية ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل
واصطفى من ولد اسمعيل كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من قريش
بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم وما جاء عن جعفر بن محمد عن ابيه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اتانى جبريل فقال لى يا محمد ان الله بعثنى فطفت شرق الارض
وغربها وسهلها وجبلها فلم اجد حيا خيرا من مضر ثم امرنى فطفت فى مضر فلم اجد
حيا خيرا من كنانة ثم امرنى فطفت فى كنانة فلم اجد حيا خيرا من بنى هاشم ثم امرنى
ان اختار فى انفسهم اى اختار نفسا من انفسهم فلم اجد نفسا خيرا من نفسك انتهى
اى وفى الوفا عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم
قال ليس من العرب قبيلة الا ولدت النبى صلى الله عليه وسلم مضرها وربيعتها ويمانيها
قال وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق
الخلق فاختار من الخلق بنى ادم واختار من بنى ادم العرب واختار من العرب مضر
واختار من مضر قريشا واختار من قريش بنى هاشم واختارنى من بنى هاشم
فانا خيار من خيار الى خيار انتهى وقوله واختار من مضر قريشا ايدا على ان مضر ليس بجماع
قريش والا كانت اولاده كلها قريشا وعن ابى هريرة يرفعه بسند حسنه الحافظ
العراقى ان الله حين خلق الخلق بعث جبريل فقسم الناس قسمين قسم العرب قسما وقسم
العجم قسما وكانت خيرة الله فى العرب ثم قسم العرب قسمين فقسم اليمن قسما وقسم مضر
قسما وكانت خيرة الله فى مضر وقسم مضر قسمين فكانت قريش قسما وكانت خيرة الله فى
قريش ثم اخرجنى من خير من انا منه قال بعضهم وما جاء فى فضل قريش فهو ثابت لبنى
هاشم والمطلب لانهم اخص وما ثبت للاعم يثبت للاخص ولا عكس وفى الشفا
عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى
قسم الخلق قسمين فجعلنى من خيرهم قسما فذلك قوله تعالى اصحاب اليمين واصحاب
الشمال فانا من اصحاب اليمين وانا خير اصحاب اليمين ثم جعل القسمين اثلاثا فجعلنى فى خيرها
ثلثا فذلك قوله تعالى اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة والسابقون السابقون فانا
من السابقين وانا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلنى من خيرها قبيلة
وذلك قوله وجعلناكم شعوبا وقبائل الاية فانا اتقى ولد ادم واكرمهم على الله ولا فخر

ويجعل

ويجعل القبائل بيوتا فجعلنى فى خيرها بيتا ولا فخر فذلك قوله تعالى انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت الاية هذا كلام الشفا فليتامل والى شرف هذا النسب
يشير صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله

وبدا للوجود منك كريم ۞ من كريم اباؤه كرماء
نسب تحسب العلا بحلاه ۞ قلدتها نجومها الجوزاء
حبذا عقد سودد وفخار ۞ انت فيه اليتيمة العصماء

اى ظهر لهذا العالم منك كريم اى جامع لكل صفة كمال وهذا على حد قولهم لى من فلان
صديق حميم وذلك الكريم الذى ظهر وجد من اب كريم سالم من نقص الجاهلية
اباؤه الشاملة للامهات جميعهم كرماء اى سالمون من نقائص الجاهلية اى
ما يعد فى الاسلام نقصا من اوصاف الجاهلية وهذا نسب لا اجل منه تحلاله
اذا تاملته تظن بسبب ما تحلى به من الكمالات ان معاليه جعلت الجوزاء نجومها
التى يقال لها نطاق الجوزاء قلادة لتلك المعالى وهذه القلادة نعم هى قلادة
سيادة وتمدح موصوفه بانك فى تلك القلادة الدرة اليتيمة التى لا مشابه لها
المحفوظة عن المعايب لجلالتها لا يقال شمول الاباء للامهات لا يناسب قوله نسب
لان النسب الشرعى فى الاب خاصة لانا نقول المراد بالنسب ما يعم اللغوى ويقال
سلامة ابائه من النقائص انما هو من حيث ابوته اى كونه متفرعا عنه وذلك لا
يستلزم ان يكون امهاته كذلك وسياتى لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام
الطاهرات وسياتى الكلام على ذلك مستوفى وقد قال الماوردى فى كتاب اعلام
النبوة واذا اختبرت حال نسبه صلى الله عليه وسلم وعرفت طهارة مولده علمت انه
سلالة اباء كرام ليس فيهم مسترذل بل كلهم سادة قادة وشرف النسب وطهارة
المولد من شروط النبوة هذا كلامه ومن كلام عمه ابى طالب اذا اجتمعت يوما

اذا اجتمعت يوما قريش لمفخر ۞ فعبد مناف سرها وصميمها
وان حصلت انساب عبد منافها ۞ ففى هاشم اشرافها وقديمها
وان فخرت يوما فان محمدا ۞ هو المصطفى من سرها وكريمها

بالرفع عطفا على المصطفى وسر القوم وسطهم فاشرف القوم قومه واشرف
القبائل قبيلته واشرف الافخاذ فخذه وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال قال لى
رسول الله صلى الله عليه وسلم من احب العرب فبحبى احبهم ومن ابغض العرب
فببغضى ابغضهم وعن سلمان رضى الله تعالى عنه قال قال لى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا سلمان لا تبغضنى فتفارق دينك قلت يا رسول الله كيف ابغضك

وبك هداني الله قال تبغض العرب فتبغضني وعن علي رضي الله تعالى عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبغض العرب الا منافق وفي الترمذي عن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من غش العرب لم يدخل في شفاعتي ولم تنله مودتي قال الترمذي هذا حديث غريب وقال صلى الله عليه وسلم الا من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم وقال صلى الله عليه وسلم احبوا العرب لثلاث لاني عربي والقران عربي وكلام اهل الجنة عربي وقال صلى الله عليه وسلم ان لوا الحمد يوم القيمة بيدي وان اقرب الخلق من لوائي يومئذ العرب وقال صلى الله عليه وسلم اذا ذلت العرب ذل الاسلام وفي كلام فقهائنا العرب اولى الامم لانهم المخاطبون اولا والدين عربي وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما خير العرب مضر وخير مضر عبد مناف وخير بني عبد مناف بنو هاشم وخير بني هاشم بنو عبد المطلب والله ما افترق فرقتان منذ خلق الله تعالى ادم الا كنت في خيرهما اقول وفي لفظ اخر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حين خلقني جعلني من خير خلقه ثم حين خلق القبائل جعلني من خيرهم قبيلة وحين خلق الانفس جعلني من خير انفسهم ثم حين خلق البيوت جعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم بيتا وانا خيرهم نسبا وفي لفظ اخر عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم الخلق قسمين فجعلني في خيرهم قسما ثم جعل القسمين اثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلني في خيرها قبيلة ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا وتقدم عن الشفا مثل ذلك مع زيادة الاستدلال بالايات وتقدم الامر بالتامل في ذلك والله اعلم وفيه انه ورد النهي في الاحاديث الكثيرة عن الانتساب الى الاباء في الجاهلية على سبيل الافتخار من ذلك لا تفتخروا بابائكم الذين ماتوا في الجاهلية فوالذي نفسي بيده ما يدحرج الجعل بانفه خير من ابائكم الذين ماتوا في الجاهلية اي والذي يدحرجه الجعل هو النتن وجاء في الحديث ليدعن الناس فخرهم في الجاهلية او ليكونن ابغض الى الله من الخنافس وجاء انه المحب الفخر اي عاهة الشرف بالاباء التعاظم بذلك واجاب الامام الحليمي بانه صلى الله عليه وسلم لم يرد بذلك الفخر انما اراد تعريف منازل اوليك ومراتبهم اي وصي ثم جاء في بعض الروايات قوله ولا فخر اي فهو من التعريف عما يجب اعتقاده وان لزم منه الفخر او هو اشارة الى نعمة الله تعالى عليه فهو من التحديث بالنعمة وان لزم ذلك الفخر ايضا وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين قال من نبي الى نبي حتى اخرجت نبيا اي وجدت الانبيا

في ابائه

في ابائه فسياتي انه قذف بي في صلب ادم ثم في صلب نوح ثم في صلب ابراهيم بدليل ما يأتي وما يأتي فيه وفي لفظ اخر عنه ما زال النبي صلى الله عليه وسلم يتقلب في اصلاب الانبياء اي المذكورين او وغيرهم حتى ولدته امه اي وهذا لا ينافي لا ينافي وقوع من ليس نبيا في ابائه فالمراد وقوع الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم في نسبه عليه الصلاة والسلام لا علمت ضرورة ان اباءه كلهم انبيا لكن قال غيره لا زال نوره ينتقل من ساجد الى ساجد قال ابو حيان واستدل بذلك اي بما ذكر من الاية المذكورة اي المفسرة بما ذكر الرافضة على ان ابا النبي صلى الله عليه وسلم كانوا مؤمنين اي لان الساجد لا يكون الا مؤمنا فقد عبر عن عن الايمان بالسجود وسياتي مزيد الكلام في ذلك وهو استدلال ظاهري والا فالاية قيل معناها وتصفحك احوال المتهجدين من اصحابك لانه لما نسخ فرض قيام الليل عليه وعليهم بناء على انه كان واجبا عليه وعلى امته وهو الاصح وعن ابن عباس انه كان واجبا على الانبيا قبله طاف صلى الله عليه وسلم تلك الليلة على بيوت اصحابه لينظر حالتهم اي هل تركوا قيام الليل لكونه نسخ وجوبه بالصلوات الخمس ليلة المعراج حرصا على كثرة طاعتهم فوجدها كبيوت الزنابير اي لان الله تعالى فترض عليه صلى الله عليه وسلم اي وعلى امته قيام الليل او نصفه او اقل او اكثر في اول سورة المزمل ثم نسخ ذلك في اخر السورة بما تيسر اي وكان نزول ذلك بعد سنة ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس ليلة المعراج كما سياتي وجعل بعضهم ذلك من نسخ الناسخ فيصير منسوخا لما علمت ان اخر هذه السورة ناسخ لاولها ومنسوخ بفرض الصلوات الخمس واعترض بان الاخبار دالة على ان قوله تعالى فاقرؤا ما تيسر من القران انما نزل بالمدينة يدل على ذلك قوله تعالى علم ان سيكون منكم مرضى واخرون يضربون في الارض يبتغون من من فضل الله واخرون يقاتلون في سبيل الله لان القتال في سبيل الله انما كان بالمدينة قوله تعالى فاقرؤا ما تيسر اختيار لا ايجاب وقيل معنى وتقلبك في الساجدين وتقلبك بل بساجد المحذوف لا يقال تعارض جعل الساجدين عبارة عن المؤمنين لان من جملة ابائه ازر والد ابراهيم الخليل صلى الله على نبينا وعليه وسلم وكان كافرا لانا نقول اجمع اهل الكتابين على ان ازر كان عمه والعرب تسمي العم ابا كما تسمي الخالة اما فقد حكي عن يعقوب انه قال اباءي ابراهيم واسمعيل ومعلوم ان اسمعيل انما هو عمه اي ويدل لذلك ان ابا ابراهيم كان اسمه تارخ بالمثناة فوق والمعجمة كما عليه جمهور اهل النسب وقيل به بالمهملة وعليه اقتصر الحافظ في الفتح لا ازر لكن ادعى بعضهم انه لقب له لان ازر اسم صنم كان يعبده فصار له اسمان ازر وتارخ كيعقوب واسرائيل قال بعضهم وقد تساهل من اخذ بظاهر الاية كالقاضي البيضاوي وغيره فقال ان ابا ابراهيم مات على الكفر وما قيل انه عمه فعدول عن الظاهر من غير دليل ويوافقه ما في النهر نقلا

عن ابن عباس رضي الله عنهما ان آزر كان اسم ابيه ويرد ذلك قول الحافظ السيوطي
يستنبط من قول ابراهيم رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب
وكان ذلك بعد موت عمه بمدة طويلة ان المذكور في القران بالكفر والتبري من
الاستغفار له اي في قوله تعالى وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة
وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه هو عمه لا ابوه الحقيقي قال فلله الحمد
على ما الهم اي ولا يخفى ان هذا لا يتم الا اذا كان ابوه الحقيقي حيا وقت التبري
فان التبري سببه الموت اي موت عمه على الكفر لا الوحي بانه يموت كافرا فليتأمل فيه
وحينئذ يكون ابوه الحقيقي هو المعني بقول ابي هريرة احسن كلمة قالها ابو ابراهيم
ان قال لما راى ولده وقد القي في النار على تلك الحال اي في روضة خضرا حوله النار
لم تحرق منه الا كتافه نعم الرب ربك يا ابراهيم وكان سنه حين القي في النار ست
عشرة سنة كما في الكشاف وفي كلام غيره كان سنه ثلاثين سنة بعد ما مضى ثلاث
عشرة سنة وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان قريشا كانت نورا بين يدي الله تعالى قبل
ان يخلق ادم بالفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله تعالى
ادم القى ذلك النور في صلبه قال صلى الله عليه وسلم فاهبطني الله تعالى الى الارض في صلب
ادم وجعلني في صلب نوح وقذفني في صلب ابراهيم ثم لم يزل ينقلني من الاصلاب الكريمة
والارحام الطاهرة حتى اخرجني من بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط اقول قوله فاهبطني
ينبغي ان لا يكون معطوفا على ما قبله من قوله ان قريشا كانت نورا بين يدي الله الى اخره
فيكون نوره من جملة نور قريش وانه انفرد عن نور قريش واودع في صلب نوح الى اخره
على ما ياتي من قوله كنت نورا بين يدي الله قبل خلق ادم باربعة عشر الف عام الدال
لذلك ان يكون نوره سابقا على نور قريش ويكون نور قريش من نوره وحكمة اقتصاره
صلى الله عليه وسلم على من ذكر من الانبيا لا يخفى وهي انهم ابا الانبيا عليهم الصلاة والسلام
ففي ذريته نوح هود وصالح ومن ذريته ابراهيم اسماعيل واسحاق ويعقوب ويوسف
وشعيب وموسى وهارون بنا على انه شقيق موسى وهارون اولابيه والاقتصار على ان
نوره صلى الله عليه وسلم انتقل الى شيث وتقدم انه صلى الله عليه وسلم من ذريته اسماعيل
وعن علي بن الحسين عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت نورا بين يدي ربي
قبل خلق ادم باربعة عشر الف سنة ورايت في كتاب التشريفات في الخصايص والمعجزات
لم اقف على اسم مؤلفه عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال
جبريل كم عمرت من السنين فقال يا رسول الله لست اعلم غير ان في الحجاب الرابع نجما يطلع
في كل سبعين الف سنة مرة رايته اثنين وسبعين الف مرة فقال يا جبريل وعزة ربي جل

جلاله

جلاله انا ذلك الكوكب رواه البخاري بهذا كلامه فلما خلق الله ادم جعل ذلك النور في ظهره
اي فهو على حالة كونه نورا سابق على قريش حالة كونها نورا لما سياتي ما يدل على ان نوره سابق
على ساير المخلوقات بل وتلك المخلوقات خلقت من ذلك النور وادم وذريته وحينئذ
يحتاج الى بيان وجه كون ادم خلق من نوره وجعل نوره في ظهره ثم فقد تقدم في الخبر
لما خلق الله تعالى ادم جعل ذلك النور في ظهره اي فكان يلمع في جبينه فيغلب على ساير
نوره الى اخر ما ياتي ثم انتقل الى ولده شيث الذي هو وصيه وكان من جملة ما اوصاه
به انه لا يضع ذلك النور الذي انتقل اليه الا في المطهرات من النساء فلم تزل هذه
الوصية معمولا بها في القرون الماضية الى ان وصل ذلك النور الى عبد المطلب اي
وهذا السياق يدل على ان ذلك النور كان ظاهرا فيمن ينتقل اليه من ابائه وهو قد
يخالف ما تقدم من تخصيص بعض ابائه بذلك فلم تلد حوى ولدا مفردا الا شيث
كرامة لهذا النور قيل مكث في بطنها حتى نبتت اسنانه وكان ينظر الى وجهه
من صفا بطنها وهو الثالث من ولد ادم وكانت تلد ذكرا وانثى معا اي فقد قيل انها
ولدت لادم اربعين ولدا في عشرين بطنا وقيل ولدت مائة وعشرين ولدا وقيل
مائة وثمانين ولدا وقيل خمسمائة ويقال ان ادم لما مات بكى عليه من ولده وولد ولده
اربعون الفا فلم يحفظ من نسل ادم الا ما كان من صلب شيث دون اخوته فانهم لم
يعقبوا اصلا فهو ابو البشر روى جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال قلت يا رسول
الله بابي انت وامي اخبرني عن اول شي خلقه الله قبل الاشياء قال يا جابر ان الله
تعالى قد خلق قبل الاشياء نور نبيك من نوره الحديث روى عن جابر بن عبد الله
الانصاري قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اول شي خلق الله قال هو نور
نبيك يا جابر خلقه الله من نوره فخلق منه كل شي وحين خلقه اقامه قدامه
في مقام القرب اثني عشر الف سنة ثم جعله اربعة اقسام فخلق العرش من قسم والكرسي
من قسم واقام القسم الرابع وحملة العرش من قسم وخزنة الكرسي من قسم واقام القسم
الرابع في مقام الحب اثني عشر الف سنة ثم جعله اربعة اقسام فخلق الخلق من قسم
واللوح من قسم والجنة من قسم واقام القسم الرابع في مقام الخوف اثني عشر الف سنة
ثم جعله اربعة اجزاء فخلق الملايكة من جزء وخلق الشمس من جزء وخلق القمر من
جزء والكواكب من جزء واقام الجزء الرابع في مقام الرجا اثني عشر الف سنة ثم جعله
اربعة اجزاء فخلق العقل من جزء والحلم من جزء والعلم من جزء والعصمة والتوفيق
من جزء واقام الجزء الرابع في مقام الحيا اثني عشر الف سنة ثم نظر الله سبحانه وتعالى
اليه فترشح ذلك النور عرقا فتقطرت منه مائة الف واربعة وعشرون الفا واربعة الاف قطرة

من النور فخلق الله سبحانه وتعالى من كل قطرة روح نبي او رسول ثم تنفست ارواح
الانبيا فخلق الله من انفاسهم نور الاوليا والسعدا والشهدا والمطيعين من المومنين
الى يوم القيمة فالعرش والكرسي من نوري والروحانيون من الملايكة من نوري وملايكة
السموات السبع من نوري والجنة وما فيها من النعيم من نوري والصالحون من نتايج نوري
ثم خلق الله سبحانه وتعالى اثنى عشر الف حجاب فاولج النور وهو الجزء الرابع في كل حجاب
الف سنة وهي مقامات العبودية وهي حجاب الكرامة والسعادة من الهيبة والرحمة
والرافة والحلم والعلم والوقار والسكينة والصبر والصدق واليقين فعبد الله
ذلك النور في كل حجاب الف سنة فلما اخرج النور من الحجب ركبه الله الارض وكان
يضيء منه بين المشرق والمغرب كالسراج في الليل المظلم ثم خلق الله ادم من
الارض وركب فيه النور في جبينه ثم انتقل منه الى شيث ومنه الى يونس
وهكذا ينتقل من طاهر الطيب الى طاهر الى ان اوصله الله الى صلب عبد الله بن
عبد المطلب ومنه الى رحم امنة ثم اخرجني الى الدنيا وجعلني سيد المرسلين
وخاتم النبيين ورحمة للعالمين وقايد الغر المحجلين هكذا بدى خلق نبيك
يا جابر **وفيه** انه اصل لكل موجود والله اعلم **واختلف** الناس في طبقات انساب العرب
وترتيبها والذي في الاصل عن الزبيرين بكار انها ست طبقات وان اولها شعب ثم
قبيلة ثم عمارة بكسر العين المهملة ثم بطن ثم فخذ ثم فصيلة قال وقد نظمها
الزين العراقي في قوله

للعرب العربا طباق عدة ۝ فصلها الزبير وهي ستة
اعم ذاك الشعب فالقبيلة ۝ عمارة بطن فخذ فصيلة

اي فالشعب اصل القبائل والقبيلة اصل العمارة والعمارة اصل البطون والبطن
والبطن الفخذ والفخذ اصل الفصيلة **فيقال** مضر شعب رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي وقيل شعبه خزيمة وكنانة قبيلته وقريش عمارته وقصي بطنه وهاشم فخذه
وبنو العباس فصيلته **وقيل** بعد الفصيلة العشيرة وليس بعد العشيرة شيء **وقيل**
بعدها الفصيلة ثم الرهط **وزاد** بعضهم الذرية والعترة والاسرة ولم يرتب بينها
وقد ذكرها محمد بن سعد اثني عشر فقال الجذم ثم الجمهور ثم العشيرة ثم الفصيلة ثم
الرهط ثم الاسرة ثم الذرية وسكت عن العترة **وفي** كلام بعضهم الاسباط بطون
بني اسرائيل والشعب في لسان العرب الشجرة الملتفة الكثيرة الاغصان والاوراق والقبائل
بطون العرب والشعوب بطون العجم فاليتنا مل **باب** تزويج
عبد الله ابي النبي صلى الله عليه وسلم امنة امه وحفر زمزم وما يتعلق بذلك قبل خروج

عبد المطلب ومعه ولده عبد الله وكان احسن رجل في قريش خلقا وخلقا وكان نور
النبي صلى الله عليه وسلم بينا في وجهه **وفي** رواية كان احسن رجل راى بكسر الرا وضمها ثم
همزة مفتوحة منظرا في قريش **وفي** رواية كان اكمل بني ابيه واحسنهم واعفهم واحبهم
الى قريش وقد هداه الله والده فسماه باحب الاسما الى الله **ففي** الحديث احب الاسما الى الله عبد
الله وعبد الرحمن وهو الذبيح وذلك لان اباه عبد المطلب حين امر في النوم بحفر زمزم
بير اسمعيل عليه الصلاة والسلام وكانت جرهم قد دفنتها اي فان جرهما لما استخفت
بامر البيت الحرام وارتكبوا الامور العظام قام فيهم رئيسهم مضاض بكسر الميم وحكي ضمها
ابن عمرو خطيبا ووعظهم فلم يرعوا فلما راى ذلك منهم عمد الى غزالين من ذهب كانا
في الكعبة وما وجد فيها من الاموال اي السيوف والدروع على ما سياتي التي كانت تهدى
الى الكعبة ودفنها في بير زمزم **وفي** مراة الزمان ان هاتين الغزالين اهداهما للكعبة
وكذا السيوف ساسان اول ملوك الفرس الثانية **ورد** بان الفرس لم يحجوا على البيت
ولا يحجوم هذا كلامه **وفيه** ان هذا لا ينافي ذلك فاليتامل وكانت بير زمزم قد نضب
ماؤها اي ذهب فحفرها مضاض بالليل واعمق الحفر ودفن فيها ذلك اي ودفن الحجر الاسود
ايضا كما قيل وطم البير واعتزل قومه فسلط الله تعالى عليهم خزاعة فاخرجتهم من الحرم
وتفرقوا وهلكوا كما تقدم ثم لا زالت زمزم مطمومة لا يعرف محلها مدة خزاعة ومدة
قصي ومن بعده الى زمن عبد المطلب ورؤياه التي امر فيها بحفرها **قيل** وتلك المدة
خمسماية سنة وكان قصي احتفر بيرا في الدار التي سكنتها ام هانئ اخت علي رضي الله تعالى
عنهما وهي اول سقاية احتفرت بمكة **فعن** علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه قال قال
عبد المطلب اني لنايم في الحجر اذ اتاني ات فقال احفر طيبة فقلت وما طيبة فذهب وتركني
فلما كان الغد رجعت الى مضجعي فنمت فيه فجاني فقال احفر برة فقلت وما برة فذهب وتركني
فلما كان الغد رجعت الى مضجعي فنمت فيه فجاني فقال احفر المضنونة فقلت وما المضنونة
فذهب وتركني فلما كان الغد رجعت الى مضجعي فنمت فيه فجاني فقال احفر زمزم فقلت
وما زمزم قال لا تنزف ولا تذم تسقي الحجيج الاعظم وهي بين الفرث والدم عند نقرة
الغراب الاعصم عند قرية النمل وقوله لا تنزف اي لا يفرغ ماؤها ولا يلحق قعرها **وفيه**
انه ذكر انه وقع فيها عبد حبشي فمات بها وانتفخ فنزحت من اجله ووجدوا قعرها ووجدوا
ماءها يفور من ثلاث اعين اقواها واكثرها ماء ناحية الحجر الاسود وقوله ولا تذم بالذال
المعجمة اي لا توجد قليلة الماء من قولهم بير ذمة اي قليلة الماء **قيل** وليس المراد انه لا يذمها
احد لان خالد بن عبد الله القسري امير العراق من جهة الوليد بن عبد الملك ذمها
وسماها ام جعلان واحتفر بيرا خارج مكة باسم الوليد بن عبد الملك وجعل يفضلها

على زمزم ويحمل الناس على التبرك بها وفيه ان هذا اجراة منه على الله تعالى وقلة
حياء منه وهو الذي كان يلعن ويفصح بلعن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه على المنبر
فلا عبرة بذمه وقيل لزمزم طيبة لانها للطيبين والطيبات من ولد ابراهيم
وقيل لها برة لانها فاضت للابرار وقيل لها المضنونة لانها ضن بها على غير المؤمنين
فلا يتضلع منها منافق وقد جاء في رواية يقول الله ضننت بها على الناس الا عليك ولعل
المراد الا على اتباعك فيكون بمعنى ما قبله وفي رواية انه قيل لعبد المطلب احفر
زمزم فلم يذكر له علامتها فجاء الى قومه وقال لهم اني قد امرت ان احفر زمزم قالوا فهل بين لك
اين هي قال لا قالوا فارجع الى مضجعك الذي رايت فيه ما رايت فان يكن حقا من الله
يبين لك اين هي وان يكن من الشيطان فلن يعود اليك فرجع عبد المطلب الى مضجعه فنام فيه
فاتاه فقال احفر زمزم فانك ان حفرتها لن تندم وهي ميراث من ابيك الاعظم
لا تنزف ابدا ولا تذم تسقي الحجيج الاعظم فقال عبد المطلب اين هي قال بين الفرث
والدم عند قرية النمل حيث ينقر الغراب الاعصم غدا اي والاعصم قيل احمر المنقار والرجلين
وقيل ابيض البطن وعلى هذا اقتصر الامام الغزالي حيث قال في قوله صلى الله عليه وسلم
مثل المراة الصالحة في النساء مثل الغراب الاعصم بين مائة غراب يعني الابيض البطن
هذا كلامه وقيل الاعصم ابيض الجناحين وقيل ابيض احدى الرجلين فلما كان الغد
ذهب عبد المطلب وولده الحارث ليس له ولد غيره فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر
عندها بين الفرث والدم اي في محلهما وذلك بين اساف ونائلة الصنمين اللذين تقدم
ذكرهما وتقدم ان قريشا كانت تذبح عندهما ذبائحها اي التي كانت تتقرب بها وهذا
يبعده ما جاء في رواية انه لما قام يحفرها راى ما رسم له من قرية النمل ونقرة الغراب ولم ير
الفرث والدم فبينما هو كذلك ندت بقرة من ذابحها فلم يدركها حتى دخلت المسجد فنحرها
في الموضع الذي رسم له وقد يقال لا يبعد لانه يجوز ان يكون فهم ان يكون الفرث والدم
موجودين بالفعل ولا يلزم من كون المحل المذكور محلهما وجودهما فيه ذلك الوقت فلم
يكتف بنقرة الغراب في محلها فارسل الله تلك البقرة ليرى الامر عيانا وذكر
السهيلي لذكر هذه العلامات الثلاث حكمة لا باس بها ولعل اساف ونائلة نقلا بعد
ذلك الى الصفا والمروة بعد ان نقلهما عمرو بن لحي من جوف الكعبة الى المحل المذكور
فلا يخالف ما ذكره القاضي البيضاوي وغيره ان اسافا كان على الصفا ونائلة على
المروة وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما ومن ثم لما جاء الاسلام وكسرت الاصنام
كره المسلمون الطواف اي السعي بينهما وقالوا يا رسول الله هذا كان شعارنا في الجاهلية
لاجل التمسح بالصنمين فانزل الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله الاية ويقال

ان بقرة

ان بقرة نحرت بالحزورة بوزن قسورة فانفلتت ودخلت المسجد في موضع زمزم فوقفت
مكانها فاحتمل لحمها فاقبل غراب اعصم فوقع في الفرث فلا تنافي لامكان الجمع وقد يقال لا منافاة
لان قوله في الرواية الاولى فندت بقرة من ذابحها اي ممن شرع في ذبحها فلم يتمه حتى دخلت
المسجد فنحرها اي تمم ذبحها فقد نحرت بالحزورة وبالمسجد ويراد بنحرها في الحزورة ذبحها
ونحرها في المسجد سلخها وتقطيع لحمها فقد راينا الحيوان بعد ذبحه يذهب الى محل اخر
ثم ينتفع به وعند ذلك جاء عبد المطلب بالمعول وقام ليحفر فقامت اليه قريش فقالوا
والله لا نتركك تحفر بين وثنينا اللذين ننحر عندهما فقال عبد المطلب لولده الحارث ذد
عني اي امنع عني حتى احفر فوالله لامضين لما امرت به فلما راوا عنه غير نازع خلوا بينه وبين
الحفر وكفوا عنه فلم يحفر الا يسيرا حتى بدا له الطي اي البناء فكبر وقال هذا طوي اسماعيل عليه
الصلاة والسلام اي بناؤه فعرفت قريش انه اصاب حاجته فقاموا اليه وقالوا والله
يا عبد المطلب انها بئر ابينا اسمعيل وان لنا فيها حقا فاشركنا معك فقال ما انا بفاعل
ان هذا الامر قد خصصت به دونكم فقالوا نخاصمك فيها فقال اجعلوا بيني وبينكم
من شئتم احاكمكم اليه قالوا كاهنة بني سعد بن هذيم وكانت باعالي الشام اي ولعلها
التي لما حضرتها الوفاة طلبت شقا وسطيحا وتفلت في فيهما وذكرت ان سطيحا
يخلفها في كهانتها ثم ماتت في يومها ذلك وسطيح سياتي ترجمته واما شق فقيل له
ذلك لانه كان شق انسان يدا واحدة ورجلا واحدة وعينا واحدة فركب عبد المطلب
ومعه نفر من بني عبد مناف وركب من كل قبيلة من قريش نفر وكان اذ ذاك ما بين
الحجاز والشام مفاوز لا ماء بها فلما كان عبد المطلب ببعض تلك المفاوز فني ماؤه
وماء اصحابه فظمئوا ظمأ شديدا حتى ايقنوا بالهلكة فاستقوا من معهم من قبائل قريش
فابوا عليهم وقالوا نخشى على انفسنا مثل ما اصابكم فقال عبد المطلب لاصحابه ما ترون
قالوا ما رأينا الا تبع لرايك فقال اني ارى ان يحفر كل احد منكم حفيرة يكون فيها
الى ان يموت فكلما مات رجل دفعه اصحابه في حفرته ثم واروه حتى يكون اخرهم رجلا
واحدا فضيعة رجل واحد ان يترك بلا مواراة ايسر من ضيعة ركب جميعا فقالوا نعم
ما امرت به فحفر كل حفيرة لنفسه ثم قعدوا ينتظرون الموت ثم قال عبد المطلب لاصحابه
والله ان القانا بايدينا هكذا الى الموت لعجز فلنضرب في الارض فعسى الله ان يرزقنا ماء
فانطلقوا كل ذلك وقومهم ينظرون اليهم ما هم فاعلون فتقدم عبد المطلب الى
راحلته فركبها فلما انبعثت انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب فكبر عبد المطلب وكبر اصحابه
ثم نزل فشرب وشرب اصحابه وملؤا اسقيتهم ثم دعا القبائل فقال هلموا الى الماء فقد
سقانا الله فاشربوا واستقوا فجاؤا فشربوا واستقوا ثم قالوا لعبد المطلب قد

والله قضى لك علينا يا عبد المطلب والله لا نخاصمك في زمزم ابدا ان الذي سقاك
الماء بهذه الفلاة لهو الذي سقاك زمزم فارجع الى سقايتك راشدا فرجع ورجعوا
معه فلم يصلوا الى الكاهنة فلما جاء واخذ في الحفر وجد فيها الغزالين من الذهب
اللذين دفنتهما جرهم ووجد فيها اسيافا وادراعا فقالت له قريش يا عبد المطلب لنا
معك في هذا شرك فقال لا ولكن هلموا الى امر نصف بيني وبينكم والنصف بكسر النون
وسكون الصاد المهملة وبفتحها النصفة بفتحات نضرب عليها بالقداح قالوا وكيف
نصنع قال اجعل للكعبة قدحين ولي قدحين ولكم قدحين فمن خرج قدحاه على شيء كان له ومن
تخلف قدحاه فلا شيء له قالوا انصفت فجعل قدحين اصفرين للكعبة وقدحين اسودين
لعبد المطلب وقدحين ابيضين لقريش ثم اعطوها لصاحب القداح الذي يضرب بها
عند هبل اي وجعلوا الغزالين قسما والاسياف والادراع قسما وتخلف قدحا قريش فضرب
عبد المطلب الاسياف بابا للكعبة وضرب في الباب الغزالين فكان اول ذهب حليته
به الكعبة ذلك ومن ثم جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما والله ان اول من جعل باب الكعبة
ذهبا لعبد المطلب وفي شفاء الغرام ان عبد المطلب علق الغزالين في الكعبة
فكان اول من علق المعاليق بالكعبة وسياتي الجمع بين كونهما علقا بالكعبة وبين
جعلهما حليا لباب الكعبة وقد كان بالكعبة بعد ذلك معاليق فان عمر رضي الله عنه
لما فتحت مداين كسرى كان مما بعث اليه منها هلالان فعلقا بالكعبة وعلق بها عبد الملك
ابن مروان شمستين وقدحين من قوارير وعلق بها الوليد بن يزيد سريرا وعلق بها
السفاح صفحة خضراء وعلق بها المنصور القارورة الفرعونية وبعث المامون
بياقوتة كانت تعلق كل سنة في وجه الكعبة في زمن الموسم في سلسلة من ذهب ولما
اسلم بعض الملوك في زمنه ارسل اليها بصنمه الذي كان يعبده وكان من ذهب متوجا
ومكللا بالجواهر والياقوت الاحمر والاخضر والزبرجد فجعل في خزانة الكعبة
ثم ان الغزالين سرقتا وابيعتا من قوم تجار قدموا مكة بخمر وغيرها فاشتروا به
بثمنها خمرا وقد ذكر ان ابا لهب مع جماعة نفدت خمرهم في بعض الايام واقبلت قافلة
من الشام معها خمر فسرقوا غزال الذهب واشتروا بها خمرا وطلبتهم قريش وكان اشدهم طلبا
لها عبد الله بن جدعان فظفروا بهم فقطعوا بعضهم وهرب بعضهم وكان فيمن هرب
ابو لهب هرب الى اخواله من خزاعة فمنعوا قريشا ومن ثم كان يقال لابي لهب سارق
غزال الكعبة وقد قيل من منافع الخمر المذكورة فيها انهم كانوا يتغالون فيها اذا جلبوها
من النواحي لكثرة ما يربحون فيها لانه كان للمشتري اذا ترك المماكسة في شرائها عدوه
فضيلة له ومكرمة فكانت ارباحهم تكثر بسبب ذلك ومما قيل في منافعها انها

تقوي

تقوي الضعيف وتهضم الطعام وتعين على الباه وتسلي المحزون وتشجع الجبان
وتصفي اللون وتنعش الحرارة الغريزية وتزيد في الهمة والاستعداد فذلك كان قبل
تحريمها ثم لما حرمت سلبت جميع هذه المنافع وصارت ضررا صرفا ينشأ عنها
الصداع والرعشة في الدنيا لشاربها وفي الاخرة يسقى عصارة اهل النار وفي كلام بعضهم
من لازم شربها حصل له خلل في جوهر العقل وفساد الدماغ والبخر في الفم وضعف
البصر والعصب وموت الفجاءة وميتة للقلب وسخطة للرب ومن ثم جاء انها
اي الخمرة ليست بدواء ولكنها داء وجاء اجتنبوا الخمر فانها مفتاح كل شر اي كان مغلقا
وجاء الخمرة ام الفواحش وفي رواية ام الخبائث وجاء في الخمر لا طيب الله من تطيب بها
ولا شفى من استشفى بها وقد قيل لا منافاة بين كون الغزالين علقتا في الكعبة
وسرقتا او سرقت احداهما وبين كون عبد المطلب جعلهما حليا للباب لانه يجوز ان يكون
عبد المطلب استخلص الغزالين او الغزال الذي من التجار ثم جعلهما حليا للباب بعد
ان كان علقهما وفي الامتاع وكان الناس قبل ظهور زمزم تشرب من ابار حفرت
بمكة واول من حفرها بيرا قصي كما تقدم وكان الماء العذب بمكة قليلا ولما حفر عبد
المطلب زمزم بنى عليها حوضا وصار هو وولده يملآنه فيكسره قوم من قريش ليلا حسدا
فيصلحه نهارا حين يصبح فلما اكثروا ذلك وجاء نغص واغتسل به غضب عبد المطلب
غضبا شديدا فاري في المنام ان قل اللهم اني لا احلها لمغتسل وهي لشارب حل وبل اي
حلال مباح ثم كفيتهم فقام عبد المطلب حين اختلفت قريش في المسجد ونادى بذلك
فلم يكن يفسد حوضه احد الا رمي بداء في جسده ثم ان عبد المطلب لما قال
لولده الحارث ذدني اي امنع عني حتى احفر وعلم انه لا قدرة له على ذلك نذر ان
رزق عشرة من الولد الذكور يمنعونه ممن يتعالى عليه ليذبحن احدهم عند الكعبة
اي وقيل ان سبب ذلك ان عدي بن نوفل بن عبد مناف ابا المطعم قال له يا عبد
المطلب تستطيل علينا وانت فذ لا ولد لك اي منفرد بلا ولد واحد ولا مال لك
وما انت الا واحد من قومك فقال له عبد المطلب اتقول هذا وانما كان نوفل ابوك
في حجر هاشم اي لان هاشما كان خلف على ام نوفل وهو صغير فقال له عدي وانت ايضا
قد كنت في يثرب عند غير ابيك كنت عند اخوالك من بني النجار حتى ردك عمك
المطلب فقال له عبد المطلب او بالقلة تعيرني فلله علي النذر لئن آتاني الله عشرة
من الاولاد الذكور لانحرن احدهم عند الكعبة وفي لفظ ان اجعل احدهم لله نحيرة
وقيل ان عبد المطلب نذر ان ينحر ولدا ان سهل الله له حفر زمزم فعن معاوية
رضي الله تعالى عنه ان عبد المطلب لما امر بحفر زمزم نذر لله ان سهل الله امرها ان ينحر

بعض ولده فلما صاروا عشرة اى وحضر امره فى النوم بالوفا بنذره اى قيل له قرب احد اولادك اى بعد ان نسى ذلك وقيل قيل له قبل ذلك اوف بنذرك فذبح كبشا واطعمه الفقرا ثم قيل له فى النوم قرب ما هو اكبر من ذلك فذبح ثورا ثم قيل له فى النوم قرب ما هو اكبر من ذلك فذبح جزورا ثم قيل له فى النوم قرب ما هو اكبر من ذلك فقال وما اكبر من ذلك فقيل له قرب احد اولادك الذى نذرت نحره فضرب القداح على اولاده بعد ان جمعهم واخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفا فاطاعوه ويقال ان اول من اطاع عبد الله وكتب اسم كل واحد على قدح ودفعت تلك القداح للسادن والقائم بخدمة هبل وضرب بتلك القداح فخرجت على عبد الله اى وكان اصغر ولده واحبهم اليه مع ما تقدم من اوصافه فاخذه عبد المطلب بيده واخذ الشفرة ثم اقبل به على اساف ونائلة والقاه على الارض ووضع رجله على عنقه فجذب العباس عبد الله من تحت رجل ابيه حتى اثر فى وجهه شجة لم تزل فى وجه عبد الله الى ان مات كذا قيل وفيه ان العباس لما ولد صلى الله عليه وسلم كان عمره ثلاث سنين ونحوها فعنه رضى الله عنه اذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابن ثلاث اعوام او نحوها فجيء به حتى نظرت اليه وجعلت النسوة يقلن لى قبل اخاك فقبلته وقيل منعه اخواله بنو مخزوم وقالوا له والله ما احسنت عشرة امه وقالوا له ارض ربك وافد ابنك ففداه باية ناقة وفى رواية واعظمت قريش ذلك اى وقامت سادة قريش من انديتها اليه ومنعوه من ذلك وقالوا والله لا تفعل حتى تستفتى فيه فلانة الكاهنة اى لعلك تعذر فيه الرباك لئن فعلت هذا لا يزال الرجل ياتى بابنه حتى يذبحه اى ويكون سنة ولعل المراد اذا وقع له مثل ما وقع لك من النذر وقال له بعض عظما قريش لا تفعل ان كان فداه باموالنا فديناه وتلك الكاهنة قيل اسمها قطبة وقيل غيره لك كانت بخيبر فاتها فاسالها فان امرتك بذبحه ذبحته وان امرتك بامر لك وله فرج قبلته فاتاها اى مع بعض قومه وفيهم جماعة من اخوال عبد الله بنى مخزوم فسالها وقص عليها القصة فقالت لهم ارجعوا عنى اليوم حتى ياتى تابعى فاساله فرجعوا من عندها ثم غدوا عليها فقالت لهم قد جاءنى الخبر كم الدية فيكم فقالوا عشرة من الابل فقالت تخرج عشرة من الابل وتقرع وكلما وقعت عليه يزاد الابل حتى تخرج القداح عليها فضرب على عشرة فخرجت عليه فلا زال يزيد عشرة ثم عشرة حتى بلغت مائة فخرجت القداح عليها فقالت قريش ومن حضر قد انتهى رضا ربك فقال عبد المطلب لا والله حتى اضرب عليها ثلاث مرات اى ففعل ذلك وذبح الابل عند الكعبة لا يصد عنها احد اى من ادمى ووحش

وطيره

وطير اى ثم الزهرى فكان عبد المطلب اول من سن دية النفس مائة من الابل اى بعد ان كان عشرة كما تقدم وقيل اول اول من سن ذلك ابو سيارة العدوانى وقيل عامر بن الظرب فجرت فى قريش اى وعلى ذلك فاولية عبد المطلب اضافية ثم فشت فى العرب واقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم واول من ودى بالابل من العرب زيد بن بكر بن هوازن قتله اخوه اى واما ما قيل ان القدح بعد المائة خرج على عبد الله ايضا ولا زال يخرج عليه حتى جعلوا الابل ثلثمائة فخرج على الابل فنحرها عبد المطلب فضعيف جدا وقد ذكر الحافظ ابن كثير ان ابن عباس رضى الله عنهما سالته امراة انها نذرت ذبح ولدها عند الكعبة فامرها بذبح مائة من الابل الخ اى هذه القصة ثم سالت عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن ذلك فلم يفتها بشىء فبلغ مروان بن الحكم وكان اميرا على المدينة فامر المراة ان تعمل ما استطاعت من خير بدل ذبح ولدها وقال ان ابن عباس وابن عمر لم يصيبا الفتيا ولا يخفى ان هذا النذر باطل عندنا معاشر الشافعية فلا يلزمها به شىء وعند ابى حنيفة ومحمد يلزمها ذبح شاة فى ايام النحر فى الحرم اخذا من قصة ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وفى حاشية القاضى البيضاوى وليس فيه ما يدل عليه وفى الكشاف انه صلى الله عليه وسلم قال انا ابن الذبيحين اى عبد الله واسمعيل وعن بعضهم قال كنا عند معاوية رضى الله عنه فتذاكر القوم الذبيح هل هو اسمعيل او اسحاق فقال معاوية على الخبير سقطتم كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه اعرابى اى يشكو جدب ارضه فقال يا رسول الله خلفت البلاد يابسة هلك المال وضاع العيال فعد على مما افاء الله عليك يا ابن الذبيحين فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه فقال القوم من الذبيحان يا امير المؤمنين قال عبد الله واسماعيل قال الحافظ السيوطى هذا حديث غريب وفى اسناده من لا يعرف حاله قال بعضهم لما احب ابراهيم ولده اسماعيل بطبع البشرية اى لا سيما وهو بكره ووحيده اذ ذاك وقد اجرى الله العادة البشرية ان بكر الاولاد احب الى الوالد وخصوصا اذا كان لا ولد له غيره امره الله بذبحه ليخلص سره من حب غيره بابلغ الاسباب الذى هو الذبح للولد فلما امتثل وخلص سره له ورجع عن عادة الطبع فداه بذبح عظيم لان مقام الخلة يقتضى توحيد المحبوب بالمحبة فلما خلصت الخلة من شائبة المشاركة لم يبق فى الذبح مصلحة فنسخ الامر وفدى هذا وجا ما يدل على ان الذبيح اسحق حديث سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اى النسب اشرف وفى رواية من اكرم الناس فقال يوسف صديق الله ابن يعقوب اسرائيل الله ابن اسحاق ذبيح الله ابن

ابراهيم خليل الله كذا روى قال بعضهم والثابت ليوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم
وما زاد على ذلك من الراوي وما ذكران يعقوب لما بلغه ان ولده بنيامين اخذ بسبب
السرقة كتب الى العزيز وهو يومئذٍ ولده يوسف بسم الله الرحمن الرحيم من يعقوب اسرائيل
ابن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيتٍ
موكل بنا البلاء اما جدي فربطت يداه ورجلاه ورمي به في النار ليحرق فنجاه الله وجعلت
النار عليه بردا وسلاما واما ابي فوضع السكين على قفاه ليذبح ففداه الله واما انا فكان
لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان اخاه
من امه وكنت اتسلى به وانك حبسته وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته
علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام لم يثبت نفي كلام
القاضي البيضاوي وما روي ان يعقوب كتب ليوسف بن يعقوب بن اسحاق ذبيح
الله لم يثبت اي ولعله ايضا لم يثبت ما في انس الجليل ان موسى لما اراد مفارقة شعيب
ذاهبا الى وطنه بمملكة فرعون بسط شعيب يديه وقال يا رب ابراهيم الخليل
واسمعيل الصفي واسحق الذبيح ويعقوب الكظيم ويوسف الصديق رد على قوتي
وبصري فامن موسى على دعائه فرد الله عليه بصره وقوته وذكر ان يعقوب
راى ملك الموت في منامه فقال له هل قبضت روح يوسف فقال لا والله هو حي وعلمه
ما يدعو به وهو يا ذا المعروف الدائم الذي لا ينقطع معروفه ابدا ولا يحصيه غيره
فرج عني وذكر ان سبب ذبح اسحاق اي على القول بانه الذبيح ان الخليل قال لسارة ان
جاني منك ولد فهو لله ذبيح فجاءت سارة باسحق وكان بينه وبين ولادة هاجر لاسماعيل
ثلاث عشرة او اربع عشرة سنة واسحق اسمه بالعبرانية الضحاك وجاء في حديث
راويه ضعيف ان داود سال ربه فقال اي رب اجعلني مثل آبائي ابراهيم واسحاق
ويعقوب فاوحى الله اليه اني ابتليت ابراهيم بالنار فصبر وابتليت اسحق بالذبح فصبر
وابتليت يعقوب اي بفقد يوسف فصبر الحديث وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى
وبشرناه باسحق نبيا قال بشرته بنبيا حين فداه الله تعالى من الذبح ولم تكن البشارة بالنبوة
عند مولده اي لما صبر الاب على ما امر به وسلم الولد لامر الله حصلت المجازاة على ذلك باعطا
النبوة قال الحافظ السيوطي وجزم بهذا القول عياض في الشفا والبيهقي في التعريف
والاعلام وكنت ملت اليه في علم التفسير وانا الان متوقف عن ذلك هذا كلامه
وقد تنبا كل من اسمعيل واسحق ويعقوب في حياة ابراهيم عليهم الصلاة والسلام فبعث
الله اسمعيل لجرهم واسحق الى ارض الشام ويعقوب الى ارض كنعان ولا ينافي ذلك اي
كون اسحق وهو الذبيح بتسميته صلى الله عليه وسلم من قول القائل له يا ابن الذبيحين

ولم ينكر عليه لان يعقوب العرب كما تقدم تسمي العم ابا وفي الهدى اسمعيل هو الذبيح على القول
الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم واما القول بانه اسحق فمردود
باكثر من عشرين وجها ونقل عن الامام ابن تيمية ان هذا القول متلقى من اهل الكتاب
مع انه باطل بنص كتابهم الذي هو التوراة فان فيه ان الله امر ابراهيم ان يذبح ابنه بكره
وفي لفظ وحيده وقد حرفوا ذلك في التوراة التي بايديهم اذبح ابنك اسحاق اي ومن ثم
ذكر المعافا ابن زكريا ان عمر بن عبد العزيز سال رجلا اسلم من علماء اليهود اي ابني
ابراهيم امر بذبحه فقال والله يا امير المؤمنين ان اليهود ليعلمون انه اسمعيل ولكنهم يحسدونكم
معشر العرب ان يكون اباكم للفضل الذي ذكره الله تعالى عنه فهم يجحدون ذلك ويزعمون
انه اسحاق لان اسحق ابوهم ولي رسالة في ذلك سميتها القول المليح في تعيين الذبيح بحثت
فيها القول بان الذبيح اسماعيل جوابا عن سؤال رفعه الي بعض الفضلاء وعلى ان الذبيح اسماعيل
محل الذبح بمنى وعلى انه اسحق فمحله معروف بالارض المقدسة على ميلين من بيت المقدس
وفي كلام ابن القيم تاييد الكون الذبيح اسمعيل لا اسحق لو كان الذبح بالشام كما
يزعم اهل الكتاب لكانت القرابين في النحر بالشام لا بمكة واستشكل كون اولاد عبد
المطلب عند ارادة ذبح عبد الله كانوا عشرة بان حمزة ثم العباس انما ولدا بعد ذلك وانما
كانوا عشرة بهما وحينئذ يشكل قول بعضهم فلما تكامل بنوه عشرة وهم الحارث والزبير
وحجل وضرار والمقوم وابو لهب والعباس وحمزة وابو طالب وعبد الله واجيب عن الاول
بانه يجوز ان يكون له حينئذ اي عند ارادة الذبح ولد وولداي فقد ذكر ان لولده الحارث
ولدين ابو سفيان ونوفل وولد الولد يقال له ولد حقيقة هذا وذكر بعضهم ان اعمامه
صلى الله عليه وسلم كانوا اثني عشر بل قيل ثلاثة عشر وان عبد الله ثالث عشرهم وعليه فلا
اشكال ولا يشكل كون حمزة اصغر من عبد الله والعباس اصغر من حمزة فكلا هما
اصغر من عبد الله ما تقدم من ان عبد الله كان اصغر بني ابيه وقت الذبح لانه يجوز
ان يكون المراد انه كان اصغرهم حين اراد ذبحه لا بقيد كونهم عشرة وبذلك العقيد
ولا ينافيه كونه ثالث عشرهم لان المراد به واحد من الثلاثة عشر وكان
عبد الله كما تقدم احسن فتى يرى في قريش واجملهم وكان نور النبي صلى الله عليه وسلم يرى
في وجهه كالكوكب الدري اي المضيء منسوب الى الدر حتى شغف به نساء قريش ولقي منهن
عنا ولينظر ما هذا العنا الذي لقيه منهن قيل لما تزوج امنة لم تبق امراة من قريش
من بني مخزوم وعبد شمس وعبد مناف الا مرضت اي اسفا على عدم تزوجها به فخرج مع
ابيه ليزوجه امنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بضم الزاي واسكان الهاء واما
الزهرة التي هي النجم فبضم الزاي وفتح الهاء والزهرة في الاصل هي البياض اي ولم وهب

اسمها قتيلة بنت ابى كبشة اى وكان عمر عبد الله حينئذ ثمان عشرة سنة فمر على امراة
من بنى اسد بن عبد العزى اى يقال لها قتيلة وقيل رقية وهى اخت ورقة بن نوفل وهى
عند الكعبة وكانت تسمع من اخيها ورقة انه كائن فى هذه الامة نبى اى وانس دلائله
ان يكون نورا فى وجه ابيه او انها الهمت به فقالت لعبد الله اى وقد رات نور النبوة
فى عزته اين تذهب يا عبد الله قال مع ابى قالت لك مثل الابل التى نحرت عنك وقع على الان
قال انا مع ابى ولا استطيع خلافه ولا فراقه وانشد

اما الحرام فالممات دونه • والحل لا حل فاستبينه
فكيف بالامر الذى تبغينه • يحمى الكريم عرضه ودينه

قلت ومن شعر عبد الله والده صلى الله عليه وسلم كما فى تذكرة الصلاح الصفدى

لقد حكم البادون فى كل بلدة • بان لنا فضلا على سادة الارض
وان ابى ذو المجد والسودد الذى • يشار به ما بين نشر الى خفض

اى ارتفاع وانخفاض وعن ابى يزيد المدينى ان عبد المطلب لما خرج بابنه عبد الله
ليزوجه مر به على امراة كاهنة من اهل تبالة بضم التاء المثناة فوق بلدة باليمن
قد قرات الكتب يقال لها فاطمة بنت مر الخثعمية فرات نور النبوة فى وجه عبد الله فقالت
يا فتى هل لك ان تقع على الان واعطيك مائة من الابل فقال عبد الله ما تقدم اقول
قال الكلبى كانت اى تلك الكاهنة من اجمل النسا واعفهن فدعته الى نكاحها فابى ولا
منافاة لانه يجوز ان تكون ارادت بقولها وقع على الان اى بعد النكاح وفهم عبد الله
انها تريد الامر من غير سبق نكاح فانشد الشعر المتقدم الدال على طهارته وعفته وهذا
بنا على اتحاد الواقعة وان المراة فى هاتين الواقعتين واحدة وانه اختلف فى اسمها
وانه مر على تلك المراة فى ذهابه مع ابيه ليزوجه امنة ويدل لذلك فان المراة التى
عرضت عليه ما عرضت وظاهر سياق المواهب يقتضى انهما قضيتان وان الاولى عنه
انصرافه مع ابيه ليزوجه امنة وقوله قد قرات الكتب اى فجاء انها رات فى تلك الكتب
ان النبى صلى الله عليه وسلم المنتظر يكون نورا فى وجه ابيه وانه يكون من اولاد عبد
المطلب او انها الهمت ذلك فطمعت ان يكون ذلك النبى صلى الله عليه وسلم منها ويؤيد
الثانى ما سياتى عنها والله اعلم قال عبد المطلب عم امنة وهو وهيب بن عبد مناف
ابن زهرة وهو يومئذ سيد بنى زهرة سنا وشرفا وكانت فى حجره لموت ابيها وهب بن
عبد مناف فزوجه ابنته امنة وقدم هذا فى الاستيعاب فزوجها لعبد الله وهى
يومئذ افضل امراة فى قريش نسبا وموضعا فدخل بها عبد الله حين املك عليها
مكانه فوقع عليها فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم وانتقل ذلك النور اليها قيل

دفع

وقع عليها يوم الاثنين فى شعب ابى طالب عند الجمرة الوسطى اقول فيه انه سياتى
فى فتح مكة انه نزل بالحجون بفتح الحا المهملة عند شعب ابى طالب المكان الذى حصرت
فيه بنو هاشم وبنو المطلب ويمكن ان يقال ذلك الشعب الذى فى الحجون كان محلا
لسكن ابى طالب فى غير ايام منى وهذا الذى عند الجمرة الوسطى كان ينزل فيه ابو طالب
ايام منى فلا مخالفة والله اعلم ثم اقام عندها ثلاثة ايام وكانت السنة عندهم اذا
دخل الرجل على امراته اى عند اهلها اى فى بيت اهلها كانوا صح
دخل شعب ابى طالب ثم خرج من عندها فاتى المراة التى عرضت عليه ما عرضت
فقال لها ما لكى لا تعرضين على اليوم ما عرضت بالامس فقالت له فارقك النور الذى كان
معك بالامس فليس لى اليوم بك حاجة قال وفى رواية انه لما مر عليها بعد ان وقع على امنة
قال لها ما لك لا تعرضين على ما عرضت بالامس قالت من انت قال انا فلان قالت لم
ما انت هو لقد رايت بين عينيك نورا ما اراه الان ما صنعت بعدى فاخبرها فقالت
والله ما انا بصاحبة ريبة ولكن رايت فى وجهك نورا فاردت ان يكون فى وابى
الله الا ان يجعله حيث اراد اذهب فاخبرها فانها حملت خير اهل الارض انتهى اقول
وفى رواية ان المراة التى عرضت نفسها عليه تسمى ليلى العدوية وان عبد الله كان فى
بناء لها وعليه الطين والغبار وانه قال حتى اغتسل ما على وارجع اليك وانه رجع اليها
بعد ان وقع على امنة وانتقل منه النور اليها وقال لها هل لك فيما قلت قالت لا قال
فلم قالت لقد دخلت بنور وما خرجت به اى وفى سيرة ابن هشام مررت بى وهو
وبين عينيك غرة فدعوتك فابيت ودخلت على امنة فذهبت بها ولئن كنت اى
وحيث كنت الممت بامنة لتلدن ملكا ولا يخفى ان تعدد الواقعة ممكن وان هذا
السياق يدل على ان هذه المراة كان عندها علم بان عبد الله تزوج امنة وانه
يريد الدخول بها وانها علمت انه كائن بنى يكون له الملك والسلطان وغير خاف
ان عرض عبد الله نفسه على المراة لم يكن لريبة بل ليستبين الامر الذى دعاها
الى بذل الغدا الكثير من الابل فى مقابلة هذا الشئ على خلاف عادة النسا مع الرجال
ولا يخالف ذلك بل يؤكده ما فى الوفا من قوله ثم تذكر الخثعمية وجمالها وما
عرضت عليه فاقبل اليها الحديث والله اعلم وعن الكلبى انه قال كتبت للنبى صلى
الله عليه وسلم خمسماية ام اى من قبل امه وابيه فما وجدت فيهن سفاحا والمراد
بالسفاح الزنا اى فان المراة كانت تسافح الرجل مدة ثم يتزوجها ان اراده
ولا شيئا مما كان من امر الجاهلية اى من نكاح الام اى زوجة الاب لانه كان فى
الجاهلية يباح اذا مات الرجل ان يخلفه على زوجته اكبر اولاده من غيرها
وفى كلام بعضهم كان اقبح ما يصنعه اهل الجاهلية الجمع بين الاختين وكانوا

بعيبون المتزوج بامراة الاب ويسمونه الضيزن والضيزن الذي يزاحم اباه في
امراته ويقال له نكاح المقت وهو العقد على الرابة وهي امراة الاب والراب زوج
الام وما قيل ان هذا اي نكاح امراة الاب وقع في نسبه صلى الله عليه وسلم لان
خزيمة احد ابائه لما مات خلف على زوجته اكبر اولاده وهو كنانة فجاء منها بالنضر
فهو قول ساقط غلط لان الذي خلف عليها كنانة بعد موت ابيه ماتت ولم تلد منه
ومنشا الغلط انه تزوج بعدها بنت اخيها وكان اسمها موافقا لاسمها فجاء منها بالنضر
وبهذا يعلم ان قول الامام السهيلي نكاح زوجة الاب كان مباحا في الجاهلية بشرع
متقدم ولم يكن من المحرمات التي انتهكوها ولا من العظائم التي ابتدعوها لانه امر كان
في عمود نسبه صلى الله عليه وسلم فكنانة تزوج امراة ابيه خزيمة وهي برة بنت مر فولدت
له النضر بن كنانة وهاشم ايضا قد تزوج امراة ابيه واقده فولدت له ضعيفة ولكن
هذا خارج من عمود نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم لانها اي واقدة لم تلد جدا له صلى
الله عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم انا من نكاح لا من سفاح ولذلك قال الله تعالى
ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف اي الا ما قد سلف من تحليل ذلك قبل
الاسلام وفائدة هذا الاستثناء الايعاب لنسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعلم
انه لم يكن في اجداده من كان من بغية ولا من سفاح الا ترى انه لم يقل في شيء نهى
عنه في القران اي مالم يبح لهم الا ما قد سلف نحو قوله تعالى ولا تقربوا الزنا ولم يقل
الا ما قد سلف ولا تقتلوا النفس التي حرم الله فلم يقل الا ما قد سلف ولا في شيء من
المعاصي التي نهى عنها الا في هذه وفي الجمع بين الاختين لان الجمع بين الاختين قد كان
مباحا ايضا في شرع من قبلنا وقد جمع يعقوب عليه الصلاة والسلام بين راحيل واختها
ليا فقوله الا ما قد سلف التفات الى هذا المعنى هذا كلامه فلا التفات
اليه ولا معول عليه على ان قوله ان يعقوب جمع بين الاختين ينازعه قول القاضي
البيضاوي ان يعقوب انما تزوج ليا بعد موت اختها راحيل وفي اسباب النزول للواحدي
انه في البخاري عن اسباط قال المفسرون كان اهل المدينة في الجاهلية وفي اول
الاسلام اذا مات الرجل وله امراة جاء ابنه من غيرها فالقى ثوبه على تلك المراة وصار
احق بها من نفسها ومن غيرها فان شاء ان يتزوجها تزوجها بغير صداق الا الصداق
الذي اصدقها الميت وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها ولم يعطها شيئا وان شاء
عضلها وضارها لتفتدي منه فمات بعض الانصار فجاء ولده من غيرها فطرح ثوبه
عليها ثم تركها فلم يقربها ولم ينفق عليها ليضارها لتفتدي منه فاتت تلك المراة وشكت
حالها للنبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله الاية ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء

الاية وقيل توفي ابو قيس فخطب ابنه امراة ابيه فقالت اني اعدك ولدا ولكن
اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم استامره فاتته فاخبرته فانزل الله الاية وعن البراء بن
عازب قال لقيت خالي يعني ابا الدرداء رضي الله تعالى عنه ومعه الراية فقلت اين تريد
قال ارسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل تزوج امراة ابيه ان اضرب عنقه
زاد في رواية واخذ ماله وذكر بعضهم ان في الجاهلية كان اذا اراد الشخص ان يتزوج
يقول خطب ويقول اهل الزوجة نكح ويكون ذلك قائما مقام الايجاب والقبول ومن
نكاح الجاهلية الجمع بين الاختين فانه كان مباحا عندهم اي مع استقباحهم له كما تقدم
وذكر بعضهم ان قبل نزول التوراة كان يجوز الجمع بين الاختين اي ثم حرم ذلك
بنزولها قال وقد افتخر صلى الله عليه وسلم بجداته اي تحدث بنعمة ربه قاصدا به التنبيه
على شرف هؤلاء النسوة وفضلهن على غيرهن فقال انا ابن العواتك والفواطم فعن
قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اجرى فرسه مع ابي ايوب الانصاري فسبقته
فرس المصطفى فقال صلى الله عليه وسلم انا ابن العواتك انه لهو الجواد البحر يعني فرسه وقال
في بعض غزواته اي في غزوة حنين وفي غزوة احد انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب انا
ابن العواتك وجاء انا ابن العواتك من سليم والعاتكة في الاصل المتلطخة بالطيب وفي
الطاهرة وعن بعض الطالبين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في يوم احد انا ابن
الفواطم اي ولا ينافي ما سبق انه قال في ذلك اليوم انا ابن العواتك لانه يجوز ان يكون
قال كلا من الكلمتين في ذلك اليوم واختلف الناس في عدد العواتك من جداته صلى
الله عليه وسلم فمن مكثر ومن مقل وقد نقل الحافظ ابن عساكر ان العواتك من جداته صلى الله
عليه وسلم اربع عشرة وقيل احدى عشرة اي واولهن ام لؤي بن غالب واللواتي من بني سليم
منهن عاتكة بنت هلال ام عبد مناف وعاتكة بنت الاوقص بن مرة بن هلال ام عبد
مناف وعاتكة بنت الاوقص بن مرة بن هلال ام هاشم وعاتكة بنت مرة بن هلال ام ابي
امه وهب اي وقيل اراد بالعواتك من سليم ثلاثة من بني سليم ابكار ارضعنه
كما سياتي في قصة الرضاع وكل واحدة منهن تسمى عاتكة قال وعن سعد ان الفواطم من جداته
عشرة انتهى اقول وقيل خمس وقيل ست وقيل ثمان ولم اقف على من اسمه فاطمة من
جداته من جهة ابيه الا على اثنتين فاطمة ام عبد الله وفاطمة ام قصي الا ان يكون
صلى الله عليه وسلم لم يرد الامهات التي في عمود نسبه بل اراد الاعم حتى يشمل فاطمة
ام اسد بن هاشم وفاطمة بنت اسد التي هي ام علي بن ابي طالب وفاطمة امها وهؤلاء
الفواطم غير الثلاثة الفواطم اللاتي قال صلى الله عليه وسلم لعلي وقد دفع اليه ثوبا حريرا
وقال له اقسم هذا بين الفواطم الثلاثة فان هؤلاء فاطمة بنت رسول الله صلى الله

عليه وسلم وفاطمة بنت اسد ثم رايت بعضهم عد فيهن ام عمرو ابن عابد وفاطمة بنت عبد
الله بن رزام وامها فاطمة بنت الحارث وفاطمة بنت نصر بن عوف ام عبد مناف والله
اعلم وعن عايشة وابن عباس رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم خرجت من نكاح غير
سفاح اى زنا فقد تقدم ان المراة كانت تسافح الرجل مدة ثم يتزوجها ان اراد
فكانت العرب تستحل الزنا الا ان الشريف منهم كان يتورع عنه علانية والا بعض
افراد منهم حرمه على نفسه في الجاهلية اى وفي حديث غريب خرجت من نكاح ولم اخرج
من سفاح من لدن ادم الى ان ولدني ابواى ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء ما
ولدني الا نكاح اهل الاسلام قال وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما ولدني بغي قط منذ خرجت من صلب ادم ولم تزل تتنازعني الامم
كابرا عن كابر حتى خرجت من افضل حيين من العرب هاشم وزهرة انتهى اقول
والبغايا كن في الجاهلية ينصبن على ابوابهن رايات تكون علما فمن اراد من دخل عليهن
فان حملت احداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة ثم الحقوا ولدها بالذي
يرون به شبهه فالتاط اى تعلق والتحق به ودعي ابنه لا يمتنع من ذلك والله اعلم
قال وعن انس رضي الله تعالى عنه قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد جاءكم رسول من
انفسكم بفتح الفا وقال انا انفسكم نسبا وصهرا وحسبا ليس في ابائي من لدن ادم سفاح
كلها نكاح وفي رواية عن ابن عباس كنكاح الاسلام اى يخطب الرجل الى الرجل موليته فيصدقها
ثم يعقد عليها انتهى وعن الامام السبكي الانكحة التي في نسبه صلى الله عليه وسلم منه الى
ادم الا نكاح صحيح مجتمع لشرائط الصحة كنكاح الاسلام الموجود اليوم قال فاعتقد
هذا بقلبك وتمسك به ولا تزل عنه فتخسر الدنيا والاخرة قال بعضهم وهذا من
اعظم العناية به صلى الله عليه وسلم ان اجرى الله سبحانه نكاح ابائه من ادم الى ان اخرجه
من بين ابويه على نمط واحد وفق شرعه صلى الله عليه وسلم فلم يكن كما كان يقع في
الجاهلية اذا اراد الرجل ان يتزوج قال خطب ويقول اهل الزوجة نكح كما تقدم ويكون
ذلك قائما مقام الايجاب والقبول والمراد بنكاح الاسلام ما يفيد الحل حتى يشمل
التسري بناء على ان ام اسمعيل كانت مملوكة لابراهيم حين حملت باسمعيل ولم يعتقها
ولم يعقد عليها قبل ذلك وعن عايشة رضي الله عنها كما في البخاري ان النكاح في الجاهلية
كان على اربعة انحا نكاح كنكاح الناس اليوم اى بايجاب وقبول شرعيين دون ان يقول
الزوج خطب ويقول اهل الزوجة نكح وحينئذ يزيد على ذلك النكاح الذي كان يقال
فيه ذلك ونكاح البغايا ونكاح الاستبضاع ونكاح الجمع اى ومن انكحة الجاهلية
نكاح زوجة الاب لاكبر اولاده والجمع بين الاختين على ما تقدم وحينئذ يكون

المراد

المراد ليس في نسبه صلى الله عليه وسلم نكاح زوجة الاب خلافا لما تقدم عن السهيلي ولا
الجمع بين الاختين ولا نكاح البغايا وهو ان يطا البغي جماعة متفرقون واحدا بعد
واحد فاذا حملت وولدت الحق الولد بمن غلب عليه شبهه منهم ولا الاستبضاع وذلك
ان المراة كانت في الجاهلية اذا طهرت من حيضها يقول لها زوجها ارسلي الى فلان ف
استبضعي منه ويعتزلها زوجها ولا يمسها ابدا حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي
تستبضع منه فاذا تبين حملها اصابها زوجها اذا احب وليس فيه نكاح الجمع وهو
ان يجتمع جماعة دون العشرة ويدخلون على امراة من البغايا ذوات الرايات كلهم ثم
يطوها فاذا حملت ووضعت ومر عليها ليالي بعد ان تضع حملها ارسلت اليهم فلم تستطع
رجل ان يمتنع حتى يجتمعوا عندها فتقول لهم قد عرفتم الذي كان من امركم وقد ولدت فهو
ابنك يا فلان تسمي من احبت منهم فيلحق به ولدها لا يستطيع ان يمتنع منه الرجل
انما يغلب شبهه عليه فنكاح البغايا قسمان وحينئذ يحتمل ان تكون ام عمرو بن العاص
رضي الله تعالى عنه من القسم الثاني من نكاح البغايا فانه يقال انه وطيها اربعة وهم العاصي
وابو لهب وامية بن خلف وابو سفيان بن حرب وادعى كلهم عمرا فالحقته بالعاصي وقيل
لها لم اخترت العاصي قالت لانه كان ينفق على بناتي ويحتمل ان يكون من القسم الاول ويدل
عليه ما قيل انه الحق بالعاصي لغلبة شبهه عليه وكان عمرو يعير بذلك عيره علي وعثمان
والحسن وعمار بن ياسر وغيرهم من الصحابة رضي الله تعالى عنهم وسياتي ذلك في قصة
قتل عثمان عند الكلام على بناء مساجد المدينة قال وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال لم ازل
انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات اى وفي رواية لم يزل الله ينقلني
من الاصلاب الحسنة الى الارحام الطاهرة وروى البخاري بعثت من خير قرون
بني ادم قرنا فقرنا حتى كنت في القرن الذي كنت فيه انتهى وقد تقدم في قوله
تعالى وتقلبك في الساجدين قيل من ساجد الى ساجد وتقدم ما فيه ومن جملته
قول ابن حيان ان ذلك استدل به بعض الرافضة على ان ابا النبي صلى الله عليه وسلم كانوا
مؤمنين اى متمسكين بشرائع انبيائهم ثم رايت الحافظ السيوطي قال الذي تحصل ان
اجداده صلى الله عليه وسلم من ادم الى مرة بن كعب مصرح بايمانهم اى في الاحاديث
واقوال السلف وبقي بين مرة وعبد المطلب اربعة اجداد لم اظفر فيهم بنقل وعبد
المطلب سياتي الكلام فيه وقد ذكر في عبد المطلب ثلاثة اقوال احدها وهو الاشبه
انه لم تبلغه الدعوة اى لانه سياتي انه مات وسنه صلى الله عليه وسلم ثمان سنين
والثاني انه كان على ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام اى لم يعبد الاصنام والثالث
ان الله احياه له بعد البعثة حتى امن به ثم مات وهذا اضعف الاقوال واوهاها لم يرد

قط في حديث ضعيف ولا غيره ولم يقل به احد من ايمة السنة واما حكي عن بعض الشيعة
قال بعضهم وقوله صلى الله عليه وسلم من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات دليل
على ان ابا النبي صلى الله عليه وسلم وامهاته الى ادم وحوى ليس فيهم كافر لان الكافر لا يوصف
بانه طاهر وقيل ان الطاهرية فيجوز ان يكون المراد بها ما قابل نكاح الجاهلية كـ
المتقدمة وقد ذاك الى اسلام ابائه وامهاته صلى الله عليه وسلم صاحب الهمزية بقوله

لم تزل في ضمائر الكون تختار لك الامهات والاباء

اى لان الكافر لا يقال انه مختار لله والسبب الذي دعى عبد المطلب لاختيار بنت زهرة
ما حدث به ولده العباس رضي الله تعالى عنه قال عبد المطلب قدمنا اليمن في رحلة الشتا
فنزلت على حبر من اليهود يقرا الزبور اي الكتاب ولعل المراد به التوراة فقال من
الرجل قلت من قريش قال من ايهم قلت من بني هاشم قال اتاذن لي ان انظر بعضك قلت
نعم ما لم يكن عورة قال ففتح احد منخري فنظر فيه ثم نظر في الاخرى فقال اشهد ان
في احدى يديك وهو مراد الاصل بقوله في منخريك ملكا وفي الاخرى نبوة وانا نجد
ذلك اي كلا من الملك والنبوة في بني زهرة فكيف ذاك قلت لا ادري قال هل
لك من شاعة قلت وما الشاعة قال الزوجة اي لانها تشايع اي تتابع وتناصر
زوجها قلت اما اليوم فلا اي ليس لي زوجة من بني زهرة ان كان معه غيرها
او مطلقا ان لم يكن معه غيرها فقال اذا تزوجت فتزوج منهم اي وهذا الذي ينظر
في الاعضاء وفي خيلان الوجه فيحكم على صاحبها بطريق الفراسة يقال له حزا بالمهملة
وتشديد الزاي اخره همزة منونة وقد ذكر الشيخ عبد الوهاب عن شيخه علي الخواص نفعنا
الله ببركاتهما انه كان اذا نظر الى نقب انسان يعرف جميع زلاته السابقة واللاحقة
الى ان يموت على التعيين من صحة فراسته هذا كلامه اي ومن ذلك ان معاوية
ابن ابي سفيان تزوج امراة ولم يدخل بها فقال لزوجته ميسون ام ابنه يزيد اذهبي
فانظري اليها فاتتها فنظرت ثم رجعت اليه وقالت هي بديعة الحسن والجمال ما رايت
مثلها لكن رايت خالا اسود تحت سرتها وذلك يدل على ان راس زوجها يقطع
ويوضع في حجرها فطلقها معاوية ثم تزوجها النعمان بن بشير رضي الله عنه وكان
واليا على حمص فدعى لابن الزبير وترك مروان ثم خالف من اهل حمص لما تبعوا امر مروان
فخرج هاربا فتبعه جماعة منها فقطعوا راسه ووضعوه في حجر تلك المراة ثم
بعثوا بذلك الراس الى مروان وقتل النعمان هذا من اعلام النبوة صلى الله عليه وسلم
لان امه لما ولدته وكان اول مولود ولد للانصار بعد الهجرة على ما سياتي حملته الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعى بتمرة فمضغها ثم وضعها في فيه فحنكه بها فقالت

يا رسول

يا رسول الله ادع الله ان يكثر ماله وولده فقال اما ترضين ان يعيش حميدا ويقتل
شهيدا ويدخل الجنة وهو الذي اشار على يزيد بن معاوية باكرام ال البيت لما قتل
الحسين ممن كان مع الحسين من اولاده واولاد اخيه واقاربه وقال له عاملهم بما
كان يعاملهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم لو راهم على هذه الحالة ففعل يزيد واكرمهم
ورده معهم وامره باكرامهم على ما سياتي ومما يروى عنه انه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ان للشيطان فخوخا ومصالي وان من مصاليه وفخوخه
البطر بنعم الله والفخر بعطاء الله والتكبر على عباد الله واتباع الهوى في غير ذات الله وقد
ذكر ان حمص نزل بها من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم تسعماية فيهم سبعون بدريا وفي
حياة الحيوان ان حمص لا تعيش بها العقارب واذا دخلها طرحت فيها عقرب غريبة
ماتت لوقتها قيل لطلسم بها وفي حديث ضعيف ان حمص من مدن الجنة وقيل
الحزا هو الكاهن وقيل هو الذي يحزر الاشيا ويقدرها بظنه ويقال للذي ينظر
في النجوم فانه ينظر فيها بظنه فربما اخطا اي لانه من علوم العرب الكهانة والعيافة
والقيافة والزجر والخط اي الرمل والطب ومعرفة الانوا ومهاب الرياح فلما
رجع عبد المطلب الى مكة تزوج هالة بنت وهيب بن عبد مناف فولدت له حمزة
وصفية وزوج ابنه عبد الله امنة بنت وهب اخي وهيب فولدت له رسول الله
صلى الله عليه وسلم كما تقدم فكانت قريش تقول فلج عبد الله على ابيه اي فاز وظفر لان
الفلج بالفا واللام المفتوحتين والجيم الفوز والظفر اي فاز وظفر اي بما لم ينله
ابوه من وجود هذا المولود العظيم الذي وجد عند ولادته ما لم يوجد عند
ولادة غيره اي وفي كلام ابن المحدث ان عبد المطلب خطب هالة بنت وهيب عم
امنة في مجلس خطبة عبد الله لامنة وتزوجا واولما ثم ابتنيا بهما ثم رايت في اسد
الغابة ما يوافقه وهو ان عبد المطلب تزوج هو وعبد الله في مجلس واحد قيل
وفيه تصريح بان عبد الله كان موجودا حين قال الحبر لعبد المطلب ان النبوة
موجودة فيه وكيف تكون موجودة فيه مع انتقالها لعبد الله وقد يقال من
اين ان عبد المطلب تزوج هالة عقب مجيئه من عند الحبر حتى يكون قول الحبر لعبد
المطلب صادرا بعد وجود عبد الله جاز ان يكون ذلك صدر من الحبر
لعبد المطلب قبل ولادة عبد الله وقيل ان هذا لا يجئ الا لو كانت ام عبد الله
من بني زهرة الا ان يقال يجوز ان يكون عبد الله وجد من بني زهرة غيرها له
فاولدها عبد الله ثم ان قول الحبر لعبد المطلب انه يجد في احدى يديه الملك وانه
يكون في بني زهرة مشكل ايضا لان الملك لم يكن الا في اولاد ولده العباس ولا يستقيم

نسخة منخريه

الا لو كانت ام العباس من بني زهرة هالة التي هي ام حمزة او غيرها وام العباس ليست من
بني زهرة خلافا لما وقع في كلام بعضهم ان العباس ولدته هالة وهو شقيق حمزة لانه
خلاف ما اشتهر عن الحفاظ الا ان يقال جاز ان يكون الملك والنبوة اللذين عناهما الحبر
نبوته وملكه صلى الله عليه وسلم لانه صلى الله عليه وسلم اعطيهما اي كلا من الملك والنبوة
المنتقلين اليه من ابيه عبد الله بناء على ان عبد الله امه كانت من بني زهرة ولعله
لا ينافيه قول بعضهم تزوج عبد المطلب فاطمة بنت عمرو وجعل مهرها مائة ناقة
ومائة رطل من الذهب فولدت له ابا طالب وعبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم لانه
يجوز ان تكون فاطمة هذه من بني زهرة وحينئذ لا يشكل قول الحبر ان تزوجت فتزوج
منهم اي من بني زهرة بعد قوله الك شاعة وقيل الذي دعى عبد المطلب لاختيار
امنة من بني زهرة لولده عبد الله ان سودة بنت زهرة الكاهنة وهي عمة وهب والد
امنة امه صلى الله عليه وسلم كان من امرها انها لما ولدت راها ابوها زرقا شيما اي سوداء
وكانوا يئدون من البنات من كانت على هذه الصفة مع ذلك وكابة اي لانه سبايا
لجاهلية كانوا يدفنون البنات وهن احيا خصوصا كندة قبيلة من العرب خوف
العار او خوف الفقر والاملاق وكان عمرو بن نفيل يحيي الموؤدة لاجل الاملاق
يقول للرجل اذا اراد ان يفعل ذلك لا تفعل انا اكفيك مؤنتها فياخذها فاذا
ترعرعت قال لابيها ان شئت دفعتها اليك وان شئت كفيتك مؤنتها وكان
صعصعة جد الفرزدق يفعل مثل ذلك فامر ابوها بوادها وارسلها الى الحجون
لتدفن هناك فلما حفر لها الحافر واراد دفنها سمع هاتفا يقول لا تئد الصبية وخلها
البرية فالتفت فلم ير شيئا فعاد لدفنها فسمع الهاتف يسجع بسجع اخر في المعنى فرجع
الى ابيها واخبره بما سمع فقال ان لها لشانا وتركها فكانت كاهنة قريش فقالت يوما
لبني زهرة فيكم نذيرة او تلد نذيرا فاعرضوا علي بناتكم فعرضن عليها فقالت في كل واحدة
منهن قولا ظهر بعد حين حتى عرضت عليها امنة بنت وهب فقالت هذه النذيرة او
تلد نذيرا له شان وبرهان منير اي فاختيار عبد المطلب لامنة من بني زهرة
واضح من سياق قصة هذه الكاهنة واما اختياره لتزوجه بعض نساء بني
زهرة فسببه ما تقدم عن الحبر بناء على ان ام عبد الله كانت من بني زهرة ولما
جعل الشمس الشامي ما تقدم عن الحبر سببا لتزويج منهم عبد المطلب ابنه عبد الله
امراة من بني زهرة ففيه نظر ظاهر اذ كيف ياتي ذلك مع قوله اذا تزوجت فتزوج
منهم بعد قوله الك شاعة اي زوجة ثم رايت ابن دحية ذكر في التنوير عن البرقي ان
سبب تزويج عبد الله امنة ان عبد المطلب كان ياتي اليمن وكان ينزل فيها على عظيم

من عظمائهم

من عظمائهم فنزل عنده مرة فاذا عنده رجل ممن قرا الكتب فقال له ايذن لي ان افتش منخرك
فقال دونك فانظر فقال ارى نبوة وملكا وارى احدهما في المنافين عبد مناف بن قصي وعبد
مناف ابن زهرة فلما انصرف عبد المطلب انطلق بابنه عبد الله فتزوج عبد المطلب
هالة بنت وهيب فولدت حمزة وزوج ابنه عبد الله امنة فولدت له رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهذا اوضح لانه اسقط قول الحبر لعبد المطلب هل لك من شاعة الى اخره
فاحتاط عبد المطلب فتزوج من بني زهرة وزوج عبد الله منهم وحينئذ كان المناسب
للبرقي ان يزيد بعد قوله تزويج عبد الله امنة قوله وتزوج عبد المطلب هالة

باب ذكر حمل امه به صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبيا والمرسلين

عن الزهري قال قالت امنة لقد علقت به فما وجدت له مشقة حتى وضعته وعنها انها
كانت تقول ما شعرت بفتح اوله وثانيه اي ما علمت باني حملت به ولا وجدت له ثقلا
بفتح القاف كما تجد النسا الا اني انكرت حيضتي بكسر الحاء الهيئة التي تلزمها الحائض
من التجنب واما بالفتح فالمرة الواحدة من دفعات الحيض اي والذي ينبغي ان يكون هو
هو المراد واستعملت المرة في مطلق الدم الذي تراه الحائض وربما يويد ان هذا هو المراد
ان بعضهم نقل ان الحيضة بالكسر اسم للحيض وربما ترفعني وتعود اي فلم يكن رفعها
دليلا على الحمل وهذا ربما يفيد ان حيضها تكرر قبل حملها به صلى الله عليه وسلم ولم اقف
على مقدار تكرره وقد ذكر ان مريم حاضت قبل حملها بعيسى عليه الصلاة والسلام
حيضتين قالت امنة واتاني ات اي من الملايكة وانا بين النايمة واليقظانة وفي
رواية بين النايم اي الشخص النايم واليقظان فقال هل شعرت بانك حملت بسيد
هذه الامة ونبيها اي وفي رواية بسيد الانام اي اعلمي ذلك وامهلني حتى دنت ولادتي
اتاني فقال قولي اي اذا ولدتيه اعيذه بالواحد من شر كل حاسد اي ثم سميه محمدا فان اسمه
في التوراة والانجيل احمد يحمده اهل السما واهل الارض وفي القران محمد اي والفرقان
كتابه وسياتي عن محمد الباقر ان تسميته احمد قال بعضهم ويذكر بعد هذا البيت ابيات
لا اصل لها وان اثنين انها قالت له ذلك بعد ولادته كان دليلا لما يقوله بعض الناس
امنة رقت النبي صلى الله عليه وسلم من العين اقول ظاهر هذا السياق انها لم تعلم بحملها
الا من قول الملك لانها لم تجد ما تستدل به على ذلك لانها لم تجد ثقلا وعادتها ان حيضها
ربما عاد بعد عدم وجوده في زمن المناد لها اي ولم تعول على مفارقة النور لعبد الله وانتقال
النور الى وجهها على ما ذكر بعضهم ففي كلام هذا البعض لما فارق النور وجه عبد الله انتقل
الى وجه امنة ولا على خروج النور وجه عبد الله انتقل الى وجه امنة ولا على خروج
النور منها مناما او يقظة بناء على انه غير الحمل على ما ياتي لحقاد لا له ما ذكر على ذلك

ولعل اباه عبد السلام يبلغها قول المراة التي عرضت نفسها عليه اذ هب فاخبرها انها حملت
خير اهل الارض والتقل في ابتدا الحمل الذي حمل عليه بعض الروايات كما سيأتي يجوز ان يكون
بعد اخبار الملك لها لكن في المواهب في رواية عن كعب ان مجئ الملك لها كان بعد ان مضى
من حملها ستة اشهر فليتأمل فان الستة اشهر لا يقال انها ابتدا الحمل ونص الرواية كانت
امنة تحدث وتقول اتاني آت حين مر بي من حملي ستة اشهر في المنام وقال لي يا امنة انك
حملتي بخير العالمين فاذا ولدتيه فسميه محمدا واكتمي شانك الا ان يقال يجوز ان يكون تعدد
الملك او تكرر مجئ الملك لها فليتأمل والله اعلم وعن ابن عباس كان من دلالة حمل امنة برسول
الله صلى الله عليه وسلم ان كل دابة لقريش نطقت تلك الليلة اي التي حمل فيها اي في اليوم
قبلها برسول الله صلى الله عليه وسلم اي بناء على ما هو الظاهر مما تقدم انه حين وقع عليها
انتقل اليها ذلك النور وقالت حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة ولم يبق
سرير لملك من ملوك الدنيا الا اصبح منكوسا اي ومثل هذا لا يقال من قبل الراي اقول
ولا الخ على مطلق الحمل به صلى الله عليه وسلم لا على خصوص حمل امنة به حينئذ والصحة
وانما دل لاالخ ان عليه فقد يتوقف فيها الا ان يقال اذ ذلك كان من علامة الحمل
به في الكتب القديمة مع ان المدعي في كلام ابن عباس انما هو خصوص حمل امنة به على ان
السياق يدل على ان المراد علم امنة بحملها به والله اعلم وعن كعب الاحبار ان في صبيحة تلك
الليلة اصبحت اصنام الدنيا منكوسة اي ولعل ذلك كان من علامة حمل امه به في
الكتب القديمة وقول الصادق لا يتخلف وسيأتي ان عند ولادته ايضا تنكست
الاصنام ولا مانع من التعدد قال وروى الحاكم وصححه ان اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك فقال انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى
اخي عيسى ورأت امي حين حملت اضاءت لها قصور بصرى من ارض الشام قال الحافظ
العراقي وسيأتي انها رأت النور خرج منها عند الولادة وهي اولى لكون طرقه متصلة ويجوز
ان يكون خرج منها النور مرتين مرة حين حملت به ومرة حين وضعته اي وكلاهما يقظة
ولا مانع من ذلك او هذه اي رؤية النور حين حملت به كانت مناما كما تصرح به الرواية الاتية
وتلك يقظة فلا تعارض بين الحديثين انتهى اقول الرواية الاتية هي رواية شداد بن
اوس ولفظها انها رأت في المنام ان الذي في بطنها خرج نورا وهي تفيد ان ذلك النور هو
نفس حملها فهو بعد تحقق الحمل ووجوده والرواية التي هنا تفيد ان النور عنده وانه كان
وقت ابتداء وجود الحمل فلا يصح حمل احداهما على الاخرى الا ان يقال المراد بحين حملت به من
حملها وان النور كان هو ذلك لكن الذي ينبغي ان تكون رواية شداد التي حملت عليها
الرواية الاولى حاصلة قبيل الولادة فتكون رأت النور عند الولادة مناما ويقظة

الاولى

تابعًا

تابعا لها على انه يجوز ان تحمل الروايات الثلاث على ظاهرها وانها رأت مناما انها
خرج منها نور عند ابتداء الحمل ثم رأت كذلك عند قرب ولادتها ان الذي في بطنها
خرج نورا ثم رأت يقظة عند وضعه خروج النور وسيأتي في رواية عن امه انها قالت
لما وضعته خرج معه نور وهي لا تخالف هذه الرواية الثالثة حتى يكون رأت بعينه
قصور بصرى اول بقعة من الشام خلص اليها نور النبوة وعلى انه مر بها مرتين ناسب قدومه
صلى الله عليه وسلم لها مرتين مرة مع عمه ابي طالب ومرة مع ميسرة غلام خديجة كما
سيأتي وبها مبرك الناقة التي يقال ان ناقته صلى الله عليه وسلم بركت فيه فاثر ذلك
فيه وبني على ذلك المحل مسجد ولهذا كانت اول مدينة فتحت من ارض الشام في الاسلام
وكان فتحها صلحا في خلافة ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه على يد خالد بن الوليد
رضي الله تعالى عنه وبها قبر سعد بن عبادة وهي من ارض حوران والله اعلم ووقع
الاختلاف في مدة حمله صلى الله عليه وسلم فعن ابن عباس اي بالسنة المعتبرة والذي له
الحجة انه صلى الله عليه وسلم بقي في بطن امه تسعة اشهر كملا لا تشكو وجعا ولا مغصا
ولا ريحا ولا ما يعرض لذوات الحمل من النساء اي وقد دل لعله عند وجود المشتري وهو كوكب
نير سعيد فقد كانت ولادته صلى الله عليه وسلم عند وجود السعد الاكبر والنجم الانور
وكانت امه تقول والله ما رأيت من حمل هو اخف منه ولا اعظم بركة منه وروى
ابن حبان عن حليمة رضي الله عنها عن امنة ام النبي صلى الله عليه وسلم انها قالت ان لابني
هذا شأنا اني حملت به فلم اجد حملا قط كان اخف علي ولا اعظم منه بركة وقيل
بقي عشرة اشهر وقيل ستة اشهر وقيل سبعة اشهر وقيل ثمانية اشهر اي ويكون
ذلك اية كما ان عيسى عليه الصلاة والسلام ولد في الشهر الثامن كما قيل به مع نقل
الحكماء والمنجمين على ان من يولد في الشهر الثامن لا يعيش بخلاف التاسع والسابع والسادس
الذي هو اقل مدة الحمل اي فقد قال الحكماء في بيان سبب ذلك لان المولد عند استكمال سبعة
اشهر يتحرك للخروج حركة عنيفة اقوى من حركته في الشهر السادس فان خرج عاش
وان لم يخرج استراح في البطن عقب تلك الحركة المضعفة له فلا يتحرك في الثامن
من ولذلك تقل حركته في البطن في ذلك الشهر فاذا تحرك للخروج وخرج فقد ضعف غاية
الضعف فلا يعيش لاستيلاء حركتين مضعفتين له مع ضعفه وفي كلام الشيخ
محيي الدين بن عربي لم ار للثمانية صورة في نجوم المنازل ولهذا كان المولود اذا ولد في
الشهر الثامن يموت ولا يعيش وعلى فرض ان يعيش يكون معلولا لا ينتفع بنفسه
وذلك لان الشهر الثامن يغلب فيه على الجنين البرد واليبس وهو طبع الموت اي وقيل
بل كان حمله ووضعه في ساعة واحدة وقيل في ثلاث ساعات اي كما قيل بذلك

سلام

في عيسى اي وكانت تلك السنة التي حمل فيها برسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لها سنة
الفتح والابتهاج فان قريشا كانت قبل ذلك في جدب وضيق عظيم فاخضرت الارض وحملت
الاشجار واتاهم الرغد من كل جانب في تلك السنة وفي حديث مطعون فيه قد اذن الله
تلك السنة لنساء الدنيا ان تحملن ذكورا كرامة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي ولم اقف على
ما يجري على السنة المداح من انه صلى الله عليه وسلم كان يذكر الله في بطن امه كما نقل عن
عيسى انه كان يتكلم اصلا اذا خلت عن الناس ويسبح الله ويذكره اذا كانت مع الناس وهي
تسمع وعن شداد بن اوس قال بينما نحن جلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ
اقبل شيخ كبير من بني عامر هو مدره قومه اي المقدم فيهم يتوكا على عصا فمثل بين يدي
النبي صلى الله عليه وسلم ونسبه الى جده فقال يا ابن عبد المطلب اني انبئت انك تزعم
انك رسول الله الى الناس ارسلك بما ارسل به ابراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الانبيا
الا انك فهت بعظيم وانما كانت الانبيا والخلفا اي معظمهم في بيتين من بني اسرائيل
وانت ممن يعبد هذه الحجارة والاوثان فما لك وللنبوة ولكن لكل حق حقيقة
فانبئني بحقيقة قولك وبدء شانك قال فاعجب النبي صلى الله عليه وسلم بمسئلته
ثم قال يا اخا بني عامر ان لهذا الحديث الذي سالتني عنه نبأ ومجلسا فاجلس فثنى رجليه
ثم برك كما يبرك البعير فاستقبله النبي صلى الله عليه وسلم بالحديث فقال يا اخا بني عامر
ان حقيقة قولي وبدء شاني اني دعوة ابي ابراهيم اي حيث قال ربنا وابعث
فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز
الحكيم اي وعند ذلك قيل له قد استجيب لك وهو كائن في اخر الزمان كذا في تفسير
ابن جرير قال في ينبوع الحياة اجمعوا على ان الرسول المذكور ههنا هو محمد صلى الله عليه وسلم
اقول وفيه ان جبريل اعلم ابراهيم قبل ذلك بانه يوجد نبي من العرب من ذريته ولده اسمعيل
فقد جا ان ابراهيم لما امر باخراج هاجر وولده اسمعيل حمل هو وهي وولدها على البراق
فلما اتى مكة قال له جبريل انزل فقال حيث لا زرع ولا ضرع قال نعم ههنا يخرج النبي الامي
الذي من ذريتك ولدك يعني اسمعيل الذي يتم به الكلمة العليا الا ان يقال الغرض من دعائه
بذلك تحقيق حصوله وتقدم ان ام اسمعيل قالت لابراهيم ما قال له جبريل والله اعلم
ثم قال وبشرى اخي عيسى اي اخر نبي من بشر به عيسى لان الانبيا بشرت به قومها والى التبشير
صاحب الهمزية بقوله ٥

ما مضت فترة من الرسل الا ٭ بشرت قومها بك الانبياء

وبشرى عيسى في قوله تعالى واذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا
لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد اي والمبشر بهم من الانبيا

قبل وجودهم ايضا اربعة اسحق ويعقوب ويحيى وعيسى قال تعالى في حق سارة فبشرناها
باسحق ومن وراء اسحق يعقوب قيل بشرت بان تبقى الى ان يولد يعقوب لولدها اسحق وقال
في حق زكريا ان الله يبشرك بيحيى وقال في حق مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح ثم
قال واني كنت بكر ابي وامي وانها حملتني كاثقل ما تحمل النسا وجعلت تشكو الى صواحبها ثقل ما تجد
ثم انها رات في المنام ان الذي في بطنها خرج نورا قالت فجعلت اتبع بصري النور والنور يسبق
بصري حتى اضاءت له مشارق الارض ومغاربها الحديث وسياتي تتمته في الرضاع اي وقال ابن
الجوزي ممن روى عن امه صلى الله عليه وسلم انه صلى الله عليه وسلم لما قيل له يا رسول الله ما كان
بدء امرك قال دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي قالت خرج مني نور اضاءت له قصور
الشام قال الحافظ ابو نعيم الثقل الذي وقع في هذه الرواية كان في ابتداء الحمل والخفة
التي جاءت فيما سبق من الروايات كانت عند استمرار الحمل ليكون ذلك خارجا عن المعتاد
كذا قال اقول قد قدمنا انه يجوز ان يكون هذا الثقل الواقع في ابتداء الحمل كان بعد اخبار
الملك لها بالحمل فلا يخالف ما سبق وفيه ما سبق والجواب عنه لكن تقدم عن الزهري
قال قالت امنة لقد علقت به فما وجدت له مشقة حتى وضعته ويمكن ان يكون المراد
بالمشقة ما تقدم في بعض الروايات لم تشكو وجعا ولا مغصا ولا ريحا ولا ما يعرض
لذوات الحمل من النساء اي مع وجود الثقل المحصل لها المشقة المذكورة وحينئذ لا ينافي
ذلك شكواها ما تجده من ثقله والله اعلم باب وفاة والده صلى
الله عليه وسلم عن ابن اسحاق لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب ان توفي وام رسول الله صلى
الله عليه وسلم حامل به اي كما عليه اكثر العلماء ٥ اي وصححه الحافظ الدمياطي وسياتي
في بعض الروايات ما يدل على ان ذلك من علامات نبوته في الكتب القديمة قيل
وان موت والده صلى الله عليه وسلم كان بعد ان تم لها من حملها شهران وقيل قبل
ولادته بشهرين وقيل كان في المهد حين توفي ابوه ابن شهرين وذكر
السهيلي ان عليه اكثر العلما فليتامل مع ما قبله وقيل كان ابن سبعة اشهر
اي وقيل ابن تسعة اشهر قيل وعليه الاكثرون والحق انه قول كثيرين لا
الاكثرين وقيل ابن ثمانية عشر شهرا وقيل ابن ثمانية وعشرين شهرا اي وما
ياتي في الرضاع من ان المراضع ابته ليتمه يخالفه لتمام زمن الرضاع وكذا يخالف
القول الذي قبله لانه لم يبق من زمن الرضاع الا شهران وكانت وفاته بالمدينة
خرج اليها ليمتار تمرا او للزيارة اخواله بها اي اخوال ابيه عبد المطلب ٥ بني
عدي بن النجار اي ولا مانع من قصد الامرين معا وقيل خرج الى غزة في عير
من عيرات قريش والعيرات بكسر العين وفتح المثناة تحت جمع عير وهي التي

تحمل الميرة خرجوا للتجارة فنزعوا من تجارتهم وانصرفوا فمروا بالمدينة وعبد الله
مريض فقال انا اتخلف عند اخوالى بنى عدى بن النجار والنجار هذا اسمه تيم وقيل
له النجار لانه اختتن بقدوم اى وهو آلة النجار وقيل لانه نجر وجه رجل بقدوم
فاقام عندهم مريضا اى شهرا اى وهذا اثبت من الاول ٥ ومضى اصحابه فقدموا مكة
فسالهم ابوه عبد المطلب عنه فقالوا خلفناه عند اخواله بنى عدى بن النجار وهو
مريض فبعث اليه اخاه الحارث وهو اكبر اولاد عبد المطلب كما تقدم اى ومن ثم كان
يكنى به ولم يدرك الاسلام ٥ فوجده قد توفى اى وفى اسد الغابة ان عبد المطلب
ارسل اليه ابنه الزبير شقيق عبد الله فشهد وفاته ودفن فى دار النابغة بالتاء
المثناة فوق والباء الموحدة والغين المعجمة اى وهو رجل من بنى عدى بن النجار
اى فعند مجيئه صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة ونظر الى تلك الدار عرفها
وقال هاهنا نزلت بى امى وفى هذه الدار قبر ابى عبد الله واحسنت العوم فى بير بنى
عدى بن النجار ومن هذا ما جاء عن عكرمة عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم كان
هو واصحابه يسبحون فى غدير اى فى الجحفة فقال النبى صلى الله عليه وسلم لاصحابه ليسبح كل
رجل منكم الى صاحبه فسبح كل رجل الى صاحبه وبقى النبى صلى الله عليه وسلم وابو بكر فسبح
النبى صلى الله عليه وسلم الى ابى بكر حتى اعتنقه وقال انا وصاحبى انا وصاحبى وفى رواية
انا الى صاحبى انا الى صاحبى فعلم رد قول بعضهم وقد سئل هل عام صلى الله عليه وسلم
الظاهر لا انه لم يثبت انه سافر فى بحر ولا بالحرمين بحر قال وقيل قد توفى ودفن ابوه
بالابواء محل بين مكة والمدينة انتهى اقول سياتى ان الذى بالابواء قبر امه صلى الله
عليه وسلم على الاصح فلعل قايل ذلك اشتبه عليه الامر لانه يجوز ان يكون سمعه صلى
الله عليه وسلم يقول وهو بالابواء هذا قبر احد ابوى وقد ذكر بعضهم فى حكمة تربيته
صلى الله عليه وسلم يتيما ما لا نطيل به وقد جاء ارحموا اليتامى واكرموا الغربا فانى كنت
فى الصغر يتيما وفى الكبر غريبا وقد جاء ان الله لينظر كل يوم الى الغريب الف نظرة
فالله اعلم واورد الخطيب عن عايشة رضى الله تعالى عنها ان الله احيى له اباه وامن به
وفى المواهب احيى الله له ابويه حتى امنا به قال السهيلى وفى اسناده مجاهيل وقال
الحافظ ابن كثير منكر جدا وسنده مجهول وقال ابن دحية هو حديث موضوع
ويرده القران والاجماع وعلى ثبوته يكون ناسخا اى معارضا لقوله صلى الله عليه وسلم
وقد ساله رجل ابن ابى فقال فى النار فلما قفى اى ولى دعاه وقال له ان ابى واباك فى
النار وفيه ان هذا رواه مسلم فلا يكون ذلك الحديث ناسخا اى معارضا له اقول
هو على تقدير ثبوته يكون معارضا على ان حديث مسلم هذا لم تتفق الرواة على قوله

بلغ

ان ابى واباك فى النار وهذه اللفظة انما رواها حماد بن سلمة عن ثابت عن انس وخالفه
معمر عن ثابت عن انس فروى بدل ذلك اذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار وقد نصوا
على ان معمرا اثبت من حماد فان حمادا تكلم فى حفظه ووقع فى احاديثه مناكير ذكروا ان
ربيبه دسها فى كتبه وكان حماد لا يحفظ فحدث بها فوهم فيها واما معمر فلم يتكلم فى حفظه
ولا استنكر شى من حديثه وايضا ما رواه معمر ورد من حديث سعيد بن ابى وقاص
فقد اخرج البزار والطبرانى والبيهقى من طريق ابراهيم بن سعد عن الزهرى عن عامر
ابن سعد عن ابيه ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اين ابى فقال فى النار
قال فاين ابوك قال حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار وهذا الاسناد على شرط الشيخين
فاللفظ الاول من تصرف الراوى رواه بالمعنى بحسب ما فهم فاخطا وذكر الحافظ
السيوطى ان مثل هذا وقع فى الصحيحين فى روايات كثيرة ومن ذلك حديث مسلم عن
انس فى نفى قراءة البسملة والثانية من طريق اخر نفى سماعها ففهم منه الراوى نفى
قراتها فرواه بالمعنى على ما فهمه فاخطا كذا اجاب امامنا الشافعى رضى الله عنه
عن حديث نفى قراءة البسملة والذى ينبغى ان يقال يجوز ان يكون هذا اى ما فى الصحيح
كان قبل ان يسال الله ان يحييه له فاحياه وامن به كما اشار اليه الاصل وانه قال ذلك لمصلحة
اى ان ذلك السايل بدليل انه لم يتدارك صلى الله عليه وسلم الا بعد ما قفى فظهر له من حاله
انه تعرض له فتنة اى يرتد عن الاسلام فاتى له بالتشبيه بالمثال كلامه مريدا بابيه عمه
ابا طالب لا عبد الله لانه كان يقال لابى طالب قل لابنك يرجع عن شتم الهتنا وقالوا له
اعطنا ابنك وخذ هذا مكانه فقال اعطيكم ابنى تقتلونه لى غير ذلك مما ياتى على انا
نقدر ان العرب تسمى العم ابا لا يقال على ثبوت هذا الحديث وصححه غير واحد
من الحفاظ ولم يلتفتوا لمن طعن فيه كيف ينفع الايمان بعد الموت لانا نقول هذا
من جملة خصوصياته صلى الله عليه وسلم لكن قال بعضهم من ادعى الخصوصية فعليه
الدليل اى لان الخصوصية لا تثبت بمجرد الاحتمال ولا تثبت الا بحديث صحيح وفى
كلام القرطبى قد احيا الله تعالى على يده صلى الله عليه وسلم جماعة من الموتى واذا
ثبت ذلك فما يمنع ايمان ابويه بعد احيائهما ويكون ذلك زيادة فى كرامته وفضيلته
ولو لم يكن احيا ابويه نافعا لايمانهما وتصديقهما لما احييا كما ان رد الشمس لو لم يكن
نافعا فى بقاء الوقت لم ترد والله اعلم قال قال الواقدى المعروف عندنا وعند اهل
العلم ان امنة وعبد الله لم يلدا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقل سبط
ابن الجوزى ان عبد الله لم يتزوج قط غير امنة ولم تتزوج امنة غيره ونقل اجماع
علماء النقل على ان امنة لم تحمل بغير النبى صلى الله عليه وسلم ومعنى قولها لم احمل حملا

اخف منه المفيد انها حملت بغيره صلى الله عليه وسلم خرج على وجه الدنيا لغة انتهى
اقول هذه الرواية لم اقف عليها والذى تقدم ما رايت من حمل هو اخف منه وفى
اخرى حملت به فلم اجد حملا قط اخف منه على وحمل الرواية والوجدان على العلم الحاصل
باخبار غيرها من ذوات الحمل لها عن حالهن ممكن فلا يقتضى ذلك انها حملت بغيره
ولاينافيه قولها اخف على لان المراد على فيما علمت والله اعلم **قال** والحافظ ابن حجر
نسب سبط ابن الجوزى فى نقل الاجماع الى المجازفة فقال وتجازف سبط بن
الجوزى كما دته فى نقل الاجماع فلا يمتنع ان تكون امنة اسقطت من عبد الله سقطا
فاشار بقولها المذكور اليه انتهى **اقول** وحينئذ تكون حملت بذلك السقط
بعد ولادته صلى الله عليه وسلم بناء على ان والده لم يمت وهو حمل بل بعد وضعه وانها
وجدت المشقة فى حمل ذلك السقط وان اخبارها بذلك تاخر عن حملها بذلك
السقط ولانها فى حملها بذلك السقط من رات الشدة مالم تجده فى حملها به صلى الله
عليه وسلم نلاينا فى المخالفة لما تقدم من ان عبد الله دخل بها حين املاك عليها وانتقل
اليها التودعندذلك ولانه يخرج بذلك عن كونه بكرا بيه وامه واما دوابة حملت
الاولاد فما وجدت حملا قال فيها الواقدى لا تعرف عند اهل العلم كما بيناذلك فى الكوكب
المنير على ان امكان حملها بسقط لا يقدح فى نقل الاجماع على انها لم تحمل بغيره صلى
الله عليه وسلم لامكان ان مراده حملا تاما **وفى** الخصائص الصغرى للجلال السيوطى ولم
يلد ابواه غيره صلى الله عليه وسلم والله اعلم **قال** وترك عبد الله جاريته ام ايمن بركة
الحبشية اسلمت قديما هى وولدها ايمن وكان من عبد حبشى يقال له عبيد انتهى **اقول**
فى كلام ابن الجوزى انه صلى الله عليه وسلم اعتقها حين تزوج خديجة وزوجها عبيد
الحبشى ابن زيد من بنى الحارث فولدت له ايمن ولاينافيه ما فى الاصابة كانت ام ايمن
تزوجت فى الجاهلية بمكة عبيد الحبشى بن زيد وكان قدم مكة واقام بها ثم نقل ام
ايمن الى يثرب فولدت له ايمن ثم مات عنها فرجعت الى مكة فتزوجها زيد بن حارثة
قال البلادرى والله اعلم **قال** وقد زوجها النبى صلى الله عليه وسلم اى بعد النبوة مولاه
زيد بن حارثة اى رغب زيدا سمعه صلى الله عليه وسلم يقول من سره ان يتزوج امرأة
من اهل الجنة فليتزوج بام ايمن فجاءت منه باسامة فكان يقال له الحب بن الحب
وقيل اعتقها عبد الله قبل موته وقيل كانت لامه صلى الله عليه وسلم وترك اى عبد الله
خمسة اجمال وقطعة من غنم فورث ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابيه انتهى
اى فهو صلى الله عليه وسلم يرث ولا يورث **قال** صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء لا نورث
ما تركناه صدقة ودعوى بعضهم انه صلى الله عليه وسلم لم يرث بناته اللاتى متن فى حياته

ففى

فعلى تقدير صحته جاز ان يكون ترك اخذ ميراثه تعففا وسيانى وقال ابن الجوزى
واصاب ام ايمن هذه عطش فى طريقها لما هاجرت اى الى المدينة على قدميها وليس معها
احد وذلك فى حر شديد فسمعت شيئا فوق راسها فنظرت فاذا دلو من السماء فيه ماء
برشا ابيض فشربت منه حتى رويت وكانت تقول ما اصابنى عطش بعد ذلك ولو
تعرضت للعطش بالصوم فى الهواجر ما عطشت اى وفى منزل الخلفا **قال الواقدى**
كانت ام ايمن عسرة اللسان فكانت اذا دخلت على قوم قالت سلام لا عليكم بدل
سلام الله عليكم فرخص لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تقول سلام عليكم او
السلام عليكم هذا كلامه فليتامل فان هذا يقتضى ان الصيغة الاصلية
فى السلام سلام الله عليكم مع ان الصيغتين فى الاسلام اما السلام عليكم او سلام
عليكم وكذا عليكم السلام ولم يذكر ائمتنا تلك الصيغة **وعن** عائشة رضى الله تعالى
عنها شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وام ايمن عنده فقالت يا رسول الله
اسقنى فقلت لها الرسول الله صلى الله عليه وسلم تقولين هذا فقالت ما خدمته اكثر فقال
النبى صلى الله عليه وسلم صدقت فسقاها **وبعض** المؤرخين ذكر ان بركة هذه من سبى
الحبشة اصحاب الفيل وكانت سوداء اى لونها اسود فلما خرج ابنها اسامة فى السواد
اى وكان ابوه زيد ابيض **ومن** ثم كان المنافقون يطعنون فى نسب اسامة
ويقولون هذا ليس هو ابن زيد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتشوش من
ذلك **وقد** روى الشيخان عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت دخل على النبى صلى الله
عليه وسلم مسرورا فقال الم تران مجززا المدلجى دخل على فراى اسامة وزيدا عليهما قطيفة
قد غطيا رؤسهما وقد بدت اقدامهما فقال ان هذه الاقدام بعضها من بعض وقد
جعل ائمتنا ذلك اصلا لوجوب الاخذ بقول القايف فى الحاق النسب **قال** الا ان
والمعروف ان الحبشة التى بركة اخرى جارية ام حبيبة قدمت معها من الحبشة وكانت
تكنى ام يوسف كانت تخدم النبى صلى الله عليه وسلم اى وهى التى شربت بوله صلى
الله عليه وسلم كما سياتى **قيل** وورث صلى الله عليه وسلم من ابيه مولاه شقران وكان عبدا
حبشيا فما اعتقه بعد بدر وقيل اشتراه من عبد الرحمن بن عوف واعتقه وقيل بل وهبه
عبد الرحمن بن عوف له صلى الله عليه وسلم

باب ذكر مولده صلى

الله عليه وسلم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم مسرورا
اى مقطوع السرة **وجا** ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين ولد نزل جبريل وقطع
سرته واذن فى اذنه وكساه ثوبا ابيض وولد نبينا صلى الله عليه وسلم مختونا اى على
صورة المختون اى مكحولا ونظيفا ما به قذر **اقول** اى لم يصاحبه قذر وبلل فلا ينافى فى

بجوان وجود البلل والقذر بعده اى في زمن امكان التنفاس فلا يستدل بذلك
على انه لم تر نفاسًا فان النفاس عندنا معاشر الشافعية هو البلل الحاصل بعد
الولادة في زمن امكانه وقيل مضى خمسة عشر يومًا لا الحاصل مع الولد والله اعلم
قال وعن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من كرامتي على ربي اني ولدت مختونا ولم ير احد سوأتي اى لئلا يرى احد سوأتي
عند الختان **قال الحاكم** تواترت الاخبار بانه صلى الله عليه وسلم ولد مختونا وتعقبه
الذهبي فقال ما اعلم صحة ذلك فكيف يكون متواترا واجيب بانه اراد بالتواتر
الاشتهار فقد جاءت احاديث كثيرة في ذلك قال الحافظ ابن كثير فمن الحفاظ
من صححها ومنهم من ضعفها ومنهم من رآها من الحسان **وولد من الانبيا**
على صورة المختون ايضا غير نبينا صلى الله عليه وسلم ستة عشر نبيًا اى وقد يدعي انه لا مخالفة
بين هذه الاقوال الثلاثة لانه يجوز ان يكون من قال صححها اراد صحيحة لغيرها
والصحيح لغيرها قد تكون حسنة لغيرها ومن قال ضعيفة اراد في حد ذاتها **وفي الهدي**
ان الشيخ كمال الدين بن طلحة صنف في انه صلى الله عليه وسلم ولد مختونا مصنفا اجلب
فيه من الاحاديث التي لا خطام لها ولا زمام ورد عليه في ذلك الشيخ كمال الدين
ابن العديم وذكر انه ختن على عادة العرب وولد من الانبيا على صورة المختون ايضا
غير نبينا صلى الله عليه وسلم سبعة عشر نبيًا وقد نظم الجميع بعضهم فقال شعر

وفي الرسل مختون لعمرك خلقة ... ثمان وتسع طيبون اكارم
وهم زكريا شيث ادريس يوسف ... وحنظلة عيسى وموسى وآدم
ونوح شعيب سام لوط وصالح ... سليمان يحيى هود ياسين خاتم

وليس هذا من خصايص الانبيا عليهم الصلاة والسلام بل غيرهم من الناس يولد كذلك
ومن خرافات العامة ان يقولوا لمن يولد كذلك ختنه القمر اى لان العرب تزعم
ان المولود في القمر تتفسخ قلفته فيصير كالمختون وربما قالت العامة ختنته الملائكة
وبهذا يرد ما ذكره الجلال السيوطي في الخصايص الصغرى ان من خصايصه ولادته
مختونا **وقيل** ختن صلى الله عليه وسلم اى ختنه الملك الذي هو جبريل كما صرح به بعضهم
يوم شق قلبه عند ظئره اى مرضعته حليمة **قال** الذهبي انه خبر منكر **وقيل** ختنه جده
يوم سابع ولادته **قال** العراقي وسنده غير صحيح انتهى اى لما عق عنه صلى الله عليه وسلم
بكبش كما سيأتي **اقول** وقد يجمع بانه يجوز ان يكون ولد مختونا غير تام الختان كما هو الغالب
في ذلك فتمم جده ختانه لكن ينازع فيه ما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم من كرامتي
على ربي اني ولدت مختونا ولم ير احد سوأتي اى لاجل الختان كما هو الظاهر ان صح كما

قدمناه

قدمناه اى **وفي** كلام بعضهم ان عيسى عليه الصلاة والسلام ختن بالة وعلى هذا يجمع بنحو
ما تقدم **والظاهر** ان المراد بالالة التي ختن بها عيسى والتي ختن بها صلى الله عليه وسلم
بناء على ان جده ختنه كانت الالة المعروفة التي هي الموسى والا لنقلت لان ذلك مما
تتوفر الدواعي على نقله **لا يقال** عدم وجود القلفة نقص من اهل الخلقة الانسانية
فقد قالوا في حكمة وجود القلفة السودا التي هي حظ الشيطان فيه لم يخلق بدونها بل
خلق بها تكملة للخلق الانساني **لانا نقول** انما لم يخلق بتلك القلفة ليحصل كمال الخلقة
الانسانية لان هذه القلفة لما كانت تزال ولا بد من كل احد مع ما يلزم على ازالتها
من كشف العورة كان نقص الخلقة الانسانية عنها عين الكمال بخلاف العلقة السودا
وكره الحسن ان يختن الولد يوم السابع لان فيه تشبها باليهود اى لان ابراهيم لما ختن
ولده اسحق يوم سابع ولادته اتخذه بنو اسرائيل في ذلك اليوم سنة وختن ولده اسمعيل
لثلاث عشرة سنة **قال ابو العباس** بن تيمية فصار ختان اسمعيل اى في ذلك الوقت
سنة في ولده يعني العرب **ويؤيده** قول ابن عباس رضي الله عنهما كانوا لا يختنون
الغلام حتى يدرك اى لان الثلاث عشرة هي مظنة الادراك **ومن** ثم لما سئل ابن
عباس عن سنه حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وانا يومئذ مختون اى في
اوائل زمن الختان والله اعلم **ولما** ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على الارض
مقبوضة اصابع يده يشير بالسبابة كالمسبح بها **اقول** وفي رواية عن امه انها قالت
فلما خرج من بطني نظرت اليه فاذا هو ساجد قد رفع اصبعيه كالمتضرع المبتهل
ولا مخالفة لجواز ان يراد باصبعيه السبابتان من اليدين والله اعلم وفي سجوده اشارة
الى ان مبدا امره على القرب من الحضرة الالهية **قال** وروى ابن سعد انه صلى الله عليه وسلم
لما ولد وقع على يديه رافعا راسه الى السما وفي رواية وقع على كفيه وركبتيه
شاخصا ببصره الى السما انتهى **اقول** وفي رواية وقع جاثيا على ركبتيه ولا يخالف هذا
ما سبق من انها نظرت اليه فاذا هو ساجد لجواز ان يكون سجوده بعد رفع راسه وشخوص
بصره الى السما ولا تخالف بين كونه وقع على الارض مقبوضة اصابع يده ووقع على كفيه
لجواز ان يكون قبض اصابعه ما عدا السبابة بعد ذلك ولا ينافيه قوله مقبوضة المنصوب
على الحال لقرب زمنها من الوقوع على الارض والاقتصار على الركبتين لا ينافي الجمع
بينهما وبين الكفين **ورايت** في كلام بعضهم انه صلى الله عليه وسلم ولد واضعا احدى
يديه على عينيه والاخرى على سوأتيه فليتأمل والله اعلم وفي رفع راسه صلى الله
عليه وسلم وشخوص بصره الى السما يشير صاحب الهمزية بقوله شعر

رافعًا راسه وفي ذلك الرفع ... الى كل سودد ايماء

رامقا طرفه السما ومرمى ۞ عين ما شانه العلو العلاء

اى وضعته حالة كونه رافعا راسه الى السما وفى ذلك الرفع الذى هو اول فعل
وقع منه بعد بروزه الى هذا العالم اشارة الى حصول رفعته وسيادته ووضعته
حالة كونه رامقا ببصره الى السما وسر ذلك الاشارة الى علو همته اذ رمى عين
الذى قصده ارتفاع مكانه الرفعة والشرف **قال** وقد روى انه قبض قبضة من تراب
واهوى ساجدا فبلغ ذلك رجلا من بنى لهب فقال لصاحبه لين صدق هذا الفال
ليغلبن هذا المولود اهل الارض اى لانه قبض عليها وصارت فى يده والفال بالهمزة وبدونه
يقال فيما يسر والتطير فيما يسو الفال ضد الطيرة بكسر الطا **وقد** جا انى اتفال ولا
اتطير وقيل له ما الفال قال الكلمة الصالحة يسمعها احدكم **وقال** صلى الله عليه وسلم
لا عدوى ولا طيرة ويعجبنى الفال الكلمة الحسنة والكلمة الطيبة **وفى رواية** احب
الفال الصالح وفرق بعضهم بين الفال والتفاول بان الاول يكون فى سماع
الادميين والثانى يكون فى الطير باسمائها واصواتها وممرها **وقوله** لا عدوى
معارض لما جاء انه كان فى وفد ثقيف رجل مجذوم فارسل اليه النبى صلى الله عليه وسلم
انا قد بايعناك فارجع فلم يصافحه **وجا** لا تديموا النظر للمجذومين وسياتى الجواب
عنه بما يحصل به الجمع بينه وبين ما جا انه اخذ بيد مجذوم فوضعها معه فى القصعة
وقال كل بسم الله عز وجل وتوكلا عليه **وبنو لهب** بكسر اللام وسكون الهاء حى من الازد
اعلم الناس بالزجر اى زجر الطير والتفاول بها وبغيرها **فقد** كان فى الجاهلية اذا
اراد الشخص ان يخرج لحاجة اتى الطير وازعجها عن وكارها فان مر الطائر على اليمين سمى سانحا
واستبشر مريد الحاجة بقضائها وان مر على اليسار سمى بارحا بالموحدة والرا والحا المهملة
وقعد مريد الحاجة عنها تفاولا بعدم قضائها اى وهذا ما فسره امامنا الشافعى
رضى الله عنه الحديث الاتى اقروا الطير فى مكانها **فعن** سفيان بن عيينة قال قلت للشافعى
يا ابا عبد الله ما معنى هذا الحديث فقال علم العرب كان فى زجر الطير كان الرجل منهم
اذا اراد سفرا جا الى الطير فى مكانها فطيرها الحديث **وحكى** عن وائل بن حجر وكان زاجرا
حسن الزجر خرج يوما من عند زياد بالكوفة وهو الذى الحقه معاوية بابيه اى
سفيان وهو والد عبيد الله بن زياد الذى قاتل الحسين وكان اميرها المغيرة بن شعبة
فراى غرابا ينغق بالغين المعجمة اى يصيح فرجع الى زياد الذى قاتل الحسين وقال له هذا
غراب يرحلك من ههنا الى خير فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على معاوية الى زياد
من يومه بولاية البصرة **وقد** ذكر ان ابا ذويب الهذلى الشاعر كان مسلما على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجتمع به قال بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

علين

عليل ولما كان وقت السحر هتف بى هاتف وانا نايم وهو يقول

قبض النبى محمد فعيوننا ۞ تذرى الدموع عليه بانسجام

قال فقمت من نومى فزعا فرايت فى السما فلم ار الا سعد الذابح فتفالت به وعلمت ان
النبى صلى الله عليه وسلم قد قبض فركبت ناقتى وحثثتها حتى اذا كنت بالغابة زجرت
الطير فاخبرنى بوفاته صلى الله عليه وسلم قال فقدمت المدينة فاذا فيها ضجيج بالبكا
كضجيج الحاج فسالت فقيل لى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مسجى وقد
خلى به اهله وابو هذيل هذا هو القايل

امن المنون وريبها تتوجع ۞ والدهر ليس بمعتب من يجزع
واذا المنية انشبت اظفارها ۞ الفيت كل تميمة لا تنفع
وتجلدى للشامتين اريهم ۞ انى لريب الدهر لا اتضعضع
والنفس راغبة اذا رغبتها ۞ واذا ترد الى قليل تقنع

ومن زجر الطير ما حكاه بعضهم قال جاء اعرابى الى دار القاضى ابى الحسين
الازدى المالكى فجا غراب فقعد على نخلة فى تلك الدار وصاح ثم طار فقال
الاعرابى هذا الغراب يقول ان صاحب هذه الدار يموت بعد سبعة ايام فصاح
الناس عليه وزاروه فقام وانصرف فتى سابع يوم مات هذا القاضى **وقد جا**
النهى عن ذلك اى عن الزجر والطيرة فى قوله صلى الله عليه وسلم اقروا الطير على
مكانها اى لا تزجروها **وجا** الطيرة شرك **وجا** من ارجعته الطيرة عن حاجته
فقد اشرك اى حيث اعتقد انها توثر **وجا** اذا راى احدكم من الطيرة ما يكره فليقل
اللهم لا ياتى بالحسنات الا انت ولا يدفع السيات الا انت ولا حول ولا قوة الا بك
وفى رواية اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك ثم يمضى لحاجته
وقد جاء لا عدوى ولا طيرة ولا هام **وفى** لفظ ولا هامة بالتخفيف زاد فى رواية
ولا صفر **والهامة** هو انه كان اهل الجاهلية يزعمون انه اذا قتل القتيل ولم يوخذ
بثاره يخرج له طاير يقول عند قبره اسقونى من دم قاتلى اسقونى من دم قاتلى ولا
يزال يقول ذلك حتى يوخذ بثار القتيل كانت العرب تسميه الهامة بالتخفيف
واما الهامة بالتشديد فواحدة الهوام وهى الحيات والعقارب وما شاكلها **ومن**
ثم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى تعويذ الحسن والحسين اعيذكما بكلمات
الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ثم يقول هكذا ابراهيم كان يعوذ اسمعيل
واسحاق **وقوله** ولا صفر ذكر الامام النووى ان المراد به حية صفرا تكون فى جوف
الانسان اذا جاع توذيه كذا كانت العرب تزعم ذلك قال وهذا التفسير هو الصحيح

عيل

الذي عليه عامة العلما وقد ذكره مسلم عن جابر راوي الحديث فتعين اعتماده وروى ابن سعيد ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رات امي حين وضعتني سطع منها نور اضاءت له قصور بصرى وفي رواية انها قالت لما وضعته خرج معه نورا اضاء له ما بين المشرق والمغرب فاضاءت له قصور الشام واسواقها حتى رايت اعناق الابل ببصرى وفي الخصايص الصغرى ورات امه عند ولادته نورا خرج منها اضاء له قصور الشام وكذلك امهات الانبيا يرين انتهى ولعل المراد بريئ مطلق النور لا الذي يضيء منه قصور الشام وقوله قصور الشام الى اخره ظاهر فان المراد جميع الاقليم لا خصوص بصرى ولعل الاقتصار على بصرى في الروايات لكون النور كان بها اتم وهي ثم قالت رايت اعناق الابل ببصرى اورات مرة وصول النور الى بصرى خاصة ومرة جاوزها تامل والى هذا النور يشير عمه العباس رضي الله تعالى عنه بقوله في قصيدته التي امتدح بها النبي صلى الله عليه وسلم عند رجوعه صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك وقد قال له في مرجعه من تلك الغزوة يا رسول الله اني اريد ان امتدحك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل لا يفضض الله فاك فقال قصيدة منها

وانت لما ولدت اشرقت الار * ض وضاءت بنورك الافق
فنحن في ذلك الضيا وفي النور * وسبل الرشاد نخترق

والى ذلك يشير صاحب الهمزية بقوله

وترات قصور قيصر بالرو * م يراها من داره البطحاء

اي رويت قصور قيصر ملك الروم في بلاد الروم يبصرها الذي داره بمكة وقال وهذا ظاهر في انها رات ذلك النور يقظة وتقدم في حديث شداد انها راته مناما وقد تقدم الجمع انتهى اي وتقدم ما في ذلك الجمع وذكر ان امامنا الشافعي رضي الله عنه رات وهي حامل به ان النجم المسمى بالمشتري خرج من فرجها فوقع في مصر ثم وقع في كل بلدة منه شظية فتاول ذلك اصحاب تاويل الرويا بانها تلد عالما يكون علمه بمصر اولا ثم ينتشر الى ساير البلدان وروى السهيلي عن الواقدي انه صلى الله عليه وسلم لما ولد تكلم فقال جلال ربي الرفيع وروى ان اول ما تكلم به لما ولدته امه حين خروجه من بطنها الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا ولا مانع انه تكلم بجل ذلك والاولية في الرواية الاولى اضافية كما لا يخفى وقد وقع الاختلاف في وقت ولادته صلى الله عليه وسلم اي هل كان ليلا او نهارا او على الثاني اي وقت من ذلك النهار وفي شهره وفي عامه وفي محله فقيل ولد يوم الاثنين وقد بعضهم لا خلاف فيه والسبيل اخطا من قال ولد يوم الجمعة اي فعن قتادة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيل عن يوم الاثنين فقال

ذاك يوم ولدت فيه وذكر الزبير بن بكار والحافظ ابن عساكر ان ذلك كان حين طلوع الفجر ويدل له قول جده عبد المطلب وولد لي الليلة مع الصبح مولود وعن سعيد بن المسيب ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ابهار النهار اي وسطه وكان ذلك اليوم لمضي اثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الاول اي وكان في فصل الربيع وقد اشار الى ذلك بعضهم بقوله بقول لنا

يقول لنا لسان الحال منه * وقول الحق يعذب للسميع
فوجهي والزمان وشهر وضعي * ربيع في ربيع في ربيع

قال وحكي الاجماع عليه وعليه العمل الان اي في الامصار خصوصا اهل مكة في زيارتهم موضع مولده وقيل لعشر ليال مضت وصح انتهى اي صححه الحافظ الدمياطي اي لا الاول قال فيه ابن دحية ذكره ابن اسحق مقطوعا دون اسناد وذلك لا يصح اصلا ولو اسنده ابن اسحق لم يقبل منه لتجريح اهل العلم له فقد قال كل من ابن المديني وابن معين ان ابن اسحق ليس بحجة ووصفه مالك بالكذب قيل وانما طعن فيه مالك لانه بلغه عنه انه قال هاتوا حديث مالك فانا طبيب بعلله فعند ذلك قال مالك وما ابن اسحق انما هو دجال من الدجاجلة اخرجناه من المدينة وقال بعضهم وابن اسحق من جملة من يروى عنه شيخ مالك يحيى ابن سعيد وقال بعضهم ابن اسحق ثقة لكنه مدلس وقيل ولد لسبع عشرة ليلة خلت منه وقيل لثمان مضت منه قال ابن دحية وهو الذي لا يصح غيره وعليه اجمع اهل التاريخ وقال القطب القسطلاني هو اختيار اكثر اهل الحديث اي كالحميدي وشيخه ابن حزم وقيل لليلتين خلتا منه وبه جزم ابن عبد البر وقيل لثمان عشرة ليلة خلت منه رواه ابن ابي شيبة وهو حديث معلول وقيل لليلتين خلتا منه لاثنتي عشرة بقين منه وقيل لاثني عشر وقيل لثمان ليلة خلت من رمضان وصححه كثير من العلما وهذا هو الموافق لما تقدم من ان امه حملت به في ايام التشريق او في يوم عاشورا وانه مكث في بطنها تسعة اشهر كوامل لكن قال بعضهم ان هذا القول غريب جدا ويستند قايله انه اوحي اليه في رمضان فيكون مولده في رمضان وعلى انها حملت به في ايام التشريق الذي لم يذكروا غيره يعلم ما في بقية الاقوال قال وقيل في عاشورا اي كما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام وقيل لخمس بقين منه انتهى اي وذكر الدمياطي ان القول بانه ولد في عاشورا من الافك اي الكذب وفيه ان كان ذلك في بطنها تسعة اشهر لانه لا يجامع انها حملت به في ايام التشريق وانه مكث في بطنها تسعة اشهر كوامل لا يختص الافك بهذا القول بل ياتي فيما عدا القول بانه ولد في رمضان ثم رايت بعضهم حكى انه حمل في شهر رجب وحينئذ يصح القول المشهور

بولادته في ربيع الاول وعن ابن عباس ولد يوم الاثنين في ربيع الاول وانزلت عليه
النبوة يوم الاثنين في ربيع الاول وهاجر الى المدينة يوم الاثنين في ربيع الاول
وانزلت عليه البقرة يوم الاثنين في ربيع الاول وتوفي يوم الاثنين في ربيع
الاول قال بعضهم وهذا غريب جدا وقيل لم يولد نهارا بل ولد ليلا فعن عثمان بن ابي
العاص عن امه رضي الله تعالى عنها انها شهدت ولادة النبي صلى الله عليه وسلم ليلا قالت
فما شيء انظر اليه من البيت الا نور واني لانظر الى النجوم تدنو حتى لاقول ليقعن علي
قال ابن دحية وهو حديث مقطوع قال بعضهم ولا يصح عندي بوجه انه صلى الله
عليه وسلم ولد ليلا لقوله صلى الله عليه وسلم الثابت عند نقل العدل عن العدل انه سئل عن
صوم يوم الاثنين فقال فيه ولدت واليوم انما هو النهار بنص القرآن وايضا الصوم
لا يكون الا نهارا وافاد البدر الزركشي ان هذا الحديث اي المتقدم عن ام عثمان بن
العاص على تقدير صحته لا دلالة فيه على انه ولد ليلا قال فان زمان النبوة صالح
للخوارق ويجوز ان تسقط النجوم نهارا اي فضلا عن ان تكاد تسقط سيما ان قلنا
ولد عند الفجر لان ذلك ملحق بالليل والى التردد في وقت ولادته صلى الله عليه وسلم
هل هو في الليل او النهار واشار صاحب الهمزية بقوله

ليلة المولد الذي كان للدين سرور بيومه وازدهاء
فهنيئا به لامنة الفضل الذي شرفت به حواء
من لحواء انها ولدت احمد او انها به نفساء
يوم نالت بوضعه ابنة وهب من فخار ما لم تنله النساء

اي ليلة المولد الذي وجد الفرح والافتخار للدين بيومه وقد اضاف كلا من الليل
واليوم للولادة مراعاة للخلاف في ذلك فهنيئا لامنة الفضل الذي حصل
لها بسبب ولادتها له صلى الله عليه وسلم اي لا يشوب ذلك الفضل ولادتها له صلى
الله عليه وسلم اي لا يشوب ذلك الفضل كدر ولا مشقة الذي شرفت بذلك الفضل
حوا التي هي ام البشر ومن يشفع لحوا في انها حملت به وانما اصابها نفاس به يوم اعطيت
امنة بنت وهب بسبب وضعه من الفخار وهو ما يتمدح به من الخصال العلية
والشيم الرضية ما لم يعط غيرها من النسا اي وقد اقسم الله بليلة مولده صلى
الله عليه وسلم في قوله تعالى والضحى والليل وقيل اراد بالليل ليلة الاسرا ولا مانع
ان يكون الاقسام وقع بهما اي استعمل الليل فيهما ويدل لكون ولادته صلى الله عليه وسلم
كانت ليلا قول بعض اليهود ممن عنده علم من الكتاب لقريش ولد فيكم الليلة مولود
قالوا لا نعلم قال ولد الليلة نبي هذه الامة الاخيرة الى اخر ما يأتي وسيأتي ما يدل

على

على ذلك وهو وضعه صلى الله عليه وسلم تحت الجفنة وولادته صلى الله عليه وسلم قيل
كانت في عام الفيل قيل في يوم فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال ولد رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوم الفيل وعن قيس بن مخرمة ولدت انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم الفيل فنحن لدان قال الحافظ ابن حجر المحفوظ لفظ العام الذي بدل لفظ اليوم وقد
يراد باليوم مطلق الوقت فيصدق بالعام كما يقال يوم الفتح ويوميئذ وعليه فلا داد
معناه متقاربان في التن بالموحدة وعلى ان المراد باليوم حقيقته يكون بالنون
وفي تاريخ ابن حبان ولد عام الفيل في اليوم الذي بعث الله الطير الابابيل على
اصحاب الفيل وعند ابن سعد ولد يوم الفيل يعني عام الفيل انتهى اي لما تقدم عن
ابن حجر وعليه يكون قول ابن حبان في تفسيرا للعام على ان المراد باليوم مطلق
الوقت الصادق بالعام وقيل ولد بعد يوم الفيل بخمسين يوما كما ذهب اليه جمع
منهم السهيلي قال بعضهم وهو المشهور قال وقيل بخمسة وخمسين يوما وقيل
باربعين يوما وقيل بشهر وقيل بعشر سنين وقيل بثلاث وعشرين سنة
وقيل بثلاثين سنة وقيل باربعين سنة وقيل بسبعين سنة انتهى اي وحكي
انه بعد الفيل بخمسة وخمسين يوما اقتصر الحافظ الدمياطي وعبارة المواهب
حكاه الدمياطي في اخرين وكونه في عام الفيل قال الحافظ ابن كثير هو المشهور عند
الجمهور وقال ابراهيم بن المنذر شيخ البخاري لا يشك فيه احد من العلما ونقل
غير واحد فيه الاجماع وقال كل قول يخالفه وهم اي وقيل قبل عام الفيل وفيه
او بعده بعشر سنين يقتضي تضعيف ما ذكره الحافظ ابو سعيد النيسابوري
ان نور النبي صلى الله عليه وسلم كان يضيء في غرة جده عبد المطلب وكانت قريش اذا
اصابها قحط اخذت بيد عبد المطلب الى جبل ثبير يستسقون به فيسقيهم الله
ببركة ذلك النور وانه لما قدم صاحب الفيل لهدم الكعبة لتكون كنيسته
التي بناها ويقال انها القليس كجميزة لارتفاع بنائها ومنه القلانس لانها في
اعلا الرؤس مكان الكعبة في الحج اليها وقد اجتهد ابرهة في زخرفتها فجعل فيها
الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب كان ينقل ذلك من قصر بلقيس صاحبة
سليمان عليه الصلاة والسلام وجعل فيها صلبانا من الذهب والفضة ومنابر من
العاج والابنوس وشدد على عمالها بحيث اذا طلعت الشمس قبل ان ياخذ العامل
في عمله قطع يده فنام رجل منهم ذات يوم حتى طلعت الشمس فجاءت معه ومعه امراة
عجوز فتضرعت اليه في ان لا يقطع يد ولدها فابى الا قطع يده فقالت له اضرب بمعولك
اليوم فاليوم لك وغدا لغيرك فقال لها ويحك ما قلت فقالت نعم كما صار هذا

لك

الملك من غيرك اليك فكذلك يصير منك الى غيرك فاخذته موعظتها فعفى
عنه ورجع عن هذا الامر فعند ذلك ركب عبد المطلب في قريش الى جبل ثبير
فاستدار ذلك النور في وجه عبد المطلب كالهلال والقى شعاعه على البيت الحرام
مثل السراج فلما نظر عبد المطلب لذلك قال يا معشر قريش ارجعوا فقد كفيتم هذا
الامر فوالله ما استدار هذا النور منى الا ان يكون الظفر لنا فرجعوا فلما دخل
رسول صاحب الفيل الى مكة ونظر الى وجه عبد المطلب خضع وتلجلج لسانه وخر له
مغشيا عليه اى فكان يخور كالثور عند ذبحه فلما افاق خر ساجدا لعبد المطلب اى
قال صاحب الفيل امره ان يقول لقريش ان الملك انما جاء لهدم البيت فان لم تحولوا
بينه وبينه لم يزد على هدمه وان احلتم بينه وبينه اتى عليكم فقال له عبد المطلب ما
عندنا منعة ولا ندفع عن هذا البيت وله رب ان شاء منعه اى وفي لفظ قال عبد
المطلب والله ما نريد حربه وما لنا منه بذلك طاقة هذا بيت الله الحرام وبيت
ابراهيم خليل الله فان يمنعه منه فهو بيته وحرمه وان لم يخل بينه وبينه فوالله
ما عندنا دفع عنه وامر ابرهة رسوله ايضا ان ياتي له بسيد القوم فقال لعبد المطلب
قد امرني ان اتيه بك فقال عبد المطلب افعل فجاءه راعي ابله وخيله واخبره ان الحبشة
اخذت الابل والخيل التي كانت ترعى بذي المجاز وفي سيرة ابن هشام بل وفي غالب
السير الاقتصار على الابل وانها كانت مائتي بعير وقيل اربعمائة ناقة فركب عبد
المطلب وصحبته رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب الفيل وركب معه ولده الحارث
فاستوذن له على ابرهة اى قيل له ايها الملك هذا سيد قريش ببابك يستاذن عليك
وهو صاحب عين مكة يعنى زمزم وهو يطعم الناس بالسهل والوحوش في رؤس الجبال
فاذن له فلما دخل وراه ابرهة اجله واكرمه عن ان يجلسه تحته وكره ان تراه الحبشة
يجلسه على سرير ملكه فنزل عن سريره واجلسه معه على البساط وقال لترجمانه اسأله
عن حاجته فذكر ابله وخيله فذكر الترجمان له ذلك فقال للترجمان بلسان الحبشة
قل له قد كنت اعجبتني اذ رأيتك ثم قد زهدت فيك اذ سألتني ابلا وخيلا وتركت ان
تسال عن البيت الذي هو عزك فقال له الترجمان ذلك فقال عبد المطلب انا رب الابل
والخيل التي سألتها الملك واما البيت فله رب ان شاء ان يمنعه من الملك فقال
ابرهة ما كان ليمنعه مني فرد عليه ما كان اخذ له وانصرف وابرهة بلسان الحبشة
الابيض الوجه ثم ان الفيل لما راى نظر الى وجه عبد المطلب برك كما يبرك البعير
وخر ساجدا وانطق الله الفيل فقال السلام على النور الذي في ظهرك يا عبد المطلب
وفي كلام بعضهم ان ابرهة لما بلغه مجيء عبد المطلب اليه امر ان عبد المطلب قبل دخوله

عليه

عليه ان يذهب الى الفيلة ويرى الفيل العظيم وكان ابيض اللون اقول رايت ان ملك
الصين كان في مربطه الف فيل ابيض وكان مع الفرس في قتال ابي عبيد بن مسعود
الثقفي امير الجيش في خلافة الصديق افيلة كثيرة عليها الجلاجل وقدموا بين ايديهم
فيلا عظيما ابيض وصارت خيول المسلمين كلما حملت وسمعت حس الجلاجل تفرقت
فامر ابو عبيد المسلمين ان يقتلوا الفيلة فقتلوها عن اخرها وتقدم ابو عبيد
لهذا الفيل العظيم الابيض فضربه بالسيف فقطع خرطومه فصاح الفيل صيحة
هائلة وحمل على ابي عبيد فخبطه برجليه ووقف فوقه فقتله فحمل على الفيل شخص
كان ابو عبيد اوصى ان يكون اميرا بعده فقتله ثم اخر حتى قتل سبعة من ثقيف
كان قد اوصى ابو عبيد عليهم واحدا بعد واحد وهذا من اغرب الاتفاقات
والله اعلم وانما ارى عبد المطلب الفيلة ارهابا له وتخويفا فان العرب لم تكن تعرف
الافيال وكانت الافيال كلها ما عدا الفيل الاعظم يسجد لابرهة واما الفيل الاعظم
لم يسجد الا للنجاشي فلما رات الفيلة عبد المطلب سجدت حتى الفيل الاعظم وقيل
ان ابرهة لم يخرج الا بالفيل الاعظم ولما بلغ ابرهة سجود الفيلة لعبد المطلب تطير
ثم امر بادخال عبد المطلب عليه فلما راه ألقيت له الهيبة في قلبه فنزل عن سريره
تعظيما لعبد المطلب ثم رايت ابن حجر في شرح الهمزية حاول الجواب عن هذا الذي
تقدم عن الحافظ الدمياطي من ان النور استدار في وجه عبد المطلب الى اخره
اى وقول الفيل السلام على النور الذي في ظهرك يا عبد المطلب مع ان ولادته صلى الله
عليه وسلم في ذلك الوقت يلزمها ان يكون النور انتقل من عبد المطلب الى عبد الله
ثم انتقل من عبد الله الى امنة بان النور وان انتقل عن عبد المطلب لكن الله اكرم عبد
المطلب فاحدث ذلك النور في ظهره وفي وجهه واطلع الفيل عليه هذا كلامه
فليتامل وذكر بعضهم ان الفيل مع عظم خلقته صوته ضئيل اى ضعيف ويفرق
اى يخاف من السنور الذي هو القط ويفزع منه وفي المواهب والمشهور انه صلى الله
عليه وسلم ولد بعد الفيل لان قصة الفيل كانت توطئة لنبوته صلى الله عليه وسلم ومقدمة
لظهوره وبعثته هذا كلامه وفيه قد يقال الارهاصات انما تكون بعد وجوده وقبل
مبعثه الذي هو دعواه الرسالة لا قبل وجوده بالكلية الذي هو المراد بظهوره
وحينئذ فقول القاضي البيضاوي انها من الارهاصات اذ روى انها وقعت في
السنة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم اى بعد وجوده ومن ثم قال ابن
القيم في الهدى ان ما جرت به العادة ان يقدم بين يدي الامور العظيمة مقدمات
تكون كالمدخل لها فمن ذلك قصة مبعثه تقدم قصة الفيل هذا كلامه قال فلما

شرع ابرهة في الذهاب الى مكة ووصل الفيل الى اول الحرم والمواهب اسقط هذا وهو
يومهم انهم دخلوا مكة وان الفيل برك دون البيت فليتامل وعند وصوله الى اول
الحرم برك فصاروا يضربون راسه ويدخلون الكلاليب في مراق بطنه فلا يقوم
فوجهوا وجهه الى جهة اليمن فقام يهرول وكذا الى جهة الشام نفعل ذلك مرارا فامر ابرهة
ان يسقى الفيل الخمر ليذهب تمييزه فسقوه فثبت على امره ويقال انما برك لان نفيل بن
حبيب الخثعمي قام الى جنب الفيل فعرك اذنه وقال ابرك محمود وارجع راشدا من حيث
جئت فانك في بلد الله الحرام ثم ارسل اذنه فبرك قال السهيلي الفيل لا يبرك فيحتمل
ان يكون بروكه سقوطه الى الارض لما جاءه من امر الله ويحتمل ان يكون فعل البرك
وهو الذي يلزم موضعه ولا يبرح تعبيرا بالبروك عن ذلك قال وقد سمعت من يقول ان
في الفيلة صنفا منها يبرك كما يبرك الجمل وعند ذلك ارسل الله عليهم الطير الابابيل
خرجت من البحر امثال الخطاطيف يقال ان حمام الحرم من نسل تلك الطير فاهلكهم وقد
يقال ان هذا اشتباه لان الذي قيل انه من نسل الابابيل انما هو شيء يشبه الزرزور يكون
بباب ابراهيم من الحرم والاشبه ان حمام الحرم من نسل الحمام الذي عشش على فم
الغار على ما سياتي فيه وفي حياة الحيوان ان الطير الابابيل يعشش ويفرخ بين
السما والارض ولما هلك صاحب الفيل وقومه عزت قريش وهابتهم الناس كلهم
وقالوا اهل الله لان معهم وفي لفظ لان الله قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم الذي لم يكن
لسائر العرب بقتاله قدرة وغنموا اموال اصحاب الفيل اي ومن حينئذ مزقت الحبشة
كل ممزق وخرب ما حول تلك الكنيسة التي بناها ابرهة فلم يعمرها احد وكثرت
حولها السباع والحيات ومردة الجن وكان كل من اراد ان ياخذ منها شيئا اصابته الجن
واستمرت كذلك الى زمن السفاح الذي هو اول خلفاء بني العباس فذكر له امرها فبعث
اليها عامله على اليمن فخربها واخذ خشبها المرصع بالذهب والالات المفضضة التي تساوي
قناطير من المال فحصل له منها مال عظيم وحينئذ خفي رسمها وانقطع خبرها واندرست
اثارها وقد كان عبد المطلب امر قريشا ان تخرج من مكة وتكون في رؤس الجبال خوفا
عليهم من المعرة وخرج هو واياهم الى ذلك بعد ان اخذ بحلقة باب الكعبة ومعه
نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على ابرهة وجنده وقال

لاهم ان العبد يمنع رحله فامنع حلالك

لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك

اي فانهم كانوا نصارى ولاهم اصله اللهم فان العرب تحذف الالف واللام وتكتفي
بما يبقى وكذلك تقول لاه ابوك تريد لله ابوك والحلال بكسر الحاء المهملة جمع حلة

وهي البيوت المجتمعة والمحال بكسر الميم القوة والشدة والعدو بالعين المهملة اصل
اصل العدو وهو اليوم الذي ياتي بعد يومك الذي انت فيه ويقال ان عبد المطلب
جمع قومه وعقد رايه وعسكر بمنى وجمع ابن ظفر بينه وبين ما تقدم من انه خرج
مع قومه الى رؤس الجبال بانه يحتمل انه امر ان تكون الذرية في رؤس الجبال اي
بانه يحتمل انه امر ان تكون الذرية في رؤس الجبال بانه يحتمل ان تكون الذرية في رؤس
الجبال اي وخرج معهم تانيسا لهم ثم رجع وجمع اليه المقاتلة اي ويؤيد ذلك
قول المواهب ثم ان ابرهة امر رجلا من قومه يهزم الجيش فلما وصل مكة ونظر
الى وجه عبد المطلب خضع الى اخر ما تقدم فاسقاط المواهب كون قريش
جيشت جيشا مع قوله ثم ان ابرهة ارسل رجلا من قومه ليهزم الجيش لا يحسن ثم
ركب عبد المطلب لما استبطى مجيء القوم الى مكة ينظر ما الخبر فوجدهم قد هلكوا
اي غالبهم وذهب غالب من بقي فاحتمل ما شا الله من صفر او بيض ثم اذن في
اهل مكة بهلاك القوم فخرجوا فانتهبوا اي وفي كلام سبط ابن الجوزي وسبب
غنا عثمان بن عفان ان اباه عفان وعبد المطلب وابا مسعود الثقفي لما هلك
ابرهة وقومه كان اول من نزل مخيم الحبشة فاخذوا من اموال ابرهة واصحابه
شيا كثيرا او دفنوه عن قريش فكانوا اغنى قريش واكثرهم مالا ولما مات عفان
ورثه عثمان رضي الله عنه ومن جملة من سلم من قوم ابرهة ولم يذهب بل بقي بمكة
سايس الفيل وقايده فعن عايشة رضي الله عنها ادركت قايد الفيل وسايقه
اعميين مقعدين يستطعمان الناس واورد على هذا ان الحجاج خرب الكعبة
بضرب المنجنيق ولم يصبه شيء ويجاب بان الحجاج لم يجي لهدم الكعبة ولا لتخريبها
بان الحجاج لم يجي لهدم الكعبة ولا لتخريبها ولم يقصد ذلك وانما قصد التضييق
على عبد الله بن الزبير ليسلم نفسه وهذا اولى من جواب المواهب كما لا يخفى والله
اعلم وكان مولده صلى الله عليه وسلم بمكة في الدار التي صارت تدعى لمحمد بن يوسف
اخي الحجاج اي وكانت قبل ذلك لعقيل بن ابي طالب فلم تزل بيده واولاده بعد وفاته
الى ان باعوها لمحمد بن يوسف اخي الحجاج بماية الف دينار قاله الفاكهي اي فادخلها
في داره وسماها البيضا اي لانها بنيت بالجص ثم طليت به فكانت كلها بيضا وصارت
تعرف بدار ابن يوسف لكن سياتي في فتح مكة انه قيل له يا رسول الله تنزل في الدور
فقال هل ترك لنا عقيل من رباع او دور فان هذا السياق يدل على ان عقيلا باع تلك
الدار فلم تبق بيده ولا بيد اولاده بعده الا ان يقال المراد باع ما عدا هذه الدار التي
هي مولده صلى الله عليه وسلم اي لانه كما سياتي في الفتح باع دار ابيه ابي طالب لانه كان

وطالبا اخاه وورثا اباطالب لانهما كانا كافرين عند موت ابى طالب دون جعفر
وعلى فانهما كانا مسلمين وعقيل اسلم بعد دون طالب فان طالبا اختطفته الجن
فلم يعلم به وان عقيلا باع دار رسول الله صلى الله عليه وسلم التى هى دار خديجة اى التى
يقال لها مولد فاطمة وهى الان مسجد يصلى فيه بناه معاوية رضى الله عنه ايام خلافته
قيل وهو افضل موضع بمكة بعد المسجد الحرام اى واشتهر بمولد فاطمة لشرفها والا فهو
مولد بقية اخوتها من خديجة ولعل معاوية اشترى تلك الدار ممن اشتراها من عقيل
ويدل لما قلناه قول بعضهم لم يتعرض صلى الله عليه وسلم عند فتح مكة لتلك الدار التى ابتاعها
فى يد عقيل اى التى هى دار خديجة فانه لم ينزل بها صلى الله عليه وسلم حتى هاجر فاخذها
عقيل وفى كلام بعضهم لما فتح النبى صلى الله عليه وسلم مكة ضرب بخيمته بالحجون فقيل
له الا تنزل منزلك من الشعب فقال وهل ترك لنا عقيل منزلا وكان عقيل قد
باع منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنازل اخوته حين هاجروا من مكة ومنزل
كل من هاجر من بنى هاشم وفى كلام بعضهم كان عقيل تخلف عنهم فى الاسلام
والهجرة فانه اسلم عام الحديبية التى هى السنة السادسة وباع دورهم فلم يرجع
النبى صلى الله عليه وسلم فى شئ منها وهى اى تلك الدار التى ولد بها عند الصفا قد
بنتها زبيدة زوجة الرشيد ام الامين مسجدا لما حجت وفى كلام ابن دحية ان
الخيزران ام هارون الرشيد لما حجت اخرجت تلك الدار من دار ابن يوسف
وجعلته مسجدا ويجوز ان تكون زبيدة جددت ذلك المسجد الذى بنته الخيزران
فنسب لكل منهما وسياتى ان الخيزران بنت دار الارقم مسجدا وهى عند الصفا ايضا
ولعل الامر التبس على بعض الرواة لان كلا منهما عند الصفا وقيل ولد صلى
الله عليه وسلم فى شعب بنى هاشم اقول قد يقال لا مخالفة لانه يجوز ان تكون تلك
الدار من شعب بنى هاشم ثم رايت التصريح بذلك ولعله ينافيه ما تقدم فى
الكلام على الحمل من ان شعب ابى طالب وهو من جملة بنى هاشم كان عند الحجون
لانه يجوز ان يكون ابو طالب انفرد عنهم بذلك الشعب والله اعلم قال وقيل
ولد صلى الله عليه وسلم فى الردم اى ردم بنى جمح وهم بطن من قريش ونسب لبنى
جمح لانه ردم على من قتلوا فى الجاهلية من بنى الحارث فقد وقع بين بنى جمح وبين
بنى الحارث فى الجاهلية مقتلة وكان الظفر فيها لبنى جمح على بنى الحارث فقتلوا
منهم جمعا كثيرا وردم على تلك القتلى بذلك المحل وقيل ولد بعسفان
اقول مما يدل على هذا القول بكونه ولد بعسفان ما ذكره بعض فقهائنا ان من جملة
ما يجب على الولى ان يعلم موليه اذا ميز انه صلى الله عليه وسلم ولد بمكة ودفن بالمدينة

الان

الان يقال ذلك بناء على ما هو الاصح عندهم والردم المحل الذى كانت ترى منه الكعبة
قبل الان ويقال له الان المدعى لانه يدعى فيه بالدعاء الذى يقال عند رؤية الكعبة
ولم اقف على انه صلى الله عليه وسلم وقف به ولعله لم يكن مرتفعا فى زمنه صلى
الله عليه وسلم وقف به لانه انما رفعه وبناه سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه فى خلافته
لما جاء السيل العظيم الذى يقال له سيل ام نهشل وهى بنت عبيدة بن سعيد
ابن العاص فانه اخذها والقاها اسفل مكة فوجدت هناك ميتة ونقل
المقام الى ان القاه باسفل مكة ايضا فجئ به وجعل عند الكعبة وكتب عمر بذلك
فحضر وهو فزع ودخل مكة معتمرا فوجد محل المقام دثر وصار لا يعرف فساله
ذلك ثم قال انشد الله عبدا عنده علم من محل هذا المقام فقال المطلب ابن ابى
وداعة رضى الله عنه انا يا امير المؤمنين عندى علم بذلك فقد كنت اخشى
عليه مثل ذلك فاخذت قدره من موضعه الى باب الحجر ومن موضعه
الى زمزم بمقاط فقال له اجلس عندى وارسل فجئ بذلك المقاط فقيس ووضع
المقام بمحله الان واحكم ذلك واستمر الى الان فعند ذلك بنى هذا المحل الذى
يقال له الردم بالصخرات العظيمة ورفعه فصار لا يعلوه السيل وصارت
الكعبة تشاهد منه والان قد حالت الابنية فصارت لا ترى ومع ذلك لا باس
بالوقوف عنده والدعاء فيه تبركا بمن سلف ولعل هذا المحل قول من قال اول
من نقل المقام المحل وكان ملصقا بالكعبة عمر بن الخطاب فلا ينافى الناقل
له هو صلى الله عليه وسلم لا سيما لكن رايت ابن كثير قال ان وقد كان هذا الحجر اى
الذى هو المقام ملصقا بباب الكعبة على ما كان عليه من قديم الزمان الى ايام
عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فاخره عنه لئلا تشغل المصلون عنه الطا
بالبيت هذا كلامه وقوله من قديم الزمان ظاهره من عهد ابراهيم على نبينا وعليه
الصلاة والسلام فليتامل وعن كعب الاحبار رضى الله عنه انى اجد فى
التوراة عبدى احمد المختار مولده بمكة اى وهو ظاهر فى ان كعبا الاحبار
كان قبل الاسلام على دين اليهودية قال وعن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه
عن امه الشفاء اى بكسر الشين المعجمة وتخفيف الفاء وقيل بفتحها وتشديد
الفاء مقصورا قال لما ولدت امنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على
يدى اى فهى دايته ووقع فى كلام ابن دحية ان ام ايمن دايته وقد
يقال اطلاق الداية على ام ايمن لانها كانت تغذيه صلى الله عليه وسلم ومن
ثم قيل لها ام ايمن حاضنته وللشفاء قابلة وقد قيل فى اسم الوالدة والقابلة

يقين

الامن والشفا وفي اسم الحاضنة البركة والنما وفي اسم مرضعته اولا التي هي
ثويبة الثواب وفي اسم مرضعته المستقلة برضاعه صلى الله عليه وسلم التي هي حليمة
السعدية الحلم والسعد قالت ام عبد الرحمن فاستهل فسمعت قائلا يقول له
يرحمك الله او رحمك ربك اي او يرحمك ربك وهذا القول الذي لا يقال الا عند ه
العطاس اي الذي هو التشميت بالشين المعجمة والمهملة حمل بعضهم الاستهلال الذي هو
في المشهور صياح المولود ما يولد يقال استهل المولود اذا رفع صوته على العطاس
مع الاعتراف بانه لم يجئ في شيء من الاحاديث تصريح بانه صلى الله عليه وسلم لما
ولد عطس انتهى اي فقد قال الحافظ السيوطي لم اقف في شيء من الاحاديث يدل
على انه صلى الله عليه وسلم لما ولد عطس بعد مراجعة احاديث المولد من مظانها اي
وعطس بفتح الطاء يعطس بالكسر والضم وحكي الفتح ولعله من تداخل اللغتين
لكن في الجامع الصغير استهلال الصبي العطاس وحينئذ يكون استهلال المولود
له معنيان مما مجرد رفع الصوت والعطاس وحمل هنا على العطاس بقرينة
الجواب الذي لا يقال الا عند العطاس وقد اشار الى التشميت صاحب الهمزية بقوله
٥ شمتته الاملاك اذ وضعته ٥ وشفتنا بقولها الشفاء ٥
اي قالت له الاملاك رحمك الله او رحمك ربك وقت وضع امه له وفرحتنا بقولها
المذكور الشفا التي هي ام عبد الرحمن بن عوف اقول قال بعضهم ولعله صلى الله عليه وسلم
حمد الله بعد عطاسه لما استقر من شرعه انه لا يسن التشميت الا لمن حمد الله تعالى هذا
كلامه ويدل لما ترجاه ما تقدم انه حين خروجه من بطن امه قال الحمد لله كثيرا وفي
كلام بعض شراح الهمزية ويجوز ان يكون شمت من غير حمد تعظيما لقدره وقد جاء
العاطس ان حمد الله فشمتوه وان لم يحمد فلا تشمتوه وجا اذا عطس فحمد الله فحق
على كل من سمعه ان يشمته وفي الصحيح ان رجلا عطس عند النبي صلى الله عليه وسلم
وحمد الله فشمته وعطس اخر فلم يحمد الله فلم يشمته وفي حديث حسن اذا عطس احدكم
فليشمته جليسه فاذا زاد على ثلاث فهو مزكوم فلا يشمت بعد ثلاث وتمسك
بذلك اي بالامر بالتشميت بصيغة افعل التي الاصل فيها الوجوب وبقوله حق اهل
الظاهر على وجوب التشميت على كل من سمع وذهب بعض الائمة الى وجوبه على
الكفاية وهو منقول عن مشهور مذهب مالك رضي الله تعالى عنه اي وعن ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما ليس على ابليس اشد من تشميت العاطس وعن
سالم بن عبد الله الاشجعي وكان من اهل الصفة رضي الله عنهم قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا عطس احدكم فليحمد الله عز وجل وليقل من عنده يرحمك الله ه

ويرد عليهم بقوله يغفر الله لي ولكم ومن لطيف ما اتفق ان الخليفة المنصور
وشى عنده ببعض عماله فلما حضر عنده عطس المنصور فلم يشمته ذلك العامل
فقال له المنصور ما منعك من التشميت فقال انك لم تحمد الله فقال حمدت في نفسي فقال
قد شمتك في نفسي فقال له ارجع الى عملك فانك اذا لم تحابني لا تحابي غيري قال بعضهم
والحكمة في قول العاطس ما ذكر انه ربما كان العطاس سببا لالتواء عنقه فحمد الله على
معافاته من ذلك وقال غيره لان الاذى وهي الابخرة المحتقنة تندفع به عن الدماغ
الذي فيه قوة التذكر والتفكر اي فهو بحران الراس كالعرق بحران بدن المريض
وذلك نعمة جليلة وفائدة عظيمة ينبغي ان يحمد الله تعالى عليها اي ولان الاطبا كما
زعم بعضهم يقولون ان العطاس من انواع الصرع اعاذنا الله من الصرع وقد
ينازع فيه ما تقدم وما ذكر بعض الاطبا ان العطاس للدماغ كالسعال للرئة
قال والعطاس نعم الاشيا لتخفيف الراس وهو ما يعين على نقص المواد المحتبسة
ويسكن ثقل الراس فيحصل منه النشاط والخفة وفي نوادر الاصول للترمذي قال
صلى الله عليه وسلم هذا جبريل يخبركم عن الله تعالى ما من مؤمن يعطس ثلاث عطسات
متواليات الا كان الايمان في قلبه ثابتا وفي الجامع الصغير ان الله يحب العطاس ه
ويكره التثاوب والعطسة الشديدة من الشيطان وفي الحديث العطاس شاهد
عدل وفي حديث حسن اصدق الحديث ما عطس عنده وقد جاء انه روح ادم لما
نزلت الى خياشيمه عطس فلما نزلت الى فيه ولسانه قال الله تعالى له قل الحمد لله رب
العالمين فقال ادم فقال الحق يرحمك الله يا ادم ولذلك خلقتك وفي رواية وللرحمة
خلقتك اي للموت وقد روى الترمذي مرفوعا بسند ضعيف العطاس والنعاس
والتثاوب في الصلاة من الشيطان وروى ابن ابي شيبة موقوفا بسند ضعيف
ايضا ان الله يكره التثاوب ويحب العطاس في الصلاة اي مع كون كل واحد من ه
العطاس والتثاوب في الصلاة من الشيطان العطاس فيها احب الى الله من التثاوب
فيها والتثاوب فيها اكره الى الله من الشيطان العطاس فيها لان الكراهة
مقولة بالتشكيك ويحتمل كون العطاس من الشيطان على شدته ورفع الصوت
به كما تقدم التقييد بذلك في الرواية السابقة ومن ثم جاء اذا عطس احدكم اي مع
بالعطاس فليضع كفيه على وجهه وليخفض صوته اي ولا ينافي وجود الشفا
ووجود ام عثمان بن العاص عند امه صلى الله عليه وسلم عند ولادته ما روي
عنها انها قالت لما اخذني ما ياخذ النسا اي عند الولادة واني لوحيدة في المنزل
رايت نسوة كالنخل طولا كانهن من بنات عبد مناف يحدقن بي وفي كلام ابن

ابن المحدث ودخل على نسا طوال كانهن من بنات عبد المطلب ما رايت اضوا منهن
وجها وكان واحدة من النسا تقدمت الى فاستندت اليها واخذني المخاض واشتد
على الطلق وكان واحدة منهن تقدمت الى وناولتني شربة من الما اشد بياضا
من اللبن وابرد من الثلج واحلى من الشهد فقالت لى اشرب فشربت ثم قالت
الثانية ان زادى فازددت ثم مسحت بيدها على بطني وقالت بسم الله اخرج
باذن الله فقلن لى اى تلك النسوة نحن اسية امراة فرعون ومريم بنت عمران وهولا
من الحور العين بحراز وجود الشفا وام عثمان عندها بعد ذلك وتاخر خروجه
صلى الله عليه وسلم عن القول المذكور حتى نزل على يد الشفا لما تقدم من قولها
وقع على يدى ولعل حكمة شهود اسية ومريم لولادته صلى الله عليه وسلم كونهما
بصيران زوجتين له صلى الله عليه وسلم في الجنة مع كلثم اخت موسى ففي الجامع
الصغير ان الله تعالى زوجني في الجنة مريم بنت عمران وامراة فرعون واخت
موسى وسيانى عند موت خديجة انه صلى الله عليه وسلم قال لها اشعرت ان الله
قد اعلمني انه سيزوجني وفي رواية اما علمت ان الله قد زوجني معك
في الجنة مريم ابنة عمران وكلثم اخت موسى واسية امراة فرعون فقالت الله
اعلمك بهذا قال نعم قالت بالرفا والبنين وقد حمى الله هولاء النسوة
عن ان يطامن احد فقد ذكر ان اسية لما ذكرت لفرعون احب ان يتزوجها
فتزوجها على كره منها ومن ابيها مع بذله لها الاموال الجليلة فلما زفت
له وهم بها اخذه الله عنها وكان ذلك شانه معها وكان قد رضي منها بالنظر
اليها ولها مريم فقيل انها زوجت بابن عمها يوسف النجار ولم يقربها وانما تزوجها
ليرافقها الى مصر لما ارادت الذهاب الى مصر بولدها عيسى واقاموا بها اثنى
عشرة سنة ثم عادت مريم وولدها الى الشام ونزلا الناصرة واخت موسى لم
يذكر انها تزوجت وهذا يفيد ان بنات عبد مناف او عبد المطلب على ما تقدم
كن متميزات عن غيرهن من النساء افراط الطول وقد رايت ان عليا بن
عبد الله بن عباس وهو جد الخليفتين السفاح والمنصور اول خلفا بني العباس
ابو ابيهما محمد بن كان مفرطا في الطول اذا طاف كان الناس حوله وهو راكب
وكان مع هذا الطول الى منكب ابيه عبد الله بن عباس وكان عبد الله بن عباس
الى منكب ابيه العباس وكان العباس الى منكب ابيه عبد المطلب لكن ابن الجوزي
اقتصر على ذكر الطول على عمر بن الخطاب والزبير بن العوام وقيس بن سعد
وحبيب بن سلمة وعلى بن عبد الله بن عباس وسكت عن عبد الله بن عباس وعن ابيه

العباس

العباس وعن ابيه عبد المطلب وفي المواهب ان العباس كان معتدلا وقيل كان طوالا
وروى ان عليا هذا جد الخلفا العباسيين كان على غاية من العبادة والزهادة
والعلم والعمل وحسن الشكل حتى قيل انه اجمل قرشي على وجه الارض وكان يصلى
في كل ليلة الف ركعة ولذلك كان يدعى السجاد وان سيدنا على بن ابي طالب رضي الله
عنه هو الذي سماه عليا وكناه ابا الحسن فقد روى ان عليا رضي الله تعالى عنه
افتقد عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهم في وقت صلاة الظهر فقال لاصحابه
ما بال ابي العباس يعني عبد الله لم يحضر فقالوا ولد له مولود فلما صلى على قال امضوا
بنا اليه فاتاه فهناه فقال شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب زاد بعضهم
ورزقت بره وبلغ اشده ما سميته قال او يجوز لى ان اسميه حتى تسميه فامر به
فاخرج اليه فاخذه فحنكه ودعا له ثم رده اليه وقال خذ اليك ابا الاملاك
قد سميته عليا وكنيته ابا الحسن فلما ولى معاوية الخلافة قال لابن عباس ليس
لكم اسمه وكنيته يعني على بن ابي طالب كراهة في ذلك وقد كنيته ابا محمد فجرت
عليه ويخالف ذلك ما ذكر بعضهم ان عليا المذكور لما قدم على عبد الملك بن مروان
وهو خليفة فاكرمه هشام فصار يوصيه عليهما ويقول له سليمان هذا الامر
يعني الخلافة فصار هشام يتعجب من سلامة باطنه وينسبه في ذلك الى الحمق كه
ويقال ان الوليد بن عبد الملك اى لما ولى الخلافة وبلغه عنه انه يقول ذلك ضربه
بالسياط على قوله المذكور واركبه بعيرا وجعل وجهه مما يلي ذنب البعير وصائح
يصيح عليه هذا على ابن عبد الله بن عباس الكذاب قال بعضهم فاتيته وقلت له
ما هذا الذي ينسبه اليك من الكذب قال بلغهم عني انى اقول ان هذا الامر يعني
الخلافة ستكون في ولدى والله لتكونن فيهم فكان الامر على ما ذكر فقد ولى السفاح
الخلافة ثم المنصور وفي دلائل النبوة للبيهقي ان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
قدم على معاوية فاجازه واحسن جائزته ثم قال يا ابا العباس هل يكون لكم دولة
قال اعفني يا امير المؤمنين قال لتخبرني قال نعم قال فمن انصاركم قال اهل خراسان
اى وهو ابو مسلم الخراساني يجى بجيشه معه رايات سود يسلب دولة بني
امية ويجعل الدولة لبني العباس يقال ان ابا مسلم هذا قتل ستمائة الف رجل صبرا
غير الذي قتله في الحروب وهذه الرايات السود غير التي عناها صلى الله عليه وسلم
بقوله اذا رايتم الرايات السود قد جاءت من قبل خراسان فاتوها فان فيها
خليفة الله المهدي فان تلك الروايات تاتي قبيل قيام الساعة ثم صارت
الخلافة في اولاد المنصور حكى في مرات الزمان عن المامون انه قال حدثني ابي

يعني هارون الرشيد عن ابيه المهدي عن ابيه المنصور عن ابيه محمد بن علي عن
ابيه علي عن ابيه عبد الله بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سيد القوم
خادمهم وذكر ان مما يوثر عن المامون انه كان يقول استخدام الرجل ضيفه
لوم وكان يقول لو عرف الناس حبي للعفو لتقربوا الي بالجرايم واني اخاف ان لا
اوجر على العفو اي لانه صار له طبيعة وسجية قالت امنة صلى الله عليه وسلم ورايت
ثلاثة اعلام مضروبات علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة والله
اعلم ولما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعت عليه جفنة بفتح الجيم فانفلقت
عنه فلقتين قال وهذا مما يؤيد انه صلى الله عليه وسلم ولد ليلا فعن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما قال كان في عهد الجاهلية اذا ولد لهم مولود من تحت الليل
وضعوه تحت الانا لا ينظرون اليه حتى يصبحوا فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وضعوه تحت برمة زاد في لفظ ضخمة والبرمة القدر فلما اصبحوا اتوا البرمة
فاذا هي قد انفلقت ثنتين وعيناه الى السماء فعجبوا من ذلك وعن امه
انها قالت فوضعت عليه الانا فوجدته قد تفلق الانا عنه وهو يمص ابهامه يشخب
اي يسيل لبنا انتهى وفي العرايس ان فرعون لما امر بذبح ابنا بني اسرائيل جعلت
المراة اي بعض النساء لما لا يخفى اذا ولدت الغلام انطلقت به سرا الى واد او غار
فاخفته فيه فيقيض الله له ملكا من الملايكة يطعمه ويسقيه حتى يختلط بالناس
وكان الذي اتى السامري لما جعلته امه في غار اتاه جبريل عليه الصلاة والسلام
فكان اي السامري يمص من احدى ابهاميه سمنا ومن الاخرى عسلا ومن ثم اذا جاع
الرضيع يمص ابهامه فيروى من المص وقد جعل له فيه رزقا والسامري هذا
كان منافقا يظهر الاسلام لموسى ويخفي الكفر وفي رواية ان عبد المطلب هو
الذي دفعه للنسوة ليضعوه تحت الانا اقول هذا هو الموافق لما ياتي عن ابي
اسحاق من ان امنة لما ولدته ارسلت الى جده اي وكان يطوف بالبيت تلك الليلة فجاء
اليها اي فقالت له يا ابا الحارث ولد لك مولود له امر عجيب فذعر عبد المطلب وقال
اليس بشرا سويا فقالت نعم ولكن سقط ساجدا ثم رفع راسه واصبعيه الى السماء
فاخرجته له ونظر اليه واخذه ودخل به الكعبة ثم خرج فدفعه اليها وبه يظهر التوقف
في قول ابن دريد اكفئت عليه جفنة لئلا يراه احد قبل جده فجاء جده والجفنة قد انفلقت
عنه الا ان يقال يجوز ان يكون جده اخذه بعد انفلاق الجفنة ثم دخل به الكعبة
ثم بعد خروجه به من الكعبة دفعه لها وللنسوة ليضعوه تحت جفنة اخرى الى
ان يصبح فانفلقت تلك الجفنة الاخرى حتى لا ينافي ذلك ما تقدم عن امه

فوجدته

فوجدت الانا قد تفلق وهو يمص ابهامه وعن اياس الذي يضرب به المثل وهو
في الذكا قال اذكر الليلة التي ولدت فيها وضعت امي على راسي جفنة وقال لامر ما شي
سمعته لما ولدت قالت يا بني طست سقطت من فوق الدار الى اسفل تفرغت فولدتك
تلك الساعة قال بعضهم يولد في كل مائة سنة رجل تام العقل وان اياسا منهم
ولعل هذا هو المراد بما جا في الحديث يبعث الله على راس كل مائة سنة من يجدد لهذه
الامة امر دينها والمراد براسها اخرها بان يدرك اوايل المائة التي تليها بان تنقضي
تلك المائة وهو حي الا اني لم اقف على ان اياسا هذا كان من المجددين والله اعلم
وفي تفسير ابن مخلد الذي قال في حقه ابن حزم ما صنف مثله اصلا ان ابليس
رن اي صوت بحزن وكآبة اربع رنات رنة حين لعن ورنة حين اهبط ورنة حين
ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم اي وهو المراد بقول بعضهم يوم بعثه ورنة
حين انزلت عليه صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب والى رنتين ولادته صلى
الله عليه وسلم اشار صاحب الاصل بقوله لمولده قد رنا ابليس رنته فسحقا لذا ذا بفيه
رغبته وعن عطا الخراساني لما نزل قوله تعالى ومن يعمل سوا او يظلم نفسه ثم يستغفر
الله يجد الله غفورا رحيما صرخ ابليس صرخة عظيمة اجتمع اليه فيها جنوده
من اقطار الارض قايلين ما هذه الصرخة التي افزعتنا قال امر نزل بي لم ينزل قط
اعظم منه قالوا وما هو فتلى عليهم الاية وقال لهم فهل عندكم من حيلة قالوا ما عندنا
من حيلة فقال اطلبوا فاني ساطلب قال فلبثوا ما شا الله ثم صرخ اخرى فاجتمعوا
اليه وقالوا ما هذه الصرخة التي لم نسمع منك مثلها الا التي قبلها قال هل وجدتم
شيا قالوا لا قال لكني قد وجدت قالوا وما الذي وجدت قال ازين لهم البدع التي يتخذونها
دينا ثم لا يستغفرون اي لان صاحب البدعة يراها بجهله حقا وصوابا ولا يراها ذنبا
حتى يستغفر الله منها وقد جا في الحديث ابى الله ان يقبل عمل صاحب بدعة حتى
يدع بدعته اي لا يثيبه على عمله ما دام متلبسا بتلك البدعة وعن الحسن قال
بلغني ان ابليس قال سولت لامة محمد ذنوبا لا يستغفرون الله منها وهي الاهوا اي البدع
وقد جا في الحديث اخاف على امتي بعدي ثلاثا ضلالة الاهوا الحديث واهل الا
هوا هم اهل البدع وعن عكرمة ان ابليس لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وراى
تساقط النجوم قال لجنوده لقد ولد الليلة ولد يفسد علينا امرنا وهذا يدل
على ان تساقط النجوم كان عند ابليس علامة على وجود نبينا صلى الله عليه وسلم فقال
له جنوده لو ذهبت اليه فخبلته فلما دنى من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الله
جبريل فركضه برجله ركضة وقع بعدن وكون تساقط النجوم كان عند ابليس

علامة على وجود نبينا صلى الله عليه وسلم مشكل مع قول بعضهم لما رجمت الشياطين
ومنعت من مقاعدها في السما لاستراق السمع شكوا ذلك لابليس فقال لهم هذا
امر حدث في الارض وامرهم بان يأتوه بتربة من كل ارض فصار يشمها الى ان اتي
بتربة ارض تهامة فلما شمها قال من ها هنا الحدث هكذا ساقه بعضهم عند
ولادته صلى الله عليه وسلم الا ان يقال لا اشكال لان تساقط النجوم وان كان
علامة على وجود نبينا صلى الله عليه وسلم لكن في اى ارض علي اذ بعضهم انكر كون
ما ذكر كان عند الولادة وقد المذكور في كلام غيره انما هو عند بعثه صلى الله عليه وسلم
كما سيأتي ولعله من خلط بعض الرواة وعبارة بعضهم روى ان الشياطين
كانت تصعد الى السما ثم تجاوز سما الدنيا الى غيرها فلما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام
منعوا من مجاوزة سما الدنيا وصاروا يسترقون السمع اى في سما الدنيا حتى ولد
نبينا صلى الله عليه وسلم منعوا من التردد الى السما الا قليلا اى فصاروا يسترقون
دونها حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم فمنعوا اصلا فصاروا لا يسترقون السمع
الا دون سما الدنيا ثم رأيتني نقلت في الكوكب المنير في مولد البشير النذير
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان الشياطين كانوا لا يحجبون عن السموات
وكانوا يدخلونها ويأتون باخبارها مما سيقع في الارض فيلقونها على الكهنة
فلما ولد عيسى عليه الصلاة حجبوا عن ثلاث سموات وعن وهب عن اربع سموات
ولما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم حجبوا عن الكل وحرست بالشهب عند البعث
ايضاح هذا المحل وقد اخبرت الاحبار والرهبان بليلة ولادته صلى الله عليه وسلم
فعن حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه قال انى لغلام يفعه اى غلام مرتفع ابن سبع
سنين او ثمان اعقل ما رايت وسمعت اذا يهودي بيثرب يصرخ ذات غداة على اطمة
اى محل مرتفع يا معشر يهود فاجتمعوا اليه وانا اسمع وقالوا ويلك ما لك قال طلع
نجم احمد الامي ولد به في هذه الليلة الذي طلوعه علامة على ولادته صلى الله عليه وسلم
في تلك الليلة في بعض الكتب القديمة وحسان هذا سيأتي انه ممن عاش في الجاهلية
ستين سنة وفي الاسلام مثلها وكذا عاش ابوه هذا القدر وهو مائة وعشرون
سنة وجده وو الدجده قال بعضهم ولا يعرف اربعة تناسلوا وتساوت اعمارهم
سواهم وكان حسان يضرب بلسانه ارنبة انفه وكذا ابنه وابوه وجده وعن
كعب الاحبار رأيت في التوراة ان الله تعالى اخبر موسى عليه الصلاة والسلام عن
وقت خروج محمد صلى الله عليه وسلم اى من بطن امه وموسى اخبر قومه ان الكوكب
المعروف عندكم اسمه كذا اذا تحرك وسار عن موضعه فهو وقت خروج محمد اى وصادف

فذلك

ذلك مما يتوارثه العلماء من بنى اسرائيل وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان
يهودي يسكن مكة فلما كان الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مجلس
من مجالس قريش هل ولد فيكم الليلة مولود فقال القوم والله ما نعلمه قال احفظوا
ما اقول لكم ولد هذه الليلة نبي هذه الامة الاخيرة اى وهو منكم معاشر قريش قال على
كتفه اى عند كتفه علامة اى شامة فيها شعرات متواترات اى متتابعات كانهن عرف
فرس اى وتلك العلامة هي خاتم النبوة اى علامتها والدليل عليها لا يرضع ليلتين
وذلك في الكتب القديمة من دلائل نبوته اى وعدم ارضاعه لعل لوعك يصيبه
وفي كلام الحافظ ابن حجر وافره تعليلا لعدم رضاعه لان عفريتا من الجن وضع يده
في فيه وعند قول اليهودي ما ذكر تفرق القوم من مجالسهم وهم متعجبون من قوله
فلما صاروا الى منازلهم اخبر كل انسان منهم اهله وفي لفظ اهله فقالوا لقد ولد الليلة
لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمدا فالتقى القوم حتى جاؤا اليهودي فاخبروه
الخبر اى قالوا له اعلمت ولد فينا مولود قال اذهبوا معى حتى انظر اليه فخرجوا حتى دخلوا
على امه فقالوا اخرجي الينا ابنك فاخرجته وكشفوا عن ظهره فرأى تلك الشامة
فخر مغشيا عليه فلما افاق قالوا ويلك ما لك قال والله ذهبت النبوة من بنى اسرائيل
افرحتم بها يا معشر قريش اما والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق الى
المغرب اى وعن الواقدي انه كان بمكة يهودي يقال له يوسف لما كان اليوم اى
الوقت الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يعلم به احد من قريش
قال يا معشر قريش قد ولد نبي هذه الامة الليلة في بحرتكم اى ناحيتكم هذه وجعل
يطوف في انديتهم فلا يجد خبرا حتى انتهى الى مجلس عبد المطلب اى لعبد الله غلام
فقال هو نبي والتوراة وكان بمر الظهران راهب الشام يدعى عيص وقد
كان آتاه الله علما كثيرا وكان يلزم صومعة له ويدخل مكة فيلقى الناس ويقول
يوشك اى يقرب ان يولد فيكم مولود يا اهل مكة تدين له العرب اى تذل وتخضع
ويملك العجم اى ارضها وبلادها هذا زمانه فمن ادركه اى ادرك بعثته واتبعه اصاب
حاجته اى ما يؤمله من الخير ومن ادركه وخالفه اخطا حاجته فكان لا يولد بمكة
مولود الا يسأل عنه ويقول ما جا بعد اى الان فلما كان صبيحة اليوم اى الوقت
الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عبد المطلب حتى اتى عيص فوقف
على اصل صومعته فناداه فقال من هذا فقال انا عبد المطلب وقيل الجائي له
عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم بناء على انه لم يمت وامه حامل به ولعل قائله
اخذ ذلك من قول الراهب لما قيل له ما ترى عليه اى على ذلك المولود فقال كن

اياه فقد ولد ذلك المولود الذى كنت احدثكم عنه وان نجمه الذى طلوعه علامة
على وجوده طلع البارحة وعلامة ذلك اى ايضا انه الان وجع يشتكى ثلاثا ثم
يعا فى اقول اى ولا يرضع فى تلك الثلاث ليالى فلا يخالف ما سبق من قول الاخر
لا يرضع ليلتين ولا دلالة فى قوله كن اباه على ان الجاى للراهب عبد الله لان عبد المطلب
كان يقال له ابو النبى ويقال للنبى ابن عبد المطلب وقال صلى الله عليه وسلم انا ابن عبد
المطلب كما تقدم والله اعلم ثم قال له فاحفظ لسانك اى لا تذكر ما قلته لك لاحد
من قومك فانه لم يحسد حسده احد ولم يبغ على احد كما يبغى عليه قال فما عمره قال
ان طال عمره لم يبلغ السبعين يموت فى وتر دونها فى احدى وستين او ثلاث وستين
نراد فى رواية وذلك اجل اعمار امته وعند ولادته صلى الله عليه وسلم تنكست
الاصنام اى اصنام الدنيا وتقدم ايضا انها تنكست عند الحمل به صلى الله عليه وسلم
وتقدم انه مانع من تعدد ذلك وجا ان عيسى عليه الصلاة والسلام لما وضعته
امه خر كل شئ يعبد من دون الله فى مشارق الارض ومغاربها ساجدا لوجهه
وفزع ابليس فعن وهب بن منبه لما كانت الليلة التى ولد فيها عيسى صلى الله
عليه وسلم اصبحت الاصنام فى جميع الارض منكسة على رؤسها وكلما ردوها على قوائمها
انقلبت فحارت الشياطين لذلك فلم تعلم السبب فشكت الى ابليس فطاف
ابليس فى الارض ثم عاد اليهم فقال رايت مولودا والملائكة قد حفت به فلم استطع
ان ادنوا اليه وما كان نبى قبله اشد علىّ وعليكم منه وانى لارجوا ان اضل به اكثر
ممن يهتدى به اقول قد علمت ان تنكس الاصنام تكرر لنبينا صلى الله عليه وسلم
عند الحمل وعند الولادة فالخاص به ما كان عند الحمل لا ما كان عند الولادة لمشاركة
عيسى له صلى الله عليه وسلم فى ذلك وبهذا يعلم ما فى قول الجلال السيوطى فى خصايصه
الصغرى ان من خصايصه صلى الله عليه وسلم تنكس الاصنام لمولده وعن عبد المطلب
قال كنت فى الكعبة فرايت الاصنام سقطت من اماكنها وخرت سجدا وسمعت صوتا
من جدار الكعبة يقول ولد المصطفى المختار الذى تهلك بيده الكفار ويطهر من
عبادة الاصنام ويامر بعبادة الملك العلام ولا يقال قال ابليس فى حق عيسى لا
استطيع ان ادنوا اليه وتقدم فى حق نبينا صلى الله عليه وسلم ان ابليس دنى منه
فركضه جبريل لانا نقول يجوز ان يكون الدنو فى حق نبينا صلى الله عليه وسلم دنوا
الى المحل الذى هو فيه لا الى جسده والدنو المنفى فى حق عيسى الدنو الى جسده فان قيل
جا فى الحديث ما من مولود يولد الا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا الا مريم وابنها
رواه الشيخان اى لقول ام مريم انى اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وفى رواية

كلا

كل ابن ادم يطعن الشيطان فى جنبه باصبعه حين يولد غير عيسى بن مريم ذهب يطعن
فطعن فى الحجاب اى وهى المشيمة التى يكون فيها الولد ولعل المراد بجنبه جنبه
الايسر وعن قتادة كل مولود يمسه الشيطان باصبعه فى جنبه فيستهل
صارخا الا عيسى بن مريم وامه مريم ضرب الله عليهما حجابا فاصابت الطعنة
الحجاب فلم ينفذ اليهما منها شئ ولعل هذا الحجاب هو المشيمة ويحتمل ان يكون
غيرها قلنا جاء عن مجاهد ان مثل عيسى فى عدم طعن الشيطان فى جسده
حين يولد سائر الانبيا وذلك لا يقال من قبل الراى وعلى تقدير صحة ذلك
يكون تخصيص عيسى وامه بالذكر كان قبل ان يعلم صلى الله عليه وسلم بان سائر
الانبيا كعيسى وامه وهذا الكلام يرد بيان القاضى عياض للضرر المعنى
فى قوله صلى الله عليه وسلم من قال اذا اراد ان ياتى اهله بسم الله اللهم جنبنا
الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فانه ان قدر بينهما فى ذلك الوقت ولد
من ذلك الجماع لم يضره الشيطان ابدا بان المراد انه لا يطعن فيه عند ولادته
بخلاف غيره وهذا اى عدم قربه من نبينا صلى الله عليه وسلم يجوز ان يكون فى حق
خصوص ابليس فلا ينافى ما تقدم عن الحافظ ابن حجر ان عدم ارتضاعه صلى الله
عليه وسلم فى ليلتين بوضع عفريت من الجن يده على فيه على تسليم صحته وصاحب الكشاف
اخرج المس ومثله الطعن عن حقيقته وقال المراد به طمع الشيطان فى اغوائه
وتبعه القاضى على ذلك وسيأتى فى شق صدره صلى الله عليه وسلم كلام يتعلق
بذلك وفى كلام الشيخ محيى الدين بن العربى اعلم انه لا بد لجميع بنى ادم من العقوبة
والالم شيا بعد شئ الى دخولهم الجنة لانه اذا نقل الى البرزخ فلا بد له من الالم ادناه
سؤال منكر ونكير فاذا بعث فلا بد من الم الخوف على نفسه او غيره واول الالم فى الدنيا
استهلال المولود حين ولادته صارخا لما يجده عند مفارقته الرحم وسخونته فيضربه
الهوا عند خروجه من الرحم فيحس بالم البرد فيبكى فان مات فقد اخذ حظه من
البلا وقال بعد ذلك فى قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه الصلاة والسلام على يوم
ولدت معناه السلامة من ابليس الموكل بطعن الاطفال عند الولادة حين يصرخ
الولد اذا خرج فليتامل هذا مع قوله ان استهلال المولود وصراخه حين يولد سببه
الم البرد الذى يجده بعد مفارقته سخونة الرحم وقوله بل وقع ساجدا يدل على ان
سجود نبينا صلى الله عليه وسلم حين ولد ليس من خصائصه والله اعلم وذكر ان
نفرا من قريش منهم ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل وعبيد الله بن جحش
كانوا يجتمعون الى الصنم فدخلوا عليه ليلة ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فراوه

منكساً على وجهه فانكروا ذلك فاخذوه فردوه الى حاله فانقلب القلابا
عنيفا فردوه فانقلب كذلك الثالثة فقالوا ان هذا لامر حدث ثم انشد بعضهم
ابياتا يخاطب بها الصنم ويتعجب من امره ويساله فيها عن سبب تنكسه فسمع
هاتفا من جوف الصنم بصوت جهير اى مرتفع يقول شعر

تردى لمولود انارت بنوره ❁ جميع فجاج الارض بالشرق والغرب

الابيات والى ذلك اشار صاحب الهمزية بقوله شعر

وتوالت بشرى الهواتف ان قد ❁ ولد المصطفى وحق الهناء

اى تتابعت بشارة الهواتف جمع هاتف وهو ما يسمع صوته ولا يرى شخصه
بان قد ولد المصطفى المختار على الخلق كلهم وثبت لهم الفرح والسرور وليلة
ولادته صلى الله عليه وسلم تزلزلت الكعبة ولم تسكن ثلاثة ايام ولياليهن
وكان ذلك اول علامات قريش من مولد النبي صلى الله عليه وسلم وارتجس
اى اضطرب وانشق ايوان كسرى انوشروان ومعنى انوشروان مجدد
الملك اى وكان بناء محكما مبنيا بالآجر الكبار والجص بحيث لا تعمل فيه الفؤس
مكث فى بنائه نيفا وعشرين سنة اى وسمع لشقه صوت هائل وسقط من
ذلك الايوان اربع عشرة شرفه اى بضم الشين المعجمة وسكون الراء وليس
ذلك لخلل فى بنائه وانما اراد الله تعالى ان يكون ذلك اية لنبيه صلى الله
عليه وسلم باقية على وجه الدهر اى **وقد** ذكر ان الرشيد امر وزيره يحيى بن خالد
البرمكي والد جعفر والفضل بهدم ايوان كسرى فقال له يحيى لا تهدم بناء دل
على فخامة شان بانيه قال بلى يا مجوسى ثم امر بنقضه فقدر له نفقة على هدمه
فاستكثرها الرشيد فقال له يحيى ليس يحسن بك ان تعجز عن هدم شىء بناه
غيرك هذا والذى رايته فى بعض المجاميع ان المنصور لما بنى بغداد احب ان
ينقض ايوان كسرى فان بينه وبينها مرحلة ويبنى به فاستشار خالد بن برمك
فنهاه وقال هو اية الاسلام ومن راه علم ان من هذا بناؤه لا يزول امره وهو مصلى
على بن ابى طالب كرم الله وجهه والمؤنة فى نقضه اكثر من الانفاق عليه ولا
مانع من تكرر طلب نقضه من المنصور ومن ولد ولده الرشيد وانما قال الرشيد
ليحيى يا مجوسى لان جده والد خالد البرمكى وهو برمك كان من خراسان وكان
اولا مجوسيا ثم اسلم وكان كاتبا عارفا محصلا لعلوم كثيرة جاء الى الشام فى دولة
بنى امية فاتصل بعبد الملك بن مروان فحسن موقعه عنده وعلا قدره ثم لما
زالت دولة بنى امية وجاءت دولة بنى العباس صار وزيرا للسفاح ثم لاخيه

المنصور من بنى العباس **ورأيت** عن برمك هذا حكاية عجيبة وهى انه سار الى زيارة
ملك الهند فاكرمه وانس به واحضر له طعاما ما قال فاكلت حتى انتهيت فقال لى كل
فقلت لا اقدر والله ايها الملك فامر باحضار قضيب فاخذه الملك وامر به على صدرى
فكانى لم اكل شيئا ثم اكلت اكلا كثيرا حتى انتهيت فقال لى كل فقلت والله لا اقدر
ايها الملك فامر بالقضيب على صدرى فكانى لم اكل شيئا قط فاكلت حتى انتهيت
فقال لى كل فقلت ما اقدر على ذلك فامر ان تمر بالقضيب على صدرى فقلت
ايها الملك ان الذى دخل يحتاج الى ان يخرج فقال صدقت وامسك عنى
عنى فسالته عن القضيب فقال تحفة من تحف الملوك **ومما** يحفظ عن يحيى
ابن خالد هذا زيادة على ما تقدم عنه اذا احببت انسانا من غير سبب
فارج خيره واذا ابغضت انسانا من غير سبب فتوق شره **ومما** يحفظ عنه ايضا
وقد قال له ولده واظنه الفضل وقد كان معه مقيدا فى حبس الرشيد بعد
قتل ولده جعفر وصلبه ونهب اموال البرامكة ومن يلوذ بهم يا ابت
بعد العز ونفوذ الكلمة صرنا الى هذا الحال فقال يا ولدى دعوة مظلوم سرت
ليلا غفلنا عنها وما غفل الله عنها اى **فقد** قال ابو الدرداء اياكم ودمعة
اليتيم ودعوة المظلوم فانها تسرى بالليل والناس نيام اى ولان الله تعالى
يقول انا اظلم الظالمين ان غفلت عن ظلم الظالم **وقد** قال صلى الله عليه وسلم
اتق دعوة المظلوم فانما يسال حقه وان الله تعالى لن يمنع ذا حق حقه **وجاء**
اتق دعوة المظلوم فانها ليس بينها وبين الله حجاب **وجاء** اتقوا دعوة المظلوم
فانها تحمل على الغمام يقول الله وعزتى وجلالى لانصرنك ولو بعد حين والمراد
بالغمام الابيض الذى فوق السماء السابعة المعنى بقوله تعالى يوم تشقق السماء
بالغمام اى لا تقوى على حمله اذا سقط وتصير دعوة المظلوم استجابتها ولو بعد
زمن طويل وهو وان امهل الظالم لا يهمله **وجاء** اتقوا دعوة المظلوم فانها
تصعد الى السماء كانها شرارة اى تصعد الى السماء بعد فما فوقها **وجاء** اتقوا دعوة
المظلوم وان كان كافرا فانها ليس دونها حجاب وقد قال القائل شعر

تنام عيناك والمظلوم منتبه ❁ يدعو عليك وعين الله لم تنم

ومما قيل فى يحيى بن خالد هذا من المدح البليغ سالت ❁

سالت الندى هل انت حر فقال لا ❁ ولكننى عبد ليحيى بن خالد
فقلت شراء قال لا ابل وراثة ❁ توارثنى من والد بعد والد

ومما قيل فى يحيى يحفظ عن والده خالد النهنية بعد ثلاث استخفاف بالمودة **ومما**

تبدي جعفر من المدح قول الشاعر

تروم الملوك نداجعفر ۔ ولا يصنعون كما يصنع
وليس باوسعهم في الغنى ۔ ولكن معروفه اوسع

وخمدت نار فارس اعم ايقاد خدامها لها اى كتب لصاحب فارس ان بيوت النيران خمدت تلك الليلة ولم تخمد قبل ذلك بالف عام وغاضت اى غارت بحيرة ساوة اى بحيث صارت يابسة كان لم يكن بها شئ من الماء مع شدة اتساعها اى كتب له بذلك عامله بالبمن ولاهذا يشير صاحب الاصل بقوله

لمولده ايوان كسرى تشققت ۔ مبانيه وانحطت عليه شئونه
لمولده خرت علا شرفاته ۔ فلا شرف للفرس يبقى حصينه
لمولده نيران فارس اخمدت ۔ فنورهم اخماده كان حينه
لمولده غاضت بحيرة ساوة ۔ واعقب ذاك المدحرذ يشينه
كان لم يكن بالامس ريا لناهل ۔ ووردا لعين المستهام معينه

والى ذلك يشير صاحب الهمزية بقوله

وتداعى ايوان كسرى ولولا ۔ اية منك ما تداعى البناء
وغدا كل بيت نار وفيه ۔ كربة من خمودها وبلاء
وعيون للفرس غارت فهل كا ۔ ن لنيرانهم بها اطفاء

اى ومن العجائب التي ظهرت ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم تهادم ايوان كسرى انوشروان الذى كان يجلس فيه مع ارباب مملكته وكان من اعاجيب الدنيا سعة وبناء ولحكاما ولولا وجود علة منتصا دره عنك الى الوجود ما تهادم هذا البناء العجيب لاحكام ومن ذلك ايضا انه صار تلك الليلة كل واحد من بيوت نار فارس التي كانوا يعبدونها خامدة نيرانه والحال ان في ذلك البيت غما وبلاء عظيما من اجل سكون لهب تلك النيران التي كانوا يعبدونها في وقت واحد ومن ذلك ايضا غورما عيون الفرس في الارض حتى لم يبق منها قطرة وحينئذ يستفهم توبيخا وتعريضا لهم فيقال هل تلك المياه التي غارت كان بها اطفا لتلك النيران ويقال في جوابه لابد اطفاؤها انما هو لوجود هذا النبي صلى الله عليه وسلم ورأى الموبذان اى القاضي الكبير وفي كلام ابن المحدث هو خادم النار الكبير ورئيس حكمائهم وعنه ياخذون مسائل شرايعهم رأى في نومه ابلا صعابا تقود خيلا عرابا اى وهي خلافا للبراذين قد قطعت دجلة اى وهي نهر بغداد وانتشرت في بلادها اى والابل كناية عن الناس ورأى كسرى ما هاله وافزعه اى والذى هو ارتجاس الايوان وسقوط شرافاته

فلما اصبح تصبرا اى لم يظهر الانزعاج لهذا الامر الذى رآه تشجعا ثم رأى انه لا يدخر ذلك اى هذا الامر الذى هاله وافزعه عن مرازبته بضم الزاى اى فرسانه وشجعانه فجمعهم ولبس تاجه وجلس على سريره ثم بعث اليهم فلما اجتمعوا عنده قال تدرون فيم بعثت اليكم قالوا لا الا ان يخبرنا الملك فبينماهم كذلك اذ ورد عليه كتاب بخمود النيران اى وورد عليه كتاب من صاحب ايليا يخبره ان بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة وورد عليه كتاب صاحب الشام يخبره ان وادى السماوة انقطع تلك الليلة وورد عليه كتاب صاحب طبرية يخبره ان الماء لم يجر في بحيرة طبرية فازداد غما الى غمه ثم اخبرهم بما رآه وما هاله اى وهو ارتجاس الايوان وسقوط شرافاته فقال الموبذان فانا اصلح الله الملك قد رايت في هذه الليلة رؤيا ثم قص عليه رؤياه في الابل فقال اى شئ هذا يا موبذان قال حدث يكون في ناحية العرب فابعث الى عاملك بالحيرة يوجه اليك رجلا من علمائهم فانهم اصحاب علم بالحدثان فكتب كسرى عند ذلك من كسرى ملك الملوك الى النعمان بن المنذر اما بعد فوجه الى برجل عالم بما اريد ان اسأله عنه فوجه اليه بعبد المسيح الغساني اى وهو معدود من المعمرين عاش مائة وخمسين سنة فلما ورد عليه قال الك علم بما اريد ان اسالك عنه قال ليسالني الملك عما احب فان كان عندى علم منه والا اخبرته بمن يعلمه فاخبره بالذى وجه اليه فيه قال علم ذلك عند خالى يسكن مشارف الشام بالغا اى اعاليها اى وهى الجابية المدينة المعروفة يقال له سطيح قال فاته فاساله عما سالتك عنه ثم ائتنى بتفسيره فخرج عبد المسيح حتى انتهى الى سطيح وقد اشفى اى اشرف على الضريح اى الموت اى احتضر اى وعمره اذ ذاك ثلثمائة سنة وقيل سبعمائة سنة اى ولم يذكره ابن الجوزى في المعمرين ~ وكان جسدا ملقى لا جوارح له وكان لا يقدر على الجلوس الا اذا غضب فانه ينتفخ فيجلس وكان وجهه في صدره ولم يكن له رأس ولا عنق وفي كلام غير واحد لم يكن له عظم سوى راسه وفي لفظ ليس له عظم ولا عصب الا الجمجمة والكفين ولم يتحرك منه الا اللسان قيل لكونه مخلوقا من ماء امراة لان ماء الرجل يكون منه العظم والعصب اى كما جاء عنه صلى الله عليه وسلم من قوله نطفة الرجل يخلق منها العظم والعصب ونطفة المرأة يخلق منها اللحم والدم قال ذلك لما سأله اليهود فقالوا له مم يخلق الولد فلما قال لهم ما ذكر قالوا هكذا كان يقول من قبلك من الانبياء وفيه ان عيسى عليه الصلاة والسلام على تسليم انه خلق من نطفة وهي نطفة امه كان فيه العظم والعصب فقد قيل تمثل لها الملك في صفة شاب امرد حتى انحدرت شهوتها الى اقصى رحمها ~

وقيل لم يخلق من نطفة اصلا وقد صرح بالاول الشيخ محيي الدين بن العربي حيث قال ٩٢
انكر الطبيعيون وجود ولد من ماء احد الزوجين وذلك مردود عليهم بعيسى عليه
الصلاة والسلام فانه خلق من ماء امه فقط وذلك ان الملك لما تمثل لها بشرا
سويا لشدة اللذة بالنظر اليه فنزل الماء منها الى الرحم فيكون عيسى عليه الصلاة
والسلام من ذلك الماء المتولد عن النفخ الموجب للذة منها فهو من ماء امه فقط
هذا كلامه وكون سطيح كان وجهه في صدره لم يختص سطيح بهذا الوصف **فقد رايت**
ان عمرانا الادعار انما قيل له ذلك لانه سبى امة وجوههن في صدورها فذعرت
الناس منهم وعمرو هذا كان في زمن سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ٩٣
وقيل قبله بقليل وملكت بعده بلقيس قيل بعد قتلها له وكان لسطيح سرير من الجريد
والخوص اذا اريد نقله الى مكان يطوى من رجليه الى ترقوته وفي لفظ الى جمجمته
كما يطوى الثوب فيوضع على ذلك السرير فيذهب الى حيث يشاء واذا اريد استخباره
ليخبر عن المغيبات يحرك كما يحرك وطب المخيض اي سقاء اللبن الذي يمخض ليخرج زبده
فينتفخ ويمتلي ويعلوه النفس فخر فيخبر عما يسال وكانت جمجمته اذا لمست
اثر اللمس فيها للينها **وقيل** وهو اول كاهن كان في العرب وهذا يدل على انه
سابق على شق وقد تقدم في حفر زمزم ان الكاهنة التي ذهب اليها عبد
المطلب وقريش ليحاكموا عندها تفلت في فم سطيح وفم شق وذكرت ان سطيحا
يخلفها ومن ثم قال بعضهم لم يكن احد اشرف في الكهانة ولا اعلم بها ولا ابعد
فيها صيتا من سطيح وكان في غسان **وذكر** بعضهم ان سطيحا كان في زمن
نزار بن معد بن عدنان وهو الذي قسم الميراث بين بني نزار وهم مضر واخوته
وهو يؤيد ما تقدم من انه عمر سبعمائة سنة ثم شق وعبد المسيح كانوا رؤوس الكهنة
واهل العلم الغامض منهم بالكهانة اي والا فمنهم اي من اهل العلم الغامض
مسيلمة الكذاب في بني حنيفة وسجاح كانت في بني تميم وسجاح اخرى كانت
في بني سعد والكهانة هي الاخبار عن الغيب والكهانة من خواص النفس الانسانية
لان لها استعداد الانسلاخ من البشرية الى الروحانية التي فوقها **فسلم** عبد
المسيح على سطيح وكلمه ثم يرد عليه سطيح جوابا فانشا عبد المسيح يقول اصم ام يسمع
غطريف اليمن اي سيدهم الى اخر ابيات ذكرها **فلما** سمع سطيح جوابا فانشاء
عبد المسيح شعره عبد المسيح رفع راسه **اقول** قد يقال لا منافاة بين اثبات
الراس هنا ونفيه في قوله ولم يكن له راس لانه يجوز ان يكون المراد المثبت الوجه
لكن قد تقدم انه لم يكن له عظم سوى في راسه او الا جمجمته ففي ذلك اثبات الراس

وقد يقال لما كانت راسه وتلك الجمجمة يؤثر فيهما اللمس له ونفيه عنه والله اعلم **وعنه**
رفع راسه قال عبد المسيح على جمل مشيح اي سريع الى سطيح وقد وافى على الضريح اي
القبر والمراد به الموت كما تقدم بعثك ملك بني ساسان ٭ لارتجاس الايوان ٭
وخمود النيران ٭ ورؤيا الموبذان ٭ راى ابلا صعابا ٭ تقود خيلا عرابا ٭ **فقد**
قطعت دجلة وانتشرت في بلادها يا عبد المسيح اذا كثرت التلاوة اي تلاوة
القران وظهر صاحب الهراوة ٭ وغاضت بحيرة ساوة ٭ وخمدت نار فارس ٭
فليست بابل للفرس مقاما ٭ ولا الشام لسطيح شاما ٭ يملك منهم ملوك ٭
وملكات ٭ على عدد الشرفات ٭ وكل ما هو ات ٭ ثم قضى سطيح مكانه اي مات من
ساعته والهراوة بكسر الهاء هي العصا الضخمة اي وهو النبي صلى الله عليه وسلم لانه
كان يمسك العصا كثيرا عند مشيه وكان يمشي بالعصا بين يديه وتغرز له
فيصلي اليها التي هي العنزة **وفي** الحديث حمل العصا علامة المؤمن وسنة الانبيا
وفي الحديث من بلغ اربعين سنة ولم ياخذ العصا عد لاي عدم اخذ العصا من
الكبر والعجب **وقد** يقال المراد بسطيح بالعصا من العنزة التي تغرز فيصلي اليها
في غير المسجد لانه لم يحفظ ان ذلك كان لمن قبله من الانبياء **وذكر** الطبري ان ابرويز
ابن هرمز جاءه له جاء في المنام فقيل له سلم ما في يدك الى صاحب الهراوة فلم يزل مذعورا
من ذلك حتى كتب اليه النعمان بظهور النبي صلى الله عليه وسلم بتهامة فعلم ان الامر سيصير
اليه **وعند** موت سطيح نهض عبد المسيح الى راحلته وهو يقول شعرا منه ٭ ٭

٭ شمر فانك ماضي العزم تشمير ٭ ولا تفزعنك تفريق وتغيير ٭ ٭
٭ والناس اولاد علات فمن علموا ٭ ان قد اقل فمحقور ومهجور ٭ ٭
٭ وهم بنو الام اما ان راوا نشبا ٭ فذاك بالغيب محفوظ ومنصور ٭ ٭
٭ والخير والشر مقرونان في قرن ٭ فالخير متبع والشر محذور ٭ ٭

فلما قدم عبد المسيح على كسرى واخبره بما قال سطيح فقال كسرى الى ان يملك
منا اربعة عشر ملكا كانت امور وامور فملك منهم عشرة في اربع سنين وملك
الباقون الى خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه اي فبعد ذكر اخر من هلك منهم كان
في اول خلافة عثمان اي وكانت مدة ملكهم ثلاثة الاف سنة ومائة سنة واربعا
وستين سنة **ومن** ملوك بني ساسان سابور ذو الاكتاف قيل له ذلك لانه كان
يخلع اكتاف من ظفر به من العرب ولما جا لمنازل بني تميم وجدهم فروا منه ومن
جيشه ووجد بها عمير بن تميم وهو ابن ثلثمائة سنة وكان معلقا في قفة لعدم
قدرته على الجلوس فاخذ وجيء به اليه فاستنطقه فوجد عنده ادبا ومعرفة

فقال للملك ايها الملك لم تفعل فعلك هذا بالعرب فقال يزعمون ان ملكنا يصير
اليهم على يد نبي يبعث في اخر الزمان فقال له عمير فابن حكم الملوك وعقلهم ان يكن
هذا الامر باطلا فلا يضرك وان يكن حقا الفوك ولم تتخذ عندهم يدا يكافونك
عليها ويعظمونك بها في دولتك فانصرف سابور وترك تعرضه للعرب واحسن
اليهم بعد ذلك **وقول** سطيح يملك منهم ملوك وملكات لم اقف على انه ملك
منهم من النسا الا واحدة وهي بوران ولما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك قال لا يفلح
قوم ملكتهم امراة فملكت سنة ثم هلكت **وذكر** ابن اسحق ان امه صلى الله
عليه وسلم لما ولدته ارسلت خلف جده عبد المطلب انه قد ولد لك غلام فانظر اليه
فاتاه ونظر اليه وحدثته بما رات فاخذه عبد المطلب ودخل به الكعبة اي وقام
يدعو الله اي واهله يومنون ويشكر له ما اعطاه ثم خرج به الى امه فدفعه
اليها وقد تقدم الوعد بذلك وتقدم ما فيه **قال** وتكلم صلى الله عليه وسلم في المهد
في اوايل ولادته واول كلام تكلم به ان قال الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا انتهى **اقول**
وتقدم انه قال حين ولد جلال ربي الرفيع كما اورده السهيلي عن الواقدي وانه روي
انه تكلم حين خروجه من بطن امه فقال الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان
الله بكرة واصيلا ولا مانع من تكرر ذلك حين خروجه وحين وضعه في المهد وانه زاد
في المرة الثالثة وسبحان الله بكرة واصيلا وحينيذ يكون تكلمه صلى الله عليه وسلم
حين خروجه من بطن امه لم يشاركه فيه غيره من الانبيا الا الخليل والا نوحا عليهم
الصلاة والسلام كما سياتي بخلاف تكلمه في المهد على انه سياتي انه يجوز ان يكون المراد
بالتكلم في المهد التكلم في عنفوان الكلام ويقال انه قال ذلك عند فطامه وتقدم
انه قال الحمد لله لما عطس على الاحتمال الذي ابداه بعضهم كما تقدم بما فيه ولا مانع من
وجود هذه الامور الثلاثة التي هي جلال ربي الرفيع والله اكبر كبيرا والحمد لله
كثيرا حين ولادته وعلم ترتيبها يحتاج الى نقل وحينيذ تكون الاولية الواقعة في بعض
ذلك اما حقيقية او اضافية **وقدمنا** الاولية في قوله جلال ربي الرفيع بالنسبة لقوله
الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا اضافية والله اعلم قد وقد تكلم جماعة في المهد
نظم الجلال السيوطي رحمه الله تعالى في قوله

تكلم في المهد النبي محمد ۝ ويحيى وعيسى والخليل ومريم
ومبري جريج ثم شاهد يوسف ۝ وطفل لدى الاخدود يرويه مسلم
وطفل عليه مر بالامة التي ۝ يقال لها تزني ولا تتكلم
وماشطة في عهد فرعون طفلها ۝ وفي زمن الهادي المبارك يختم

انتهى

انتهى **قال** بعضهم لكن هو صلى الله عليه وسلم حصر من تكلم في المهد في ثلاثة ولم
يذكر نفسه اي **فقد** روي عن ابي هريرة مرفوعا لم يتكلم في المهد الا ثلاثة عيسى
وصاحب جريج وابن المراة التي مر عليها بامراة يقال انها زنت **وقد** يقال هذا الحصر
اضافي اي ثلاثة من بني اسرايل او ان ذلك كان قبل ان يعلم بما زاد **وذكر**
ان عيسى عليه السلام تكلم في المهد وهو ابن ليلة وقيل وهو ابن اربعين يوما اشار
بسبابته وقال بصوت رفيع اني عبد الله اي لما مر بنو اسرايل على مريم وهي حاملة
له وانكروا عليها ذلك واشارت اليهم ان كلموه وتضربوا بايديهم على وجوههم
تعجبا وقالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال لهم ما قصه الله سبحانه وتعالى دته
ثم رايت في الكلام على قصة الاسرا والمعراج ذكرت ذلك وان عيسى تكلم يوم ولد
قال لابن خال امه يوسف النجار وقد خرج في طلب امه وقد خرجت لما اخذها ما ياخذ
النسا من الطلق عند الولادة خارج بيت المقدس وجلست تحت نخلة يابسة فاخضرت
النخلة من ساعتها وتدلت عراجينها وجرت من تحتها عين ما ووضعته تحتها ابشر
يا يوسف وطب نفسا وقر عينا فقد اخرجني ربي من ظلمة الارحام الى ضو الدنيا
وسات بني اسرايل وادعوهم الى طاعة الله فانصرف يوسف الى زكريا واخبره بولادة
مريم وقول ولدها **وفي** النطق المفهوم ان عيسى كلم يوسف المذكور وهو في بطن امه
فقد قيل انه اول من علم بحمل مريم فقال لها مقرعا لها يا مريم هل انبتت الارض زرعا
من غير بذر وهل يكون ولد من غير فحل فقال له عيسى وهو في بطن امه قم فانطلق الى
صلاتك واستغفر الله مما وقع في قلبك **وعن** ابي هريرة رضي الله عنه ان عيسى عليه
السلام تكلم في المهد ثلاث مرات ثم لم يتكلم حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها الصبيان
عادة اي ولعل المرة الثالثة هي التي حمد الله فيها بحمد لم تسمع الاذان مثله فقال
اللهم انت القريب في علوك المتعالي في دنوك الرفيع على كل شي من خلقك حارت
الابصار دون النظر اليك **ومبري** جريج تكلم كذلك اي تكلم في بطن امه قيل له
من ابوك فقال الراعي عبد بني فلان وتكلم بعد خروجه من بطن امه فقد تكلم
مرتين مرة في بطن امه ومرة وهو طفل كذا في النطق المفهوم ولم اقف على
وقت كلامه ولا على ما تكلم به حينيذ **واما** يحيى عليه السلام فتكلم وهو ابن ثلاث
سنين قال لعيسى اشهد انك عبد الله ورسوله **والخليل** عليه الصلاة والسلام
تكلم في وقت ولادته وسياتي ما تكلم به **وفي** كونه ابن ثلاث سنين وكون من تكلم
وقت ولادته يكون في المهد نظر الا ان يكون المراد بالتكلم في المهد في عنفوان الكلام
ولم اقف على سن من تكلم في المهد حين تكلم غير من ذكر وغير الطفل الذي لدى

الاخدود فانه لما جئ بامه لتلقى فى نار الاخدود لتكفر وهو معها فتقاعست قال لها يا امه اصبرى فانك على الحق قال ابن قتيبة كان سنة سبعة اشهر وفى المنطق المفهوم ان شاهد يوسف الصديق كان عمره شهرين وكان ابن داية زليخا وفى الخصايص الصغرى وخص بكلام الصبيان فى المراضع وشهادتهم له بالنبوة ذكر ذلك البدر الدماميني هذا كلامه وفيه نظر لانه لم يشهد له بالنبوة من هولاء الا مبارك اليمامة كما تقدم وقفت عليه ورايت فى الاجوبة المسكتة لابن عون ان اليهود قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم الست لم تزل نبيا قال نعم قالوا فلم لم تنطق فى المهد كما نطق عيسى قال ان الله خلق عيسى من غير فحل فلولا انه نطق فى المهد لما كان لمريم عذر واخذت بما يوخذ به مثلها وانا ولدت بين ابوين هذا كلامه وهو مخالف ما تقدم من انه صلى الله عليه وسلم تكلم فى المهد الا ان يقال مرادهم لم تنطق فى المهد بمثل الذى نطق به عيسى او ان ذلك منه صلى الله عليه وسلم ارخا للعنان مليا ثم ثم رايت ان ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام لما سقط على الارض استوى قايما على قدميه وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد الحمد لله الذى هدانا لهذا قال فى المنطق المفهوم ولد بالغار الذى ولد به نوح وادريس عليهما الصلاة والسلام ويقال لها الغار فى التوراة غار النور ويضم لهولاء ما ذكره الشيخ محيى الدين بن العربى قال قلت بعنتى زينب مرة وهى فى سن الرضاع قريبا عمرها من سنة ما تقولين فى الرجل يجامع حليلته فلم ينزل فقالت يجب عليه الغسل فتعجب الحاضرون من ذلك ثم انى فارقت تلك البنت وغبت عنها سنة فى مكة وكنت اذنت لوالدتها فى الحج فجاءت مع الحج الشامى فلما خرجت لملاقاتها رأتنى من فوق الجمل وهى ترضع فقالت بصوت فصيح قبل ان ترانى امها هذا ابى وضحكت وارمت نفسها الى قال وقد رايت اى علمت من اجاب امه بالتشميت وهو فى بطنها حين عطست وسمع الحاضرون كلهم صوته من جوفها شهد عندى الثقات بذلك قال وهذا واحد يخصه الله بعلمه وهو فى بطن امه ولا يحجبك قوله تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا لانه لا يلزم من العالم حصول مع علمه دايما وفى المنطق المفهوم ان يوسف صلوات الله وسلامه عليه تكلم فى بطن امه فقال انا من المفقود والمغيب عن وجه ابى زمانا طويلا فاخبرت امه والده فقال لها اكتمى امرك وفيه ان نوحا عليه الصلاة والسلام تكلم عقب ولادته فان امه ولدته فى غار خوفا على نفسها وعليه فلما وضعته وارادت الانصراف قالت وانوحاه فقال لها لا تخافى احدا على يا اماه فان الذى خلقنى يحفظنى وفيه ان ام موسى

لما وضعت موسى عليه الصلاة والسلام استوى قاعدا وقال يا اماه لا تخافى اى من فرعون ان الله معنا ومبارك اليمامة قال بعض الصحابة دخلت دارا بمكة فرايت فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعت منه عجبا جاءه رجل بصبى يوم ولد وقد لفه فى خرقة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم يا غلام من انا قال الغلام بلسان طلق انت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم بشئ فكنا نسميه مبارك اليمامة وكانت هذه القضية فى حجة الوداع وكان صلى الله عليه وسلم يناغى القمر وهو فى مهده اى يحدثه يقال ناغت المراة الصبى اذا كلمته بما يسره ويعجبه وعد ذلك من خصايصه صلى الله عليه وسلم ففى حديث فيه مجهول وقيل فيه انه غريب المتن والاسناد عن عمه العباس رضى الله عنه انه قال يا رسول الله دعانى الى الدخول فى دينك اشارة اى علامة لنبوتك رايتك فى المهد تناغى القمر اى تحدثه فتشير اليه باصبعك فحيث ما اشرت اليه مال قال كنت احدثه ويحدثنى ويلهينى عن البكا واسمع وجبته سقطته حين يسجد تحت العرش اى قلم اقف على سنده صلى الله عليه وسلم حين ذلك وكان مهده صلى الله عليه وسلم يتحرك بتحريك الملايكة وعد ابن سبع من خصايصه صلى الله عليه وسلم

باب تسميته صلى الله عليه وسلم محمدا واحمد

لا يخفى ان جميع اسمايه الشريفة مشتقة من صفات قامت به توجب له المدح والكمال فله من كل صفة اسم قال وكما ان لله عز وجل الف اسم للنبى صلى الله عليه وسلم الف اسم عن ابى جعفر محمد بن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه وعن الباقر بقرا لعلم اتقنه قال امرت امنة اى فى المنام وهى حامل برسول الله صلى الله عليه وسلم ان تسميه احمد وعن ابن اسحاق ان تسميه محمدا وقد تقدم قال والثانى هو المشهور فى الروايات اى وعلى الاول اقتصر الحافظ الدمياطى والحسنى له بمحمد جده عبد المطلب فعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما اى يوم سابع ولادته جده بكبش وسماه محمدا فقيل له يا ابا الحارث ما حملك على ان تسميه محمدا ولم تسمه باسم ابايه وفى لفظ وليس من اسماء ابايك ولا قومك قال اردت ان يحمده الله فى السما ويحمده الناس فى الارض انتهى اقول وهذا هو الموافق لما اشتهر ان جده سماه محمدا بالهام من الله تعالى تفاولا بان يكثر حمد الخلق له لكثرة خصاله الحميدة التى يحمد عليها ولذلك كان ابلغ من محمود ولذلك بشير صاحب حسان رضى الله تعالى عنه بقوله

فشق له من اسمه ليجله ◦ فذو العرش محمود وهذا محمد

وهذا الالهام لاينافي ان تكون امه قالت له انها امرت ان تسميه بذلك وقد
حقق الله رجاءه صلى الله عليه وسلم تكاملت فيه الخصال المحمودة والخلال
المحبوبة فتكاملت له المحبة من الخالق والخليقة فظهر معنى اسمه على
الحقيقة وفي الخصائص الصغرى وخص باشتقاق اسمه من اسم الله تعالى
وبانه صلى الله عليه وسلم سمي احمد ولم يسم به احد قبله ولافادة الكثرة في
معناه لانه لا يقال الا لمن حمد المرة بعد المرة لا يوجد فيهم من المحاسن والمناقب
ادعى بعضهم انه من صيغ المبالغة اي الصيغ المفيدة بالمعنى المذكور استعمالا
ووضعا لان الصيغ الموضوعة لافادة مخصوصة في الصيغ الخمسة وليس هذا
منها وهذا السياق يدل على ان تسميته صلى الله عليه وسلم بذلك كانت في
يوم العقيقة وان العقيقة كانت في يوم السابع من ولادته وتقدم وُلد الليلة
لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمدا وهو يدل على ان تسميته صلى الله
عليه وسلم بذلك كانت في ليلة ولادته او يومها وقد يقال لا منافاة لانه يجوز
ان يكون قوله وسماه محمدا الظهر لتسميته بذلك لعموم الناس وهذا التعليل
للتسمية بهذا الاسم يرشد الى ما قيل اقتضت الحكمة ان يكون بين الاسم
والمسمى تناسب في الحسن والقبح واللطافة والكثافة ومن ثم غير صلى الله
عليه وسلم الاسم القبيح بالحسن وهو كثير وربما غير الاسم الحسن بالقبيح للمعنى
المذكور كتسميته لابي الحكم بابي جهل وتسميته لابي عامر الراهب بالفاسق وجاء
انه صلى الله عليه وسلم قال لبعض اصحابه ادع لي انسانا يحلب ناقتي فجاءه بانسان
فقال له ما اسمك فقال حرب فقال اذهب فجاءه باخر فقال ما اسمك فقال
يعيش فقال احلبها ويروى انه صلى الله عليه وسلم طلب شخصا يحفر له بئرا
فجاءه رجل فقال له ما اسمك فقال مرة فقال اذهب وليس هذا من الطيرة التي
كرهها ونهى عنها وانما هو من كراهة الاسم القبيح ومن ثم كان يكتب لامرائه
اذا ابردتم لي بريدا فابردوه اي اذا ارسلتموا الي رسولا فارسلوه حسن الاسم
حسن الوجه ومن ثم لما قال له سيدنا عمر لما قال لمن اراد ان يحلب له ناقته او
يحفر له البير ما تقدم لا ادري اقول ام اسكت فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما تطيرت ولكن اثرت الاسم الحسن وللجلال السيوطي كتاب فيمن
غير صلى الله عليه وسلم اسمه فلم اقف عليه ورايت في كلام بعضهم ان حزن
ابن ابي وهب اسلم يوم الفتح وهو جد سعيد بن المسيب اراد النبي صلى الله عليه وسلم
تغيير اسمه وتسميته سهلا فامتنع وقال لا اغير اسما سمانيه ابواي قال سعيد

فلم تزل الحزونة فينا اعلم اي وفي حديث انه صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه بعد
ما جاءته النبوة قال الامام احمد هذا منكر اي حديث منكر والحديث المنكر
من اقسام الضعيف لا انه باطل كما قد يتوهم والحافظ السيوطي لم يتعرض
لذلك وجعله اصلا لعمل المولود قال لان العقيقة لا تعاد مرة ثانية فيحمل
ذلك على ان هذا الذي فعله النبي صلى الله عليه وسلم اظهار الشكر على ايجاد الله تعالى اياه
رحمة للعالمين وتشريعا لامته كما كان يصلي على نفسه كذلك قال فيستحب
لنا اظهار الشكر بمولده صلى الله عليه وسلم هذا كلامه ويروى ان عبد المطلب
انما سماه محمدا لرؤيا راها اي في منامه رأى كان سلسلة خرجت من ظهره لها
طرف في السما وطرف في الارض وطرف في المشرق وطرف في المغرب ثم عادت كانها
شجرة على كل ورقة منها نور واذا اهل المشرق واهل المغرب يتعلقون بها
فقصها فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه اهل المشرق والمغرب ويحمده
اهل السما واهل الارض فلذا سماه محمدا اي مع ما حدثته به امه بما رأته على ما تقدم
وعن ابي نعيم عن عبد المطلب قال بينما انا نايم في الحجر اذ رأيت رؤيا هالتني ففزعت
منها فزعا شديدا فاتيت كاهنة قريش فلما نظرت الي عرفت في وجهي التغير فقالت ما بال
سيدنا قد اتى متغير اللون هل رابه من حدثان الدهر شيء فقلت لها بلى فقلت
اني رايت الليلة وانا نايم في الحجر كان شجرة نبتت قد نال راسها السما وضربت
باغصانها المشرق والمغرب وما رايت نورا ازهر منها ورايت العرب والعجم لها
ساجدين لها وهي تزداد كل ساعة عظما ونورا وازهارا ورايت رهطا من قريش
قد تعلقوا باغصانها ورايت قوما من قريش يريدون قطعها فاذا دنوا منها
اخرهم شاب لم ار قط احسن منه وجها ولا اطيب منه ريحا فيكسر ظهورهم ويقلع
اعينهم فرفعت يدي لاتناول منها نصيبا فلم انله فانتبهت مذعورا فزعا فرايت
وجه الكاهنة قد تغير ثم قالت لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك رجل
يملك المشرق والمغرب وتدين له الناس وعند ذلك قال عبد المطلب لابنه
ابي طالب لعلك ان تكون هذا المولود فكان ابو طالب يحدث بهذا الحديث بعد ما ولد
صلى الله عليه وسلم ويقول كانت الشجرة هي محمد وفي الامتاع لما مات قثم بن عبد
المطلب قبل مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين وهو ابن تسع
سنين وجد عليه وجدا شديدا فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم سماه قثم
حتى اخبرته امه امنة انها امرت في منامها ان تسميه محمدا فسماه محمدا اي ولا مخالفة
بين هذه الروايات على تقدير صحتها كما لا يخفى لانه يجوز ان يكون نسي تلك

الرؤية ثم تذكرها ويكون معنى سؤاله بما حملك على ان سميته محمدا وليس من
اسما قومك اى لم استقر امرك على تسميته محمدا وذكر بعضهم انه لا نعرف
يعرف فى العرب من تسمى بهذا الاسم يعنى محمدا قبله الا ثلاثة طمع اباؤهم حين وفدوا
على بعض الملوك وكان عنده علم من الكتاب الاول واخبرهم بمبعث النبى صلى
الله عليه وسلم اى بالحجاز وبقرب زمنه وباسمه المذكور الذى هو محمد وهو يدل على
ان اسمه فى بعض الكتب القديمة محمد وكان كل واحد منهم قد خلف زوجته حاملا
فنذر كل واحد منهم ان ولد له ولد ذكر ان يسميه محمدا ففعلوا ذلك وفى
الشفا ان هذين الاسمين محمد واحمد من بدائع اياته اى المصطفى وعجائب خصائصه
ان الله تعالى حماهما عن ان يسمى بهما احد قبل زمانه اى قبل شيوع وجوده اما
احمد الذى اتى فى الكتب القديمة وبشرت به الانبيا فمنع الله تعالى بحكمته ان يتسمى
به احد غيره ولا يدعى به مدعو قبله منذ خلقت الدنيا وفى حياته زاد الزين العراقى
ولا فى زمن اصحابه حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب او شك اى فالتسمية
به من خصائصه صلى الله عليه وسلم على جميع الناس ممن تقدم خلافا لما يوهمه
كلام الجلال السيوطى فى الخصائص الصغرى انه من خصائصه على الانبياء
فقط ومن ثم ذهب بعضهم الى افضليته على محمد وقال الصلاح الصفدى
ان احمد ابلغ من محمد كما ان احمر واصفر ابلغ من محمر ومصفر ولعله لكونه منقولا عن
افعل التفضيل لانه صلى الله عليه وسلم احمد الحامدين لرب العالمين لانه يفتح
عليه فى المقام المحمود بمحامد لم تفتح على احد قبله وفى الهدى لو كان اسمه احمد
باعتبار حمده لربه لكان الاولى ان يسمى الحماد كما سميت بذلك امته وانما هو الذى يحمده
اهل السما والارض لكثرة خصائله المحمودة التى تزيد على عد العادين واحصا
المحصين اى احق الناس واولاهم بان يحمد فهو كمحمد فى المعنى فهو ماخوذ من الفعل
الواقع على المفعول لا الواقع من الفاعل وفى الفرق بين محمد واحمد ان محمدا من كثر
حمد الناس له واحمد من يكون حمد الناس له افضل من حمد غيره وسيأتى عن الشفا
انه احمد المحمودين واحمد الحامدين فيجوز ان يكون احمد ماخوذا من الفعل الواقع
على المفعول كما يجوز ان يكون ماخوذا من الفعل الواقع من الفاعل وفى كلام
السهيلى ثم انه لم يكن محمدا حتى كان احمد فاحمد ذكر قبل ان يذكر بمحمد لان حمده لربه
كان قبل حمد الناس له واطال فى بيان ذلك وفى كلام بعض فقهائنا معاشر
الشافعية وافضلها فلذلك لا يكفى الاتيان به فى التشهد بدل محمد وقد جاء
احب الاسماء الى الله عبد الرحمن لاضافة العبد الى الله المختص به تعالى اتفاقا والرحمن

مختص به على الاصح ومن ثم سمى نبينا فى القران بعبد الله فى قوله تعالى وانه
لما قام عبد الله يدعوه وعلى ما ذكر هنا يكون عبد الرحمن المذكور فى القران فى قوله
تعالى وعباد الرحمن احمد ثم محمد اى وبعدهما ابراهيم خلافا لمن جعله بعد عبد الرحمن
وذكر بعضهم ان من تسمى باحمد بعد نبينا ولد لجعفر بن ابى طالب وعليه
يشكل ما تقدم عن الزين العراقى وقيل والد الخليل اى ولعل المراد به الخليل بن
احمد صاحب العروض ثم رايت الزين العراقى صرح بذلك حيث قال واول من سمى
فى الاسلام باحمد والد الخليل بن احمد العروضى ويشكل على ذلك وعلى قولهم ابنهم
به احد من زمن الصحابة تسميته ولد جعفر بن ابى طالب بذلك الا ان يقال لم
يصح ذلك عند العراقى وهو خامس خمسة كل يسمى الخليل بن احمد وزاد بعضهم سادسا
وكذلك محمد ايضا لم يتسم به احد قبل وجوده صلى الله عليه وسلم وميلاده الا بعد ان
شاع ان نبيا يبعث اسمه محمد اى بالحجاز وقرب زمنه فسمى قوم قليل من العرب
ابناءهم بذلك وحمى الله تعالى هولاء ان يدعى احد النبوة او يدعيها احد له او يظهر
عليه شئ من سماتها اى علاماتها حتى تحققت له صلى الله عليه وسلم وفى دعوى ان الذى
فى الكتب القديمة انما هو احمد يخالف ما سبق وما ياتى عن التوراة والانجيل اى فالمراد
بالكتب القديمة غالبها فلا ينافى ان بعضها اسمه محمد وفى بعضها الجمع بين محمد واحمد
قال بعضهم سمعت محمد بن عدى وقد قيل كيف سماك ابوك فى الجاهلية محمدا
قال سالت ابى عما سالتنى عنه قال خرجت رابع اربعة من بنى تميم نريد الشام
فنزلنا عند غدير عند دير فاشرف علينا الديرانى وقال ان هذه للغة قوم ما هى
لغة اهل هذه البلد فقلنا نحن قوم من مضر فقال من اى المضاير فقلنا من
خندف فقال ان الله سيبعث فيكم نبيا وشيكا اى سريعا فسارعوا اليه وخذوا
حظكم ترشدوا فانه خاتم النبيين فقلنا ما اسمه قال محمد ثم دخل ديره فوالله
ما بقى احدنا الا ذرع قوله فى قلبه فاضمر كل واحد منا ان رزق غلاما سماه محمدا
رغبة فيما قال اى فنذر كل واحد منا ذلك فلا يخالف ما سبق فلما انصرفنا ولد
لكل واحد منا غلام فسماه محمدا رجاء ان يكون احدهم هو والله اعلم حيث يجعل
رسالاته اقول يجوز ان يكون هولاء الاربعة منهم الثلاثة الذين وفدوا على بعض
الملوك وحينئذ تكرر لهم هذا القول من الملك ومن صاحب الدير واضمار ذلك
لا ينافى نذره المتقدم فالمراد باضماره نذره كما قدمناه ويجوز ان يكونوا غيرهم
فيكونوا سبعة وذكر ابن ظفر ان سفيان بن مجاشع نزل على حى من بنى تميم فوجدهم
مجتمعين على كاهنة وهى تقول العزيز من والاه والذليل من خالاه فقال لها سفيان

محقق

من تذكرين لله ابوك فقالت صاحب هدى وعلم وحرب وسلم فقال سفيان من هو لله ابوك فقالت نبي موبد قد آن حين يوجد ودنا اوان يولد يبعث للاحمر والاسود اسمه محمد فقال سفيان اعزبي ام اعجمي فقالت اما والسماء ذات العنان والشجر ذات الافنان انه لمن معد بن عدنان حسبك فقد اكثرت يا سفيان فامسك عن سوالها ومضى الى اهله وكان امراته حاملا فولدت له ولدا فسماه محمدا رجاء ان يكون هو النبي الموصوف والله اعلم وقد عد بعضهم ستة عشر ونظمهم فقال

ان الذين سموا باسم محمد ∗ من قبل خير الخلق ضعف ثمان

ابن البراء مجاشع بن ربيعة ∗ ثم ابن مسلم يحمدي حرمانى

ليثي السليمي وابن اسامة ∗ سعدي وابن سواة همدانى

وابن الجلاح مع الاسيدي يا فتى ∗ ثم الفقيمي هكذا الحمرانى

قال بعضهم وفاته آخران لم يذكرهما وهما محمد بن الحارث ومحمد بن عمرو بن مغفل بضم اوله وسكون المعجمة وكسر الفاء ثم لام ووقع النزاع الكثير والخلاف الشهير في اول من سمي بذلك الاسم منهم اقول وفي شرح الكفاية لابن القايم ويمكن ان يكون من زاد على الابيات الاربعة او السبعة سمع ذلك من بعضهم فاقتدى به في ذلك طمعا فيما طمع فيه ومثل ذلك وقع لبني اسرايل فان يوسف صلوات الله وسلامه عليه لما حضرته الوفاة اعلم بني اسرايل بحضور اجله وكان اول انبيائهم فقالوا له يا نبي الله انا نحب ان تعلمنا ما يؤول اليه امرنا بعد خروجك من بين اظهرنا في امر ديننا فقال لهم ان اموركم لم تزل مستقيمة حتى يظهر عليكم رجل جبار من القبط يدعي الربوبية يذبح ابناكم ويستحيي نساكم ثم يخرج من بني اسرايل رجل اسمه موسى بن عمران فينجيكم الله به من ايدي القبط فجعل كل واحد من بني اسرايل اذا جاء له ولد يسميه عمران رجاء ان يكون ذلك النبي منه ولا يخفى ان بين عمران ابي موسى وعمران ابي مريم ام عيسى وهو آخر انبياء بني اسرايل الف وثمانماية سنة والله اعلم والذي ادرك الاسلام ممن تسمى باسمه عليه الصلاة والسلام محمد بن ربيعة ومحمد ابن الحارث ومحمد بن مسلمة وادعى بعضهم ان محمد بن مسلمة ولد بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم باكثر من خمسة عشر سنة اي وقد ذكر ابن الجوزي ان اول من تسمى في الاسلام بمحمد محمد بن حاطب وعن ابن عباس اسمي في القرآن اي كالتوراة محمد وفي الانجيل احمد واما فضل التسمية بهذا الاسم اعني محمدا فقد جا في احاديث كثيرة واخبار شهيرة اي منها انه صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى وعزتي وجلالي لا اعذب احدا تسمى باسمك في النار اي باسمك المشهور وهو محمد او احمد ومنها ما من مايدة

وضعت تحضر عليها من اسمه احمد او محمد اي وفي رواية فيها اسمي الا قدس الله ذلك المنزل كل يوم مرتين ومنها قال يوقف عبدان اي اسم احدهما احمد والآخر محمد بين يدي الله تعالى فيؤمر بهما الى الجنة فيقولان ربنا بما استاهلنا الجنة ولم نعمل عملا تجازينا به الجنة فيقول الله تعالى ادخلا الجنة فاني اليت على نفسي ان لا يدخل النار من اسمه احمد او محمد لكن قال بعضهم لم يصح في فضل التسمية بمحمد حديث وكلما ورد فيه فهو موضوع قال بعض الحفاظ واصحها اي اقربها للصحة من ولد له مولود فسماه محمد احبا لي وتبركا باسمي كان هو ومولوده في الجنة وعن ابي رافع عن ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سميتموه محمدا فلا تقبحوه ولا تحرموه وفي رواية طعن فيها بان بعض رواتها متهم بالوضع فلا تسبوه ولا تجبهوه ولا تنقصوه وشرفوه وعظموه واكرموه وبروا قسمه واوسعوا له في المجلس ولا تقبحوا له وجها بورك في محمد وفي بيت فيه محمد ومجلس فيه محمد وفي رواية تسمونه محمدا ثم تسبونه وفي رواية طعن فيها اما يستحي احدكم ان يقول يا محمد ثم يضربه وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من ولد له ثلاثة اولاد فلم يسم احدهم محمدا فقد جهل اي وفي رواية فهو من الجفا وفي اخرى فقد جفاني وذكر بعضهم انه لم يرد في الموضوع من اراد ان يكون حمل زوجته ذكرا فليضع يده على بطنها وليقل ان كان هذا الحمل ذكرا فقد سميته محمدا فانه يكون ذكرا وجا عن عطا قال ما سمي مولود في بطن امه محمدا الا كان ذكرا قال ابن الجوزي في الموضوعات وقد رفع هذا بعضهم ايضا وروي ما اجتمع قوم في مشورة فيهم رجل اسمه محمد لم يدخلوه في مشورتهم الا لم يبارك فيه اي الامر الذي اجتمعوا له وفي رواية فيهم رجل اسمه محمد او احمد فشاوروه الا خير لهم اي الا حصل لهم الخير فيما نشاوروا فيه وما كان اسم محمد في بيت الا جعل الله في ذلك البيت بركة واتهم راوي ذلك بانه مجروح وروى ما قعد قوم على طعام حلال فيهم رجل اسمه اسمي الا تضاعفت فيهم البركة اي اسمه المشهور وهو احمد او محمد كما تقدم وفي الشفا ان لله ملايكة سياحين في الارض عبادتهم اي بابا الموحدة كل دار فيها اسم محمد اي حراسة اهل كل دار فيها اسم محمد وقد ذكر الحافظ السيوطي ان هذا الحديث غير ثابت وعن الحسين ابن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنهما قال من كان له حمل فنوى ان يسميه محمدا حوله الله تعالى ذكرا وان كان انثى قال بعض رواة الحديث فنويت سبعة كلهم سميتهم محمدا وعنه صلى الله عليه وسلم من كان له ذو بطن فاجمع ان يسميه محمدا رزقه الله غلاما وشكت اليه صلى الله عليه وسلم امراة بانها لا يعيش لها ولد فقال لها اجعلي لله عليك ان تسميه اي الولد الذي ترزقيه محمدا ففعلت

ووضعت

فعاش ولدها وعن علي رضي الله عنه مرفوعا ليس احد من اهل الجنة الا يدعى
باسمه اي ولا يكنى الا آدم صلى الله عليه وسلم فانه يدعى ابا محمد تعظيما له وتوقيرا
للنبي صلى الله عليه وسلم اي لان العرب اذا اعظمت انسانا كنته ويكنى الانسان
باجل ولده قال الحافظ الدمياطي وفي رواية ليس احد اي من اهل الجنة يكنى الا آدم
فانه يكنى ابا محمد اي وفي معضل اذا كان يوم القيمة نادى مناد يا محمد قم فادخل
الجنة بغير حساب فيقوم كل من كان اسمه محمد يتوهم ان النداء له فكرامة محمد
لا يمنعون وفي الحلية لابي نعيم عن وهب بن منبه قال كان رجل عصى الله مائة
سنة اي في بني اسرائيل ثم مات فاخذوه والقوه في مزبلة فاوحى الله تعالى الى موسى
عليه الصلاة والسلام ان اخرجه فصل عليه قال يا رب ان بني اسرائيل شهدوا انه
عصاك مائة سنة فاوحى الله اليه هكذا الا انه كان كلما نشر التوراة ونظر الى
اسم محمد قبله ووضعه على عينيه فشكرت له ذلك وغفرت له وزوجته سبعين
حوراء ومن الفوائد انه جرت عادة كثير من الناس اذا سمعوا بذكر وصفه صلى
الله عليه وسلم ان يقوموا تعظيما له صلى الله عليه وسلم وهذا القيام بدعة لا اصل
لها اي ولكن هي بدعة حسنة لانه ليس كل بدعة مذمومة وقد قال سيدنا عمر رضي
الله تعالى عنه في اجتماع الناس لصلاة التراويح نعمت البدعة وقد قال العز بن
عبد السلام ان البدعة تعتريها الاحكام الخمسة وذكر من امثلة كل ما يطول ذكره
ولا ينافي ذلك قوله صلى الله عليه وسلم اياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة
وقوله صلى الله عليه وسلم من احدث في امرنا اي شرعنا ما ليس منه فهو رد عليه لان
هذا عام اريد به خاص فقد قال امامنا الشافعي قدس الله سره ما احدث وخالف
كتابا او سنة او اجماعا او اثرا فهو البدعة الضالة وما احدث من الخير ولم يخالف
شيئا من ذلك فهو البدعة المحمودة وقد وجد القيام عند ذكر اسمه صلى الله
عليه وسلم من عالم الامة ومقتدى الائمة دينا وورعا الامام تقي الدين السبكي وتابعه
على ذلك مشايخ الاسلام في عصره فقد حكى بعضهم ان الامام السبكي اجتمع
عنده جمع كثير من علماء عصره فانشد منشد قول الصرصري في مدحه صلى الله
عليه وسلم بقوله ه

قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب * على ورق من خط احسن من كتب
وان تنهض الاشراف عند سماعه * قياما صفوفا او جثيا على الركب

فعند ذلك قام الامام السبكي وجميع من بالمجلس فحصل انس كبير بذلك المجلس
ويكفي مثل ذلك في الاقتداء وقد قال ابن حجر الهيتمي والحاصل ان البدعة الحسنة

متفق

متفق على ندبها وعمل المولد واجتماع الناس له كذلك اي بدعة حسنة ومن ثم
قال الامام ابو شامة شيخ الامام النووي ومن احسن ما ابتدع في زماننا
ما يفعل كل عام في اليوم الموافق ليوم مولده صلى الله عليه وسلم من الصدقات
والمعروف واظهار الزينة والسرور فان ذلك مع ما فيه من الاحسان للفقراء
مشعر بمحبته صلى الله عليه وسلم وتعظيمه في قلب فاعل ذلك وشكر الله على ما من
به من ايجاد رسوله صلى الله عليه وسلم الذي ارسله رحمة للعالمين هذا كلامه
قال السخاوي لم يفعله احد من السلف في القرون الثلاثة وانما حدث بعد
ثم لا يزال اهل الاسلام من سائر الاقطار والمدن الكبار يعملون المولد ويتصدقون
في لياليه بانواع الصدقات ويعتنون بقراءة مولده الكريم ويظهر عليهم من بركاته
كل فضل عميم قال ابن الجوزي من خواصه انه امان في ذلك العام وبشرى عاجلة
بنيل البغية والمرام واول من احدثه من الملوك صاحب اربل وصنف له ابن دحية
كتابا في المولد سماه التنوير بمولد البشير النذير فاجازه بالف دينار وقد
استخرج له الحافظ ابن حجر اصلا من السنة وكذا الحافظ السيوطي ورد على الفاكهاني
المالكي في قوله ان عمل المولد بدعة مذمومة

باب ذكر رضاعه

صلى الله عليه وسلم وما اتصل به يقال انه صلى الله عليه وسلم ارتضع من ثمانية من
النساء وقيل من عشرة بزيادة خولة بنت المنذر وام ايمن عن برزة قالت اول من
ارضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثويبة اي بعد ارضاع امه له كما سياتي قال
وثويبة هي جارية عمه ابي لهب وقد اعتقها حين بشرته بولادته صلى الله عليه وسلم
اي فانها قالت له اشعرت ان آمنة ولدت ولدا وفي لفظ غلاما لاخيك عبد الله
فقال لها انت حرة فجوزي بتخفيف العذاب عنه يوم القيمة الاثنين بان يسقى ماء
في جهنم في تلك الليلة اي ليلة الاثنين في مثل النقرة التي بين السبابة والابهام
انتهى اي ان سبب تخفيف العذاب عنه يوم الاثنين ما يسقاه تلك الليلة
في تلك النقرة ويذكر ان بعض اهل ابي لهب اي وهو اخوه العباس رآه في النوم
في حال سيئة فعن العباس رضي الله عنه قال مكثت حولا بعد موت ابي لهب لا
اراه في نوم ثم رايته في شر حال فقال له ماذا لقيت فقال له ابو لهب لم اذق بعدكم
رخاء وفي لفظ فقال له بشر خيبة بفتح الخاء المعجمة وقيل بكسرها اي سوء الحال
غير اني سقيت في هذه واشار الى النقرة المذكورة بعتاقتي ثويبة ذكره
الحافظ الدمياطي والذي في المواهب وقد روي ابو لهب بعد موته في النوم فقيل
له ما حالك فقال في النار الا انه يخفف عني كل ليلة اثنين وامص من بين اصبعي

هاتين ماء وانشاد براس اصبعيه وان ذلك باعتاقى لثويبية عندما بشرتنى بولادة
النبى صلى الله عليه وسلم وبارضاعها له فليتامل وقيل انما اعتقها لما هاجر صلى الله
عليه وسلم الى المدينة اى فان خديجة كانت تكرمها وطلبت من ابى لهب ان تبتاعها
منه لتعتقها فابى ابو لهب فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة
اعتقها ابو لهب اقول قد يقال لا منافاة لجواز ان يكون لما اعتقها لم يظهر عتقها
واباء بيعها لكونها كانت معتوقة ثم اظهر عتقها بعد الهجرة والله اعلم وارضعته
له صلى الله عليه وسلم كان اياما قلائل قبل ان تقدم حليمة وكان بلبن ابن لها يقال
له مسروح هو بضم الميم وسين مهملة ساكنة ثم راء مضمومة ثم حاء مهملة كذا هو
فى النور وفى السيرة الشامية بفتح الميم وكانت قد ارضعت قبله اباسفيان
ابن عمه الحارث وفى كلام بعضهم كان تربا له صلى الله عليه وسلم وكان يشبهه
وكان يألفه الفا شديدا قبل النبوة فلما بعث صلى الله عليه وسلم عاداه وهجره
وهجا اصحابه فانه كان شاعرا مجيدا و يأتى اسلامه رضى الله تعالى عنه عند
توجهه صلى الله عليه وسلم لفتح مكة وارضعت ثويبة قبلهما عمه حمزة بن عبد
المطلب وكان اسن منه صلى الله عليه وسلم بسنتين وقيل باربع سنين اقول
هذا يخالف ما تقدم من ان عبد المطلب تزوج من بنى زهرة هالة واتى منها بحمزة
وان عبد الله تزوج من بنى زهرة امنة وذلك فى مجلس واحد وان امنة حملت
برسول الله صلى الله عليه وسلم عند دخول عبد الله بها وانه دخل بها حين املك عليها
فكيف يكون حمزة اسن منه صلى الله عليه وسلم بسنتين الا ان يقال ليس فيما
تقدم تصريح بان عبد المطلب وعبد الله دخلا على زوجتيهما فى وقت واحد
وعبارة السهيلى هالة بنت اهيب بن عبد مناف بن زهرة عم امنة بنت
وهب ام النبى صلى الله عليه وسلم تزوجها عبد المطلب وتزوج ابنه عبد الله امنة
فى ساعة واحدة فولدت هالة لعبد المطلب حمزة وولدت امنة لعبد الله رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم ارضعتهما ثويبة هذا كلامه وليس فيه كقول اسد الغابة
المتقدم ان عبد المطلب تزوج هو وعبد الله فى مجلس واحد تصريح بانهما دخلا
بزوجتيهما فى وقت واحد لامكان حمل التزوج على الخطبة المصرح بها فيما تقدم عن
ابن المحدث ان عبد المطلب خطب هالة فى مجلس خطبة عبد الله لامنة والله اعلم
ثم رايته فى الاستيعاب قال كان اى حمزة اسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا ان تكون ارضعتهما فى زمانين هذا لفظه وفيه ما علمت وفيه ايضا على
تسليم انها ارضعتهما فى زمانين لكن بلبن ابنها مسروح كما سيأتى ويبعد بقاء

لبن ابنها مسروح اربع سنين ثم ارضعت به رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيأتى
الجواب عنه وارضعته ثويبة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اباسلمة بن عبد
الاسد اى ابن عمته الذى كان زوجا لام حبيبة بنت ابى سفيان ام المومنين
فقد ارضعت ثويبة حمزة ثم اباسفيان بن عمه الحارث ثم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم اباسلمة وهو مخالف بظاهره لقول المحب الطبرى وارضعته ثويبة
جارية ابى لهب وارضعت معه حمزة بن عبد المطلب واباسلمة عبد الله بن عبد
الاسد بلبن ابنها مسروح هذا كلامه وفيه ما علمت وقد يجاب بانه يمكن بان
يكون لم يحمل على ولدها مسروح فى المدة المذكورة فاستمر لبنها وايضا من ارضعت
بين حمزة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عمه الحارث اباسفيان كما علمت
وذكر بعضهم ان اباسلمة اول من يدعى للحساب اليسير وقد روى عن
النبى صلى الله عليه وسلم حديثا واحدا فعن ام سلمة قالت اتانى ابو سلمة يوما
من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقد سمعت من رسول الله صلى الله
عليه وسلم قولا سررت به قال لا تصيب احدا من المسلمين مصيبة فيسترجع عند
مصيبته ثم يقول اللهم اجرنى فى مصيبتى واخلف على خيرا منها الا فعل به قال
الترمذى حسن غريب ويدل لكون ابى سلمة اخاه صلى الله عليه وسلم من الرضاعة
ما جاء عن ام حبيبة قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت هل لك
فى اختى بنت ابى سفيان اى وهى عزة بعين مهملة ثم زاى ه اى وفى رواية هل
لك فى اختى حمنة بنت ابى سفيان والذى فى رواية مسلم انكح اختى عزة اى وفى
البخارى انكح بنت ابى سفيان قال وتحبين ذلك قالت نعم لست لك بمخلية بضم
الميم وسكون الخاء وكسر اللام وبالتحتية اى لست لك بتاركة عدم اخذها
واحب من شاركنى فى خير اختى فقال النبى صلى الله عليه وسلم فان ذلك لا يحل
لى قالت فوالله انى انبئت اى وفى لفظ انا لنتحدث انك تخطب درة اى وفى لفظ
تريد ان تنكح درة بنت ابى سلمة اى بضم الدال المهملة واما ضبطه بفتح الذال
المعجمة قال بعضهم هو تصحيف لا شك فيه تعنى بدرة بنتها من ابى سلمة قال ابنة
ابى سلمة قلت نعم قال والله لو لم تكن ربيبتى فى حجرى ما حلت لى انها لابنة اخى
من الرضاعة ارضعتنى واياه ثويبة اى وفى رواية لو انى لم انكح ام سلمة يعنى
الربيبة التى هى امها لم تحل لى ان اباها اخى من الرضاعة اى واختك على فرض
الا تكون بنت اخى من الرضاعة لا تحل لى ان اجمع معك فلا تعرضن على بناتكن
ولا اخواتكن قيل وفى هذا اى فى قوله لو لم تكن ربيبتى فى حجرى وفى قوله تعالى

وربائبكم اللاتي في حجوركم بجملها ودا لظاهر يرى ان الربيبة لا تحرم الا اذا كانت
في حجر زوج امها فان لم تكن في حجره فهي حلال له اى وقيل لها ربيبة لانها ماخوذة
من الرب وهو الاصلاح لان زوج امها يقوم باصلاح احوالها **قال** وكلك ان تقول
كان الظاهر الاقتصار على الاخوات لان ام حبيبة هي التي عرضت اختها فلم تعرض
بنتها التي هي درة **وقد** يجاب بانه صلى الله عليه وسلم جعل خطابه ام حبيبة خطابا
لجميع زوجاته صلى الله عليه وسلم لان هذا الحكم لا يختص بواحدة دون اخرى انتهى
اقول فيه ان هذا واضح لو كان في زوجاته من عرض عليه بنته الا ان يقال المراد
فلا تعرضن لا ينبغي لكن اذ تعرضن ذلك لا يستلزم وقوع العرض بالفعل **ثم**
رايت الامام النووى ذكر ان هذا من ام حبيبة اى من عرض اختها محمول على انها
لم تكن تعلم تحريم الجمع بين الاختين عليه صلى الله عليه وسلم قال وكذا لم نعلم من
عرض بنت ام سلمة تحريم الربيبة هذا كلامه وهو يقتضى ان بعض الناس عرض
عليه بنت ام سلمة واذا كان من عرضها عليه احدى نسائه اتجه قوله فلا تعرضن محله
بناتكن تامل وبهذا الحديث استدل من قال انه لا يجوز له ان يجمع بين المراة واختها
وهو الراجح من وجهين ومقابله بتخصيص بجواز ذلك له ولا يجمع بين المراة وبنتها
خلافا لوجه حكاه الرافعى وهذا الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم لو لم انكح ام
سلمة لم تحل لى يرد هذا الوجه **وعبارة** الخصائص الصغرى وله الجمع بين المراة
واختها وعمتها وخالتها في احدى الوجهين وبين المراة وابنتها في وجه حكاه الرافعى
وتبعه في الروضة وجزموا بانه غلط والله اعلم **ومما** يدل ايضا على انه عمه حمزة
اخوه من الرضاعة ما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم على رضى الله عنه قال قلت
يا رسول الله ما لك لا تتوقف في قريش اى بمثناتين فوق مفتوحتين ثم واو مشددة
ثم قاف اى لا تتشوف اليهم ماخوذ من التوقق الذى هو الشوق وفى رواية بالتاء
والنون اى لا تختار ولا تتزوج منهم قال وعندك قلت نعم ابنة حمزة اى عمه صلى
الله عليه وسلم وهي امامة وهى احسن فتاة في قريش قال تلك ابنة اخى من الرضاعة
اى وهذا من على رضى الله عنه محمول على انه لم يكن يعلم بتحريم بنت الاخ من الرضاعة
عليه صلى الله عليه وسلم او انه لم يكن يعلم ان عمه حمزة اخ له صلى الله عليه وسلم من
الرضاعة **وفيه** انه جاء قد علمت انه اخى من الرضاعة وان الله قد حرم من الرضاعة
ما حرم من النسب **الا** ان يراد بقوله قد علمت اى اعلم **قال** ولعله لم يقل ارضعتني واياه
ثوبية كما قال ذلك في ابى سلمة لان ثويبة ارضعت حمزة ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم ابا سلمة لان حمزة رضيعه صلى الله عليه وسلم ايضا من امراة من بنى سعد غير حليمة

كان

كان حمزة مسترضعا عندها في بنى سعد ارضعته صلى الله عليه وسلم يوما وهى عند
حليمة اى فهو رضيعه صلى الله عليه وسلم من جهة ثويبة ومن جهة تلك المراة
انتهى اى ولو اقتصر على ثويبة لاوهم انه لم ترضع معه على غيرها **وذكر**
في الاصل ان بعضهم ذكر من مراضعه خولة بنت المنذر **اقول** تقدم ذلك ونسب
هذا البعض في ذلك للوهم وان خولة بنت المنذر التى هى ام بردة انما كانت مرضعة
لولده ابراهيم **وقد** يجاب بانه يجوز ان تكون خولة بنت المنذر اثنتان واحدة
ارضعته صلى الله عليه وسلم وواحدة ارضعت ولده ابراهيم وان خولة التى ارضعته
صلى الله عليه وسلم هى السعدية التى كانت ترضع حمزة التى قال فيها الشمس الشامى لم
اقف على اسم تلك المراة والله اعلم ولم يذكر اسلام ثويبة الا ابن منده قال الحافظ
ابن حجر **وفى** طبقات ابن سعد ما يدل على انها لم تسلم ولكن لا يدفع نقل ابن منده به
وفى الخصائص الصغرى لم ترضعه صلى الله عليه وسلم مرضعة الا اسلمت ولم اقف على
على اسلام ابنها مسروح **اقول** ومما يدل على عدم اسلامه ما جاء بسند ضعيف اذا كان
يوم القيمة اشفع لاخ لى في الجاهلية قال الحافظ السيوطى يعنى اخاه من الرضاعة
لانه لم يدرك الاسلام **لا يقال** من ابن انه مسروح جاز ان يكون ابن حليمة وهو عبد
الله الذى كان يرضع معه بناء على انه لم يدرك الاسلام لانه لم يعرف له اسلام **لانا نقول**
سيأتى عن شرح الهمزية لابن حجر ان عبد الله ولد حليمة اسلم والله اعلم اى **وقد** يدل على عدم
اسلام ثويبة وابنها المذكور الذى هو مسروح **ما جاء** انه صلى الله عليه وسلم كان يبعث لها
بصلة وكسوة وهى بمكة حتى جاء خبر وفاتها مرجعه من خيبر سنة سبع فقال ما فعل ابنها
مسروح فقيل مات قبلها اى ولو كانا اسلما لهاجرا الى المدينة **اقول** وهذا بظاهره يدل
على ان مسروحا ادرك الاسلام وقد يقال في علم وفاتهما مرجعه من خيبر ما ذكر السهيلى
انه عليه الصلاة والسلام كان يصلها من المدينة فلما افتتح مكة سال عنها وعن ابنها
مسروح فاخبر انهما ماتا **وقد** يقال لا منافاة لانه يجوز ان يكون سؤاله الثانى
للتثبت لوصول المحل تأمله والعذر بانهما لو كانا اسلما لهاجرا الى المدينة يقال
عليه يجوز ان تكون الهجرة تعذرت عليهما لعارض عرض لهما والله اعلم **قال** وجاء
ان امه ارضعته صلى الله عليه وسلم تسعة ايام **اقول** وعن عيون المعارف للقضاعى سبعة
ايام **وفى** الامتاع انها ارضعته سبعة اشهر ثم ارضعته ثويبة اياما قلائل هذا كلامه
وقوله ثم ارضعته ثويبة يخالف ما تقدم من ان اول من ارضعه ثويبة الا ان يقال المراد
اول من ارضعه غير امه ثويبة فلا مخالفة وبهذا يرد نقل ابن المحدث عن الاصل ان
اول لبن نزل جوفه صلى الله عليه وسلم لبن ثويبة فانه فهم ذلك من قول الاصل اول من

ارضعه ثويبة لما علمت ان الاولية اضافية لا حقيقية الا ان يدعى ذلك فى نقل ابن
المحدث ايضا اى اول لبن نزل جوفه بعد لبن امه والله اعلم قال وارضعه صلى الله
عليه وسلم ثلاث نسوة اى ابكار من بنى سليم اخرجن ثديهن فوضعنها فى فمه صلى الله
عليه وسلم فدرت فيه فرضع منهن وارضعته ام فروة انتهى اى وهولا النسوة الابكار
كل واحدة منهن تسمى عاتكة وهن اللتى عناهن صلى الله عليه وسلم بقوله انا ابن العواتك
من سليم على ما تقدم وما تقدم من ان ام ايمن ارضعته ذكره فى الخصائص الصغرى رد
بانها حاضنته لا مرضعته وعلى تقدير صحته ينظر بلبن اى ولدها كان فانه لا يعرف لها
ولد الا ايمن واسامة الا ان يقال جاز ان لبنها در له من غير وجود ولد كما تقدم فى النسوة
الابكار وارضعته حليمة بنت ابى ذويب وتكنى ام كبشة اى باسم بنت لها اسمها كبشة
ويكنى بها ايضا والدها الذى هو زوج حليمة اى وكانت من هوازن اى من بنى سعد بن
بكر بن هوازن وسياتى الكلام على اسلامها وعنها انها كانت تحدث انها خرجت من
بلدها ومعها ابن لها ترضعه اسمه عبد الله ومعها زوجها قال وهو الحارث بن عبد العزى
ويكنى ابا ذويب اى كما يكنى ابا كبشة ادرك الاسلام واسلم فقد روى ابو داود بسند
صحيح عن عمرو بن السايب انه بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما
فاقبل ابوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلسه بين يديه وعن
ابن اسحق بلغنى ان الحارث انما اسلم بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم وهو يويد قول
بعضهم لم يذكر الحارث كثير ممن الف فى الصحابة انتهى اقول يدل للاول ظاهر ما روى
ان الحارث هذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد نزول القرآن عليه فقالت
له قريش الا تسمع يا حارث ما يقول ابنك فقال وما يقول قالوا يزعم ان الله يبعث
من فى القبور وان لله دارين يعذب فيهما من عصاه ويكرم فيهما من اطاعه اى
يعذب فى احداهما من عصاه وهى النار ويكرم فى الاخرى من اطاعه وهى الجنة
فقد شتت امرنا وفرق جماعتنا فاتاه فقال اى بنى ما لك ولقومك يشكونك ويزعمون
انك تقول كذا اى ان الناس يبعثون بعد الموت ثم يصيرون الى الجنة والنار
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم انا اقول ذلك وفى لفظ انا ازعم ذلك ولو
قد كان ذلك اليوم يا ابت فلآخذن بيدك حتى اعرفك حديثك اليوم فاسلم
الحارث بعد ذلك وحسن اسلامه اى وقد كان يقول حين اسلم لو اخذ ابنى بيدى
فعرفنى ما قال لم يرسلنى حتى يدخلنى الجنة وانما قلنا ظاهر لانه قد يقال قوله بعد
ذلك يصدق بما بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فلا دلالة فى ذلك على انه اسلم فى حياته
صلى الله عليه وسلم وفى شرح الهمزية لابن حجر ومن سعادتها يعنى حليمة توفيقها للاسلا

منه وزوجها وبنوها وهم عبد الله والشيما وانيسة هذا كلامه وفى الاصابة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا اى على ثوب فاقبل ابوه من الرضاعة
فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت امه فوضع لها شق ثوبه من الجانب الاخر
فجلست عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسه بين
يديه ورجاله ثقات ولعل المراد بجلوسه بين يديه جلوسه مقابله وحينئذ ففاعل
جلس النبى صلى الله عليه وسلم وضمير بين يديه راجع لاخيه اى قام صلى الله عليه وسلم
عن محل جلوسه على الثوب واجلس اخاه على الثوب مكانه وجلس صلى الله عليه وسلم
قبالة اخيه ففعل ذلك بكون اخوه هو وابواه جميعا على الثوب والله اعلم قالت
وخرجت فى نسوة من بنى سعد اى ابن بكر بن هوازن نعشر يطلبن الرضعا فى سنة شهبا
اى ذات جدب وقحط لم تبق شيا على اتان قمرا بفتح القاف والمد اى شديدة
البياض ومعنا شارف اى ناقة مسنة ما تبض بالضاد المعجمة ويروى بالمهملة اى ما ترشح
بقطرة لبن قالت وما كنا ننام ليلتنا اجمع مع صبينا الذى معنا من بكائه من الجوع
ما فى ثديى وفى رواية ما فى ثديى ما يغنيه وما فى شارفنا ما يغذيه بمعجمتين وقيل
بمعجمة ثم مهملة وقيل باسكان العين المهملة وكسر الذال المعجمة وضم البا الموحدة اى
ما يكفيه بحيث يرفع راسه وينقطع عن الرضاعة قالت حليمة وكنا نرجو الغيث والفرج
فخرجت على اتانى تلك فلقد ادمت بالدال المهملة وتشديد الميم اى بالركب اى حبسته
بتاخرها عنه لشدة عيائها وتعبها لضعفها وهزالها حتى شق ذلك عليهم حتى
قدمنا مكة نلتمس اى نطلب الرضعا جمع رضيع وادمت ماخوذ من الماء الدائم يقال
ادمت بالركب اذا ابطات حتى حبستهم قال لانه كان من شيم العرب واخلاقهم اذا ولد
لهم ولد يلتمسون له مرضعة فى غير قبيلته ليكون انجب للولد وافصح له وقيل لانهم
كانوا يرون انه عار على المراة ان ترضع ولدها انتهى اى تستقل برضاعه ويدل للاول
ما جاء انه صلى الله عليه وسلم كان يقول لاصحابه انا اعربكم اى افصحكم عربية انا قرشى
واسترضعت فى بنى سعد وجاء ان ابا بكر رضى الله تعالى عنه لما قال له صلى الله عليه وسلم
ما رايت افصح منك يا رسول الله فقال له ما يمنعنى وانا من قريش وارضعت فى بنى
سعد فهذا كان يحملهم على دفع الرضعا الى المراضع الاعرابيات ومن ثم نقل عن عبد
الله الملك بن مروان انه كان يقول اضر بنا حب الوليد يعنى ولده لانه لمحبته له لم يرسله
مع الاعراب فصار لحانا لا عربية له واخوه سليمان استرضع فى البادية مع الاعراب فصار
عربيا غير لحان قالت حليمة فما منا امراة الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتاباه اذا قيل لها يتيم وذلك انا انما نرجو المعروف من ابى الصبى فكنا نقول يتيم

ما عسى ان تصنع امه وجده فكنا نكرهه لذلك فما بقيت امراة معي الا اخذت رضيعا
غيري فلما اجمعنا الانطلاق اي عزمنا عليه قلت لصاحبي والله اني لاكره ان ارجع من
بين صواحبي ولم اخذ رضيعا والله لاذهبن الى ذلك الرضيع فلاخذنه قال لا
عليك اي لا باس عليك ان تفعلي عسى الله ان يجعل لنا فيه بركة فذهبت اليه فاخذته
اقول وهذا السياق قد يخالف قول بعضهم ان عبد المطلب خرج يلتمس له المراضع
فالتمس له حليمة ابنة ابي ذؤيب الا ان يقال يجاز ان يكون التماسه للمراضع غير
حليمة كان عند قدومهن قابلين ان يقبلن ثم طلب من حليمة شفا الصدودات
حليمة قالت استقبلني عبد المطلب فقال من انت فقلت انا امراة من بني سعد
قال ما اسمك قلت حليمة فتبسم عبد المطلب وقال بخ بخ سعد وحلم خصلتان فيهما
خير الدهر وعز الابد يا حليمة ان عندي غلاما يتيما وقد عرضته على نسا بني سعد
فابين ان يقبلن وقلن ما عند اليتيم من الخير انما نلتمس الكرامة من الاباء فهل لك
ان ترضعيه فعسى ان تسعدي به فقلت الا تذرني حتى اشاور صاحبي فانصرفت
الى صاحبي فاخبرته فكان الله قذف في قلبه فرحا وسرورا فقال لي يا حليمة خذيه
فرجعت الى عبد المطلب فوجدته قاعدا ينتظرني فقلت هلم الصبي فاستهل وجهه
فرحا فاخذني وادخلني بيت امنة فقالت لي اهلا وسهلا وادخلتني في البيت
الذي فيه محمد صلى الله عليه وسلم فاذا هو مدرج في ثوب صوف ابيض من اللبن وتحته
حريرة خضرا راقد على قفاه يغط يفوح منه رائحة المسك فاشفقت
ان اوقظه من نومه لحسنه وجماله فوضعت يدي على صدره فتبسم ضاحكا وفتح عينيه
الي فخرج من عينيه نور حتى دخل خلال السما وانا انظر فقبلته بين عينيه واخذته
وما حملني على اخذه اي اكد اخذه الا اني لم اجد غيره والا فما ذكرته من اوصافه يقتضي
لاخذه اي وهذه الرواية ربما تدل على انها لم تره قبل ذلك وان اباءها له صلى الله عليه وسلم
قبل رؤيا ها له قالت حليمة وكانت تلك حاله صلى الله عليه وسلم بعد اي بعد ذلك
لا يقبل الا ثديا واحدا وهو الايمن وفي السبعيات انه احد ثديي حليمة كان لا يدر اللبن
منه فلما وضعته في فم رسول الله صلى الله عليه وسلم در اللبن منه قالت وشرب معه
اخوه منى حتى روي ثم نام وما كنا ننام معه قبل ذلك اي لعدم نومه من الجوع فقام
زوجي الى شارف لنا تلك فاذا هي لحافل اي ممتلية الضرع من اللبن فحلب منها
ما شرب وشربت حتى انتهينا ريا وشبعا فبتنا بخير ليلة يقول صاحبي حين اصبحنا
تعلمي والله يا حليمة لقد اخذت نسمة مباركة قلت والله اني لارجو ذلك ثم خرجنا
وركبت اتاني وحملته معي عليها فوالله لقطعت بالركب اي صيرته خلفها ما يقدر عليها

اى على

اي على مر اقفتها ومصاحبتها شي من حمرهم حتى ان صواحبي يقلن لي يا بنت ابي
ذويب ويحك اربعي اي اعطفي علينا بالرفق وعدم الشدة في السير اليس هذه
الاتان التي كنت خرجت عليها اي تخفضك طورا وترفعك اخرى فاقول لهن بلى والله
انها لهي فيقلن والله ان لها لشانا اي وقالت وقالت حليمة فكنت اسمع اتاني تنطق
وتقول والله ان لي لشانا ثم شانا بعثني الله بعد موتي ورد لي سمني بعد هزلي
ويحكن يا نسا بني سعد انكن لفي غفلة وهل تدرين من على ظهري على ظهري خير
النبيين وسيد المرسلين وخير الاولين والاخرين وحبيب رب العالمين ذكره
في النطق المفهوم وذكرت انها لما ارادت فراق مكة رات تلك الاتان سجدت اي
خفضت راسها نحو الكعبة ثلاث سجدات ورفعت راسها الى السما ثم مشت قالت
ثم قدمنا منازل بني سعد ولا اعلم ارضا من اراضي الله اجدب منها فكانت غنمي
تروح علي حين قدمنا به شباعا لبنا اي غزيرات اللبن فنحلب ونشرب وفي لفظ
تحلب ما شينا وما يحلب انسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع حتى كان الحاضر اي
المقيم في المنازل من قومنا يقول لرعاتهم ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت ابي ذويب
يعنونني فتروح اغنامهم جياعا ما تبض بقطرة لبن وتروح غنمي شباعا لبنا
فلم نزل نعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته وكان يشب
شبابا لا يشبهه الغلمان فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاما جفرا اي غليظا شديدا
وعن حليمة انه صلى الله عليه وسلم لما بلغ شهرين كان يحبو الى كل جانب اي وهذا
يضعف ما تقدم عن الامتاع من انه رضعته سبعة اشهر قالت حليمة فلما بلغ
ثمانية اشهر كان يتكلم بحيث يسمع كلامه ولما بلغ تسعة اشهر كان يتكلم بالكلام
الفصيح ولما بلغ عشرة اشهر كان يرمي بالسهام مع الصبيان وعنها انها قالت انه
لفي حجري اذ مرت بي غنيمات لي فما اقبلت واحدة منهن حتى سجدت له وقبلت
راسه صلى الله عليه وسلم ثم ضممته الى صواحبها اقول وقد سجدت له الغنم وكذا الجمل
بعد بعثته صلى الله عليه وسلم والهجرة فعن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل حائطا اي بستانا للانصار ومعه ابو بكر وعمر
ورجال من الانصار وفي الحائط غنم فسجدت له صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر رضي
الله تعالى عنه يا رسول الله كنا احق بالسجود لك من هذه الغنم فقال انه لا ينبغي في
امتي ان يسجد احد لاحد ولو كان ينبغي لاحد ان يسجد لاحد لامرت المراة ان
تسجد لزوجها زاد في رواية ولو ان رجلا امر زوجته ان تنقل من جبل الى جبل
لكان نولها اي حقها ان تفعل وحرب بكسر الراء اي اشتد غضبه فصار لا يقدر

احد يدخل عليه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لاصحابه افتحوا
عنه فقالوا انا نخشى عليك يا رسول الله فقال افتحوا عنه ففتحوا عنه فلما رآه
الجمل خر ساجدا اى فاخذ بناصيته ثم دفعه لصاحبه وقال استعمله واحسن علفه
فقال القوم يا رسول الله كنا احق ان نسجد لك من هذه البهيمة فقال كلا
الحديث ويشهد لانه على عظيم حق الزوج على زوجته وجا ما يدل على ذلك ايضا
ما روى ان اسما بنت يزيد الانصارية اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
يا رسول الله ان الله بعثك الى الرجال والنسا فامنا بك واتبعناك ونحن معاشر
النسا مقصورات مخدرات قواعد بيوت وموضع شهوات الرجال وحاملات
اولادهم وان الرجال فضلوا بالجماعات وشهود الجنايز والجهاد واذا خرجوا للجهاد
حفظنا لهم اموالهم وربينا لهم اولادهم افنشاركهم في الاجر يا رسول الله
فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه الى اصحابه وقال هل سمعتم مقالة
امراة احسن سوالا عن دينها من هذه قالوا بلى يا رسول فقال انصرفي يا اسما
واعلمي من وراك من النسا ان حسن تبعّل احداكن لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها
لموافقته يعدل كلما ذكرت للرجال اى من حضور الجمعات وشهود الجنايز والجهاد
فانصرفت اسما وهى تهلل وتكبر استبشارا بما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم
والتبعل ملاعبة المراة لزوجها والله اعلم قالت حليمة وكان ينزل عليه كل يوم
نور كنور الشمس ثم ينجاب عنه والى قصة رضاعه صلى الله عليه وسلم يشير صاحب
الهمزية بقوله

وبدت فى رضاعه معجزات ... ليس فيها عن العيون خفاء
اذ ابته ليتمه مرضعات ... قلن ما فى اليتيم عنا غناء
فاتته من آل سعد فتاة ... قد ابتها لفقرها الرضعاء
ارضعته لبانها فسقتها ... وبنيها البانهن الشاء
اصبحت شولا عجافا فاضحت ... ما بها شائل ولا عجفاء
اخصب العيش عندها بعد محل ... اذ غدا للنبى منها غذاء
يا لها منة لقد ضوعف الاجر ... عليها من جنسها والجزاء
واذا سخر الاله اناسا ... لسعيد فانهم سعداء

اى وظهرت فى رضاعه وفى زمن رضاعه صلى الله عليه وسلم امور
خارقة للعادة لوضوحها لا يخفى على العيون فمن ذلك ان المراضع ابت ان تاخذه
لاجل يتمه فبعد ان تركنه اتته فتاة من ال سعد قد ابتها اهل الرضعا لفقرها

نامت

تسقته

تسقته لبنها فسقتها وبنيها الشاء البانها وكانت تلك الشياه لا لبن بها ايل
هزيلات ذات البان وسمن ومن ذلك ان العيش كثر عندها بعد شدة المحل
لاجل حصول غذا النبى صلى الله عليه وسلم يا لها اى لتلك الفعلة الصادرة من حليمة
وهى سقيها له لبنها نعمة منها عليه لقد كثر الثواب والجزا على تلك النعمة من جنس
تلك النعمة لان الجزا من جنس العمل فلما سقت اللبن سقيته ولا بدع فان الله تعالى
اذا سخر اناسا لمحبة سعيد والقيام بخدمته فانهم بتسبب ذلك سعدا اقول لم
اقف على رواية فيها ان حليمة ابتها الرضعا لفقرها وكان الناظم اخذ ذلك من قولها
فما بقيت امراة قدمت معى الا اخذت رضيعا غيرى وما حملنى على اخذه الا انى
لم اجد غيره ولا دلالة فى ذلك واستفتى الحافظ ابن حجر عن بعض الوعاظ يذكر
عند اجتماع الناس للمولد ما جريات اى وقايع تتعلق به صلى الله عليه وسلم جات بها
الاخبار مخلة بالتعظيم حتى يظهر من السامعين لها حزن فيبقى صلى الله عليه وسلم
فى حيز من يرحم لا فى حيز من يعظم من ذلك انهم يقولون ان المراضع حضرن ولم ياخذ
لعدم ماله ونحو ذلك فما قولكم فى ذلك فاجاب بانه ينبغى لمن يكون
فطنا ان يحذف من الخبر اى الحديث ما يوهم فى المخبر عنه نقصا ولا يضره ذلك بل يجب
عليه كما وقع لامامنا الشافعى رضى الله عنه حيث قال فى بعض نصوصه وقطع رسول الله
صلى الله عليه وسلم امراة لها شرف تكلم فيه فقال لو سرقت فلانة لامراة شريفة لقطعتها
يعنى فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم فلم يصرح باسمها تادبا معها ان يذكرها فى هذا
المعرض وان كان صلى الله عليه وسلم ذكرها لان ذلك منه صلى الله عليه وسلم حسن
دال على ان الخلق عنده فى الشرع سوا فهذا من كمال ادب الامام رضى الله تعالى عنه وارضاه
ونفعنا ببركاته اى فاذا جاز حذف بعض الحديث الموهم نقصا فى بعض اهل بيته
فما ظنك بما يوهم النقص فيه صلى الله عليه وسلم وهذا من الحافظ يدل على ان ابا المواضع
له واردهن فطلته حليمة الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا
اى وقد تقدم انه صلى الله عليه وسلم تكلم بهذا بل فى بعض الليالى اى وهو عند حليمة
لا اله الا الله قدوسا قد وسانامت العيون والرحمن لا تاخذه سنة ولا نوم وكان
صلى الله عليه وسلم لا يمس شيئا الا قال بسم الله وعن حليمة لما دخلت به المنزل لم يبق
منزل من منازل بنى سعد الا شممنا منه ريح المسك والقيت محبته اى واعتقاد
بركته فى قلوب الناس حتى ان احدهم كان اذا نزل به اذى فى جسده اخذ كفه
صلى الله عليه وسلم فيضعها على موضع الاذى فيبرا باذن الله تعالى سريعا ولذلك
اذا اعتل لهم بعير او شاة انتهى قالت حليمة فقدمنا مكة على امرائى بعد ان بلغ

ند

سنتين ونحن احرص شيء على مكثه فينا لما نرى من بركته فكلمنا امه وقلنا لها لو تركت بني عندي حتى يغلظ وفي كلام ابن الاثير قلنا لها دعينا نرجع به هذه السنة الاخرى فاني اخشى عليه وبا مكة اي مرضها ووخمها فلم نزل بها حتى ردته معنا وقيل ان امه امنة قالت لحليمة ارجعي بابني فاني اخاف عليه وبا مكة فوالله ليكونن له شان اي ولا منافاة لغدبينهما لجواز ان حليمة لما قالت لها ما تقدم قالت لحليمة ارجعي بابني على العود فاني اخاف عليه وباء مكة اي كانت تخافين عليه ذلك قالت حليمة فرجعنا به فوالله انه بعد مقدمنا به باشهر عبارة ابن الاثير بعد مقدمنا بشهرين او ثلاثة مع اخيه يعني من الرضاعة في بهم لنا ولعل هذا الاينافيه قول المحب الطبري فلما شب وبلغ سنتين لانه الغى ذكر الكسر فبينما هو واخوه في بهم لنا خلف بيوتنا والبهم اولاد الضان اذا اتى اخوه يشتد اي يعدو فقال لي ذاك بين اخي القرشي قد اخذه رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاه فشقا بطنه فهما يسوطانه اي يدخلان يديهما في بطنه قالت فخرجت انا وابوه نحوه فوجدناه قايما منتقعا وجهه وفي لفظ لونه اي متغيرا اي صار لونه كلون النقع الذي هو الغبار وهو صفة الوان الموتى وذلك لما ناله من الفزع اي من روية الملايكة لامن مشقة نشأت عن ذلك الشق لما ياتي في بعض الروايات فلم اجد لذلك حسا ولا الما ومن ثم قال ابن الجوزي فشعر وما شق عليه واطلاقه شامل لهذه المرة التي هي الاولى وقد قال بعضهم انه لم ينتقع لونه صلى الله عليه وسلم الا وهو صغير في بني سعد قالت فالتزمته والتزمه ابوه فقلنا مالك يا بني قال جاني رجلان عليهما ثياب بيض اي وهما جبريل وميكايل اي وهما المراد بقوله في رواية فاقبل الي طيران ابيضان كانهما نسران فقال احدهما لصاحبه اهو هو قال نعم فاقبلا يبتدراني فاخذاني فاضجعاني فشقا صدري بطني فالتمسا فيه شيا اي طلباه فوجداه واخذاه وطرحاه ولا ادري ما هو انه علقة سودا استخرجاها من قلبه بعد شق بطنه ففي هذه الرواية طي ذكر القلب وشقه وسياتي ذكر ذلك في بعض الروايات وفي رواية غريبة نزل عليه كركيان فشق احدهما بمنقاره جوفه ومج الاخر فيه بمنقاره ثلجا او بردا وقد يقال ان الطيرين تارة شبها بالنسرين وتارة شبها بالكركيين وفي كون مجي جبريل وميكايل على صورة النسر لطيفة لان النسر سيد الطيور فقد جاء في الحديث هبط علي جبريل فقال يا محمد ان لكل شي سيدا فسيد البشر ادم وسيد ولد ادم انت وسيد الروم صهيب وسيد فارس سلمان وسيد الحبش بلال وسيد الشجر

السدر وسيد الطير النسر وفي بحر العلوم وسيد الملايكة اسرافيل وسيد الشهدا هابيل وسيد الجبال جبل موسى وسيد الانعام الثور وسيد الوحوش الابل وسيد السباع الاسد زاد بعضهم وسيد الشهور رمضان وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام العربية وسيد العربية القران وسيد القران سورة البقرة قالت حليمة فرجعنا به الى خبايتنا اي محل الاقامة وقال ابوه يا حليمة لقد خشيت ان يكون هذا الغلام قد اصيب فالحقيه باهله قبل ان يظهر ذلك به وفي رواية قال الناس يا حليمة رديه على جده واخرجيه من امانتك وفي رواية وقال زوجي ارى ان ترديه على امه لتعالجه والله ان اصابه ما اصابه الا حسد من ال فلان لما يرون من عظيم بركته قالت فحملناه فقدمنا به مكة على امه قال قال النووي راو الواقدي وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول رجع الى امه وهو ابن خمس سنين اي وزاد في الاستيعاب ويومين من مولده صلى الله عليه وسلم وكان غيره اي غير ابن عباس يقول رجع الى امه وهو ابن اربع سنين وحكى الاموي انه رجع وهو ابن ست سنين انتهى اقول سياق ما قبله يدل على ان قدوم حليمة به على امه كان عقب الواقعة المذكورة وتقدم ان سنه حينيذ كان سنتين واشهر وسياتي ما فيه والله اعلم قال وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان حليمة رضي الله عنها كانت تحدث انه صلى الله عليه وسلم لما ترعرع كان يخرج فينظر الى الصبيان يلعبون فيجتنبهم فقال لي يوما يا اماه ما لي لا ارى اخوتي بالنهار يعني اخوته من الرضاعة وهم اخوه عبد الله واختاه انيسة والشيما بفتح المعجمة وسكون التحتية اولاد الحارث قلت فدتك نفسي انهم يرعون غنما لنا فيروحون من ليل الى ليل قال ابعثيني معهم فكان صلى الله عليه وسلم يخرج مسرورا ويعود مسرورا اي وهذا لا يخالف قولها السابق كان مع اخيه في بهم لنا خلف بيوتنا ولا قوله صلى الله عليه وسلم الاتي فبينما انا ذات يوم منتبذا من اهلي في بطن واد مع اتراب لي من الصبيان كما لا يخفى قالت حليمة فلما كان يوما من ذلك خرجوا فلما انتصف النهار اذا اتاني اخوه اي وفي رواية اذا اتى ابني ضمرة يعدو فزعا وجبينه يرشح باكيا ينادي يا ابة ويا امه الحقا اخي محمدا فما تلحقانه الا ميتا قلت وما قصته قال بينما نحن قيام اذ اتاه رجل فاختطفه من وسطنا وعلا به ذروة الجبل ونحن ننظر اليه حتى شق صدره الى عانته ولا ادري ما فعل به اقول لعل ضمرة هذا هو اخوه عبد الله المتقدم ذكره لقب بذلك تخفيفه جسمه ولا يخالف ذلك قوله صلى الله عليه وسلم الاتي ان اترابه الذين كانوا معه انطلقوا هرابا مسرعين الى الحي يودونهم ويستصرخونهم لانه يجوز ان يكون ضمرة

سبقهم والله اعلم قالت حليمة فالفلت انا وابوه نسعى سعيا فاذا نحن به قاعدا
على ذروة الجبل شاخصا ببصره الى السما يتبسم ويضحك فاكببت عليه وقبلته
بين عينيه وقلت فدتك نفسي ما الذى دهاك قال خيرا كذا بالنصب يا اماه
بينا انا الساعة قائم اذ اتانى رهط ثلاثة بيد احدهم ابريق فضة وفى يد
الاخر طست من زمردة خضرا والزمردة بالضم والذال المعجمة الزبرجد
وهو معرب فاخذونى وانطلقوا بى الى ذروة الجبل فاضجعونى على الجبل اضجاعا
لطيفا وفيه ان هذا قد يخالف قوله صلى الله عليه وسلم الاتى فاخذونى حتى اتوا
شفير الوادى فعمد احدهم فاضجعنى الى الارض ثم شق من صدرى الى عانتى
وسياتى الجمع بينهما وقوله ثم شق من صدرى الى عانتى هو المراد ببطنه فيما تقدم
وما ياتى قال وانا انظر اليه فلم اجد لذلك حسا ولا الما الحديث وفى هذه الرواية
طى ذكر القلب وشقه ايضا اقول ولا منافاة بين قولها فى تلك الرواية فوجدناه قائما
وبين قولها فى هذه الرواية فاذا نحن به قاعدا على ذروة الجبل لجواز ان تكون اراد
بكونه قائما كونه حيا وبكونه قاعدا كونه ماكثا كما لا منافاة بين قولها فى تلك الرواية
منتقعا وجهه وبين قولها فى هذه الرواية يتبسم ويضحك لان ذلك لا ينافى
الفزع اولجواز ان يكون تبسمه وضحكه تعجبا لما رأى من الحالة التى عليها امته
من التعب والشدة والله اعلم قال وذكر ابن اسحاق ان حليمة لما قدمت به مكة
لترده على امه اى بعد شق صدره صلى الله عليه وسلم وقد بلغ اربع سنين او خمسا او
ست على ما تقدم اضلته فى اعالى مكة فاتت جده عبد المطلب فقالت انى قدمت
بمحمد هذه الليلة فلما كنت باعالى مكة اضلنى فوالله ما ادرى اين هو فقام عبد
المطلب عند الكعبة يدعو الله ان يرده عليه وفى مزارات النهمان انه انشد

يا رب رد راكبى محمدا • اردده ربى واصطنع عندى يدا •

وسياتى ان هذا البيت انشده عبد المطلب حين بعث النبى صلى الله عليه وسلم
ليرد ابلا له ضلت وقد يقال لا مانع من تكرر ذلك منه فسمع هاتفا من السما يقول
ايها الناس لا تضجوا ان لمحمد ربا لن يخذله ولا يضيعه فقال عبد المطلب من لنا به
فقال انه بوادى تهامة عند الشجرة اليمنى فركب عبد المطلب نحوه وتبعه ورقة
ابن نوفل وسياتى بعض ترجمة ورقة فوجداه صلى الله عليه وسلم قائما تحت شجرة
يجذب غصنا من اغصانها فقال له جده من انت يا غلام قال انا محمد بن عبد الله
بن عبد المطلب قال وانا جدك فدتك نفسى واحتمله وعانقه وهو يبكى ثم رجع
الى مكة وهو قدامه على قربوس فرسه ونحر الشاة والبقر واطعم اهل مكة

اقول

اقول وقول جده له صلى الله عليه وسلم من انت يا غلام لعله لكونه وجده على حالته
لا توجد لمن يكون فى سنه عادة كما تقدم عن حليمة من قولها كان يشب شبابا لا
يشبه الغلمان وفى السيرة الهشامية ان الذى وجده هو ورقة بن نوفل ورجل
اخر من قريش فاتيا به عبد المطلب اى ويقال ان عمرو بن نفيل رآه وهو لا يعرفه
فقال له من انت يا غلام قال انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم فاحتمله
بين يديه على الراحلة حتى اتى به عبد المطلب وفى كلام بعض المفسرين فى تفسير
قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى روى انه صلى الله عليه وسلم قال اضللت عن جدى
عبد المطلب وانا صبى وصار ينشد وهو متعلق باستار الكعبة

يا رب رد ولدى محمدا • اردده ربى واصطنع عندى يدا •

فجاء ابو جهل بين يديه على ناقة وقال لجدى لا تدرى ما وقع من ابنك فسأله فقال
انخت الناقة واركبته من خلفى فابت ان تقوم فاركبته امامى فقامت ويحتاج
الى الجمع على تقدير صحة كل ما ذكر وقد يقال لا مانع من تعدد ذلك ويدل لذلك
ان بعض المفسرين قال فى تفسير قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى قيل ضل عن
مرضعته حليمة وقيل ضل عن جده عبد المطلب وهو صغير قالت حليمة فقالت
امه ما اقدمك به يا ظئر اى يا مرضعة ولقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك
قلت قد بلغ والله وقضيت الذى على وتخوفت عليه الاحداث فاديته عليك
كما تحبين قالت ما هذا شانك فاصدقينى خبرك قالت فلم تدعنى حتى اخبرتها
قالت افتخوفت عليه الشيطان قلت نعم قالت كلا والله ما للشيطان عليه سبيل
وان لابنى شانا اولا اخبرك خبره قلت بلى قالت رأيت حين حملت به انه خرج منى
نورا اضاء له قصور بصرى من ارض الشام ثم حملت به فوالله ما رأيت اى علمت من حمل
قط كان اخف على ولا ايسر منه ووقع حين ولدته وانه لواضع يده بالارض رافع
رأسه الى السما دعيه عنك وانطلقى راشدة قال وعن حليمة انه مر عليها
جماعة من اليهود فقالت الا تحدثونى عن ابنى هذا حملته كذا ووضعته كذا ورأيت
كذا كما وصفت لها امه اى فانها ذكرت لها ذلك مرتين عند دفعها وعند اخذه
منها انتهى اقول ولا ينافى ذلك قول امه لحليمة اولا اخبرك خبره وقول حليمة لها بلى
لجواز ان تكون امه لم تكن تذكرت انها اخبرتها بذلك قبل ذلك وان حليمة كذلك او
جوزت حليمة انها تخبرها بزيادة عما اخبرتها به اولا بنا فى على اتحاد ما اخبرتها به
اولا وثانيا والله اعلم قال وهذا يدل على ان ما ذكرته امه لحليمة من انها حين حملت
به خرج منها نور الى اخر ما تقدم وان يكون لا اب له مذكور فى بعض الكتب القديمة

انه من علامة بنوة النبي المنتظر والله اعلم **قوله** وعنها انها نزلت به سوق عكاظ
اى وكان سوقا للجاهلية بين الطايف ونخلة المحل المعروف كانت العرب اذا حجت
اقامت بهذا السوق شهر شوال وكانوا يتفاخرون فيه وللمفاخرة فيه سمى عكاظا
يقال عكظ الرجل صاحبه اذا فاخره وغلبه في المفاخرة **وفي** كلام بعضهم كان سوق عكاظ
لثقيف وقيس عيلان فرآه كاهن من الكهان فقال يا اهل سوق عكاظ اقتلوا هذا الغلام
فان له ملكا فراغت اى حادت به وجادت عن الطريق فانجاه الله تعالى اى **وفي** الوفا لما
قامت سوق عكاظ انطلقت حليمة برسول الله صلى الله عليه وسلم الى عراف من هذيل
يريه الناس صبيانهم فلما نظر اليه صاح يا معشر هذيل يا معشر العرب فاجتمع اليه الناس
من اهل الموسم فقال اقتلوا هذا الصبي فانسلت به حليمة فجعل الناس يقولون اى
صبي فيقول هذا الصبي فلا يرون شيئا فيقال له ما هو فيقول رايت غلاما والالهة
ليقتلن اهل دينكم وليكسرن الهتكم وليظهرن امره عليكم فطلب فلم يوجد **وعنها**
رضي الله عنها انها لما رجعت به مرت بذي المجاز وهو سوق للجاهلية على فرسخ من عرفة اى وهذا
السوق قبله سوق مجنة كانت العرب تنتقل اليه بعد ان تقاصصهم من سوق عكاظ
فتقيم فيهم عشرين يوما من ذى القعدة ثم تنتقل الى هذا السوق الذى هو سوق
ذى المجاز فتقيم به الى ايام الحج وكان بهذا السوق عراف اى منجم يؤتى اليه بالصبيان
ينظر اليهم فلما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اى نظر الى خاتم النبوة والى الحمرة
فى عينيه صاح يا معشر العرب اقتلوا هذا الغلام فليقتلن اهل دينكم وليكسرن
اصنامكم وليظهرن امره عليكم ان هذا لينتظر امرا من السما وجعل يغرى بالنبي صلى الله
عليه وسلم فلم يلبث ان وله فذهب عقله حتى مات انتهى **وفي** السيرة الهشامية
ان نفرا نصارى من الحبشة راوه مع امه السعدية حين رجعت به الى امه بعد فطامه فنظروا
اليه وقلبوه اى راوا خاتم النبوة بين كتفيه وحمرة في عينيه وقالوا لها هل يشتكي عينيه
قالت لا ولكن هذه الحمرة لا تفارقه ثم قالوا لها لناخذن هذا الغلام فلنذهبن به
الى ملكنا وبلدنا فان هذا الغلام كاين له شان نحن نعرف امره فلم تكد تنفلت به منهم
واتت به الى امه **وعنه** صلى الله عليه وسلم واسترضعت فى بنى سعد فبينا انا مع اخ لى
خلف بيوتنا نرعى بهما لنا اذ اتانى رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوءة ثلجا
فاخذانى فشقا بطنى ثم استخرجا قلبى فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها
اى وقيل هذا حظ الشيطان منك يا حبيب الله اى وفي رواية فاستخرجا منه علقتين
سوداوين اى ولا تنافى لجواز ان تكون تلك العلقة انفلقت نصفين وفي رواية
فاستخرجا منه مغمز الشيطان اى وهو المعبر عنه في الرواية قبلها بحظ الشيطان ولا ينافى

ذلك

ذلك قوله فى الرواية السابقة ولا ادرى ما هو لجواز ان يكون اخباره صلى الله
عليه وسلم بهذا بعد ان علمه والمراد بمغمز الشيطان محل غمزه اى محل ما يلقيه من الامور
التى لا تنبغى لان تلك العلقة خلقها الله تعالى فى قلوب البشر قابلة لما يلقيه الشيطان
فيها فازيلت من قلبه فلم يبق فيه مكان لان يلقى الشيطان فيه شيا فلم يكن للشيطان فيه
حظ وليست هى محل غمزه عند ولادته صلى الله عليه وسلم كل يوم كلام غير واحد **وفيه** ان
هذا يقتضى ان يكون قبل ازالة ذلك كان للشيطان عليه سبيل **واجاب** السبكى بانه لا يلزم
من وجود القابل لما يلقيه الشيطان حصول الالقا اى بالفعل فليتامل **وسيل** السبكى
لم خلق الله هذا القابل فى هذه الذات الشريفة وكان من الممكن ان لا يخلقه الله تعالى
فيها **واجاب** بانه من جملة الاجزا الانسانية فخلقت تكملة للخلق الانسانى ثم
نزعت تكرمة له صلى الله عليه وسلم اى ليظهر للخلق بذلك التكرمة ليتحققوا كمال باطنه
كما تحققوا كمال ظاهره اى لانه لو خلق صلى الله عليه وسلم خاليا عنها لم تظهر تلك التكرمة
وفيه انه يرد على ذلك ولادته صلى الله عليه وسلم من غير قلفة **واجيب** بالفرق بينهما
بان القلفة لما كانت تزال ولا بد من كل واحد مع ما يلزم على ازالتها من كشف العورة
كان نقص الخلقة الانسانية عنها عين الكمال وقد تقدم ذلك وذكر السهيلى
ان هذه العلقة هى محل غمز الشيطان عند الولادة حيث قال ان عيسى عليه الصلاة
والسلام لما لم يخلق من منى الرجال وانما خلق من نفخة روح القدس اعيذ من غمز
الشيطان قال ولا يدل هذا على فضل عيسى على محمد صلى الله عليه وسلم لان محمدا قد نزع
منه ذلك المغمز هذا كلامه **وقد علمت** انه انما هو محل ما يلقيه الشيطان من الامور
التى لا تنبغى وان ذلك مخلوق فى كل احد من الانبيا عيسى وغيره فلم ينزع الا من
نبينا صلى الله عليه وسلم **قال** صلى الله عليه وسلم ثم غسلا قلبى بذلك الثلج اى الذى فى
الطست حتى انقياه اى وملاه حكمة وايمانا كما فى بعض الروايات اى وفى رواية ثم
قال احدهما لصاحبه ايتنى بالسكينة فذراها فى قلبى وهذه السكينة يحتمل ان
تكون هى الحكمة والايمان ويحتمل ان تكون غيرهما وهذه الرواية فيها ان الطست كان
من ذهب وكذا فى الرواية الاتية وفى الرواية قبل هذه كان زمردة خضرا ويحتاج
الى الجمع وسنذكره وفى هذه الرواية وكذا فى الرواية الاتية ان الثلج كان فى الطست
وفى الرواية قبل هذه كان بيد احدهم ابريق فضة ويحتاج الى الجمع لان الواقعة
لم تتعدد وهو عند حليمة وفى غسله بالثلج اشعار بثلج اليقين وبرده على الفؤاد
ذكره السهيلى وذكر فى حكمة كون الطست من ذهب كلاما طويلا قال صلى الله عليه وسلم
وجعل الخاتم بين كتفى كما هو الان وفى الروايات السابقة طى ذكر الخاتم وتتمة

الجواب الذي اجاب به صلى الله عليه وسلم اخا بني عامر التي وعدنا بذكرها هنا هي
قوله صلى الله عليه وسلم وكنت مسترضعا في بني سعد فبينما انا ذات يوم منتبذا اي
منفردا من اهلي في بطن واد مع اتراب لي اي المقارنين بالموحدة او النون لي في السن
من الصبيان اذا انا برهط ثلاثة معهم طست من ذهب ملآن ثلجا فاخذوني من بين
اصحابي فخرج اصحابي هرابا حتى اتوا على شفير الوادي ثم اقبلوا على الرهط فقالوا
ما اربكم اي حاجتكم الى هذا الغلام فانه ليس منا هذا ابن سيد قريش وهو مسترضع
فينا يتيم ليس له اب فما يرد عليكم ان يفيدكم قتله وماذا تصيبون من ذلك فان كنتم
لابد قاتلوه ان كان لابد لكم من قتل واحد فاختاروا منا اي شئتم فليأتكم مكانه
فاقتلوه ودعوا هذا الغلام فانه يتيم فلما راى الصبيان ان القوم لا يجيبون له
جوابا انطلقوا هرابا مسرعين الى الحي يؤذنونهم اي يعلمونهم ويستصرخونهم على
القوم فعمد واحدهم فاضجعني الى الارض اضجاعا لطيفا ثم شق بطني ما بين مفرق
صدري الى منتهى عانتي وانا انظر اليه لم اجد لذلك مسا اي ادنى مشقة واستخرج
احشا بطني ثم غسلها بذلك الثلج فانعم غسلها اي بالغ في غسلها ثم اعادها مكانها
وقد طوى ذكر استخراج الاحشا وغسلها في الروايات السابقة **ولا يخفى** انه من جملة
الاحشا ظاهرا القلب ثم قال الثاني منهم لصاحبه تنح عنه فنحاه عني ثم ادخل يده
في جوفي فاخرج قلبي وانا انظر اليه فصدعه ثم اخرج منه مضغة سوداء تقدم
التعبير عنها بالعلقة السوداء ثم رمى بها ثم قال بيده يمنة منه كانه يتناول شيئا
واذا الخاتم في يده من نور يحار الناظرون دونه فختم به قلبي اي بعد التيام شقه
فامتلأ نورا وذلك نور النبوة والحكمة فقد تقدم وملأه حكمة وايمانا وان السكينة
ذرت فيه ثم اعاده مكانه فوجدت برد الخاتم في قلبي دهرا وفي رواية فانا الساعة
اجد برد الخاتم في عروقي ومفاصلي **اقول** نقل شيخ بعض مشايخنا الشيخ نجم
الدين الغيطي عن مغازي ابن عائذ في حديثه صلى الله عليه وسلم لاخي بني عامر
واقبل اي الملك وفي يده خاتم له شعاع فوضعه بين كتفيه وثدييه فليتامل
وقوله فصدعه يدل على ظاهر على ان صدعه كان بيد الملك فلم يشقه بالة وحينئذ
يكون المراد بالشق الصدع بلا آلة وقد طوى في هذه الرواية ذكر ملئ قلبه
حكمة وايمانا وانه ذر فيه السكينة وذكر في هذه الرواية ان الختم كان لقلبه
صلى الله عليه وسلم وفي الرواية قبلها انه كان بين كتفيه وفي رواية ابن عائذ وبين
ثدييه فيحتاج للجمع والظاهر ان متعاطي الختم جبريل ويدل له قول صاحب الهمزية
في هذه القصة ٭ ختمته يمنى الامين وسياق الصحيح بذلك لكن في غير

هذه القصة والله اعلم **قال** صلى الله عليه وسلم ثم قال الثالث لصاحبه تنح عنه
فنحاه عني فامر بيده ما بين مفرق صدري الى منتهى عانتي فالتيم ذلك الشق باذن
الله تعالى وختم عليه وفي رواية قال احدهما للآخر خطه فخاطه وختم عليه **اقول**
وقد يقال معنى خطه الحمه فخاطه اي الحمه امره بيده فالتحم اي فلا يخالف ما سبق ولا
ينافيه ما في الحديث الصحيح انهم كانوا يرون اثر المخيط في صدره صلى الله عليه وسلم
لجواز ان يكون المراد يرون اثرا كاثر المخيط وهو اثر مرور يد جبريل عليه السلام وهذا
طوى ذكره في الروايات السابقة وقوله وختم عليه يقتضي ان الختم كان في صدره
وهو الموافق لما تقدم عن ابن عائذ انه بين ثدييه لكنه زاد وبين كتفيه وتقدم
ان الختم كان بقلبه **وقد** يقال في الجمع لا مانع من تعدد الختم في الحالة المذكورة اي
في قلبه وصدره وبين كتفيه فختم القلب لحفظ ما فيه وختم الصدر وبين الكتفين
مبالغة في حفظ ذلك لان الصدر وعاء القريب وجسده وعاء البعيد وخص
بين الكتفين لانه اقرب اليه القلب من بقية الجسد ولعله اولى من جواب القاضي
عياض بان الذي بين كتفيه هو اثر ذلك الختم الذي كان في صدره اي المفهوم ظاهرا
من قوله وجعل الختم بين كتفي وفيه السكوت عن ختم قلبه ولا يحسن ان يراد
بالصدر القلب من باب تسمية الحال باسم محله لانه يصير ساكتا عن ضم الصدر واولى
من جواب الحافظ ابن حجر ايضا بانه يجوز ان يكون الختم للقلب ظهر من وراءه
ظهره عند كتفه الايسر لان القلب في ذلك الجانب لما علمت **وفيهما** ان الذي
عند الايسر خاتم النبوة اي الذي هو علامة على النبوة الذي ولد صلى الله عليه وسلم
به على ما هو الصحيح **وفي** الخصائص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم بجعل خاتم
النبوة بظهره بازاء قلبه حيث يدخل الشيطان لغيره وسائر الانبياء كان الخاتم
في يمينهم اي فقد اخرج الحاكم في المستدرك عن وهب ابن منبه قال لم يبعث الله
نبيا الا وقد كان عليه شامات النبوة في يده اليمنى الا نبينا صلى الله عليه وسلم
فان شامات النبوة كانت بين كتفيه هذا كلامه ولم اقف على بيان تلك الشامات
التي كانت للانبياء ما هي **وكتب** الشهاب القسطلاني على هامش الخصائص قوله
وجعل خاتم النبوة بظهره الى آخره مشكل اذ مفهومه انه موضع الدخول لقلوب
الانبياء غير نبينا صلى الله عليه وسلم وعليهم لم يختم ولا يخفى ما فيه من المحظور مما
اشعر من عبارة واخطاها من اشارة هذا كلامه ولك ان تقول المراد بغيره
في قوله حيث يدخل الشيطان لغيره من غير الانبياء لما علم وتقرر في النفوس من عصمة
الانبياء من الشيطان واختص نبينا من بين سائر الانبياء صلوات الله وسلامه

عليه وعليهم بالختم في المحل المذكور مبالغة في حفظه من الشيطان وقطع الطماعية
فليتامل لا يقال كل من جواب القاضي والحافظ ابن حجر يجوز ان يكون مبينا
على ان خاتم النبوة هو اثر هذا الخاتم وهو موافق لما تمسك به القائل بان خاتم النبوة
لم يولد به وانما حدث بعد الولادة لانا نقول على تسليم انه حدث بعد الولادة فقد
وجد عقبها فعند ابي نعيم في الدلائل انه صلى الله عليه وسلم لما ولد ذكرت امه ان
الملك غمسه في الما الذي انبعه ثلاث غمسات ثم اخرج صرة من حرير ابيض فاذا فيها
خاتم فضرب على كتفه كالبيضة المكنونة وبذلك يعلم ان خاتم النبوة ليس اثرا
لهذا الخاتم وكلام السهيلي يقتضي انه هو حيث قال ان في هذا الحديث الذي فيه شق
صدره صلى الله عليه وسلم في الرضاعة فايدة من تبيين وذلك ان خاتم النبوة
لم يدر انه خلق به او وضع فيه بعدما ولد او حين نبي فبين في هذا الحديث متى وضع
وكيف وضع ومن وضعه زادنا الله علما واوزعنا شكرا على هذا كلامه ثم رايت عن
الحافظ ابن حجر ما يوافقه حيث قال ومقتضى الاحاديث التي فيها شق الصدر
ووضع الخاتم انه لم يكن موجودا حين ولادته وانما كان اول وضعه لما شق صدره
عند حليمة خلافا لمن قال ولد به لما شق صدره عند حليمة خلافا لمن قال ولد به او
حين وضع هذا كلامه ولا يخفى ان ما قلناه من ان هذا الخاتم غير خاتم النبوة
اولى لان به يجتمع القولان وتندفع المخالفة والجمع اولى من التضعيف لما صح من
انه صلى الله عليه وسلم ولد به وعلى انه هو يلزم ان يكون خاتم النبوة تعدد محله فوجد
بين كتفيه وفي صدره وفي قلبه لا يقال قد اشير الى الجواب عن ذلك بان الموجود
بين كتفيه هو اثر ما في صدره وقلبه لانا نقول يبطله ما تقدم عن الدلائل
لابي نعيم وما تقدم عن بعض الروايات فاقبل الملك وفي يده خاتم فوضعه بين
كتفيه وثدييه وايضا يلزم عليه ان يكون خاتم النبوة تكرر الاتيان به ثانيا
في قصة البعث وثالثا في قصة الاسرا ففي قصة المبعث فاكفاني كما يكفي الانا
ثم ختم في ظهري وفي قصة الاسرا ثم ختم بين كتفيه بخاتم النبوة وكل منهما يبطل
كون ما في ظهره او بين كتفيه اثر الذلك الختم الذي وجد في صدره او في قلبه الا ان
يقال ما في قصة المبعث وقصة المعراج غير خاتم النبوة وان خاتم النبوة انما هو الاثر
الحاصل من ختم صدره وقلبه في قصة الرضاع وانه تكرر الختم على ذلك الاثر في المبعث
وفي قصة الاسرا وفيه انه لا معنى لتكرير الختم في محل واحد ولا يقال الغرض منه
المبالغة في الحفظ لان ذلك انما يكون عند تعدد محل الختم لا عند اعادته ثانيا
وثالثا في محل واحد وايضا هو خلاف ظاهر كلامهم في انه في المحال الثلاثة خاتم

النبوة ويؤيده ان المتبادر من القول في قصة الاسرا ثم ختم بين كتفيه بخاتم
انه جعل خاتم النبوة بين كتفيه والا فما معنى كون الخاتم بمعنى الطابع خاتم
النبوة فان قلت على دعوى الغيرية يحتاج الى الجواب عن قوله بخاتم النبوة قلت
قد يقال هذا ليس برواية عن الشارع وانما وقعت تلك العبارة من بعضهم ويجوز
ان تكون الباء في كلامه بمعنى مع اي مع خاتم النبوة تامل والله اعلم قال صلى الله عليه وسلم
ثم اخذ بيدي فانهضني من مكاني انهاضا لطيفا ثم قال الاول الذي شق بطني زنه
بعشرة من امته فوزنني فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من امته فوزنني فرجحتهم ثم قال زنه
بالف من امته فوزنني فرجحتهم ثم قال دعه فلو وزنتموه بامته كلهم لرجحهم ثم
ضموني الى صدورهم وقبلوا راسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب انك لم تدع
انك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك اقول في بعض الروايات زنه
بعشرة ثم قال زنه بمائة ففي هذه الرواية طي ذكر وزنه بعشرين وفي تلك الرواية
طي وزنه بعشرة والله قال صلى الله عليه وسلم وبينا نحن كذلك اذ بالحي قد اقبلوا
بحذافيرهم اي باجمعهم واذا بظئري اي مرضعتي امام الحي تهتف اي تصيح باعلا
صوتها وتقول واضعيفاه فاكبوا علي يعني الملائكة الذين هم اولئك الرهط
الثلاثة وضموني الى صدورهم وقبلوا راسي وما بين عيني وقالوا حبذا انت من
من ضعيف ثم قالت ظئري يا وحيداه فاكبوا علي فضموني الى صدورهم فقبلوا راسي
وما بين عيني وقالوا حبذا انت من وحيد وما انت بوحيد ان الله معك وملائكته
والمومنين من اهل الارض ثم قالت ظئري يا يتيماه استضعفت من بين اصحابك
فقتلت لضعفك فاكبوا علي وضموني الى صدورهم وقبلوا راسي وما بين عيني
وقالوا حبذا انت من يتيم ما اكرمك على الله لو تعلم ما اريد بك من الخير لقرت
عينك فوصلوا يعني الحي الى شفير الوادي فلما ابصرتني امي وهي ظئري قالت
لا اراك الا حيا بعد فجاءت حتى اكبت علي ثم ضمتني الى صدرها فوالذي نفسي
بيده اني لفي حجرها قد ضمتني اليها ويدي في ايديهم يعني الملائكة وجعل القوم
لا يعرفونهم اي لا يبصرونهم فاقبل بعض القوم يقول ان هذا الغلام قد
اصابه لمم اي طرف من الجنون او طائف من الجن اي وهي اللمة فانطلقوا به
يا هذا ما يحملها تذكران اراني اي اعضائي سليمة وفوادي صحيح ليس بي قلبة اي
علة يقلب لها اي من ينظر فيها فقال ابي وهو زوج ظئري الا ترون كلامه
صحيحا اني لارجو ان لا يكون بابني باس واتفقوا على ان يذهبوا به الى الكاهن
فلما انصرفوا الى اليه فقصوا عليه قصتي فقال اسكتوا حتى اسمع من الغلام

بلغ

فانه اعلم بامره منكم فسالنى فقصصت عليه امرى من اوله الى اخره فوثب الى وضمنى الى صدره ثم نادى باعلا صوته يا للعرب يا للعرب من شر قد اقترب اقتلوا هذا الغلام واقتلونى معه فو اللات والعزى لئن تركتموه فادرك مدرك الرجال ليبدلن دينكم وليسفهن عقولكم وعقول ابائكم وليخالفن امركم وليأتينكم بدين لم تسمعوا بمثله وفى رواية ليسفهن احلامكم اى عقولكم وليكذبن اوثانكم وليدعونكم الى رب لا تعرفونه ودين تنكرونه فعمدت ظئرى فانتزعتنى من حجره وقالت لانت اعته واجن ولو علمت ان هذا قولك ما اتيتك فاطلب لنفسك من يقتلك فانا غير قاتلى هذا الغلام ثم احتملونى الى اهليهم واصبحت مفزعا مما فعلوا يعنى الملائكة بى اى من حملى من بين اترابى والقائى الى الارض لا من خصوص الشق لما تقدم واصبح اثر الشق ما بين صدرى المنتهى عانتى كانه الشراك اى اثر التئام الشق الناشى عن امرار يد الملك كانه الشراك انتهى اقول الشراك احد سيور النعل الذى هو المداس الذى يكون على وجهها ولعل حكمة بقائه ليدل على وجود الشق وعلم انه حيث كانت قصة شق صدره الشريف فى زمن الرضاع عند حليمة ولحده تكون هذه الروايات المراد منها واحد وان بعضها وقع فيها الاختصار عما وقعت به الاطالة فى بعضها وان اخباره صلى الله عليه وسلم بان الملائكة كانوا ثلاثة لا ينافى اخباره بانهم كانوا اثنين ونسبة الاخذ والاضجاع والشق للبطن او الصدر الى الثلاثة او الى الاثنين لا ينافى ان متعاطى ذلك واحد منهم كما اخبر به اخوه وجا التصريح به فى بعض الروايات وان التعبير فى بعضها بشق البطن هو المراد بشق الصدر الى منتهى العانة فى بعضها وانه ليس المراد بشق البطن او شق الصدر شق القلب لما تقدم فى الرواية واستخرج احشا بطنى ثم غسلها ثم اعادها مكانها ثم قال لصاحبه تنح عنه فنحاه عنى ثم ادخل يده فى جوفى فاخرج قلبى فصدعه الحديث وانه يجوز ان يكون الطست كان متعددا او واحد من زمردة خضرا وواحد من ذهب وان الاول كان مملوا ثلجا بعد الان يغسل به قلبه اى داخل قلبه وحينئذ يكون فى بعض الروايات اقتصر على القلب وفى بعضها جمع بينه وبين الاحشا فى ذلك ويحتاج الى الجمع بين كون الشق فى ذروة الجبل وكونه فى شفير الوادى وكون المخرج علقة وكونه مضغة وقد يقال الجاز ان يكون ذروة الجبل قريبة من شفير الوادى وانه عبر عن الذى اخرجه والقاه تارة بالعلقة وتارة بالمضغة ولعل تلك المضغة كانت قريبة من العلقة

ولا

ولا ينبغى ان هذه العلقة يحتمل انها غير حبة القلب التى اخذت منها المحبة وهى علقة سودا فى صميمة المسماة بسويدا القلب ويحتمل انها هى والله اعلم واشار صاحب الهمزية الى هذه القصة بقوله

واتت جده وقد فصلته * وبها من فصالها البرحاء
واحاطت به ملائكة الله * فظنت بانهم قرناء
ورأى وجدها به ومن الوجد * لهيب تصلى به الاحشاء
فارقته كرها وكان لديها * ثاويا لا يمل منه الثواء
شق عن قلبه واخرج منه * مضغة عند غسله سوداء
ختمته يمنى الامين وقد * اودع ما لم يذع له انباء
صان اسراره الختام فلا الفض * ملم به ولا الافضاء

اى واتت حليمة بجده والحال انها فطمته والحال انه لحق بها من اجل فطامه وزده التأم الزائد وردها له لاجل انه احدقت به ملائكة الله فظنتهم شيا طين ورأى شدة محبتها له وتعلقها به وقد حصل لها من الوجد الذى هو لهب تحترق به الاحشا وهى ما تحويه الضلوع فارقته بعد رده كارهة لفراقه والحال انه كان مقيما عندها لا تمل ذلك منه وقد شق عن قلبه واخرج من ذلك القلب عند غسله مضغة سودا ختمت على ذلك القلب يمنى الامين جبريل عليه السلام والحال ان ذلك القلب الشريف قد اودع من الاسرار الالهية ما لم تنشر اخباره لان تلك الاسرار لا يعلمها الا الله تعالى حفظ ذلك الختام اسراره التى اودعت فيه فلا الكسر واقع بذلك الختم ولا الاشاعة واقعة لتلك الاسرار اقول قد علمت ان صدره الشريف شق مرتين غير هذه المرة مرة عند مجى الوحى ومرة عند المعراج وزاد بعضهم انه شق عند بلوغه عشر سنين كما فى مسلم والمبالغ عمره عشرين سنة اى ولعل هى المعنية بقول صاحب المواهب وروى خامسة ولا تثبت وسأنى تلك الخامسة عن الدر المنثور وسيأتى ما فيها والله اعلم قال وفى المرة التى كان ابن عشر سنين واشهر قال صلى الله عليه وسلم جاءنى رجلان فقال احدهما لصاحبه اضجعه فاضجعنى لحلاوة القفا ثم شقا بطنى فكان احدهما يختلف بالما فى طست من ذهب والاخر يغسل جوفى ثم شق قلبى فقال اخرج الغل والحسد منه فاخرج منه العلقة فنبذها والمتبادر ان الى العلقة للعهد وهى العلقة السودا التى تقدم انها حظ الشيطان وانها مغمزة فهى محل الغل والحسد وفيه انه تقدم ايضا ان تلك العلقة اخرجت والنبى قبل

هذه المرة وتكون نبذها يستحيل الا ان تحمل العلقة على جزء بقي من اجزائها بناء
على جواز انها تجزأت اكثر من جزئين المعبر عنهما فيما تقدم في بعض الروايات بعلقتين
سوداوين الا ان يقال المراد بقوله فاخرج منه العلقة اي اخرج ما هو كالعلقة
اي اثيابشبه العلقة كما سيأتي التصريح بذلك في بعض الروايات فادخل شيئا
كهيئة الفضة ثم اخرج ذرورا كان معه فذره عليه اي على شق القلب ليلتحم به
ثم نقراها هي ثم قال اغدوا سلم اقول لم يذكر في هذه المرة الختم وظاهر هذه الرواية
ان الصدر التحم بمجرد ذر الذرور وتقدم في قصة الرضاع ان ذلك كان بامر
اريد الملك واستمر التيام الشق يشاهد كالشراك وفي الدر المنثور عن زوائد
مسند الامام احمد عن ابي بن كعب عن ابي هريرة قال يا رسول الله ما اول ما رأيت
من امر النبوة فاستوى رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا وقال لقد سألت ابا
هريرة اني لفي صحرا ابن عشرين سنة واشهر اذا بكلام فوق رأسي واذا رجل يقول
لرجل اهو هو فاستقبلاني بوجوه لم ارها لخلق قط وثياب لم ارها على احد قط
فاقبلا الي يمشيان حتى اخذ كل منهما بعضدي لا اجد لاخذهما مسا فقال احدهما
لصاحبه اضجعه فاضجعاني بلا قصر ولا هصر اي من غير انعاب فقال احدهما
لصاحبه افلق صدره ففلقه فيما ارى بلا دم ولا وجع فقال له اخرج الغل
والحسد فاخرج شيئا كهيئة العلقة ثم نبذها فطرحها فقال له ادخل الرأفة
والرحمة فاذا مثل الذي اخرج اي ليدخله شبه الفضة ثم نقر ابهام رجلي اليمنى
وقال اغدو واسلم فرجعت اغدو بها رأفة على الصغير ورحمة على الكبير فلم يذكر
في هذه المرة الغسل فضلا عما يغسل به فلم يذكر الختم لكن قول الرجل للاخر
اهو هو يدل على ان الرجلين ليسا جبريل وميكائيل لانهما يعرفانه وقد تقدم بذلك
في قصة الرضاع وقد يدعى ان هذه الرواية هي عين الرواية قبلها وذكر عشرين
سنة غلط من الراوي وانما هي عشر سنين ثم رأيت ما يصرح بذلك وهو كان
سنة عشر حجج وقد تحمل هذه المرة اي كونه ابن عشرين سنة على ان ذلك كان في
المنام وان كان خلاف ظاهر السياق وقال صلى الله عليه وسلم في المرة التي
هي عند ابتداء الوحي جاءني جبريل وميكائيل فاخذني جبريل فالقاني لحلاوة القفا
ثم شق عن قلبي فاستخرجه ثم استخرج منه ما شاء الله ان يستخرج فلم يبين ذلك
ما هو ثم غسله في طست من ماء زمزم ثم اعاده مكانه ثم لأمه اي بذلك الذرور
او بامرار يده او بهما جميعا ثم اكفاني كما يكفى الاناء ثم ختم في ظهري ويحتمل ان يكون
المراد بظهره المحل الذي ختم في قصة الرضاع وفيه انه لا معنى لوضع الختم على

الختم كما تقدم ويمكن ان يكون الحكمة في الجمع بين جبريل وميكائيل ان ميكائيل
ملك الرزق الذي به حياة الاجساد والاشباح وجبريل ملك الوحي الذي به حياة
القلوب والارواح والمرة في المعراج سيأتي الكلام عليها وفيها ان الختم وقع
بين كتفيه وفيه ما علمت وقد علمت ان شق الصدر والبطن غير شق القلب
وان شق القلب واخراج العلقة السوداء التي هي حظ الشيطان هو مما
اختص به صلى الله عليه وسلم عن الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وما
في بعض الاثار ان التابوت اي تابوت بني اسرائيل كان فيه الطست الذي غسل
فيه قلوب الانبياء المراد ظاهر قلوبهم لان القلب من جملة الاحشاء التي غسلت
بغسل الصدر والبطن كما تقدم على ان ابن دحية ذكر ان هذا الاثر باطل وقد يطلق
الصدر على القلب من باب تسمية الحال باسم محله ومنه ما وقع في قصة المعراج
ان بطست ممتلئ حكمة وايمانا فافرغ في صدري ومنه قول الجلال السيوطي في الخصائص
الصغرى ان شق صدره الشريف من خصائصه صلى الله عليه وسلم على الاصح من
القولين اي شق قلبه وسيأتي الكلام على ذلك في الكلام على المعراج بأبسط
مما هنا وعن حليمة رضي الله تعالى عنها انها كانت بعد رجوعها به صلى الله عليه وسلم
من مكة لا تدعه ان يذهب مكانا بعيدا اي عنها فغفلت عنه يوما في الظهيرة
فخرجت تطلبه فوجدته مع اخته اي من الرضاعة وهي الشيماء وكانت تحضنه مع
امها اي ولذلك تدعى ام النبي صلى الله عليه وسلم ايضا وكانت ترقصه بقولها

هذا اخ لي لم تلده امي ۝ وليس من نسل ابي وعمي

فانمه اللهم فيما تنمي فقالت في هذا الحر اي لا ينبغي ان يكون في هذا الحر فقالت اخته
يا امه ما وجد اخي حرا رأيت غمامة تظل عليه اذا وقف وقفت واذا سار سارت
حتى انتهى الى هذا الموضع فجعلت تقول احقا يا بنية فقالت اي والله فجعلت
تقول اعوذ بالله من شر ما يحذر على ابني اي وفي كلام بعضهم ورأت يعني حليمة
الغمامة تظله اذا وقف وقفت واذا سار سارت وقد يقال الرؤية في حق
حليمة علمية وفي حق اخته بصرية فلا مخالفة او انها ابصرتها بعد الاخبار لها كما
يدل على ذلك القول بانها فزعت ذلك من امره صلى الله عليه وسلم وفي كونها
فزعت من ذلك بعد اخبار اختها بذلك شيء فقدمت به على امه اقول عن
الواقدي ان حليمة لما قدمت به صلى الله عليه وسلم الى مكة لترده لامه رأت غمامة
تظله في الطريق ان سار سارت وان وقف وقفت وسياق هذا يقتضي انها
ردته الى امه عقب مجيئها به من مكة وان ذلك كان قبل شق صدره صلى الله

عليه وسلم عندها وحينئذ تكون هذه قدمة ثانية لحليمة الى مكة كانت قبل شق
صدره ففي القدمة الاولى كان سنه سنتين واشهرا وتكون هذه المرة الثانية
محل قول حليمة فوالله انه بعد مقدمنا باشهر وقول ابن الاثير بشهرين او ثلاثة
واما في القدمة الثالثة واما في المقدمة الثالثة وهي التي بعد شق صدره وتركها له عند
امه كان سنه اربع سنين وفيها كانت وفاتها على ما يأتي وقيل خمس سنين قاله ابن
عباس وقيل ست سنين ويكون بعض الرواة اشتبه عليه الامر وظن ان هذه
المقدمة الثانية التي قبل شق صدره هي الثالثة التي بعد شق صدره فلزم
الاشكال فتامل ذلك تاملا جيدا ولا تكن ممن يفهم نقلتها والله اعلم ووفدت
عليه حليمة بعد تزويجه خديجة رضي الله عنها تشكوا اليه ضيق العيش فكلم لها خديجة
فاعطتها عشرين رأسا من غنم وبكرات جمع بكرة وهي الثنية من الابل وفي رواية
اربعين شاة وبعيرا ه ووفدت عليه يوم حنين فبسط لها رداءه فجلست عليه اي
فقد قال بعضهم لم تره بعد ان ردته الا مرتين احداهما بعد تزوجه خديجة اي
وعليه تكون هذه المرة هي التي قدمت فيها مع زوجها وولدها واجلسهم على ثوبه
الذي كان جالسا عليه كما تقدم والمرة الثانية يوم حنين وفي كلام القاضي عياض
ثم جاءت ابا بكر ففعل ذلك اي بسط لها رداءه ثم جاءت عمر ففعل ذلك وفي كلام
ابن كثير ان حديث مجيئه صلى الله عليه وسلم اليه في حنين غريب وان كان محفوظا فقد
عمرت دهرا طويلا لانه من وقت ارضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وقت الجعرانة
اي بعد رجوعه من حنين ازيد من ستين سنة واقل ما كان عمرها حين ارضعته
عليه الصلاة والسلام ثلاثين وكونها وفدت على ابي بكر وعمر تزيد المدة المايه
وعن ابي الطفيل قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لحما بالجعرانة اي
بعد رجوعه من حنين كما تقدم والطائف وانا غلام شاب فاقبلت امراة فلما
راها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسط لها رداءه فقيل من هذه قيل امه التي
ارضعته وفي رواية استأذنت امراة على النبي صلى الله عليه وسلم قد كانت
ترضعه فلما دخلت عليه قال امي امي وعمد الى ردائه فبسطه لها فقعدت عليه ه
وتقدم عن شرح الهمزية لابن حجر ان من سعادة حليمة توفيقها للاسلام هي
وزوجها وبنوها وفي الاصل ومن الناس من ينكر اسلامها واشار بذلك الى
شيخه الحافظ الدمياطي فانه من جملة المنكرين حيث قال انه في سيرة حليمة لا يعرف
لها صحبة ولا اسلام وقد وهم غير واحد فذكروها في الصحابة وليس بشيء وكان
الانسب ان يقول ذكروا اسلامها وليس بشيء ويوافقه قول الحافظ ابن كثير

الظاهر

الظاهر ان حليمة لم تدرك البعثة ورده بعضهم فقال اسلامها لا شك فيه
عند جماهير العلماء ولا يعول على قول بعض المتاخرين انها لم يثبت فقد روى
ابن حبان حديثا صحيحا دل على اسلامها وانكر الحافظ الدمياطي وفودها
عليه في حنين وقال الوافدة عليه في ذلك انما هي اخته من الرضاعة وهي الشيما
اقول وعلى صحة ما قاله الحافظ الدمياطي لا ينافيه قوله صلى الله عليه وسلم امي امي
لانه كان يقال لاخته الشيما ام النبي صلى الله عليه وسلم لانها كانت تحضنه مع ٧
امها كما تقدم ولا قول بعض الصحابة امه التي ارضعته لانه يجوز انه لما قيل امه
حملها على المرضعة له صلى الله عليه وسلم لتيقن موت امه من النسب وعلى كون ٩٥
الوافدة عليه في حنين اخته اقتصر في الهدى والله اعلم قال الحافظ ابن حجر
بعد ان اورد عدة اثار في مجيء امه صلى الله عليه وسلم من الرضاعة اليه بحنين وفي
تعدد هذه الطرق ما يقتضي ان لها اصلا اصيلا وفي اتفاق الطرق على انها
امه رد على من زعم ان التي قدمت عليه اخته انتهى اقول لا رد في ذلك لانه علم
ان اخته المذكورة كان يقال لها ام النبي صلى الله عليه وسلم ووصف بعض الصحابة
لها بانها امه من الرضاعة تقدم انه يجوز ان يكون بحسب ما فهم ومما يعين انها
اخته ما سياتي انها لما اخذت في حنين من جملة سبي هوازن قالت لهم اني انا اخت
صاحبكم فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عضة عضضتنيها في
ظهري وانا متوركتك فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة فقام لها
قائما وبسط لها رداءه واجلسها عليه ودمعت عيناه الى اخر ما ياتي وكلام
المواهب يقتضي انهما قضيتان واحدة كانت فيها اخته والاخرى كانت فيها
امه من الرضاعة حيث قال وقد روى ان خيلا له صلى الله عليه وسلم اغارت على
هوازن فاخذوها يعني اخته من الرضاعة التي هي الشيما فقالت انا اخت
صاحبكم الى ان قال فبسط لها رداءه واجلسها عليه فاسلمت ثم قال وجاءته
يعني امه من الرضاعة التي هي حليمة يوم حنين فقام اليها وبسط رداءه لها
وجلست عليه وهذا كما ترى يوهم ان الخيل التي اغارت على هوازن التي كانت
فيها اخته لم تكن في حنين وان امه لم تكن يوم حنين في سبي هوازن مع ان القصة
واحدة وان سبي هوازن كان يوم حنين فيلزم ان يكون مجيئها اليه يوم حنين
كل من امه واخته من الرضاعة الاولى في غير السبي والثانية من السبي وكانه
قريش لكل رداه وهو تابع في ذلك لابن عبد البر حيث قال في الاستيعاب
حليمة السعدية ام النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة جاءت اليه يوم حنين

فقامت لها وبسط لها رداه فجلست عليه وروت عنه وروى عنها عبد الله
ابن جعفر ثم قال حذافة اخت النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة يقال لها
الشيما اغارت خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم على هوازن فاخذوها فيما
اخذوا من السبي الحديث وكون عبد الله بن جعفر روى عن حليمة قال
الحافظ ابن حجر لا يتهيا له السماع منها الا بعد الهجرة بسبع سنين فاكثر
لانه قدم من الحبشة مع ابيه الذي هو جعفر بن ابي طالب في خيبر سنة سبع
اي وتبعد حياتها وبقاؤها الى ذلك الزمن **وقيه** ان حنين بعد خيبر وابعد
من ذلك وفودها على ابي بكر وعمر وقد تقدم ما يشعر باستبعاد ذلك عن ابن
كثير **والذي** يتجه ان الوافدة عليه صلى الله عليه وسلم في حنين اخته لا امه كما
يقول الحافظ الدمياطي والله اعلم **قلت** قال ابو الفرج بن الجوزي ثم قدمت
اي حليمة بعد النبوة فاسلمت وبايعت اي فقال فلا يقال سلمنا ان حليمة هي القادمة
عليه اي بعد النبوة فما الدليل على اسلامها انتهى **اقول** كان بعض حفاظ يقول
بدل هذه العبارة التي ذكرها وانا ما قال يعني ابن الجوزي فاسلمت بعد قوله
قدمت عليه صلى الله عليه وسلم بعد النبوة لانه لا يلزم من قدومها عليه بعد
النبوة اسلامها **وفي** كون قول ابن الجوزي فاسلمت دليلا على اسلامها والله اعلم
وذكر الذهبي ان النبي وفدت عليه صلى الله عليه وسلم في الجعرانة يحتمل ان
تكون ثويبة رضي الله عنها ونظر فيه بان ثويبة توفيت سنة سبع اي من
الهجرة اي مرجعه صلى الله عليه وسلم من خيبر على ما تقدم **اقول** ذكر في النور
ان الحافظ مغلطاي له مؤلف في اسلام حليمة سماه التحفة الجسيمة في اسلام
حليمة **وذكر** انه صلى الله عليه وسلم لم ترضعه مرضعة الا واسلمت لكن هذا
البعض قال ومرضعاته صلى الله عليه وسلم اربع امه وحليمة السعدية وثويبة
وام ايمن ايضا وهو يؤيد ما تقدم عن ابن منده من اسلام ثويبة واما
اسلام امه صلى الله عليه وسلم امنة فسنذكره وكون ام ايمن ارضعته تقدم ما فيه
والله اعلم **باب** وفاة امه صلى الله عليه وسلم وحضانة ام
ايمن له وكفالة جده عبد المطلب اياه اي اختصاصه بذلك **ذكر** ابن اسحاق
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتت امه لما بلغ ست سنين وقيل كان سبع
اربع سنين وبه صدر في المواهب اي وهو يرد القول بان حليمة لما ردته الى امه كان
عمره خمس او ست سنين **قال** وقيل كان سنه سبع سنين وقيل ثمان وقيل تسع
وقيل اثنتي عشرة وشهرا وعشرة ايام انتهى **ووفاتها** كانت بالابواء وهو محل

بين

بيت مكة والمدينة اي وهو الى المدينة اقرب وسمي بذلك لان السيول تتبوأ
اي تنزل فيه ودفنت به **فقد جاء** انه صلى الله عليه وسلم لما مر بالابواء في غزوة
الحديبية قال ان الله اذن لمحمد في زيارة قبر امه فاتاه واصلحه وبكى عنده وبكى
المسلمون لبكائه صلى الله عليه وسلم وقيل له في ذلك فقال ادركتني رحمتها
فبكيت وكان موتها وهي راجعة به صلى الله عليه وسلم من المدينة من زيارة اخواله
اي اخوال جده عبد المطلب لان ام عبد المطلب من بني عدي بن النجار كما
تقدم بعد ان مكثت عندهم شهرا ومرضت في الطريق ومعها ام ايمن بركة
الحبشية التي ورثها من ابيه عبد الله على ما تقدم محضنته صلى الله عليه وسلم
وجاءت به الى جده عبد المطلب اي بعد خمسة ايام من موت امه فضمه اليه
ورق عليه رقة لم يرقها على ولده **هذا** وفي كلام بعضهم وبقي النبي صلى الله عليه وسلم
بعد موت امه بالابواء حتى انتهى الخبر الى مكة وجاءت ام ايمن مولاة ابيه عبد الله
فاحتملته وذلك لخامسة من موت امه فليتامل وكون موت امه كان في حياة
عبد المطلب هو المشهور الذي لا يكاد يعرف غيره وبه قول يرد قول من قال ان موت
عبد المطلب كان قبل موت امه فليتامل هو المشهور الذي لا يكاد يعرف غيره
وبه يرد قول من قال ان موت عبد المطلب كان قبل موت امه بسنتين اي
وكان صلى الله عليه وسلم يقول لام ايمن انت امي بعد امي ويقول ام ايمن امي
بعد امي **وفي** القاموس دار رابغة بالغين المعجمة بمكة فيها مدفن امه صلى
الله عليه وسلم ولم اقف على محل تلك الدار من مكة **قال** وقيل توفيت اي دفنت
بالحجون بشعب ابي دب وغلط قائله **وعن** عائشة رضي الله تعالى عنها قالت
حج بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فمر على عقبة الحجون وهو باك
حزين مغتم فبكيت لبكائه ثم انه طفق اي شرع يقول يا حميرا استمسكي فاستندت
الى جنب البعير فمكث عني طويلا ثم عاد الي وهو فرح متبسم فقلت له بابي انت
وامي يا رسول الله نزلت من عندي وانت باك حزين مغتم فبكيت لبكائك
ثم انك عدت الي وانت فرح متبسم فمم ذاك قال ذهبت لقبر امي فسالت ربي
ان يحييها فاحياها فامنت وردها الله تعالى **وهذا** الحديث قد حكم بضعفه جماعة
منهم الحافظ ابو الفضل بن ناصر الدين والجوزقاني وابن الجوزي والذهبي في
الميزان واقره على ذلك الحافظ ابن حجر في لسان الميزان وجعله ابن شاهين
ومن تبعه ناسخا لاحاديث النهي عن الاستغفار اي لها **منها** ما جاء انه صلى الله
عليه وسلم لما قدم مكة اي ولعله في عمرة القضا لانه لم يقدم مكة بعد الهجرة الا مع اصحابه

قبل حجة الوداع الا في ذلك اتى رسم قبر امه فجلس اليه فناجاه طويلا ثم بكى قال
ابن مسعود فبكيت لبكائه ثم قام ثم دعانا فقال ما ابكاكم قلنا بكينا لبكائك
فقال ان القبر الذي جلست عنده قبر امنة الحديث وفي رواية اتى قبر امه فجلس
اليه فجعل يخاطبه ثم قام مستعبرا فقال بعض الصحابة يا رسول الله قد رأينا
ما صنعت قال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في الا
ستغفار لها فلم ياذن وفي رواية ان جبريل ضرب في صدره صلى الله عليه وسلم وقال
لا تستغفر لمن مات مشركا فما رئي باكيا اكثر منه يومئذ وفي رواية استاذنته
في الدعا لها اي بالاستغفار فلم ياذن لي وانزل علي ما كان للنبي والذين امنوا
ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى فاخذني ما ياخذ الولد للوالد قال
القاضي عياض بكاؤه صلى الله عليه وسلم على ما فاتها من ادراك ايامه والايمان
به اي النافع اجماعا وكونه ناسخا لذلك غير جيد لان احاديث النهي عن الاستغفار
بعض طرقها صحيح رواه مسلم وابن حبان في صحيحيهما ونص مسلم استاذنت
ربي ان استغفر لامي فلم ياذن لي واستاذنته ان ازور قبرها فاذن لي فزوروا
القبور فانها تذكركم الاخرة وفي لفظ تذكركم الموت وهذا الحديث اي حديث عايشة
على تسليم ضعفه اي دون وضعه لا يكون ناسخا للاحاديث الصحيحة او ذكر الواحدي
في اسباب النزول ان اية ما كان للنبي والذين امنوا وما كان استغفار ابراهيم
لابيه نزلتا لما استغفر صلى الله عليه وسلم لعمه ابي طالب بعد موته فقال المسلمون
ما يمنعنا ان نستغفر لابائنا ولذوي قراباتنا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يستغفر لعمه وقد استغفر ابراهيم عليه الصلاة والسلام لابيه اي فنزولهما
كان عقب موت ابي طالب لا يقال جاز ان يكون اية ما كان للنبي تكرر نزولها
لما استغفر صلى الله عليه وسلم لامه لانا نقول كونه يعود للاستغفار بعد ان نهي
عنه فيه ما فيه او المراد بالنسخ المعارض يعني قول ابن شاهين انه ناسخ للاحاديث
النهي عن الاستغفار اي معارض لها اذ لا معنى للنسخ هنا على انه لا معارضة
لان النهي عن الاستغفار لها كان قبل ان تؤمن واذا ثبت ما تقدم عن عايشة
وما بعده كان دليلا لمن يقول قبر امه صلى الله عليه وسلم بمكة وعلى كونها دفنت
بالابواء اقتصر الحافظ الدمياطي في سيرته وكذا ابن هشام في سيرته وفي
المواهب عن ابن سعد ان كون قبرها بمكة غلط وانما قبرها بالابواء وقد يقال على
تقدير صحة الحديثين انها دفنت بالابواء وانها دفنت بمكة يجوز ان تكون دفنت اولا
بالابواء ثم نقلت من ذلك المحل الى مكة فعلم ان بكاءه صلى الله عليه وسلم كان قبل

ان

ان يحييهما الله تعالى له وتؤمن به قال الحافظ ابن السيوطي ان هذا الحديث اي
حديث عايشة قيل انه موضوع لكن الصواب ضعفه لا وضعه هذا كلامه
ويجوز ان يكون قوله صلى الله عليه وسلم لشخصين اي واسكما في النار وعلى تقدير
صحته التي ادعاها الحاكم في المستدرك كان قبل احيائهما وايمانهما كما تقدم نظير ذلك
في ابيه وقولنا على تقدير صحة الحديث اشارة لما تقرر في علوم الحديث انه لا يقبل
تفرد الحاكم بالتصحيح في المستدرك لما عرف من تساهله فيه في التصحيح وقد
بين الذهبي ضعف هذا الحديث وحلف على تقدير عدم صحته يمينا وتقدم الجواب
عما يقال كيف ينفع الايمان بعد الموت وتقدم ما فيه على ان هذا اي منع الاستغفار
لها انما يأتي على القول بان من بدل او غير او عبد الاصنام من اهل الفترة معذب
وهو قول ضعيف مبني على وجوب الايمان والتوحيد بالعقل والذي عليه اكثر
اهل السنة والجماعة انه لا يجب ذلك الا بارسال الرسل ومن المقررات
ان العرب لم يرسل اليهم رسولا بعد اسماعيل وان اسماعيل انتهت رسالته بموته
كبقية الرسل لان ثبوت الرسالة بعد الموت من خصائص نبينا صلى الله عليه وسلم
فعليه اهل الفترة من العرب لا تعذيب عليهم وان غيروا او بدلوا او عبدوا
الاصنام والاحاديث الواردة بتعذيب من ذكر اي من غير او بدل او عبد الاصنام
مؤولة او خرجت مخرج الزجر للحمل على الاسلام ثم رايت بعضهم رجح ان التكليف
بوجوب الايمان بالله تعالى وتوحيده اي بعدم عبادة الاصنام يكفي فيه وجود
رسول دعا الى ذلك وان لم يكن ذلك الرسول مرسلا لذلك الشخص بان لم يدرك
زمنه حيث بلغه انه دعا الى ذلك او امكنه علم ذلك وان التكليف بغير ذلك
من الفروع لا بد فيه من ان يكون ذلك الرسول مرسلا لذلك الشخص وقد
بلغته دعوته وعلى هذا فمن لم يدرك زمن نبينا صلى الله عليه وسلم ولا زمن من قبله
من الرسل معذب على الاشراك بالله تعالى بعبادته الاصنام لانه على فرض انه لا
تبلغه دعوة احد من الرسل السابقين الى الايمان بالله وتوحيده لكنه كان
متمكنا من علم ذلك فهو تعذيب بعد بعث الرسل لا قبله وحينئذ لا يشكل ما
اخرجه الطبراني في الاوسط بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بعث الله نبيا الى قوم ثم قبضه الا
جعل بعده فترة يملأ من تلك الفترة جهنم ولعل المراد المبالغة في الكثرة
والا فقد اخرج الشيخان عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تزال جهنم
يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة جل جلاله فيها قدمه فيرتد

بعضها الى بعض وتقول قط قط اى حسبى بعزتك وكرمك واما بالنسبة لغير
الايمان والتوحيد من الفروع فلا تعذيب على تلك الفروع لعدم بعثة
رسول اليهم فاهل الفترة وان كانوا مقرين بالله الا انهم اشركوا بعبادة ٥
الاصنام فقد حكى الله تعالى عنهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقد جاء
النهى عن ذلك على السنة الرسل السابقين صلوات الله وسلامه عليهم ووجه
التفرقة بين الايمان والتوحيد وغير ذلك ان الشرائع بالنسبة للايمان بالله
وتوحيده كالشريعة الواحدة لاتفاق جميع الشرائع قيل وهو المراد من قوله تعالى
شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا فقد قال بعضهم المراد من الاية استواء ٥
الشرائع كلها في اصل التوحيد اى وهو ثم قال في تمام الاية ولا تتفرقوا فيه
قال لقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ومن
ثم قاتل بعض الانبياء غير قومه على الشرك بعبادة الاصنام ولو لم يكن الايمان
والتوحيد لازما لهم لم يقاتلهم بخلاف غيره من الفروع فان الشرائع فيها
مختلفة قال بعضهم سبب اختلاف الشرائع اختلاف الامم في الاستعداد
والقابلية والدليل على ان الانبياء متفقون على الايمان والتوحيد ما جاء
انه صلى الله عليه وسلم قال الانبياء اولاد علات اى اصل دينهم واحد وهو التوحيد
وان اختلفت فروع شرائعهم لان العلات الضرائر فالاولاد اخوة من الاب
ولامهاتهم مختلفة وقد جاء هذا التفسير من نفس الحديث ففي بعض الروايات
الانبياء اخوة من علات امهاتهم شتى ودينهم واحد وبه يعلم ما في كلام العلامة
ابن حجر الهيثمي حيث ذكر ان الحق الواضح الذى لا غبار عليه ان اهل الفترة
جميعهم ناجون وهم من لم يرسل لهم رسول يكلفهم الايمان بالله فالعرب حتى في
زمن انبياء بنى اسرائيل اهل فترة لان تلك الرسل لم يؤمروا بدعائهم الى الله تعالى
وتعليمهم الايمان قال نعم من ورد فيه حديث صحيح من اهل الفترة بانه من
اهل النار فان امكن تاويله فذاك والا لزمنا ان نؤمن بهذا الفرد بخصوصه
قال واما قول الفخر الرازى لم تزل دعوة الرسل الى التوحيد معلومة فجوابه
ان كل رسول انما ارسل الى قوم مخصوصين فمن لم يرسل اليه لا يعذب وحوا ان
ما صح من تعذيب اهل الفترة انها اخبار آحاد فلا تعارض القطع او يقصر
التعذيب على ذلك الفرد بخصوصه اى حيث لا يقبل التاويل كما تقدم
هذا كلامه هذا وقد جاء انهم اى اهل الفترة يمتحنون يوم القيمة فقد
اخرج البزار عن ثوبان ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيمة

جاء اهل الجاهلية يحملون اوثانهم على ظهورهم فيسالهم ربهم فيقولون ربنا
لم ترسل لنا رسولا ولم ياتنا لك امر ولو ارسلت الينا رسولا لكنا اطوع عبادك فيقول
لهم ربهم ارايتم ان امرتكم بان تطيعونى فياخذ على ذلك مواثيقهم فيرسل اليهم
ان ادخلوا النار فينطلقون حتى اذا رأوها فرقوا فرجعوا فقالوا ربنا فرقنا منها
ولا نستطيع ان ندخلها فيقول ادخلوها داخرين فقال النبى صلى الله عليه وسلم لو دخلوها
اول مرة كانت عليهم بردا وسلاما قال الحافظ ابن حجر فالظن بال النبى صلى الله عليه وسلم
يعنى الذين ماتوا قبل البعثة انهم يطيقون عند الامتحان اكراما له صلى الله
عليه وسلم لتقر عينه ويرجعوا ان يدخل عبد المطلب الجنة في جماعة من يدخلها طائعا
الا ابا طالب فانه ادرك البعثة ولم يؤمن به اى بعد ان طلب منه الايمان ومما
استدل به الحافظ السيوطى على ان ابويه صلى الله عليه وسلم ليسا في النار قال لانهما
لو كانا في النار لكانا اهون عذابا من ابى طالب لانهما اقرب منه وابسط عذرا
لانهما لم يدركا البعثة ولا عرض عليهما الاسلام فامتنعا بخلاف ابى طالب وقد
اخبر الصادق صلى الله عليه وسلم انه اهون اهل النار عذابا فليس ابواه صلى
الله عليه وسلم من اهلها قال وهذا يسمى عند اهل الاصول دلالة الاشارة
وكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة لا يجلس عليه احد من بنيه
اى ولا احد من اشراف قريش اجلالا له فكان بنوه وسادات قريش يجلسون
حوله فكان صلى الله عليه وسلم ياتى وهو غلام جفر اى شديد قوى حتى يجلس عليه
فياخذه اعمامه ليؤخروه عنه فيقول عبد المطلب اذا رأى ذلك منهم
دعوا ابنى فوالله ان له لشانا ثم يجلسه عليه معه ويمسح ظهره ويسره ما يراه
يصنع قال وعن ابن عباس دعوا ابنى يجلس فانه يحس من نفسه بشئ اى بشرف
وارجوا ان يبلغ من الشرف ما لم يبلغه عربى قبله ولا بعده وفي رواية دعوا
ابنى انه ليؤنس ملكا اى يعلم من نفسه ان له ملكا وفي لفظ ردوا ابنى الى
مجلسى فانه تحدثه نفسه بملك عظيم وسيكون له شان وعن ابن عباس رضى الله عنهما
قال سمعت ابى يقول كان لعبد المطلب مفرش في الحجر لا يجلس عليه غيره وكان حرب
ابن امية فمن دونه من عظماء قريش يجلسون حوله دون المفرش فجاء رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوما وهو غلام لم يبلغ الحلم فجلس على المفرش فجذبه رجل فبكى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد المطلب وذلك بعد ما كف بصره ما لابنى
يبكى قالوا له اراد ان يجلس على المفرش فمنعوه فقال عبد المطلب دعوا
ابنى يجلس عليه فانه يحس من نفسه بشرف اى يتيقن في نفسه شرفا وارجوا ان

يبلغ من الشرف ما لم يبلغه عربي قبله ولا بعده اي فكانوا بعد ذلك لا يردونه
عند حضرة عبد المطلب او غاب اي ولعل هذا كان في اخر الامر فلا ينافي ما
تقدم له الظاهر في تكرر ذلك منه صلى الله عليه وسلم من اختلاف قول عبد
المطلب والا فيحتمل ان اختلاف قول عبد المطلب جاء من اختلاف الرواة وقال
لعبد المطلب قوم من بني مدلج اي وهم القافة العارفون بالاثار والعلامات
احتفظ به فانا لم نر قدما اشبه بالقدم التي في المقام منه اي وهي قدم ابراهيم
عليه الصلاة والسلام اقول اي فان ابراهيم عليه الصلاة والسلام اثرت قدماه
في المقام وهو الحجر الذي كان يقوم عليه عند بناء البيت كما سيأتي وهو الذي يزال الان
بالمكان الذي يقال له مقام ابراهيم اي وقد اشار الى ذلك عمه ابو طالب في
قصيدته يقول مقسما

وبالحجر المسود اذ يلمسونه • اذا اكتنفوه في الضحى والاصايل
وموطئ ابراهيم في الصخر رطبة • على قدميه حافيا غير ناعل

قال الحافظ ابن كثير يعني ان رجله الكريمة غاصت في الصخرة فصارت على قدر
قدمه حافية لا منتعلة وعن انس رضي الله تعالى عنه رأيت في المقام اثر اصابع
ابراهيم وعقبيه واخمص قدميه غير ان مسح الناس بايديهم اذهب ذلك
اي وتشابه قدمه صلى الله عليه وسلم لقدم سيدنا ابراهيم يدل على ان تلك الاقدام
بعضها من بعض كما تقدم في قول مجزز المدلجي في زيد واسامة وقد ناما وغطيا
رؤسهما وبدت اقدامهما ان هذه الاقدام بعضها من بعض فسر بذلك صلى الله
عليه وسلم لان في ذلك ردا على من كان يطعن في نسب اسامة من زيد كما تقدم
وذكر بعضهم ان نبينا صلى الله عليه وسلم اثر قدمه في الحجر ايضا فعد اثره في صخرة
بيت المقدس ليلة الاسراء وان ذلك الاثر موجود الى الان وذكر الجلال السيوطي
انه لم يقف لذلك اي لتأثير قدمه في الحجر على اصل ولا سند قال ولا رايت من خرجه
في شيء من كتب الحديث وقال مثل ذلك فيما اشتهر على الالسنة ان مرفقه الشريف
لما لصقه بالحائط غاص في الحجر واثر فيه وبه يسمى ذلك المحل بزقاق المرفق
ومن العجب ان الجلال السيوطي مع قوله المذكور قال في الخصائص الصغرى ولا وطئ على
صخر الا واثر فيه هذا كلامه ولعله ظهر له صحة ذلك بعد انكاره ودعوى انه صلى
الله عليه وسلم ما وطئ على صخر الا واثر فيه قد يتوقف فيه ثم رايت الامام السبكي ذكر
تأثير قدمه الشريف في الاحجار حيث قال في تائيته شعر

وأثر في الاحجار مشيك ثم لم • يؤثر برمل او ببطحاء رطبة

قال

قال شارحها ولعل عدم تأثير قدمه الشريف في الرمل كان ليلة ذهابه الى الغار
اي فليس كان هذا شانه صلى الله عليه وسلم في كل رمل مشى عليه وكان صلى الله عليه وسلم
اذا رفع قدمه عن الرمل يقول لابي بكر ضع قدمك موضع قدمي فان الرمل لا ينم اراد به
اخفاء اثره سيرا ليتحير المشركون في طلبه وفيه ان هذا التعليل مقتض لتأثير قدمه
الشريف في الرمل لا لعدم تأثيره في ذلك ويؤيد ذلك انه سيأتي انهم قصوا اثره
صلى الله عليه وسلم الى ان انقطع الاثر عند الغار اي وقال لهم القائف هذا اثر قدم ابن ابي
قحافة واما القدم الاخر فلا اعرفه الا انه يشبه القدم الذي في المقام يعني مقام
ابراهيم فقالت قريش ما وراء هذا شيء اي محل كما سيأتي وفيه ان هذا اي تميز قدمه الشريف
من قدم سيدنا ابي بكر رضي الله عنه ينافيه قوله لابي بكر ضع قدمك موضع قدمي فان الرمل لا ينم
وقد يقال لا منافاة لانه يجوز ان يكون قدم ابي بكر لم يكن مساويا لقدمه صلى الله عليه وسلم
ولا ينفعه في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فان الرمل لا ينم لجواز ان يكون المراد لا يظهر فيه تقدمي
ظهورا بينا فصح قول القائف هذا اثر قدم ابن ابي قحافة واما القدم الاخر الى اخره
ولم يعترض هذا الشارح على تأثير قدميه في الحجارة بل ابدى لذلك حكما لا باس
بها فلتراجع وقوله في الاحجار يدل على تكرر تأثير قدمه الشريف في الاحجار فلم يكن
ذلك شانه صلى الله عليه وسلم في كل حجر مشى عليه كما دل عليه عبارة الجلال السيوطي
والله اعلم قال وبينا عبد المطلب يوما في الحجر وعنده اسقف نجران والاسقف
رئيس النصارى في دينهم اشتق من السقف بالتحريك وهو طول الانحناء لانه يتخاشع
اي يظهر الخشوع وذلك الاسقف يحادثه ويقول انا نجد صفة نبي بقي من ولد اسماعيل
وهذا البلد مولده ومن صفته كذا وكذا واتى برسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر
اليه الاسقف والى عينيه والى ظهره والى قدميه فقال هو هذا ما هذا منك قال هذا
ابني قال ما نجد اباه حيا قال هو ابن ابني وقد مات ابوه وامه حبلى به قال صدقت
فقال عبد المطلب لبنيه تحفظوا بابن اخيكم الا تسمعون ما يقال فيه انتهى وعن ام
ايمن كنت احضن النبي صلى الله عليه وسلم ما يقال فيه انتهى وعن ام ايمن كنت احضن
النبي صلى الله عليه وسلم اي اقوم بتربيته وحفظه فغفلت عنه يوما فلم ادر الا بعبد
المطلب قائما على راسي يقول يا بركة قلت لبيك قال اتدرين اين وجدت ابني قلت
لا ادري قال وجدته مع غلمان قريبا من السدرة لا تغفلي عن ابني فان اهل الكتاب
اي ومنهم سيف ابن ذي يزن كما سيأتي يزعمون انه نبي هذه الامة وانا لا آمن عليه
وكان لا ياكل يعني عبد المطلب طعاما الا يقول علي بابني اي احضروه قال وكان عبد
المطلب اذا اتي بطعام اجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه وربما اقعده

على نحره فيوثره باطيب طعامه انتهى وعن بعضهم اى وهو جعدة بن معاوية
العامرى كان من المعمرين وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلم قال بعضهم
مات وهو عم الف رجل وامراة قال حججت فى الجاهلية فبينا انا اطوف بالبيت اذا
رجل وفى رواية اذا شيخ طويل يطوف بالبيت وهو يقول • رد الى راكبى محمدا •
وفى رواية • يا رب رد راكبى محمدا • ارده زلى واصطنع عندى يدا • فقلت
من هذا قال عبد المطلب ابن هاشم بعث ابن ابنه فى ابل هذا سيد قريش عبد المطلب
له ابل كثيرة فاذا ضل منها شئ بعث فيه بنيه يطلبونها فاذا غابوا بعث ابن
ابنه ولم يبعثه فى حاجة الا انجح فيها وقد بعثه فى حاجة اعيى عنها بنوه وقد
ابطا عليه انتهى فما برحت اى ما زلت عن مكانى حتى جاء بالابل معه فقال له يا بنى
حزنت عليك حزنا لا يفارقنى بعد ابدا وتقدم عن بعض المفسرين ما لا يحتاج
الى اعادته وعن رقيقة بنت ابى صيفى اى ابن هاشم بن عبد مناف زوجة
عبد المطلب ذكرها ابن سعد فى المسلمات المهاجرات اقول وقال ابو نعيم
لا اراها ادركت الاسلام وقال ابن حبان يقال ان لها صحبة والله اعلم قالت
تتابعت على قريش سنون اى ازمنة قحط وجدب ذهبت بالاموال واشفين
اى اشرفن على الانفس قالت فسمعت قايلا يقول فى المنام يا معشر قريش ان هذا
النبى المبعوث منكم هذا ابان اى وقت خروجه وبه ياتيكم الحيا اى بالمطر المطر
العام والخصب فانظروا رجلا من اوساطكم اى اشرافكم نسبا طوالا عظاما
اى طويلا عظيما ابيض مقرون الحاجبين اهدب الاشفار اى طويل شعر الاجفان
اسهل الخدين اى لا نتو بهما رقيق العرنين اى الانف وقيل اوله فليخرج هو
وجميع ولده وليخرج منكم من كل بطن رجل فيتطهروا ويتطيبوا ثم استلموا الركن
ثم ارقوا الى راس ابى قبيس ثم يتقدم هذا الرجل فيستسقى وتومنون فانكم تسقون
فاصبحت وقصت روياها عليهم فنظروا فوجدوا هذه الصفة صفة عبد المطلب
فاجتمعوا عليه واخرجوا من كل بطن رجلا ففعلوا ما امرتهم به ثم علوا على ابى قبيس
ومعهم النبى صلى الله عليه وسلم وهو غلام فتقدم عبد المطلب فقال لاهم هولاء
عبيدك وبنو عبيدك واماوك وبنو امايك وقد نزل بنا ما ترى وتتابعت
علينا السنون فذهبت بالظلف والخف والحافر اى الابل والبقر والخيل والبغال
والحمير فاشفت على الانفس اى اشرفت على ذهابها فاذهب عنا الجدب وائتنا
بالحيا والخصب فما برحوا حتى سالت الاودية قال وفى رواية اخرى عن رقيقة
قالت تتابعت على قريش سنون جدبت المحل اى ايبست الجلد وادقت العظم

فبينا انا نايمة او مهومة اى بين اليقظان والنايمة اذا هاتف هو الذى يسمع
صوته ولا يرى شخصه كما تقدم يصرخ بصوت صحل اى فيه بحوحة وهى خشونة الصوت
وغلظه يقول يا معشر قريش ان هذا النبى المبعوث منكم قد اظلتكم ايامه اى
قربت منكم وهذا ابان مخرجه فحيهلا بالحيا والخصب الا فانظروا رجلا منكم وسيطا
عظاما ابيض بضا اى شديد البياض اوطف الاهداب اى كثير شعر العينين
سهل الخدين اشم العرنين اى مرتفع الانف له فخر يكظم عليه • اى يسكت عليه
ولا يظهره وسنى يهتدى اليه اى يرشد اليه فليخلص هو وولده وولد ولده وليدلف
اى يتقدم اليه من كل بطن رجل فليشنوا من الماء اى يفرغوه على اجسادهم
اى يغتسلوا به وليمسوا من الطيب ثم ليستلموا الركن وليطوفوا بالبيت العتيق
سبعا ثم ليرقوا ابا قبيس فليستسق الرجل وليومن القوم الا وفيهم الطيب
الطاهر فغثتم اذا ما شيتم اى جاكم الغيث على ما تريدون قالت فاصبحت مذعورة
قد اقشعر جلدى ووله اى ذهب عقلى واقتصيت روياى اى ذكرتها على •
وجهها فنمت اى فشت وكثرت فى شعاب مكة فما بقى بالبطحا الا قال هذا شيبة الحمد
يعنى عبد المطلب وقامت عنده قريش وانقض اليه من كل بطن رجل فشنوا من
الما ومسوا من الطيب واستلموا وطافوا ثم ارتقوا ابا قبيس فطفق القوم
يدنون حوله ما ان يدركه بعضهم مهله وهى التوده وان النبى ومعه رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد ايفع اى ارتفع او كرب اى قرب من ذلك فقام عبد المطلب
فقال اللهم ساد الخلة • وكاشف الكربة • انت عالم غير معلم • ومسوول غير
مبخل • وهذه عبيدك واماوك • بعذرات حرمك • اى افنيته يشكون اليك
سنتهم التى اقحلت اى ايبست الظلف والخف اى الابل والبقر فامطرن اللهم
غيثا مريعا فما برحوا حتى انفجرت السما بمايها وكظ الوادى اى ضاق بثجه اى
بسيله فلسمعت شيخان قريش وهى تقول لعبد المطلب هنيالك يا ابا البطحا بك
عاش اهل البطحا انتهى اى والظاهر ان القصة واحدة فليتامل الجمع وقد
يدعى ان الاختلاف من الرواة منهم من عبر بالمعنى وفى سقيا الناس بعبد المطلب
وان ذلك ببركته صلى الله عليه وسلم تقول رقيقة •
• بشيبة الحمد اسقى الله بلدتنا • وقد عدمنا الحيا واجلوذ المطر •
اجلوذ اى امتد زمن تاخره فجاد بالما جونى له سبل دان اى مطرها طل كثير
الهطل قريب فعاشت به الانعام والشجر منا من الله بالميمون طايره اى المبارك
حظه وخير من بشرت يوما به مضر • مبارك الاسم يستسقى الغمام

مبارك الوجه يستسقى الغمام به • ما فى الانام له عدل ولا خطر •
اى لا معادل ولا مماثل له ولما سقوا لم يصل المطر الى بلاد قيس ومضر فاجتمع
عظماؤهم وقالوا قد اصبحنا فى جهد وجدب وقد سقى الله الناس بعبد المطلب
فاقصدوه لعله يسال الله فيكم فقدموا مكة ودخلوا على عبد المطلب فحيوه
بالسلام فقال لهم افلحت الوجوه وقام خطيبهم فقال قد اصابتنا سنون مجد
بات وقد بان لنا اثرك وصح عندنا خبرك فاشفع لنا عند من شفعك واجرى
الغمام لك فقال عبد المطلب سمعا وطاعة موعدكم غدا عرفات ثم اصبح
غاديا اليها وخرج معه الناس وولده ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنصب لعبد المطلب كرسى فجلس عليه واخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
فوضعه فى حجره ثم قام عبد المطلب ورفع يديه ثم قال اللهم رب البرق الخاطف
والرعد القاصف رب الارباب وملين الصعاب هذه قيس ومضر من خير
البشر قد شعثت روسها وحدبت ظهورها تشكوا اليك شدة الهزال وذهاب
النفوس والاموال اللهم فاتح لهم سحابا حوارة وسماء خرارة لتضحك ارضهم
وتزول ضررهم فما استتم كلامه حتى نشات سحابة وكنا لها دوى وقصدت
نحو عبد المطلب ثم قصدت نحو بلادهم فقال عبد المطلب يا معشر قيس ومضر
انصرفوا فقد سقيتم فرجعوا وقد سقوا وذكر بعضهم انهم كانوا فى الجاهلية
يستسقون اذا اجدبوا فاذا ارادوا ذلك اخذوا من ثلاثة اشجار وهى سلع وعشر
وشرق من كل شجرة شيئا من عيدانها وجعلوا ذلك حزمة وربطوها على ظهر ثور صعب
واضرموا فيها النار ويرسلون ذلك الثور فاذا احس بالنار عدا حتى يحترق ما
على ظهره ويتساقط وقد يهلك ذلك الثور فيسقون وفى حياة الحيوان
كانت العرب اذا ارادت الاستسقا جعلت النيران فى اذناب البقر واطلقوها
فتمطر السما فان الله يرحمها بسبب ذلك قال وذكر ابن الجوزى انه صلى الله عليه وسلم
واطلقوها فى سنة سبع من مولده اصابه رمد شديد فعولج بمكة فلم يغن فقيل لعبد
المطلب ان فى ناحية عكاظ راهبا يعالج الاعين فركب اليه ومعه رسول الله صلى
الله عليه وسلم فناداه وديره مغلق فلم يجبه فتزلزل ديره حتى خاف ان يسقط عليه
فخرج مبادرا فقال يا عبد المطلب ان هذا الغلام نبى هذه الامة ولو لم اخرج اليك
لخر على ديرى فارجع به واحفظه لا يقتله بعض اهل الكتاب ثم عالجه واعطاهما يعالجه
به هذا ورايت فى كتاب سماه مولد كريم الدنيا ونديم الكرما ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم رمد وهو صغير فمكث اياما يشتكى فقال قائل لجده عبد المطلب ان بين

مكة

مكة والمدينة راهبا يرقى من الرمد وقد شفى على يديه خلق كثير فاخذه جده وذهب
به الى ذلك الراهب فلما رآه الراهب دخل الى صومعته فاغتسل ولبس ثيابه
ثم اخرج صحيفة فجعل ينظر الى الصحيفة والى النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال والله
هو خاتم النبيين ثم قال يا عبد المطلب هو ارمد قال نعم قال ان دواءه معه
يا عبد الله خذ من ريقه وضعه على عينيه فاخذ عبد المطلب من ريقه صلى الله
عليه وسلم ووضعه على عينيه صلى الله عليه وسلم فبرئ لوقته ثم قال الراهب
يا عبد المطلب وتالله هذا الذى اقسم على الله به فابرئ المرضى واشفى الاعين من الرمد
فليتامل فان تعدد الواقعة لا يخلو عن بعد باب وفاة عبد
المطلب وكفالة عمه ابى طالب له صلى الله عليه وسلم ثم لما كان سنه صلى
الله عليه وسلم ثمان سنين اى بنا على الراجح من الاقوال المنكثرة ويرجحه ما ياتى
توفى عبد المطلب وله من العمر خمس وستون وقيل مائة وعشرون وقيل واربعون
اى ولعل ضعف هذا القول اقتضى عدم ذكر ابن الجوزى لعبد المطلب فى المعمرين
قال وقيل اثنان وثمانون اى وعليه اقتصر الحافظ الدمياطى قال وقيل مائة وعشر
واربعون انتهى وقد قيل له يا رسول الله اتذكر موت عبد المطلب قال نعم وانا
يومئذ ابن ثمان سنين وعن ام ايمن انها كانت تحدث ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يبكى خلف سرير عبد المطلب وهو ابن ثمان سنين ودفن
بالحجون عند جده قصى وجاء عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يبعث جدى عبد المطلب فى زى الملوك وابهة الاشراف
ولما حضرته الوفاة اوصى به الى عمه شقيق ابيه ابى طالب اى وكان ابو طالب
ممن حرم الخمر على نفسه فى الجاهلية كابيه عبد المطلب كما تقدم واسمه على الصحيح
عبد مناف وزعمت الروافض ان اسمه عمران وانه المراد من قوله تعالى ان الله
اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين قال الحافظ ابن كثير
وقد اخطأوا فى ذلك خطا كبيرا ولم يتاملوا القرآن قبل ان يقولوا هذا البهتان
فقد ذكر بعد هذه قوله تعالى اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك ما فى
بطنى محررا وحين اوصى به جده لابى طالب احبه حبا شديدا لا يحبه احدا من ولده
وكان لا ينام الا الى جنبه وكان يخصه باحسن الطعام اى وقيل اقترع ابو طالب
هو والزبير شقيقه فى كفالته صلى الله عليه وسلم منهما فخرجت القرعة لابى طالب
وقيل بل هو صلى الله عليه وسلم اختار ابا طالب لما كان يراه من شفقته عليه وسوالا
قبل موت عبد المطلب فيما ياتى انه كان مشاركا له فى كفالته وقيل كفله الزبير حتى

ثم مات عبد المطلب ثم كفله ابو طالب اى بعد موت الزبير وغلط قايله بان الزبير
شهد حلف الفضول ولرسول الله صلى الله عليه وسلم من العمر نيف وعشرون سنة
كذا فى اسد الغابة متعقبا له فتدبر على ما قبله وبه يكون عمره صلى الله عليه وسلم
فى حلف الفضول كان نيفا وعشرين سنة تحريرها سيأتى ان عمره صلى الله عليه وسلم
اذ ذاك كان اربعة عشر سنة وفى كلام بعضهم فلما مات عبد المطلب كفله عماه شقيقا
ابيه الزبير وابو طالب ثم مات عمه الزبير وله من العمر اربع عشرة سنة فانفرد به ابو
طالب وكفالة جده وعمه له صلى الله عليه وسلم بعد موت ابيه وامه مذكورة فى
الكتب القديمة علامة لنبوته صلى الله عليه وسلم ففى خبر سيف بن ذى يزن يموت
ابوه وامه ويكفله جده وعمه اى وفى سيرة ابن هشام عن ابن اسحاق ان عبد المطلب
لما حضرته الوفاة وعرف انه ميت جمع بناته وكن ست نسوة صفية وهى ام الزبير
ابن العوام وبرة وعاتكة وام حكيم البيضاء اى وهى جدة عثمان بن عفان لامه واميمة
واروى فقال لهن ابكين على حتى اسمع ما تقلن فى قبل ان اموت فقالت
كل واحدة منهن شعرا فى وصفه مذكور فى تلك السيرة ولما سمع جميع ذلك
اشار برأسه ان هكذا فابكينني ويقال انه انما اشار بذلك لما سمع اميمة وقد
امسك لسانه فكان من قولها

اعينى جودا بدمع درر ... على ماجد الخيم والمعتصر
على ماجد الجد وارى الزنا ... د جميل المحيا عظيم الخطر
على شيبة الحمد ذى المكرما ... ت وذى المجد والعز والمفتخر
وذى الحلم والفضل فى النائبا ... ت كثير المفاخر جم الفخر
له مجد فضل على قومه ... منير يلوح كضوء القمر

قال ابن هشام لم ار احدا من اهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر الا انه اى ابن
اسحاق لما رآه عن ابن المسيب كتبه فى كتب بعضهم ولم يبك احد بعد موته
ما بكى عبد المطلب بعد موته ولم يقم لموته بمكة سوق اياما كثيرة وروى ابو نعيم
والبيهقى ان سيف بن ذى يزن الحميرى لما ولى على الحبشة وذلك بعد مولد رسول الله
صلى الله عليه وسلم بسنتين اتاه وفود العرب واشرافها وشعراؤها لتهنيه اى بهلاك ملوك
الحبشة ولولايته عليهم اى لان ملك اليمن كان لحمير فانتزعه الحبشة منهم واستمر
فى يد الحبشة سبعين سنة ثم ان سيف بن ذى يزن الحميرى استنقذ ملك اليمن من
الحبشة واستقر فيه على عادة ابائه وجاءت العرب تهنيه من كل جانب وكان من جملتهم
وفد قريش وفيهم عبد المطلب وامية بن عبد شمس وغالب وجهائهم اى كعبد الله

ابن

ابن جدعان بضم الجيم واسكان الدال المهملة وبالعين المهملة التيمى وهو ابن عم
عايشة رضى الله عنها وكاسد بن عبد العزى ووهب بن عبد مناف وقصى بن عبد
الدار فاخبر بمكانهم اى وكان فى قصره بصنعا وهو متضمخ بالمسك وعليه بردان
والتاج على رأسه وسيفه بين يديه وملوك حمير عن يمينه وشماله فاذن لهم فدخلوا
عليه ودنى منه عبد المطلب وفى الوفا وجدوه جالسا على سرير من الذهب وحوله
اشراف اليمن على كراسى من الذهب فوضعت لهم كراسى من الذهب فجلسوا عليها الا عبد
المطلب فانه قام بين يديه واستاذنه فى الكلام فقال ان كنت ممن يتكلم بين
يدى الملوك فقد اذنا لك فقال ان الله عز وجل احلك ايها الملك محلا رفيعا
شامخا اى مرتفعا باذخا عاليا منيعا وانبتك نباتا طابت ارومته وعظمت
جرثومته اى ارومته وجرثومته اى الاصل وثبت اصله وبسق اى طال فرعه
فى اطيب موضع واكرم معدن وانت ابيت اللعن اى ابيت ان تاتى من الامور
ما تلعن عليه ملك العرب الذى له تنقاد وعمودها الذى عليه العماد وكهفها
الذى تلجأ اليه العباد سلفك خير سلف وانت لنا فيهم خير خلف فلن يهلك ذكر
من انت خلفه ولن يخمل ذكر من انت سلفه نحن اهل حرم الله وسدنة بيته اشخصنا
اى احضرنا اليك الذى ابهجنا من كشف الكرب الذى فدحنا اى اثقلنا فنحن وفد
التهنئة لا وفد المرزئة اى التعزية فعند ذلك قال له الملك
من انت ايها المتكلم قال عبد المطلب بن هاشم قال ابن اختنا بالمثناة فوق
لان ام عبد المطلب من الخزرج وهم من اليمن قال نعم قال ادنه ثم اقبل عليه
وعلى القوم فقال مرحبا واهلا وناقة ورحلا ومستناخا سهلا وملكا ربحلا اى
كثير العطا يعطى عطاء جزلا قد سمع الملك مقالتكم وعرف قرابتكم وقبل
وسيلتكم فانكم اهل الليل والنهار ولكم الكرامة ما اقمتم والحبا اى العطايا اذا
ظعنتم ثم انهضوا الى دار الضيافة والوفود واجرى عليهم الانزال فاقاموا
بذلك شهرا لا يصلون اليه ولا يؤذن لهم بالانصراف ثم انتبه لهم انتباهة فارسل
الى عبد المطلب فادناه ثم قال له يا عبد المطلب انى مفض اليك من سر علمى امرا لو
غيرك يكون لم ابح له به ولكن رايتك معدنه فاطلعتك طلعه اى عليه فليكن عندك
مخبا حتى ياذن الله عز وجل فيه انى اجد فى الكتاب المكنون والعلم المخزون الذى
ادخرناه لانفسنا واحتجبناه اى كتمناه دون غيرنا خبرا عظيما وخطرا جسيما فيه
شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة فقال
له عبد المطلب مثلك ايها الملك سر وبر فما هو فداك اهل الوبر زمرا بعد زمر فقال

اذا ولد بتهامة غلام بين كتفيه شامة كانت له الامامة ولكم به الزعامة اى السيادة
الى يوم القيمة فقال عبد المطلب ايها الملك ابت اى رجعت بخير ما آب بمثله
وافد قوم ولولا هيبة الملك واجلاله واعظامه لسالته من مساره اى من مسارته
اياى مما ازداد به سرورا فقال له الملك هذا حينه الذى يولد فيه اوقد ولد اسمه
محمد يموت ابوه وامه ويكفله جده وعمه قد ولدناه مرارا والله باعثه جهارا وجاعل
له منا انصارا يعز بهم اولياءه ويذل بهم اعداءه ويضرب بهم الناس عن عرض اى جميعا
ويستفتح بهم كرائم الارض يعبد الرحمن ويدحض اى يزجر الشيطان ويخمد النيران
ويكسر الاوثان قوله فصل وحكمه عدل ويامر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله
فقال له عبد المطلب جد جدك ودام ملكك وعلا كعبك فهل الملك سارى بافصاح
فقد وضح لى بعض الايضاح قال والبيت ذى الحجب والعلامات على النصب اى الطرف
انك لجده يا عبد المطلب غير كذب قال فخر عبد المطلب ساجدا فقال له ارفع راسك ثلج
صدرك وعلا كعبك فهل احسست بشىء مما ذكرت لك قال نعم ايها الملك انه كان لى ابن
وكنت به معجبا وعليه رفيقا وانى زوجته كريمة من كرائم قومى امنة بنت وهب بن
عبد مناف بن زهرة فجاءت بغلام فسميته محمدا مات ابوه وامه وكفلته انا وعمه
يعنى ابا طالب وهذا يدل على ان وفود عبد المطلب على سيف بن ذى يزن كان بعد
موت امه صلى الله عليه وسلم وحينئذ لا ينافى ذلك ما تقدم ان عمره صلى الله عليه وسلم
كان ستين لان ذلك كان سنة جيئ الحبشة على الحبشة وتأخر وفود
عبد المطلب عليه بعد موت امه صلى الله عليه وسلم ويدل على ان ابا طالب كان شاركا
لعبد المطلب فى كفالته صلى الله عليه وسلم فى حياة عبد المطلب ثم اختص بذلك
بعد موته اى وعبارة سيف بن ذى يزن صادقة بالحالين فقال له ان الذى قلت
لك كما قلت فاحفظ ابنك واحذر عليه اليهود فانهم له اعدا ولن يجعل الله لهم
عليه سبيلا اى محفظه والخوف عليهم منهم من باب الاحتياط والاعلام بقدره قال
واطو ما ذكرت لك عن هؤلاء الذين معك فانى لست امن ان تدخلهم النفاسة
من ان يكون له الرياسة فينصبون له الحبائل ويبغون له الغوائل وهم فاعلون
ذلك او ابناؤهم من غير شك ولولا انى اعلم ان الموت مجتاحى اى مهلكى قبل مبعثه
لسرت بخيلى ورجلى حتى اصير بيثرب دار ملكه فانى اجد فى الكتاب الناطق والعلم
السابق ان بيثرب دار ملكه واستحكام امره واهل نصرته وموضع قبره ولولا
انى لا اقيه الافات واحذر عليه العاهات لاعلنت على حداثة سنه امره واعليت
على اسنان العرب كعبه ولكن سأصرف ذلك اليك من غير تقصير بمن معك ثم دعى

بالقوم

بالقوم وامر لكل واحد منهم بعشرة اعبد سود وعشرة اماء سود وحلتين
من حلل البرود وعشرة ارطال ذهبا وعشرة ارطال فضة ومائة من الابل
وكرش مملوء عنبرا وامر لعبد المطلب بعشرة اضعاف ذلك وقال اذا جاء الحول
فائتنى بخبره وما يكون من امره فمات الملك قبل ان يحول الحول وكان عبد المطلب
كثيرا ما يقول لمن معه لا يغبطنى رجل منكم بجزيل عطاء الملك ولكن يغبطنى بما يبقى لى
ولعقبى ذكره وفخره فاذا قيل ما هو قال ستعلم ما اقول ولو بعد حين انتهى وهذا
القصر الذى كان فيه سيف بن ذى يزن يقال له بيت غمدان يقال انه كان هيكلا
تعبد فيه الزهرة وكان سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه يقول لا افلحت العرب ما دام
فيها عمدانها فلا ولى عثمان رضى الله تعالى عنه الخلافة هدمه وكان ابو طالب مقلا من
المال فكان عياله اذا اكلوا جميعا او فرادى لم يشبعوا واذا اكل معهم النبى صلى الله عليه وسلم
شبعوا فكان ابو طالب اذا اراد ان يغديهم او يعشيهم يقول لهم كما انتم حتى يأتى ابنى
فيأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأكل معهم فيفضلون من طعامهم وان كان
لبنا شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم اولهم ثم تناول العيال القعب اى القدح الذى
من الخشب فيشربون منه فيروون من عند اخرهم اى جميعهم من القعب الواحد
وان كان احدهم يشرب قعبا واحدا فيقول ابو طالب انك لمبارك اى وفى الامتاع
وكان ابو طالب يقرب الى الصبيان يصبحهم اول البكرة فيجلسون وينتهبون
ويكف رسول الله صلى الله عليه وسلم يده لا ينتهب معهم فلما راى ذلك ابو طالب عزل
له طعاما على حدة هذا كلامه ولا ينافى ما قبله لانه يجوز ان يكون ذلك خاصا
بما يحضر فى البكرة الذى يقال له الفطور دون الغذا والعشا فانه كان يأكل معهم
وهو المتقدم والله اعلم وكان الصبيان يصبحون شعثا رمصا بضم الراء واسكان
الميم ثم صاد مهملة ويصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم دهينا كحيلا قالت ام ايمن
ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو جوعا قط ولا عطشا فى صغره ولا فى كبره
وكان يغدو اذا اصبح فيشرب من ماء زمزم شربة فربما عرضنا عليه الغذاء فيقول
انا شبعان اى فى بعض الاوقات فلا ينافى ما سبق وكان يوضع لابى طالب وسادة
يجلس عليها فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فجلس عليها فقال ان ابن اخى ليحس بنعيم
اى بشرف عظيم قال واستسقى ابو طالب برسول الله صلى الله عليه وسلم قال جلهمة بن
عرفطة قدمت مكة وقريش فى قحط فقائل منهم يقول اعبدوا اللات والعزى
وقائل منهم يقول اعبدوا مناة الثالثة الاخرى فقال شيخ وسيم حسن الوجه
جيد الراى انى تؤفكون اى كيف تصلون عن الحق وفيكم باقية ابراهيم وسلالة

هرج

اسماعيل اى فكيف تقولون عنه الى ما لا يجلى قالوا كانك عنيت ابا طالب قال ايها
فقاموا باجمعهم وقمت معهم فدققنا عليه بابه فخرج الينا رجل حسن الوجه عليه
ازار قد اتشح به فثاروا اى قاموا اليه فقالوا يا ابا طالب اقحط الوادى واجدب العيال
فهلم فاستسق لنا فخرج ابو طالب ومعه غلام كانه شمس دجنة بدال مهملة فجيم
مضمومتين اى ظلمة وفى رواية كانه شمس دجن اى ظلام تجلت عنه سحابة قتما اى من
القتام بالفتح وهو الغبار وحوله اغيلمة جمع غلام فاخذه ابو طالب فالصق ظهره
بالكعبة ولاذ اطاف باصبعه الغلام زاد فى بعض الروايات وبصبصت
الاغيلمة حوله اى فتحت اعينها وما فى السما قزعة اى قطعة من سحاب فاقبل السحاب
من هاهنا ومن هاهنا واغدق اى كثر مطره وانفجر له الوادى واخصب
النادى والبادى وفى ذلك يقول ابو طالب من قصيدة يمدح بها النبى صلى الله
عليه وسلم اكثر من ثمانين بيتا ﴿ وابيض يستسقى الغمام بوجهه ﴾
﴿ ثمال اليتامى عصمة للارامل ﴾ اى ملجا وغياثا لليتامى ﴿ ومانع الارامل
من الضياع والارامل المساكين من النسا والرجال وهو بالنسا اخص واكثر
استعمالا اقول ولحذف الشيعة من هذه القصيدة القول باسلام ابى طالب لانه
صنفها بعد البعثة وسياتى الكلام فى اسلامه واما ما نقله الدميرى فى شرح
المنهاج عن الطبرانى وابن سعد ان هذه القصيدة التى منها هذا البيت
من انشا عبد المطلب فهو وهم لما ادرج عليه ابية السيد انشيها ابو طالب
واحتمل توارد كل من ابى طالب وعبد المطلب على هذه القصيدة بعيد جدا وما
يصرح بالوهم ما ياتى عن النبى صلى الله عليه وسلم من نسبة هذا البيت لابى طالب
والله اعلم وفى ـــــ وعن ابى طالب قال كنت بذى المجاز وهو موضع على فرسخ
من عرفة كان سوقا للجاهلية كما تقدم مع ابن اخى يعنى النبى صلى الله عليه وسلم
فادركنى العطش فشكوت اليه فقلت يا ابن اخى قد عطشت وما قلت له ذلك
وانا ارى عنده شيا الا الجزع اى لم يحملنى على ذلك الا الجزع وعدم الصبر قال
فثنى وركه اى نزل عن دابته ثم قال يا عم عطشت قلت نعم فاهوى اى بعقبه
الى الارض وفى رواية الى صخرة فركضها برجله وقال شيا فاذا انا بالماء لم ار مثله
فقال اشرب فشربت حتى رويت فقال ارويت قلت نعم فركضها ثانيا فعادت
كما كانت وسافر اى وقد اتت عليه بضع عشرة سنة مع عمه الزبير بن العوام عبد
المطلب شقيق ابيه كما تقدم الى اليمن فمروا بواد فيه فحل من الابل يمنع من يجتاز
فلما راه البعير برك وحك الارض بكلكله اى صدره فنزل صلى الله عليه وسلم

عن بعيره

عن بعيره وركب ذلك الفحل وسار حتى جاوز الوادى ثم خلى عنه فلما
رجعوا من سفرهم مروا بواد مملوء ماء يتدفق فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اتبعونى ثم اقتحمه فاتبعوه فايبس الله الما فلما وصلوا الى مكة
تحدثوا بذلك فقال الناس ان لهذا الغلام شانا انتهى اى وفى السيرة الها
شمية
ان رجلا من لهب كان قائفا وكان اذا قدم مكة اتاه رجال من قريش بغلمانهم
ينظر اليهم ويقتاف لهم فيهم فاتى ابو طالب بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو غلام مع
من ياتيه فنظر اليه ثم شغل عنه بشئ فلما فرغ قال على بالغلام وجعل يقول ويلكم
ردوا على الغلام الذى رايت انفا فوالله ليكونن له شان فلما راى ابو طالب حرصه
عليه غيبه عنه وانطلق به

باب ذكر سفره صلى الله عليه وسلم مع عمه ابى طالب الى الشام

عن ابن اسحاق لما تهيا ابو طالب للرحيل صب
به رسول الله صلى الله عليه وسلم بفتح الصاد المهملة وتشديد الموحدة والصبابة
رقة الشوق قال فى الاصل وعند بعض الرواة فضبث به اى بفتح الضاد المعجمة
والبا الموحدة والثا المثلثة كضرب لزمه وقبض عليه يقال ضبثت على الشئ على
اذا قبضت عليه فقد جا اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام قل للملا من بنى اسرائيل
لا يدعونى والخطايا بين اضبا بهم اى قبضاتهم اى وهم يحملون الاوزار غير مقلعين
عنها اى وعلى ما عند بعض الرواة اقتصر الحافظ الدمياطى فلفظه لما تهيا يعنى
ابا طالب للرحيل ضبث به رسول الله صلى الله عليه وسلم فرق له ابو طالب وقال
والله لاخرجن به معى ولا يفارقنى ولا افارقه ابدا اقول رايت بعضهم نقل عن
سيرة الدمياطى وضبث به ابو طالب ضباثة لم تضبث مثلها لشئ قط وانه
ضبط ضبث بالضاد المعجمة والبا الموحدة والثا المثلثة قال وهو القبض على
الشئ وهذا لا يناسبه قوله ضباثة لم يضبث مثلها لشئ قط لان ذلك انما يناسب
صبث بالصاد المهملة اى الذى هو الرافة كما لا يخفى على ان مصدر ضبث انما هو
الضبث وهى ثم لم اجد ذلك فى السيرة المذكورة والذى رايته فيها ما قدمته
عنها وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم مسك بزمام ناقة ابى طالب وقال يا عم الى
من تكلنى لا اب لى ولا ام وكان سنه صلى الله عليه وسلم تسع سنين على الراجح
وقيل اثنتى عشرة سنة وشهرين وعشرة ايام اى وهذا القيل صدر به فى
الامتاع وقال انه اثبت ومن ثم اقتصر عليه المحب الطبرى وذكر انه لما سار به
اردفه خلفه فنزلوا على صاحب دير فقال صاحب الدير ما هذا الغلام منك
قال ابنى قال ما هو بابنك وما ينبغى ان يكون له اب حى هذا نبى اى لان من كا

هذه الصفة صفته فهو نبي اي النبي المنتظر ومن علامة ذلك النبي في الكتب القديمة
ان يموت ابوه وامه حامل به كما تقدم وسيأتي او بعد وضعه بقليل من الزمن اي
ومن علامته ايضا في تلك الكتب موت امه وهو صغير كما تقدم في خبر سيف ذي
يزن ولا ينافي ذلك الاقتصار من بعض اهل الكتب القديمة على الاول الذي
هو موت ابيه وهو حمل قال ابو طالب لصاحب الدير وما النبي قال الذي يأتي
اليه الخبر من السما فينبئ اهل الارض قال ابو طالب انشا اجل مما تقول قال فاتق
عليه اليهود ثم خرج حتى نزل براهب ايضا صاحب دير فقال ما هذا الغلام منك
قال ابني قال ما هو بابنك وما ينبغي ان يكون له اب حي قال ولم قال لان وجهه وجه
نبي وعينه عين نبي اي النبي الذي يبعث لهذه الامة الاخيرة لان ما ذكر علامته
في الكتب القديمة قال ابو طالب سبحان الله الله اجل مما تقول ثم قال ابو طالب للنبي
صلى الله عليه وسلم يا ابن اخي الا تسمع ما يقول قال اي عم لا تنكر لله قدرة
والله اعلم فلما نزل الركب بصرى وبها راهب يقال له بحيرا بفتح الموحدة وكسر
الحا وسكون المثناة التحتية اخره را مقصورة واسمه جرجيس وقيل سرجيس
وحينئذ يكون بحيرا لقبه في صومعة له وكان انتهى اليه علم النصرانية اي لان
تلك الصومعة كانت تكون لمن ينتهي اليه علم النصرانية يتوارثونها كابرا عن
كابر عن اوصيا عيسى عليه الصلاة والسلام وفي تلك المدة انتهى علم النصرانية
الى بحيرا وقيل كان حبرا من احبار اليهود يهوديا اه اقول لا منافاة لانه
يجوز ان يكون تنصر بعد ان كان يهوديا كما وقع لورقة بن نوفل كما سيأتي هذا
وقال ابن عساكر ان بحيرا كان يسكن قرية يقال لها الكفر بينها وبين بصرا ستة
اميال وقيل كان يسكن البلقا من ارض الشام بقرية يقال لها منيعة
ويحتاج الى الجمع وقد يقال يجوز انه كان يسكن في كل من القريتين كل واحدة
يسكن فيها زمنا وكان في بعض الاحايين يأتي لتلك الصومعة فليتأمل وقد
سمع مناد يقول قبل وجوده صلى الله عليه وسلم ينادي ويقول الا ان خير اهل الارض
ثلاثة رباب بن البرا وبحيرا الراهب واخر لم يأت بعد وفي لفظ الثالث
المنتظر يعني النبي صلى الله عليه وسلم ذكره ابن قتيبة قال ابن قتيبة وكان
قبر رباب وقبر ولده من بعده لا يزال يرى عنده مما طش وهو المطر الخفيف
والله اعلم وكانت قريش كثيرا ما تمر على بحيرا فلا يكلمهم حتى كان ذلك العام
صنع لهم طعاما كثيرا وقد كان رأى وهو بصومعته رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الركب حين اقبلوا وغمامة تظله من بين القوم ثم لما نزلوا في ظل شجرة

نظر

نظر الى الغمامة قد اظلت الشجرة وتهصرت اي مالت اغصان الشجرة على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية وتخاصت اي كثرت اغصان الشجرة على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية واخضلت اي كثرت اغصان الشجرة على رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين استظل تحتها اي وقد كان وجدهم قد سبقوه صلى
الله عليه وسلم الى فيء الشجرة فلما جلس مال فيء الشجرة عليه صلى الله عليه وسلم ثم
ارسل اليهم اني قد صنعت لكم طعاما يا معشر قريش واحب ان تحضروا كلكم صغيركم
وكبيركم وعبدكم وحركم فقال له رجل منهم لم اقف على اسم هذا الرجل يا بحيرا
ان لك اليوم لشأنا ما كنت تصنع هذا بنا وكنا نمر عليك كثيرا فما شأنك اليوم
فقال له بحيرا صدقت قد كان ما تقول ولكنكم ضيف وقد احببت ان اكرمكم واصنع
لكم طعاما فتأكلون منه كلكم فاجتمعوا اليه وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم
من بين القوم لحداثة سنه في رحال القوم اي تحت الشجرة فلما نظر بحيرا الى القوم
ولم ير الصفة اي لم يرها لاحد منهم الصفة التي هي علامة النبي صلى الله عليه وسلم
المبعوث اخر الزمن التي يجدها عنده اي ولم ير الغمامة على احد من القوم
ورآها متخلفة على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا معشر قريش لا يتخلف
احد منكم عن طعامي فقالوا يا بحيرا ما تخلف عن طعامك احد ينبغي له ان يأتيك
الا غلام وهو احدث القوم سنا قال لا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الغلام
معكم اي وقال فما اقبح ان تحضروا ويتخلف رجل واحد مع اني اراه من انفسكم
فقال القوم هو والله اوسطنا نسبا وهو ابن اخي هذا الرجل يعنون ابا
طالب وهو من ولد عبد المطلب فقال رجل من قريش واللات والعزى ان كان
للوم بنا ان يتخلف ابن اخي هذا الرجل يعنون ابا طالب وهو من ولد عبد المطلب
فقال رجل من قريش واللات والعزى ان كان للوم بنا ان يتخلف ابن عبد الله بن
عبد المطلب عن طعام من بيننا ثم قام اليه فاحتضنه اي وجاء به واجلسه
مع القوم وذلك الرجل هو عمه الحارث بن عبد المطلب ولعله لم يقل هو
ابن اخي مع كونه اسن من ابي طالب لان ابا طالب كان شقيقا لابيه عبد الله
كما تقدم دون الحارث مع كون ابي طالب هو المقدم في الركب وقيل الذي
جاء به ابو بكر رضي الله عنه وقدمه ابن المحدث على ما قبله فليتأمل ولما
سار به من احتضنه لم تزل الغمامة تسير على رأسه صلى الله عليه وسلم فلما رآه بحيرا
جعل يلحظه لحظا شديدا او ينظر الى اشيا من جسده قد كان يجدها عنده
من صفته حتى اذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا فقام اليه بحيرا فقال له

اسالك بحق اللات والعزى الا ما اخبرتني عما اسئلك عنه وانما قال له بحيرا
ذلك لانه سمع قومه يحلفون بهما اى وفي الشفا انه اختبره بذلك فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تسالني باللات والعزى شيا فوالله ما ابغض شيا قط بغضهما
فقال بحيرا فبالله الا ما اخبرتني عما اسالك عنه فقال صلى الله عليه وسلم له سلني
عما بدا لك فجعل يسأله عن اشيا من حاله من نومه وهيئته وامورة ويخبره رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته اى صفة النبي المبعوث
اخر الزمن عنده اى ثم كشف عن ظهره فراى خاتم النبوة على الصفة التي عنده
فقبل موضع الخاتم فقالت قريش ان لمحمد عند هذا الراهب لقدرا فلما فرغ اقبل على
عمه ابي طالب فقال له ما هذا الغلام منك قال ابني قال ما هو ابنك وما ينبغي
لهذا الغلام ان يكون ابوه حيا قال فانه ابن اخي قال فما فعل ابوه قال مات وامه
حبلى به قال صدقت اى ثم قال ما فعلت امه قال توفيت قريبا قال صدقت فارجع
بابن اخيك الى بلاده واحذر عليه يهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت لتبغينه
شرا فانه كائن لابن اخيك هذا شان عظيم اى نجده في كتبنا ورويناه عن ابائنا واعلم
اني قد اديت اليك النصيحة فاسرع به الى بلده وفي لفظ لما قال له ابن اخي قال له
بحيرا اشفيق عليه انت قال نعم فوالله لئن قدمت به الى الشام اى جاوزت هذا
المحل ودخلت الى داخل الشام الذي هو محل اليهود لتقتلنه اليهود فرجع به الى
مكة ويقال انه قال لذلك الراهب ان كان الامر كما وصفت فهو في حصن من الله
تعالى وقد يقال لا مخالفة لان ما صدر من بحيرا كان على ما جرت به العادة من
طلب التوقي فخرج به عمه ابو طالب حتى اقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام
وفي الهدى فبعثه عمه مع بعض غلمانه الى المدينة فليتامل وذكر ان نفرا من اهل الكتاب
قد كانوا رأوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رآه بحيرا وارادوا به سوءا فردهم عنه
بحيرا وذكرهم الله وما يجدون في الكتاب من ذكره وصفاته وانهم ان اجمعوا
لما ارادوا لم يخلصوا اليه فعند ذلك تركوه وانصرفوا عنه وفي رواية اخرى
خرج ابو طالب الى الشام وخرج معه النبي صلى الله عليه وسلم في اشياخ من قريش
فلما اشرفوا على الراهب بحيرا وكانوا قبل ذلك يمرون عليه فلا يخرج اليهم ولا
يلتفت اليهم فجعل وهم يحلون رحالهم يتخللهم حتى جا فاخذ بيد النبي صلى الله عليه وسلم
ثم قال هذا سيد العالمين هذا رسول رب العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين
فقال الاشياخ من قريش ما علمك فقال انكم حين اشرفتم من العقبة لم يبق
حجر ولا شجر الا خر ساجدا ولا يسجد الا لنبي اى وان الغمامة صارت تظلله دونهم

قال لا اعرفه بخاتم النبوة اسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة اى والغضروف
تعدم انه راس لوح الكتف ثم رجع وصنع لهم طعاما فلما اتاهم به كان النبي صلى
الله عليه وسلم في رعية الابل قال ارسلوا اليه فاقبل وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم
وجدهم قد سبقوه الى فيء شجرة فلما جلس مال فيء الشجرة عليه
فقال الراهب انظروا الى فيء هذه الشجرة مال عليه فبينما هو قائم عليهم وهو يناشدهم
ان لا يذهبوا به الى الروم اى داخل الشام فانهم ان عرفوه قتلوه فالتفت فاذا
بسبعة من الروم قد اقبلوا فاستقبلهم فقال ما جاء بكم قالوا جئنا ان هذا النبي
الذي هو خارج في هذا الشهر اى سائر فيه فلم يبق طريق الا بعث اليه بأناس وانا
قد اخبرنا خبره بطريقك هذا قال افرأيتم امرا اراده الله ان يقضيه هل يستطيع
احد من الناس رده قالوا لا فبايعوه اى بايعوا بحيرا على مسالمة النبي صلى الله
عليه وسلم وعدم اخذه واذيته على حسب ما ارسلوا فيه واقاموا عنده ذلك الراهب
خوفا على انفسهم ممن ارسلهم اذا رجعوا بدونه قال بحيرا لقريش انشدكم الله
اى اسالكم بالله ايكم وليه قالوا ابو طالب فلم يزل يناشده حتى رده ابو طالب
وبعث معه بلال وفي لفظ وبعث معه ابو بكر رضي الله عنه بلالا وزوده بحيرا
من الكعك والزيت اى واذا كانت القصة واحدة فالاختلاف في ايرادها
من الرواة كما تقدم نظيره فبعض الرواة قدم في هذه الرواية واخر كما انه في
الهدى قال وقع في كتاب الترمذي وغيره ان عمه اى او ابا بكر بعث معه
بلالا وهو من الغلط الواضح فان بلالا اذ ذاك لعله لم يكن موجودا وان كان
فلم يكن مع عمه ولا مع ابي بكر وذكر في الاصل ان في هذه الرواية امورا
منكرة حيث قال قلت ليس في اسناد هذا الحديث الا من خرج له في الصحيح ومع
ذلك اى مع صحة سنده ففي متنه نكارة اى امور منكرة وهي ارسال ابي بكر مع النبي
صلى الله عليه وسلم بلالا فان بلالا لم ينتقل لابي بكر الا بعد هذه السفرة باكثر من
ثلاثين عاما ولان ابا بكر لم يبلغ العشر سنين حينئذ لانه صلى الله عليه وسلم اسن منه
بازيد من عامين بقليل اى شهر ولاينا في ما ياتي وتقدم ان سنه صلى الله عليه وسلم
حينئذ تسع سنين على الراجح اى فيكون سن ابي بكر نحو سبع سنين ولان بلالا اصغر من
ابي بكر فلا يتجه هذا حاله اى لان ابا بكر لم يكن للارسال عادة وكذا بلال لم يكن اهلا لان
يرسل وكون النبي صلى الله عليه وسلم اسن من ابي بكر هو ما عليه الجمهور من اهل العلم
بالاخبار والسير والاثار ومما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم سال ابا بكر فقال
له من الاكبر انا وانت فقال له ابو بكر رضي الله تعالى عنه انت اكرم واكبر وانا اسن
قيل فيه انه وهم وان ذلك انما يعرف عن عمه العباس رضي الله تعالى عنه وكون بلال

رضي الله عنه كان تربا لابي بكر اي قرينه في السن وبه يرد قول الذهبي بلال لم يكن
خلق قال ذكر الحافظ ابن حجر ان ارساله ابي بكر معه بلالا وهم من بعض الرواة
وهو منتزع من حديث اخر ادرجه ذلك الراوي في هذا الحديث انتهى اقول لاجل هذا
الوهم قال الذهبي في الحديث اظنه موضوعا بعضه باطل اي لم يوافق الواقع اي
فمع كون الحديث موضوعا بعضه موافق للواقع وبعضه لم يوافق الواقع وحينئذ
فمراد الاصل بالنكارة في قوله في متنه نكارة البطلان كما اشرت اليه وليس هذا مما
قيل قولهم هذا حديث منكر الذي هو من اقسام الضعيف وهو راجع الى الفردية
ولا يلزم من الفردية ضعف متن الحديث فضلا عن بطلانه وقال الحافظ الدمياطي
في هذا الحديث وهمان احدهما قوله فبايعوه واقاموا معه والوهم الثاني قوله
وبعث معه ابو بكر بلالا ولم يكونا معه ولم يكن بلال اسلم ولا ملكه ابو بكر وفيه ان
الحافظ الدمياطي فهم ان الضمير في بايعوه للنبي صلى الله عليه وسلم وقد علمت
انه لبحيرا فلا وهم فيه وتوجيه الوهم الثاني بعدم وجود ابي بكر وبلال مع النبي
صلى الله عليه وسلم واضح ان ثبت ذلك والا فمجرد النفي لا يرد على الاثبات وحينئذ
لا حاجة الى ذكر ما بعده من ان بلالا لم يكن اسلم ولا ملكه ابو بكر الا ان يقال هو على تسليم
وجود ابي بكر وبلال مع النبي صلى الله عليه وسلم وقد يقال على تسليم ذلك ارسال ابي
بكر لبلال رضي الله تعالى عنهما لا يتوقف على اسلام بلال ولا على ملك ابي بكر جاز
ان يكون سيد بلال وهو امية بن خلف ارسله في ذلك العير لامر فاذن ابو بكر
لبلال في العود مع النبي صلى الله عليه وسلم ليكون خادما ويستانس ويانس به اعتمادا
على رضى سيده بذلك اذ ليس من لازم ارساله ان يكون مملوكا له وكون ابي بكر لم يكن
في سن من يرسل عادة تقدم ما فيه والله اعلم قال وروى ابن منده بسند
ضعيف عن ابي بكر رضي الله تعالى عنه انه صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
ابن ثمانية عشر سنة والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة اي فالنبي صلى الله
عليه وسلم اسن من ابي بكر بعامين اي وشهر كما تقدم ولعل هذه الزيادة اي على
العامين التي هي الشهر الوارد مبهمة في الرواية السابقة لم يذكرها ابن منده
وهم يريدون الشام في تجارتهم حتى اذا نزل منزلا وهو سوق بصرى من ارض الشام
وفي ذلك المحل سدرة فقعد صلى الله عليه وسلم في ظلها ومضى ابو بكر الى راهب
يقال له بحيرا يسأله عن شيء فقال من الرجل الذي في ظل السدرة قال له محمد بن
عبد الله بن عبد المطلب فقال له والله هذا نبي هذه الامة ما استظل تحتها بعد
عيسى بن مريم الا محمد صلى الله عليه وسلم اي وقد قال عيسى لا يستظل تحتها

بعدي

بعدي الا النبي صلى الله عليه وسلم الامي الهاشمي كما سيأتي في بعض الروايات قال
الحافظ ابن حجر يحتمل ان يكون اي سفر ابي بكر معه صلى الله عليه وسلم في سفرة اخرى
بعد سفرة ابي طالب انتهى اقول اي وهي سفره صلى الله عليه وسلم مع ميسرة
غلام خديجة فانه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم سافر الى الشام اكثر من مرتين وفيه بعد
ما تقدم من قول الراوي وهم يريدون الشام في تجارتهم لان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يخرج اخرا الا في تلك السفرة وسيأتي ان هذا القول قاله الراهب سطورا لا
بحيرا قاله لميسرة لا لابي بكر الا ان يقال لا مانع ان يكون قال ذلك لميسرة ولابي بكر
لكن ربما يخالفه ما سيأتي ان سنه صلى الله عليه وسلم حين سافر مع ميسرة
كان خمسا وعشرين سنة على الراجح لا عشرين سنة وعلى هذا فالشجرة لم تكن الا
عند صومعة الراهب سطورا لا عند صومعة الراهب بحيرا فذكرها عند صومعة
الراهب بحيرا وذكر بحيرا موضع سطورا وهو ما وقع في شرف المصطفى للنيسابوري
وهم من بعض الرواة سرى اليه من اتحاد محلهما وهو سوق بصرى الان يقال يجوز
ان يكون الراهب سطورا خلف بحيرا في تلك الصومعة لموته مثلا وهو اقرب من
دعوى تعدد الشجرة فتكون واحدة عند صومعة بحيرا وواحدة عند صومعة سطورا
وكلاهما قال فيها عيسى ما ذكر او من دعوى اتحادهما وانها بين صومعة
بحيرا وصومعة سطورا وان العير الذي كان فيه ابو طالب نزل جهة صومعة او
سطورا ونحوهما ممن صدق بانه نبي هذه الامة من اهل الفترة لسن اهل الا سلام
لانهما لم يدركا البعثة اي الرسالة بناء على اقترانها بالنبوة او المراد بها النبوة
اي لم يدركا النبوة فضلا عن الرسالة بناء على تاخرها عن النبوة ثم رايت الحافظ
ابن حجر قال في بحيرا ما ادري ادرك البعثة ام لا هذا كلامه في الاصابة وليس
هذا بحيرا الراهب الصحابي الذي هو احد الثمانية الذين قدموا مع جعفر بن ابي
طالب من الحبشة فعنه رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اذا شرب الرجل كاسا من خمر الحديث ومن قال ان هذا الحديث منكر
ظن بحيرا هذا هو بحيرا المذكور هنا الذي لقي النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة
والله اعلم **باب** ما حفظه الله تعالى به في صغره صلى
الله عليه وسلم من امر الجاهلية اي من اقذارهم ومعائبهم اي عيب ما ال اليه شرعه
لما يريد الله تعالى به من كرامته حتى صار احسنهم خلقا واصدقهم حديثا واعظمهم
امانة وابعدهم من الفحش والاخلاق التي تدنس الرجال تنزها وتكريما
حتى كان افضل قومه مروءة واحسنهم خلقا واكرمهم مخالطة وخيرهم

حكي

بعد

سلام

جوارًا واعظمهم حلمًا وامانة واصدقهم حديثًا فسموه الامين لما جمع الله فيه
من الامور الصالحة الجميلة والفعال السديدة من الحلم والصبر والشكر والعدل
والزهد والتواضع والعفة والجود والشجاعة والحيا والمروة فمن ذلك ما ذكره
ابن اسحاق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد رايتني اى رايت نفسي في غلمان
من قريش تنقل الحجارة لبعض ما يلعب به الغلمان كلنا قد تعرى واخذ ازاره
وجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة فاني لاقبل معهم كذلك وادبر اذ لكمني لاكم
من الملايكة ما اراها لكمة وجيعة وفي لفظ لكمني لكمة شديدة وقد يقال لا منافاة
لانها مع شدتها لم تكن وجيعة له صلى الله عليه وسلم ثم قال شد عليك ازارك فاخذته
فشددته علي ثم جعلت احمل الحجارة على رقبتي وازاري علي من بين اصحابي اى وقد وقع
له صلى الله عليه وسلم مثل ذلك اى نقل الحجارة عاريًا عند اصلاح ابي طالب لزمزم
فعن ابن اسحاق وصححه ابو نعيم قال كان ابو طالب يعالج زمزم وكان النبي صلى
الله عليه وسلم ينقل الحجارة وهو غلام فاخذ ازاره واتقى به الحجارة فغشي عليه فلما
افاق سأله ابو طالب فقال اتاني ات عليه ثياب بياض فقال لي استتر فما رويت
عورته صلى الله عليه وسلم من يومئذ وفي الخصايص الصغرى ونهى عن التعري
وكشف العورة من قبل ان يبعث بخمس سنين وقد وقع له مثل ذلك اى نهيه
عن التعري عند بنيان الكعبة كما سياتي ما فيه ومن ذلك ما عن علي رضي الله
تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما هممت بقبيح مما يهم به
الجاهلية اى ويفعلونه الا مرتين من الدهر كلتاهما عصمني الله عز وجل منهما اى
من فعلها قلت لفتى كان معي من قريش باعلا مكة في غنم لاهله يرعاها اى وفي لفظ
قلت ليلة لبعض فتيان مكة ونحن في رعاية غنم اهلها لم اقف على اسم هذا الغلام
الفتى ابصر لي غنمي حتى اسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان قال نعم واصل
السمر الحديث ليلا فخرجت فلما جيت ادنى دار من دور مكة سمعت غنا وصوت
دفوف ومزامير فقلت ما هذا فقالوا فلان تزوج فلانة لرجل من قريش تزوج
امراة من قريش فلهوت بذلك الصوت حتى غلبتني عيني فنمت فما ايقظني الا حر
الشمس فرجعت الى صاحبي فقال ما فعلت فاخبرته ثم فعلت الليلة الاخرى مثل
ذلك اقول المناسب لقوله عصمني الله ما في الرواية الثانية لا ما ذكر في الرواية
الاولى الا ان يحمل قوله في الرواية الاولى فلهوت على اردت ان الهو والله اعلم فقال صلى
الله عليه وسلم والله ما هممت بعد هما بسوء مما يعمله اهل الجاهلية اى ما هممت بسوء
ما يعمله اهل الجاهلية غيرهما وفي لفظ فوالله ما هممت ولا عدت بعدهما لشيء من

ذلك اى مما تعمله اهل الجاهلية ولا هممت به حتى اكرمني الله تعالى بنبوته ومن ذلك
ما جاء عن ام ايمن انها قالت كان بوانة بضم الموحدة وبفتح الواو مخففة بعدها الف
ونون صنما تحضره قريش وتعظمه وتنسك اى تذبح له وتحلق عنده وتعكف عليه
يوما الى الليل في كل سنة فكان ابو طالب يحضره مع قومه ويكلم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يحضر ذلك العيد معه فيابى ذلك قالت حتى رايت ابا طالب غضب عليه
صلى الله عليه وسلم ورايت عماته غضبن عليه يومئذ اشد الغضب وجعلن يقلن انا
لنخاف عليك مما تصنع من اجتناب الهتنا ويقلن ما تريد يا محمد ان تحضر لقومك
عيدا ولا تكثر لهم جمعا فلم يزالوا به حتى ذهب فغاب عنهم ما شاء الله ثم رجع مرعوبا
فزعا فقلن ما دهاك قال اني اخشى ان يكون بي لمم اى لمة وهو المس من الشيطان فقلن
ما كان الله عز وجل ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك فما الذي رايت
قال اني كلما دنوت من صنم منها اى من تلك الاصنام التي عند الصنم الكبير الذي هو
بوانة تمثل لي رجل ابيض طويل اى وذلك من الملايكة يصيح بي وراءك يا محمد لا تمسه
قالت فما عاد الى عيد لهم حتى تنبا صلى الله عليه وسلم اقول ظاهر هذا السياق ان اللمم
يكون من الشيطان وحينئذ يكون بمعنى اللمة وهي المس من الشيطان كما قدمناه
فقد اطلق اللمم على اللمة والا فاللمم نوع من الجنون كما تقدم في قصة الرضاع
وقد اصله لمم او طايف من الجن اذ هو يدل على ان اللمم يكون من غير الشيطان كمرض وعبارة
الصحاح اللمم طرف من الجنون واصاب فلانا من الجن لمة وهي المس اى فقد غاير
بينهما والله اعلم قال ومن ذلك ما روته عايشة رضي الله تعالى عنها قالت سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يعيب كل ما ذبح لغير الله اى فكان
يقول لقريش الشاة خلقها الله وانزل لها من السما الما وانبت لها من الارض الكلا
ثم تذبحونها على غير اسم الله فما ذقت شيا ذبح على النصب اى الاصنام حتى اكرمني
الله تعالى برسالته اى وزيد بن عمرو كان قبل النبوة زمن الفترة على دين ابراهيم
فانه لم يدخل في يهودية ولا نصرانية واعتزل الاوثان والذبايح التي تذبح للاوثان
ونهى عن الواد اى وتقدم انه كان يحييها اذا اراد احد ذلك اخذ الموؤدة من ابيها
ويكفلها فكان اذا دخل الكعبة يقول لبيك حقا تعبدا ورقا عذت بما عاذ به ابراهيم
ويسجد للكعبة قال صلى الله عليه وسلم انه يبعث امة وحده اى يقوم مقام جماعة
انتهى اى فان ولده سعيد قال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان زيدا كان كما قد رايت
وبلغك فاستغفر له قال نعم استغفر له فانه يبعث يوم القيمة امة وحده وفي
البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم لقي زيد بن

عمرو بن نفيل قبل ان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم الوحي وقد قدمت الى النبي صلى الله
عليه وسلم سفرة اى فيها شاة ذبحت لغير الله او قدمها النبي صلى الله عليه وسلم اليه
فابى ان يأكل منها وقال انى لست اكل ما تذبحون على انصابكم ولا اكل الا ما ذكر اسم
الله عليه ولعل هذا كان قبل ما تقدم على هذا عنه صلى الله عليه وسلم فان ذلك كان
بحر المسيب فى ذلك **قال الامام** السهيلى وفيه سؤال كيف وفق الله تعالى زيدا الى ترك
ما ذبح على النصب مما لم يذكر اسم الله عليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان اولى بهذه
الفضيلة فى الجاهلية لما ثبت من عصمة الله تعالى له اى فكان صلى الله عليه وسلم يترك
ذلك منه عند نفسه لا تبعا لزيد بن عمرو وحينئذ لا يحسن الجواب الذى اشرنا اليه
بقولنا **واجاب** السهيلى بانه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم اكل من تلك
السفرة اى ولا من غيرها سلمنا انه اكل قبل ذلك ما ذبح على النصب فتحريم ذلك لم
يكن من شرع ابراهيم وانما كان تحريم ذلك فى الاسلام والاصل فى الاشيا قبل ورود
الشرع الاباحة هذا كلامه **وفيه** ان هذا التسليم يبطل عد الشمس الشامى ذلك من
امر الجاهلية التى حفظه الله منه فى صغره ويخالف ما ذكره بعضهم من ان زيد بن
عمرو هذا من رابع اربعة من قريش فارقوا قومهم فتركوا الاوثان والميتة وما يذبح
للاوثان كانوا يوما فى عيد لصنم من اصنامهم ينحرون عنده ويعكفون عليه ويطوفون
به فى ذلك اليوم فقال بعضهم لبعض تعلمون والله ما قومكم على شئ لقد اخطأوا
دين ابيهم ابراهيم فما حجر يطوف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ثم تفرقوا
فى البلاد يلتمسون الحنيفية دين ابراهيم **وظاهر** هذا السياق ان تركهم
للاوثان كان بعد عبادتهم لها وسيأتى عن ابن الجوزى انهم لم يعبدوها وهؤلا
الثلاثة الذى زيد بن عمرو رابعهم ورقة بن نوفل وعبد الله بن جحش
ابن عمته صلى الله عليه وسلم اميمة وعثمان بن الحويرث **وزاد** ابن الجوزى على هؤلاء
الاربعة جماعة اخرين سيأتى الكلام عليهم عند الكلام على اول من اسلم وزيد بن عمرو
ابن نفيل هذا كان ابن اخى الخطاب والد سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه اخاه
لامه **فاما** ورقة فلم يدرك البعثة على ما سيأتى وكان يمر على المسلمين ويقول لهم فتحنا
وصاصاتم اى ابصرنا وانتم تلتمسون البصر فلم يتبصروا ومات على نصرانيته
واما عثمان بن الحويرث فلم يدرك البعثة وقدم على قيصر ملك الروم وتنصر عنده
واما زيد بن عمرو بن نفيل هذا كان يوبخ قريشا ويقول لهم نفسى زيد بن عمرو بيده
ما اصبح احد منكم على دين ابراهيم غيرى حتى ان عمه الخطاب اخرجه من مكة
واسكنه بحرا ووكل به من يمنعه من دخول مكة كراهة ان يفسد عليهم دينهم ثم

خرج

خرج يطلب الحقيقة دين ابراهيم ويسأل الاحبار والرهبان عن ذلك حتى بلغ
الموصل ثم اقبل الى الشام فجاء الى راهب به كان انتهى للبلد علم اهل النصرانية فساله
عن ذلك فقال له انك لتطلب دينا ما انت بواجد من يحملك عليه اليوم ولكن قد
اظلك زمان نبى يخرج من بلادك التى خرجت منها يبعث بدين ابراهيم الحنيفية
فالحق بها فانه مبعوث الان هذا زمانه فخرج سريعا يريد مكة حتى اذا توسط
بلاد لخم عدوا عليه وقتلوه ودفن بمكان يقال له ميفعة وقيل باصل جبل حرا
هذا وفى كلام الواقدى عن زيد بن عمرو انه قال لعامر بن ربيعة وانا انتظر
نبيا من ولد اسماعيل ولا ادرى انى ادركه وانا ادين به واصدقه واشهد
انه نبى فان طالت بك مدة فرايته فسلم منى عليه قال عامر فلما اسلمت
بلغته صلى الله عليه وسلم عن زيد قال فرد عليه السلام وترحم عليه وتقدم ان
ولده سعيدا سال النبى صلى الله عليه وسلم ان يستغفر لابيه زيد فقال نعم استغفر
له الحديث قال وعن عايشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم دخلت الجنة فوجدت لزيد بن عمرو دوحتين اى شجرتين عظيمتين قال
الحافظ ابن كثير اسناده جيد قوى اى وقال الا انه ليس فى شئ من الكتب وقوله وله
فى الجنة يسحب ذيولا وعن الزهرى نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اكل ما ذبح
للجن وعلى اسمهم واما ما قيل عنه ذبحه بسم الله واسم محمد فحلال الاكل وان كان
القول المذكور حراما لايهامه التشريك وهذا من جملة المحال المستثناة من
قوله تعالى له لا اذكر الا وتذكر معى فقد جا اتانى جبريل فقال ان ربى وربك يقول
لك تدرى كيف رفعت ذكرك اى على اى حال جعلت ذكرك مرفوعا مشرفا المذكور
فى قوله الم نشرح لك صدرك الى قوله ورفعنا لك ذكرك قلت الله اعلم قال لا اذكر
الا وتذكر معى اى فى غالب المواطن وجوبا اوندبا ومن ذلك ما روى عن على رضى
الله تعالى عنه قال قيل للنبى صلى الله عليه وسلم هل عبدت وثنا قط قال لا قالوا هل
شربت خمرا قط قال لا وما زلت اعرف ان الذى هم عليه كفر وما كنت ادرى ما الكتاب
وما الايمان انتهى اقول تحريم شرب الخمر فى الجاهلية ليس من خصايصه صلى الله عليه وسلم
بل حرمها على نفسه فى الجاهلية جماعة كثيرون سيأتى ذكرهم بعضهم وتقدم
ذكر بعض منهم وكون شرب الخمر من الكفر على ما هو ظاهر السياق بمعنى ينبغى ان
يجتنب كما يجتنب الكفر ولعل صدور هذا منه صلى الله عليه وسلم كان بعد تحريم
الخمر ويكون الاتيان بذلك للمبالغة فى الزجر عنها وللتباعد منها لانها ام الخبايث
وقد كانت نفوس غالبهم الطاهرة وهذا مجمل ما جا اتانى جبريل فقال بشر امتك انه من

مات لايشرك بالله شيا اى مصدقا بما جيئت به دخل الجنة اى لابد ان يدخل الجنة
وان دخل النار قلت يا جبريل وان سرق وان زنى قال نعم قلت وان سرق وان زنى قال
نعم قلت وان سرق وان زنى قال نعم وان شرب الخمر والمراد تحريمها على الناس
والا فنى الخصايص الصغرى للسيوطى وحرمت عليه الخمر قبل ما بعث قبل ان
تحرم على الناس بعشرين سنة والله اعلم قال واما ما رواه جابر بن عبد
الله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين
خلفه واحد يقول لصاحبه اذهب بنا نقوم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال كيف نقوم خلفه وانما عهده باستلام الاصنام قبل فلم يعد بعد ذلك يشهد
مع المشركين مشاهدهم قال الحافظ ابن حجر انكره الناس اى فقد قال الامام
احمد كما فى الشفا انه موضوع او يشبه الموضوع وقال الدارقطنى ان ابن ابى
شيبة وهم فى اسناده والحديث بالجملة منكر فلا يلتفت اليه والمنكر فيه قوله
الملك عهده باستلام الاصنام قبل فان ظاهره انه باشر الاستلام وليس ذلك مرادا
ابدا بل المراد انه شاهد مباشرة المشركين استلام اصنامهم اى لشهوده بعض
مشاهدهم التى تكون عند الاصنام وقال غيره والمراد بالمشاهد التى شهدها الا التى
كان يشهدها مشاهد الحلف ونحوها كالضيافات الا التى بيانها لا مشاهد استلام
الاصنام فانه يرده ما تقدم عن ام ايمن انتهى اى من قولها ان بوانة كان صنما لقريش
تعظمه وتعكف عليه يوما الى الليل فى كل سنة الى اخره ويرده ايضا ما تقدم من قوله
لبحيرا لما حلفه باللات والعزى لا تسالنى بهما فانى والله ما ابغضت شيا قط
بغضهما لان مثل اللات والعزى غيرهما من الاصنام شيا فى ذلك وما سياتى من
قوله لخديجة رضى الله عنها والله ما ابغضت بغض هذه الاصنام شيا قط
وما جا انه صلى الله عليه وسلم قال لما نشات بغضت الى الاوثان وبغض الى
الشعر **باب** رعيته صلى الله عليه وسلم الغنم قال رعيته بكسر
الرا المراد الهيبة انتهى **اقول** البين فى هذا الباب انما هو فعله صلى الله عليه وسلم الذى
هو رعيته للغنم لا بيان هيئته رغبته للغنم فرعيته بفتح الرا لا بكسرها والله اعلم وعن
ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بعث الله نبيا
الا رعى الغنم قال له اصحابه وانت يا رسول الله قال وانا رعيتها لاهل مكة بالقراريط
اى وهى اجزاء من الدراهم والدنانير يشترى بها الحوايج الحقيرة قال سويد بن سعيد
يعنى كل شاة بقيراط وقيل القيراط موضع بمكة فقد قال ابراهيم الحربى قراريط
موضع ولم يرد بذلك القراريط من الفضة اى او الذهب قال وايد هذا الثانى

بان العرب لم تكن تعرف القراريط التى هى قطع الفضة والذهب بدليل انه جاء
فى الصحيح ستفتحون ارضا يذكر فيها القيراط ولانه جا فى بعض الروايات لا هلى
ولا يرعى لاهله باجرة اى كما قضت بذلك العادة وايضا جا فى بعض الروايات يدل
بالقراريط باجياد فدل ذلك على ان القراريط اسم محل عبر عنه تارة بالقراريط
وتارة باجياد ورد بان اهل مكة لا يعرفون بها محلا يقال له القراريط وحينئذ
يكون اراد باهله اهل مكة لا اقاربه التى تقتضى العادة بانه لا يرعى لهم بالاجرة
والاضافة تاتى لادنى ملابسة ويدل لذلك ما جا فى رواية البخارى كنت ارعاها
اى الغنم على قراريط لاهل مكة وذكر البخارى لذلك فى باب الاجارة
وذلك يبعد ان المراد بالقراريط المحل وجعل على بمعنى البا ورد بان العرب لم تكن
تعرف القراريط التى هى قطع الدراهم والدنانير اى وتمنع دلالة وقوله صلى الله
عليه وسلم ستفتحون ارضا يذكر فيها القيراط على ذلك لجواز ان يكون المراد
يذكر فيها القيراط كثيرا لكثرة التعليل به فيها او ان المراد بالقيراط ما يذكر فى المساحة
وجمع الحافظ ابن حجر بانه صلى الله عليه وسلم رعى لاهله اى اقاربه بغير اجرة ولغيرهم
قال فيحتمل الخبران ويكون فى احد الحديثين الاجرة اى التى هى القراريط وفى الاخرين
المكان اى الذى هو اجياد فلا تنافى فى ذلك هذا كلامه ملخصا وعبارته تقتضى
وقوع الامرين منه وهو ما يتوقف على النقل فى ذلك قال ابن الجوزى كان موسى
ومحمد صلى الله عليه وسلم رعاة غنم وهذا يرد قول بعضهم لم يرد ابن اسحاق برعايته
صلى الله عليه وسلم الغنم الا رعايته لها فى بنى سعد مع اخيه من الرضاع اى
وقد يتوقف فى كون قول ابن الجوزى هذا بمجرده قول هذا البعض **نعم** يرده ما تقدم
وما ياتى فى الهدى انه صلى الله عليه وسلم اجر نفسه قبل النبوة فى رعية الغنم
ومن حكمة الله تعالى فى ذلك ان الرجل اذا استرعى الغنم التى هى اضعف البهايم
سكن قلبه الرافة واللطف قطعا فاذا انتقل ذلك الى رعا الخلق كان قد ذهب
اولا من الحدة الطبيعية والظلم الغريزى فيكون فى اعدل الاحوال ووقع الافتخار
بين اصحاب الابل واصحاب الغنم اى عند النبى صلى الله عليه وسلم واستطال اصحاب الابل
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث موسى وهو راعى غنم وبعث داود وهو
راعى غنم وبعثت انا وانا راعى غنم اهلى باجياد اى وهو موضع باسفل مكة من شعابها
ويقال له جياد بغير همزة ولعل المراد بقوله راعى غنم اى قد رعى الغنم وكذا
قوله وانا راعى غنم اى وقد رعيت الغنم اذ الاخذ بظاهر الحالية بعيد ولينظر
حكمة الاقتصار على من ذكر من الانبياء مع قوله السابق ما بعث الله نبيا الا رعى

الغنم وما يأتي من قوله وما من نبي الا وقد رعاها وقد قال صلى الله عليه وسلم
الغنم بركة والابل عز لاهلها وقال في الغنم منها معاشنا وصوفها رياشنا ودفوها
كناسنا وفي رواية سمنها معاش وصوفها رياش اي وفي الحديث الفخر والخيلاء في اصحاب
الابل والسكينة والوقار في اهل الغنم ولعل هذا الابنا في ما جا في الامثال قالوا
احمق وفي لفظ اجهل من راعي ضان ثمانين لان الضان تنفر من كل شي فيحتاج راعيها
الى جمعها اي وذلك سبب لحمقه فليتامل وفي رواية الفخر والخيلاء وفي لفظ والربا
في اهل الخيل والوبر قال وفيما تقدم في الباب قبل هذا من امر السمر دليل على ذلك
اي على رعايته للغنم ايضا وما رواه جابر رضي الله تعالى عنه قال كنا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم نجني الكباث بكاف فبا موحدة مفتوحتين فثا مثلثة اي وهو النضيج
من ثمر الاراك وفي الحديث عليكم بالاسود من ثمر الاراك فانه المبيبه فاني كنت
اجتنيه او كنت ارعى الغنم قلنا وكيف ترعى الغنم يا رسول الله قال نعم وما من نبي
الا وقد رعاها انتهى اقول وحينئذ لا ينبغي لاحد عير برعاية الغنم ان يقول كان
النبي صلى الله عليه وسلم يرعى الغنم فان قال ذلك ادب لان ذلك كما علمت كمال في حق
الانبيا عليهم الصلاة والسلام دون غيرهم فلا ينبغي الاحتجاج به ويجري
ذلك في كل ما يكون كمالا في حق النبي صلى الله عليه وسلم دون غيره كما لا يمتنع في
قيل له انت امي فقال كان النبي صلى الله عليه وسلم اميا يؤدب والله اعلم

باب حضوره صلى الله عليه وسلم حرب الفجار اي بكسر
الفا بمعنى المفاجرة كالقتال بمعنى المقاتلة وهو فجار البراض بفتح البا الموحدة
وتشديد الرا وضاد معجمة عن ابن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد حضرته يعني الحرب المذكور مع عمومتي ورميت فيه باسهم وما احب اني لم اكن
فعلت وكان له من العمر اربع عشرة سنة اي وهذا الفجار الرابع واما الفجار
الاول فكان عمره صلى الله عليه وسلم حينئذ عشر سنين وسببه اي هذا الفجار الاول
ان بدر بن معشر الغفاري كان له مجلس يجلس فيه بسوق عكاظ ويفتخر على الناس
فبسط يوما رجله وقال انا اعز العرب فمن زعم انه اعز مني فليضربها بالسيف
فوثب رجل فضربه بالسيف على ركبته فاندرها اي اسقطها وازالها وقيل
خرجها جرحا يسيرا فاقتتل بعضهم وهو الاصح فاقتتلوا وسبب الفجار الثاني
ان امراة من بني عامر كانت جالسة بسوق عكاظ فاطاف بها شاب من قريش من
بني كنانة سألها ان تكشف وجهها فابت فجلس خلفها وهي لا تشعر وعقد
ذيلها بشوكة فلما قامت انكشف دبرها فضحك الناس منها فنادت المراة

يا آل

يا آل عامر فثاروا بالسيف بالسلاح ونادى الشاب يا بني كنانة فاقتتلوا وقوله
سألها ان تكشف وجهها فابت يدل على ان النساء في الجاهلية كن يابين كشف
وجوههن **وسبب** الفجار الثالث انه كان لرجل من بني عامر دين على رجل من بني كنانة
فلواه به اي مطله فجرت بينهما خصومة فاقتتل الحيان **وقد** ذكر ان عبد
الله بن جدعان تحمل ذلك الدين في ماله وكان سبب ذلك لانقضا الحرب **وقيل**
لم يقاتل صلى الله عليه وسلم في فجار الارض وعليه اقتصر في الوفا اي لم يرم فيه باسهم
بل قال كنت انبل على اعمامي اي ارد عليهم نبل عدوهم اذا رموهم **وقد** يقال لا مخالفة
لانه ليس في هذه العبارة انه لم يرم بل فيها انه كان ينبل ويجوز ان يكون اغلب احواله
ذلك اي انه كان ينبل اي يرد النبل فلا ينافي انه رمى في بعض الاوقات باسهم
وفي كلام بعضهم كان ابو طالب يحضر ايام الفجار اي فجار البراض وكانت بعد
ايام ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غلام فاذا جا هزمت قريش ولعل
المراد قيس هوازن فلا ينافي ما ياتي من الاقتصار على هوازن واذا لم يجي هزمت
في يوم من تلك الايام هزمت كنانة فقالوا لا ابا لك لا تغب عنا ففعل ذكره في
الامتاع وذكر فيه انه صلى الله عليه وسلم طعن ابا برا ملاعب الاسنة في تلك الحروب
اي في بعض تلك الايام وابو برا هذا كان رئيس بني قيس وحامل رايتهم في تلك
الحروب والطعن ظاهر في الرمح فيحتمل للنبل وظاهر كلامهم انه لم يقاتل فيه
بغير الرمي للاسهم على تقدير صحة الرواية بذلك والا فبعد ان يكون رمى ولم
يصيب احدا ان لو صاب احدا لنقل لانه مما تتوفر الدواعي على نقله الا ان
يقال يجوز ان يكون اصاب من لم تذكر فليتامل **قال** وسميت الفجار لان العرب
فجرت فيه لانه وقع في الشهر الحرام انتهى **اقول** ظاهره حروبا الفجار الاربعة
اي التي منها فجار البراض وغيرها **وظاهر** كلامهم انه صلى الله عليه وسلم لم يحضر
الا في الفجار الرابع الذي هو فجار البراض **ثم** رايت التصريح بذلك في الوفا
وسنذكره وسياتي في هذا الباب ما يدل على ذلك اي ان القتال في ذلك لم
يكن في الشهر الحرام وانما سببه كان في الشهر الحرام وهو قتل البراض لعروة
الرحال **فقد** قيل سبب القتال ان عروة الرحال بتشديد الحا المهملة وكان
من هوازن اجار لطيمة للنعمان بن المنذر كان يرسل تلك اللطيمة لتباع في سوق
عكاظ ويشترى له بثمن ذلك ادم من ادم الطايف ويرسل تلك اللطيمة
في جوار رجل من اشراف العرب فلما جهز اللطيمة كان عنده جماعة من العرب
كان فيهم البراض وهو من بني كنانة وعروة الرحال وهو من هوازن فقال

البراض انا اجيرها على بنى كنانة يعنى قومه فقال له النعمان ما اريد الا من يجيزها
على اهل نجد وتهامة فقال له عروة الرحال انا اجيرها لك فقال له البراض
اتجيزها على كنانة فقال نعم وعلى اهل الشيح والقيصوم ونال من البراض فخرج
عروة الرحال وسافروا وخرج البراض خلفه يطلب غفلته فلما استغفله وثب عليه
فقتله اى فانه شرب الخمر وغنته القينات وسكر ونام فجاءه البراض وايقظه فقال
له الرحال ناشدتك الله لا تقتلنى فانها كانت منى زلة وهفوة فلم يلتفت اليه
وقتله وذلك فى الشهر الحرام فاتت كنانة وهم بعكاظ مع هوازن فقال لكنانة
ان البراض قد قتل عروة الرحال ونحن فى الشهر الحرام فانطلقوا وهوازن لا
تشعر ثم بلغهم الخبر فاتبعوهم فادركوهم قبيل دخولهم الحرم فامسكت عنهم
هوازن ثم التقوا بعد هذا اليوم وعاونت قريش كنانة ولا يخفى ان فى هذا التصريح
بان القتال لم يكن فى الاشهر الحرام لانهم اذا كانوا فى الشهر الحرام لا يقاتلون مطلقا
اى وان لم يدخلوا الحرام فكفهم عن قتالهم لمقاربتهم دخول الحرم وقتالهم لهم
فى اليوم الثانى دليل على ان قتالهم لم يكن فى الشهر الحرام ومكث القتال بينهم
اربعة ايام اى كما تقدم **اقول** قال السهيلى الصواب ستة اشهر ايام والله اعلم **قال**
وشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض تلك الايام اخرجه اعمامه معهم
اى ويدل له ما تقدم من انه كان اذا حضر غلبت كنانة واذا لم يحضر هزمت
وفى بعض تلك الايام واشدها اى وهو اليوم الثالث قيد امية وحرب ابنا
امية بن عبد شمس وابو سفيان بن حرب انفسهم كيلا يفروا فسموا العنابس
اى الاسود انتهى اى وحرب والد ابى سفيان وامية اخوه ماتا على الكفر وابو سفيان
اسلم كما سياتى ثم تواعدوا العام المقبل بعكاظ فلما كان العام المقبل جاؤا للموعد
اى وكان امر قريش وكنانة الى عبد الله بن جدعان وقيل كان الى حرب بن امية والد
ابى سفيان لانه كان رئيس قريش وكنانة يومئذ وكان عتبة بن اخيه ربيعة
ابن عبد شمس يتيما فى حجره فضن اى بخل به حرب واشفق اى خاف من خروجه معه
فخرج عتبة بغير اذنه فلم يشعر اى يعلم الا وهو على بعير بين الصفين ينادى يا معشر
مضر علام تتفانون فقالت له هوازن ما تدعوا اليه قال الصلح الصلح على ان ندفع
لكم دية قتلاكم ونعفوا عن دمائنا اى فان قريشا وكنانة كان لهم الظفر على هوازن
يقتلونهم قتلا ذريعا اى وذلك لا ينافى انهزامهم فى بعض الايام قالوا وكيف قال
قال ندفع لكم رهنا منا الى ان نوفى لكم ذلك قالوا ومن لنا بهذا قال انا قالوا ومن انت
قال انا عتبة بن ربيعة بن عبد شمس فرضيت به هوازن وكنانة وقريش ودفعوا

الى هوازن اربعين رجلا فيهم حكيم بن حزام وهو ابن اخى خديجة بنت خويلد زوج
النبى صلى الله عليه وسلم كما تقدم فلما رات هوازن الرهن فى ايديهم عفوا عن الدماء
واطلقوهم وانقضت حرب الفجار وفى رواية وودت قريش قتلى هوازن ووضعت
الحرب اوزارها وقد يقال على تقدير صحة هذه الرواية يراد بودت التزمت ان تديها
فكان انقضاؤها على يد عتبة بن ربيعة وهو ممن قتل كافرا ببدر وهو ابو هند زوج
ابى سفيان ام معاوية رضى الله تعالى عنها وعن زوجها وولدها المذكور **وكان**
يقال لم يسد مملق اى فقير الا عتبة بن ربيعة وابو طالب فانهما سادا بغير مال اى
وفى كلام بعضهم ساد عتبة بن ربيعة وابو طالب وكان افلس من ابى المزلق وهو رجل
من بنى عبد شمس لم يكن يجد قوت ليلته وكذا ابوه وجده وابو جده وجد جده كلهم
يعرفون بالافلاس هذا والذى فى الوفا الاقتصار على ان حرب الفجار كان مرتين المرة
الاولى كانت المحاربة فيه ثلاث مرات **المرة** الاولى سببها قضية بدر بن معشر الغفارى
والمرة الثانية كان سببها قضية المراة والثالثة سببها قضية الدين ولم يحضر
رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المرات **واما** المرة الثانية فكانت بين هوازن وكنانة
وقد حضرها صلى الله عليه وسلم وقد يقال لا خلاف فى المعنى **باب**
شهوده صلى الله عليه وسلم حلف الفضول وهو اشرف حلف فى العرب والحلف فى
الاصل اليمين والعهد وسمى العهد حلفا لانهم يحلفون عند عقده وكان عند منصرف
قريش من حرب الفجار لان حرب الفجار كان فى شوال وقيل فى شعبان لا فى الشهر
الحرام اى وان كان سببه وهو قتل البراض لعروة الرحال كان فى الشهر الحرام
كما تقدم وكون هذا الحلف كان منصرف قريش من حرب الفجار ظاهر فى انه كان بعد
انقضاء الحرب وقبل مجئ العام المقبل للموعد قابل الموعد لم يقع حرب الا ان يقال
اطلق عليه حرب باعتبار انهم كانوا عازمين على المحاربة وهذا الحلف كان فى ذى
القعدة واول من دعى اليه الزبير بن المطلب اى عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
شقيق ابيه كما تقدم فاجتمع اليه بنو هاشم وزهرة وبنو اسد بن عبد العزى
وذلك فى دار عبد الله بن جدعان التيمى كان بنو تيم فى حياته كاهل بيت
واحد بقوته وكان يذبح فى داره كل يوم جزورا وينادى مناديه من اراد الشحم
واللحم فعليه بدار ابن جدعان وكان يطبخ عنده الفالوذج فيطعمه قريشا اى
وسبب ذلك انه كان اولا يطعم التمر والسويق ويسقى اللبن فاتفق ان امية
ابن ابى الصلت مر على بنى عبد المدان فراى طعامهم لباب البر والشهد فقال
امية ٭ ولقد رايت الفاعلين وفعلهم ٭ فرايت اكرمهم بنو المديان ٭

البر يليك بالشهادطعا مهم ۵ لاانما يعللنا بنو جدعان

فبلغ شعره عبد الله بن جدعان فارسل الى بصرى الشام يحمل اليه البر والشهد والسمن وجعل ينادى منادى الا هلموا الى جفنة عبد الله بن جدعان ومن مدح امية بن ابى الصلت في ابن جدعان قوله ۵

اأذكر حاجتى ام قد كفانى ۵ حياؤك ان شيمتك الحياء

اذا اثنى عليك المرء يوما ۵ كفاه من تعرضك الثناء

كريم لا يغيره صباح ۵ عن الخلق الجميل ولا مساء

يبارى الريح مكرمة وجودا ۵ اذا ما الضب اجحره الشتاء

وكان عبد الله ذا شرف وسن وانه من حمله من حرم الخمر على نفسه في الجاهلية ای بعد ان كان بها مغرما وسبب ذلك انه سكر ليلة فصار يمد يده ويقبض على ضوء القمر ليمسكه فضحك منه جلساؤه ثم اخبروه بذلك حين صحى فحلف ان لا يشربها ابدا وممن حرمها على نفسه في الجاهلية عثمان بن مظعون وقال لا اشرب شيئا يذهب عقلى ويضحك بى من هو ادنى منى ويحملنى على ان انكح كريمتى من لا اريد فصنع لهم عبد الله بن جدعان طعاما وتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكونن مع المظلوم حتى يؤدى اليه حقه ما بل بحر صوفة اى الابد وعن عايشة رضى الله تعالى عنها انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابن جدعان كان يطعم الطعام ويقرى الضيف ويفعل المعروف فهل ينفعه ذلك يوم القيمة فقال لا انه لم يقل يوما وفى رواية انه لم يقل ساعة من ليل او نهار رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين رواه مسلم فلا يقال مقتضى الحديث انه لو قال ذلك لنفعه ما ذكر يوم القيمة مع كونه كافرا لانه ممن ادرك البعثة فلم يؤمن وحينئذ يسئل عن الحكمة عن عدوله صلى الله عليه وسلم الى ذلك عن قوله لانه لم يؤمن بى اولم يكن مسلما اى وكان يكنى ابا زهير وقد قال صلى الله عليه وسلم في اسرى بدر لو كان ابو زهير او مطعم بن جدعان عدى حيا فاستوهبهم لوهبتهم له وقد ذكر ان جفنة ابن جدعان كان ياكل منها الراكب على البعير اى وسباى في غزوة بدر انه صلى الله عليه وسلم ذكر انه ازدحم هو وابو جهل وهما غلامان على مائدة لابن جدعان وانه صلى الله عليه وسلم دفع ابا جهل فوقع على ركبتيه فخرجت جرحا اثر فيها اى وقد جا انه صلى الله عليه وسلم قال كنت استظل بجفنة عبد الله بن جدعان في صكة عمى اى في الهاجرة وسميت الهاجرة بذلك لان عمى تصغير اعمى على الترخيم رجل من العماليق اوقع بالعدو القتل في مثل ذلك الوقت وقيل هو رجل من عدوان

وكان

وكان فقيد العرب في الجاهلية فتقدم في قومه معتمرا فلما كان على مرحلتين من مكة قال لقومه وهو في نحر الظهيرة من اتى مكة غدا في مثل هذا الوقت كان له اجر عمرتين فصكوا الابل صكة بشديدة حتى اتوا مكة من الغد في وقت الظهيرة ولعل هذا لا يخالفه قول ابن عباس عجلنا الرواح للمسجد صكة الاعمى فقيل ما صكة الاعمى قال انه لا يبالى اية ساعة خرج وكان عبد الله بن جدعان في ابتدا امره صعلوكا وكان مع ذلك شريرا فاتكا لا يزال يجنى الجنايات فيعقل عنه ابوه وقومه حتى ابغضته عشيرته وطرده ابوه وحلف لا يأويه ابدا فخرج هايما في شعاب مكة يتمنى الموت فرأى شقا في جبل فدخل فاذا ثعبان عظيم له عينان تتقدان ۵ كالسراج فلما قرب منه حمل عليه الثعبان فلما تاخر انساب اى رجع عنه فلا يزال كذلك حتى غلب على ظنه انه مصنوع فقرب منه ومسكه بيده فاذا هو من ذهب وعيناه ياقوتتان فكسره ثم دخل المحل الذى كان هذا الثعبان على بابه فوجد فيه رجالا من الملوك ووجد في ذلك المحل اموالا كثيرة من الذهب والفضة وجواهر كثيرة من الياقوت واللؤلؤ والزبرجد فاخذ منه ما اخذ ثم علم ذلك الشق بعلامة وصار ينقل منه ذلك شيا فشيا ووجد في ذلك الكنز لوحا من رخام فيه انا نفيلة بن جرهم بن قحطان بن هود نبى الله عشت خمسمائة عام وقطعت غور الارض باطنها وظاهرها في طلب الثروة والمجد والملك فلم يكن ذلك ينجى من الموت ثم بعث عبد الله بن جدعان الى ابيه بالمال الذى دفعه في جناياته ووصل عشيرته كلهم فسادهم وجعل ينفق من ذلك الكنز ويطعم الناس ويفعل المعروف قال وفى رواية تحالفوا على ان يردوا الفضول على اهلها ولا يغز ظالم على مظلوم اى وحينئذ فالمراد بالفضول ما يوجد ظلما وقيل ان هذا اى رد الفضول مدرج من بعض الرواة زاد بعضهم على ما بل بحر صوفه وما رسى حرا وثبير مكانيهما انتهى اى والمراد لا بد كما تقدم وكان معهم في ذلك الحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما احب ان لى بحلف حضرته في دار ابن جدعان حمر النعم اى الابل وانى اغدر به بالغين المعجمة والدال المهملة اى ما احب الغدر به وان اعطيت حمر الابل في ذلك قال وفى رواية لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما احب ان لى به حمر النعم اى بفواته ولو دعى به في الاسلام لاجبت اى لو قال قائل من المظلومين يا آل حلف الفضول لما اجبت لان الاسلام انما جا باقامة الحق ونصرة المظلوم وفيه ان الاسلام قد رفع ما كان من دعوى الجاهلية من قولهم يا لفلان عند الحرب والتعصب واجيب بان هذا مستثنى فالدعوة به جايزة وفى

اخوى ما شهدت حلفا لقريش الا حلف المطيبين شهدته مع عمومتى وما
احب لى به حمر النعم وانى كنت نقضته اى لا احب نقضه وان دفع لى حمر الابل
فى مقابلة نقضه والمطيبون هم هاشم وزهرة اى بنو زهرة بن كلاب وامية
ومخزوم قال البيهقى كذا روى هذا التفسير اى ان المطيبين هاشم وزهرة وامية
ومخزوم مدرجا ولا ادرى من قاله وعبارته فى السنن الكبرى لا ادرى هذا التفسير
من قول ابى هريرة او من دونه هذا كلامه فان النبى صلى الله عليه وسلم لم يدرك
حلف المطيبين اى لانه كما تقدم وقع بين بنى عبد مناف بن قصى وهم هاشم
واخوته عبد شمس والمطلب ونوفل وبنو زهرة وبنو اسد بن عبد العزى
وبنو تيم وبنو الحارث بن فهر وهم المطيبون وبين بنى عمهم عبد الدار
بن قصى واحلافهم بنى مخزوم وغيرهم ويقال لهم الاحلاف كما تقدم
وذلك قبل ان يولد صلى الله عليه وسلم وحيث لم يدرك حلف المطيبين
يصير المدرج لفظ المطيبين مع تفسيره بمن ذكر كما يقتضيه كلام
البيهقى وحينئذ تكون الرواية ما شهدت حلفا لقريش الا حلفا مع
عمومتى اى اجرم ظن الراوى ان حلف الفضول هو حلف المطيبين فذكر لفظ
المطيبين وبينهم وقد يقال ذكر ابن اسحاق انه لما قام عبد الله بن جدعان
هو والزبير بن عبد المطلب فى الدعوى للتحالف اجابهما بنو هاشم وبنو المطلب
وبنو اسد وبنو زهرة وبنو تيم هذا كلامه ولا يخفى ان هولاء جل المطيبين
اطلق على هذا الحلف الذى هو حلف الفضول حلف المطيبين لانهم العاقدون
له فليتامل وسمى بالفضول قيل لما تقدم من انهم تحالفوا على ان يردوا الفضول
على اهلها وقيل لانه يشبه حلفا وقع لثلاثة من جرهم كل واحد يقال له
الفضل وعبارة بعضهم لان الداعى اليه كان ثلاثة من اشرافهم اسم كل واحد
منهم فضل وهم الفضل بن فضالة والفضل بن وداعة والفضل بن الحارث
والمصهى فى اشرافهم يتبادر رجوعه الى قريش وهولاء الثلاثة تحالفوا على
نصرة المظلوم على ظالمه فالفضول جمع الفضل وقيل لانهم اى هولاء الذين
كانوا اخرجوا فضول اموالهم للاضياف وقيل لان قريشا قالوا عن هولاء الذين
تحالفوا لقد دخل هولاء فى فضول من الامر والسبب فى هذا الحلف والحامل
عليه ان رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها العاص بن وائل وكان من
اهل الشرف والقدر بمكة فحبس عنه حقه فاستعدى عليه الزبيدى الاحلاف
عبد الدار ومخزوما وجمح وسهما وعدى بن كعب فابوا ان يعينوا على العاص وانتهروه

اى الزبيدى فلما راى الزبيدى الشر رقى على ابى قبيس عند طلوع الشمس
وقريش فى انديتهم حول الكعبة فقال باعلا صوته

يا ال فهر لمظلوم بضاعته ۞ ببطن مكة نائى الدار والنفر
ومحرم اشعث لم يقض عمرته ۞ يا للرجال وبين الحجر والحجر
ان الحرام لمن تمت مكارمه ۞ ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

اى المحرم يعنى الاحرام فقام فى ذلك الزبير بن عبد المطلب اى مع عبد
الله بن جدعان كما تقدم واجتمع اليه من تقدم وقيل قام فيه العباس وابو
سفيان وتعاقدوا وتعاهدوا ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى
يودى اليه حقه شريفا او وضيعا ثم مشوا الى العاص بن وائل فانتزعوا منه
سلعة الزبيدى فدفعوها اليه انتهى اقول ذكر السهيلى ان رجلا من خثعم قدم
مكة معتمرا او حاجا ومعه بنت له من اوضأ نساء العالمين فاغتصبها منه
نبيه بن الحجاج فقيل له عليك بحلف الفضول فوقف عند الكعبة ونادى
والحلف الفضول فاذا هم يعنقون اليه من كل جانب وقد انتضوا اسيافهم
اى جردوها يقولون جاءك الغوث فما لك فقال ان نبيها ظلمنى فى بنتى فانتزعها
عيا
منى قسرا فساروا اليه حتى وقفوا على باب داره فخرج اليهم فقالوا له اخرج
الجارية ويحك فقد علمت من نحن وما تعاقدنا عليه فقال افعل ولكن
متعونى بها الليلة فقالوا لا والله ولا شخب لقحة اى مقدار من ذلك فاخرجها
اليهم وفى سيرة الحافظ الدمياطى انه كان بين الحسين بن على بن ابى طالب رضى
الله عنهما وبين الوليد بن عتبة بن ابى سفيان منازعة فى مال متعلق بالحسين
فقال الحسين للوليد احلف بالله لتنصفنى من حقى او لاخذن سيفى ثم لاقومن
فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لادعون بحلف الفضول اى بحلف
الفضول وهو نصرة المظلوم على ظالمه ووافقه على ذلك جماعة منهم عبد الله بن
الزبير لانه اذ ذاك فى المدينة فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة انصف الحسين من
حقه حتى رضى والله اعلم

باب سفره صلى الله عليه وسلم

الى الشام ثانيا وذلك مع ميسرة غلام خديجة بنت خويلد رضى الله تعالى عنها لما بلغ
رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة اى على الراجح من اقوال ستة وعليه
جمهور العلماء وتلك اقوال ضعيفة لم تقم لها حجة على ساق وليس له اسم بمكة الا الامين
لما تكامل فيه من خصال الخير كما تقدم وسبب ذلك ان عمه ابا طالب قال له يا ابن
اخى انا رجل لا مال لى وقد اشتد الزمان اى القحط والح علينا اى اقحمت

ودامت ستون منكره اى شديدة الجدب وليس لنا مادة اى ما بيدنا ما يغوينا
ولا تجارة وهذه عير قومك وتقدم انها الابل التى تحمل الميره وفى رواية عيرا
جمع عير قد حضر خروجها الى الشام وخديجة بنت خويلد تبعث رجالا من
قومك فى عيراتها فيتجرون لها فى مالها ويصيبون منافع فلوجيتها فوضعت
نفسك عليها لاسرعت اليك وفضلتك على غيرك لما يبلغها عنك من طهارتك
وان كنت لا احب من ذلك بدا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلعلها
ترسل الىّ فى ذلك فقال ابو طالب انى اخاف ان تولى غيرك فتطلب امرا مدبرا
فافترقا فبلغ خديجة ما كان من محاورة عمه ابى طالب له فقالت ما علمت انه
يريد هذا ثم ارسلت اليه صلى الله عليه وسلم فقالت انى دعانى الى البعثة اليك
ما بلغنى من صدق حديثك وعظم امانتك وكرم اخلاقك وانا اعطيك ضعف
ما اعطى رجلا من قومك ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقى عمه ابا
طالب فذكر له ذلك فقال ان هذا لرزق ساقه الله اليك فخرج مع غلامها
ميسرة اى يريد الشام وقالت خديجة لميسرة لا تعصى له امرا ولا تخالف له رايا
وجعل عمومته يوصون به اهل العير اى ومن حين سيره صلى الله عليه وسلم
اظلته الغمامة فلما قدم صلى الله عليه وسلم الشام نزل فى سوق بصرى فى ظل شجرة
قريبة من صومعة راهب يقال له نسطورا اى بالقصر فاطلع الراهب الى
ميسرة وكان يعرفه فقال يا ميسرة من هذا الذى نزل تحت الشجرة فقال ميسرة
رجل من قريش من اهل الحرم فقال له الراهب ما نزل تحت هذه الشجرة قط
الا نبى اى صانها الله تعالى عن ان ينزل تحتها غير نبى ثم قال له افى عينيه حمرة
قال ميسرة نعم لا تفارقه فقال الراهب هو هو وهو اخر الانبيا ويا ليت
انى ادركه حين يؤمر بالخروج اى يبعث فوعى ذلك ميسرة اى والحمرة كانت
فى بياض عينيه وهى الشكلة وهى ثم قيل فى وصفه صلى الله عليه وسلم اشكل
العينين فهذه الشكلة من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم فى الكتب
القديمة اى وقد تقدم **قال** وفى الشرف للنيسابورى فلما راى الراهب الغمامة
تظله صلى الله عليه وسلم فزع وقال ما انتم عليه اى اى شئ انتم قال ميسرة
غلام خديجة فدنى الى النبى صلى الله عليه وسلم سرا من ميسرة وقبل راسه
وقدمه وقال امنت بك وانك الذى ذكره الله تعالى فى التوراة ثم
قال يا محمد قد عرفت فيك العلامات كلها اى العلامات الدالة على نبوتك
المذكورة فى الكتب القديمة خلا خصلة واحدة فاوضح لى عن كتفك فافتح

له فاذا هو بخاتم النبوة يتلالا فاقبل عليه يقبله ويقول اشهد ان لا اله الا
الله واشهد انك رسول الله النبى الامى الذى بشر بك عيسى بن مريم فانه قال لا ينزل
بعدى تحت هذه الشجرة الا النبى صلى الله عليه وسلم الامى الهاشمى العربى المكى
صاحب الحوض والشفاعة وصاحب لوا الحمد انتهى **اقول** قال فى النور ولم اجد
احدا عد هذا الراهب الذى هو نسطورا فى الصحابة كما عد بعضهم منهم بحيرا الراهب
وينبغى ان يكون مثله هذا كلامه وقد قدمنا انه سيأتى ان بحيرا ونسطورا
وغيرهما ممن صدق بانه صلى الله عليه وسلم نبى هذه الامة من اهل الفترة لا من
اهل الاسلام فضلا عن كونه صحابيا لان المسلم من ادرك رسالته صلى الله عليه وسلم
بعد وجودها الى اخر ما يأتى ومن ثم ذكر الحافظ ابن حجر فى الاصابة ان بحيرا
ممن ذكر فى كتب الصحابة غلطا قال لان تعريف الصحابى لا ينطبق عليه وهو مسلم
لقى النبى صلى الله عليه وسلم مؤمنا به ومات على ذلك قال فقولى مسلم يخرج من
لقيه مؤمنا به قبل ان يبعث كهذا الرجل يعنى بحيرا هذا كلامه ومراده ما ذكرنا
ولعل نسطورا هذا هو الذى تنسب اليه النسطورية من النصارى فان النصارى
افترقت ثلاث فرق نسطورية قالوا عيسى بن الله ويعقوبية قالوا عيسى
هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السما وملكانية قالوا عيسى عبد الله
ونبيه زاد بعضهم فرقة رابعة وهم اسرائيلية قالوا هو اله وامه اله والله اله
هذا **وفى** القاموس النسطورية بالضم ويفتح امة من النصارى تخالف
بقيتهم وهم اصحاب نسطور الحكيم الذى ظهر فى ايام المامون وتصرف فى الانجيل
برايه وقال ان الله واحد ذو اقانيم ثلاثة وهو ثالث ومعه نسطورس كما
افترقت اليهود ثلاث فرق فانها افترقت الى قرائية وربانية وسامرة
ولا يخفى ان بقا تلك الشجرة هذا الزمن الطويل قبل عيسى وبعده الى زمن
نبينا صلى الله عليه وسلم على خلاف العادة وصرف غير الانبياء عن النزول
تحت تلك الشجرة وكذا صرف الانبيا الذين وجدوا بعد عيسى على ما تقدم
عن النزول تحت تلك الشجرة وكذا صرف الانبيا الذين وجدوا بعد عيسى على
ما تقدم عن النزول تحت تلك الشجرة بعد عيسى الذى دلت عليه الرواية
الاولى والرواية الثانية ممكن وان كانت الشجرة لا تبقى فى العادة هذا الزمن
الطويل ويبعد فى العادة ان تكون شجرة تخلو عن ان ينزل تحتها احد غير الانبيا
لان هذا الامر مع كونه ممكنا خارقا للعادة والانبيا لهم خرق العوائد سيما نبينا
صلى الله عليه وسلم وبهذا يرد قول السهيلى يريد ما نزل تحت هذه الشجرة الساعة

الابنى ولم يرد ما نزل تحتها قط الا نبى لبعد العهد بالانبيا قبل ذلك وان كان
فى لفظ الخبر قط اى كما تقدم فقد تكلم بها على جهة التاكيد للنفى والشجرة لا
تعمر فى العادة هذا العمر الطويل حتى يدرى انه لم ينزل تحتها الا عيسى او
غيره من الانبيا ويبعد فى العادة ايضا ان تكون شجرة تخلو من ان ينزل
تحتها احد حتى يجى نبى هذا كلامه **وقد** يقال يجوز ان تكون تلك الشجرة
كانت شجرة زيتون **فقد** ذكر ان شجرة الزيتون تعمر ثلاثة الاف سنة على
ان فى بعض الروايات ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة يابسة
بجرعودها فلما اطمأن تحتها اخضرت ونورت واعشوشب ما حولها واينع
ثمرها وتدلت اغصانها ترفرف على رسول الله صلى الله عليه وسلم **قال** بعضهم
المختار عند جمهور المحققين من اهل السنة انه كما جاز وقوعه للانبيا من المعجزات
جاز للاوليا مثله من الكرامات بشرط عدم التحدى لان المعجزة يعتبر فيها
التحدى وان يكون بعد النبوة وما قبل النبوة كما هنا يقال له ارهاص وحينئذ
لا يستبعد ما ذكر عن الشيخ رسلان انه كان اذا استند الى شجرة يابسة قد
ماتت تورق وتخرج ثمرها فى الحال على انه سيأتى فى الكلام على غزاة الخندق
ان كرامات الاوليا معجزات لانبيائهم ولما راى الراهب ما ذكر لم يتمالك الراهب
ان انحدر من صومعته وقال له باللات والعزى ما اسمك فقال له اليك عنى
ثكلتك امك ومع ذلك الراهب رق مكتوب فجعل ينظر فى ذلك الرق ثم
قال هو هو ومنزل التوراة فظن بعض القوم ان الراهب يريد بالنبى صلى الله
عليه وسلم مكرا فانتضى سيفه وصاح يا آل غالب يا آل غالب فاقبل الناس يهرعون
اليه من كل ناحية يقولون ما الذى راعك فلما نظر الراهب الى ذلك اقبل
يسعى الى صومعته فدخلها واغلق عليه بابها ثم اشرف عليهم فقال يا قوم ما
الذى راعكم منى فوالذى رفع السموات بغير عمد انى لاجد فى هذه الصحيفة ان
النازل تحت الشجرة هو رسول الله رب العالمين صلى الله عليه وسلم يبعثه الله
بالسيف المسلول وبالربح الاكبر وهو خاتم النبيين فمن اطاعه نجا ومن عصاه
غوى ثم حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم سوق بصرى فباع سلعته التى خرج بها
واشترى **قال** ولم اقف على تعيين ما باعه وما اشتراه انتهى وكان بينه وبين
رجل اختلاف فى سلعة فقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم احلف باللات
والعزى فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما حلفت بهما قط فقال الرجل القول
قولك ثم قال لميسرة وخلا به يا ميسرة هذا نبى والذى نفسى بيده انه لهو الذى

بجده

تجده احبارنا منعوتا اى فى الكتب فوعى ميسرة ذلك اى وقيل ان يصلوا الى بصرى
عيى بعيران لخديجة وتخلف معهما ميسرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى اول الركب فخاف ميسرة على نفسه وعلى البعيرين فانطلق يسعى الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البعيرين
فوضع يده على اخفافهما وعوذهما فانطلقا فى اول الركب ولهما رغا **قال** وفى الشرف
انهم باعوا امتعتهم وربحوا ربحا ما ربحوا مثله قط قال ميسرة يا محمد اتجرنا لخديجة
اربعين سنة ما راينا ربحا قط اكثر من هذا الربح على وجهك انتهى **واقول** لا
يخفى ما فى قول ميسرة اتجرنا لخديجة اربعين سنة ولعلها مصحفة عن سفرة
او هو على المبالغة والله اعلم ثم انصرف اهل العير جميعا راجعين مكة وكان
ميسرة يرى ملكين يظلانه صلى الله عليه وسلم من الشمس وهو على بعيره
اذا كانت الهاجرة واشتد الحر وهذا هو المعنى بقول الخصائص الصغرى
وخص باظلال الملائكة له فى سفره ويحتمل ان المراد فى كل اسفاره فانى لكن لم
اقف على اظلال الملائكة له صلى الله عليه وسلم فى غير هذه السفرة وقد القى
الله محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قلب ميسرة فكان كانه عبده
فلما كانوا بمر الظهران اى وهو واد بين مكة وعسفان وهو الذى تسميه العامة
بطن مرو وهو المعروف الان بوادى فاطمة قال ميسرة للنبى صلى الله عليه وسلم
هل لك ان تسبقنى الى خديجة فتخبرها بالذى جرى لعلها تزيدك بكرة الى بكرتيك اى
وفى رواية تخبرها بما صنع الله تعالى لها على وجهك فركب النبى صلى الله عليه وسلم
وتقدم حتى وصل مكة فى ساعة الظهيرة وخديجة فى عليتها اى فى غرفة مع نسائها
فرات رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل وهو راكب على بعيره وملكان يظلان
عليه فارات نساها فعجبن لذلك ودخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فخبرها بما ربحوا وهو ضعف ما كنت تربح فسرت بذلك وقالت اين ميسرة قال
خلفته فى البادية قالت عجل اليه ليعجل بالاقبال وانما ارادت ان تعلم هو الذى
رات ام غيره فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم وصعدت خديجة تنظر فرأته
على الحالة الاولى فاستيقنت انه هو فلما دخل عليها ميسرة اخبرتها رات فقال
لها ميسرة قد رايت هذا منذ خرجنا من الشام والى ذلك اشار الامام السبكى
رحمه الله تعالى فى تائيته بقوله

وميسرة قد عاين الملكين اذ ۝ اظلاك لما سرت ثانى سفرة

واخبرها ميسرة بقول الراهب نسطورا وقول الاخر الذى خالفه الى ستحلفه

فى البيع اى وقصة البعيرين وحينئذ اعطت خديجة له صلى الله عليه وسلم ضعف
ما ضمنته له اى وما سمته له ضعف ما كانت تعطيه لرجل من قومه كما تقدم وقول ميسرة
له صلى الله عليه وسلم فيما تقدم لعلها تزيدك بكرة الى بكرتيك يدل على انها سمت له بكرتين
وكانت تسمى لغيره بكرة وفى كلام بعضهم وفى الروض الباسم استاجرته صلى الله
عليه وسلم على اربع بكرات وفى الجامع الصغير ما نصه اجرت نفسي من خديجة
سفرتين بقلوصين ثم رايت فى الامتاع ما يوافق ذلك ونصه واجر صلى
الله عليه وسلم نفسه من خديجة سفرتين بقلوصين من السفرة الاولى ارسلته
مع عبدها ميسرة الى سوق حباشة اى وهو مكان بارض اليمن بينه وبين مكة
ستة اميال كانوا يتبايعون فيه ثلاثة ايام من اول رجب فى كل عام فابتاعا منه
بزا ورجعا الى مكة فربحا ربحا حسنا وفى السفرة الثانية ارسلته مع عبدها
ميسرة الى الشام وفيه ان سفره صلى الله عليه وسلم مع ميسرة الى الشام
سفرة ثالثة فعن مستدرك الحاكم وصححه واقره الذهبى عن جابر ان خديجة
استاجرته صلى الله عليه وسلم سفرتين الى جرش بضم الجيم وفتح الراء موضع
باليمن كل سفرة بقلوص وهى الشابة من الابل وهو يفيد انه صلى الله عليه وسلم
سافر لها ثلاث سفرات كما تقدم ولعل سوق حباشة هو جرش والا لزم
ان يكون صلى الله عليه وسلم سافر لها خمس سفرات اربعة الى اليمن وواحدة
الى الشام وما تقدم عن الروض الباسم من انها استاجرته صلى الله عليه وسلم
فى سفره الى الشام باربع بكرات يناسب ما تقدم عن ميسرة وقد جاء
فى بعض الروايات ان ابا طالب جا لخديجة وقال لها هل لك ان تستاجرى
محمدا فقد بلغنا انك استاجرت فلانا ببكرين ولسنا نرضى لمحمد دون اربع
بكرات فقالت لو سالت لبعيد بغيض فكيف وقد سالت لحبيب قريب ثم
لا يخفى ان كون سفره صلى الله عليه وسلم مع ميسرة بسوق حباشة قبل سفره
معه الى الشام مخالف لظاهر ما تقدم من قول عمه ابى طالب وهذه عير قومك
وقد حضر خروجها الى الشام فلو جئتها فوضعت نفسك عليها وقول خديجة
ما علمت انه يريد هذا وانما قلنا ظاهره لانه يجوز ان يكون بعد قول ابى طالب
وقولها المذكور ارسلته صلى الله عليه وسلم مع ميسرة الى سوق حباشة لقرب
مسافته وقصر زمنه ثم ارسلته مع ميسرة الى الشام او كانت خديجة لا تجوز
ان ابا طالب يرضى بسفره الى الشام وانه صلى الله عليه وسلم من حين سيره اى من مكة
صارت الغمامة تظلله فان كانت غير الملكين فالغمامة كانت تظلله فى الذهاب

والملكان

والملكان يظللانه فى العود ولعل عدم ذكر ميسرة لخديجة تظليل الغمامة له
صلى الله عليه وسلم فى ذهابه انه لم يفطن لها مثلا ولكن سياتى فى كلام صاحب الهمزية
ما يدل على ان الملكين هما الغمامة وفيه وقوع رؤية البشر غير نبينا صلى الله
عليه وسلم للملائكة غير جبريل وسياتى رؤية جمع من الصحابة لجبريل وفى المنقذ من
الضلال للغزالى ان الصوفية يشاهدون الملائكة فى يقظتهم اى لحصول طهارة دة
نفوسهم وتزكية قلوبهم وقطعهم العلائق وحسمهم مواد اسباب الدنيا
من الجاه والمال واقبالهم على الله تعالى بالكلية علما دائما وعملا مستمرا والله اعلم
قال ولم اقف على اسم الرجل الذى خالفه صلى الله عليه وسلم اى استحلفه وقال له
الحافظ ابن حجر لم اقف على رواية صحيحة صريحة فيه بانه اى ميسرة بقى الى
البعثة انتهى ثم ان خديجة ذكرت ما رانه من الايات وما حدثها به
غلامها ميسرة لابن عمها ورقة بن نوفل وكان نصرانيا اى بعد ان كان يهوديا
على ما ياتى وقد تتبع الكتب فقال لها ان كان هذا حقا يا خديجة ان محمدا لنبى
هذه الامة وقد عرفت انه كائن لهذه الامة نبى منتظر هذا زمانه اى وكان
صلى الله عليه وسلم يتجر قبل النبوة قبل ان يتجر لخديجة وكان شريكا للسائب
ابن ابى السائب صيفى فلما قدم عليه السائب يوم فتح مكة قال له مرحبا
باخى وشريكى كان لا يدارى اى لا يرائى ولا يمارى اى لا يخاصم صاحبه وهذا يدل على
ان قوله كان لا يدارى الى اخره من مقوله صلى الله عليه وسلم وقد قال فقهاؤنا والاصل
فى الشركة خبر السائب بن يزيد انه كان شريكا للنبى صلى الله عليه وسلم قبل البعثة
وافتخر بشركته بعد المبعث اى قال كان صلى الله عليه وسلم شريكى نعم شريك
لا يدارى ولا يمارى ولا يشارى والمشاراة المساحة فى الامر واللحاح وهو يدل
على ان ذلك كان من قول السائب ولا مانع ان يكون كل من النبى صلى الله عليه وسلم
والسائب قال فى حق الاخر كان لا يدارى ولا يمارى وبهذا يندفع قول بعضهم اختلفت
الروايات فى هذا الكلام الذى هو كان خير شريك لا يشارى ولا يمارى فمنهم من
يجعله من قول النبى صلى الله عليه وسلم فى السائب ومنهم من يجعله من قول السائب
فى النبى صلى الله عليه وسلم ويمكن ان لا يكون مخالفة بين السائب بن ابى السائب
صيفى وبين السائب بن يزيد لانه يجوز ان يكون صيفى لقب لوالده واسمه
يزيد وفى الاستيعاب وقع اضطراب هل الشريك كان ابا السائب او ولده
السائب بن ابى السائب او ولد السائب وهو قيس بن السائب او ابن ابى
السائب لا اخ السائب وهو عبد الله بن ابى السائب قال وهذا اضطراب

لا يثبت به شيء ولا يقوم به حجة والسائب بن ابي السائب من المؤلفة
اعطاه صلى الله عليه وسلم يوم الجعرانة من غنائم حنين وبه يرد قول
بعضهم ان السائب بن ابي السائب قتل يوم بدر كافرا ومما يدل على ان
الشركة كانت لقيس بن السائب قوله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الجاهلية شريكي فكان خير شريك كان لا يشاريني ولا يماريني ووجه
الدلالة انه صلى الله عليه وسلم سمع كان شريكي واقره عليه وذكر
في الامتاع ان حكيم بن حزام اشترى من رسول الله صلى الله عليه وسلم بزا
من بز تهامة بسوق حباشة وقدم به مكة فكان ذلك سببا لارسال خديجة
له صلى الله عليه وسلم مع عبدها ميسرة الى سوق حباشة ليشتري لها بزا
وفي سفر السعادة انه صلى الله عليه وسلم وقع منه انه باع واشترى لا انه
بعد الوحي وقبل الهجرة كان شراؤه اكثر من البيع وبعد الهجرة لم يبع الا ثلاث
مرات واما شراؤه فكثير واجر واستاجر والاستيجار اغلب ووكل وتوكل وكان
توكله اكثر

باب تزويجه صلى الله عليه وسلم لخديجة

بنت خويلد رضي الله تعالى عنها ابن اسد بن عبد العزى بن قصي فهي تجتمع معه
صلى الله عليه وسلم في قصي قال الحافظ ابن حجر وهي من اقرب نسائه صلى
الله عليه وسلم اليه في النسب فلم يتزوج من ذرية قصي غيرها الا ام حبيبة
هذا كلامه عن نفيسة بنت منية رضي الله تعالى عنها اي وهي اخت يعلى بن
منية وفي الامتاع منية اخت يعلى بن منية وعليه يكون ضمير وهي راجع لمنية
لا لنفيسة قال كانت خديجة بنت خويلد امراة حازمة اي ضابطة جلدة اي
قوية شريفة اي مع ما اراد الله تعالى لها من الكرامة والخير وهي يومئذ اوسط
نساء قريش نسبا واعظمهم شرفا واكثرهم مالا اي واحسنهم جمالا وكانت
تدعى في الجاهلية بالطاهرة وفي لفظ كان يقال لها سيدة قريش لان الوسط
في ذكر النسب من اوصاف المدح والتفضيل يقال فلان اوسط القبيلة
اعرقها في نسبها وكل قومها كان حريصا على نكاحها لو قدر على ذلك قد طلبوها
وذكروا لها الاموال فلم تقبل فارسلتني دسيسا اي خفية الى محمد صلى الله عليه وسلم
بعد ان رجع في عيرها من الشام فقلت يا محمد ما يمنعك ان تتزوج فقال
ما بيدي ما اتزوج به قلت فان كفيت ذلك ودعيت الى المال والجمال
والشرف والكفاءة الا تجيب قال فمن هي قلت خديجة قال وكيف لي بذلك
بكسر الكاف لانه خطاب لنفيسة قلت علي وانا افعل فذهبت فاخبرتها

فارسلت

فارسلت الى عمها عمرو بن اسد ليزوجها فحضر ودخل رسول الله صلى الله
عليه وسلم في عمومته فزوجه احدهم اي وهو ابو طالب على ما ياتي وقال
في خطبته وابن اخي له في خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك فقال
عمرو بن اسد هذا الفحل لا يقدع انفه اي بالقاف والدال المهملة اي لا يضرب انفه
لكونه كريما لان غير الكريم اذا اراد ركوب الناقة الكريمة يضرب انفه ليرتدع
بخلاف الكريم وكون المزوج لها عمها عمرو بن اسد قال بعضهم هو المجمع عليه
وقيل المزوج لها خويلد بن اسد وكان سكرانا من الخمر فالقت عليه خديجة
حلة وهي ثوب فوق ثوب لان الاعلى يحل فوق الاسفل وضمخته بخلوف اي لطخته
بطيب مخلوط بزعفران فلما صحا من سكره قال ما هذه الحلة والطيب فقيل
له لانك انكحت محمدا خديجة وقد ابتنى بها فانكر ذلك ثم رضيه وامضاه اي
لان خديجة استشعرت من ابيها انه يرغب عن ان يزوجها له فصنعت طعاما
وشرابا ودعت اباها ونفرا من قريش فطعموا وشربوا فلما سكر ابوها قالت له
ان محمد بن عبد الله يخطبني فزوجني اياه فزوجها فخلقته والبسته لان ذلك
اي الباس الحلة وجعل الخلوق به كان عادتهم لان الاب يفعل به ذلك اذا زوج
بنته فلما صحا من سكره قال ما هذا قالت له خديجة زوجتني من محمد بن عبد الله
قال انا ازوج يتيم ابي طالب لا لعمري فقالت له خديجة رضي الله تعالى عنها الا
تستحي تريد ان تسفه نفسك عند قريش تخبرهم انك كنت سكرانا فلم تزل به حتى
رضي اي وهذا مما يدل على ان شرب الخمر كان عندهم مما يتنزه عنه ويدل له ان جماعة
حرموها على انفسهم في الجاهلية منهم من تقدم ومنهم من ياتي وفي
رواية انها عرضت نفسها عليه فقالت يا ابن عم اني قد رغبت فيك لقرابتك
وامانتك وحسن خلقك وصدق حديثك فذكر ذلك صلى الله عليه وسلم
لاعمامه فخرج معه حمزة بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه حتى دخل على خويلد
ابن اسد فخطبها اليه فزوجها اقول قال في النور ولعل الثلاثة اي اباها
واخاها وعمها حضروا ذلك فنسب الفعل الى كل واحد منهم هذا كلامه
وفي كون المزوج لها اباها خويلد او كونه تزوجها نظر ظاهر لان المحفوظ عن
اهل العلم ان خويلد بن اسد مات قبل حرب الفجار المتقدم ذكرها قال بعضهم
وهو الذي نازع تبعا اي حين اراد اخذ الحجر الاسود الى اليمن فقام في ذلك
خويلد وقام معه جماعة من قريش ثم راى تبع في منامه ما ردعه عن ذلك
فترك الحجر الاسود مكانه وعلى كون المزوج له عمه حمزة اقتصر ابن هشام في

سيرته وذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اصدقها عشرين بكرة وعبارة المحب الطبري فلما ذكر ذلك لاعمامه خرج معه منهم حمزة بن عبد المطلب حتى دخل على خويلد بن اسد فخطبها اليه ففصل وحضر ابو طالب ورؤسا مضر فخطب ابو طالب فقال الحمد لله القصة والله اعلم قال وعن ابن اسحاق انها قالت له يا محمد الا تتزوج قال ومن قالت انا قال ومن لي بك انك ايم قريش وانا يتيم قريش قالت اخطبني الحديث اي وفيه اطلاق اليتيم على البالغ وذلك يجب ما كان والمراد به المحتاج والا فالعرف اي الشرعي واللغوي خصه بغير البالغ ممن مات ابوه الحقيقي وعن بعضهم قال مررت انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على اخت خديجة فنادتني فانصرفت اليها ووقف لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اما لصاحبك هذا من حاجة في تزويج خديجة فاخبرته فقال بلى لعمري فذكرت ذلك لها فقالت اغدوا علينا اذا اصبحنا فغدونا عليهم فوجدناهم قد ذبحوا بقرة والبسوا خديجة حلة الحديث وفي الامتاع تجد ان ذكر ان السفير بينهما نفيسة بنت منية ذكر انه قيل كان السفير بينهما غلامها وقيل مولاة مولدة وقد يقال لا منافاة لجواز ان يكون كل ممن ذكر كان سفيرا وفي الشرف ان خديجة رضي الله تعالى عنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم اذهب الى عمك فقل له تعجل الينا بالغداة فلما جاءها ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت له يا ابا طالب تدخل على عمي فكلمه يزوجني من ابن اخيك محمد بن عبد الله فقال ابو طالب يا خديجة لا تستهزئي فقالت هذا صنع الله فقام فذهب وجاء مع عشرة من قومه الى عمها الحديث اي وفي رواية ومعه بنو هاشم ورؤسا مضر ولا مخالفة لجواز ان يكون المراد ببني هاشم اولئك العشرة وانهم كانوا هم المراد برؤسا مضر في ذلك الوقت وذكر ابو الحسين بن فارس وغيره ان ابا طالب خطب يومئذ فقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وضئضئ معد اي معدنه وعنصر مضر اي اصله وجعلنا حضنة بيته المتكفلين بشانه وسواس حرمه اي القائمين بخدمته وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما امنا وجعلنا حكام الناس ثم ان ابن اخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل الا رجح به شرفا ونبلا وفضلا وعقلا وان كان في المال قل فان المال ظل زائل وامر حائل وعارية مسترجعة وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل وقد خطب اليكم رغبة في كريمتكم خديجة وقد بذل لها من الصداق ما عاجله واجله اثنتي عشرة اوقية ونشا اي وهو عشرون درهما والاوقية اربعون

درهما

درهما اي وكانت الاواق والنش من ذهب كما قال المحب الطبري اي فيكون جملة الصداق خمسمائة درهم شرعي وقيل اصدقها عشرين بكرة اي كما تقدم اقول لا منافاة لجواز ان تكون تلك البكرات عوضا عن الصداق المذكور وقال بعضهم يجوز ان يكون ابو طالب اصدقها ما ذكر وزاد صلى الله عليه وسلم من عنده تلك البكرات في صداقها فكان الكل صداقا والله اعلم قف وما قيل ان عليا رضي الله تعالى عنه ضمن المهر فهو غلط لان عليا لم يكن ولد على جميع الاقوال في مقدار عمره وبه يرد قول بعضهم وكون علي ضمن المهر غلط لان عليا كان صغيرا لم يبلغ سبع سنين اي لانه ولد في الكعبة وعمره صلى الله عليه وسلم ثلاثون فاكثر اي وسنه صلى الله عليه وسلم حين تزوج خديجة كان وعشرين سنة على ما تقدم وزيادة شهرين وعشرة ايام وقيل خمسة عشر يوما على ما ياتي وقيل الذي ولد في الكعبة حكيم بن حزام قال بعضهم لا مانع من ولادة كليهما في الكعبة لكن في النور حكيم بن حزام ولد في جوف الكعبة ولا يعرف ذلك لغيره واما ما روي ان عليا ولد فيها فضعيف عند العلما قال النووي وعند ذلك قال عمها عمرو بن اسد هو الفحل لا يقدع انفه وانكحها منه وقيل قائل ذلك ورقة ابن نوفل اي فانه بعد ان خطب ابو طالب بما تقدم خطب ورقة فقال الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت وفضلنا على ما عددت فنحن سادة العرب وقادتها وانتم اهل ذلك كله لا تنكر العرب فضلكم ولا يرد احد من الناس فخركم وشرفكم ورغبتنا في الاتصال بحبلكم وشرفكم فاشهدوا علي معاشر قريش اني قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله وذكر المهر فقال ابو طالب قد احببت ان يشركك عمها فقال عمها اشهدوا علي يا معشر قريش اني قد انكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد واولم عليها صلى الله عليه وسلم نحر جزورا وقيل جزورين واطعم الناس وامرت خديجة جواريها ان يرقصن ويضربن الدفوف وفرح ابو طالب فرحا شديدا وقال الحمد لله الذي اذهب عنا الكرب ودفع عنا الهموم وهي اول وليمة اولمها صلى الله عليه وسلم اقول ولا ينافي هذا ما تقدم من قوله فوجدناهم قد ذبحوا بقرة والبسوا خديجة حلة لجواز ان يكون ذلك كان عند العقد وهذا عند ارادة الدخول ولا ينافي ذلك ما تقدم من قوله وقد اجتمع بها لان تلك الرواية غير صحيحة ولا ينافي كون المزوج له صلى الله عليه وسلم عمه ابو طالب لا ينافي ما تقدم ان المزوج له عمه حمزة لجواز ان يكون حضر مع ابي طالب فنسب التزويج اليه ايضا والله اعلم والسبب في ذلك اي في عرض خديجة رضي الله تعالى عنها نفسها عليه صلى الله عليه وسلم

ايضا مع ما اراد الله تعالى بها من الخير ما ذكره ابن اسحاق قال كان لنساء قريش عيد يجتمعن فيه في المسجد فاجتمعن يوما فيه فجاءهن يهودي وقال يا معشر نساء قريش انه يوشك فيكن نبي قرب وجوده فايتكن استطاعت ان تكون فراشا له فلتفعل فحصبنه اي رمينه بالحصباء وقبحنه واغلظن له واغضت خديجة على قوله ووقر ذلك في نفسها فلما اخبرها ميسرة بما رآه من الآيات وما ذكره من اي وما قاله لها ورقة لما حدثته بحديثها به تيسر ما تقدم قالت ان كان ما قاله اليهودي حقا ما ذاك الا هذا وذكر الفاكهي عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان عند ابي طالب فاستأذن ابا طالب في ان يتوجه الى خديجة اي ولعله بعد ان طلبت منه الحضور اليها وذلك قبل ان يتزوجها فاذن له وبعث بعده جارية له يقال لها نبعة فقال انظري ما تقول له خديجة اي ولعل بعده ان طلبت منه الحضور اليها وذلك قبل ان يتزوجها ثم قالت بابي وامي والله ما افعل هذا الشيء ولكني ارجو ان تكون النبي الذي سيبعث فان لم يكن هو فاعرف حقي ومنزلتي وادعو الاله الذي سيبعثك لي فقالت والله لئن كنت انا هو لقد اصطنعت عندي ما لا اضيعه ابدا وان يكن غيري فان الاله الذي تصنعين هذا لاجله لا يضيعك ابدا فرجعت نبعة واخبرت ابا طالب بذلك وكان تزويجه صلى الله عليه وسلم لخديجة رضي الله تعالى عنها بعد مجيئه من الشام بشهرين وخمسة عشر يوما وعمره اذ ذاك خمس وعشرون سنة على ما هو الصحيح الذي عليه الجمهور كما تقدم زاد بعضهم على الخمسة والعشرين سنة شهرين وعشرة ايام وقد اشار الى ما تقدم صاحب الهمزية بقوله

ورأته خديجة والتقى والزهد فيه سجية وحياء
واتاها ان الغمامة والسرح اظلته منهما افياء
واحاديث ان وعد رسول الله بالبعث حان منه الوفاء
فدعته الى الزواج وما احسن ما يبلغ المنى الاذكياء

اي وعلمت خديجة رضي الله تعالى عنها ذات الشرف الطاهر والمال الوافر الطاهر والحسب الفاخر والحال ان التقى والزهد والحيا فيه صلى الله عليه وسلم سجية وطبيعة واتاها الخبر بان الغمامة والشجر اظلته افيا اي ظلالا حالة كون تلك الافيا من الغمامة والشجر وفيه ان هذا يدل على ان الملكين مما الغمامة قال بعضهم وتظليل الغمامة له صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة تاسيسا لها وانقطع بعد النبوة واتى خديجة الاحاديث والاخبار من بعض الاحبار

بان

بان وعد الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بالبعث والارسال الى الخلق قرب الوفاء به منه تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم فبسبب ذلك خطبته الى ان يتزوج بها وعرضت نفسها عليه وما احسن بلوغ الاذكيا ما يتمنونه وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي يومئذ بنت اربعين سنة قال وقيل خمس واربعون سنة وقيل ثلاثين وقيل ثمان وعشرين انتهى وقيل خمس وثلاثين وتزوجت قبله صلى الله عليه وسلم رجلين اولهما عتيق بن عابد اي بالموحدة والمهملة وقيل بالمثناة تحت والمعجمة فولدت له بنتا اسمها هند وهي ام محمد بن صيفي المخزومي وثانيهما ابو هالة واسمه هند فولدت له ولدا اسمه هالة وولدا اسمه هند ايضا فهو هند بن هند اي وكان يقول انا اكرم الناس ابا واما واخا واختا ابي رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه زوج امه وامي خديجة واخي القاسم واختي فاطمة قتل هند هذا مع علي رضي الله عنهما يوم الجمل وفي كلام السهيلي انه مات بالطاعون بالبصرة وكان قد مات في ذلك اليوم نحو من سبعين الفا فشغل الناس بجنائزهم عن جنازته فلم يوجد من يحملها فصاحت نادبته واهنداه بن هنداه واربيب رسول الله فلم تبق جنازة الا تركت واحتملت جنازته على اطراف الاصابع اعظاما لربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا وفي المواهب انها كانت تحت ابي هالة اولا ثم كانت تحت عتيق ثانيا وسيأتي بقية ترجمتها رضي الله عنها في ازواجه صلى الله عليه وسلم

باب بنيان قريش الكعبة شرفها الله تعالى لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنة على ما هو الصحيح جاء سيل حتى اتى من فوق الردم الذي صنعوه لمنع السيل فاخربه اي ودخلها وصدع جدرانها بعد توهينها من الحريق الذي اصابها وذلك ان امراة بخرتها فطارت شرارة في ثياب الكعبة فاحترقت جدرانها فخافوا ان تفسدها السيول اي تذهبها بالمرة وقيل تجمير المراة لها كان في زمن عبد الله بن الزبير ولا مانع من التعدد وكان ارتفاعها تسعة اذرع من عهد ابراهيم ولم يكن لها سقف اي وكان الناس يلقون الحلي والمتاع كالطيب اي الذي يهدى اليها في بير داخلها عند بابها على يمين الداخل منه اعدت لذلك يقال لها خزانة الكعبة كما سياتي ذلك فاراد شخص في ايام جرهم ان يسرق من ذلك شيا فوقع على راسه وانهار البير عليه فهلك وفي كلام بعضهم فسقط عليه حجر فحبسه في تلك البير حتى اخرج منها وانتزع

الا منه قليلا مثل الجمع وقد يقال على بعد جاز ان يكون هذا الرجل تكررت
منه السرقة وكان هلاكه في المرة الثانية فعند ذلك بعث الله حية
بيضا سودا الراس والذنب راسها كراس الجدي فاسكنها البير لحفظ تلك
الامتعة وكانت قد تخرج منها الى ظاهر البيت فتشرق بالمقاف اى تبرز
للشمس على جدار الكعبة فيبرق لونها وربما التفت عليه فتصير راسها عند ذنبها
فلا يدنو منها احد الا كشت اى صوتت وفتحت فاها معطوف على كشت فهي
حياة الحيوان قال الجوهري كشيش الافعى صوتها من جلدها لا من فمها فحرست
بيرها وخزانة البيت خمسماية عام لا يقربه احد اى لا يقرب بيرها وخزانته
الا اهلكته اى ولعل المراد لو قرب منه احد اهلكته اذ لو اهلكت احدا قرب
من هذا البير لنقل فلم تزل كذلك حتى كان زمن قريش ووجد هذا السيل والحريق
ارادوا هدمها واعادة بنايها وان يشدوا بنيانها اى يرفعوه ويرفعوا بابها
حتى لا يدخلها الا من شاوا واجتمعت القبايل من قريش تجمع الحجارة كل قبيلة
تجمع على حدة واعدوا لذلك نفقة اى طيبة ليس فيها مهر بغي ولا بيع ربا ولا
مظلمة احد من الناس اى بعد ان قام ابو وهب عمرو بن عايذ فتناول منها
حجرا فوثب من يده حتى رجع الى موضعه فقال عند ذلك يا معشر قريش لا تدخلوا
في بنيانها من كسبكم الا طيبا الحديث اى وفي لفظ انه قال لهم لا تدخلوا في نفقة
هذا البيت مهر بغي اى زانية ولا بيع ربا وفي لفظ لا تجعلوا في نفقة هذا البيت
شيا اصبتموه غصبا ولا قطعتم فيه رحما ولا انتهكتم فيه ذمة بينكم وبين
احد من الناس وابو وهب هذا خال عبد الله ابي النبي صلى الله عليه وسلم وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم الحجارة روى الشيخان عن جابر بن عبد الله
رضي الله تعالى عنهما قال لما بنيت الكعبة ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم
والعباس رضي الله تعالى عنه ينقلان الحجارة فقال العباس رضي الله تعالى عنه للنبي
صلى الله عليه وسلم اجعل ازارك على رقبتك تقيك الحجارة اى كبقية القوم
فانهم كانوا يضعون ازرهم على عواتقهم ويحملون الحجارة ففعل صلى الله عليه وسلم
فخر الى الارض فطمحت عيناه الى السما اى ونودي عورتك فقال ازاري اى شدوا علي
ازاري فشد عليه وفي رواية سقط فغشي عليه فضمه العباس الى نفسه وسأله
عن شانه فاخبره انه نودي من السما ان شد عليك ازارك وهذا يبعد ما جاء
في رواية قال للعباس اى بعد ان امر بستر عورته وسترها يا ابن اخي اجعل
ازارك على راسك فقال ما اصابني ما اصابني الا من التعري وفي رواية بينا

النبي صلى الله عليه وسلم يحمل الحجارة من اجياد وعليه نمرة فضاقت عليه
النمرة فذهب يضعها على عاتقه فبدت عورته فنودي يا محمد خمر عورتك اى
غطها فلم ير عريانا اى مكشوف العورة بعد ذلك اى وقد يقال هذا لا يخالف
ما تقدم عن العباس لانه يجوز ان يكون ذلك صدر من العباس حينئذ
وغايته انه سمى النمرة ازارا قال واستبعد بعض الحفاظ ذلك اى وقوع هذا
مع ما تقدم من نهيه عن ذلك اى الذي يضمنه الامر بالستر عند اصلاح عمه ابي
طالب لزمزم قبل هذا قال لانه صلى الله عليه وسلم اذا نهي عن شي مرة لا يعود
اليه ثانيا بوجه من الوجوه انتهى اى وقد عاد الى ذلك اقول يجوز ان يكون صلى
الله عليه وسلم لم يفهم ان امره بستر عورته اولا عزيمة بل جوز الترك وفي الثانية
علم انه عزيمة لا يقال تقدم من كرامتي على ربي ان احدا لم ير عورتي وتقدم ان ذلك
من خصايصه صلى الله عليه وسلم ففي الخصايص الصغرى انه صلى الله عليه وسلم
لم تر عورته قط ولو راها احد طمست عيناه لانه لا يلزم من كشف عورته صلى الله
عليه وسلم رؤيتها كما لم يلزم من خضلته صلى الله عليه وسلم وتربيته ومجامعته
زوجاته ذلك فعن عايشة رضي الله تعالى عنها ما رايت منه صلى الله عليه وسلم
والظاهر ان بقية زوجاته كذلك والله اعلم ثم عمدوا اليها ليهدموها
على شفق وحذر اى خوف من ان يمنعهم الله تعالى مما ارادوا اى بان يوقع بهم البلا
قبل ذلك سيما وقد شاهدوا ما وقع لعمرو بن عايذ قال بعد ابن اسحق ان
الناس هابوا هدمها وفرقوا منه اى خافوا من ان يحصل لهم بسببه بلا فقال
الوليد بن المغيرة لهم اتريدون بهدمها الاصلاح ام الاساة قالوا بل الذي يعلو
نهدمها قال انا اعلوها وانا ابدوكم في هدمها فاخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول
اللهم لم ترع اى بالرا والعين المهملتين والصمير في ترع للكعبة اى لا تفزع
الكعبة لا نريد الا الخير اى وفي رواية لم ترع بالنون والزاى المعجمة اى لم
نمل عن دينك ثم هدم من ناحية الركنين فتربص الناس تلك الليلة وقالوا
ننظر فان اصيب لم نهدم منها شيا ورددناها كما كانت وان لم يصبه شي هدمنا
فقد رضي الله ما صنعنا فاصبح الوليد من ليلته غاديا الى عمله فهدم وهدم الناس
معه حتى انتهى الهدم بهم الى الاساس اى اساس ابراهيم صلى الله عليه وسلم افضوا
الى حجارة خضر كالاسنمة اى اسنمة الابل وفي لفظ كالاسنة قال السهيلي وهو
وهم من بعض النقلة عن ابن اسحاق هذا كلامه اى وقد يقال من كالاسنة
في الخضرة وكالاسنمة في العظم لا يقال الاسنة زرق لانا نقول شديد

الزبر قد يرى اخضر اخذ بعضها ببعض فادخل رجل ممن كان يهدم عتلته بين حجرين منهما ليقلع بها بعضها فلما تحرك الحجر تنقضت مكة اى تحركت باسرها وابصر القوم برقة خرجت من تحت الحجر كادت تخطف بصر الرجل فانتهوا عن ذلك الاساس ووجدت قريش في الركن كتابا بالسريانية فلم يدر ما هو حتى قراه رجل من يهود فاذا هو انا الله ذو بكة خلقتها يوم خلقت السموات والارض وصورت الشمس والقمر وحففتها بسبعة املاك حنفا لا تزول اخشباها اى جبلاها وهما ابو قبيس وهو جبل مشرف على الصفا وقعيقعان وهو جبل مشرف على مكة ووجهه الى ابي قبيس مبارك لاهلها في الماء واللبن ووجدوا في المقام اى محله كتابا اخر مكتوب فيه مكة الله الحرام ياتيها رزقها من ثلاث سبل ووجد كتابا اخر مكتوب فيه من يزرع خيرا يحصد غبطة ومن يزرع شرا يحصد ندامة اى ما يندم عليه يعملون السيئات ويجزون الحسنات اجل اى نعم كما يجنى من الشوك العنب اى الثمر اى وفي السيرة الهشامية ان ذلك وجد مكتوبا في حجر في الكعبة وفي كلام بعضهم وجدوا في حجر فيه ثلاثة اسطر الاول انا الله ذو بكة صنعتها يوم صنعت الشمس والقمر الى اخره وفي الثاني انا الله ذو بكة خلقت الرحم واشتققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته وفي الثالث انا الله ذو بكة خلقت الخير والشر فطوبى لمن كان الخير على يديه وويل لمن كان الشر على يديه قال ابن المحدث ورايت في مجموع انه وجد بها حجر مكتوب عليه انا الله ذو بكة مفقر الزناة ومعري تارك الصلاة ارخصها والاقوات فارغة واغليها والاقوات ملآى اى فارغ محلها وملآت محلها هذا كلامه وقد يقال لا مانع من ان يكون ذلك حجرا اخر ويكون هو ذلك الحجر وما ذكر مكتوب في محل اخر منه اى وفي الاصابة عن الاسود بن عبد يغوث عن ابيه انهم وجدوا كتابا اسفل المقام فدعت قريش رجلا من حمير فقال ان فيه لحرفا لو احدثكموه لقتلتموني قال فظننا ان فيه ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فكتمناه وكان البحر قد رمى بسفينة الى ساحل جدة اى الذي هو جدة الان وكان ساحل مكة قبل ذلك الذي يرسى به السفن يقال له الشعيبية بضم الشين فلا يخالف قول غير واحد فلما كانت السفينة بالشعيبية كانت لرجل من تجار الروم اسمه باقوم وكان بانيا وقيل كانت تلك السفينة لقيصر ملك الروم تحمل له الرخام والخشب والحديد سرحها مع باقوم الى الكنيسة التي احرقها الفرس بالحبشة فلما بلغت مرساها من جدة وقيل من الشعيبية بعث الله تعالى عليها ريحا فحطمتها اى كسرتها فخرج الوليد بن

المغيرة

المغيرة في نفر من قريش الى السفينة فابتاعوا خشبها فاعدوه لسقف الكعبة قيل هابوا هدمها من اجل تلك الحية العظيمة فكانوا كلما ارادوا القرب منه اى البيت ليهدموه بدت لهم تلك الحية فاتحة فاها فبينا هي ذات يوم تتشرق على جدار الكعبة كما كانت تصنع بعث الله طائرا اعظم من النسر فاختطفها والقاها في الحجون فالتقمتها الارض قيل وهي الدابة التي تكلم الناس يوم القيامة وقد جاء ان الدابة تخرج من شعب اجياد وفي حديث ان موسى عليه السلام سال ربه ان يريه الدابة التي تكلم الناس فاخرجها له من الارض فراى منظرا هاله وافزعه فقال اى رب ردها فردها فقالت قريش عند ذلك انا لنرجوا ان يكون الله تعالى قد رضي ما اردنا اى بعد ان اجتمعوا عند المقام وعجوا الى الله تعالى ربنا لن تراع اردنا تشريف بيتك وتزيينه فان كنت ترضى بذلك فاتممه واشغل عنا هذا الثعبان يعنون الحية والا فما بدا لك فافعل فسمعوا في السماء صوتا ووجبة واذا الطائر المذكور اخذها وذهب بها الى اجياد فقالوا لما ذكر وقالوا عندنا عامل رفيق وعندنا اخشاب وقد كفانا الله الحية وذلك العامل هو باقوم الرومي الذي كان بالسفينة وكان بانيا كما تقدم فانهم جاءوا به معهم الى مكة او هو باقوم مولى سعيد بن العاص وكان نجارا او تلك الاخشاب هي التي اشتروها من تلك السفينة التي كسرت اقول وقع اخذ الطائر لتلك الحية يجوز ان يقال هابوا هدمها حتى قدم عليه الوليد بن المغيرة فلا يخالف القريب ما تقدم عن ابن اسحاق وبين هذا الظاهر في انهم هدموها عند اخذ الطائر لتلك الحية ولم يهابوا هدمها حتى فعل الوليد ما تقدم والله اعلم ثم لما ارادوا بنيانها تجزاتها قريش اى بعد ان شار عليهم بذلك ابو وهب عمرو بن عائذ فقال لهم اني ارى ان تقسموا اربعة ارباع فكان شق الباب لعبد مناف وزهرة وكان ما بين الركنين الاسود واليماني لبني مخزوم وقبائل من قريش انضموا اليهم وكان ظهر الكعبة لبني جمح وبني سهم ابني عمرو وكان شق الحجر اى الجانب الذي فيه الحجر الان لبني عبد الدار ولبني اسد ولبني عدي والذي في كلام المقريزي كان لبني عبد مناف ما بين الحجر الاسود الى ركن الحجر اى وهو شق الباب وصار لاسد وعبد الدار وزهرة الحجر كله اى الجانب الذي فيه الحجر وصار لمخزوم دبر البيت وصار لسائر قريش ما بين الركن اليماني الى الركن الاسود هذا كلامه فليتامل وفي كلام بعضهم وسمي الركن اليماني باليماني لان رجلا من اليمن بناه وكان الباني لها باقوم النجار الذي هو مولى سعيد بن العاص اقول وكان المناسب ان يكون الذي بناها باقوم الرومي الذي كان صاحب السفينة التي كسرت لانه كما تقدم كان

بانيا وسياتي التصريح بذلك واما باقوم مولى سعيد بن العاص فتقدم انه
كان نجارا الا ان يقال باقوم مولى سعيد كان نجارا بنا واشتهر بالوصف الاول
فكان الباني لها وفيه انه يحتمل ان يكون باقوم الرومي البنا كان نجارا ايضا واشتهر
بالوصف الاول ثم رايت في كلام بعضهم التصريح بذلك فقال وكان اي باقوم
الرومي نجارا بنا فقول القايل وكان الباني لها باقوم النجار مراده باقوم الرومي
لا مولى سعيد ثم رايت في بعض الروايات ما يؤيد ذلك وهو وصف باقوم الرومي
بانه كان نجارا ونصها فخرجت قريش لتاخذ خشبها اي السفينة التي كسرت ووجدوا
الرومي الذي فيها نجارا فقدموا به وبالخشب فقد دلت الروايتان على انه كان
موصوفا بالوصفين ويحتمل ان يكون احدهما بنا والاخر عمل سقفها او انهما
اشتركا فيهما لما علمت ان كلا منهما كان بانيا نجارا ثم رايت عن ابن اسحق وكان بمكة
قبطي يعرف نجر الخشب وتسويته فوافقهم على ان يعمل لهم سقف الكعبة ويساعد
باقوم اي الرومي فالقبطي هو مولى سعيد بن العاص وحينئذ ففي هذه الرواية
وصف باقوم الرومي بانه كان نجارا كالرواية التي قبلها وسياتي في الرواية التي
تلي هذه انه الذي بناها وهي وفي الاصابة اسم الرجل الذي بنا الكعبة
لقريش باقوم وكان روميا وكان في سفينة حبستها الريح فخرجت اليها قريش
فاخذوا خشبها وقالوا له ابنها على بنيان الكنائس وان باقوم الرومي اسلم ثم
مات فلم يدع وارثا فدفع النبي صلى الله عليه وسلم ميراثه لسهيل بن عمرو ثم
لما بنوها جعلوا مدماكا من خشب الساج ومدماكا من الحجارة من اسفلها
الى اعلاها وزادوا فيها ستة اذرع فكان ارتفاعها ثمانية عشر ذراعا ورفعوا
بابها من الارض فكان لا يصعد اليها الا في درج وضاقت بهم النفقة عن بنيانها
على تلك القواعد فاخرجوا منها الحجر وفي لفظ اخرجوا من عرضها اذرعا
من الحجر وبنوا عليه جدارا قصيرا علامة على انه من الكعبة ولما بلغ البنيان
موضع الحجر الاسود اختصموا كل قبيلة تريد ان ترفعه الى موضعه دون
الاخرى حتى اعدوا للقتال فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما ثم تعاقدوا هم
وبنو عدي اي تحالفوا على الموت وادخلوا ايديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة
فسموا لعقة الدم وقد تقدم في حلف المطيبين ومكث النزاع بينهم اربع او خمس
ليال ثم اجتمعوا في المسجد الحرام وكان ابو امية بن المغيرة واسمه حذيفة اسن
قريش كلها يومئذ اي وهو والد ام سلمة ام المؤمنين وهو احد اجواد قريش
المشهورين بالكرم وكان يعرف بزاد الراكب لانه اذا سافر لا يتزود معه احد

بل كان يكفي كل من سافر معه الزاد اي وذكر بعضهم ان ازواد الراكب
من قريش ثلاثة زمعة بن الاسود بن المطلب بن عبد مناف قتل يوم بدر كافرا
ومسافر بن ابي عمرو بن امية وابو امية بن المغيرة وهو اشهرهم بذلك وفي كلام
بعضهم لا تعرف قريش زاد الراكب الا ابا امية بن المغيرة وحده يحتمل ان المراد
لا تكاد تعرف قريش غيره بهذا الوصف لشهرته فلا مخالفة وابو امية هذا مات
على دينه ولعله لم يدرك الاسلام فقال يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما
تختلفون فيه اول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم اي وهو باب
بني شيبة كان يقال له في الجاهلية باب بني عبد شمس الذي يقال له
الان باب السلام وفي لفظ اول من يدخل من باب الصفا اي وهو المقابل
لما بين الركنين اليماني والاسود ففعلوا اي وفي كلام البلاذري ان الذي
اشار على قريش بان يضع الركن اول من يدخل من باب بني شيبة هشيم بن المغيرة
ويكنى ابا حذيفة وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز ان يكون اسمه حذيفة ويكنى
بابن حذيفة كما يكنى بابي امية وهشيم لقبه وان الراوي عنه اختلف في كلامه
فتارة قيل عنه يقضي بينكم وتارة قيل عنه يضع الركن والمشهور الاول ويدل
له ما ياتي فكان اول داخل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راوه قالوا هذا
الامين رضينا هذا محمد اي لانهم كانوا يتحاكمون اليه في الجاهلية لانه كان لا يداري
ولا يماري فلما انتهى اليهم واخبروه الخبر قال صلى الله عليه وسلم هلم
الي ثوبا فاتي به اي وفي رواية فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ازاره وبسطه
في الارض اي ويقال انه كسا ابيض من متاع الشام ويقال ان ذلك الثوب
كان للوليد بن المغيرة فاخذ صلى الله عليه وسلم الحجر الاسود فوضعه فيه بيده
الشريفة ثم قال لتاخذ كل قبيلة بناحية من الثوب اي بزاوية من زواياه ثم
ارفعوه جميعا ففعلوا فكان في ربع عبد مناف عتبة بن ربيعة وكان في الربع
الثاني زمعة وكان في الربع الثالث ابو حذيفة بن المغيرة وكان في الربع الرابع
قيس بن عدي حتى اذا بلغوا به موضعه وضعه هو صلى الله عليه وسلم اي ولما
مات ابو امية بن المغيرة رثاه ابو طالب بقصيدة طويلة ورثاه ابو حجة بقوله

الا هلك الماجد الرافد • وكل قريش له حامد
ومن هو عصمة ايتامنا • وغيث اذا فقد الراعد

قال وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما وضع رسول الله صلى الله
عليه وسلم الركن اي الحجر ذهب رجل من اهل نجد ليناول النبي صلى الله عليه وسلم

حجرا يشد به الركن فقال العباس لا وناول العباس رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما شد به الركن فغضب النجدي وقال واعجبا لقوم اهل شرف وعقول واموال
عمدوا الى رجل اصغرهم سنا واقلهم مالا فراسوه عليهم فى مكرمتهم وحرزهم كانهم
خدم له اما والله ليفرقنهم شيعا وليقسمن بينهم حظوظا فكان دبيبر شرا
فيما بينهم ولعل هذا النجدي هو ابليس فقد ذكر السهيلي ان ابليس تمثل
في صورة شيخ نجدي حين حكموا رسول الله صلى الله عليه وسلم في امر الركن من يرفعه
وصاح يا معشر قريش ارضيتم ان يلي هذا الغلام دون اشرافكم وذوي انسابكم
انتهى اى وانما تصور بصورة نجدي لان في الحديث نجد طلع منها قرن الشيطان
ولما قال صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا قالوا وفي نجدنا
فاعاد الاول فاعادوا الثاني فقال هناك الزلازل والفتن وفيها يطلع قرن
الشيطان اقول سيأتي انه تصور بهذه الصورة ايضا عند دخول قريش
دار الندوة ليتشاوروا في كيفية قتله صلى الله عليه وسلم ودخل معهم وسيأتي
ثم في حكمة تصوره بذلك غير ما ذكر ولا مانع ان يكونا حكمة لما هنا ولما يأتي
واعادوا الصور التي كانت في حيطانها لانه كان في حيطانها صور الانبياء بانواع
الاصباغ ومن جملتهم صورة ابراهيم وفي يده الازلام اى واسماعيل وفي يده
الازلام وصور الملائكة وصورة مريم كما سيأتي في فتح مكة وكسوها بازعامهم
اديتهم وكانت من الوصايل فلم يكسها احد بعد ذلك حتى كساها رسول
الله صلى الله عليه وسلم الحبرات في حجة الوداع والله اعلم وهذه المرة الرابعة
اى من بناء الكعبة بناء على ان اول من بناها الملائكة ففي بعض الاثار ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله تعالى قبل ان يخلق الخلق من السموات والارض كان
عرشه على الماء اى العذب فلما اضطرب العرش كتب الله عليه لا اله الا الله محمد
رسول الله فسكن فلما اراد ان يخلق السموات والارض ارسل الريح على ذلك الماء
فتموج فعلاه دخان فخلق من ذلك الدخان السموات ثم ازال ذلك الماء عن
موضع الكعبة فيبس وفي لفظ ارسل على الماء ريحا هفافة فصفق الريح الماء اى
ضرب بعضه بعضا فابرز عنه خشفة الحديث وبسط الحق سبحانه من ذلك الموضع
جميع الارض طولها والعرض فهي اصل الارض وسرتها وقد بلغنا انه ما في انس الجبل
روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال وسط الدنيا بيت المقدس وارفع
الارضين كلها الى السماء بيت المقدس وعن ابن عباس ومعاذ بن جبل انه اقرب
الى السماء باثني عشر ميلا ثم بين ذلك في انس الجليل ولما ماجت الارض وضع عليها

الجبال وكان اول جبل وضع عليها ابو قبيس وحينئذ كان ينبغي ان يسمى ابو
الجبال وان يكون افضلها مع ان افضلها كما قال الجلال السيوطي استنباطا
احد لقوله صلى الله عليه وسلم احد يحبنا ونحبه ولما ورد انه على باب من ابواب
الجنة قال ولانه من جملة ارض المدينة التي هي افضل البقاع اى عنده تبعا لجمع
ولانه مذكور في القران باسمه في قراءة من قرا اذ تصعدون ولا تلوون على احد
اى بضم الهمزة واللام فتدلى الارض فجعلها سبع ارضين وجا بان الله خلق
الارض في يومين غير مدحوة ثم خلق السموات فسواهن في يومين ثم دحى
الارض بعد ذلك وجعل فيها الرواسي وغيرها في يومين وبهذا يظهر التوقف في
قول مغلطاي اى لفظة بعد في قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها بمعنى قبل لان
خلق الارض قبل خلق السماء لما علمت ان الارض خلقت قبل السماء غير مدحوة ثم
بعد خلق السماء دحى الارض ثم رايت بعضهم سال ابن عباس عن ذلك حيث قال
له يا امام اختلف علي من القران ايات ثم ذكر منها انه قال ق ال الله تعالى ائنكم
لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين حتى بلغ طائعين ثم قال في الاية الاخرى
ام السماء بناها ثم قال والارض بعد ذلك دحاها فاجابه ابن عباس اما قوله تعالى
خلق الارض في يومين فان الارض خلقت قبل السماء وكانت السماء دخانا فسواهن
سبع سموات في يومين بعد خلق الارض واما قوله والارض بعد ذلك دحاها
يقول جعل فيها جبلا وجعل فيها نهرا وجعل فيها شجرا وجعل فيها بحورا وبه يرد
قول بعضهم خلقت السماء قبل الارض والظلمة قبل النور والجنة قبل النار فليتامل
وقد جاء عن ابن عباس في قوله تعالى ومن الارض مثلهن قال سبع ارضين في كل
ارض نبي كنبيكم وادم كادمكم ونوح كنوحكم وابراهيم كابراهيمكم وعيسى كعيسيكم
رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح الاسناد وقال البيهقي اسناده صحيح لكنه
شاذ بالمرة اى لانه لا يلزم من صحة الاسناد وصحة المتن فقد يكون فيه مع صحة
اسناده ما يمنع صحته فهو ضعيف قال الحافظ السيوطي ويمكن ان يؤول على ان
المراد بهم النذر الذين كانوا يبلغون الجن عن انبياء البشر ولا يبعد ان يسمى كل منهم
باسم النبي الذي يبلغ عنه هذا كلامه وحينئذ كان لنبينا صلى الله عليه وسلم
رسول من الجن اسمه كاسمه ولعل المراد اسمه المشهور وهو محمد فليتامل ولما
خلق الله السموات والارضين بقوله ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين
كان المجيب من الارض موضع الكعبة ومن السماء ما حاذاها الذي هو محل البيت المعمور
وعن كعب الاحبار لما اراد الله ان يخلق محمدا صلى الله عليه وسلم امر جبريل ان ياتيه

بالطينة التي هي قلب الارض وبها وبهاؤها ونورها فقبض قبضة تربة رسول الله صلى الله
عليه وسلم من موضع قبره الشريف وهي بيضاء منيرة لها شعاع عظيم وعن ابن
عباس رضي الله عنهما اصل طينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من سرة الارض بمكة
قال بعض العلماء هذا يشعر بان ما اجاب من الارض الا تلك الطينة اي وقد ذكر
الشيخ ابو العباس المرسي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوما لابي بكر الصديق
اتعرف يوم يوم فقال ابو بكر نعم والذي بعثك بالحق نبيا يا رسول الله سألتني
عن يوم المقادير يعني يوم الست بربكم ولقد سمعتكم تقول حينئذ اشهد ان لا
اله الا الله وان محمدا رسول الله **وقيل** سئل الشيخ علي الخواص نفعنا الله ببركاته
لم لم تتكلم الانبيا بذلك لاجل عموم خطابهم للامة ولا يعتبر بالاصالة الا فهم
العامة دون فهم الخاصة الا بعض تلويحات ومنه قوله صلى الله عليه وسلم للصديق
اتعرف يوم يوم فقال نعم يا رسول الله الحديث وتلك الطينة لما تموج الماء رمى
بها من مكة الى محل تربته ومدفنه بالمدينة وبهذا يندفع ما يقال مقتضى كون اصل
طينته صلى الله عليه وسلم بمكة ان يكون مدفنه بها لان تربة الشخص تكون في محل دفنه
ثم عجنها بطينة ادم ولعل هذه الطينة هي المعبر عنها بالنور في قوله صلى الله
عليه وسلم وقد قال له جابر يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرني عن اول شيء
خلقه الله تعالى قبل الاشيا يا جابر ان الله خلق قبل الاشيا نور نبيك من نوره
ولم يكن في ذلك الوقت لا سما ولا ارض ولا شمس ولا قمر ولا لوح ولا قلم الحديث
وجا اول ما خلق الله نوري وفي رواية اول ما خلق الله العقل قال الشيخ علي الخواص
ومعناهما واحد لان حقيقته صلى الله عليه وسلم يعبر عنها بالعقل الاول وتارة
بالنور فارواح الانبيا والاولياء مستمدة من روح محمد صلى الله عليه وسلم هذا
كلامه وهذا هو المعنى بقول بعضهم لما تعلقت ارادة الحق بايجاد خلقه ابرز
الحقيقة المحمدية من الانوار الصمدية في الحضرة الاحدية ثم سلخ منها العوالم
كلها علوها وسفلها وفيه ان هذا لا يناسبه قوله ولم يكن في ذلك الوقت لا سما
ولا ارض اذ كيف يأتي ذلك مع قول كعب الاحبار امر جبريل ان يأتيه بالطينة
التي هي قلب الارض الخ ومع قول ابن عباس اصل طينة رسول الله صلى الله عليه وسلم
من سرة الارض الا ان يقال ان ذلك النور بعد ايجاده اودع تلك الطينة التي
هي قلب الارض وسرتها وحينئذ لا يخالف ذلك ما جا ان الله تعالى خلق ادم
من طين العزة من نور محمد صلى الله عليه وسلم فهو صلى الله عليه وسلم الجنس
العالي لجميع الاجناس والاب الاكبر لجميع الموجودات والناس هذا وقد جاء

في حديث لبعض زوائد معمر ولك الحديث خلق الله ادم من تراب الجابية وعجنه بماء
الجنة وجاء خلق الله ادم من تربة دحنا ومسح ظهره بنعمان الاراك ودحنا
محل قريب من الطائف وتقدم انه يحتاج الى بيان وجه كون ادم خلق من نوره
وجعل نوره في ظهر ادم فلما خلق الله ادم وقيل نفخ الروح فيه استخرج ذلك النور
من ظهره واخذ عليه العهد الست بربكم فعقد حصل بذلك على بقية خلقه من بني
ادم ما اخرجوا من ظهر ادم واخذ عليهم الميثاق الا بعد نفخ الروح في ادم ونقل
بعضهم ان الله تعالى لما اخرج الذر واعاده في صلب ادم امسك روح عيسى الى
ان اتى وقت خلقه ولا يخفى ان هذا يفيد ان اخذ العهد على الصديق كان بعد
نفخ الروح في ادم واخذ العهد عليه صلى الله عليه وسلم كان سابقا على ذلك وحينئذ
فيكون المراد بقول الصديق حينئذ لما قال له صلى الله عليه وسلم اتعرف يوم يوم
وقال نعم الى قوله ولقد سمعتك تقول حينئذ اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان
محمدا رسول الله اي حين اخذ العهد على بني ادم لا حين اخذ العهد عليه صلى
الله عليه وسلم كما قد يتبادر وقلبيا تأمل ثم لما نفخت الروح في ادم صار ذلك النور
في ظهر ادم فصارت الملائكة تقف صفوفا خلف ادم يتعجبون من ظهور ذلك
النور فقال ادم يا رب ما بال هؤلاء ينظرون الى ظهري قال ينظرون الى نور محمد
خاتم النبيين الانبيا الذي اخرجه من ظهرك فسال الله ان يجعله في مقدمه
لتستقبله الملائكة فجعله الله في وجهه ثم سال الله ان يجعله في محل يراه
فكان في سبابتيه فلما هبط ادم الى الارض انتقل ذلك النور الى ظهره فكان
يلمع في جبهته وفي رواية لما انتقل النور الى سبابته قال يا رب هل بقي في
ظهري من هذا النور شيء قال نعم نور خلصاء اصحابه فقال يا رب اجعله في بقية
اصابعي فكان نور ابي بكر في الوسطى ونور عمر في البنصر ونور عثمان في الخنصر ونور
علي في الابهام فلما اكل من الشجرة عاد ذلك النور الى ظهره كذا في بحر العلوم عن
ابن عباس ثم انتقل ذلك النور من ادم الى ولده شيث ولما قال الله تعالى للملائكة اني
جاعل في الارض خليفة وقالوا اتجعل فيها من يفسد فيها يعنون الجن الذين
افسدوا فيها وسفكوا الدما غضب عليهم وفي لفظ ظنت الملائكة اي علمت
ان ما قالوا رادا على ربهم وانه قد غضب عليهم من قولهم فلاذوا بالعرش
وطافوا به سبعة اطواف يسترضون ربهم فرضي عليهم **وفي** لفظ فنظر الله
اليهم ونزلت الرحمة عليهم فعند ذلك قال لهم ابنوا لي بيتا في الارض يعوذ
به من سخطت عليه من بني ادم اي الذي هو الخليفة فيطوفون حوله كما فعلتم

بعرشي فارضي عنهم فبنوا الكعبة وفي هذه الروايات اختصار يدل له ما قيل
وضع الله تحت العرش البيت المعمور على اربع اساطين من زبرجد يغشاهن
ياقوتة حمراء وقال للملائكة طوفوا بهذا البيت اي لارضى عنكم ثم قال لهم ابنوا
لي بيتا في الارض بمثاله وقدره اي تفعلوا وقدره عطف تفسير على مثاله فالمراد
بالمثال القدر وفي لفظ لما قال للملائكة اني جاعل في الارض خليفة وقالوا
اتجعل فيها من يفسد فيها الاية خافوا ان يكون الله تعالى عاتبا عليهم لاعتراضهم
في علمه فطافوا بالعرش سبعا يسترضون ويتضرعون اليه فامرهم ان
يبنوا البيت المعمور في السماء السابعة وان يجعلوا طوافهم به فكان ذلك
اهون عليهم من الطواف بالعرش ثم امرهم ان يبنوا في كل سماء بيتا وفي كل
ارض بيتا قال مجاهد هي اربعة عشر بيتا متقابلة لو سقط بيت منها
لسقط على مقابله والبيت المعمور في السماء السابعة وله حرمة كحرمة مكة
في الارض واسم البيت الذي في السماء الدنيا بيت العزة وفي كلام بعضهم في كل سماء
بيت تعمره الملائكة بالعبادة كما تعمر اهل الارض البيت العتيق بالحج في كل عام
والاعتمار في كل وقت والطواف في كل اوان وليتنظر ما معنى بناء الكعبة للبيوت
في السماوات واذا لم يصح ان الملائكة بنت الكعبة تكون هذه المرة من بناء قريش
هي المرة الثالثة بناء على ان اول من بناها ادم صلى الله عليه وسلم اي او ولده شيث
فقد قال بعضهم ما تقدم من الاثرين الدالين على ان اول من بناها الملائكة لم
يصح واحد منهما وكانت قبل ذلك اي وكان محلها قبل بناء ادم لها خيمة من ياقوتة
حمراء انزلت لادم من الجنة اي لها بابان باب من زمرد اخضر شرقي وباب غربي من ذهب
منظومان من در الجنة فكان ادم يطوف بها ويأنس اليها وقد حج اليها من الهند ماشيا
اربعين حجة ويجوز ان تكون تلك الخيمة من البيت المعمور وعبر عنها بجملة
سقف البيت المعمور ياقوتة حمراء قال وذكر ان ادم لما اهبط الى الارض كان رجلاه
بها وراسه في السماء وفي لفظ كان راسه تمسح السحاب فصلع فاورث ولده الصلع اي
بعض ولده يسمع تسبيح الملائكة ودعاءهم فاستأنس بذلك فهابته الملائكة اي صارت
تنفر منه فشكى الى الله تعالى فنقص الى ستين ذراعا بالذراع المتعارف وقيل بذراع
ادم فلما فقد اصوات الملائكة حزن وشكى الى الله تعالى فقال يا ادم اني قد اهبطت
بيتا يطاف به اي تطوف به الملائكة كما يطاف حول عرشي وتصلي عنده كما تصلي عند
عرشي اي كان ذلك اي الطواف بالعرش والصلاة عنده شان الملائكة اولا فلا ينافي
ما تقدم انهم بعد ذلك صاروا يطوفون بالبيت المعمور كما تقدم فاخرج اليه

اي طوف

اي طف به وصل عنده وهذا البيت هو هذه الخيمة التي انزلت لاجله وقد علمت انه
يجوز ان تكون تلك الخيمة من البيت المعمور وقيل اهبط ادم وطوله ستون
ذراعا اي على الصفة التي خلق عليها وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم خلق الله
ادم على صورته وطوله ستون ذراعا اي اوجده الله تعالى على الهيئة التي خلقه عليها
لم ينتقل في النشأة احوالا بل خلقه كاملا سويا من اول ما نفخ فيه الروح فالضمير
في صورته يرجع لادم وعلى رجوعه الى الحق سبحانه وتعالى المراد على صفته اي حيا
عالما قادرا مريدا متكلما سميعا بصيرا مدبرا حكيما وقد يخالف هذا قول ابن خزيمة قوله
صلى الله عليه وسلم ان الله خلق ادم على صورته مخرج على سبب وهو ان النبي صلى الله
عليه وسلم راى رجلا يضرب وجه رجل فقال له لا تضرب على وجهه فان الله تعالى خلق
ادم على صورته اي على صورة هذا الرجل فهو ينتقل اطوارا ولا يخفى ان هذا خلاف
الظاهر ومن ثم عبر بقوله وقد والقيل المتقدم من انه اهبط وطوله ستون ذراعا
يوافقه ما جاء في الحديث المرفوع كان طوله ستين ذراعا في سبعة اذرع عرضا وفيما
ثم قال الحافظ ابن حجر ما روي ان ادم لما اهبط كانت رجلاه في الارض
وراسه في السماء فحطه الله الى ستين ذراعا اي الذي تقدم ظاهر الخبر الصحيح يخالفه
وهو انه خلق في ابتداء الامر على طول ستين ذراعا وهو الصحيح وكان ادم امرد
وفي الصحيحين فكل من يدخل الجنة يكون على صورة ادم وفي بعض الاخبار
ان ادم لما كثر بكاؤه على فراق الجنة نبتت لحيته ولم يصح فلم تنبت اللحية الا لولده
وكان مهبطه بارض الهند بجبل عال يراه البحريون من مسافة ايام وفيه اثر قدم
ادم مغموسة في الحجر ويرى على هذا الجبل كل ليلة كهيئة البرق من غير سحاب ولا بد له في
كل يوم من مطر يغسل قدمي ادم وذروة هذا الجبل اقرب ذرى جبال الارض الى السماء
ولعل هذا وجه النظر الذي ابداه بعض الحفاظ في قول بعضهم ان بيت المقدس
اقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا قال بعض الحفاظ وفيه نظر قيل
ونزل معه ورق الجنة فبثه هناك فمنه كان اصل الطيب بالهند وعن عطاء بن
ابي رباح ان ادم هبط بارض الهند ومعه اربعة اعواد من الجنة فهي هذه التي
تطيب الناس بها وجاء انه نزل بنخلة العجوة ثم لما امر ادم بالخروج لتلك الخيمة خرج
اليها ومد له في خطوه قيل كانت خطوته مسيرة ثلاثة ايام فقد قيل لمجاهد هل
كان ادم يركب قال واي شيء كان يحمله فوالله ان خطوته لمسيرة ثلاثة ايام وفيه ان
هذا يقتضي ان ادم لم يكن يركب البراق فقول بعضهم ان الانبياء كانت تركبه مراده
مجموعهم لا جميعهم وقبض الله له ما كان في الارض من مخاض او بحر فلم يضع قدمه

فى شئ من الارض الا صار عمرانا وصار خطوه مفازة حتى انتهى الى مكة فاذا الخيمة
فى موضع الكعبة اى الموضع الذى به الكعبة الان وتلك الخيمة ياقوتة حمرا من
يواقيت الجنة مجوفة اى ولها اربعة اركان بيض وفيها ثلاث قناديل من ذهب
فيها نور يلتهب من نور الجنة طولها مابين السما والارض كذا فى بعض الروايات
ولعل وصف الخيمة بما ذكر لاينافى ما تقدم انه يجوز ان تكون تلك الخيمة هى البيت
المعمور ووصف بانه ياقوتة حمرا لان سقفه كان ياقوتة حمرا لان التعدد بعيد
فليتامل ونزل مع تلك الخيمة الركن وهو الحجر الاسود ياقوتة بيضا من ارض الجنة
وكان كرسيا لادم يجلس عليه اى ولعل المراد يجلس عليه فى الجنة **اقول** وهذا
السياق يدل على ان ادم اهبط من الجنة الى ارض الهند ابتدا ذكر فى مثير الغرام
عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الله اهبط ادم الى موضع الكعبة وهو مثل الفلك من
شدة رعدته ثم قال يا ادم تخطا فتخطا فاذا هو بارض الهند فمكث هنالك ما شاء
الله ثم استوحش الى البيت فقيل له حج يا ادم فاقبل يتخطا فصار موضع كل قدم قرية وما
بين ذلك مفازة حتى قدم مكة الحديث والسياق المذكور ايضا يدل على ان الخيمة
والحجر الاسود نزلا بعد خروج ادم من الجنة ويدل لكون الحجر الاسود نزل عليه ما فى مثير
الغرام وانزل عليه الحجر الاسود وهو يتلالا كانه لولوة بيضا فاخذه ادم فضمه
اليه استيناسا به هذا كلامه وفى رواية عنه انزل الركن والمقام مع ادم ليلة نزل
ادم من الجنة فلما اصبح راى الركن والمقام فعرفهما فضمهما اليه وانس بهما
فليتامل الجمع وفى رواية ان ادم نزل بتلك الياقوتة اى فهى كعبة نزلت من السما
ياقوتة مجوفة مع ادم فقال له يا ادم هذا بيتى انزلته معك يطاف حوله كما يطاف
حول عرشى ويصلى حوله كما يصلى حول عرشى اى على ما تقدم ونزلت معه الملائكة فرفعوا
قواعده من الحجارة ثم وضع البيت اى تلك الياقوتة عليها وحينئذ يحتاج
الى الجمع بين هاتين الروايتين على تقدير صحتهما وقد يقال فى الجمع يجوز ان تكون
المعية حقيقية والمراد انه نزل بعده قريبا من نزوله فلقرب الزمن عبر بالمعية فلا
ينافى ما تقدم من قوله يا ادم انى قد اهبطت بيتا يطاف به فاخرج اليه وجاء ان
ادم نزل من الجنة ومعه الحجر الاسود متابطا اى تحت ابطه وهو ياقوتة من
يواقيت الجنة ولولا ان الله تعالى طمس ضوءه ما استطاع احد ان ينظر اليه وكون
ادم نزل بالحجر الاسود متابطا له يخالف الرواية المتقدمة انه نزل مع تلك
الخيمة التى هى الياقوتة بعد نزوله وحينئذ يحتاج للجمع بين هاتين الروايتين
على تقدير صحتهما وايضا يحتاج الى الجمع بين ذلك وبين ما روى عن وهب بن منبه

اذ ادم

ان ادم لما امره الله تعالى بالخروج من الجنة اخذ جوهرة من الجنة اى التى هى
الحجر الاسود مسح بها دموعه فلما نزل الى الارض لم يزل يبكى ويستغفر الله ويمسح
دموعه بتلك الجوهرة حتى اسودت من دموعه ثم لما بنى البيت امره جبريل ان
يجعل تلك الجوهرة فى الركن ففعل وفى بهجة الانوار ان الحجر الاسود كان فى الا
ملكا صالحا ولما خلق الله تعالى ادم واباح له الجنة كلها الا الشجرة التى نهاه
عنها ثم جعل ذلك الملك موكلا على ادم ان لا ياكل من تلك الشجرة فلما قدر
الله تعالى ان ادم ياكل من تلك الشجرة غاب عنه ذلك الملك فنظر الله تعالى الى
ذلك الملك بالهيبة فصار جوهرا الا ترى انه جاء فى الاحاديث الحجر الاسود ياتى
يوم القيمة وله يد ولسان واذن وعين لانه كان فى الابتدا ملكا **اقول** ورايت
فى ترجمة الشيخ كمال الدين الاخميمى انه لما جاور بمكة راى الحجر الاسود وقد خرج
من مكانه فصار له يدان ورجلان ووجه ومشى ساعة ثم رجع الى مكانه وقد
جا اكثروا استلام هذا الحجر فانكم توشكون ان تفقدوه بينما الناس يطوفون
به ذات ليلة اذا صبحوا وقد فقدوه ان الله عز وجل لا ينزل شيا من الجنة فى الارض
الا اعاده فيها قبل يوم القيمة اى فقد جا ليس فى الارض من الجنة الا الحجر الاسود
والمقام فانهما جوهرتان من جواهر الجنة ما مسهما ذو عاهة الا شفاه الله
وجا اكثروا من الطواف بهذا البيت قبل ان يرفع وقد هدم مرتين ورفع فى الثالثة
والله اعلم **وجاء** ان ادم اتى ذلك اى تلك الخيمة التى هى البيت المعمور على ما
تقدم الف مرة من الهند ماشيا من ذلك ثلثمائة حجة وسبعمائة عمرة واول
حجة حجها جاءه جبريل وهو واقف بعرفة فقال له يا ادم بر نسكك اما انا قد
طفنا بهذا البيت قبل ان تخلق بخمسين الف سنة وفى رواية لما حج ادم استقبلته
الملائكة بالردم اى ردم بنى جمح الذى هو محل المدعى فقالوا بر حجك يا ادم قد
حججنا هذا البيت قبلك بالفى عام **اقول** وفى تاريخ مكة للازرقى ان ادم عليه السلام
حج على رجليه سبعين حجة ماشيا وان الملائكة لقيته بالمازمين فقالوا بر
حجك يا ادم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفى عام والمازمان موضع بين
عرفة والمزدلفة قال الطبرى ودون منى ايضا مازمان والله اعلم بالمراد
منهما هذا كلامه وجا انه وجد الملائكة بذى طوى وقالوا له يا ادم ما زلنا
ننتظرك ها هنا منذ الفى سنة وكان بعد ذلك اذا وصل الى المحل المذكور
خلع نعليه ويحتاج للجمع بين كون الملائكة استقبلته بالردم وكونها لقيته
بالمازمين وكونه وجدهم بذى طوى وبين كونهم حجوا البيت قبله بالف عام

بلدا

وكونهم حجوه قبله بالفي عام وبخمسين الف عام وهل الملائكة خلقوا دفعة
واحدة ام خلقوا اجيالا بعد جيل ومما يدل على انهم جيل بعد جيل ما جاء عن من
قال سبحان الله وبحمده خلق الله ملكا له عينان وجناحان وشفتان ٥
ولسانا يطير مع الملائكة ويستغفر لقائلها يوم القيمة وما جاء ان جبريل في كل
غداة يدخل بحر النور فينغمس فيه الحديث لكن في سفر السعادة الحديث المنسوب
الى ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال يامر الله جبريل كل غداة ان يدخل
بحر النور فينغمس فيها انغماسة ثم يخرج فينتفض انتفاضة يخرج منه سبعون
الف قطرة يخلق الله عز وجل من كل قطرة منها ملكا لهذا الحديث طرق كثيرة
ولم يصح منها شي ولم يثبت في هذا المعنى حديث هذا لفظه والله اعلم وعند
ذلك قال ادم للملائكة فما كنتم تقولون حوله قالوا كنا نقول سبحان الله والحمد
لله ولا اله الا الله والله اكبر قال ادم زيدوا فيها ولا حول ولا قوة الا بالله فكان
ادم اذا طاف يقولها وكان طوافه سبعة اسابيع بالليل وخمسة اسابيع بالنهار
اي ولما فرغ من الطواف صلى ركعتين تجاه باب الكعبة ثم اتى الملتزم اي محله
فقال اللهم انك تعلم سريرتي وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم ما في نفسي وما
عندي فاغفر لي ذنبي وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي الحديث اقول قول الملائكة
قد طفنا بهذا البيت لا يحسن ان يعنوا به تلك الخيمة المذكورة المعينة بقوله
تعالى لادم قد اهبطت بيتا لادم وان ينسب للملائكة اما نسبته للملائكة فواضح
واما نسبته لادم فلانه السبب فيه او لانه كان اذا لقت الملائكة الصخر يضع
ادم بعضه على بعض وعلى نسبته بنا ذلك الاس للملائكة ولادم يحمل القول بان
اول من بنى الكعبة الملائكة والقول بان اول من بنى الكعبة ادم فليتامل
وقد جا ان ادم بناه من لبنان جبل بالشام ومن طور زيتا جبل من جبال
القدس ومن طور سينا جبل بين مصر وايليا وفي كلام بعضهم انه جبل بالشام
وهو الذي نودي منه موسى ومن الجودي وهو جبل بالجزيرة ومن حرا حتى
استوى على وجه الارض اقول وفي رواية بناه من خمسة اجبل من ابي قبيس ومن
رضوى ومن احد فالمتحصل من الروايتين انه بناه من ثمانية اجبل ولا مانع
من ذلك واستمر ذلك البيت الذي هو الخيمة الى زمن نوح وكان يرفعه ليلا بصيصه
الما الجنس وبقيت قواعده التي هي الاس وفي العرايس ثم طافت السفينة
باهلها الارض كلها في ستة اشهر لا تستقر على شي حتى اتت الحرم فلم تدخله ودارت
بالحرم اسبوعا وقد رفع الله تعالى البيت الذي كان يحجه ادم صيانة له من

الفرق

الغرق وهو البيت المعمور اي وكون حوا انست البيت مع ادم يخالف ما جا
ان حواء اهبطت بجدة وحرم الله عليها دخول الحرم والنظر الى خيمة ادم والى شي
من مكة لاجل خطيئتها وانها ارادت ان تدخل مع ادم الى مكة فقال لها اليك عني
قد خرجت من الجنة بسببك فتريدين ان احرم هذا فكان ادم اذا اراد يلقاها
ليلم بها خرج من الحرم كله حتى يلقاها بالحل وذكر محمد بن جرير ان الله اهبط
ادم على جبل سرنديب بالهند اي وتقدم ما فيه وحوى بجدة بالحاء المهملة وقيل
بالجيم فجا ادم في طلبها فتعارفا بالمحل الذي قيل له بسبب ذلك عرفة فاجتمعا
وازدلفت اليه في المحل الذي قيل له بسبب ذلك مزدلفة وهذا يدل على ان جمع غير
مزدلفة وهو خلاف المشهور من ان جمع هو مزدلفة الا ان يقال كل من المحلين من
جملة البقعة واطلق كل من الاسمين على جميع تلك البقعة وقيل سمي المحل عرفة
لان جبريل لما علم ابراهيم المناسك وانتهى الى عرفة قال له اعرفت مناسكك قال
نعم فسمي عرفة اي والمراد هنا مناسكه التي قبل عرفة والا فمعظم المناسك بعد
عرفة فليتامل وفي الخصايص الصغرى عن رزين انه روي ان ادم قال ان الله
اعطى امة محمد صلى الله عليه وسلم اربع كرامات لم يعطنيها كانت توبتي بمكة واحدهم
يتوب في مكانه الحديث وهو يدل على ان توبته كانت بسبب طوافه بالبيت ويذكر ان
حوا عاشت بعد ادم سنة وجا ان ادم لما فرغ من بنا البيت امره الله تعالى بالمسير
الى ان يبني بيت المقدس فسار وبناه ونسك فيه وحينئذ لا يشكل قوله
صلى الله عليه وسلم وقد قيل له اي مسجد وضع في الارض اولا المسجد الحرام قيل
ثم اي قال بيت المقدس قيل كم كان بينهما قال اربعون سنة وحينئذ لا حاجة
بجواب الامام البلقيني بان المراد ان المدة المذكورة بين ارضيهما في الدحو اي دحيت
ارض بيت المقدس وفيه ان الامام البلقيني انما اجاب بذلك بناء على ان سيدنا
ابراهيم هو الباني للمسجد الحرام والباني لمسجد بيت المقدس سيدنا سليمان
فان بينهما كما قيل اكثر من الف عام وكذا لا اشكال اذا كان الباني للمسجد الحرام ادم
والباني لمسجد بيت المقدس احد اولاده كما قيل بذلك ومن ثم اجاب بعضهم بان سليمان
انما كان مجددا للبنا بيت المقدس واما المؤسس له فسيدنا يعقوب بن اسحاق بعد
بنا جده ابراهيم للمسجد الحرام بالمدة المذكورة واما على ان الباني لهما ادم فلا اشكال
وفي رواية ان اول من بنى الكعبة اي كلها بعد ان رفعت تلك الخيمة بعد ادم شيث
ولد ادم بناها بالطين والحجارة اي فهي اولية اضافية ثم لما جا الطوفان انهدم
وبقي محله وقيل انه استمر فلم ينبه احد الى زمن ابراهيم ففي رواية ان ابراهيم

عليه الصلاة والسلام لما اراد بناء الكعبة جاء جبريل فضرب بجناحه الارض فابرز عن اس ثابت على الارض السابعة ثم بناها ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام على ذلك الاس ويقال له القواعد اي كما تقدم وهذا الاس كما علمت لادم والملائكة وانما قيل له اساس ابراهيم وقواعد ابراهيم لانه بنى على ذلك ولم ينقضه ومما يدل للقيل المذكور ما جاء في بعض الروايات عن عايشة رضي الله عنها قالت درس مكان البيت اي بسبب الطوفان بدليل ما جاء في رواية قد درس مكان البيت بين نوح وابراهيم عليهما الصلاة والسلام وكان موضعا اكمة حمرا وكان ياتيه المظلوم والمتعوذ من اقطار الارض وما دعى عنده احد الا استجيب له وعن عايشة لم يحجه هود ولا صالح لتشاغل هود بقومه عاد وتشاغل صالح بقومه ثمود وجاء ان بين المقام والركن وزمزم قبر تسعة وتسعين نبيا وجاء ان حول الكعبة لقبور ثلثماية نبي وان ما بين الركن اليماني الى الركن الاسود لقبور سبعين نبيا وكل نبي من الانبيا اذا كذبه قومه خرج من بين اظهرهم واتى مكة يعبد الله عز وجل بها حتى يموت وجاء ما بين الركن اليماني والركن الاسود روضة من رياض الجنة وان قبر هود وشعيب وصالح واسماعيل في تلك البقعة

اقول ويوافق ذلك قول بعضهم ان اسماعيل دفن حيال الموضع الذي فيه الحجر الاسود لكن جاء ان قبر اسماعيل في الحجر وذكر المحب الطبري ان البلاطة الخضرا التي بالحجر قبر اسماعيل وقد قيل لا منافاة بين كون هود وصالح لم يحجا البيت وبين كونهما دفنا في تلك البقعة لانه يجوز ان يكونا ماتا قبل وصولهما الى البيت فجيء بهما ودفنا في تلك البقعة على ان بعضهم ضعف كونهما لم يحجا اي ويدل له انه قد جاء حجه هود وصالح ومن امن معهما وفي بعض الروايات لم يحج بين نوح وابراهيم احد من الانبيا ويحتاج الى الجمع بينه وبين ما تقدم من ان كل نبي اذا كذبه قومه الى اخره على تقدير صحتها وقد يقال لا يحتاج الى الجمع الا ان ثبت ان بين نوح وابراهيم احد من الانبيا كذبه قومه على انه لم يكن بين نوح وابراهيم احد من الانبيا كذبه قومه الا هود وصالح وهو يؤيد القول بانهما لم يحجا وتقدم ضعفه وجاء في حديث راويه متروك ان نوحا حجت به السفينة فوقفت بعرفات وباتت بمزدلفة وطافت به اي بالحرم كما تقدم ان السفينة لم تجاوز الحرم وهذا لا يناسبه قوله وسعت لان السعي بين الصفا والمروة الا ان يراد بالسعي نفس الطواف فهو من عطف التفسير وفي انس الجليل ورد حديث شريف ان السفينة طافت ببيت المقدس اسبوعا واستوت على الجودي اي وجاء ان نوحا قال لاهل السفينة

وهي

وهي تطوف بالبيت العتيق انكم في حرم الله وحول بيته لا يمس احد امراة وجعل بينهم وبين النسا حاجزا ويذكر ان ولده حام تعدى ووطئ زوجته فدعى عليه بان يسود الله لونه ولون بنيه فاجاب الله دعاه فجا ولده كوش اسود وهو ابو السودان وقيل في سبب دعوة نوح وسوادهم غير ذلك وقد بينت ذلك في كتابي اعلام الطراز المنقوش في فضائل الحبوش والله اعلم وقبر ادم وابراهيم واسحق ويعقوب ويوسف في بيت المقدس اي بعد ان نقل يوسف من بحر النيل كما سنذكره قال وقد جاء ان الله سبحانه وتعالى اوحى الى ابراهيم ان ابن لي بيتا فقال ابراهيم اي رب اين ابنيه فاوحى الله تعالى اليه ان اتبع السكينة اي وهي ريح لها وجه كوجه الانسان اي وقيل كوجه الهر وجناحان ولها لسان تتكلم به اي وفي الكشاف في تفسير السكينة التي كانت في التابوت الذي هو صندوق التوراة قيل هو صورة من زبرجد وياقوت لها راس كراس الهر وذنب كذنبه وعن علي رضي الله تعالى عنه كان لها وجه كوجه الانسان هذا كلام الكشاف وفي رواية بعث الله ريحا يقال لها الخجوج لها جناحان وراس في صورة حية فكشفت لابراهيم واسماعيل ما حول البيت من اساس البيت الاول وفي رواية ارسل الله سبحانه فيها راس فقال الراس يا ابراهيم ان ربك يامرك ان تاخذ بقدر هذه السحابة فجعل ينظر اليها ويخط قدرها ثم قال الراس له قد فعلت قال نعم فارتفعت فليتامل الجمع بين هذه الروايات وبينها وبين ما تقدم ان جبريل ضرب بجناحه الارض فابرز عن اس الخ وجا ان السكينة جعلت تسير ودليله الصرد وهو الطاير المعروف اي وهو طاير فوق العصفور يصيد العصافير وغيرها لان له صفيرا يختلف باختلاف لكل طاير يريد صيده بلغته يدعوه الى القرب منه فاذا قرب منه قصمه بمنقاره واكله ويقال له الصوام لانه ورد انه اول طير صام عاشورا فعن بعض الصحابة رضي الله تعالى عنه راى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى يده صرد فقال هذا اول طير صام عاشورا لكن قال الذهبي هو حديث منكر وقال الحاكم حديث باطل ويذكر ان خالد بن الوليد لما قتل طليحة الكذاب الذي ادعى النبوة في زمنه صلى الله عليه وسلم وقوي امره بعد موته قال خالد لبعض اصحابه ممن اسلم ما كان يقول لكم طليحة من الوحي فقال كان يقول والحمام واليمام والصرد الصوام ليبلغن ملكنا العراق والشام وقد سمع نبي الله سليمان الصرد يصوت فقال يقول استغفروا الله يا مذنبين وفي الكشاف ان ذلك صياح الهدهد ولا مانع ان يكون ذلك صياحهما وسمع طاووسا يصوت فقال يقول كما تدين تدان وسمع هدهدا يصوت فقال يقول

من لا يرحم لا يرحم وقد يجمع بينه وبين ما تقدم بانه يجوز ان الهدهد تارة
يقول استغفروا الله يا مذنبين وتارة يقول من لا يرحم لا يرحم وسمع
خطافا يصوت فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وسمع ديكا يصوت فقال يقول
اذكروا الله يا غافلين وسمع بلبلا يصوت فقال يقول اذا اكلت نصف تمرة فعلى
الدنيا العفا وصاحت فاختة فقال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا وسمع
رخمة تصوت فقال تقول سبحان ربي الاعلى على سمائه وارضه وقال الحدا
تقول كل شيء هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والببغا تقول
ويل لمن الدنيا همه والنسر يا ابن ادم عش ما شئت اخرك الموت والعقاب
يقول في البعد عن الناس انس وعن سيدنا سليمان صلوات الله وسلامه
عليه ليس من الطيور انصح لبني ادم واشفق عليهم من البومة تقول اذا
وقفت عند خربة اين الذين كانوا يتنعمون بالدنيا ويسعون فيها ويل لبني
ادم كيف ينامون وامامهم الشدائد تزودوا يا غافلين وتهيئوا لسفركم
وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فراينا طيرا اعمى يضرب بمنقاره على شجرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اندري ما يقول فقلت الله ورسوله اعلم قال انه يقول اللهم انت العدل وقد
حجبت عني بصري وقد جعت فاقبلت جرادة فدخلت في فمه ثم ضرب بمنقاره
الشجرة فقال عليه الصلاة والسلام اتدري ما يقول قلت لا قال انه يقول
من توكل على الله كفاه ويقال لما قال سليمان للهدهد لاعذبنك عذابا شديدا
قال له الهدهد اذكر يا نبي الله وقوفك بين يدي الله فلما سمع سليمان ذلك
ارتعد فرقا وعفى عنه اي فان الهدهد كان دليلا له على الما فان الهدهد يرى
الما تحت الارض كما يرى الما في الزجاجة فلما فقد سليمان الما تفقد الهدهد
فلم يجده فارسل خلفه العقاب فراه مقبلا من جهة اليمن فلما راه الهدهد
انقض عليه قال بحق من اقدرك علي الا رحمتني قيل لابن عباس يا سبحان
الله الهدهد يرى الما تحت الارض ولا يرى الفخ فقال اذا وقع القضا عمي البصر
قيل عني سيدنا سليمان بالعذاب الشديد الذي يعذب به الهدهد التفريق
بينه وبين الفه وقيل بالزامه خدمة اقرانه وقيل صحبة الاضداد وقيل
اضيق السجون عشرة الاضداد وقيل لازوجنه قال تعالى حكاية عنه علمنا منطق
الطير قد تعرض بعضهم عن اصواتها بالنطق لما يتخيل منها من المعاني التي تدرك
من النطق فسليمان صلوات الله وسلامه عليه مهما سمع من صوت طاير

علم بقوته القدسية العرض الذي اراد ذلك الطاير وهذا في طاير لم يفصح
بالعبارة والافقد سمع من بعض الطيور الافصاح بالعبارة فنوع من الغربان
يفصح بقوله الله حق وعن بعضهم قال شاهدت غرابا يقرا سورة السجدة
واذا وصل الى محل السجود سجد وقال سجد لك سوادي وامن بك فوادي
والدرة تنطق بالعبارة الفصيحة وقد وقع لي اني دخلت منزلا لبعض اصحابنا
وفيه درة لم ارها فاذا هي تقول لي مرحبا بالشيخ البكري وتكرر ذلك فعجبت
من فصاحة عبارتها وكان يعرف نطق الحيوان غير الطير فقد جا ان سليمان
سمع النملة وقد احست بصوت جنود سليمان تقول للنمل ادخلوا مساكنكم
لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فعند ذلك امر سليمان الريح
فوقفت حتى دخل النمل مساكنها ثم جا سليمان الى تلك النملة وقال لها حذرت
النمل ظلمي قالت اما سمعت قولي وهم لا يشعرون على اني لم ارد حطم النفوس اي
هلاكها انما اردت حطم القلوب خشية ان يشتغلن بالنظر اليك عن التسبيح اي
فيمتن فقد جا مرفوعا اجال البهايم كلها وخشاش الارض في التسبيح فاذا انقضى
تسبيحها قبض الله ارواحها ويروى ما من صيد يصاد ولا شجرة تقطع الا بغفلتها
عن ذكر الله تعالى وفي الحديث الثوب يسبح الله فاذا اتسخ انقطع تسبيحه وفي
رواية ان النملة قالت له انا خشيت ان تنظر الى ما انعم الله به عليك فتكفر
انعم الله عليها فقال لها عظيني قالت هل تدري لم جعل ملكك في فص خاتمك
قال لا قالت اعلمك ان الدنيا لا تساوي قطعة من حجر ومن عجيب صنع الله
ان النملة تغتذي بشم الطعام لانه لا جوف لها يكون به الطعام ويذكر ان
هذه النملة التي خاطبت سيدنا سليمان اهدت له نبقة وضعتها في كفه ويحكى
عنها لطيفة لا نطيل بذكرها وفي فتاوى الجلال السيوطي قال الثعالبي
في زهرة الرياض لما تولى سليمان عليه السلام الملك جاءه جميع الحيوانات يهنونه
الا النمل جاءت تعزيه فعاتبها النمل في ذلك فقالت كيف اهنيه وقد علمت ان الله
تعالى اذا احب عبدا زوى عنه الدنيا وحبب اليه الاخرة وقد شغل سليمان
بامر لا يدري ما عاقبته فهو بالتعزية اولى من التهنية وجاءه في بعض الايام
شراب من الجنة فقيل له ان شربته لم تمت فشاور جنده فكل اشار بشربه الا
القنفذ فانه قال له لا تشربه فان الموت في عز خير من البقا في سجن الدنيا
قال صدقت فاراق الشراب في البحر قال وصار ابراهيم واسماعيل يتبعان فو
الصرد حتى وصلا الى محل البيت صارت السكينة سحابة وقالت يا ابراهيم

خذ قدر طلى فابن عليه اى وفى لفظ لما امر ابراهيم ببنا البيت ضاق به ذرعا
فارسل الله السكينة وهى ريح خجوج ملتوية فى هبوبها لها راس الحديث
فحفر ابراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام فابرزا اى الحفر عن اس ثابت
فى الارض فبنى ابراهيم واسمعيل يناول الحجارة اى التى تاتى بها الملائكة كما سياتى
حتى ارتفع البنا انتهى اقول يحتمل ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما اوحى
الله اليه بذلك كان فى مكة عند اسمعيل وامهما كانا بمحل بعيد عن محل البيت
ويحتمل انهما كانا بغيرهما ثم خا وقد قيل فى قوله تعالى ان ابراهيم كان امة قانتا
الاية اى قايم مقام الامة لانفراده بعبادة الله تعالى فى ارضه لانه لم يكن
على وجه الارض من يعبد الله سواه والله اعلم قال ثم لما ارتفع البنا جاء
بالمقام اى وهو الحجر المعروف فقام عليه وهو يبنى ومما يقولان ربنا تقبل
منا انك انت السميع العليم وصار كلما ارتفع البنا ارتفع به المقام فى الهوى
فاثر قدم ابراهيم بذلك الحجر وقيل انما اثر فى صخرة اعتمد عليها وهو قايم حين
غسلت زوجة اسماعيل له راسه لان سارة كانت اخذت عليه عهدا حين
استاذنها فى الذهاب الى مكة لينظر كيف حال اسمعيل وهاجر مخلفه لها انه
لا ينزل عن دابته اى التى هى البراق ولا يزيد على السلام واستطاع الحال غيره
من سارة عليه من هاجر فحين اعتمد على صخرة ابقى الله تعالى فيها اثر قدمه اية
وفيه كيف يعتمد بقدميه على الصخرة وهو راكب دابته الا ان يقال لا مانع
بشقه اعتمد عليها باحدى رجليه مع ركوبه وهذا يدل على ان الموجود فى المقام
اثر قدميه ووقوفه عليه فى حال البنا يدل على ان الموجود فيه اثر قدميه ٥
فليتنظر وجعل ارتفاع البيت تسعة اذرع قيل وعرضه ثلاثين ذراعا قاله
بعضهم وهو خلاف المعروف ولم يجعل له سقفا ولا بناه بمدر وانما رصه رصا
وجعل له بابا اى منفذا لاصقا بالارض غير مرتفع عنها ولم ينصب عليه بابا
اى يقفل عليه وانما جعله تبع الحميرى بعد ذلك وحفر له بيرا اى داخل عند
بابه اى على يمين الداخل منه يلقى فيها ما يهدى اليه وكان يقال لها خزانة
الكعبة كما تقدم ولما اراد ان يجعل حجرا يجعله علما للناس اى يبتدرون
الطواف منه ويختمون به ذهب اسمعيل عليه الصلاة والسلام الى
الوادى يطلب حجرا فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام بالحجر الاسود
يتلالا نورا اى فكان نوره يضئ الى منتهى انصاب الحرم من كل ناحية وفى
الكشاف انه اسود لما لمسه الحيض فى الجاهلية وتقدم انه اسود من

مسح ادم به دموعه وجا ان خطايا بنى ادم سودته واما شدة سواده فبسبب
اصابة الحريق له اولا فى زمن قريش وثانيا فى زمن عبد الله بن الزبير وقد كان
رفع الى السما حين غرقت الارض زمن نوح بنا على انه كان موجودا فى تلك
الخيمة كما تقدم وفى رواية ان ابراهيم لما قال لاسمعيل يا بنى اطلب لى حجرا
حسنا اضعه هاهنا قال ابت انى كسلان تعب اى تعب قال على بذلك فانطلق
فجاه جبريل بالحجر من الهند وهو الحجر الذى خرج به ادم من الجنة اى كما تقدم ٥
فوضعه ابراهيم موضعه وقيل وضعه جبريل وبنى عليه ابراهيم وجا اسمعيل
بحجر من الوادى فوجد ابراهيم قد وضع ذلك الحجر اى وبنى عليه فقال من اين
هذا الحجر من جاك به قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام من لا يكلنى اليك
ولا الى حجرك اى وفى لفظ جانى به من هو انشط منك وفى لفظ ان اسماعيل
جاه بحجر من الجبل قال غير هذا فرده مرارا لا يرضى ما ياتيه به وجا ان الله تعالى
استودع الحجر ابا قبيس حين اغرق الله الارض زمن نوح عليه الصلاة والسلام
وقال ان رايت خليلى يبنى بيتى فاخرجه له اى فلما انتهى ابراهيم عليه الصلاة
والسلام لمحل الحجر نادى ابو قبيس ابراهيم فقال يا ابراهيم هذا الركن فجا
فحفر عنه فجعله فى البيت وقيل تمخض ابو قبيس فانشق عنه اقول وفى
لفظ قال يا ابراهيم يا خليل الرحمن ان لك عندى وديعة فخذها فاذا
هو بحجر ابيض من يواقيت الجنة ومن ثم كان ابو قبيس يسمى فى الجاهلية
الامين لحفظه ما استودع ويسمى ابا قبيس لان رجلا من جرهم اسمه قبيس
هلك فيه وقيل باسم رجل من مذحج بنى فيه يقال له ابو قبيس وقيل
لانه اقتبس منه الحجر الاسود فسمى بذلك ويحتاج الى الجمع بين ما ذكر على
تقدير صحته وما ذكر فى ترجمة الياس احد اجداده صلى الله عليه وسلم انه اول
من وضع الركن اى الحجر الاسود حين غرق البيت وانهدم من نوح فكان اول
من سقط عليه اى او لمن علم به فوضعه فى زاوية البيت فليتامل ذلك
والله اعلم اى وعن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما انه قال عند المقام اشهد
بالله يكررها لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الركن والمقام
ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولولا ان نورهما طمس لاضاء
ما بين المشرق والمغرب كان سببه ما تقدم فلا مخالفة وجا انهما يبعثان يوم القيمة
ولهما فى العظم مثل ابى قبيس يشهدان لمن وافاهما بالوفا وعن ابن عباس
رضى الله تعالى عنهما لولا ما لمسهما من اهل الشرك ما لمسهما ذو عاهة

الاشفاه الله وعن جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه لما خلق الله الخلق
قال لبني ادم الست بربكم قالوا بلى فكتب القلم اقرارهم ثم القم ذلك الكتاب
الحجر فهذا الاستلام له انما هو بيعة على اقرارهم الذي كانوا اقروا به قال علي
رضي الله تعالى عنه وكان ابي يقول اذا استلم الحجر اللهم امانتي اديتها وميثاقي
وفيت به ليشهد لي عندك بالوفا وفي كلام السهيلي ان العهد الذي اخذه
الله على ذرية ادم حين مسح ظهره ان لا يشركوا به شيا كتبه في صك
والقمه الحجر الاسود ولذلك يقول المستلم اللهم ايمانا بك ووفا بعهدك
وقد جا الحجر الاسود يمين الله في الارض قال الامام ابن فورك وكان ذلك
سببا لاشتغالي بعلم الكلام فاني لما سمعت ذلك سالت فقيها كنت
اختلف اليه عن معناه فلم يجر جوابا فقيل لي سل عن ذلك فلانا من المتكلمين
فسالته فاجاب بجواب شاف فقلت لابد لي من معرفة هذا العلم فاشتغلت
به وهذا الذي قاله السهيلي يروي عن علي رضي الله عنه ابن ابي طالب فعن
سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه لما دخل المطاف قام عند الحجر وقال والله
اني لاعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رايت رسول الله صلى الله
صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك فقال له علي رضي الله عنه بلى يا امير
هو يضر وينفع قال ولم قلت ذاك قال بكتاب الله قال واين ذلك من كتاب
الله قلت قال الله تعالى واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم
واشهدهم على انفسهم الاية وكتب ذلك في رق وكان هذا الحجر له
عينان ولسان فقال له افتح فاك فالقمه ذلك الرق وجعله في هذا
الموضع فقال تشهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيامة فقال عمر رضي
الله تعالى عنه اعوذ بالله ان اعيش في قوم لست فيهم يا ابا الحسن وعن
قتادة قال ذكر لنا ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام بنى البيت من
خمسة اجبل من طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودي وحرا وذكر لنا
ان القواعد من حرا التي وضعها ادم مع الملائكة اقول تقدم ان تلك
القواعد كانت من جبل لبنان ومن طور سينا ومن طور زيتا ومن الجودي
ومن حرا الا ان يقال يجوز ان يكون معظم ذلك كان من حرا فليتامل
وذكر بعضهم انه يكون معظم ذلك كان من حرا كان له ركنان وهما
اليمانيان انما جعل له ابراهيم عليه الصلاة والسلام الا الركنين
المذكورين فجعلت له قريش حين بنته اربعة اركان وذكر الحافظ

ابن حجر ان ذا القرنين الاول وهو المذكور في القران في قصة موسى عليه الصلاة
والسلام وهو اسكندر الرومي قدم مكة فوجد ابراهيم واسمعيل عليهما السلام
ببنيان الكعبة فاستفهمهما عن ذلك فقالا نحن عبدان مامووران فقال
لهما من يشهد لكما فقامت خمسة اكبش شهدت اي قلن نشهد ان ابراهيم واسمعيل
عبدان مامووران بالبنا فقال رضيت وسلمت وقال لهما صدقتما وعن ابن
عباس رضي الله عنهما لما كان ابراهيم عليه الصلاة والسلام بمكة واقبل ذو القرنين
عليها فلما كان بالابطح قيل له في هذه البلدة ابراهيم خليل الله الرحمن فقال
ذو القرنين ما ينبغي لي ان اركب في بلدة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابراهيم خليل الرحمن فنزل ذو القرنين ومشى الى ابراهيم عليه الصلاة
والسلام فسلم عليه ابراهيم واعتنقه فكان هو اول من عانق عند السلام
قال الفاكهي واظن ان الاكبش المذكورة اي التي شهدت احجارا ويحتمل
ويحتمل ان تكون غنما ووصف ذي القرنين بالاكبر احترازا من ذي القرنين
الاصغر وهو الاسكندر اليوناني فانه كان قريبا من زمن عيسى عليه الصلاة والسلام
وبين عيسى وابراهيم عليهما الصلاة والسلام اكثر من الفي سنة وكان كافرا والله اعلم
وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما فرغ ابراهيم صلى الله عليه وسلم من بنا البيت
قال يا رب قد فرغت قال اذن في الناس بالحج قال اي رب كيف اقول قال قل يا ايها
الناس كتب عليكم الحج الى البيت العتيق فاجيبوا ربكم عز وجل فوقف على المقام
وارتفع به حتى كان اطول الجبال فنادى وادخل اصبعيه في اذنيه واقبل
بوجهه شرقا وغربا ينادي بذلك ثلاث مرات اي وفي رواية زويت الارض له يومئذ
سهلها وجبلها وبرها وبحرها وانسها وجنها حتى اسمعهم جميعا فقالوا لبيك
اللهم لبيك وبدا بشق اليمن وحينئذ يكون اول من اجاب اهل اليمن وسياتي
التصريح بذلك في بعض الروايات وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان اهل
اليمن اكثر اجابة ومن ثم جا في الحديث الايمان يمان وقال صلى الله عليه وسلم
في حق اهل اليمن يريد اقوام ان يضعوهم ويابى الله الا ان يرفعهم وروى الطبراني
باسناده عن علي رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
احب اهل اليمن فقد احبني ومن ابغضهم فقد ابغضني ومما يوثر عن ابراهيم
صلوات الله وسلامه عليه من علم ان كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه
وقد ذكر في تفسير قوله تعالى فيه ايات بينات مقام ابراهيم على المقام بما
ذكر هو ان ابراهيم عليه السلام وقيل له البيت العتيق لانه اعتق من

الجبابرة الذين كانوا بمكة مع العمالقة وجرهم وقال القاضي تبعاً للكشاف
لانه اعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله تعالى قال
واما الحجاج فانما كان قصده اخراج ابن الزبير عنه لما تحصن به دون التسلط
عليه كذا قال بعضهم وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب انه قال انما سميت بكة اي بالمو حدن
لانها كانت تبك اعناق الجبابرة وليتظر من قصده ليهدمه من الجبابرة غير
ابرهة ثم رايت في المشرق ان ثلاثة غيره قصدوا هدمه اثنان قاتلتهما خزاعة
ومنعتهما والثالث كان في اول زمان قريش اراد هدمه حسدا على شرف الذكر
لقريش به وان يبني عنده بيتا يصرف حاج العرب اليه فلما قرب مكة اظلمت الارض
وايقن بالهلاك فاقلع عن تلك النية ونوى ان يكسوا البيت وينحر عنده
فانجلت الظلمة ففعل ذلك وفيه ان هذا الذي حصلت له الظلمة انما
هو تبع الاول فانه لما عمد الى البيت يريد تخريبه ارسلت عليه ريح كنعت منه
يديه ورجليه واصابته وقومه ظلمة شديدة وفي رواية اصابه دا تمخض
منه راسه قيحا وصديدا اى شيئا نتنا حتى لا يستطيع احد ان يدنوا منه فدعى
بالاطبا فسالهم عن دائه فهالهم ما راوا منه ولم يجد عندهم فرجا فعند ذلك قال
له الحبر لعلك هممت بشيء في حق هذا البيت فقال نعم اردت هدمه فقال له
تب الى الله مما نويت فانه بيت الله وحرمه وامره بتعظيم حرمته ففعل فبرا
من دائه وقيل لانه اول بيت وضع في الارض وقيل لانه اعتق من الغرق
بسبب الطوفان فان في زمن نوح عليه الصلاة والسلام كذا في الكشاف
وغيره وفيه نظر لما مر لما تقدم من دثوره بالطوفان ولما ذكر في قصة نوح
انه لما بعث الكامة من السفينة لتاتيه بخبر الارض فوقعت بوادي الحرم فاذا
الما قد نضب من موضع الكعبة وكانت طينتها حمرا فاختضبت رجلاها
الا ان يقال ان معنى اعتق انه لم يذهب بالمرة بل بقي اثره وفي الخميس عن
ابن هشام ان ما الطوفان لم يصل للكعبة ولكن قام حولها وبقيت هي في هوا
في السما اي بناء على ان الكعبة هي الخيمة التي كانت على زمن ادم عليه
الصلاة والسلام وتقدم عن الكشاف انها رفعت الى السما الرابعة وانها
البيت المعمور وهذا كما علمت يدل على ان المراد بالكعبة الخيمة التي كانت لادم
وقوله قام حولها يريد انه لم يعلو محل تلك الخيمة ولعله لا ينافيه ما تقدم في قصة
نوح فليتامل وفي رواية ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام نادى يا ايها
الناس ان الله كتب عليكم الحج وفي لفظ ان ربكم قد اتخذ بيتا وطلب منكم

ان تحجوه فاجيبوا ربكم كرر ذلك ثلاث مرات فاسمع من في اصلاب الرجال وارحام
النسا فاجابه من كان سبق في علم الله انه يحج الى يوم القيمة لبيك اللهم لبيك
فليس حاج يحج الى ان تقوم الساعة الا من كان اجاب ابراهيم عليه الصلاة والسلام
ومن لبى تلبية واحدة حج حجة واحدة ومن لبى مرتين حج حجتين وهكذا وفي لفظ
لما نادى ابراهيم عليه الصلاة والسلام ما خلق الله من جبل ولا شجر ولا شيء من
المطيعين له الا اجاب لبيك اللهم لبيك اقول لا يخفى انه يحتاج الى الجمع بين
هذه الرواية فيما نادى به ابراهيم عليه الصلاة والسلام وسياتي ومعلوم
ان اجابة غير العقلا اجابة اجلال وتعظيم ولعل المراد بالكتب مطلق الطلب
لا خصوص الوجوب لانه لم يفرض الحج على هذه الامة الا بعد الهجرة في السنة السادسة
وقيل التاسعة وقيل العاشرة كما سياتي واما بقية الامم من بعد ابراهيم
فلم اقف على وجوب الحج عليها وقد ذكر بعض المتاخرين من اصحابنا ان الصحيح
انه لم يجب الحج الا على هذه الامة واستغرب وفي الخصائص الصغرى وافترض
عليهم اي على هذه الامة ما افترض على الانبيا والرسل وهو الوضوء والغسل
من الجنابة والحج والجهاد وهو يفيد انه كان واجبا على الانبيا والرسل وفيه
ان الاصل ان ما وجب في حق نبي وجب في حق امته الا ان يقوم الدليل الصحيح
على الخصوصية وقوله وهو الوضوء سياتي ما في الوضوء والله اعلم اي ثم امر بالمقام
فوضع قبلة اي ملصقا بالبيت على يمين الداخل فكان يصلي اليه مستقبل الباب
اي جهته واول من اخره عن ذلك المحل ووضعه موضعه الان عمر رضي الله عنه
اي وقد تقدم ذلك عن ابن كثير اقول وقيل ان اول من وضعه الان النبي صلى
الله عليه وسلم في فتح مكة وسياتي الجمع بين هذين القولين وبيان ما فيه وذكر
ان محله اولا المنخفض اي الذي تسميه العامة المعجنة اي محل عجن الطين للكعبة
وذلك المنخفض هو محل صلاة جبريل به صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس
في اليومين كما سياتي ونازع في ذلك العز بن عبد السلام جماعة وقال لو كان
ذلك لاشتهر عليه بالكتابة في الحفرة ورد بان ذلك ليس بلازم والنقل
ثقة وهو حجة على من لم ينقل وذكر ابن حجر الهيتمي ان في رواية اخرى
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام صعد ابا قبيس
وقيل صعد ثبيرا واذن وان اول من اجابه اهل اليمن اي لما تقدم انه بدا
بشق اليمن ولا مانع من تعدد ذلك اي وقوفه على تلك الاماكن التي هي
المقام وابو قبيس وثبير ويجوز ان يكون قال في بعض تلك الروايات ما لم

يلتقد في غيره ما تقدم فلا يخالفه بين تلك الروايات فيما نادى به ابراهيم
عليه الصلاة والسلام وجا انه لما فرغ من دعائه ذهب به جبريل فاراه
الصفا والمروة وحدود الحرم وامره ان ينصب عليه الحجارة ففعل وعلمه
المناسك اى مع اسماعيل عليهما الصلاة والسلام ففي العرايس خرج
جبريل بهما يوم التروية الى منى فصلى بهما الظهر والعصر والمغرب والعشا ثم
الاخيرة ثم باتا بها حتى اصبحا فصلى بهما صلاة الصبح ثم غدا بهما الى عرفة فقام
بهما هنالك حتى زالت الشمس جمع بين الصلاتين الظهر والعصر ثم رجع بهما الى
الموقف من عرفة فوقف بهما على الموقف الذى يقف عليه الناس من عرفة
فوقف بهما على الموقف الذى يقف عليه الناس الان فلما غربت الشمس
دفع بهما الى المزدلفة فجمع بين الصلاتين المغرب والعشا الاخرة ثم بات بهما حتى
طلع الفجر ثم صلى بهما صلاة الغداة ثم وقف بهما على قزح حتى اذا اسفر افاض بهما
الى منى فاراهما كيف رمى الجمار ثم امرهما بالذبح وارامهما المنحر من منى وامرهما
بالحلق ثم افاض بهما الى البيت فليتامل ذلك فان فيه التصريح بان ابراهيم
واسماعيل صليا مع جبريل جماعة الصلوات الخمس وجمعا تقديما بين الظهر
والعصر وتاخيرا بين المغرب والعشا للنسك وهو مخالف لقول ايمتنا لم
تجمع الصلوات الخمس الا لنبينا صلى الله عليه وسلم ففي الخصايص الصغرى
تخصص بمجموع الصلوات الخمس ولم تجمع لاحد وبالعشا ولم يصلها احد وبالجماعة
فى الصلاة الا ان يدعى ان المراد الجمع على جهة الاد ومنه على ذلك بجواز ان يكون
ابراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام لم يداوما على ذلك وفيه ما لا يخفى
وفي الوفا عن وهب قال اوحى الله الى ادم انا الله ذو مكة اهلها جيرتى وزوارها
وفدى وفي كنفى اعمره باهل السما واهل الارض ياتونه افواجا شعثا غبرا
يعجون بالتكبير عجا ويرجون بالتلبية رجيجا ويثجون بالبكا ثجا فمن
اعتمره لا يريد غيره فقد زارنى وضافنى ووفد الى ونزل بى وحق لى ان اتحفه
بكرامتى اجعل ذلك البيت وذكره وشرفه ومجده وثناه لنبى من ولدك
يقال له ابراهيم ارفع له قواعده واقضى على يديه عمارته وانبط له سقايته
واريه حله وحرمه واعلمه مشاعره ثم يعمره الامم والقرون حتى ينتهى الى
نبى من ولدك يقال له محمد خاتم النبيين واجعله من سكانه وولاته وحجابه
وسقاته فمن سال عنى يومئذ فانا مع الشعث الغبر الموفين بنذورهم
المقبلين على ربهم ولما دعى ابراهيم عليه الصلاة والسلام بقوله تعالى

وارزقهم

وارزقهم من الثمرات اى دعى بذلك وهو على ثنية كداء بالمد فعن ابن عباس رضى
الله عنهما ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين قال فاجعل افئدة من الناس
تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات كان على الثنية العليا ذكره السهيلى وعند ذلك
نقل له الطايف من فلسطين من ارض الشام اى وببركة دعائه عليه الصلاة والسلام
يوجد بمكة الفواكه المختلفة الازمان من الربيعية والصيفية والخريفية
فى يوم واحد ذكره فى الكشاف ثم لما فرغ اى من بناء البيت وحج وطاف بالبيت
لقيته الملايكة فى الطواف فسلموا عليه فقال لهم ما تقولون فى طوافكم قالوا
كنا نقول قبل ابيك ادم سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فاعلمناه
بذلك فقال زيدوا ولا حول ولا قوة الا بالله فقال ابراهيم زيدوا فيها العلى
العظيم فقالت الملايكة ذلك وكان بناء ابراهيم للبيت بعد ما مضى من عمره مائة
سنة ثم بناه العماليق ثم بنته جرهم وقيل عكسه وقد يتوقف فى بناء العماليق
له اما فى الاول فلان من نزل مكة مع هاجر وولدها اسماعيل جرهم وانهم بعد
اسماعيل وبعض ولده كانوا ولاة البيت واما فى الثانى فلان ولاية البيت كانت
لخزاعة بعد جرهم كما تقدم وكيف يبنون البيت ولا ولاية لهم عليه الا ان يقال
لا مانع ان يكونوا حينئذ اهل ثروة بخلاف جرهم وخزاعة ثم رايت عن ابن عباس
رضى الله تعالى عنهما ان العماليق كانوا فى عز وكانت اموالهم كثيرة وان الله
سلبهم ذلك لما تظاهروا بالمعاصى وسلط عليهم الذر حتى خرجوا من الحرم
وتفرقوا وهلكوا والذر فى النمل كالزنبور فى النحل وفى تاريخ مكة للفاكهى ان
العماليق قدموا مكة لما قدم وفد عاد للاستسقا بالبيت وقيل كانوا بعرفة ولما
اخرج الله تعالى زمزم لاسماعيل بواسطة جبريل ففى ربيع الابرار ان جبريل اخرج
ما زمزم مرتين مرة لادم ومرة لاسمعيل وعند ذلك تحولوا الى مكة لما علموا
بذلك وقيل كانوا بعد جرهم قال المقريزى ولا يصح ذلك ثم رايت المقريزى
قال وفى كتاب اخبار مكة للفاكهى ما يدل على تقدم بنا جرهم على بنا العمالقة ولا
يصح ذلك لا تفاقهم على ان ولاية العمالقة على مكة كانت قبل ولاية جرهم وعلى
انهم لم يلوا مكة بعد جرهم الا خزاعة ولا يخفى ان هذا صريح فى ان العمالقة بنته
ولا بد وان بناهم له كان قبل بنا جرهم له والعماليق من ولد عملاق او عمليق
ابن لاوذ بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام قيل وهو اول من كتب
بالعربية وقيل من ولد العيص بن اسحق بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام
ثم بناه قصى جده صلى الله عليه وسلم وسقفه بخشب الدوم وجريد النخل ثم

بنته قريش كما تقدم ثم بناه تجدد قريش عبد الله بن الزبير رضى الله عنه
اى ويكنى ابا خبيب بضم المعجمة وفتح الباء الموحدة وكنى بابى خبيب لان خبيبا كان
بالمدينة من النساك طويل الصلاة قليل الكلام اى وعبد الله رضى الله تعالى
عنه كان مشابها له فى ذلك فكنى به هذا وفى كلام ابن الجوزى انه كان لعبد
الله بن الزبير ولد يقال له خبيب حيث قال خبيب بن عبد الله بن الزبير ضربه عمر
ابن عبد العزيز بامر الوليد مائة سوط فمات لانه لما حدث عن النبى صلى الله
عليه وسلم انه قال اذا بلغ بنو ابى العاص اربعين رجلا وفى رواية ثلاثين رجلا
وفى رواية اذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلا وفى رواية اذا بلغ بنو امية اربعين
رجلا اتخذوا عباد الله تعالى خولا اى عبيدا ومال الله دولا ودين الله دغلا وفى
رواية بدل دين الله كتاب الله قال ابن كثير وهذا الحديث اى ذكر بنى امية وذكر
الاربعين منقطع ولما بلغ الوليد ما ذكر خبيب كتب لابن عمه عمر بن عبد
العزيز وهو والى المدينة ان يضرب خبيبا هذا مائة سوط ففعل ثم برد ما
فى جرة وصبها عليه فى يوم شات عليه وحبسه فلما اشتد وجعه اخرجه وندم
على ما فعل فلما مات وسمع بموته سقط الى الارض واسترجع واستعفى من ولاية
المدينة فكان عمر ابن عبد العزيز اذا قيل له ابشر قال كيف ابشر وخبيب على الطريق
اى عائق لى وفى دلايل النبوة للبيهقى عن بعضهم قال كنت عند معاوية بن ابى
سفيان فدخل عليه مروان بن الحكم فكلمه فى حاجته وقال اقض حاجتى يا امير
المؤمنين فوالله ان مؤنتى لعظيمة فانى ابو عشرة وعم عشرة واخو عشرة فلما
ادبر مروان قال معاوية لابن عباس رضى الله تعالى عنهم اشهد بالله يا ابن عباس
اما تعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلا
اتخذوا مال الله بينهم دولا وعباد الله خولا وكتاب الله دغلا فاذا بلغوا
تسعة وتسعين واربعماية كان هلاكهم اسرع من لوك تمرة فقال ابن عباس
اللهم نعم ثم ذكر مروان حاجة فرد مروان ولده عبد الملك الى معاوية فكلمه
فيها فلما ادبر عبد الملك قال معاوية انشدك الله يا ابن عباس اما تعلم ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذكر هذا فقال ابو الجبابرة الاربعة فقال ابن عباس
اللهم نعم فان اربعة من ولده ولوا الخلافة فليتامل هذا فانه ربما يدل على ان
عبد الملك صحابيا الا ان يقال ذكره قبل وجوده فهو من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم
وفى كلام ابن كثير هذا الحديث فيه غرابة ونكارة شديدة هذا وقد رايت عن بعض
حواشى الكشاف ان اعداء عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما هم الذين كانوا

يكنونه بابى خبيب لان خبيبا كان من اخس اولاده ويرده قول بعضهم بغلب
التشرف كالخبيبين لخبيب بن عبد الله بن الزبير واخيه مصعب وذكر ابن
الجوزى ايضا فيمن ضرب بالسياط من العلما سعيد بن المسيب ضربه عبد الملك
ابن مروان مائة سوط لانه بعث ببيعة الوليد الى المدينة فلم يبايع سعيد فكتب
ان يضرب مائة سوط ويصب عليه جرة ماء فى يوم شات ويلبس جبة صوف ففعل
به ذلك اى كما فعل بخبيب ثم رايت فى تاريخ الحافظ ابن كثير لما عهد عبد
الملك لولده الوليد فى حياته وانتهت البيعة الى المدينة امتنع سعيد بن
المسيب ان يبايع فضربه نائب المدينة ستين سوطا والبسه ثيابا من الشعر
واركبه جملا وطاف به فى المدينة ثم اودع السجن فلما بلغ ذلك عبد الملك
ارسل يعنف والى المدينة على ذلك ويامره باخراجه من الحبس هذا كلامه وفى
كلام البلادرى وكان جابر بن الاسود عاملا لابن الزبير على المدينة وهو الذى
ضرب سعيد بن المسيب ستين سوطا اذا لم يبايع لابن الزبير هذا كلامه الا ان يقال
لا مانع ان يكون سعيد فعل به الامران لان ولاية ابن الزبير سابقة على ولاية
عبد الملك ووالد الوليد ثم رايت الحافظ ابن كثير صرح بذلك حيث ذكر ان
سعيد بن المسيب ضرب السياط المذكورة وفعل به ما تقدم لما امتنع من المبايعة
لابن الزبير وفعل به ذلك ايضا لما امتنع من البيعة للوليد وفى طبقات الشيخ
عبد الوهاب الشعرانى رحمه الله فى ترجمة سعيد بن المسيب وضربه عبد الملك بن
مروان حيث امتنع من مبايعته والبسه المسوح ونهى الناس عن مجالسته فكان
كل من جلس اليه يقول له قم لا تجالسنى فانهم قد جلدونى ومنعوا الناس عن
مجالستى هذا كلامه الا ان يقال المراد امتنع من قبول سعيد بن المسيب من
المبايعة للوليد لانه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سيكون فى هذه
الامة رجل يقال له الوليد فهو شر لامتى من فرعون لقومه زاد فى رواية هو اضر
على امتى من فرعون على قومه زاد فى رواية ليسد به ركن من اركان جهنم وفى لفظ
زاوية من زوايا جهنم فكان الناس يرون انه الوليد بن عبد الملك قال ابن
كثير وهو الوليد بن يزيد بن عبد الملك لا الوليد بن عبد الملك الذى هو
عمه وكان سعيد بن المسيب اعبر الناس للرؤيا قال له رجل رايت كانى ابول
فى يدى فقال تحتك ذات محرم فنظر فاذا بينه وبين امراته رضاعة واخذ
سعيد تعبير الرؤيا عن اسماء بنت ابى بكر وهى اخذت ذلك عن والدها ابى بكر
رضى الله عنهما وعن سعيد اخذ ابن سيرين ذلك وعن ابن سيرين كان ابو

يعنى

بكر اعبر هذه الامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم وكان يعبر الرؤيا في زمنه صلى الله عليه وسلم وفي حضرته وعن الزهري راى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا فقصها على ابي بكر فقال رايت كاني استبقت انا وانت درجة فسبقتك بمرقاتين ونصف قال يا رسول الله يقبضك الله الى مغفرته ورحمته واعيش بعدك سنتين ونصفا فكان كما عبر فعاش بعده صلى الله عليه وسلم سنتين وسبعة اشهر وقال له رايتني اردفت غنما سودا ثم اردفتها غنما بيضا حتى ما ترا السود فيها فقال ابو بكر يا رسول الله اما الغنم السود فان العرب يسلمون ويكثرون والغنم البيض الاعاجم يسلمون حتى لا ترى العرب فيهم من كثرتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك عبرها الملك سحيرا وسبب بنا عبد الله بن الزبير الكعبة ان يزيد بن معاوية لما وجه الجيش عشرين الف فارس وسبعة الاف راجل وامير هم مسلم ابن قتيبة لقتال اهل المدينة لما علم انهم خرجوا عن طاعته اي واظهروا شتمه واعلنوا بانه ليس له دين لانه اشتهر عنه نكاح المحارم وادمان شرب الخمر وترك الصلاة وانه يلعب بالكلاب اي فقد ذكر بعض ثقات المورخين انه كان له قرد يحضر مجلس شرابه ويطرح له وسادة ويسقيه فضلة كاسه واتخذ له اتانا وحشية قد ربضت له وصنع لها سرج من ذهب يركب عليها ويسابق بها الخيل في بعض الايام وكان يلبس عليه قبا وقلنسوة من الحرير الاحمر وقد استفتي الكيا الهراسي من اكابر ايمتنا معاشر الشافعية كان من روس تلامذة امام الحرمين نظير الغزالي عن يزيد هذا هل هو من الصحابة وهل يجوز لعنه فاجاب بانه ليس من الصحابة لانه ولد في ايام عمر بن الخطاب وللامام احمد قولان اي في لعنه تلويح وتصريح وكذا للامام مالك وكذا لابي حنيفة ولنا قول واحد التصريح دون التلويح وكيف لا يكون كذلك وهو اللاعب بالنرد والمتصيد بالفهود ومدمن الخمر وشعره في الخمر معلوم هذا كلامه وسيل الغزالي هل من صرح بلعن يزيد يكون فاسقا وهل يجوز الترحم عليه فاجاب بان من لعنه يكون فاسقا عاصيا لانه لا يجوز لعن المسلم ولا يجوز لعن البهائم فقد ورد النهي عن ذلك وحرمة المسلم اعظم من حرمة الكعبة بنص النبي صلى الله عليه وسلم ويزيد صح اسلامه وما صح امره بقتل الحسين ولا رضاه بقتله ومالم يصح منه ذلك لا يجوز ان يظن به ذلك فان اساءة الظن بالمسلم حرام واذا لم نعرف حقيقة الامر يجب احسان الظن به ومع هذا فالقتل ليس بكفر بل هو معصية واما الترحم عليه فهو جائز

بل هو مستحب لانه داخل في المومنين في قولنا في كل صلاة اللهم اغفر للمومنين والمومنات هذا كلامه وكان على ما افتى به الكيا الهراسي من جواز التصريح بلعنه استاذنا الاعظم الشيخ محمد البكري تبعا لوالده الاستاذ الشيخ ابي الحسن وقد رايت في كلام بعض اتباع استاذنا المذكور في حق يزيد ما لفظه زاده الله خزيا ومنعه وفي اسفل سجين وضعه وفي كلام ابن الجوزي اجاز العلما الورعون لعنه وصنف في اباحة لعنه مصنفا وقال السعد التفتازاني انا لا اشك في اسلامه بل في ايمانه فلعنة الله عليه وعلى انصاره واعوانه وعلى هذا يكون مستثنى من عدم جواز لعن الكافر المعين بالشخص ولما خلعوا اهل المدينة بيعة يزيد وولوا عليهم عبد الله بن حنظلة غسيل الملايكة واخرجوا الى يزيد من المدينة وهو مروان بن الحكم وبني امية حتى قال بعضهم ما خرجنا عليه حتى خفنا ان رمي بحجارة من السما فكانت وقعة الحرة المشهورة التي كادت ان تبيد اهل الارض المدينة عن اخرهم قتل فيها الجم الكثير من الصحابة والتابعين وقيل المقتول فيها من الصحابة ثلاثة منهم عبد الله بن حنظلة ونهبت المدينة وافتض فيها الف عذرا ولم تقم الجماعة ولا الاذان في المسجد النبوي مدة المقاتلة وهي ثلاثة ايام وفي كلام بعضهم ووقع من ذلك الجيش الذي وجهه يزيد للمدينة من القتل والفساد العظيم والسبي واباحة المدينة وقتل من الصحابة رضي الله عنهم ومن التابعين خلق كثيرون وكانت عدة المقتولين من قريش والانصار ثلاث مائة وستة رجال ومن قرا القران نحو سبعماية نفس وفي التنوير لابن دحية وقتل من وجوه المهاجرين والانصار الف وسبعماية ومن حملة القران سبعماية وجالت الخيل في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وراثت بين القبر الشريف والمنبر واختفت اهل المدينة حتى دخلت الكلاب المسجد وبالت على منبره صلى الله عليه وسلم ولم يرض امير ذلك الجيش من اهل المدينة الا البيعة على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فضرب عنقه وروى البخاري ان عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما لما ارجف اهل المدينة يزيد دعي بنيه ومواليه وقال لهم انا بايعنا هذا الرجل على بيعة الله وبيعة رسوله وانه والله لا يبلغني عن احد منكم انه خلع يدا من طاعته الا كان الفيصل بيني وبينه ثم لزم بيته ايضا فدخل عليه جمع من الجيش بيته فقالوا له من انت ايها الشيخ فقال انا ابو سعيد الخدري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا قد سمعنا خبرك ولنعم ما فعلت حين كففت يدك ولزمت

بيتك ولكن هات المال فقال قد اخذه الذين دخلوا قبلكم علي وما عندي
شي فقالوا كذبت ونتفوا لحيته واما جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه
خرج في يوم من تلك الايام وهو اعمى يمشي في بعض ازقة المدينة وصار
يعثر في القتلى ويقول تعس من اخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له
قايل من الجيش من اخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول من اخاف المدينة فقد اخاف ما بين جنبي فحمل
عليه جماعة من الجيش ليقتلوه فاجاره منهم مروان وادخله بيته قال
السهيلي وقتل في ذلك اليوم من وجوه المهاجرين والانصار رضي الله عنهم
الف وسبعماية وقتل من اخلاط الناس عشرة الاف سوى النسا والصبيان
فقد ذكر ان الايمام امراة من الانصار دخل عليها رجل من الجيش وهي ترضع
صبيا وقد اخذ ما وجده عندها ثم قال لها هاتي الذهب والا قتلتك وقتلت
ولدك فقالت ويحك ان قتلته فابوه ابو كبشة صاحب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاخذ الصبي من حجرها وثديها في فيه وضرب به الحائط حتى
انتثر دماغه في الارض فما خرج من البيت حتى اسود نصف وجهه وصار
مثلة في الناس **قال السهيلي** واحسب هذه المراة جدة للصبي لا اما له اذ
يبعد في العادة ان تبايع امراة وتكون يوم الحرة في سن من ترضع اي ولدا صغيرا
لها **ووقعة** الحرة هذه من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم ففي الحديث
انه صلى الله عليه وسلم وقف بهذه الحرة وقال ليقتلن بهذا المكان رجال هم خيار
امتي بعد اصحابي **وعن** عبد الله بن سلام رضي الله عنه انه قال لقد وجدت قصة
هذه الوقعة في كتاب يهوذا بن يعقوب الذي لم يدخله تبديل وانه يقتل
فيها رجال صالحون يجيئون يوم القيمة وسلاحهم على عواتقهم وهذه الوقعة
كانت سنة ثلاث وستين ويقال كان يزيد اعذر اهل المدينة قبل هذه الواقعة
فيما ذكروه وبذل لهم من العطا اضعاف ما يعطي الناس رغبة في استمالتهم
الى الطاعة وتحذيرهم من المخالفة ولكن يابى الله الا ما اراد **وفي** التنوير ان
الله ابتلى امير هذا الجيش الذي هو مسلم بمرض صار ينبح منه كالكلب الى ان مات
وولى امر الجيش بعده الحصين بن نمير بامر يزيد فانه وصى مسلم بن قتيبة
لما ولاه امر الجيش وقال له اذا اشرفت على الموت اي لانه كان مريضا بالاستسقا
فول امر الجيش للحصين وهذا الذي وقع من يزيد فيه تصديق لقوله صلى
الله عليه وسلم لا يزال امر امتي قايما بالقسط حتى يثلمه رجل من بني امية يقال

ليزيد

ليزيد **وقد** جاء عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه لقد رايتني ليالي الحرة وما
في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم غيري وما ياتي وقت صلاة الا سمعت الاذان
والاقامة من القبر الشريف **ومما** يوثر عن سعيد بن المسيب الدنيا نذلة تميل الى الانذال
ومن استغنى بالله افتقر اليه الناس **ومن** جملة من خلع يزيد وقتل من الصحابة
في تلك الوقعة معقل بن سنان الاشجعي رضي الله تعالى عنه روى عن علقمة عن ابن
مسعود رضي الله تعالى عنه انه سيل عن رجل تزوج امراة فلم يسم لها صداقا ولم
يدخل بها حتى مات فقال ابن مسعود لها مثل مهر نسايها لا وكس ولا شطط وعليها
العدة ولها الميراث فقام معقل بن سنان قال قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في بروع بنت واشق امراة منا مثل ما قضيت ففرح ابن مسعود **وسبب**
مقاتلة عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما لانه امتنع من المبايعة ليزيد هو
والحسين رضي الله عنهما لما ارسل اليهما يطلب منهما المبايعة له فامتنعا من
ذلك وفرا من المدينة الى مكة **ثم** لما قتل الحسين رضي الله تعالى عنه اي لان
الحسين ارسل اليه اهل الكوفة ان ياتيهم ليبايعوه فاراد الذهاب اليهم
فنهاه ابن عباس رضي الله عنهما وبين له غدرهم وقتلهم لابيه وخذلانهم
لاخيه الحسن رضي الله تعالى عنه ونهاه ابن عمر وابن الزبير رضي الله عنهم فابى
الا ان يذهب فبكى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقال واحبيباه وقال له ابن عمر
استودعك الله من قتيل وكان اخوه الحسن قال له اياك وسفهاء الكوفة ان
يستخفوك فيخرجوك ويسلموك فتندم ولات حين مناص وقد تذكر ليلة
قتله فترحم على اخيه الحسن ولم يبق بمكة الا من حزن على مسيره وقدم امامه
الى الكوفة مسلم بن عقيل فبايعه من اهل الكوفة للحسين اثنا عشر الفا وقيل
اكثر من ذلك ولما شارف الكوفة جهز اليه اميرها من جانب يزيد وهو عبيد
الله بن زياد عشرين الف مقاتل وكان اكثرهم ممن بايع له لاجل السحت العاجل
على الخير الاجل فلما وصلوا اليه وراى كثرة الجيش طلب منهم احدى ثلاث
اما ان يدعوه يرجع من حيث جا او يذهب الى بعض الثغور او يذهب الى
يزيد يفعل فيه ما اراد فابوا وطلبوا منه نزوله على حكم ابن زياد وبيعته
ليزيد فابى فقاتلوه الى ان اثخنته الجراحة فسقط الى الارض فحزوا راسه
وذلك يوم عاشورا عام احدى وستين ووضع ذلك الراس بين يدي عبيد الله
ابن زياد **فلما** جا خبر قتل الحسين رضي الله تعالى عنه قام ابن الزبير رضي الله
عنهما في الناس يعظم قتل الحسين وجعل يظاهر بعيب يزيد ويذكر شربه الخمر

وغير ذلك ويثبط الناس عن بيعته ويذكر مساوى بنى امية ويطنب في
ذلك اقسم الا يوتى به الا مغلولا فجا اليه رجل من اهل الشام فى خيل من خيل
الشام وتكلم مع ابن الزبير وعظم على ابن الزبير الفتنة وقال لا يستحل
الحرم بسببك فان يزيد غير تاركك ولا تقوى عليه واقسم ان لا يوتى بك
الا مغلولا وقد عملت لك غلا من فضة وتلبس فوقه الثياب وتبر قسم
امير المومنين فالصلح خير عاقبة واجمل بك وبه فقال له انظر فى امرى ثم دخل
على امه اسما رضى الله عنهما واستشارها فقالت يا بنى عش كريما ومت كريما
ولا تمكن بنى امية من نفسك فتلعب بك فامتنع وصار يبايع الناس سرا ثم
اظهر المبايعة فاجتمع اليه اهل الحجاز ولحق به وانهزم من وقعة الحرة فلما
جا الجيش الى مكة حاصر عبد الله وضربه بالمنجنيق نصبه على ابى قبيس قيل
وعلى الاحمر وهما اخشبا مكة فاصاب الكعبة من ناره ما حرق بنايها وسقفها فان
الكعبة كانت فى زمن قريش مبنية مدماك من خشب الساج ومدماك من حجارة كما
تقدم وذكر فى المشرق ان الله تعالى بعث عليهم صاعقة بعد العصر فاحرقت
المنجنيق واحرقت تحته ثمانية عشر رجلا من اهل الشام ثم عملوا منجنيقا اخر
فنصبوه على ابى قبيس ويذكر ان النار لما اصابت الكعبة انت بحيث يسمع انينها
كانين المريض اه اه وهذا من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم وقد جا انذاره
صلى الله عليه وسلم بحريق الكعبة فعن ميمونة رضى الله تعالى عنها زوج النبى صلى الله
عليه وسلم قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف انتم اذا مرج الدين فظهرت
الرغبة والرهبة وحرق البيت العتيق وفى العرايس ان اول يوم تكلم الناس فى
القدر ذلك اليوم فقيل احراقها الكعبة من قدر الله وقيل ليس من قدر الله والمتكلم
بذلك حينيذ قيل ابو معبد الجهنى وقيل ابو الاسود الدولى وقيل غير ذلك
وقوله اول يوم تكلم الناس فى القدر لعل المراد اول يوم اشتهر واستفيض فيه
الكلام من الناس فى القدر فلا يخالف ما حكى ان شخصا قال لعلى رضى الله عنه
وهو بصفين يا امير المومنين اخبرنا عن مسيرنا هذا كان بقضا الله وقدره فقال
نعم والذى فلق الحبة وبرا النسمة ما وطينا موطيا ولا قطعنا واديا ولا علونا
شرفا الا بقضايه وقدره والتكلم فى القدر ليس من خصايص هذه الامة
فقد تكلمت فيه الامم قبلها ففى الحديث ما بعث الله نبيا الا فى امته قدرية
يشوشون عليه امر امته الا وان الله تعالى قد لعن القدرية على لسان سبعين نبيا
وقد جا فى ذم القدرية زيادة على ما تقدم منها القدرية مجوس هذه

الامة

الامة ان مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا فلا تشهدوهم وجا اتقوا القدر
فانه شعبة من النصرانية وجا اخاف على امتى التكذيب بالقدر وانما كانت القدرية
مجوس هذه الامة لان طايفة من القدرية تقول بان الخير من الله والشر من
العبد وهولا الطايفة اشبه بالمجوس القايلين بالاصلين النور والظلمة وان
الخير من النور وان الشر من الظلمة وهم المانوية وانما كان ذلك لانه من
النصرانية لان اكثر القدرية على انه ليس من افعال العبد من خير او شر
ناشيا عن اقدار الله له على ذلك بل هو ناشى عن قدرة العبد واختياره
فقد اثبت له شريكا كما ان النصارى اثبتوا الشريك لله فهذه الفرقة من
القدرية اشبهت النصارى فكان القدر شعبة من النصرانية بهذا
الاعتبار وقد اوضحت ذلك فى تعليقى المسمى بالمصباح المنير على الجامع
الصغير وفيه اخر الكلام فى القدر لشرار امتى فى اخر الزمان فان الحق
اسناد الفعل الى الله ايجادا وللعبد اكتسابا وقيل ان سبب بنا عبد الله
ابن الزبير للكعبة ان امراة بخرتها فطارت شرارة فعلقت بثيابها فحصل
ذلك ولا مانع من التعدد وقد وقع ايضا احتراقها بتجمير المراة فى زمن
قريش ولا مانع من تعدد ذلك كما تقدم وعد بعضهم ان من البدع تجمير
المسجد فان مالكا كرهه وقد روى ان مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان
يجمر المسجد النبوى اذا جلس عمر على المنبر يخطب ومع حرق الكعبة حرق قرنا
الكبش الذى فدى به اسماعيل فانهما كانا معلقين بالسقف اقول ولعل تعليقهما
فى السقف كان بعد تعليقهما فى الميزاب فقد ذكر بعضهم جا الاسلام
وراس الكبش معلق بقرنيه فى ميزاب الكعبة ويدل لتعليقهما فى السقف
ما جا عن صفية بنت شيبة قالت لعثمان بن طلحة لم دعاك النبى صلى الله عليه وسلم
بعد خروجه من البيت قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم انى رايت قرنى
الكبش فى البيت فنسيت ان امرك ان تخمرهما فخمرهما فانه لا ينبغى ان تكون
فى هذا البيت ما يشغل مصليا وذكر الجلال المحلى فى قطعة التفسير
ان الكبش المذكور هو الذى قربه هابيل جاء به جبريل فذبحه السيد ابراهيم
مكبرا اى وحينيذ تكون النار التى نزلت فى زمن هابيل لم تاكله بل رفعته
الى السما وحينيذ يكون قول بعضهم فنزلت النار فاكلته على التشبيه ويدل
لما ذكره الجلال ما جا انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل ما كان ذبح ابراهيم اى
مذبوحه قال الذى قرب ابن ادم قال بعضهم وهذا الحديث لم يثبت قيل

ووصف بانه عظيم بانه رعى في الجنة اربعين عاما وقيل كان الكبش اختراعا
اخترعه الله تعالى هناك في ذلك الوقت فان بعضهم فقد فدى من الموت
بصورة الموت وهذا كله بنا على الذى قربه هابيل كان كبشا وقيل كان
جملا سمينا وعليه اقتصر القاضى فليتنظر الجمع على تقدير صحته كل وانصدع
الحجر من تلك النار منه ثلاث فرق كان وعند محاصرة الجيش لعبد الله جا الخبر بموت
يزيد ويقال ان ابن الزبير علم بموت يزيد قبل ان تعلم الجيش وهم اهل الشام فنادى
فيهم يا اهل الشام قد اهلك الله طاغيكم يعنى يزيد فمن احب منكم ان يدخل
فيما دخل فيه الناس فعل ومن احب ان يرجع الى شانه فليفعل ما فعل الجيش
وبايع عبد الله بن الزبير جماعة بالخلافة ودخلوا في طاعته ظاهرا وتقدم ان
امير الجيش طلب من ابن الزبير ان يحدثه فخرجا من الصفين حتى اختلف روس
فرسيهما وجعل فرس امير الجيش ينفر ويكفها فقال له ابن الزبير ما لك فقال
ان حمام الحرم تحت رجليها فاكره ان اطا حمام الحرم فقال تفعل هذا وانت تقتل
المسلمين فقال له تاذن لنا ان نطوف بالكعبة ثم نرجع الى بلادنا فاذن لهم فطافوا
وقال له ان كان هذا الرجل قد هلك فانت احق الناس بهذا الامر يعنى الخلافة
فارحل معى الى الشام فوالله لا يختلف عليك اثنان فلم يثق به ابن الزبير
واغلظ عليه القول فكر راجعا وهو يقول اعده بالملك وهو يعدنى بالقتل
ومن ثم قيل كان في ابن الزبير خلال لا تصلح معها الخلافة منها سوء الخلق وكثرة
الخلاف ودخل في طاعة ابن الزبير جميع اهل البلدان الا الشام ومصر فان له
مروان بن الحكم تغلب عليهما بعد موت معاوية بن يزيد بن معاوية فان معاوية
هذا مكث في الخلافة اربعين يوما وقيل عشرين يوما بعد ان كان مروان
عزم على ان يبايع لابن الزبير بدمشق وقد كان ابن الزبير لما ولى اخاه نائبا
عنه بالمدينة امره باجلا بنى امية وفيهم مروان وابنه عبد الملك الى الشام
فلما اراد مروان ان يبايع ابن الزبير ثنى عزمه عن ذلك جماعة وقالوا له انت
شيخ قريش وسيدها وقد فعل فيكم ابن الزبير ما فعل فانت احق بهذا الامر
فوافقهم ومكث تسعة اشهر في الخلافة فهو الرابع من خلفا بنى امية وقام بالامر
بعده ولده عبد الملك وهو اول من سمى عبد الملك في الاسلام ثم عهد عبد
الملك لاولاده الاربعة من بعده الوليد ثم سليمان ثم يزيد ثم هشام
واصعهم و بن سعيد ان مروان عهد اليه بعد ابنه عبد الملك فضاق عبد
الملك بذلك ذرعا واستعجل امر عمرو بن سعيد وقد انطوى على غل نيته

ودناد

ونيا طوية وطاعنه في نيل الخلافة فلما سار واعن دمشق اياما عارض عمرو بن
سعيد واستاذن عبد الملك فى العود الى دمشق فاذن له فلما عاد ودخل دمشق
صعد المنبر وخطب خطبة قال فيها من عبد الملك ودعا الناس الى خلعه فاجابوه
الى ذلك وبايعوه فاستولى على دمشق وصعد سورها وبذل الرغايب وبلغ ذلك
عبد الملك وهو متوجه الى ابن الزبير فاشير على عبد الملك ان يرجع الى دمشق
ويترك ابن الزبير لان ابن الزبير لم يعطه طاعة ولا وثب له على مملكته فهو في صورة
ظالم له وقعد والعمرو بن سعيد في صورة مظلوم لانه نكث بيعته فخاف امانته
وانشد بعيله فرجع الى دمشق وظفر بعمرو بن سعيد ويقال ان تسبب بنا عبد الله
ابن الزبير انه جا سيل فطبقها فكان عبد الله يطوف سباحة اى ولا مانع من
وجود الامرين الحريق والسيل فلما راى عبد الله ما وقع في الكعبة شاور من حضره من
جلتهم عبد الله بن عباس فى هدمها فهابوا هدمها وقالوا نرى ان تصلح ما وهى ولا
تهدم فقال لو ان بيت احدكم احترق لم يرض له الا باكمل اصلاح ولا يكمل اصلاحها
الا بهدمها وقد حدثتنى خالتى عايشة رضى الله تعالى عنها عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال لها الم ترى قومك يعنى قريش حين بنوا الكعبة اقتصروا عن
قواعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين عجزت بهم النفقة لولا حدثان
قومك بالجاهلية وفي لفظ لولا قومك حديث عهد بالجاهلية اى قريب عهدهم
بها اى وفي لفظ لولا الناس حديثوا عهد بكفر وليس عندى من النفقة ما يقوى
على بنائها لهدمتها وجعلت لها خلفا اى بابا من خلفها اى وفي لفظ لجعلت لها بابا
شرقيا وبابا غربيا والصقت بابها بالارض اى كما كان عليه في زمن ابراهيم ولا
دخلت الحجر فيها اى وفي رواية لادخلت نحو ستة اذرع وفي رواية ستة اذرع
وشيا وفي رواية وشبر وفي رواية قريبا من سبعة اذرع فقد اضطرب الروايات
في القدر الذى اخرجته قريش وفي لفظ لادخلت فيها ما اخرج منها وفي لفظ لجعلتها
على اساس ابراهيم وازيد اى بان ازيد في الكعبة من الحجر اى وذلك ما اخرجته
قريش خشى صلى الله عليه وسلم ان تنكر قلوبهم هدم بنائهم الذى يعدونه من اكمل
شرفهم فربما حصل لهم الارتداد عن الاسلام وقد ذكر بعضهم ان كل من بنى
الكعبة بعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام لم يبنها الا على قواعد ابراهيم غير ان
قريشا ضاقت بهم النفقة اى الحلال الحديث وهذا بنا على ان من بعد ابراهيم
وقبل قريش بناها كلها وليس كذلك بل الحاصل منهم انما هو ترميم لها فقوله
لم يبنها الا على قواعد ابراهيم ليس على الظاهر بل المراد انه ابقاها على ذلك

قال وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال لعبد الله دع لنا بنا واحجارًا اسلم
عليها المسلمون وبعث عليها النبي صلى الله عليه وسلم اى فانه يوشك انا يأتى بعدك
من يهدمها فلا يزال يهدم ويبنى فيتهاون الناس بحرمتها ولكن ارقعها اى رممها
فقال عبد الله انى مستخير ربى ثلاثا ثم عازم على امرى فلما مضى الثلاث اجمع
امره على ان ينقضها فتحاماها الناس وخشيوا ان ينزل باول الناس يصعدها امر
من السما حتى صعدها رجل فالقى منها حجارة فلم يره الناس اصابه شئ تتابعوا اى
اى وقيل ان اول فاعل لذلك عبد الله بن الزبير نفسه وخرج ناس كثير من مكة
الى منى ومنهم ابن عباس فاقاموا بها ثلاثا مخافة ان يصيبهم عذاب شديد ه
بسبب هدمها ولعل ابن الزبير جاء عنه من الحبشة يهدمها رجاء ان يكون منهم الذى
اخبر به صلى الله عليه وسلم انه يهدمها وفيه ان الذى اخبر النبى صلى الله عليه وسلم
بانه يهدمها ذكر صفته حيث قال كانى انظر اليه اسود افحج ينقضها حجرًا حجرًا
وجاء فى وصفه انه مع كونه افحج الساقين ازرق العينين افطس الانف كبير
البطن ووصف ايضا بانه اصلع وفى لفظ اجلح وهو من ذهب شعر مقدم
راسه ووصف بانه اصعل اى صغير الراس وبانه اصمع اى صغير الاذنين
معه اصحابه ينقضونها حجرًا ويتناولونها حتى يرموا بها الى البحر اى وقوله ويتناولونها
حتى يرموا بها الى البحر لعله لم يثبت عند ابن الزبير وكذا تلك الاوصاف وهدم
الحبشة لها يكون بعد موت عيسى عليه الصلاة والسلام ورفع القرآن من
الصدور والمصاحف اى وورد ان اول ما يرفع من الارض العلم وقيل
يكون هدمها فى زمن عيسى عليه الصلاة والسلام وجمع بانه يهدم بعضها
فى زمن عيسى فاذا جاءهم الصريخ هربوا فاذا مات عيسى عادوا وكملوا هدمها عبد
الله الى ان انتهى الهدم الى القواعد اى التى هى الاساس قال وفى رواية كشف له عن
اساس ابراهيم عليه الصلاة والسلام فوجده داخلا فى الحجر ستة اذرع وشيئا
واحجار ذلك الاساس كانها اعناق الابل حجارة حمر اخذ بعضها فى بعض مشبكة
كتشبيك الاصابع واصاب فيه قبر اسماعيل عليه الصلاة والسلام وهذا
ربما يدل على انه لم يصب فيه قبر اسماعيل وهو يؤيد القول بان قبره فى حيال الموضع
الذى فيه الحجر الاسود لا فى الحجر كما ذكره الطبرى وانه عند البلاطة الخضراء التى
بالحجر كما تقدم فدعى عبد الله بن الزبير خمسين رجلا من وجوه الناس واشرافهم
واشهدهم على ذلك الاساس وادخل عبد الله بن المطيع العدوى عتلة
كانت بيده فى ركن من اركان البيت فتدعدعت الاركان كلها فارتج جانب

البيت ورجفت مكة باسرها رجفة شديدة وطارت منه برقة فلم يبق دار من
دور مكة الا دخلت فيها ففزعوا انتهى اقول تقدم فى بناء قريش انهم افضوا الى
حجارة خضر كالاسنمة اخذ بعضها ببعض وان رجلا ادخل عتلة بين حجرين منها
فتفصل عن ما ذكر وقد يقال لا مخالفة بين كون تلك الاحجار كانت خضرا وبين كونها
حمرا لانه يجوز ان تكون حمرة تلك الاحجار ليست صافية بل هى قريبة من السواد
ومن ثم وصفت بانها زرق كما تقدم والاسود يقال له اخضر كما ان الاخضر غير
الصافى يقال له اسود والصافى يقال له ازرق والله اعلم وجعل عبد الله على تلك
القواعد سترا فطاف الناس بتلك الستور حتى بنى عليها وارتفع البنا وزاد فى
ارتفاعها على ما كانت عليه فى بنا قريش تسعة اذرع فكانت سبعا وعشرين ذراعا
وزاد بعضهم وربع ذراع وبناها على مقتضى ما حدثته به خالته عائشة رضى الله
تعالى عنها فادخل فيه الحجر اى لانه يجوز ان يكون ادخال الحجر هو الذى سمعه من عائشة
فعل به دون غيره ذلك من الروايات المتقدمة الدالة على ان الحجر ليس من البيت وانما
منه ستة اذرع او وشبرا او قريبا من سبعة اذرع وفيه ان هذا اى قوله فادخل
فيه الحجر هو الموافق لما تقدم من ان قريشا اخرجت منها الحجر وهو واضح ان كان
وجد الاساس خارجا عن جميع الحجر اما اذا لم يكن خارجا عن جميع الحجر واما اذا لم
يكن خارجا عن جميع الحجر كيف يتعداه ولا يبنى عليه اعتمادا على ما حدثته به خالته
عائشة على انه سيأتى عن نص حديث عائشة انه صلى الله عليه وسلم قال لها فان بدا
لقومك من بعدى ان يبنوه فهلمى لاريك ما تركوا منه فاراها قريبا من ستة اذرع
قلت مثل وجعل لها خلفا اى بابا من خلفها والصقه بالارض كالمقابل له قال ولما ارتفع
البنا الى مكان الحجر الاسود وكان فى وقت الهدم وجد متصدعا من بسبب الحريق كما
تقدم فشده بالفضة ثم جعله فى ديباجة وادخله فى تابوت واقفل عليه وادخله
دار الندوة فحين وصل البنا الى محله امر ابنه حمزة وشخصا اخر ان يحملاه ويضعاه
محله وقال اذا وضعتماه وفرغتما فكبرا حتى اسمعكما فاخفف صلاتى فانه صلى الله عليه وسلم
بالناس بالمسجد اغتناما لشغلهم عن وضعه لما احس منهم بالتنافس فى ذلك اى ان
كل واحد يود ان يضعه وخاف الخلاف فلما كبرا تسامع الناس بذلك فغضب
جماعة من قريش حيث لم يحضرهم وكون الحجر وجد متصدعا بسبب الحريق وكون
ابن الزبير شده كذلك بالفضة لا ينافى ما وقع بعد ذلك من ان ابا سعيد
كبير القرامطة وهم طائفة ملاحدة ظهروا بالكوفة سنة سبعين ومائتين يزعمون
ان لا غسل من جنابة وحل الخمر وانه لا صوم فى السنة الا يومى النيروز والمهرجان

ويزيدون في اذانهم وان محمد بن الحنفية رسول الله صلى الله عليه وسلم وان
الحج والعمرة الى البيت المقدس وافتتن بهم جماعة من الجهال واهل البراري
وقويت شوكتهم حتى انقطع الحج من بغداد بسببه وسبب ولده ابي طاهر فان ولده
ابا طاهر بنى دارا بالكوفة وسماها دار الهجرة وكثر فساده واستيلاؤه على
البلاد وقتله المسلمين وتمكنت هيبته من القلوب وكثرت اتباعه وذهب
اليه جيش الخليفة المقتدر بالله السادس عشر من خلفا بني العباس غير مامرة
وهو يهزمهم ثم ان المقتدر سير ركب الحاج الى مكة فوافاهم ابو طاهر يوم التروية
فقتل الحجيج بالمسجد الحرام وفي جوف الكعبة قتلا ذريعا والقى القتلى في بئر
زمزم وضرب الحجر الاسود بدبوسه فكسره ثم اقتلعه واخذه معه وقلع باب
الكعبة ونزع كسوتها وشققها بين اصحابه وهدم قبة زمزم وارتحل عن مكة بعد
ان اقام بها احد عشر يوما ومعه الحجر الاسود وبقي عند القرامطة اكثر من عشرين سنة
اي والناس يضعون ايديهم محله للتبرك ودفع لهم فيه خمسون الف دينار فابوا
حتى اعيد في خلافة المطيع وهو الرابع والعشرون من خلفاء بني العباس فاعيد الحجر
الى موضعه وجعل له طوق فضة شد به زنته ثلاثة الاف وسبعماية وسبعون
درهما ونصف قال بعضهم تاملت الحجر وهو مقلوع فاذا السواد في راسه فقط
وسائره ابيض وطوله قدر عظم الذراع وتعدا القرامطة في سنة ثلاث عشرة
واربعماية قام رجل من الملاحدة وضرب الحجر الاسود ثلاث ضربات بدبوس فتشقق
وجه الحجر من تلك الضربات وتساقط منه شظيات مثل الاظفار وخرج
من شقوقه مثل ذلك الفتات وعجنوه بالمسك واللك وحشوه في تلك الشقوق
وطلوه بطلاء من ذلك وجعل طول الباب احد عشر ذراعا والباب الاخر ايضا
كذلك فلما فرغ من بنائها خلقها من داخلها وخارجها بالخلوق اي الطيب والزعفران
وكساها القباطي اي وهي ثياب بيض رقاق من كتان تتخذ بمصر وفي كلام
بعضهم اول من كسا الكعبة الديباج عبد الله بن الزبير اقول وبنا عبد الله
للكعبة من جملة اعلام النبوة لانه من الاخبار بالمغيبات ففي نص حديث عايشة
فان بدا لقومك من بعدي ان يبنوه فهلمي لاريك ما تركوا منه فاراها قريبا من
ستة اذرع وتقدم ان هذا يرد قول بعضهم ان ابن الزبير ادخل في بنائه جميع الحجر
قال قال بعضهم وهذا منه صلى الله عليه وسلم تصريح بالاذن في ان يفعل ذلك
بعده عند القدرة عليه والتمكن منه وقال المحب الطبري وهذا الحديث يعني
حديث عايشة يدل تصريحا وتلويحا على جواز التغيير في البيت اذا كان لمصلحة

ضرورية

ضرورية او حاجية او تحسينية قال الشهاب بن حجر الهيتمي ومن الواضح البين
ان ما وهى ويتشقق منها في حكم المنهدم او المشرف على الانهدام فيجوز اصلاحه
بل يندب بل يجب هذا كلامه وفي شعبان سنة تسع وثلاثين والف جاء سيل عظيم
بعد صلاة العصر يوم الخميس العشرين من الشهر المذكور هدم معظم الكعبة
سقط به الجدار الشامي بوجهيه وانهدم معه من الجدار الشرقي الى حد الباب
ومن الجدار الغربي من الوجهين نحو السدس وهدم اكثر بيوت مكة واغرق
في المسجد جملة من الناس خصوصا الاطفال فان الماء ارتفع الى ان سد الابواب
وعند مجيء الخبر بذلك الى مصر جمع متوليها الوزير محمد باشا وهو الوزير الاعظم
الان اي في سنة ثلاث واربعين جمعا من العلماء كنت من جملتهم ووقعت
الاشارة بالمبادرة بالعمارة وقد جعلت للوزير المذكور في ذلك رسالة لطيفة
وقعت منه موقعا كبيرا واعجب بها كثيرا حتى انه دفعها لمن عبر عنها باللغة
التركية وارسل بها لحضرة مولانا السلطان مراد امد الله انصاره وذكرت
فيها ان المحقق ان الكعبة بنيت جميعها الا ثلاث مرات المرة الاولى بنا ابراهيم
عليه السلام والثانية بنا قريش وكان بينهما الفا سنة وسبعماية سنة وخمس
وسبعون سنة وحينئذ يكون ما جا في الحديث استكثروا من الطواف بهذا
البيت قبل ان يرفع وقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة معناه قد يهدم مرتين
ويرفع في الهدم الثالث والثالثة بنا عبد الله بن الزبير اي وكان بينهما نحو
اثنين وثمانين سنة اي واما بنا الملايكة وبنا ادم وبنا شيث فلم يصح واما بنا
جرهم والعمالقة وقصي فانما كان ترميما ولم تبن بعد هدمها جميعها الا مرتين مرة
زمن قريش ومرة زمن عبد الله بن الزبير وذكر الامام البلقيني ان كون ابن
الزبير اول من كسا الكعبة الديباج اشهر من القول بان اول من كساها الديباج
ام العباس بن عبد المطلب كما سياتي وجاز ان يكون عبد الله بن الزبير كساها
اولا القباطي ثم كساها الديباج والله اعلم وكانت كسوتها اي في زمن الجاهلية
المسوح والانطاع فان اول من كساها تبع الحميري كساها الانطاع ثم
كساها الثياب الحبرة اي وفي رواية كساها الوصايل وهي برود حمر فيها خطوط
خضر تعمل باليمن وفي كلام الامام البلقيني ويروى ان تبعا اليماني لما كساها
الخصف انتفضت فزال عنها فكساها المسوح والانطاع فانتفضت فزال
ذلك عنها فكساها الوصايل فقبلتها قال والوصايل ثياب موصولة من ثياب
اليمن وفي الكشاف كان تبع الحميري مومنا وكان قومه كافرين ولذلك ذم الله قومه

هلينه

كافرين ولذلك ذم الله قومه فلم يذمه وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا
تبعًا فانه كان قد اسلم وعنه عليه الصلاة والسلام ما ادري اكان تبع نبيًا
او غير نبي هذا وقد نقل الشمس الحموي في كتابه المناهج الزهية والمنابيح المرضية
عن ابن عباس انه كان نبيًا وقيل اول من كساها عدنان بن ادد وكانت قريش
تشترك في كسوة الكعبة حتى نشأ ابو ربيعة بن المغيرة فقال لقريش انا
اكسوا الكعبة سنة وحدي وجميع قريش سنة اي وقيل كان يخرج نصف كسوة
الكعبة في كل سنة ففعل ذلك الى ان مات فسمته قريش العدل لانه عدل
قريش وحده في كسوة الكعبة ويقال لبنيه بنو العدل وكانت كسوتها
لا تنزع فكان كلما تجدد كسوة تجعل فوق واستمر ذلك الى زمنه صلى الله
عليه وسلم ثم كساها النبي صلى الله عليه وسلم الثياب اليمانية وفي كلام بعضهم اول
من كسا الكعبة القباطي النبي صلى الله عليه وسلم وكساها ابو بكر وعمر وعثمان
القباطي وكساها معاوية الديباج يوم عاشورا والقباطي في اخر رمضان والاقتصار
على ذلك ربما يفيد ان عطف الحبرات على القباطي من عطف التفسير فليتامل
وكساها المامون الديباج الاحمر والديباج الابيض والقباطي فكانت
تكسى الاحمر يوم التروية والقباطي يوم هلال رجب والديباج الابيض
يوم سبع وعشرين من رمضان قال بعضهم وهكذا كانت تكسى في زمن
المتوكل العباسي ثم في زمن الناصر العباسي كسيت السواد من الحرير واستمر ذلك
الى الان في كل سنة وكسوتها من غلة قريتين يقال لهما بيسوس وسنديس
من قرى القاهرة وقفهما على ذلك الملك الصالح اسمعيل بن الناصر محمد بن
قلاون في سنة نيف وخمسين وسبعماية اي والان زادت القرى على هاتين
القريتين والحاصل انه اول من كساها على الاطلاق تبع الحميري كما تقدم
على الراجح وذلك قبل الاسلام بتسع مائة سنة قيل وسبب كسوة ام عمته
صلى الله عليه وسلم لها الديباج اي العباس ضل وهو صبي فنذرت ان وجدته
لتكسون الكعبة فوجدته فكست الكعبة الديباج اي وكانت من بيت مملكة
وقيل اول من كساها الديباج عبد الملك بن مروان اي وهو المراد بقول ابن
اسحق اول من كساها الديباج الحجاج لان الحجاج كان من امرا عبد الملك وقد
سئل الامام البلقيني هل يجوز كسوة الكعبة بالحرير المنسوج بالذهب ويجوز اظهارها
في دوران المحمل الشريف فاجاب بجواز ذلك قال لما فيه من التعظيم لكسوتها
الفاخرة التي ترجى بكسوتها الخلع السنية في الدنيا والاخرة ويجوز اظهارها

في دوران

في دوران المحمل الشريف فان ذلك المناسب للمحل المنيف هذا كلامه اي واول
من حلى بابها بالذهب جده صلى الله عليه وسلم عبد المطلب فانه لما حفر بئر زمزم
وجد فيها الاسياف والغزالتين من الذهب فضرب الاسياف بابا لها وجعل
في ذلك الباب الغزالتين فكان اول ذهب حليته الكعبة على ما تقدم واول
من ذهب الكعبة في الاسلام عبد الملك بن مروان وقيل عبد الله بن الزبير جعل
على اساطينها صفائح الذهب وجعل مفاتيحها من الذهب وجعل الوليد
ابن عبد الملك الذهب على الميزاب ويقال انه ارسل لعامله على مكة ستة وثلاثين
الف دينار يضرب منها على باب الكعبة وعلى الميزاب وعلى الاساطين التي
داخلها وعلى اركانها من داخل وذكر ان الامين بن هارون الرشيد ارسل
الى عامله بمكة بثمانية عشر الف دينار ليضرب بها صفائح الذهب على بابي الكعبة
فقلع ما كان على الباب من الصفائح وزاد عليها ذلك وجعل مساميرها وحلقتي
الباب والعتب من الذهب وان ام المقتدر الخليفة العباسي امرت غلامها
لولوا ان يلبس جميع اسطوانات البيت ذهبًا ففعل وقال عبد الله بن الزبير لما
فرغ من بنائها من كان لي عليه طاعة فليخرج فليعتمر من التنعيم ومن قدر ان ينحر
بدنة فليفعل فان لم يقدر فشاة ومن لم يقدر فليتصدق بما تيسر واخرج
مائة بدنة فلما طاف استلم الاركان الاربعة جميعًا فلم تزل الكعبة على بنا عبد الله
ابن الزبير تستلم اركانها الاربع اي لانها على قواعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام
ويدخل اليها من باب ويخرج من باب حتى قتل اي قتله شخص من جيش الحجاج بحجر
رماه به فوقع بين عينيه فقتل وهو بالمسجد لان الحجاج كان اميرًا على الجيش
الذي ارسله عبد الملك بن مروان لقتاله وكتب عبد الملك بن مروان الى
الحجاج ان اهدم ما زاده ابن الزبير فيها اي بهدم البنا الذي جعله على اخر
الزيادة التي ادخلها في الكعبة وكانت قريش اخرجتها بدليل قوله وردها الى
ما كانت عليه وسد الباب الذي فتح اي وان يرفع الباب الاصلي الى ما كان
عليه زمن قريش واترك سايرها اي لانه اعتقد ان ابن الزبير فعل ذلك
من تلقا نفسه فكتب الحجاج الى عبد الملك يخبره بان عبد الله بن الزبير وضع
البنا على اس قد نظر اليه العدول من اهل مكة اي وهم خمسون رجلا من وجوه
الناس واشرافهم كما تقدم فكتب اليه عبد الملك لسنا من تخبيط ابن الزبير
في شيء فنقض الحجاج ما ادخل من الحجر وسد الباب الثاني اي الذي في ظهر الكعبة
عند الركن اليماني ونقص من الباب الاول خمسة اذرع اي ورفعه الى ما كان

عليه في زمن قريش فبني تحته اربعة اذرع وشبرا وبني داخله الدرجة الموجودة
اليوم وفي لفظ ان الحجاج لما ظفر بابن الزبير كتب الى عبد الملك بن مروان يخبره
ان ابن الزبير زاد في الكعبة ما ليس فيها واحدث فيها بابا اخر واستاذن في رد
ذلك على ما كانت عليه في الجاهلية فكتب اليه عبد الملك ان يسد بابها الغربي
ويهدم ما زاد فيها من الحجر ففعل ذلك الحجاج فسائرها قبل وقوع هذا الهدم
بالسيل الواقع في سنة تسع وثلاثين بعد الالف هنا بنيه على بنيان ابن الزبير
الا الجانب الذي يلي الحجر فانه من بنيان الحجاج اي والبناء الذي تحت العتبة وهو
اربعة اذرع وشبر فان باب الكعبة كان على عهد العمالقة وجرهم وابراهيم
عليه الصلاة والسلام لاصقا بالارض حتى رفعته قريش كما تقدم وما سد به
الباب الغربي والردم كان بالحجارة التي كانت داخل ارض الكعبة اي التي وضعها
عبد الله بن الزبير اي ولعل انه وضع في ذلك المحل الحجارة التي تصلح للبناء فلا ينافي
ما اخبرني به بعض الثقات ان بعض بيوت مكة كان فيها بعض الحجارة التي اخرجت
من الكعبة زمن عبد الله بن الزبير ويقال ان ذلك البيت الذي كان فيه
تلك الحجارة كان بيتا لعبد الله بن الزبير وبناء الحجاج كان في السنة التي قتل
فيها عبد الله بن الزبير وهي سنة ثلاث وسبعين قيل ولما دخل عبد الله بن الزبير
وهو محاصر حاصره الحجاج خمسة اشهر وقيل سبعة اشهر وسبع عشرة ليلة
على امه اسماء قبل قتله بعشرة ايام وهي شاكية اي مريضة فقال لها كيف تجدينك
يا امه قالت ما اجدني الا شاكية فقال لها ان في الموت لراحة فقالت لعلك
تتمناه لي ما احب ان اموت حتى ياتي علي احد طرفيك اما قتلت واما ظفرت بعدوك
فقرت عيني ولما كان اليوم الذي قتل فيه دخل في المسجد فقالت له يا بني لا تقبلن
منهم خطة تخاف فيها على نفسك الذل مخافة القتل فوالله لضربة بالسيف في
عز خير من ضربة بسوط في ذل ويقال ان الناس لا زالوا ينتقلون عن ابن الزبير
الى الحجاج لطلب الامان وهو يؤمنهم حتى خرج اليه قريب من عشرة الاف حتى
كان من جملة من خرج اليه حمزة وخبيب ابنا عبد الله بن الزبير واخذا لانفسهما
امانا من الحجاج فامنهما ودخل عبد الله على امه فشكى اليها خذلان الناس
له وخروجهم الى الحجاج حتى اولاده واهله وانه لم يبق معه الا اليسير والقوم
يعطونني ما شئت من الدنيا فما رايك فقالت يا بني انت اعلم بنفسك ان كنت
تعلم انك على حق وتدعو الى حق فاصبر عليه فقد قتل عليه اصحابك ولا تمكن
من رقبتك تتلعب بها غلمان بني امية وان كنت انما اردت الدنيا فبئس العبد

انت

انت اهلكت نفسك واهلكت من قتل معك كم خلودك في الدنيا فدنا منها
وقبل راسها وقال والله ما ركنت الى الدنيا ولا احببت الحياة فيها وما دعاني
الى الخروج الا الغضب لله ان تستحل حرمته وبعد ان قتل وصلب على الجذع
فوق الثنية ومضت ثلاثة ايام جاءت امه اسماء تقاد لان بصرها كان قد كف
حتى وقفت عليه فدعت له طويلا ولم يقطر من عينيها دمعة وقالت للحجاج اما آن
لهذا الراكب ان ينزل فقال لها الحجاج المنافق قد رايت كيف نصر الله الحق
واظهره ان ابنك الحد في هذا البيت وقد قال تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم
نذقه من عذاب اليم وقد اذاقه الله ذلك العذاب الاليم وفي كلام ابن سبط
ابن الجوزي ان ابن الزبير لما قال لعثمان رضي الله عنه وهو محاصر ان عندي نجائب
اعددتها لك فهل لك ان تنجو الى مكة فانهم لا يستحلونك بها قال له عثمان سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يلحد رجل في الحرم من قريش او بمكة يكون
عليه نصف عذاب العالم فلن اكون انا وفي رواية قال له لاني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول يلحد بمكة كبش من قريش اسمه عبد الله عليه مثل نصف اوزار
الناس هذا كلامه وعندي ان المراد بعبد الله الحجاج لا ابن الزبير ولا مانع ان يكون
الحجاج من قريش على ان الذي في الصواعق لابن حجر الهيتمي ان القائل لعثمان ذلك
المغيرة بن شعبة ولما سمعت سيدتنا اسماء الحجاج يقول في ولدها المنافق قالت
له كذبت والله ما كان منافقا ولكنه كان صواما برا كان اول مولود ولد في الاسلام
بالمدينة وسر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وحنكه بيده وكبر المسلمون يومئذ
حتى ارتجت المدينة فرحا به كان عاملا بكتاب الله حافظا لحرم الله يبغض لمن
يعصي الله عز وجل قال انصرفي فانك عجوز قد خرفت قالت والله ما خرفت
ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج من ثقيف كذاب ومبير
اما الكذاب فقد رايناه يعني المختار بن ابي عبيد الثقفي والي العراق فانه لما
قتل الحسين اتفق مع طائفة من الشيعة ممن كان خذل الحسين ولما قتل ندموا
على ذلك فوافقوا المختار على مقاتلة من قاتل الحسين من اهل الكوفة فتوجهوا
اليه وقتلوا جميع من قاتل الحسين وملك الكوفة وشكر الناس للمختار ذلك
ثم قالت واما المبير فانت المبير ولما بلغ عبد الملك ما قاله الحجاج لاسماء كتب
اليه يلومه على ذلك اي ومن ثم ارسل اليها الحجاج فابت ان تاتيه فاعاد
عليها الرسول اما ان تاتيني او لابعثن اليك من يسحبك بقرونك فابت وقالت
والله لا آتيك حتى تبعث الي من يسحبني بقروني فعند ذلك اخذ نعليه ومشى

حتى دخل عليها فقال يا امه ان امير المؤمنين اوصاني بك فهل من حاجة فقالت
لست لك بام ولكني ام المصلوب على راس الثنية وما لي من حاجة ولكن انتظر حتى
احدثك ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول يخرج في ثقيف كذاب ومبير فاما الكذاب فرايناه يعني المختار
واما المبير فانت فقال الحجاج مبير المنافقين ومن كذب المختار انه ادعى
النبوة وانه ياتيه الوحي ويسر ذلك لاحبابه وفي دلائل النبوة للبيهقي عن
بعضهم قال كنت اقوم بالسيف على راس المختار بن ابي عبيد فسمعته يوما يقول
قام جبريل عن هذه النمرقة وفي رواية من على هذا الكرسي فاردت ان اضرب
عنقه فتذكرت حديثا حدثنيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا
امن الرجل الرجل على دمه ثم قتله رفع له لواء الغدر يوم القيمة فكففت عنه
ولعل هذا مستند ما نقل عن كتاب الاملاء لامامنا الشافعي رضي الله عنه من القول بان
المتنبي يقتل بالساحر وقد كتب للاحنف بن قيس وجماعة وقد بلغني انكم
تسموني الكذاب وقد كذبت الانبياء من قبلي ولست بخير منهم وقد كان يقع منه
امور تشبه الكهانة منها انه لما جهز جيشا لقتال عبيد الله بن زياد المجهز
الجيش لمقاتلة الحسين رضي الله عنه لما تقدم قال لاصحابه في غد ياتيكم خبر
النصر وقتل ابن زياد فكان كما اخبر وجيء براس ابن زياد والقيت بين يدي
المختار وكان قتله يوم عاشورا اليوم الذي قتل فيه الحسين ثم قتل المختار
وكان قتل المختار على يد مصعب بن الزبير وجيء براس المختار بين يدي مصعب
لما ولي العراق من جانب اخيه لابيه عبد الله بن الزبير ومما يؤثر عن مصعب
العجب من ابن ادم كيف يتكبر وقد جرى في مجرى البول مرتين ثم قتل مصعب
وقطعت راسه ووضعت بين يدي عبد الملك بن مروان وعن بعضهم انه حدث
عبد الملك فقال له يا امير المؤمنين دخلت القصر قصر الامارة بالكوفة فاذا
راس الحسين على ترس بين يدي عبيد الله بن زياد وعبيد الله بن زياد على السرير
ثم دخلت القصر بعد ذلك بحين فرايت راس عبيد الله بن زياد على ترس بين يدي
المختار والمختار على السرير ثم دخلت القصر بعد ذلك بحين فرايت راس
المختار بين يدي مصعب على السرير ثم دخلت بعد ذلك بحين فرايت راس مصعب
ابن الزبير بين يديك وانت على السرير فقال لا اراك الله الخامسة ثم امر بهدم ذلك
القصر وعن امامنا الشافعي رضي الله عنه ان ابا الحجاج لما دخل بام الحجاج وافتضها
نام فراى قائلا يقول له في المنام ما اسرع ما الحقت بالمبير وفي كلام سبط ابن

الجوزي

الجوزي ان ام الحجاج كانت قبل ابيه مع المغيرة بن شعبة فطلقها بسبب انه دخل
عليها يوما فوجدها تتخلل حين انفتلت من صلاة الصبح فقال لها ان كنت تتخللين
من طعام البارحة انك لقذرة وان كنت من طعام اليوم انك لنهمة كنت فبنت
قالت والله ما فرحنا اذ كنا ولا اسفنا اذ بنا ولا هو شيء مما ظننت ولكني استكت
فاردت ان اتخلل من السواك فندم المغيرة على طلاقها فخرج فلقي يوسف بن ابي عقيل
والد الحجاج فقال له هل لك الى شيء ادعوك اليه قال وما ذاك قال اني نزلت عن سيدة
نساء ثقيف وهي الفارعة فتزوجها تنجب لك فتزوجها فولدت له الحجاج وفي
حياة الحيوان انها كانت قبل ابي الحجاج عند امية بن ابي الصلت هذا كلامه وقد
يقال لا مانع انها تزوجت الثلاثة وان تزوجها لامية كان قبل المغيرة وكونها سيدة
نساء ثقيف يبعد القول بانها المتمنية التي مر بها سيدنا عمر وهي تنشد ۝
۝ هل من سبيل الى خمر فاشربها ۝ الابيات وانه كان يعير بها فيقال له ابن المتمنية
وفي مدة صلب عبد الله بن الزبير صارت امه تقول اللهم لا تمتني حتى تقر عيني
بجثته وذهب اخوه عروة بن الزبير الى عبد الملك بن مروان يساله في انزاله
عن الخشبة فاجابه وانزله قال غاسله كنا لا نتناول عضوا من اعضائه الا جاء
معنا فكنا نغسل العضو ونضعه في اكفانه وقامت فصلت عليه امه وماتت
بعد جمعة ذكر ذلك في الاستيعاب وقيل بعده بايام قال الحافظ ابن كثير
وهو المشهور وبلغت من العمر مائة سنة ولم يسقط لها سن ولم ينكر لها عقل
وقتل مع ابن الزبير مائتان واربعون رجلا منهم من سال دمه في جوف الكعبة
وكان من جملة من قتل عبد الله بن صفوان بن امية الجمحي قتل يوم قتل ابن
الزبير وقطع راسه وبعث الحجاج براسه وراس ابن الزبير الى المدينة فنصبوهما
وصاروا يقربون راس عبد الله بن صفوان الى راس ابن الزبير كانه يساره
يلعبون بذلك ثم بعثوا بهما الى عبد الملك بن مروان ولما وضعت راس
عبد الله بن الزبير بين يدي عبد الملك سجد وقال والله كان احب الناس
الي واشدهم الي الفا ومودة ولكن الملك عقيم اي فان الرجل يقتل ابنه
او اخاه على الملك فاذا فعل ذلك انقطعت بينهما الرحم وسياتي مدحه
يزيد لمقاتلته وقد كان ابن الزبير قال لعبد الله بن صفوان اني قد اقلتك
بيعتي فاذهب حيث شئت فقال انا اقاتل عن ديني وكان سيدا شريفا مطاعا
حليما كريما قتل وهو متعلق باستار الكعبة وحينئذ يشكل كونه حرما امنا
ومما يدل لما تقدم من ان عبد الله بن الزبير كان عنده سوء خلق ما حكي انه

بجا اليه شخص فقال له ان الناس على باب عبد الله بن عباس يطلبون العلم
وان الناس على باب اخيه عبيد الله يطلبون الطعام فاحدهما يفقه
الناس والاخر يطعم الناس فما ابقيا لك مكرمة فدعا شخصا وقال انطلق
الى ابنى العباس وقل لهما يقول لكما امير المومنين اخرجا عنى والا فعلت
وفعلت فخرجا الى الطايف اى وقيل انما خرج عبد الله بن عباس من مكة
الى الطايف الا ان الله يقول ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم
فقد قال الشيخ محيى الدين بن العربى اعلم ان الله قد عفى عن جميع الخواطر
التى لا تستقر عندنا الا بمكة لان الشرع قد ورد ان الله يواخذ فيه من يرد فيه
بالحاد بظلم وهذا كان سبب سكنى عبد الله بن عباس بالطايف احتياطا لنفسه
لانه ليس فى قدرة الانسان ان يدفع عن قلبه الخواطر فان بعضهم كان
يقال من اراد الفقه والجمال والسخا فليات دار العباس الجمال للفضل
والسخا لعبيد الله والفقه لعبد الله **ولما** حج عبد الملك اى وذلك
فى سنة خمس وسبعين قال له الحارث انا اشهد لابن الزبير بالحديث الذى
سمعه من خالته عايشة رضى الله تعالى عنها قال انت سمعته منها قال نعم فجعل
ينكت بالمنساة فوق بقضيب كان فى يده الارض ساعة ثم قال وددت انى كنت
تركته يعنى ابن الزبير وما تحمل وفى رواية ان عبد الملك كتب الى الحجاج
وددت انك تركت ابن الزبير وما تحمل ومما الموافق لما فى تاريخ الازرقى
ان الحارث وفد على عبد الملك بن مروان فى خلافته فقال له عبد الملك
ما اظن ان ابا خبيب يعنى ابن الزبير سمع من عايشة رضى الله عنها ما كان
يزعم انه سمع منها فى بنا الكعبة قال الحارث انا سمعته منها قال عبد الملك
انت سمعته منها الحديث وكون عايشة حدثت ابن الزبير بما ذكر لا ينافى ما فى
تاريخ ابى كثير عن بعضهم قال سمعت ابن الزبير يقول حدثتنى امى اسما بنت
ابى بكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعايشة لولا قرب عهد قومك
بالكفر لرددت الكعبة على اساس ابراهيم عليه الصلاة والسلام الحديث
وفى رواية ان عايشة رضى الله عنها نذرت ان فتح الله مكة على رسول الله صلى
الله عليه وسلم تصلى فى البيت ركعتين فلما فتحت مكة اى وحج حجة الوداع
فسالت النبى صلى الله عليه وسلم ان يفتح لها باب الكعبة ليلا فجا عثمان بن
طلحة بالمفتاح الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله انها لم
تفتح ليلا قط قال فلا تفتحها ثم اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدها

وادخلها الحجر وقال صلى هيهنا فان الحطيم اى الحجر من البيت الا ان قومك
قصرت بهم النفقة اى الحلال فاخرجوه من البيت ولولا حدثان قومك بالجا هلية
لنقضت بنا الكعبة واظهرت قواعد الخليل وادخلت الحطيم فى البيت والصقت
العتبة على الارض ولين عشت الى قابل لافعلن ذلك فلم يعش ولم يتفرغ له
الخلفا لذلك وبما ذكر يعلم ما فى قول الاصل فهدمها اى عبد الملك وبناها
على ما كانت عليه فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم **وقد** علمت ان الحجاج
لم يبن الا الجدار الذى يلى الحجر والبنا الذى تحت الكعبة والدرجة التى هى فى
باطنها واما التراب الذى جعل فى باطنها فيحتمل ان يكون هو التراب الذى اخرجه
عبد الله بن الزبير استمر باقيا فاعاده الحجاج ويحتمل انه غيره ولم اقف على بيان
ذلك فى كلام احد **والشاذروان** الذى اخرجه عبد الله بن الزبير من عرض
الاساس الذى بنته قريش لاجل مصلحة استمساك البنا وثباته **ومن العجب** ما
حدث به بعضهم قال كنت اميرا على الجيش الذى بعث به يزيد بن معاوية
الى عبد الله بن الزبير بمكة فدخلت مسجد المدينة فجلست بجانب عبد الملك بن
مروان فقال لى عبد الملك انت امير هذا الجيش قلت نعم قال ثكلتك امك
اتدرى الى من تسير تسير الى اول مولود ولد فى الاسلام اى بالمدينة من اولاد
المهاجرين والى ابن حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ابن ذات النطاقين
يعنى اسما والى من حنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم اما والله ان جيته نهارا
تجده صايما وان جيته ليلا لتجده قايما فلو ان اهل الارض اطبقوا على قتله
لاكبهم الله فى النار جميعا فلما صارت الخلافة الى عبد الملك وجهنا مع الحجاج
حتى قتلناه وذكر بعضهم ان عبد الملك بن مروان لما راى جيش يزيد
متوجها الى مكة قال اعوذ بالله ايبعث الجيش الى حرم الله فضرب منكبه شخص
كان يهوديا واسلم وكان يقرا الكتب وقال لجيشك اليه اعظم **ويقال** ان هذا
اليهودى مر على دار مروان والى عبد الملك هذا فقال ويل لامة محمد من اهل هذه
الدار لان مروان كان سببا لقتل عثمان وعبد الملك ابنه كان سببا لقتل
عبد الله بن الزبير ووقع من الوليد بن يزيد بن عبد الملك الامور القطعية اى
وسبب ولاية الحجاج على الجيش انه قال لعبد الملك بن مروان رايتنى فى منامى
انى اخذت عبد الله بن الزبير فسلخته فولنى قتاله فولاه فارسله فى جيش كثيف
من اهل الشام فحصر ابن الزبير ورمى الكعبة بالمنجنيق ولما رمى به ارعدت
السما وابرقت فخاف اهل الشام فصاح الحجاج هذه صواعق تهامة وانا ابن

ابها ثم قام ورمى المنجنيق بنفسه فزاد ذلك فلم تزل صاعقة تتبعها اخرى
حتى قتلت اثنى عشر رجلا فخاف اهل الشام زيادة فاحتبس بعضهم ولا زال
الحجاج يحضهم على الرمى بالمنجنيق فلم تزل الكعبة ترمى بالمنجنيق حتى هدمت
وحرقت استارها حتى صارت كالفحم اى وفيه انه لو كانت هدمت او حرقت ه
لاعيد بناؤها او اصلحت بالترميم ولو وقع ذلك لنقل لانه مما تتوفر الدواعى
على نقله ولعل هذا اشتبه على بعض الرواة ظن ان الذى وقع من جيش يزيد
واقع من الحجاج **فان قيل** هلا اهلك الله من نصب المنجنيق على الكعبة كما
اهلك ابرهة **قلنا** لان من نصب المنجنيق لم يرد هدم الكعبة بخلاف ابرهة
كما تقدم **وفيه** انه قد يشكل كونه حرمنا امنا **وفى** البخارى عن ابن عباس رضى
الله عنهما انه قال حين وقع بينه وبين ابن الزبير اى وامره بان يخرج الى الطايف
ويهدده على ما تقدم قلت ابوه الزبير وامه اسما وخالته عايشة وجده
ابو بكر وجدته صفيه وفى رواية انه قال اما ابوه فحوارى رسول الله صلى
الله عليه وسلم يريد الزبير واما جده فصاحب الغار يريد ابا بكر واما امه فذات
النطاقين يريد اسما واما خالته فام المومنين يريد عايشة واما عمته فزوج
النبى صلى الله عليه وسلم يريد خديجة واما عمة النبى صلى الله عليه وسلم
فجدته يريد صفية ثم عفيف فى الاسلام وقارى للقران **ولما** قتل عبد الله بن
الزبير ارتجت مكة بالبكا فجمع الحجاج الناس وخطبهم وقال فى خطبته الا ان
ابن الزبير كان من اخيار هذه الامة الا انه نازع الحق اهله ان الله خلق
ادم بيده ونفخ فيه من روحه واسكنه جنته فلما اخطا اخرجه من الجنة
بخطيئته وادم اكرم على الله من ابن الزبير والجنة اعظم على الله حرمة من
الكعبة اذكروا الله يذكركم اى **ومن** اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم ما روى
ان عبد الله بن الزبير لما ولد نظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
هو هو فلما سمعت بذلك امه امسكت عن ارضاعه فقال لها رسول الله
صلى الله عليه وسلم ارضعيه ولو بما عينيك كبش بين ذياب وذياب عليها
ثياب ليمنعن البيت او ليقتلن دونه **وفى** حياة الحيوان ان العرب اذا
ارادوا مدح الانسان قالوا كبش واذا ارادوا ذمه قالوا تيس ومن ثم قال صلى
الله عليه وسلم فى المحلل التيس المستعار ويقال ان الحجاج بعد قتل ابن الزبير ذهب
الى المدينة وعلى وجهه لثام فراى شيخا خارجا من المدينة فسأله عن حال اهل المدينة
فقال شر حال قتل ابن حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتله قال الفاجر

اللعين الحجاج عليه لعاين الله ورسله من قليل المراقبة لله فغضب الحجاج
غضبا شديدا ثم قال ايها الشيخ اتعرف الحجاج اذا رايته قال نعم ولا عرفه الله خيرا
ولا وقاه ضيرا فكشف الحجاج اللثام عن وجهه وقال ستعلم الان اذا سال دمك
الساعة فلما تحقق الشيخ انه الحجاج قال ان هذا لهو العجب يا حجاج انا فلان اصرع
من الجنون فى كل يوم خمس مرات فقال الحجاج اذهب لا شفا الله الابعد من جنونه
ولا عافاه فخلوص هذا من يد الحجاج من العجب لان اقدامه على القتل ومبادرته اليه
امر لم ينقل مثله عن احد وكان يقول يخبر عن نفسه ان اكبر لذاته سفك ه
الدما وهو لبعضهم والاصل فى ذلك انه لما ولد لم يقبل ثديا فتصور لهم الحارث
ابليس فى صورة الحارث بن كلدة طبيب العرب وقال ادعوا له تيسا اسود ه
والعقوه من دمه واطلوا به وجهه ففعلوا به ذلك فقبل ثدى امه **ذكر**
انه اتى اليه بامراة من الخوارج فجعل يكلمها وهى لا تنظر اليه ولا ترد عليه كلاما
فقال لها بعض اعوانه يكلمك الامير وانت معرضة فقالت انى استحى انظر الى من لا
ينظر الله له فامر بها فقتلت **وقد** احصى الذى قتل بين يديه صبرا فبلغ مائة الف
وعشرين الفا ولما عزا سيدتنا اسما عبد الله بن عمر وامرها بالصبر قالت وما يمنعنى
من الصبر وقد اهدى راس يحيى بن زكريا الى بغى من بغايا بنى اسرائيل وقد جاء ان هذه
البغى اول من يدخل النار وقيل ان عبد الله بن الزبير قال لامه يوم قتل يا امه
انى مقتول من يومى هذا فلا يشتد حزنك وسلمى لامر الله فان ابنك لم يعمد لاتيان
منكر ولا عمل بفاحشة وفى كون عبد الله بن عمر تاخر موته عن ابن الزبير نظر فقد
قيل ان عبد الله بن عمر مات قبل ابن الزبير بثلاثة اشهر **وسبب** موته ان الحجاج
سفه عليه فقال له عبد الله انك سفيه مسلط فغيره ذلك عليه فامر الحجاج
شخصا ان يسم زج رمحه ويضعه على رجل عبد الله ففعل به ذلك فى الطواف
فمرض من ذلك اياما ومات ويذكر ان الحجاج دخل ليعوده فسأله عمن فعل
به ذلك وقال له قتلنى الله ان لم اقتله فقال له عبد الله لست بقاتل له قال
فلم قال لانك الذى امرته وقول عبد الله بن عمر للحجاج انك سفيه مسلط يشير
الى قول ابيه عمر رضى الله عنهما فانه لما بلغه ان اهل العراق حصبوا اميرهم اى
رجموه بالحجارة خرج غضبانا فصلى فسهى فى صلاته فلما سلم قال اللهم انهم
لبسوا على فالبس عليهم وعجل عليهم بالغلام الثقفى يحكم فيهم بحكم الجاهلية
لا يقبل من محسنهم ولا يتجاوز عن مسيئهم وكان قبل ذلك ان يولد الحجاج ثم
رايت فى تاريخ ابن كثير لما مات ابن الزبير واستقر الامر لعبد الملك بن مروان

بابيه عبد الله بن عمرو بوافقه ما في الدلايل للبيهقي ان ابن عمر وقف على ابن
الزبير وهو مصلوب وقال السلام عليك اباحبيب اما والله لقد كنت انهاك
عن هذا اما والله لقد كنت انهاك عن هذا اما والله لقد كنت انهاك عن هذا
اما والله ان كنت ما علمت صواما قواما وصولا للرحم ويذكر انه كان لعبد الله بن
الزبير مائة غلام لكل غلام منهم لغة لا يشاركه غيره فيها وكان يكلم كل واحد
منهم بلغته وهذا اغرب ما استغرب وهو انه ترجمان الواثق بالله من خلفا بني العباس
كان عارفا بالسن كثيرة حتى قيل انه يعرف اربعين لغة ويدري فيها وقد قال الحجاج
لعروة بن الزبير يوما في كلام جرى بينهما لا ام لك فقال الي تقول هذا وانا ابن
عجايز الجنة يعني جدته صفية وعمته خديجة وخالته عايشة وامه اسما وقال له
الحجاج يوما ليمتحن ما تقول في عبد الملك بن مروان فقال الرجل ما اقول في رجل
انت سيئة من سياته **وقد** اطلق سليمان بن عبد الملك لما ولي الخلافة من سجن
الحجاج سبعين الفا قد حبسهم للقتل ليس لواحد منهم ذنب يستوجب به الحبس
فضلا عن القتل وذكر انه كان يحبس الرجال مع النسا ولم يكن بحبسه بيوت الخلية
فكان الرجل يبول بجانب المراة والمراة تبول بجانب الرجل فتبدوا العورات
وكان يكل عشرة في سلسلة ويطعمهم خبز الدخن مخلوطا بالملح والرماد ومر
يوم جمعة فسمع استغاثة فقال ما هذا فقيل له اهل السجن يقولون قتلنا الحر
فقال قولوا لهم اخسيوا فيها ولا تكلمون فما عاش بعد ذلك الا اقل من جمعة
واخر من قتله الحجاج من التابعين سعيد بن جبير فلم يقتل بعد ابن جبير الا
رجلا واحدا **وقال** عمر بن عبد العزيز لو جات كل امة بفرعونها وجينا بالحجاج
لغلبناهم وقال سليمان بن عبد الملك لرجل من اخصا الحجاج بعد موت الحجاج
ابلغ الحجاج قعر جهنم فقال يا امير المومنين يجي الحجاج يوم القيمة بين ابيك
عبد الملك وبين اخيك هشام بن عبد الملك فضعه من النار حيث شيت
ومن غريب الاتفاق ما حكاه بعضهم قال مات رجل فلما وضع على مغتسله
استوى قاعدا وقال نظرت بعيني هاتين واهوى بيديه الى عينيه الحجاج وعبد
الملك في النار يسحبان بامعايهما والحجاج متاصل في الظلم فقد رايت بعضهم
حكى انه يقال في المثل اظلم من ابن الجلندي وهو المشار اليه بقوله تعالى وكان
وراهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا وانه من اجداد الحجاج بينه وبينه
سبعون جدا واستحلف الحجاج رجلا في امر فقال لا والذي انت بين يديه غدا
اذل مني بين يديك اليوم فقال والله اني يومئذ لذليل **واول** من ضرب الدراهم

في الاسلام

نون

في الاسلام الحجاج بامر عبد الملك بن مروان وكتب عليها قل هو الله احد الله الصمد
اي على احد وجهيها لا يرهم قل هو الله احد وعلى وجهها الثاني الله الصمد ولم
توجد الدراهم الاسلامية الا في زمن عبد الملك بن مروان وكانت الدراهم
قبل ذلك رومية وكسروية وفي زمن الخليفة المستنصر بالله وهو السابع والثلا
من خلفا بني العباس ضربت الدراهم وسماها النقرة وكانت كل عشرة بدينار
وذلك في سنة اربع وعشرين وستماية **فلما** دخل سليمان بن عبد الملك المدينة
سال هل بالمدينة احد ادرك احدا من الصحابة اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا ابو حازم فارسل اليه فلما دخل ساله فقال يا ابا حازم ما لنا
نكره الموت قال لانكم اخربتم اخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم ان تنتقلوا من العمران
الى الخراب فقال له وكيف القدوم على الله قال اما المحسن فكالغايب يقدم على اهله
واما المسي فكالابق يقدم على مولاه فبكى سليمان وقال يا ليت شعري ما لنا عند الله
قال اعرض عملك على كتاب الله تعالى فقال في اي مكان اجده فقال في قوله تعالى
ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم قال سليمان فاين رحمة الله قال قريب من
المحسنين قال فاي عباد الله اكرم قال اولوا المروة **وجا** اعرابي الى سليمان بن
عبد الملك هذا فقال يا امير المومنين اني اكلمك بكلام فاحتمله فان وراه ان
قبلته ما تحب فقال سليمان هاته يا اعرابي فقال الاعرابي اني اطلق لساني بما
خرست به الالسن تادية لحق الله انه قد اكتنفك رجال قد اسا والاختيار
لانفسهم وابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم وخافوك في الله
ولم يخافوا الله فيك فهم حرب للاخرة وسلم للدنيا فلا تامنهم على ما استخلفك
الله تعالى عليه فانهم لن يالوا بالامانة وانت مسيول عما اجترموا فلا تصلح
دنياهم بفساد اخرتك فان اعظم الناس عند الله غبنا من باع اخرته بدنيا
فقال له سليمان ما انت اعرابي فقد سللت لسانك وهو سيفك قال اجل يا امير
المومنين لك لا عليك **ولما** حج بالناس قال لولي عهده وولي عهده عمر بن عبد
العزيز الا ترى هذا الخلق الذي لا يحصي عددهم الا الله ولا يسع رزقهم غيره فقال
يا امير المومنين هولا رعيتك اليوم وهم غدا خصماوك عند الله فبكى سليمان
بكا شديدا ثم قال بالله استعين وقال يوما لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
حين اعجبه ما صار اليه من الملك يا عمر كيف ترى ما نحن فيه فقال يا امير
المومنين هذا سرور لولا انه غرور ونعيم لولا انه عديم وملك لولا انه هلك
وفرح لولا انه لو لم يعقبه ترح ولذات لو لم تقترن بافات وكرامة لو صحبتها

سلامته فبكى سليمان حتى اخضلت دموعه لحيته **وولاية** عمر بن عبد العزيز
بشرها جده لامه عمر بن الخطاب رضي الله عنه **فعنه** رضي الله عنه انه قال ان
من ولدي رجلا بوجهه شين وفي رواية علامة يملا الارض عدلا فكان ولده عمر
الله يقول كثيرا ليت شعري من هذا الذي من ولد عمر بن الخطاب في وجهه علامة
يملا الارض عدلا وفي رواية عنه كان يقول يا عجبا يزعم الناس ان الدنيا لا تنقضي
حتى يلي رجل من ال عمر يعمل بمثل عمل عمر قال بعضهم فاذا هو عمر بن عبد العزيز لان
امه ابنة عاصم بن عمر بن الخطاب **ومما** يوثر عن سليمان انه لما ولي الخلافة قام خطيبا
قال الحمد لله الذي ما شا صنع وما شا رفع ومن شا وضع ومن شا اعطى ومن شا منع
ان الدنيا دار غرور تضحك باكيا وتبكي ضاحكا وتخيف امنا وتومن خايفا
وقال في خطبة من خطبه ايضا ايها الناس ابن الوليد وابو الوليد وجد الوليد
اسمعهم الداعي واسرعت الحواري واضمحل ما كان كان لم يكن ذهبت عنهم
نابت الحياة وفارقوا القصور واستبدلوا بالين الوطا خشن التراب فهم رهنا
فيه الى يوم القيمة الماب فرحم الله عبدا امهد لنفسه يوم تجد كل نفس ما عملت
من خير محضرا **ولما** ولي الخلافة ابو جعفر المنصور اراد ان يبني الكعبة على ما بناها
ابن الزبير وشاور الناس في ذلك فقال له الامام مالك بن انس انشدك الله
اي بفتح الهمزة وضم الشين المعجمة اي اسالك بالله يا امير المومنين ان لا تجعل
هذا البيت ملعبة للملوك لا يشا احد منهم ان يغيره الا غيره فتذهب هيبته
من قلوب الناس فصرفه عن رايه فيه **قال** وذكر الطبري في مناسكه ان الذي
اراد ذلك ونهاه مالك هو الرشيد انتهى **اقول** وكونه الرشيد هو الذي
ذكره المقريزي واقتصر عليه ولان المنصور مات محرما ببير ميمونة لستة
ايام خلون من ذي الحجة فلم يدخل مكة وقد يقال يجوز ان يكون دخل مكة المدينة
قبل سيره الى مكة واستشار الناس في المدينة فقال له الامام مالك ما تقدم
وان الرشيد ايضا اراد ذلك واستشار الامام مالك فاشار عليه بما ذكر ثم
رايت في تاريخ ابن كثير لما كان في زمن المهدي بن المنصور استشار الامام
مالك في ردها اي الكعبة على الصفة التي بناها ابن الزبير فقال له اني اخشى
ان تتخذها الملوك ملعبة ورايت في كلام بعضهم ان المنصور حج وانه لما
قضى الحج والزيارة توجه الى زيارة بيت المقدس ولعل هذا كان في حج غير هذه
التي مات فيها ثم رايت في تاريخ ابن كثير ان المنصور حج وهو خليفة اربع
حجات التي مات فيها وكذا في القرى لقاصد ام القرى للطبري ذكر انه مات في

ذي الحجة الخامسة قبل يوم التروية بيومين وانه احرم في بعض حججه من بغداد
وقد ذكر الشيخ الصفوري ان المنصور بلغه ان سفيان الثوري ينقم عليه
في عدم اقامة الحق فلما توجه المنصور الى الحج وبلغه ان سفيان بمكة ارسل جماعة
امامه وقال لهم حيث ما وجدتم سفيان خذوه واصلبوه فنصبوا الخشب
ليصلبوا سفيان عليه وكان سفيان بالمسجد الحرام راسه في حجر الفضيل بن عياض
ورجلاه في حجر سفيان بن عيينة فقيل له خوفا عليه بالله لا تشمت بنا الاعدا فقم
فاختف فقام ومشى حتى وقف بالملتزم وقال ورب هذه الكعبة لا يدخلها يعني
مكة المنصور وكان وصل الى الحجون فزلقت به راحلته فوقع عن ظهرها ومات
من فوره فخرج سفيان وصلى عليه هذا كلامه وقد يقال لا مخالفة بين هذا وبين
ما تقدم انه مات ببير ميمونة لانه يجوز ان يكون المراد بوصوله الى الحجون وصول
خيله وركبه قليلا قبل **ثم رايت** في تاريخ ابن كثير ان المنصور لما خرج للحج وجاوز
الكوفة بمراحل اخذه وجعه الذي مات فيه وافرط به الاسهال ودخل مكة فنزل
بها وتوفي ولعل هذا لا يخالف ما سبق لانه يجوز انه اطلق مكة على المحل القريب منها
وان مع انطلاق بطنه زلقت به فرسه **قيل** واخر ما تكلم به المنصور اللهم
بارك لي في لقايك وما يوثر عنه ولي الناس بالعفو اقدرهم على العقوبة وانقص
الناس عقلا من ظلم من هو دونه والله اعلم **وتقدم** ان قصيا لما امر قريشا ان
تبني حول الكعبة بيوتها فبنت بيوتها من جهاتها الاربع وتركوا قدر المطاف واستمر
الامر على ذلك زمنه صلى الله عليه وسلم وزمن ابي بكر رضي الله عنه فلما ولي عمر
رضي الله تعالى عنه راى ان يوسع حول الكعبة فاشترى دورا وهدمها ووسع حول
الكعبة وبنى جدارا قصيرا على ذلك وجعل فيه ابوابا ثم وسعه عثمان ثم عبد
الله بن الزبير ثم ان عبد الملك بن مروان رفع الجدران وسقفه بالساج ثم ان
الوليد بن عبد الملك نقض ذلك ونقل اليه الاساطين الرخام وسقفه
بالساج المزخرف وازر المسجد بالرخام ثم زاد فيه المنصور وختم الحجر ثم زاد فيه
المهدي اولا وثانيا حتى صارت الكعبة في وسط المسجد وفي ايام المعتضد
ادخلت دار الندوة في المسجد وتسمى مكة فاران وتسمى قرية النمل لكثرة نملها
ولان الله سلط فيها النمل على العماليق لما اظهروا فيها الظلم حتى اخرجهم من
الحرم كما تقدم ولها اسما كثيرة قد افردها صاحب القاموس بمولف **اقول** وبلغني
عن الامام النووي انه ليس في البلاد اكثر اسما من مكة والمدينة والله اعلم
قال وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه خلقت الكعبة اي موضعها قبل الارض

بالتي سنة كانت خشفة على الماء عليها ملكان يسبحان الله فلما اراد الله تعالى أن
يخلق الخلق دحاها منها فجعلها في وسط الارض انتهى وسئل الجلال السيوطي
عن قوله تعالى ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض في ستة ايام هل
كانت ايام ثم موجودة قبل خلق السموات والارض فاجاب بان خلق
السموات والارض وخلق الايام كان دفعة واحدة من غير تقديم احدهما على الاخر
واستند في ذلك بانوار التفسير وفي الحديث ان الله حرم مكة قبل ان يخلق
السموات والارض الحديث وحينئذ فقوله صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم عليه
الصلاة والسلام حرم مكة معناه اظهر حرمتها **باب**
ما جاء من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن احبار اليهود وعن الرهبان من النصارى
وعن الكهان من العرب على السنة الجان وعلى غير السنتهم وما سمع من الهواتف
ومن بعض الوحوش ومن بعض الاشجار وطرد الشياطين عن استراق السمع عند
مبعثه بكثرة تساقط النجوم وما وجد من ذكره وذكر صفته في الكتب القديمة
وما وجد فيه اسمه مكتوبا من النبات والاحجار وغيرها **قال ابن اسحاق**
وكانت الاحبار من يهود والرهبان من النصارى والكهان من العرب قد تحدثوا
بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه لما تقارب زمانه **اما** الاحبار
من يهود والرهبان من النصارى فلما وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه
واما الكهان من العرب فجاءتهم الشياطين بما يسترق من السمع اذ كانت لا تحجب
عن ذلك كما حجبت عند الولادة والبعث وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع
منهما ذكر بعض اموره ولا تلقي العرب لذلك بالا حتى بعثه الله تعالى ووقعت
تلك الامور التي كانوا يذكرونها فعرفوها وهذا فيه تصريح بان الملائكة
كانت تذكره صلى الله عليه وسلم في السماء قبل وجوده **فاما** اخبار الاحبار من
اليهود فمنها ما تقدم ذكره ومنها ما جاء عن سلمة بن سلامة وكان من اصحاب
بدر قال **كان** جار من يهود بني عبد الاشهل فذكر عند قوم اصحاب اوثان ٥
القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار فقالوا له ويحك يا فلان
او ترى هذا كائنا ان الناس يبعثون بعد موتهم الى دار فيها جنة ونار يجزون
فيها باعمالهم قال نعم والذي يحلف به ويود اي الشخص ان له بحظه من تلك
النار اعظم تنور يحمونه ثم يدخلونه اياه فيطبقونه عليه بان ينجو من تلك
النار غدا فقالوا له ويحك وما اية ذلك قال نبي يبعث من نحو هذه البلاد
واشار بيده الى مكة واليمن قالوا فقالوا ومن يراه فنظر الي وانا من احدثهم سنا

فقال ان يستنفد اي يستكمل هذا الغلام عمره يدركه قال سلمة والله ما ذهب الليل
والنهار حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وهو اي ذلك اليهودي بين اظهرنا
فامنا به وكفر بغيا وحسدا فقلنا له ويحك يا فلان الست الذي قلت لنا فيه ما قلت
قال بلى ولكن ليس به **ومن** ذلك ما جاء عن عمرو بن عبسة السلمي رضي الله تعالى عنه
قال رغبت عن الهة قومي في الجاهلية اي ترك عبادتها قال فلقيت رجلا من اهل الكتاب
من اهل تيماء وهي قرية بين المدينة والشام ٥ فقلت اني امرؤ ممن يعبد الحجارة
فينزل الحي ليس معهم اله فيخرج الرجل منهم فياتي باربعة احجار فينصب ثلاثة لقدر
اي يستعين بها ويجعل احسنها الها يعبده ثم لعله يجد ما هو احسن منه شكلا قبل
ان يرتحل فيتركه ويأخذ غيره واذا نزل منزلا سواه ورأى ما هو احسن منه تركه
واخذ ذلك الاحسن فرأيت انه اله باطل لا ينفع ولا يضر فدلني على خير من هذا فقال يخرج
من مكة رجل يرغب عن الهة قومه ويدعو الى غيرها فاذا رأيت ذلك فاتبعه فانه
ياتي بافضل الدين فلم يكن لي همة منذ قال لي ذلك الا مكة اتي فاسال هل حدث
حدث فيقال لا ثم قدمت مرة فسالت فقيل لي رجل يرغب عن الهة قومه ويدعو
الى غيرها فشددت راحلتي برحلها ثم قدمت منزلي الذي كنت انزله بمكة فسالت
عنه فوجدته مستخفيا ووجدت قريشا عليه اشداء فتلطفت له حتى دخلت عليه
فسألته اي شيء انت قال نبي قلت ومن نباك قال الله قلت وبم ارسلك قال
بعبادة الله وحده لا شريك له وبحقن الدماء وبكسر الاوثان وصلة الرحم وأمان
السبيل فقلت نعم ما ارسلك به قد امنت بك وصدقتك اتامرني ان امكث
معك او انصرف فقال الا ترى كراهة الناس ما جئت به فلا تستطيع ان تمكث
كن في اهلك فاذا سمعت بي قد خرجت مخرجا فاتبعني فكنت في اهلي حتى خرج
الى المدينة سرت اليه فقدمت المدينة فقلت يا نبي الله اتعرفني قال نعم انت
السلمي الذي اتيتني بمكة **ومن** ما حدث به عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من
قومه قالوا انما دعانا الى الاسلام مع رحمة الله تعالى لنا وهداه ما كنا نسمع من
احبار يهود كنا اهل شرك اصحاب اوثان وكانوا اهل الكتاب عندهم علم ليس
لنا وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور فاذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا
قد تقارب زمان نبي يبعث الان نقتلكم قتل عاد وارم اي نستاصلكم بالقتل ٥
فكان كثيرا ما نسمع ذلك منهم فلما بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم
اتبعناه حين دعانا الى الله عز وجل وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به فبادرناهم
اليه فامنا به وكفروا ففي ذلك نزلت هذه الايات في البقرة ولما جاءهم

كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا
فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ومن ذلك ما حدث
به شيخ من بني قريظة قال ان رجلا من يهود من اهل الشام يقال له ابن الهيبان
اى الجبان قدم الينا قبل الاسلام بسنتين فحل بين اظهرنا والله ما راينا رجلا
قط لا يصلي الخمس افضل منه اى لا اظن احدا من غير المسلمين لان المسلمين يصلون
الخمس فلا افضلية لا زايدة فاقام عندنا فكنا اذا قحط المطر اى احتبس قلنا له اخرج
يا ابن الهيبان فاستسق لنا فيقول لا والله حتى تقدموا بين يدي نجواكم صدقة
فنقول له كم فيقول صاعا من تمر ومدين من شعير فنخرجها ثم يخرج بنا الى ظاهر حرتنا
فيستسقي لنا فوالله ما يبرح محله حتى يمر السحاب ونسقى قد فعل ذلك غير مرة اى
ولا مرتين ولا ثلاثة اكثر من ذلك ثم حضرته الوفاة عندنا فلما عرف انه ميت
قال يا معشر يهود ما ترونه اخرجني من اهل الخمر يا الخير وبا سكان الميم الشجر الملتف
والخمير الى الارض البوس والجوع فقلنا انت اعلم قال فانا قدمت هذه الارض
اتوكف اى اتوقع خروج نبي قد اظل زمانه اى اقبل وقرب كانه لقربه اظلهم اى
القى عليهم ظله وهذه البلد مهاجره وكنت ارجو ان يبعث فاتبعه فقد
اظلكم زمانه فلا تسبقن اليه يا معشر يهود فانه يبعث بسفك الدماء
وسبي الذراري والنساء ممن خالفه فلا يمنعكم ذلك منه فلما بعث الله رسوله
محمدا صلى الله عليه وسلم وحاصر بني قريظة قال لهم نفر من هدل بفتح الهاء وفتح الدال
المهملة وقيل بسكونها اخوة بني قريظة وهم ثعلبة بن سعية واسد بن سعية
ويقال اسيد بالتصغير واسد بن عبيد وكانوا شبانا احداثا يا بني قريظة والله
انه لهو بصفته فنزلوا واسلموا فاحرزوا دماءهم واموالهم واهليهم كما سياتي
قال ومن ذلك خبر العباس رضي الله تعالى عنه قال خرجت في تجارة الى اليمن في
ركب فيه ابو سفيان بن حرب فورد كتاب حنظلة بن ابي سفيان ان محمدا قايم في
الابطح يقول انا رسول الله ادعوكم الى الله ففشا ذلك في مجالس اهل اليمن فجاءنا
حبر من اليهود فقال بلغني ان فيكم عم هذا الرجل الذي قال ما قال قال العباس
فقلت نعم قال نشدتك الله هل كان لابن اخيك صبوة قلت لا والله
كذب ولا خان وما كان اسمه عند قريش الا الامين قال هل كتب بيده فاردت ان
ان اقول نعم فخشيت من ابي سفيان يكذبني ويرد علي فقلت لا يكتب فوثب الحبر
وترك رداءه وقال ذبحت يهود وقتلت يهود قال العباس فلما رجعنا الى منزلنا
قال ابو سفيان يا ابا الفضل ان يهود تفزع من ابن اخيك فقلت قد رايت

لعلك تؤمن به قال لا اومن به حتى ارى الخيل في كدا اى بالمد قلت ما تقول قال
كلمة جاءت على فمي الا اني اعلم الله لا يترك خيلا تطلع على كداء قال العباس
فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ونظر ابو سفيان الى الخيل قد طلعت من
كدا قلت يا ابا سفيان تذكر تلك الكلمة قال اى والله اني لاذكرها انتهى اى ومن
ذلك ما جاء عن امية بن ابي الصلت الثقفي قال لابي سفيان اني لاجد في الكتب صفة
نبي يبعث في بلادنا فكنت اظن اني هو وكنت اتحدث بذلك ثم ظهر لي انه من بني
عبد مناف فنظرت فلم اجد فيهم من هو متصف باخلاقه الا عتبة بن ربيعة
الا انه قد جاوز الاربعين ولم يوح اليه فعرفت انه غيره قال ابو سفيان فلما
بعث محمد قلت لامية فقال امية اما انه حق فاتبعه فقلت له فانت ما يمنعك
قال الحياء من نساء ثقيف اني كنت اخبرهن اني هو ثم اصير تبعا لفتى من بني عبد
مناف وسياتي ذلك با بسط مما هنا واما اخبار الرهبان من النصارى
فمنها ما تقدم ذكره قريبا ومنها خبر طلحة بن عبيد الله رضي الله تعالى عنه قال
حضرت سوق بصرى فاذا راهب في صومعته يقول سلوا اهل هذا الموسم هل فيكم
احد من اهل الحرم فقلت نعم انا قال هل ظهر احمد قلت ومن احمد قال ابن عبد الله بن
عبد المطلب هذا شهره الذي يخرج فيه اى الذي يبعث فيه وهو اخر الانبيا مخرجه
من الحرم ومهاجره الى نخل وحرة وسباخ فاياك ان تسبق اليه قال طلحة فوقع في
قلبي ما قال الراهب فلما قدمت مكة حدثت ابا بكر بذلك فخرج ابو بكر حتى دخل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فسر بذلك واسلم طلحة فاخذ نوفل بن
العدوية ابا بكر وطلحة فشدهما في حبل واحد فلذلك سميا القرينين انتهى اقول
يحتمل ان هذا الراهب هو بحيرا ويحتمل ان يكون نسطورا لان كلا منهما كان ببصرى كما
تقدم في سفره ويحتمل ان يكون غيرهما وهو اولى لما تقدم ان كلا من بحيرا ونسطورا
لم يدرك المبعث والله اعلم اى ومنها ما حدث به سعيد بن العاص بن سعيد
قال لما قتل ابي العاص يوم بدر كنت في حجر عمي ابان بن سعيد وكان كثير السب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فخرج تاجرا الى الشام فمكث سنة ثم قدم فاول شيء سال عنه ان
قال ما فعل محمد قال له عمي عبد الله بن سعيد هو والله اعز ما كان واعلاه فسكت ولم
يسبه كما كان يسبه ثم صنع طعاما وارسل الى سراة بني امية اى اشرافهم فقال لهم اني
كنت بقرية فرايت بها راهبا يقال له بكاء لم ينزل الى الارض بعد اربعين سنة
اى من صومعته فنزل يوما فاجتمعوا ينظرون اليه فجئت فقلت ان لي حاجة
فقال ممن الرجل فقلت انا رجل من قريش وان رجلا هناك خرج يزعم ان الله ارسله

قال ما اسمه قلت محمد قال منذ كم خرج فقلت عشرين سنة قال الا اصفه لك قلت
بلى فوصفه فما اخطا في صفته شيا ثم قال لي هو والله نبي هذه الامة والله ليظهرن
ثم دخل صومعته وقال لي اقرا عليه السلام وكان ذلك في زمن الحديبية اي
والحديبية سيأتي انها كانت سنة ست فالعشرون تقريب اي **ومنها**
ما حدث به حكيم بن حزام بالزاي رضي الله تعالى عنه قال دخلنا الشام لتجارة
قبل ان اسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فارسل الينا ملك الروم
فجئناه فقال من اي العرب انتم من هذا الرجل الذي يزعم انه نبي حكيم فقلت
يجمعني واياه الاب الخامس فقال هل انتم صادقي فيما اسالكم عنه فقلنا
نعم فقال انتم ممن اتبعه ام ممن رد عليه فقلنا ممن رد عليه وعاداه فسالنا
عن اشيا ما جا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرناه ثم نهض واستنهضنا
معه فاتى محلا في قصره ولم يفتحه وجا الى ستر فامر بكشفه فاذا صورة
فقال اتعرفون من هذه صورته قلنا لا قال هذه صورة آدم ثم تتبع ابوابها
فيفتحها ويكشف عن صور الانبيا ويقول لنا هذا صاحبكم فنقول لا فيقول لنا
هذه صورة فلان حتى فتح بابا وكشف عن صورة فقال اتعرفون هذا قلنا
نعم هذه صورة محمد بن عبد الله صاحبنا قال اتدرون متى صورت هذه الصورة
قلنا لا قال منذ اكثر من الف سنة وان صاحبكم لنبي مرسل فاتبعوه ولوددت
اني عبده فاشرب ما يغسل من قدميه **ووقع** نظير ذلك لجبير بن مطعم
رضي الله تعالى عنه وانه راى صورة ابي بكر آخذة بعقب تلك الصورة واذا
صورة عمر آخذة بعقب صورة ابي بكر فقال من ذا الذي اخذ بعقبه قلنا هو ابن
ابي قحافة قال فهل تعرف الذي اخذ بعقبه قلت نعم هو عمر بن الخطاب قال
ان هذا رسول الله وان هذا هو الخليفة بعده وان هذا هو الخليفة من
بعد هذا **ومنها** ما حدث به سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه قال كنت
رجلا فارسيا من اهل اصبهان من قرية يقال لها جي بفتح الجيم وتشديد اليا
اي وفي لفظ من قرى الاهواز يقال لها رامهرمز وفي لفظ ولدت برامهرمز وبها
نشأت واما ابي فمن اصبهان وكان ابي دهقان قريته اي كبير اهل قريته اي
وفي لفظ كنت من ابناء اساورة فارس وكنت احب خلق الله الى ابي لم يزل حبه
اياي حتى حبسني في بيت كما تحبس الجارية واجتهدت في المجوسية حتى كنت
قطن النار بفتح القاف وكسر الطاء المهملة ويروى بفتحها بمعنى قاطن خادمها
الذي يوقدها لا يتركها تخبو اي تطفا ساعة وكانت لابي ضيعة عظيمة فشغل

في بنيان

في بنيان له يوما فقال لي يا بني اني قد شغلت في بنيان هذا اليوم فاذهب اليها
وامرني فيها ببعض ما يريد ثم قال لي ولا تحتبس عني ان احتبست عني كنت اهم الي
من ضيعتي وشغلتني عن كل شي من امري فخرجت اريد ضيعته التي بعثني اليها
فمررت بكنيسة من كنائس النصارى فسمعت اصواتهم فيها وهم يصلون وكنت
لا ادري ما امر الناس لحبس ابي اياي في بيته فلما سمعت اصواتهم دخلت عليهم
انظر ماذا يصنعون فلما رايتهم اعجبتني صلاتهم ورغبت في امرهم وقلت
والله هذا خير من الذي نحن عليه فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس
وتركت ضيعة ابي فلم آتها ثم قلت اين اهل هذا الدين قالوا بالشام فرجعت
الى ابي وقد بعث في طلبي وشغلته عن عمله كله فلما جيته قال اي بني اين كنت
الم اكن عهدت اليك ما عهدت قلت يا ابت مررت بالناس يصلون في
كنيسة لهم فاعجبني ما رايته من دينهم فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس
قال اي بني ليس في ذلك الدين خير دينك ودين ابائك خير منه فقلت له
كلا والله انه لخير من ديننا قال فخافني اي خاف مني ان اهرب فجعل في رجلي قيدا
ثم حبسني في بيته وبعثت الى النصارى فقلت لهم اذا قدم عليكم ركب من الشام
فاخبروني بهم فقدم عليهم تجار من النصارى فاخبروني فقلت لهم اذا قضوا
حوائجهم وارادوا الرجعة اخبروني بهم فاخبروني بهم فالقيت الحديد من رجلي
ثم قدمت معهم الى الشام فلما قدمت قلت من اجل اهل هذا الدين علما قالوا
الاسقف في الكنيسة والاسقف بتخفيف الفا وتشديد ها هو عالم النصارى
ورئيسهم في الدين فجيته فقلت له اني قد رغبت في هذا الدين واحببت ان
اكون معك فاخدمك في كنيستك واتعلم منك واصلي معك قال ادخل فدخلت
معه فكان رجل سوء يامرهم بالصدقة ويرغبهم فيها فاذا جمعوا اليه اشيا منها
اكتنزها لنفسه لم يعطها المساكين حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق
فابغضته بغضا شديدا لما رايته يصنع ثم مات فاجتمعت النصارى ليدفنوه
فقلت ان هذا كان رجل سوء يامركم بالصدقة ويرغبكم فيها فاذا جيتموه بها
اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيا فقالوا وما علمك بذلك
قلت انا ادلكم على كنزه فاريتهم موضعه فاستخرجوا سبع قلال مملوة ذهبا
وورقا وفي رواية وجدوا ثلاثة قماقم فيها نحو نصف اردب فضة فلما راوها
قالوا والله لا ندفنه ابدا فصلبوه ورجموه بالحجارة اي ولم يصلوا عليه
صلاتهم مع ان هذا الراهب كان يصوم الدهر ولا ياكل شيا من الشهوات ومن

ثم قال في الفتوحات المكية اجمع اهل كل ملة على ان الزهد في الدنيا مطلوب وقالوا ان الفراغ من الدنيا احب لكل عاقل خوفا على نفسه من الفتنة التي حذرنا الله منها بقوله انما اموالكم واولادكم فتنة هذا كلامه قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني ومن فوائد الرهبان انهم لا يدخرون قوت الغد ولانهم يكنزون فضة ولا ذهبا قال ورايت شخصا قال لراهب انظر لي هذا الدينار من من ضرب اي الملوك فلم يرض وقال النظر الى الدنيا منهي عنه عندنا قال ورايت الرهبان مرة يسحبون شخصا ويخرجونه من الكنيسة ويقولون له انلفت علينا الرهبان فسالت عن ذلك فقالوا راوا على عمامته نصفا مربوطا فقلت لهم ربط الدرهم مذموم فقالوا عندنا وعند نبيكم هذا كلامه وعند ذلك جاوا برجل اخر فجعلوه مكانه فما رايت رجلا يصلي الخمس اراى انه افضل منه اي لا اظن احدا من المسلمين افضل منه ولا ازهد في الدنيا ولا ارغب في الاخرة ولا اداب ليلا ونهارا منه فاحببته حبا شديدا لم احبه شيا قبله فاقمت معه زمانا حتى حضرته الوفاة فقلت له يا فلان اني كنت معك واحببتك حبا لم احبه شيا قبلك وقد حضرك من الله ما ترى فالى من توصي قال اي بني والله ما اعلم احدا على ما كنت عليه ولقد هلك الناس وبدلوا وتركوا اكثر ما كانوا عليه الا رجلا بالموصل وهو فلان وهو على ما كنت عليه فلما مات وغيب اي دفن لحقت بصاحب الموصل فاخبرته خبري وما امرني به صاحبي فقال اقم عندي فاقمت عنده فوجدته على امر صاحبه فاقمت مع خير رجل فلما احتضر قلت له يا فلان ان فلانا اوصى بي اليك وامرني باللحوق بك وقد حضرك من امر الله ما ترى فالى من توصي بي وبم تامرني قال يا بني والله ما اعلم رجلا على مثل ما كنا عليه الا رجلا بنصيبين وهو فلان فالحق به فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين فاخبرته خبري وما امرني به صاحبي فقال اقم عندي فاقمت عنده فوجدته على امر صاحبيه فاقمت مع خير رجل فوالله ما لبث ان نزل به الموت فلما احتضر اي حضرته الملائكة لقبض روحه قلت له يا فلان ان فلانا اوصى بي الى فلان ثم ان فلانا اوصى بي اليك فالى من توصي بي والى من تامرني قال يا بني والله لا اعلم بقي احد على امرنا امرك ان تاتيه الا رجلا بعمورية من ارض الروم فانه على مثل ما نحن عليه فان احببت فاته فلما مات وغيب اي دفن لحقت بصاحب عمورية واخبرته خبري فقال اقم عندي فاقمت عند خير رجل على هدي اصحابه وامرهم فاكتسبت حتى كانت لي بقرات وغنيمة ثم نزل به امر الله تعالى

فلما

فلما احتضر قلت له يا فلان اني كنت مع فلان فاوصى بي الى فلان ثم اوصى بي فلان الى فلان ثم اوصى بي فلان اليك فالى من توصي بي وبم تامرني قال اي بني والله ما اعلم اصبح على ما كنا عليه احد من الناس امرك ان تاتيه الا نبي قد اظل اي اقبل وقرب زمانه نبي مبعوث يخرج من ارض العرب مهاجره الى ارض بين حرتين بينهما نخل به علامات ياكل الهدية ولا ياكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة فان استطعت ان تلحق بتلك البلاد فافعل ثم مات وغيب اقول وهذا السياق يدل على ان الذين اجتمع بهم من النصارى على دين عيسى اربعة وفي كلام السهيلي انهم ثلاثون وفي التوراة انهم بضعة عشر وان هذا اظهر والله اعلم قال سلمان ثم مر بي نفر من كلب تجار فقلت لهم احملوني الى ارض العرب واعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه فقالوا نعم فاعطيتموها اي اعطيتهم اياها وحملوني معهم اذا بلغوا بي وادي القرى وهو محل من اعمال المدينة المنورة ظلموني فباعوني من رجل يهودي فكنت عنده فرايت النخل فرجوت ان تكون البلدة التي وصف لي صاحبي ولم يحق عندي اي لم اتحقق ذلك فبينما انا عنده اذ قدم عليه ابن عم له من بني قريظة من المدينة فابتاعني منه فحملني الى المدينة فوالله ما هو الا ان رايتها فعرفتها اي تحقيقا بصفة صاحبي فاقمت بها وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم واقام بمكة ما اقام لا اسمع له بذكر مع ما انا فيه من شغل الرق ثم هاجر الى المدينة فوالله اني لفي عذق اي نخلة لسيدي اعمل له فيه بعض العمل وسيدي جالس تحتي اذ اقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال قاتل الله بني قيلة اي الاوس والخزرج لان قيلة امهما فقد جا ان الله اهدى باشد العرب الناوادرها يا بني قيلة الاوس والخزرج والله انهم الان لمجتمعون بقبا بالمد والقصر وربما قيل قباة بتا التانيث والقصر على رجل قدم من مكة اليوم يزعمون انه نبي فلما سمعتها اخذتني العروا وهي الحمى النافض اي الرعدة والبرحا اي الصالب حتى ظننت اني ساقط على سيدي فنزلت عن النخلة فجعلت اقول لابن عمه ذلك ما تقول فغضب سيدي ولكمني لكمة شديدة ثم قال ما لك ولهذا اقبل على عملك فقلت لا شيء انما اردت ان استثبته فيما قال وقد كان عندي شيء جمعته اي وهو يحتمل لان يكون تمرا ولان يكون رطبا فلما امسيت اخذته ثم ذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقبا فدخلت عليه فقلت له انه قد بلغني انك رجل صالح ومعك اصحاب لك غربا ذوو حاجة وهذا شيء كان عندي للصدقة فرايتكم احق به من غيركم فقربته اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه كلوا وامسك يده فلم ياكل فقلت في نفسي هذه واحدة اي ومن ثم لما اخذ الحسن بن علي رضي الله تعالى عنه

وهو طفل تمرة من تمر الصدقة ووضعها في فيه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
كخ كخ اما تعرف انا لا ناكل الصدقة رواه مسلم وروى انه صلى الله عليه وسلم قال
اني لا نقلب الى اهلي فاجد التمرة ساقطة على فراشي ثم ارفعها لاكلها ثم اخشى ان تكون
صدقة فالقيها ووجد صلى الله عليه وسلم تمرة فقال لولا ان تكون من الصدقة
لاكلتها وقال ان الصدقة لا تنبغي لال محمد انما هي اوساخ الناس وفي رواية ان هذه
الصدقات انما هي اوساخ الناس وانها لا تحل لمحمد ولا لال محمد والراجح من مذهبنا حرمة
الصدقتين عليه صلى الله عليه وسلم وحرمة صدقة الفرض دون النفل على اله وقال
الثوري لا تحل الصدقة لال محمد لا فرضها ولا نفلها ولا لمواليهم لان مولى القوم منهم
بذلك جا الحديث قال سلمان ثم انصرفت عنه فجمعت شيئا هو ايضا يحتمل لان
يكون تمرا ولان يكون رطبا وتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ثم جئته
فقلت اني رايتك لا ناكل الصدقة وهذه هدية اكرمتك بها فاكل رسول الله صلى
الله عليه وسلم وامر اصحابه فاكلوا معه فقلت في نفسي هاتان ثنتان اي وهي ثم روى
مسلم كان اذا اتي بطعام سال عنه فان قيل هدية اكل منها وان قيل صدقة لم ياكل
منها قال سلمان ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ببقيع الغرقد وقد تبع
جنازة رجل من اصحابه اي وهو كلثوم بن الهدم الذي نزل عليه النبي صلى الله عليه وسلم
بقباء لما قدم المدينة قيل وهو اول من دفن به وقيل اول من دفن به اسعد بن
زرارة وقيل اول من دفن به عثمان بن مظعون وجمع بان اول من دفن به قبل المهاجرين
عثمان اي وقد مات في ذي الحجة من السنة الثانية من الهجرة واول من دفن به
من الانصار كلثوم او اسعد اي وفي الوفيات لابن زبر مات كلثوم ثم من بعده ابو
امامة اسعد بن زرارة في شوال من السنة الاولى من الهجرة ودفن بالبقيع هذا
كلامه ولم يذكروا الوقت الذي مات فيه كلثوم وفي النور عن الطبري انه مات بعد
قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة بايام قليلة ٥ واول من مات من الانصار
البراء بن معرور ومات قبل قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة بشهر ولما حضره
الموت اوصى ان يدفن ويستقبل به الكعبة ففعلوا به ذلك ولما قدم رسول الله صلى
الله عليه وسلم المدينة صلى على قبره هو واصحابه وكبر اربعا ولم اقف على محل دفنه وقولهم
ان اول من دفن بالبقيع كلثوم يدل على ان البراء لم يدفن بالبقيع الا ان يراد الاولية
بعد قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة والظاهر ان هذه اول صلاة صليت على
القبر قال سلمان وكان عليه صلى الله عليه وسلم شملتان وهو جالس في اصحابه
فسلمت عليه ثم استدبرت انظر الى ظهره هل ارى الخاتم الذي وصف لي فالقى الرداء

عن ظهره فنظرت الى الخاتم فعرفته فاكببت عليه اقبله وابكي فقال لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم ... بين يديه فقصصت عليه حديثي قال ابن عباس
فاراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يسمع ذلك اصحابه وفي شواهد النبوة لما جاء
سلمان الى النبي صلى الله عليه وسلم لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم كلامه فطلب
ترجمانا فاتي بتاجر من اليهود وكان يعرف الفارسية والعربية فمدح سلمان النبي
صلى الله عليه وسلم وذم اليهود بالفارسية فغضب اليهودي وحرف الترجمة
فقال للنبي صلى الله عليه وسلم ان سلمان يشتمك فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا
الفارسي جا ليهودينا فنزل جبريل وترجم كلام سلمان فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك اي الذي ترجمه له جبريل لليهودي فقال اليهودي يا محمد ان كنت تعرف الفا
رسية فما حاجتك الي فقال صلى الله عليه وسلم ما كنت اعلمها قبل والان علمني جبريل اوكما
قال فقال اليهودي يا محمد قد كنت قبل هذا اتهمك والان تحقق عندي انك رسول
الله فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك رسول الله ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم
يا جبريل علم سلمان الفارسية فقال له ليغمض عينيه ويفتح فاه ففعل سلمان فتفل
جبريل في فيه فشرع سلمان يتكلم بالعربي الفصيح وهذا السياق يدل على ان ذلك
كان عند مجيئه في هذه المرة الثالثة وحينئذ يشكل بمجيئه اولا وثانيا وقوله
ما تقدم بالعربية بخلاف حكاية حاله لكنه قد يقال لمن يحسن ان يعبر عنه بالعربية
قال وقد وردت روايات عن سلمان الفارسي في الذي جاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم
اولا وثانيا فالرواية الاولى المتقدمة ظاهرها ما يقتضي انه تمر انتهى اي وفيه
ما اي ان ظاهرها ذلك بل هي محتملة وقد جاء التصريح بكونه تمرا في الاولى والثانية
ففي بعض الروايات فسالت سيدي ان يهب لي يوما ففعل فعملت في ذلك اليوم
على صاع او صاعين من تمر جئت به النبي صلى الله عليه وسلم فلما رايته لا ياكل
الصدقة سالت سيدي ان يهب لي يوما اخر فعملت فيه على ذلك اي على صاع
او صاعين من تمر ثم جئت به النبي صلى الله عليه وسلم فقبله واكل منه اي
والذي في كلام السهيلي قال سلمان كنت عبد الامراة فسالت سيدتي ان تهب
لي يوما الحديث وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز ان يكون عبد سيدته زوجة سيده
لانه يقال لها سيدة في المتعارف بين الناس او ان المراة هي التي اشترته
ويؤيده ما ياتي وزوج تلك المراة يقال له في المتعارف بين الناس سيد قال
وقيل ان الذي جاء به اولا وثانيا رطب وفي رواية احتطبت حطبا فبعته واشتريت
بذلك طعاما والطعام خبز ولحم وفي رواية جئت بمائدة عليها رطب وفي رواية عليها

رسيه

رطب وجمع بانه اولا قدم الخبز واللحم الذي هو البسط والتمر ثم قدم الرطب فلم يعد
المقدم وفي مسند الامام احمد ان المرات ثلاث وانه المقدم انتهى اقول تقديم
الرطب في المرة الثانية لا ينافي انه في المرة الاولى كان تمرا والله اعلم ثم شغل سلمان
الرق حتى فاته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر واحد فكان اول مشاهده
الخندق كما سيأتي وكان بعد ذلك يقال له سلمان الخير وكان معدودا من اخصائه
صلى الله عليه وسلم قال سلمان ثم قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب يا سلمان
فكاتبت صاحبي على ثلثمائة نخلة اي ودية على وزن فعيلة وهي النخلة الصغيرة
التي يقال لها الفسيلة احييها له بالتفقير بالفاء ثم القاف اي الحفر اي ومن
ثم قيل للبير الفقير اي احفر لها واغرسها بتلك الحفرة وتصير حية بتلك الحفرة
اي واتعهدها الى ان تثمر ه والودية والفسيلة هي النخلة الصغيرة التي جرت
العادة بان تنقل من المحل الذي نبتت فيه الى محل اخر لكن في كلام بعضهم
اذا خرجت النخلة من النواة قيل لها غريسة ثم يقال لها ودية ثم فسيلة ثم اشاة
فاذا فاتت اليد فهي جبارة ويقال للنخلة الطويلة عوانة بلغة عمان وفي الحديث
ان قامت الساعة وبيد احدكم فسيلة فاستطاع ان يغرسها قبل ان يقوم فليغرسها
وعلى اربعين اوقية من ذهب كما سيأتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعينوا
اخاكم فاعانوني بالنخل الرجل بثلثين والرجل بعشرين ودية والرجل بخمسة
عشر والرجل بقدر ما عنده حتى اجتمعت لي ثلثمائة ودية قال سلمان فقال لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب يا سلمان ففقر اي بالفاء وفي رواية فنقر
اي بالنون اي احفر لها فاذا فرغت فائتني اكن انا اضعها بيدي ففقرت
وفي رواية فنقرتها واعانني اصحابي حتى اذا فرغت جئته صلى الله عليه وسلم
فاخبرته فخرج معي اليها فجعلنا نقرب اليه الودي فيضعه رسول الله صلى الله
عليه وسلم بيده فما مات منها ودية واحدة فاديت النخل وبقي علي المال فاتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل بيضة الدجاجة اي وفي رواية مثل بيضة
الحمامة من ذهب من بعض المعادن ولعل هذه البيضة كانت مترددة بين
بيضة الدجاجة وبين بيضة الحمامة اي اكبر من بيضة الحمامة واصغر من بيضة
الدجاجة فاختلف فيها التشبيه فقال ما فعل الفارسي المكاتب فدعيت له
فقال خذ هذه فادها مما عليك يا سلمان اي تكون بعضا مما عليك وحينئذ
قد يتوقف في جواب سلمان بقوله فقلت واين تقع هذه يا رسول الله مما علي لان الشيء
يؤدي بعضه وان قل ذلك البعض الا ان يقال العادة قاضية بان ذلك

الشيء لا يقبل الا اذا كان وقع بالنسبة للكل وقد ذكر صلى الله عليه وسلم الرد على
سلمان بان هذا الذي قلت فيه انه لا يحسن ان يكون بعضا مما عليك يؤدي
الله به عنك جميع ما عليك حيث قال خذها فان الله سيؤدي عنك فاخذتها
فوزنت لهم منها والذي نفس سلمان بيده اربعين اوقية فاوفيتهم حقهم اي وبقي
عندي مثل ما اعطيتهم قال وهذا اي الرد سؤال سلمان وجوابه صلى الله عليه وسلم
كالصريح في ان الاواقي التي كاتب عليها كانت ذهبا لا فضة وقد جاء اي ما يدل على
ذلك في بعض الروايات ان سلمان لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم واين تقع هذه
مما علي فقلبها على لسانه ثم قال خذها فاوفيتهم منها وايضا اي ما يدل على ذلك
ايضا ان من المعلوم ان قدر بيضة الدجاجة من الذهب لا تعدل اكثر من اربعين
اوقية من الفضة انتهى اي فلا يحسن قول سلمان واين تقع هذه مما علي وقد صرح بذلك
اي بكونها ذهبا البلاذري والقاضي عياض في الشفا فقال على اربعين اوقية
من ذهب والى القصة اشار صاحب الهمزية بقوله ه

وبقدر بيضة من نضار ... دين سلمان حين حان الوفاء
كان يدعى قنا فاعتق لما ... اينعت من نخيله الاقناء
افلا تعذرون سلمان لما ... ان عرته من ذكره العرواء

اي وفي قدر بيضة من بيض الدجاج او الحمام من ذهب دين سلمان وهو اربعون
اوقية من ذهب حين قرب وفاء دينه منها وبقي عنده منها قدر ما اعطاهم وسبب
هذا الدين على سلمان انه كان يدعى قنا اي رقا بالباطل كما تقدم فكوتب على ذلك
وعلى ان يغرس تلك النخيل ويتعهدها الى ان تثمر واعتق باداء هذا الدين حين
اينعت العراجين من نخيله التي غرسها اي غرست له افلا ترون لسلمان عذرا يمنعكم
من ايذائه حين ان غشيته قوة الحمى من اجل سماع ذكره صلى الله عليه وسلم قال
سلمان وشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق ثم لم يفتني معه مشهد
وعن بريدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى سلمان اي كان سببا لشرائه
اي مكاتبته من قوم اليهود بكذا وكذا درهما على ان يغرس لهم كذا وكذا من النخل
يعمل فيها سلمان حتى تدرك فغرس رسول الله صلى الله عليه وسلم النخل كله الا
نخلة غرسها عمر فاطعم النخل كله الا تلك النخلة التي غرسها عمر فاطعم النخل كله
الا تلك النخلة كله الا نخلة عمر التي غرسها عمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من غرسها قالوا عمر فقلعها وغرسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فاطعمت
من عامها وذكر البخاري ان سلمان غرس بيده ودية واحدة وغرس رسول الله صلى

الله عليه وسلم سايرها فعاشت كلها الا التي غرسها سلمان قال ويجوز ان يكون كل
من سلمان وعمر غرس هذه النخلة احدهما قبل الاخر انتهى اقول وهذا الحائط الذي
غرس فيه لسلمان حوائط بني النضير وقد آل اليه صلى الله عليه وسلم كما سيأتي
ولا يخفى ان قول صاحب الهمزية كان يدعى قنا انه لم يرق حقيقة وقد تقدم ثم ذلك
وفيه انه لو لم يرق حقيقة لما اقره على الرق وامره صلى الله عليه وسلم بالكتابة
وادى عنه وكونه فعل ذلك تطييبا لخاطر سادته بعيد فليتامل فان قيل
اذا رق حقيقة كيف جاز له صلى الله عليه وسلم ايثار اصحابه ان يأكلوا ما جاء به
صدقة ويأكل هو وهم ما جاء به هدية والرقيق لا يملك وان ملكه سيده على الاصح عندنا
معاشر الشافعية بل وعند باقي الائمة قلنا يجوز ان يكون الرقيق كان في صدر
الاسلام يملك ما ملكه له سيده ثم نسخ ذلك على ان بعض اصحابنا ذهب الى صحة
وفي كلام السهيلي وذكر ابو عبيد ان حديث سلمان حجة على من قال ان العبد
لا يملك هذا كلامه او انه صلى الله عليه وسلم لم يعلم رقه حينئذ لان الاصل في الناس
الحرية ولعدم تحقق رق سلمان وعدم مجيء مكاتبه على قواعد بستان يسند لو
عمل مشروعية الكتابة بقصة سلمان وفي كلام السهيلي ان في خبر سلمان من الفقه
قبول الهدية وترك سؤال المهدي وكذلك الصدقة وفي الحديث من قدم اليه
الطعام فليأكل ولا يسأل والله اعلم وعن سلمان انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
حين اخبره بالقصة المتقدمة زاد ان صاحب عمورية قال له ائت كذا وكذا من
ارض الشام فان بها كل سنة من هذه الغيضة الى هذه
الغيضة مستجيزا يعترضه ذووا الاسقام فلا يدعو لاحد منهم الا شفي فاسأله
عن هذا الدين فهو يخبرك به قال سلمان فخرجت حتى جئت حيث وصف لي فوجدت
الناس قد اجتمعوا بمرضاهم هناك حتى خرج لهم تلك الليلة مستجيزا من احدى
الغيضتين الى الاخرى فغشيه الناس بمرضاهم لا يدعو لمريض الا شفي وغلبوني
عليه فلم اخلص حتى دخل الغيضة التي يريد ان يدخلها الا منكبه فتناولته فقال
من هذا والتفت الي فقلت يرحمك الله اخبرني عن الحنيفية دين ابراهيم
فقال انك لتسأل عن شيء ما يسأل عنه الناس اليوم قد اظلك نبي يبعث بهذا
الدين من اهل الحرم فأته فانه يحملك عليه ثم دخل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لئن كنت صدقتني لقد لقيت عيسى بن مريم والغيضة الشجر الملتف قال السهيلي
هذا الحديث مقطوع وفيه رجل مجهول ويقال ان الرجل هو الحسن بن عمارة وهو
ضعيف بالاجماع منهم وان صح هذا الحديث فلا نكارة في متنه فقد ذكر الطبري

ان المسيح

ان المسيح عليه السلام نزل بعد ما رفع وامه وامراة اخرى اي كانت مجنونة فابراها
المسيح عند الجذع الذي فيه الصليب يبكيان فاهبط اليهما فكلمهما وقال لهما
علام تبكيان فقالا عليك فقال اني لم اقتل ولم اصلب ولكن الله رفعني واكرمني
واخبرهما ان الله اوقع شبهه على الذي صلب وارسل الى الحواريين اي قال لامه
ليلاقيه الحواريون ذلك الموضع فاذا الجبل قد اشتعل نورا لنزوله فيه ثم امرهم
ان يدعوا الناس الى دينه وعبادة ربهم ووجههم الى الامم واذا جاز ان ينزل مرة
جاز ان ينزل مرارا لكن لا نعلم انه هو الا حقيقة حتى ينزل النزول الظاهر فيكسر
الصليب ويقتل الخنزير كما جاء في الصحيح هذا كلامه وقد روي انه اذا نزل
تزوج امراة من جذام قبيلة باليمن ويولد له ولدان يسمى احدهما محمدا والاخر موسى
يمكث اربعين سنة وقيل خمسة واربعين سنة وقيل سبع سنين كما في مسلم
وقيل ثمان وقيل تسع وقيل خمس اي وجمع بانه يكون مدة مكثه اربعين سنة
وبين كونها سبع سنين اي وما بعد ذلك فان المراد بالاول مجموع لبثه في الارض
قبل الرفع وبعده والسبعة اي وما بعدها من الاقوال يكون بعد نزوله ويدفن اذا
مات في روضة النبي صلى الله عليه وسلم قال وقيل في حجرته صلى الله عليه وسلم
اي عند قبره وقيل في بيت المقدس انتهى اي وقيل يدفن معه صلى الله عليه وسلم
في قبره ويؤيده ما ورد ويدفن معي في قبري فاقوم انا وعيسى من قبر واحد بين ابي
بكر وعمر اقول ولا يقتل عيسى عليه الصلاة والسلام الخنزير بل يقتل الدجال
فقد جاء ينزل عيسى حكما مقسطا يحكم بشرعنا يقتل الدجال ونزوله يكون عند
صلاة الفجر فيصلي خلف المهدي بعد يقول له المهدي تقدم يا روح الله فيقول
له تقدم فقد اقيمت لك وفي رواية ينزل بعد شروع المهدي في الصلاة فيرجع
المهدي القهقرى ليتقدم عيسى فيضع يده بين كتفيه ويقول له تقدم فاذا
فرغ من الصلاة اخذ حربته وخرج خلف الدجال فيقتله عند باب لد الشرقي وورد
ان المهدي يخرج مع عيسى فيساعده على قتل الدجال وقد جاء ان المهدي من عترة
النبي صلى الله عليه وسلم من ولد فاطمة قيل من ولد الحسين وقيل من ولد الحسن
وقيل من ولد عمه العباس فعن ابن عباس رضي الله عنهما ان امه ام الفضل
مرت به صلى الله عليه وسلم فقال انك حامل بغلام فاذا ولدتيه فأتيني به قالت
فلما ولدته اتيته به فاذن في اذنه اليمنى واقام في اليسرى والباه اي سقاه
اللبأ من ريقه وسماه عبد الله وقال اذهبي بابي الخلفاء فاخبرت العباس
فاتاه فذكر له فقال هو ما اخبرتك هذا ابو الخلفاء حتى يكون منهم السفاح حتى

يكون منهم المهدي اى الخليفة وهو ابو الرشيد بدليل قوله حتى يكون منهم من يصلي
بعيسى بن مريم اى وهو المهدي الذي يأتي في اخر الزمان اسمه محمد بن عبد الله لو لم يبق
من الدنيا الا يوما واحدا وفي رواية الا ليلة واحدة يطول الله ذلك حتى يبعث
وظهوره يكون بعد ان يكسف القمر في اول ليلة من رمضان وتكسف الشمس في النصف
منه فان مثل ذلك لم يوجد منذ خلقت السموات والارض عمره عشرون سنة وقيل
اربعون سنة ووجهه كوكب دري على خده الايمن خال اسود يخرج في زمان الدجال
وينزل في زمانه عيسى بن مريم واما ما ورد لا مهدي الا عيسى بن مريم فلا ينافي ذلك
لجواز ان يكون المراد لا مهدي كاملا معصوما الا عيسى عليه السلام فقد جاء لن
تهلك امة انا اولها وعيسى بن مريم اخرها والمهدي من اهل بيتي في وسطها وعن
العباس رضي الله عنه قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال انظر هل ترى
في السما من شئ قلت نعم قال ما ترى قلت الثريا قال اما انه سيملك هذه الامة
بعددها من صلبك اي وقد اختلف الناس في عددها المرئي فقيل سبعة
انجم وقيل تسعة وجمعنا بينهما بان الاول يكون هو المرئي لغالب الناس ولو غير
حديد البصر والثاني لمن يكون حديد البصر منهم واما المرئي له صلى الله
عليه وسلم فقيل كان احد عشر نجما وقيل اثنى عشر نجما وجمعنا بينهما بحمل الاول
على ما اذا لم يمعن النظر والثاني على ما اذا امعن النظر وحينئذ يقتضي
هذا ان يكون الخلفاء من بني العباس اثنى عشر وعن سعيد بن جبير سمعت ابن عباس يقول
يكون منا ثلاثة اهل البيت السفاح والمنصور والمهدي ورواه الضحاك عن
ابن عباس مرفوعا والمهدي في هذه الرواية يحتمل ان المراد به ابو الرشيد ويحتمل ان يكون
المنتظر وروى ابو نعيم بسند ضعيف انه صلى الله عليه وسلم خرج فتلقاه العباس
فقال الا ابشرك يا ابا العباس قال بلى يا رسول الله قال ان فتح بي هذا الامر وبذريتك
يختم وفي رواية ويختمه بولدك وقد افردت ترجمة المهدي المنتظر بالتاليف
في مجلد حافل سماه مؤلفه العواصم عن الفتن وقد رويت قصة سلمان على غير هذا
الوجه الذي تقدم فعنه قال كان لي اخ اكبر مني وكان يتقنع بثوبه ويصعد الجبل
يفعل ذلك غير ما مرة متنكرا فقلت له اما انك تفعل كذا وكذا فلم لا تذهب بي
معك متنكرا فقلت له اما انك قال انت غلام واخاف ان يظهر منك شئ قلت
لا تخف قال ان في هذا الجبل قوما لهم عبادة وصلاح يذكرون الله ويذكرون الاخرة
ويزعمون انا على غير دين قلت فاذهب بي معك اليهم قال حتى استامرهم فاستامرهم
فقالوا جئ به فذهبت فانتهيت اليهم فاذا هم ستة او سبعة وكان الروح قد

خرجت

خرجت منهم من العبادة يصومون النهار ويقومون الليل يأكلون الشجر
وما وجدوا فقعدنا اليهم فحمدوا الله واثنوا عليه وذكروا من مضى من الرسل
والانبيا حتى خلصوا الى عيسى بن مريم قالوا ولد بغير ذكر وبعثه الله رسولا
وسخر له ما كان يفعل من احيا الموتى وخلق الطير وابرا الاعمى والابرص فكفر
به قوم وتبعه قوم ثم قالوا يا غلام ان لك ربا وان لك معادا وان بين ذلك
جنة ونارا اليهما تصير وان هؤلاء القوم الذين يعبدون النيران اهل كفر
وضلال لا يرضى الله بما يصنعون وليسوا على دين ثم انصرفنا ثم عدنا اليهم
فقالوا مثل ذلك واحسن فانتصرت ثم اطلع عليهم الملك فامرهم بالخروج من بلاده
فقلت ما انا بمفارقكم فخرجت معهم حتى قدمنا الموصل فلما دخلوا حفوا بهم
ثم اتاهم رجل من كهف جبل فسلم وجلس فحفوا به فقال لهم اين كنتم فاخبروه
قال ما هذا الغلام معكم فاثنوا علي خيرا واخبروه باتباعي اياهم فلم ار مثل
اعظامهم له فحمد الله واثنى عليه ثم ذكر من ارسل الله من رسله وانبيائه وما
لقوا وما صنع بهم حتى ذكر عيسى بن مريم ثم وعظهم وقال اتقوا الله والزموا ما جا
به عيسى ولا تخالفوا فيخالف بكم ثم اراد ان يقوم فقلت ما انا بمفارقك فقال يا غلام
انك لا تستطيع ان تكون معي اني لا اخرج من كهفي هذا الا كل يوم احد قلت ما
انا بمفارقك فتبعته حتى دخل الكهف فما رايته نائما ولا طاعما الا راكعا وساجدا الى
الاحد الاخر فلما اصبحنا خرجنا واجتمعوا اليه فتكلم نحو المرة الاولى ثم رجع الى كهفه
ورجعت معه فلبثت ما شاء الله ان يخرج في كل يوم احد ويخرجون اليه ويعظهم
ويوصيهم فخرج في احد فقال مثل ما كان يقول ثم قال يا هؤلاء اني قد كبر سني ورق عظمي
وقرب اجلي واني لا عهد لي بهذا البيت يعني بيت المقدس منذ كذا وكذا سنة
فلا بد لي من اتيانه فقلت ما انا بمفارقك فخرج وخرجت معه حتى اتينا الى بيت
المقدس فدخل وجعل يصلي وكان فيما يقول لي يا سلمان ان الله سوف يبعث
رسولا اسمه احمد يخرج من جبال تهامة علامته ان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة
بين كتفيه خاتم النبوة وهذا زمانه الذي يخرج فيه قد تقارب فاما انا فشيخ
كبير لا احسبني ادركه فان ادركته انت فصدقه واتبعه فقلت وان امرني بترك
دينك وما انت عليه قال وان امرك ثم خرج من بيت المقدس وعلى بابه مقعد
فقال له ناولني يدك فناوله يده فقال له قم باسم الله فقام كانما نشط من عقال
فقال لي المقعد يا غلام احمل علي ثيابي حتى انطلق فحملت عليه ثيابه فذهب الرا هب
وذهبت في اثره اطلبه كلما سالت عنه قالوا امامك حتى لقيني ركب من كلب

فسألتهم فلما سمعوا النعت اناخ رجل بعيره وحملني عليه فحملني خلفه حتى اتوا بي
بلادهم فباعوني فاشترتني امرأة من الانصار فجعلتني في حائط لها اي بستان
وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرت به فاخذت شيئا من تمر حائطي
ثم اتيته فوجدت عنده اناسا فوضعته بين يديه فقال ما هذا قلت صدقة قال للقوم
كلوا ولم يأكل هو ثم لبثت ما شاء الله ثم اخذت مثل ذلك ثم اتيته فوجدت
عنده اناسا فوضعته بين يديه فقال ما هذا فقلت هدية قال بسم الله وأكل وأكل
القوم فقلت في نفسي هذه من اياته ويحتاج للجمع بين هذه الرواية وما تقدم
على تقدير صحتهما وفي الدر المنثور ان امرأة من جهينة اشترته وصار يرعى غنما
لها فبينا هو يوما يرعى اذ اتاه صاحبه فقال له اشعرت انه قد قدم اليوم المدينة
رجل يزعم انه نبي فقال له سلمان اقم في الغنم حتى آتيك فهبط سلمان الى المدينة
فاشترى بدينار ببعضه شاة فشواها ما هذا فقال
سلمان هذه صدقة قال لا حاجة لي بها فاخرجها فاكلها اصحابه **ثم** انطلق فاشترى
بدينار آخر خبزا ولحما فاتى به النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا قال هذه
هدية قال فاقعد فكل فقعد واكلا جميعا منها فدرت خلفه ففطن بي فارخى
ثوبه فاذا الخاتم في ناحية كتفه الايسر فتبينته ثم درت حتى جلست بين يديه
فقلت اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله وهذه الرواية تخالف ما تقدم
فليتأمل ولينظر كيف الجمع **ونقل** بعضهم الاجماع على ان سلمان عاش مائتين
وخمسين سنة وكان حبرا عالما فاضلا زاهدا متقشفا وكان يأخذ من بيت المال في
كل سنة خمسة آلاف وكان يتصدق بها ولا يأكل الا من عمل يده وكان له عباءة يفترش
بعضها ويلبس بعضها **قال** بعضهم دخلت عليه وهو امير على المداين وهو يعمل الخوص
فقلت له لم تعمل هذا وانت امير وهو يجري عليك رزق فقال اني احب ان آكل من
عمل يدي وربما اشترى اللحم وطبخه ودعى المجذومين فاكلوا معه واول مشاهده الخندق
كما تقدم قيل وشهد بدرا واحدا قيل اذ يعتق اي وهو مكاتب فيكون اول مشاهده الخندق بعد عتقه والله اعلم **واما اخبار الكهان** لا عن السنة
الجان فكثيرة منها ما تقدم في ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم وفي ايام رضاعه
ق ف ومنها ايضا خبر عمرو بن معدي كرب رضي الله تعالى عنه قال والله لقد علمت
ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث فقيل له وكيف ذاك قال
فزعنا الى كاهن لنا في امر نزل بنا فقال الكاهن اقسم بالسماء ذات الابراج والارض
ذات الادراج والريح ذات العجاج ان هذا الامواج لعله من اجيج النار

ومتواليها ولقاح ذي نتاج قالوا وما نتاجه قال ظهور رشيد صادق بكتاب
ناطق وحسام فالق قالوا واين يظهر والى ماذا يدعوا قال يظهر بصلاح
ويدعوا الى فلاح ويبطل القداح وينهى عن الراح والسفاح وعن كل امر
قباح قالوا ممن هو قال من ولد الشيخ الاكرم حافر زمزم وعز سرمد
وخصمه مكمد انتهى **ومنها** خبر قس بن ساعدة الايادي وهو اول من قال
البينة على المدعي واليمين على من انكر واول من اتكى على عصى او قوس او سيف
عند الخطبة وقيل ان اول من تكلم بان البينة على المدعي واليمين على من انكر
داود عليه الصلاة والسلام وان ذلك فصل الخطاب **ورد** بانه لم يثبت
عنه انه تكلم بغير لغته **عن** ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قدم وفد عبد
القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايكم يعرف القس بن ساعدة
الايادي قالوا كلنا يا رسول الله نعرفه قال فما فعل قالوا هلك قال انساه
بعكاظ على جمل احمر وهو يقول ايها الناس اجمعوا واسمعوا وعوا من
عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت ان في السماء لخبرا وان
في الارض لعبرا مهاد موضوع وسقف مرفوع ونجوم تمور وبحار
لا تغور اقسم قس قسما حاتما لئن كان في الامر رضا ليكونن سخطا ان لله
دينا هو احب اليه من دينكم الذي انتم عليه ما لي ارى الناس يذهبون
ولا يرجعون ارضوا بالمقام فقاموا ام تركوا هناك فناموا ثم قال صلى
الله عليه وسلم ايكم يروي شعره فانشدوه عليه الصلاة والسلام

في الذاهبين الاولين ... من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا ... للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها ... تسعى الاصاغر والاكابر
لا يرجع الماضي الي ... ولا من الباقين غابر
ايقنت اني لا محا ... لة حيث صار القوم صائر

وفي رواية اخرى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قدم الجارود بن عبد
الله وكان سيدا في قومه وقيل له الجارود لانه اغار على قوم من بني بكر بن
وائل فجردهم اي اخذ جميع اموالهم والى ذلك الاشارة بقول الشاعر

ودسناهم بالخيل من كل جانب ... كما جرد الجارود بكر بن وائل

فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له النبي صلى الله عليه وسلم
يا جارود هل في جماعتك عبد القيس من يعرف لنا قسا قالوا كلنا نعرفه يا رسول

الله فقال الجارود وانا بين يدى القوم كنت اقفوا اى اتبع اثره كان من
اسباط العرب اى من ولد ولدهم شيخا عمر سبعماية سنة اى وقيل ستماية سنة
ادرك من الحواريين سمعان فهو اول من تاله اى تعبد من العرب اى ترك عبادة
الاصنام واول من قال اما بعد اى وقيل اول من قال ذلك كعب بن لوى كما تقدم
وقيل سحبان بن وايل وقيل يعقوب وقيل يعرب بن قحطان
وقيل داود وهو فصل الخطاب ورد بانه لم يثبت عنه انه تكلم بغير لغته
اى وتعبد لفظة عربية وفصل الخطاب الذى اوتيه هو فصل الخصومة
اى وهذا يويد ما تقدم عنه انه اول من قال البينة على المدعى واليمين على من انكر
وتقدم ما فيه وجمع بان الاولية بالنسبة لداود حقيقة ولغيره اضافية
فلكعب بن لوى بالنسبة للعرب ولغيره بالنسبة لقبيلته وقس اول
من كتب من فلان الى فلان قال الجارود وكان اى انظر اليه يقسم بالرب
الذى هو له ليبلغن الكتاب اجله وليوفين كل عامل عمله ثم انشا يقول

هاج للقلب من جواه ادكار • وليال خلالهن نهار •
وجبال شوامخ راسيات • وبحار مياههن غزار •
ونجوم تلوح فى ظلم الليل تراها فى كل يوم تدار •
والذى قد ذكرت دل على الله نفوسا لها هدى واعتبار •

فقال النبى صلى الله عليه وسلم على رسلك يا جارود والرسل بكسر الراء
التؤدة فلست انساه بسوق عكاظ اى وهو سوق بين بطن نخلة والطايف
كان سوقا لثقيف وقيس غيلان كما تقدم على جمل اورق اى يضرب لونه الى السواد
وهو يتكلم بكلام ما اظن انى احفظه وفى لفظ يتكلم بكلام له حلاوة لا احفظه
الان فقال ابو بكر يا رسول الله فانى احفظه كنت حاضرا ذلك اليوم بسوق
عكاظ فقال فى خطبته يا ايها الناس اسمعوا وعوا • واذا وعيتم فانتفعوا •
من عاش مات • ومن مات فات • وكل ما هو آت آت • مطر ونبات • وارزاق
واقوات • وآبا وامهات • واحيا واموات • جمع وشتات • وايات بعد
ايات • ان فى السما لخبرا • وان فى الارض لعبرا • ليل داج • وبحار ذات
امواج • ما لى ارى الناس يذهبون فلا يرجعون • ارضوا بالمقام فقاموا •
ام تركوا هناك فناموا • اقسم قس قسما حاتما • لا حانثا فيه ولا اثما •
ان لله دينا هو احب اليه من دينكم الذى انتم عليه • ونبيا قد حان حينه •
واظلكم زمانه • فطوبى لمن امن به فهداه • وويل لمن خالفه فعصاه • ثم

قال

قال تبا لارباب الغفلة من الامم الخالية • والقرون الماضية • يا معشر
اياد • من قبيلة من اليمن • اين الآبا والاجداد • واين المريض والعواد •
واين الفراعنة الشداد • اين من بنى وشيد • وزخرف ونجد • اى زين
وطول • وغره المال والولد • اين من بغى وطغى وجمع فاوعى • وقال انا
ربكم الاعلى • الم يكونوا اكثر منكم اموالا • واطول منكم اجالا • وابعد منكم
امالا • طحنهم الثرى بكلكله • اى بصدره • ومزقهم بتطاوله • فتلك
عظامهم بالية • وبيوتهم خالية • عمرتها الذئاب العاوية • كلا بل هو الله
الواحد المعبود • ليس بوالد ولا مولود • ثم انشا يقول الابيات المتقدمة
اى وفى رواية لما قدم وفد اياد على النبى صلى الله عليه وسلم قال يا معشر وفد
اياد ما فعل قس بن ساعدة الايادى قالوا هلك يا رسول الله قال لقد
شهدته يوما بسوق عكاظ على جمل احمر يتكلم بكلام معجب مونق لا اجدنى
احفظه الان فقام امرا اعرابى من اقاصى القوم فقال انا احفظه يا رسول الله
فسر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك كان يقول يا معشر الناس اجتمعوا فكل من
مات • وكل شى آت آت • ليل داج • وسما ذات ابراج • وبحر عجاج • نجوم
مزهرة • وجبال مرسية • وانهار مجرية • الحديث وفى رواية ابن الصعب
ذو القرنين • ملك الخافقين • واذل الثقلين • وعمر الفين • ثم كان ذلك
كلحظة عين قال وفى رواية اخرى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان قسا ابن ساعدة
كان يخطب قومه بسوق عكاظ فقال سياتيكم حق من هذا الوجه واشار
بيده الى نحو مكة قالوا له وما هذا الحق قال رجل ابلج احور من ولد لوى بن
غالب يدعوكم الى كلمة الاخلاص وعيش ونعيم لا ينفدان فاذا دعاكم فاجيبوه
ولو علمت انى اعيش الى مبعثه لكنت اول من يسعى اليه وقد رويت هذه
القصة من طرق متعددة قال الحافظ ابن كثير هذه الطرق على ضعفها
كالمتعاضدة على اثبات اصل القصة وقال الحافظ ابن حجر طرق هذا
الحديث كلها ضعيفة وهو يرد قول ابن الجوزى فى موضوعاته حديث قس بن
ساعدة من جميع جهاته باطل انتهى اقول ذكر فى النور انه فى قصة قس ما يرشد
الى التعدد مرتين مرة حفظ عليه الصلاة والسلام كلامه وكان قس على جمل
احمر والثانية التى لم يحفظ صلى الله عليه وسلم فيها كلامه كان قس على جمل
اورق قال لكن لا ادرى اى المرتين كانت اولا هذا كلامه وقد يقال النسيان
جائز عليه الصلاة والسلام فيجوز ان يكون صلى الله عليه وسلم انسى كلام قس

بعد الاخبار به او لا يدل لذلك قوله لا اظن انى احفظه الان او قبل الاخبار
به فيكون خبره صلى الله عليه وسلم متاخرا عن خبر ابى بكر فلا دلالة فى ذلك
على التعدد ووصف الجمل بانه احمر ووصفه بانه اورق لا يدل على التعدد لانه
يجوز ان يكون شديدا لحمرة يميل الى السواد وهو الاورق فاخبر عنه مرة
بانه احمر ومرة بانه اورق وهذا السياق يدل على تعدد مجى وفد عبد القيس مرة
جاؤا وحدهم ومرة جاؤا مع سيدهم الجارود **وقد** جا رحمه الله قسا كان على دين
ابى اسمعيل بن ابراهيم والله اعلم **ومن** ذلك خبر نافع الجرشى نسبة الى جرش بضم
الجيم وفتح الرا وبالشين المعجمة قبيلة من حمير تسمى به بلدهم ان بطنا من اليمن
كان لهم كاهن فى الجاهلية فلما ذكر امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتشر
فى العرب جاؤا الى كاهنهم واجتمعوا اليه فى اسفل جبل فنزل اليهم حين
طلعت الشمس فوقف لهم قائما متكيا على قوس فرفع راسه الى السما طويلا ثم
قال ايها الناس ان الله اكرم محمدا واصطفاه وطهر قلبه وحشاه ومكثه فيكم
ايها الناس قليل **واما** اخبار الكهان على السنة الجان فكثيرة ايضا **منها**
خبر سواد بن قارب رضى الله تعالى عنه وكان يتكهن فى الجاهلية وكان شاعرا ثم
اسلم **فعن** محمد بن كعب القرظى قال بينا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ذات
يوم جالسا اذ مر به رجل فقيل له يا امير المومنين اتعرف هذا المار قال ومن هذا
قال سواد بن قارب الذى اتاه رئيه اى تابعه من الجن الذى يترآى له اتاه بظهور
النبى صلى الله عليه وسلم اى بعده ان قال عمر رضى الله تعالى عنه على المنبر اى منبر النبى صلى
الله عليه وسلم ايها الناس افيكم سواد بن قارب فلم يجبه احد فلما كانت السنة القابلة
ولعل ذلك كان فى زمن المجى للزيارة من الافاق قال ايها الناس افيكم سواد بن
قارب كان بدو اسلامه شيا عجيبا **قال الرا** فبينا نحن كذلك اذ طلع سواد بن
قارب فارسل اليه عمر رضى الله عنه فقال له انت سواد بن قارب قال نعم قال انت
الذى اتاك رئيك بظهور النبى صلى الله عليه وسلم قال نعم قال فانت على ما كنت
عليه من كهانتك فغضب سواد بن قارب وقال ما استقبلنى بهذا احد منذ
اسلمت يا امير المومنين فقال له سبحان الله ما كنا عليه من الشرك اى من عبادة
الاصنام اعظم مما كنت عليه من كهانتك اى **وفى** رواية ان عمر رضى الله تعالى عنه
قال اللهم غفرا قد كنا فى الجاهلية على شر من هذا نعبد الاصنام والاوثان حتى
اكرمنا الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم وبالاسلام **اقول** وفيه ان المتبادر
ان غضب سواد انما هو بسبب ما فهمه ان المتبادر من نسبته الى الكهانة بعد

الاسلام

الاسلام لا قبله بدليل قوله ما استقبلنى بهذا احد منذ اسلمت وجواب سيدنا
عمر رضى الله تعالى عنه يدل على انه فهم ان غضب سواد بسبب نسبته للكهانة
قبل الاسلام فلذلك قال سبحان الله متعجبا منه **وفى** كلام السهيلى ان عمر
رضى الله تعالى عنه مازح سوادا رضى الله تعالى عنه فقال له ما فعلت كهانتك
يا سواد فغضب وقال له سواد قد كنت انا وانت على شر من هذا من عبادة الاصنام
واكل الميتات افتعيرنى بامر قد تبت منه فقال عمر رضى الله تعالى عنه اللهم غفرا
ثم قال تل والله اعلم ثم قال لسواد اخبرنى ما نبا رئيك بظهور رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفى رواية قال يا سواد حدثنا ببدء اسلامك كيف كان قال نعم يا امير
المومنين بينا انا ذات ليلة بين النائم واليقظان اذ اتانى رئيى فضربنى
برجله وقال قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتى واعقل ان كنت تعقل انه قد
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من لوى بن غالب يدعو الى الله عز وجل والى عبادته
ثم انشا يقول

عجبت للجن وتطلابها ... وشدها العيس باقتابها
تهوى الى مكة تبغى الهدى ... ما صادق الجن ككذابها
فارحل الى الصفوة من هاشم ... ليس قداماها كاذنابها

فقلت دعنى انام فانى امسيت ناعسا فلما كانت الليلة الثانية اتانى فضربنى
برجله وقال قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتى واعقل ان كنت تعقل انه قد
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من لوى بن غالب يدعو الى الله عز وجل
والى عبادته ثم انشا يقول

عجبت للجن وتجبارها ... وشدها العيس باكوارها
تهوى الى مكة تبغى الهدى ... ما مومن الجن ككفارها
فارحل الى الصفوة من هاشم ... بين روابيها واحجارها

فقلت دعنى انام فانى امسيت ناعسا فلما كانت الليلة الثالثة اتانى فضربنى برجله
وقال قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتى واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول
الله من لوى بن غالب يدعو الى الله عز وجل والى عبادته ثم انشا يقول

عجبت للجن وتحساسها ... وشدها العيس باحلاسها
تهوى الى مكة تبغى الهدى ... ما خير الجن كانجاسها
فارحل الى الصفوة من هاشم ... وارم بعينيك الى راسها

فقمت فقلت قد امتحن الله قلبى فرحلت ناقتى ثم اتيت المدينة وفى رواية حتى

اتيت مكة وهى كما قال البيهقى اقرب الى الصحة من الاولى اى لان الجن انما جاءت اليه صلى الله عليه وسلم للايذان به فى مكة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حوله فدنوت فقلت وفى لفظ والناس حوله وفى لفظ والناس عليه كعرف الفرس **فلما رانى** قال مرحبا بك يا سواد بن قارب قد علمنا ما جاء بك قلت يا رسول الله قد قلت شعرا فاسمع مقالتى يا رسول الله فقال هات فانشات اى ابتدات اقول •

• اتانى نجيى بعد هدء ورقدة • ولم يك فيما قد تلوت بكاذب •
• ثلاث ليال قوله كل ليلة • اتاك رسول من لوى بن غالب •
• فشمرت من ذيل الازار ووسطت • بى الدعلب الوجنا بين السباسب •
• فاشهد ان الله لا رب غيره • وانك مامون على كل غائب •
• وانك ادنى المرسلين وسيلة • الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب •
• فمرنا بما ياتيك يا خير مرسل • وان كان فيما جاء شيب الذوائب •
• وكن لى شفيعا يوم لا ذو شفاعة • سواك بمغن عن سواد بن قارب •
وفى رواية • وكن لى شفيعا يوم لا ذو قرابة • بمغن فتيلا عن سواد بن قارب •

قوله فى البيت الاول اتانى نجيى وفى رواية اتانى رئيى بعد ليل وهجعة وقوله فى الثالث فشمرت عن ذيل الازار وفى رواية عن ساق الازار قال ففرح النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه بمقالتى فرحا شديدا حتى رؤى الفرح فى وجوههم اى وضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال افلحت يا سواد فرايت عمر رضى الله تعالى عنه التزمه وقال لقد كنت اشتهى ان اسمع هذا الحديث منك فهل ياتيك اليوم قال منذ قرات القران قال ونعم العوض كتاب الله تعالى من الجن اى وهذا السياق يدل على ان سيدنا عمر لم يكن حاضرا عند النبى صلى الله عليه وسلم لما اخبره سواد ولما مات النبى صلى الله عليه وسلم وخشى سواد على قومه الردة قام فيهم خطيبا فقال يا معشر دوس من سعادة القوم ان يتعظوا بغيرهم ومن شقائهم ان لا يتعظوا الا بانفسهم وانه من لم ينفعه التجارب ضرته ومن لم يسعه الحق لم يسعه الباطل وانما تسلمون اليوم بما اسلمتم به امس ولا ينبغى لاهل البلاء الا ان يكونوا اذكر من اهل العافية ولست ادرى لعله يكون للناس صولة فان يكن فالسلامة منها الاناة والله يحبها فاحبوها فاجابه القوم بالسمع والطاعة اى **ومن** ذلك ان امراة كانت كاهنة بالمدينة يقال لها حطيمة كان لها تابع من الجن فجاءها يوما فوقف على جدارها فقالت له ما لك لا تدخل تحدثنا ونحدثك فقال انه قد بعث نبى بمكة يحرم الزنا فحدثت بذلك فكان اول خبر تحدث به بالمدينة

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم **واما** ما سمع من جوف الاصنام فكثير ايضا فمنها اى غير ما تقدم فى ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم خبر عباس بن مرداس قال كان لمرداس السلمى وثن يعبده يقال له ضمار بكسر الضاد المعجمة وميم مخففة بعدها الف ثم راء مهملة فلما حضرت مرداس الوفاة قال للعباس ولده اى بنى اعبد ضمارا فانه ينفعك ويضرك فبينا عباس يوما عند ضمار اذ سمع من جوف ضمار مناديا يقول •

• من للقبائل من سليم كلها • اودى ضمار وعاش اهل المسجد •
• ان الذى ورث النبوة والهدى • بعد ابن مريم من قريش مهتد •
• اودى ضمار وكان يعبد مرة • قبل الكتاب الى النبى محمد •

فحرق عباس ضمارا ولحق بالنبى صلى الله عليه وسلم **وفى** لفظ ان عباس بن مرداس كان فى لقاح له نصف النهار اذ طلع عليه راكب على نعامة بيضاء وعليه ثياب بيض فقال له يا عباس الم تر ان السما قد تعب احراسها وان الحرب قد جرعت انفاسها وان الخيل وضعت احلاسها وان الذى نزل عليه البر والتقوى صاحب الناقة القصوى فقال عباس فراعنى ذلك فجئت وثنا لنا يقال له الضمار كنا نعبده ونكلم من حوله فكنست ما حوله ثم تمسحت به فاذا صائح يصيح من جوفه •

• قل للقبائل من قريش كلها • هلك الضمار وفاز اهل المسجد •
• هلك الضمار وكان يعبد مرة • قبل الصلاة على النبى محمد •
• ان الذى ورث النبوة والهدى • بعد ابن مريم من قريش مهتد •

قال عباس فخرجت مع قومى بنى حارثة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فدخلت المسجد فلما رانى رسول الله صلى الله عليه وسلم تبسم وقال يا عباس كيف اسلامك فقصصت عليه القصة فقال صدقت واسلمت انا وقومى **ومن** ذلك مازن بن الغضوبة قال كنت اسدن اى اخدم صنما بقرية يقال لها سمائل بالتخفيف تدعى سمايل وسمائل يقال له باجر وفى لفظ باجر بالحاء المهملة فعترنا عنده ذات يوم عتيرة وهى الذبيحة مطلقا وقيل فى رجب خاصة فسمعنا صوتا من جوف الصنم يقول يا مازن اسمع تسر • ظهر خير وبطن شر •

• بعث نبى من مضر • بدين الله الكبر •
• فدع نحيتا من حجر • تسلم من حر سقر •

قال مازن ففزعت لذلك وقلت ان هذا العجب ثم عترت بعد ايام عتيرة اى ذبحت ذبيحة لذلك الصنم فسمعت صوتا من الصنم يقول •

اقبل الى اقبل تسمع ما لا تجهل * هذا نبي مرسل * جاء بحق منزل

فآمن به كي تعدل * عن حر نار تشعل * وقودها بالجندل

فقلت ان هذا العجب وانه لخير يراد بي اقول ورايت في بعض السير تقديم هذه الابيات
على ما قبلها وان مازنا قال ثم سمعت ابين من الاول وهو يقول يا مازن اسمع الى
آخره والله اعلم قال مازن فبينا نحن كذلك اذ قدم رجل من اهل الحجاز قلنا
ما الخبر وراءك قال ظهر رجل يقال له احمد يقول لمن اتاه اجيبوا داعي الله فقلت
هذا نبا ما سمعته فثرت الى الصنم فكسرته جذاذا وركبت راحلتي واتيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرح لي الاسلام واسلمت وقلت كسرت
باجر جذاذا وكان لنا ربا * نطيف به ضلالا بتضلال

بالهاشمي هدانا من ضلالتنا * ولم يكن دينه شيء على بال

يا راكبا بلغا عمرا واخوتها * اني لما قال ربي باجر قالي

يعني بعمرو واخوتها بني خطامة وهي بطن من طي وهذه الابيات ساقطة في اسد
الغابة قال مازن فقلت يا رسول الله اني مولع بالطرب اي مغرم به وبشرب
الخمر وبالهلوك اي الفاجرة من النسا التي تتمايل وتتثنى عند جماعها وقيل
الساقطة على الرجال اي لشدة شبقها والحت اي دامت علينا سنون اي اعوام
القحط والجدب فذهبن بالاموال وهزلن الذراري والعيال وليس لي ولد فادع الله
ان يذهب عني ما اجد ويأتيني بالحيا ويهب لي ولدا فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم ابدله بالطرب قراءة القرآن وبالحرام الحلال وبالخمر ريا لا اثم فيه وبالعهر اي
الزنا عفة الفرج واته بالحيا اي المطر وهب له ولدا قال مازن فاذهب الله عني
ما كنت اجد وتعلمت شطر القرآن وحججت حججا واخصب عمان يعني قريته وما
حولها من قرى عمان وتزوجت اربع حرائر ووهب الله لي حيان يعني ولده وانشأ يقول

اليك رسول الله حنت مطيتي * تجوب الفيافي من عمان الى العرج

لتشفع لي يا خير من وطئ الثرا * فيغفر لي ذنبي وارجع بالفلج

الى معشر خالفت في الله دينهم * فلا رأيهم رأيي ولا شرجهم شرجي

اي بالشين والجيم اي لا شكلهم شكلي ولا طريقهم طريقي

وكنت امرأ بالعهر والخمر مولعا * شبابي حتى آذن الجسم بالنهج

اي البلاء * فبدلني بالخمر خوفا وخشية * وبالعهر احصانا فحصن لي فرجي

قوله في البيت الثاني بالفلج اي بالفوز والظفر بالمطلوب قال مازن
من اجواف الذبائح فمنه ما جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال كنا يوما

فنحن من قريش يقال لهم آل ذريح بالحاء المهملة وقد ذبحوا عجلا لهم والجزار
يعالجه اذ سمعنا صوتا من جوف العجل ولا نرى شيئا * يا آل ذريح * امر نجيح
صائح يصيح * بلسان فصيح * يشهد ان لا اله الا الله اي والمراد بالذريح العجل
الذي ذبح لانه ملطخ بالدم الاحمر لقولهم احمر ذريحي اي شديد الحمرة والذي في البخاري
يقول يا جليح امر نجيح * رجل فصيح * يقول لا اله الا الله * والمراد بالجليح
العجل المذبوح ايضا لانه قد جلح اي كشف عنه جلده واما ما سمع من الهواتف
ولم يجر على السنة الكهان ولا سمع من جوف الاصنام ولا من جوف الذبائح فكثير
من ذلك ما حدث به بعضهم وذكره للنبي صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله
لقد رأيت من قس عجبا خرجت اطلب بعيرا لي حتى اذا عسعس الليل اي ادبر
وكاد الصبح ان يتنفس هتف بي هاتف يقول يا ايها الراقد في الليل الاحم
اي بالحاء المهملة الاسود قد بعث الله نبيا بالحرم * من هاشم اهل الوفا والكرم
يجلو دجنات الليالي والبهم اي الظلمات والامور المشكلة فادرت طرفي فما
رأيت شخصا فانشأت اقول

يا ايها الهاتف في داجي الظلم * اهلا وسهلا بك من طيف الم

بين هداك الله في لحن الكلم * من ذا الذي تدعو اليه يغتنم

فاذا انا بتنحنح وقائل يقول * ظهر النور * وبطل الزور * وبعث الله محمدا
صلى الله عليه وسلم بالحبور اي السرور * صاحب النجيب الاحمر اي الكريم من الابل
والتاج والمغفر * والوجه الازهر اي الابيض المشرب بالحمرة * والحاجب الاجبر
الاقمر اي الابيض والطرف الاحور اي شديد سواده صاحب قول شهادة ان لا
اله الا الله فذاك محمد المبعوث الى الاسود والاحمر اهل المدر والوبر اي العجم
والعرب ثم انشأ يقول

الحمد لله الذي لم يخلق الخلق عبث * ارسل فينا احمدا خير نبي قد بعث

صلى عليه الله ما * حج له ركب وحث

والى ذلك اشار صاحب الهمزية بقوله

وتغنت بمدحه الجن حتى * اطرب الانس منه ذاك الغناء

اي اظهرت الجن اوصافه صلى الله عليه وسلم الجميلة في صورة الغناء الذي
تألفه النفس ولا تصبر عنه عند سماعه فتسمع لغيرها حتى اطرب الانس ذلك
الغناء الذي سمعوه من الجن قال فلا الصباح واذا بالفنيق يشقشق والفنيق
بفتح الفاء وكسر النون وسكون المثناة تحت ثم قاف الفحل الكريم من الابل

ويتمشى بشبين مجمنين وقاقين اى يهدر الى السوق فملكت خطامه
وعلوت سنامه حتى اذا الغف بالغين المعجمة والموحدة اى تعب فنزلني روضة
خضرا فاذا انا بقس بن ساعدة في ظل شجرة وبيده قضيب من اراك ۵
ينكت به الارض والنكت بالمثناة فوق وهو يقول ۵
• يا ناعي الموت والملحود في جدث • اى قبر عليهم من بقايا بزهم خرق •
اى وا البز الثياب ۵ •
• دعهم فان لهم يوما يصاح به • فهم اذا انتبهوا من نومهم فرقوا •
• حتى يعودوا بحال غير حالهم • خلقا جديدا كما من قبله خلقوا •
• منهم عراة ومنهم في ثيابهم • منها الجديد ومنها المنهج الخلق •
والمنهج من الثياب الذى اخذ في البلاء قال فدنوت منه فسلمت عليه
فرد على السلام فاذا بعين خراره لماها خرعا اى صوت في الارض خوار اى
ضعيف ومسجدين مبنين واسدين عظيمين يلوذان به واذا باحدهما قد
سبق الاخر الى الما فتبعه الاخر يطلب الما فضربه بالقضيب الذى في يده
وقال ارجع ثكلتك امك اى فقدتك حتى يشرب الذى قبلك فرجع ثم
ورد بعده فقلت له ما هذان القبران قال هذان قبرا اخوين كانا لى يعبدان
الله عز وجل معي في هذا المكان لا يشركان بالله شيئا اى اسم احدهما شمعون
والاخر سمعان فادركهما الموت فقبرتهما وها انا بين قبريهما حتى الحق بهما
ثم نظر اليهما وانشد ابياتا ماتت رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله
قسا انى ارجوان يبعثه الله امة واحدة اى واحدا يقوم مقام جماعة كما تقدم
وقد اشار الى ذلك الاصل بقوله •
• وعند اخبر قس قومه فلقد • حلى مسامعهم من ذكره شنفا •
ولما مات قس دفن عندهما وتلك القبور الثلاثة بقرية يقال لها دوهى من
اعمال حلب وعليها بنا والناس يزورونهم وعليهم وقف ولهم خدام ومن ذلك
ما ذكره الواقدى باسناده قال كان ابو هريرة رضي الله تعالى عنه يحدث ان قوما
من خثعم كانوا عند صنم لهم جلوس وكانوا يتحاكمون الى اصنامهم فبينا الخثعميون
عند صنم لهم اذ سمعوا هاتفا يهتف ويقول ۵ •
• يا ايها الناس ذوو الاجسام • ومسندو الحكم الى الاصنام •
• اما ترون ما ارى امامى • من ساطع يجلو دجى الظلام •
• ذاك نبي سيد الانام • من هاشم في ذروة السنام •

مستعلن

• مستعلن بالبلد الحرام • جاء يهد الكفر بالاسلام •
• اكرمه الرحمن من امام •
قال ابو هريرة فامسكوا ساعة حتى حفظوا ذلك ثم تفرقوا فلم يمض بهم
ثالثهم حتى فجاهم خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد ظهر بمكة اى جاءهم ذلك
بغتة فما اسلم الخثعميون حتى استاخر اسلامهم ورأوا عبرا عند اصنامهم واما
خبر زميل بن عمرو العذرى قال كان لبنى عذرة وهى قبيلة من اليمن صنم يقال
له خمام بالخا المعجمة المضمومة وتخفيف الميم وكانوا يعظمونه وكان في بنى هند
ابن حرام بالحا المهملة المفتوحة والرا وكان سادنه اى خادمه رجلا يقال له طارق
قال في النور لا اعلم له ترجمة لا اسلاما وكانوا يعترون اى يذبحون الذبائح عنده
فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم سمعنا صوتا يقول ۵ •
• يا بنى هند بن حرام • ظهر الحق واودى خمام •
اى هلك ودفع الشرك الاسلام قال زميل ففزعنا لذلك وهالنا اى
افزعنا فمكثنا اياما ثم سمعنا صوتا يقول يا طارق يا طارق • بعث النبي الصادق •
بوحي ناطق • صدع صدعه بارض تهامه • لناصريه السلامه • ولخاذليه الندامه •
هذا الوداع منى الى يوم القيمه • فوقع الصنم لوجهه فان كان ذلك الصوت من
جوف الصنم ويرشد اليه قوله هذا الوداع منى الى يوم القيمة فهو من غير
هذا النوع وان لم يكن فهو من هذا النوع قال زميل فابتعت اى اشتريت راحلة
ورحلت حتى اتيت النبي صلى الله عليه وسلم مع نفر من قومى وانشدته •
• اليك رسول الله اعملت نصها • النص هو الغاية في السير •
• اكلفها حزنا وقوزا من الرمل • الرمل والحزن ما ارتفع من الارض والقوز
بالقاف والزاى التل الصغير • لانصر خير الناس نصرا موزرا • اى قويا
• واعقد حبلا من حبالك في حبلى • والحبل العهد والميثاق •
• واشهد ان الله لا شئ غيره • ادين اى اخضع واطيع ما اثقلت قدمى نعلى •
ومن هذا النوع خبر تميم الدارى اى ويكنى ابا رقية اسم ابنة له لم يولد له غيرها
روى عنه صلى الله عليه وسلم قصة الجساسة مع الدجال على المنبر فقال حدثنى تميم
الدارى وذكر القصة قال بعضهم وهذا اول ما يخرجه المحدثون في رواية الكبار
عن الصغار وقد يكون من ذلك ما ذكر ان ابا بكر رضي الله تعالى عنه مر يوما على
ابنته عايشة رضي الله تعالى عنها فقال هل سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم
دعاء كان يعلمناه وذكر ان عيسى بن مريم كان يعلمه اصحابه ويقول لو كان على احدكم

جبل دين ذهبًا قضاه الله عنه قالت نعم يقول اللهم فارج الهم كاشف الغم مجيب دعوة المضطرين رحمن الدنيا والاخرة ورحيمهما انت ترحمني فارحمني برحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك **وعن** ابي بكر رضي الله تعالى عنه كان علي دين وكنت له كارهًا فقلته فلم البث الا يسيرًا حتى قضيته له **قال تميم** رضي الله تعالى عنه كنت بالشام حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجت الى بعض حاجاتي فادركني الليل فقلت انا في جوار عظيم هذا الوادي فلما اخذت مضجعي اذ منادينادي لا اراه عذ بالله فان الجن لا تجير احدًا على الله فقلت ايم تقوله وايم بتشديد الياء وباسكانها وفتح الميم فيها اي اي شيء تقوله فقال قد خرج رسول الاميين رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلينا خلفه بالحجون اي وهو مقبرة مكة التي يقال لها المعلاة لا تقدم واسلمنا واتبعناه وذهب كيد الجن ورميت بالشهب فانطلق الى محمد صلى الله عليه وسلم فاسلم فلما اصبحت ذهبت الى دير ايوب فسالت راهبه واخبرته فقال صدقوك يخرج من الحرم اي مكة ومهاجره الحرم اي المدينة وهو خير الانبيا فلا تسبق اليه قال تميم متطلبًا الشخوص اي الذهاب حتى جيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلمت **اقول** وهذا يدل ظاهرًا على ان تميم الداري اسلم بمكة قبل الهجرة تهوما الكلام فيه بل رايت في تتمة الخبر فسرت الى مكة فلقيت النبي صلى الله عليه وسلم وكان مستخفيًا فامنت به ورايت لبعضهم قال وهذه الرواية غلط لان تميم الداري انما اسلم سنة تسع من الهجرة والله اعلم **قال** ومن ذلك ما حدث به سعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه ان رجلا من بني تميم حدث عن بدء اسلامه قال اني لاسير برمل عالج ذات ليلة اذ غلبني النوم فنزلت عن راحلتي وانختها ونمت وتعوذت قبل نومي فقلت اعوذ بعظيم هذا الوادي من الجن فرايت في منامي رجلا بيده حربة يريد ان يضعها في نحر ناقتي فانتبهت فزعًا فنظرت يمينًا وشمالا فلم ار شيا فقلت هذا حلم ثم عدت فنمت فتعوذت فرايت مثل ذلك واذا ناقتي ترعد ثم غفوت فرايت مثل ذلك فانتبهت فرايت ناقتي تضطرب فالتفت فاذا انا برجل شاب كالذي رايته في منامي بيده حربة ورجل شيخ يمسك بيده يرده عن ناقتي وبينهما نزاع فبينما هما يتنازعان اذ طلعت ثلاثة اثوار من الوحش فقال الشيخ للفتى قم فخذ ايها شيت فدا لناقة جاري الانسي فقام الفتى فاخذ منها ثورًا وانصرف ثم التفت الي الشيخ وقال يا فتى اذا نزلت واديًا من الاودية فخفت هوله فقل اعوذ برب محمد من هول هذا الوادي ولا تعذ باحد من الجن فقد بطل امرها فقلت له ومن محمد قال نبي عربي لا شرقي ولا غربي قلت اين مسكنه

قال بيثرب ذات النخل فركبت ناقتي وحثثت السير حتى اتيت المدينة فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثني قبل ان اذكر له منه شيا ودعاني الى الاسلام فاسلمت وهذا السياق يدل على ان هذه القصة بعد الهجرة لا عند المبعث الذي الكلام فيه **ونظير هذا** ما حدث به بعض الصحابة قال خرجت في طلب ابل لي وكنا اذا نزلنا بواد قلنا نعوذ بعزيز هذا الوادي فتوسدت ناقة وقلت اعوذ بعزيز هذا الوادي فاذا هاتف يهتف بي ويقول

ويحك عذ بالله ذي الجلال … منزل الحرام والحلال
ووحد الله ولا تبال … ما كيد ذي الجن من الاهوال
اذ يذكر الله على الاحوال … وفي سهول الارض والجبال
وصار كيد الجن في سفال … الا التقى وصالح الاعمال

فقلت يا ايها القائل ما تقول … ارشد عندك ام تضليل
فقال هذا رسول الله ذو الخيرات … جا بيس وحاميمات
وسور بعد مفصلات … يامر بالصلاة وبالزكاة
ويزجر الاقوام عن هنات … قد كن في الاسلام منكرات

فقلت اما لو كان من يودي ابلي هذه الى اهلي لاتيته حتى اسلم فقال انا اوديها فركبت بعيرًا منها ثم قدمت فاذا النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر وفي رواية فوافيت الناس يوم الجمعة وهم في الصلاة فاني انيخ راحلتي اذ خرج الي ابوذر فقال لي يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل فدخلت فلما راني قال ما فعل الرجل وفي لفظ ما فعل الشيخ الذي ضمن لك ان يودي ابلك اما انه قد اداها سالمة **وقد قص الله تعالى** على نبيه صلى الله عليه وسلم ما كان عليه الناس قبل بعثته من ان الانسان اذا نزل منزلا مخوفا قال اعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهائه بقوله سبحانه وتعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال اي يستعيذون برجال من الجن اي حين ينزلون في اسفارهم بمكان من شر سفهائهم فزادوهم رهقا اي زادوا الجن اي سادتهم باستعاذتهم بهم طغيانا فيقولون سدنا الانس والجن اي **ومن ذلك** ما حكاه وايل بن حجر الحضرمي ويكنى ابا هنيدة كان قيلا من اقيال حضرموت وكان ابوه من ملوكهم قال وفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بشر اصحابه بقدومي فقال ياتيكم وايل بن حجر من ارض بعيدة من حضرموت راغبا في الله عز وجل وفي رسوله وهو بقية ابنا الملوك قال وايل فما لقيني احد من الصحابة الا قال بشرنا بك رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل

لذو ملك بلادك فلما دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم رحب بي وادناني من نفسه وقرب مجلسي وبسط لي رداءه فاجلسني عليه وقال اللهم بارك في وائل بن حجر وولده وولد ولده ثم صعد المنبر واقامني بين يديه ثم قال ايها الناس هذا وائل بن حجر اتاكم من ارض بعيدة من حضرموت راغبا في الاسلام فقلت يا رسول الله بلغني ظهورك وانا في ملك عظيم فمن الله علي ان رفضت ذلك كله وآثرت دين الله قال صدقت اللهم بارك في وائل بن حجر وولده وولد ولده قال وسبب وفودي على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان لي صنم من العقيق فبينا انا نائم في الظهيرة اذ سمعت صوتا منكرا من المخدع الذي به الصنم فاتيت الصنم وسجدت بين يديه واذا قائل يقول ٥

واعجبا لوائل بن حجر • يخال يدري وهو ليس يدري

ماذا يرجى من نحيت صخر • ليس بذي نفع ولا ذي ضر

لو كان ذا حجر اطاع امري قال فقلت اسمعت ايها الهاتف الناصح فماذا تامرني فقال ارحل الى يثرب ذات النخل تدين دين الصائم المصلي محمد النبي خير الرسل ثم خر الصنم لوجهه فاندقت عنقه فقمت اليه فجعلته رفاتا ثم سرت مسرعا حتى اتيت المدينة فدخلت المسجد الحديث وفيه انه ان كان الصوت من جوف الصنم فهو من غير هذا النوع ولوائل هذا حديث مع معاوية تركناه لطوله واما ما سمع من بعض الوحوش فمنه ما حدث به ابو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال بينما راع يرعى بالجزيرة اذ عرض الذيب لشاة من شياهه فحال الراعي بين الذيب وبين الشاة فاقعى الذيب على ذنبه فقال الا تتقي الله تحول بيني وبين رزق ساقه الله لي فقال الراعي العجب من ذيب يكلمني بكلام الانس فقال الذيب الا اخبرك باعجب مني رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين وفي رواية يحدث الناس بانباء ما قد سبق وفي لفظ يخبركم بما وما هو كائن بعدكم فساق الراعي شياهه فاتى المدينة فقصد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه بما قال الذيب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الراعي ان من اشراط الساعة كلام السباع للانس والذي نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم الرجل شراك نعله اي وهو احد سيورها الذي يكون على وجهها لا تقدم وعذبة سوطه اي طرفه وتبل احد سيوره ويخبره بما فعل اهله اي وفي لفظ فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودي بالصلاة جامعة ثم خرج فقال للاعرابي اخبرهم فاخبرهم وفي رواية ان راعي الغنم كان يهوديا وفي رواية ان الذيب قال له انا اعجب مني واقفا على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله قط اعظم منه قدرا وقد فتحت له

ابواب

ابواب الجنة واشرف اهلها على اصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير في جنود الله تعالى فقال له الراعي من لي بغنمي فقال الذيب انا ارعاها حتى ترجع فاسلم اليه غنمه ومضى اليه صلى الله عليه وسلم واسلم وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذيب شاة منها وفيه ان هذا وما تقدم من خبر سعيد بن جبير كما علمت بعد الهجرة لا عند المبعث الذي الكلام فيه قال في النور هذا الراعي لا اعرف اسمه قال وكلم الذيب غير واحد فانظرهم في تعليقي على البخاري اقول ذكر في حياة الحيوان عن ابن عبد البر كلم الذيب من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ثلاثة رافع بن عميرة وسلمة بن الاكوع وهبان بن اوس واما ما سمع من بعض الاشجار فقد روى عن ابي بكر رضي الله تعالى عنه انه قيل له هل رايت قبل الاسلام شيئا من دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قال بينما انا قاعد في ظل شجرة في الجاهلية اذ تدلى علي غصن من اغصانها حتى صار على راسي فجعلت انظر اليه واقول ما هذا فسمعت صوتا من الشجرة هذا النبي يخرج في وقت كذا وكذا فكن انت من اسعد الناس به والله اعلم واما تساقط النجوم وطرد الجن بها عن استراق السمع فقد قال ابن اسحق لما تقارب امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضر مبعثه حجبت الشياطين عن السمع وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد فيها فرموا بالنجوم فعرف الجن ان ذلك لامر حدث من الله في العباد يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم حين بعثه يقص عليه خبرهم اذ حجبوا وانا لمسنا السماء اي طلبنا استراق السمع منها فوجدناها ملئت حرسا شديدا اي ملائكة اقوياء يمنعون عنها وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع صالحة للسمع لخلوها عن الحرس والشهب فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا اي ارصد له ليرمى به اي ومن يخطف الخطفة منهم بعقد حركته تبعه شهاب ثاقب يقتله اي او يحرق وجهه او يخبله قبل ان يلقيها الى الكاهن وذلك لئلا يلتبس امر الوحي بشيء من خبر الشياطين مدة نزوله وبعد انقضائه وموته صلى الله عليه وسلم فلئلا تدخل الشبهة على ضعفاء العقول فربما توهموا عود الكهانة التي سببها استراق السمع وان امر رسالته صلى الله عليه وسلم قد تم فاقتضت الحكمة حراسة السماء في حياته صلى الله عليه وسلم وبعد موته ومن ثم قال لا كهانة بعد اليوم ٥ وقد حدث بعضهم قال ان اول العرب فزع للرمي بالنجوم حين رمي بها ثقيف وانهم جاؤوا الى رجل منهم يقال له عمرو

ابن امية وكان ادهى العرب واكرها رايًا اى ادهاها رايًا وكان ضريرًا وكان
يخبرهم بالحوادث فقالوا له يا عمرو الم تر اى تعلم ما حدث فى السما من الرمى
بهذه النجوم فقال بلى فانظروا فان كان معالم النجوم اى النجوم المشهورة التى
يهتدى بها فى البر والبحر وتعرف بها الانواء الصيف والشتا هى التى يرمى بها
فهو والله طى هذه الدنيا وهلاك هذا الخلق الذى فيها وان كانت نجوما
غيرها وهى ثابتة على حالها فهو لامر اراد الله بهذا الخلق اى والنو بالنون
والهمزة هنا ما يحصل عند سقوط نجم فى المغرب وطلوع رقيبه من المشرق
يقابله من ساعته فى كل ثلاثة عشر يوما وحقيقة النو سقوط النجم وطلوع
رقيبه فى المدة المذكورة وكانت العرب تضيف الامطار والرياح والحر والبرد
الى الساقط منها او الى الطالع منها فتقول مطرنا بنوء كذا وسياتى الكلام على ذلك
فى غزوة الحديبية وفى لفظ فامر اراد الله وبنى يبعث فى العرب فقد تحدث بذلك
لا يقال قد ترجمت الشياطين بالنجوم قبل ذلك وذلك عند مولده صلى الله عليه وسلم
لانا نقول المراد رجمت الان باكثر مما كان قبل ذلك او صارت تصيب ولا تخطى ومن
ثم حدث بعضهم قال لما بعث النبى صلى الله عليه وسلم اى قرب زمن بعثه رجمت
الشياطين بنجوم لم تكن ترجم بها قبل فاتوا عبد يا ليل بن عمرو وهو بمثناتين
تحتيتين وكسر اللام الاولى الثقفى وكان اعمى فقالوا ان الناس قد فزعوا
وقد اعتقوا رقيقهم وسيبوا انعامهم فقال لهم لا تعجلوا وانظروا فان كانت
النجوم التى تعرف اى وهى التى يهتدى بها فى البر والبحر ويعرف بها الانوا فهو عند
فنا الناس وان كانت لا تعرف فهى من حدث فنظروا فاذا نجوم لا تعرف فقالوا
هذا من حدث اى وقد روى انه صلى الله عليه وسلم قال النجوم امنة
السما فاذا ذهبت النجوم اتى السما ما يوعدون وانا امنة لاصحابى فاذا ذهبت
اتى اصحابى ما يوعدون واصحابى امنة لامتى فاذا ذهبت اصحابى اتى امتى ما يوعدون
فلم يلبثوا حتى سمعوا بالنبى صلى الله عليه وسلم وفى لفظ فما مكثوا الا يسيرًا
حتى قدم الطايف ابو سفيان بن حرب فقال ظهر محمد بن عبد الله وهذا قد يخالفه
ما يانى عن ابن عمر لما كان اليوم الذى تنبا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
منعت الشياطين من خبر السما بالشهب ولا مانع من تكرر سؤال ثقيف مرة لعمرو بن
امية ومرة لعبد يا ليل بن عمرو وان كلا منهما كان اعمى ويحتمل اتحاد الواقعة ووقع
الاختلاف فى اسم الذى سالوه فسماه بعضهم عمرو بن امية وبعضهم سماه عبد
يا ليل بن عمرو وهذا كما ترى انما كان عند المبعث وبه يعلم ما فى قول الماوردى الذى

نقل عنه شيخ بعض شيوخنا النجم الغيطى فى معراجه واقره وتبعه اى رمى
النجوم ان الله تعالى لما اراد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم رسولا كثر انقضاض الكواكب
قبل مولده فذعر اكثر العرب منها وفزعوا الى كاهن لهم ضرير كان يخبرهم بالحوادث
فسالوه عنها فقال انظروا البروج الاثنى عشر فان انقض منها شى فهو ذهاب
الدنيا وان لم ينقض منها شى فسيحدث فى الدنيا امر عظيم فلما بعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان هو الامر العظيم فانه يقتضى ان المراد ببعثه ولادته فكان
يتعين اسقاط قوله قبل مولده لما علمت ان هذا اى كثرة تساقط النجوم انما كان
عند بعثه ونبوته لا عند ولادته ومنه خبر ابى لهب بن مالك اى من بنى لهب
فان بنى لهب فزعوا كفزع ثقيف قال حضرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذكرت عنده الكهانة فقلت بابى وامى نحن اول من عرف حراسة السما ومنع الجن
من استراق السمع وذلك انا اجتمعنا الى كاهن يقال له خطر بالخا المعجمة والطاء
المهملة والراء ابن مالك قال فى النور لا اعرف له ترجمة ولا اسلاما وكان شيخا كبيرًا
قد اتت عليه مايتان وثمانون سنة وكان من اعلم كهاننا فقلنا له يا خطر هل
عندك علم من هذه النجوم التى يرمى بها فانا قد فزعنا لها وخفنا سو الخبر عاقبتها
فقال ايتونى بسحر اى قبيل الفجر اخبركم الخبر ○ الخير ام ضرر ○ او لامن او حذر ○
قال فانصرفنا عنه يومنا فلما كان من غد فى وجه السحر اتيناه فاذا هو قايم على قدميه
شاخص فى السما بعينيه فناديناه يا خطر يا خطر فاومى الينا ان امسكوا
فامسكنا فانقض نجم عظيم من السما وصرخ الكاهن رافعا صوته اصابه اصابه جمع
وصب بجمل وجا لفا للمرة بدل من الواو ○ وخامره عقابه ○ عاجله عذابه ○ احرقه
شهابه ○ زايله جوابه ○ اى زال عنه جوابه ○ يا ويله ما حاله ○ بلبله بلباله ○
البلبال الغم ○ عاوده خباله ○ تقطعت حباله ○ وغيرت احواله ○ ثم امسك
طويلا ثم قال يا معشر بنى قحطان اخبركم بالحق والبيان ○ اقسم بالكعبة والاركان
والبلد المؤتمن السدان ○ اى الخدام ○ قد منع السمع عتاة الجان ○ بثاقب بكون
ذا سلطان ○ من اجل مبعوث عظيم الشان ○ يبعث بالتنزيل والفرقان ○
وبالهدى وفاضل القران ○ تبطل به عبادة الاوثان ○ قال فقلنا له ويلك
يا خطر انك لتذكر امرا عظيما فماذا ترى لقومك فقال ارى لقومى ما ارى لنفسى ان
يتبعوا خير بنى الانس ○ برهانه مثل شعاع الشمس ○ يبعث فى مكة دار الحمس ○
بحكم التنزيل غير اللبس والحمس بضم الحا المهملة واسكان الميم والسين المهملة هم
قريش وما ولدت من غيرها فانهم كانوا لا يزوجون بناتهم لاحد من اشراف العرب

الاعلى شرط ان يتحمس ولادهم فان قريشا من بين قبايل العرب دانوا بالتحمس ولذلك
تركوا الغزو لما في ذلك من استحلال الاموال والفروج ومالوا للتجارة ومن ثم يقال
قريش الحمس سموا بذلك لتشددهم في دينهم لان الحماسة هي الشدة فقلنا له يا خطر
ومن هو فقال قال الحياة والعيش انه لمن قريش ما في حكمه طيش اي عدول عن الحق
من قولهم طاش السهم عن الهدف اذا عدل عنه ولا في خلقه هيش اي ليس في طبيعته وجبلته
قول قبيح يكون في جيش واي جيش من آل قحطان وآل ايش والقحطان هم الانصار قال
صلى الله عليه وسلم رحا الايمان داير في ولد قحطان وآل ايش قبيلة من الجن المؤمنين ينسبون
الى ابيهم اي شخص من كبرا الجن وقيل اراد بهم المهاجرين اي ومن المهاجرين الذين
يقال فيهم ايش لانه يقال في مقام المدح فلان ايش على معنى اي شي هو اي شي عظيم
لا يمكن ان يعبر عن عظمته وجلالته ويروى بدل ايش ريش **فقلنا له** بين لنا من اي
قريش **فقال** والبيت ذي الدعايم يعني الكعبة والركن يعني الحجر الاسود والاحايم يعني
بير زمزم لان الاحايم جمع احوام والاحوام جمع احوم وهو الماء في البير واراد بير
زمزم او ان الاصل الحوايم ففيه قلب مكاني الاصل فواعل فصار فالاعل والحوايم هي
الطير التي تحوم على الماء والازدحام تكرار انه لمن نجل اي نسل هاشم من معشر اكارم يبعث
بالملاحم يعني الحروب وقتل كل ظالم **ثم** قال هذا هو البيان اخبرني به رئيس الجان
ثم قال الله اكبر جاء الحق وظهر وانقطع عن الجن الخبر ثم سكت واغمي عليه فما افاق
الا بعد ثلاثة ايام فقال لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله
لقد نطق عن مثل نبوة اي وحي وانه ليبعث يوم القيامة امة وحده اي مقام جماعة كما تقدم
في نظيره اهـ ومن ذلك ما رواه مسلم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن نفر
من الانصار قال بينا نحن جلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رمي بنجم فاستنار
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون في هذا النجم الذي يرمى به في
الجاهلية اي قبل المبعث قالوا يا رسول الله كنا نقول حين رأينا يرمى بها مات ملك وولد
مولود مات مولود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك كذلك ولكن الله
سبحانه وتعالى كان اذا قضى في خلقه امرا سمعه حملة العرش فسبحوا فسبح من تحتهم
بتسبيحهم فسبح من تحت ذلك فلا يزال التسبيح يهبط حتى ينتهي الى السما الدنيا
فيسبحوا ثم يقول بعضهم لبعض لم سبحتم فيقولون قضى الله في خلقه كذا وكذا الامر الذي
كان اي يكون في الارض فيهبط به الى سما الى سما اي تقوله اهل كل سما لمن يليهم حتى
ينتهي الى السما الدنيا فتسترقه الشياطين بالسمع على توهم واختلاس ثم يأتون به
الى الكهان فيخطئون بعضا ويصيبون بعضا اي **وفي** البخاري اذا قضى الله الامر

في السما

في السما ضربت الملايكة باجنحتها خضعانا لقوله كالسلسلة على صفوان فاذا
فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير فتسمعها
مسترقوا السمع فربما ادرك الشهاب المستمع قبل ان يرمي بها الى صاحبه فيحرقه
الحديث وقولهم قال الحق اي ثم يذكرونه لما تقدم من قولهم قضى الله في خلقه كذا وكذا
ولما يأتي وقوله صلى الله عليه وسلم يرمى بها في الجاهلية صريح في انه كان يرمى بالنجوم
للحراسة في زمن الفترة بينه صلى الله عليه وسلم وبين عيسى عليه السلام قبل
مولده صلى الله عليه وسلم ويخالفه ما يأتي عن ابي بن كعب رضي الله تعالى عنه **وقد**
سئل صلى الله عليه وسلم عن الكهان فقال انهم ليسوا بشي فقالوا يا رسول الله
انهم يحدثونا احيانا بالشي يكون حقا قال تلك الكلمة من الجن يخطفها الجني فيقذ
في اذن وليه فيخلطون فيها اكثر من مائة كذبة ثم ان الله تعالى حجب الشياطين
بهذه النجوم التي يقذفون بها فانقطعت الكهانة اليوم فلا كهانة اي وفي البخاري
انه صلى الله عليه وسلم قال ان الملايكة تحدث في العنان اي الغمام بالامر يكون
في الارض فتسمع الشياطين الكلمة فتقرها في اذن الكاهن فيزيد فيها مائة كذبة
وعن ابي بن كعب رضي الله تعالى عنه لم يرم بنجم منذ رفع عيسى عليه السلام حتى
تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم رمي بها فلما رأت قريش امرا لم تكن تراه فزعوا الى
عبد ياليل الحديث **اقول** وهذا يفيد انه لم يرم بها قبل بعثته صلى الله عليه وسلم
اي قبل قربها الشامل لزمن الولادة فلا يخالف ما تقدم وان النجوم كان يرمى بها قبل
ان يرفع عيسى عليه السلام وذلك صادق بزمن ادم فمن بعده من الرسل وهو
الموافق لقول الزهري العجيب وتساقط النجوم كان موجودا قبل البعث في سالف الازمان
اي في زمن الرسل لا في زمن الفترات بين الرسل لقول الكشاف وقول بعضهم ظاهر
الاخبار تدل على ان الرجم للشياطين بالشهب كان في زمن غيره صلى الله عليه وسلم
من الرسل وهو كذلك وعليه اكثر المفسرين حراسة لما ينزل من الوحي على الرسل
واما في الزمن الذي ليس فيه رسول اي وهو زمن الفترات بين الرسل فكانوا
يسترقون السمع في مقاعدهم ويلقون ما يسمعون للكهان اي لان الله تعالى ذكر
فايدتين في خلق النجوم فقال تعالى ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح وجعلناها
رجوما للشياطين وقال تعالى انا زينا السما الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من
كل شيطان مارد وكونها جعلت رجوما وحفظا ليس الا عند قرب بعثته صلى
الله عليه وسلم خاصة دون بقية الرسل من ابعد البعيد وحيث كان الغرض من
الرمي بالنجوم منع الشياطين من استراق السمع اقتضى ذلك انه لم يرم بها قبل

مبعثه صلى الله عليه وسلم ومنه زمن ولادته ويوافق ذلك قول ابن اسحاق
لما تقارب امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضر مبعثه حجبت الشياطين
وقول ابن عمر رضي الله تعالى عنهما لما كان اليوم الذى تنبا فيه رسول الله صلى الله
عليه وسلم منعت الشياطين من خبر السماء رموا بالشهب فذكروا ذلك لابليس فقال
بعث اى لعله بعث نبى عليكم بالارض المقدسة اى لانها محل الانبيا وهذا يدل على ان
عند ابليس علما ان الرمى بالنجوم علامة على بعث الانبيا فذهبوا ثم رجعوا فقالوا
فقالوا ليس بها احد فخرج ابليس يطلبه بمكة اى لانها مظنة ذلك لعدم محل الانبياء
فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحرا منحدرا معه جبريل فرجع الى اصحابه فقال بعث
احمد ومعه جبريل **وفى** رواية ان ابليس قال لما اخبروه بانهم منعوا من خبر السماء
ان هذه لحدث حدث فى الارض فايتونى من تربة كل ارض فاتوه بذلك فجعل يشمها
فلما شم تربة مكة من ههنا الحدث فنصوا فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
بعث **اقول** قد يقال لا منافاة بين الروايتين لانه يجوز انهم لم يخبروه بمبعثه
صلى الله عليه وسلم لما وجدوه فذهب او ذهب بعد اخبارهم له بذلك للاستيقا
وهذا يفيد ان الرمى بالنجوم انما كان عند مبعثه او عند تقارب زمنه لا قبل ذلك
الزمن الذى بعد زمن ولادته وحينئذ يشكل حصول مثل ذلك لابليس وجنوده
عند مولده صلى الله عليه وسلم ومن ثم قدمنا انه يجوز ان يكون من خلط بعض
الرواة وهذه الرواية تدل على ان ابليس لم يكن عنده علم بان سقوط النجم على الشياطين
علامة على مبعث النبى صلى الله عليه وسلم والرواية التى قبلها تدل على خلاف ذلك لا علمت
وكلا الروايتين يدل على انه لم يعلم عينه ولا محله والله اعلم **وقد** اشار صاحب الهمزية
على ان حجب الشياطين كان عند مبعثه صلى الله عليه وسلم بقوله بعث الله عند

مبعثه الشهب حراسا وضاق عنها الفضاء
تطرد الجن عن مقاعد للسمع كما يطرد الذياب الرعاء
فمحت اية الكهانة ايات من الوحى ما لهن امحاء

اى ارسل الله زمن ارساله صلى الله عليه وسلم الشعل من النار على الجن لاجل حراسة
السما منهم وكثرة تلك الشعل ضاق عنها المفازات الواسعة حال كون تلك الشهب
تطرد الجن عن امكنة قريبة يقعدون فيها لاجل ان يسمعوا اشيا من الملائكة المتكلمين
بما سيقع فى الارض من المغيبات وطرد تلك الشهب لاولئك الشياطين كطرد الرعا
للذياب عن الغنم اذا ارادت تعدو عليها فبسبب ذلك الطرد البالغ للجن عن خبر
السما محت ايات من الوحى اية الكهانة التى هى الاخبار بالامور المغيبة ما لتلك

الايات من الوحى انمحا اى ذهاب بل هى باقية الى يوم القيمة **وفيه** انه لزم على
كون الغرض من الرمى بالنجوم حفظ الوحى ان ذلك لا يكون الا عند مبعثه
صلى الله عليه وسلم ولا يكون قبل ذلك الذى منه وقت ولادته وايضا لو كان
ذلك موجودا قبل مبعثه واستمر الى مبعثه لم تفزع العرب منه عند مبعثه
واجيب عن الاول بانه يجوز ان يكون الغرض الاصلى من الرمى بها حفظ
الوحى فلا ينافى وجود ذلك قبل ذلك عند ولادته ارهاصا وتخويفا وكان
وكان هذا السؤال الثانى هو الحامل لابى بن كعب على دعوى انه لم يرم بالنجوم
منذ رفع عيسى عليه السلام حتى تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى بها
ومن ثم قال فلما رأت قريش امرا لم تكن تراه فزعوا الى عبد ياليل **ويجاب** بانه يجوز ان يكون
الرمى بالنجوم عند المبعث مخالفا للرمى بها قبله اما لفرط كثرتها واما لان الرمى
بها بعد المبعث كان من كل جانب وقبل كان من جانب واحد واما لان الرمى بها
صار لا يخطى ابدا وقبل ذلك كان يخطى تارة ويصيب اخرى فمنهم من يقتله ومنهم
من يحرق وجهه ومنهم من يخبله اى يصيره غولا يضل الناس فى البرارى وكان ذلك
سببا لفزع العرب لانه كان قبل ذلك لم يكن من كل جانب ولم يكثر ويخطى فيعود
الشيطان الى مكانه فيسترق ويلقى ما يسترقه الى كاهنه اى فلم تنقطع
الكهانة قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم بالمرة بل كانت موجودة الى زمن مبعثه
وعند مبعثه انقطعت بالمرة ومن ثم قال لا كهانة اليوم **وهذا كله** على تسليم
رواية ابن عباس ان النجوم رمى بها عند ولادته صلى الله عليه وسلم وحفظ
الوحى بالرمى بالشهب لا يخالف ما حكاه فى الاتقان عن سعيد بن جبير ما جاء جبريل
بالقران الى النبى صلى الله عليه وسلم الا ومعه اربعة من الملائكة حفظة **ويأتى**
عن الينبوع عن ابن جرير ما نزل جبريل بالقران الى النبى صلى الله عليه وسلم الا ومعه
حفظة يحيطون به دون الشياطين عنهما لئلا يسمعوا ما يبلغه جبريل الى ذلك
النبى من الغيب الذى يوحيه اليه فيبلغوه الى اوليائهم **وعن** بعضهم قال سافرت
عن زوجتى فخلفنى عليها شيطان على صورتى وكلامى وسائر حالاتى التى تعرفها
منى فلما قدمت من السفر تهيأ لى كما تتهيأ العروس لم تفرح بى فلم تتهيأ لى وكانت
اذا قدمت من سفر تتهيأ كما تتهيأ العروس فقلت لها فى ذلك فقالت انك لم
تغب فبينما انا كذلك وقد ظهر الشيطان وقال انا رجل من الجن عشقت امرأتك
وكنت اتيها فى صورتك فلا تنكر ذلك فاختر اما ان يكون لك الليل ولى
النهار او لك النهار ولى الليل فراعنى ذلك ثم اخترت النهار فلما كان فى بعض

الثالثة جانى وقالت الليلة عند اهلك فقد حضرت نوبتى فى استراق السمع من السما فقلت انك تسترق السمع فقال نعم هل لك ان تكون معى قلت نعم فلما جا الليل اتانى وقال حول وجهك فحولت وجهى فاذا هو فى صورة خنزير له جناحان فحملنى على ظهره فاذا له معرفة كمعرفة الخنزير فقال استمسك بها فانك ترى امورا واهوالا فلا تفارقنى تهلك ثم صعد حتى لصق بالسما فسمعت قائلا يقول لا حول ولا قوة الا بالله ما شا الله كان وما لم يشا لم يكن فهوى ووقعت وراء العمران فحفظت الكلمات فلما اصبحت اتيت اهلى فلما كان الليل جا فقلتهن فاضطرب ثم اندافوهى حتى صار رمادا وان لم يحمل وقوع ذلك فى زمن الجاهلية والا كان كذبا لا انهم اجابوا عن ايراد القول بقدرة الجن على النطق ويلزمه رفع الثقة بشى فان ضربه نحو ولده وزوجته احتمل انه جنى فيمسك بان الله تكفل لهذه الامة بعصمتها عن ان يقع فيها ما يؤدى الى ما يترتب عليه فى الدين فليتامل وقد جا فى فضل لا حول ولا قوة الا بالله العلى والذى نفسى بيده ان لا حول ولا قوة الا بالله شفا من سبعين دا ادناها الهم والغم والحزن وفرق بين الغم والهم والحزن بان الغم يعرض منه السهر والهم يعرض منه النوم وحكمة آل داود العافية ملك خفى وهم ساعة تهرم سنة وقال الحكما الهم يوهن القلب وفيه ذهاب الحياة كما ان الحزن ذهاب البصر وفى الحديث من كثر همه سقم بدنه ثم انا النجوم على تسليم انه كان يرمى بها قبل الولادة فتصيب تارة ولا تصيب اخرى مع قلتها وعند البعثة تصيب ولا بد مع كثرتها وان الكثرة هى سبب المنع لا دوام الاصابة والا فمجرد دوام الاصابة لا يكون حاملا على المنع لانه لا يظهر لكل احد بخلاف الكثرة ومجرد الكثرة لا يكون سببا لقطع الكهانة او انها قبل المبعث كانت ترمى من جانب دون اخر وبعد البعثة رميت من جميع الجوانب واليه الاشارة بقوله تعالى ويقذفون من كل جانب دحورا فكان ذلك سببا للمنع والمراد وجود ذلك مع دوام الاصابة ليكون سببا لقطع الكهانة والا فمجرد الرمى من كل جانب مع قلة الاصابة لا يكون سببا لقطع الكهانة ولما انقطعت الكهانة بعدم اخبار الجن قالت العرب هلك من فى السما فجعل صاحب الابل ينحر كل يوم بعيرا وصاحب البقر ينحر كل يوم بقرة وصاحب الغنم كل يوم شاة حتى اسرعوا فى اموالهم فى اتلافها فقالت ثقيف وكانت اعقل العرب ايها الناس امسكوا على اموالكم فانه لم يمت من فى السما الستم ترون معالمكم من النجوم كما هى والشمس والقمر كذا فى كلام بعضهم ولعله لا يخالف ما تقدم من ان اول العرب فزع للرمى بالنجوم ثقيف وانهم جاوا الى رجل منهم يقال له

قين

عمرو وعبد ياليل والله اعلم وظاهر القرآن والاخبار ان الذى يرمى به الشياطين المنير نفس النجم وانه المعبر عنه بالكوكب وبالمصباح وبالشهاب وقيل الشهاب عبارة عن شعلة نار تنفصل من النجم اى كما قدمنا فاطلق عليها لفظ النجم ولفظ المصباح ولفظ الكوكب ويكون معنى وجعلناها رجوما جعلنا منها رجوما وهى تلك الشهب ومعنى كونها حفظا باعتبار ما ينشأ عنها من تلك الشهب وقالت الفلاسفة ان الشهب انما هى اجزاء نارية تحصل فى الجو عند ارتفاع الابخرة المتصاعدة واتصالها بالنار دون الفلك وقيل السحاب اذا اصطكت اجرامه تخرج نار لطيفة حديدة لا تمر بشى الا اتت عليه الا انها مع حدتها سريعة الخمود فقد حكى انها سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف ثم طفيت قاله فى الكشاف ومما يؤيد ان الشعلة منفصلة من النجوم ما جا عن سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه ان النجوم كلها كالقناديل معلقة فى السما الدنيا كتعليق القناديل بالمساجد مخلوقة من نور وقيل انها معلقة بايدى ملائكة ويشهد لهذا القول قوله تعالى اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت ان انتثارها يكون بموت من كان يحملها من الملائكة وقيل ان هذه ثقب فى السما وقد وقع فى سنة تسع وتسعين من القرن السادس ان النجوم ماجت وتطايرت تطاير الجراد ودام ذلك الى الفجر وافزع الخلق فلجاوا الى الله تعالى بالدعا قال بعضهم ولم يعهد ذلك الا عند ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم اقول قد وقع نظير ذلك فى سنة احدى واربعين من القرن الثالث ماجت النجوم فى السما وتناثرت الكواكب كالجراد اكثر الليل وكان امرا عجيبا لم ير مثله ووقع فى ثلاث مائة تناثر النجوم تناثرا عجيبا لم يعهد مثله ووقع فى سنة ثلاث مائة تناثر النجوم تناثرا عجيبا الى ناحية المشرق والله اعلم واما ما جاء من ذكره صلى الله عليه وسلم اى ذكر اسمه وصفته وصفة امته فى الكتب القديمة كالتوراة المنزلة على موسى عليه الصلاة والسلام لست ليال خلون من رمضان اتفاقا والانجيل المنزل على عيسى لثنتى عشرة خلت من رمضان وقيل لثلاث عشرة وقيل لثمان عشرة والزبور المنزل على داود لثنتى عشرة وقيل لثلاث عشرة وقيل لثمان عشرة وقيل فى ست خلت من رمضان وصحف شعيا ويقال له اشعيا اى ومزامير داود وصحف شيث فقد انزل عليه خمسون صحيفة وقيل ستون وصحف ابراهيم فقد انزل عليه عشرون صحيفة وقيل ثلاثون اول ليلة من رمضان اتفاقا وفى كتاب شعيب ولم يذكر صحف ادريس وقد انزل عليه ثلاثون صحيفة وذكر بعضهم ان موسى انزل عليه قبل التوراة عشرون صحيفة وقيل

عشر صحايف وهذا كما لا يخفى يزيد على ما اشتهر ان الكتب المنزلة مائة واربعة كتب وفى كلام بعضهم اتفقوا على ان القران انزل لاربع وعشرين ليلة خلت من رمضان وعن ابى قتادة قلابة انزلت الكتب كاملة ليلة اربع وعشرين من رمضان وحينئذ يكون من حكى الاتفاق فى التوراة وصحف ابراهيم لم يطلع على هذا او لم يعتد به وقد اشار الى ذكره صلى الله عليه وسلم فى جميع الكتب المنزلة الامام السبكى رحمه الله فى تائيته بقوله

وفى كل كتب الله نعتك قد اتى • يقص علينا ملة بعد ملة •

وهذا كما لا يخفى ابلغ من قول بعضهم •

من قبل مبعثه جاءت مبشرة • به زبور وتوراة وانجيل •

وقد اعترض على هذا القايل بعض الاغبياء بان التوراة والانجيل قد صحت بشارتهما به صلى الله عليه وسلم واما الزبور فلا نقول الا ما نعلم ويرده ما ذكره الامام السبكى وسنده قوله تعالى وانه لفى زبر الاولين اى كتبهم فقد قال بعض المفسرين ان الضمير عائد الى النبى صلى الله عليه وسلم لان الاضافة حيث لا عهد تحمل على العموم وسيأتى ايضا التصريح بوجود اسمه فى الزبور وقد جاء ان اسمه فى التوراة احيد لانه اى اهل السما والارض كما تقدم وقد قيل فى سبب نزول قوله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ان عبد الله بن سلام رضى الله تعالى عنه دعى ابنى اخيه سلمة ومهاجر الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله قال فى التوراة انى باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد من امن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر فانزل الله الاية وفيها ايضا محمد واسمه فيها ايضا حياطا وقيل حطايا اى يحمى الحرم من الحرام واسمه فى التوراة ايضا قدصايا اى الاول السابق واسمه فيها ايضا سيد تيد واسمه فيها ايضا احيد وقيل احيد اى يمنع نار جهنم عن امته واسمه فيها ايضا طاب طاب اى طيب واسمه فيها ايضا كما فى الشفا محمد حبيب الرحمن ووصف فيها بالضحوك اى طيب النفس وفيها محمد بن عبد الله مولده بمكة ومهاجره الى طابه وملكه بالشام والتوراة اى على فرض ان يكون اسما عربيا ماخوذة من التورية وهى كتمان السر بالتعريض لان اكثرها معاريض من غير تصريح واسمه فى الانجيل المنحمنا والمنحمنا بالسريانية محمد اى وما جا عن سهل مولى خيثمة قال كنت يتيما فى حجر عمى فاخذت الانجيل فقراته حتى مرت لى ورقة ملصقة بغرا ففتقتها فوجدت فيها وصف محمد صلى الله عليه وسلم فجاء عمى فلما راى الورقة ضربنى وقال مالك وفتح هذه الورقة وقراتها فقلت فيها وصف النبى احمد فقال انه لم يات بعد اى الا الان وفى الانجيل ايضا اسمه حنبطا اى يفرق بين الحق والباطل

ووصفه

ووصفه بانه صاحب المدرعة وهى الدرع وفيه ايضا ووصفه بانه يركب الحمار والبعير وسياتى ان راكب الحمار عيسى عليه السلام وراكب الجمل محمد صلى الله عليه وسلم وسياتى الجواب وفى الانجيل ان احببتمونى فاحفظوا وصيتى وانا اطلب الى ربى يعطيكم بارقليط وانا بارقليط لا يجيئكم مالم اذهب فاذا جاء وبخ العالم على الخطيئة ولا يقول من تلقاء نفسه ولكنه ما يسمع مما يكلمهم به ويسوسهم بالحق ويخبرهم بالحوادث والغيوب اى وما جاء بذلك واخبر بالحوادث والغيوب الا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والبارقليط او الفارقليط الحكيم والرسول قيل والانجيل اى على فرض ان يكون اسما عربيا ماخوذ من النجل وهو الخروج ومن ثم سمى الولد نجلا لخروجه او مشتق من النجل وهو الاصل يقال لعن الله اناجيله اى اصوله فسمى هذا الكتاب بهذا الاسم لانه الاصل المرجوع اليه فى ذلك الدين وقيل من التنجل وهى سعة العين لانه انزل وسعة لهم لان فيه تحليل بعض ما حرم عليهم ومن ذلك ما جاء عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو العاص رضى الله تعالى عنهما فقلت اخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة قال اجل والله انه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القران يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ اى سيئ الخلق ولا غليظ اى شديد القول ولا صخاب بالسين وبالصاد فى الاسواق اى لا تصيح فيها وفى الحديث اشد الناس عذابا كل جعاظ جواظ سخاب فى الا
سواق
ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء اى ملة ابراهيم التى غيرتها العرب واخرجتها عن استقامتها بان يقولوا لا اله الا الله يفتح بها اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا اى لا تفهم كانها فى غلاف قال عطاء ثم لقيت كعب الاحبار فسالته فما اخطا فى حرف اقول لكن فى رواية كعب واعطى المفاتيح ليبصر الله به اعينا عورا ويسمع به اذانا صما ويقيم به السنة معوجة يعنى المظلوم ويمنعه من ان يستضعف وفيها وصفه صلى الله عليه وسلم يسبق حلمه جهله لا يزيده شدة الجهل عليه الا حلما وعن بعض احبار اليهود انه قال على جميع ما وصف به صلى الله عليه وسلم فى التوراة وقفت الا هذين الوصفين وكنت اشتهى الوقوف عليهما فجاء شخص يطلب منه ما يستعين به وذكر له انه لم يكن عنده ما يعينه به فقلت هذه دنانير ادفعها له ويكون على كذا من التمر ليوم كذا فقبل فجئته قبل الاجل بيومين او ثلاثة فاخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت اليه بوجه غليظ وقلت الا تقضينى يا محمد حقى انكم يا بنى عبد المطلب مطل فقال لى عمر اى عدو الله تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمع وهم بى فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم

في سكون وتؤدة وتبسّم ثم قال انا وهو احوج الى غير هذا منك يا عمران تأمرني بحسن
الادا وتأمره بحسن التباعة اي المطالبة اذهب فاوفه حقه وزده عشرين صاعًا
مكان ما رعته اي خفته فاسلم اليهودي وذكر القصة وفي التوراة لا يزال الملك
في يهود الى ان يجيء الذي اياه تنتظر الامم اي محمد اي لا يزال امرهم ظاهرا الى ان يجيء الذي تنتظره
الامم اي المرسل اليهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم لانه المرسل لجميع الامم وتأول عمة
اليهود بانه يوشع رد بنصها التوراة في محل اخر ان الله ربكم يقيم نبيا من اخوتكم مثلي
وقد قال لي انه سوف يقيم نبيا مثلك من اخوتهم واجعل كلمتي في فيه وايا الشان
لم يطع كلامه انتقم لان قوله مثلي اي رسولا بكتاب مشتمل على الاحكام والشرايع وذكر
المبدا والمعاد لان يوشع لم يكن له كتاب بل كان متابعا لسنة موسى عليه السلام
في بني اسرائيل خاصة وايضا يوشع منهم لا من اخوتهم فلو كان يوشع لقال منكم وما
تزعم النصارى انه المسيح رد عليهم بنصوص الانجيل التي منها ان الله يقيم لكم نبيا
من اخوتكم لان المسيح ليس من اخوتهم بل منهم لانه من نسل داود وفي زبور داود
سيولد لك ولد ادعى له ابا ويدعى لي ابنا واخوة بني اسرائيل انما هم اولاد اسمعيل الذي
هو اخو اسحاق وبنو اسرائيل منه وايضا لو كان المسيح لم يحسن ان يخاطب بهذا
اللفظ وفي الانجيل جا الله في طور سينا وطهر من ساعير واعلن بفاران اي عرف
الله برسالة موسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم لان ظهور نبوة موسى كان
في طور سينا وتقدم انه جبل بالشام قيل هو الذي بين مصر وايلا وانزل التوراة
عليه فيه وظهور نبوة عيسى كان في ساعير وهو جبل القدس لان عيسى عليه السلام كان
يسكن بقرية بارض الخليل يقال لها ناصرة وباسمها سمي من اتبعه وانزل عليه الانجيل
بها وظهور نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كان في فاران وهي مكة وانزل عليه القران بها
وفي التوراة ان اسمعيل اقام بقرية فاران وانما عبر في جانب موسى بالمجيء لانه
اول المشرعين لان كتابه الذي هو التوراة اول كتاب اشتمل على الاحكام والشرايع
بخلاف ما قبله من الكتب فانها لم تشتمل على ذلك وانما اشتملت على الايمان بالله
وتوحيده ومن ثم قيل لها صحف واطلاق الكتب عليها مجاز ولما حصل بعيسى في كتابه
الذي هو اقوى من المجيء ثم لما زاد الظهور بمجيء محمد صلى الله عليه وسلم عبر عنه بالاعلان
الذي هو اقوى من مجرد الظهور وقد قيل في تفسير قوله تعالى الذي يجدونه مكتوبا
عندهم في التوراة والانجيل انهم يجدون نعت محمد يأمرهم بالمعروف وهو مكارم الاخلاق
وصلة الارحام وينهاهم عن المنكر وهو الشرك ويحل لهم الطيبات وهي الشحوم التي
حرمت على بني اسرائيل والبحيرة والسائبة والوصيلة والحام التي حرمتها الجاهلية

ويحرم

ويحرم عليهم الخبائث التي كانت تستحلها الجاهلية من الميتة والدم ولحم الخنزير
ويضع عنهم اصرهم من تحريم العمل يوم السبت وعدم قبول دية المقتول وان
يقطعوا ما اصابهم من البول والله اعلم ومن ذلك ما جاء عن النعمان السابي رضي
الله عنه وكان من احبار اليهود باليمن قال لما سمعت بذكر النبي صلى الله عليه وسلم
قدمت عليه وسألته عن اشيا ثم قلت له ان ابي كان يختم على سفر يقول لا تقرأه
على يهود حتى تسمع بنبي قد خرج بيثرب فاذا سمعت به فافتحه قال النعمان
فلما سمعت بك فتحت السفر واذا فيه صفتك كما اراك الساعة واذا فيه ما تحل
وما تحرم واذا فيه انت خير الانبيا وامتك خير الامم واسمك احمد صلى الله عليك
وسلم وامتك الحامدون اي يحمدون الله في السرا والضرا قربانهم دماؤهم اي يتقربون
الى الله تعالى باراقة دمائهم في الجهاد واناجيلهم في صدورهم اي يحفظون كتابهم
لا يحضرون قتالا الا وجبريل معهم يتحنن الله عليهم كما يتحنن الطير على فراخه
ثم قال لي يعني اباه اذا سمعت به فاخرج اليه وامن به وصدقه فكان النبي
صلى الله عليه وسلم يحب ان يسمع اصحابه حديثه فاتاه يوما فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم يا نعمان حدثنا فابتدا النعمان الحديث من اوله فرئي رسول الله صلى
الله عليه وسلم يتبسم ثم قال اشهد اني رسول الله اقول والنعمان هذا قتله الاسود
العنسي الذي ادعى النبوة وقطعه عضوا عضوا وهو يقول ان محمدا رسول الله وانك
كاذب مفتر على الله ثم حرقه بالنار ولم يحترق كما وقع للخليل وقيل الذي احرقه الاسود
العنسي بالنار ولم يحترق ذؤيب بن كليب ابو وهب ولما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك
قاله لاصحابه فقال عمر الحمد لله الذي جعل في امتنا مثل ابراهيم الخليل وهذا لا يستغرب
ان يكون من خصائص التوراة وقوله الا وجبريل معهم يدل على ان جبريل يحضر كل قتال
صدر من الصحابة رضي الله تعالى عنهم للكفار بل ظاهره كل قتال صدر من الامة وفي
رواية بعضهم نقلا عن سفر من التوراة لا يلقون اي امته عدوا الا وبين ايديهم
ملائكة معهم رماح وفي التوراة في صفة امته صلى الله عليه وسلم زيادة على ما سبق
يوضئون اطرافهم ويأتزرون في اوساطهم يصفون في صلاتهم كما يصفون في قتالهم
وقد جا ايتزرون كما رات الملائكة اي ليلة الاسرا اتزر اي موتزرة عند ربها
الى انصاف سوقها وقد جا عليكم بالعمايم وارخوها خلف ظهوركم فانها سيما الملائكة
وكلاهما اي الاتزار وارخا العذبة من خصائص هذه الامة وقد جا ان العمايم
تيجان المسلمين وفيه واية من سيما المسلمين اي علاماتهم المميزة لهم عن غيرهم
ويؤخذ من وصفهم بانهم يوضئون اطرافهم ان الامم السابقة كانوا لا يتوضئون

ويوافقه قول الحافظ ابن حجر ان الوضوء من خصائص الانبيا دون اممهم الا
هذه الامة ويوافقه ما رواه ابن مسعود مرفوعا يقول الله تعالى افترضت عليهم
ان يتطهروا في كل صلاة كما افترضت على الانبياء اي يكونوا طاهرين او ان هذا اي
وجوب التطهر لكل صلاة كان في صدر الاسلام ولم ينسخ الا في فتح مكة كما سياتي
ويخالف كون الوضوء من خصائص هذه الامة ما رواه الطبراني في الاوسط بسند
فيه ابن لهيعة عن بريدة قال دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فتوضا واحدة
واحدة فقال هذا الوضوء الذي لا يقبل الله الصلاة الا به ثم توضا ثنتين ثنتين
فقال هذا وضوء الامم قبلكم ثم توضا ثلاثا ثلاثا ثم قال وضوءي ووضوء الانبيا
من قبلي فان هذا يفيد ان الوضوء كان للامم السابقة لكن مرتين ولانبيائهم كان
ثلاثا وعليه فالخاص بهذه الامة التثليث كوضوء الانبيا اي كما اختصت هذه
الامة عمن عداها بالغرة والتحجيل وعلى هذا يحمل قول ابن حجر الهيتمي ان الوضوء من
خصائص هذه الامة بالنسبة لبقية الامم لا لانبيائهم وفي كلام ابن عبد البر
قيل ان سائر الامم كانوا يتوضؤن ولا اعرفه من وجه صحيح وفي كلام ابن حجر والذي
من خصائصنا اما الكيفية المخصوصة او الغرة والتحجيل هذا كلامه وهو
يفيد ان يكون الكيفية المخصوصة ومنها الترتيب من خصائصنا غير
مقطوع بل الامر فيه على الاحتمال ولا يخفى ان الاشارة في قوله صلى الله عليه وسلم
هذا وضوء الامم يدل على الترتيب فقد استدل لائمتنا على وجوب الترتيب بانه صلى الله
عليه وسلم لم يتوضا الا مرتبا باتفاق اصحابه ولو كان جائزا لتركه في بعض الاحايين
وما اعترض به على دعوى الاتفاق بانه جا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه وصف
وضوءه صلى الله عليه وسلم فتوضا فغسل وجهه ثم يديه ثم رجليه ثم مسح راسه اجيب
عنه بضعف هذه الرواية وعلى تقدير صحتها يجوز ان يكون ابن عباس نسي مسح
الراس فذكره بعد غسل رجليه فمسحه ثم اعاد غسل رجليه والراوي عن ابن عباس
لم يقف على اعادة ابن عباس غسل رجليه وفي التوراة في صفة امته صلى الله عليه وسلم
دويهم في مساجدهم كدوي النحل وفي رواية اصواتهم بالليل في جو السما كاصوات النحل
رهبان بالليل ليوث بالنهار اذا هم احدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة وان
عملها كتبت له عشر حسنات واذا هم احدهم بسيئة فلم يعملها لم تكتب وان عملها كتبت
عليه سيئة واحدة يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويومنون بالكتاب الاول
اي وهو التوراة او جنس الكتب السابقة والاخرى وهو القران وروى الامام
احمد وغيره باسناد صحيح قال الله تعالى لعيسى يا عيسى اني باعث من بعدك امة

اذ

ان اصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا وان اصابهم ما يكرهون صبروا واحتسبوا
ولا حلم ولا علم قال كيف يكون هذا ولا حلم ولا علم قال اعطيهم من حلمي ومن
علمي وحينئذ يكون المراد ولا حلم لهم كامل وان الله تعالى يكمل علمهم وحلمهم
من علمه وحلمه ويدل لذلك ما ذكره بعضهم ان هذه الامة اخر الامم
فكان الحلم والعلم الذي قسم بين الامم كما شهد به حديث ان الله قسم بينكم اخلاقكم
قد دق جدا فلم يدرك هذه الامة الا اليسير من ذلك مع قصر اعمارهم
فاعطاهم الله من حلمه وعلمه وجا انهم يسمون في التوراة صفوة الرحمن وفي
الانجيل حلما علما ابرارا اتقيا كانهم من الفقه انبيا وفي الطبراني ان عمر قال
لكعب الاحبار كيف تجدني يعني في التوراة قال خليفة قرن من حديد امير شديد
لا تخاف في الله لومة لائم وزاد عن جواب السؤال قوله ثم الخليفة من بعدك
يقتله امة ظالمين له ثم يقع البلا بعد وفي صحف شعيا اسمه صلى الله عليه وسلم
ركن المتواضعين وفيها اني باعث نبيا اميا افتح به اذانا صما وقلوبا غلفا
واعينا عميا مولده بمكة ومهاجرته بطيبة وملكه بالشام رحيما بالمؤمنين
يبكي للبهيمة المثقلة ويبكي لليتيم في حجر الارملة لو يمر الى جنب السراج لم يطفه
من سكينته ولو يمشي على القصب الرعراع يعني اليابس لم يسمع من تحت
قدميه الى اخر الرواية فان فيها طولا وقد ساقها الجلال السيوطي في الخصا نص
الكبرى وشعيا هذا كان بعد داود وسليمان وقبل زكريا ويحيى عليهم الصلاة
والسلام ولما نهى اسرائيل عن ظلمهم وعتوهم طلبوه ليقتلوه فهرب منهم فمر
بشجرة فانفلقت له ودخل فيها وادركه الشيطان فاخذ بهدبة ثوبه فابرزها
فلما راوا ان ذلك جاوا بالمنشار فوضعوه على الشجرة فنشروها ونشروه معها
وكان من جملة الرسل الذين عناهم الله تعالى بقوله وقفينا من بعده بالرسل
وهم سبعة وهو ثالث تلك الرسل السبعة اي وهو المبشر بعيسى وبمحمد صلى الله
عليه وسلم فقال يخاطب بيت المقدس لما شكى له الخراب والقاء الجيف فيه ابشر
ياتيك راكب الحمار يعني عيسى وبعده راكب الجمل يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
وتقدم في وصفه صلى الله عليه وسلم انه راكب الحمار والبعير وقد يقال لا تخالف
لانه يجوز ان يكون عيسى اختص بركوب الحمار بخلاف محمد صلى الله عليه وسلم فانه راكب
يركبهما هذا تارة وهذا اخرى فليتامل ومن جملتهم ارميا قيل وهو الخضر والله اعلم
واسمه صلى الله عليه وسلم في الزبور حاط حاط والفلاح الذي يمحق الله به الباطل
وفارق وفاروق اي يفرق بين الحق والباطل وهو كما تقدم معنى فارقليط او

بارقليط بالفا فى الاول والموحدة فى الثانى وقيل معناه الذى يعلم الاشياء
الخفية وفى الينبوع ومن الالفاظ التى رضوها لانفسهم يعنى النصارى
وترجموها على اختيارهم ان المسيح عليه الصلاة والسلام قال انى اسال الله ان
يبعث اليكم بارقليط اخر يكون معكم الى الابد وهو يعلمكم كل شئ ويفسر لكم
الاسرار وهو يشهد لى كما شهدت له ويكون خاتم النبيين ولم يشهد له بالبراة
والصدق فى النبوة الا محمد صلى الله عليه وسلم وقد ذكر صاحب الدر المنظوم
باسناده الى النبى صلى الله عليه وسلم قال لعمر رضى الله عنه يا عمر اتدرى من انا انا
الذى بعثنى الله فى التوراة لموسى وفى الانجيل لعيسى وفى الزبور لداود ولا
فخر اى لا اقول ذلك على سبيل الافتخار بل على سبيل التحدث بالنعمة يا عمر
اتدرى من انا انا اسمى فى التوراة احيد وفى الانجيل البارقليط وفى الزبور
حميا طا وفى صحف ابراهيم طاب طاب ولا فخر وذكر صاحب كتاب شفاء
الصدور فى مختصره ان من فضائله صلى الله عليه وسلم ما رواه مقاتل بن
سليمان قال وجدت مكتوبا فى زبور داود انى انا الله لا اله الا انا ومحمد رسولى
ووصف فى مزامير داود بانه يقوى الضعيف الذى لا ناصر له ويرحم المساكين
ويبارك عليه فى كل وقت ويدوم ذكره الى الابد وبالجبار فيها تقلد ايها الجبار
سيفك فان قيل قد لعنه الله تعالى وما ات عليهم بجبار اجيب بان الاول
هو الذى يجبر الى الحق والثانى المتكبر وفيها يا داود سياتى من بعدك نبى اسمه
احمد ومحمد صادقا لا اغضب عليه ابدا ولا يعصينى ابدا وقد غفرت له قبل
ان يعصينى ما تقدم من ذنبه وما تاخر اى على فرض وقوع ذلك الذنب
والمراد به خلاف الاولى من باب حسنات الابرار سيات المقربين اى ما يعد
حسنة بالنسبة لمقام الابرار فقد يعد سيئة بالنسبة لمقام المقربين لعلو
مقامه وارتفاع شانهم وامته مرحومة ياتون يوم القيمة ونورهم مثل
نور الانبيا وفى بعض مزامير داود ان الله اظهر من صهيون اكليلا محمودا
وصهيون اسم مكة والاكليل الامام الرئيس وهو محمد صلى الله عليه وسلم
وفى صحف شيت اخنوخ ومعناه صحيح الاسلام وهذا يدل على ان مزامير داود
نسخة مختلفة بالزيادة والنقص وفى كتاب شعيب عبدى يحيث شانه انزل
عليه وحى فيظهر فى علم الامم عدل لا يضحك اى مع رفع صوت ومن ثم قال ولا
يسمع صوته فى الاصوات لان ضحكه كان التبسم يفتح العيون العور والاذان
الصم ويحيى القلوب الغلف وما اعطيه لا اعطيه احدا وفيه ايضا مشفح

بالشين المعجمة والقاف والحا المهملة اى زاهى الحديا الذى من اقصى الارض لعل
المراد به مكة بر تفرح البرية وسكانها وهو ركن المتواضعين وهو نور الله الذى
لا يطفا سلطانه على كتفه وذكر البرية وسكانها اشارة لدولة العرب والمراد
بسلطانه على كتفه خاتم النبوة لانه علامة وبرهان على النبوة اى وذكر ابن ظفر ان
بعض كتب الله المنزلة انى باعث رسولا من الاميين اسدده بكل جميل واهب
له كل خلق كريم واجعل الحكمة منطقه والصدق والوفا طبيعته والعفو والمعروف
خلقه والحق شريعته والعدل سيرته والاسلام ملته ارفع به من الوضيعة
واهدى به من الضلالة واولف به بين قلوب متفرقة واجعل امته خير
الامم واما ما جاء ما يدل على وجود اسمه الشريف اعنى لفظ محمد مكتوبا فى
الاحجار والنبات والحيوان وغير ذلك بقلم القدرة فكثير من ذلك
ما جاء عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان نقش خاتم سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام لا اله الا الله محمد
رسول الله قد المراد فص خاتمه فعن عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه
مرفوعا ان فص خاتم سليمان بن داود كان سماويا اى من السما القى اليه فوضعه
فى خاتمه اى وكان به انتظام ملكه وكان نقشه انا الله لا اله الا انا ومحمد
عبدى ورسولى وحينئذ يكون ما تقدم عن جابر رومايا لى يجوز ان يكون روى
بالمعنى وكان ينزعه اذا دخل الخلا واذا جامع وكان عند نزعه يتنكر عليه امر
الناس فلم يجد من نفسه ما كان يجده قبل نزعه وفى انس الجليل كان نقش
خاتم سليمان لا اله الا الله وحده لا شريك له محمد عبده ورسوله ووجد على بعض
الحجارة القديمة مكتوب محمد تقى مصلح وسيد امين وفى جامع مدينة قرطبة بالمغرب
عمود احمر مكتوب عليه بقلم القدرة محمد وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اقترف ادم الخطيئة قال قال رب
اسالك بحق محمد صلى الله عليه وسلم الا غفرت لى قد وكيف عرفت محمدا
وفى لفظ كما فى الوفا وما محمد ومن محمد قال لما خلقتنى بيدك ونفخت فى من
روحك رفعت راسى فرايت على قوايم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول
الله فعلمت انك لم تضف الى اسمك الا احب الخلق اليك قد صدقت يا ادم
ولولا محمد لما خلقتك اى وفى لفظ كما فى الشفا قال ادم لما خلقتنى رفعت
راسى الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انه
ليس احد اعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فاوحى الله تعالى اليه

وعزتي وجلالي انه لاخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك وفي الوفا عن
ميسرة قلت يا رسول الله متى كنت نبيا قال لما خلق الله الارض واستوى الى السما
فسواهن سبع سموات وخلق العرش كتب على ساق العرش محمد رسول الله خاتم
الانبيا وخلق الله الجنة التي اسكنها ادم وحوى وكتب اسمي اي موصوفا بالنبوة
او بما هو اخص منها وهو الرسالة على ما هو المشهور على الابواب والاوراق
والقباب والخيام وادم بين الروح والجسد اي قبل ان تدخل الروح جسده
فلما احياه الله نظر الى العرش فراى اسمي فاخبره الله تعالى انه سيد ولدك فلما
غرهما الشيطان تابا واستشفعا باسمي اليه اي فقد وصف صلى الله عليه وسلم
بالنبوة قبل وجود ادم وفيه ايضا عن سعيد بن جبير اختصم ولد ادم اي الخلق
اكرم على الله تعالى فقال بعضهم ادم خلقه الله بيده واسجد له ملائكته وقال
اخرون بل الملائكة لانهم لم يعصوا الله عز وجل فذكروا ذلك لادم فقال ما نفخ
في الروح لم تبلغ قدمي حتى استويت جالسا فبرق لي العرش فنظرت فيه محمد
رسول الله فذاك اكرم الخلق على الله عز وجل قيل وكان يكنى ادم بابي محمد وبابي
البشر وظاهره انه كان يكنى بذلك في الدنيا وتقدم انه يكنى بابي محمد في الجنة ومن
ذلك ما جاء عن عمر بن الخطاب ايضا رضي الله تعالى عنه قال لكعب الاحبار اخبرنا
عن فضائل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مولده قال نعم يا امير المؤمنين
قرات ان ابراهيم الخليل وجد حجرا مكتوبا عليه اربعة اسطر الاول انا الله لا اله
الا انا فاعبدون والثاني انا الله لا اله الا انا محمد رسولي طوبى لمن امن به واتبعه
والثالث انا الله لا اله الا انا الحرم لي والكعبة بيتي من دخل بيتي امن من عذابي
والسطر الرابع اي وذكر بعضهم ان في سنة اربع وخمسين واربعماية عصفت ريح
شديدة لا بخراسان كريح عاد انقلعت منها الجبال وفرت منها الوحوش فظن
الناس ان القيمة قد قامت وابتهلوا الى الله تعالى فنظروا فاذا نور عظيم قد نزل
من السما على جبل من تلك الجبال ثم تاملوا الوحوش فاذا هي منصرفة الى ذلك
الجبل الذي سقط فيه ذلك النور فصاروا امعها اليه فوجدوا به صخرة طولها
ذراع في عرض ثلاثة اذرع وفيها ثلاثة اسطر سطر فيه لا اله الا انا فاعبدون
وسطر فيه محمد رسول الله العربي وسطر ثالث فيه احذروا وقعة المغرب
فانها تكون من سبعة او تسعة والقيمة قد ازفت اي قربت وجا ان ادم عليه
الصلاة والسلام قال طفت السموات فلم ار في السموات موضعا الا رايت اسم محمد
صلى الله عليه وسلم مكتوبا عليه ولم ار في الجنة قصرا ولا غرفة الا اسم محمد مكتوب

عليه ولقد رايت اسمه صلى الله عليه وسلم على نحور الحور العين وورق اجام اي ورق
قصب اجام الجنة وشجرة طوبى وسدرة المنتهى والحجب وبين اعين الملائكة
وهذا الحديث قد حكم بعض الحفاظ بوضعه اي وقيل ان اول شيء كتب القلم
في اللوح المحفوظ بسم الله الرحمن الرحيم اني انا الله لا اله الا انا محمد رسولي من استسلم
لقضائي وصبر على بلائي وشكر على نعمائي ورضي بحكمي كتبته صديقا وبعثته
يوم القيمة من الصديقين وفي رواية مكتوب في صدر اللوح المحفوظ لا اله الا الله
دينه الاسلام محمد عبده ورسوله فمن امن بهذا ادخله الله الجنة وفي رواية
لما امر القلم ان يكتب ما كان وما يكون كتب على سرادق العرش لا اله الا الله محمد
رسول الله يتامل هذا فانه ان كان المراد كما هو المتبادر ان القلم لما امر ان يكتب
ما ذكر كان اول شيء كتبه على سرادق العرش ما ذكر ثم تمم كتابة ما امر به على
ذلك كما كتب اول ما ذكر البسملة في اللوح المحفوظ ثم تمم كتابة ما امر به
يلزم ان يكون القلم كتب ما كان وما يكون في اللوح المحفوظ وعلى سرادق
العرش ومن ذلك ما جا عن عمر بن الخطاب ايضا رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم ان ادم عليه السلام قال وجدت اسم محمد صلى الله عليه وسلم
على ورق شجرة طوبى وعلى ورق سدرة المنتهى اي وعلى ورق قصب اجام
الجنة ومن ثم قال السيوطي في الخصايص الكبرى من خصايصه صلى الله عليه وسلم
كتابة اسمه الشريف مع اسم الله تعالى على العرش وفيها ولقد خلقت العرش على
الما فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن ومكتوب اسمه
صلى الله عليه وسلم على سائر ما في الملكوت اي من السموات والجنان وما فيهن
وفي الخصايص انه صلى الله عليه وسلم مكتوب اسمه الشريف على العرش وكل سما
والجنان وما فيهما وسائر ما في الملكوت اقول ولا يخفى هذا اي ما تقدم عن ادم مع
ما جا على تقدير صحته ان ادم لما نزل الى الارض استوحش فنزل جبريل عليه
السلام فنادى بالاذان الله اكبر مرتين اشهد ان لا اله الا الله مرتين اشهد
ان محمدا رسول الله مرتين قال ادم من محمد قال جبريل هو اخر ولدك من الانبيا
لجواز ان يكون ادم عليه السلام اراد ان يستثبت هل هو محمد الذي راى اسمه
مكتوبا والخبر بانه اخر الانبيا من ذريته وانه لولاه ما خلقه وانه استشفع
به او غيره فليتامل وانما قلنا على تقدير صحته لانه سياتي في بدء الاذان
في سند هذا الحديث مجاهيل وذكر صاحب كتاب شفا الصدور
في مختصره عن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم

عن الله عز وجل انه قال يا محمد وعزتي وجلالي لولاك ما خلقت ارضي ولا سمائي ولا رفعت هذه الخضرة ولا بسطت هذه الغبرا وفي رواية عنه ولا خلقت سما ولا ارضا ولا طولا ولا عرضا وبهذا يرد على من رد على القائل في مديحه صلى الله عليه وسلم ۵

لولاه ما كان لا فلك ولا فلك ۝ كلا ولا بان تحريم وتحليل

بان قوله لولاه ما كان لا فلك ولا فلك مثل هذا يحتاج الى دليل فلم يرد في الكتاب ولا في السنة ما يدل على ذلك والله اعلم ومن ذلك ما حدث به بعضهم قال غزونا الهند فوقعت في غيضة فاذا فيها شجر عليه ورق احمر مكتوب عليه بالبياض لا اله الا الله محمد رسول الله وعن بعضهم رايت في جزيرة شجرة عظيمة لها ورق كبير طيب الرائحة مكتوب عليه بالحمرة والبياض في الخضرة كتابة بينة واضحة خلقة ابدعها الله تعالى بقدرته في الورقة ثلاثة اسطر الاول لا اله الا الله والثاني محمد رسول الله والثالث ان الدين عند الله الاسلام وعن بعض اخر قال دخلت بلاد الهند فرايت في بعض قراها شجر ورد اسود ينفتح عن وردة كبيرة سودا طيبة الرائحة مكتوب عليها بخط ابيض لا اله الا الله محمد رسول الله ابو بكر الصديق عمر الفاروق فشككت في ذلك وقلت انه معمول فعمدت الى وردة كبيرة لم تنفتح فرايت فيها كما رايت في سائر الورق وفي البلد منها شيء كثير واهل تلك البلد يعبدون الحجارة ونقل ابن مرزوق في شرح البردة عن بعضهم قال عصفت بنا ريح ونحن في لجج بحر الهند فارسينا في جزيرة فراينا فيها وردا احمر زكي الرائحة مكتوب عليه بالاصفر براءة من الرحمن الرحيم الى جنات النعيم لا اله الا الله محمد رسول الله اي ومن ذلك ما حكاه بعضهم قال رايت في بلاد الهند شجرة تحمل ثمرا يشبه اللوز له قشران فاذا كسر خرج منه ورقة خضرا مطوية مكتوب عليها بالحمرة لا اله الا الله محمد رسول الله كتابة جلية وهم يتبركون بتلك الشجرة ويستسقون بها اذا منعوا الغيث هذا وقد مر في الجفا الاقتصار على لا اله الا الله اي وحينئذ لا يكون شاهدا على ما ذكرنا اي ومن ذلك ما حكاه الحافظ السلفي عن بعضهم ان شجرة ببعض البلاد لها ورق اخضر وعلى كل ورقة مكتوب بخط اشد خضرة من لون الورقة لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان تلك البلاد اهلها اوثان وكانوا يقطعونها ويحرقون اثارها فترجع الى ما كانت عليه في اقرب وقت فاذا بروا الرصاص وجعلوه في اصلها فخرج من حول الرصاص اربع فروع على كل

فرع

فرع لا اله الا الله محمد رسول الله فصاروا يتبركون ويستشفون بها من المرض اذا اشتد ويخلقونها بالزعفران واجل الطيب ومن ذلك انه وجد في سنة سبع او تسع وثمانمائة حجر عليه بخط بارع بلون اسود محمد ومن ذلك ما ذكره بعضهم انه اصطاد سمكة مكتوب على جنبها الايمن لا اله الا الله وعلى جنبها الايسر محمد رسول الله قال فلما رايناها القيناها في النهر احتراما لها وعن بعض اخر قال ركبت بحر المغرب ومعنا غلام معه سنارة فادلاها في البحر فاصطاد سمكة قدر شبر بيضا فنظرنا فاذا مكتوب بالاسود على اذنها الواحدة لا اله الا الله وفي قفاها وخلف اذنها الاخرى محمد رسول الله فقذفناها في البحر وعن بعضهم انه ظهرت له سمكة بيضا واذا على قفاها مكتوب بالاسود لا اله الا الله محمد رسول الله وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا بطائر في فمه لوزة خضرا فالقاها فاخذها النبي صلى الله عليه وسلم فوجد فيها دودة خضرا مكتوب عليها بالاصفر لا اله الا الله محمد رسول الله ومن ذلك ما حكاه بعضهم انه كان بطبرستان قوم يقولون لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا يقرون لمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة وحصل منهم افتتان ففي يوم شديد الحر ظهرت سحابة شديدة البياض فلم تزل تنتشر حتى اخذت ما بين الخافقين والحائل بين السما والبلد فلما كان وقت الزوال ظهر في السحابة بخط واضح لا اله الا الله محمد رسول الله فلم تزل كذلك الى وقت العصر فتاب كل من كان افتتن واسلم اكثر من كان بالبلد من اليهود والنصارى ومن ذلك ما جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال بلغني في قول الله تعالى وكان تحته كنز لهما قال كان لوحا من ذهب اي وقيل لوح من رخام مكتوب فيه عجبا لمن ايقن بالموت اي بانه يموت كيف يفرح عجبا لمن ايقن بالحساب اي انه يحاسب كيف يضحك عجبا لمن ايقن بالقضا اي ان الامور بالقضا والقدر كيف يحزن عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وروي البيهقي عن علي رضي الله تعالى عنه ان الكنز الذي ذكره الله تعالى في كتابه لوح من ذهب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن ايقن بالقدر ثم ينصب اي يتعب عجبت لمن ذكر الموت ثم غفل لا اله الا الله محمد رسول الله ولفظ لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي وفي تفسير القاضي البيضاوي عجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله اقول قد يقال يجوز ان يكون ما ذكر

اولا فى احد وجهى ذلك اللوح وما ذكر ثانيا فى الوجه الثانى او ان بعض الرواة زاد
وبعضهم نقص وبعضهم روى بالمعنى حفظ ذلك الكنز لاجل صلاح ابيهما وكان
تاسع اب لهما وقد قال محمد بن المنكدر ان الله يحفظ بالرجل الصالح ولده وولد
ولده وبقعته التى هو فيها والدويرات حوله فلا يزالون فى حفظ الله وستره وذكر
ان بعض العلوية هم هارون الرشيد بقتله فلما دخل عليه اكرمه وخلى سبيله فقيل
له بماذا دعوت حتى نجاك الله تعالى فقال قلت يا من حفظ الكنز على الصبيين
لصلاح ابيهما احفظنى منه لصلاح اباى كذا فى العرايس والله اعلم ومن ذلك ما جاء
عن جابر رضى الله تعالى عنه قال مكتوب بين كتفى ادم محمد رسول الله خاتم النبيين اى
وذكر بعضهم انه شاهد فى بعض بلاد خراسان مولودا على احد جنبيه مكتوب
لا اله الا الله وعلى الاخر محمد رسول الله اى ومن ذلك ما حكاه بعضهم قال ولد
عندى فى عام اربعة وسبعين وثمانية جدى اسود عنده بيضا على شكل الدايرة وفيها
مكتوب محمد بخط فى غاية الحسن والبيان وما حكاه بعضهم قال شهدت ببلدة
من بلاد افريقية بالمغرب بياض عينه اليمنى من اسفل مكتوب بعرق احمر كتابة
بليغة محمد رسول الله وذكر الشيخ عبد الوهاب الشعرانى نفعنا الله به كتبه فى لواقح
الانوار القدسية فى قواعد السادة الصوفية وفى يوم كتابتى لهذا الموضع رايت علما
من اعلام النبوة وذلك ان شخصا اتانى ببرلسى حروف شواها وكلها واراتى فيها
مكتوبا بخط الهى على الجبين لا اله الا الله محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق
يهدى به من يشا ويهدى به من يشا قال الشيخ عبد الوهاب وتكرير ذلك لحكمة
فان الله لا يسهو اهذا كلامه وقد يقال لعل الحكمة التاكيد لعلو مقام الهداية
كيف وهو المجانب لمقام الضلالة والغواية وعن الزهرى قال شخصت الى هشام بن
عبد الملك فلما كنت بالبلقا رايت حجرا مكتوبا عليه بالعبرانى فارشدت الى شيخ يقرأ
فلما قراه ضحك وقال امر عجيب مكتوب عليه باسمك اللهم جا الحق من ربك بلسان
عربى مبين لا اله الا الله محمد رسول الله وكتبه موسى بن عمران باب
سلام الحجر والشجر عليه صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه عن سمرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل ان ابعث انى لاعرفه
الان قال جا فى بعض الروايات ان هذا الحجر هو الحجر الاسود اى وقيل غيره وانه الذى فى زقاق
بمكة يعرف بزقاق الحجر اى ولعله غير الحجر الذى به اثر المرفق ذكر انه صلى الله عليه وسلم
اتكى عليه بمرفقه وهو الذى يقال له زقاق المرفق وغير الحجر الذى به اثر الاصابع
وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اراد الله تعالى كرامته بالنبوة كان اذا

خرج لحاجة اى لحاجة الانسان ابعد حتى لا يرى بيتا ويفضى الى الشعاب وبطون
الاودية فلا يمر بحجر ولا شجر الا قال الصلاة والسلام عليك يا رسول الله وكان
يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى احدا انتهى والى ذلك يشير صاحب
الاصل بقوله ٥

لم يبق من حجر صلب ولا شجر • الا وسلم بل هنا ه ما وهبا

والى ذلك يشير صاحب الهمزية بقوله ٥

والجمادات افصحت بالذى قد • اخرس عنه لاحمد الفصحاء

اى والجمادات التى لا روح فيها نطقت بكلام فصيح لا تلعثم فيه اى بالشهادة له
صلى الله عليه وسلم بالرسالة فلم تنطق به اهل الفصاحة والبلاغة وهم الكفار
من قريش وغيرهم وعن على رضى الله عنه قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم
بمكة فخرجنا فى بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر الا وهو يقول السلام
عليك يا رسول الله اقول والى تسليم الحجر قبل البعثة يشير الامام السبكى
رحمه الله فى تائيته بقوله ٥

وما جزت بالاحجار الا وسلمت • عليك بنطق شاهد قبل البعثة

واما حديث عايشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما اوحى الله الى جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله
ومما ذكره بعضهم ان الجن قالوا له صلى الله عليه وسلم بمكة من يشهد انك رسول
الله قد تلك الشجرة ثم قال لها من انا فقالت رسول الله فليس من المترجم
له وفى الخصايص الصغرى وخص بتسليم الحجر وكلام الشجر وبشهادتها له بالنبوة
واجابتها دعوته وفى كلام السهيلى يحتمل ان يكون نطق الحجر والشجر كلاما
مقرونا بحياة وعلم ويحتمل ان يكون صوتا مجردا غير مقترن وعلى كل هو علم من اعلام
النبوة وفى كلام الشيخ محيى الدين بن العربى اكثر العقلا بل كلهم يقولون عن
الجمادات لا تعقل فوقفوا عند بصرهم والامر عندنا ليس كذلك فاذا جاءهم عن نبى
او ولى ان حجرا كلمه مثلا يقولون خلق الله فيه العلم والحياة فى ذلك الوقت
والامر عندنا ليس كذلك بل سر الحياة سارى فى جميع العالم وقد ورد ان كل شى
سمع صوت المؤذن من رطب ويابس يشهد له ولا يشهد الا من علم واطال
فى ذلك وقال قد اخذ الله بابصار الانس والجن عن ادراك حياة الجماد الا
من شا الله كنحن واضرابنا فانا لا نحتاج الى دليل فى ذلك لكون الحق تعالى قد
كشف لنا عن حياتها عينا واسمعنا تسبيحها ونطقها وكذلك اندكاك الجبل لما

وقع التجلي انما كان ذلك منه لمعرفته بعظمة الله وعزة جلاله عز وجل ولولا
ما عنده من العظمة لما اندكدك والله اعلم **باب بيان حين البعث**
وعموم بعثته صلى الله عليه وسلم قال ابن اسحاق لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
اربعين سنة بعثه الله رحمة للعالمين وكافة للناس اجمعين وكان الله قد اخذ له
الميثاق على كل نبي بعثه قبله بالايمان به والتصديق له والنصر على من خالفه
وان يودوا ذلك الى كل من امن بهم وصدقهم اي فهموا اممهم من جملة امته صلى
الله عليه وسلم كما سياتي عن السبكي فعن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعث على راس الاربعين قال وهذا هو المشهور بين الجمهور من
اهل الارض العالمين بالسير العالمين بالاثر وقيل بزيادة يوم وقيل
بزيادة عشرة ايام وقيل بزيادة شهرين وقيل بزيادة سنتين وهو
شاذ واكثر منه شذوذا ما قيل انه بزيادة ثلاث سنين ومما قيل
انه بزيادة خمس سنين قال بعضهم والاربعون من سن الكمال وبها يبعث
الرسل اي لا يرسلون دونها ومن ثم قال في الكشاف ويروى انه لم يبعث
نبي الا على راس اربعين سنة هذا كلامه في الكشاف واما ما ذكر عن المسيح
انه رفع الى السما وهو ابن ثلاث او اربع وثلاثين سنة اي ومعلوم انه دعي الى
الله قبل ذلك فهو قول شاذ حكاه وهب بن منبه عن النصارى انتهى اي وعليه
جرى غير واحد من المفسرين بل قال في ينبوع الحياة لم يبلغني ان احدا من
المفسرين ذكر في مبلغ سنه اذ رفع اكثر من ثلاث وثلاثين سنة هذا كلامه
وفي الهدى واما ما يذكر عن المسيح انه رفع الى السما وله ثلاث وثلاثون سنة فهو
لا يعرف به اثر متصل يجب المصير اليه هذا كلامه ويوافق ما تقدم عن
المفسرين ما في العرائس ولما تمت له اي لعيسى عليه السلام ثلاثون سنة
اوحى الله تعالى اليه ان يبرز للناس ويدعوهم ويضرب الامثال لهم ويداوي
المرضى والزمنى والعميان والمجانين ويقمع الشياطين ويزجرهم ويدحرهم ففعل
ما امر به واظهر المعجزات فاحيى ميتا يقال له عازر بعد ثلاثة ايام من موته وعيالة
الجلال المحلي في تفسيره احيى عيسى عليه السلام اربعة عازر صديقا
له وابن العجوز وابنة العاشر وسام بن نوح هذا كلامه وذكر البغوي قصة
كل واحد فراجعه وكان عيسى عليه السلام يمشي على الما ومكث في الرسالة
ثلاث سنوات ثم رفع ويوافق ذلك ايضا قول ابن الجوزي واما حديث
ما من نبي الا نبئ بعد الاربعين موضوع لان عيسى عليه السلام نبئ ورفع

الى

الى السما وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة اي نبئ وهو ابن ثلاثين سنة وقع وهو ابن
ثلاث وثلاثين سنة بل قيل نبئ وهو طفل فاشتراط الاربعين في حق الانبيا عليهم
الصلاة والسلام ليس بشيء هذا كلامه اي وفيه ان هذا بمجرده لا يدل على
وضع الحديث ويوافقه ايضا قول القاضي البيضاوي ونبئ نوح وهو ابن خمسين
سنة وقيل اربعين ويوافقه ايضا قول بعضهم ومما يدل على ان بلوغ الاربعين
ليس شرطا للنبوة قصة سيدنا يحيى صلوات الله وسلامه عليه نبا على ان
الحكم في قوله تعالى واتيناه الحكم صبيا لا الحكمة وفهم التوراة كما قيل بذلك
بل الحكم النبوة عقله في صباه واستنباه قيل كان ابن سنتين او ثلاث ولما
ولي الخلافة المقتدر وهو غير بالغ صنف الامام الصولي له كتابا في ولي الامر
وهو غير بالغ واستدل على جواز ذلك بان الله بعث يحيى بن زكريا وهو غير
بالغ وذكر فيه كل من استعمله النبي صلى الله عليه وسلم من الصبيان قال
بعضهم وهو كتاب حسن فيه فوائد كثيرة وكان ذبح يحيى قبل رفع عيسى عليهما
الصلاة والسلام بسنة ونصف سنة ومما يدل على ما تقدم عن الهدى اي
من انكار ان عيسى عليه السلام رفع وله ثلاث وثلاثون سنة قول بعضهم
الاحاديث الصحيحة تدل على انه انما رفع وهو ابن مائة وعشرين سنة من
تلك الاحاديث قوله صلى الله عليه وسلم في مرض موته لابنته فاطمة رضي الله
الله تعالى عنها اخبرني جبريل انه لم يكن نبي الا عاش نصف عمر الذي كان قبله
واخبرني ان عيسى بن مريم عاش عشرين ومائة سنة ولا اراني الا ذاهبا على
راس الستين وفي الجامع الصغير ما بعث الله نبيا الا عاش نصف ما عاش الذي
قبله وعلى كون كل نبي عاش نصف ما عاش النبي الذي قبله يشكل ان نوحا
اطول الانبيا عمرا وسن ثم قيل له كبير الانبيا وشيخ المرسلين وهو اول من
تنشق عنه الارض بعد نبينا صلى الله عليه وسلم ثم رايت الحافظ
الهيثمي ضعف حديث ما بعث الله نبيا الا عاش نصف ما عاش النبي صلى الله
عليه وسلم الذي قبله وقال الحافظ ابن كثير انه غريب جدا وعن عمرو بن شعيب
عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عام تبوك قام من الليل
يصلي فاجتمع رجال من اصحابه يحرسونه اي ينتظرون فراغه من الصلاة
لان تزول والله بعضهم من الناس كان قبل هذا حتى اذا صلى وانصرف
وانصرف اليهم قال لهم لقد اعطيت الليلة خمسا ما اعطيهن احد قبلي زاد
في الرواية لا اقولهن فخرا اما اولهن فارسلت الى الناس كلهم عامة اي من في

زمنه وغيرهم ممن تقدموا وتاخروا ى وللنبيين والحجر الى اخر ما ياتى وكان من
قبلى وفى لفظ وكان كل نبى انما يرسل الى قومه اى جميع اهل زمنه او بعض منهم
خاصة ومن الاول نوح فانه كان مرسلا لجميع من كان فى زمنه من اهل الارض ولما
اخبرهم بانه لا يؤمن منهم الا من امن معه وهم اهل السفينة وكانوا ثمانين
اربعين رجلا واربعين امراة وفى عوارف المعارف اصحاب السفينة كانوا اربعمائة
وقد يقال من الادميين وغيرهم فلا مخالفة دعا عليهم عندما ذكر باستيصال
العذاب لهم فكان الطوفان الذى كان به هلاك جميع اهل الارض الا من امن ولو
لم يكن مرسلا اليهم ما دعى عليهم بسبب مخالفتهم له فى عبادة الاصنام
لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا اى معذبين فى الدنيا وقد
ثبت ان نوحا اول الرسل اى لمن يعبد الاصنام لان عبادة الاصنام اول ما
حدثت فى قومه وارسله الله اليهم نهاهم عن ذلك وحينئذ لا يخالف كون
اول الرسل ادم ارسله الله تعالى الى اولاده بالايمان بالله تعالى وتعليم شرايعه
وذكر بعضهم انه كان مرسلا لزوجته حوى فى الجنة لان الله تعالى
امره ان يامرها وينهاها فى ضمن اخباره بامره ونهيه بقوله تعالى يا ادم اسكن
انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة وذلك
عين الارسال كما ادعاه بعضهم فعلم ان عموم رسالة نوح عليه الصلاة
والسلام لجميع اهل الارض فى زمنه لا يساوى عموم رسالة نبينا صلى الله
عليه وسلم لما علمت ان رسالته عامة حتى لمن يوجد بعد زمنه وحينئذ
يسقط السؤال وهو لم يبق بعد الطوفان الا مومن فصارت رسالة نوح عليه
السلام عامة ويسقط جواب الحافظ ابن حجر عنه بان هذا العموم الذى حصل
بعد الطوفان لم يكن من اصل بعثته بل طرا بعد الطوفان بخلاف رسالة نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم قيل كان بين الدعوة والطوفان مائة عام وقد حققنا
فيما سبق ان ادم ومن بعده دعى الى الايمان بالله تعالى وعدم الاشراك به الا
ان الاشراك به وعبادة الاصنام اتفق انه لم يقع الا زمن نوح ومن بعده
واما قول اليهود او بعضهم وهم العيسوية طايفة من اليهود او بعضهم اتباع
عيسى الاصفهانى انه صلى الله عليه وسلم انما بعث للعرب خاصة دون بنى اسرائيل
وانه صادق فهو فاسد لانهم اذا سلموا انه رسول الله وانه صادق لا يكذب
لزمهم التناقض لانه ثبت بالتواتر عنه انه رسول الله لكل الناس اقول
قال بعضهم ولا ينافيه قوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه لانه

لايدل

لا يدل على اقتصار رسالته عليهم بل على كونه متكلما بلغتهم ليفهموا عنه اولا ثم يبلغ
الشاهد الغايب ويحصل الافهام لغير اهل تلك اللغة من الاعجام بالتراجم
الذين ارسل اليهم فهو صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الكافة وان كان هو وكتابه
عربيين كما كان موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام مبعوثين لبنى اسرائيل
بكتابيهما العبرانى اى وهما التوراة والسريانى وهو الانجيل مع ان من جملتهم
جماعة لا يفهمون بالعبرانية ولا بالسريانية كالاروام فان لغتهم اليونانية
والله اعلم واشار الى الثانية من الخمس بقوله ونصرت بالرعب على العدو ولو كان
بينى وبينه مسيرة شهر اى امامه وخلفه بل امن رعبا اى بقذف الرعب فى قلوب
اعدائه صلى الله عليه وسلم وجعل الغاية شهرا لانه لم يكن بين بلده وبين احد من اعدائه
صلى الله عليه وسلم وجعل الغاية شهرا لانه لم يكن بين بلده وبين احد من اعدائه اى
المحاربين له اكثر من شهر اى وجا ان سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام
ذهب هو وجنده من الانس والجن وغيرهما الى الحرم وكان يذبح كل يوم خمسة
الاف ناقة وخمسة الاف ثور وعشرين الف شاة لان مساحة جنده كانت مائة
فرسخ قال لمن حضر من اشراف جنده هذا مكان يخرج منه نبى عربى يعطى النصر على
جميع من ناواه وتبلغ هيبته مسيرة شهر فالقريب والبعيد عنده فى الحق سواء
لا تاخذه فى الله لومة لائم ثم قالوا فباى دين يا نبى الله يدين قال بدين الحنيفية
فطوبى لمن امن به قالوا كم بين خروجه وزماننا فقال مقدار الف عام واشار
الى الثالثة بقوله واحلت لى الغنايم كلها وكان قبلى اى من امر بالجهاد منهم
يعطونها ويحرمونها اى لانهم كانوا يجمعونها اى والمراد ما عدا الحيوانات من
الامتعة والاطعمة والاموال فان الحيوانات تكون ملكا للغانمين دون
الانبيا ولا يجوز للانبيا اخذ شئ من ذلك بسبب الغنيمة كذا فى الوفا
وجا فى بعض الروايات واطعمت امتك الفئ ولم احله لامة قبلها اى والمراد بالفئ
ما يعم الغنيمة كما انه قد يراد بالغنيمة ما يعم الفئ هذا وفى بعض الروايات
وكانت الانبيا يعزلون الخمس فتجئ النار اى نار بيضاء من السما فتاكله اى حيث
لا غلول وامرت ان اقسمه فى فقرا امتى وفى تكملة الجلال للجلال السيوطى لتفسير
الجلال المحلى ان ذلك لم يعهد فى زمن عيسى عليه السلام ولعله لم يكن ممن امر
بالجهاد فلا يخالف ما سبق واشار الى الرابعة بقوله وجعلت لى الارض مسجدا
وطهورا اينما ادركتنى الصلاة تمسحت اى تيممت حيث لا ما وصليت فلا يختص
بالسجود منها بموضع دون غيره وكان من قبلى لا يعطون ذلك منها بموضع دون

غيره وكان من قبلي لا يعطون ذلك اى الصلاة في اى محل ادركتهم فيه انما كانوا
يصلون في كنائسهم وبيعهم اى ولم يكن احد منهم يتيمم لان التيمم من خصائصنا
وفي رواية جابر لم يكن احد من الانبيا يصلي حتى يبلغ محرابه وجا في تفسير قوله
واختار موسى قومه الايات من الماثور ان الله تعالى قال لموسى اجعل لكم الارض
مسجدا فقال لهم موسى ان الله قد جعل لكم الارض مسجدا قالوا لا نريد ان نصلي
الا في كنائسنا فعند ذلك قال الله تعالى ساكتبها للذين يتقون ويؤتون
الزكاة الى قوله المفلحون اى وهم امة محمد صلى الله عليه وسلم وفيه انه قيل ان
عيسى كان يسيح في الارض يصلي حيث ادركته الصلاة ويحتاج الى الجمع بين هذا
وبين ما تقدم من قوله لم يكن احد من الانبيا يصلي حتى يبلغ محرابه الا ان
يقال لا يصلي مع امته الا في محرابه واما عيسى فخص بانه يصلي حيث ادركته
الصلاة وسياتي في الخصائص الكلام على ذلك واشار الى الخامسة بقوله
صلى الله عليه وسلم قيل لي سل فان كل نبي سال فاخرت مسالتي الى يوم القيمة
فهي لكم ولمن شهد ان لا اله الا الله وهي لاخراج من في قلبه ذرة من الايمان ليس
له عمل صالح الا التوحيد اى اخراج من ذكر من النار لان شفاعة غيره تقع فيمن
في قلبه اكثر من ذلك قاله القاضي عياض اى وقد جا في بيان من يشفع ه
باذن الله له في الشفاعة فلا يبقى نبي ولا شهيد الا يشفع وفي رواية ثم
تشفع الملائكة والنبيون والشهدا والصالحون والمؤمنون فيشفعهم الله
تعالى وقد جا ان اول شافع جبريل ثم ابراهيم ثم موسى ثم يقوم نبيكم رابعا
لا يقوم بعده احد فيما يشفع فيه وفي الحديث آتي تحت العرش فاخر ساجدا
فيقال يا محمد ارفع راسك سل تعطه واشفع تشفع فارفع راسي فاقول يا رب امتي
يا رب امتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من بر او شعير من ايمان وفي
لفظ حبة من خردل وفي لفظ ادنى ادنى ادنى من مثقال حبة من خردل فاخرجه
اى من النار فانطلق فافعل اى اخرجه من النار وادخله الجنة وله شفاعة
قبل هذه في ادخال اهل الجنة الجنة بعد مجاوزة الصراط ففي الحديث فاذا
دخلت الجنة فنظرت الى ربي خررت ساجدا فياذن لي في حمده وتمجيده ثم يقول
ارفع راسك يا محمد واشفع تشفع واسال تعطه فاقول يا رب شفعني في اهل
الجنة ان يدخلوا الجنة فياذن الله تعالى لي في الشفاعة الى اخرها تقدم ومن
هذا يعلم ان الشفاعة في الاخراج من النار انما تكون منه صلى الله عليه وسلم وهو
في الجنة فما تقدم من قوله آتي تحت العرش فاخر ساجدا الى اخره انما ذلك في

الشفاعة في فصل القضا فهذه اخلط من بعض الرواة اى خلط الشفاعة
في الموقف التي هي الشفاعة في فصل القضا بالشفاعة بعد مجاوزة الصراط
في دخول اهل الجنة وبالشفاعة بعد مجاوزة الصراط في دخول الجنة وفي
اخراج اهل التوحيد من النار والشفاعة في فصل القضا هي المشار اليها
في قوله صلى الله عليه وسلم واعطيت الشفاعة فقد قال ابن دقيق العيد
الاقرب ان اللام فيها للعهد والمراد الشفاعة العظمى في اراحة الناس من
هول الموقف اى وهذا هو المقام المحمود الذي يحمده ويغبطه فيه الاولون
والاخرون المعني بقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وعن حذيفة
تجمع الناس في صعيد واحد فاول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك
وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك ولك
واليك لا ملجا ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت
وقد هاجت فتنة كبيرة ببغداد بسبب هذه الاية اعني عسى ان يبعثك
ربك مقاما محمودا فقالت الحنابلة معناه يجلسه الله تعالى على عرشه وقال
غيرهم بل هي الشفاعة العظمى في فصل القضا فدام الخصام الى ان اقتتلوا
فقتل كثيرون وهذه الشفاعة احدى الشفاعات الثلاث المعنية بقوله
صلى الله عليه وسلم لي عند ربي ثلاث شفاعات وعدنيهن وفي كلام بعضهم
له صلى الله عليه وسلم تسع شفاعات اخر غير فصل القضا جرى في اختصاصه
ببعضها خلاف ومنها الشفاعة في ادخال قوم الجنة بغير حساب ولا عقاب
قال النووي وجماعة هي مختصة به صلى الله عليه وسلم والشفاعة في اناس
استحقوا دخول النار فلا يدخلونها قال القاضي عياض وغيره ويشركه فيها
من يشا الله تعالى والشفاعة في اخراج من ادخل النار من الموحدين وفي قلبه
مثقال ذرة من ايمان وهي مختصة به صلى الله عليه وسلم والشفاعة في اخراج
من ادخل منهم النار وفي قلبه ازيد من ذرة من ايمان ويشاركه فيها الانبياء
والملائكة والمؤمنون وظاهر هذا السياق ان المراد من في قلبه مثقال ذرة
من ايمان الى اخره عام في امته صلى الله عليه وسلم وغيرهم من الامم ويؤيده قول
بعضهم جا في الصحيح فاقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله اى ومات على ذلك
قال ليس ذلك لك ولكن وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لاخرجن من النار من قال
لا اله الا الله ولا يشكل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم اتاني آت من عند ربي
فخيرني بين ان يدخل نصف امتي وفي رواية ثلثي امتي الجنة اى بلا حساب ولا عذاب

وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئا فاخترت الشفاعة
وعلمت انها اوسع لهم **لانا نقول** المراد بالذين تنالهم شفاعته صلى الله عليه وسلم ممن
مات لا يشرك بالله شيئا خصوص امته واما من قيل له فيه ليس ذلك لك فهم
الموحدون من الامم السابقة فليتأمل مع ما سبق من شفاعة الانبيا والملايكة
والمومنين **والشفاعة** في زيادة الدرجات في الجنة لاهلها وجوزا لنووي اختصاصها
به صلى الله عليه وسلم **والشفاعة** في تخفيف العذاب عن بعض الكفار كابي طالب
وابي لهب في كل يوم اثنين بالنسبة لابي لهب **والشفاعة** لمن مات بالمدينة
الشريفة ولعل المراد انه لا يحاسب **وقد** اوصل ابن القيم شفاعاته صلى الله عليه وسلم
الى اكثر من عشرين شفاعة **وفي رواية** اعطيت ما لم يعطه احد من الانبيا نصرت
بالرعب واعطيت مفاتيح الارض اي **وفي** لفظ وبينا انا نايم رايتني اوتيت مفاتيح
خزاين الارض فوضعت بين يدي ولا منافاة لانه يجوز انه اعطي ذلك يقظة بعد
ان اعطيه مناما وسميت احمد اي ومحمد اي لان احدا من الانبيا لم يسم بذلك فهو من
خصايصه صلى الله عليه وسلم بالنسبة الى الانبيا كذا في الخصايص الصغرى
وتقدم ان التسمية باحمد من خصايصه صلى الله عليه وسلم على جميع الناس
وفي وصفه صلى الله عليه وسلم نفسه بما ذكر وقول عيسى عليه الصلاة والسلام
اني عبد الله الاية وقول سليمان عليه الصلاة والسلام علمنا منطق الطير
واوتينا من كل شي الاية هو الاصل في ذكر العلما مناقبهم في كتبهم وهذا ماخوذ
من قوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث ومن قوله صلى الله عليه وسلم التحدث بنعمة
الله شكر وتركه كفر قال تعالى لين شكرتم لازيدنكم ولين كفرتم ان عذابي
لشديد **صعد سيدنا عمر** رضي الله تعالى عنه المنبر فقال الحمد لله الذي
صيرني ليس فوقي احد ثم نزل فقيل له في ذلك فقال انما فعلت ذلك اظهارا
للشكر **وعن** سفيان الثوري رحمه الله من لم يتحدث بنعمة الله فقد عرضها للزوال
والحق في ذلك التفصيل وهو ان من خاف من التحدث بالنعمة واظهارها
الريا فعدم التحدث بها وعدم اظهارها اولى ومن لم يخف ذلك فالتحدث بها
واظهارها اولى اي **وفي الشفا** انه احمد المحمودين واحمد الحامدين ويوم القيمة
يحمده الاولون والاخرون لشفاعته لهم فحقيق ان يسمى محمدا واحمد **وتقدم** ان هذا
يوافق ما تقدم عن الهدي ان احمد ماخوذ من الفعل الواقع على المفعول **وقد
جا** انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر
الناس على قدمي وانا العاقب ليس بعدي نبي وجعلت امتي خير الامم **قال القاضي**

البيضاوي

البيضاوي وفي التسمية بالاسما العربية تنويه الى تعظيم المسمى هذا كلامه **وفي**
رواية لما اسري بي الى السما قربني ربي حتى كان بيني وبينه كقاب قوسين او ادنى قيل
لي قد جعلت امتك اخر الامم لا افضح الامم عندهم اي بوقوفهم على اخبارهم ولا افضحهم
عند الامم اي لتاخرها عنهم وعليه فالضمير في ربي يعود اليه صلى الله عليه وسلم
وذكر بعضهم ان دنى فتدلى الاية عبارة عن تقريبه تعالى للنبي صلى الله
عليه وسلم فالضمير في دنى يعود على الله تعالى وفي رواية نحن الاخرون من اهل
الدنيا والاولون يوم القيمة المقضي لهم قبل الخلايق وفي رواية نحن اخر الامم
واول من يحاسب فتفرج لنا الامم عن طريقنا فنمضي غرا محجلين من اثر الطهور
وفي رواية من اثار الوضو فتقول الامم كادت هذه الامة ان تكون انبيا كلها
هذا وفي رواية غرا من اثر السجود محجلين من اثر الوضو وفي رواية فضلت على
الانبيا بست اي لا مخالفة بين ذكر الخمس اولا وبين ذكر الست هنا لانه يجوز ان
يكون اطلع اولا على بعض ما اختص به ثم اطلع على الباقي هذا على اعتبار مفهوم
العدد ثم اشار الى بيان الست بقوله اعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب واحلت
لي الغنايم وجعلت لي الارض طهورا ومسجدا وارسلت الى الخلق كافة فالخلق يشمل
الانس والجن والملك والحيوانات والنبات والحجر قال الجلال السيوطي وهذا
القول اي ارساله للملايكة رجحته في كتاب الخصايص وقد رجحه قبلي الشيخ تقي
الدين السبكي وزاد انه مرسل لجميع الانبيا والامم السابقة من لدن ادم الى
قيام الساعة ورجحه ايضا البارزي وزاد انه مرسل الى جميع الحيوانات والجما كات
وازيد على ذلك انه ارسل الى نفسه وذهب جمع الى انه لم يرسل للملايكة
منهم الحافظ العراقي في نكته على ابن الصلاح والجلال المحلي في شرح الجوامع
وشيت عليه في شرح التقريب وحكى الفخر الرازي في تفسيره والبرهان النسفي في
تفسيره فيه الاجماع هذا كلامه وهذا الثاني افتى والد شيخنا الرملي وعليه
فيكون قوله صلى الله عليه وسلم ارسلت للخلق كافة وقوله تعالى ليكون للعالمين
نذيرا من العام المخصوص او الذي اريد به الخصوص ولا يشكل عليه حديث
سلمان اذا كان الرجل في ارض واقام الصلاة صلى خلفه من الملايكة ما لا نرى
طرفاه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده لانه يجوز ان لا يكون ذلك صادرا
عن بعثته صلى الله عليه وسلم اليهم ولا يشكل ما ورد بعثت الى الاحمر والاسود
لما تقدم ان المراد بذلك العرب والعجم **وفي** الشفا وقيل الاحمر الانس والاسود
الجان واستدل للقول الاول القايل بانه ارسل للملايكة بقوله تعالى ومن يقل

منهم اى من الملائكة انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم فهى انذار للملائكة على
لسانه صلى الله عليه وسلم فى القران الذى انزل عليه فثبت بذلك ارساله
صلى الله عليه وسلم اليهم ودعوى الاجماع مانع فيها فهى دعوى غير مسموعة
ثم رايت الجلال السيوطى ذكر هذا الاستدلال وهو راى صحيح وذكر تسعة
ادلة وهى لا تثبت المدعى الذى هو ان الملائكة يكلفون بشرعه صلى الله عليه وسلم
كما لا يخفى على من رزق نوع فهم بالوقوف عليهما فعلم انه صلى الله عليه وسلم
مرسل لجميع الانبيا واممهم على تقدير وجوده فى زمنهم لان الله تعالى اخذ عليهم
وعلى اممهم الميثاق على الايمان به صلى الله عليه وسلم ونصرته مع بقائهم على نبوتهم
ورسالتهم الى اممهم فنبوته صلى الله عليه وسلم ورسالته اعم واشمل وتكون
شريعته فى تلك الاوقات بالنسبة الى اولئك الامم ما جات به انبياؤهم لان
الاحكام والشرائع تختلف باختلاف الاشخاص والاوقات قاله السبكى اى فجميع
الانبيا واممهم من جملة امته صلى الله عليه وسلم فقد قال صلى الله عليه وسلم
لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه والذى نفسى بيده لو ان موسى عليه السلام كان
حيا ما وسعه الا ان يتبعنى واخرج احمد وغيره عن عبد الله بن ثابت قال جا بن
ثابت قال جا عمر رضى الله تعالى عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله انى مررت باخ لى من قريظة فكتب لى جوامع من التوراة الا اعرضها عليك فتغير
وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا
وبمحمد رسولا فسرى عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال والذى نفس محمد
بيده لو اصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه لضللتم انكم حظى من الامم وانا حظكم من
النبيين وفى المهولاى حيان ان عبد الله بن سلام استاذن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يقيم على السبت وان يقرا من التوراة فى صلاته من
الليل فلم ياذن له وكون جميع الانبيا واممهم من امته المراد امة الدعوة
لا امة الاجابة لانها مخصوصة بمن امن به بعد البعثة على ما تقدم ويات
ولبعثته صلى الله عليه وسلم رحمة حتى للكفار بتاخير العذاب ولم
يعاجلوا بالعقوبة كسائر الامم المكذبة وحتى للملائكة قال تعالى وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين وقد ذكر فى الشفا ان النبى صلى الله عليه وسلم
قال يا جبريل هل اصابك من هذه الرحمة شى قال نعم كنت اخشى العاقبة
فامنت لثناء الله تعالى على فى القران بقوله عز وجل ذى قوة عند ذى العرش
مكين قال الجلال السيوطى ان هذا الحديث لم يقف له على اسناد فهو صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم افضل من سائر المرسلين وجميع الملائكة المقربين وفى لفظ اخر
فضلت على الانبيا بست لم يعطهن احد قبلى غفر لى ما تقدم من ذنبى وما تاخر
واحلت لى الغنائم وجعلت امتى خير الامم وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا
واعطيت الكوثر ونصرت بالرعب والذى نفسى بيده ان صاحبكم لصاحب لواء
الحمد يوم القيمة تحته ادم فمن دونه وفى رواية فما احد الا وهو تحت لوائى يوم
القيمة ينتظر الفرج وان معى لوا الحمد انا امشى ويمشى الناس معى الى باب الجنة
الحديث اقول قد سئلت عما حكاه الجلال السيوطى انه ورد الى مصر نصرانى من
الفرنج وقد لى شبهة ان ازلتموها اسلمت فعقد له مجلس بدار الحديث
الكاملية وراس العلما اذ ذاك الشيخ عز الدين بن عبد السلام فقال له النصرانى
والناس يسمعون اى افضل عندكم المتفق عليه او المختلف فيه فقال الشيخ عز
الدين المتفق عليه فقال النصرانى قد اتفقنا نحن وانتم على نبوة عيسى واختلفنا
فى نبوة محمد فيلزم ان يكون عيسى افضل من محمد فاطرق الشيخ عز الدين ساكتا
من اول النهار الى الظهر حتى ارتج المجلس واضطرب اهله ثم رفع الشيخ راسه
وقال عيسى قال لبنى اسرائيل ومبشرا برسول ياتى من بعدى اسمه احمد فيلزمك
ان تتبعه فيما قال وتؤمن باحمد الذى بشر به فاقام الحجة على النصرانى واسلم بانه
كيف اقام الحجة على كون محمد صلى الله عليه وسلم افضل من عيسى اذ غاية ما ذكر
ان محمدا رسول الله فاجبت بانه حيث ثبت ان محمدا رسول الله وجب الايمان به
وبما جاء به ومما جاء به واخبر انه افضل من جميع الانبيا وقد سئل ابو الحسن
الحمال باللحا المهملة من فقهائنا معاشر الشافعية محمد وموسى عليهما الصلاة
والسلام ايهما افضل فقال محمد صلى الله عليه وسلم فقيل له ما الدليل على
ذلك فقال انه تعالى ادخل بينه وبين موسى لام الملك فقال واصطنعتك
لنفسى وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله
ففرق بين من اقام بوصفه وبين من اقامه مقام نفسه والله اعلم وفى رواية
اذا كان يوم القيمة كان لى لوا الحمد وكنت امام المرسلين وصاحب شفاعتهم
وفى لفظ الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لوا الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا
اكرم الاولين والاخرين على الله ولا فخر وانا اول شافع وانا اول مشفع يوم القيمة
ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة اى حلق بابها فيفتح الله لى فادخلها ومعى فقرا
المؤمنين ولا فخر اى وفى رواية اتى باب الجنة يوم القيمة فاستفتح اى بتحريك
حلقة الباب او قرعه بها لا بالصوت فيقول الخازن اى وهو رضوان من انت

فاقول محمد وفي رواية انا محمد فيقول بك امرت لا افتح وفي رواية ان لا افتح لاحد
قبلك زاد في رواية ولا اقول لاحد بعدك لا افتح له **ففي** خصايصه صلى الله
عليه وسلم ان رضوان لا يفتح الا له ولا يفتح لغيره من الانبيا وغيرهم وانما يتولى
ذلك غيره من الخزنة وهي خصوصية عظيمة نبه عليها الخضري وكون الفاتح له
الحق سبحانه لما علم ان الخازن انما فتح بامر الله فهو الفاتح الحقيقي **وفي** رواية انا اول من
يفتح له باب الجنة ولا فخر فاتي فاخذ بحلقة الجنة فيقال من هذا فاقول محمد فيفتح لي
فيستقبلني الجبار فاخر له ساجدا اي فالكلام في يوم القيمة فلا يرد ادريس عليه
السلام بنا على ان دخول الجنة مرتب على فتح الباب غالبا لان ذلك قبل يوم القيمة
وفي القيمة يخرج الى الموقف فيكون مع امته للحساب ولا ينافيه ما جا اول من يقرع
باب الجنة بلال بن حمامة على تقدير صحته لانه يجوز ان يكون يقرع الباب الاصلي لاحلقه
او الاول من الامة والله اعلم **وفي الاوسط** للطبراني باسناد حسن حرمت الجنة على
الانبيا حتى ادخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها امتي وسيأتي ان هذا من جملة ما
اوحى اليه ليلة المعراج الذي اشار اليه قوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى ولعل
هذا هو المراد مما جا في المرفوع **عن** ابن عباس رضي الله تعالى عنهما حرمت الجنة على جميع
الامم حتى ادخلها انا وامتي وان ظاهرها من انه لا يدخلها احد من الانبيا الا بعد
دخول هذه الامة **وجا** لاشفعن يوم القيمة لاكثر ما في الارض من حجر وشجر **وعن**
انس رضي الله تعالى عنه فضلت على الناس باربع بالسخا والشجاعة وقوة البطش وكثرة
الجماع اي **فعن** سلمى مولاته صلى الله عليه وسلم انها قالت طاف رسول الله صلى الله
عليه وسلم على نسائه التسع ليلة وتطهر من كل واحدة قبل ان يأتي الاخرى وقال هذا
اطهر واطيب **وما يدل** على قوة بطشه صلى الله عليه وسلم ما وقع له مع ركانة كما سيأتي
وفي الخصايص الصغرا وكان افرس العالمين فهو صلى الله عليه وسلم اجود بني ادم
على الاطلاق كما انه افضلهم واشجعهم واعلمهم واكملهم في جميع الاخلاق الجميلة
والاوصاف الحميدة قال ابن عبد السلام من خصايصه صلى الله عليه وسلم ان الله
تعالى اخبره بالمغفرة اي لما تقدم وما تاخر ولم ينقل انه اخبر احدا من الانبيا بمثل
ذلك اي ولانه لو وقع لنقل لانه مما تتوفر الدواعي على نقله بل **ومما** اختص به صلى
الله عليه وسلم وقوع غفران نفس الذنب المتقدم والمتاخر كما تقدم من قوله صلى الله
عليه وسلم في بيان ما اختص به عن الانبيا وغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تاخر اي ولا
ينافي ذلك قوله تعالى في حق داود فغفرنا له ذلك لانه غفران لذنب واحد قال
ابن عبد السلام بل الظاهر انه لم يخبرهم اي بغفران ذنوبهم بدليل قولهم في

الموقف

الموقف نفسي نفسي لاني الى اخره **وعن** ابي موسى رضي الله تعالى عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع بي من يهودي او نصراني ثم لم يسلم دخل النار
اي لانه يجب عليه ان يؤمن به **اقول** والذي في مسلم والذي نفس محمد بيده لا يسمع
بي احد من هذه الامة يهودي او نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي ارسلت به
الا كان من اصحاب النار اي من سمع بنبينا صلى الله عليه وسلم ممن هو موجود
في زمنه وبعده الى يوم القيمة ثم مات غير مؤمن بما ارسل صلى الله عليه وسلم
به كان من اصحاب النار اي ومن جملة ما ارسل به انه ارسل الى الخلق كافة
لا لخصوص العرب تامل وانما خص اليهود والنصارى بالذكر تنبيها على غيرهما
لانه اذا كان حالهما ذلك مع ان لهم كتابا فغيرهم ممن لا كتاب له كالمجوسي اولى
لان اليهود كتابهم التوراة والنصارى كتابهم الانجيل لان شريعة التوراة
التي هي شريعة موسى يقال لها اليهودية اخذا من قول موسى عليه السلام
انا هدنا اليك اي رجعنا اليك فمن كان على دين موسى يسمى يهوديا وشريعة
الانجيل يقال لها النصرانية اخذا من قول عيسى عليه السلام من انصاري الى
الله فمن كان على دين عيسى يسمى نصرانيا وكان القياس ان يقال له انصاري
وقيل النصراني نسبة الى ناصرة قرية من قرى الشام نزل بها عيسى عليه السلام
كما تقدم ولا مانع من رعاية الامرين في ذلك **وجا** في رواية وجعلت صفوفنا
كصفوف الملايكة اي والامم السابقة كانوا يصلون متفرقين كل واحد على
حدته وان امته صلى الله عليه وسلم حط عنها الخطا والنسيان وحمل ما لا
تطيقه الذي اشارت اليه خواتيم سورة البقرة وان شيطانه صلى الله عليه
وسلم اسلم **وفي** الخصايص الصغرا واسلم قرينه ومجموع تلك الخصال سبع
عشرة خصلة قال الحافظ ابن حجر ويمكن ان يوجد اكثر من ذلك لمن امعن التتبع
وذكر ابو سعيد النيسابوري في كتابه شرف المصطفى ان عدد الذي
اختص به نبينا صلى الله عليه وسلم عن الانبيا عليهم الصلاة والسلام فاذا من
ستون خصلة اي **ومن ذلك** اي مما اختص به صلى الله عليه وسلم في امته ان
وصف الاسلام خاص بها لم يوصف به احد من الامم السابقة سوى الانبياء
فقط فقد شرفت هذه الامة المحمدية بان وصفت بالوصف الذي كان يوصف به
الانبياء وهو الاسلام على القول الراجح نقلا ودليلا لما قام عليه من الادلة
الساطعة قاله الجلال السيوطي رحمه الله **باب بدئ الوحي له**
صلى الله عليه وسلم عن عايشة رضي الله تعالى عنها اول ما بدئ به رسول الله صلى الله

عليه وسلم من النبوة حين اراد الله تعالى كرامته ورحمة العباد به الرؤيا الصالحة
لا يرى رؤيا الا جات كفلق اى وفى لفظ كفرق الصبح اى كضيائه وانارته فلا
يشك فيها احد كما لا يشك احد فى وضوح ضيا الصبح ونوره **وفى لفظ** فكان
لا يرا شيا فى المنام الا كان اى وجد فى اليقظة كما راى فالمراد بالصالحة الصادقة
وقد جات فى رواية البخارى فى التفسير اه ولا يخفى ان رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم
كلها صادقة وان كانت شاقة كما فى رؤياه يوم احد **قال** القاضى وغيره
وانما ابتدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرؤيا لئلا يفجاه الملك الذى هو
جبريل عليه السلام بالنبوة اى بالرسالة فلا تحملها القوى البشرية اى لان
القوى البشرية لا تحتمل رؤية الملك وان لم يكن على صورته التى خلقها الله
عليها ولا سماع صوته ولا على ما يخبر به لا سيما الرسالة فكانت الرؤيا تانيسا له
والمراد بالملك جبريل عليه السلام ولكن ذكر بعضهم ان من لطف الله تعالى بنا
عدم رؤيتنا للملائكة اى على الصورة التى خلقوا عليها لانهم خلقوا على احسن صورة
فلو كنا نراهم لطارت اعيننا وارواحنا لحسن صورهم **وعن** علقمة بن قيس اول
ما يؤتى به الانبيا فى المنام اى ما يكون فى المنام حتى تهدى قلوبهم ثم ينزل
الوحى انتهى اى وفى اليقظة لان رؤيا الانبيا وحى وصدق وحق لا اضغاث
احلام ولا تخييل من الشيطان اذ لا سبيل له عليهم لان قلوبهم نورانية فما
يرونه فى المنام له حكم اليقظة لجميع ما يستطيع فى عالم مثالهم لا يكون الاحقا
ومن ثم جا عن معاشر الانبيا تنام اعيننا ولا تنام قلوبنا **اقول** وحينئذ
يكون فى القول بان من خصوصياته صلى الله عليه وسلم اجتماع انواع الوحى
الثلاثة له وعد منها الرؤيا فى المنام وعد منها الكلام من غير واسطة
وبواسطة جبريل نظر لما علمت ان الانبيا جميعهم مشتركون فى الرؤيا وموسى
عليه الصلاة والسلام حصل له كل من الكلام بلا واسطة وبواسطة
جبريل **وذكر** بعضهم ان مدة الرؤيا ستة اشهر قال فيكون ابتداء
الرؤية حصل فى شهر ربيع الاول وهو مولده صلى الله عليه وسلم ثم اوحى اليه
فى اليقظة اى فى رمضان ذكره البيهقى وغيره **وجا** فى الحديث الرؤيا الصادقة
وفى البخارى الرؤيا الحسنة اى الصادقة من الرجل الصالح جزء من ستة واربعين
جزءا من النبوة **قال** بعضهم معناه ان النبى صلى الله عليه وسلم حين بعث اقام
بمكة ثلاث عشرة سنة وبالمدينة عشر سنين يوحى اليه فمدة الوحى اليه صلى الله
عليه وسلم فى اليقظة ثلاثة وعشرون سنة ومدة الوحى اليه فى المنام اى التى هى

الرؤيا ستة اشهر فالمراد خصوص رؤيته وخصوص نبوته صلى الله عليه وسلم وهذا
القيل نقله فى الهدى واقره حيث قال قيل كانت الرؤيا ستة اشهر ومدة النبوة
ثلاثة وعشرين سنة فهذه الرؤيا جزء من ستة واربعين جزءا هذا كلامه وحينئذ
يكون المعنى ورؤياى جزء من ستة واربعين جزءا من نبوتى ولا يخفى ان هذا الاسناد
الرؤيا الصالحة من الرجل الصالح اذ هو يقتضى ان مطلق الرؤيا الصالحة جزء
من مطلق النبوة الشامل لنبوته صلى الله عليه وسلم ونبوة غيره فليتامل ولم
اقف فى كلام احد على مدة ذلك من الانبيا عليهم الصلاة والسلام له صلى الله
عليه وسلم فى هاتين المرتين وحينئذ يحمل الخصوصية التى ادعاها بعضهم على هذا او
يدل على ان المراد مطلق الرؤيا ومطلق النبوة لا خصوص رؤياه ونبوته صلى الله عليه وسلم
ما جا فى ذلك من الالفاظ التى بلغت خمسة عشر لفظا ففى رواية انها جزء من سبعين جزءا
وفى رواية من اربعة واربعين جزءا من النبوة وفى رواية من تسعة واربعين وفى اخرى
انها جزء من ستة وتسعين وفى اخرى من خمسة وعشرين جزءا وفى اخرى من ستة
وعشرين جزءا وفى اخرى من اربعة وعشرين فان ذلك باعتبار الاشخاص لتفاوت
مراتبهم فى الرؤيا **وذكر** الحافظ ابن حجر ان اصح الروايات مطلقا رواية ستة
واربعين ويليها رواية انها جزء من سبعين جزءا فعلم ان الرواية المذكورة جزء من
مطلق النبوة اى بجزء منها من جهة الاطلاع على بعض المغيب فلا ينافى انقطاع
النبوة بموته صلى الله عليه وسلم ومن ثم **جا** ذهبت النبوة اى لا توجد بعدى
وبقيت المبشرات اى المراى اى التى كانت مبشرات للانبيا بالنبوة بدليل ما فى
رواية لم يبق بعدى من المبشرات اى مبشرات النبوة الا الرؤيا اى مجرد الرؤيا
الخالية عن شىء من مبشرات النبوة بدليل ما فى لفظ لم يبق الا الرؤيا الصالحة
يراها المسلم او ترى له **لا يقال** الرؤيا الصادقة تكون من الكافر او ترى له وهو
خارج بالرجل الصالح وبالمسلم **لانا نقول** لعل وقوع ذلك كان استدراجا
وفيه انها واقعة وظاهر سياق الحديث الحصر وكما يكون الرؤية مبشرة
بخير عاجل او اجل تكون منذرة بشر كذلك **قال بعضهم** وقد تطلق البشارة
التى هى الخبر الخير السار على ما يشمل النذارة التى هى الخبر الضار بعموم المجاز
بان يراد بالبشارة ما يعود الى الخير لان النذارة ربما قادت الى الخير **وفى**
الاتقان ومن المجاز تسمية الشىء باسم ضده نحو فبشرهم بعذاب اليم اسمى
اى وهى فى الاية للتهكم **جا رجل** اى وهو ابو قتادة الانصارى الى النبى
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى ارى فى المنام الرؤيا تمرضنى

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الرؤيا الحسنة من الله والسيئة من الشيطان
فاذا رايت الرؤيا تكرهها فاستعذ بالله من الشيطان ولا تفل عن يسارك
ثلاث مرات فانها لا تضرك اى وحكمة التفل احتقار الشيطان واستقذاره
وفى رواية اذا راى احدكم ما يكره فليعذ بالله من شرها ومن الشيطان كان يقول
اعوذ بالله من شر ما رايت ومن شر الشيطان وليتفل ثلاثا ولا يحدث بها
احدا فانها لا تضره زاد فى رواية وان يتحول عن جنبه الذى كان عليه زاد فى اخرى
وليقم فليصل اى ليكون فعل ذلك سببا للسلامة من المكروه الذى راه
وفى البخارى اذا راى احدكم الرؤيا يحبها فانما هى من الله فليحمد الله عليها وليحدث
بها اى ولا يخبر بها الا من يحب واذا راى غير ذلك مما يكره فانما هى من الشيطان اى
لا حقيقة لها وانما هى تخييل يقصد به تخويف الانسان والتهويل عليه فليستعذ
بالله من شرها ولا يذكرها لاحد فانها لا تضره وفى الاذكار ثم ليقل اللهم انى
اعوذ بك من عمل الشيطان وسيئات الاحلام وفى الحديث الرؤيا من الله والحلم
من الشيطان قيل فى معناه لان صاحب الرؤيا يرى الشىء على ما هو عليه بخلاف
صاحب الحلم فانه يراه على خلاف ما هو عليه فان الحلم ماخوذ من حلم الجلد اذا
فسد والرؤيا قيل انها امثلة يدركها الراى يخبر عن القلب لم تستول عليه
افة النوم واذا ذهب النوم عن اكثر القلب كانت الرؤيا اصفى وذكر
الفخر الرازى ان الرؤيا الردية يظهر تعبيرها اى اثرها عن قرب والرؤيا
الجيدة انما يظهر تعبيرها بعد حين والسبب فيه ان حكمة الله تعالى تقتضى
ان لا يحصل الاعلام بوصول الشر الا عند قرب وصوله حتى يكون الحزن والغم
اقل واما الاعلام بالخير فانه يحصل متقدما على ظهوره بزمان طويل
حتى يكون البهجة الحاصلة بسبب توقع حصول ذلك الخير اكثر وقد اجرى على
ما هو الغالب والا فقد قيل لجعفر الصادق كم تتاخر الرؤيا فقال راى النبى
صلى الله عليه وسلم فى منامه كان كلبا ابقع يلغ فى دمه فكان اى ذلك
الكلب الابقع شمر قاتل الحسين وكان ابرص فكان تاخر الرؤيا بعد خمسين سنة
وجا عن عمرو بن شرحبيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لخديجة اذا
خلوت سمعت نداء يا محمد يا محمد وفى رواية ارى نورا اى يقظة لا مناما واسمع
صوتا وقد خشيت ان يكون والله لهذا امر وفى رواية والله ما ابغضت
بغض هذه الاصنام شيئا قط ولا الكهان وانى لاخشى ان اكون كاهنا اى ان
فيكون الذى يناديني تابعا من الجن لان الاصنام كانت الجن تدخل فيها وتخاطب

سندتها

سدنتها والكاهن ياتيه الجنى بخبر السما وفى رواية واخشى ان يكون بى
جنون اى لمم من الجن فقالت كلا يا ابن عم ما كان الله ليفعل ذلك بك فوالله
انك لتؤدى الامانة وتصل الرحم وتصدق الحديث وفى رواية ان خلقك
لكريم اى فلا يكون للشيطان عليك سبيل اسندك رضى الله تعالى عنها بما فيه من
الصفات العلية والاخلاق السنية على انه لا يفعل به الا خيرا لان من كان كذلك
لا يرى الا خيرا ونقل الماوردى عن الشعبى ان الله قرن اسرافيل عليه السلام
بنبيه ثلاث سنين يسمع حسه ولا يرى شخصه يعلمه الشىء بعد الشىء ولا يذكر له
القران فكان فى هذه المدة مبشرا بالنبوة وامهل هذه المدة ليتاهب لوحيه وفيه
انه لو كان فى تلك المدة مبشرا بالنبوة ما قال لخديجة ما تقدم الا ان يقال ما تقدم
انما قاله لخديجة فى اول الامر ويدل لذلك ما قيل انه مكث خمس عشرة سنة يسمع
الصوت احيانا ولا يرى شخصا وسبع سنين يرى نورا فلم ير شيئا غير ذلك وان
المدة التى بشر فيها بالنبوة كانت ستة اشهر من تلك المدة التى هى اثنتان
وعشرون سنة وهذا الشىء الذى كان يعلمه له اسرافيل لم اقف على ما هو
والله اعلم وبعد ذلك حبب الله اليه صلى الله عليه وسلم الخلوة التى تكون
بها فراغ القلب والانقطاع عن الخلق فهى تفريغ القلب عن اشتغال الدنيا
لذوى النسك الى الله تعالى فيصفو ويشرق عليه انوار المعرفة فلم يكن شىء احب اليه
من ان يخلو وحده وكان يخلو بغار حرا بالمد والقصر وهذا الجبل هو الذى نادى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله الى يا رسول الله لما قال له ثبير وهو
على ظهره اهبط عنى فانى اخاف ان تقتل على ظهرى فاعذب فكان صلى الله عليه
وسلم يتحنث ان يتعبد به اى بغار حرا الليالى ذوات ويروى اولات العدد
مع ايامها وانما غلب الليالى لانها انسب بالخلوة قال بعضهم وابهم العدد لاختلافه
بالنسبة الى المدد فتارة كان ثلاث ليال وتارة سبع ليال وتارة شهر رمضان
او غيره وفى كلام بعضهم ما قد يدل على انه صلى الله عليه وسلم لم يخل اقل
من شهر وحينئذ يكون قوله فى الحديث الليالى ذوات العدد محمولا على العدد
الذى كان يتزود له فاذا فرغ زاده رجع الى مكة وتزود الى غيرها الى ان يتم
الشهر وكذا قول بعضهم فتارة كان ثلاث ليال وتارة سبع ليال وتارة شهرا ولم
يصح انه اخلى اكثر من شهر قال السراج البلقينى فى شرح البخارى لم يجئ فى الاحاديث
التى وقفنا عليها كيفية تعبده عليه الصلاة والسلام هذا كلامه وياتى
بيان ذلك قريبا ثم اذا مكث صلى الله عليه وسلم تلك الليالى اى وقد فرغ

زاده يرجع الى خديجة رضى الله تعالى عنها فيتزود لمثلها اى قيل وكانت
تزوده صلى الله عليه وسلم الكعك والزيت وفيه ان الكعك والزيت يبقى
المدة الطويلة فيمكث جميع الشهر الذى يختلى فيه ثم رايت عن الحافظ ابن حجر هذه
الخلوة كانت شهرا فكان يتزود لبعض ليالى الشهر فاذا فقد ذلك الزاد رجع الى
اهله يتزود قدر ذلك ولم يكونوا فى سعة بالغد من العيش وكان غالب ادمهم
اللبن واللحم وذلك لا يدخر منه لغاية شهر لئلا يسرع الفساد اليه ولا سيما
وقد وصف بانه صلى الله عليه وسلم كان يطعم من يرد عليه هذا كلامه وهو يشير
فيه الى ثلاثة اجوبة الاول انه لم يكن فى سعة بحيث يدخر ما يكفيه شهرا الثانى
ان غالب ادمهم كان اللحم واللبن وهو لا يدخر شهرا الثالث انه على فرض انه يدخر
ما يكفيه شهرا اى من الكعك والزيت الا انه كان يطعم فربما نفد ما ادخره
وانما اختار الزيت للادم لان دسومته لا ينفر منها الطبع بخلاف اللبن واللحم
ومن ثم جاء ائتدموا بالزيت وادهنوا به فانه يخرج من شجرة مباركة وقوله ائتدموا من
من هذه الشجرة المباركة اى من عصارة ثمرة هذه الشجرة المباركة التى هى الزيتون
وهو الزيت وقيل لها مباركة لانها لا تكاد تنبت الا فى شريف البقاع التى
بورك فيها كارض بيت المقدس حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء اى فى اليوم
والشهر المتقدم ذكره وعن عبيد بن عمير رضى الله تعالى عنه كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يجاور فى حراء فى كل سنة شهرا وكان ذلك مما يتحنث فيه
قريش فى الجاهلية اى المتالهين منهم اى وكان اول من تحنث فيه من قريش
جده صلى الله عليه وسلم عبد المطلب فقد قال ابن الاثير اول من تحنث بحراء
عبد المطلب كان اذا دخل شهر رمضان صعد حراء واطعم المساكين ثم تبعه
على ذلك من كان يتاله اى يتعبد ○ كورقة بن نوفل وابى امية بن المغيرة
وقد اشار الى تعبده صلى الله عليه وسلم صاحب الهمزية بقوله
الف النسك والعبادة والخلوة طفلا وهكذا النجباء
واذا حلت الهداية قلبا ○ نشطت فى العبادة الاعضاء
اى الف العبادة والخلوة فى حال كونه طفلا ومثل هذا الشان العلى شان
الكرام وانما كان هذا شان الكرام لانه اذا حلت الهداية قلبا نشطت الاعضاء
فى العبادة لان القلب رئيس البدن المعول عليه فى صلاحه وفساده ولعل
الخلوة فى كلام صاحب الهمزية المراد بها مطلق اعتزال الناس واراد
بطفلا زمن رضاعه صلى الله عليه وسلم عند حليمة فقد تقدم عنها رضى

الله تعالى عنها انها قالت لما ترعرع صلى الله عليه وسلم كان يخرج الى الصبيان
وهم يلعبون فيجتنبهم لا خصوص اعتزال الناس فى غار حراء فلا ينافى قوله طفلا وظاهر
ما تقدم من ان خلوته صلى الله عليه وسلم بغار حراء كانت فى زمن تزوجه بخديجة
فكان صلى الله عليه وسلم يجاور ذلك الشهر يطعم من جاءه من المساكين اى لانه كان
من نسك قريش فى الجاهلية اى فى ذلك المحل ان يطعم الرجل من جاءه من المساكين
وقد قيل ان هذا كان تعبده فى غار حراء اى مع الانقطاع عن الناس والا فمجرد
اطعام الطعام للمساكين لا يختص بذلك المحل الا ان كان ذلك المحل صار فى ذلك
الشهر مقصودا للمساكين دون غيره وقيل كان تعبده التفكر مع الانقطاع
عن الناس اى لا سيما ان كانوا على باطل لان فى الخلوة يخشع القلب وينسى المالوف
من مخالطة ابناء الجنس المؤثرة فى البنية البشرية ومن ثم قيل الخلوة صفوة الصفوة
وقول بعضهم كان يتعبد بالتفكر اى مع الانقطاع عما ذكرنا والا فمجرد التفكر
لا يختص بذلك المحل الا ان يدعى ان التفكر فيه اتم من التفكر من غيره لعدم وجود
شاغل به وقيل تعبده صلى الله عليه وسلم كان بالذكر وصححه فى سفر السعادة
وقيل بغير ذلك من ذلك العبر انه قيل كان يتعبد قبل النبوة بشرع ابراهيم
وقيل بشريعة موسى غير ما نسخ منها فى شرعنا وقيل بكل ما يصح انه شريعة لمن
قبله غير ما نسخ من ذلك فى شرعنا وفى كلام الشيخ محيى الدين بن العربى
تعبده صلى الله عليه وسلم قبل نبوته بشريعة ابراهيم حتى فجاءه الوحى وجاءته الرسالة
فالولى الكامل يجب عليه منا بعد العمل بالشريعة المطهرة حتى يفتح الله له فى قلبه
عين الفهم عنه فيلهم معانى القران ويكون من المحدثين بفتح الدال ثم يصير الى ارشاد
الخلق وكان صلى الله عليه وسلم اذا قضى جواره من شهره ذلك كان اول ما يبدا به اذا
انصرف قبل ان يدخل بيته الكعبة فيطوف بها سبعا وما شاء الله تعالى ثم يرجع الى
بيته حتى اذا كان الشهر الذى اراد الله تعالى به ما اراد من كرامته صلى الله عليه وسلم
خرج الى حراء كما كان يخرج لجواره وذلك شهر رمضان وقيل شهر ربيع الاول وقيل
شهر رجب خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حراء كما كان يخرج لجواره ومعه
اهله اى عياله التى هى خديجة رضى الله تعالى عنها اما مع اولادها او بدونهم
حتى اذا كانت الليلة التى اكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد بها وتلك الليلة
ليلة سبع عشرة من ذلك الشهر وقيل رابع عشرينه وقيل كان ذلك ليلة
ثامن من ربيع الاول اى وقيل ليلة ثالثة ولعل بعضهم القول بانه فى ربيع الاول
يوافق القول بانه بعث على راس الاربعين لان مولده صلى الله عليه وسلم كان فى

ربيع الاول على الصحيح اى وهو قول الاكثرين وقيل كان ذلك ليلة ويوم السابع والعشرين من رجب فقد اورد الحافظ الدمياطي في سيرته عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا وهو الذى نزل فيه جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم بالرسالة واول يوم هبط فيه جبريل هذا كلامه اى اول يوم هبط فيه جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم وكم يهبط قبل ذلك وسيأتى فى بعض الروايات ان جبريل نزل في سحر تلك الليلة التى هى ليلة الاثنين ويجوز ان يكون كل من تلك الليالى كانت ليلة الاثنين فقد جا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبلال لا يفوتك صوم يوم الاثنين لانى ولدت فيه وبعثت فيه فلا مخالفة بين كونه بعث فى الليلة وبين كونه بعث في اليوم لان وقت السحر قد يلحق بالليل وفي كلام بعضهم اتاه جبريل ليلة السبت وليلة الاحد ثم ظهر له بالرسالة يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من رمضان فى حرا فجاءه بامر الله تعالى وهذا القول اى ان البعث كان فى رمضان قال به جماعة منهم الامام الصرصرى حيث قال ٥

وانت عليه اربعون فاشرقت ٭ شمس النبوة منه فى رمضان ٭

واحتجوا بان اول ما اكرمه الله بنبوته انزل عليه القران واجيب بان المراد بنزول القران في رمضان نزوله جملة واحدة في ليلة القدر الى بيت العزة في سما الدنيا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءنى وانا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب اى كتابة فقال اقرا فقلت ما اقرا اى انا اى لا احسن القراة اى قراة المكتوب او مطلقا فغطنى به اى غمنى بذلك النمط بان جعله على فمه وانفه قال حتى ظننت انه الموت ثم ارسلنى فقال اقرا اى من غير هذا المكتوب فقلت ماذا اقراه وما اقول ذلك الا افتداء منه اى تخلصا منه ان يعود لى بمثل ما صنع اى انما استفهمت عما اقراه ولم انف خوفا ان يعود لى بمثل ما صنع عند النفى اى وفي رواية فقلت والله ما قرات شيا قط وما ادرى شيا اقراوه اى لانى ما قرات شيا قط وما ادرى شيا اقراوه اى لانى ما قرات شيا قط وما ادرى شيا اقراوه اى لانى ما قرات شيا فهو من عطف السبب على المسبب قال اقرا باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فقراتها فانصرف عنى وهببت اى استيقظت من نومى فكانما كتب فى قلبى كتابا اقول اى استقر ذلك فى قلبى وحفظته ثم لا يخفى ان كلامه هذا النص وهو انه جاءه ليلة السبت وليلة الاحد ثم ظهر له يوم الاثنين محتمل لان يكون اتاه بذلك النمط فى ليلة السبت وليلة الاحد وسحر يوم الاثنين

وهو

وهو نائم لا يقظة لقوله ثم هببت من نومى ولا ينافى ذلك قوله ثم ظهر له بالرسالة اى اعلن له بان يكون شيئا للرسالة الذى هو اقرا الحاصل في اليقظة وحينئذ يكون تكرر مجيئه هو السبب فى استقرار ذلك فى قلبه صلى الله عليه وسلم وحينئذ لا يبعده قوله فى الليلة الثانية ما قرات شيا لان المراد لم يتقدم لى قراءة قبل مجيئك الى ولا يبعده ايضا قوله ما ادرى ما اقرا لانه لم يستقر ذلك فى قلبه لما علمت اذ سبب الاستقرار التكرر فلم يستقر ذلك فى قلبه صلى الله عليه وسلم فى الليلة الاولى وفي سيرة الشامى ان مجى جبريل له بالنمط لم يتكرر وانه كان قبل دخوله صلى الله عليه وسلم غار حرا وهذا السياق يدل على انه كان نعبه وفي سفر السعادة ما يقتضى انه جاءه بالنمط يقظة فى حرا ونصه فبينما هو فى بعض الايام قايم على جبل حرا اذ ظهر له شخص وقال ابشر يا محمد انا جبريل وانت رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذه الامة ثم اخرج له قطعة نمط من حرير مرصعة بالجواهر ووضعها فى يده وقال اقرا قال والله ما انا بقارى ولا ارى فى هذه الرسالة كتابة اى لا اعلم ولا اعرف المكتوب فيها قال فضمنى اليه وغطنى حتى بلغ منى الجهد ففعل ذلك بى ثلاثا وهو يامرنى بالقراءة ثم قال اقرا باسم ربك هذا كلامه فليتامل والله اعلم قال فخرجت اى من الغار اى وذلك قبل مجى جبريل اليه باقرا خلافا لما يقتضيه السياق حتى اذا كنت فى وسط من جبل اى في جانب منه سمعت صوتا من السما يقول يا محمد انت رسول الله وانا جبريل فوقفت انظر اليه فاذا جبريل على صورة رجل صاف قدميه اى وفى رواية واضعا احدى رجليه على الاخرى فى افق السما اى نواحيها يقول يا محمد انت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا جبريل فوقفت انظر اليه فما اتقدم وما اتاخر وجعلت اصرف وجهى عنه فى افق السما فلا انظر الى ناحية فيها الا رايته كذلك فما زلت واقفا ما اتقدم امامى وما ارجع ورائى حتى بعثت خديجة رسلها في طلبى فبلغوا مكة ورجعوا اليها وانا واقف فى مكانى ذلك ثم انصرف عنى وانصرفت راجعا الى اهلى حتى اتيت خديجة اى فى النهار فجلست الى فخذها مضيفا اليها اى مستندا اليها فقالت يا ابا القاسم اين كنت والله لقد بعثت رسلى فى طلبك فبلغوا مكة ورجعوا الى اقول وهذا يدل على ان خديجة كانت معه بغار حرا وهو الموافق لما تقدم من قوله ومعه اهله اى خديجة رضى الله تعالى عنها على ما تقدم وقد يخالف ذلك ما روى ان خديجة رضى الله تعالى عنها صنعت طعاما ثم ارسلته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تجده بحرا فارسلت فى طلبه الى بيت اعمامه واخواله فلم تجده فشق ذلك

عليها فبينما هي كذلك اذ اتاها النبي صلى الله عليه وسلم فحدثها بما رأى وسمع فان
هذا يدل على انها لم تكن معه بحرا وقد يقال يجوز ان تكون خرجت معه اولا وارسلت
رسلها اليه وهي بحرا فلم تجده وانا لرسل اخطاوا محل وقوفه صلى الله عليه وسلم بالجبل
الذي هو حرا ثم رجعت الى مكة وارسلت رسلها اليه بحرا لاحتمال عوده اليه ثم
ارسلت الى بيت اعمامه واخواله لما لم تجده بحرا فارسالها تكرر مرتين مع اختلاف
محلها ويكون قوله وانصرفت راجعا الى اهلي اي بمكة لا بحرا لانه يجوز ان يكون بلغه
رجوع خديجة الى مكة هذا على مقتضى الجمع واما على ظاهر الرواية الاولى يكون رجوعه
الى اهله بحرا كما ذكرنا وهو يدل على ان خروجه صلى الله عليه وسلم الى شط الجبل
كان من غار حرا كما ذكرنا لا من مكة الذي يدل عليه قول الشمس الشامي فخرج مرة اخرى
الى حرا فتحنث حتى اتيت الشط من الجبل سمعت صوتا الى اخره فليتامل والله
اعلم قال ثم حدثتها بالذي رأيت اي من سماع الصوت ورؤية جبريل وقوله له
يا محمد انت رسول الله فقالت ابشر يا ابن عمي واثبت فوالذي بيده اني لارجو ان
تكون نبي هذه الامة ثم قامت فجمعت عليها ثيابها اي التي تتجمل بها عند الخروج ثم
انطلقت الى ورقة بن نوفل فاخبرته بما اخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه رأى وسمع اي رأى جبريل وسمع منه انت رسول الله وانا جبريل فقال ورقة قدوس
قدوس بالضم والفتح والذي نفسي بيده لئن كنت صدقت يا خديجة لقد جاءه
الناموس الاكبر الذي كان يأتي موسى الذي هو جبريل وانه نبي هذه الامة فقولي له
يثبت والقدوس الطاهر المنزه عن العيوب وهذا يقال للتعجب اي وجاء بدل قدوس قدوس
سبوح سبوح وما لجبريل يذكر في هذه الارض التي تعبد فيها الاوثان جبريل امين
الله بينه وبين رسله اي لان هذا الاسم لم يكن معروفا بمكة ولا غيرها من بلاد العرب
فرجعت خديجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بقول ورقة بن نوفل
فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره وانصرف اي اي فرغ ما تزود ولبس
المراد انقضا جواره بانقضاء الشهر لان ذلك كان قبل ان يجيء اليه جبريل باقرأ
باسم ربك كما تقدم اي وذلك كان في الشهر الذي اكرمه الله فيه برسالته فعند ذلك
صنع كما كان يصنع بدا بالكعبة فطاف بها فلقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة
فقال له يا ابن اخي اخبرني بما رأيت وسمعت فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال له ورقة والذي نفسي بيده انك لنبي هذه الامة ولقد جاءك الناموس الاكبر
الذي جاء موسى ولتكذبنه ولتؤذينه ولتقاتلنه ولتخرجنه بها السكت ولا تكون
الا ساكنة ولئن انا ادركت ذلك اليوم لانصرن الله نصرا يعلمه ثم ادنى ورقة

دائما

زائدة لان ابا فرخ بالهمز وسط الراس اذا اسند وقيل استداده كما في راس
الطفل يقال له الغادية بالغاثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى منزله
اي ولا مانع من تكرار مراجعة ورقة فتارة قال قدوس وتارة قال سبوح سبوح
او جمع بين ذلك في وقت واحد وبعض الرواة اقتصر على احد اللفظين وقد جاء
ان ابا بكر رضي الله تعالى عنه دخل على خديجة اي وليس عندها رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالت له يا عتيق اذهب بمحمد الى ورقة اي بعد ان اخبرته بما اخبرها به
رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سيذكر فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخذ ابو بكر بيده فقال انطلق بنا الى ورقة وذهب به الى ورقة فقال له ه
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خلوت وحدي سمعت نداء خلفي يا محمد يا محمد
فانطلق هاربا الى الارض فقال له لا تفعل اذا اتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول
ثم ائتني اي وهذا قبل ان يراه ويجتمع به او يوحى اليه بالقرآن وحينئذ يكون
تكرر سؤال ورقة ثلاث مرات الاول على يد ابي بكر رضي الله تعالى عنه وذلك قبل
ان يرى جبريل والثانية التي راى فيها جبريل وسمع منه ولم يجتمع به وذلك عند
اجتماعه صلى الله عليه وسلم به في المطاف والثالثة التي بعد مجيء جبريل له ه
يقظة بالقرآن اي باقرأ باسم ربك على المشهور من انه اول ما نزل وذلك على يد
خديجة رضي الله عنها ولا ينافي ذلك ما ذكره الحافظ ابن حجر كما سيأتي ان القصة
واحدة لم تتعدد ومخرجها متحد لان مراده قصة مجيء جبريل له يقظة باقرأ باسم
ربك وسيأتي ما فيه وانما قال ورقة له صلى الله عليه وسلم يا ابن اخي قيل لانه يجتمع
مع عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم في قصي فكان عبد الله بمثابة الاخ له او انه قال
ذلك توقيرا له وانما ذكر ورقة موسى دون عيسى عليهما الصلاة والسلام مع ان
عيسى اقرب منه وهو على دينه لانه كان على دين موسى ثم صار على دين عيسى عليهما
الصلاة والسلام اي كان يهوديا ثم صار نصرانيا لان نبوة موسى عليه الصلاة
والسلام مجمع عليها اي على انها ناسخة لما قبلها وان شريعة عيسى عليه الصلاة
والسلام قيل انها متممة ومقررة لشريعة موسى عليه الصلاة والسلام لا ناسخة
لها قيل ولان ورقة كان ممن تنصر اي كما علمت والنصارى لا يقرون بنزول
جبريل على عيسى عليه الصلاة والسلام اي بل كان يعلم الغيب لانهم يقولون
انه احد الاقانيم الثلاثة اللاهوتية وذلك الاقنوم هو اقنوم الكلمة التي
هي العلم بناسوت المسيح والحد به فلذلك كان يعلم علم الغيب ويخبر بما في الغد
اقول وفيه ان رواية وانك على مثل ناموس موسى وعيسى عليهما الصلاة

والسلام اى ففى بعض الروايات جمع وفى بعضها اقتصر على موسى وفى الاقتصار على
موسى عليه الصلاة والسلام دون الاقتصار على عيسى عليه الصلاة والسلام
ما علمت ثم رايت انه جاء فى غير الصحيح الاقتصار على عيسى عليه السلام فقال هذا
الناموس الذى نزل على عيسى عليه الصلاة والسلام فهو كما جاء الجمع بينهما
بالاقتصار على كل منهما ولا ينافى ذلك ان مجى جبريل لعيسى عليه الصلاة والسلام
ما تقدم عن النصارى من انهم لا يقولون بنزول جبريل على عيسى لجواز ان يكون مرادهم
المراد لا ينزل عليه دائما وابدا بالوحى بل فى بعض الاحيان وفى بعضها يعلم الغيب بغير
واسطة ثم رايت فى فتح البارى ان عند اخبار خديجة لورقة بالقصة قال لها هذا
ناموس عيسى بحسب ما هو فيه من النصرانية وعند اخبار النبى صلى الله عليه وسلم
له بالقصة قال له هذا ناموس موسى للمناسبة بينهما لان موسى ارسل بالنقمة
على فرعون وقد وقعت النقمة على يد نبينا صلى الله عليه وسلم على فرعون هذه
الامة الذى هو ابو جهل هذا كلامه قلينا مل وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قال
فى حق ابى جهل فى يوم بدر هذا فرعون هذه الامة والله اعلم وعن عايشة رضى الله
تعالى عنها جاءه الملك سحرا اى سحر يوم الاثنين بيقظة لا مناما اى بغير تمثيل
فقال له اقرا فقال ما انا بقارى اى ولا اوجد القراءة قال فاخذنى فغطنى اى ضمنى
وعصرنى ولفظ فاخذ بحلقى حتى بلغ منى الجهد ثم ارسلنى فقال اقرا فقلت
ما انا بقارى اى لا احسن القراءة اى لا احفظ شيئا اقراه فاخذنى فغطنى
الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم ارسلنى فقال اقرا فقلت ما انا بقارى اى شئ
اقروه وفيه انه لو كان كذلك لقال لما اقرا وماذا اقرا الا ان يقال اطلق
ذلك واراد لازمه الذى هو الاستفهام خصوصا وقد قدمه قال فاخذنى
فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ثم ارسلنى فقال اقرا باسم ربك الذى خلق
خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان
ما لم يعلم اقول وقولنا اى بغير تمثيل هو ظاهر الروايات ويجوز ان يكون لفظ
التمثيل سقط فى هذه الرواية كغيرها من الروايات ويؤيده اقتصار السبتى
الهشامية على مجيئه بالنمط وايضا كيف الجمع بين قوله هنا ما ذكر وبين
قوله هناك فكانما كتب فى قلبى كتابا وما بالعهد من قدم الا ان يقال يجوز ان
يكون صلى الله عليه وسلم جوز ان يكون جبريل يريد منه قراءة غير الذى قراه وكتب
فى قلبه ولا يخفى انه علم ان قول جبريل اقرا امر بالقراءة وفيه انه لو كان كذلك
لم يحسن ان يقال فى جوابه ما انا بقارى الذى معناه لا احسن القراءة الا ان يقال

جبريل

جبريل اراد التنبيه لا الامر وجوابه صلى الله عليه وسلم بناه على مقتضى ظاهر اللفظ
وعلم ان قوله صلى الله عليه وسلم ما انا بقارى فى المواضع الثلاث تم معناه يختلف
فى الاول معناه الاخبار بعدم ايجاد القراءة والثانى معناه الاخبار بانه لا يحسن شيئا
يقراه وان كان ذلك هو مستند الاول والثالث معناه الاستفهام عن اى شئ يقروه
وفيه ما علمت وبعضهم جعل قوله الاول لا اقرا الا احسن القراءة بدليل انه جاء فى بعض
الروايات ما احسن ان اقرا وحينئذ يكون بمعنى الثانى فيكون تاكيدا له اى الغرض
منهما شئ واحد قال بعضهم وجه المناسبة بين الخلق من العلق والتعليم وتعليم
العلم ان ادنى مراتب الانسان كونه علقة واعلاها كونه عالما فالله سبحانه وتعالى
امتن على الانسان بنقله من ادنى المراتب وهى العلقة الى اعلاها وهى تعلم العلم وقد
اشتملت هذه الايات على براعة الاستهلال وهو ان يشتمل اول الكلام على ما يناسب
الحال المتكلم فيه ويشير الى ما سيق الكلام لاجله فانها اشتملت على الامر بالقراءة
والبداءة فيها باسم الله الى غير ذلك مما ذكره فى الاتقان قال فيه ومن ثم
قيل انها جديرة ان تسمى عنوان القران لان عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارة
موجزة فى اوله وكرر جبريل الغط ثلاثا للمبالغة واخذ منه بعض التابعين وهو
القاضى شريح ان المعلم لا يضرب الصبى على تعليم القران اكثر من ثلاث ضربات
واورد الحافظ السيوطى عن الكامل لابن عدى بسند ضعيف عن ابن عمر ان النبى صلى
الله عليه وسلم نهى ان يضرب المودب فوق ثلاث ضربات وذكر السهيلى ان فى ذلك
اى الغط ثلاثا اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم يحصل له شدائد ثلاث ثم يحصل له الفرج
بعد ذلك فكانت الاولى ادخال قريش له الشعب والتضييق عليه صلى الله عليه وسلم
والثانية اتفاقهم على الاجتماع على قتله والثالثة خروجه من احب البلاد اليه
وجاء صلى الله عليه وسلم جبريل وميكائيل اى قبل قول جبريل له اقرا فشق جبريل
بطنه وقلبه الى اخر ما تقدم فى الكلام على امر الرضاع ثم قال له جبريل اقرا الحديث
فعلم ان اقرا باسم ربك نزلت من غير البسملة وقد صرح بذلك الامام السخاوى
وما ورد عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان اول ما نزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم
قال يا محمد استعذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قال قل بسم الله الرحمن
ثم قال له اقرا باسم ربك قال الحافظ ابن كثير هذا الاثر غريب فى اسناده ضعف
وانقطاع اى فلا يدل للقول بان اول ما نزل بسم الله الرحمن الرحيم حكاه ابن النقيب
فى مقدمة تفسيره وبه يرد على الجلال السيوطى حيث قال وعندى ان هذا
لا يعد قولا براسه فانه من ضرورة نزول السورة اى سورة اقرا نزول

الرحيم

البسملة مع انها مع اول اية نزلت على الاطلاق هنا كلامه والله اعلم قال الحافظ
ابن حجر هذا الذى وقع له صلى الله عليه وسلم فى ابتدا الوحى من خصايصه صلى
الله عليه وسلم انه لم ينقل عن احد من الانبيا عليهم الصلاة والسلام انه جرى
له عند ابتدا الوحى مثل ذلك ولما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الاية
رجع بها ترجف بوادره والبادرة اللحمة التى بين المنكب والعنق تتحرك عند
الفزع ويقال لها الفريصة والفرايص اى وفى رواية فواده اى قلبه ولا مانع
من اجتماع الامرين لان تحرك البادرة ينشا عن فزع القلب حتى دخل صلى الله
عليه وسلم على خديجة فقال زملونى زملونى اى غطونى بالثياب فزملوه حتى
ذهب عنه الروع بفتح الراء اى الفزع ثم اخبرها الخبر وقال لقد خشيت على
نفسى وفى رواية على عقلى كما فى الامتاع قالت له خديجة فلا ابشر فوالله لا يخزيك
الله ابدا اى لا يفضحك انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل اى الشئ
الذى يحصل منه التعب والاعيا لغيرك وتكسب المعدوم بضم التا والمعدوم
الذى لا مال له لان من لا مال له كالمعدوم اى توصل اليه الخير الذى لا يجده عند
غيرك وبهذا يعلم سقوط قول الخطابى الصواب المعدم بلا واو لان المعدوم
اى الشخص المعدوم لا يكسب اى لا يعطى الكسب وتقرى الضعيف وتعين على
نوايب الحق اى على حوادثه فانطلقت به خديجة حتى اتت به ورقة بن نوفل
فقالت له خديجة اى عم اسمع من ابن اخيك اى وقولها اى عم صوابه ابن عم لانه ابن
عمها لا عمها كما وقع فى مسلم قال ابن حجر وهو وهم لانه وان كان صحيحا لجواز ارادة
التوقير لكن القصة لم تتعدد ومخرجها متحد اى فلا يقال يجوز انها جاءت اليه بعد
نزول الاية مرتين قالت فى مرة اى عم وفى مرة اى ابن عم قال ورقة يا ابن اخى
ماذا ترى فاخبره صلى الله عليه وسلم خبر ما راى فقال له ورقة هذا الناموس الذى
انزل على موسى اى صاحب سر الوحى وهو جبريل يا ليتنى فيها جذعا اى يا ليتنى حينئذ
اكون فى زمن الدعوة الى الله اى اظهارها الذى جا به وانذر واصل وجودها
بنا على تاخر الدعوة التى هى الرسالة عن النبوة على ما ياتى شابا حتى ابالغ فى
نصرتها يا ليتنى اكون حيا حين يخرجك قومك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
او مخرجى هم بتشديد اليا المفتوحة لانه جمع مخرج والاصل او مخرجونى حذفت
النون للاضافة فصار مخرجوى قلبت الواو يا وادغمت قال ورقة نعم لم
يات رجل بما جيت به الا عودى اى فتكون المعاداة سببا لاخراجه وهذا يفيد
بظاهره ان من تقدم من الانبيا اخرجوا من اماكنهم للمعاداة قومهم لهم والا لمجرد

للمعاداة

المعاداة لا يقتضى الاخراج فلا يحسن ان يكون علة عليه وقد يؤيد ذلك ما تقدم
عند الكلام على بنا الكعبة ان كل نبى اذا كذبه قومه خرج من بين اظهرهم الى مكة يعبد
الله عز وجل فيها حتى يموت وتقدم ما فيه وفى كونه صلى الله عليه وسلم لم يقل شيئا فى
جواب قول ورقة انه يكذب ويؤذى ويقاتل وقال فى جواب قوله انه يخرج او مخرجى
هم استفهاما انكاريا دليل على شدة حب الوطن وعسر مفارقته خصوصا وذلك الوطن
حرم الله وجوار بيته ومسقط راسه قال ورقة وان ادركنى يومك انصرك نصرا
موزرا اى شديدا قويا من الازر وهو الشدة والذى فى الحديث الصحيح وان يدركنى
يومك وسياتى فى بعض الروايات وان يدركنى ذلك قال السهيلى وهو القياس
لان ورقة سابق بالوجود والسابق هو الذى يدركه ما ياتى بعده كما جا اشقى الناس
من ادركته الساعة وهو حى هذا كلامه اه وفى بعض الروايات انه قال لها ان ابن عمك
لصادق وان هذا لبدو نبوة وفى لفظ انه لنبى هذه الامة اى وفى الشفا قوله صلى الله
عليه وسلم لخديجة لقد خشيت على نفسى ليس معناه الشك فيما اتاه الله تعالى من
النبوة ولكنه لعله خشى ان لا تحتمل قوته مقاومة الملك واعبا الوحى بنا على انه قال
ذلك بعد لقا الملك وارساله اليه بالنبوة فان للنبوة اثقالا لا يستطيع حملها
الا اولوا العزم من الرسل وفى كلام الحافظ ابن حجر اختلف العلما فى هذه
الخشية على اثنى عشر قولا واولاها بالصواب واسلمها من الارتياب ان المراد بها
الموت او المرض او دوام المرض هذا كلامه فليتامل مع رواية خشيت على عقلى
قال وفى بعض الروايات ان خديجة قبل ان تذهب به الى ورقة ذهبت به الى عداس
وكان نصرانيا من اهل نينوى قرية سيدنا يونس عليه السلام فقالت له يا عداس
اذكرك الله الا ما اخبرتنى هل عندكم علم من جبريل اى فان هذا الاسم لم يكن معروفا
بمكة ولا بغيرها من ارض العرب كما تقدم فقال عداس قدوس قدوس ما شأن
جبريل يذكر بهذه الارض التى اهلها اهل اوثان اى والقدوس المنزه عن العيوب
فان هذا يقال للتعجب كما تقدم فقالت اخبرنى بعلمك فيه قال هو امين الله بينه
وبين النبيين وهو صاحب موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام انتهى وفيه
انه سياتى عند الكلام على ذهابه صلى الله عليه وسلم للطايف بعد موت ابى طالب
يلتمس اسلام ثقيف اجتماعه بعداس الموصوف بما ذكر لكن فى تلك القصة ما قد يبعد
معه كل البعد انه المذكور هنا فليتامل ثم رايت ان عداسا المذكور هنا كان راهبا
وكان شيخا كبير السن وقد وقع حاجباه على عينيه من الكبر وان خديجة قالت له
انعم صباحا يا عداس فقال كان هذا الكلام كلام خديجة اسيدة نساء قريش

قالت اجل قال ادني مني فقعد ثقل سمعي فدنت منه ثم قالت له ما تقدم وهذا
صريح في انه غير عداس الاتي ذكره وانهما اشتركا في الاسم والبلد والدين اي وكونهما
غلامين لعتبة بن ربيعة ففي كلام ابن دحية عداس كان غلاما لعتبة بن ربيعة
من اهل نينوى عنده علم من الكتاب فارسلت اليه خديجة تسأله عن جبريل
فقال قدوس قدوس الحديث ولا يخفى ان هذا الاشتباه وقع من بعض الرواة بلا شك ٥
وفي رواية ان عداسا هذا قال لها يا خديجة ان الشيطان ربما عرض للعبد فاراه
امورا فخذي كتابي هذا وانطلقي به الى صاحبك فان كان مجنونا فانه سيذهب عنه
وان كان من الله فلن يضره فانطلقت بالكتاب معها فلما دخلت منزلها اذا هي
برسول الله صلى الله عليه وسلم مع جبريل يقرئه هذه الايات ن والقلم وما
يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون وانك لعلى
خلق عظيم فستبصر ويبصرون بايكم المفتون فلما سمعت خديجة قراءته اهتزت
فرحا ثم قالت للنبي صلى الله عليه وسلم فداك ابي وامي امض معي الى عداس فلما رآه
عداس كشف عن ظهره فاذا خاتم النبوة يلوح بين كتفيه فلما نظر عداس اليه
خر ساجدا يقول قدوس قدوس انت والله النبي الذي بشر بك موسى وعيسى الحديث
وفيه ان كان هذا قبل ان يذهب الى ورقة اقتضى ان نزول ن قبل اقرأ ولا يحسن
ذلك مع قوله لجبريل ما انا بقارئ اي هو صريح في انه لم يقرأ ذلك شيئا ومن ثم كان
المشهور ان اول ما نزل اقرأ وكون نون لهذا السبب مخالف لما ذكر في اسباب النزول
انها نزلت لما وصفه المشركون بانه مجنون الا ان يقال لا مانع من تعدد النزول ٥
وذكر ابن دحية ايضا انه صلى الله عليه وسلم لما اخبرها بجبريل ولم تكن سمعت به
قط كتبت الى بحيرا الراهب فسألته عن جبريل فقال لها قدوس قدوس يا سيدة
نساء قريش انى لك بهذا الاسم فقالت بعلي وابن عمي اخبرني بانه يأتيه فقال انه
السفير بين الله وبين انبيائه وان الشيطان لا يجترئ ان يتمثل به ولا ان يتسمى
باسمه وهذه العبارة اي كون جبريل هو السفير بين الله وانبيائه صدرت
من الحافظ السيوطي وزاد ولا يعرف ذلك لغيره من الملائكة واعترض عليه
بعضهم بان اسرافيل كان سفيرا بين الله وبينه صلى الله عليه وسلم فعن
الشعبي انه جاءته صلى الله عليه وسلم النبوة وهو ابن اربعين سنة وقرن
بنبوته اسرافيل ثلاث سنين فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل
وفي لفظ عنه فلما مضت ثلاث سنين تولى عنه اسرافيل وقرن به جبريل اي
وقد تقدم ان اسرافيل قرن به قبل النبوة ثلاث سنين يسمع حسه ولا يرى شخصه

بعلمه

يعلمه الشيء بعد الشيء الى اخره وحينئذ يلزم ان يكون قرن به بعد النبوة ثلاث
سنين ايضا وسيأتي عن بعض الحفاظ انها مدة فترة الوحي فليتأمل **واجاب**
الحافظ السيوطي عن ذلك بان السفير هو المرصد لذلك وذلك لا يعرف لغير
جبريل ولا ينافي ذلك مجيء غيره من الملائكة الى النبي صلى الله عليه وسلم في بعض
الاحيان لك ان تقول ان كان المراد المجيء اليه بوحي من الله كما هو المتبادر فليس
في هذه الرواية ان اسرافيل كان يأتيه بوحي في تلك المدة وجواب الحافظ يقتضي
ان اسرافيل وغيره من الملائكة كان يأتيه بوحي من الله قبل مجيء جبريل له بوحي غير
النبوة ولا يخرجه ذلك عن الاختصاص باسم السفير وبان اسرافيل لم ينزل
لغير النبي صلى الله عليه وسلم من الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم كما ثبت
في الحديث فلم يكن السفير بين الله وجميع انبيائه **قيل** وانما خص بذلك ٥
لانه اول من سجد من الملائكة لادم **ورأيته** سئل هل عيسى بعد نزوله يوحى
اليه **فاجاب** بنعم وورد حديث النواس بن سمعان الذي اخرجه مسلم واحمد
وابو داود والترمذي والنسائي وغيرهم وفيه التصريح بانه يوحى اليه قال والظاهر
ان الجائي اليه بالوحي جبريل ه بل هذا الذي يقطع به ولا يتردد فيه لان ذلك
وظيفته وهو السفير بين الله تعالى وبين انبيائه لا يعرف ذلك لغيره من الملائكة
ثم استدل على ذلك باطول ه ـ وما اشتهر على السنة الناس ان جبريل لا ينزل
الى الارض بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم هو شيء لا اصل له ومن زعم زاعم
ان عيسى انما يوحى اليه وحي الهام ساقط ه ك وحديث لا وحي بعدي باطل اي ويدل
له ما رأيته في كلام بعضهم جبريل ملك عليم ورسول كريم مقرب عند الله امين
على وحيه وهو سفيره الى انبيائه كلهم وسماه روح القدس والروح الامين
واختصه بوحيه من بين الملائكة المقربين قال ورأيت في بعض التواريخ ان
جبريل نزل عليه صلى الله عليه وسلم شيئا وعشرين الف مرة ولم يبلغ احد من الانبياء
هذا العدد والله اعلم **وفي** اسباب التنزيل للواحدي عن علي رضي الله تعالى عنه
لما سمع النداء يا محمد قال لبيك قال قل اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول
الله ثم قال قل الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين حتى فرغ من
السورة اي فلما بلغ ولا الضالين فقال قل امين فقال امين كما في رواية عن وكيع
وابن ابي شيبة **وجاء** في حديث قال بعضهم اسناده ليس بالقائم اذا دعا احدكم
فليختم بامين فان امين في الدعاء مثل الطابع على الصحيفة **وفي** الجامع الصغير امين
خاتم رب العالمين على لسان عباده المؤمنين اي خاتم دعاء رب العالمين

اى يمنع من ان يتطرق اليه رد وعدم قبول ومن ثم لما سمع صلى الله عليه وسلم رجلا
يدعو قال قد وجب ان ختم بامين فاى صلى الله عليه وسلم ورقة فذكر له ذلك فقال
له ورقة ابشر ثم ابشر فانى اشهد انك الذى بشر بك ابن مريم فانك على مثل ناموس
موسى وانك نبى مرسل وانك ستومر بالجهاد بعد يومك ولئن ادركنى ذلك لاجاهدن
معك **اقول** هذا لايدل للقول بان الفاتحة اول ما نزل وعليه كما قال فى الكشاف
اكثر المفسرين اذ يبعد كل البعد ان تكون هذه الرواية قبل نزول اقرا باسم ربك
ثم رايت عن البيهقى انه قال فيما تقدم من اسباب النزول هذا مرسل رجاله ثقات
فان كان محفوظا فيحتمل ان يكون خبرا عن نزولها بعد ما نزلت عليه اقرا والمدثر
اى والمدثر نزلت بعد يا ايها المزمل **ثم رايت** ابن حجر اعترض ما تقدم عن الكشاف
بقوله الذى ذهب اليه اكثر الامة هو الاول اى القول بانه اقرا واما الذى نسبه
الى الاكثر فلم يقل به الا عدد اقل من القليل بالنسبة الى من قال بالاول هذا
كلامه **ثم رايت** الامام النووى قال القول بان الفاتحة اول ما نزل بطلانه
اظهر من ان يذكر اى وما يدل لعله لذلك ما جاء من طريق عن مجاهد ان فاتحة الكتاب
نزلت بالمدينة ففى تفسير وكيع عن مجاهد فاتحة الكتاب مدنية **وفيه** انه جاء
عن قتادة انها نزلت بمكة **وعن** على كما فى اسباب التنزيل للواحدى انها نزلت
بمكة من كنز تحت العرش وفيه عنه لما قام النبى صلى الله عليه وسلم بمكة فقال
بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين قالت قريش رض الله فاك **وفى**
الكشاف ان الفاتحة نزلت بمكة وقيل نزلت بالمدينة فهى مكية مدنية هذا
كلامه فتبعه على ترجيح انها مكية القاضى البيضاوى حيث قال وقد صح انها
مكية **وفى** الاتقان وذكر قوم منهم الحسين بن الفضل انها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة ولا
يقال ذلك الا بناء على انها نزلت بهما اى نزلت بمكة ثم بالمدينة مبالغة فى
شرفها وقد اشار القاضى البيضاوى الى ان تكرر نزولها ليس بمجزوم به
وقيل نزل نصفها بمكة ونصفها بالمدينة قال فى الاتقان والظاهر ان
النصف الثانى نزل بالمدينة قال ولا دليل لهذا القول هذا كلامه **واستدل**
بعضهم على انها مكية بانه لا خلاف ان سورة الحجر مكية وفيها ولقد اتيناك
سبعا من المثانى والقران العظيم وهى الفاتحة **فعن** ابى هريرة رضى الله
تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قرئ عليه الفاتحة
والذى نفسى بيده ما انزل الله فى التوراة ولا فى الانجيل ولا فى الزبور
ولا فى القران مثلها انها لهى السبع المثانى والقران العظيم الذى اوتيته

وقد

وقد حكى بعضهم الاتفاق على ان المراد بالسبع المثانى فى اية الحجر الفاتحة
ويؤيد دعوى الاتفاق قول الجلال السيوطى وقد صح عن ابن عباس تفسير السبع المثانى
فى اية الحجر بالسبع الطوال ومما يدل على ان المراد بها الفاتحة ما ذكر فى سبب نزولها ومن ان
عيرا لابى جهل قدمت من الشام بمال عظيم وهى سبع قوافل ورسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه ينظرون اليها واكثر اصحابه بهم عرى وجوع فخطر ببال النبى
صلى الله عليه وسلم شىء لحاجة اصحابه فنزلت اى اعطيناك سبعا من المثانى والقران
مكان سبع قوافل ولا تنظر الى ما اعطيناه لابى جهل وهو متاع الدنيا الدنية ولا
تحزن عليهم اى على اصحابك واخفض جناحك لهم فان تواضعك لهم اطيب لقلوبهم
من ظفرهم بما تحب من اسباب الدنيا **وفى** زوايد الجامع الصغير لو ان فاتحة الكتاب
جعلت فى كفة الميزان والقران فى الكفة الاخرى لفضلت فاتحة الكتاب على القران
سبع مرات وفى لفظ فاتحة الكتاب شفاء من كل داء وفى لفظ فاتحة الكتاب تعدل
ثلثى القران فليتامل ولها اثنان وعشرون اسما وذكر بعضهم ان لها ثلاثين
اسما وذكرها الاستاذ الشيخ ابو الحسن البكرى فى تفسيره الوسيط **قال** السهيلى
ويكره ان يقال لها ام الكتاب اى لما ورد لا يقولن احدكم ام الكتاب وليقل
فاتحة الكتاب قال الحافظ السيوطى ولا اصل له فى شىء من كتب الحديث
وانما اخرجه ابن الضريس بهذا اللفظ عن ابن سيرين وقد ثبت فى الاحاديث
الصحيحة تسميتها بذلك هذا كلامه ولا يخفى انه جاء فى تسمية الفاتحة ذكر
المضاف تارة وهو سورة كذا واسقاطه اخرى وتارة جوزوا الامرين معا
وهو يشكل على ان تسمية السور توقيفى **ثم رايت** فى الاتقان قال قال الزركشى
فى البرهان ينبغى البحث عن تعدد الاسامى هل هو توقيفى او بما يظهر من المناسبات
فان كان الثانى فيمكن الفطن ان يستخرج من كل سورة معانى كثيرة تقتضى
اشتقاق اسمها وهو بعيد هذا كلامه ويلزم القول بانها انما نزلت فى المدينة
ان مدة اقامته صلى الله عليه وسلم بمكة كان يصلى بغير الفاتحة قال فى اسباب
النزول وهذا مما لا تقبله العقول اى لانه لم يحفظ انه كان فى الاسلام صلاة
بغير فاتحة اى ويدل لذلك ما رواه الشيخان لا صلاة لمن لم يقرا بفاتحة
الكتاب وفى رواية لا تجزئ صلاة لا يقرا فيها الرجل بفاتحة الكتاب والمراد
فى كل ركعة لقوله صلى الله عليه وسلم للمسىء صلاته اذا استقبلت القبلة
فكبر ثم اقرا بام القران ثم اقرا بما شئت الى ان قال ثم اصنع ذلك اى القراءة
بام القران فى كل ركعة **وجاء** على شرط الشيخين ام القران عوض عن غيرها وليس

غيرها عوضا عنها ويدل لذلك ايضا وصف القول بانها انما نزلت بالمدينة بانه
هفوة من قايله لانه تفرد بهذا القول والعلما على خلافه اى لان نزولها كان بعد
فترة الوحى بعد نزول يا ايها المدثر ويلزم على كونها نزلت بعد المدثر انه صلى الله
عليه وسلم صلى بغير الفاتحة فى مدة فترة الوحى لان المدثر نزلت بعد فترة الوحى على
ما سياتى وقد يقال لا ينافيه ما تقدم من انه لم يحفظ انه لم يكن فى الاسلام صلاة
بغير الفاتحة لجواز ان يراد صلاة من الصلوات الخمس وما تقدم ما يدل على تعيين
الفاتحة فى الصلاة يجوز ان يكون صدر منه صلى الله عليه وسلم بعد فرض الصلوات
الخمس وفى الامتاع انزال الملك يبشره بالفاتحة وبالايتين من سورة البقرة
يدل على انها نزلت بالمدينة فقد اخرج مسلم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال بينما
جبريل قاعدا عند النبى صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا اى صوتا من فوقه فرفع راسه
فقال هذا باب من السما فتح اليوم لم يفتح قط الا اليوم فنزل منه ملك فقال
هذا ملك نزل الى الارض لم ينزل قط الا اليوم فسلم وقال ابشر بنورين اوتيتهما
لم يؤتهما نبى قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة هذا كلامه فليتامل وجه
الدلالة هذا على انه سياتى عن الكامل للهذلى ما يصرح بانها اى خواتيم البقرة
نزلت عليه صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرا بقاب قوسين وما يدل على ان البسملة اية
منها نزولها معها اى كما فى بعض الروايات والا فالروايات المتقدمة تدل على انها
لم ينزل معها ويدل لكون البسملة اية من الفاتحة ايضا ما اخرجه الدارقطنى
وصححه والبيهقى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا قراتم الحمد لله فاقروا بسم الله الرحمن الرحيم انها ام القران وام الكتاب والسبع
المثانى وبسم الله الرحمن الرحيم احدى اياتها وقد اخرج الدارقطنى عن على رضى الله عنه
انه سيل عن السبع المثانى فقال الحمد لله رب العالمين فقيل له انما هى ست
ايات فقال بسم الله الرحمن الرحيم اية وقيل لها السبع المثانى لانها سبع ايات
وتثنى فى الصلاة وقيل المثانى كل القران لانه يثنى فيه صفات المومنين والكفار
والمنافقين وقصص الانبيا والوعد والوعيد قال بعضهم والوجه ان يقال المراد
بالسبع المثانى السبع الطوال اى كما انها المرادة فى قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا
من المثانى على ما تقدم وهى البقرة وال عمران والنسا والمايدة والانعام
والاعراف والسابعة يونس وقيل براة وقيل الكهف وعن ام سلمة رضى الله
تعالى عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم عد البسملة اية من الفاتحة وبهذا يعلم
ما فى تفسير البيضاوى عن ام سلمة من انه صلى الله عليه وسلم عد البسملة والحمد لله

ابن

اية فقد ذكر بعض الحفاظ ان هذا اللفظ لم يرد عن ام سلمة والذى رواه جماعة
من الحفاظ عن ام سلمة بالفاظ يدل على ان بسم الله الرحمن الرحيم اية وحدها منها
انها ذكرت ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى فى بيتها فيقرا بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين وفى رواية عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقرا فى الصلوات
بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والاستدلال على ان البسملة اية من الفاتحة
بكونها نزلت معها يقتضى ان البسملة ليست اية من اقرا باسم ربك ومن ثمة قال الحافظ
الدمياطى نزول اقرا بدون بسملة يدل على ان البسملة ليست اية من كل سورة واستدل
به اى بعدم نزولها فى اول سورة اقرا ايضا كما قال الامام النووى من يقول ان
البسملة ليست بقران فى اوايل السور اى وانما انزلت وكتبت للفصل والتبرك بالابتدا
بها وهذا القول نسب لقول امامنا فى القديم وهو قول قدما الحنفية قال وجواب
المثبتين اى لقرانيتها فى ذلك انها نزلت فى وقت اخر كما نزلت باقى السورة اى سورة
اقرا وجوابهم ايضا بان الاجماع من الصحابة والسلف على اثباتها فى مصاحفهم
مع مبالغتهم فى تجريدها عن كتابة غير القران فيها حتى انهم لم يكتبوا امين فيها
واستدل ايضا لعدم قرانيتها فى اوايل السور بعدم تواترها فى محلها ورد بان عدم
تواترها فى محلها لا يقتضى سلب القرانية عنها ورد هذا الرد بان الامام الكافيجى
قال المختار عند المحققين من علما السنة وجوب التواتر اى فى القران فى محله
ووضعه وترتيبه ايضا كما يجب تواتره فى اصله اى وفى الفتوحات البسملة
من القران بلا شك عند العلما بالله وتكرارها فى السور كتكرار ما تكرر فى القران
من سائر الكلمات وهو بظاهره يؤيد ما ذهب اليه امامنا من انها اية من اول
كل سورة ويحتمل لما قاله السهيلى حيث قال نقول انها اية من كتاب الله مقرونة مع
كل سورة وفى كلام ابى بكر بن العربى وزعم الشافعى انها اية من كل سورة وما سبقه
الى هذا القول احد وانه لم يعدها احد من اية من سائر السور ونقل عن امامنا
الشافعى انها اية من اول الفاتحة دون بقية السور فعن الربيع قال سمعت الشافعى
يقول اول الحمد بسم الله الرحمن الرحيم واول البقرة الم قال بعضهم وهو يدل على
ان البسملة اية من اول الفاتحة دون بقية السور فانها ليست اية من اولها بل من
اية فى اولها اعادة لها وتكريرا ولها وربما يوافق ذلك قول السيوطى فى الخصايص
الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم بالبسملة والفاتحة هذا كلامه وكونه صلى الله
عليه وسلم خص بالبسملة يخالف قوله فى الاتقان عن الدارقطنى ان النبى صلى الله
عليه وسلم قال لبعض الصحابة لاعلمنك اية لم تنزل على نبى بعد سليمان غيرى

بسم الله الرحمن الرحيم كما سيأتي وسيأتي ما فيه قيل وانما ترك البسملة اول براءة
لعدم المناسبة بين الرحمة التي تدل عليها البسملة والتبرى الذي يدل على اول براءة
وردّه في الفتوحات بانها جاءت في اوايل السور المبدوة بويل وقد واين الرحمة من
الويل وذكر بعضهم ان الانفال وبراءة سورة واحدة اى نعم ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما قال سألت عثمان بن عفان رضي الله عنه لم لم يكتبوا بين براءة والانفال
سطر بسم الله الرحمن الرحيم فقال كانت الانفال من اول ما نزل بالمدينة وكانت
براءة من اخر ما نزل بالمدينة وكانت قصتها تشتبه بالاخرى فظننت انها واحدة
وفي كلام بعض المفسرين عن طاوس وعمر ابن عبد العزيز انهما كانا يقولان ان الضحى
والم نشرح سورة واحدة فكانا يقرانهما في ركعة واحدة ولا يفصلان بينهما
ببسم الله الرحمن الرحيم وذلك لانهما رايا ان اولهما مشبه لقوله الم يجدك يتيما
وليس كذلك لان تلك حال اغتمامه صلى الله عليه وسلم باذا الكفار فهي حال
محنة وضيق وهذه حال انشراح الصدر وتطييب القلب فكيف يجتمعان هذا
كلامه وذكر ايمتنا انه يكفي في وجوب الاتيان بالبسملة في الفاتحة في الصلاة
الظن المفيد له خبر الاحاد ولعدم التواتر بذلك لا يكفر من نفى كونها اية من
الفاتحة باجماع المسلمين وقد جهر بها صلى الله عليه وسلم كما رواه جمع من الصحابة
قال ابن عبد البر عدتهم احد وعشرون صحابيا واما ما رواه مسلم عن انس
قال صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمان فلم اسمع احدا منهم
يقرا بسم الله الرحمن الرحيم اجيب عنه بانه لم ينف الا السماع ويجوز انهم تركوا
الجهر بها في بعض الاوقات بيانا للجواز ويؤيده قول بعضهم كانوا يخفون
البسملة واما ما رواه البخاري وابو داود والترمذي وغيرهم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر كانوا يفتتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين
فمعناه بسورة الحمد لا بغيرها من القران ولا يبعد هذا الحمل ما في رواية
عبد الله بن مغفل انه قال سمعني ابي وانا اقرا بسم الله الرحمن الرحيم فقال
اى بني اياك والحديث فاني صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ومع ابي بكر
وعمر فلم اسمع احدا منهم يقوله فاذا قرات فقل الحمد لله رب العالمين لانه
لما لم يسمع فهم انهم لم ياتوا بها راسا فقال ذلك وكذا يقال فيما روى كانوا ٥
لا يقرؤن بسم الله الرحمن الرحيم فعلى تقدير ثبوت تلك الرواية وصحتها
يجوز ان يكون الراوي فهم مما تقدم ترك البسملة فروى بالمعنى فاخطأ ومما
استدل به على ان البسملة ليست من الفاتحة ما جاء عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه

انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى قسمت الصلاة اى الفاتحة
في الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سال
فاذا قال الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم
قال مجدني عبدي واذا قال مالك يوم الدين قال فوض الي عبدي واذا اياك نعبد
واياك نستعين قال هذه بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال فيقول عبدي اهدنا
الصراط المستقيم الى اخرها قال ابو بكر بن العربي المالكي فانتفى بذلك ان
يكون بسم الله الرحمن الرحيم اية منها من وجهين احدهما انه لم يذكرها في القسمة
والثاني انها ان صارت في القسمة لما كانت نصفين بل يكون ما لله فيها اكثر مما
للعبد لان بسم الله ثناء على الله تعالى لا شيء للعبد فيه ثم قال ان التعبير بالصلاة
عن الفاتحة يدل على ان الفاتحة من فروضها واطال في ذلك وسياتي في الحديث
انه صلى الله عليه وسلم كان يكتب باسمك اللهم موافقة للجاهلية قيل كتب ذلك
في اربعة كتب واول من كتبها امية بن الصلت فلما نزل بسم الله مجراها ومرساها
كتب بسم الله ثم لما نزل ادعوا الله او ادعوا الرحمن كتب بسم الله الرحمن ثم لما نزل
انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم كتب بسم الله الرحمن الرحيم كذا نقل عن
الشعبي ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكتب بسم الله الرحمن الرحيم حتى نزلت سورة
النمل وهذا يفيد ان البسملة لم تنزل قبل ذلك في شيء من اوايل السور ويؤيده
قول السهيلي ثم كان بعد ذلك اى بعد نزول وانه بسم الله الرحمن الرحيم ينزل
جبريل ببسم الله الرحمن الرحيم مع كل سورة اى تمييزا لها عن غيرها وقد ثبتت
في سواد المصحف بالاجماع من الصحابة رضي الله عنهم على ذلك هذا كلامه
فليتامل ما فيه فانه يدل للقول ان البسملة ليست من اوايل السور وانما هي ٥
للفصل فقد علمت ان البسملة نزلت اول الفاتحة على ما في بعض الروايات
ونقل ابو بكر التونسي اجماع علماء كل امة ان الله سبحانه وتعالى افتتح كتبه ببسم
الله الرحمن الرحيم وفي الاتقان عن الدارقطني ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لبعض الصحابة لاعلمنك اية لم تنزل على نبي بعد سليمان غيري بسم الله الرحمن الرحيم
وبهذا يعلم ما في الخصايص الصغرى ان البسملة من خصايصه صلى الله
عليه وسلم وفي قوله صلى الله عليه وسلم على نبي بعد سليمان غيري يشكل عليه ان
عيسى بين سليمان وبينه صلى الله عليه وسلم وكتابه الانجيل وهو من جملة
كتب الله المنزلة وعن النقاش ان البسملة لما نزلت سبحت الجبال فقالت ٥
قريش سحر محمد الجبال قال السهيلي ان صح ما ذكر فانما سبحت الجبال خاصة

الرحيم

لان البسملة انما نزلت على ال داود وقد كانت الجبال تسبح مع داود والله اعلم ثم
لم يلبث ورقة ان توفى قال سبط ابن الجوزى وهو اخر من مات فى الفترة ودفن
بالحجون فلم يكن مسلما ويؤيده ما جاء فى رواية فى سندها ضعف عن ابن عباس رضى الله تعالى
عنهما انه مات على نصرانيته وهذا يدل على ان من ادرك النبوة وصدق بنبوته
صلى الله عليه وسلم ولم يدرك الرسالة بناء على تاخرها لا يكون مسلما بل يكون
من اهل الفترة فلما توفى ورقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رايت القس
يعنى ورقة فى الجنة وعليه ثياب الحرير لان القس بكسر القاف رئيس النصارى وبفتحها
تتبع الشىء هذا وفى القاموس القس مثلث القاف تتبع الشىء وطلبه كالتقسس
وبالفتح صاحب الابل الذى لا يفارقها ورئيس النصارى فى العلم وفى رواية ابصرته
فى بطنان الجنة وعليه السندس وفى رواية قد رايته فرايت عليه ثياب بيض
واحسبه اى اظنه لو كان من اهل النار لم يكن عليه ثياب بيض اقول
صريح الرواية الثالثة انه لم يره فى الجنة فقد تعددت الرواية واما الرواية
الثانية فلا تخالف الرواية الاولى لان السندس من افراد الحرير فلا دلالة فى ذلك
على التعدد والله اعلم وفى رواية لا تسبوا ورقة فانى رايت له جنة او جنتين
٥ لانه امن بى وصدقنى اى قبل الدعوى التى هى الرسالة وحينئذ يكون معنى كونه
له جنة او جنتين هيئت له جنة او جنتان ولا مانع ان يكون بعض اهل الفترة
من اهل الجنة اذ لو كان مسلما حقيقة بان ادرك الدعوى وصدق به لم يقل فيه
صلى الله عليه وسلم واحسبه لو كان من اهل النار لم يكن عليه ثياب بيض وتجزم
ابن كثير باسلامه تبعا لبعضهم وهو الراجح عند جهابذة الائمة اى بناء على انه ادرك
الدعوى الى الله تعالى التى هى الرسالة ففى الامتاع ان ورقة مات فى السنة الرابعة
من المبعث ويوافقه ما يأتى عن سيرة ابن اسحاق وعن كتاب الخميس وحينئذ
يكون قوله صلى الله عليه وسلم لانه امن بى وصدقنى واضحا لكن ينازع فى ذلك قوله
واحسبه لو كان من اهل النار لم يكن عليه ثياب بيض وسياتى عن الذهبى
ما يخالفه ايضا ما تقدم عن سبط ابن الجوزى انه من اهل الفترة وعن يحيى بن
بكير قال سالت جابر بن عبد الله يعنى عن ابتداء الوحى فقال لا احدثك الا ما
حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء فلما قضيت جوارى
هبطت فنوديت فنظرت عن يمينى فلم ار شيئا فنظرت عن يسارى فلم ار شيئا
فنظرت من خلفى فلم ار شيئا فرفعت راسى فرايت شيئا بين السماء والارض اى وفى
رواية فاذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى زاد فى رواية متربعا عليه

وفى لفظ على عرش بين السماء والارض فرعبت منه فاتيت خديجة فقلت دثرونى
اى وفى رواية زملونى زملونى وصبوا على ماء باردا فدثرونى وصبوا على ماء باردا
فنزلت هذه الاية يا ايها المدثر اى المتلفف بثيابه قم فانذر وربك فكبر ولم يقل
بعد ذلك قانذر وبشر لانه لم يبعث بالنذارة بعث بالبشارة لان البشارة انما
تكون لمن امن ولم يكن احد امن قبل وهذا يدل على ان هذه الاية اول ما نزل اى قبل
اقرا وان النبوة والرسالة مقترنان قد قال الامام النووى والقول بان
اول ما نزل يا ايها المدثر ضعيف باطل وانما نزلت بعد فترة الوحى اى ومما يدل على
ذلك قوله فاذا الملك الذى جاءنى بحراء ومما يدل على ذلك ايضا ما فى البخارى
ان فى رواية جابر انه صلى الله عليه وسلم حدث عن فترة الوحى اى لا عن ابتداء الوحى
فما تقدم من قول بعضهم يعنى عن ابتداء الوحى فيه نظر وكذا فى قول الراوى
عن جابر جاورت بحراء فلما قضيت جوارى هبطت لان جواره بحراء كان قبل
فترة الوحى الا ان يقال لجابر هنا عنه روايتان واحدة فى ابتداء الوحى واخرى
فى فترة الوحى وبعض الرواة خلط فان صدر الرواية يدل على ان ذلك كان
عند ابتداء الوحى وعجزها يدل على ان ذلك كان فى فترة الوحى هذا ويجوز ان
يكون صلى الله عليه وسلم جاور بحراء فى مدة فترة الوحى ويؤيد ذلك ما فى
البيهقى عن مرسل ابن عمير انه صلى الله عليه وسلم كان يجاور فى كل سنة شهرا
وهو رمضان وكان ذلك فى مدة فترة الوحى وسياتى الجمع بين الروايات فى
اول ما نزل وعن اسمعيل بن حكيم مولى الزبير انه حدث عن خديجة رضى الله تعالى
عنها انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتستطيع ان تخبرنى بصاحبك
هذا الذى ياتيك اذا جاءك قال نعم اى وذلك قبل ان ياتيه بالقران اى
اى بشىء منه وهو اقرا باسم ربك بناء على انه اول ما نزل ولا ينافى ذلك قولها هذا
الذى ياتيك اذا جاءك لان المعنى الذى يتراءى لك اذا رايته فجاءه جبريل عليه
السلام فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم يا خديجة هذا جبريل قد جاءنى
اى قد رايته لكن سياتى عن ابن حجر الهيتمى ان ذلك كان بعد البعثة قالت قم
يا ابن عم فاجلس على فخذى فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس قالت هل
تراه قال نعم قالت فتحول فاجلس فى حجرى فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجلس فى حجرها قالت هل تراه قال نعم فالقت خمارها ورسول الله صلى الله عليه وسلم
جالس فى حجرها ثم قالت هل تراه قال لا قالت يا ابن عم اثبت فابشر فوالله انه لملك
ما هذا بشيطان والى ذلك اشار صاحب الهمزية بقوله ٥

وَانا هافى بينها جبريل • ولذى اللب فى الامور ارتياء
فاماطت عنها الخمار لتدرى • اهو الوحى ام هو الاغماء
فاختفى عند كشفها الراس جبريل فما عاد او اعيد الغطاء
فاستبانت خديجة انه الكنز الذى حاولته والكيميا

اى وَانا هاة قال ابن حجر اى بعد البعثة اى النبوة فاجتماعه به فى بينها حامل الوحى جبريل وَلصاحب العقل الكامل فى الامور التى قد تشتبه على الابصار تثبت كمال استبصارها ازالت عن راسها ما يغطى به الراس ليعلم عين اليقين انه هذا الذى يعرض له صلى الله عليه وسلم هل هو حامل الوحى الذى كان ياتى به الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبله ام هو الاغماء الذى هو نقص الامراض الجائزة عليهم عليهم الصلاة وَالسلام وفيه انه ينبغى ان يكون المراد به الاغماء الناشى عن لمة الجن فيكون عن الكهان لا عن الانبياء عليهم الصلاة والسلام الذى قال لسببه لخديجة لقد خشيت على نفسى وسيأتى انه كان يعتريه وهو بمكة قبل ان ينزل عليه القران ما كان يعتريه عند نزول الوحى عليه اى من الاغماء الى اخره فبسبب ازالتها ما تغطى به راسها عنها اختفى فلم يعد الى ان اعادت غطا راسها عليه فاستبانت علمت علم اليقين ان ما يعرض له صلى الله عليه وسلم هو الوحى اى لانه الجنى لان الملك لا يرى الراس المكشوف من المراة بخلاف الجنى وشبها الناظم ذلك بالشئ النفيس والامر العظيم لان كلا من الكنز والكيميا لا يظفر به الا القليل من الناس لعزتهما **اقول** فى الخصائص الكبرى ما يدل لما قلناه من ان ما فعلته خديجة كان عند تراءيه له صلى الله عليه وسلم وقبل اجتماعه به ومجيئه له بالقران **وَقول** بعضهم ان ذلك من خديجة كان بارشاد من ورقة فانه قال لها اذهبى الى المكان الذى راى فيه ما راى فاذا راه فتحسرى فان يكن من عند الله لا يراه اى فتراى له وهو فى بيت خديجة ففعلت قالت فلما تحسرت تغيب جبريل فلم يره فرجعت فاخبرت ورقة فقال انه ليأتيه الناموس الاكبر **وَفى فتح** البارى انه فى سيرة ابن اسحاق ان ورقة بن نوفل كان يمر ببلال رضى الله تعالى عنه وهو يعذب وذلك يقتضى انه تاخر الى زمن الدعوة والى ان دخل بعض الناس فى الاسلام اى **وَفى كلام** صاحب الخميس فى الصحيحين ان الوحى تتابع فى حياة ورقة وانه امن به **وَتقدم** انه الموافق لما فى الامتاع من انه مات فى السنة الرابعة من البعثة **وَتقدم** انه مخالف لما تقدم عن سبط ابن الجوزى ومخالف ايضا لقول الذهبى الاظهر انه مات بعد النبوة وقبل الرسالة اى بنا على تاخرها **وَيدل** لتاخرها ما تقدم من قول ورقة يا ليتنى فيها جذع **فقد**

تقدم

تقدم ان المراد با ليتنى اكون فى زمن الدعوى اى ومن ادرك النبوة ولم يدرك البعثة لا يكون مسلما بل هو كما تقدم من اهل الفترة لان الايمان النافع عند الله تعالى الذى يصير به الشخص مستحقا لدخول الجنة ناجيا من الخلود فى النار التصديق بالقلب بما علم بالضرورة انه من دين محمد صلى الله عليه وسلم ايمانا ارسل به وان لم يقر بالشهادتين مع التمكن من ذلك حيث لم يطلب منه ذلك ويمتنع وقيل لا بد مع ذلك من الاقرار بالشهادتين للمتمكن منه وحينئذ ادرك الرسالة فقد اسلم وحينئذ يكون صحابيا **وَنقل بعضهم** عن الحافظ ابن حجر انه فى الاصابة تردد فى ثبوت الصحبة لورقة بن نوفل قال لكن المفهوم من كلامه فى شرح النخبة ثبوتها وانه يفرق بينه وبين بحيرا بان ورقة ادرك البعثة وان لم يدرك الدعوة بخلاف بحيرا وهو ظاهر هو والتعريف السابق يشمله هذا كلامه وتعريفه السابق للصحابى هو من اجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم مؤمنا وعبارة شرح النخبة هل يخرج اى من تعريف الصحابى من لقى النبى صلى الله عليه وسلم مؤمنا به من لقيه مؤمنا بانه سيبعث ولم يدرك البعثة محل نظر ولا يخفى عليك ان ما فى شرح النخبة لا يدل لهذا البعض على انه تقدم ان ابن حجر فى الاصابة قال فى بحيرا ما ادرى ادرك البعثة ام لا **ولا يخفى** عليك ما تقدم عن ابن حجر من ان ورقة ادرك البعثة وان لم يدرك الدعوة فانه يقتضى ان البعثة عبارة عن النبوة لا عن الرسالة وان الرسالة هى الدعوى لا البعثة **وَروى** ابن اسحاق عن شيوخه انه صلى الله عليه وسلم كان يرقى من العين وهو بمكة قبل ان ينزل عليه القران فلما نزل عليه القران اصابه نحو ما كان يصيبه قبل ذلك هذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم كان يصيبه قبل نزول القران ما يشبه الاغماء بعد حصول الرعدة وتغميض عينيه وتربد وجهه ويغط كغطيط البكر فقالت له خديجة اوجه اليك من يرقيك قال اما الان فلا ولم اقف على من كان يرقيه ولا على ما كان يرقى به **وَاشتهر** على بعض الالسنة آمنة يعنى امه صلى الله عليه وسلم رقت النبى من العين ولعل مستند ذلك ما تقدم عن امه انها لما كانت حاملا به جاءها الملك وقال لها قولى اذا ولدتيه اعيذه بالواحد من شر كل حاسد والظاهر انها قالت ذلك **وَعن** اسما بنت عميس رضى الله تعالى عنها قالت يا رسول الله ان بنى جعفر اى ولداها من جعفر بن ابى طالب تصيبهما العين افنسترقى لهما قال نعم لو كان شئ سابق القدر لسبقته العين **فان قيل** بهذه الامور علم صلى الله عليه وسلم ان جبريل ملك لا جنى فمن اين اعلم انه يتكلم عن الله تعالى **اجيب** بانه على تسليم ان قول ورقة المذكور وما تقدم عنه لا يفيده العلم فقد يقال خلق الله تعالى فيه

صلى الله عليه وسلم علما ضروريا بعد ذلك علم به انه جبريل وانه يتكلم عن الله تعالى
لا فخلق جبريل علما ضروريا بان الموحي اليه هو الله جل جلاله وقد ذكر بعض المفسرين
انه صلى الله عليه وسلم كان له عدو من شياطين الجن يقال له الابيض كان ياتيه في صورة
جبريل واعترض بانه يلزم عليه عدم الوثوق بالوحي واجيب عنه بمثل ما هنا
وهو ان الله تعالى جعل في النبي صلى الله عليه وسلم علما ضروريا يميز به بين جبريل
عليه السلام وبين هذا الشيطان ولعل هذا الشيطان غير قرينه الذي اسلم وفي
كلام ابن العماد وشيطان الانبيا يسمى الابيض والانبيا معصومون منه وهذا
الشيطان هو الذي اغوى برصيصا الراهب العابد بعد عبادة خمسماية سنة وهو
المعنى بقوله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء
منك هذا كلامه والله اعلم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال كان من الانبيا من يسمع الصوت ولا يرى مصوتا فيكون بذلك نبيا قال
بعضهم يحتمل ان يكون صوتا خلقه الله تعالى في الهواء ليس من جنس الكلام وخلق
لذلك النبي فهم المراد منه عند سماعه ويحتمل ان يكون من جنس الكلام المعهود
يتضمن ذلك الشخص صار نبيا ق صلى الله عليه وسلم وان جبريل ياتيني ه
فيكلمني كما ياتي احدكم صاحبه فيكلمه اي ويبصره من غير حجاب وفي رواية
كنت اراه احيانا كما يرى الرجل صاحبه من وراء الغربال ولا يخفى ان هاتين الحالتين
كل منهما حالة من حالات الوحي وحينئذ اما ان يكون جبريل عليه السلام على صورة
دحية الكلبي وهو بكسر الدال المهملة على المشهور وحكي فتحها او على صورة غيره ومنه
ما وقع في حديث عمر رضي الله عنه بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم
طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه اثر السفر
ولا يعرفه منا احد الحديث ورواية البخاري تدل على انه صلى الله عليه وسلم لم يعرفه
الا في اخر الامر وورد ما جاءني جبريل في صورة لم اعرفها الا في هذه المرة
وفي صحيح ابن حبان والذي نفسي بيده ما اشتبه علي منذ اتاني قبل مرتي هذه
وما عرفته حتى ولى وبهذا يعلم ما في كلام الامام السبكي حيث قسم الوحي الى ثلاثة اقساما
[illegible]
حيث قال في تائيته ٥
ولازمك الناموس اما بشكله • واما بنفث او بحلية دحية
فليتامل قيل وكان اذا اتاه على صورة الادمي ياتيه بالوعد والبشارة فان قيل
اذا جاء جبريل عليه السلام على صورة الادمي دحية او غيره هل هي الروح تتشكل بذلك
الشكل وعليه هل يصير جسده الاصلي حيا من غير روح او يصير ميتا اجيب بان الجائي

يجوز

يجوز ان لا يكون هو الروح بل الجسد لانه يجوز ان الله تعالى جعل في الملائكة قدرة
على التطور والتشكل باي شكل ارادوه كالجن فيكون الجسد واحدا ومن ثمة قال
الحافظ ابن حجر ان تمثل الملك رجلا ليس معناه ان ذاته انقلبت رجلا بل معناه
انه ظهر بتلك الصورة تانيسا لمن يخاطبه والظاهر ان القدر الزائد لا يزول
ولا يفنى بل يخفى على الرائي فقط واخذ من ذلك بعض غلاة الشيعة انه لا مانع
ولا يبعد ان الحق سبحانه وتعالى يظهر في صورة علي رضي الله عنه واولاده اي الايمة
الاثني عشر وهم الحسن والحسين وابن الحسين زين العابدين وابنه محمد الباقر
وابن محمد الباقر جعفر الصادق وابن جعفر الصادق موسى الكاظم وابن موسى الكاظم
علي الرضي وابن علي الرضي محمد الجواد وابن محمد الجواد علي النقي والهادي عمر حسن
العسكري وان اثني عشر ولد حسن العسكري وهو المهدي صاحب الزمان وهو
حي باق الى ان يجتمع بسيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام على ما فيه فقد
قال عبد الله بن سبا يوما لعلي رضي الله عنه انت انت يعني انت الاله فنفاه علي الى
المداين وقال لا تساكني في بلد ابدا وكان عبد الله بن سبا هذا يهوديا كان من
اهل صنعا وامه يهودية سوداء ومن ثم كان يقال له ابن السوداء فكان اول
من اظهر سب الشيخين ونسبهما للافتيات على سيدنا علي رضي الله عنه ولما
قيل لسيدنا علي لولا انك تضمر ما اعلن به هذا ما اجترا على ذلك فقال علي معاذ
الله ان اضمر لهما ذلك لعن الله من اضمر لهما الا الحسن الجميل فارسل الى ابن
سبا فاظهر الاسلام في اول خلافة عثمان وقيل في خلافة عمر وكان قصده
باظهار الاسلام بوار الاسلام وخذلان اهله وكان يقول قبل اظهاره الاسلام
في يوشع ابن نون بمثل ما قال في علي وكان يقول في علي انه حي لم يقتل وان فيه
الجزء الالهي وانه يجي في السحاب والرعد صوته والبرق سوطه وانه ينزل
بعد ذلك الى الارض فيملاها عدلا كما ملئت جورا وظلما وعبد الله كان يظهر
امر المراجعة اي انه صلى الله عليه وسلم يرجع الى الدنيا كما يرجع عيسى وكان يقول العجب
ممن يزعم ان عيسى يرجع الى الدنيا ويكذب برجعة محمد صلى الله عليه وسلم وقد قال
الله تعالى ان الذي فرض عليك القران لرادك الى معاد فمحمد احق بالرجوع من
عيسى واظهر امر الوصية اي ان عليا رضي الله تعالى عنه اوصى له صلى الله عليه وسلم
بالخلافة وكان هو السبب في اثارة الفتنة التي قتل فيها عثمان رضي الله تعالى عنه
كما سياتي ومن غلاة الشيعة من قال بالوهية اصحاب الكسا الخمسة محمد صلى
الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله تعالى عنهم ومنهم من قال بالوهية

جعفر الصادق والوهيته ابائه وهم الحسين وابنه زين العابدين وابى زين
العابدين محمد الباقر وهولاء الشيعة موافقون فى ذلك لمن يقول بالحلول وهم
الحلاجية اصحاب حسين بن منصور الحلاج كانوا اذا راوا صورة جميلة زعموا ان
معبودهم حل فيها **وممن زعم الحلول** حتى ادعى الالوهية المقنع عطا الخراسانى وذلك
فى سنة ثلاثة وستين ومائة ادعى ان الله جل وعز حل فى صورة ادم ثم فى صورة
نوح ثم الى ان حل فى صورته هو فافتتن به خلق كثير بسبب التمويهات التى اظهرها
لهم فانه كان يعرف شيئا من السحر والنيرنجيات فقد اظهر قمرا يراه الناس من مسافة
شهرين من موضعه ثم يغيب ولما اشتهر امره ثار عليه الناس وقصدوه ليقتلوه
وجاؤا الى القلعة التى كان متحصنا بها فلما علم ذلك اسقى اهله سما فماتوا ومات
ودخل الناس تلك القلعة فقتلوا من بقى حيا بها من اتباعه **فالقول** بالاتحاد
كفر فقد قال العز بن عبد السلام من زعم ان الاله يحل فى شىء من اجسام الناس
او غيرهم فهو كافر واشاروا الى انه كافر اجماعا من غير خلاف وانه لا يجرى فيه
الخلاف الذى جرى فى تكفير المجسمة ومن ثم **ذكر** القاضى عياض فى الشفا
ان من ادعى حلول البارى فى احد الاشخاص كان كافرا باجماع المسلمين وقول بعض
العارفين وهو ابو يزيد البسطامى سبحانى ما اعظم شانى وقوله انى انا الله لا اله الا
انا فاعبدون وانا ربى الاعلى وقوله انا الحق وهو انا وانا هو ليس هو دعوى الحلول فى شىء
وانما قوله سبحانى انى انا الله محمول على الحكاية اى قال ذلك على لسان الحق من باب
حديث الله تعالى قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده وقوله انا ربى الاعلى وانا هو
الحق الى اخره انما قال ذلك لانه انتهى سلوكه الى الله تعالى بحيث استغرق
فى بحر التوحيد بحيث غاب عن كل ما سواه سبحانه وصار لا يرى فى الوجود غيره تعالى
الذى هو مقام الفنا ومحو النفس وتسليم الامر كله لله تعالى وترك الارادة منه
والاختيار فالعارف اذا وصل الى هذا المقام ربما اقتصرت عبارته عن بيان
ذلك الحال الذى نازله فصدرت عنه تلك العبارة الموهمة للحلول وقد اصطلحوا
على تسمية هذا المقام الذى هو مقام الفنا بالاتحاد ولا مشاحة فى الاصطلاح
لانه اتحد مراده بمراد محبوبه فصار المرادان واحدا يعنى ارادة المحب فى مراد
المحبوب فقد فنى عن هوى نفسه وحظوظها فصار لا يحب الا الله ولا يبغض الا الله
ولا يرجو الا بالله ولا يستعين الا بالله فيكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما
ففى كلام سيدى على وفا رضى الله عنه حيث اطلق القول بالاتحاد فى كلام القوم
من الصوفية فمرادهم فنا مرادهم فى مراد الحق جل وعلا كما يقال بين فلان وفلان

اتحاد

اتحادا اذا حمل كل منهما على وفق مراد الاخر ولله المثل الاعلى هذا كلامه رضى الله
عنه ورضى عنا به وهذا المقام غير مقام الوحدة المطلقة الخارج عن دائرة
العقل التى ذكر السعد والسيد ان القول بها باطل وضلال اى لانه يلزم عليها
القول بالجمع بين الضدين **قال بعض العلما** حضرة الجمع عبارة عن شهود اجتماع
الرب والعبد فى حال فناء العبد فيكون العبد معدوما موجودا فى آن واحد ولا
يدرك معنى ذلك الا من اشهده الله الجمع بين الضدين ومن لم يشهده ذلك انكره
ويجوز ان يكون الجسد للملك متعددا وعليه فمن الممكن ان يجعل الله لروح الملك
قوة يقدر بها على التصرف فى جسد اخر غير جسده المعهود مع تصرفها فى ذلك
الجسد المعهود كما هو شان الابدال لانهم يرحلون الى مكان ويقيمون فى مكانهم
شبحا اخر شبيها بشبحهم الاصلى بدلا عنه **وقد ذكر** ابن السبكى فى الطبقات
ان كرامات الاولياء انواع وعد منها ان يكون له اجساد متعددة قال وهذا الذى
تسميه الصوفية بعالم المثال ومنه قصة قضيب البان وغيره اى كواقعة الشيخ
عبد القادر الطحطوطى نفعنا الله به **فقد ذكر** الجلال السيوطى رحمه
الله انه رفع اليه سؤال فى رجل حلف بالطلاق ان ولى الله الشيخ عبد القادر
الطحطوطى بات عنده ليلة كذا فحلف اخر بالطلاق انه بات عنده تلك الليلة
بعينها فهل يقع الطلاق على احدهما ام لا فارسلت قاصدى الى الشيخ عبد القادر
فسالته عن ذلك فقال ولو قال اربعة انى بت عندهم لصدقوا فافتيت بانه لا
حنث على واحد منهما لان تعدد الصور بالتخييل والتشكل ممكن كما يقع ذلك للجان
وقد قيل فى الابدال انهم انما سموا ابدالا لانهم قد يرحلون الى مكان ويقيمون
فى مكانهم الاول شبحا اخر شبيها بشبحهم الاصلى بدلا عنه ويقال له عالم المثال كما
تقدم فهو عالم متوسط بين عالم الاجساد وعالم الارواح فهو الطف من عالم
الاجساد واكثف من عالم الارواح فالارواح تتجسد وتظهر فى صور مختلفة
من عالم المثال اه وهذا الجواب اولى مما تكلفه بعضهم فى الجواب عن جبريل بانه كان
يندمج بعضه فى بعض اى الذى اجاب به الحافظ ابن حجر **ومما يدل** على وجوده
المثال رؤيته صلى الله عليه وسلم للجنة والنار فى عرض الحائط **وقول ابن عباس**
رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى لولا ان راى برهان ربه انه مثل له يعقوب بمصر
وهو بالشام **ومن ذلك** ما اشتهر ان الكعبة شوهدت تطوف ببعض الاولياء
فى غير مكانها **وممن وقع** له ذلك ابو يزيد البسطامى والشيخ عبد القادر الجيلى
والشيخ ابراهيم المتبولى نفعنا الله تعالى ببركاتهم **ولعل** مجى جبريل على صورة

دحية كان في المدينة بعد اسلام دحية واسلامه كان بعد بدر فانه لم يشهدها
وشهد المشاهد بعدها اذ يبعد مجيئه على صورة دحية قبل اسلامه **قال الشيخ**
الاكبر رضي الله تعالى عنه دحية الكلبي كان اجمل اهل زمانه واحسنهم صورة
فكان الغرض من نزول جبريل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في صورته اعلاما
من الله تعالى انه ما بيني وبينك يا محمد سفير الا صورة الحسن والجمال وهي التي لك
عندي فيكون ذلك بشرى له ولا سيما اذا اتى بامر الوعيد والزجر فتكون تلك الصورة
الجميلة تسكن منه ما يحركه ذلك الوعيد والزجر هذا كلامه وهو واضح لو كان
لا ياتيه الا على تلك الصورة الا ان يدعى ان من جيء اتاه على صورة دحية لم يأته
على صورة ادمي غيره وتكون واقعة سيدنا عمر سابقة على ذلك لكن تقدم انه كان
اذا اتاه على صورة الادمي ياتيه بالوعد والبشارة اي لا بالوعيد والزجر فليتامل
وفي البرهان للزركشي في التنزيل اي تلقي القران طريقان احدهما ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم انخلع من صورة البشرية الى الصورة الملكية واخذه من جبريل
اي لان الانبياء يحصل لهم الانسلاخ من البشرية الى الملكية بالفطرة الالهية من
غير اكتساب فيما هو اقرب من لمح البصر والثاني ان الملك انخلع من الملكية الى
البشرية حتى اخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم منه هذا كلامه والراجح ان المنزل
اللفظ والمعنى تلقفه جبريل من الله تعالى تلقفا روحانيا او ان الله تعالى خلق
تلك الالفاظ اي الاصوات الدالة عليها في الجو واسمعها جبريل وخلق فيه علما
ضروريا انها دالة على ذلك المعنى القديم بذاته تعالى واوحاه اليه صلى الله عليه
وسلم كذلك او حفظ جبريل من اللوح المحفوظ ونزل به وعلم انه من حالات الوحي
النفث اي انه كان ينفث في روعه الكلام تلقاه صلى الله عليه وسلم ان روح
القدس اي المخلوق من الطهارة يعني جبريل نفث اي القى والنفث في الاصل
النفخ اللطيف الذي لا ريق معه في روعي بضم الراء اي قلبي ان نفسا لن تموت حتى
تستكمل اجلها ورزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب اي عاملوا بالجميل في طلبكم
وتممه ولا يحملنكم استبطاء الرزق على ان تطلبوه بمعصية الله فان ما عند الله لن
ينال الا بطاعته **وفي كلام** ابن عطا الله الاجمال في الطلب يحتمل وجوها كثيرة
منها ان لا يطلبه مكبا عليه مشتغلا عن الله تعالى به **ومنها** ان يطلبه من الله ولا يعين
قدرا ولا وقتا لان من طلب وعين قدرا ووقتا فقد تحكم على ربه واحاطته الغفلة
بقلبه **ومنها** ان يطلب وهو شاكر لله ان اعطى وشاهد احسن اختياره اذا
منع **ومنها** ان يطلب من الله ما فيه رضاه ولا يطلب ما فيه حظوظ دنياه **ومنها**

ان

ان تطلب ولا تستعجل الاجابة **وفي** حديث ضعيف اطلبوا الحوائج بعزة النفس
فان الامور تجري بالمقادير **ومن** حالات الوحي انه كان ياتيه في مثل صلصلة الجرس
وهي اشد الاحوال عليه صلى الله عليه وسلم اي لما قيل انه كان ياتيه في هذه الحالة بالوعيد
والنذارة **اقول** روى الشيخان عن عايشة رضي الله تعالى عنها ان الحارث بن هشام رضي الله
عنه وهو اخو ابي جهل لابويه وكان يضرب به المثل في السودد حتى قال الشاعر

احسبت ان اباك حين تسبني ۝ في المجد كان الحارث بن هشام
اولى قريش بالمكارم والندى ۝ في الجاهلية كان والاسلام

اسلم يوم الفتح وسيأتي انه استجار في ذلك اليوم بام هانئ اخت علي بن ابي طالب واراد
علي قتله فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال قد اجرنا من اجرت يا ام هانئ
وحسن اسلامه وشهد حنينا وكان من المؤلفة كما سيأتي سال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كيف ياتيك الوحي اي حامله الذي هو جبريل قال احيانا ياتيني مثل صلصلة الجرس وهو اشد
علي فيفصم بالفاء اي يقلع عني وقد وعيت ما قال **وفي** رواية ياتيني احيانا له صلصلة كصلصلة
الجرس واحيانا يتمثل لي الملك اي الذي هو حامل الوحي رجلا اي يتصور بصورة الرجل
وفي رواية في صورة الفتى فيكلمني فاعي ما يقول **وروي** انه في الحالة الثانية ينفلت
منه ما يعيه بخلاف الحالة الاولى ونص هذه الرواية كان الوحي ياتيني على نحوين ياتيني
جبريل فيلقيه علي كما يلقي الرجل على الرجل فذلك ينفلت مني وياتيني في شيء مثل صوت الجرس
حتى يخالط قلبي فذاك الذي لا ينفلت مني **قيل** وانما كان ينفلت منه في الحالة الاولى
لشدة تأنسه بحامله لانه ياتي اليه في صورة يعهدها ويخاطبه بلسان يعهده فلا
يتثبت فيما القي اليه بخلافه في الحالة الثانية لان سماع مثل هذا الصوت الذي يفزع
منه القلب مع عدم رؤية احد يخاطبه ان اعلم انه وحي اضطر الى التثبت في ذلك وقولنا
اي حامله يخالف قول الحافظ ابن حجر حيث ذكر ان قوله مثل صلصلة الجرس بين بها
صفة الوحي لا صفة حامله **وفيه** ان ذلك لا يناسب قوله وقد وعيت ما قال **وقول**
بعضهم الصلصلة المذكورة هي صوت الملك بالوحي **وقوله** ياتيني احيانا له
صلصلة كصلصلة الجرس واحيانا يتمثل لي الملك رجلا **وكان** صلى الله عليه وسلم
يجد ثقلا عند نزول الوحي ويتحدر جبينه عرقا في البرد كانه الجمان وربما غط كغطيط
البكر محمرة عيناه **وعن** زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه كان اذا نزل الوحي على رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثقل لذلك ومرة وقع فخذه على فخذي فوالله ما وجدت شيئا
اثقل من فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما اوحي اليه وهو على راحلته
فترعد حتى تظن ان ذراعها ينفصم وربما بركت اي **وجا** انه لما نزلت سورة الما

يدة

عليه صلى الله عليه وسلم كان على ناقته فلم تستطع ان تحمله فنزل عنها وفي رواية فاندق
كتف راحلته العضباء من ثقل السورة ولا يخالفه ما قبله لانه جاز ان يكون حصل
لها ذلك فكان سببا لنزوله ثم رايت في رواية ما يصرح بذلك وجاء ما من مرة
يوحى الي الا ظننت ان نفسي تقبض منه وعن اسماء بنت عميس كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي يكاد يغشى عليه وفي رواية بمصير كهيئة
السكران اقول اي تقرب من حال المغشى عليه لتغيره عن حالته المعهودة
تغيرا شديدا حتى تصير صورته صورة السكران اي مع بقاء عقله وتمييزه ولا ينكر في
ذلك قول بعضهم ذكر العلماء انه صلى الله عليه وسلم كان يوخذ عن الدنيا لانه
يجوز ان يكون مع ذلك على عقله وتمييزه على خلاف العادة وهذا هو اللائق
بمقامه صلى الله عليه وسلم وحينئذ لا ينتقض وضوءه ثم صاحب الوفا فان
قال قائل ما كان يجري عليه صلى الله عليه وسلم من البرحاء حين نزول الوحي هل
ينتقض وضوءه والجواب لا لانه صلى الله عليه وسلم كان محفوظا في منامه تنام
عيناه ولا ينام قلبه فاذا كان النوم الذي يسقط فيه الوكاء لا ينتقض وضوءه
فالحالة التي اكرم فيها بالمسارة والقا الهدى الى قلبه اولى بكون طباعه فيها
معصومة من الاذى هذا كلامه ومما ذكرناه اولى لما تقرر ان الاغما ابلغ من
النوم فليتامل وفي كلام الشيخ محيي الدين ما يدل على انه صلى الله عليه وسلم
وجميع من ياتيه الوحي من الانبيا كان اذا جاءه الوحي يستلقي على ظهره حيث قال
سبب اضطجاع الانبيا على ظهورهم عند نزول الوحي اليهم ان الوارد الالهي
الذي هو صفة القيومية اذا جاءهم اشتغل الروح الانساني عن تدبيره فلم
يبق للجسم من يحفظ عليه قيامه ولا قعوده فرجع الى اصله وهو لصوقه بالارض
وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل
عليه الوحي صدع فيغلف راسه بالحنا قيل وبه يحمل قول بعض الصحابة انه
صلى الله عليه وسلم كان يخضب بالحنا والا فهو عليه الصلاة والسلام لم يخضب
لانه لم يبلغ سنا يخضب فيه وفيه انه امر بالخضاب للشباب فقد جاء
اختضبوا بالحنا فانه يزيد في شبابكم وجمالكم ونكاحكم وفي مسلم عن ابي هريرة
رضي الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي
لم يستطع احد منا يرفع طرفه اليه حتى ينقضي الوحي وفي لفظ كان اذا نزل عليه
صلى الله عليه وسلم الوحي استقبلته الرعدة وفي رواية كرب لذلك وتربد له
وجهه وغمض عينيه وربما غط كغطيط البكر وعن زيد بن ثابت رضي الله تعالى

عنه كان اذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم السورة اخذه من الشدة
والكرب على قدر شدة السورة واذا نزل عليه السورة اللينة اصابه من ذلك
على قدر لينها وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان اذا نزل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم الوحي يسمع عند وجهه كدوي النحل وذكر الحافظ ابن
حجر ان دوي النحل لا يعارض صلصلة الجرس اي المتقدم ذكرها لان سماع الدوي
بالنسبة للحاضرين والصلصلة بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وسلم فالراوي في
شبهه بدوي النحل والنبي صلى الله عليه وسلم شبهه بصلصلة الجرس اي فالمراد
بهما شيء واحد والله اعلم ومن حالاته اي حالات الوحي اي حامله انه كان ياتيه
على صورته التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح اقول فيوحي اليه في تلك الحالة كما
هو المتبادر وفيه انه جاء عن عايشة وابن مسعود رضي الله تعالى عنهما ان النبي
صلى الله عليه وسلم لم ير جبريل على صورته التي خلقه الله عليها الا مرتين حين ساله ان
يريه نفسه فقال وددت اني رايتك في صورتك اي وذلك بحرا اوائل البعثة
بعد فترة الوحي بالافق الاعلى من الارض وهذه المرة هي المعنية بقوله تعالى
ولقد رآه بالافق المبين وبقوله تعالى فاستوى وهو بالافق الاعلى طلع جبريل
من المشرق فسد الافق الى المغرب فخر النبي صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه
فنزل اليه في صورة الادميين وضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه
الحديث والاخرى ليلة الاسرا المعنية بقوله تعالى ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة
المنتهى وسياتي الكلام على ذلك وفي الخصائص الصغرى اختص صلى الله عليه وسلم
برؤية جبريل في صورته التي خلق عليها اي لم ير احد من الانبيا على تلك الصورة
الا نبينا صلى الله عليه وسلم وذكر السهيلي ان المراد بالاجنحة في حق الملائكة
صفة ملكية وقوة روحانية وليست كاجنحة الطير ولا ينافي ذلك وصف
كل جناح منها بانه يسد ما بين المشرق والمغرب هذا كلامه فليتامل ولعله لا ينافيه
ما تقدم عن الحافظ ابن حجر من ان تمثل الملك رجلا ليس معناه ان ذاته انقلبت
رجلا بل معناه انه ظهر بتلك الصورة تانيسا لمن يخاطبه والظاهر ان القدر الزائد
لا يزول ولا يفنى بل يخفى على الرائي فقط والله اعلم ومن حالات الوحي اي نفسه اي
الموحى به لا حامله الذي هو جبريل ان الله تعالى اوحى اليه صلى الله عليه وسلم بلا
واسطة ملك بل من وراء حجاب يقظة او من غير حجاب بل كفاحا وذلك ليلة المعراج
واسم الاشارة يحتمل ان يكون للنوعين وقع كل منهما ليلة الاسرا ويحتمل ان يكون
نوعا واحدا وان الاول بناء على القول بعدم الرؤية والثاني بناء على القول بها

بالرواية وحينئذ لايناسب عدد ذلك نوعين كما فعل الشامي ومن ثم نسب ابن
القيم هذا النوع الثاني لبعضهم كالمتبري منه حيث قال وقد زاد بعضهم
مرتبة ثانية منه وهي تكليم الله تعالى له صلى الله عليه وسلم كفاحًا بغير حجاب هذا كلامه
لان ابن القيم ممن لا يقول بوجود الرؤية فما زاده بعضهم بناء على القول بوجود الروية
كما علمت وحينئذ يكون هذا ليلة المعراج وعلى هذا جا قوله تعالى وما كان
لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا وقول ابن القيم
السادسة اي من حالات الوحي ما اوحاه الله تعالى اليه وهو فوق السموات
من فرض الصلوات وغيرها لان ذلك انما هو ليلة المعراج بغير واسطة
ملك وهذا يحتمل لان يكون من غير حجاب وان يكون من وراء حجاب فهي لم تخرج
عما تقدم وكذا قوله السابعة اي من حالات الوحي كلام الله تعالى منه اليه
بلا واسطة ملك كما كلم موسى اي من وراء حجاب فهي لم تخرج عما تقدم وحينئذ
يكون كلمه في ليلة المعراج بواسطة الملك وكلمه بغير واسطة الملك من وراء
حجاب ومشافهة من غير حجاب وصاحب المواهب نقل عن الولي العراقي كلاما
فيه الاعتراض على ابن القيم بغير ما ذكر والجواب عنه واقوم مع ما في ذلك
الكلام من التطر الظاهر الذي لا يكاد يخفى والله اعلم قال الحافظ
السيوطي وليس في القران من هذا النوع اي ما شافهه به الحق تعالى من غير
حجاب شي فيما اعلم ۵ نعم يمكن ان يعد منه اخر سورة البقرة اي امن الرسول الى
اخر الايات لانها نزلت كما في الكامل للهذلي بقاب قوسين وروى الديلمي
قيل يا رسول الله اي اية في كتاب الله تحب ان تصيبك وامتك قال اخر
سورة البقرة فانها من كنز الرحمة من تحت عرش الله ولم تترك خيرا الى الدنيا
والاخرة الا اشتملت عليه ولعل هذا لا يعارض ما جا في فضل اية الكرسي
من قوله صلى الله عليه وسلم وقد قيل له يا رسول الله اي اية في كتاب الله تعالى
اعظم قال اية الكرسي وما جا عن الحسن رضي الله تعالى عنه مرسلا افضل
القران البقرة وافضل اية فيه اية الكرسي وفي رواية واعظم اية فيها
اية الكرسي وفي الجامع الصغير اية الكرسي ربع القران وذكر في ذلك الموطن
الذي هو قاب قوسين وبعض سورة الضحى وبعض سورة الم نشرح قال صلى
الله عليه وسلم سالت ربي مسالة وددت اني لم اكن سالته سالت ربي اتخذت ابراهيم
خليلا وكلمت موسى تكليما فقال يا محمد الم اجدك يتيما فاويت وضالا فهديت
وعائلا فاغنيت وشرحت لك صدرك وحططت عنك وزرك ورفعت لك

ذكرك

ذكرك فلا اذكر الا وتذكر معي انتهى اقول قد يقال لا يلزم من النزول في قاب قوسين
ان يكون مشافهة من غير حجاب وقوله فقال يا محمد الم اجدك الى اخره ليس هذا نص
التلاوة فان هذا ظاهر في ان المتلو الدال على ما ذكر نزل قبل ذلك وانه هذا تذكير
به والله اعلم ومن حالات الوحي انه اوحي اليه بلا واسطة ملك منامًا كما في حديث
معاذ اتاني ربي وفي لفظ رايت ربي في احسن صورة اي خلقة فقال فيم يختصم الملا
الاعلى يا محمد قلت انت اعلم اي رب فوضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي
فعلمت ما في السما والارض اي وفي كلام الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله عنه
فهذا علم حاصل لا عن قوة من القوى الحسية او المعنوية وهذا لا يبعد ان يقع مثله
للاوليا بطريق الارث اي التجلي له الحق بالتجلي الخاص الذي ما ذكر عبارة عنه وفي
رواية فعلمت علم الاولين والاخرين اي ومن حالات الوحي رؤيا النوم قال صلى
الله عليه وسلم رؤيا الانبيا وحي كما تقدم ومن حالاته العلم الذي يلقيه الله تعالى
في قلبه عند الاجتهاد في الاحكام بناء على ثبوته لا بواسطة ملك وبذلك فارق
النفث في الروع وبذكر هذه الانواع للوحي يعلم ان ما تقدم من حصره في الحالتين المذكورتين
عند سؤال الحارث له صلى الله عليه وسلم اغلبي او ان ما عداهما وقع بعد سؤال الحارث
له وفي ينبوع الحياة عن ابن جرير ما نزل جبريل بوحي قط الا ونزل معه من الملائكة حفظة
يحيطون به وبالنبي صلى الله عليه وسلم الذي يوحى اليه يطردون الشياطين عنهما لئلا
يسمعون ما يبلغه جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم من الغيب الذي يوحيه اليه فيلقوه
الى اوليائهم تتمة رايته في الاتقان ذكر ان من القران ما نزل معه ملائكة مع جبريل
تشييعًا من ذلك سورة الانعام شيعها سبعون الف ملك وفاتحة الكتاب شيعها
ثمانون الف ملك واية الكرسي شيعها ثلاثون الف ملك وسورة يس شيعها ثلاثون
الف ملك واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا شيعها عشرون الف ملك ولعل هذا
لا ينافي ما تقدم من ان الغرض من تساقط النجوم عند البعث حراسة السما من استراق
سمع الشياطين لما يوحى لجواز ان يكون هذا لحفظ ما يوحى من استراقه في الارض وبين
السما والارض وعن النخعي ان اول سورة انزلت عليه صلى الله عليه وسلم اقرا باسم ربك
قال الامام النووي وهو الصواب الذي عليه الجماهير من السلف والخلف هذا كلامه
ولا يخفى ان مراد النخعي بالسورة هنا القطعة من القران اي اول ايات انزلت فلا ينافي
ما تقدم عن رواية عمرو بن شرحبيل مما يدل على ان اول سورة انزلت فاتحة الكتاب لان
المراد اول سورة كاملة نزلت وفي شان الانذار فلا ينافي ما تقدم عن رواية جابر مما
يقتضي ان اول ما نزل يا ايها المدثر لان المراد بذلك اول سورة كاملة نزلت في شان الانذار

بعد فترة الوحى اى فانها نزلت قبل تمام نزول سورة اقرأ وهذا الجمع تقدم او تعديه
اى لكن يشكل عليه ما فى الكشاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل على القرآن الا اية
اية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا على ومعهما
سبعون الف صف من الملائكة فان هذا السياق يدل على انه لم ينزل عليه صلى الله
عليه وسلم سورة كاملة الا براءة وقل هو الله احد ويخالفه ما فى الاتقان ان ما نزل على جملة
سورة الفاتحة وسورة الكوثر وسورة تبت وسورة لم يكن وسورة النصر والمرسلات
والانعام لكن ذكر ابن الصلاح ان هذا روى بسند فيه ضعف قال ولم ار له اسنادا
صحيحا وقد روى ما يخالفه ولم يذكر فى الاتقان ما نزل جملة سورة براءة وذكر ان
المعوذتين نزلتا دفعة واحدة وحينئذ يكون المراد بقوله صلى الله عليه وسلم الا اية
اية وحرفا حرفا اى كلمة والمراد ما قابل السورة والا فقد انزل بها عليه ثلاث ايات
واربع ايات وعشر ايات كما انزل عليه اية وبعض اية فقد صح نزول غير اولى الضرر منفردة
وهى بعض اية وفى الاتقان عن جابر بن زيد قال اول ما انزل الله من القرآن بمكة اقرأ
باسم ربك ثم ن والقلم ثم يا ايها المزمل ثم يا ايها المدثر ثم الفاتحة الى اخر ما ذكر ثم
قال قلت هذا السياق غريب وفى هذا الترتيب نظر وجابر بن زيد من علماء التابعين
هذا كلامه وذكر بعض المفسرين ان سورة والضحى اول ما نزل من القرآن وقد
تقدم من ان نزول يا ايها المدثر كان فى شان الانذار بعد فترة الوحى لانه بعد نزول
جبريل عليه باقرأ باسم ربك مكث مدة لا يرى جبريل اى وانما كان كذلك ليذهب ما كان
يجده من الرعب وليحصل له التشوق الى العود من حزن لذلك حزنا شديدا
حتى غدا مرارا كى يتردى من رؤس شواهق الجبال فكلما وافى بذروة كى يلقى نفسه
منها تبدى له جبريل عليه السلام فقال يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك
جاشه اى قلبه وتقر نفسه ويرجع فاذا طالت عليه فترة الوحى غدا لمثل ذلك
فاذا وافى ذروة جبل تبدى له مثل ذلك قال وفى رواية انه لما فتر الوحى عنه صلى الله
عليه وسلم حزن حزنا شديدا حتى كان يغدو الى ثبير مرة والى حراء مرة اخرى يريد ان
يلقى نفسه منه فكلما وافى ذروة جبل منها كى يلقى نفسه تبدى له جبريل فقال يا محمد
انت رسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه وتقر عينه فيرجع فاذا طالت عليه فترة
الوحى عاد لمثل ذلك وكانت تلك المدة اربعين يوما وقيل خمسة عشر يوما وقيل
اثنى عشر يوما وقيل ثلاثة ايام قاله بعضهم وهو الاشبه بحاله عند الله تعالى انتهى
اقول ويبعد هذا الاشبه قوله فاذا طالت عليه فترة الوحى والله اعلم وفى الاصل
وهذه الفترة لم يذكر لها ابن اسحاق مدة معينة اقول فى فتح البارى ان ابن اسحاق قد

جزم

ديك

جزم بانها ثلاث سنين والله اعلم قال ابو القاسم السهيلى وقد جاء فى بعض الاحا
المسندة ان مدة هذه الفترة كانت سنتين ونصف سنة وفى كلام الحافظ ابن
حجر وهذا الذى اعتمده السهيلى لا يثبت وقد عارضه ما جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما
ان مدة الفترة كانت اياما اى واقلها ثلاثة اى وتقدم ما فيه قال قال بعض الحفاظ
والظاهر والله اعلم انها اى مدة الفترة كانت بين اقرأ ويا ايها المدثر هى المدة التى اقترن
معه اسرافيل كما قال الشعبى انتهى اقول ويوافق ذلك ما فى الاستيعاب لابن عبد
البر ان الشعبى قال انزلت عليه النبوة وهو ابن اربعين وقرن بنبوته اسرافيل عليه
الصلاة والسلام ثلاث سنين وقد تقدم ذلك وفى الاصل عن الشعبى ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل اسرافيل فكان يتراءى له ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة
من الوحى ولم ينزل القرآن اى شئ منه على لسانه ثم وكل به جبريل فجاءه بالوحى والقرآن
وهو موافق فى ذلك لما فى سيرة شيخه الحافظ الدمياطى حيث قال قال بعض
العلماء وقرن به اسرافيل ثم قرن به جبريل وهو ظاهر فى ان اقتران اسرافيل به
كان بعد النبوة ويؤيده قوله تعالى ويأتيه بالكلمة من الوحى ويحتمل ان يكون
ذلك قبل النبوة فيوافق ما تقدم عن الماوردى لكن تقدم انه كان يسمع حسه
ولا يرى شخصه الا ان يقال لا يلزم من كونه يتراءى له ان يراه وقوله يأتيه بالكلمة
من الوحى هو معنى قوله يأتيه بالشئ بعد الشئ ثم رايت الواقدى انكر على
الشعبى كون اسرافيل قرن به اولا وقال لم يقترن به من الملائكة الا جبريل
اى بعد النبوة ويحتمل مطلقا قال بعضهم ما قاله الشعبى هو الموافق لما هو
المشهور المحفوظ الثابت فى الاحاديث الصحيحة وخبر الشعبى مرسل او معضل
فلا يعارض ما فى الاحاديث الصحيحة هذا كلامه ثم رايت الحافظ ابن حجر نظر
فى كلام الواقدى بان المثبت مقدم على النافى الا ان صحب النافى دليل نفيه فيقدم
هذا كلامه لا يقال قد وجد الدليل فقد جاء بينما النبى صلى الله عليه وسلم جالس
وعنده جبريل خاليا اذ سمع نقيضا اى صوتا من السماء فرفع جبريل بصره الى السماء
فقال يا محمد هذا ملك قد نزل لم ينزل الى الارض قط قال جماعة من العلماء ان هذا
الملك اسرافيل لان هذا مجرد دعوى لا دليل عليها ولا يحسن ان يكون مستندهم
فى ذلك ما فى الطبرانى عن ابن عمر رضى الله عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول لقد هبط على ملك من السماء ما هبط على نبى قبلى ولا يهبط على
احد بعدى وهو اسرافيل فقال انا رسول ربك الحديث ومن ثم عد السيوطى من
خصائصه صلى الله عليه وسلم هبوط اسرافيل عليه اذ ليس فى ذلك دليل على ان اسرافيل

لم يكن نزل اليه قبل ذلك حتى يكون دليلا على ان اقتران جبريل به سابق على اقتران
اسرافيل هذا كلامه وفي كلام الحافظ السيوطي ان مجيء اسرافيل كان بعد ابتداء الوحي بسنتين
فاذا كما يعرف ذلك من سائر طرق الاحاديث وهو بظاهره يرد ما في سفر السعادة
انه صلى الله عليه وسلم لما بلغ تسع سنين امر الله تعالى اسرافيل ان يقوم بملازمته ولما بلغ
احدى عشرة سنة امر جبريل بملازمته فلازمه تسعا وعشرين سنة فليتأمل وعن يحيى
ابن كثير ما خلق الله خلقا في السموات احسن صوتا من اسرافيل فاذا قرأ في السماء
يقطع على اهل السماء ذكرهم وتسبيحهم ثم رأيت في فتح الباري ليس المراد بفترة الوحي
المقدرة بثلاث سنين اي على ما تقدم ما بين نزول اقرأ ويا ايها المدثر عدم مجيء جبريل
اليه بل تأخر نزول القرآن عليه فقط هذا كلامه اي فكان جبريل يأتي اليه بغير
قرآن بعد مجيئه اليه باقرأ ولم يجئ اليه بالقرآن الذي هو يا ايها المدثر الا بعد ثلاث
سنين على ما تقدم ثم في تلك المدة مكث اياما لا يأتيه اصلا ثم جاءه بيا ايها المدثر
فكان قبل ثلاثة ايام يتخلف اليه هو واسرافيل وهذا السياق كما لا يخفى يؤخذ
منه علم المنافاة بين كون مدة فترة الوحي ثلاث سنين كما يقول ابن اسحاق
وسنتين ونصف كما يقول السهيلي وسنتين كما يقول الحافظ السيوطي وبين
كونها اياما اقلها ثلاثة واكثرها اربعون كما تقدم عن ابن عباس لان تلك الايام
هي التي كانت لا يرى فيها جبريل اصلا على ما تقدم اه ولا يرى فيها اسرافيل ايضا
وفي غير تلك الايام كان يأتيه بغير القرآن وحينئذ لا يحسن رد الحافظ ابن حجر ما
سبق على السهيلي وينبغي ان يكون تلك الايام التي لا يرى فيها جبريل واسرافيل
هي التي يريد ان يلقي نفسه من رؤوس شواهق الجبال وهذا السياق ايضا يدل على
ان النبوة سابقة على الرسالة بناء على ان الرسالة كانت بيا ايها المدثر ويصرح به
ما تقدم من قول بعضهم نبأه بقوله اقرأ باسم ربك وارسله بقوله يا ايها المدثر
قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر وان بينهما فترة الوحي وعليه اكثر الروايات
وقيل النبوة والرسالة مقترنان ولعل من يقول بذلك يقول يا ايها المدثر دلت
على طلب الجهر بالدعوة الى الله تعالى وهذا غير اظهار الدعوة والمناجاة بها
الذي دل عليه قوله تعالى فاصدع بما تؤمر فليتأمل وذكر السهيلي ان من عادة
العرب اذا قصدت الملاطفة ان تسمي المخاطب باسم مشتق من الحالة التي هو عليها
فلاطفه سبحانه وتعالى بقوله له يا ايها المدثر فبذلك علم رضاه الذي هو غاية مطلوبه
وبه كان يهون عليه تحمل الشدائد ومن هذه الملاطفة قوله صلى الله عليه وسلم
لعلي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه وقد نام وترب جنبه قم يا ابا تراب وقوله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم لحذيفة في غزاة احد وقد نام الى الاسفار قم يا نومان وذكر
الشيخ محيي الدين بن العربي في قوله يا ايها المدثر قم فانذر اعلم ان التدثر انما يكون
من البرودة التي تحصل عقب الوحي وذلك ان الملك اذا ورد على النبي صلى
الله عليه وسلم بعلم او حكم تلقى ذلك الروح الانساني وعند ذلك تشتعل الحرارة
الغريزية فيتغير الوجه لذلك وتنتقل الرطوبات الى سطح البدن لاستيلاء
الحرارة فيكون من ذلك العرق فاذا سري عنه ذلك سكن المزاج وانقشعت
تلك الحرارة وانفتحت تلك المسام وقبل الجسم الهواء من خارج فيتخلل الجسم
فيبرد المزاج فتأخذه القشعريرة فتزاد عليه الثياب ليسخن هذا ملخص كلامه
وذكر بعضهم في تفسير قوله تعالى وثيابك فطهر ان الشيخ ابا الحسن الشاذلي
نفعنا الله ببركاته قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقال يا ابا
الحسن طهر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله تعالى في كل نفس فقلت يا رسول الله
وما ثيابي فقال ان الله كساك حلة التوحيد وحلة المحبة وحلة المعرفة لك
ففهمت حينئذ قوله تعالى وثيابك فطهر وجاء في وصف اسرافيل في بعض
الاحاديث لا تتفكروا في عظمة ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة فان
خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه
في الارض السفلى وقد مرق رأسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله
تعالى حتى يصير كانه الوصع وهو عند نزوله يكون حاملا لزاوية العرش او يخلفه
غيره في ذلك

باب ذكر وضوئه وصلاته صلى

الله عليه وسلم اول البعثة اي اول الارسال اليه باقرأ اقول في المواهب انه روي
ان جبريل عليه السلام بدا له صلى الله عليه وسلم في احسن صورة واطيب رائحة فقال
له يا محمد ان الله يقرئك السلام ويقول لك انت رسول الله الى الجن والانس
فادعهم الى قول لا اله الا الله ثم ضرب برجله الارض فنبعت عين ماء فتوضأ منها جبريل
ثم امره ان يتوضأ وقام جبريل يصلي وامره ان يصلي معه فعلمه الوضوء والصلاة
الحديث وقوله وعلمه الوضوء يحتمل ان يكون بفعله المذكور ويحتمل ان يكون علمه
بقوله افعل كذا في وضوئك وصلاتك ويدل للاول ما سيأتي وفيه ان قوله
جبريل المذكور انما كان عند امره باظهار الدعوة والمناجاة بها الى الله تعالى بعد
فترة الوحي كما سيأتي فما يجمع بينه وبين قوله ثم ضرب برجله الارض الى اخره لا يحسن
لانه سيأتي ان ذلك كان في يوم نزوله له باقرأ باسم ربك ولعله من تصرف
بعض الرواة والله اعلم فعن ابن اسحاق حدثني بعض اهل العلم ان الصلاة حين

حين افترضت على النبي صلى الله عليه وسلم اى قبل الاسرا اتاه جبريل وهو باعلا
مكة فهمز له بعقبه في ناحية الوادي فانفجرت منه عين فتوضا جبريل ورسول الله
صلى الله عليه وسلم ينظر ليريه كيف الطهور اى الوضوء للصلاة اى فغسل وجهه ويديه
الى المرفقين ومسح براسه وغسل رجليه الى الكعبين كما في بعض الروايات ه اى
وفي رواية فغسل كفيه ثلاثا ثم تمضمض واستنشق ثم غسل وجهه ثم غسل يديه
الى المرفقين ثم مسح راسه ثم غسل رجليه ثلاثا ثم امر النبي صلى الله عليه وسلم فتوضا
مثل وضوءه **اقول** وبهذه الرواية يرد قول بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم زاد في الوضوء
التسمية وغسل الكفين والمضمضة والاستنشاق ومسح جميع الراس والتخليل
ومسح الاذنين والتثليث الا ان يقال مراد هذا البعض ان ما ذكر زاده على ما في
الاية **وفي** كلام بعضهم كانت العرب في الجاهلية يغتسلون من الجنابة ويداومون
على المضمضة والاستنشاق والسواك والله اعلم ثم قام جبريل فصلى به صلى الله عليه
وسلم ركعتين يحتمل ان تلك الصلاة كانت بالغداة قبل طلوع الشمس ويحتمل انها
كانت بالعشي اى قبل غروب الشمس **وفي الامتاع** وانما كانت الصلاة قبل الاسرا
صلاة بالعشي اى قبل غروب الشمس ثم صارت صلاة بالغداة وصلاة بالعشي مع
ركعتين اى ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي والعشي هو العصر **ففي** كلام بعض
اهل اللغة العصران والعصران الغداة والعشي وكانت صلاته صلى الله
عليه وسلم نحو الكعبة واستقبل الحجر الاسود اى جعل الحجر قبالة لوجهه وهذا يدل على انه لم
يستقبل في تلك الصلاة بيت المقدس لانه لا يكون مستقبلا لبيت المقدس الا اذا
صلى بين الركنين الاسود واليماني كما كان يفعل بعد فرض الصلوات الخمس وهو بمكة
كما سياتي انه كان يصلي بين الركنين الركن اليماني والحجر الاسود ويجعل الكعبة
بينه وبين بيت المقدس اى صخرته الا ان يقال يجوز ان يكون عند صلاته الى الكعبة
كان بينهما الا انه كان الى الحجر الاسود اقرب منه الى اليماني فقيل استقبل الحجر
الاسود فلا مخالفة لكن سياتي ما قد يفيد انه لم يستقبل بيت المقدس الا في
الصلوات الخمس اى بعد الاسرا وقبل ذلك كان يستقبل الكعبة الى اى جهة من
جهاتها فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاة جبريل هكذا الصلاة
يا محمد ثم انصرف جبريل فجا رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة واخبرها
فغشي عليها من الفرح فتوضا لها ليريها كيف الطهور للصلاة كما اراه جبريل
فتوضات كما توضا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صلى بها رسول الله صلى
الله عليه وسلم كما صلى به جبريل عليه السلام **وفي** سيرة الحافظ الدمياطي

ما يفيد

ما يفيد ان ذلك كان في يوم نزول جبريل عليه السلام له باقرا باسم ربك حيث قال
بعث النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وصلى فيه وصلت خديجة اخر يوم الاثنين ه
ويوافقه ظاهر ما جاء اتاني جبريل في اول ما اوحي الي فعلمني الوضوء والصلاة فلما فرغ من
الوضوء اخذ غرفة من الماء فنضح بها فرجه اى رش بها فرجه اى محل الفرج من الانسان
بناء على انه لا فرج له وكون الملك لا فرج له لو تصور بصورة الانسان استدل عليه
بانه ليس ذكرا ولا انثى وفيه نظر لانه يجوز ان يكون له آلة ليست كآلة الذكر ولا كآلة
الانثى كما قيل بذلك في الخنثى ويقال لذلك فرج وبعض شراح الحديث حمل الفرج على
ما يقابل الفرج من الازار وبذلك استدل ائمتنا على انه يستحب لمن استنجى بالماء
ان ياخذ بعد الاستنجا كفا من ماء ويرش في ثيابه التي تحاذي فرجه حتى اذا خيل اليه
ان شيئا خرج ووجد بللا قدر انه من ذلك الماء ولعل هذا هو المراد بقوله صلى الله عليه
وسلم علمني جبريل الوضوء وامرني ان انضح تحت ثوبي ما يخرج من البول وظلما تعبد الله
هذا كان يظهر امر الرجعة اى انه صلى الله عليه وسلم يرجع الى الدنيا كما يرجع عيسى
وكان يقول العجب ممن يزعم ان عيسى يرجع الى الدنيا ويكذب برجعة محمد صلى الله
عليه وسلم وقد قال الله تعالى ان الذي فرض عليك القران لرادك الى معاد فمحمد احق
بالرجوع من عيسى واظهر امر الوصية اى ان عليا رضي الله تعالى عنه اوصى له صلى الله عليه
وسلم بالخلافة وكان هو السبب في اثارة الفتنة التي قتل فيها عثمان رضي الله تعالى
عنه كما سياتي **ومن غلاة الشيعة** من قال بالوهية اصحاب الكسا الخمسة محمد صلى
الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله تعالى عنهم **ومنهم** من قال بالوهية
جعفر الصادق والوهية ابائه وهم الحسين وابنه زين العابدين وابن زين العابدين
محمد الباقر وهولاء الشيعة موافقون في ذلك لمن يقول بالحلول وهم الحلاجية
اصحاب حسين بن منصور الحلاج كانوا اذا راوا صورة جميلة زعموا ان معبودهم
حل فيها **وممن** زعم الحلول حتى ادعى الالوهية المقنع عطا الخراساني وذلك في سنة
ثلاث وستين ومائة ادعى ان الله جل وعز حل في صورة ادم ثم في صورة نوح ثم الى
ان حل في صورته هو فافتتن به خلق كثير بسبب التمويهات التي اظهرها لهم فانه
كان يعرف شيئا من السحر والنيرنجيات فقد اظهر قمرا يراه الناس من مسافة
شهرين من موضعه ثم يغيب ولما اشتهر امره ثار عليه الناس وقصدوه ليقتلوه
وجاؤوا الى القلعة التي كان متحصنا بها فلما علم ذلك اسقى اهله سما فماتوا ومات
وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما كان ينضح سراويله حتى يبلها وما جاء انه لما اقراه
اقرا باسم ربك قال له جبريل انزل عن الجبل فنزل معه الى قرار الارض فاجلسني

على درنوك بالدال المهملة والرا والنون اى وهو نوع من البسط ذو خمل ثم
ضرب برجله الارض فنبعت عين ما فتوضا منها جبريل الحديث فمشروعية
الوضوء كانت مع مشروعية الصلاة التى هى غير الخمس وان ذلك كان فى يوم نزول
جبريل باقرا وهو مخالف لقول ابن حزم لم يشرع الوضوء الا بالمدينة ومما يرد ما قاله
ابن حزم نقل ابن عبد البر اتفاق اهل السير على انه لم يصل صلى الله عليه وسلم الا
بوضوء قال وهذا لا يجهله عالم هذا كلامه الا ان يقال مراد ابن حزم انه لم يشرع
وجوبا الا فى المدينة وهو الموافق لقول بعض المالكية انه كان قبل الهجرة مندوبا
اى وانما وجب بالمدينة باية المائدة يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا
وجوهكم وايديكم الاية ويرده ما فى الاتقان ان هذه الاية مما تاخر نزوله عن حكمه
يعنى قوله يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلاة الى قوله لعلكم تشكرون فالاية
مدنية اجماعا وفرض الوضوء كان بمكة مع فرض الصلاة اى فالوضوء على هذا مكى بالفرض
مدنى بالتلاوة قال والحكمة فى ذلك اى فى نزول الاية بعد تقدم العمل بما يذكر
عليه ان يكون قرانيه متلوا هذا كلامه وقوله مع فرض الصلاة يحتمل ان المراد
صلاة الركعتين بناء على انهما كانتا واجبتين عليه صلى الله عليه وسلم وهو الموافق
لما تقدم عن ابن اسحق ويحتمل ان المراد صلاة الخمس اى ليلة الاسرا وهو الموافق
لما اقتصر عليه شيخنا الشمس الرملى حيث قال وكان فرضه مع فرض الصلاة
قبل الهجرة بسنة هذا كلامه وحينئذ يكون قبل ذلك مندوبا حتى فى صلاة
الليل وقول صاحب المواهب ما ذكره من ان جبريل علمه الوضوء وامره به يدل على ان
فرضية الوضوء كانت قبل الاسرا فيه نظر ظاهر اذ لا دلالة فى ذلك على الفرضية
اذ يحتمل ان يكون اللفظ الصادر من جبريل له امرك ان تفعل كفعلى وصيغة
امر مشتركة بين الوجوب والندب وذكر بعضهم ان الغرض من نزول اية
المائدة بيان ان من لم يقدر على الوضوء والغسل لمرض او لعدم الماء يباح له التيمم
اى ففرضية الوضوء والغسل سابقة على نزولها ويؤيد ذلك قول عائشة
رضى الله تعالى عنها فى الاية فانزل الله اية التيمم ولم تقل اية الوضوء وهى
لان الوضوء كان مفروضا قبل ان توجد تلك الاية ويوافقه ما ذكره ابن عبد
البر من اتفاق اهل السير على ان الغسل من الجنابة فرض عليه صلى الله عليه وسلم
وهو بمكة وعن ابن عمر ما يقتضى ان فرض الغسل كان مع فرض الصلوات ليلة
الاسرا فقد جاء عنه كانت الصلاة خمسين والغسل من الجنابة سبع مرات
فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسال حتى جعل الصلاة خمسا والغسل

من

من الجنابة واحدة قال بعض فقهائنا رواه ابو داود ولم يضعفه وهو اما
صحيح او حسن قال ذلك البعض ويجوز ان يكون المراد بها اى الغرض من نزولها
فرض غسل الرجلين فى قراءة من قرا وارجلكم بالنصب فان حديث جبريل ليس
فيه الا مسحهما وهو ان جبريل اول ما جاء النبى صلى الله عليه وسلم بالوحى توضا فغسل
وجهه ويديه الى المرفقين ومسح راسه ورجليه الى الكعبين وسجد سجدتين اى
ركعتين مواجها البيت ففعل النبى صلى الله عليه وسلم كما راى جبريل يفعله
هذا كلامه وفيه نظر لان اكثر الروايات وغسل رجليه كما تقدم فرجليه فى هذه
الرواية معطوفة على وجهه كما ان ارجلكم فى الاية على قراءة الجر معطوفة على الوجوه
وانما جر للمجاورة وان كان الجر للمجاورة فى غير الفصيح قليلا او عبر عن الغسل الخفيف
بالمسح وفى كلام الشيخ محيى الدين مسح الرجلين فى الوضوء بظاهر الكتاب
وغسلهما بالسنة المبينة للكتاب قال ولا يحتمل العدول عن الظاهر بناء على
ان المسح فيه يقال للغسل فيكون من الالفاظ المترادفة وفتح ارجلكم لا يخرجها
عن الممسوح فان هذه الواو قد تكون واو المعية وجاء انه صلى الله عليه وسلم كان
يتوضا لكل صلاة اى عملا بظاهر قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة الاية فلما كان يوم
الفتح صلى الصلوات الخمس بوضوء واحد فقال له سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه
فعلت شيئا لم تكن تفعله فقال عمدا فعلته يا عمر اى للاشارة الى جواز الاقتصار
على وضوء واحد للصلوات الخمس وجواز ذلك ظاهر فى نسخ وجوب الوضوء عليه
لكل صلاة ويوافقه قول بعضهم قيل كان ذلك الوضوء لكل صلاة واجبا عليه
ثم نسخ هذا كلامه اى ويؤيد ذلك ظاهر ما جاء انه امر بالوضوء لكل صلاة طاهرا
كان او غير طاهر فلما شق ذلك عليه صلى الله عليه وسلم وضع عنه الوضوء الا من
حدث اى ويكون وقت المشقة يوم فتح مكة لما علمت انه ترك الوضوء لكل
صلاة الا حينئذ وهذا السياق يدل على ان وجوب الوضوء لكل صلاة كان من
خصوصياته صلى الله عليه وسلم ويدل لذلك ما روى انس رضى الله تعالى عنه
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضا لكل صلاة قيل لهم كيف تصنعون
اى هل كنتم تفعلون كفعله صلى الله عليه وسلم قال يجزئ احدنا الوضوء
ما لم يحدث اى فوجوب الوضوء لكل صلاة كان من خصوصياته صلى الله عليه
وسلم ثم نسخ وذكر فقهاؤنا ان الغسل كان واجبا عليه صلى الله عليه وسلم
لكل صلاة ثم نسخ بالنسبة للحدث الاصغر تخفيفا فصار الوضوء بدلا عنه ثم نسخ
الوضوء لكل صلاة وظاهر سياقهم يقتضى ان وجوب الغسل ثم الوضوء لكل صلاة

كان عامًا في حقه صلى الله عليه وسلم وحق امته فيحتاج الى بيان وقت نسخ وجوب
الغسل في حقه صلى الله عليه وسلم وحق الامة وبيان وقت نسخ وجوب الوضوء
لكل صلاة في حق الامة ومنه يعلم ان نسخ وجوب الوضو لكل صلاة يكون
بالنسبة للامة ثم بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم وحينئذ لا يشكل قوله فقد اثبتنا
الاية تقتضي وجوب الطهر بالما والتراب لكل صلاة فخرج الوضو بالنسبة الى ما
تقدم من فعله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وبتجويزه من فعله صلى الله عليه وسلم يوم
الفتح وبتجويزه صلى الله عليه وسلم للامة ان يصليها لواحد منهم الصلوات بوضو
واحد وبقي التيمم على مقتضى الاية فقد وقع النسخ اولا بالنسبة للامة ثم ثانيا
بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم ولعل وجوب الغسل لكل صلاة كان بوحي غير
قران او باجتهاد ولا يخفى ان كون ظاهر الاية يقتضي وجوب الوضوء والتيمم لكل صلاة
انما هو بقطع النظر عن ما نقله امامنا رضي الله تعالى عنه عن زيد بن اسلم ان الاية
فيها تقديم وحذف وان التقدير اذا قمتم الى الصلاة من النوم او جا احد منكم من
الغائط او لامستم النسا فاغسلوا وجوهكم الاية والله اعلم وعن مقاتل بن سليمان
فرض الله تعالى في اول الاسلام الصلاة ركعتين بالغداة اي قبل طلوع الشمس
وركعتين بالعشي اي قبل غروب الشمس اقول ان كان المراد باول الاسلام نزول
جبريل عليه باقرا يرد ما تقدم عن الامتاع ان اول ما وجب ركعتان بالعشي ثم صارت
صلاة بالغداة وصلاة بالعشي ركعتين الا ان يراد الاولية الاضافية وفي بعض
الاحاديث ما يدل على ان وجوب الركعتين كان خاصا به صلى الله عليه وسلم دون امته
منها قوله صلى الله عليه وسلم اول ما افترض الله على امتي الصلوات الخمس وقيل انه افترض
عليها قبل ذلك صلاة الليل ثم نسخ بالصلوات الخمس وفي الامتاع كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يخرج الى الكعبة اول النهار فيصلي صلاة الضحى وكانت صلاة لا تنكرها
قريش وكان صلى الله عليه وسلم واصحابه اذا جا وقت العصر تفرقوا في الشعاب فرادا
ومثنى اي فيصلون صلاة العشي وكانوا يصلون الضحى والعصر ثم نزلت الصلوات
الخمس هذا كلامه وهو يفيد ان الركعتين الاوليين كان يصليهما وقت الضحى لا قبل
الشمس فليتامل والله اعلم ثم فرضت الخمس ليلة المعراج وذهب جمع الى انه لم يكن
قبل الاسرا صلاة مفروضة لا عليه ولا على امته الا ما وقع الامر به من صلاة
الليل من غير تحديد اي بقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر اي صلوا اقول وهو الناسخ
لما وجب قبل ذلك من التحديد في اول السورة الحاصل بقوله قم الليل الا قليلا
نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه وقد نسخ قيام الليل بالصلوات الخمس

ليلة

ليلة الاسرا ولم يذكر ائمتنا وجوب صلاة الركعتين عليه صلى الله عليه وسلم بل قالوا
اول ما فرض عليه الانذار والدعا الى التوحيد ثم فرض عليه قيام الليل المذكور
في اول سورة المزمل ثم نسخ بما في اخرها ثم نسخ بالصلوات الخمس فهو مخالف لما
تقدم عن ابن اسحاق من وجوب صلاة الركعتين عليه ويوافقه قول ابن كثير في قولهم
ماتت خديجة قبل ان تفرض الصلاة مرادهم قبل ان تفرض الصلوات الخمس ليلة الاسرا
قال بعضهم وانما قال ذلك لان اصل الصلاة قد فرض في حياة خديجة الركعتين
بالغداة والركعتين بالعشي وفي كلام ابن حجر الهيتمي لم يكلف الناس الا بالتوحيد فقط
ثم استمر على ذلك مدة مديدة ثم فرض عليهم من الصلاة ما ذكر في سورة المزمل ثم نسخ
ذلك كله بالصلوات الخمس ثم لم تكثر الفرائض وتتابع الا بالمدينة فلما ظهر الاسلام
وتمكن في القلوب وكان كلما زاد ظهورا وتمكنا ازدادت الفرائض وتتابعت هذا كلامه
ولم اقف على ما كان يقرا في صلاة الركعتين قبل فترة الوحي وبعدها وقبل نزول
الفاتحة بناء على تاخرها وليطلع ذلك كما هو الراجح ثم رايته في الاتقان ذكر ان
جبريل حين حولت القبلة اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الفاتحة ركن في الصلاة
كما كانت بمكة هذا كلامه وينبغي حمله على الصلوات الخمس وحينئذ يكون ما تقدم
من قول بعضهم لم يحفظ انه كان في الاسلام صلاة بغير الفاتحة محمولا على ذلك
ايضا وقد تقدم ذلك والله اعلم

باب ذكر اول الناس ايمانا

به صلى الله عليه وسلم اي بعد البعثة اي الرسالة وهي المرادة عند الاطلاق بناء على انها
مغايرة للنبوة لا يخفى انه صلى الله عليه وسلم لما بعث اخفى امره وجعل يدعو الى الله
سرا واتبعه ناس عامتهم ضعفاء من الرجال والنسا ولهذا الاشارة بقوله صلى الله
عليه وسلم ان هذا الدين بدا غريبا وسيعود كما بدا فطوبى للغربا ولا يخفى ان اهل
الاثر وعلما السير على ان اول الناس ايمانا به صلى الله عليه وسلم على الاطلاق خديجة
رضي الله تعالى عنها اقول نقل الثعلبي المفسر اتفاق العلما عليه وقال النووي
انه الصواب عند جماعة من المحققين وقال ابن الاثير خديجة اول خلق الله تعالى
اسلم باجماع المسلمين لم يتقدمها رجل ولا امراة وفيه ان بناته الاربع كن موجودات
عند البعثة ويبعد تاخر ايمانهن الا ان يقال خديجة تقدم ايمانها بخلافهن لحداثة
سنهن وعن ابن اسحاق ان خديجة كانت اول من امن بالله ورسوله وصدقت ما
جا به عن الله تعالى وكان لا يسمع شيئا يكرهه من قومه الا فرج الله عنه بها اذا ما
رجع اليها واخبرها به ثم علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه ففي المرفوع عن
سلمان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اول هذه الامة ورودا على الحوض

اولها اسلاما علي بن ابي طالب وجا انه لما زوجه فاطمة قال لها زوجتك سيدا
في الدنيا والآخرة وانه لاول اصحابي اسلاما واكثر علما واعظمهم حلما وكان لم
يبلغ الحلم كما سيأتي حكايته الاجماع عليه كان سنه ثماني سنين وكان عند النبي صلى
الله عليه وسلم قبل ان يوحى اليه يطعمه ويقوم بامره لان قريشا كان اصابهم قحط
شديد وكان ابو طالب كثير العيال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه العباس
ان اخاك ابا طالب كثير العيال والناس فيما ترى من الشدة فانطلق بنا اليه
فلنخفف من عياله تاخذ واحدا وانا واحدا فجاءا اليه وقالا انا نريد ان نخفف
عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه فقال لهما ابو طالب اذا
تركتما لي عقيلا قيل وطالبا فاصنعا ما شئتما فاخذ رسول الله صلى الله عليه
وسلم عليا رضي الله تعالى عنه فضمه اليه واخذ العباس جعفر فضمه اليه
وتركا له عقيلا وطالبا فلم يزل علي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي خصائص
العشرة للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم تولى تسميته بعلي وتغذيته
اياما من ريقه المبارك يمصه لسانه فعن فاطمة بنت اسد ام علي رضي الله تعالى
عنها انها قالت لما ولدته سماه عليا وبصق في فيه ثم انه القمه لسانه فما زال
يمصه حتى نام قالت فلما كان من الغد طلبنا له مرضعة فلم يقبل ثدي احد فدعونا
له محمدا صلى الله عليه وسلم فالقمه لسانه فنام فكان كذلك ما شاء الله عز وجل
هذا كلامه فليتامل وعنها رضي الله عنها انها في الجاهلية ارادت ان تسجد
لهبل وهي حامل بعلي فتقوس في بطنها فمنعها من ذلك وكان علي رضي الله تعالى
عنه اصغر اخوته فكان بينه وبين اخيه جعفر عشر سنين وبين جعفر واخيه
عقيل ذلك وبين عقيل واخيه طالب ذلك ايضا فكل اكبر من الذي بعده
بعشر سنين فاكبرهم طالب ثم عقيل ثم جعفر ثم علي اي وكلهم اسلموا الا طالبا
فانه اختطفته الجن فذهب ولم يعلم اسلامه وقد جا انه صلى الله عليه وسلم
قال لعقيل يا ابا يزيد اني احبك حبين حبا لقرابتك مني وحبا لما كنت اعلم
لحب عمي اياك وكان عقيل اسرع الناس جوابا وابلغهم في ذلك قال له معاوية
يوما اين ترى عمك ابا لهب من النار فقال اذا دخلتها يا معاوية فهو على يسارك
مفترشا عمتك حمالة الحطب والراكب خير من المركوب ولما وفد على معاوية
وقد غضب من اخيه علي لما طلب منه عطاء وقال له اصبر حتى يخرج
عطاؤك مع المسلمين فاعطيك فقال له لاذهبن الى رجل هو اوصل
اليك مني فذهب الى معاوية فاعطاه معاوية مائة الف درهم ثم قال

له معاوية اصعد المنبر فاذكر ما اولاك علي وما اوليتك فصعد فحمد الله واثنى
عليه ثم قال ايها الناس اني اخبركم اني اردت عليا على دينه فاختار دينه
وعن رواية ان معاوية قال بجماعة يوما بحضرة عقيل هذا ابو يزيد يعني عقيلا
لولا علمه باني خير له من اخيه لما اقام عندنا وتركه فقال عقيل اخي خير لي في ديني
وانت خير لي في دنياي وقد اثرت دنياي فاسال الله خاتمة الخير توفي عقيل
في خلافة معاوية قال وسبب اسلام علي كرم الله وجهه انه دخل على النبي صلى
الله عليه وسلم ومعه خديجة وهما يصليان سرا فقال ما هذا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم دين الله الذي اصطفاه لنفسه وبعث به رسله فادعوك الى الله وحده لا
شريك له والى عبادته والى الكفر باللات والعزى فقال علي هذا امر لم اسمع به قبل
اليوم فلست بقاض امرا حتى احدث ابا طالب وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يفشي عليه سره قبل ان يستعلن امره فقال له يا علي اذا لم تسلم فاكتم هذا فمكث
ليلته ثم ان الله تبارك وتعالى هداه للاسلام فاصبح غاديا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاسلم انتهى اقول وذلك في اليوم الثاني من صلاته صلى الله عليه وسلم هو
وخديجة وهو يوم الثلاثاء كما في سيرة الدمياطي اه لانه تقدم ان صلاته مع خديجة
كانت اخر يوم الاثنين وهذا آتيا على القول بان النبوة والرسالة تقارنتا
لا على ان الرسالة تاخرت عن النبوة وان بينهما فترة الوحي على ما تقدم وفي
اسد الغابة ان ابا طالب راى النبي صلى الله عليه وسلم وعليا يصليان وعلي
على يمينه فقال لجعفر رضي الله عنه صل جناح ابن عمك فصل على يساره
وكان اسلام جعفر بعد اسلام اخيه علي بقليل والله اعلم قال بعضهم
وانما صح اسلام علي اي مع انهم اجمعوا انه مات على انه لم يكن بلغ الحلم اي ومن ثم
نقل عنه انه قال ٥

سبقتكم الى الاسلام طرا ٭ صغيرا ما بلغت اوان حلمي

اي كان عمره ثماني سنين على ما سبق لان الصبيان كانوا اذ ذلك مكلفين لان القلم
انما رفع عن الصبي عام خيبر وعن البيهقي ان الاحكام انما تعلقت بالبلوغ في
عام الخندق وفي لفظ في عام الحديبية وكانت قبل ذلك منوطة بالتمييز هذا وقد
ذكر انه لم يحفظ عن علي رضي الله تعالى عنه انه قال شعرا وقيل لم يقل الا البيتين
اي ولعل احدهما ما تقدم ثم رايت في القاموس ان البيتين مما قوله

تلكم قريش تمناني لتقتلني ٭ فلا وربك ما بروا وما ظفروا
فان هلكت فرهن ذمتي لهم ٭ بذات ودقين لا تبقي ولا تذر

وذاك ودقنين من الداهية وقد ذكر ان الزبير بن العوام اسلم وهو ابن
ثمان سنين وقيل ابن خمس عشرة سنة وقيل ابن اثنتى عشرة سنة وقيل ابن
ست عشرة سنة ومما يدل للاول ما جاء عن بعضهم كان على والزبير وطلحة وسعد بن
ابى وقاص ولدوا فى عام واحد ومن العجب ان الزمخشرى فى خصائص العشرة
اقتصر على ان سن الزبير حين اسلم ست عشرة سنة وذكر بعد ذلك باسطر انه
اول من سل سيفا فى سبيل الله وهو ابن اثنتى عشرة سنة مقتصرا على ذلك
ومما يدل للاول ايضا ما فى كلام بعض اخر اسلم على بن ابى طالب والزبير بن العوام
وهما ابنا ثمان سنين واجماعهم على ان عليا لم يكن بلغ الحلم يرد القول بان عمره كان
اذ ذاك عشر سنين اى بناء على ان سن امكان الاحتلام تسع سنين كما نقول به ائمتنا
ويوافقه ما حكاه بعضهم ان الراشد بالله وهو الحادى والثلاثون من خلفاء
بنى العباس لما كان عمره تسع سنين وطئ جارية حبشية فحملت منه وولدت ولدا حسنا
ويرد القول بان سنه اذ ذاك كان ثلاثة عشر او خمسة عشر او ستة عشر اقول قال
بعض متاخرى اصحابنا وانما صحت عبادة الصبى المميز ولم يصح اسلامه لان عبادته
نفل والاسلام لا يتنفل به وعلى هذا مع ما تقدم يشكل ما فى الامتاع واما على
ابن ابى طالب فلم يكن مشركا بالله ابدا لانه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى كفالته كاحد اولاده يتبعه فى جميع اموره فلم يحتج ان يدعى الى الاسلام
فيقال اسلم هذا كلامه فليتامل فان عليا كان تابعا لابيه فى دينه ولم يكن
تابعا له صلى الله عليه وسلم كاولاده وقوله لم يحتج ان يدعى للاسلام يرده ما
تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم له ادعوك الى الله وحده الى اخره ثم رايت
فى الحديث ما يدل لما فى الامتاع وهو ثلاثة ما كفروا بالله قط مؤمن ال يس وعلى
ابن ابى طالب واسية امراة فرعون والذى فى العرائس روى عن النبى صلى الله
انه قال سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حزقيل مؤمن ال فرعون وحبيب
النجار صاحب يس وعلى بن ابى طالب رضى الله تعالى عنهم وهو افضلهم الا ان
يراد تعدد كفرهم انهم لم يسجدوا لصنم وفيه انه قد يخالف ذلك قوله صلى
الله عليه وسلم له وادعوك الى الكفر باللات والعزى وانه قد قيل ايضا ان
ابا بكر لم يسجد لصنم قط وقد عد ابن الجوزى من رفض عبادة الاصنام
فى الجاهلية اى لم يات بها ابا بكر الصديق وزيد بن عمرو بن نفيل وعبيد الله بن
جحش وعثمان بن الحويرث وورقة بن نوفل ورباب بن البراء واسعد ابو كريب
الحميرى وقس بن ساعدة الايادى وابا قيس بن صرمة ولا يخفى ان عدم

السجود للاصنام لا ينافى الحكم بالكفر على من لم يسجد لها لكن فى كلام السبكى الصواب
ان يقال الصديق لم يثبت عنه حال كفر بالله تعالى فلعل حاله قبل البعث كان
كحال زيد بن عمرو بن نفيل واضرابه فلذلك خص الصديق بالذكر عن غيره من الصحابة
هكذا كلامه وهو واضح اذا لم يكن احد ممن جميع من ذكر اسلم وفى كلام الحافظ ابن
كثير الظاهر ان اهل بيته صلى الله عليه وسلم امنوا قبل كل احد خديجة وزيد وزوجة
زيد ام ايمن وعلى رضى الله تعالى عنهم فليتامل قوله امنوا قبل كل واحد وكذا ينافيه قول
ابن اسحاق اما بناته صلى الله عليه وسلم فكلهن ادركن الاسلام فاسلمن والله اعلم
وعن ابن اسحاق ذكر بعض اهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا حضرت
الصلاة خرج الى شعاب مكة وخرج معه على مستخفيا من قومه فيصليان فيها
فاذا امسيا رجعا كذلك ثم ان ابا طالب عمه اى اطلع عليهما يوما وهما يصليان
اى بنخلة المحل المعروف فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن اخى ما
هذا الذى اراك تدين به قال هذا دين الله ودين ملائكته ورسله ودين
ابينا ابراهيم بعثنى الله به رسولا الى العباد وانت احق من بذلت له النصيحة
ودعوته الى الهداية واحق من اجابنى الى الله تعالى واعاننى عليه فقال ابو طالب انى
لا استطيع افارق دين ابائى وما كانوا عليه وفى رواية انه قال له ما بالذى تقول
من باس ولكن والله لا تعلونى استى ابدا وهذا كما لا يخفى ينبغى ان يكون صدر منه
قبل ما تقدم من قوله لابنه جعفر صل جناح ابن عمك وصل على يساره لما راى
النبى صلى الله عليه وسلم يصلى وعليا على يمينه لكن يروى ان عليا رضى الله تعالى
عنه ضحك يوما وهو على المنبر فسئل عن ذلك فقال تذكرت ابا طالب حين
فرضت الصلاة وراني اصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنخلة فقال ما
هذا الفعل الذى ارى فلما اخبرناه قال هذا حسن ولكن لا افعله ابدا لانى
لا احب ان تعلونى استى فلما تذكرت الان قوله ضحكت وقوله حين فرضت
الصلاة يعنى الركعتين بالغداة والركعتين بالعشى وهذا يؤيد القول بان
ذلك كان واجبا وذكر ان ابا طالب قال لعلى اى بنى ما هذا الذى انت عليه
فقال يا ابت امنت بالله العظيم وبرسوله وصدقت ما جاء به ودخلت معه
واتبعته فقال له اما انه لم يدعك الا الى خير فالزمه اى ويذكر عنه
انه كان يقول انى لاعلم ان ما يقوله ابن اخى لحق ولولا انى اخاف ان تعيرنى
نساء قريش لاتبعته وعن عفيف الكندى رضى الله تعالى عنه المطلب لابتاع
منه بعض التجارة وكان العباس لى صديقا وكان يختلف الى اليمن يشترى

العطو ويتبعه ايام الموسم فبينما انا عند العباس بمنى اى وفى لفظ بمكة فى المسجد اذا هو
رجل مجتمع اى بلغ اشده خرج من خبا قريب منه فنظر الى الشمس فلما راها مالت توضا
فاسبغ الوضوء اى اكمله ثم قام يصلى اى الى الكعبة كما فى بعض الروايات ثم خرج غلام
مراهق اى قارب البلوغ فتوضا ثم قام الى جنبه يصلى ثم جاءت امراة من ذلك الخبا
فقامت خلفهما ثم ركع الرجل وركع الغلام وركعت المراة ثم خر الرجل ساجدا
وخر الغلام وخرت المراة فقلت ويحك يا عباس ما هذا الدين قال هذا دين محمد بن
عبد الله اخى بن عمى زعم ان الله بعثه رسولا وهذا ابن اخى على بن ابى طالب وهذه امراته خديجة
قال عفيف بعد ان اسلم يا ليتنى كنت رابعا اى ولعل زيد بن حارثة لم يكن موجودا
عندهم فى ذلك الوقت فلا ينافى انه كان يصلى معهم او ان ذلك كان قبل اسلامه
لا نه سيأتى قريبا ان اسلامه كان بعد اسلام على وكذا ابو بكر لم يكن موجودا ذلك
الوقت بنا على ان اسلامه كان قبل اسلام على ويؤيده ما قيل اول من صلى مع النبى
صلى الله عليه وسلم على ويخالفه ما قيل اول من صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم
ابو بكر لكن فى الاستيعاب لابن عبد البر ان العباس قال لعفيف الكندى لما
قال له ما هذا الذى يصنع قال يصلى وهو يزعم انه نبى فلم يتبعه على امره الا
امراته وابن عمه هذا الغلام **وفيه** ان عليا قال لقد عبدت الله قبل ان يعبده
احد من هذه الامة خمس سنين اى لعل المراد انه عبده بغير الصلاة وقوله
فى هذا الحديث فنظر الى الشمس فلما راها مالت توضا وصلى قد يخالف ما تقدم
من ان فرض الصلاة كانت ركعتين بالغداة وركعتين بالعشى قبل غروب
الشمس فقط **اقول** قد يقال لا مخالفة لانه يجوز ان تكون صلاته فى الوقت
ليست ما فرض عليه والجماعة فى ذلك جائزة وقد فعلها صلى الله عليه وسلم
فى النفل المطلق وهذا يدل على ان الجماعة كانت مشروعة بمكة حتى فى
صدر الاسلام قبل فرض الصلوات الخمس **وفى** كلام بعض فقهائنا انها
لم تشرع الا فى المدينة دون مكة لقهر الصحابة رضى الله تعالى عنهم الا ان
يقال المراد بمشروعيتها طلبها فكانت فى المدينة مطلوبة استحبابا
او وجوبا كفاية او عينا على الخلاف عندنا فى ذلك وفى مكة كانت مباحة
لكن فى كلام بعض لخوص فقهائنا ان الجماعة لم تفعل بمكة لقهر الصحابة
وفيه ان القهر انما ينافى اظهار الجماعة لا فعلها الا ان يقال ترك حسما للباب
وفيه انه يبعد تركها وهم مستخفون فى دار الارقم فليتامل والله اعلم ثم
بعد اسلام على رضى الله تعالى عنه اسلم من الصحابة رضى الله تعالى عنهم

زيد

زيد بن حارثة بن شرحبيل وقال ابن شهاب شراحيل مولى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهبته له خديجة اى لما تزوجها صلى الله عليه وسلم اى وكان اشتراه
لها ابن حكيم بن حزام ممن سباه من الجاهلية اى فان عمته خديجة امرته ان يبتاع
لها غلاما ظريفا عربيا فلما قدم سوق عكاظ وجد زيدا يباع اى وعمره ثمان
سنين فانه اسر من عند اخواله طى وعليه اقتصر السهيلى فان امه لما خرجت
به لتزيره اهلها فاصابته خيل فباعوه فاشتراه اى وقيل اشتراه من سوق
حباشة باربعمائة درهم ويقال بستمائة درهم فلما راته خديجة اعجبها فاخذته
اى ولعل هذا مراد من قال فباعه من عمته خديجة اى اشتراه لها فلما تزوجها
صلى الله عليه وسلم وهو عندها اعجب به فاستوهبه منها فوهبته له فاعتقه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبناه قبل الوحى اى وقيل اشتراه صلى الله
عليه وسلم لها فانه جا الى خديجة فقال رايت غلاما بالبطحا قدا وقفوه ليبيعوه
ولو كان لى ثمنه لاشتريته قالت وكم ثمنه قال سبعمائة درهم قالت خذ سبعمائة
درهم فاذهب فاشتره فاشتراه فجاء به اليها وقال انه لو كان لى لاعتقته
قالت هو لك فاعتقه **وقيل** بل اشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم من
الشام لخديجة حيث توجه مع ميسرة فوهبته له فليتامل **وزعم** ابو عبيدة
ان زيد بن حارثة لم يكن اسمه زيدا ولكن النبى صلى الله عليه وسلم سماه بذلك
باسم جده قصى حين تبناه ثم انه خرج فى ابل لابى طالب الى الشام فمر بارض
قومه فعرفه عمه فقام اليه فقال من انت يا غلام قال غلام من اهل مكة
قال من انفسهم قال لا قال فحر انت ام مملوك قال مملوك قال عربى انت
ام عجمى قال بل عربى قال ممن اهلك قال من كلب قال من اى كلب قال من بنى عبد
ود قال ويحك ابن من انت قال ابن حارثة ابن شرحبيل قال واين اصبت
قال فى اخوالى قال ومن اخوالك قال طى قال ما اسم امك قال سعدى فالتزمه
وقال ابن حارثة ودعا اباه فقال يا حارثة هذا ابنك فاتاه حارثة
فلما نظر اليه عرفه قال كيف صنع مولاك قال يؤثرنى على اهله وولده ورزقت
منه حبا فلا اصنع الا ما شئت فركب معه ابوه وعمه واخوه وفى رواية ان
ناسا من قومه حجوا فراوا زيدا فعرفوه وعرفهم فانطلقوا واعلموا اباه
ووصفوا له مكانه فجا ابوه وعمه وقد يقال لا مخالفة لجواز ان يكون لحج عمه
بعمه وابيه كان بعد اخبار اولئك الناس فلما جا اهله فى طلبه ليغدوه خيره
النبى صلى الله عليه وسلم بين المكث عنده والرجوع الى اهله فاختار المكث

اخيها

عند رسول الله صلى الله عليه وسلم **فقد ذكر** انهم لما جاؤا النبي صلى الله عليه وسلم
قالوا يا ابن عبد المطلب يا ابن سيد قومه اي وفي لفظ لما قدم ابوه وعمه
في فدائه سألا عن النبي صلى الله عليه وسلم فقيل هو في المسجد فدخلا عليه فقالا
يا ابن عبد المطلب يا ابن هاشم يا ابن سيد قومه انتم اهل حرم الله وجيرانه
تفكون الاسير العاني وتطعمون الجائع جئناك في ولدنا عندك فامنن
علينا واحسن في فدائه فانا سندفع لك فقال وما ذاك قالوا زيد بن حارثة
فقال او غير ذلك قالوا وما هو قال ادعوه فخيروه فان اختاركم فهو لكم من
غير فداء وان اختارني فوالله ما انا بالذي اختار على الذي اختارني فداء فقالوا
زدتنا على النصف وفي لفظ زدتنا على النصف واحسنت فدعاه فقال تعرف
هؤلاء قال نعم ابي وعمي ولعل سكوته عن اخيه استصغاره بالنسبة لابيه وعمه
على ان اكثر الروايات على اقتصار مجيء ابيه **وفي** كلام السهيلي ان زيدا
لما جاء قال صلى الله عليه وسلم له من هذان قال هذا ابي حارثة بن شراحيل وهذا
كعب بن شراحيل عمي فعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم له انا من علمت وقد رأيت
صحبتي لك فاخترني او اخترهما فقال زيد ما انا بالذي اختار عليك احدا
انت مني مكان الاب والعم فقالا ويحك يا زيد تختار العبودية على الحرية
وعلى ابيك وعمك واهل بيتك قال نعم ما انا بالذي اختار عليه احدا فلما
رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ما رأى اخرجه الى الحجر الذي هو محل جلوس
قريش فقال ان زيدا ابني ارثه ويرثني فطابت انفسهما وانصرفا اي **وفي** كلام
ابن عبد البر انه حين تبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم كان سنه ثمان
سنين وانه حين تبناه طاف على حلق قريش يقول هذا ابني وارثا وموروثا
ويشهدهم على ذلك وكان الرجل في الجاهلية يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وهدمي
هدمك وثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك ترثني وارثك وتطلب بي
واطلب بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث
الحليف اي من حالفه فنسخ ذلك وهذا الذي ذكره ابن عبد البر من انه صلى الله
عليه وسلم حين تبناه كان عمره ثمان سنين يدل على ان ذلك كان عقب ملكه صلى
الله عليه وسلم له قبل الوحي وان ذلك كان قبل مجيء ابيه وعمه وحينئذ يكون
عتقه وتبنيه بعد مجيء ابيه وعمه اظهارا لما تقدم فليتأمل **وفي** اسد الغابة
ان حارثة اسلم **وفي** كلام بعضهم لم يثبت اسلام حارثة الا المنذري ولما
تبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا كان يقال له زيد بن محمد ولم يذكر

في القرآن

في القرآن من الصحابة احد باسمه الا هو كما سيأتي **قال ابن الجوزي** الا ما يروى
في بعض التفاسير ان السجل الذي في قوله تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب
اسم رجل كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم اي وقد ابدى السهيلي حكمة لذكر زيد
باسمه في القرآن وهي انه لما نزل قوله تعالى ادعوهم لآبائهم وصار يقال له زيد
ابن حارثة ولا يقال له زيد بن محمد ونزع عنه هذا التشريف شرفه الله تعالى
بذكر اسمه في القرآن دون غيره من الصحابة فصار اسمه يتلى في المحاريب
ولا يخفى انه يأتي في زيد ما تقدم في علي ولم يذكر في القرآن مراة باسمها الا مريم
ولزيد اخ اسمه جبلة اسن منه سئل جبلة من اكبر انت ام زيد فقال زيد اكبر مني
وانا ولدت قبله اي لان زيدا افضل منه لسبقه للاسلام **ثم اسلم من الصحابة**
ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ذكر بعضهم في سبب اسلامه انه كان صديقا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر غشيانه في منزله ومحادثته وكان سمع قول ورقة
له لما ذهب معها اليه كما تقدم فكان متوقعا لذلك فهو مع حكيم بن حزام في بعض الايام
اذ جاءت مولاة لحكيم وقالت له ان عمتك خديجة تزعم في هذا اليوم ان زوجها نبي
مرسل مثل موسى فانسل ابو بكر حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن خبره
فقص عليه قصته المتضمنة لمجيء الوحي له بالرسالة فقال صدقت بابي انت وامي
واهل الصدق انت انا اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فيقال سماه
يومئذ الصديق وهذا السياق ربما يدل على ان اسلام ابي بكر تأخر الى نزول يا ايها
المدثر بعد فترة الوحي بناء على ما تقدم وكونه سماه يومئذ الصديق لا ينافي
ذلك ما سيأتي انه سمي بذلك صبيحة الاسراء لما صدقه وقد كذبته قريش لجواز
انه لم يشتهر بذلك الا حينئذ **وقد جاء** في تفسير قوله تعالى والذي جاء بالصدق
وصدق به ان الذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي صدق به
ابو بكر قال ولما سمعت خديجة مقالة ابي بكر خرجت وعليها خمار احمر فقالت
الحمد لله الذي هداك يا ابن ابي قحافة واسمه عبد الله اي سماه بذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان اسمه قبل ذلك عبد الكعبة فابو بكر رضي الله تعالى عنه
اول من غير النبي صلى الله عليه وسلم اسمه ولقبه عتيق لحسن وجهه ولانه عتيق من
الذم والعيب اي او نظر صلى الله عليه وسلم اليه فقال هذا عتيق من النار فهو اول
لقب وجد في الاسلام **وقيل** سمته بذلك امه لانه كان لا يعيش لها ولد
فلما ولدته استقبلت به الكعبة ثم قالت اللهم هذا عتيقك من الموت فهبه لي
فعاش قيل ويدل له ما ذكره بعضهم ان امه كانت اذا هزته تقول عتيق وما

عتيق ذو المنظر الانيق وفى كلام بعضهم وهو ابن حجر الهيتمى وصح ان الملقب
به النبى صلى الله عليه وسلم لما دخل عليه فى بيت عايشة وانه غلب عليه من يومئذ
قال وبه يندفع ان الملقب له به ابوه وزعم انه امه هذا كلامه ولينا مل
قوله فى بيت عايشة مع ما تقدم وما فى كلام السهيلى قيل وسمى عتيقا لان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال له حين اسلم انت عتيق من النار وكان ابو بكر رضى
الله عنه صدرا معظما فى قريش على سعة من المال وكرم الاخلاق من رؤسا قريش ومحط
مشورتهم وكان من اعف الناس كان رئيسا مكرما سخيا ببذل المال محببا فى قومه
حسن المجالسة وكان من اعلم الناس بتعبير الرؤيا ومن ثم قال ابن سيرين
وهو المقدم فى هذا العلم اتفاقا كان ابو بكر اعبر هذه الامة بعد النبى صلى الله
عليه وسلم وكان اعلم الناس بانساب العرب فقد جاء عن جبير بن مطعم البالغ
فى النهاية فى ذلك انه قال انما اخذت النسب من ابى بكر لا سيما انساب قريش
فانه كان اعلم قريش بانسابها وبما كان فيها من خير وشر وكان لا يعد مساويهم
ومن ثم كان محببا فيهم بخلاف عقيل بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه فانه كان بعد
ابى بكر اعلم قريش وبابائها وما فيها من خير وشر لكن كان مبغضا اليهم لانه كان يعد
مساويهم وكان عقيل يجلس اليه فى المسجد النبوى لاخذ علم الانساب وايام العرب
ووقايعهم وفى كلام بعضهم كان ابو بكر عند اهل مكة من خيارهم يستعينون
به فيما ياتيهم وكانت له بمكة ضيافات لا يفعلها احد قال الزمخشرى ولعله كنى
بابى بكر لابتكاره الخصال الحميدة وكان نقش خاتمه نعم القادر الله وكان
نقش خاتم عمر رضى الله عنه كفى بالموت واعظا يا عمر وكان نقش خاتم عثمان
امنت بالله مخلصا وكان نقش خاتم على الملك لله وكان نقش خاتم ابى عبيدة
ابن الجراح الحمد لله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما دعوت احدا
الى الاسلام الا كانت عنده كبوة اى وقفة وتاخر وتردد الا ما كان من ابى بكر
وفى رواية ما كلمت احدا فى الاسلام الا ابا على وراجعنى فى الكلام الا ابن ابى
قحافة فانى لم اكلمه فى شئ الا قبله واستقام عليه اى ومن ثم كان اشد الصحابة
رايا واكملهم عقلا لخبر تام اتانى جبريل فقال لى ان الله امرك ان تستشير
ابا بكر ونزل فيه وفى عمر وشاورهم فى الامر كان ابو بكر رضى الله تعالى عنه بمنزلة
الوزير من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يشاوره فى اموره كلها وقد
جاء ان الله ايدنى باربعة وزرا اثنين من اهل السما واثنين من اهل الارض
جبريل وميكائيل وابى بكر وعمر وفى حديث رواته ثقات ان الله يكره ان يخطى ابو

بكر وفى رواية ان الله يكره فى السما ان يخطى ابو بكر الصديق فى الارض وجاء
الحسن بن على وهو صغير الى ابى بكر وهو يخطب على المنبر فقال له انزل عن مجلس
ابى فقال مجلس ابيك والله لا مجلس ابى فاجلسه فى حجره وبكى فقال على والله
ما هذا عن راى والله ما اتهمتك ووقع نظير ذلك لسيدنا عمر رضى الله تعالى
عنه مع سيدنا الحسين فانه قال له وهو يخطب انزل عن منبر ابى فقال له منبر
ابيك لا منبر ابى من امرك بهذا فقام على فقال ما امره بهذا احد ثم قال للحسين
لاوجعنك يا غدر فقال لا توجع ابن اخى صدق منبر ابيه قال وتسبب مبادرته
الى التصديق ما علمه من دلايل نبوته صلى الله عليه وسلم وبراهين صدق دعوته
قبل دعوته ولرؤيا راها قبل ذلك راى القمر نزل الى مكة فدخل فى كل بيت منه
شعبة ثم كان جميعه فى حجره فقصها على بعض اهل الكتاب فعبرها له بانه
يتبع النبى المنتظر الذى قد ظل زمانه وانه يكون اسعد الناس به ولعل هذا
الذى من اهل الكتاب هو بحيرا فقد ذكر ان ابا بكر راى رؤيا فقصها على بحيرا
فقال له ان صدقت رؤياك فانه سيبعث نبى من قومك تكون انت وزيره فى حياته
وخليفته بعد مماته اى واخرج بعضهم عن بعض الصحابة ان ابا بكر امن بالنبى صلى
الله عليه وسلم قبل النبوة اى علم انه النبى صلى الله عليه وسلم المنتظر لما مر عن بحيرا
الراهب ولما سمعه من شيخ عالم من الازد قد قرا الكتب نزل به فى اليمن فقال له
احسبك حرميا فقال ابو بكر نعم فقال احسبك قرشيا فقلت نعم فقال احسبك
تيميا قال نعم قال له بقيت لى فيك واحدة قال وما هى قال تكشف لى عن بطنك
فقال له لا افعل او تخبرنى لم ذلك فقال اجد فى العلم الصحيح الصادق
ان نبيا يبعث فى الحرم يعاون على امره فتى وكهل فاما الفتى فخواض غمرات ودفاع
معضلات واما الكهل فابيض نحيف على بطنه شامة وعلى فخذه اليسرى
علامة اى مع كونه حرميا قرشيا تيميا بدليل قوله احسبك حرميا احسبك قرشيا
احسبك تيميا وما عليك ان تريني ما سالتك فقد تكاملت فيك الصفة
اى كونه حرميا قرشيا تيميا ابيض نحيف الا ما خفى على فقال ابو بكر فكشفت له عن
بطنى فراى شامة سودا فوق سرتى اى وراى العلامة على الفخذ الايسر فقال انت
هو ورب الكعبة قال ابو بكر فلما قضيت اربى من اليمن اتيته لاودعه فقال احافظ
عنى ابياتا من الشعر قلت نعم فذكر له ابياتا قال
ابو بكر فقدمت مكة وقد بعث النبى صلى الله عليه وسلم فجانى صناديد قريش كعقبة بن ابى
معيط وشيبة وربيعة وابو جهل وابو البخترى فقالوا يا ابا بكر يتيم ابى طالب يزعم

اذ بنى ولولا انتظارك ما انتظرناه فاذ قد جئت فانت الغاية والكفاية اى لان
ابا بكر كما تقدم كان صديقا له صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر فصرفتهم على احسن شئ ثم
جئته صلى الله عليه وسلم فقرعت عليه الباب فخرج الى وقال لى يا ابا بكر انى رسول
الله اليك والى الناس كلهم فآمن بالله فقلت وما دليلك على ذلك قال الشيخ الذى
افادك الابيات قلت ومن اخبرك بهذا يا حبيبى قال الملك الاعظم الذى يأتى
الانبيا قبلى قلت مد يدك فانا اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله قال ابو
بكر رضى الله تعالى عنه فانصرفت وما بين لابتيها اشد سرورا من رسول الله صلى
الله عليه وسلم وفى لفظ اشد سرورا باسلامى ولا مانع من صدور الامرين منه
رضى الله تعالى عنه ويحتاج للجمع بين هذا وبين ما تقدم من انه كان مع حكيم بن حزام
يوما الى اخره على تقدير صحة الروايتين وما جاء من شعر حسان رضى الله تعالى
عنه من ان ابا بكر اول الناس اسلاما حيث يقول فيه و اول الناس منهم صدق
الرسلا واقره صلى الله عليه وسلم سمع ذلك منه ولم ينكره بل قال صدقت
يا حسان كما سيأتى عند الكلام على الهجرة وقول بعض الحفاظ ان ابا بكر رضى الله
تعالى عنه اول الناس اسلاما كما هو المشهور عند الجمهور من اهل السنة لا ينافى
ما تقدم من ان عليا اول الناس اسلاما بعد خديجة ثم مولاه زيد بن حارثة
لان المراد اول رجل بالغ ليس من الموالى اسلم ابو بكر وعبارة ابن الصلاح والاورع
ان يقال اول من اسلم من الرجال الاحرار اى غير الموالى ابو بكر ومن الصبيان على
ومن النسا خديجة ومن الموالى زيد بن حارثة وهذا وما قبله يدل على ان اسلام
زيد بن حارثة كان بعد البلوغ والا فلا حاجة لزيادة ليس من الموالى تامل
او ان مراد من قال ان ابا بكر سبق عليا فى الاسلام اى فى اظهار الاسلام
لانه حين اسلم اظهر اسلامه بخلاف على فقد جا عن على رضى الله تعالى عنه انه
قال ان ابا بكر رضى الله تعالى عنه سبقنى الى اربع وعد منها اظهار الاسلام
وقال واخفيته ولعله لا ينافى ذلك ما جا بسند حسن ان اول من جهر
بالاسلام عمر بن الخطاب لان ذلك كان عند اختفائه صلى الله عليه وسلم هو
واصحابه فى دار الارقم كما سيأتى فاوليته اظهار الاسلام اضافية قال ابن كثير
وورد عن على رضى الله عنه انه قال انا اول من اسلم ولا يصح اسناد ذلك اليه
قال وقد روى فى هذا المعنى احاديث اوردها ابن عساكر كثيرة منكرة كلها
لا يصح شى منها هذا كلامه وعلى تقدير صحتها يراد اولية من اسلم من الصبيان
فالاولية اضافية ومما يؤثر عن على رضى الله تعالى عنه لا تكن ممن يرجو الاخرة

بغير عمل ويؤخر التوبة لطول الامل يحب الصالحين ولا يعمل باعمالهم
البشاشة فخ المودة والصبر قبر العيوب والغالب بالظلم مغلوب العجب
ممن يدعو ويستبطى الاجابة وقد سد طرقها بالمعاصى واول من اسلم
من النسا بعد خديجة رضى الله تعالى عنها ام الفضل زوج العباس واسما
بنت ابى بكر وام جميل فاطمة بنت الخطاب اخت عمر بن الخطاب وينبغى ان
تكون ام ايمن سابقة فى الاسلام على ام الفضل على ما تقدم وقول السراج
البلقينى موافقة للزين العراقى ان اول رجل اسلم ورقة بن نوفل لقوله
للنبى صلى الله عليه وسلم انا اشهد انك الذى بشر بك عيسى بن مريم وانك
على مثل ناموس موسى وانك نبى مرسل قد علمت ما فيه وانه انما كان من
اهل الفترة كما صرح به الحافظ الذهبى وهو يرد القول المتقدم بان وفاة
ورقة تاخرت عن البعثة فورقة نحو بحيرا ونسطورا من اهل الفترة لا من
اهل الاسلام ويؤيده ما تقدم ان بالاجماع من المسلمين لم يتقدم خديجة
فى الاسلام رجل ولا امراة لكن هولاء من القسم الذى تمسك بدين قبل نسخه وآمن
وصدق بانه صلى الله عليه وسلم الرسول المنتظر وذلك نافع له فى الاخرة ومن ثم
قال صلى الله عليه وسلم لما توفى ورقة لقد رايت القس يعنى فى الجنة وعليه ثياب
الحرير لانه امن بى وصدقنى الى اخر ما تقدم وعلى تسليم انه لا يشترط فى المسلم ان يؤمن
ويصدق برسالته صلى الله عليه وسلم بعد وجودها بل يكتفى ولو قبل ذلك فليس ورقة
بصحابى لان الصحابى من اجتمع به صلى الله عليه وسلم بعد الرسالة مؤمنا بما جا به
عن الله تعالى اى يحكم بايمانه ومن ثم رد الحافظ الذهبى على ابن منده اى ومن
وافقه كالزين العراقى فى عد له من الصحابة اى كما عد منهم بحيرا ونسطورا بقوله
الاظهر ان من مات بعد النبوة وقبل الرسالة فهو من اهل الفترة هذا كلام
الحافظ الذهبى والمراد بالرسالة نزول يا ايها المدثر لا اظهارها ونزول قوله تعالى فاصدع
بما تؤمر بناء على تاخر الرسالة عن النبوة وحين اسلم ابو بكر رضى الله عنه دعى الى
الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم من وثق به من قومه فاسلم بدعايته عثمان بن عفان
ابن ابى العاص بن امية بن عبد شمس اى ولما اسلم عثمان رضى الله تعالى عنه اخذه
عمه الحكم بن ابى العاص بن امية والد مروان فاوثقه كتافا وقال ترغب عن ملة ابائك
الى دين محمد والله لا احلك ابدا حتى تدع ما انت عليه فقال عثمان والله لا ادعه ابدا
ولا افارقه فلما راى الحكم صلابته فى الحق تركه وقيل عذبه بالدخان ليرجع فما رجع
وفى كلام ابن الجوزى ان المعذب بالدخان ليرجع عن الاسلام الزبير بن العوام

هذا كلامه ولا مانع من تعدد ذلك وجا لكل نبي رفيق في الجنة ورفيقي فيها عثمان بن عفان واسلم بدعا ابي بكر ايضا الزبير بن العوام رضي الله تعالى عنه وكان عمره ثمان سنين على ما تقدم وعبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه اي وكان اسمه في الجاهلية عبد عمرو قيل عبد الكعبة وقيل عبد الكعبة وقيل عبد الحارث فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن قال وكان امية بن خلف لي صديقا فقال لي يوما ارغبت عن اسم سماك به ابواك فقلت نعم فقال لي انا لا اعرف الرحمن ولكن اسميك بعبد الاله فكان يناديني بذلك قال وتسبب اسلام عبد الرحمن بن عوف ما تحدث به قال سافرت الى اليمن غير مرة وكنت اذا قدمت نزلت على عسكلان بن عواكف الحميري فكان يسألني هل ظهر فيكم رجل له نبا له ذكر هل خالف احد منكم عليكم في دينكم فاقول لا حتى كان السنة التي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمت اليمن فنزلت عليه الى اخر القصة وعن علي رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعبد الرحمن بن عوف انت امين في اهل الارض امين في اهل السما وجا انه صلى الله عليه وسلم وصفه بالصادق الصالح البار واسلم بدعاية ابي بكر رضي الله تعالى عنه ايضا سعد بن ابي وقاص اي فان ابا بكر لما دعاه الى الاسلام لم يتبعد واتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن امره فاخبره فاسلم وكان عمره تسع عشرة سنة وهو رضي الله عنه من بني زهرة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم وقد اقبل عليه سعد هذا خالي فليرني امرؤ خاله وفي كلام السهيلي انه عم امنة بنت وهب ام النبي صلى الله عليه وسلم وكرهت امه اسلامه وكانت بارا بها فقالت له الست تزعم ان الله يامرك بصلة الرحم وبر الوالدين قال فقلت نعم فقالت والله لا اكلت طعاما ولا شربت شرابا حتى تكفر بما جا به محمد اي وتمس اسافا ونائلة فكانوا يفتحون فاها ثم يلقون فيه الطعام والشراب فانزل الله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما الاية وفي رواية انها مكثت يوما وليلة لا تاكل فاصبحت وقد جهدت ثم مكثت يوما وليلة لا تاكل ولا تشرب قال سعد فلما رايت ذلك قلت لها تعلمين والله يا امه لو كان لك مائة نفس تخرج نفسا نفسا ما تركت ديني هذا للنبي صلى الله عليه وسلم فكلي ان شئت او لا تاكلي فلما رات ذلك اكلت وفي الانساب للبلاذري عن سعد قال اخبرت امي اني كنت اصلي العصر اي الركعتين اللتين كانوا يصلونهما بالعشي فجئت فوجدتها على بابها تصيح الا اعوان يعينوني عليه من عشيرتي او عشيرته فاحبسه في بيت واطبق عليه بابه حتى يموت او يدع هذا الدين المحدث فرجعت من حيث جئت وقلت لا اعود اليك ولا اقرب

منزلك فهجرتها حينا ثم ارسلت الي ان عد الى منزلك ولا تتضيفن الناس فيلزمنا عار فرجعت الى منزلي فمرة تلقاني بالبشر ومرة تلقاني بالشر وتعيرني باخي عامر وتقول هو البر لا يفارق دينه ولا يكون تابعا فلما اسلم عامر لقي منها ما لم يلق احد من الصياح والاذى حتى هاجر الى الحبشة ولقد جئت يوما والناس مجتمعون على امي وعلى اخي عامر فقلت ما شان الناس فقالوا هذه امك قد اخذت اخاك عامرا وهي تعطي لله عهدا لا يظلها نخل ولا تاكل طعاما ولا تشرب شرابا حتى تصبا فقلت لها والله لا تستظلين ولا تاكلين ولا تشربين حتى تتبوئي مقعدك من النار وجاء انه صلى الله عليه وسلم امر سعد بن ابي وقاص ان ياتي الحارث بن كلدة طبيب العرب ليستوصفه في مرض نزل بسعد وكان ذلك في حجة الوداع فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود عبد الرحمن بن عوف لمرض نزل به فوجد عنده الحارث فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن اني لارجو ان يشفيك الله حتى يضر بك قوم وينتفع بك اخرون ثم قال للحارث بن كلدة عالج سعدا ابه وكان سعد بالمجلس فقال والله اني لارجو شفاه فيما ينفعه في رحله هل معك من هذه الثمرة العجوة شيء قال نعم فخلط ذلك التمر عليه ثم اوسعها سمنا ثم احساه اياها فكانما نشط من عقال وهذا استدل به على اسلام الحارث بن كلدة لان حجة الوداع لم يحج فيها مشرك فهو معدود من الصحابة وانكر بعضهم اسلامه وجعله دليلا على جواز استشارة اهل الكفر في الطب اذا كانوا من اهله ومن اسلم بدعاية ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ايضا طلحة بن عبيد الله التيمي فجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استجاب له فاسلم اي ولما تظاهر ابو بكر وطلحة بالاسلام اخذهما نوفل بن العدوية وكان يدعى اسد قريش فشدهما في حبل واحد فلم يمنعهما بنو تيم ولذلك سمي ابو بكر وطلحة القرينين ولشدة ابن العدوية وقوة شكيمته كان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اكفنا شر ابن العدوية اقول سبب اسلام طلحة بن عبيد الله رضي الله تعالى عنه ما تقدم انه قال حضرت سوق بصرى فاذا راهب في صومعته يقول سلوا اهل هذا الموسم هل ثم من اهل الحرم احد فقلت نعم انا قال هل ظهر احمد بعد قلت ومن احمد قال ابن عبد الله ابن عبد المطلب هذا شهره الذي يخرج فيه وهو اخر الانبيا مخرجه من الحرم ومهاجره الى ارض ذات نخل وسباخ فاياك ان تسبق اليه قال طلحة فوقع في قلبي ما قال فخرجت سريعا حتى قدمت مكة فقلت هل كان من حدث قالوا نعم محمد بن عبد الله الامين وقد تبعه ابن ابي قحافة فخرجت حتى دخلت على ابي بكر رضي الله تعالى عنه فاخبرته بما قال الراهب فخرج ابو بكر حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك

فسر بذلك واسم طلحة وطلحة هذا احد العشرة المبشرين بالجنة وقد شاركه
رجل اخر في اسمه واسم ابيه ونسبته وهو طلحة بن عبيد الله التيمي وهو الذي
نزل فيه قوله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله الاية لانه قال لئن مات محمد
رسول الله لاتزوجن عايشة وفي لفظ تزوج محمد بنات عمنا ويحجبهن عنا لئن
مات لاتزوجن عايشة من بعده فنزلت الاية قال الحافظ السيوطي وقد كنت
في وقفة شديدة من صحة هذا الخبر لان طلحة احد العشرة اجل مقاما من ان يصدر
عنه ذلك حتى رايت انه رجل اخر شاركه في اسمه واسم ابيه ونسبه هذا كلامه
والحاصل ان ابا بكر اسلم على يده خمسة من العشرة المبشرين بالجنة عثمان وطلحة
ابن عبيد الله ويقال له طلحة الفياض وطلحة الجود والزبير وسعد بن ابي وقاص
وعبد الرحمن بن عوف وزاد بعضهم سادسا وهو ابو عبيدة بن الجراح وكان كل من
ابي بكر وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بزازا وكان الزبير جزارا
وكان سعد بن ابي وقاص يصنع النبل والله اعلم ثم دخل الناس في الاسلام
ارسالا من الرجال والنسا وذكر في الاصل جماعة من السابقين للاسلام
منهم عبد الله بن مسعود وان سبب اسلامه ما حدث به قال كنت في غنم لآل
عقبة بن ابي معيط فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر بن ابي قحافة
فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل عندك لبن فقلت نعم ولكني مؤتمن قال فهل
عندك من شاة لم ينز عليها الفحل قلت نعم فاتيته بشاة شصوص لا ضرع
لها فمسح النبي صلى الله عليه وسلم مكان الضرع فاذا ضرع حافل مملو لبنا كذا
في الاصل وفي الصحاح كما في النهاية الشصوص التي ذهب لبنها وحينئذ يكون
قول الاصل لا ضرع لها اي لا لبن لها ويدل لذلك قول ابن حجر الهيتمي في شرح الاربعين
فمسح ضرعها وقول ابن مسعود فمسح مكان الضرع اي محل اللبن فاتيت النبي صلى
الله عليه وسلم بصخرة منقورة فاحتلب النبي صلى الله عليه وسلم فسقى ابا بكر وسقاني
ثم شرب ثم قال للضرع اقلص فرجع كما كان اي لا وجود له على ظاهر ما في الاصل
او لا لبن فيه على ما في النهاية كالصحاح والى ذلك اشار الامام السبكي في تائيته بقوله

ورب عناق ما نزى الفحل فوقها * مسحت عليها باليمين فدرت *

قال ابن مسعود فلما رايت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يا رسول
الله علمني فمسح راسي وقال بارك الله فيك فانك غلام معلم اقول فان قيل
قول ابن مسعود ولكني مؤتمن وعدوله صلى الله عليه وسلم عن ذات اللبن الى غيرها
يخالف ما سياتي في حديث المعراج والهجرة ان العادة كانت جارية باباحة مثل

مثل

مثل ذلك اللبن لابن السبيل اذا احتاج الى ذلك فكان متعارفا مشهورا بيعد خفاه
قلنا قد يقال لا مخالفة لان ابن السبيل المسافر وجاز ان يكون النبي صلى الله عليه
وسلم وابو بكر رضي الله تعالى عنه لم يكونا مسافرين لجواز ان تكون تلك الغنم التي
كان فيها ابن مسعود ببعض نواحي مكة القريبة منها التي لا يعد قاصدها مسافرا
ولعلهم لا ينافي ذلك ما سياتي ان من خصايصه انه صلى الله عليه وسلم ابيح له اخذ
الطعام والشراب من مالكهما المحتاج اليهما اذا احتاج صلى الله عليه وسلم اليهما
وانه يجب على مالكهما بذل ذلك له وكان عبد الله بن مسعود يعرف بامه وهي ام عبد
وكان قصيرا جدا طوله نحو ذراع خفيف اللحم فلما ضحكت الصحابة رضي الله عنهم من
دقة رجليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل عبد الله في الميزان اثقل من احد
وقال صلى الله عليه وسلم في حقه رضيت لامتي ما رضي لها ابن ام عبد وسخطت لها ما
سخط لها ابن ام عبد وقوله لرجل عبد الله في الميزان يدل للقول بان الموزون لا شان
نفسه لا عمله وكان صلى الله عليه وسلم يكرمه ويدنيه ولا يحجبه فلذلك كان كثير الولوج
عليه صلى الله عليه وسلم وكان يمشي امامه صلى الله عليه وسلم ومعه ويستره اذا
اغتسل ويوقظه اذا نام ويلبسه نعليه اذا قام فاذا جلس ادخلهما في ذراعيه
ولذلك كان مشهورا بين الصحابة رضي الله تعالى عنهم بانه صاحب سر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ولم اقف على انه
اسلم حين احلبت الشاة لكن قول العلامة ابن حجر الهيتمي في شرح الاربعين
اسلم قديما بمكة لما مر به صلى الله عليه وسلم وهو يرعى غنما الى اخره يدل على انه اسلم
حينئذ ومما يؤثر عنه الدنيا كلها هموم فما كان منها في سرور فهو ربح والله اعلم
قال وذكر في الاصل ان من السابقين ابا ذر الغفاري واسمه جندب بن جنادة
بضم الجيم فيهما قال وسبب اسلامه ما حدث به قال صليت قبل ان القى النبي صلى
الله عليه وسلم ثلاث سنين لله اتوجه حيث وجهني ربي فبلغنا ان رجلا خرج
بمكة يزعم انه نبي فقلت لاخي انيس انطلق الى هذا الرجل فكلمه واتني بخبره
فلما جاء انيس قلت له ما عندك فقال والله رايت رجلا يامر بالخير وينهى عن الشر
وفي رواية رايتك على دينك يزعم ان الله ارسله ورايته يامر بمكارم الاخلاق
قلت فما يقول الناس قال تقولون شاعر كاهن ساحر والله انه لصادق وانهم
لكاذبون فقلت اكفني حتى اذهب فانظر قال نعم وكن على حذر من اهل
مكة فحملت جرابا وعصا ثم اقبلت حتى اتيت مكة فجعلت لا اعرفه واكره ان اسال
عنه فمكثت في المسجد ثلاثين ليلة ويوما وما كان لي طعام الا ماء زمزم فسمنت حتى

تكسرت عكن بطني وما وجدت على بطني سخفة جوع والسخفة بالتحريك رقة حرارة يجدها الانسان من الجوع ففي ليلة لم يطف بالبيت احد واذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه جاءا فطافا بالبيت ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قضى صلاته اتيته فقلت السلام عليك يا رسول الله اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فرايت الاستبشار في وجهه ثم قال من الرجل قلت من غفار بكسر الغين المعجمة قال متى كنت قال كنت من ثلاثين ليلة ويوم ههنا قال فما كان طعامك قلت ما كان لي طعام الا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطني وما اجد على بطني سخفة جوع قال تبارك انها طعام طعم وشفاء سقم اي وجاء ماء زمزم لما شرب له ان شربته لتستشفي شفاك الله وان شربته لتشبع اشبعك الله وان شربته ليقطع ظماك قطعه الله وهي هزمة جبريل وسقيا الله اسمعيل وجاء التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق وجاء اية ما بيننا وبين المنافقين انهم لا يتضلعون من ماء زمزم وذكر ان ابا ذر اول من قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك التي هي تحية الاسلام فهو اول من حيا رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحية الاسلام وبايع صلى الله عليه وسلم على ان لا يأخذه في الله لومة لائم وعلى ان يقول الحق ولو كان مرا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اظلت الخضراء السماء ولا اقلت الغبراء اي الارض اصدق من ابي ذر وقال صلى الله عليه وسلم في حقه ابو ذر يمشي في الارض على زهد عيسى بن مريم وفي الحديث ابو ذر ازهد امتي واصدقها وقد هاجر ابو ذر الى الشام بعد وفاة ابي بكر واستمر الى ان ولي عثمان فاستقدمه من الشام لشكوى معاوية منه واسكنه الربذة فكان بها حتى مات فان ابا ذر كان يغلظ القول لمعاوية ويكلمه الكلام الخشن وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان لقي ابي ذر لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان بدلالة علي رضي الله تعالى عنه وانه قال له ابو ذر ان كتمت علي اخبرتك وفي رواية ان اعطيتني عهدا وميثاقا ان ترشدني اخبرتك ففعل قال ابو ذر فاخبرته فارشدني واوصلني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلمت وفي الامتاع ان عليا استضاف ابا ذر ثلاثة ايام لا يسأله عن شيء وهو لا يخبره ثم في الثالث قال له ما امرك وما اقدمك هذه البلدة قال له ان كتمت علي اخبرتك قال فاني افعل قال بلغنا انه خرج ههنا رجل يزعم انه نبي فارسلت اخي ليكلمه فرجع ولم يشفني من الخبر فاردت ان القاه فقال اما انك قد رشدت هذا وجهي اليه فاتبعني ادخل حيث ادخل فان رايت احدا اخافه عليك قمت الى الحائط كاني اصلح نعلي وفي لفظ كاني اريق الما فامض انت

قال ابو ذر فمضى ومضيت حتى دخل ودخلت معه على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له اعرض علي الاسلام فعرضه علي فاسلمت مكاني الحديث وما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم له من كان يطعمك وجواب ابي ذر له صلى الله عليه وسلم بقوله ما كان لي طعام الا ماء زمزم يبعد ان يكون علي رضي الله عنه اضاف ابا ذر ولم ياكل عنده وكذا يبعده ما جاء ان ابا بكر قال يا رسول الله ائذن لي في طعامه الليلة قال ابو ذر فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر فانطلقت معهما ففتح ابو بكر بابا فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف فكان ذلك اول طعام اكلته الا ان يحمل الطعام على خصوص الزبيب ويمكن التوفيق بين الروايتين اي رواية دخوله على النبي صلى الله عليه وسلم مع علي فاسلم ورواية اجتماعه به في الطواف فاسلم بان يكون ابو ذر دخل عليه اولا مع علي ثم لقيه في الطواف ويكون المراد حينئذ باسلامه الثاني الثبات عليه بتكرير الشهادتين وعد رضي الله عنه لعدم اجتماعه به في المسجد مدة ثلاثين يوما عدم خلو المطاف كما يرشد لذلك قوله ففي ليلة لم يطف بالبيت احد الى اخره والا فيبعد ان يكون صلى الله عليه وسلم لم يدخل المسجد للطواف مدة ثلاثين يوما ويبعد هذا الجمع قوله صلى الله عليه وسلم له من الرجل الى اخره ثم قال صلى الله عليه وسلم لابي ذر يا ابا ذر اكتم هذا الامر وارجع الى قومك فاخبرهم يأتوني فاذا بلغك ظهورنا فاقبل فقلت والذي بعثك بالحق لاصرخن بها بين ظهرانيهم قال وكنت في الاسلام خامسا وفي رواية رابعا ولعل المراد من الاعراب فلا ينافي ما ياتي في وصف خالد بن سعيد فلما اجتمعت قريش بالمسجد ناديت باعلا صوتي اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا قوموا الى هذا الصابي فضربت لاموت وفي لفظ فاغرى اهل الوادي بكل مدرة وعظم حتى خرجت مغشيا علي فاكب علي العباس ثم قال ويلكم الستم تعلمون انه من غفار وان طريق تجاراتكم عليهم فخلوا عني قال فجئت زمزم فغسلت عني الدما فلما اصبحت الغداة رجعت لمثل ذلك فصنع بي مثل ما صنع وادركني العباس وكان منه كالامس فخرجت واتيت انيسا فقال ما صنعت فقلت قد اسلمت وصدقت فقال ما لي رغبة عن دينك فاني قد اسلمت وصدقت فاتينا امنا فقالت ما لي رغبة عن دينكما فاني اسلمت وصدقت ثم اتينا قومنا غفار فاسلم نصفهم وقال نصفهم اذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اسلمنا فلما جاء المدينة اسلم النصف الثاني اي لانه صلى الله عليه وسلم قال لابي ذر اني قد وجهت لي ارض ذات نخل لا اراها الا يثرب فهل مبلغ قومك

عسى الله ان ينفعهم بك ويوجرك فيهم وجاءت اسلم القبيلة المعروفة
فقالوا يا رسول الله نسلم على الذى اسلم عليه اخواننا فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم غفار غفر الله لها واسلم سالمها الله اى وقد ذكر ان اباذر وقف
يوما عند الكعبة اى فى حجة حجها او عمرة اعتمرها فاكتنفه الناس فقال لهم
لو ان احدكم اراد سفرا اليس يعد زادا فقالوا بلى فقال سفر القيامة ابعد مما
تريدون فخذوا ما يصلحكم قالوا وما يصلحنا قال حجوا حجة لعظائم الامور
وصوموا يوما شديدا حره ليوم النشور وصلوا فى ظلمة الليل لوحشة القبور
وممن اسلم خالد بن سعيد بن العاص رضى الله تعالى عنه قيل كان حين اسلم
رابعا وقيل ثالثا وقيل خامسا وهو اول من اسلم من اخوته ويمكن ان يكون
ذلك محمل قول ابنته ام خالد اول من اسلم ابى اى من اخوته وسبب اسلامه انه
راى فى النوم النار وراى من فظاعتها واهوالها امرا مهولا وراى اباه على شفيرها
وان اباه يريد ان يلقيه فيها وراى رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذا
بحجزته يمنعه من الوقوع فيها فقام من نومه فزعا وعلم ان نجاته من النار تكون
على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى ابا بكر فذكر له ذلك فقال له اريد
بك خير هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعه فاتاه فقال يا رسول الله محمد
ما تدعو اليه قال ادعو الى الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وتخلع
ما انت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع فاسلم خالد وفى
الوفا عن ام خالد بنت خالد بن سعيد انها قالت كان خالد بن سعيد ذات ليلة
نائما قبيل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رايت كانه غشيت مكة
ظلمة حتى لا يبصر امرؤ كفه فبينما هو كذلك اذ خرج نور اى من زمزم ثم علا فى
السما فاضاءت لى البيت ثم اضاءت مكة كلها ثم تحول الى يثرب فاضاءها حتى
انى لانظر الى البسر فى النخل فاستيقظت فقصصتها على اخى عمرو بن سعيد
وكان جزل الراى فقال يا اخى ان هذا الامر يكون فى بنى عبد المطلب الا ترى
انه خرج من حفرة ابيهم ثم انه ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم اى بعد
مبعثه فقال يا خالد انا والله ذلك النور وانا رسول الله وقص عليه ما بعثه الله
به فاسلم خالد وعلم ابوه وهو سعيد ابو احيحة وكان من عظماء قريش كان اذا
اعتم لم يعتم قرشى اعظاما له ومن ثم قال فيه القايل

ابا احيحة من يعتم عمته • يضرب وان كان ذا مال وذا عدد •

وعلم اسلام ولده خالد ارسل فى طلبه فانتهره وضربه اى بمقرعة كانت فى يده

حتى

حتى كسرها على راسه ثم قال اتبعت محمدا وانت ترى خلافه لقومه وما جاء به من
عيب الهتهم وعيب من مضى من ابائهم فقال والله تبعته على ما جاء به فغضب
ابوه وقال اذهب يا لكع حيث شئت وقال والله لامنعنك القوت قال ان منعتنى
فان الله يرزقنى ما اعيش به فاخرجه وقال لبنيه لم يكونوا اسلموا لا يكلمه احد
منكم الا صنعت به فانصرف خالد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يلزمه
ويعيش معه ويغيب عن ابيه فى نواحى مكة حتى خرج اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى ارض الحبشة فى الهجرة الثانية فكان خالد اول من هاجر اليها وذكر عن
والده سعيد انه مرض فقال ان رفعنى الله من مرضى هذا لا يعبد اله ابن ابى كبشة
بمكة ابدا فقال خالد عند ذلك اللهم لا ترفعه فتوفى فى مرضه ذلك وخالد هذا اول
من كتب بسم الله الرحمن الرحيم واسلم اخوه عمرو بن سعيد بن العاص رضى الله تعالى
عنه قيل وسبب اسلامه انه راى نورا خرج من زمزم اضاءت له منه نخل المدينة
حتى راى البسر فيها فقص رؤياه فقيل له هذه بير بنى عبد المطلب وهذا النور منهم
يكون فكان سببا لاسلامه وتقدم قريبا ان هذه الرؤيا وقعت لخالد وكانت سبب
اسلامه وانه قصها على اخيه عمرو المذكور فهو من خلط بعض الرواة الا ان يقال
لا مانع من تعدد هذه الرؤيا لخالد ولاخيه عمرو وانها كانت سببا لاسلامهما واسلم
من بنى سعيد ايضا ابان والحكم الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله
اى واسلم صهيب رضى الله عنه ومن السابقين للاسلام صهيب كان ابوه عاملا
لكسرى فاغارت الروم عليهم فسبت صهيبا وهو غلام صغير فنشا فى الروم حتى كبر ثم
ابتاعه جماعة من العرب فجاؤا به الى سوق عكاظ فابتاعه منهم بعض اهل مكة
اى وهو عبد الله بن جدعان فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مر صهيب على
دار رسول الله صلى الله عليه وسلم فراى عمار بن ياسر فقال له عمار بن ياسر اين تريد يا صهيب
قال اريد ان ادخل الى محمد فاسمع كلامه وما يدعو اليه قال عمار وانا اريد
ذلك فدخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرهما بالجلوس فجلسا وعرض عليهما
الاسلام وتلا عليهما القران فتشهدا ثم مكثا عنده يومهما ذلك حتى امسيا خرجا
مستخفيين فدخل عمار على امه وابيه فسالاه اين كان فاخبرهما باسلامه وعرض
عليهما الاسلام وقرا عليهما ما حفظ من القران فى يومه ذلك فاعجبهما فاسلما
على يده فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسميه الطيب المطيب وكان اسلام
صهيب وعمار رضى الله تعالى عنهما بعد بضع وثلاثين رجلا واسلم ايضا حصين والد
عمران وسبب اسلامه ان قريشا جاءت به اليه وكانت تعظمه وتجله فقالوا له كلم لنا

هذا الرجل فانه يذكر آلهتنا ويسبها فجاؤا معه حتى جلسوا قريبا من باب النبي
صلى الله عليه وسلم ودخل حصين فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال اوسعوا للشيخ
وعمران ولده في الصحابة فقال حصين ما هذا الذي بلغنا عنك انك تشتم آلهتنا
وتذكرها فقال يا حصين كم تعبد من اله قال سبعة في الارض وواحد في السما فقال
فاذا اصابك الضر من تدعوه قال الذي في السما قال فاذا هلك المال فمن تدعو
قال الذي في السما قال فيستجيب لك وحده وتشركهم معه ارضيته ام تشهد يا حصين
اسلم تسلم فاسلم فقام اليه ولده عمران فقبل راسه ويديه ورجليه وبكى النبي
صلى الله عليه وسلم وقال بكيت من صنع عمران دخل حصين وهو كافر فلم يقم اليه عمران
ولم يلتفت ناحيته فلما اسلم وفى حقه فدخلني من ذلك الرقة فلما اراد حصين
الخروج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه شيعوه الى منزله فلما خرج
من سدة الباب اى عتبته راته قريش فقالوا قد صبا وتفرقوا عنه

باب استخفائه

صلى الله عليه وسلم واصحابه في دار الارقم بن ابي الارقم رضي الله تعالى
عنهما ودعائه صلى الله عليه وسلم الى الاسلام جهرة وكلام قريش لابي طالب في ان
يخلي بينهم وبينه وما لقي هو واصحابه من الاذى واسلام عمه حمزة رضي الله تعالى
عنه عن ابن اسحاق ان مدة ما اخفى صلى الله عليه وسلم امره اى المدة التي صار يدعو
الناس فيها خفية بعد نزول يا ايها المدثر ثلاث سنين اى كان من اسلم اذا اراد
الصلاة يذهب الى بعض الشعاب يستخفي بصلاته من المشركين اى كما تقدم
بينما سعد بن ابي وقاص في نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعب
من شعب مكة اذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون فناكروهم وعابوا
عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم فضرب سعد بن ابي وقاص رجلا منهم بلحي بعير
فشجه فهو اول دم اهريق في الاسلام ثم دخل صلى الله عليه وسلم هو واصحابه
مستخفين في دار الارقم اى بعد هذه الواقعة فان جماعة اسلموا قبل دخوله صلى
الله عليه وسلم دار الارقم ودار الارقم هي المعروفة الان بدار الخيزران عند الصفا
اشتراها الخليفة المنصور واعطاها ولده المهدي ثم اعطاها المهدي للخيزران
ام ولديه موسى الهادي وهارون الرشيد ولا يعرف امراة ولدت خليفتين الا
هذه وولادة جارية عبد الملك بن مروان فانها ام الوليد وسليمان ٥ وقد روت
الخيزران عن زوجها المهدي عن جده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من اتقى الله وقاه الله كل شيء فكان صلى الله عليه وسلم
واصحابه يقيمون الصلاة بدار الارقم ويعبدون الله تعالى فيها الى ان امره الله تعالى

باظهار

باظهار الدين اى وهذا السياق يدل على انه صلى الله عليه وسلم استمر مستخفيا هو
واصحابه في دار الارقم الى ان اظهر الدعوة واعلن صلى الله عليه وسلم في السنة الرا
اى وقيل مدة استخفائه صلى الله عليه وسلم اربع سنين واعلن في الخامسة وقيل
اقاموا في تلك الدار شهرا وهم تسعة وثلاثون وقد يقال الاقامة شهرا مخصوصة
بالعدد المذكور فلا منافاة واعلانه صلى الله عليه وسلم كان في الرابعة او في الخامسة
بقوله تعالى فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين وبقوله تعالى وانذر عشيرتك
الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين اى اظهر ما تؤمر به من الشرائع
وادع الى الله تعالى ولا تبال بالمشركين وخوف بالعقوبة عشيرتك الاقربين وهم
بنوا هاشم وبنوا المطلب اى وبنوا عبد شمس وبنوا نوفل اولاد عبد المطلب بدليل
ما ياتي قال بعضهم اية فاصدع بما تؤمر اشتملت على شرائط الرسالة وشرائعها واحكامها
وحلالها وحرامها قال بعضهم انما امر بالصدع لغلبة الرحمة عليه صلى الله
عليه وسلم قال ذكر بعضهم انه لما نزل عليه صلى الله عليه وسلم قوله تعالى وانذر عشيرتك
الاقربين اشتد ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وضاق به ذرعا اى عجز عن احتماله
٥ فمكث شهرا او نحوه جالسا في بيته حتى ظن عماته انه شاك اى مريض فدخلن
عليه عائدات فقال صلى الله عليه وسلم ما اشتكيت شيئا لكن الله امرني بقوله وانذر
عشيرتك الاقربين فاريد ان اجمع بني عبد المطلب لادعوهم الى الله تعالى قلن
فادعهم ولا تجعل عبد العزى فيهم يعنين عمه ابا لهب فانه غير مجيبك الى ما تدعوه
اليه وخرجن من عنده صلى الله عليه وسلم اى وكني عبد العزى بابي لهب لجمال وجهه
ونضارة لونه كانه وجهه وجنتاه كلهب النار اى خلافا لما زعمه بعضهم ان ولده
عتيبا الاسد او ولدا غيره كان اسمه لهب قال في الاتقان ليس في القرآن من الكنى
غير ابي لهب ولم يذكر باسمه وهو ان الحرام وضع ذلك لا استعماله وفي كلام القاضي
ما يفيد ان الاستعمال حرام ايضا الا ان يشتهر بذلك كالتكني في الاوصاف المنقصة كالاعمش
قال وفي الامتاع وانما كناه والكنية تكرمة اى بالعدول عن الاسم اليها
لاشتهاره بكنيته ولان اسمه عبد العزى الذي هو الصنم فاستكره ذكره ولانه
لما كان من اصحاب النار كانت الكنية اوفق بحاله في الاخرة فهي كنية تفيد الذم فاندفع
ما يقال هذا يخالف قولهم ولا يكنى كافر وفاسق ومبتدع الا لخوف فتنة او تعريف لان
محل ذلك في الكنية التي تفيد المدح لا الذم ولم يشتهر بها صاحبها وفي رواية فلما
اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى بني عبد المطلب فحضروا وكان فيهم ابو
لهب فلما اخبرهم بما انزل الله عليه اسمعه ما يكره فقال تبا لك الهذا جمعتنا اى لاجله

حجرا البرمية به وقال له ما رايت احدا قط جاء بني ابيه وقومه باشر مما جئتهم به فسكت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتكلم في ذلك المجلس انتهى اى **وفيه** انه اى ابا لهب
ظن انه صلى الله عليه وسلم يريد ان ينزع عما يكرهون الى ما يحبون فقال له هولاء
عمومتك وبنو عمومتك فتكلم بما تريد واترك الصباة واعلم انه ليس لقومك بالعرب
طاقة وان احق من اخذك وحبسك اسرتك وبنو ابيك ان اقمت على امرك فهو
ايسر عليك من ان تثب عليك بطون قريش وتمدها العرب فما رايت يا ابن اخي
احدا قط جاء بني ابيه وقومه بشر مما جئتهم به وعند ذلك انزل الله تعالى تبت
اى خسرت وهلكت يدا ابي لهب وتب اى خسر وهلك بجملته اى او المراد بالاول
جملته عبر عنها باليدين مجازا والمراد به الدعا وبالثاني الخبر على حد قولهم اهلكه
الله وقد هلك اى ولما قال ابو لهب عند نزول تبت يدا ابي لهب وتب ان كان ما يقول له
محمد حقا افتديت منه بمالي وولدي نزل ما اغنى عنه ماله وما كسب اى اولاده لان
الولد من كسب ابيه اى **وفي** رواية وهو في الصحيحين انه دعا قريشا فاجتمعوا
فخص وعم فقال يا بني كعب بن لوي انقذوا انفسكم من النار يا بني مرة بن كعب
انقذوا انفسكم من النار **وفي** الحديث انه لما امر بالانذار لعشيرته الاقربين
ثمرة له صلى الله عليه وسلم يا بني هاشم انقذوا انفسكم من النار يا بني عبد شمس
انقذوا انفسكم من النار يا بني عبد مناف انقذوا انفسكم من النار يا بني زهرة
انقذوا انفسكم من النار يا بني عبد المطلب انقذوا انفسكم من النار يا فاطمة
انقذي نفسك من النار يا صفية عمة محمد انقذي نفسك من النار فاني لا املك
لكم من الله شيئا **وفي** لفظ فاني لا املك لكم من الدنيا منفعة ولا من الاخرة نصيبا
الا ان تقولوا لا اله الا الله اى لا تتكلوا على قرابتكم مني فهو تحث لهم
على صالح الاعمال وترك الاتكال غير ان لكم رحما سابلها ببلالها اى اصلها بالدعا اى
والبلال بالفتح كقطام ما يبل الحلق من الما واللبن وبالجمع اذا وصلها وبلوا ارحامكم
ندوها بالصلة **وفي** الحديث بلوا ارحامكم ولو بالسلام اى صلوها اى **وقد**
ذكر ابتنا ضابط الصلة **وفي** تخصيصه صلى الله عليه وسلم فاطمة من بين بناته
مع انها اصغرهن وقيل اصغرهن رقية وتخصيصه صلى الله عليه وسلم صفية من
بين عماته حكمة لا تخفى **ومن** الغريب ما في الكشاف من زيادة يا عايشة بنت ابي بكر
يا حفصة بنت عمر **وعندي** اذ ذكر عايشة وحفصة بل وفاطمة هنا من غلط بعض
الرواة وان هذا ذكره صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فذكره بعض الرواة هنا فان
المراد بالانقاذ من النار الاتيان بالاسلام بدليل قوله صلى الله عليه وسلم الا ان

تقولوا

تقولوا لا اله الا الله مع انه تقدم ان بناته عليه الصلاة والسلام لم يكن كفارا **ثم**
مكث صلى الله عليه وسلم اياما ونزل عليه جبريل وامره بامضا امر الله تعالى فجمعهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانيا وخطبهم ثم قال لهم ان الرائد لا يكذب اهله والله لو
كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم والله الذي لا اله الا
هو اني لرسول الله اليكم خاصة والى الناس كافة والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما
تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون ولتجزون بالاحسان احسانا وبالسوء سوءا وانها الجنة
ابدا والنار ابدا والله يا بني عبد المطلب ما اعلم شابا جاء قومه بافضل ما جئتكم به اني
قد جئتكم بامر الدنيا والاخرة فتكلم القوم كلاما لينا غير ابي لهب فانه قال يا بني عبد
المطلب هذه والله السوأة خذوا على يديه قبل ان ياخذ على يديكم قبل ان ياخذ على
يديكم غيركم فان اسلمتموه ذللتم وان منعتموه قتلتم فقالت له اخته صفية عمة رسول
الله صلى الله عليه وسلم رضي الله تعالى عنها اى اخي ايحسن بك خذلان ابن اخيك فوالله
ما زال العلما يخبرون انه يخرج من ضئضئ اى اصل عبد المطلب نبي فهو هو قال هذا
والله الباطل والاماني وكلام النسا في الحجال اذا قامت بطون قريش وقامت العرب
معها فما قوتنا بهم فوالله ما نحن عندهم الا اكلة راس فقال ابو طالب والله لنمنعنه
ما بقينا ثم دعا النبي صلى الله عليه وسلم جميع قريش وهو قائم على الصفا وقال ان اخبرتكم ان
خيلا تخرج من سنح بالنون والحا المهملة اى اصل وفي لفظ سفح بالفا والحا المهملة
هذا الجبل تريد ان تغير عليكم اكنتم تكذبوني قال ما جربنا عليك كذبا فقال يا معشر
قريش انقذوا انفسكم من النار فاني لا اغني عنكم من الله شيئا اني لكم نذير مبين بين
يدي عذاب شديد اى وفي لفظ انما مثلي ومثلكم كمثل رجل راى العدو فانطلق يريد
اهله فخشي ان يسبقوه الى اهله فجعل يهتف يا صباحاه يا صباحاه اتيتم اتيتم
ومن امثاله صلى الله عليه وسلم انا النذير العريان اى الذي ظهر صدقه من قولهم عري الامر
اذا ظهر وقولهم الحق عار اى ظاهر وقيل الذي جرده العدو فاقبل عريانا ينذر بالعدو
وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما انه حفظ عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم الف مثل **واختلف** الروايات في محل وقوفه ففي رواية وقف على الصفا كما
تقدم وفي رواية وقف على رضمة من جبل فعلا اعلاها حجرا يهتف يا صباحاه فقالوا
من هذا الذي يهتف قالوا محمد فاجتمعوا اليه فجعل الرجل اذا لم يستطع ان يخرج
ارسل رسولا الحديث وفي رواية صاح على ابي قبيس يا آل عبد مناف اني نذير
وروي انه لما نزل قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين جمع بني عبد المطلب في دار ابي
طالب وهم اربعون وفي الامتاع خمسة واربعون رجلا والمرنال فصنع لهم طعاما

اى رجل شاة مع مد من البر وصاعا من لبن فقدمت لهم الجفنة وقال كلوا بسم الله
فاكلوا حتى شبعوا وشربوا حتى نهلوا وفي رواية حتى رووا وفي رواية قال ادن لى عشرة
عشرة فدنى القوم عشرة عشرة ثم تناول القعب الذى فيه اللبن فجرع منه ثم
ناولهم وكان الرجل منهم ياكل الجذعة وفي رواية يشرب العس من الشراب فى مقعد واحد
فتعجبوا من ذلك فلما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكلم بدره ابو لهب بالكلام فقال
لقد سحركم صاحبكم سحرا عظيما وفي رواية سحركم محمد وفي رواية ما راينا كالسحر اليوم فتفرقوا
ولم يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان الغد قال يا على عد لنا بمثل ما صنعت
بالامس من الطعام والشراب قال على ففعلت ثم جمعتهم له صلى الله عليه وسلم فاكلوا حتى
شبعوا حتى نهلوا ثم قال لهم يا بنى عبد المطلب ان الله قد بعثنى الى الخلق كافة وبعثنى
اليكم خاصة فقال وانذر عشيرتك الاقربين وانا ادعوكم الى كلمتين خفيفتين
على اللسان ثقيلتين فى الميزان شهادة ان لا اله الا الله وانى رسول الله فمن يجيبنى
الى هذا الامر ويوازرنى اى يعاوننى على القيام قال على انا يا رسول الله وانا احدثهم
سنا وسكت القوم وزاد بعضهم فى الرواية يكن اخى ووزيرى ووارثى وخليفتى
من بعدى فلم يجبه احد منهم فقام على وقال انا يا رسول الله قال اجلس ثم اعاد القول
على القوم فصمتوا فقام على وقال انا يا رسول الله فقال اجلس ثم اعاد القول على القوم
فلم يجبه احد منهم فقام على فقال انا يا رسول الله فقال اجلس فانت اخى ووزيرى
ووصيى ووارثى وخليفتى من بعدى قال الامام ابو العباس بن تيمية فى الزيادة
المذكورة انها كذب وحديث موضوع من له ادنى معرفة فى الحديث يعلم ذلك وقد
رواه اى الحديث مع زيادة المذكورة ابن جرير والبغوى رواه اى الحديث مع زيادة
المذكورة ابن جرير والبغوى باسناد فيه ابو مريم الكوفى وهو مجمع على تركه وقال
احمد انه ليس بثقة عامة احاديثه بواطيل وقال ابن المدينى كان يضع الحديث
وفي رواية عن على رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر خديجة
فصنعت طعاما ثم قال لى ادع لى بنى عبد المطلب فدعوت اربعين رجلا الحديث ولا
مانع من تكرر فعل ذلك ويجوز ان يكون على فعل ذلك عند خديجة فجاء به الى بيت
ابى طالب ولعل جمعهم هذا كان متاخرا عن جمعهم مع غيرهم المتقدم ذكره ويشهد
له السياق فعل ذلك حرصا على اسلام اهل المدينة بيته فلما دعى قومه ولم يردوا
عليه ولم يعيبوه اى وفي رواية صار كفار قريش غير منكرين لما يقول فكان صلى
الله عليه وسلم اذا مر عليهم فى مجالسهم يشيرون اليه ان غلام بنى عبد المطلب ليكلم
من السما وكان ذلك دابهم حتى عاب الهتهم اى وسفه عقولهم وضلل اباهم

وشربوا

اي

اى حتى مر عليهم يوما وهم فى المسجد الحرام يسجدون للاصنام فقال يا معشر قريش والله
لقد خالفتم ملة ابيكم ابراهيم فقالوا انما نعبدها اى الاصنام حبا لله لتقربنا الى الله فانزل
الله تعالى عليه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله فتناكروه واجمعوا خلافه
وعداوته الا من عصم الله منهم وجاءوا الى بيت ابى طالب وقالوا يا ابا طالب ان ابن
اخيك قد سب الهتنا وعاب ديننا وسفه احلامنا اى عقولنا ونسبنا الى قلة العقل
وضلل اباءنا فاما ان تكفه عنا واما ان تخلى بيننا وبينه فانك على مثل ما نحن عليه
من خلافه فقال لهم ابو طالب قولا رفيقا وردهم ردا جميلا فانصرفوا عنه ومضى رسول
الله صلى الله عليه وسلم يظهر دين الله ويدعوا اليه لا يرده عن ذلك شئ والى ذلك اشار
صاحب الهمزية بقوله

ثم قام النبى يدعوا الى الله ... وفي الكفر شدة واباء

اما اشربت قلوبهم الكفر فداء ... الضلال فيهم عياء

اى ثم قام صلى الله عليه وسلم يدعوا عامتهم الى الله تعالى بان يقولوا لا اله الا الله
حين امر فقد جاء ان جبريل تبدا له صلى الله عليه وسلم فى احسن صورة واطيب رائحة
وقال يا محمد ان الله يقريك السلام ويقول لك انت رسول الله الى الجن والانس فادعهم
الى قول لا اله الا الله فدعاهم والحال ان فى اهل الكفر قوة تامة وامتناعا عن اتباعه
اختلط الكفر بقلوبهم وتمكن فيها حبه حتى صارت لا تقبل غيره وبسبب ذلك صار
دا الضلال فيهم عضالا يعيى الاطبا مداواته وحصول شفائه ثم سرى الامر الى
المحبة وكسر الدال وفتح المثناة تحت كثر وتزايد وانتشر بينهم وبينه حتى تباعد
الرجال وتضاغنوا اى اضمروا العداوة والحقد واكثرت قريش ذكر رسول الله صلى
الله عليه وسلم بينها وتذامروا عليه بالذال المعجمة وحض اى حث بعضهم بعضا عليه اى
على حربه وعداوته ومقاطعته ثم انهم مشوا الى ابى طالب مرة اخرى فقالوا يا ابا
طالب ان لك سنا وشرفا ومنزلة فينا وانا قد طلبنا منك ان تنهى ابن اخيك فلم
تنهه عنا وانا والله لا نصبر على هذا من شتم الهتنا وتسفيه احلامنا اى عقولنا
وعيب الهتنا حتى تكفه عنا او ننازله واياك فى ذلك حتى يهلك احد الفريقين ثم
انصرفوا عنه فعظم على ابى طالب فراق قومه وعداوته ولم يطب نفسا بان يخذل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا ابن اخى ان قومك قد جاؤنى فقالوا لى كذا وكذا
فابق علىّ وعلى نفسك ولا تحملنى من الامر ما لا اطيق فظن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان عمه خاذله وانه ضعف عن نصرته والقيام معه فقال له يا عم والله لو وضعوا
الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على ان اترك هذا الامر حتى يظهره الله تعالى او اهلك

فيه ما تركته ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم اي حصلت له العبرة التي هي دمع العين فبكى ثم قام فلما ولى ناداه ابو طالب فقال اقبل يا ابن اخي فاقبل عليه فقال اذهب يا ابن اخي فقل ما احببت فوالله لا اسلمك وانشد ابياتا منها

والله لن يصلوا اليك بجمعهم • حتى اوسد في التراب دفينا

وحكمة تخصيص الشمس والقمر بالذكر وجعل الشمس في اليمين والقمر في اليسار لا يخفى لان الشمس النير الاعظم واليمين اليق به والقمر النير الممحو واليسار اليق به وخص النيرين حيث ضرب المثل بهما لان الذي جاء به نور وهو تعالى يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ومن غريب التعبير ان رجلا كان عاملا لسيدنا عمر رضي الله تعالى عنه فقال لسيدنا عمر اني رايت في المنام كان الشمس والقمر يقتتلان ومع كل واحد منهما نجوم فقال له عمر مع ايهما كنت قال مع القمر قال كنت مع الاية الممحوة اذهب فلا تعمل لي عملا فاتفق ان هذا الرجل كان مع معاوية يوم صفين وقتل ذلك اليوم فلما عرفت قريش ان ابا طالب قد ابى خذلان رسول الله صلى الله عليه وسلم مشوا اليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له يا ابا طالب هذا عمارة بن الوليد بن المغيرة انهد اي اشد واقوى فتى في قريش واجمله فخذه لك ولدا اي بان تتبناه واسلم الينا ابن اخيك هذا الذي خالف دينك ودين ابائك ه وفرق جماعة قومك وسفه احلامهم فنقتله فانما هو رجل كرجل فقال لهم ابو طالب والله لبئس ما تسومونني اتعطونني ابنكم اغذوه لكم واعطيكم ابني تقتلونه هذا والله لا يكون ابدا اي وقال ارايتم ناقة تحن الى غير فصيلها ه قال المطعم بن عدي والله يا ابا طالب لقد انصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكره فما اراك تريد ان تقبل منهم شيئا فقال له ابو طالب والله ما انصفوني ولكن قد اجمعت اي قصدت خذلاني ومظاهرة القوم اي معاونتهم علي فاصنع ما بدا لك وقد مات عمارة ابن الوليد هذا على كفره بارض الحبشة بعد ان سحر وتوحش وسار في البراري والقفار كما سياتي ومات المطعم بن عدي المذكور على كفره ايضا فعند عدم قبول ابي طالب ما ارادوه اشتد الامر ولما راى ابو طالب من قريش ما راى دعا بني هاشم وبني المطلب الى ما هو عليه من منع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقيام دونه فاجابوه الى ذلك غير ابي لهب فكان من المجاهرين بالظلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل من امن به وتوالى الاذى من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى من اسلم معه ومما وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الاذية ما حدث به عمه العباس رضي الله تعالى عنه قال كنت يوما في المسجد فاقبل ابو جهل فقال لله علي ان رايت محمدا

ساجدا

ساجدا ان اطأ عنقه فخرجت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بقول ابي جهل فخرج غضبان حتى دخل المسجد فعجل ان يدخل من الباب فاقتحم من الحائط وقرا اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق حتى بلغ شان ابي جهل كلا ان الانسان ليطغى ان راه استغنى الى ان بلغ اخر السورة سجد فقال انسان لابي جهل يا ابا الحكم هذا محمد قد سجد فاقبل اليه ثم نكص راجعا فقيل له في ذلك فقال ابو جهل الا ترون ما ارى لقد سد الافق علي وفي رواية رايت بيني وبينه خندقا من نار وسياتي ان قوله ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى الى اخر السورة نزل في ابي جهل ومن ذلك ما حدث به بعضهم قال ذكر ان ابا جهل بن هشام قال يوما لقريش يا معشر قريش ان محمدا قد ابى الا ما ترون من عيب دينكم وشتم الهتكم وتسفيه احلامكم وسب ابائكم اني اعاهد الله لاجلسن له يعني النبي صلى الله عليه وسلم غدا بحجر لا اطيق حمله فاذا سجد في صلاته رضخت به راسه فاسلموني عند ذلك او امنعوني فليصنع بي بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم قالوا والله لا نسلمك لشيء ابدا فامض لما تريد فلما اصبح ابو جهل اخذ حجرا كما وصف ثم جلس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظره فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يغدو الى الصلاة اي وكانت قبلته صلى الله عليه وسلم الى الشام الصخرة بيت المقدس فكان يصلي بين الركن اليماني والحجر الاسود ويجعل الكعبة بينه وبين الشام على ما تقدم وقريش جلوس في انديتهم وهم ينظرون ما ابو جهل فاعل فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم احتمل ابو جهل الحجر ثم اقبل نحوه حتى اذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه اي متغيرا بالصفرة مع الكدرة من الفزع قد يبست يداه على حجره حتى قذفه من يده اي بعد ان عالجوا فكه من يده كما سياتي وقامت اليه رجال من قريش وقالوا ما لك يا ابا الحكم قال قمت اليه لافعل ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لي فحل من الابل ما رايت مثله قط هم بي ان ياكلني فلما ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذاك جبريل لو دنا لاخذه والى ذلك اشار صاحب الهمزية بقوله

وابو جهل اذ راى عنق الفحل اليه كانه العنقاء

اي وابو جهل الذي هو اشد الاعداء على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت اذ هم ان يلقي الحجر عليه صلى الله عليه وسلم وهو ساجد ابصر عنق الفحل وقد برزت اليه كانه الداهية العظيمة اي فرجع عن ذلك الرمي بذلك الحجر اي وفي رواية ان ابا جهل قال رايت بيني وبينه لخندقا من نار وهولا مانعا ان يكون

وتجد الامرين معًا وذكر في سبب نزول قوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم
اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون اى انا جعلنا ايديهم متصلة باعناقهم
واصلة الى اذقانهم ملصقة بها رافعون رؤسهم لا يستطيعون خفضها
من اقمح البعير رفع راسه وجعلنا من بين ايديهم سدًا ومن خلفهم سدًا فاغشيناهم
فهم لا يبصرون ان الاية الاولى نزلت في ابي جهل لما حمل الحجر ليرضخ به راسه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفعه اثبتت يديه الى عنقه ولزق الحجر بيديه
فلما عاد الى اصحابه اخبرهم فلم يمكنوا الحجر من يده الا بعد تعب شديد
والاية الثانية نزلت في اخر لما راى ما وقع لابي جهل قال انا اقتل بهذا الحجر
فذهب اليه صلى الله عليه وسلم فلما قرب منه عمي بصره فجعل يسمع
صوته ولا يراه فرجع اليهم فاخبرهم بذلك وعن الحكم ابن ابي العاص بن مروان
ابن الحكم ان ابنته قالت له ما رايت قومًا كانوا اسوا راياو اعجز في امر رسول الله صلى
الله عليه وسلم منكم يا بني امية فقال لا تلومينا يا بنية انى لا احدثك الا ما رايت
لقد اجمعنا ليلة على اغتياله صلى الله عليه وسلم فلما رايناه يصلي ليلا جئنا خلفه فسمعنا
صوتا ظننا انه ما بقي بتهامة جبل الا تفتت علينا اى ظننا انه تفتت وانه يقع علينا
فما عقلنا حتى قضى صلاته صلى الله عليه وسلم ورجع الى اهله ثم تواعدنا ليلة
اخرى فلما جاء نهضنا اليه فرايت الصفا والمروة التصقتا احداهما على الاخرى
فحالتا بيننا وبينه يتامل هذا لان صلاته صلى الله عليه وسلم انما تكون عند الكعبة
ولبث بين الصفا والمروة وفي رواية كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فجاءه ابو
جهل فقال الم انهك عن هذا فانزل الله تعالى ارايت الذي ينهى عبدًا اذا صلى الى اخر
السورة وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم لما انصرف من صلاته زجره ابو جهل اى انتهره
وقال انك لتعلم ما بها نادٍ اكثر مني فانزل الله تعالى فليدع ناديه سندع الزبانية
قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لو دعى ناديه لاخذته زبانية السماء وقال يومًا وقد
لقي النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي صلى الله عليه وسلم لقد علمت انى امنع اهل البطحا
وانا العزيز الكريم فانزل الله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم كذا قال الواحدي
اى تقول له الزبانية عند القائه في النار ما ذكر توبيخًا له ومن ذلك ما حدث به
بعضهم قال لما انزل الله تعالى سورة تبت يدا ابي لهب جاءت امراة ابي لهب وهي ام
جميل واسمها العوراء وقيل اسمها اروى بنت حرب اخت ابي سفيان بن حرب ولها
ولولة وفي يدها فهر اى بكسر الفاء وسكون الهاء حجر ملء الكف فيه طول تدق به الجوز
الى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر رضي الله تعالى عنه فلما راها قال يا رسول الله انها

امراة بذيه اى تاتي بالفحش من القول فلو قمت لئلا تؤذيك فقال صلى الله عليه وسلم
انها لن تراني فجاءت فقالت يا ابا بكر صاحبك هجاني اى وفي لفظ ما شان صاحبك
ينشد في الشعر لا وما يقول الشعر اى ينشئه وفي لفظ لا ورب هذا البيت ما هجاك
والله ما صاحبي بشاعر وما يدري ما الشعر لا يحسن انشاءه قالت له انت عندي
مصدق وانصرفت اى وهي تقول قد علمت قريش انى بنت سيدها اى تعني عبد مناف جد
ابيها ومن كان عبد مناف اباه كان ينبغي لاحد ان يتجاسر على ذمه قلت يا رسول الله
لم لم ترك قال لم يزل ملك يسترني بجناحيه اى فقد جاء في رواية انه صلى الله عليه
وسلم قال لابي بكر قل لها هل ترين عندي احدا فسالها ابو بكر فقالت اتهزا بي
والله ما ارى عندك احدا اقول في الامتاع انها جاءت وهو صلى الله عليه وسلم
في المسجد ومعه ابو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما وفي يدها فهر فلما وقفت على النبي
صلى الله عليه وسلم اخذ الله على بصرها فلم تره ورات ابا بكر وعمر فاقبلت على ابي بكر
رضي الله تعالى عنه فقالت اين صاحبك قال وما تصنعين به قالت بلغني انه هجاني
والله لو وجدته لضربته بهذا الفهر فمه فقال عمر رضي الله تعالى عنه ويحك انه ليس
بشاعر فقال انى لا اكلمك يا ابن الخطاب اى لما تعلمه من شدته ثم اقبلت على ابي
بكر لما تعلمه من لينه وتواضعه فقال والثواقب اى النجوم انه لشاعر وانى لشاعرة اى
وكل هجاني لاهجونه وانصرفت فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انها لن تراك فقال
انها لن تراني جعل بيني وبينها حجاب اى لانه قرا قرانا اعتصم به كما قال تعالى واذا قرات
القران جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا وفي رواية اقبلت
ومعها فهر وهي تقول • مذممًا ابينا • ودينه قلينا • وامره عصينا فقالت اين
الذي هجاني وهجا زوجي والله لئن رايته لاضربن انثييه بهذين الفهرين قال ابو بكر
فقلت لها يا ام جميل والله ما هجاك ولا هجا زوجك قالت والله ما انت بكذاب وان
الناس ليقولون ذلك ثم ولت ذاهبة فقلت يا رسول الله انها لم تراك فقال النبي
صلى الله عليه وسلم حال بيني وبينها جبريل ولعل مجيئها قد تكرر فلا منافاة بين ما ذكر
وكذا قال في الكلام يقال في الحمد محمد يقال في الذم مذمم لانه لا يقال ذلك الا لمن ذم
مرة بعد اخرى كما ان محمدًا لا يقال الا لمن حمد مرة بعد اخرى كما تقدم وقد جاء انه
صلى الله عليه وسلم قال الا تعجبون كيف يصرف الله تعالى عنى شتم قريش ولعنهم
يشتمون مذمما ويلعنون مذمما وانا محمد وفي الدر المنثورات رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو جالس في الملا فقالت يا محمد علام تهجوني قال انى والله ما هجوتك
ما هجاك الا الله قالت رايتني احمل حطبا او رايت في جيدي حبلا من مسد

وهذا ما يؤيد ما قاله بعض المفسرين ان الحطب عبارة عن النميمة يقال فلان يحطب
علي اي ينم لانها كانت تمشي بين الناس بالنميمة وتغوي زوجها وعيره تعدا وته صلى الله
عليه وسلم وتبلغهم عنه احاديث تحثهم بها على عداوته صلى الله عليه وسلم وان الحبل
عبارة عن حبل من نار حكم وعن عروة بن الزبير وابن عباس رضي الله عنهما ذرعها سبعين
النار سلسلة من حديد ذراعها سبعون تدخل فيها وتخرج من دبرها ويلوى سائرها في عنقها
ذراعا والله اعلم والى ذلك اشار صاحب الهمزية بقوله

واعدت حمالة الحطب الفهر • وجاءت كانها الورقاء
ثم جاءت غضبى تقول افي • مثل من احمد يقال الهجاء
وتولت وما رأته ومن اين • ترى الشمس مقلة عمياء

اي وهيئات حمالة الحطب الفهر ونعتت بذلك لانها كانت تحتطب اي تجمع الحطب وتحمله
للبخل ودناءة نفسها او كانت تحمل الشوك والحسك وتطرحه في طريقه صلى الله عليه
وسلم ولا مانع من اجتماع الاوصاف الثلاثة لكن استبعاد الوصفين الاخيرين
والفهر الحجر الذي يملأ الكف كي تقدم لتضرب به النبي صلى الله عليه وسلم والحال
انها جاءت في غاية السرعة والعجلة كانها في شدة السرعة الحمامة الشديدة الاسراع
حال كونها غضبى من شدة ما سمعت من ذمها في سورة تبت يدا ابي لهب تقول افي
مثلي وانا بنت سيد بني مخزوم يقال الهجاء والسب حال كونه من احمد وتولت والحال
انها ما رأته وكيف ترى الشمس عين عمياء اقول في ينبوع الحياة انها لما بلغها سورة تبت
يدا ابي لهب جاءت الى اخيها ابي سفيان في بيته وهي مضطربة اي متحرقة غضبى فقالت
ويحك يا احمس اي يا شجاع اما تغضب ان هجاني محمد فقال سأكفيك اياه ثم اخذ
سيفه وخرج ثم عاد سريعا فقالت هل قتلته فقال لها يا اخيه ايسرك ان رأس اخيك
في فم ثعبان قالت لا والله قال فقد كان ذلك يكون الساعة اي فاني رأيت ثعبانا
لو قربت منه صلى الله عليه وسلم لالتقم رأسه ولما نزلت هذه السورة التي هي
تبت يدا ابي لهب قال ابو لهب لابنه عتبة اي بالتكبير رضي الله تعالى عنه فانه
اسلم يوم الفتح كما سيأتي رأسي من رأسك حرام ان لم تفارق ابنة محمد يعني رقية
رضي الله تعالى عنها فانه كان تزوجها ولم يدخل بها ففارقها ووقع في كلام
بعضهم غلطة لما اسلم فليتأمل وكان اخوه عتيبة بالتصغير متزوجا ابنته
صلى الله عليه وسلم ام كلثوم ولم يدخل بها فقال اي وقد اراد الذهاب الى الشام
لآتين محمدا فلاوذينه في ربه فاتاه فقال يا محمد هو كافر بالنجم اي وفي لفظ برب
النجم اذا هوى وبالذي دنى فتدلى ثم بصق في وجه النبي صلى الله عليه وسلم ورد

عليه

عليه ابنته وطلقها فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم سلط وفي رواية اللهم ابعث
عليه كلبا من كلابك وكان ابو طالب حاضرا فوجم لها ابو طالب وقال ما اغناك يا ابن
اخي عن هذه الدعوة فرجع عتبة الى ابيه ابي لهب فاخبره بذلك ثم خرج هو وابوه الى
الشام في جماعة فنزلوا منزلا فاشرف عليهم راهب من دير فقال لهم ان هذه الارض
مسبعة فقال ابو لهب لاصحابه انكم قد عرفتم سني وحقي فقالوا اجل يا ابا لهب
فقال اعينونا يا معشر قريش هذه الليلة فاني اخاف على ابني دعوة محمد فاجمعوا
متاعكم الى هذه الصومعة ثم افرشوا لابني عليه ثم افرشوا حوله ففعلوا ثم
جمعوا اجمالهم واناخوها حولهم واحدقوا بعتبة فجاء الاسد يتشمم وجوههم حتى
ضرب عتبة فقتله وفي رواية فضخ رأسه وفي رواية ثنى ذنبه ووثب وضربه
بذنبه ضربة واحدة فخدشه فمات مكانه وفي رواية فضغمه ضغمة كانت اياها
ونادى باخر رمق الم اقل لكم ان محمدا اصدق الناس لهجة ومات فقال ابوه قد عرفت
والله ما كان لينفلت من دعوة محمد اقول وحلفه بالنجم الى اخره يدل على ان ذلك
كان بعد الاسراء والمعراج ووقع مثل ذلك لجعفر الصادق قيل له هنا فلان ينشد
الناس هجاكم يعني اهل البيت بالكوفة فقال لذلك القائل هل عقلت من قوله
بشيء فقال نعم فانشد

صلبنا لكم زيدا على رأس نخلة • ولم ار مهديا على الجذع يصلب
وقستم بعثمان عليا سفاهة • وعثمان خير من علي واطيب

فعند ذلك رفع جعفر يديه وقال اللهم ان كان كاذبا فسلط عليه كلبا من
كلابك فخرج ذلك الرجل فافترسه الاسد وانما سمي الاسد كلبا لانه يشبه
الكلب في انه اذا بال رفع رجله وقيل كلبا هل الكهف كان اسدا وقيل
كان رجلا منهم جلس عند الباب طليعة لهم فسمي باسم الكلب لملازمته للحراسة
وضعف ببسط الذراعين لان ذلك من صفة الكلب الذي هو الحيوان وقد جاء
انه ليس في الجنة من الحيوان الا الكلب الذي لاهل الكهف وحمار العزير وناقة
صالح والله اعلم ومما وقع له صلى الله عليه وسلم من الاذية ما حدث به عبد الله
بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد
وهو يصلي وقد نحر جزورا وبقي فرثه اي روثه في كرشه فقال ابو جهل الا رجل
يقوم الى هذا العذر يلقيه على محمد اي وفي رواية قال قائل الا تنظرون الى
هذا المرائي ايكم يقوم الى جزور ابي فلان فيعمد الى فرثها ودمها وسلاها فيجيء به
ثم يمهله حتى اذا سجد وضعه بين كتفيه وفي رواية ايكم يأخذ سلا جزور بني

فلان بجزور ذبحت من يومين او ثلاثة فيضعه بين كتفيه اذا سجد فقام اشخص
من المشركين وفي لفظ اشقى القوم وهو عقبة بن ابي معيط وجاء بذلك الفرث
فالقاه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساجد اي فاستضحكوا وجعل بعضهم
يميل على بعض اي من شدة الضحك قال ابن مسعود فهبنا اي خفنا ان نلقيه عنه
صلى الله عليه وسلم وفي لفظ وانا قائم انظر لو كانت لي منعة لطرحت عن ظهر رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءت فاطمة رضي الله تعالى عنها اي بعد ان ذهب اليها
انسان واخبرها بذلك فاستمر صلى الله عليه وسلم ساجدا حتى القته عنه واستمراره
في الصلاة عند فقهائنا لعدم علمه بنجاسة ما القي عليه ولما القته عليهم شتمتهم
فقال صلى الله عليه وسلم فسمعته يقول وهو قائم يصلي اللهم اشدد وطاتك
اي عقابك الشديد على مضر سنين كسني يوسف اللهم عليك بابي الحكم بن
هشام يعني ابا جهل وعتبة بن ربيعة وعقبة بن ابي معيط وامية بن خلف
زاد بعضهم وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة بالمثناة فوق لا بالقاف
كما وقع في رواية في مسلم فقد اتفق العلماء على انه غلط لانه لم يكن ذلك الوقت
موجودا او كان صغيرا جدا وعمارة بن الوليد اي وهو المتقدم ذكره الذي
ارادوا ان يجعلوه عوضا عنه صلى الله عليه وسلم **اقول** والذي في المواهب فلما
قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال اللهم عليك بقريش ثم
سمى اللهم عليك بعمرو بن هشام الى اخر ما تقدم ذكره **وفي** الامتاع فلما قضى النبي
صلى الله عليه وسلم صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم وكان اذا دعا دعا ثلاثا ثم قال
اللهم عليك بقريش اللهم عليك بقريش اللهم عليك بقريش فلما سمعوا
صوته صلى الله عليه وسلم ذهب منهم الضحك وهابوا دعوته ثم قال اللهم
عليك بابي جهل بن هشام الحديث وان ابن مسعود قال والله لقد رايتهم وفي
رواية رايت الذي سمى صلى الله عليه وسلم صرعى يوم بدر ثم سحبوا الى القليب قليب
بدر **واعترض** بان عمارة بن الوليد مات بالحبشة كافرا كما تقدم وبان
وبان عقبة بن ابي معيط لم يقتل ببدر وانما اخذ اسيرا منها وقتل بعرق الظبية
كما سياتي وبان امية بن خلف لم يطرح بالقليب **واجيب** بان قول ابن مسعود
رايتهم اي رايت اكثرهم وقد يقال لا مانع ان يكون اتى بهذا الدعاء وهو قائم
يصلي وبعد الفراغ من الصلاة فلا منافاة والله اعلم والمراد بسني يوسف
بتخفيف الياء ويروى سنين باثبات النون مع الاضافة القحط والجدب اي
فاستجاب الله دعاءه فاصابتهم سنة اكلوا فيها الجيف والجلود والعظام والعلهز

وهو الوبر والدم اي يخلط الدم باوبار الابل ويشوى على النار وصار الواحد
منهم يرى ما بينه وبين السماء كالدخان من الجوع وجاءه صلى الله عليه وسلم جمع من
المشركين فيهم ابو سفيان وقالوا يا محمد انك تزعم انك بعثت رحمة وان قومك
قد هلكوا فادع الله لهم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقوا الغيث
فاطبقت عليهم سبعا فشكى الناس كثرة المطر فقال اللهم حوالينا ولا علينا
فانحدرت السحابة وجاء انهم قالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون اي
لا نعود لما كنا عليه فلما كشف عنهم ذلك عادوا اي **وفيه** ان هذا انما كان بعد
الهجرة فسياتي انه صلى الله عليه وسلم مكث شهرا اذا رفع راسه من ركوع الركعة
الثانية من صلاة الفجر بعد قوله سمع الله لمن حمده يقول اللهم انج الوليد بن الوليد
وسلمة بن هشام وعياش بن ابي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين بمكة اللهم
اشدد وطاتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف وربما فعل ذلك
بعد رفعه من الركعة الاخيرة من صلاة العشاء وسياتي ما فيه **وقد يقال** لا مانع
ان يكون حصل لهم ذلك قبل الهجرة وبعد الهجرة مرة اخرى سياتي الكلام عليها
ثم رايت في الخصائص الكبرى ما يوافق ذلك حيث قال قال البيهقي قد روي
في قصة ابي سفيان ما دل على ان ذلك كان بعد الهجرة ولعله كان مرتين اي وسياتي
في السرايا ان ثمامة لما منع عن قريش الميرة ان ثالي من اليمامة حصل لهم مثل ذلك
وكتبوا في ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم **وفي البخاري** لما استعصت قريش
على النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين كسني يوسف فبقيت السماء سبع سنين
لا تمطر وفي رواية فيه ايضا لما ابطؤا على النبي صلى الله عليه وسلم بالاسلام قال اللهم
اكفنيهم بسبع كسبع يوسف فاصابتهم سنة حصت كل شيء الحديث وفي رواية
اللهم اعني عليهم بسبع كسبع يوسف فاصابهم قحط وجهد حتى اكلوا العظام فجعل
الرجل ينظر الى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد فانزل الله تعالى
فارتقب يوم تاتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب اليم فاتى ابو سفيان
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل يا رسول الله استسق لمضر فانها قد هلكت
فاستسقى صلى الله عليه وسلم فسقوا فلما اصابتهم الرفاهية عادوا الى حالهم
فانزل الله تعالى يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون يعني يوم بدر
ومن ذلك ما حدث به عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يطوف بالبيت ويده في يد ابي بكر وفي الحجر ثلاثة نفر جلوس عقبة
ابن ابي معيط وابو جهل بن هشام وامية بن خلف فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

فلما حاذاهم اسمعوه بعض ما يكره فعرف ذلك في وجه النبي صلى الله عليه وسلم فدنوت
منه حتى وسطتهم اي جعلته وسطا فكان صلى الله عليه وسلم بيني وبين ابي بكر وادخل
اصابعه في اصابعي فطفنا جميعا فلما حاذاهم قال ابو جهل والله لا نصالحك ما بل
بحر صوفة وانت تنهى ان نعبد ما كان يعبد اباؤنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا ذلك ثم مشى عنهم فصنعوا به في الشوط الثالث مثل ذلك حتى اذا كان الشوط
الرابع ناهضوه اي قاموا اليه صلى الله عليه وسلم ووثب ابو جهل يريد ان ياخذ بمجامع
ثوبه صلى الله عليه وسلم فدفعت في صدره فوقع على استه ودفع ابو بكر امية بن خلف
ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عقبة بن ابي معيط ثم انفرجوا عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو واقف ثم قال اما والله لا تنتهون حتى يحل بكم عقابه اي ينزل
عاجلا قال عثمان فوالله ما منهم رجل الا وقد اخذته الرعدة فجعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول بئس القوم انتم لنبيكم ثم انصرف الى بيته وتبعناه حتى
انتهى الى باب بيته ثم اقبل علينا بوجهه فقال ابشروا فان الله عز وجل مظهر دينه
ومتمم كلمته وناصر نبيه ان هؤلاء الذين ترون مما يذبح الله على ايديكم عاجلا ثم
انصرفنا الى بيوتنا فوالله لقد ذبحهم الله بايدينا يوم بدر اقول ولا يخالف
ذلك كون عقبة بن ابي معيط حمل اسيرا من بدر وقتل بعرق الظبية صبرا وهم
راجعون من بدر ولا كون عثمان بن عفان لم يحضر بدرا والله اعلم وفي رواية ان
عقبة بن ابي معيط وطي على رقبته صلى الله عليه وسلم الشريفة وهو ساجد حتى كادت
عيناه تبرزان اي وفي رواية دخل عقبة بن ابي معيط الحجر فوجده صلى الله عليه وسلم
يصلي فيه فوضع ثوبه على عنقه صلى الله عليه وسلم وخنقه خنقا شديدا فاقبل ابو بكر
رضي الله تعالى عنه حتى اخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم اي وفي البخاري عن
عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص اخبرني باشد
ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصلي بفناء الكعبة اذ اقبل عقبة بن ابي معيط فاخذ بمنكب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فاقبل ابو بكر رضي الله تعالى عنه فاخذ
بمنكبيه ودفع عن رسول الله صلى الله عليه الحديث ولعل اشدية ذلك باعتبار
ما بلغ عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما او ما رواه وعنه رضي الله تعالى عنه قال
ما رايت قريشا اصابت من عداوة احد ما اصابت من عداوة رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولقد حضرتهم يوما وقد اجتمع ساداتهم وكبراؤهم في الحجر

فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما صبرنا لامر كصبرنا لامر هذا الرجل قط
لقد سفه احلامنا وشتم اباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب الهتنا لقد
صبرنا منه على امر عظيم فبينما هم كذلك اذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مر طائفا بالبيت فلما مر لمزوه ببعض القول فعرفنا
ذلك في وجهه ثم مر بهم الثانية فلمزوه بمثلها فعرفنا ذلك في وجهه ثم مر بهم
الثالثة فلمزوه فوقف عليهم وقال اتسمعون يا معشر قريش اما والذي نفس محمد
بيده لقد جئتكم بالذبح فارعبوا لكلمته صلى الله عليه وسلم تلك وما بقي رجل منهم
الا كانما على راسه طائر فصاروا يقولون يا ابا القاسم انصرف فوالله ما كنت
جهولا فانصرف فلما كان الغد اجتمعوا في الحجر وانا معهم فقال بعضهم لبعض
ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى اذا ناداكم بما تكرهون تركتموه فبينما هم
كذلك اذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا اليه وثبة رجل واحد
واحاطوا به وهم يقولون انت الذي تقول كذا وكذا يعني عيب الهتهم ودينهم
فقال نعم انا الذي اقول ذلك فاخذ رجل منهم بمجمع ردائه عليه الصلاة
والسلام فقام ابو بكر دونه وهو يبكي ويقول اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله فاطلقه
الرجل ووقعت الهيبة في قلوبهم فانصرفوا عنه فذلك اشد ما رايتهم نالوا من
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية الست تقول في الهتنا كذا وكذا قال بلى
فتشبثوا به باجمعهم فاتى الصريخ الى ابي بكر فقيل له ادرك صاحبك فخرج ابو بكر
حتى دخل المسجد فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس مجتمعون عليه فقال
ويلكم اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم فكفوا عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم واقبلوا على ابي بكر يضربونه قالت بنته اسماء فرجع الينا فجعل
لا يمس شيئا من غدائره الا اجابه وهو يقول تباركت يا ذا الجلال والاكرام وجاء انهم
جذبوا راسه صلى الله عليه وسلم ولحيته حتى سقط اكثر شعره فقام ابو بكر دونه
وهو يقول اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله اي وهو يبكي فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم دعهم يا ابا بكر فوالذي نفسي بيده اني بعثت اليهم بالذبح ففرجوا
عنه صلى الله عليه وسلم وعن فاطمة رضي الله تعالى عنها قالت اجتمع مشركو قريش
في الحجر فقالوا اذا مر محمد فليضربه كل واحد منا ضربة فسمعت فدخلت على ابي
بكر فذكرت ذلك له قالت له وهي تبكي تركت الملا من قريش قد تعاقدوا في
الحجر فحلفوا باللات والعزى ومناة واساف ونائلة اذا هم راوك يقومون
اليك فيضربونك باسيافهم فيقتلونك فقال صلى الله عليه وسلم يا بنية

اسكتى وفى لفظ لا تبكى ثم خرج صلى الله عليه وسلم اى بعد ان توضا فدخل عليهم المسجد
فرفعوا رؤسهم ثم نكسوا فاخذ قبضة من تراب فرمى بها نحوهم ثم قال شاهت الوجوه فما
اصاب رجلا منهم الا قتل ببدر اى وكان بجواره صلى الله عليه وسلم جماعة منهم ابو لهب
والحكم بن ابى العاص بن امية والد مروان وعقبة بن ابى معيط فكانوا يطرحون عليه
صلى الله عليه وسلم الاذى فاذا طرحوه عليه اخذه وخرج به ووقف على بابه ويقول
يا بنى عبد مناف اى جوار هذا ثم يلقيه فى الطريق ولم يسلم ممن ذكر الا الحكم وكان
فى اسلامه شئ وتقدم انه صلى الله عليه وسلم تناه الى وج الطايف وانه سبابه
السبب فى نفيه واشار صاحب الهمزية رحمه الله تعالى الى ان هذه الاذية له صلى
الله عليه وسلم لا يظن ظان انها منقصة له صلى الله عليه وسلم بل هى رفعة له ودليل على
فخامة قدره وعلو رتبته وعظيم رفعته ومكانته عند ربه لكثرة صبره وحلمه
واحتماله مع علمه باستجابة دعائه ونفوذ كلمته عند الله تعالى وقد قال صلى الله عليه وسلم اشد
الناس بلاء الانبيا وذلك سنة من سنن النبيين السابقين عليهم الصلاة والسلام

لا تخل جانب النبى مضاما • حين مسته منهم الاسواء
كل امر نابا النبيين فالشدة فيه محمودة والرخاء
لو يمس النضار هون من النار لما اختير للنضار الصلاء

اى لا تظن ان النبى صلى الله عليه وسلم حصل له الضيم وقت مسته الاذيات حال كونها
صادرة منهم لان كل امر من الامور العظيمة اصاب النبيين فالشدة التى تحصل لهم منه
محمودة لانها لرفع الدرجات والضيقة التى تحصل لهم ايضا محمودة لانه لو كان يمس الذهب
هوان من ادخاله النار لما اختير له العرض على النار فالانبيا عليهم الصلاة والسلام
كالذهب والشدايد التى تصيبهم كالنار التى يعرض عليها الذهب فان ذلك لا تزيد
الذهب الا حسنا فكذلك الشدايد لا تزيد الانبيا الا رفعة **قف** وما وقع لابى بكر
الصديق رضى الله تعالى عنهم من الاذية ما ذكره بعضهم ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما دخل دار الارقم ليعبد الله تعالى ومن معه من اصحابه فيها سرا اى كانوا
وكانوا ثمانية وثلاثين رجلا الح ابو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى الظهور اى الخروج الى المسجد فقال يا ابا بكر انا قليل فلم يزل به حتى
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من اصحابه وقام ابو بكر فى الناس خطيبا
ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ودعى الى الله ورسوله فهو اول خطيب دعى الى الله
تعالى وثار المشركون على ابى بكر وعلى المسلمين يضربونهم فضربوهم ضربا شديدا
ووطئ ابو بكر بالارجل وضرب ضربا شديدا وصار عتبة بن ربيعة يضرب ابا بكر بنعلين

مخصوفتين

مخصوفتين اى مطبقتين ويحرفهما الى وجهه حتى صار لا يعرف انفه من وجهه وجاءت
بنو تيم يتعادون فاجلت المشركين عن ابى بكر وحملوه فى ثوب الى ان ادخلوه منزله
ولا يشكون فى موته اى ثم رجعوا فدخلوا المسجد فقالوا والله لئن مات ابو بكر
لنقتلن عتبة ثم رجعوا الى ابى بكر وصار والده ابو قحافة وبنو تيم يكلمونه فلا يجيب حتى
اذا كان اخر النهار تكلم وقال ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فعذلوه وصار
يكرر ذلك فقالت امه والله ما لى علم بصاحبك فقال اذهبى الى ام جميل بنت الخطاب
اخت عمر بن الخطاب اى فانها كانت اسلمت رضى الله تعالى عنها وهى تخفى اسلامها فاسئليها
عنه فخرجت اليها وقالت لها ان ابا بكر يسال عن محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فقالت
لا اعرف محمدا ولا ابا بكر ثم قالت لها تريدين ان اخرج معك قالت نعم فخرجت معها
الى ان جاءت ابا بكر رضى الله تعالى عنه فوجدته صريعا فصاحت وقالت ان قوما
نالوا هذا منك لاهل فسوق وانى لارجو ان ينتقم الله منهم فقال لها ابو بكر ما فعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له هذه امك تسمع قال فلا عين عليك منها اى
لا تخشى بيرك قالت سالم فقال اين هو قالت فى دار الارقم فقال والله لا اذوق طعاما
ولا اشرب شرابا او اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت امه فامهلنا حتى هدأت
الرجل وسكن الناس فخرجنا به يتكى على حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرق له رقة شديدة واكب عليه يقبله واكب عليه المسلمون كذلك فقال بابى وامى انت
يا رسول الله ما بى من باس الا ما نال الناس من وجهى وهذه امى برة بولدها فعسى الله ان
يستنقذها بك من النار فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاها الى الاسلام
فاسلمت انتهى هذا **وذكر** الزمخشرى فى كتابه خصايص العشرة ان هذه
الواقعة حصلت لابى بكر لما اسلم واخرج قريبا باسلامه قليتامل فان تعدد الواقعة
بعيد **ومما** وقع لابن مسعود رضى الله تعالى عنه من الاذية ان اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم اجتمعوا يوما فقالوا والله ما سمعت قريش القران جهرا الا من رسول الله
صلى الله عليه وسلم فمن فيكم يسمعهم القران جهرا فقال عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى
عنه انا فقالوا انا نخشى عليك منهم انما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم فقال
دعونى فان الله سيمنعنى منهم ثم انه قام عند المقام وقت الشمس وقريش فى انديتهم
فقال بسم الله الرحمن الرحيم رافعا صوته الرحمن علم القران واستمر فيها فتاملته قريش
وقالوا ما بال ابن ام عبد فقال بعضهم يتلو بعض ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ثم
قاموا اليه يضربونه وجهه وهو مستمر فى قراءته حتى قرا غالب السورة ثم انصرف الى
اصحابه وقد اثرت قريش بوجهه فقال له اصحابه هذا الذى خشينا عليك منه فقال

يبث

والله ما رايت اعداء الله اهون على مثل اليوم ولو شئتم لاتينهم بمثلها غدا قالوا لا قد
اسمعتهم ما يكرهون **ومما** وقع له صلى الله عليه وسلم من الاذية انه كان اذا قرا القران
تقف له جماعة عن يمينه وجماعة عن يساره ويصفقون ويصفرون ويخلطون عليه
بالاشتغال لانهم تواصوا وقالوا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه حتى كان من اراد منهم
سماع القران اتى خفية واسترق السمع خوفا منهم **ومما وقع له** صلى الله عليه وسلم
من الاذية ما كان سببا لاسلام عمه حمزة رضى الله تعالى عنه وهو ما حدث به ابن اسحاق
قال حدثني به رجل من اسلم ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصفا
اى وقيل عند الحجون فاذاه وشتمه ونال منه ما يكرهه اى وقيل انه صب التراب
على راسه اى وقيل القى عليه فرثا ووطى برجله على عاتقه فلم يكلمه رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومولاة لعبد الله بن جدعان فى مسكن لها تسمع ذلك وتبصره ثم انصرف
ابو جهل الى نادى قريش اى محل تحدثهم فى المسجد فجلس معهم فلم يلبث حمزة ان اقبل
متوشحا بسيفه راجعا من قنصه اى من صيده وكان من عادته اذا رجع من قنصه
لا يصل الى اهله الا بعد ان يطوف بالبيت فمر على تلك المولاة فاخبرته الخبر اى
فقالت يا ابا عمارة لو رايت ما لقى ابن اخيك محمد صلى الله عليه وسلم آنفا من ابى
الحكم بن هشام تعنى ابا جهل وجده ها هنا جالسا فاذاه وسبه وبلغ منه ما يكره
ثم انصرف عنه فلم يكلمه محمد صلى الله عليه وسلم اى وقيل الذى اخبرته مولاة اخته
صفية بنت عبد المطلب قالت له انه صب التراب على راسه والقى عليه فرثا ووطى
برجله على عاتقه وعلى الثانى العرف عليه اقتصر ابو حيان فى النهر فقال لها حمزة انت رايته
اقتصر ابو حيان فى النهر فقال لها حمزة انت رايت هذا الذى تقولين قالت نعم
وفى رواية فلما رجع حمزة من صيده اذا امراتان يمشيان خلفه فقالت احداهما لو
علم ذا ما صنع ابو جهل بابن اخيه اقصر عن مشيته فالتفت اليهما فقال ما ذاك
قالت ابو جهل فعل بمحمد كذا وكذا ولا مانع من تعدد الاخبار من المرايين وللولاتين
فاحتمل حمزة الغضب ودخل المسجد فراى ابا جهل جالسا فى القوم فاقبل نحوه حتى قام على
راسه رفع القوس وضربه فشجه شجة منكرة ثم قال اتشتمه فانا على دينه اقول ما يقول
فرد على ذلك ان استطعت اى وفى لفظ ان حمزة لما قام على راس ابى جهل بالقوس صار
ابو جهل يتضرع اليه ويقول سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف آباءنا فقال ومن اسفه
منكم تعبدون الحجارة من دون الله اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
فقامت رجال من بنى مخزوم اى من عشيرة ابى جهل الى حمزة لينصروا ابا جهل فقالوا
ما نراك الا قد صبات فقال حمزة وما يمنعنى وقد استبان لى منه انا اشهد ان لا اله الا

الله

الله واشهد انه رسول الله وان الذى يقول حق والله لا انزع فامنعونى ان كنتم صادقين
فقال لهم ابو جهل دعوا ابا عمارة اى ويكنى ايضا بابى يعلى اسم ولده ايضا فانى والله قد
اسمعت ابن اخيه شيئا قبيحا وتم حمزة على اسلامه اى استمر اى تجدد ان وسوس له الشيطان
فقال له اتقيس لما رجع الى بيته انت سيد قريش اتبعت هذا الصابى وتركت دين ابائك
خير لك ما صنعت ثم قال اللهم ان كان رشدا فاجعل تصديقه فى قلبى والا فاجعل
لى مما وقعت فيه مخرجا فبات بليلة لم يبت بمثلها من وسوسة الشيطان حتى اصبح فغدا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن اخى انى قد وقعت فى امر لا اعرف المخرج منه
واقامة مثلى على ما لا ادرى ارشد هو ام غى شديد فاقبل عليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فذكره ووعظه وخوفه وبشره فالقى الله فى قلبه الايمان فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال اشهد انك لصادق فاظهر يا ابن اخى دينك ٥ وقد قال ابن
عباس رضى الله تعالى عنهما ان هذه الواقعة سبب لنزول قوله تعالى او من كان ميتا
فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الظلمات الناس كمن مثله فى الظلمات ليس
بخارج منها يعنى ابا جهل وسر رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلام حمزة سرورا
كبيرا لانه كان اعز فتى فى قريش واشدهم شكيمة اى اعظمهم فى عزة النفس وشهامة
ومن ثم لما عرفت قريش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عز كفوا عن بعض
ما كانوا ينالون منه صلى الله عليه وسلم واقبلوا على بعض اصحابه بالاذية سيما
المستضعفين منهم الذين لا جوار لهم اى لا ناصر لهم فان كل قبيلة عدت على من
اسلم منها تعذبه وتفتنه عن دينه بالحبس والضرب والجوع والعطش وغير
ذلك اى حتى ان الواحد منهم ما يقدر ان يستوى جالسا من شدة الضرب الذى
به وكان ابو جهل يحرضهم على ذلك وكان اذا سمع بان رجلا اسلم له شرف
ومنعة جاء اليه ووبخه وقال له ليغلبن رايك وليضعفن شرفك وان كان
تاجرا قال والله لتكسدن تجارتك ويهلك مالك وان كان ضعيفا اغرى به حتى
ان منهم من فتن عن دينه ورجع الى الشرك كالحارث بن ربيعة بن الاسود وابى
قيس بن الوليد بن المغيرة وعلى بن امية بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج
وكل هؤلاء قتلوا على كفرهم يوم بدر **وممن** فتن عن دينه وثبت عليه ولم يرجع
للكفر بلال رضى الله تعالى عنه وكان مملوكا لامية بن خلف فعن بعضهم ان بلالا
كان يجعل فى عنقه حبل يدفع الى الصبيان يلعبون به ويطوفون به فى شعاب
مكة وهو يقول احد احد بالرفع والتنوين او بغير تنوين اى الله احد او يا احد
فهو اشارة لعدم الاشراك وقد اثر الحبل فى عنقه **وعن** ابن اسحاق ان امية بن

خلف كان يخرج بلالا اذا حميت الظهيرة بعد ان يجيعه ويعطشه ليلة ويوما فيطرحه
على ظهره في الرمضاء اي الرمل اذا اشتدت حرارته لو وضعت عليه قطعة لحم لنضجت
ثم يامر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت او تكفر
بمحمد صلى الله عليه وسلم وتعبد اللات والعزى فيقول احد احد اي انا لا اشرك بالله شيئا
انا كافر باللات والعزى اي وقيل كان بلال مولدا من مولدي مكة وكان لعبد الله
ابن جدعان التيمي وكان من جملة مائة مملوك مولدة له فلما بعث الله صلى الله عليه وسلم
امر بهم فاخرجوا من مكة اي خوف اسلامهم فاخرجوا الا بلالا فانه كان يرعى غنمه
فاسلم بلال وكتم اسلامه فسلح بلال يوما على الاصنام التي حول الكعبة ويقال انه
صار يبصق عليها ويقول خاب وخسر من عبدكن فشعرت به قريش فشكوه الى عبد
الله وقالوا اله اصبوت قال ومثلي يقال له هذا فما لوا ان اسودك صنع كذا وكذا
فاعطاهم مائة من الابل ينحرونها للاصنام ومكنهم من تعذيب بلال فكانوا يعذبونه
بما تقدم اي ويجوز ان يكون ابن جدعان بعد ذلك ملكه لامية بن خلف فلا يخالف
ما تقدم من ان امية بن خلف كان يتولى تعذيبه وما ياتي من ان ابا بكر اشتراه
منه ويقال انه صلى الله عليه وسلم مر عليه وهو يعذب فقال ينجيك احد احد اي وقيل
مر عليه ورقة بن نوفل وهو يقول احد احد فقال نعم احد احد والله يا بلال ثم اقبل
الى امية وقال له والله لئن قتلتموه على هذا لاتخذنه حنانا اي لاتخذن قبره مسكنا
ومترحما له لانه من اهل الجنة وتقدم ان هذا يدل على ان ورقة ادرك البعثة
التي هي الرسالة وتقدم ما فيه فكان بلال يقول احد احد يمزج مرارة العذاب
بحلاوة الايمان وقد وقع له صلى الله عليه وسلم رضي الله تعالى عنه انه لما احتضر
وسمع امراته تقول واحزناه صار يقول واطرباه غدا القى الاحبة محمدا وحزبه فكان
بلال يمزج مرارة الموت بحلاوة اللقا وقد ذكر بعضهم ان هذا قاله
ابو موسى الاشعري ومن معه لما وفدوا عليه صلى الله عليه وسلم وهو في خيبر اي صاروا
يقولون غدا نلقى الاحبة محمدا وحزبه ومر به ابو بكر رضي الله تعالى عنه يوما وهو
يعذب ملقى على ظهره في الرمضاء وعلى صدره تلك الصخرة فقال لامية بن خلف
الا تتقي الله تعالى في هذا المسكين حتى متى تعذبه قال انت افسدته فانقذه مما
ترى قال ابو بكر عندي غلام اسود اجلد منه واقوى اي على دينك اعطيكه به قال
قبلت قال هو لك فاعطاه ابو بكر غلامه ذلك واخذ بلالا فاعتقه وفي تفسير
البغوي قال سعيد بن المسيب بلغني ان امية بن خلف قال لابي بكر الصديق في بلال
حين قال اتبيعنيه قال نعم بنسطاس يعني عبدا لابي بكر رضي الله تعالى عنه كان

صاحب

صاحب عشرة الاف دينار وغلمان وجواري ومواشي وكان مشركا يابى الاسلام فاشتراه
ابو بكر به هذا كلامه وفي الامتاع لما ساوم ابو بكر امية بن خلف في بلال قال امية لاصحابه
لالعبن بابي بكر لعبة ما لعبها احد باحد ثم تضاحك وقال له اعطني عبدك قسطاس
فقال ابو بكر ان فعلت تفعل قال نعم قال قد فعلت فتضاحك وقال لا والله حتى تعطيني
ابنته مع امراته قال ان فعلت تفعل قال نعم قال قد فعلت فتضاحك وقال لا والله
حتى تزيدني معه مائتي دينار فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه انت رجل لا تستحي من
الكذب قال لا واللات والعزى لئن اعطيتني لافعلن فقال هي لك فاخذه هذا كلامه
وقيل اشتراه بتسع وقيل بخمس اواق اي ذهبا اي وقيل ببردة وعشر اواق
من فضة وفي رواية برطل من ذهب ويروى ان سيده قال لابي بكر لو ابيت الا اوقية
اي لو تملك لا اشتريته الا باوقية لبعناكه فقال لو طلبت مائة اوقية لاخذته بها
ولما قال المشركون انما اعتق ابو بكر بلالا ليد كانت له عنده فيكافيه بها انزل الله تعالى
والليل اذا يغشى السورة فالاتقى ابو بكر رضي الله تعالى عنه والاشقى امية بن خلف
قال الامام فخر الدين اجمع المفسرون هنا على ان المراد بالاتقى ابو بكر وذهبت الشيعة
الى ان المراد به علي رضي الله تعالى عنه ورده وصف الاتقى بقوله تعالى وما لاحد عنده
من نعمة تجزى لان هذا الوصف لا يصدق على علي رضي الله تعالى لانه كان في تربية
النبي صلى الله عليه وسلم اي كما تقدم فكان صلى الله عليه وسلم منعما عليه يجب عليه جزاؤها
اي نعمة دنيوية لانها التي يجازى عليها بخلاف ابي بكر فانه لم يكن له صلى الله عليه وسلم
عليه نعمة دنيوية وانما كان له نعمة الهداية وهي نعمة لا يجازى عليها قال الله تعالى
قل لا اسالكم عليه اجرا فتعين حمل الاية على ابي بكر رضي الله تعالى عنه فليزم ان
يكون ابو بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقية الانبيا عليهم الصلاة والسلام
افضل الخلق لان الله تعالى يقول ان اكرمكم عند الله اتقاكم والاكرم هو الافضل
وينازع ذلك الفخر الرازي بان الامة مجمعة على ان افضل الخلق بعد النبي صلى الله
عليه وسلم اما ابو بكر واما علي ولا يمكن حمل الاية على علي لما تقدم فتعين حملها على ابي
بكر وذكر بعض اهل المعاني المبينين لمعاني القرآن كالزجاج والفرا
والاخفش الى ان المراد بالاشقى والاتقى فاوقع افعل التفضيل موقع فعيل فهو
عام في امية بن خلف وابي بكر وغيرهما وان كان السبب خاصا والذي يتجلى
والاشقى المراد ابو سفيان لانه كان عاتب ابا بكر في انعامه واعتاقه وقال له
اضعت مالك والله لا تصيبه ابدا وقيل المراد به امية بن خلف ولما بلغ النبي
صلى الله عليه وسلم ان ابا بكر اشترى بلالا قال الشركة يا ابا بكر فقال قد اعتقته يا رسول

الله اى لان بلالا قال لابى بكر حين اشتراه ان كنت اشتريتنى لنفسك فامسكنى
وان كنت انما اشتريتنى لله عز وجل فدعنى لله فاعتقه وذكر ان النبى صلى الله عليه وسلم
لقى ابا بكر رضى الله تعالى عنه فقال لو كان عندى مال اشتريت بلالا فانطلق العباس
رضى الله تعالى عنه فاشتراه فبعث به الى ابى بكر اى ملكه له فاعتقه فليتأمل الجمع
بين هذا وما تقدم وقد اشترى ابو بكر رضى الله تعالى عنه جماعة اخرين ممن كان
يعذب فى الله منهم حمامة ام بلال ومنهم عامر بن فهيرة فانه كان يعذب فى
الله تعالى حتى لا يدرى ما يقول وكان لرجل من بنى تيم من ذوى قرابة ابى بكر رضى الله تعالى
عنه ومنهم ابو فكيهة كان لعبد الصفوان بن امية اسلم حين اسلم بلال فمر به ابو بكر رضى
الله تعالى عنه وقد اخذه امية ابو صفوان واخرجه نصف النهار فى شدة الحر
مقيدا الى الرمضاء فوضع على بطنه صخرة فخرج لسانه واخو امية يقول زده عذابا حتى
يأتى محمد صلى الله عليه وسلم فيخلصه بسحره فاشتراه ابو بكر رضى الله تعالى عنه ومنهن
امرأة وهى زنيرة بزاى فنون مشددة مكسورة ثم مثناة تحتية ساكنة وهى فى اللغة
الحصاة الصغيرة عذبت فى الله تعالى حتى عميت قال لها يوما ابو جهل ان اللات
والعزى فعلا بك ما ترين فقالت له كلا والله لا تملك اللات والعزى نفعا ولا ضرا هذا
امر من السماء وربى قادر على ان يرد على بصرى فاصبحت تلك الليلة وقد رد الله تعالى
عليها بصرها فقالت قريش هذا سحر محمد صلى الله عليه وسلم فاشتراها ابو بكر رضى الله تعالى
عنه واعتقها اى وكذا ابنتها وفى السيرة الشامية ام عبيس بالنون او الباء الموحدة
ثم مثناة تحتية فسين مهملة امة لبنى زهرة كان الاسود بن عبد يغوث يعذبها ولم
يصفها بانها اخت زنيرة فاشتراها ابو بكر رضى الله تعالى عنه واعتقها وكذا النهدية
وابنتها وكانت للوليد بن المغيرة وكذا امرأة يقال لها لطيفة وكذا اخت عامر بن
فهيرة او امه كانت لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قبل ان يسلم فقد جاء ان ابا بكر
مر على عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما وهو يعذب جارية اسلمت ثم يضربها حتى
مل قيل اذ يسلم ثم قال لها انى اعتذر اليك فانى لم اتركك حتى مللت فقالت له كذلك
يعذبك ربك ان لم تسلم فاشتراها منه واعتقها وفى السيرة الشامية وصفها
بانها جارية بنى المؤمل بن حبيب وكان يقال لها لبينة بجملة مولاة لشقة وممن
فتن عن دينه فثبت عليه خباب بن الارت بالمثناة فوق فانه سبى فى الجاهلية
فاشترته امرأة اى وكان قينا اى حدادا وكان صلى الله عليه وسلم يالفه ويأتيه
فلما اسلم واخبرت بذلك مولاته صارت تأخذ الحديدة وقد احمتها بالنار فتضعها
على رأسه فشكى ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم انصر خبابا

فاشتكت

فاشتكت مولاته رأسها فكانت تعوى مع الكلاب فقيل لها اكتوى فكان خباب
يأخذ الحديدة قد احماها فيكوى رأسها وفى البخارى عن خباب قال اتيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو متوسد برده فى ظل الكعبة ولقد لقينا يعنى معاشر المسلمين من
المشركين شدة شديدة فقلت يا رسول الله الا تدعو الله لنا فقعد صلى الله عليه وسلم
محمرا وجهه فقال انه كان من قبلكم ليمشط احدهم بامشاط الحديد ما دون عظمه
من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه ويوضع المنشار على فرق رأس احدهم فيشق
ما يصرفه ذلك عن دينه وليظهرن الله تعالى هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء
الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه قال وعن خباب رضى الله تعالى عنه انه حكى
عن نفسه قال لقد رأيتنى يوما وقد اوقدوا لى نارا ووضعوها على ظهرى فما اطفاها الا
ودك ظهرى اى دهنه وممن فتن عن دينه فثبت عمار بن ياسر رضى الله تعالى
عنه كان يعذب بالنار وفى كلام ابن الجوزى كان صلى الله عليه وسلم يمر به وهو يعذب
بالنار فيمر يده على رأسه ويقول يا نار كونى بردا وسلاما على عمار كما كنت على ابراهيم
هذا كلامه ثم ان عمارا كشف عن ظهره فاذا هو قد برص اى صار اثر النار ابيض
كالبرص ولعل حصول ذلك كان قبل دعائه صلى الله عليه وسلم له بان النار تكون بردا وسلاما
عليه وعن ام هانى رضى الله تعالى عنها ان عمار بن ياسر واباه ياسر واخاه عبد الله وسمية
ام عمار رضى الله تعالى عنهم كانوا يعذبون فى الله تعالى فمر بهم النبى صلى الله عليه
وسلم فقال صبرا آل ياسر صبرا آل ياسر فان موعدكم الجنة اى وفى رواية صبرا يا آل ياسر
اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت فمات ياسر فى العذاب واعطيت سمية لابى جهل اى اعطاها
له عمه ابو حذيفة بن المغيرة فانها كانت مولاته فطعنها فى قبلها فماتت اى بعد ان
قال لها انما آمنت بمحمد صلى الله عليه وسلم الا انك عشقتيه لجماله ثم طعنها بالحربة فى
قبلها حتى قتلها فهى اول شهيد فى الاسلام انتهى اى وعن بعضهم كان ابو جهل يعذب
عمار بن ياسر وامه ويجعل لعمار درعا من حديد فى اليوم الصايف فنزل احسب الناس
ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وجاء ان عمارا قال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم لقد بلغ منا العذاب كل مبلغ فقال له النبى صلى الله عليه وسلم صبرا ابا اليقظان
ثم قال له النبى صلى الله عليه وسلم صبرا ابا اليقظان ثم قال اللهم لا تعذب احدا من آل
عمار بالنار قال بعضهم وحضر عمار بدرا ولم يحضرها من ابواه مؤمنان الا
هو من المهاجرين فلا يشكل ان بشر بن البراء بن معرور والانصارى حضر بدرا وابوه
مؤمنين ومما اوذى به على عائشة رضى الله تعالى عنها قالت لما ابتلى المسلمون
باذى المشركين اى وحصروا بنى هاشم والمطلب فى شعب ابى طالب واذن صلى

الله عليه وسلم لاصحابه في الهجرة الى الحبشة ومن الهجرة الثانية خرج ابو بكر رضي
الله تعالى عنه مهاجرا نحو ارض الحبشة حتى اذا بلغ برك الغماد بالغين المعجمة
موضع باقاصي هجر وقيل موضع وراء مكة بخمسة اميال اي وفي رواية حتى اذا سار يوما
او يومين لقيه ابن الدغنة بفتح الدال وكسر الغين المعجمة وتخفيف النون وهو سيد القارة
اي واسمه الحارث والقارة قبيلة مشهورة كان يضرب بهم المثل في قوة الرمي فق
ومن ثم قيل لهم رماة الحدق لا سيما ابن الدغنة والقارة اكمة سوداء نزلوا عندها
فسموا بها قال له اين تريد يا ابا بكر قال ابو بكر اخرجني قومي فاريد ان اسيح في الارض فاعبد
ربي قال ابن الدغنة فان مثلك يا ابا بكر لا يخرج انك تكسب المعدوم وتصل الرحم
وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق وانا لك جار فارجع فاعبد ربك
ببلدك فرجع مع ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة في اشراف قريش وقال لهم ان ابا بكر لا يخرج
مثله اتخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين
على نوائب الحق وهو في جواري فلم يكذب قريش بجوار ابن الدغنة اي لم ترد جواره
وقالوا لابن الدغنة مر ابا بكر فليعبد ربه في داره فليصل فيها وليقرا ما شاء ولا يؤذينا
بذلك ولا يستعلن به فانا نخشى ان يفتن نساءنا وابناءنا فقال ابن الدغنة ذلك
لابي بكر فلبث ابو بكر يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرا في غير داره
فكان يصلي فيه ويقرا القران وكان رجلا بكاء لا يملك عينيه اذا قرا القران
فكانت نساء قريش يزدحمن عليه فافزع ذلك كثيرا من اشراف قريش اي من المشركين
فارسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا انا اجرنا ابا بكر بجوارك على ان يعبد ربه
في داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره فاعلن بالصلاة والقراءة وانا
قد خشينا ان يفتن نساءنا وابناءنا بهذا فان احب ان يقتصر على ان يعبد ربه في
داره فعل وان ابى الا ان يعلن بذلك فاساله ان يرد اليك ذمتك فانا قد كرهنا ان
نخفرك اي نزيل خفارتك اي ننقض جوارك ونبطل عهدك فاتى ابن الدغنة الى
ابي بكر فقال قد علمت الذي قد عاقدت لك عليه فاما ان تقتصر على ذلك واما
ان ترجع الي ذمتي فاني لا احب ان تسمع العرب اني اخفرت اي ازيلت خفارتي
في رجل عقدت له فقال له ابو بكر فاني ارد عليك جوارك وارضى بجوار الله تعالى قال
ولما رد جوار ابن الدغنة لقيه بعض سفهاء قريش وهو عامد الى الكعبة فحثى على راسه ترابا
فمر عليه بعض كبراء قريش من المشركين فقال له ابو بكر الا ترى ما صنع هذا السفيه فقال
له انت فعلت بنفسك فصار ابو بكر يقول رب ما احلمك قال ذلك ثلاثا انتهى
اي وفي كلام بعضهم وينبغي لك ان تتامل فيما وصف به ابن الدغنة ابا

بكر

بكر بين اشراف قريش بتلك الاوصاف الجليلة المساوية لما وصفت به خديجة
النبي صلى الله عليه وسلم ولم يطعنوا فيها مع ما هم ملتبسون به من عظيم
بغضه ومعاداته بسبب اسلامه فان هذا منهم اعتراف اي اعتراف بان ابا بكر كان
مشهورا بينهم بتلك الاوصاف بشهرة تامة بحيث لا يمكن احدا ان ينازع فيها والا كان
يجحد شيئا منها والا بادروا الى جحدها بكل طريق امكنهم لما غلوا به من قبيح العداوة
له بسبب ما كانوا يرون منه من صدقه لانه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعظيم
وما يؤثر عنه رضي الله تعالى عنه صنائع المعروف تقي مصارع السوء ثلاث من كن فيه
كن عليه البغي والنكث والمكر

باب عرض قريش عليه صلى الله عليه

وسلم اشياء من خوارق العادات وغير العادات ليكف عنهم المسلمين يريدون ويكثرون
وسؤالهم اشياء من خوارق العادات معينات وغير معينات وبعثهم الى احبار
يهود بالمدينة ليسالوهم عن صفة النبي صلى الله عليه وسلم وعن ما جاء به حديث
الزبيدي وحديث المستهزئين به صلى الله عليه وسلم ومن حديثهم حديث الاراشي
ومن قصد اذيته صلى الله عليه وسلم فرجع خائبا حدث محمد بن كعب القرظي قال
حدثت ان عتبة بن ربيعة وكان سيدا مطاعا في قريش قال يوما وهو جالس في نادي قريش
اي متحدثهم والنبي صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحده يا معشر قريش الا اقوم لمحمد
صلى الله عليه وسلم واكلمه واعرض عليه امورا لعله يقبل بعضها فنعطيه اياها ويكف عنا
قالوا يا ابا الوليد فقم اليه فكلمه قال وفي رواية ان نفرا من قريش اجتمعوا وفي اخرى
اشراف قريش من كل قبيلة اجتمعوا وقالوا ابعثوا الى محمد حتى تعذروا فيه فقالوا انظروا
اعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليات هذا الرجل الذي فرق جماعتنا وشتت
امرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يريد فقالوا لا نعلم احدا غير عتبة بن ربيعة
انتهى فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن اخي انك منا
حيث قد علمت من السطة في العشيرة والمكان في النسب اي من الوسط اي الخيار
حسبا ونسبا وانك قد اتيت قومك بامر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به
احلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من ابائهم قال زاد
بعضهم انه قال له ايضا انت خير ام عبد الله انت ام عبد المطلب اي فسكت ان كنت
تزعم ان هؤلاء خير منك فقد عبدوا الالهة التي عبت وان تزعم انك خير منهم
فقل نسمع لقولك لقد افضحتنا في العرب حتى طار فيهم ان في قريش ساحرا وان
في قريش كاهنا ما نريد الا ان يقوم بعضنا لبعض بالسيوف حتى نتفانى انتهى
فاسمع مني اعرض عليك امورا تنظر فيها لعلك تقبل منا بعضها فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم قل يا ابا الوليد اسمع فقال يا ابن اخي ان كنت انما تريد بما جئت
به من هذا الامر مالا جمعنا من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا وان كنت تريد شرفا
سودناك علينا حتى لا نقطع امرا دونك وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا
اي فنصيرك الآمر والناهي فهو اخص مما قبله وان كان هذا الذي يأتيك رئيا من
الجن تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه اموالنا حتى
نبرئك منه فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى حتى اذا فرغ عتبة ورسول الله
صلى الله عليه وسلم يستمع منه قال لقد فرغت يا ابا الوليد قال نعم قال فاسمع مني
قال افعل قال بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته
قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون ثم مضى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيها فقرأها عليه وقد انصت عتبة لها والقى يديه خلف ظهره
معتمدا عليهما يسمع منه ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قوله تعالى فان
اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه صلى
الله عليه وسلم وناشده الرحم ان يكف عن ذلك ثم انتهى الى السجدة فيها فسجد ثم قال
سمعت يا ابا الوليد ما سمعت فانت وذاك فقام عتبة الى اصحابه فقال بعضهم لبعض
نحلف لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس اليهم قالوا له ما وراءك
يا ابا الوليد قال ورائي اني سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر
ولا بالسحر ولا بالكهانة اطيعوني فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه
نبأ فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم
وعزه عزكم وكنتم اسعد الناس به قالوا سحرك والله يا ابا الوليد بلسانه قال
هذا رايي فيه فاصنعوا ما بدا لكم قال وفي رواية ان عتبة لما قام من عند النبي صلى الله
عليه وسلم ابعد عنهم ولم يعد اليهم فقال ابو جهل والله يا معشر قريش ما نرى عتبة
الا قد صبا الى محمد صلى الله عليه وسلم واعجبه طعامه فانطلقوا بنا اليه فاتوه فقال
ابو جهل والله يا عتبة ما جئناك الا انك قد صبوت الى محمد صلى الله عليه وسلم
واعجبك امره فقص عليهم القصة وقال والله الذي نصبها بنية يعني الكعبة
ما فهمت شيئا مما قال غير انه انذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسكت
بفيه وناشدته الرحم ان يكف وقد علمت ان محمدا صلى الله عليه وسلم اذا قال شيئا
لم يكذب فخفت ان ينزل عليكم العذاب فقالوا له ويلك يكلمك الرجل بالعربية
لا تدري ما قال قال والله ما سمعت مثله والله ما هو بالشعر الى آخر ما تقدم
فقالوا والله سحرك يا ابا الوليد قال هذا رايي فيكم فاصنعوا ما بدا لكم انتهى

وعن

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان قريشا اي اشرافهم ومشيختهم منهم الاسود
ابن عبد المطلب والاسود بن زمعة والوليد بن المغيرة وامية بن خلف والعاص
ابن وائل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وابو سفيان والنضر بن الحارث
وابو جهل وفي الينبوع ان الوليد بن المغيرة في اربعين رجلا من الملأ اي من
السادات مشوا الى ابي طالب وسألوه ان يحضر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويامره
باشكائهم مما يشكون منه اي ان يزيل شكواهم منه ويجيبهم الى امر فيه الالفة والاصلاح
ما حضر وقال يا ابن اخي هؤلاء الملأ من قومك فاشكهم فقالوا فعاتبوا النبي صلى
الله عليه وسلم على تسفيه احلامهم واحلام آبائهم وعيب آلهتهم الحديث اي قالوا له
يا محمد انا بعثنا اليك لنكلمك فانا والله لا نعلم رجلا من العرب ادخل على قومه
ما ادخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسببت الآلهة وسفهت الاحلام
وفرقت الجماعة ولم يبق امر قبيح الا اتيته فيما بيننا وبينك فان كنت انما جئت
بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا وان كنت
انما تطلب الشرف فينا فنحن نسودك ونشرفك علينا وان كان هذا الذي يأتيك
تابعا من الجن قد غلب عليك بذلنا اموالنا في طلبك وفي رواية انهم لما اجتمعوا
ودعوه صلى الله عليه وسلم فجاءهم مسرعا طمعا في هدايتهم حتى جلس اليهم وعرضوا
عليه الاموال والشرف والملك فقال صلى الله عليه وسلم ما جئت بما جئتكم به اطلب
اموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني اليكم رسولا وانزل
علي كتابا وامرني ان اكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم
وان تقبلوا مني ما جئت به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه علي اصبر لامر الله
تعالى حتى يحكم الله بيني وبينكم وفي رواية اخرى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
دعت قريش النبي صلى الله عليه وسلم الى ان يعطوه مالا فيكون اغنى رجل بمكة
ويزوجوه ما اراد من النساء ويكف عن شتم آلهتهم ولا يذكرها بسوء فقد ذكر ان
عتبة بن ربيعة قال له ان كان انما بك الباءة فاختر اي نساء قريش فنزوجك عشرا
وقالوا ارجع الى ديننا واعبد آلهتنا واترك ما انت عليه ونحن نتكفل لك بكل
ما تحتاج اليه في دنياك واخراك وقالوا له ان لم تفعل فانا نعرض عليك خصلة
واحدة ولك فيها صلاح قال وما هي قال تعبد آلهتنا اللات والعزى سنة ونعبد
الهك سنة فنشترك نحن وانت في الامر فان كان الذي نعبده خيرا مما تعبد كنت
اخذت منه بحظك وان كان الذي تعبده خيرا مما نعبد كنا قد اخذنا بحظنا فقال
لهم حتى انظر ما ياتيني من ربي فجاء الوحي بقوله تعالى قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون

ولا انتم عابدون ما اعبد ولا انا عابد ما عبدتم السورة وعن جعفر الصادق ان
المشركين قالوا له اعبد معنا الهتنا يوما نعبد معك الهك عشرة واعبد معنا الهتنا
شهرا نعبد معك الهك سنة فنزلت اي لا اعبد ما تعبدون يوما ولا انتم عابدون
ما اعبد عشرة ولا انا عابد ما عبدتم شهرا ولا انتم عابدون ما اعبد سنة روى ذلك
التقدير جعفر ردا على بعض الزنادقة حيث قالوا له طعنا في القران لو قال امرء
القيس قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل وكرر ذلك اربع مرات في نسق لكان
عيا فكيف وقع في القران قل يا ايها الكافرون السورة وهي مثل ذلك وقوله
لكم دينكم ولي دين نسخ باية القتال وبقوله تعالى افغير الله تامروني اعبد ايها
الجاهلون بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ولما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله انزل لما كرهتموه القران قالوا ائت بقران غير هذا فانزل الله تعالى وكذا
تقول علينا الايات وقد يقال المناسب للرد عليهم قوله تعالى قل ما يكون لي
ان ابدله من تلقاء نفسي الاية ثم رايت في الكشاف ما يوافق ذلك وهو طاغاظهم
ما في القران من ذم عبادة الاصنام والاوثان والوعيد الشديد قالوا ائت بقران
اخر ليس فيه ما يغيظنا من ذلك نتبعك او بدله بان تجعل مكان اية عذاب اية
رحمة وتسقط ذكر الالهة وذم عبادتها نزل قوله تعالى قل ما يكون لي ان ابدله
الاية قال وجلس النبي صلى الله عليه وسلم مجلسا فيه ناس من وجوه قريش منهم ابو
جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة اه وشيبة بن ربيعة وامية بن خلف او الوليد
ابن المغيرة فقال لهم اليس حسنا ما جئت به فيقولون بلى والله وفي لفظ هل ترون
بما اقول باسا فيقولون لا فجاء عبد الله بن ام مكتوم وهو ابن خال خديجة ام المومنين
وهو ممن اسلم بمكة قديما والنبي صلى الله عليه وسلم مشتغل باولئك القوم وقد
راى منهم مؤانسة وطمع في اسلامهم فصار يقول يا رسول الله علمني مما علمك الله
واكثر عليه فشق عليه صلى الله عليه وسلم ذلك فاعرض عن ابن ام مكتوم ولم يكلمه
انتهى وفي رواية اشار صلى الله عليه وسلم الى قائد ابن ام مكتوم بان يكفه عنه حتى
يفرغ من كلامه فكفه القائد فدفعه ابن ام مكتوم فعبس صلى الله عليه وسلم واعرض
عنه صلى الله عليه وسلم مقبلا على ما كان يكلمه فعاتبه الله تعالى في ذلك بقوله
عبس وتولى ان جاءه الاعمى السورة اي والمجيء مع العمى يقتضي عن مزيد الرغبة وتجشم
الكلفة والمشقة في المجيء ومن كان هذا شانه فحقه الاقبال عليه لا الاعراض
عنه فكان بعد ذلك اذا جاءه يقول له مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويبسط له رداءه
قال وبهذا يسقط ما للقاضي ابي بكر بن العربي هنا انتهى اقول لعل الذي له ما ذكره

تلميذه السهيلي وهو ان ابن ام مكتوم لم يكن اسلم حينئذ والا لم يسمه بالاسم
المشتق من العمى دون الاسم المشتق من الايمان لو كان دخل في الايمان قبل ذلك
وانما دخل فيه بعد نزول الاية ويدل على ذلك قوله للنبي صلى الله عليه وسلم استدنيني
يا محمد ولم يقل استدنيني يا رسول الله ولعل في قوله تعالى لعله يزكى للترجي والا
نتظار للتزكي هذا كلامه وعن الشعبي قال دخل رجل على عائشة رضي الله تعالى
عنها وعندها ابن ام مكتوم وهي تقطع له الاترج وتجعله في العسل وتطعمه
فقيل لها في ذلك فقالت ما زال هذا له من ال محمد منذ عاتب الله عز وجل فيه نبيه
صلى الله عليه وسلم والله اعلم وفي فتاوى الجلال السيوطي من جملة اسئلة رفعت اليه
فاجاب عنها بانها باطلة ان ابا جهل قال يا محمد ان اخرجت لنا طاووسا من صخرة
في داري امنت بك فدعا ربه فصارت الصخرة تئن كانين المراة الحبلى ثم انشقت
عن طاووس صدره من ذهب وراسه من زبرجد وجناحاه من ياقوت ورجلاه من
جوهر فلما راى ذلك ابو جهل اعرض ولم يؤمن ومما سالوه صلى الله عليه وسلم من
الايات غير المعينات على ما رواه الشيخان او معينة كما في رواية ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما وسياتي ما يعلم منه انهم سالوه صلى الله عليه وسلم اولا اية غير معينة ثم
عينوها فلا مخالفة فقد ذكر ابن عباس ان قريشا سالت النبي صلى الله عليه وسلم ان
يريهم اية اي وفي رواية عن ابن عباس اجتمع المشركون اي بمنى منهم الوليد بن المغيرة
وابو جهل بن هشام والعاص بن وائل والعاص بن هشام والاسود بن عبد يغوث
والاسود بن المطلب وزمعة بن الاسود والنضر بن الحارث على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالوا ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين نصفا على ابي قبيس ونصفا
على قعيقعان وقيل يكون نصفه بالمشرق ونصفه الاخر بالمغرب وكانت ليلة اربعة
عشر اي ليلة البدر فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فعلت تومنوا قالوا نعم
فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه ان يعطيه ما سالوه فانشق القمر نصفا على ابي
قبيس ونصفا على قعيقعان وفي لفظ فانشق القمر فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة
دونه ولعل الفرقة التي كانت فوق الجبل كانت جهة المشرق والتي كانت دون
الجبل كانت جهة المغرب فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا اشهدوا
ولا منافاة بين الروايتين ولا بينهما وبين ما جاء في رواية اخرى فانشق القمر نصفين
نصفا على الصفا ونصفا على المروة قدر ما بين العصر الى الليل ينظرون اليه ثم غاب
اي ثم كان الانشقاق قبيل الفجر فواضح والا فمعجزة اخرى لان القمر ليلة اربعة
عشر يستمر جميع الليل وسياتي عن رواية ابن المعمر انه عاد بعد غروبه فقال رسول

الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا اشهدوا والفرقتان مما المراد ثان بالمرتين في بعض
الروايات التي اخذ بظاهرها بعضهم كالزين العراقي فقال انه انشق مرتين
لان المرة قد تستعمل في الاعيان وان كان الاصل وضعها الافعال فقد قال ابن
القيم كون القمر انشق مرتين مرة بعد مرة في زمانين من له خبرة باحوال الرسول
صلى الله عليه وسلم وسيرته يعلم انه غلط وانه لم يقع الانشقاق الا مرة واحدة
وعند ذلك قال كفار قريش سحركم ابن ابي كبشة اي وهو اي كبشة احد اجداده صلى الله
عليه وسلم من قبل امه لان وهب بن عبد مناف بن زهرة جد ابو امه اسمه يكنى ابا كبشة
او هو من قبل مرضعته حليمة لان والدها او جدها كان يكنى بذلك او كان لها بنت
تسمى كبشة فكان زوجها الذي هو ابوه من الرضاعة يكنى بتلك البنت كما تقدم
في الرضاع وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم فقال حدثني حاضني ابو كبشة انهم لما ارادوا
دفن سلول وكان سيدا معظما حفروا له فوقعوا على باب معلق ففتحوه فاذا سرير
وعليه حلل عدة وعند راسه كتاب انا ابو شمر ذو النون مأوى المساكين ومستفاد
الغارمين اخذني الموت غصبا وقد اعيى الجبابرة قبل قوله صلى الله عليه وسلم كان ذو
النون هذا هو سيف بن ذي يزن الحميري وقيل ابو كبشة جده صلى الله عليه وسلم
لابيه لان ابا جده عبد المطلب كان يدعى ابا كبشة وكان يعبد النجم الذي يقال له الشعرى
وترك عبادة الاصنام مخالفة لقريش فهم يشيرون بذلك الى ان له في مخالفته
سلفا وقيل الذي عبد الشعرى وترك عبادة الاصنام رجل من خزاعة شبهوه صلى
الله عليه وسلم به في مخالفته لهم في عبادة الاصنام اي ومما قد يؤيد هذا الاخير ما في الاتقان
حيث مثل بهذه الاية للنوع المسمى بالتنكيت وهو ان يخص المتكلم شيئا من بين الاشياء
بالذكر لاجل نكتة كقوله تعالى وانه هو رب الشعرى خص الشعرى بالذكر دون غيرها
من النجوم وهو سبحانه وتعالى رب كل شيء لان العرب كان ظهر فيهم رجل يعرف بابن
ابي كبشة عبد الشعرى ودعى خلقا الى عبادتها فانزل الله تعالى وانه هو رب الشعرى
التي ادعيت فيها الربوبية هذا كلامه وكبشة ليس مؤنث كبش لان مؤنث الكبش
ليس من لفظه فقال رجل منهم ان محمدا ان كان سحر القمر اي بالنسبة اليكم فانه لا يبلغ
من سحره ان يسحر الارض كلها اي جميع اهل الارض وفي رواية لان كان سحرنا ما يستطيع
ان يسحر الناس كلهم فاسألوا من ياتيكم من بلد اخر هل راوا هذا فسالوهم فاخبروهم
انهم راوا مثل ذلك وفي رواية ان ابا جهل قال هذا سحر فاسالوا اهل الافاق
وفي لفظ انظروا ما ياتيكم به السفار حتى تنظروا هل راوا ذلك ام لا فاخبروا اهل
الافاق وفي لفظ في السفار وقد قدموا من كل وجه فاخبروهم انهم راوه منشقا

فعند

فعند ذلك قالوا هذا سحر مستمر اي مطرد فهو اشارة الى ذلك والى ما قبله من الايات
وفي لفظ قالوا هذا سحر اسحر السحرة من الايات وفي لفظ قالوا هذا سحر فانزل الله
تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر اي
مطرد كما تقدم او محكم او قوي شديد او مار ذاهب لا يبقى وهذا الكلام
لا يخفى يدل على انه لم يختص برؤية القمر منشقا اهل مكة بل جميع اهل الافاق
وبه يرد على بعض الملاحدة لو وقع انشقاق القمر لاشترك اهل الارض كلهم في معرفته
ولم يختص بها اهل مكة ولا يحسن الجواب عنه بانه طلبته جماعة خاصة فاختصت
رؤيته بمن اقترح وقوعه ولا بانه قد يكون القمر حينئذ في بعض المنازل التي
تظهر لبعض اهل الافاق دون بعض ولا يقول بعضهم ان انشقاق القمر اية
ليلية جرى مع طائفة في جنح ليل ومعظم الناس نيام وفي فتح الباري حنين
الجذع وانشقاق القمر نقل كل منهما نقلا مستفيضا يفيد القطع عند من يطلع
على طرق الحديث اقول والى انشقاق القمر اشار صاحب الهمزية بقوله
• شق عن صدره وشق له البد • دون شرط كل شرط جزاء •
اي شق عن صدره صلى الله عليه وسلم وفي نسخة قلبه وكل منهما صحيح لانه شق صدره
اولا ثم شق قلبه ثانيا وشق لاجله القمر ليلة الاربعة عشر ولما شق له صلى الله
عليه وسلم لان من شرط كل شرط جزاء لانه لما شق صدره صلى الله عليه وسلم جوزي على ذلك
باعظم مشابه له في الصورة وهو شق القمر الذي هو من اظهر المعجزات بل اعظمها
بعد القران وقد اشار الى ذلك ايضا الامام السبكي في تائيته بقوله
• وبدر الدياجي انشق نصفين عندما • ارادت قريش منك اظهار اية •
اي فانهم ايتمروا فيما بينهم فاتفقوا على ان يقترحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يريهم انشقاق القمر الذي هو بعيد عن الاطماع في غاية الامتناع اي فقد
سالوه اولا اية غير معينة ثم عينوها وفي الاصابة عن بعضهم قال وانا ابن سبع
عشرة سنة سافرت مع ابي وعمي خراسان الى الهند في تجارة فلما بلغنا اوائل
الهند وصلنا الى ضيعة من الضياع فعرج اهل القافلة نحوها فسالنا عن ذلك
فقالوا هذه ضيعة الشيخ زين الدين المعمر فراينا شجرة خارج الضيعة تظل خلقا
كثيرا وتحتها جمع عظيم من اهل تلك الضيعة فلما راونا رحبوا بنا ورأينا زنبيلا
معلقا في بعض اغصان تلك الشجرة فسالناهم فقالوا في هذا الزنبيل الشيخ
زين الدين رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا له بطول العمر ست مرات اي فبلغ
ستمائة سنة كل دعوة بمائة سنة فسالناهم ان ينزلوا الشيخ لنسمع كلامه وحديثه

فتقدم شيخ منهم فانزل الزنبيل فاذا هو مملو بالقطن والشيخ وسط القطن وهو
كالفرخ فوضع فمه على اذنه وقال يا جداه هولاء قوم قد قدموا من خراسان وقد سالوا ان
تحدثهم كيف رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وماذا قال لك فعند ذلك تنفس الشيخ
وتكلم بصوت كصوت النحل بالفارسية ونحن نسمع فقال سافرت مع ابي وانا شاب من
هذه البلدة الى الحجاز في تجارة فلما بلغنا بعض اودية مكة وكان المطر قد ملأ الاودية
فرايت غلاما حسن الشمايل يرعى ابلا في تلك الاودية وقد حال السيل بينه وبين
ابله وهو يخشى من خوض الماء لقوة السيل فعلمت حاله فاتيت اليه وحملته وخضت به
السيل الى عند ابله من غير معرفة سابقة فلما وضعته عند ابله نظر الى فدعى لي ثم عدنا الى
بلادنا وتطاولت المدة ففي ليلة ونحن جلوس في ضيعتنا هذه في ليلة مقمرة ليلة
البدر والبدر في كبد السما اذ نظرنا اليه قد انشق نصفين فغرب نصف في المشرق
ونصف في المغرب واظلم الليل ساعة ثم طلع النصف من المشرق والثاني من المغرب
الى ان التقيا في وسط السما كما كان اول مرة فتعجبنا من ذلك غاية التعجب ولم نعرف
لذلك سببا فسالنا الركبان عن سببه فاخبرونا ان رجلا هاشميا وان اهل مكة
سالوه معجزة واقترحوا عليه ان يامر القمر ينشق في السما ويغرب نصف في المشرق
ونصف في المغرب ثم يعود الى ما كان عليه ففعل لهم ذلك فاشتقت الى رؤياه فذهبت
الى مكة وسالت عنه فدلوني على موضعه واتيت المنزل واستاذنت فاذن لي في
الدخول فدخلت عليه فلما سلمت عليه نظر الي وتبسم وقال ادن مني وبين يديه
طبق فيه رطب فتقدمت وجلست واكلت من الرطب وصار يناولني الى ان ناولني
ست رطبات ثم نظر الي وتبسم وقال لي الم تعرفني قلت لا فقال الم تحملني في عام كذا
في السيل ثم مد لي يده فصافحني وقال قل اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان
محمدا رسول الله فقلت ذلك فسر وقال اي عند خروجي من عنده بارك الله في عمرك
قال ذلك ست مرات فبارك الله لي في عمري بكل دعوة مائة سنة فعمري اليوم ستمائة
اي في المائة السادسة مشرف على تمامها انتهى **وسئل** الحافظ السيوطي عن مثل
هذا الحديث وعن الحديث الذي رواه معمر الذي يزعم انه صحابي وانه يوم الخندق صادف
ينقل التراب بغلقين وبقية الصحابة بغلق واحد فضرب النبي صلى الله عليه وسلم
بكفه الشريف بين كتفيه اربع ضربات وقال له عمرك الله يا معمر فعاش بعد ذلك
اربعمائة سنة ببركة الضربات التي ضربها بين كتفيه كل ضربة مائة سنة وقال له
بعد ان صافحه من صافحك الى ست او سبع لم تمسه النار هل هو صحيح ام هو كذب وافترا
لا تجوز روايته **فاجاب** بانه باطل وان معمرا هذا كذاب دجال لانه ثبت في الصحيح

١نز

انه صلى الله عليه وسلم قال قبل موته بشهر ارايتكم ليلتكم هذه فان على راس مائة سنة
لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض احد **وقد** قال اهل الحديث وغيرهم ان من ادعى
الصحبة بعد مائة سنة من وفاته صلى الله عليه وسلم فهو كذاب ومعلوم ان اخر
الصحابة موتا ابو الفضل الطفيل مات سنة عشر ومائة من الهجرة ثبت ذلك في
صحيح مسلم **واتفق** عليه العلما فمن ادعى الصحبة بعد ابي الطفيل فهو كذاب **ومما**
سالوه صلى الله عليه وسلم من الايات المعنيات ما حدث به بعضهم قال ان قريشا
قالت له صلى الله عليه وسلم سل ربك يسير عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا ويبسط
لنا بلادنا وليجرق فيها انهارا كانهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من ابائنا
وليكن فيمن يبعث لنا قصي بن كلاب فانه كان شيخ صدق فنسأله عما تقول احق هو ام باطل
قال زاد في رواية فان صدقوك وصنعت ما سالناك صدقناك وعرفنا منزلتك من
الله تعالى وانه بعثك الينا رسولا كما تقول لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما
بهذا بعثت لكم انما جيتكم من الله بما بعثني به انتهى **ثم قالوا** واسال ربك يبعث معك ملكا
يصدقك فيما تقول ويراجعنا عنك اي وفي لفظ قالوا له لم لا تنزل علينا الملايكة فتخبرنا
بان الله ارسلك او نرى ربنا فيخبرنا بانه ارسلك فنومن حينئذ بك **وقال** اخر
يا محمد لن نومن لك حتى تاتينا بالله والملايكة قبيلا واساله ان يجعل لك جنانا وقصورا
وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغي فانك تقوم بالاسواق وتلتمس
المعاش كما نلتمسه اي فلا بد ان تتميز عنا حتى نعرف فضلك عند ربك ومنزلتك
ق ان كنت رسولا اي وفي لفظ قالوا ان محمدا ياكل الطعام كما ناكل ويمشي في الاسواق
ويلتمس المعاش كما نلتمس فلا يجوز ان يمتاز عنا بالنبوة فقال لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما انا بالذي يسال ربه هذا ٥ وانزل الله تعالى وقالوا ما لهذا
الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق ولما قالوا الله اعظم ان يكون رسوله
بشرا انزل الله تعالى اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم **ثم** قالوا واسقط
السما علينا كسفا اي قطعا كما زعمت ان ربك ان شا فعل وقد بلغنا انك انما يعلمك
رجل باليمامة يقال له الرحمن وانا والله لن نومن بالرحمن ابدا اي وقد عنوا بالرحمن
مسيلمة وقيل عنوا كاهنا لليهود باليمامة وقد رد الله تعالى عليهم بان الرحمن
المعلم له هو الله تعالى بقوله قل هو الرحمن ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه
متاب اي توبتي ورجوعي ٥ وعند ذلك قام صلى الله عليه وسلم حزينا اسفا
على ما فاته من هدايتهم التي طمع فيها وقام له عبد الله بن عمته عاتكة بنت عبد
المطلب قبل ان يسلم رضي الله تعالى عنه يا محمد قد عرض عليك قومك ما

عرضوا فلم تقبل ثم سالوك امورا ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ويصدقوك
ويتبعوك فلم تفعل ثم سالوك ان تعجل بعض ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل
والله لن نؤمن بك ابدا حتى تتخذ الى السما سلما ثم ترقى فيه وانا انظر اليك حتى تاتيها
ثم تاتى معك نسخة اى كتاب معه اربعة من الملائكة يشهدون انك كما تقول وايم
الله ان لو فعلت ذلك ما ظننت انى اصدقك فانزل الله تعالى عليه الايات التى
فيها شرح هذه المقالات فى سورة الاسرا وفيها الاشارة الى ان الله تعالى خيره بين
ان يعطيهم جميع ما سالوا وانهم ان كفروا بعد ذلك استاصلهم بالعذاب كالامم السابقة
وبين ان يفتح لهم باب الرحمة والتوبة لعلهم يتوبون واليه يرجعون فاختار
الثانى لانه صلى الله عليه وسلم يعلم من كثير منهم العناد وانهم لا يؤمنون وان حصل
ما سالوه فيستاصلوا بالعذاب لان الله تعالى يقول واتقوا فتنة لا تصيبن
الذين ظلموا منكم خاصة وعن محمد بن كعب ما حاصله ان الملاين من قريش اقسموا للنبى
صلى الله عليه وسلم بالله عز وجل انهم يؤمنون به اذا صار الصفا ذهبا فقام يدعو
الله تعالى ان يعطيهم ما سالوه فاتاه جبريل فقال له ان شئت كان ذلك ولكن لم
ات قوما باية اقترحوها فلم يؤمنوا بها الا امرت بتعذيبهم وفيه انه حينئذ
يشكل رواية سؤالهم انشقاق القمر وفى رواية اتاه جبريل فقال يا محمد ان ربك
يقريك السلام ويقول ان شئت ان تصبح لهم الصفا ذهبا فان لم يؤمنوا انزلت
عليهم العذاب عذابا لا اعذبه احدا من العالمين وان شئت ان لا تصير الصفا
ذهبا وفتحت لهم باب الرحمة والتوبة فقال لا بل ان تفتح لهم باب التوبة والرحمة
وفى رواية وان شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال بل حتى يتوب تائبهم وايضا
وافق على فتح باب الرحمة والتوبة لانه صلى الله عليه وسلم علم ان سؤالهم لذلك تجاهل
لانه خفيت عليهم حكمة ارسال الرسل وهى امتحان الخلق وتعبدهم بتصديق الرسل
ليكون ايمانهم عن نظر واستدلال فيحصل الثواب لمن فعل ذلك ويحل العقاب
لمن اعرض عنه اذ مع كشف الغطا يحصل العلم الضرورى فلا يحتاج الى ارسال
الرسل ويفوت الايمان بالغيب وايضا لم يسالوا تلك الايات الا تعنتا
واستهزاء على جهة الاسترشاد ودفع الشك والى سؤالهم تلك الايات وارتيابهم
فى القران وقولهم فيه انه سحر وافترا اى سحر يؤثر اى ياخذه عن مثله وعن اهل بابل
يفرق به بين المرء واخيه وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته ان هو الا قول البشر
من قول البشر قول اليسر وهو عبد لبنى الحضرمى كان النبى صلى الله عليه وسلم ٥
يجالسه والى قول ابى جهل ايضا تزاحمنا نحن وبنو عبد المطلب الشرف حتى صرنا

كونى

كفرسى رهان قالوا منا نبى يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه ابدا الا ان ياتينا
وحى كما ياتيه فنزل قوله تعالى واذا جاءتهم اية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتى
رسل الله والى هذا اشار صاحب الهمزية بقوله ٥

عجبا للكفار زادوا ضلالا   بالذى فيه للعقول اهتداء
والذى يسالون منه كتاب   منزل قد اتاهم وارتقاء

اى اعجب عجبا من حال الكفار حال كونهم زادوا ضلالا بالقران الذى فيه اهتدا العقول
واعجب عجبا ايضا من الامر الذى يطلبونه منه صلى الله عليه وسلم وهو كثير من جملته
كتاب منزل عليهم من السما وهو القران

اولم يكفهم من الله ذكر   فيه للناس رحمة وشفاء
اعجز الانس اية منه والجن   فهلا ياتى به البلغاء
كل يوم يهدى الى سامعيه   معجزات من لفظه القراء
تتحلى به المسامع والافوا   ه فهو الحلى والحلواء
رق لفظا وراق معنى فجاءت   فى حلاها وحليها الخنساء
وارتنا فيه غوامض فضل   رقة من زلاله وصفاء
انما تجتلى الوجوه اذا ما   جليت عن مراتها الاصداء
سور منه اشبهت صورا منا   ومثل النظائر النظراء
والاقاويل عندهم كالتماثيـ   ـل فلا يوهمنك الخطباء
كم ابانت اياته من علوم   من حروف ابان عنها الهجاء
فهى كالحب والنوى اعجب الزر   اع منها سنابل وزكاء
فاطالوا فيه التردد والريـ   ـب فقالوا سحر وقالوا افتراء
واذا البينات لم تغن شيئا   فالتماس الهدى بهن عناء
واذا ضلت العقول على علـ   ـم فماذا تقوله الفصحاء

اى اولم يكفهم عما سالوه عنادا ذكر واصل اليهم حال كونه من الله تعالى رحمة وشفاء
للناس والجن والملائكة اعجز الانس والجن اية منه فهلا ياتى بمثل الاية اهل البلاغة
كل وقت يهدى قراؤه الى سامعيه معجزات من لفظه ولذلك تتحلى بسماعه المسامع
من التحلية التى هى لبس الحلى وتتحلى بالفاظه الافواه من الحلوا فهو الحلى والحلوا معا
من جهة اللفظ ونقى من شوائب النقص من جهة المعنى فارتنا رقة من زلاله
وصفاء ذلك الزلال خبايا فضل فيه وهى العلوم المستنبطة منه وانما تظهر الوجوه
ظهورا واضحا لا خفاء معه بوجه اذا قوبلت بمراة وقد جلا الاصداء تلك

المراة سورًا شبهت صورًا منا من حيث اشتمال كل صورة هنا على عقل وفهم وخلق
لا يشاركه فيه غيره والاقاويل الصادرة من الكفار في القران كالصور التي يصورها
المصورون فانه لا وجود لها في الحقيقة فما قالوه في القران باطل تطوى لبطلان
فاحذر الخطبان توقع في وهمك ان ما ياتي به يقارب القران كم او صحف ايات لا علو
ما حاله كونها متولدة من حروف قليلة كشف عنها التهجي كالحب الذي يلقيه الزراع
والنوى الذي يلقيها الغارس اعجب الزراع والغراس منها اي من تلك الحبوب والنوى
سنابل وثمار وعموما فالحصر فما طالوا في تلك السؤال لشك فقالوا سحر وتمويه لا حقيقة
له وقالوا مرة اخرى اساطير الاولين واذا كانت الحجج والبراهين لم تقدم شيئا من الهدى
فطلب الهدى منهم بتلك الحجج تعب لا يفيد شيئا واذا ضلت العقول عن طرق الحق
مع علمها بتلك الطرق فاي قول يقوله الفصحاء وقال الوليد بن المغيرة يوما اينزل
القران على محمد واترك انا وانا كبير قريش وسيدها ويترك ابو مسعود الثقفي
سيد ثقيف ونحن عظما القريتين اي مكة والطايف فانزل الله تعالى وقالوا لولا
اي هلا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم اي اعظم واشرف محمد صلى الله
عليه وسلم فرد الله تعالى عليهم بقوله اهم يقسمون رحمة ربك الاية وفي لفظ قال
بعضهم كان الاحق بالرسالة الوليد بن المغيرة من اهل مكة او عروة بن مسعود
الثقفي من اهل الطايف ثم لا يخفى ان كفار قريش بعثوا مع النضر بن الحارث عقبة
ابن ابي معيط الى احبار يهود بالمدينة وقالوا لهما اسالاهم عن محمد وصفا لهم صفته
واخبراهم بقوله فانهم اهل الكتاب الاول اي التوراة لانه قبل الانجيل وعندهم
علم ليس عندنا فخرجا حتى قدما المدينة وسالا احبار يهود اي قالوا لهم اتيناكم لامر
حدث فينا منا غلام يتيم حقير يقول قولا عظيما يزعم انه رسول الله وفي لفظ
رسول الرحمن قالوا صفوا لنا صفته فوصفوا قالوا فمن تبعه منكم قالوا سفلتنا
فضحك حبر منهم وقال هذا النبي الذي نجد نعته ونجد قومه اشد الناس له عداوة
قال لهم احبار اليهود سلوه عن ثلاث فان اخبركم بهن فهو نبي مرسل وان لم يفعل
فالرجل متقول سلوه عن فتية ذهبت في الدهر الاول اي وهم اهل الكهف ما كان من
امرهم فانه قد كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الارض
ومغاربها وسلوه عن الروح ما هي فاذا اخبركم بذلك اي بحقيقة الاولين وبعارض
من عوارض الثالث وهو كونها من امر الله فاتبعوه فانه نبي فرجع النضر وعقبة
الى قريش وقالا لهم قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد واخبراهم الخبر فجاؤا الى النبي
صلى الله عليه وسلم وسالوه عن ذلك فقال لهم عليه الصلاة والسلام اخبركم غدا

ولم

ولم يستثن اي لم يقل ان شاء الله تعالى وانصرفوا فمكث صلى الله عليه وسلم خمسة
عشر يوما وقيل ثلاثة ايام وقيل اربعة ايام لا ياتيه الوحي وتكلمت قريش
في ذلك بما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ان محمدا قلاه ربه وتركه اي
اي ومن جملة من قال ذلك له صلى الله عليه وسلم ام جميل امراة عمه ابي لهب قالت
له ما ارى صاحبك الا وقد ودعك وقلاك اي تركك وبغضك وفي رواية قالت
امراة من قريش ابطا عليه شيطانه وشق عليه صلى الله عليه وسلم ذلك منهم
ثم جاءه جبريل بسورة الكهف وفيها خبر الفتية الذين ذهبوا وهم اهل الكهف
ويروى انهم يكونون مع عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام اذا نزل ويحجون
البيت وخبر الرجل الطواف وهو ذو القرنين اي وهو اسكندر وذو القرنين
كان له قرنان صغيران من لحم تواريهما العمامة وفي لفظ كان له شبه القرنين
في راسه وقيل غديرتان من شعر وقيل لانه قرن ما بين طلوع الشمس وغروبها
اي بلغ قطري المشرق والمغرب وقيل ضرب على قرن راسه فمات ثم احيي ثم
ضرب على قرنه الاخر فمات ثم احيي وقيل لانه انقرض في زمنه قرنان من الناس
والقران زمانا مائة سنة وكان ذو القرنين رجلا صالحا من اهل
مصر من ولد يونن وفي لفظ يونان بن يافث بن نوح وكان من الملوك العادلة
وكان الخضر صاحب لوائه الاكبر وقيل كان نبيا قاله الضحاك وجاءه صلى الله
عليه وسلم جبريل بالجواب عن الروح المذكور ذلك في سورة الاسرا وهو ان الروح
من امره اي قل لهم الروح من امر ربي اي من علمه لا يعلمه الا هو اي وكان في كتبهم
ان الروح من امر ربي اي مما استاثر الله تعالى بعلمه فلم يطلع عليه احدا من خلقه
ومن ثم جاء في بعض الروايات ما تقدم ان اجابكم عن حقيقة الروح فليس بنبي
والا بان اجابكم عنها بانها من امر الله فهو نبي ولعل هذا هو المراد كما جاء في بعض الروايات
سلوه عن الروح فان اخبركم به فليس بنبي وان لم يخبركم فهو نبي اقول اذا كان
في كتبهم ان حقيقة الروح مما استاثر الله تعالى بعلمه كيف يسالونه ومخبرهم
بذلك الا ان يقال المراد ان اجابكم بغير قوله من امر ربي فاعلموا انه غير نبي فانه
يحاول ان يخبركم عن حقيقتها وحقيقتها لا يعلمها الا الله تعالى ويوافقه ما في
ماثور التفسير من امر ربي من علم ربي لا علم لي به وفي بعض الروايات عن
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما سلوه عن الروح التي نفخ الله تعالى في ادم فان قال
لكم من الله تعالى فقولوا له كيف يعذب الله تعالى في النار شيئا هو منه وحاصل
الجواب الذي اشارت اليه الاية ان الروح امر ربي ماثور اي مامور من مامورات

وخلق من خلقه لا انها جزء منه والله اعلم اى وهذا يدل على ان المسؤل عنه روح
الانسان التى هى سبب الحياة فى افادة الحياة للجسد وفى كلام الامام الغزالى
ان الروح روحان حيوانى وهو الذى تسميه الاطبا المزاج وهى جسم لطيف بخارى
معتدل سار فى البدن الحامل للقواه من الحواس الظاهرة والقوى الجسمانية وهذه
الروح تفنى بفنا البدن وتنعدم بالموت وروح روحانى وهى التى يقال لها النفس
الناطقة ويقال لها اللطيفة الربانية ويقال لها العقل ويقال لها الروح
ويقال لها القلب من الالفاظ الدالة على معنى واحد لها تعلق بقوى النفس الحيوانية
وهذه لا تفنى بفنا البدن وتبقى بعد الموت هذا كلامه وفى كلام بعضهم
والروح عند اكثر اهل السنة جسم لطيف مغاير للاجسام ماهية وهيئة متصرف
فى البدن حال فيه حلول الدهن فى الزيتون يعبر عنه بانا وانت واذا فارق
البدن مات وذهب جمع منهم الغزالى والامام الرازى وفاقا للحكما والصوفية
الى انه مجرد غير حال بالبدن يتعلق به تعلق العاشق بالمعشوق يدبر امره على
وجه لا يعلمه الا الله انتهى ورايت فى كلام الشيخ الاكبر ان الامام ركن الدين
السمرقندى لما فتح المسلمون بلاد الهند خرج بعض علمايها ليناظر المسلمين
فسال عن العلما فاشاروا الى الامام ركن الدين السمرقندى فقال له الهندى
ما تعبدون قالوا نعبد الله بالغيب قد سمع انبايكم قالوا محمد صلى الله عليه وسلم
قال فما الذى قال فى الروح قال من امر ربى فقال صدقتم فاسلم وليس المراد
بالروح خلق من الملايكة على صورة بنى ادم او ملك عظيم عرض شحمة اذنه خمسماية
عام الى غير ذلك مما قيل قال بعضهم قلت كذا فى هذه الرواية انهم سالوه اى
مشركوا مكة عن الروح وحديث ابن مسعود يدل على ان السؤال عن الروح ونزول
الاية كان بالمدينة اى من اليهود هذا كلامه وفيه انه سيأتى جواز تكرر السؤال
وتكرر نزول الاية الى اخر ما يأتى وبه يعلم ما فى الاتقان حيث تعقب قول بعضهم
ان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم سالوه عن الروح وعن ذى القرنين بقوله
قلت السايل عن الروح وذى القرنين مشركوا مكة واليهود كما فى اسباب النزول
لا الصحابة وفى الاتقان قد يعدل عن الجواب اصلا اذا كان السايل قصده التعنت
نحو ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربى قال صاحب الافصاح
انما سال اليهود عن روح الانسان او تغليطا اذ كان الروح يقال بالاشتراك
على روح الانسان والقران وعيسى وجبريل وملك اخر وصنف من الملايكة
فقصد اليهود ان يسألوه صلى الله عليه وسلم فباى مسمى اجابهم قالوا ليس هو

فجاءهم

فجاءهم الجواب مجملا وكان هذا الاجمال كيدا يرد به كيدهم وفى سورة الكهف
ايضا اية ولا تقولن لشىء انى فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله واذكر ربك اذا
نسيت اى اذا اردت ان تقول سافعل شيئا فيما يستقبل من الزمان فقل ان شا
الله فان نسيت التعليق بذلك ثم تذكرت تاتى به فذكرها بعد النسيان كذكرها
بعد القول قد سمع منهم الحسن ما دام فى المجلس اى وظاهره وان طال الفصل
الفصل وفى الخصايص الكبرى انه هذا اى الاتيان بالمشية بعد التذكر من خصايصه
صلى الله عليه وسلم وليس لاحد منا ان يستثنى اى ياتى بالمشية الا فى صلة يمينه
اقول كان ينبغى ان يقول فى صلة اخباره لان مساق الاية فى الاخبار لا فى الحلف
فان قيل هى عامة فى الخبر والحلف قلنا كان ينبغى حينئذ ان يقول فى صلة كلامه
وحينئذ يقتضى كلامه انا نشاركه فى الخبر دون الحلف والله اعلم ثم لا يخفى
انه قيل فى سبب احتباس الوحى ما ذكر وهو انه لم يقل ان شا الله تعالى وهو المشهور
وقيل لانه كان فى بيته كلب وفى لفظ كان تحت سريره جرو ميت فقد جاء انه
صلى الله عليه وسلم لما غاب جبريل فى احتباسه قال اما علمت ان الملايكة لا تدخل بيتا
فيه كلب اى فانه صلى الله عليه وسلم قال لخادمته خولة يا خولة ما حدث فى بيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم جبريل لا ياتينى قالت فقلت فى نفسى لو كنست البيت فاهويت
بالمكنسة تحت السرير فاخرجت الجرو ميتا اقول قال ابن كثير قد ثبت فى الحديث
المروى فى الصحاح والسنن والمسانيد من حديث جماعة من الصحابة عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال لا تدخل الملايكة بيتا فيه صورة ولا كلب ولا جنب
وقد اورد بعض الزنادقة سؤالا وهو اذا كانت الملايكة لا تدخل بيتا فيه كلب
او صورة اى صورة التماثيل التى فيها الارواح يلزم ان لا يموت من عنده كلب او
صورة وان لا يكتب عليه واجيب عنه بان المراد لا تدخل ذلك البيت دخول
اكرام لصاحبه وتحصيل بركة له فلا ينافى دخولهم لكتابة الاعمال وقبض الارواح
والله اعلم وقيل لانه صلى الله عليه وسلم زجر سايلا ملحا وقد كان قبل ذلك يرد
السايل بقوله اتاكم الله من فضله اى وربما سكت فقد روى الشيخان ما سيل رسول
الله صلى الله عليه وسلم شيئا فقال لا قال الحافظ ابن حجر المراد بذلك انه لا ينطق
بالرد بل ان كان عنده اعطاه والا سكت وهذا هو المراد بما جا انه صلى الله عليه
وسلم ما رد سايلا اى بشى فيه الرد وقد حكى بعضهم قال رايت النبى صلى الله
عليه وسلم فى النوم فقلت يا رسول الله استغفر لى فسكت فقلت يا رسول الله
ان ابن عيينة حدثنا عن جابر انك ما سيلت شيئا قط فقلت لا فتبسم صلى

الله عليه وسلم واستغفر لي اي فكان يأتي بالاولى حيث لا يكون المقام يقتضي الاقتصار
على السكوت ولعل هذا في غير رمضان فلا يخالف ما رواه البزار عن انس رضي الله
تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل شهر رمضان اطلق
كل اسير واعطى كل سايل وبين الشيخ ابن الجوزي في النشر سبب الحاح هذا
السائل ان النبي صلى الله عليه وسلم اهدى اليه قطف عنب قبل اوانه فهم ان يأكل
منه فجاءه سايل فقال اطعموني مما رزقكم الله فسلم اليه ذلك القطف فلقيه
بعض الصحابة فاشتراه منه واهداه للنبي صلى الله عليه وسلم فسأله فاعطاه اياه
فلقيه رجل اخر من الصحابة فاشتراه منه واهداه للنبي صلى الله عليه وسلم فعاد
السائل فسأله فانتهره وقال انك ملح قال وهذا ايضا غريب جدا وهو
معضل وقيل سبب ذلك غير ذلك من ذلك الغير ان جبريل عليه السلام لما قال
له صلى الله عليه وسلم ما حبسك عني قال كيف نأتيكم وانتم لا تقصون اظفاركم
ولا تنقون براجمكم ولا تأخذون شعوركم ولا تستاكون اقول واختلاف هذه
الاسباب ظاهرة في ان الواقعة متعددة ولا ينافيه قوله وترك اي سورة
والضحى ردا عليهم في قولهم ان محمدا قلاه ربه وتركه وهي ما ودعك ربك وما
قلى ما قطعك قطع المودع وما ابغضك لانه يجوز ان يكون مما تكرر نزوله
لاختلاف سببه ويمكن ان يقال يجوز ان تكون الواقعة واحدة وتعددت اسبابها
ولا ينافيه اخبار جبريل عليه السلام تارة بان سبب احتباسه عدم قص الاظفار وما
ذكر معه وتارة بان الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب وتارة بقوله وما نتنزل الا بامر ربك
لا سيما في قصة الافك لكن قال الحافظ ابن حجر قصة ابطاء جبريل بسبب الجرو
مشهورة لكن كونها سبب نزول الاية اي ما ودعك ربك وما قلى غريب فالمعتمد ما في
الصحيح هذا كلامه اقول ومما يدل على ان واقعة الجرو كانت بالمدينة ما في بعض التفاسير
ان هذا الجرو كان للحسين والحسن وما رواه مسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها
قالت واعد رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام في ساعة ان يأتيه
فجاءت تلك الساعة ولم يأته قالت وكان بيده عصا فطرحها من يده وهو يقول
ما يخلف الله وعده ولا رسله ثم التفت فاذا كلب تحت السرير فقال متى دخل هذا
الكلب فقلت والله ما دريت به فامر به فاخرج فجاء جبريل عليه الصلاة والسلام
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدتني فجلست لك ولم تأت فقال
منعني الكلب الذي كان في بيتك انا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة وفي
زيادة الجامع الصغير اتاني جبريل فقال لي اني كنت اتيتك البارحة فلم يمنعني

ان

ان اكون دخلت عليك البيت الذي كنت فيه الا انه كان على الباب تماثيل وكان
في البيت ستر فيه تماثيل وكان في البيت كلب فامر براس التماثيل الذي في
البيت فليقطع فيصير كهيئة الشجرة وامر بالستر فليقطع فيجعل منه وساد
منبوذتين توطآن وامر بالكلب فاخرج ومعلوم ان مجيء جبريل له صلى الله تين
عليه وسلم اكرام وتشريف له صلى الله عليه وسلم فلا ينافي ما تقدم فليتامل ولما
نزلت السورة المذكورة كبر صلى الله عليه وسلم فرحا بنزول الوحي واستمر صلى
الله عليه وسلم لا يجاهر قومه بالدعوة حتى نزل واما بنعمة ربك فحدث فعند
ذلك كبر صلى الله عليه وسلم ايضا وكان ذلك سببا للتكبير في افتتاح السورة
التي بعدها وفي ختمها الى اخر القران وعن ابي بن كعب رضي الله تعالى عنه انه
قرا كذلك على النبي صلى الله عليه وسلم بعد امره له بذلك وانه كان كلما ختم
سورة وقف وقفة ثم قال الله اكبر هذا وقيل ابتدا التكبير من اول الم
نشرح لا من اول الضحى وقيل ان التكبير انما هو لاخر السورة وابتداؤه من
اخر سورة الضحى الى اخر قل اعوذ برب الناس والاتيان بالتكبير في الاول
والاخر جمع بين الروايتين الرواية التي جاءت بانه كبر في اول السورة المذكورة
والرواية الاخرى انه كبر في اخرها ومما يدل على ان التكبير اول سورة الضحى
ما جاء عن عكرمة بن سليمان قال قرات على اسماعيل بن عبد ربه فلما بلغت
الضحى قال كبر فاني قرات على عبد الله بن كثير احد القراء السبعة فلما بلغت
والضحى قال لي كبر حتى تختم واخبرني ابن كثير انه قرا على مجاهد فامره بذلك
واخبره ان ابن عباس رضي الله عنهما امره بذلك واخبره ابن عباس ان ابي ابن
كعب امره بذلك واخبره ان النبي صلى الله عليه وسلم امره بذلك قال بعضهم
حديث غريب ونقل عن امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه انه قال لاخر
اذا تركت التكبير من الضحى الى الحمد في الصلاة وخارجها فقد تركت سنة من
سنن نبيك صلى الله عليه وسلم لكن في كلام الحافظ ابن كثير ولم يرد
ذلك اي التكبير عند نزول سورة الضحى باسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف
وقد ذكر الشيخ ابو المواهب الشاذلي عن شيخه ابي عثمان انه قال انما نزلت
سورة الم نشرح عقب قوله واما بنعمة ربك فحدث اشارة الى ان من حدث
بنعمة الله فقد شرح الله صدره قال كان الله تعالى يقول اذا حدثت بنعمتي
ونشرتها بين عبادي فقد شرحت صدرك وعن ابن اسحاق ذكر لي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل لقد احتبست عني يا جبريل حتى سوت

ظنا وفي لفظ ما منعك ان تزورنا اكثر مما تزورنا فقال له جبريل وما نتنزل
الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا اي
لا ننتقل من مكان الى مكان ولا ننزل في زمان دون زمان الا بامره ومشيئته
على مقتضى حكمته وما كان ربك تاركا لك كما تزعم الكفار بل كان ذلك لحكمة
رآها واما حديث الزبيدي فقد حدث بعضهم بعضا قال بينما رسول
الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد ومعه نفر من الصحابة اذا رجل من زبيد
يطوف على حلق قريش حلقة بعد اخرى وهو يقول يا معشر قريش كيف
تدخل عليكم المارة او يجلب اليكم جلب او يحل بضم الحاء اي ينزل بساحتكم
تاجر وانتم تظلمون من دخل عليكم في حرمكم حتى انتهى الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم في اصحابه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ظلمك
فذكر انه قدم بثلاثة اجمال خيرة ابله اي احسنها فسامه بها ابو جهل ثلث اثمانها
ثم لم يسمه بها لاجل سومه احد فاكسد علي سلعتي فظلمني فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم واين اجمالك قال هذه هي بالحزورة فقام رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقام اصحابه فنظروا الى الجمال فرأى جمالا حسانا فساوم ذلك الرجل حتى
الحقه برضاه واخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فباع جملين منها بالثمن
وافضل بعيرا باعه واعطى ارامل بني عبد المطلب ثمنه وكل ذلك وابو جهل
جالس في ناحية من السوق ولا يتكلم ثم اقبل اليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال له اياك ان تعود لمثل ما صنعت بهذا الرجل فترى مني ما تكره فجعل يقول
لا اعود يا محمد فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم واقبل على ابي جهل امية
ابن خلف ومن معه من القوم فقالوا له ذللت في يد محمد فاما ان تكون تريد
ان تتبعه واما رعب دخلك منه فقال لهم لا اتبعه ابدا ان الذي رأيتم مني لما رأيته
رأيت معه رجالا عن يمينه وشماله معهم رماح يشرعونها الي لو خالفته لكانت اياها
اي لاتوا على نفسي ونظير ذلك ان ابا جهل كان وصيا على يتيم فاكل ماله وطرده
فاستغاث اليتيم بالنبي صلى الله عليه وسلم على ابي جهل فمشى معه اليه ورد عليه
ماله فقيل له في ذلك فقال خفت من حربة عن يمينه وحربة عن شماله لو امتنعت ان
يطعنني واما حديث المستهزئين فمما استهزئ به على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما حدث به بعضهم ان ابا جهل بن هشام ابتاع من شخص يقال له الاراشي بكسر الهمزة
نسبة الى اراشة بطن من خثعم اجمالا فمطله باثمانها فدل قريش على النبي صلى الله
عليه وسلم لينتصف من ابي جهل استهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم لعلمهم بانه لا قدرة

له على ابي جهل اي تجدان وقف على ناديهم فقال يا معشر قريش من رجل يعينني
على ابي الحكم بن هشام فاني غريب وابن سبيل وقد غلبني على حقي فقالوا له
اترى ذلك الرجل يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب اليه فهو يعينك
عليه فجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له حاله مع ابي جهل اي قال له
يا عبد الله ان ابا الحكم بن هشام قد غلبني على حق لي قبله وانا غريب وابن
سبيل وقد سالت هؤلاء القوم عن رجل ياخذ لي حقي منه فاشاروا اليك فخذ
حقي منه يرحمك الله فخرج النبي صلى الله عليه وسلم مع الرجل الى ابي جهل وضرب
عليه بابه فقال من هذا قال محمد فخرج اليه وقد انتقع لونه اي تغير وصار
كلون النقع الذي هو التراب ومع الصفرة مع كدرة كما تقدم فقال له اعط هذا
حقه قال لا تبرح حتى اعطيه الذي له فدخل فدفع اليه ماله ثم ان الرجل اقبل حتى
وقف على ذلك المجلس فقال جزاه الله خيرا يعني النبي صلى الله عليه وسلم فقد
والله اخذ لي بحقي وقد كانوا ارسلوا رجلا ممن كان معهم خلف النبي صلى الله
عليه وسلم وقالوا انظر ماذا يصنع فقالوا له ذلك ماذا رايت قال رايت عجبا من
العجب والله ما هو الا ان ضرب عليه بابه فخرج اليه وما معه روحه فقال اعط
هذا حقه فقال نعم لا تبرح حتى اخرج اليه حقه فدخل فخرج اليه بحقه فاعطاه
اليه فعند ذلك قالوا لابي جهل ما رأينا مثل ما صنعت قال ويحكم والله
ما هو الا ان ضرب على بابي وسمعت صوته فملئت رعبا ثم خرجت وان فوق رأسي لفحلا
من الابل ما رأيت مثله قط لو ابيت او تأخرت لاكلني والى هذه القصة اشار صاحب
الهمزية بقوله

واقتضاه النبي دين الاراشي • وقد ساء بيعه والشراء
ورأى المصطفى اتاه بما لم • ينج منه دون الوفا النجاء
هو ما قد رآه من قبل لكن • ما على مثله يعد الخطاء

اي وطلب صلى الله عليه وسلم من ابي جهل ان يؤدي دين الاراشي وقد ساء بيعه
وشراؤه مع ذلك الرجل ورأى المصطفى صلى الله عليه وسلم وقد اتاه بفحل من الابل
لم ينج منه دون الوفا لذلك الدين كثير النجا وذلك الذي اتاه به هو الفحل
الذي قد رآه من قبل اي لما اراد ان يلقي عليه صلى الله عليه وسلم الحجر وهو ساجد
كما تقدم لكن ما على مثله فضلا عنه يعد الخطا لان خطاه لا ينحصر اي ومن
استهزاء ابي جهل بالنبي صلى الله عليه وسلم انه في بعض الاوقات سار خلف النبي صلى
الله عليه وسلم يخلج بانفه وفمه يسخر به فاطلع عليه صلى الله عليه وسلم فقال له

فقال له كن كذلك فكان كذلك الى ان مات ه قال ابن عبد البر كان المستهزئون
المستهزئون الذين قال الله تعالى فيهم انا كفيناك المستهزئين ابو جهل وابو
لهب وعقبة بن ابى معيط والحكم بن العاص بن امية والد مروان
مروان ابن الحكم عم عثمان بن عفان والعاص بن وائل فمن استهزاء ابى جهل
وقصته مما تقدم ومن استهزاء ابى لهب به صلى الله عليه وسلم انه كان يطرح
المكروه والعذرة على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم فرآه في يوم من الايام
رآه اخوه حمزة رضي الله تعالى عنه قد فعل ذلك فاخذه وطرحه على راسه
فجعل ابو لهب ينفض راسه ويقول صابى احمق ومن استهزاء عقبة بن ابى معيط
به صلى الله عليه وسلم انه كان يلقى العذرة ايضا على بابه صلى الله عليه وسلم كما تقدم وقد
قال صلى الله عليه وسلم كنت بين شر جارين ابى لهب وعقبة بن ابى معيط ان كانا
لياتيان بالفروث فيطرحانها على بابى ومن استهزائه انه بصق فى وجه النبى صلى
الله عليه وسلم فعاد بصاقه على وجهه وصار برصا اى فانه صلى الله عليه وسلم كان يكثر
مجالسة عقبة بن ابى معيط فقدم عقبة يوما من سفر فصنع طعاما ودعا الناس
من اشراف قريش ودعا النبى صلى الله عليه وسلم فلما قرب اليهم الطعام ابى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان ياكل فقال ما انا باكل طعامك حتى تشهد ان لا اله
الا الله فقال عقبة اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك محمد رسول الله فاكل صلى
الله عليه وسلم من طعامه وانصرف الناس وكان عقبة صديقا لابى بن خلف فاخبر
الناس ابيا بمقالة عقبة فاتى اليه وقال يا عقبة صبوت قال والله ما صبوت
ولكن دخل على رجل شريف فابى ان ياكل طعامى الا ان اشهد له فاستحييت ان
يخرج من بيتى ولم يطعم فشهدت له فطعم والشهادة ليست فى نفسى فقال له ابى بن
خلف وجهى من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطاه وتبزق فى وجهه وتلطم عينه
فقال له عقبة لك ذلك ثم ان عقبة لقى النبى صلى الله عليه وسلم ففعل به ذلك
قال الضحاك لما بزق عقبة لم تصل البزقة الى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
بل وصلت الى وجهه هو كشهاب نار فاحترق مكانها وكان اثر الحرق فى وجهه الى
الموت وحينئذ يكون المراد بقوله فيما تقدم فعاد بصاقه برصا فى وجهه
اى صار كالبرص وانزل الله تعالى فى حقه ويوم يعض الظالم على يديه اى فى
النار ياكل احدى يديه الى المرفق ثم ياكل الاخرى فتنبت الاولى فياكلها وهكذا
ومن استهزاء الحكم بن العاص انه كان صلى الله عليه وسلم يمشى ذات يوم وهو
خلفه يخلج بفمه وانفه يسخر بالنبى صلى الله عليه وسلم فقال له كن كذلك فكان كذلك

اى كما

اى كما تقدم فنظير ذلك لابى جهل واستمر الحكم بن العاص يخلج بانفه وفمه بعد ان مكث
شهرا مغشيا عليه حتى مات اسلم يوم فتح مكة وكان فى اسلامه شىء اطلع عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم من باب بيته وهو عند بعض نسائه بالمدينة
فخرج اليه صلى الله عليه وسلم بالعنزة اى وقيل بمدرى فى يده والمدرى كالمسلة
يفرق به شعر الراس وقال من عذيرى من هذا الوزغة لو ادركته لفقات عينه
ولعنه وما ولد وغربه عن المدينة الى وج الطائف فلم يزل حتى ولى ابن اخيه عثمان
رضى الله تعالى عنه الخلافة فدخل المدينة بعد ان سال عثمان ابا بكر فى ذلك فقال
لا احل عقدة عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سال عمر لما ولى الخلافة
فقال له مثل ذلك ولما ادخله عثمان انقم عليه الصحابة بسبب ذلك فقال انا
كنت شفعت فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعدنى برده اى ان اردته ولا
ينافى ذلك سؤال عثمان لابى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهم فى ذلك كما لا يخفى لانه
يحتمل انه يرده عثمان اما بنفسه او بسؤاله وسيأتى ان ذلك فى جملة امور انقمها
عليه الصحابة وعن هند بن خديجة ام المؤمنين رضى الله تعالى عنهما ان النبى
صلى الله عليه وسلم مر بابى الحكم فجعل يغمز بالنبى صلى الله عليه وسلم فرآه فقال اللهم
اجعل به وزغا فرجف وارتعش مكانه والوزغ الارتعاش وفى رواية فما قام حتى
ارتعش وعن الواقدى استاذن الحكم بن ابى العاص على رسول الله صلى الله عليه وسلم
تعرف صوته فقال ائذنوا له لعنه الله ومن يخرج من صلبه الا المؤمنين منهم
وقليل ما هم ذو مكر وخديعة يعطون الدنيا وما لهم فى الاخرة من خلاق وكان لا يولد
لاحد ولد بالمدينة الا اتى به النبى صلى الله عليه وسلم فاتى اليه بمروان لما ولد فقال
هو الوزغ بن الوزغ الملعون بن الملعون وعلى هذا فهو صحابى ان ثبت ان النبى
صلى الله عليه وسلم رآه لانه يحتمل انه اتى به اليه صلى الله عليه وسلم فلم ياذن ه
بادخاله عليه وربما يدل لذلك قوله صلى الله عليه وسلم هو الوزغ الى اخره وفى كلام
بعضهم ان مروان ولد بمكة وفى كلام بعض اخرانه ولد بالطائف بعد ان نفى ابوه
الى الطائف اى ولم يجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم فهو ليس بصحابى ومن ثم قال
البخارى مروان بن الحكم لم ير النبى صلى الله عليه وسلم وعن عايشة رضى الله تعالى
عنها انها قالت لمروان نزلت فى ابيك ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم
وقالت له سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لابيك وجدك اى الذى
هو العاصى بن امية انهم الشجرة الملعونة فى القرآن وولى مروان الخلافة تسعة
اشهر وعن عايشة رضى الله تعالى عنها قالت لمروان بن الحكم حين قال لاخيها

عبد الرحمن بن ابى بكر لما بايع معوية لولده فى مروان سنة ابى بكر وعمر رضى الله تعالى
عنهما فقال عبد الرحمن بل سنة هرقل وقيصر وامتنع من البيعة ليزيد بن معاوية
فقال له مروان انت الذى انزل فيك والذى قال لوالديه اف لكما فبلغ ذلك
عايشة فقالت كذب والله ما هو به ثم قالت له انت يا مروان فاشهد ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لعن اباك وانت فى صلبه وعن جبير بن مطعم كنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فمر الحكم بن ابى العاص فقال النبى صلى الله عليه وسلم ويل
لامتى مما فى صلب هذا قال بعضهم وكون النبى صلى الله عليه وسلم مع ما هو عليه
من الحلم والاغضاء على ما يكره فعل بالحكم ذلك يدل ذلك على امر عظيم ظهر له
فى الحكم واولاده وعن حمران بن جابر الحنفى قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ويل لبنى امية ثلاث مرات اى وقد ولى منهم الخلافة
اربعة عشر رجلا اولهم معاوية بن ابى سفيان وآخرهم مروان بن محمد وكانت مدة
ولايتهم ثنتين وثمانين سنة وهى الف شهر قال بعضهم لا يزيد ذلك يوما ولا
ينقص يوما وقال ابن كثير وهذا غريب جدا وفيه نظر لان معاوية حين تسلم
الخلافة من الحسن كان ذلك سنة اربعين او احدى واربعين واستمر الامر فى
بنى امية الى ان انتقل الى بنى العباس سنة اثنتين وثلاثين ومائة ومجموع ذلك
اثنان وتسعون سنة والف شهر يعدل ثلاثا وثمانين سنة واربعة اشهر
هذا كلامه ومن استهزاء العاص بن وائل انه كان يقول غر محمد نفسه واصحابه
ان وعدهم ان يحيوا بعد الموت والله ما يهلكنا الا الدهر ومرور الايام والاحداث
اى ومن استهزائه ان خباب بن الارت رضى الله تعالى عنه كان قينا بمكة اى حدادا
يعمل السيوف وقد كان باع للعاص سيوفا فجاء يتقاضاه ثمنها فقال له خباب
اليس يزعم محمد هذا الذى انت على دينه ان فى الجنة ما ابتغى اهلها من ذهب او
فضة او ثياب او خدم او ولد قال خباب بلى قال فانظرنى الى يوم القيمة يا خباب
حتى ارجع الى تلك الدار فاقضيك هناك حقك فوالله لا تكون انت وصاحبك
آثر عند الله منى ولا اعظم حظا فى ذلك وفى لفظ ان العاص قال له لا اعطيك
حتى تكفر بمحمد قال لا والله لا اكفر بمحمد حتى يميتك الله ثم يبعثك قال فذرنى حتى
اموت ثم ابعث فسوف اوتى مالا وولدا فاقضيك فانزل الله تعالى فيه افرايت
الذى كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن
عهدا كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول ويأتينا
فردا وفى كلام ابن حجر الهيتمى وفى البخارى عن عدة طرق ان خبابا رضى

الله

الله تعالى عنه طلب من العاص بن وائل السهمى دينا له عليه فقال لا اعطيك
حتى تكفر بمحمد فقال لا اكفر به حتى يميتك الله ثم يبعثك وفيه ان هذا
تعليق للكفر بممكن اى وتعليق الكفر ولو بمحال عادى وكذا شرعى او عقلى على
احتمال كفر لانه ينافى عقد التصميم الذى هو شرط فى الاسلام واجيب بانه
لم يقصد التعليق وانما اراد تكذيب ذلك اللعين فى انكار البعث ولا ينافيه قوله
حتى لانها تاتى بمعنى الا المنقطعة فتكون بمعنى لكن التى صرحوا بان ما بعدها
كلام مستانف وعليه خرج ابن هشام الخضراوى حديث كل مولود يولد على
الفطرة حتى يكون ابواه يهودانه لكن ابواه وعد بعضهم من المستهزئين
الحارث بن عيطلة ويقال ابن عيطل ينسب الى امه وكان من استهزائه ما تقدم
عن العاص بن وائل وابى جهل من الاختلاج خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥
وعد منهم الاسود بن غوث وهو ابن خال النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا
راى المسلمين قال لاصحابه استهزاء بالصحابة قد جاءكم ملوك الارض الذين يرثون
كسرى وقيصر اى لان الصحابة كانوا متقشفين ثيابهم رثة وعيشهم خشن ويقول
للنبى صلى الله عليه وسلم اما كلمت اليوم من السماء يا محمد وما اشبه هذا القول ٥
وعد منهم الاسود بن عبد المطلب ومن استهزائه انه كان واصحابه يتغامزون
بالنبى صلى الله عليه وسلم وباصحابه ويصفرون اذا راوهم وعد منهم النضر بن
الحارث فهلك غالبهم قبل الهجرة بضروب من البلاء اقول والذى ينبغى ان
يكون المراد بالمستهزئين فى الاية وهى انا كفيناك المستهزئين الوليد بن المغيرة
والد خالد وعم ابى جهل فانه كان من عظماء قريش وكان فى سعة من العيش ومكنة
من السيادة كان يطعم الناس ايام منى حيسا وينهى ان توقد نار لاجل طعام
غير ناره وينفق على الحاج نفقة واسعة وكانت الاعراب تثنى عليه كانت له
البساتين من مكة الى الطايف وكان من جملتها بستان لا ينقطع نفعه شتاء ولا
صيفا وببركته صلى الله عليه وسلم اصابته الجوائح والآفات فى امواله
حتى ذهبت باسرها ولم يبق له فى ايام الحج ذكر وكان المقدم فى قريش فصاحة وكان
يقال له ريحانة قريش ويقال له الوحيد اى فى الشرف والسودد والجاه والرياسة
قال بعضهم بل هو وحيد فى الكفر والخبث والعناد والعاص بن وائل والد
عمرو بن العاص والاسود بن المطلب والاسود بن عبد يغوث
والحارث بن عيطلة وفى لفظ ابن الطلاطلة فى اللغة الداهية قال بعضهم
وهو اشتباه لابن الطلاطلة اسمه مالك لا الحارث والحارث بن العيطلة كان

احد اشراف قريش في الجاهلية واليه كانت الحكومة والاموال التي تجعل للالهة وذكره ابن عبد البر في الصحابة قال في اسد الغابة لم ار احدا ذكره في الصحابة الا ابا عمر يعني ابن عبد البر والصحيح انه كان من المستهزئين وهؤلاء الخمسة هم الذين اقتصر عليهم القاضي البيضاوي لما يروى ان جبريل اتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد اي يطوف بالبيت وقال له امرت ان اكفيكهم فلما مر الوليد بن المغيرة قال له يا محمد كيف تجد هذا فقال بئس عبد الله فاوما الى ساق الوليد ومر العاص بن وائل فقال كيف تجد هذا يا محمد قال عبد سوء فاشار الى اخمصه وقال كفيته ثم مر الاسود بن المطلب فقال كيف تجد هذا يا محمد قال عبد سوء فاوما الى عينيه وقال كفيته ثم مر الاسود بن عبد يغوث فقال كيف تجد هذا يا محمد قال عبد سوء فاوما الى راسه وقال كفيته ثم مر الحارث بن عيطلة فقال كيف تجد هذا يا محمد قال عبد سوء فاوما الى بطنه وقال كفيته وحينئذ يكون معنى كفاية هذا له صلى الله عليه وسلم انه لم يسمع ولم يتكلف في تحصيل ذلك والى هذا اشار الامام السبكي في تائيته بقوله شعر

وجبريل لما استهزات فرقة الردى ۞ اشار الى كل باقبح ميتة

والله اعلم قال وروى الزهري ان الاسود بن عبد يغوث خرج من عند اهله فاصابته السموم فاسود وجهه فاتى اهله فلم يعرفوه واغلقوا دونه الباب وسلط عليه العطش فلا زال يشرب الماء حتى انشق بطنه وهذا يناسب ما سيأتي عن الهمزية ولا يناسب ان جبريل اشار الى راسه وفي كلام البلاذري عن عكرمة ان جبريل اخذ بعنق الاسود بن عبد يغوث فحنى ظهره حتى احقوقف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خالي خالي اي لانه كان تقدم ابن خاله فهو اما على حذف المضاف او لاجل مراعاة ابنه اي يراعى لاجل ابنه الذي هو خالي فقال جبريل يا محمد دعه وفي رواية قال له جبريل عنك ثم حناه حتى قتله وهذا لا يناسب كون جبريل اشار الى راسه والمناسب لذلك ما ذكره بعضهم انه امتحن راسه قيحا ثم لم يزل يضرب براسه اصل شجرة حتى مات واما الحارث بن عيطلة اي وفي كلام القاضي وحارث بن قيس وفي تكملة الجلال السيوطي عدي بن قيس فقد اكل حوتا مملحا فلم يزل يشرب عليه الماء حتى انقد بطنه وهذا المناسب لما ذكر هنا ان جبريل اشار الى بطنه لكن لا يناسب ما قاله القاضي البيضاوي انه اشار الى انفه فامتخط قيحا واما الاسود بن عبد المطلب فقد عمي بصره فقد ذكر انه خرج ليستقبل ولده وقد قدم من الشام فلما كان ببعض الطريق جلس

فظل

في ظل شجرة فجعل جبريل يضرب وجهه وعينيه بورقة من ورقها حتى عمي فجعل يستغيث بغلامه فقال له غلامه لا احد يصنع بك شيئا اي وقيل ضربه بغصن فيه شوك فسالت حدقتاه وصار يقول ها هو ذا اطعن بالشوك في عيني فيقال له ما نرى شيئا وقيل اتى شجرة فجعل ينطح راسه بها حتى خرجت عيناه اي ولعل ذلك لا ينافي ما ورد فاشار اي جبريل الى وجهه فعمي بصره في الحال لجواز ان يراد بالحال الزمن القريب وفي رواية انه كان يقول دعا علي محمد بالعمى فاستجيب له ودعوت عليه بان يكون طريدا شريدا فاستجيب لي وسيأتي عن بعضهم في غزوة بدر انه صلى الله عليه وسلم دعا على الاسود بن المطلب بالعمى وفقد اولاده فحصل له العمى وفقد اولاده ببدر واما الوليد بن المغيرة فمر برجل يعمل النبل فتعلق بثوبه سهم فلم يتفطن لينحيه تعظما فاصاب السهم عرقا في ساقه فقطعه فمات واما العاص بن وائل فدخلت شوكة في اخمصه فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات والى الخمسة الذين ذكرنا انهم المرادون بقوله تعالى انا كفيناك المستهزئين اشار صاحب الهمزية بقوله شعر

وكفاه المستهزئين وكم سا ۞ ء نبيا من قومه استهزاء
خمسة كلهم اصيبوا بداء ۞ والردى من جنوده الادواء
فدهى الاسود بن عبد يغوث ۞ اذ سقاه كاس الردى استسقاء
واصاب الوليد خدشة سهم ۞ قصرت عنها الحية الرقطاء
وقضت شوكة على مهجة العا ۞ ص فلله النقفة الشوكاء
وعلى الحارث القيوح وقد سا ۞ ل بها راسه وساء الوعاء
خمسة طهرت بقطعهم الار ۞ ض فكف الاذى بهم شلاء

اي وكفى الله رسوله صلى الله عليه وسلم المستهزئين به ومرات كثيرة احزن نبينا صلى الله عليه وسلم كغيره من الانبياء استهزاء قومه به وهؤلاء المستهزئون به صلى الله عليه وسلم خمسة كلهم اصيبوا بداء عظيم والهلاك سبب من جنوده الامراض فاهلك الاسود بن مطلب بعمى عظيم الاحياء به اموات بسببه وهو المناسب لكون جبريل اشار الى عينيه ودهى ايضا الاسود بن عبد يغوث استسقاء سقاه كاس الموت وهذا لا يناسب كون جبريل اشار الى راسه واصاب الوليد اثر سهم في ساقه قصرت عنه الحية الرقطاء اي سمها وقضت شوكة على مهجة العاص دخلت في رجله فلله هذه النقيحة الخشنة المسر وقضت على الحارث القيوح والحال انه اهلك

تدسال راسه وفسد ذلك الوعا لتلك القيوح وهذا هو المناسب لكون جبريل
اشار اليه لا لقول بعضهم انه اشار الى بطنه خمسة ظهرت بهلاكهم الارض
فكف الاذى بهم شلا فما قدر الحركة وقد جا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
ان هولاء الخمسة هلكوا في ليلة ولحد فعلم ان هولاء الخمسة هم المرادون بقوله
تعالى انا كفيناك المستهزئين كما ذكرنا وان كان المستهزؤن غير منحصرين منهم فلا
ينافي عد منبه ونبيه ابنا الحجاج منهم فقد قيل كانا ممن يوذي رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكانا يلقيانه فيقولان اما وجد الله من يبعثه غيرك ان ههنا من اسن
منك وايسر فان كنت صادقا فاتنا بملك يشهد لك ويكون معك واذا ذكرهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالا معلم مجنون يعلمه اهل الكتاب ما ياتي به ولاجناني
غدا بجهل وغيره منهم كما تقدم وفي سيرة ابن المحدث عليه الصلاة والسلام
من قرا سورة الهمزة اعطاه الله تعالى من الاجر عشر حسنات بعدد من استهزا بمحمد
صلى الله عليه وسلم واصحابه ومن استهزا ابي جهل ايضا بالنبي صلى الله عليه وسلم انه قال
يوما لقريش يا معشر قريش يزعم محمد ان جنود الله الذين يعذبونكم في النار ويحبسونكم
فيها تسعة عشر وانتم اكثر الناس عددا افيعجز كل مائة رجل منكم عن واحد منهم اي وفي
رواية ان بعض قريش وكان شديدا قويا لباس بلغ من شدته انه كان يقف على
جلد البقرة ويجاذبه عشرة لينزعوه من تحت قدمه فيتمزق الجلد ولا يتزحزح
قال له انا اكفيك سبعة عشر واكفوني انتم اثنين ويقال ان هذا دعا النبي صلى الله
عليه وسلم الى المصارعة قال ان صارعتني امنت بك فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم
مرارا فلم يومن اي وفي رواية ان ابا جهل قال انا اكفيكم عشرة فاكفوني تسعة
فانزل الله تعالى وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة اي لا يطاقون كما تتوهمون وما
جعلنا عدتهم الا فتنة ضلالة للذين كفروا الايات اي بان يقولوا لما ذكر او يقولوا
لم كانوا تسعة عشر لحكمة استاثر الله تعالى بعلمها وقد ابدى بعض المفسرين لذلك
حكما تراجع وقد جا في وصف تلك الملائكة ان اعينهم كالبرق الخاطف وانيابهم
كالصياصي اي القرون ما بين منكبي احدهم مسيرة سنة وفي رواية ما بين منكبي
احدهم كما بين المشرق والمغرب لاحدهم قوة مثل قوة الثقلين نزعت الرحمة منهم
واخرج العيني في عيون الاخبار عن طاوس ان الله خلق ملكا وخلق اصابع على
عدد اهل النار ما من اهل النار معذب الا ومالك يعذبه باصبعه فوالله لو وضع
مالك اصبعا من اصابعه على السما لاذابها وهولاء التسعة عشر هم الروسا ولكل واحد
اتباع لا يعلم عدتهم الا الله تعالى قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وهولاء

الاتباع

الاتباع منهم واخرج هناد عن كعب قال يوتى بالرجل الى النار فيبتدره مائة
الف اي والمبادر ان هولاء من خزنتها وفي كلام بعضهم لم يثبت لملائكة
النار عدد معين سوى ما في قوله تعالى عليها تسعة عشر وان ذلك لسقر التي هي احدى
دركات النار لقوله تعالى قبل ذلك ساصليه سقر وقد يكون على كل واحد منها
مثل هذا العدد او اكثر وقيل وبسم الله الرحمن الرحيم عدد حروفها على عدد هؤلاء
الزبانية التسعة عشر فمن قراها وهو مومن دفع الله تعالى عنه بكل حرف منها واحدا
منهم اقول ومن استهزا ابي جهل ايضا انه قال يوما لقريش وهو يهزا برسول الله صلى
الله عليه وسلم وبما جاء به من الحق يا معشر قريش يخوفنا محمد بشجرة الزقوم يزعم انها شجرة
في النار يقال لها شجرة الزقوم والنار ياكل الشجر انما الزقوم التمر والزبد وفي لفظ العجوة
تترب بالزبد هاتوا تمرا وزبدا وتزقموا فانزل الله تعالى انها شجرة تخرج في اصل الجحيم
اي منبتها في اصل جهنم ولا تسلط لجهنم عليها اما علموا ان من قدر على خلق من يعيش
في النار ويلتذ بها فهو اقدر على خلق الشجر في النار وحفظه من الاحراق بها وقد
قال تعالى ابن سلام رضي الله تعالى عنه انها تحيى باللهب كما يحيى شجر الدنيا بالمطر وثمر
تلك الشجرة مرّه زقوم واخرج الترمذي وصححه النسائي والبيهقي وابن حبان
والحاكم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ان
قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا لافسدت على اهل الارض معايشهم
فكيف بمن تكون طعامه اي وقال لنتركن سب الهتنا او لنسبن الهك الذي
تعبد فانزل الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا
بغير علم فكف عن سب الهتهم وجعل يدعوهم الى الله عز وجل ثم رايت في الدر
المنثور في تفسير انا كفيناك المستهزئين قيل نزلت في جماعة مر النبي صلى الله
عليه وسلم بهم فجعلوا يغمزون في قفاه ويقولون هذا الذي يزعم انه نبي ومعه جبريل
فغمز جبريل عليه السلام باصبعه في اجسادهم فصارت جروحا وانتنت فلم يستطع
احد يدنوا منهم حتى ماتوا فليتنظر الجمع على تقدير الصحة وقد يدعي انهم طايفة
اخرون غير من ذكر لانهم المستهزؤن في ذلك الوقت اي فقد تكرر نزول الاية
والله اعلم قال ومن استهزا النضر بن الحارث انه كان اذا جلس رسول الله
صلى الله عليه وسلم مجلسا يحدث فيه قومه ويحذرهم ما اصاب من قبلهم من الامم
من نقمة الله تعالى خلفه في مجلسه ويقول لقريش هلموا فاني والله يا معشر
قريش احسن حديثا منه يعني النبي صلى الله عليه وسلم ثم يحدثهم عن ملوك فارس
لانه كان تعلم احاديثهم ويقول ما حديث محمد الا اساطير الاولين ويقال انه

الذي قال سانزل مثل الذي ما انزل الله اي لانه ذهب الى الحيرة فاشترى منها
احاديث الاعاجم ثم قدم بها الى مكة فكان يحدث بها ويقول هذه احاديث كاحاديث
محمد عن عاد وثمود وغيرهم ويقال ان ذلك كان سببا لنزول قوله تعالى ومن الناس من
يشتري لهو الحديث قال في الينبوع والمشهور انها نزلت في شرا المغنيات قال ولا بد
في ان تكون الاية نزلت فيهما معا ليتحقق العطف في قوله تعالى واذا تتلى عليه اياتنا ولى
مستكبرا اي فان هذا الوصف الثاني انما يناسب النضر فليتامل فلما تلى
عليهم صلى الله عليه وسلم نبا الاولين قال النضر بن الحارث لو نشا لقلنا مثل هذا ان
هذا الا اساطير الاولين فانزل الله تعالى تكذيبا له لين اجتمعت الانس والجن
على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا اي معينا
له وجا ان جماعة من بني مخزوم منهم ابو جهل والوليد بن المغيرة تواصوا على قتله
صلى الله عليه وسلم فبينما النبي صلى الله عليه وسلم قايما يصلي سمعوا قراته فارسلوا الوليد
ليقتله فانطلق حتى اتى المكان الذي يصلي فيه فجعل يسمع قراته ولا يراه فانصرف
اليهم واعلمهم بذلك فاتوه فلما قراته قصدوا الصوت فاذا الصوت من خلفهم
فذهبوا اليه فسمعوه من خلفهم ولا زالوا كذلك حتى انصرفوا خايبين فانزل
الله تعالى قوله وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم
لا يبصرون وتقدم في سبب نزولها غير ذلك ويمكن ان يدعى انها نزلت لوجود الامر
بن فلينتا تمل وجا ان النضر بن الحارث راى النبي صلى الله عليه وسلم منفردا اسفل
ثنية الحجون فقال لا اجده ابدا اخلى منه الساعة فاغتاله فدنى الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليغتاله فراى اساود تضرب باذنابها على راسه فاتحة افواهها
فرجع على عقبيه مرعوبا فلقي ابو جهل فقال من اين فاخبره الخبر فقال ابو جهل هذا
بعض سحر محمد ومما تمسكوا به انه لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله
حصب جهنم اي وقودها وحصب بالزنجية حطب اي حطب جهنم وقد قراها علي
عايشة رضي الله تعالى عنها كذلك انتم لها واردون لو كان هولا الهة ما وردوها
وكل فيها خالدون شق على كفار قريش وقالوا لعبد الله بن الزبعرى قد زعم محمد
انا وما نعبد من دون الله حصب جهنم فقال ابن الزبعرى انا اخصم لكم محمدا
ادعوه الي فدعوه له فقال له يا محمد هذا شي لالهتنا خاصة ام لكل من عبد من دون
الله فقال بل لكل من عبد من دون الله فقال ابن الزبعري خصمت ورب هذه
البنية يعني الكعبة الست تزعم يا محمد ان عيسى عبد من دون الله وكذا عزير والملايكة
عبدت النصارى عيسى واليهود عزيرا وبنو مليح الملايكة فضج الكفار وفرحوا فانزل

الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اوليك عنها مبعدون يعني عيسى
وعزيرا والملايكة

باب الهجرة الاولى الى الحبشة

وسبب رجوع من هاجر من المسلمين الى مكة واسلام عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه
لما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل بالمسلمين من توالي الاذى عليهم من كفار
قريش مع عدم قدرته على انقاذهم مما هم فيه قال لهم تفرقوا في الارض فان الله
تعالى سيجمعكم قالوا الى اين نذهب قال ها هنا واشار بيده الى جهة ارض الحبشة
قال وفي رواية قال لهم اخرجوا الى ارض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده
احد وهي ارض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما انتم فيه انتهى اي ويجوز ان يكون
قال ذلك عند استفساره صلى الله عليه وسلم عن محل اشارته وقد جا في الحديث
من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجب له الجنة وكان
رفيق ابيه خليل الله ابراهيم ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم فهاجر اليها ناس
ذوو عدد مخافة الفتنة وفرارا الى الله تعالى بدينهم منهم من هاجر باهله ومنهم
من هاجر بنفسه فمن هاجر باهله عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه هاجر ومعه
زوجته رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم وكان اول خارج وقيل اول من هاجر
الى الحبشة حاطب بن ابي عمرو وقيل سليط بن عمرو ولا ينافيهما قوله صلى الله
عليه وسلم ان عثمان لاول من هاجر باهله بعد لوط اي حيث قال اني مهاجر الى ربي
فهاجر الى عمه ابراهيم الخليل ثم هاجرا عليهما الصلاة والسلام حتى انتهيا الى حران
ثم هاجرا الى ان نزل ابراهيم عليه الصلاة والسلام فلسطين ونزل لوط عليه الصلاة
والسلام المؤتفكة ووجه عدم المنافاة ان كلا من حاطب او سليط يجوز ان
يكون هاجر بغير اهله وكان مع رقية ام ايمن حاضنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكانت رقية رضي الله تعالى عنها ذات جمال بارع وكذا كان عثمان رضي
الله تعالى عنهما ومن ثم كان النسا يغنينهما بقولهن

احسن شي يرى انسان ۝ رقية وبعلها عثمان

ومن ثم ذكر انه صلى الله عليه وسلم بعث رجلا الى عثمان ورقية رضي الله تعالى عنهما
فاحتبس عليه الرسول فلما جا اليه فقال له صلى الله عليه وسلم ان شيت اخبرتك
ما حبسك قال نعم قال وقفت تنظر الى عثمان ورقية تعجب من حسنهما اي ومعلوم
ان ذلك كان قبل اية الحجاب ويذكر ان نفرا من الحبشة كانوا ينظرون اليها
فتاذت من ذلك فدعت عليهم فقتلوا جميعا وقد جا في وصف حسن
عثمان رضي الله تعالى عنه قوله صلى الله عليه وسلم قال لي جبريل ان اردت ان تنظر

من اهل الارض شبيه يوسف الصديق فانظر الى عثمان بن عفان وسياتى ذلك
مع زيادة **وابو سلمة** هاجر ومعه زوجته ام سلمة اى وقيل هو اول من هاجر
باهله **ويمكن** ان تكون الاولية فيه اضافية فلا ينافى ما سبق عن عثمان **وعامر بن**
ربيعة هاجر ومعه امرأته ليلى اى **وعنها** رضى الله تعالى عنها كان عمر بن الخطاب
رضى الله تعالى عنه من اشد الناس علينا فى اسلامنا فلما ركبت بعيرى اريد ان اتوجه
الى ارض الحبشة اذا انا بعمر بن الخطاب فقال الى اين يا ام عبد الله فقلت قد اذيتمونا
فى ديننا نذهب فى ارض الله حيث لا نؤذى فقال صحبكم الله ثم ذهب فجاء زوجى عامر
فاخبرته بما رايت من رقة عمر فقال ترجين ان يسلم عمر والله لا يسلم حتى يسلم حمار
الخطاب اى استبعادا لما كان يرى من قسوته وشدته على اهل الاسلام وهذا دليل
على ان اسلام عمر كان بعد الهجرة الاولى للحبشة وهو كذلك خلافا لمن قال انه كان
تمام الاربعين من المسلمين اى ممن اسلم **وفيه** ان المهاجرين الى ارض الحبشة كانوا
فوق ثمانين كما قال بعضهم وقد اللهم الا ان يقال انه كان تمام الاربعين بعد خروج
المهاجرين الى ارض الحبشة وربما يدل لذلك قول عايشة رضى الله تعالى عنها فى
قصة الصديق وفى ضرب قريش له رضى الله تعالى عنه لما قام خطيبا فى المسجد
الحرام وقد تقدمت حيث قالت وكان المسلمون تسعة وثلاثين رجلا لكن
فى الرواية انهم اقاموا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدار شهرا وهم تسعة
وثلاثون رجلا وقد كان حمزة بن عبد المطلب اسلم يوم ضرب ابو بكر فليتامل
وفى لفظ عن ام عبد الله زوج عامر قالت انا لنرحل الى ارض الحبشة وقد ذهب عامر
يعنى زوجها الى بعض حاجته اذ اقبل عمر بن الخطاب حتى وقف على وكنا نلقى منه
الاذى والبلا والشدة علينا فقال انه الخروج يا ام عبد الله فقلت والله لنخرجن
الى ارض فقد اذيتمونا وقهرتمونا حتى يجعل الله تعالى لنا مخرجا وفرجا فقال
صحبكم الله ورايت له رقة لم اكن اراها ثم انصرف وتفرست فيه حزنا الخروجنا
وقلت لعامر يا ابا عبد الله لو رايت ما وقع من عمر وذكرت ما تقدم **وممن**
هاجر ابو سبرة وهو اخو ابى سلمة رضى الله تعالى عنهما لامه امهما برة بنت
عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر ومعه امرأته ام كلثوم
وممن هاجر بنفسه عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن مظعون رضى الله تعالى
عنهما اى وكان اميرا عليهم كما قيل وجزم به ابن المحدث فى سيرته وقال الزهرى
لم يكن لهم امير **وسهيل** بن البيضاوى اى والزبير بن العوام وعبد الله بن
مسعود رضى الله تعالى عنهم وقيل انما كان عبد الله بن مسعود فى الهجرة

الثانية

الثانية فخرجوا سرا اى متسللين منهم الراكب ومنهم الماشى حتى انتهوا الى البحر
فوفق الله تعالى لهم سفينتين للتجار حملوهم فيهما بنصف دينار اى **وفى المواهب**
وخرجوا مشاة الى البحر فاستاجروا سفينة بنصف دينار هذا كلامه فليتامل وكان
خروجهم فى رجب من السنة الخامسة من النبوة فخرجت قريش فى اثارهم حتى جاؤوا الى البحر
فلم يجدوا احدا منهم ولعل خروجهم سرا لا ينافيه ما تقدم عن ليلى امرأة عامر بن
ربيعة من سؤال عمر لها واخبارها له بانها تريد ارض الحبشة فلما وصلوا الى ارض
الحبشة نزلوا بخير دار عند خير جار فمكثوا فى ارض الحبشة بقية رجب وشعبان
الى رمضان فلما كان شهر رمضان قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين سورة
والنجم اذا هوى اى وقد انزلت عليه فى ذلك الوقت **ففى كلام بعضهم**
جلس صلى الله عليه وسلم يوما مع المشركين وانزل الله تعالى سورة والنجم اذا هوى فقراها
عليهم حتى اذا بلغ افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى وسوس الشيطان
بكلمتين فتكلم بهما ظانا انهما من جملة ما اوحى اليه وهما تلك الغرانيق العلى اى الاصنام
وان شفاعتهن لترتجى **وفى لفظ** لهى التى ترتجى شبهت الاصنام بالغرانيق التى هى
طير الماء جمع غرنوق بكسر الغين المعجمة واسكان الراء ثم نون مفتوحة او غرنوق
بضم الغين والنون ايضا او غرنيق بضم الغين وفتح النون وهو طير طويل العنق
وهو الكركى او يشبهه ووجه الشبه بين الاصنام وتلك الطيور ان تلك الطيور
تعلو وترتفع فى السماء فالاصنام مشبهة لها فى علو القدر وارتفاعه ثم مضى
يقرا السورة حتى بلغ السجدة فسجد وسجد القوم جميعا اى المسلمون والمشركون
اقول قال بعضهم ولم يكن المسلمون سمعوا الذى القى الشيطان وانما سمع ذلك
المشركون فسجدوا لتعظيم الهتهم ومن عجب المسلمون من سجود المشركين معهم من
غير ايمان **قال** بعضهم والنجم هى اول سورة نزلت جملة كاملة فيها سجدة فلا ينافى
ان اقرا باسم ربك سورة نزلت فيها سجدة لانه انما نزل منها اوايلها كما علمت **وقد**
جاء انه صلى الله عليه وسلم قرا يوما اقرا باسم ربك فسجد فى اخرها وسجد معه
المؤمنون فقام المشركون على رؤسهم يصفقون **وقد روى** ابو هريرة رضى الله
تعالى عنه انه صلى الله عليه وسلم سجد فى النجم اى غير سجدته المتقدمة التى سجد
معه فيها المشركون ويمجموع ذلك يرد حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما
انه صلى الله عليه وسلم لم يسجد فى شئ من المفصل قبل ان يتحول الى المدينة لان
سورة النجم من المفصل لان عند ايمتنا ان اول المفصل الحجرات على الراجح
من اقوال عشرة لا يقال لعل ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ممن يرى ان النجم

ليست من المفصل لانا نقول اقرا باسم ربك من المفصل اتفاقا وعلى ماذكرت
ايتنا يكون في المفصل ثلاث سجدات في النجم والانشقاق واقرا باسم ربك
وهي اي النجم اول سورة اعلنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وذكر
الحافظ الدمياطي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان راى من قومه كفا عنه اي
تركا وعدم تعرض له فجلس خاليا فتمنى فقال ليته لم ينزل علي شي ينفرهم
عني وفي رواية تمنى ان ينزل عليه ما يقارب بينه وبينهم حرصا على اسلامهم
وقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ودنا منهم ودنوا منه فجلس يوما
مجلسا في نادٍ من تلك الاندية حول الكعبة فقرا عليهم والنجم اذا هوى
الى اخر ما تقدم والله اعلم ومن جملة من كان مع المشركين حينئذ الوليد بن
المغيرة لكنه رفع ترابا الى جبهته فسجد عليه لانه كان شيخا كبيرا لا يقدر على
السجود وقيل الذي فعل ذلك سعيد بن العاص وقيل كلاهما فعل ذلك
وقيل الفاعل لذلك امية ابن خلف وصحح وقيل عتبة بن ربيعة وقيل ابو لهب
وقيل المطلب وقد يقال لا مانع ان يكون فعلوا ذلك جميعا بعضهم فعل ذلك
تكبرا وبعضهم فعل ذلك عجزا وممن فعل ذلك تكبرا ابو لهب فقد جا وفيها سجد
وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس غير ابي لهب فانه رفع حفنة من
تراب الى جبهته وقال يكفي هذا ولا يخالف ذلك ما نقل عن ابن مسعود ولقد
رايت الرجل اي الفاعل لذلك قتل كافرا لانه يجوز ان يكون المراد بقتل مات
فعند ذلك قال المشركون له صلى الله عليه وسلم قد عرفنا ان الله سبحانه وتعالى
يحيي ويميت ويخلق ويرزق ولكن الهتنا هذه تشفع لنا عنده فاما اذا جعلت لنا
نصيبا فنحن معك فكبر ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس في البيت
وفيه انه كيف يكبر عليه صلى الله عليه وسلم ذلك مع انه موافق لما تمناه من ان الله
ينزل عليه ما يقارب بينه وبين المشركين حرصا على اسلامهم المتقدم ذلك عن
سيرة الدمياطي الا ان يقال هذا كان بعد ما عرض السورة على جبريل وقال له
ما جئتك بهاتين الكلمتين المذكور ذلك في قولنا فلما امسى صلى الله عليه
وسلم اتاه جبريل فعرض عليه السورة وذكر الكلمتين فيها فقال جبريل ما جئتك بها
تين الكلمتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت على الله ما لم يقل ه اي فكبر
عليه ذلك فاوحى الله تعالى اليه ما في سورة الاسرا وان كادوا اي قاربوا ه
ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره بما فعلك لهم على
المدح لالهتهم بما لم نرسل به اليك واذا لو فعلت اي دمت عليه لاتخذوك خليلا

الى

الى قوله ثم لا تجد لك علينا نصيرا اي مانعا يمنع العذاب عنك وهذا يدل لما
تقدم انه تكلم بذلك ظانا انه من جملة ما اوحي اليه وقيل نزل ذلك لما قالت له
اليهود حسدا له صلى الله عليه وسلم على اقامته بالمدينة ان كنت نبيا فالحق بالشام
لانها ارض الانبيا حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه فخرج مرحلة فنزلت فرجع اي
بدليل ما بعدها وقيل ان التي بعدها نزلت في اهل مكة وقيل انه اية
وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك نزلت في ثقيف قالوا لا ندخل
في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب ولا نعشر ولا نحني في صلاتنا
وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم
وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني وقيل
نزلت في قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بالهتنا وتمسها بيدك وقد
يدعى ان هذا مما يدل لتعدد اسباب نزوله والقاضي البيضاوي اقتصر على
ما عدا الاول واعلم قال وقيل ان هاتين الكلمتين لم يتكلم بهما رسول الله صلى
الله عليه وسلم وانما ارتصد الشيطان سكتة عند قوله الاخرى فقالهما محاكيا
نغمته صلى الله عليه وسلم فظنهما النبي صلى الله عليه وسلم كما في شرح المواقف ومن
سمعهما انهما من قوله صلى الله عليه وسلم اي حين قال قلت على الله ما لم يقل وتباشر
بذلك المشركون وقالوا ان محمدا قد رجع الى ديننا اي دين قومه حتى ذكر ان الهتنا
لتشفع لنا وعند ذلك انزل الله تعالى قوله وما ارسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته اي قراءته ما ليس من القران
اي مما يرضاه المرسل اليهم وفي البخاري اذا حدث القى الشيطان في حديثه
فينسخ الله ما يلقي الشيطان يبطله ثم يحكم الله اياته اي يثبتها والله عليم
بالقا الشيطان ما ذكر حكيم في تمكينه من ذلك يفعل ما يشا ليميز به الثابت على
الايمان من المتزلزل فيه ولم اقف على بيان احد من الانبيا والمرسلين وقع له مثل
ذلك وفيه كيف يجتري الشيطان على التكلم بشي من الوحي ثم هذه القصة
طعن في صحتها جمع وقالوا انها باطلة وضعها الزنادقة ومن ثم اسقطها القاضي
البيضاوي ومن جملة المنكرين لها القاضي عياض فقد قال هذا الحديث لم
يخرجه احد من اهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل وانما اولع به المفسرون
والمورخون المولعون بكل غريب اي وقال البيهقي رواة هذه القصة كلهم
مطعون فيهم وقال الامام النووي نقلا عنه واما ما يرويه الاخباريون
والمفسرون ان سبب سجود المشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جرى

على لسانه من الثناء على آلهتهم فباطل لا يصح منه شيء لا من جهة النقل ولا من جهة العقل لأن مدح إله غير الله كفر ولا يصح نسبة ذلك الى لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أن يقوله الشيطان على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يصح تسليط الشيطان على ذلك أي وإلا يلزم عدم الوثوق بالوحي **وقال** الفخر الرازي هذه القصة باطلة موضوعة لا يجوز القول بها قال الله تعالى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى أي والشيطان لا يجترئ أن ينطق بشيء من الوحي **وقال** بصحتها جمع منهم خاتمة الحفاظ الشهاب بن حجر وقال القاضي عياض لا فائدة فيه ولا يعول عليه هذا كلامه وفشى أمر تلك السجدة في الناس حتى بلغ أرض الحبشة أن أهل مكة أي عظماءهم قد سجدوا وأسلموا حتى الوليد بن المغيرة وسعيد ابن العاص **وفي كلام** بعضهم والناقل لما روى المشركين قد سجدوا متابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعتقد أنهم أسلموا واصطلحوا معه فلم يبق نزاع معهم فطار الخبر بذلك وانتشر حتى بلغ مهاجرة الحبشة فظنوا صحة ذلك فقال المهاجرون أي من بقي بمكة إذا أسلم هؤلاء عشائرنا أحب إلينا فخرجوا أي خرج جماعة منهم من أرض الحبشة راجعين الى مكة أي وكانوا ثلاثة وثلاثين رجلا منهم عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعثمان بن مظعون وذلك في شوال حتى إذا كانوا دون مكة ساعة من نهار لقوا ركبا فسألوهم عن قريش فقال الراكب ذكر محمد آلهتهم بخير فتابعه الملأ ثم عاد لشتم آلهتهم وعادوا له بالشر وتركناهم على ذلك فائتمر القوم في الرجوع الى أرض الحبشة ثم قالوا قد بلغنا مكة فندخل ننظر ما فيه قريش ويحدث عهدا من أراد بأهله ثم نرجع فدخلوا مكة أي بعضهم بجوار وبعضهم مستخفيا **قال** في الامتاع ويقال أن رجوع من كان مهاجرا بالحبشة الى مكة كان بعد الخروج من الشعب هذا كلامه **وفيه** نظر ظاهر ويرشد إليه البري لأنهم مكثوا في الشعب ثلاث سنين أو سنتين ومكث هؤلاء عند النجاشي حينئذ كان دون ثلاثة أشهر كما علمت **وأيضا** الهجرة الثانية للحبشة إنما كانت بعد دخول الشعب كما سيأتي قال في الأصل ولم يدخل أحد منهم إلا بجوار إلا ابن مسعود فإنه مكث يسيرا ثم رجع الى أرض الحبشة أي وهذا من صاحب الأصل تصريح بأن ابن مسعود كان في الهجرة الأولى وهو موافق في ذلك لشيخه الحافظ الدمياطي لكن الحافظ الدمياطي جزم بأن ابن مسعود كان في الهجرة الأولى ولم يحك خلافا وصاحب الأصل حكى خلافا أنه لم يكن فيها وبه جزم ابن إسحاق حيث قال ابن مسعود إنما كان في الهجرة الثانية فكان ينبغي للأصل أن يقول

على

على ما تقدم هذا وفي كلام بعضهم فلم يدخل أحد منهم مكة إلا مستخفيا وكلهم دخلوا مكة إلا عبد الله بن مسعود فإنه رجع الى أرض الحبشة وقد يقال الملائم لقول مكث ابن مسعود بمكة ظن أنه لم يدخلها فلا ينافي ما سبق ويجوز أن يكون أكثرهم دخل مكة بلا جوار فأطلق على الكل أنهم دخلوا مستخفين فلا يخالف ما سبق أيضا **ولما رجعوا** لقوا من المشركين أشد ما عهدوا **قال** وممن دخل بجوار عثمان ابن مظعون دخل في جوار الوليد بن المغيرة ولما رأى ما يفعل بالمسلمين من الأذى قال والله إن غدوي ورواحي آمنا بجوار رجل من أهل الشرك وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والأذى في الله ما لا يصيبني لنقص كبير فمشى الى الوليد فقال يا أبا عبد شمس وفت ذمتك وقد رددت إليك جوارك قال له يا ابن أخي لعله آذاك أحد من قومي وأنت في ذمتي فأكفيك ذلك قال لا والله ما اعترض لي أحد ولا آذاني ولكن أرضى بجوار الله عز وجل وأريد أن لا أستجير بغيره قال انطلق الى المسجد فاردد الي جواري علانية كما أجرتك علانية فانطلقا حتى أتيا المسجد فقال الوليد هذا عثمان قد جاء يرد علي جواري فقال عثمان صدق وجدته وفيا كريم الجوار ولكني لا أستجير بغير الله عز وجل قد رددت عليه جواره فقال الوليد أشهدكم أني بريء من جواره إلا أن يشاء ثم انصرف عثمان ولبيد بن ربيعة بن مالك في مجلس من قريش ينشدهم قبل إسلامه فجلس عثمان معهم فقال لبيد • ألا كل شيء ما خلا الله باطل • فقال عثمان صدقت فقال لبيد • وكل نعيم لا محالة زائل • فقال عثمان كذبت نعيم الجنة لا يزول فقال لبيد يا معشر قريش ما كان يؤذى جليسكم فمتى حدث فيكم هذا فقال رجل من القوم إن هذا سفيه في سفهاء معه قد فارقوا ديننا فلا تجدن في نفسك من مقالته فرد عليه عثمان فقام ذلك الرجل فلطم عينه والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان فقال أما والله يا ابن أخي كانت عينك عما أصابها لغنية ولقد كنت في ذمة منيعة فخرجت عنها وكنت عن الذي لقيت فقيرا والله إن عيني الصحيحة التي لم تلطم لفقيرة الى مثل ما أصاب أختها في الله عز وجل ولي فيمن هو أحب الي منكم أسوة وإني لفي جوار من هو أعز منك انتهى فعثمان فهم أن لبيدا أراد بالنعيم ما هو شامل لنعيم الآخرة ومن ثم قال له نعيم الجنة لا يزول **لا يقال** لولا أن لبيدا يريد مطلق النعيم الشامل لنعيم الآخرة لما تشوش من الرد عليه **لأنا نقول** يجوز أن يكون تشوشه من مشافهة عثمان له بقوله كذبت على أن هذا السائل دال على أن لبيدا قال هذا الشعر قبل إسلامه

فيؤيده ما قيل اكثر اهل الاخبار على ان لبيدا لم يقل شعرا منذ اسلم وبه يرد
ما في الاستيعاب ان هذا اي قوله الا كل شيء الى اخره شعر حسن فيما يدل على انه
قاله في الاسلام وكذلك قوله وكل امرئ يوما سيعلم سعيه • اذا كشفت عند
الاله المحاصل • وقد يقال لا يلزم من قوله المذكور الذي لا يقصد غالبا الا عن
مسلم ان يكون قاله في حال اسلامه كما وقع لامية بن ابي الصلت حيث قال في شعره
ما لا يقوله الا مسلم مع كفره ومن ثمه قال صلى الله عليه وسلم فيه امن شعره وكفر
قلبه وفي رواية كان يسلم وذكره قاله — وقد قال الشيخ محيي الدين بن العربي
في قوله صلى الله عليه وسلم اصدق بيت قالته العرب اي وفي رواية اشعر كلمة تكلمت بها
العرب كلمة لبيد الا كل شيء ما خلا الله باطل • اعلم ان الموجودات كلها وان وصفت
بالباطل فهي حق من حيث الوجود ولكن سلطان المقام اذا غلب على صاحبه
يرى ما سوى الله تعالى باطلا من حيث انه ليس له وجود من ذاته فحكمه حكم العدم
وهذا معنى قول بعضهم قوله باطل اي كالباطل لان العالم قائم بالله تعالى لا بنفسه
فهو من هذا الوجه باطل والعارف اذا وصل الى مقامات القرب في بدايته
عرفانه فاريا تلاشت هذه الكائنات وحجب عن شهودها بشهود الحق لانها زالت
من الوجود بالكلية ثم اذا كمل عرفانه يشهد الحق تعالى والخلق معا في آن واحد
وما كل احد يصل الى هذا المقام فان غالب الناس ان تشهد الحق لم تشهد الخلق
وان شهد الخلق لم يشهد الحق كما تقدم عند الكلام على الوحدة انه لا يدركهما
الا من ادرك اجتماع الضدين ولعل من المشهد الاول قول الاستاذ الشيخ ابي
الحسن البكري رضي الله تعالى عنه استغفر الله مما سوى الله لان الباطل يستغفر
من اثبات وجوده لذاته ويوافق قول اكثر اهل الاخبار قول السهيلي واسلم
لبيد وحسن اسلامه وعاش في الاسلام ستين سنة لم يقل فيها بيت شعر فسأله
عمر رضي الله عنه اي في خلافته عن تركه للشعر فقال ما كنت لاقول شعرا بعد ان
علمني الله تعالى البقرة وآل عمران فزاده عمر في عطائه خمسمائة من اجل هذا
القول فكان عطاؤه الفين وخمسمائة وقيل انه قال بيتا واحدا في الاسلام
وهو الحمد لله الذي لم ياتني اجلي حتى اكتسيت من الاسلام سربالا فقال وممن
دخل بجوار ابو سلمة بن عبد الاسد بن عمته صلى الله عليه وسلم فانه دخل في جوار
خاله ابي طالب ولما اجاره مشى اليه رجال من بني مخزوم فقالوا يا ابا طالب منعت
منا ابن اخيك محمدا ولصاحبنا تمنعه منا فقال انه استجار بي وهو ابن اختي
وانا ان لم امنع ابن اختي لم امنع ابن اخي فقام ابو لهب على اولئك الرجال وقال لهم

يامعشر

يا معشر قريش لا تزالون تعارضون هذا الشيخ في جواره من قومه والله لتنتهن
او لاقومن معه في كل مقام يقوم فيه حتى يبلغ ما اراد قالوا بل ننصرف عما تكره
يا ابا عتبة اي لانه كان لهم وليا وناصرا على رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى
اي وطمع ابو طالب في ابي لهب حيث سمعه يقول ما ذكر ورجا ان يقوم معه في شانه
صلى الله عليه وسلم وانشد ابياتا يحرضه فيها على نصرته صلى الله عليه وسلم وممن
اوذي في الله بعد اسلامه ووقع له نظير ما وقع لعثمان بن مظعون عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه وسبب اسلامه على ما حدث به بعضهم قال قال لنا عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه اتحبون ان اعلمكم كيف كان بدو اسلامي اي ابتداؤه والسبب
فيه قلنا نعم قال كنت من اشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فبينما انا في يوم حار شديد الحر بالهاجرة في بعض طرق مكة اذ لقيني رجل
من قريش اي وهو نعيم بن عبد الله النحام بالحاء المهملة قيل له ذلك لانه صلى
الله عليه وسلم قال فيه لقد سمعت نحمه في الجنة اي صوته وحسه كان يخفي
اسلامه خوفا من قومه واخبرني ان اختي يعني ام جميل واسمها فاطمة كما تقدم
وقيل زينب وقيل امنة قد صبت اي اسلمت وكذا زوجها وهو سعيد بن
زيد بن عمرو بن نفيل احدى العشرة المشهود لهم بالجنة وهو ابن عم عمر وكانت
اخت سعيد عاتكة تحت عمر فرجعت مغضبا وقد كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يجمع الرجل والرجلين اذا اسلما عند الرجل به قوة يكونان معه يصيبان
من طعامه وقد ضم الى زوج اختي رجلين ممن اسلم اي احدهما خباب بن الارت
بالمثناة فوق والاخر لم اقف على اسمه وفي السيرة الهشامية الاقتصار
على خباب وانه كان يختلف اليهما ليعلمهما القران فجئت حتى قرعت الباب فقيل
من بالباب فقلت ابن الخطاب وكان القوم جلوسا يقرؤون صحيفة معهم فلما
سمعوا صوتي تبادروا اي واختفوا ونسوا الصحيفة فقامت المراة يعني
اختي ففتحت لي فقلت لها يا عدوة نفسها قد بلغني انك صبوت وضربتها بشيء
كان في يدي فسال الدم فلما رات الدم بكت وقالت يا ابن الخطاب ما كنت فاعلا
فافعل فقد اسلمت فدخلت وجلست على السرير فنظرت فاذا بالصحيفة في ناحية
من البيت فقلت ما هذا الكتاب اعطينيه اي فان عمر كان كاتبا فقالت لا اعطيكه
لست من اهله انك لا تغتسل من الجنابة ولا تتطهر وهذا لا يمسه الا المطهر ون
فلم ازل بها حتى اعطتنيه اي بعد ان اغتسل كما في بعض الروايات وفي
بعض الروايات قالت له يا اخي انك نجس على شركك فانه لا يمسه الا ط

المطهرون وقوله لا تغتسل من الجنابة ربما يخالف قول بعضهم ان اهل الجاهلية
كانوا يغتسلون من الجنابة وكون عمر كان يخالفهم فى ذلك بعيد البعيد وكون هذا
منها يحمل على انه لم يغتسل غسلا يعتد به يخالفه ما تقدم عن بعض الروايات
انه لما اغتسل دفعت له تلك الورقة وفى لفظ قالت له انا نخشاك عليها قال
لا تخافى وحلف لها بالهته ليردها اذا قراها فدفعتها له اى وطمعت فى اسلامه
فاذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم قال فلما مررت على بسم الله الرحمن الرحيم ذعرت
اى فزعت ورميت بالصحيفة من يدى ثم رجعت الى نفسى فاخذتها فاذا فيها
سبح لله ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم فكلما مررت باسم من اسمائه تعالى
ذعرت اى فالقيتها ثم ترجع الى نفسى فاخذها حتى بلغت امنوا بالله ورسوله
الى قوله تعالى ان كنتم مومنين فقلت اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
فخرج القوم يبادرون بالتكبير استبشارا بما سمعوا منى وحمدوا الله ثم قالوا يا
ابن الخطاب ابشر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا فقال اللهم اعز الاسلام
وفى لفظ ايد الاسلام باحد الرجلين اما بابى جهل بن هشام واما بعمر بن الخطاب
اى وفى لفظ باحب هذين الرجلين اليك ابى الحكم عمرو بن هشام يعنى ابا جهل وعمر
ابن الخطاب اى وفى غيرها رواية بعمر بن الخطاب من غير ذكر ابى جهل وعن عايشة
رضى الله تعالى عنها انها قالت انما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اعز عمر
بالاسلام لان الاسلام يعز ولا يعز اى ولعل قول عايشة ما ذكر نشا عن اجتهاد
منها واستبعادها ان يعز الاسلام بعمر بل لقصد تعليلا قليلا مل وكان دعاؤه
صلى الله عليه وسلم بذلك يوم الاربعا فاسلم عمر يوم الخميس قال عمر رضى الله
تعالى عنه فلما عرفوا منى الصدق قلت لهم اخبرونى بمكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قالوا هو فى بيت باسفل الصفا ووصفوه اى وهى دار الارقم فخرجت وفى
رواية ان عمر قال يا خباب انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام خباب
وابن عمه سعيد معه قال عمر فلما قرعت الباب قيل من هذا قلت ابن الخطاب
فما اجترا احد ان يفتح لى الباب لما عرفوا من شدتى على رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولم يعلموا اسلامى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افتحوا له فان يرد
الله به خيرا يهده وفى لفظ يهديه باثبات الياء وهى لغة ففتحوا لى اى والذى
اذن فى دخوله حمزة بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه فان اسلام عمر كان بعد
اسلام حمزة بثلاثة ايام وقيل بثلاثة اشهر وكان اسلام عمر وهو ابن ست
وعشرين سنة قال واخذ رجلان بعضدى حتى دنوت من النبى صلى الله عليه وسلم

فقاد

فقاد اسلموا فارسلونى فجلست بين يديه صلى الله عليه وسلم فاخذ بمجامع
قميصى فجذبنى اليه ثم قال اسلم يا ابن الخطاب اللهم اهده فقلت اشهد
ان لا اله الا الله وانك رسول الله فكبر المسلمون تكبيرة سمعت بطرق مكة اى
وفى الاوسط للطبرانى ورواه الحاكم باسناد حسن عن ابن عمر ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم ضرب صدر عمر بيده حين اسلم ثلاث مرات وهو يقول اللهم اخرج
ما فى صدر عمر من غل وابدله ايمانا اى ولعل خبابا وسعيدا خلا معه والا لبشرا
باسلام عمر وفى رواية لما ضرب الباب وسمعوا صوته قام رجل فنظر من خلل
الباب فراه متوشحا سيفه اى ولم ير معه خبابا ولا سعيدا فرجع الى النبى صلى الله
عليه وسلم وهو فزع فقال يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحا سيفه نعوذ
بالله من شره فقال حمزة بن عبد المطلب فاذن له فان كان جاء يريد خيرا
بذلناه له وان كان جاء يريد شرا قتلناه بسيفه وفى لفظ وان جاء بشر قتلناه
وفى لفظ ان يرد بعمر خيرا يسلم وان يرد غير ذلك يكن قتله علينا هينا ثم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ايذن له فاذن له الرجل ونهض اليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى لقيه فى صحن الدار فاخذ بحجزته وجذبه جذبة شديدة وقال ما
جاء بك يا ابن الخطاب فوالله ما ادرى انتهى حتى ينزل الله بك قارعة
وفى لفظ اخذ بمجامع ثوبه وحمايل سيفه وقال ما انت منته يا عمر حتى ينزل
الله بك من الخزى والنكال ما انزل الله بالوليد بن المغيرة اى احد المستهزئين
به صلى الله عليه وسلم كما تقدم كما تقدم فقال عمر يا رسول الله جئت لاومن بالله
ورسوله اشهد انك رسول الله وفى رواية اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك
له واشهد ان محمدا عبده ورسوله فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة
عرفت وفى رواية سمعها اهل المسجد وفى رواية لما جاء دفع الباب فوجد بلالا
وراء الباب فقال بلال من هذا فقال عمر بن الخطاب قال حتى استاذن لك على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بلال يا رسول الله عمر بالباب فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يرد الله به خيرا ادخله فى الدين فقال لبلال افتح له واخذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم بضبعيه فهزه وفى رواية اخذ بساعده وانتهره
فارتعد عمر هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفى لفظ اخذ بمجامع ثيابه
ثم نتره نترة فما تمالك عمر ان وقع على ركبتيه فقال صلى الله عليه وسلم اللهم
هذا عمر بن الخطاب اللهم اعز الاسلام بعمر بن الخطاب ما الذى تريد وما الذى
جئت له فقال له عمر اعرض على الذى تدعو اليه فقال تشهد ان لا اله الا الله وحده

لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله فاسلم عمر مكانه اقول ولا ينافي هذا ما تقدم
من اسلامه واتيانه بالشهادتين في بيت اخته قبل خروجه الى النبي صلى الله عليه وسلم
وقوله ولم يعلموا اسلامي لانه يجوز ان يكون مراده بقوله جئت لاوسجيت لاظهر
ان في عندك وعند اصحابك اى وعند ذلك قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
اسلم يا ابن الخطاب الى اخره وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم اعرض علي الذي تدعوا
اليه يجوز ان يكون مراده ان الذي يدعوا اليه ويصير به المسلم مسلما اخص مما
نطق به من الشهادتين والله اعلم قال عمر واحببت ان يظهر اسلامي وان يصيبني
ما يصيب به من اسلم من الضرب والاهانة فذهبت الى خالي وكان شريفا في قريش ه
واعلمته اني صبوت اى وهو ابو جهل وقد جاء في بعض الروايات قال عمر لما
اسلمت تذكرت اى اهل مكة اشد لرسول الله صلى الله عليه وسلم عداوة حتى اتيته
فاخبرته اني قد اسلمت فذكرت ابا جهل فجئت له فدققت عليه الباب فقال من بالباب
قلت عمر بن الخطاب فخرج الى فقال مرحبا واهلا يا ابن اختي ما جاء بك قلت جئت
لاخبرك وفي لفظ لابشرك ببشارة فقال ابو جهل وما هي يا ابن اختي فقلت اني
امنت بالله ورسوله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وصدقت ما جاء به فضرب الباب
في وجهي اى اغلقه وهو بمعنى اجاف الباب كما في بعض الروايات وقال قبح
الله ما جئت به وقبحك اى انما كان ابو جهل خال عمر رضي الله تعالى عنه قيل لان
ام عمر اخت ابي جهل وقيل لان ام عمر بنت هشام بن المغيرة والد ابي جهل فابو جهل
خال امه وقيل ان ام عمر بنت عم ابي جهل وصححه ابن عبد البر وعصبة الام اخوال
الابن قال عمر وجئت رجلا اخر من عظماء قريش واعلمته اني صبوت فلم يصبني
منهما شيء فقال لي رجل تحب ان يعلم اسلامك قلت نعم قال اذا جلس الناس
يعني قريشا في الحجر واجتمعوا فأت فلانا لشخص كان لا يكتم السر اى وهو جميل
ابن معمر رضي الله تعالى عنه اسلم يوم الفتح وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم
حنينا وكان يسمى ذا القلبين وفيه نزلت ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه
ومات في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه وحزن عليه عمر حزنا شديدا فقل له فيما
بينك وبينه اني قد صبوت قال فلما اجتمع الناس في الحجر جئت الرجل فدنوت
منه واخبرته فرفع صوته باعلاه فقال الا ان عمر بن الخطاب قد صبا فما زال الناس
يضربوني واضربهم فقال خالي يعني ابا جهل على الحجر فاشار بكمه وقال الا اني
اجرت ابن اختي فانكشف الناس فصرت اى بعد ذلك ارى الواحد من المسلمين
يضرب وانا لا اضرب فقلت ما هذا بشيء حتى يصيبني ما يصيب المسلمين فامهلت

حتى جلس الناس في الحجر وصلت الى خالي وقلت له جوارك رد عليك فقال لا تفعل
يا ابن اختي فقلت بل هو ذاك فما زلت اضرب واضرب حتى اعز الله الاسلام اى
وفي السيرة الهشامية بينما القوم يقاتلونه ويقاتلهم اذا اقبل شيخ من قريش عليه
حلة حبرة وقميص موشى حتى وقف عليهم اى وهو العاصي بن وائل فقال ما شانكم
قالوا صبا عمر قال فمه رجل اختار لنفسه امرا فماذا تريدون اترون بني عدي بن
كعب مسلمين لكم صاحبهم هكذا خلوا عن الرجل فانفرجوا عنه كانهم ثوب كشط
عنه اى وفي البخاري لما اسلم عمر اجتمع الناس عند داره وقالوا صبا عمر فبينما
عمر في الدار خائفا اذ جاءه العاصي بن وائل فقال له ما لك قال زعم قومك
انهم سيقتلوني ان اسلمت اى اذ اسلمت قال امنت لا سبيل اليك فخرج
العاصي فلقي الناس قد سال بهم الوادي فقال اين تريدون فقالوا نريد هذا عمر بن
الخطاب الذي صبا قال لا سبيل اليه فانا له جار فكر الناس وتصدعوا عنه اى وذكر
ان عتبة بن ربيعة وثب عليه فالقاه عمر الى الارض وبرك عليه وجعل
يضربه وادخل اصبعيه في عينيه فجعل عتبة يصيح وصار لا يدنوا منه احد
الا اخذ بشراسيفه وهي اطراف اضلاعه وعن عمر رضي الله تعالى عنه في سبب
اسلامه قال خرجت اتعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان اسلم فوجدته
قد سبقني الى المسجد فقمت خلفه فاستفتح بسورة الحاقة فجعلت اتعجب من تاليف
القران فقلت هذا والله شاعر كما قالت قريش فقرا انه لقول رسول كريم وما
هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون قال قلت كاهن علم ما في نفسي فقرا ولا بقول
كاهن قليلا ما تذكرون الى اخر السورة فوقع الاسلام في قلبي كل موقع
اى ومن ذلك ما في السيرة الهشامية عن عمر رضي الله تعالى عنه قال جئت المسجد
اريد ان اطوف بالكعبة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي وكان
اذا صلى استقبل الشام اى صخرة بيت المقدس وجعل الكعبة بينه وبين
الشام فكان مصلاه صلى الله عليه وسلم بين الركن الاسود والركن اليماني
اى لانه لا يكون مستقبلا لبيت المقدس الا حينئذ كما تقدم قال فقلت حين
رايته صلى الله عليه وسلم لو اني استمعت لمحمد الليلة حتى اسمع ما يقول قال
فقلت لئن دنوت منه استمع لاروعنه فجئت من قبل الحجر فدخلت تحت
ثيابها يعني الكعبة فجعلت امشي رويدا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي
فقرا صلى الله عليه وسلم الرحمن حتى قمت في قبلته مستقبله ما بيني وبينه
الا ثياب الكعبة فلما سمعت القران رق له قلبي فبكيت ودخلني الاسلام فلم

ازل قايما فى مكانى ذلك حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته ثم
انصرف فتبعته فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حسى عرفنى فظن انى
انما تبعته لاوذيه فنهمنى اى زجرنى ثم قال ما جاء بك يا ابن الخطاب هذه
الساعة قلت جئت لاومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله وفى رواية ضرب
اختى المخاض ليلا فخرجت من البيت فدخلت فى استار الكعبة فجاء النبى صلى
الله عليه وسلم فدخل الحجر فصلى فيه ما شاء الله ثم انصرف فسمعت شيئا لم
مثله فخرج فاتبعته فقال من هذا قلت عمر قال يا عمر ما تدعنى لا ليلا ولا نهارا
فخشيت ان يدعو على فقلت اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فقال يا عمر
اسره قلت لا والذى بعثك بالحق لاعلننه كما اعلنت الشرك فحمد الله تعالى
ثم قال هداك الله يا عمر ثم مسح صدرى ودعا لى بالثبات ثم انصرفت عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ودخل بيته اى ويحتاج للجمع بين هذه الروايات على تقدير
صحتها ثم رايت العلامة ابن حجر الهيتمى قال ويمكن الجمع بتعدد الواقعة قبل
اسلامه هذا كلامه فليتامل ما فيه قال ومن ذلك اى مما كان سببا لاسلام
عمر ان ابا جهل بن هشام قال يا معشر قريش ان محمدا قد شتم الهتكم وسفه احلامكم
وزعم ان من مضى من اسلافكم يتهافتون فى النار الا ومن قتل محمدا فله على مائة
ناقة حمرا وسودا والف اوقيه من فضة اى وفى لفظ جعلوا لمن يقتله كذا وكذا
اوقية من الذهب وكذا وكذا اوقية من الفضة وكذا وكذا نافجة من المسك
وكذا وكذا ثوب وغير ذلك فقال عمر انا لها فقالوا انت لها يا عمر وتعاهد معهم
على ذلك قال عمر فخرجت متقلدا سيفى متنكبا كنانتى اى جعلتها فى منكبى اريد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فمررت على عجل يذبح فسمعت من جوفه صوتا يقول
يا ال ذريح صايح يصيح بلسان فصيح يدعوا الى شهادة ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله فقلت فى نفسى ان هذا الامر لا يراد به الا انا وذريح اسم العجل
المذبوح وقيل له ذلك من اجل الدم لان الذريح شديد الحمرة يقال له احمر
ذريحى اى شديد الحمرة ثم مر برجل اسلم وكان يكتم اسلامه خوفا من قومه يقال
له نعيم اى ابن عبد الله النحام كما تقدم فقال له اين تذهب يا ابن الخطاب فقال
اريد هذا الصابى الذى فرق امر قريش وسفه احلامهم وسب الهتنا فاقتله فقال
له نعيم والله لقد غرتك نفسك اترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على وجه
الارض وقد قتلت محمدا فلا ترجع الى اهل بيتك فتقيم امرهم قال واى اهل بيتى
قال ختنك اى زوج اختك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل واختك

فاطمة فقد والله اسلما فعليك بهما وانما فعل ذلك نعيم ليصرفه عن اذية رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقيل الذى لقيه سعد بن ابى وقاص فقال له اين تريد يا عمر فقال اريد
ان اقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له انت اصغر واحقر من ذلك تريد ان
تقتل محمدا وتدعك بنو عبد مناف ان تمشى على الارض فقال له عمر ما اراك الا وقد
صبات فابدا بك فاقتلك فقال سعد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
فسل سيفه وسل سعد سيفه وشد كل منهما على الاخر حتى كاد ان يختلطا ثم قال
سعد لعمر ما لك يا عمر لا تصنع هذا بختنك واختك فقال صبيا قال نعم فتركه عمر
وسار الى منزل اخته اى ولا مانع ان يكون لقى كلا من نعيم وسعد بن ابى وقاص وقال
له كل منهما ما ذكر وفى هذه الرواية عندهم خباب بن الارت معه صحيفة فيها سورة
طه يقروها عليهم وانه دق عليهم الباب فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب اى وترك
الصحيفة فلما دخل قال لاخته ما هذه الهينمة التى سمعت قالت له ما سمعت شيئا
غير حديث تحدثنا به بيننا قال بلى والله لقد اخبرت انكما تابعتما محمدا على دينه وبطش بزوج اخته فالقاه الى الارض وجلس على صدره واخذ
بلحيته فقامت اليه اخته تكفه عن زوجها فضربها فشجها اى فلما رات الدم
قالت له يا عدو الله اتضربنى على ان اوحد الله تعالى لقد اسلمنا على رغم انفك فاصنع
ما انت صانع فلما راى عمر ما باخته وما صنعه بزوجها ندم وقال لاخته اعطنى هذه
الصحيفة انظر ما هذا الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وكان عمر كاتبا قالت
اخشاك عليها فحلف ليردنها اذا قراها اليها فقالت له يا اخى انك نجس ولا يمسه
الا الطاهر فقام واغتسل اى وفى لفظ فذهب يغتسل فخرج اليه خباب
وقال اتدفعين كتاب الله الى عمر وهو كافر قالت نعم انى ارجو ان يهدى الله اخى ورجع
خباب الى محله ودخل عمر فاعطته تلك الصحيفة فلما قراها عمر وبلغ فلا يصدنك
عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى قال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا
عبده ورسوله انتهى اى وفى رواية انه لما قرا الصحيفة قال ما احسن هذا الكلام
واكرمه اى وقيل انه لما انتهى الى قوله تعالى اننى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى
واقم الصلاة لذكرى قال ينبغى لمن يقول هذا ان لا يعبد معه غيره فلما سمع ذلك
خباب خرج اليه فقال يا عمر انى لارجو ان يكون الله تعالى قد خصك بدعوة نبيه
صلى الله عليه وسلم فانى سمعته امس وهو يقول اللهم ايد الاسلام بابى الحكم بن
هشام او بعمر بن الخطاب فالله الله يا عمر فقال له عند ذلك دلنى يا خباب على محمد
حتى اتيه فاسلم اى عنده وعند اصحابه ولا ينافى ما فى الرواية الاولى انه اسلم فقال

خباب هو في بيت عند الصفا معه نفر من اصحابه فجد الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم الحديث اقول ويمكن الجمع بين هاتين الروايتين حيث كانت القصة
واحدة ولم تتعدد بانه يجوز ان يكون زوج اخته استخفى اولا مع خباب ورفيقه
ثم ظهر فاوقع به وباخته ما ذكر وانه في الرواية الاولى اقتصر على ذكر اخته والصحيفة
تعددت واحدة فيها سبح لله ما في السموات والارض والثانية فيها طه اقتصر
في الرواية الاولى على احداهما وهي التي فيها سبح لله وفي الرواية الثانية على طه
الاخرى وهي التي فيها طه وانه في الرواية الاولى اسلم وفي الرواية الثانية سكت عن
ذلك الرواية الاولى اسلم وفي الرواية الثانية سكت عن ذلك والله اعلم وعن
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما اسلم عمر رضي الله تعالى عنه قال المشركون قال
المشركون لقد انتصف القوم منا وعن ابن عباس ايضا رضي الله تعالى عنهما لما اسلم
عمر رضي الله تعالى عنه نزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا محمد استبشر اهل السماء باسلام عمر قال وروى البخاري عن ابن مسعود رضي
الله تعالى عنه ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر انتهى زاد بعضهم عن ابن مسعود ولقد
رايتنا وما نستطيع ان نصلي بالكعبة اى عندها ظاهرين امنين حتى اسلم عمر
فقاتلهم حتى تركونا فصلينا اى وجهروا بالقراءة وكانوا قبل ذلك لا يقرؤن
الا سرا كما تقدم وعن صهيب لما اسلم عمر جلسنا حول البيت حلقا وفي كلام ابن الاثير
ترك صلى الله عليه وسلم مستخفيا في دار الارقم ومن معه من المسلمين الى ان
كملوا اربعين بعمر بن الخطاب وعند ذلك خرجوا وتقدم ما في ذلك ومما يوثر
عن عمر رضي الله تعالى عنه من اتقى الله وقاه ومن توكل على الله كفاه السيد هو
الجواد حين يسال والحليم حين يستجهل اشقى الولاة من شقيت به رعيته
اعقل الناس اعذرهم للناس وفي مختصر تاريخ الخلفا لابن حجر الهيثمي ان عمر
اول من قال اطال الله بقاك وايدك الله قال ذلك لعلي رضي الله تعالى عنه
وهو اول من استقضى القضاة في الامصار ويروى ان الارقم هذا لما كان بالمدينة
بعد الهجرة تجهز ليذهب ليصلي في بيت المقدس فلما فرغ من جهازه جاء الى
النبي صلى الله عليه وسلم يودعه فقال ما يخرجك اى من المدينة حاجة ام
تجارة قال لا يا رسول الله بابي انت وامي ولكن اريد الصلاة في بيت المقدس
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجدي هذا خير من الف صلاة
فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام فجلس الارقم ولم يذهب لبيت المقدس
ولما حضرته الوفاة اوصى ان يصلي عليه سعد بن ابي وقاص فلما مات كان

سعد

سعد بالعقيق فقال مروان يحبس صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل
غاب واراد الصلاة عليه فابى ولده ذلك على مروان ووقع بينهم كلام ثم جاء
سعد عليه فابى ولده ذلك على مروان ودفع بينهم كلام ثم جا سعد عليه فابى
ولده ذلك على مروان ودفع بينهم كلام ثم جا سعد وصلى على الارقم اى وقيل
لعمر رضي الله تعالى عنه ما سبب تسمية النبي صلى الله عليه وسلم لك بالفاروق قال
اسلمت والنبي صلى الله عليه وسلم لك بالفاروق قال لما اسلمت والنبي صلى
الله عليه وسلم واصحابه مجتمعون قلت يا رسول الله السنا على الحق ان متنا وان
حيينا قال بلى والذي نفسي بيده انكم على الحق ان متم وان حييتم فقلت
ففيم الاختفا والذي بعثك بالحق ما بقي مجلس كنت اجلس فيه بالكفر الا
اظهرت فيه الاسلام غير هايب ولا خايف والذي بعثك بالحق لتخرجن وخرجنا
في صفين حمزة في احدهما وانا في الاخر له اى لذلك الجمع كديد ككديد الطحين اى
لذلك الجمع غبار دقيق من الارض لشدة وطئ الاقدام لان الكديد التراب الناعم
اذا وطئ ثار غباره قال فدخلنا المسجد فنظرت قريش الي والى حمزة فاصابتهم
كابة لم يصبهم مثلها اى فطاف صلى الله عليه وسلم بالبيت وصلى الظهر معلنا
ثم رجع ومن معه الى دار الارقم فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الفاروق
فرق الله بي بين الحق والباطل اى وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم خرج
في صفين حمزة في احدهما وعمر في الاخر لهم كديد ككديد الطحين وفي رواية
ان عمر رضي الله تعالى عنه انه قال يا رسول الله لا ينبغي لنا ان نكتم هذا الدين
اظهر ديننا وفي رواية والله لا يعبد الله سرا بعد اليوم فخرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومعه المسلمون وعمر امامهم بسيفه ينادي لا اله الا الله محمد رسول
الله حتى دخل المسجد صاح مسمعا لقريش كل من تحرك منكم لامكنن سيفي منه
ثم تقدم امام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف والمسلمون ثم صلوا
حول الكعبة وقروا القران جهرا وكانوا قبل ما تقدم لا يقدرون على الصلاة عند
الكعبة ولا يجهرون بالقران وفي المنتقى على ما نقله بعضهم فخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعمر امامه وحمزة بن عبد المطلب رضي الله عنهما حتى طاف
بالبيت وصلى الظهر معلنا ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى دار
الارقم وفيه ان صلاة الظهر لم تكن فرضت حينئذ الا ان يقال المراد بصلاة
الظهر الصلاة التي وقعت في ذلك الوقت اى ولعل المراد بها صلاة الركعتين
اللتين كان يصليهما بالغداة صلاها في وقت الظهر وعن عمر رضي الله تعالى

عنه وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذنا من مقام ابراهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقلت يا رسول الله ان نساءك يدخل عليهم البر والفاجر فلو امرتهن ان يحتجبن فنزلت اية الحجاب واجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم نساؤه في الغيرة فقلت لهن عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن فنزلت اي وقد قال له بعض نسائه صلى الله عليه وسلم يا عمر ما في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعظ نساءه حتى تعظهن انت ومنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصلي على عبد الله بن ابي سلول **ففي** البخاري لما توفي عبد الله بن ابي جاء ولده عبد الله رضي الله تعالى عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله ان يعطيه قميصه يكفن فيه اباه فاعطاه وهذا لا يخالف ما في تفسير القاضي البيضاوي من ان ابن ابي دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه فلما دخل عليه سأله ان يستغفر له ويكفنه في شعاره الذي يلي جسده ويصلي عليه فلما مات ارسل قميصه ليكفن فيه لانه يجوز ان يكون ارساله للقميص بسؤال ولده له صلى الله عليه وسلم بعد موت ابيه **وفي** الكشاف فان قلت كيف جازت له صلى الله عليه وسلم تكرمة المنافق وتكفينه في قميصه قلت كان ذلك مكافاة لعمل صنيع سبق له وذلك ان العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اخذ اسيرا ببدر ولم يجدوا قميصا وكان رجلا طوالا فكساه عبد الله قميصه اي وكان الضنة بعدم ارسال القميص سيما وقد سئل فيه مخل بالكرم وقالت له المشركون يوم الحديبية انا لا ناذن لمحمد ولكن ناذن لك فقال لا ان لي في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة ذلك واكراما لابنه وفي هذا تصريح بان ابن ابي كان مع المسلمين في بدر وفي الحديبية ثم ان ابنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصلي عليه اي فقال له اسألك ان تقوم على قبره لا تشمت به الاعداء اي في ذلك بعد سؤال والده له صلى الله عليه وسلم في ذلك كما تقدم عن القاضي فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم انا خيرت فقال استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وسازيده على السبعين وفي رواية اتصلي على ابن ابي وقد قال يوم كذا وكذا اعدد عليه قوله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اخر عني يا عمر فلما اكثرت عليه قال اني خيرت لو اعلم اني ان زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره الى قوله وهم فاسقون وليتنظر ما معنى التخيير في الاية وما الجمع بين قوله سازيد على السبعين وقوله واعلم اني ان زدت على

السبعين يغفر الله له لزدت عليها **ثم** رايت القاضي البيضاوي قال في وجه التخيير وقوله سازيد على السبعين انه صلى الله عليه وسلم فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل فجوز ان يكون ذلك حدا يخالفه حكم ما وراءه فنزل له اي الحق سبحانه وتعالى ان المراد به التكثير بقوله في الاية الاخرى سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم هذا كلامه وحينئذ يشكل قوله لو اعلم اني ان زدت على السبعين يغفر الله له لزدت عليها فان هذا مقتضى لعدم الصلاة عليه لا للصلاة عليه فليتامل **وقد قال** علي رضي الله تعالى عنه ان في القران لرايا من راي عمر **وجاء** ما قال الناس في شيء وقال فيه عمر الا جاء القران بنحو ما قال عمر وقد اوصل بعضهم موافقاته اي الذي نزل القران على وفق ما قال وما اراد الى اكثر من عشرين اي وقد افردها بعضهم بالتاليف وقد سئل عنها الجلال السيوطي فاجاب عنها نظما **قال** عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما ما نزل بالناس امر فقال الناس وقال عمر الا نزل القران على نحو ما قال عمر **وعن** مجاهد كان عمر يرى الراي فينزل به القران **وقال** صلى الله عليه وسلم ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه **ومن** موافقاته ما سياتي في اسارى بدر **ومنها** انه لما سمع قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الاية قال فتبارك الله احسن الخالقين فنزلت كذلك **ومنها** ان بعض اليهود قال له ان جبريل الذي يذكر صاحبكم عدو لنا فقال من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين فنزلت كذلك **واستاذن** رضي الله تعالى عنه النبي صلى الله عليه وسلم في العمرة فاذن له وقال يا اخي لا تنسنا من دعائك اي وفي رواية يا اخي اشركنا في صالح دعائك ولا تنسنا **قال** عمر ما احب لي بقوله يا اخي ما طلعت عليه الشمس **وجاء** لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب **وجاء** اول من يصافحه الحق عمر بن الخطاب واول من يسلم عليه **وجاء** ان الله وضع الحق على لسان عمر يقول به **وممن** نزل القران على وفق ما قال مصعب بن عمير ايضا رضي الله تعالى عنه كان اللواء بيده يوم احد وسمع الصوت ان محمدا قد قتل صار يقول وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فنزلت

باب اجتماع المشركين على منابذة

بني هاشم وبني المطلب ابني عبد مناف وكتابة الصحيفة قد اجتمع كفار قريش على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا قد افسد علينا ابناءنا ونساءنا وقالوا لقومه خذوا منا دية مضاعفة ويقتله رجل من غير قريش وتريحونا وتريحون انفسكم فابى قومه فعند ذلك اجتمع رايهم على منابذة بني هاشم وبني المطلب

واخراجهم من مكة الى شعب ابي طالب فيه تصريح بان شعب ابي طالب كان خارجًا عن مكة والتضييق عليهم بمنع حضور الاسواق وان لا يناكحوهم وان لا يقبلوا لهم صلحا ابدًا ولا لا تأخذهم بهم رافة حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل اى وفى لفظ لا تنكحوهم ولا تنكحوا اليهم ولا تبيعوهم شيئًا ولا تبتاعوا منهم شيا ولا تقبلوا منهم صلحا الحديث وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها فى الكعبة اى توكيدًا على انفسهم **وقيل** كانت عند خالة ابي جهل وقد يجمع بانه يجوز ان تكون كانت عندها قبل ان تعلق فى الكعبة على انه سياتى انه يجوز ان الصحيفة تعددت وكان اجتماعهم وتحالفهم فى خيف بنى كنانة بالابطح ويسمى محصبًا وهو باعلا مكة عند المقابر فدخلوا بنو هاشم وبنو المطلب مؤمنهم وكافرهم الشعب الا ابا لهب فانه ظاهر عليهم قريشا وكان سنه صلى الله عليه وسلم حين دخل الشعب ستة واربعين سنة **وفى** الصحيح انهم فى الشعب جهدوا حتى كانوا ياكلون الخبط وورق الشجر **وفى كلام** السهيلى كانوا اذا قدمت العير مكة ياتى احدهم السوق ليشترى شيا من الطعام يقتاته فيقوم ابو لهب فيقول يا معشر التجار غلّوا على اصحاب محمد حتى لا يدركوا شيا معكم قد علمتم مالى ووفا ذمتى فيزيدون عليهم فى السلعة قيمتها اضعافا حتى يرجع الى اطفاله وهم يتضاغون من الجوع وليس فى يده شئ يعللهم به فيغدوا التجار على ابى لهب فيربحهم هذا كلامه ولعله لا منافاة بين خروج احدهم للسوق اذا جات العير بالميرة الى مكة وكونهم منعوا من الاسواق والمبايعة لهم **وكان** دخولهم الشعب هلال المحرم سنة سبع من النبوة وحينئذ امر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان بمكة من المسلمين ان يخرجوا الى ارض الحبشة **اقول** وفى رواية ان خروج بنى هاشم وبنى المطلب الى الشعب لم يكن باخراج قريش لهم وانما اخرجوا انه لما راى قريشا لما قدم عليهم عمرو بن العاص من عند النجاشى خايبا ورد متعه هديتهم وفقد صاحبه الذى هو عمارة بن الوليد وبلغتهم اكرام النجاشى لجعفر ومن معه من المسلمين اى كما سياتى وظهور الاسلام فى القبايل كبر ذلك عليهم واشتد اذاهم على المسلمين واجمع رايهم على ان يقتلوا النبى صلى الله عليه وسلم علانية فلما راى ابو طالب ذلك جمع بنى هاشم والمطلب مؤمنهم وكافرهم وامرهم ان يدخلوا برسول الله صلى الله عليه وسلم الشعب ويمنعوه ففعلوا فبنوا هاشم وبنو المطلب كانوا شيئا واحدًا لم يفترقوا حتى دخلوا معهم فى الشعب واعتزل عنهم بنو عميهم عبد شمس ونوفل ولهذا يقول ابو طالب فى قصيدته

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا • وتيمًا ومخزومًا عقوقًا ومأثما •

فلما علمت قريش ذلك اجمع رايهم على ان يكتبوا عهودًا ومواثيق على ان لا يجالسوا الحديث **وفيه** انه سياتى ان خروج عمرو بن العاص الى الحبشة انما كان بعد الهجرة الثانية وهى بعد دخول بنى هاشم والمطلب الى الشعب والله اعلم •

باب الهجرة الثانية الى ارض الحبشة

لا يخفى انه لما وقع ما ذكر انطلق الى الحبشة عامة من امن بالله ورسوله اى غالبهم فكانوا عند النجاشى ثلاثة وثمانين رجلا وثمانى عشرة امراة هذا بناء على ان عمار بن ياسر كان منهم وقد اختلف فى ذلك وكلام الاصل يميل الى ذلك **وكان** من الرجال جعفر بن ابى طالب ومعه زوجته اسما بنت عميس والمقداد بن الاسود وعبد الله بن مسعود وعبيد الله بالتصغير بن جحش ومعه امراته ام حبيبة بنت ابى سفيان فتنصر هناك ثم مات على النصرانية اى وبقيت ام حبيبة رضى الله عنها على اسلامها وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سياتى **وعن** ام حبيبة رضى الله تعالى عنها قالت رايت فى المنام كان عبيد الله بن جحش زوجى باسوء حال وتغيرت صورته فاذا هو يقول حين اصبح يا ام حبيبة انى نظرت فى هذا الدين فلم ارد دينا خيرًا من دين النصرانية وقد كنت دنت به ثم دخلت فى دين محمد ثم رجعت الى دين النصرانية فقالت والله ما خير لك واخبرته بما رايت له فلم يحفل بذلك واكب على الخمر يشربه حتى مات فرايته فى المنام كان اتيا يقول لى يا ام المؤمنين ففزعت واولتها بان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزوجنى فكان كذلك اى **وذكر** ابن اسحاق ان ابا موسى الاشعرى هاجر الى الحبشة ومراده انه هاجر اليها من اليمن لا من مكة كما فهم الواقدى فاعترض عليه فى ذلك **فعن** ابى موسى انه بلغه مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو باليمن فخرج هو وخمسون رجلا فى سفينة مهاجرين اليه صلى الله عليه وسلم فالقتهم السفينة الى النجاشى فى الحبشة فوجدوا جعفرا واصحابه فامرهم جعفر بالاقامة واستمروا كذلك حتى قدموا عليه صلى الله عليه وسلم هم وجعفر عند فتح خيبر كما سياتى وبهذا يندفع قول بعضهم ما ذكره ابن اسحاق من ان ابا موسى الاشعرى هاجر من مكة الى الحبشة من الغريب جدًا ولعله مدرج من بعض الرواة فاقاموا بخير دار عند خير جار فبعثت قريش خلفهم عمرو بن العاص ومعه عمارة بن الوليد بن المغيرة التى ارادت قريش دفعه لابى طالب ليكون بدلا عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا قتلوه بهدية للنجاشى والهدية فرش وجبة ديباج اى واهدوا لعظما الحبشة هدايا ليردوا من جا اليه من المسلمين فلما دخلا عليه سجدا له وقعد واحد عن يمينه والاخر عن شماله

وفي كلام بعضهم فاجلس عمرو بن العاص على سريره وقبل هديتهما فقلنا لا
ان نفرا من بني عمنا نزلوا ارضك فرغبوا عنا وعن آلهتنا اي ولم يدخلوا في دينكم بل
جاؤا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا انتم وقد بعثنا الى الملك فيهم اشراف قريش لتردهم
اليهم ٥ قال واين هم قالوا بارضك فارسل اليهم في طلبهم اي وقال لعظماء الحبشة
ادفعهم اليهما فهما اعرف بحالهم فقال لا والله حتى اعلم على اي شيء هم فقال عمرو هم
لا يسجدون للملك اي وفي لفظ لا يخرون لك ولا يحيونك كما يحييك الناس اذا
دخلوا عليك رغبة عن سنتك ودينكم فلما جاؤا قال لهم جعفر رضي الله تعالى عنه
انا خطيبكم اليوم اي فانه لما جاءهم رسول النجاشي يطلبهم اجتمعوا ثم قال
بعضهم لبعض ما تقولون للرجل اذا جئتموه قال جعفر ما ذكر وقال وانا نقول
ما علمنا وما امرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم كائنا في ذلك ما يكون وقد كان
النجاشي دعا اساقفته وامرهم بنشر مصاحفهم حوله فلما جاء جعفر واصحابه
صاح جعفر بالباب وقال جعفر بالباب يستاذن ومعه حزب الله فقال
النجاشي نعم يدخل بامان الله وذمته فدخل عليه ودخلوا خلفه فسلم فقال له
الملك ما لك لا تسجد وفي لفظ ان عمرا قال له الا ترى كيف يكنون بحزب
الله وما اجابهم به وان عمرا قال للنجاشي الا ترى ايها الملك انهم مستكبرون لم يحيوك
بتحيتك فقال النجاشي ما منعكم ان لا تسجدوا لي وتحيوني بتحيتي التي احيا بها
فقال جعفر انا لا نسجد الا لله عز وجل قال ولم ذاك قال لان الله تعالى ارسل فينا
رسولا وامرنا ان لا نسجد الا لله عز وجل واخبرنا ان تحية اهل الجنة السلام
فحييناك بالذي يحيي به بعضنا بعضا اي وعرف النجاشي ذلك لانه كان كذلك
في الانجيل كما قيل اي وامرنا بالصلاة اي غير الخمس لانها لم تكن فرضت بل التي هي
ركعتان بالغداة وركعتان بالعشي اي ركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان
قبل غروبها على ما تقدم والزكاة اي مطلق الصدقة لا زكاة المال لانها
انما فرضت بالمدينة ٥ اي في السنة الثانية او مراده بالزكاة الطهارة قال
عمرو بن العاص للنجاشي فانهم يخالفونك في ابن مريم ولا يقولون انه ابن الله جل
وعلا قال فما تقولون في ابن مريم وامه قالوا نقول كما قال الله عز وجل روح الله
وكلمته القاها الى مريم العذراء اي البكر البتول اي المنقطعة عن الازواج التي لم
يمسها بشر فلم يفرضها اي يشقها ويخرج منها ولدا اي غير عيسى صلى الله على
نبينا وعليه وسلم فقال النجاشي يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان
ما يزيدون على ما تقولون اشهد انه رسول الله وانه الذي بشر به عيسى في الانجيل

اى

ومعنى كونه روح الله انه حاصل عن نفخة روح القدس الذي هو جبريل
ومعنى كونه كلمة الله تعالى انه قال له كن فيكون اي حصل في حال القول ٥
وفي لفظ ان النجاشي قال لمن عنده من القسيسين والرهبان انشدكم بالله
الذي انزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين يوم القيامة نبيا مرسلا
اي صفته ما ذكر هؤلاء فقالوا اللهم نعم قد بشرنا به عيسى فقال من امن به فقد
امن بي ومن كفر به فقد كفر بي فعند ذلك قال النجاشي والله لولا ما انا
فيه من الملك لاتيته فاكون انا الذي احمل نعله واوضيه اي اغسل يديه وقال
للمسلمين انزلوا حيث شئتم سيوم بارضي اي امنون بها وامر لهم بما يصلحهم من
الرزق وقال من نظر الى هؤلاء الرهط نظرة تؤذيهم فقد عصاني وفي
لفظ ثم قال اذهبوا فانتم امنون من سبكم غرم قالها ثلاثا اي اربع دراهم
وضعفها كما جاء في بعض الروايات وامر بهدية عمرو ورفيقه فردت عليهما
وفي لفظ ان النجاشي قال ما احب ان يكون لي دبر من ذهب اي جبلا وان اوذي
رجلا منكم ردوا عليهم هداياهم فلا حاجة لي بها فوالله ما اخذ الله تعالى مني
الرشوة حين رد علي ملكي فاخذ الرشوة وما اطاع الناس في فاطيعهم فيه
وكان النجاشي اعلم النصارى بما انزل على عيسى وكان قيصر يرسل اليه علماء
النصارى لتاخذ عنه العلم اي وقد بينت عائشة رضي الله تعالى عنها السبب
في قول النجاشي ما اخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي وهو ان والد النجاشي
كان ملك الحبشة فقتلوه وولوا اخاه الذي هو عم النجاشي فنشا النجاشي
في حجر عمه لبيبا حازما وكان لعمه اثنا عشر ولدا لا يصلح واحد منهم للملك فلما
رات الحبشة نجابة النجاشي خافوا ان يتولى عليهم فيقتلهم بقتلهم لابيه
فمشوا لعمه في قتله فابى واخرجه وباعه ثم لما كان عشاء تلك الليلة مرت على
عمه صاعقة فمات فلما رات الحبشة ان لا يصلح امرها الا النجاشي ذهبوا فجاؤا
به من عند الذي اشتراه وعقدوا له التاج وملكوه عليهم فسار فيهم سيرة
حسنة وفي رواية ما يقتضي ان الذي اشتراه رجل من العرب وانه ذهب
به الى بلاده ومكث عنده مدة ثم لما مرج امر الحبشة وضاق عليهم ما هم
فيه خرجوا في طلبه واتوا به من عند سيده ويدل لذلك ما سياتي عنه
انه قال عند وقعة بدر ارسل خلف من عنده من المسلمين فدخلوا عليه فاذا
هو قد لبس مسحا وقعد على التراب والرماد فقالوا له ما هذا ايها الملك فقال
انا نجد في الانجيل ان الله سبحانه وتعالى اذا احدث لعبده نعمة وجب على

العبد ان يحدث لله تواضعا وان الله تعالى قد احدث الينا واليكم نعمة عظيمة
وهى ان محمدا صلى الله عليه وسلم التقى هو واعداؤه بواد يقال له بدر كثير الاراك
كنت ارعى فيها الغنم لسيدى وهو من بنى ضمرة والله تعالى قد هزم اعداءه فيه ونصر
دينه وذكر السهيلى ان بكاءه عند ما تليت سورة مريم اى كما سياتى
حتى اخضل لحيته يدل على طول مكثه ببلاد العرب حتى تعلم من لسان العرب
ما فهم به تلك السورة وقال وعن جعفر بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه لما نزلنا
ارض الحبشة جاورنا خير جار امنا على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع
شيئا نكرهه فلما بلغ ذلك قريشا ائتمروا ان يبعثوا رجلين جلدين وان يهدوا
للنجاشى هدايا مما يستطرف من متاع مكة وكان اعجب ما ياتيه منها الادم
فجمعوا له ادما كثيرا ولم يتركوا من بطارقته بطريقا الا اهدوا له هدية اى
هيؤا له هدية ولا يخالف ما تقدم من ان الهدية كانت فرسا وجبة ديباج لانه
يجوز ان يكون بعض الادم ضم الى تلك الفرس والجبة للملك وبقية الادم فرق
على اتباعه ليقا ونوبها على ما جاء بصدده والاقتصار على الفرس والجبة فى الرواية
السابقة لان ذلك خاص بالملك ثم بعثوا عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص
يطلبان من النجاشى ان يسلمنا لهما اى قبل ان يكلمنا وحسن له بطارقته ذلك
لانهما لما اوصلا هداياهم اليهم قالوا لهم اذا ما كلمنا الملك فيهم فاشيروا
عليه بان يسلمهم الينا قبل ان يكلمهم اى موافقة لما وصت عليه قريش
فقد ذكر انهم قالوا لهما ادفعوا الكل بطريق هديته قبل ان تكلما النجاشى فيهم
ثم قدما للنجاشى هداياه ثم سالاه ان يسلمهم اليهما قبل ان يكلمهم فلما
جاءا الى الملك قالا له ايها الملك انه قد صبا الى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا
دين قومهم ولم يدخلوا فى دينك وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا انت
اى جاءهم به رجل كذاب خرج فينا يزعم انه رسول الله عليه السلام ولم يتبعه
منا الا السفهاء وقد بعثنا فيهم اشراف قومهم من ابائهم واعمامهم وعشائرهم
ليردهم فهم اعلم بما عابوا عليهم فقالت بطارقته صدقوا ايها الملك قومهم
اعلم بهم فاسلمهم اليهما ليرداهم الى بلادهم وقومهم فغضب النجاشى فقال
لاها الله اى لا والله لا اسلمهم ولا يكاد قوم جاورونى ونزلوا بلادى واختارونى
على من سواى حتى ادعوهم فاسألهم عما يقول هذان من امرهم فان كان
كما يقولون سلمتهم اليهما والا منعتهما منهم واحسنت جوارهم ثم ارسل
الينا ودعانا فلما دخلنا سلمنا فقال من حضره ما لكم ان لا تسجدون للملك

قلنا

قلنا لا نسجد الا لله عز وجل فقال النجاشى ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم
ولم تدخلوا فى دينى ولا فى دين احد من الملل فقلنا ايها الملك كنا قوما اهل جاهلية
نعبد الاصنام ونأكل الميتة ونأتى الفواحش ونقطع الارحام ونسىء الجوار
ويأكل القوى الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله لنا رسولا كما بعث
الرسل الى من قبلنا وذلك الرسول منا نعرف نسبه وصدقه وامانته وعفافه
فدعانا الى الله تعالى لنوحده ونعبده ونخلع اى نترك ما كان يعبد اباؤنا من
دونه من الحجارة والاوثان وامرنا ان نعبد الله تعالى وحده وامرنا بالصلاة
اى ركعتين بالغداة وركعتين بالعشى والزكاة اى مطلق الصدقة والصيام
اى ثلاثة ايام من كل شهر وهى البيض او اى ثلاثة على الخلاف فى ذلك وامرنا بصدق
الحديث واداء الامانة وصلة الارحام وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء
اى ونهانا عن الفواحش وقول الزور واكل مال اليتيم وقذف المحصنة فصد قناه
وامنا به واتبعناه على ما جاء به فعدا علينا قومنا ليردونا الى عبادة الاصنام
واستحلال الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا
خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك ورجونا ان لا نظلم عندك ايها
الملك فقال النجاشى لجعفر هل عندك مما جاء به شىء قلت نعم قال فاقرأه على فقرأت
عليه صدرا اى كهيعص فبكى والله النجاشى حتى اخضل اى بل لحيته وبكت
اساقفته وفى لفظ هل عندك مما جاء به عن الله شىء فقال لجعفر نعم قال فاقرأه على
قال البغوى فقرأ عليه سورة العنكبوت والروم ففاضت عيناه واعين اصحابه
بالدمع وقالوا زدنا يا جعفر من هذا الحديث الطيب فقرأ عليهم سورة الكهف
فقال النجاشى والله الذى جاء به موسى اى وفى رواية ان هذا والذى جاء به موسى
ليخرج من مشكاة واحدة اى وهذا كما قيل يدل على ان عيسى كان مقررا لما جاء
به موسى وفى رواية بدل موسى عيسى ويؤيده ما فى لفظ انه قال ما زاد هذا على
ما فى الانجيل الا هذا العود لعود كان فى يده اخذه من الارض وفى لفظ ان
جعفر قال للنجاشى سلهما اعبيد نحن ام احرار فان كنا عبيدا ابقنا من اربابنا
فارددنا اليهم فقال عمرو بل احرار فقال جعفر سلهما اهرقنا دما بغير حق
فيقتص منا هل اخذنا اموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤه فقال عمرو لا
فقال النجاشى لعمرو وعمارة هل لكما عليهما دين قالا لا قال انطلقا فوالله لا
اسلمهم اليكما ابدا زاد فى رواية ولو اعطيتمونى دبرا اى ذهبا اى جبلا من
ذهب ثم غدوا الى النجاشى اى الى اليه فى غد ذلك اليوم وقالا له انهم يقولون

فى عيسى قولا عظيما اى يقولون انه عبد اى وانه ليس ابن الله اى وفى لفظ ان عمرا قال للنجاشى ايها الملك انهم يشتمون عيسى وامه فى كتابهم فاسألهم فذكر له جعفر ما تقدم فى الرواية الاولى هذا وعن عروة بن الزبير انما كان يكلم النجاشى عثمان وهو حصر عجيب فليتأمل وروى الطبرانى عن ابى موسى الاشعرى بسند فيه رجال الصحيح ان عمرو بن العاص مكر بعمارة بن الوليد اى للعداوة التى وقعت بينه وبينه فى سفرهما اى من ان عمرو بن العاص كان معه زوجته وكان قصيرا ذميما وكان عمارة رجلا جميلا فتمنى امرأة عمرو وهويته فنزل هو واياها فى السفينة فقال لعمارة مر امرأتك فلتقبلنى فقال له عمرو الا تستحى فاخذ عمارة عمرا ورمى به فى البحر فجعل عمرو يسبح وينادى اصحاب السفينة ويناشد عمارة حتى ادخله السفينة واضمرها عمرو فى نفسه ولم يبدها لعمارة بل قال لامرأته قبلى ابن عمك عمارة ليطيب بذلك نفسه فلما اتيا ارض الحبشة مكر به عمرو فقال انك رجل جميل والنساء يحببن الجمال فتعرض لزوجة النجاشى لعلها ان تشفع لنا عنده ففعل عمارة ذلك وتكرر تردده عليها حتى اهدت اليه من عطرها اى ودخل عندها فلما رأى عمرو ذلك اتى النجاشى واخبره بذلك اى فقال له ان صاحبى هذا صاحب نساء وانه يريد اهلك وهو عندها الآن فاعلم ذلك فبعث النجاشى فاذا عمارة عند امرأته فقال لولا انه جارى لقتلته ولكن سافعل به ما هو شر من القتل فدعى بساحر فنفخ فى احليله نفخة طار منها هائما على وجهه كالمسلوب العقل حتى لحق بالوحوش فى الجبال الى ان مات على تلك الحال اى ومن شعر عمرو بن العاص يخاطب عمارة بن الوليد

اذا المرء لم يترك طعاما يحبه • ولم ينه قلبا غاويا حيث يمما •

قضى وطرا منه وغادر سبة • اذا ذكرت امثالها تملأ الفما •

ولا زال عمارة مع الوحوش الى ان كان موته فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وان بعض الصحابة وهو ابن عمه عبد الله بن ابى ربيعة فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وقد استأذنه فى المسير اليه لعله يجده فاذن له عمر رضى الله تعالى عنه فسار عبد الله الى ارض الشام الحبشة واكثر النشدة عنه والفحص عن امره حتى اخبر انه فى جبل يرد مع الوحوش اذا وردت ويصدر معها اذا صدرت فجاء اليه وامسكه فجعل يقول له ارسلنى والا اموت الساعة فلم يرسله فمات من ساعته وتقدم ان بعد غزاة بدر انهم ارسلوا للنجاشى عمرو بن العاص ايضا وعبد الله بن ابى ربيعة هذا وكان اسمه قبل ان يسلم بحيرا فلما اسلم سماه رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وابو ربيعة الذى هو ابو عبد الله كان يقال له ذو الرمحين وام عبد الله من اعز ابى جهل بن هشام فهو اخو ابى جهل لامه ارسلوهما اليه ليدفع اليهما من عنده من المسلمين ليقتلوهم فيمن قتل من بدر ومن العجب ان صاحب المواهب ذكر ان ارسال قريش لعمرو بن العاص وعبد الله ابن ربيعة ومعهما عمارة بن الوليد فى الهجرة الاولى للحبشة وانما كان عمرو وعمارة فى الهجرة الثانية وابن ابى ربيعة انما كان مع عمرو بعد بدر كما علمت وان كان يمكن ان يكون عبد الله بن ابى ربيعة ارسلته قريش مرتين الا انه بعيد ويرده قول بعضهم ان قريشا ارسلت فى امر من هاجر الى الحبشة مرتين الاولى ارسلت عمرو وعبد الله بن ابى ربيعة فليتأمل ومكث بنو هاشم فى الشعب ثلاث سنين وقيل سنتين فى اشد ما يكون من البلاء وضيق العيش وولد عبد الله بن عباس فى الشعب فمن قريش من سره ذلك ومنهم من ساءه وقالوا انظروا ما اصاب كاتب الصحيفة اى من شلل يده كما تقدم وصار لا يقدر احد ان يوصل اليهم طعاما ولا اداما حتى ان ابا جهل لقى حكيم بن حزام معه غلام يحمل قمحا يريد عمته خديجة زوج النبى صلى الله عليه وسلم وهى معه فى الشعب فتعلق به وقال انذهب بالطعام الى بنى هاشم والله لا تذهب انت وطعامك حتى افضحك بمكة فقال له ابو البخترى بن هاشم مالك وماله فقال ابو جهل انه يحمل الطعام لبنى هاشم فقال ابو البخترى طعام كان لعمته عنده افتمنعه ان ياتيها خل سبيل الرجل فابى ابو جهل حتى نال احدهما من صاحبه فاخذ ابو البخترى لحى بعير اى العظم الذى تنبت عليه الاسنان فضربه به فشجه ووطئه وطئا شديدا وابو البخترى بالحاء المهملة وفى مختصر اسد الغابة بالخاء المعجمة ممن قتل ببدر كافرا وحتى ان هاشم بن عمرو بن الحارث العامرى رضى الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك ادخل عليهم فى ليلة ثلاثة احمال طعاما فعلمت بذلك قريش فمشوا اليه حين اصبح وكلموه فى ذلك فقال انى غير عائد لشئ خالفكم ثم ادخل عليهم ثانيا جملا وقيل جملين فعلمت به قريش فتغالظوا اى اغلظوا له القول وهمت به فقال لهم ابو سفيان بن حرب دعوه رجل وصل رحمه اما انى احلف بالله لو فعلنا مثل ما فعل كان احسن بنا وكان ابو طالب فى كل ليلة يامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتى فراشه ويضطجع به فاذا نام الناس اقامه وامر احد بنيه او غيرهم اى من اخوته او بنى عمه ان يضطجع مكانه خوفا عليه ان يغتاله احد ممن يريد به السوء اى فى الشعب وولد عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما

ثم اطلع الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على ان الارضة وهي سوسة تاكل ٥
الخشب اذا مضى عليه سنة نبتت لها جناحان تطير بهما وهي التي دلت الجن
على موت سليمان على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام اكلت ما في الصحيفة
من ميثاق وعهد اي الالفاظ المتضمنة للظلم وقطيعة الرحم ولم تدع فيها اسما
لله تعالى الا اثبتته فيها في رواية ولم تترك الارضة في الصحيفة اسما لله عز
وجل الا لحسته وبقي ما فيها من شرك او ظلم او قطيعة رحم اي والرواية الاولى
اثبت من الثانية قال وجمع بين الروايتين فانهم كتبوا نسختين فاكلت الارضة من
بعض النسخ اسم الله تعالى واكلت من بعض ما عدا اسم الله تعالى لئلا يجتمع اسم الله
تعالى مع ظلمهم انتهى اي والتي علقت في الكعبة هي التي لحست تلك الدابة ما فيها
من اسم الله تعالى كما يدل عليه ما ياتي فذكر ذلك لعمه ابي طالب فقال له
عمه والثواقب اي النجوم لانها تثقب الشياطين وقيل التي تمضي لانها تثقب
الظلام بضوئها وقيل الثريا خاصة لانها اشد النجوم ضوءا ما كذبتني قط
اي ما اخذت تثنى كذبا وفي رواية انه قال له اربك اخبرك بهذا الخبر قال نعم
فانطلق في عصابة اي جماعة من قومه اي من بني اي من بني هاشم وبني المطلب ٥
اي وفي رواية ان ابا طالب لما ذكر ذلك لاهله قالوا له فما ترى قال ارى ان تلبسوا
احسن ثيابكم وتخرجوا الى قريش فتذكروا ذلك لهم قبل ان يبلغهم الخبر فخرجوا
حتى اتوا المسجد على خوف من قريش فلما رأتهم قريش ظنوا انهم خرجوا من شدة البلاء
ليسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل فتكلم منهم ابو طالب وقال قد جرت
امور بيننا وبينكم فاتوا بصحيفتكم التي فيها مواثيقكم فلعله ان يكون بيننا
وبينكم صلحا اي مخرجا يكون سببا للصلح وانما قال ابو طالب ذلك خشية ان
ينظروا في الصحيفة قبل ان ياتوا بها اي فلا ياتون بها فاتوا بصحيفة لا يشكون
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفع اليهم لانه الذي وقعت عليه العهود
والمواثيق فوضعوها بينهم وقالوا لابي طالب اي توبيخا له ولمن معه قد آن لكم
ان ترجعوا عما احدثتم علينا وعلى انفسكم فقال لهم ابو طالب انما اتيتكم في امر
نصف بيننا وبينكم اي امر وسط لا حيف فيه علينا ولا عليكم ان ابن اخي اخبرني
ان هذه الصحيفة التي في ايديكم قد بعث الله تعالى عليها دابة لم تترك اسما من اسماء
الله تعالى الا لحسته وتركت فيها غدركم وتظاهركم علينا بالظلم اقول هذا على الرواية
الثانية واما على الرواية الاولى التي هي اثبت فيكون قوله لم تترك اسما الا اثبتته
ولحست مواثيقكم وعهدكم ثم رايت الجوزي ذلك ذلك فقال ان ابا طالب قال ان

ان ابن اخي قد اخبرني ولم يكذبني قط ان الله قد سلط على صحيفتكم التي كتبتم
الارضة فلحست كلما كان فيها من جور او ظلم او قطيعة رحم وبقي فيها كلما ذكر به الله
تعالى وفي الينبوع ان ابا طالب قال لما حضرت الصحيفة ان صحيفتكم هذه صحيفة
اثم وقطيعة رحم وان ابن اخي اخبرني ان الله سلط عليها الارضة فلم تدع ما كتبتم
الا باسمك اللهم والله اعلم قال ابو طالب فان كان الحديث كما يقول ابن اخي
فافيقوا اي وفي رواية فانزعوا اي ارجعوا عن سوء رايكم اي وانكم ان لم ترجعوا فوالله لا نسلمه
حتى نموت من عند اخرنا وان كان الذي يقول باطلا دفعنا اليكم صاحبنا فقتلتم
او استحييتم فقالوا قد رضينا بالذي تقول اي وفي رواية انصفتنا ففتحوا الصحيفة
فوجدوا الامر كما اخبر به الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم فلما رأت قريش صدق
ما جاء به ابو طالب قالوا اي قال اكثرهم هذا سحر ابن اخيك وزادهم ذلك بغيا
وعدوانا وبعضهم ندم وقال هذا بغي منا على اخواننا وظلم لهم اي وقد جاء ان
ابا طالب قال لهم اي بعد ان وجدوا الامر كما اخبر به صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش
علام نحصر ونحبس وقد بان الامر وتبين انكم اولى بالظلم والقطيعة والاساءة
ودخلوا بين استار الكعبة وقالوا اللهم انصرنا على من ظلمنا وقطع ارحامنا واستحل
ما يحرم عليه منا ثم انصرفوا الى الشعب وعند ذلك مشى طائفة منهم وهم خمسة
في نقض الصحيفة اي ما تضمنته وهم هشام بن عمرو بن الحارث وزهير بن امية بن
عمته صلى الله عليه وسلم عاتكة بنت عبد المطلب وقد اسلم بعد ذلك كالذي قبله
كما تقدم والمطعم بن عدي مات كافرا كما تقدم وابو البختري بن هشام قتل ببدر
كافرا كما تقدم وزمعة بن الاسود قتل ببدر كافرا واختلف في كاتب الصحيفة فعند
ابن سعد انه بغيض ابن عامر فشلت يده ولا يعرف له اسلام وعند ابن اسحاق
ان الكاتب لها هشام ابن عمرو المتقدم ذكره قال وقيل ان الكاتب لها منصور
ابن عكرمة اي فشلت يده فيما يزعمون كذا في النور نقلا عن سيرة ابن هشام وقيل
النضر بن الحارث فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فشلت بعض اصابعه
اي وهو ممن قتل على كفره منصرفه صلى الله عليه وسلم من بدر وقيل الكاتب لها
طلحة بن العبدري قال ابن كثير والمشهور انه منصور ويجمع بين هذه الاقوال
باحتمال ان يكون كتبت نسخ اي فكل كتب نسخة انتهى اي وينبغي ان يكون الذي شلت
يده هو كاتب الصحيفة التي علقت في الكعبة ولعلها هي التي كتبت اولا والى اكل
الارضة الصحيفة والى عد الخمسة الذين سعوا في نقض الصحيفة اشار صاحب الهمزية
بقوله ٥ فديت خمسة الصحيفة بالخمسة اذ كان للكرام فداء ٥

فتية بيتوا على فعل خير • حمد الصباح امرهم والمساء
زمعة انه الفتى الاتاء • يا لامر اتاه بعد هشام
وزهيرا والمطعم بن عدي • وابو البختري من حيث شاؤا
نقضوا مبرم الصحيفة اذ شدت عليه من العدا الانداء
اذكرتنا باكلها اكل منسا • ة سليمان الارضة الخرساء
وبها اخبر النبي وكم اخرج خبئا له الغيوب خباء

اي فديت خمسة الصحيفة اي الناقضين لها بالخمسة المشهورين السابق ذكرهم فتية بيتوا وتراودوا واشتوروا بالحجون ليلا على فعل خير وهو نقض الصحيفة حمد الصباح والمساء منهم ذلك الفعل يا لامر عظيم وهو نقض الصحيفة اتاه بعد هشام زمعة بن الاسود وانه الكريم في قومه الاتاء اي المبالغ في ايتاء الخير واتاه زهير واتاه المطعم بن عدي واتاه ابو البختري من المكان الذي قصدوه فنقضوا مبرم الصحيفة اي الامر الذي ابرمته اذكرتنا الارضة الخرساء باكلها تلك الصحيفة منساة اي عصا سليمان وباكلها للصحيفة اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ومرات كثيرة اخرج صلى الله عليه وسلم شيئا مخبأ الغيوب له ساترة والمراد ان كل واحد من هولاء الخمسة الذين نقضوا الصحيفة اي الامر الذي ابرمته اذكرتنا ذلك فدى باولئك الخمسة المشهورين من الاذى الذي اصابهم المتقدم ذكره فلا ينافي ان بعض هولاء الذين نقضوا الصحيفة مات كافرا

قال بجا ان هشام بن عمرو بن الحارث رضي الله عنه فانه اسلم بعد ذلك كما تقدم مشى الى زهير بن امية بن عاتكة بنت عبد المطلب رضي الله عنه فانه اسلم بعد ذلك ايضا كما تقدم فقال له يا زهير ارضيت ان تاكل الطعام وتلبس الثياب واخوالك حيث قد علمت لا يباعون ولا يبتاعون فقال ويلك يا هشام فماذا اصنع انما انا رجل واحد والله لو كان معي رجل اخر معين لنقضتها يعني الصحيفة قال وجدت رجلا قال من هو قال انا فقال زهير ابغنا رجلا ثالثا فذهب الى المطعم بن عدي فقال له يا مطعم ارضيت ان يهلك بطنان من قريش بني عبد مناف يعني بني هاشم وبني المطلب وانت شاهد على ذلك فقال له ويحك ماذا اصنع انما انا رجل واحد قال قد وجدت ثانيا قال من هو قلت انا قال ابغنا ثالثا قال قد فعلت قال من هو قلت زهير بن امية قال ابغنا رابعا فذهب الى ابي البختري بن هشام فقال له نحو ما قلت للمطعم فقال وهل من معين على هذا الامر قلت نعم قال من هو قلت زهير ابن امية والمطعم بن عدي وانا معك قال ابغنا خامسا فذهب الى زمعة بن الاسد

فكلمه

فكلمه فقال وهل من احد يعين على ذلك فسمى له القوم ثم ان هولاء اجتمعوا ليلا عند الحجون واجمعوا امرهم وتعاهدوا على القيام في نقض الصحيفة حتى ينقضوها وقال زهير انا ابدأكم فاكون اول من تكلم فلما اصبحوا غدوا الى انديتهم وغدا زهير وعليه حلة فطاف بالبيت ثم اقبل على الناس فقال يا اهل مكة انأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم اي والمطلب هلكى لا يباعون ولا يبتاع منهم والله لا اقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة فقال ابو جهل كذبت والله لا تشق قال زمعة بن الاسود انت والله اكذب ما رضينا كتابتها حين كتبت قال البختري صدق زمعة قال المطعم صدقتما وكذب من قال غير ذلك نبرأ الى الله منها ومما كتب فيها وقال هشام بن عمرو نحوا من ذلك فقال ابو جهل هذا امر قضي بليل فقام المطعم بن عدي الى الصحيفة فشقها انتهى اي وهذا يدل للرواية الدالة على ان الارضة لحست اسم الله تعالى وابقت ما فيها من العهود والمواثيق والا فبعيد انمحاء ذلك منها لا معنى لشقها وفي كلام بعضهم يحتمل ان ابا طالب انما اخبرهم بعد سعيهم في نقضها قال ابن حجر الهيتمي ويبعده ان الاخبار بذلك حينئذ ليس له كبير جدوى وقام هولاء الخمسة ومعهم جماعة ولبسوا السلاح ثم خرجوا الى بني هاشم وبني المطلب فامروهم بالخروج الى مساكنهم ففعلوا

باب ذكر خبر وفد نجران

ثم قدم عليه الصلاة والسلام وهو بمكة وفد نجران وهم قوم من النصارى ونجران بلدة بين مكة واليمن على نحو من سبع مراحل من مكة كانت منزلا للنصارى وكانوا نحو عشرين رجلا حتى بلغهم خبره ممن هاجر من المسلمين الى الحبشة فوجدوه في المسجد فجلسوا اليه وسالوه وكلموه ورجال من قريش في انديتهم حول الكعبة ينظرون اليهم فلما فرغوا من مسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما ارادوا دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الله وتلا عليهم القران فلما سمعوه فاضت اعينهم من الدمع ثم استجابوا له وآمنوا به وعرفوا منه ما هو عليه موصوف به في كتابهم فلما قاموا عنه اعترضهم ابو جهل في نفر من قريش فقالوا لهم خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من اهل دينكم ترتادون اي تنظرون الاخبار لهم لتأتوهم بخبر الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال لا نعلم ركبا احمق اي اقل عقلا منكم فقالوا لهم سلام عليكم لا نجاهلكم لنا ما نحن عليه ولكم ما انتم عليه ويقال نزل فيهم قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب الى قوله لا نبتغي الجاهلين ونزل قوله تعالى واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق وذكر في الوفاء وفود

ضماد الازدي عليه صلى الله عليه وسلم فقال عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان ضمادًا قدم مكة وكان من ازد شنوءة وكان يرقي من الريح ولعل المراد به اللمة
من الجن فسمع سفهاء من اهل مكة يقولون ان محمدًا مجنون فقال لو اني رايت هذا
الرجل لعل الله ان يشفيه على يدي قال فاتيته فقلت يا محمد اني ارقي من الريح فان
الله يشفي على يدي من شاء فهل لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله نحمده
ونستعينه من يهدي الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله
الا الله وحده لا شريك له وان محمدًا عبده ورسوله فقال له ضماد اعد علي كلماتك هؤلاء
فاعادهن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فقال لقد سمعت قول الكهنة
وقول السحرة وقول الشعراء فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء هات يدك ابايعك على
الاسلام فبايعه وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى قومك قال وعلى قومي

باب ذكر وفاة عمه ابي طالب

وزوجته صلى الله عليه وسلم خديجة رضي الله تعالى عنها ليعلم انهما ماتا في عام واحد اي بعد خروج بني هاشم
والمطلب من الشعب بثمانية وعشرين يومًا والى موتهما في عام واحد اشار صاحب الهمزية
بقوله • وقضى عمه ابو طالب والدهر فيه السرا والضراء •
• ثم ماتت خديجة ذلك العام ونالت من احمد السناء •
وذلك قبل الهجرة الى المدينة بثلاث سنين وبعد مضي عشر سنين من بعثته صلى
الله عليه وسلم اي من مجي جبريل له بالوحي وهو يرد قول ابن اسحق ومن تبعه ان خديجة
ماتت بعد الاسرا وافاد كلام صاحب الهمزية ان موت خديجة كان بعد موت ابي
طالب بخمس وثلاثين ليلة ويؤيد ما في الهمزية قول الحافظ عماد الدين بن كثير
المشهور انه مات قبل خديجة رضي الله تعالى عنها اي بثلاثة ايام ودفنت بالحجون
ونزل صلى الله عليه وسلم في حفرتها ولها من العمر خمس وستون سنة ولم تكن الصلاة
على الجنازة شرعت • وذكر الفاكهاني في شرح الرسالة ان صلاة الجنازة
وروى من خصائص هذه الامة لكنه ذكر ما يخالفه في الشرح المذكور حيث قال
ان ادم عليه السلام لما توفي اتي بحنوط وكفن من الجنة ونزلت الملائكة فغسلته
وكفنته في وتر من الثياب وحنطوه وتقدم ملك منهم فصلى عليه وصلت
الملائكة خلفه ثم اقبروه والحدوه ونصبوا اللبن عليه وابنه شيث عليه
السلام الذي هو وصيه معهم فلما فرغوا قالوا له هكذا فاصنع بولدك واخوتك
فانها سنتكم هذا كلامه ويبعد انه لم يفعل ذلك بعد القول المذكور ويحتمل
ان المراد بالصلاة مجرد الدعاء لا هذه الصلاة المعروفة المشتملة على التكبير لكن

بيعده

يبعده ما في العرايس عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان ادم لما مات قال ولده
شيث لجبريل عليه السلام صل عليه فقال له جبريل تقدم انت فصل على ابيك فصلى
عليه وكبر ثلاثين تكبيرة وقد اخرج الحاكم نحوه مرفوعًا وقال صحيح الاسناد
ومنه تعلم ان الغسل والتكفين والصلاة والدفن والحد من الشرائع القديمة
بناء على ان المراد بالصلاة المشتملة على التكبير لا مجرد الدعاء وحينئذ لا يحسن
القول بان الصلاة على الجنازة من خصائص هذه الامة الا ان يقال لا يلزم من
كونها من الشرائع القديمة ان تكون معروفة لقريش اذ لو كان كذلك لفعلوا ذلك
وسياتي عنهم انهم لم يفعلوا ذلك وايضا لو كانت معروفة لم لم يصل صلى الله عليه
وسلم على خديجة ومن مات قبلها من المسلمين كالسكران بن عمرو زوج سودة رضي الله تعالى
عنها ام المؤمنين الذي هو زوجها وسياتي انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة
وجد البراء بن معرور قد مات فذهب هو واصحابه فصلى على قبره وانها اول صلاة
صليت على الميت في الاسلام ومعرور معناه في الاصل مقصود الا ان يقال يجوز ان
يكون المراد بتلك الصلاة مجرد الدعاء الا انا نقول قد جاء انه كبر في صلاته اربعًا
وقد روى هذه الصلاة تسعة من الصحابة ذكرهم السهيلي وسيأتي عن الامتاع
لم اجد في شيء من السير متى فرضت صلاة الجنازة ولم ينقل انه صلى الله عليه
وسلم صلى على اسعد بن زرارة وقد مات في السنة الاولى ولا على عثمان بن مظعون
وقد مات في السنة الثانية وفي كلام بعضهم صلاة الجنازة فرضت في السنة
الاولى من الهجرة واول من صلى عليه صلى الله عليه وسلم اسعد بن زرارة فليتامل
وفي كلام بعضهم كانوا في الجاهلية يغسلون موتاهم وكانوا يكفنونهم ويصلون
عليهم وهو ان يقوم ولي الميت بعد ان يوضع على سريره ويذكر محاسنه كلها ويثني
عليه ثم يقول عليك رحمة الله ثم يدفن اي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمي
ذلك العام الحزن ولزم بيته واقل الخروج وكانت مدة اقامتها معه
خمسة وعشرين سنة على الصحيح ويذكر انه صلى الله عليه وسلم دخل على خديجة وهي
مريضة فقال لها يا خديجة اتكرهين ما ارى منك وقد يجعل الله في الكره خيرًا اشعرت
ان الله قد اعلمني انه سيزوجني وفي رواية اما علمت ان الله قد زوجني معك في الجنة
مريم ابنة عمران وكلثوم اخت موسى وهي التي علمت ابن عمها قارون الكيميا واسية
امراة فرعون فقالت الله اعلمك الله بهذا يا رسول الله وفي رواية الله فعل ذلك يا رسول
الله قال نعم قالت بالرفا والبنين زاد في رواية انه صلى الله عليه وسلم اطعم خديجة
من عنب الجنة وقولها بالرفا والبنين هو دعاء كان يدعى به في الجاهلية عند التزويج والمرا

منه الموافقة والملايمة ماخوذ من قولهم رفات الثوب ضممت بعضه الى بعض ولعل
هذا كان قبل ورود النهي عن ذلك وفي الامتاع ان سيدنا عمر بن الخطاب لما تزوج
ام كلثوم بنت علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنهما اتى المجلس المهاجرين الاولين
في الروضة فقال رفئوني فقالوا لماذا يا امير المؤمنين قال تزوجت ام كلثوم بنت
علي هذا كلامه ولعل النهي لم يبلغ هؤلاء الصحابة حيث لم ينكروا قوله كما لم يبلغ
سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه وفي الشهر الذي ماتت فيه خديجة رضي الله تعالى عنها
وهو شهر رمضان لعشر من نبوته بايام تزوج سودة بنت زمعة وكانت قبله عند السكران
ابن عمها وهاجر بها الى ارض الحبشة الهجرة الثانية ثم رجع بها الى مكة فمات عنها
فلما انقضت عدتها تزوجها صلى الله عليه وسلم واصدقها اربعمائة درهم وقد كانت رات
في نومها ان النبي صلى الله عليه وسلم وطئ عنقها فاخبرت زوجها فقال ان صدقت رؤياك
اموت ويتزوجك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رات في ليلة اخرى ان قمرا انقض
عليها من السما وهي مضجعة فاخبرت زوجها فقال لا البث حتى اموت فمات من يومه
ه وعقد على عايشة رضي الله تعالى عنها وهي بنت ست وسبع سنين في شوال فمن خولة
بنت حكيم امراة عثمان بن مظعون قالت قلت لما ماتت خديجة يا رسول الله الا تتزوج
قال من قلت ان شئت بكرا وان شئت ثيبا قال فمن البكر قلت احب خلق الله اليك بنت
ابي بكر رضي الله تعالى عنهما قال ومن الثيب قلت سودة بنت زمعة قد امنت بك
واتبعتك على ما تقول قال فاذهبي فاذكريهما علي قالت فدخلت على سودة بنت
زمعة فقلت لها ماذا ادخل الله عليك من الخير والبركة قالت وما ذاك
قالت ارسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم اخطبك عليه قالت وددت ادخلي
على ابي فاذكري ذلك له وكان شيخا كبيرا فدخلت عليه وحييته بتحية الجاهلية
فقال من هذه قلت خولة بنت حكيم قال فما شانك قلت ارسلني محمد بن عبد الله
اخطب عليه سودة قال كفو كريم قال ما تقول صاحبتك قالت تحب ذلك قال
ادعها فدعوتها قال اي بنية ان هذه تزعم ان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قد
ارسل يخطبك وهو كفو كريم اتحبين ان ازوجك منه قالت نعم قال ادعه
لي فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجه اياها ولما قدم اخوها عبد بن
زمعة وقد بلغه ذلك صار يحثي على راسه التراب ولما اسلم قال لعمرك انني
لسفيه يوم احثي على راسي التراب ان تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم سودة
يعني اخته وذهبت خولة الى ام رومان ام عايشة فقالت لها ماذا ادخل
الله عليكم من البركة والخير قد ارسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم اخطب

عليه

عليه عايشة قالت انتظري ابا بكر حتى ياتي فجاء ابو بكر فقلت يا ابا بكر ماذا ادخل
الله عليكم من الخير والبركة قال وما ذاك قلت ارسلني رسول الله صلى
الله عليه وسلم اخطب عليه عايشة قال وهل تصلح له انما هي بنت اخيه فرجعت
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال ارجعي اليه فقولي له انا
اخوك وانت اخي في الاسلام وابنتك تصلح لي اي تحل فرجعت فذكرت ذلك له
قالت ام رومان ان مطعم بن عدي قد كان ذكرها على ابنه جبير ووعده والله ما وعد
وعدا قط فاخلفه يعني ابا بكر فدخل ابو بكر على مطعم وعنده امراته ام ابنه المذكور
فكلمت ابا بكر بما اوجب ذهاب ما كان في نفسه من عدته للمطعم اي فان المطعم لما قال
له ابو بكر ما تقول في امر هذه الجارية اقبل المطعم على امراته وقال لها ما تقولين يا هذه
فاقبلت على ابي بكر وقالت له لعلنا ان انكحنا هذا الفتى اليكم تصبيه وتدخله في دينك
الذي انت عليه فاقبل ابو بكر على المطعم وقال له ماذا تقول انت فقال انها لتقول ما
تسمع فقام ابو بكر وليس في نفسه من الوعد شيء فرجع فقال لخولة ادعي لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فدعته فزوجه اياها وعايشة حينئذ بنت ست سنين وقيل سبع
وهو الاوفق فعلم ان العقد على سودة تقدم على العقد على عايشة لان العقد على
سودة كان في رمضان الشهر الذي ماتت فيه خديجة وعلى عايشة كان في شوال ثم
رايت بعضهم ذكر ان خولة ذهبت الى طلب عايشة وان النبي صلى الله عليه وسلم عقد
عليها قبل ذهابها لسودة وعقده عليها ولا يخفى المخالفة الا ان يراد بالعقد على سودة
الدخول بها وفيه انه لا يحسن ذلك مع قوله قبل ذهابها لسودة ولما اشتكى ابو طالب
اي مرض وبلغ قريشا ثقله اي اشتداد المرض به قال بعضهم لبعض ان حمزة وعمر قد
اسلما وقد فشا امر محمد في قبائل العرب من قريش فانطلقوا بنا الى ابي
طالب فلياخذ لنا على ابن اخيه وليعطه منا فانا والله ما نامن ان يبتزونا امرنا اي
يسلبونه ومنه قولهم من عز بز اي من غلب اخذ السلب اي وهو الثياب التي هي
البز وفي لفظ انا نخاف ان يموت هذا الشيخ فيكون منا شيء اي في قتل محمد كما في بعض
الروايات فتعيرنا العرب يقولون تركوه حتى اذا مات عمه تناولوه فمشى اليه
اشرافهم منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل وامية بن خلف وابو سفيان
رضي الله تعالى عنه فانه اسلم ليلة الفتح كما سياتي وارسلوا رجلا يدعى المطلب
فاستاذن لهم على ابي طالب فقال هؤلاء شيخة قومك وسرواتهم يستاذنون
عليك قال ادخلهم فدخلوا عليه فقالوا يا ابا طالب انت منا حيث قد علمت
وفي لفظ قالوا يا ابا طالب انت كبيرنا وسيدنا وقد حضرك ما ترى وتخوفنا

عليك وقد علمت الذى بيننا وبين ابن اخيك فادعه وخذ له وخذ لنا منه ليكف عنا ونكف عنه وليدعنا وديننا وندعه ودينه فبعث اليه ابو طالب فجاءه

قال ولما دخل على ابى طالب وكان بين ابى طالب وبين القوم فرجة تسع المجالس فخشى ابو جهل ان يجلس النبى صلى الله عليه وسلم فى تلك الفرجة فيكون ارق منه فوثب ابو جهل فجلس فيها فلم يجد صلى الله عليه وسلم مجلسا قرب ابى طالب فجلس عند الباب انتهى وفى الوفا انه قال اخلوا بينى وبين عمى فقالوا ما نحن بفاعلين وما انت باحق به منا فان لنا قرابة مثل قرابتك فقال ابو طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن اخى هولاء اشراف قومك وفى لفظ هولاء مشيخة قومك وسرواتهم وقد اجتمعوا لك ليعطوك وليأخذوا منك وفى لفظ سالوا النصف وفى لفظ اعطِ ساداتِ قومك ما سالوك فقد انصفوك ان تكف عن شتم الهتهم ويدعوك والهك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارايتك انا اعطيتكم ما سالتم هل تعطونى كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم اى تطيع وتخضع فقال ابو جهل نعم وابيك عشر كلمات وفى لفظ نعطيكها وعشرا معها فما هى قال تقولون لا اله الا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه فصفقوا بايديهم ثم قالوا يا محمد انريد ان تجعل الالهة الها واحدا ان امرك لعجب فانزل الله تعالى ص والقران ذى الذكر الى اخر الايات وفى لفظ قالوا اتسع لحاجاتنا جميعا اله واحد وفى لفظ قالوا اسلنا غير هذه الكلمة وفى لفظ ان ابا طالب قال يا ابن اخى هل من كلمة غيرها فان قومك قد كرهوها قال يا عم ما انا بالذى يقول غيرها ولو جئتمونى بالشمس حتى تضعوها فى يدى ما سالتكم غيرها ثم قال بعضهم لبعض والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئا مما تريدونه فانطلقوا وامضوا على دين ابائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه ثم تفرقوا وفى لفظ قالوا اعند قيامهم والله لنشتمنك والهك الذى يامرك بهذا اى وفى لفظ لتكفن عن سب الهتنا او لنسبن الذى امرك بهذا قاله فى الينبوع وهذه احسن من الاولى لانهم يعرفون انه يعبد الله وما كانوا ليسبوا الله عليانا لكنهم ما كانوا يعرفون ان الله امره بذلك وذكر ان ذلك سبب نزول قوله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم هذا وفى النهر ان سبب نزول هذه الاية ان كفار قريش قالوا لابى طالب اما ان تنهى محمدا عن سب الهتنا والنقص منها واما ان نسب الهه ونهجوه قال فيه وحكم هذه الاية باق فى هذه الامة فاذا كان الكافر فى منعة وخيف ان يسب الاسلام او الرسول فلا يحل للمسلم ذم دين الكافر ولا يتعرض لما يودى الى ذلك لان الطاعة اذا

كانت

كانت تودى الى مفسدة خرجت عن ان تكون طاعة فيجب النهى عنها كما ينهى عن المعصية هذا كلامه وعند ذلك قال ابو طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والله يا ابن اخى ما رايتك سالتهم شططا اى بالجا والطاء المهملتين امرا بعيدا فلما قال ذلك طمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فجعل يقول اى عم فانت فقلها استحل لك بها الشفاعة يوم القيمة اى لوارتكبت ذنبا بعد قولها والا فالاسلام يجب ما قبله فلما راى حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له والله يا ابن اخى لولا مخافة السبة اى العار عليك وعلى بنى ابيك من بعدى وان تظن قريش انى انما قلتها جزعا اى بالجيم والزاى خوفا من الموت وهذا هو المشهور وقيل بالخا المعجمة والرا اى ضعفا لقلتها وفى رواية لاقررت بها عينك لما ارى من شدة وجدك لكنى اموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف فانزل الله تعالى انك لا تهدى من احببت الاية وعن مقاتل ان ابا طالب قال عند موته يا معشر بنى هاشم اطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال له النبى صلى الله عليه وسلم يا عم تامرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن اخى قال اريد ان تقول لا اله الا الله اشهد لك بها عند الله فقال يا ابن اخى قد علمت انك صادق لكن اكره ان يقال لحريث قد كان فى الهدى وكان من حكمة احكم الحاكمين بقاؤه على دين قومه لما فى ذلك من المصالح التى تبدو لمن تاملها اى وكذا اقرباؤه وبنوا عمه تاخر اسلام من اسلم منهم ولو اسلم ابو طالب وبادر اقرباؤه وبنوا عمه الى الايمان لقيل قوم ارادوا الفخر برجل منهم وتعصبوا له فلما بادر اليه الاباعد وقاتلوا على حبه من كان منهم حتى ان الشخص يقتل اباه واخاه علم ان ذلك انما هو عن بصيرة صادقة ويقين ثابت وذكر انه لما تقارب من ابى طالب الموت نظر العباس اليه يحرك شفتيه فاصغى اليه باذنه فقال يا ابن اخى والله لقد قال اخى الكلمة التى امرته بقولها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم اسمع وفيه انه لم يثبت ان العباس ذكر ذلك بعد الاسلام وايضا نزول الاية حيث ثبت ان نزولها فى حق ابى طالب يرد ذلك ويرده ايضا ما فى الصحيحين عن العباس انه قال قلت يا رسول الله ان ابا طالب كان يحيطك وينصرك فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته اى كشف لى عن حاله وما يصير اليه يوم القيمة فوجدته فى غمرات من النار فاخرجته الى ضحضاح اى وفى لفظ اخرة دنم هواى يوم القيمة فى ضحضاح من النار لولا انا لكان فى الدرك الاسفل من النار ولو كانت الشهادة المذكورة عند العباس ما سال هذا السائل ولادا ها بعد الاسلام

اذ لو ادها لنفعت وقد يقال انما سال هذا السوال ولم يعد الشهادة بعد الاسلام
لانه لما قال له صلى الله عليه وسلم اولا لم اسمع فهم انه حيث لم يسمعها صلى الله عليه وسلم
لا ينفعه بها سال هذا السوال وفهم اذا عادة الشهادة بعد اسلامه لا تفيد شيئا
ويرده ايضا ما جا في رواية انه صلى الله عليه وسلم لما كرر على ابي طالب ان يقول
كلمة الشهادة وهو يابى الى ان قال هو على دين عبد المطلب قال صلى الله عليه وسلم
اما والله لاستغفرن لك ما لم انه عن ذلك اى عن الاستغفار لك فانزل الله عز وجل
ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى من بعد ما
تبين لهم انهم اصحاب الجحيم اى وتقدم ان سبب نزول هذه الاية طلب استغفاره لامه
عند زيارته قبرها الا ان يقال لا مانع من تكرر سبب النزول لجواز انه صلى الله
عليه وسلم جوز الفرق بين امه وعمه لان امه لم تدع للاسلام بخلاف عمه وقد منع
استغفاره لهما كما تقدم ولا يشكل على ذلك قوله يوم احد اللهم اغفر لقومي لان
ذلك اى غفران الذنوب مشروط بالتوبة اى الاسلام فكانه دعا لهم بالتوبة التى
هى الاسلام ويوئيده رواية اللهم اهد قومي اى للاسلام قال وايضا جا في صحيح
ابن حبان عن على رضى الله تعالى عنه قال لما مات ابو طالب اتيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ان عمك الضال قد مات قال اذهب فواره
قال على رضى الله تعالى عنه فلما واريته جئت اليه فقال لي اغتسل اقول اى لانه
غسله وبه وبقوله صلى الله عليه وسلم من غسل ميتا فليغتسل استدل ائمتنا
على ان من غسل ميتا مسلما او كافرا استحب له ان يغتسل وروى البيهقى خبر
ان عليا رضى الله تعالى عنه غسله بامر النبي صلى الله عليه وسلم له بذلك لكن
ضعفه وفي رواية عن على رضى الله تعالى عنه لما اخبرت النبي صلى الله عليه وسلم
بموت ابى طالب بكى وقال اذهب فاغسله وكفنه وواره غفر الله له ورحمه
واما ما روى انه صلى الله عليه وسلم عارض جنازة عمه ابى طالب فقال وصلتك
رحم وجزيت خيرا يا عم فقال الذهبي هو خبر منكر والله اعلم وجا ايضا انه
ذكر عنده عمه ابو طالب فقال انه ستنفعه شفاعتي وفي رواية لعله تنفعه
شفاعتي يوم القيمة فيجعل في ضحضاح من النار اى مقدار ما يغطى بطن قدميه
وفي رواية في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلى منه دماغه وفي لفظ عن ابن
عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة شفعت لابي وامي
وعمي ابي طالب واخ لي كان في الجاهلية يعني اخاه من الرضاعة من حليمة كما
في رواية تاتي اقول يجوز ان يكون ذكر شفاعته لابويه كان قبل احيائهما وايمانهما

به كما قدمناه جوابا عن نهيهم عن الاستغفار لهما والله اعلم وفي لفظ اخر
شفعت في ابي وعمي ابي طالب واخي من الرضاعة يعني من حليمة ليكون من بعد
البعث هبا وومما يستانس به لايمان ابيه ما جا انه صلى الله عليه وسلم قال لابنته
فاطمة وقد عزت قوما من الانصار في ميتهم لعلك بلغت معهم الكدى يريد
المقابر او الكدى بالراء يعني القبور فقالت لا فقال لو كنت بلغت معهم الكدى ما
رايت الجنة حتى يراها جد ابيك يعني عبد المطلب ولم يقل جدك يعني الذى هو
عبد الله وتقدم القول بان حليمة واولادها اسلموا وعليه فيجوز ان يكون هذا منه
صلى الله عليه وسلم قبل ان يسلم اخوه من الرضاعة كما تقدم مثل ذلك في ابيه وامه
وفي رواتها الحديث الاول من هو منكر الحديث وفي الثاني من هو ضعيف وقال فيه ابن
الجوزى انه موضوع بلا شك اى وهذا اى قبول شفاعته في عمه ابى طالب عد
من خصائصه صلى الله عليه وسلم فلا شك بقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة
الشافعين اولا تنفعهم شفاعة الشافعين في الاخراج من النار بالكلية اى وفي
هذا الثاني انه لا يناسب ان شفاعته لهم ان يكونوا من بعد البعث هبا الا ان
يقال انه لم يجب له في ذلك اى فصيروا هبا قال وجا عن ابن عباس رضى
الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اهون اهل النار اى وهم
الكفار عذابا ابو طالب وهو منتعل بنعلين يغلى منهما دماغه اى وفي رواية
لا يغلى المرجل اى القدر من النحاس حتى يسيل دماغه على قدميه وفي رواية
كما يغلى المرجل بالقمقم قيل والقمقم هو بكسر القافين الميل الاخضر يطبخ في المرجل
استعجالا لنضجه يفعل ذلك اهل الحاجة وذكر السهيلي الحكمة في
اختصاص قدميه بالعذاب وزعم بعض غلاة الرافضة ان ابا طالب اسلم
واستدل له باخبار واهية ردها الحافظ ابن حجر في الاصابة اى وقد وقفت
على جزء جمعه بعض اهل الرفض اكثر فيه من الاحاديث الواهية الدالة
على اسلام ابى طالب ولم يثبت من ذلك شئ وروى ابو طالب عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال حدثني محمد ان الله امره بصلة الارحام وان يعبد الله وحده
ولا يعبد معه غيره وقال سمعت ابن اخي الامين يقول اشكر ترزق ولا
تكفر تعذب انتهى وفي المواهب عن شرح التنقيح للقرافي ان ابا طالب ممن امن
بظاهره وباطنه وكفر بعدم الاذعان للفروع لانه كان يقول انى لاعلم ان ما
يقوله ابن اخي لحق ولولا اني اخاف ان تعيرني نساء قريش لاتبعته فهذا تصريح
باللسان واعتقاد بالجنان غير انه لم يذعن للاحكام هذا كلامه وفيه ان

الايمان باللسان الاتيان بلا اله الا الله ولم يوجد ذلك منه كما علمت وتقدم ان الايمان النافع عند الله الذى يصير به الشخص مستحقا لدخول الجنة ناجيا من الخلود فى النار التصديق بالقلب بما علم بالضرورة انه من دينه محمد صلى الله عليه وسلم وان لم يقر بالشهادتين مع التمكن من ذلك حيث لم يطلب منه ذلك ه ويمتنع وابو طالب طلب منه ذلك وامتنع **وقد روى** الطبرانى عن ام سلمة ان الحارث بن هشام اى اخا ابو جهل بن هشام اتى النبى صلى الله عليه وسلم يوم حجة الوداع فقال انك تحث على صلة الرحم والاحسان الى الجار وايواء اليتيم واطعام الضيف واطعام المسكين وكل هذا كان يفعله هشام بن مغيرة والده فما ظنك به يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل قبر لا يشهد صاحبه ان لا اله الا الله فهو جذوة من النار وقد وجدت عمى ابا طالب فى طمطام من النار ه فاخرجه الله لمكانه منى واحسانه الى فجعله فى ضحضاح من النار وذكر ان ابا طالب لما حضرته الوفاة جمع اليه وجوه قريش فاوصاهم وكان من وصيته ان قال يا معشر قريش انتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب فيكم المطاع وفيكم المقدم الشجاع والواسع الباع لم تتركوا للعرب فى المآثر نصيبا الا احرزتموه ولا شرفا الا ادركتموه فلكم بذلك على الناس الفضيلة ولهم به اليكم الوسيلة اوصيكم بتعظيم هذه البنية اى الكعبة فان فيها مرضاة للرب وقواما للمعاش صلوا ارحامكم ولا تقطعوها فان فى صلة الرحم منساة اى فسحة فى الاجل وزيادة فى العدد واتركوا البغى والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم اجيبوا الداعى واعطوا السائل فان فيهما شرف الحياة والممات وعليكم بصدق الحديث واداء الامانة فان فيهما محبة فى الخاص ومكرمة فى العام وانى اوصيكم بمحمد خيرا فانه الامين فى قريش اى والصديق فى العرب وهو الجامع لكل ما اوصيكم به وقد جاءنا بامر قبله الجنان وانكره اللسان مخافة الشنآن اى البغض وهو لغة الشنآن وايم الله كانى انظر الى صعاليك العرب واهل البر فى الاطراف ه والمستضعفين من الناس قد اجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا امره فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها اذنابا ودورها خرابا وضعفاؤها اربابا واذا اعظمهم عليه احوجهم اليه وابعدهم منه احظاهم عنده قد محضته العرب ودادها واعطته قيادها دونكم يا معشر قريش كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لا يسلك احد منكم سبيله الا رشد ولا يأخذ احد بهديه الا سعد وفى لفظ آخر انه لما حضرته الوفاة دعا بنى عبد المطلب

فقال

فقال لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد وما اتبعتم امره فاطيعوه ترشدوا **ولما** مات ابو طالب نالت قريش من النبى صلى الله عليه وسلم من الاذى ما لم تكن تطمع فيه فى حياة ابى طالب حتى ان بعض سفهاء قريش نثر على راس النبى صلى الله عليه وسلم التراب فدخل صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على راسه فقامت اليه بعض بناته وجعلت تزيله عن راسه وتبكى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها لا تبكى يا بنية فان الله مانع اباك وكان صلى الله عليه وسلم يقول ما نالت قريش منى شيئا اكرهه اى اشد الكراهة حتى مات ابو طالب وتقدم شيئا من بعض ما اوذى به **قيل** ولما راى قريشا تهجموا عليه قال يا عم ما اسرع ما وجدت فقدك ولما بلغ ابو لهب ذلك قام ابو لهب بنصرته اياما وقال له يا محمد امض لما اردت وما كنت صانعا اذ كان ابو طالب حيا فاصنعه لا واللات والعزى لا يوصل اليك حتى اموت **واتفق** ان ابن الغيطلة اى وهو احد المشركين المشتهرين المتقدم ذكرهم سب النبى صلى الله عليه وسلم فاقبل عليه ابو لهب ونال منه فولى وهو يصيح يا معشر قريش صبا ابو عتبة يعنى ابا لهب فاقبلت قريش على ابى لهب وقالوا له افارقت دين عبد المطلب فقال لهم ما فارقت وفى لفظ قالوا له اصبوت قال لهم ما فارقت دين عبد المطلب ولكن امنع ابن اخى ان يضام حتى يمضى لما يريد قالوا قد احسنت واجملت ووصلت الرحم فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك اياما لا يتعرض له احد من قريش وهابوا ابا لهب الى ان جاء ابو جهل وعقبة بن ابى معيط الى ابى لهب فقالا له اخبرك ابن اخيك اين مدخل ابيك اى المحل الذى يكون فيه بزعمه فى النار فقال له ابو لهب يا محمد ايدخل عبد المطلب النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ومن مات على مثل ما مات عليه عبد المطلب دخل النار فقال ابو لهب لا برحت لك عدوا وانت تزعم ان عبد المطلب فى النار فاشتد عليه هو وسائر قريش انتهى وفى لفظ آخر قال له يا محمد اين مدخل عبد المطلب قال مع قومه فخرج ابو لهب الى ابى جهل وعقبة فقال قد سألته فقال مع قومه فقالا يزعم انه فى النار فقال يا محمد ايدخل عبد المطلب النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم الحديث ولا يخفى ان عبد المطلب من اهل الفترة وتقدم الكلام عليهم

باب

ذكر خروج النبى صلى الله عليه وسلم الى الطائف سميت بذلك لان رجلا من حضرموت نزلها فقال لاهلها الا ابنى لكم حائطا يطيف ببلدكم فبناه فسمى الطائف وقيل غير ذلك لما مات ابو طالب ونالت قريش من النبى صلى الله عليه وسلم ما لم تكن نالته منه فى حياته كما تقدم خرج الى الطائف اى وهو مكروب مشوش الخاطر

موت

ما لقي من قريش من قرابته وعترته خصوصاً من ابي لهب وزوجته ام جميل حمالة
الحطب من الهجو والسب والتكذيب وعن علي رضي الله تعالى عنه انه قال لما بعد
موت ابي طالب لقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذته قريش تتجاذبه
وهم يقولون له انت الذي جعلت الالهة الها واحداً قال فوالله ما دنا احد الا ابو
بكر يضرب هذا ويدفع هذا وهو يقول اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وخروجه
صلى الله عليه وسلم الطايف كان في شوال سنة عشر من النبوة وحده وقيل
معه مولاه زيد بن حارثة يلتمس من ثقيف الاسلام رجا ان يسلموا وان
يناصروه على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه قال في الامتاع
لانهم كانوا اخواله قال بعضهم ومن ثم اي من انه صلى الله عليه وسلم خرج
الى الطايف عند ضيق صدره وتعبه خاطره جعل الله تعالى الطايف مستانساً
لكل من ضاق صدره من اهل مكة كذا قال وفي كلام غيره ولا جرم جعل الله تعالى
الطايف مستانساً لاهل الاسلام ممن بمكة الى يوم القيمة فهي راحة الامة ومتنفس
كل ذي ضيق وغمة سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا فليتامل
فلما انتهى الى الطايف الى سادات ثقيف واشرافهم وكانوا اخوة ثلاثة احدهم
عبد ياليل اي واسمه كنانة لم يعرف له اسلام واخوه مسعود اي وهو عبد
كلال بضم الكاف وتخفيف اللام لم يعرف له اسلام ايضا وحبيب قال الذهبي
في صحبته نظر اي وهم اولاد عمرو بن عمير بن عوف الثقفي وجلس اليهم وكلمهم
فيما جاءهم به اي من نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه
فقال احدهم هو يمرط ثياب الكعبة اي يشقها ويقطعها اي وقيل يسرقها ان كان الله
ارسلك وقال له الاخر اما وجد الله تعالى احداً يرسله غيرك وقال له الثالث والله
لا اكلمك ابداً لين كنت رسولا من الله كما تقول لانت اعظم خطراً اي قدراً من
ان ارد عليك الكلام ولين كنت تكذب على الله ما ينبغي لي ان اكلمك فقام من
عندهم وقد ايس من خير ثقيف وقال لهم اكتموا علي وكره ان يبلغ قومه ذلك
فيشتد امرهم عليه وقالوا له اخرج من بلدنا والحق بمجانك من الارض واغروا
به اي سلطوا عليه سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه
الناس وقعدوا له صفين على طريقه فلما مر صلى الله عليه وسلم بين الصفين
جعل لا يرفع رجليه ولا يضعهما الا رضخوهما اي دقوهما بالحجارة حتى
ادموا رجليه وفي لفظ حتى اختضب نعلاه بالدما وكان اذا اذلقته
اي وجد المها قعد الى الارض فياخذون بعضديه فيقيمونه فاذا مشى

رجوعهم وهم يضحكون كل ذلك وزيد بن حارثة اي بناء على انه كان معه يقيه بنفسه
حتى لقد شج راسه شجاجا فلما خلص منهم ورجلاه يسيلان دما عمد الى حايط من حوايطهم
اي بستان من بساتينهم فاستظل في حبلة اي بفتح البا الموحدة وتسكينها شجرة معروفة
شجرة كرم وقيل لها حبلة لانها تحمل بالعنب وقد نسر نهيه صلى الله عليه وسلم
عن بيع حبل الحبلة ببيع العنب قبل ان يطيب قال السهيلي وهو غريب لم يذهب اليه
احد في تاويل الحديث فجا الى ذلك المحل وهو مكروب موجع اي وقد جا النهي عن ان
يقال لشجر العنب الكرم في قوله صلى الله عليه لا يقولن احدكم الكرم فان الكرم
قلب المومن ولكن قولوا حدايق العنب قيل وسبب النهي عن تسميتها كرما لان
الخمر يتخذ من ثمرتها وهو يحمل على الكرم فاشتق لها اسما من الكرم وفي لفظ ثم ان
ان هولا الثلاثة اي عبد الله ياليل واخويه اغروا عليه سفهاءهم وعبيدهم فصاروا
يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليهما الناس والجاوه الى الحايط لعتبة وشيبة ابني
ربيعة فلما دخل الحايط رجعوا عنه قال وذكر انه دعا بدعا منه اللهم اني
اشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا ارحم الراحمين انت رب
المستضعفين وانت ربي الى من تكلني ان لم يكن بك غضب علي فلا ابالي انتهى
واذا في الحايط اي البستان عتبة وشيبة ابنا ربيعة اي وقد راياه من سفها اهل
الطايف ما لقي فلما راهما كره مكانهما لما يعلم من عداوتهما لله ولرسوله فلما
راياه وما لقي تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس وعدوه
في الصحابة مات قبل الخروج الى بدر فقالا له خذ قطفا من هذا العنب فدعه في هذا
الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل فقل له يا كل منه اي وهذا لا ينافي كون
زيد بن حارثة كان معه لانه يحتمل ففعل عداس ثم اقبل به حتى وضعه بين يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له كل فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيه يده قال بسم الله ثم اكل اي لانه صلى الله عليه وسلم كان اذا وضع يده في طعام
قال بسم الله ويامر الاكل بالتسمية وامر من نسي التسمية اوله ان يقول بسم الله اوله
واخره فنظر عداس في وجهه وقال والله ان هذا الكلام ما يقوله اهل هذه البلاد
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من اي البلاد انت وما دينك يا عداس
قال نصراني وانا من اهل نينوى بكسر النون الاولى وفتح الثانية وقيل بضمها
قرية على شاطي دجلة في ارض الموصل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من
اهل قرية اي وفي رواية من مدينة الرجل الصالح يونس بن متى اسم ابيه اي
كما في حديث ابن عباس وفي تاريخ حماة انه اسم امه قال ولم يشتهر باسمه غير عيسى

ويونس عليهما السلام أي وفي مزيل الخفا فان قيل قد ورد في الصحيح لا تفضلوني على يونس بن متى ونسبه الى ابيه وهو يقتضي ان متى ابوه لا امه اجيب بان متى مدرج في الحديث من كلام الصحابي لبيان يونس بما اشتهر به لا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ولما كان ذلك موهما ان الصحابي سمع هذه النسبة من النبي صلى الله عليه وسلم دفع الصحابي ذلك بقوله ونسبه الى ابيه لا الى امه هذا كلامه وعند ذلك قال عداس وما يدريك ما يونس بن متى فاني والله لقد خرجت منها يعني نينوى وما فيها عشرة يعرفون ما متى فمن اين عرفت بن متى وانت امي وفي امة امية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك اخي كان نبيا وانا نبي امي وفي رواية انا رسول الله صلى الله عليه وسلم والله اخبرني خبره وما وقع له مع قومه اي حيث وعدهم العذاب بعد اربعين ليلة لما دعاهم فابوا ان يجيبوه وخرج عنهم وكانت عادة الانبيا اذا وعدت قومها العذاب خرجت عنهم فلما فقدوه قذف الله تعالى في قلوبهم التوبة اي الايمان بما دعاهم اليه يونس وقيل كما في الكشاف انه قال لهم يونس انا اجلكم اربعين ليلة فقالوا ان راينا اسباب الهلاك امنا بك فلما مضت خمس وثلاثون ليلة اطبقت السما غيما اسود يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم فعند ذلك لبسوا المسوح واخرجوا المواشي وفرقوا بين النسا والاولاد وبين كل بهيمة وولدها فلما اقبل عليهم العذاب جاروا الى الله تعالى وبكى الناس والولدان ورغت الابل وفصلانها وخارت البقر وعجاجيلها وثغت الغنم وسخالها وقالوا يا حي حين لا حي ويا حي يحيي الموتى ويا حي لا اله الا انت وعن الفضيل انهم قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل فافعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله وفي الكشاف انهم عجوا اربعين ليلة وعلم الله تعالى منهم الصدق فتاب عليهم وصرف عنهم العذاب بعد ان صار بينه وبينهم قدر ميل ثم رجع الى يونس فقال له ما فعل قومك فحدثه بما صنعوا فقال لا ارجع لقوم قد كذبتهم قيل وكان في شرعهم ان من كذب قتل فانطلق مغاضبا لقومه وظن ان لن نقضي عليه بما قضى به عليه اي من الغم وضيق الصدر قال تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه اي لن نضيق عليه وكانت التوبة عليهم يوم عاشورا وكان يوم الجمعة اي وفي كلام بعضهم كشف العذاب عن قوم يونس يوم عاشورا واخرج فيه يونس من بطن الحوت وهو يؤيد القول بانه نبذ من يومه وهو قول الشعبي التقمه ضحوة ونبذه عشية اي بعد العصر وقاربت الشمس الغروب وذكر ان الحوت لم ياكل ولم يشرب مدة بقا يونس في بطنه لئلا يضيق

عليه وقال السدي مكث اربعين يوما وقال جعفر الصادق سبعة ايام وقال قتادة ثلاثة ايام وذلك بعد ان نزل السفينة فلم تسر فقال لهم ان معكم عبدا ابقا من ربه وانها لا تسير حتى تلقوه في البحر واشار الى نفسه فقالوا لا نلقيك يا نبي الله ابدا قال فاقترعوا فاقترعوا فخرجت القرعة عليه ثلاث مرات فالقوه فالتقمه الحوت وقيل قائل ذلك بعض الملاحين وحين خرجت القرعة عليه ثلاثا القى نفسه في البحر وهذا السياق يدل على ان رسالته كانت قبل ان يلتقمه الحوت وقيل انما ارسل بعد نبذ الحوت له وفيه كيف يدعوهم ويعدهم العذاب وهو غير مرسل لهم وعن وهب بن منبه وقد سئل عن يونس فقال كان عبدا صالحا وكان في خلقه ضيق فلما حملت عليه اثقال النبوة تفسخ تحتها فالقاها عنه وخرج هاربا اي فقد تقدم ان للنبوة اثقالا لا يستطيع حملها الا اولوا العزم من الرسل وهم نوح وهود وابراهيم ومحمد صلى الله عليه وسلم اما نوح فلقوله يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بايات الله الاية واما هود فلقوله اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه الاية واما ابراهيم فلقوله هو والذين امنوا معه انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله الاية واما محمد صلى الله عليه وسلم فلقول الله تعالى له فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل فصبر فعند ذلك اكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل راسه ويديه وقدميه اي فقال احدهما اي عتبة وشيبة للاخر اما غلامك فقد افسده عليك فلما جاءهما عداس قال له احدهما ويلك ما لك تقبل راس هذا الرجل ويديه وقدميه قال يا سيدي ما في الارض شيء خير من هذا لقد اعلمني بامر لا يعلمه الا نبي قال ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك اقول وفي رواية قال له ما شانك سجدت لمحمد وقبلت قدميه ولم نرك فعلته باحدنا قال هذا رجل صالح اخبرني بشيء عرفته من شان رسول بعثه الله الينا يدعى يونس ابن متى فضحكا به وقالا لا يفتننك عن دينك عن نصرانيتك فانه رجل خداع ودينك خير من دينه وقد تقدم في بعض الروايات ان خديجة رضي الله تعالى عنها قبل ان تذهب بالنبي صلى الله عليه وسلم لورقة بن نوفل ذهبت به الى عداس وكان نصرانيا من اهل نينوى قرية سيدنا يونس عليه السلام وتقدم انه غير هذا خلافا لمن اشتبه عليه به وفي كلام الشيخ محيي الدين بن عربي قد اجتمعت بجماعة من قوم يونس سنة خمس وثمانين وخمسمائة بالاندلس حيث كنت فيه وقست اثر رجل واحد منهم في الارض فرايت طول قدمه ثلاثة اشبار وثلثي شبر والله اعلم وفي الصحيح عن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل اتى

عليك يوم اشد من احد قال لقد لقيت من قومك وكان اشد ما لقيت يوم العقبة
اذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن كلال اى والمناسب لما سبق اسقاط لفظ ابن
الاولى والاتيان بواو العطف موضع ابن الثانية اى فيقال عبد ياليل وكلال اى وعبد
كلال ويكون خصهما بالذكر دون اخيهما حبيب لانهما كانا اشرف واعظم منه اولانهما
كانا المجيبين له بالقبيح دون حبيب الا ان يثبت ان في اباهؤلاء الثلثة شخصا
يقال له عبد ياليل وعبد كلال وحينئذ يكون المراد هؤلا الثلثة لان ابن حينئذ
مضاف ثم رايته في النور ذكر ما يفيدان لفظ ابن ثابتة في الصحيح والذي في
كلام ابن اسحاق وابي عبيد وغيرهما اسقاطه ثم رايت الشمس الشامي قال الذي
ذكره اهل المغازي ان الذي كلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد ياليل نفسه
لا ابنه وعند اهل السير ان عبد كلال اخوه لا ابوه اى ابو ابيه كما لا يخفى فلم يجبني
الى ما اردت فانطلقت وانا مهموم على وجهي فلم استفق الا وانا بقرن الثعالب
اى ويقال له قرن المنازل وهو ميقات اهل نجد الحجاز او اليمن بينه وبين مكة
يوم وليلة وفي لفظ وهو موضع على ليلة من مكة وراؤه بسكون الراء ووهم
الجوهري في تحريكها وفي قوله ان اويسا القرني منسوب اليه وانما هو منسوب
الى قرن قبيلة من مراد كما ثبت في مسلم فرفعت راسي فاذا انا بسحابة قد اظلتني
فنظرت فاذا فيها جبريل عليه السلام فناداني فقال قد سمع الله قول قومك لك
اى اهل ثقيف كما هو المتبادر وما ردوا عليك به وقد بعث اليك ملك الجبال
لتامره بما شئت فيهم فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال له ان شئت ان اطبق
عليهم الاخشبين فعلت اى وهما جبلان بيضا فان تارة الى مكة وتارة الى
منى فمن الاول قوله وهما ابو قبيس وقعيقعان وقيل الجبل الاحمر الذي
يقابل ابا قبيس المشرف على قعيقعان ومن الثانية الجبلان اللذان تحت
العقبة بمنى فوق المسجد وفيه ان ثقيفا ليسوا بينهما بل الجبلان خارجان عنهم
فكيف يطبقهما عليهم وفي لفظ ان شئت خسفت بهم الارض او دمدمت عليهم
الجبال اى التي بتلك الناحية ثم رايت الحافظ ابن حجر قال المراد بقومه
عائشة في قوله صلى الله عليه وسلم لقد لقيت من قومك قريش اى لا اهل الطائف
الذين هم ثقيف لانهم كانوا هم السبب الحامل على ذهابه لثقيف ولان ثقيفا
ليسوا قوم عائشة وعليه فلا اشكال ويوافقه قول الهدى فارسل ربه تبارك
وتعالى اليه ملك الجبال يستامره ان يطبق على اهل مكة وهما جبلاها اللذان هي بينهما
وعبارة الهدى في محل اخر وفي طريقه ارسل الله تبارك وتعالى اليه ملك الجبال

قامره

فامره ان اراد هنا بطل عنه وان يطبق على قومه اخشبي مكة وهما جبلاها ان
اراد هذا كلامه ولا يخفى ان هذا خلاف السياق اذ قوله وكان اشد ما
لقيت منهم يوم العقبة اذ عرضت نفسي الخ وقول جبريل قد سمع قول قومك لك
وما ردوا عليك به ظاهر فان المراد بهم ثقيف لا قريش ويوافق هذا الظاهر
قول ابن الشحنة في منظومته جده بعد ان ساق دعاءه المتقدم ببعضه فارسل
الله تعالى جبريل ومعه ملك الجبال فقال ان شئت اطبقت عليهم الاخشبين وحينئذ
يكون المراد اطباقهما عليهم بعد نقلهما من محلهما الى محل ثقيف الذي هو الطايف
لان القدرة صالحة وعند قول ملك الجبال له ما ذكر قال النبي صلى الله عليه وسلم بل
ارجوا ان يخرج الله تعالى وفي رواية استاني بهم لعل الله ان يخرج من اصلابهم من
يعبد الله لا يشرك به شيئا وعند ذلك قال له ملك الجبال انت كما سماك ربك رؤف
رحيم قال ابن حجر لم اقف على اسم ملك الجبال والى حلمه واغضائه صلى الله عليه وسلم
اشار صاحب الهمزية بقوله

جهلت قومه عليه فاغضى … واخو الحلم دابه الاغضاء

وسع العالمين حلما وعلما … فهو بحر لم تعيه الاعباء

اى جهلت قومه عليه فاذوه اذية لا تطاق فاغضى عنهم حلما واخو الحلم اى وصاحب
الحلم دابه عدم الانتقام شان الفاضل فان علمه وسع علوم العالمين ووسع حلمه
حلمهم فهو واسع العلم والحلم لم تعيهما الاعباء اى لم تتعبه الاثقال لكن تقييد السياق
بقومه يدل على ان المراد به ثقيف وقد علمت ما فيه فليتامل وعند منصرفه
المذكور من الطائف نزل نخلة وهي محلة بين مكة والطائف قريبة نحو سبعة وقيل
تسعة من جن نصيبين اى وهي مدينة بالشام وقيل باليمن اثنى عليهما صلى الله
عليه وسلم بقوله رفعت الى نصيبين حتى رايتها فدعوت الله تعالى ان يعذب نهرها
وينضر شجرها ويكثر مطرها وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل
اى وسطه يصلي وفي رواية يصلي صلاة الفجر وفي رواية هبطوا على النبي صلى الله عليه
وسلم وهو يقرا القران ببطن نخلة فلعله كان يقرا في الصلاة والمراد بصلاة الفجر
الركعتين اللتين كان يصليهما قبل طلوع الشمس ولعله صلاهما عقب الفجر
وذلك محمل بالمحل وفي قوله جوف تجوز من الراوي او صلى صلاتين في جوف الليل
وصلاة بعد الفجر وقرا فيهما او جمع بين القراءة والصلاة وان الجن استمعوا القران
واطلاق صلاة الفجر على الركعتين المذكورتين سائغ وبهذا يندفع قول بعضهم
صلاة الفجر لم تكن وجبت وكان يقرا سورة الجن وفيه ان في الصحيح ان سورة

الجن انما تركت بعد استماعهم وقد يقال سياتي ما يعلم منه انه ليس المراد بالاستماع
الاستماع المذكور هنا بل استماع سابق على ذلك وهو المذكور في رواية ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما الاتية ورواية صلاة الفجر هنا ذكرها الكشاف
كالبغوي والا فالروايات التي وقفت عليها فيها الاقتصار على صلاة الليل وصلاة
الفجر كانت في ابتدا البعث في بطن نخلة عند ذهابه واصحابه الى سوق عكاظ كما سياتي
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فامنوا به وكانوا يهودا وكانوا يقولون لقومهم
انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى ولم يقولوا من بعد عيسى الا ان يكون ذلك بناء
على ان شريعة عيسى مقررة لشريعة موسى لا ناسخة لها ولا يخفى انهم غلبوا ما نزل
من الكتاب على ما لم ينزل لانهم لم يسمعوا جميع الكتاب ولا كان كله منزلا
قال وانكر ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اجتماع النبي صلى الله عليه وسلم بالجن اي
باحد منهم ففي الصحيحين عنه قال ما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا
راهم انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طايفة من اصحابه عامدين الى سوق
عكاظ اي وكان بين الطايف ونخلة كان لثقيف وقيس عيلان كما تقدم وقد حيل
بين الشياطين وبين خبر السما وارسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين الى
قومهم فقالوا ما لكم قالوا قد حيل بيننا وبين السما وارسلت علينا الشهب قالوا
وما ذاك الا من شي قد حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فمن النفر جماعة
اخذوا نحو تهامة فاذا هم بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامدا الى سوق
عكاظ يصلي باصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القران استمعوا له وقالوا هذا
الذي حال بيننا وبين خبر السما فرجعوا الى قومهم فقالوا يا قومنا انا سمعنا قرانا
عجبا يهدي الى الرشد فانزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم قل اوحي الي انه
اي قل اخبرت بالوحي من الله تعالى انه استمع لقراتي نفر من الجن اي جن نصيبين
اقول تقدم ان اطلاق صلاة الفجر على الركعتين اللتين كان يصليهما قبل طلوع
الشمس شايع فان ذلك باعتبار الزمان لا لكونهما احدى الخمس المفترضة ليلة
الاسرا وقوله باصحابه يجوز ان تكون البا بمعنى مع ويجوز ان يكون صلى بهم
اماما لان الجماعة في ذلك جايزة ولا يخفى ان هذه القصة التي تضمنتها رواية ابن
عباس غير قصة انصرافه من الطايف يدل لذلك قوله انطلق في طايفة من اصحابه
عامدين الى سوق عكاظ لانه في تلك القصة التي هي قصة الطايف كان وحده
او معه مولاه زيد بن حارثة على ما تقدم وكان مجيه من الطايف قاصدا مكة
وفي هذه كان ذهابه من مكة قاصدا سوق عكاظ وانه قرا في تلك اي مجيه من

الطايف

الطايف سورة الجن وفي هذه قرا غيرها ثم نزلت تلك السورة وان هذه القصة
التي تضمنتها رواية ابن عباس سابقة على تلك لان قصة ابن عباس كانت في ابتدا
الوحي لان الحيلولة بين الجن وبين خبر السما بالشهب كانت في ذلك الوقت ه
وتلك كانت بعد ذلك بسنين ه عديدة وسياق كلام المقتبس يدل على انه
لم يجتمع الجن به ولا قرا عليهم وانما استمعوا قراته من غير ان يشعر بهم وقد صرح
به ابن كثير عباس رضي الله تعالى عنهما في هذه وصرح الحافظ الدمياطي في تلك
حيث قال في سيرته فلما انصرف من الطايف راجعا الى مكة ونزل نخلة قام يصلي
من الليل فصرف اليه نفر من الجن سبعة من اهل نصيبين فاستمعوا له وهو
يقرا سورة الجن ولم يشعر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل عليه واذ ه
صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران هذا كلامه ونزول ما ذكر كان
بعد انصرافهم فقد قال ابن اسحاق فلما فرغ من صلاته ولوا الى قومهم منذرين
قد امنوا واجابوا الى ما سمعوا فقص الله تعالى خبرهم على النبي صلى الله عليه وسلم
وبهذا يعلم ما في سفر السعادة **قال** وصل صلى الله عليه وسلم في رجوعه الى نخلة
جاه الجن فعرضوا اسلامهم عليه وكذا يعلم ما في المواهب من قوله ولما انصرف
عن اهل الطايف ونزل نخلة صرف اليه سبعة من جن نصيبين الجان قال وفي
الصحيح ان الذي اذنه بالجن ليلة الجن شجرة وانهم سالوه الزاد فقال كل عظم الى
اخره لان سوالهم له الزاد فرع اجتماعهم وقد ذكر هو انهم لم يوذنه بهم الا الشجرة
هناك وعلى جواز ان الشجرة اذنته بهم قبل انصرافهم اي اعلمته بوجودهم
وذلك كان سببا لاجتماعهم به صلى الله عليه وسلم وان دعوى ذلك لا ينافي انه لم
يشعر باستماعهم للقران الا لما نزل عليه من القران فسوالهم له صلى الله عليه وسلم
الزاد كان في قصة اخرى غيرها لجن نصيبين كانت بمكة سياتي الكلام عليها
ثم رايت عن ابن جرير ما نصه تبين من الاحاديث ان الجن سمعوا قراة النبي صلى الله
عليه وسلم بنخلة واسلموا فارسلهم الى قومهم منذرين اه فلا جايز ان يكون ذلك في
اول البعث لمخالفته لما تقدم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وحينيذ يويد
الاحتمال الذي ذكرناه من انه يجوز انهم اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم بعد ان
اذنته بهم الشجرة وقوله فارسلهم الى قومهم منذرين لم اقف في شي من الروايات
على ما هو صريح في ذلك اي ان ارساله لهم كان من نخلة عند رجوعه من الطايف
ولعل قايله فهم ذلك من قوله تعالى ولوا الى قومهم وغاية ما رايت ان ابن جرير
والطبراني رويا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان الجن الذين اجتمعوا به

صلى الله عليه وسلم ببطن نخلة كانوا تسعة نفر من أهل نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم وهذا ليس صريحا فى أنه صلى الله عليه وسلم كان عند رجوعه من الطايف لايقال يعين ذلك انكار ابن عباس رضى الله تعالى عنهما اجتماعه صلى الله عليه وسلم بالجن المرة الاولى التى كانت عند البعث لاحتمال أنه صلى الله عليه وسلم كان ببطن نخلة فى مرة اخرى ثالثة ثم رايت فى النور ما يخالف ما تقدم عن ابن عباس من قوله ان لم يجتمع بالجن حين خروجه الى سوق عكاظ حيث قال الذى فى الصحيح انه اجتمع بهم وهو خارج من مكة الى سوق عكاظ ومعه اصحابه قليلا مل **قال** وذكر انه صلى الله عليه وسلم اقام بنخلة اياما بعد ان اقام بالطايف عشرة ايام وشهرا لايدع احدا من اشرافهم اى زيادة على عبد يا ليل ولخوته الا جاء اليه وكلمه فلم يجبه احد **فلما** اراد الدخول الى مكة قال له زيد بن حارثة كيف تدخل عليهم يعنى قريشا وهم قد اخرجوك اى كانوا سببا لخروجك وخرجت لتستنصر فلم تنصر فقال يا زيد ان الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجا وان الله ناصر دينه ومظهر نبيه فصار الى حرا ثم بعث الى الاخنس بن شريق اى رضى الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك ه ليجيره اى ليدخل مكة فى جواره فقال انا حليف والحليف لا يجير اى فى قاعدة العرب وطريقتهم واصطلاحهم **فبعث** الى سهيل بن عمرو رضى الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك أيضا ه فقال ان بنى عامر لا تجير على بنى كعب وفيه انه لو كان كذلك لما سأله صلى الله عليه وسلم وكونه صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرف هذا الاصطلاح بعيد الا ان يقال جوز صلى الله عليه وسلم تخلف هذه الطريقة فبعث الى المطعم بن عدى اى وقد مات كافرا قبل بدر بنحو سبعة اشهر يقول له انى داخل مكة فى جوارك ه فاجابه الى ذلك وقال قل له فليات فرجع اليه فاخبره فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ثم تسلح المطعم بن عدى واهل بيته وخرجوا حتى اتوا المسجد اى فقام مطعم بن عدى على راحلته فنادى يا معشر قريش انى قد اجرت محمدا فلا يؤذه احد منكم ثم بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادخل فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وطاف بالبيت وصلى عنده ثم انصرف الى منزله اى ومطعم بن عدى وولده مطيفون به **قال** وذكر انه صلى الله عليه وسلم بات عنده تلك الليلة فلما اصبح خرج وقد لبس سلاحه هو وبنوه وكانوا ستة او سبعة وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم طف واحتبوا بحمايل سيوفهم فى المطاف مدة طوافه صلى الله عليه وسلم واقبل ابو سفيان على المطعم فقال امجير ام تابع فقال بل مجير فقال اذن لا تخفر اى لا تزال خفارتك اى جوارك قد اجرنا من اجرت فجلس معه حتى قضى رسول الله صلى

الله

الله عليه وسلم طوافه انتهى اى ولا بدع فى دخوله صلى الله عليه وسلم فى امان كافر لان حكمة الحكيم القادر قد تخفى وهذا السياق يدل على ان قريشا كانوا ازمعوا على عدم دخوله صلى الله عليه وسلم مكة بسبب ذهابه الى الطايف ودعائه اى ولهذا المعروف الذى فعله المطعم قال صلى الله عليه وسلم فى اسارى بدر لو كان المطعم ابن عدى حيا ثم كلمنى فى هؤلاء النتنى لتركتهم **ورايت** فى اسد الغابة ان جبيرا ولد المطعم رضى الله تعالى عنه فانه اسلم بين الحديبية والفتح وقيل يوم الفتح جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو كافر فكلمه فى اسارى بدر فقال لو كان الشيخ ابوك حيا فاتانا فيهم لشفعناه كما سيأتى اى لانه فعل معه هذا الجميل وكان من جملة من سعى فى نقض الصحيفة كما تقدم **قال** وعن كعب الاحبار لما انصرف النفر السبعة من اهل نصيبين من بطن نخلة جاؤا قومهم منذرين ثم جاؤا مع قومهم وافدين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وهم ثلثمائة فانتهوا الى الحجون فجاء واحد من اولئك النفر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان قومنا قد حضروا بالحجون يلقونك فوعده رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة من الليل بالحجون انتهى وعن ابن مسعود قال اتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى امرت ان اقرأ على اخوانكم من الجن فليقم معى رجل منكم ولا يقم رجل فى قلبه مثقال حبة خردل من كبر فقمت معه اى بعد ان كرر ذلك ثلاثا ولم يجبه احد منهم ولعلهم فهموا ان من الكبر ما ليس منه وهو محبة الترفع فى نحو الملبس الذى لا يكاد يخلو منه احد **وقد** بين الكبر فى الحديث ببطر الحق وغمص الناس اى استصغارهم وعدم رؤيتهم شيا بعد ان قالوا يا رسول الله ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا قال ان الله جميل يحب الجمال الكبر من بطر الحق وغمط الناس بالطاء المهملة كما فى رواية ابى داود وجا لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر ولا يدخل النار احد فى قلبه مثقال حبة خردل من ايمان قال الخطابى المراد بالكبر هنا اى فى هذه الرواية كبر الكفر لانه قابله بالايمان قال ابن مسعود وذهب صلى الله عليه وسلم فى بعض نواحى مكة اى باعلاها بالحجون فلما برز خط لى خطا اى برجله وقال لا تخرج فانك ان خرجت لم ترنى ولم ارك يوم القيمة وفى رواية لا تحدثن شيا حتى اتيك لا يروعنك اى لا يخوفنك ويفزعنك ولا يهولنك اى يعظم عليك شى تراه ثم جلس فاذا رجال سود كانهم رجال الزط وهم طايفة من السودان الواحد منهم زطى وكانوا كما قال الله تعالى كادوا يكونون عليه لبدا اى كاللبد فى ركوب بعضهم بعضا حرصا على سماع القران منه فاردت ان اقوم فاذب عنه فذكرت عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فمكثت ثم اتاهم

تفرقوا عنه فسمعتهم يقولون يا رسول الله ان شقتنا اى ارضنا التى تذهب اليها
بعيدة ونحن منطلقون فزودنا اى لانفسنا ودوابنا ولعله كان نفد زادهم
وزاد دوابهم فقال كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع فى يد احدكم اوفر ما كان لحما رواه
مسلم وفى رواية الا وجد عليه لحمه الذى كان عليه يوم اكل وكل بعر علف دوابكم وعن
ابن مسعود انهم لما سألوه الزاد قال لهم لكم كل عظم عراق ولكم كل روثة خضرة والعراق
بضم العين وفتح الرا جمع عرق بفتح العين وسكون الرا العظم الذى اخذ عنه اللحم
وقيل الذى اخذ عنه معظم اللحم قلت يا رسول الله وما يغنى ذلك عنهم اى عن
انفسهم وعن دوابهم بدليل قوله فقال انهم لا يجدون عظما الا وجدوا عليه لحمه يوم
اكل ولا روثة الا وجدوا فيها حبها يوم اكلت وفى رواية مجدوع اى الروث والبعر
شعيرا فهذه الرواية تدل على ان الروثة مطعوم دوابهم ويوافقه ما جا ان الشعير
يعود خضرا لدوابهم ويحتاج للجمع بين كون الروث كالبعر يعود حبا يوم اكل وبين
كونه يعود شعيرا وبين كونه يعود خضرا هذا وفى رواية لابى نعيم ان الروث يعود لهم
تمرا وهى تدل على ان الروث من مطعومهم ويحتاج الى الجمع وجمع ابن حجر الهيتمى بان
الروث يكون تارة علفا لدوابهم وتارة طعاما لهم انفسهم اى وفى لفظ سألونى
المتاع فمتعتهم بكل عظم حائل وكل روثة وبعرة والحائل البالى بمرور الزمن لانه لم يخرج
بذلك عن كونه مطعوما لهم لو حرق وصار فحما ولعل الغرض من ذكر الحائل
الاشارة الى ان زادهم العظم ولو كان حائلا لانه لم يبق فيه الا الحائل وقوله
الا وجد واعليه لحمه يوم اكل يدل على ان المراد عظم المذكاة وبدليل ذكر اسم الله
تعالى عليه فلا يأكلون ما لم يذكر اسم الله عليه من عظم اى وكذا من طعام الانس مرة
كما جا فى بعض الاخبار هذا ولكن فى ابى داود كل عظم لم يذكر اسم الله عليه قال
السهيلى واكثر الاحاديث تدل على معنى رواية ابى داود وقال بعض العلما رواية ذكر
اسم الله عليه فى الجن المؤمنين ورواية لم يذكر اسم الله عليه فى حق الشياطين منهم
وهذا قول صحيح يعضده الاحاديث هذا كلامه اى التى من تلك الاحاديث ان ابليس
قال يا رب ليس احد من خلقك الا جعلت له رزقا ومعيشة فما رزقى قال كل ما لم يذكر
عليه اسمى ومعلوم ان ابليس ابو الجن وان ما لم يذكر اسم الله عليه يشمل عظم
الميتة وان كلا من الفريقين سأله الزاد ومقابلة الشياطين بالمؤمنين تدل
على ان المراد بهم فسقتهم لا الكفار منهم لان فى كون الكفار من الجن اجتمعوا به
صلى الله عليه وسلم مع المؤمنين وانه خاطب كلا بما يليق به فيه بعد لا سيما
مع ما تقدم عن ابن مسعود وما يأتى من قوله اخوانكم من الجن ومن ثم قال بعضهم

ان السائلين

ان السائلين له صلى الله عليه وسلم الزاد كانوا مسلمين فليتأمل ولما ذكر لهم العظم
والروث قالوا يا رسول الله ان الناس يقذرونهما علينا فنهى النبى صلى الله عليه
وسلم ان يستنجى بالعظم او بروثة بقوله فلا يستنجين احدكم اذا خرج من
الخلاء بعظم ولا بعرة ولا روثة لانه زاد اخوانكم من الجن وفى رواية قالوا له
انه امتك عن الاستنجاء بهما فان الله تعالى قد جعل لنا فيهما رزقا فنهى رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن الاستنجاء بالعظم والبعر وحرمته بالبول او الغوط عليهما تعلم
من ذلك بالاولى وسنه يعلم ان مرادهم بالتقذير التنجيس لانه يشمل التقذير
بالطاهر كالبصاق والمخاط وعن جابر بن عبد الله قال بينا انا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم امشى اذ جات حية فقامت الى جنبه وادنت فاها من اذنه
وكانها تناجيه فقال النبى صلى الله عليه وسلم نعم فانصرفت قال جابر فسألته فاخبرنى
انه رجل من الجن وانه قال له مر امتك لا يستنجوا بالروث ولا بالرمة اى العظم لان
الله جعل لنا فى ذلك رزقا ولعل هذا الرجل من الجن لم يبلغه انه صلى الله عليه وسلم
نهى عن ذلك ولا يخفى ان سؤال الزاد يقتضى ان ذلك لم يكن زادهم وزاد دوابهم قبل
ذلك وحينئذ يسأل ما كان زادهم قبل ذلك وقد يقال هو كل ما لم يذكر اسم الله عليه
من طعام الآدميين وحينئذ يكون ما تقدم من خبر ابليس المراد بما لم يذكر اسم الله عليه
غير العظم فليتأمل والنهى عن الاستنجاء يدل على ان ذلك لا يختص بحالة السفر
وقصة جابر هذه سابقة فى غزاة تبوك نظيرها وهو ان حية عظيمة الخلقة
عارضتهم فى الطريق فانحاز الناس عنها فاقبلت حتى وقفت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو على راحلته طويلا والناس ينظرون اليها ثم التوت حتى اعتزلت الطريق
فقامت قائمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تدرون من هذا قالوا الله ورسوله
أعلم قال هذا احد الرهط الثمانية من الجن الذين وفدوا الى يستمعون القرآن قال فى
المواهب وفى هذا رد على من زعم ان الجن لا تاكل ولا تشرب وانما يتغذون بالشم اقول
ذكرت فى كتابى عقد المرجان فيما يتعلق بالجان ان فى اكل الجن ثلاثة اقوال
قيل يأكلون بالمضغ والبلع ويشربون بالازدراد والثانى لا يأكلون ولا
يشربون بل يتغذون بالشم والثالث انهم صنفان يأكل ويشرب وصنف لا
يأكل ولا يشرب وانما يتغذون بالشم وهو خلاصتهم والله اعلم قال ابن مسعود فلما
ولوا قلت من هؤلاء قال هؤلاء جن نصيبين وفى رواية فتوارى عنى حتى لم اره فلما
سطع الفجر اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى اراك قائما فقلت له
ما قعدت فقال ما عليك لو فعلت اى قعدت قلت خشيت ان اخرج منه فقال

اما انك لو خرجت لم ترني ولم اراك الى يوم القيمة اى وفي رواية لم امن عليك ان
يختطفك بعضهم **وفيه** ان الخروج لا ينافي القعود حتى يخشى منه الخروج قال في
رواية قال لي ابنت فقلت لا والله يا رسول ولقد هممت مرارا ان استغيث بالناس اى
لما تراكموا عليك وسمعت منهم لغطا شديدا حتى خفت عليك الى ان سمعتك تقرعهم
بعصاك وتقول اجلسوا وساله عن سبب اللغط الشديد الذى كان منهم فقال
ان الجن تداعت في قتيل قتل بينهم فتحاكموا الى فحكمت بينهم بالحق وفي رواية عن
سعيد بن جبير انه اى ابن مسعود قال لي اولئك جن نصيبين وكانوا اثني
عشر الفا والسورة التي قراها عليهم اقرا باسم ربك اى ولا ينافي ذلك ما جاء عن
ابن مسعود رضي الله تعالى عنه انه افتتح القران لانه المراد بالقران القراءة زاد
ابن مسعود على ما في بعض الروايات ثم شبك اصابعه في اصابعي وقال اني
وعدت ان تؤمن بي الجن والانس اما الانس فقد امنت واما الجن فقد رايت
اقول وفي هذا ان ابن مسعود لم يخرج من الدائرة التي اختطها له صلى الله عليه
وسلم وفي السيرة الشامية ما يقتضي انه خرج منها حيث قال عن ابن مسعود ه
فجيتهم فرايت الرجال ينحدرون عليه من الجبال فازدحموا عليه الخ فليتامل فعلم
ان هذه القصة بعد كل من قصة ابن عباس وقصة رجوعه صلى الله عليه وسلم
من الطايف فان قصة ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كانت في اول البعث وقصة
رجوعه صلى الله عليه وسلم من الطايف بعدها بمدة مديدة كما علمت وهذه القصة
كانت بعد تمام بمكة والله اعلم ثم قال له صلى الله عليه وسلم لابن مسعود هل معك وضوء
اى ما نتوضى به قلت لا فقال ما هذه الاداوة اى وعاء من جلد قلت فيها نبيذ
قال تمرة طيبة وماء طهور فصب على فصببت عليه فتوضا واقام الصلاة وصلى
اقول وهو محمول عند ايمتنا معاشر الشافعية على ان الماء لم يتغير بالتمر تغيرا
اكثر ايسلب اسم الماء عنه ثم قال ماء طهور وقول ابن مسعود فيها نبيذ اى منبوذ فيه
الذى هو التمر وسماه نبيذا باعتبار الاول على حد قوله تعالى اني اراني اعصر
خمرا وهذا بناء على فرض صحة الحديث والا فقد قال بعضهم حديث النبيذ ضعيف
باتفاق المحدثين وفي كلام الشيخ محيي الدين بن عربي رضي الله عنه الذى اقول
به منع التطهر بالنبيذ لعدم صحة الخبر المروى فيه ولو ان الحديث صح لم يكن
نصا في الوضوء به فانه صلى الله عليه وسلم قال ثمرة طيبة وماء طهور اى قليل الامتزاج
ذا التغير عن وصف الماء وذلك لان الله تعالى ما شرع الطهارة عند فقد الماء
الا بالتيمم بالتراب خاصة قال ومن شرف الانسان ان الله تعالى جعل له

التطهر

التطهر بالتراب وقد خلقه الله عنده من تراب وامره بالتطهر ايضا به تشريفا
له وعند احمد ومسلم والترمذى عن علقمة قلت لابن مسعود هل صحب النبي
صلى الله عليه وسلم ليلة الجن منكم احد فقال ما صحبه منا احد ولكنا فقدناه
ذات ليلة فقلنا استطير او اغتيل وطلبناه فلم نجده فبتنا بشر ليلة فلما
اصبحنا اذا هو جاء من قبل الحجون وفي لفظ من قبل حرا فقلنا يا رسول الله انا
فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة فقال انه اتاني داعي الجن فذهبت
معهم فقرات عليهم القران فانطلق فارانا اثارهم واثار نيرانهم وهذه القصة
يجوز ان تكون من المنقولة عن كعب الاحبار المتقدم ذكرها ومن سابقتها عن
القصة التي كان فيها ابن مسعود ويجوز ان تكون غيرها ومن المرادة بقوله
عكرمة انهم كانوا اثني عشر الفا جاؤا من جزيرة الموصل لان المتقدم في تلك
عن كعب الاحبار انهم كانوا تسعة من جن نصيبين وحينئذ يحتمل ان تكون
هذه القصة سابقة على القصة التي كان فيها ابن مسعود ويحتمل ان تكون متأخرة
عنها وعلى ذلك يكون اجتماع الجن به صلى الله عليه وسلم في مكة ثلاث مرات كان
معه فيها ابن مسعود ومرتين لم يكن معه ابن مسعود فيهما قال في الاصل وكفى
في امر الجن في سورة الرحمن وسورة قل اوحي الى وسورة الاحقاف **اقول** نعم
ان الجن سمعوا قراءته صلى الله عليه وسلم ولم يجتمعوا به ولا اشعر بهم في المرة
الاولى وهو ذاهب من مكة الى سوق عكاظ في ابتداء البعث المتقدمة عن ابن
عباس على ما تقدم ولا في المرة الثانية عند منصرفه من الطايف بنخلة على
ما قدمناه فيه وعلم ان الرواية متفقة على استماعهم لقراءته صلى الله عليه وسلم
في المرتين وبه يعلم ما في المواهب عن الحافظ ابن حجر كثير ان كون الجن استمعوا له
صلى الله عليه وسلم في نخلة عند منصرفه من الطايف فيه نظر وانما استماعهم
له كان في ابتداء البعث كما يدل عليه حديث ابن عباس من ان ذلك كان عند ذهابه
الى سوق عكاظ وعلم انهم اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم وقرا عليهم وامنوا به
في مكة مرتين او ثلاثة بعد ذلك والله اعلم وقد اخرج البيهقي في شعب الايمان
عن قتادة انه قال لما اهبط ابليس قال اى رب قد لعنته فما علمه قال السحر قال
فما قراءته قال الشعر قال فما كتابته قال الوشم قال فما طعامه قال كل ميتة وما
لم يذكر اسم الله عليه اى من طعام الانس يأخذه سرقة قال فما شرابه قال كل مسكر قال
فاين مسكنه قال الحمام قال فاين مجلسه قال في الاسواق قال فما صوته قال المزمار قال فما مصا
قال النسا فالحمام محل اكثر اقامته والسوق محل تردده في بعض الاوقات والظاهر

الا مثل ابليس فيما ذكر كل من لم يومن من الجن **باب ذكر** خبر الطفيل بن عمرو الدوسي واسلامه رضي الله عنه كان الطفيل بن عمرو الدوسي شريفا في قومه شاعرا نبيلا قدم مكة فمشى اليه رجال من قريش فقالوا يا ابا ٥ الطفيل كنوه بذلك تعظيما له فلم يقولوا يا طفيل انك قدمت بلادنا وهذا الرجل بين اظهرنا قد اعضل امره بنا اى اشتد وفرق جماعتنا وشتت امرنا وانما قوله كالسحر يفرق بين الرجل واخيه وبين الرجل وابيه وبين الرجل وزوجته وانا نخشى عليك وعلى قومك ما دخل علينا فلا تكلمه ولا تسمع منه ٥ قال الطفيل فوالله ما زالوا بي حتى اجمعت اى قصدت وعزمت على ان لا اسمع منه شيا ولا اكلمه اى حتى حشوت في اذني حين غدوت الى المسجد كرسفا وهو بضم الكاف وسكون الراء ثم سين مهملة مضمومة ثم فاء اى قطنا فرقا اى خوفا من ان يبلغني شيء من قوله فغدوت الى المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي عند الكعبة فقمت قريبا منه ٥ فابى الله الا ان اسمع بعض قوله اى فسمعت كلاما حسنا فقلت في نفسي انا ما يخفى علي الحسن من القبيح فما يمنعني ان اسمع من هذا الرجل ما يقول فان كان الذي ياتي به حسنا قبلت وان كان قبيحا تركت فمكثت حتى انصرف الى بيته فقلت يا محمد ان قومك قالوا لي كذا وكذا حتى سددت اذني بكرسف حتى لا اسمع قولك فاعرض علي امرك فاعرض عليه الاسلام وتلى عليه القرآن اى قرا عليه قل هو الله احد الى اخرها وقل اعوذ برب الفلق الى اخرها وقل اعوذ برب الناس الى اخرها **وفيه** انه ياتي ان نزول قل اعوذ برب الناس وقل اعوذ برب الفلق كان بالمدينة عند ما سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان يقال يجوز ان يكون ذلك مما تكرر نزوله ٥ فقال والله ما سمعت قط قولا احسن من هذا ولا امرا اعدل منه فاسلمت فقلت يا نبي الله اني امرؤ مطاع في قومي وانا راجع اليهم فادعوهم الى الاسلام فادع الله ان يكون لي عونا عليهم قال اللهم اجعل له اية فخرجت حتى اذا كنت بثنية تطلعني على الحاضر اى وهم النازلون المقيمون على الماء لا يرحلون عنه وكان ذلك في ليلة مظلمة ٥ وقع نور بين عيني مثل المصباح فقلت اللهم في غير وجهي اني اخشى ان يظنوا انها مثلة فتحول في راس سوطي فجعل الحاضر يتراءون ذلك النور كالقنديل المعلق اى ومن ثم عرف بذي النور والى ذلك اشار الامام السبكي في تائيته بقوله ٥

٥ وفي جبهة الدوسي ثم بسوطه ٥ جعلت ضياء مثل شمس منيرة ٥

قال فاتاني ابي فقلت له اليك عني يا ابت فلست مني ولست منك فقال لم

بابني

يا بني قال قد اسلمت وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم فقال اى بني ديني دينك فاسلم اى بعد ان قال له اغتسل وطهر ثيابك ففعل ثم جاء فعرض عليه الاسلام ٥ ثم اتتني صاحبتي فذكرت مثل ذلك اى قلت لها اليك عني فلست منك ولست مني قد اسلمت وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم قالت فديني دينك فاسلمت ثم دعوت دوسا الى الاسلام فابطؤوا علي ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله قد غلبتني دوس اى وفي رواية قد غلبني على دوس الزنا ٥ فادع الله عليهم فقال اللهم اهد دوسا قال زاد في رواية وائت بهم فقال الطفيل فرجعت فلم ازل بارض قومي ادعوهم حتى هاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر واحد والخندق انتهى فاسلموا قال فقدمت بمن اسلم من قومي عليه صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر سبعين او ثمانين بيتا من دوس اى ومنهم ابو هريرة فاسهم لنا مع المسلمين اى مع عدم حضورهم القتال انتهى **اقول** قال في النور وفي الصحيح ما ينفي هذا وانه لم يعط احدا لم يشهد القتال الا اهل السفينة الجائين من ارض الحبشة جعفر ومن معه اى ومنهم الاشعريون ابو موسى ٥ الاشعري وقومه فقد تقدم انهم هاجروا من اليمن الى الحبشة ثم جاؤوا الى المدينة **وفيه** انه سياتي انه صلى الله عليه وسلم شاور اصحابه ان يشركوهم في الغنيمة ففعلوا وسياتي انه انما اعطى اهل السفينة اى والدوسيين على ما علمت من الخمس الذي يخصه فلعل ما هنا اعطاهم مما افاء الله عليه لا من الغنيمة وسؤال اصحابه في اعطائهم من المشورة العامة المامور بها في قوله تعالى وشاورهم في الامر لا لاستنزالهم عن شيء من حقهم والله اعلم **باب ذكر** الاسرا والمعراج وفرض الصلوات الخمس قال اعلم انه لا اختلاف في الاسرا به صلى الله عليه وسلم اذ هو نص القرآن على سبيل الاجمال وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه احاديث كثيرة عن جماعة من الصحابة من الرجال والنساء نحوا ثلاثين اى ومن ثم ذهب الكارتي الصوفي الى ان الاسرا وقع له صلى الله عليه وسلم ثلاثين مرة فجعل كل حديث اسرا واتفق العلماء على ان الاسرا كان بعد البعثة انتهى اى الاسرا الذي كان في اليقظة بجسده صلى الله عليه وسلم فلا ينافي حديث البخاري عن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه ان الاسرا كان قبل ان يوحى اليه صلى الله عليه وسلم لان ذلك كان في نومه بروحه فكان هذا الاسرا توطئة له وتيسيرا عليه كما كان بدو نبوته صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة **وفي** كلام الشيخ عبد الوهاب الشعراني ان الاسرا انه صلى الله عليه وسلم كانت اربعا وثلاثين واحد بجسمه صلى الله

عليه وسلم كانت ليلة سبع عشرة وقيل سبع وعشرين خلت من شهر ربيع الاول
وقيل من رمضان اى ليلة سبع عشرة وقيل ليلة سبع وعشرين خلت من ربيع
الاخر وقيل من رجب واختار هذا الاخير الحافظ عبد الغنى المقدسى وعليه عمل
الناس وقيل فى شوال وقيل فى ذى الحجة وفى كلام الشيخ عبد الوهاب
ما يفيد ان اسرآءه صلى الله عليه وسلم كلها كانت فى تلك الليلة التى وقع فيها
هذا الاختلاف فليتامل وذلك قبل الهجرة قيل بسنة وجزم ابن حزم وادعى
فيه الاجماع وقيل بسنتين وقيل بثلاث وكل من الاسرا والمعراج كان
بعد خروجه صلى الله عليه وسلم للطايف كما دل عليه السياق وعن ابن اسحاق
ان ذلك كان قبل خروجه صلى الله عليه وسلم الى الطايف وفيه نظر ظاهر واختلف
فى اليوم الذى يسفر عن ليلتها فقيل الجمعة وقيل السبت وقال ابن دحية
يكون يوم الاثنين ان شا الله تعالى ليوافق المولد والمبعث والهجرة والوفاة
اى لانه صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين وبعث يوم الاثنين وخرج من مكة
يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين ومات يوم الاثنين فليتامل وعن ام
هانى بنت ابى طالب رضى الله تعالى عنها اى واسمها على الاشهر فاطمة وسيأتى
فى فتح مكة انها اسلمت يوم الفتح وهرب زوجها هبيرة الى نجران ومات بها على كفره
قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بغلس اى فى ظلام بعيد الفجر
وانا على فراشى فقال اشعرت اى علمت انى نمت الليلة فى المسجد الحرام اى عند البيت
او فى الحجر وهو المراد بالحطيم الذى وقع فى بعض الروايات وفى رواية فرج سقف
بيتى قال الحافظ ابن حجر يحتمل ان يكون السر فى ذلك اى فى انفراج السقف
التمهيد لما يقع من شق صدره صلى الله عليه وسلم فكان الملك اراه بانفراج
السقف والتيامه فى الحال كيفية ما سيصنع به لطفا به وتثبيتا له صلى الله
عليه وسلم اى زيادة تمهيد وتثبيت له والا فشق صدره صلى الله عليه وسلم تقدم
له غير مرة وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم نام فى بيت ام هانى قالت ففقدته
من الليل فامتنع منى النوم مخافة ان يكون عرض له قريش اى وحكى ابن سعد
ان النبى صلى الله عليه وسلم فقد تلك الليلة فتفرقت بنو عبد المطلب يلتمسونه
ووصل العباس الى ذى طوى وجعل يصرخ يا محمد فاجابه لبيك لبيك فقال
يا ابن اخى عييت قومك فاين كنت قال ذهبت الى بيت المقدس قال من ليلتك قال
نعم قال هل اصابك الا خير قال ما اصابنى الا خير ولعله صلى الله عليه وسلم
نزل عن البراق فى ذلك المحل وعن ام هانى رضى الله تعالى عنها قالت ما اسرى

برسول

برسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو فى بيتى نايم عندى تلك الليلة فصلى العشا الاخرة
ثم نام ونمنا فلما كان قبيل الفجر اهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اى اقامنا من نومنا
ومن ثم جا فى رواية نبهنا فلما صلى الصبح وصلينا معه قال يا ام هانى لقد صليت
معكم العشا الاخرة كما رايت بهذا الوادى ثم جيت بيت المقدس فصليت فيه ثم
صليت صلاة الغداة معكم الان كما ترين الحديث والمراد انه صلى الله عليه وسلم صلى
صلاته التى كان يصليها وهى الركعتان فى الوقتين المذكورين والا فصلاة العشاء
وصلاة الصبح التى هى صلاة الغدا لم يكونا فرضا وفى قولها وصلينا معه نظر
لما تقدم وياتى انها لم تسلم الا يوم الفتح ثم رايت فى مزيل الخفا واما قولها يعنى
ام هانى وصلينا فارادت به وهيانا الله ما يحتاج اليه فى الصلاة كذا اجاب واقرب
منه انها تكلمت على لسان غيرها وانها لم تظهر اسلامها الا يوم الفتح فليتامل فقال
صلى الله عليه وسلم ان جبريل اتانى وفى رواية اسرى بى من شعب ابى طالب قال الحافظ
ابن حجر والجمع بين هذه الروايات انه صلى الله عليه وسلم نام فى بيت ام هانى
وبيتها عند شعب ابى طالب ففرج عن سقف بيته الذى هو بيت ام هانى لانه
صلى الله عليه وسلم كان نايما به فنزل الملك واخرجه الى المسجد وكان به اثر النعاس
اى فاضطجع فيه عند الحجر فيصح قوله صلى الله عليه وسلم نمت الليلة فى المسجد
الحرام الى اخره وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل وميكائيل ومعهما
ملك اخر اى وهو مضطجع فى المسجد فى الحجر بين عمه حمزة وابن عمه جعفر رضى الله
تعالى عنهما فقال احدهم خذوا سيد القوم الاوسط بين الرجلين فاحتملوه
حتى جاوا به زمزم فاستلقوه على ظهره فتولاه منهم جبريل فشق من ثغرة نحره
وهو الموضع المنخفض بين الترقوتين الى اسفل بطنه وفى رواية الى مراق بطنه
وفى رواية الى شعرته اى اشار الى ذلك فانشق فلم يكن الشق فى المرتين كلها بالة
ولم يسل منه دم ولم يجد لذلك الما كما تقدم التصريح به فى بعض الروايات
لانه صلى الله عليه وسلم من خوارق العادات وظهور المعجزات ثم قال جبريل
لميكائيل ايتنى بطست من ما زمزم كيما اطهر قلبه واشرح صدره فاستخرج قلبه
اى فشقه فغسله ثلاث مرات ونزع ما كان فيه من اذى وهذا الاذى يحتمل ان
يكون من بقايا تلك العلقة السودا التى نزعت منه صلى الله عليه وسلم وهو
مسترضع فى بنى سعد بناء على تجويز ما تقدم فى المرة الثانية وهو ابن عشر سنين
وان كانت عند المبعث فلا يخالف ان العلقة السودا انتزعت منه صلى الله
عليه وسلم فى المرة الاولى وهو مسترضع فى بنى سعد ويستحيل تكرير اخراجها

والقايها والذى ينبغى أن يكون نزع تلك العلقة انما هو فى المرة الاولى والواقع
فى غيرها انما هو اخراج الاذى وأنه غير تلك العلقة وأن المراد به ما يكون
فى الجبليات البشرية وتكرر اخراج ذلك الاذى استيصاله ومبالغة فيه وذكر العلقة
فى غير المرة الاولى وقول الملك هذا حظ الشيطان وهم من بعض الرواة واختلف
اليه ميكايل بثلاث طستات من ماء زمزم ثم اتى بطست من ذهب ممتلى حكمة
وايمانا اى نفس الحكمة والايمان لان المعانى قد تمثل بالاجسام او فيه ما هو سبب
لحصول ذلك والمراد كلاهما فلا ينافى ما تقدم فى قصة الرضاع انه ملى حكمة
وايمانا ووضعت فيه السكينة ثم اطبقه ثم ختم بين كتفيه بخاتم النبوة وتقدم
فى قصة الرضاع ان فى رواية أن الختم كان فى قلبه وفى اخرى أنه كان فى صدره وفى
اخرى أنه كان بين كتفيه وتقدم الكلام على ذلك اى وانكر القاضى عياض شق صدره
صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرا وقال انما كان وهو صلى الله عليه وسلم صبى فى بنى سعد
وهو يتضمن انكاره شقه عند البعثة ايضا اى والتى قبلها وعمره صلى الله عليه وسلم كان
عشر سنين وردّه الحافظ ابن حجر بان الروايات تواردت بشق صدره صلى الله
عليه وسلم فى تلك الليلة وعند البعثة اى زيادة على الواقع له صلى الله عليه وسلم
فى بنى سعد وأبدى لكل من الثلاثة حكمة وتقدم انه شق صدره صلى الله عليه وسلم
وهو ابن عشرين سنة وتقدم ما فيه اقول ويمكن انكار القاضى عياض لشق صدره
صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج على الوجه الذى جا فى بعض الروايات أنه اخرج
من قلبه علقة سودا وقال الملك هذا حظ الشيطان منك لان هذا انما كان
وهو صلى الله عليه وسلم مسترضع فى بنى سعد ويستحيل تكرر القاء تلك العلقة
ويحمل ذلك على بعض بقايا تلك العلقة السودا كما قدمنا بيانه فى قول الملك هذا
حظ الشيطان منك الا أن يقال المراد انه من حظ الشيطان اى بعض حظ الشيطان
فليتامل ذلك والاولى ما قدمناه من ذلك ثم لا يخفى انه ورد غسل صدرى وفى
رواية قلبى وقد يقال الغسل وقع لهما معا كما وقع الشق لهما معا فاخبر صلى الله
عليه وسلم باحدهما مرة وبالاخرى اخرى اى وتقدم فى مبحث الرضاع فى رواية شق
بطنه صلى الله عليه وسلم ثم قلبه وفى اخرى شق صدره ثم قلبه وفى اخرى الاقتصار على
شق بطنه وفى اخرى الاقتصار على شق قلبه وتقدم ان المراد بالبطن الصدر وليس
المراد باحدهما القلب وفى كلام غير واحد ما يقتضى ان المراد بالصدر القلب
ومن ثم قيل هل شق صدره وغسله مخصوص به صلى الله عليه وسلم او وقع لغيره
من الانبيا واجيب بانه جا فى قصة تابوت بنى اسرائيل الذى انزله الله تعالى

على

على آدم حين اهبطه الى الارض فيه صور الانبيا من اولاده وفيه بيوت بعدد
الرسل وآخر البيوت بيت محمد صلى الله عليه وسلم وهو من ياقوتة حمرا ثلاثة اذرع
فى ذراعين وقيل كان من نوع تتخذ منه الامشاط مموها بالذهب فكان عند
آدم الى ان مات ثم عند شيث ثم توارثه اولاد آدم الى ان وصل الى ابراهيم عليه
الصلاة والسلام وكان عند اسماعيل ثم عند ابنه قيدار فنازعه ولد اسحق ثم
امر من السما ان يدفعه الى ابن عمه يعقوب اسرائيل الله فحمله الى ان اوصله له ثم وصل
الى موسى علينا عليه الصلاة والسلام فوضع فيه التوراة وعصاه وعمامة هارون
ورضاض الالواح التى كسرت لما القاها وانه كان فيه الطست طست من ذهب
من الجنة الذى غسل فيه قلوب الانبيا عليهم الصلاة والسلام وذلك مقتضى لعدم
الخصوصية وكان هذا التابوت اذا اختلفوا فى شىء حكموا منه ما يفصل
بينهم وما قدموه امامهم فى حرب الا نصروا وكان كل من تقدم عليه من الجيش لا بد
ان يقتل او ينهزم الجيش وفى الخصايص للسيوطى وما اختص به صلى الله عليه وسلم
عن جميع الانبيا ولم يؤت نبى قبله شق صدره فى احد القولين وهو الاصح وجمع
بعضهم بحمل الخصوصية على تكرر شق الصدر لان تكرر شق صدره الشريف ثبت
فى الاحاديث وشق صدر غيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام انما اخذ من قصة
التابوت وليس فيها تعرض للتكرار ولو جمع بان شق الصدر مشترك وشق القلب
واخراج العلقة السودا مختص به صلى الله عليه وسلم ويكون المراد بالقلب فى قصة
التابوت الصدر وبالصدر فى كلام الخصايص القلب لم يكن بعيدا اذ ليس فى
قصة التابوت ما يدل على ان تلك العلقة السودا اخرجت من غير قلب نبينا صلى
الله عليه وسلم ولم اقف على اثر يدل على ذلك وغسل قلب الانبيا عليهم الصلاة والسلام
ليس من لازمه الشق بل يجوز ان يكون غسله من خارج وقد احلنا على هذا الجمع فى
مبحث الرضاع وبهذا يرد ما قدمناه من قول الشمس الشامى الراجح المشاركة ولم أر
لعدم المشاركة ما يعتمد عليه بعد الفحص الشديد قلت تامل ثم رأيته ذكر انه
جمع جزأ سماه نور البدر فيما جا فى شق الصدر ولم اقف عليه والله اعلم قال فاتانى
جبريل عليه الصلاة والسلام فذهب بى الى باب المسجد اى وعن الحسن قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما انا نائم فى الحجر جاءنى جبريل عليه السلام فهمزنى
بقدمه فجلست فلم ار شيئا فعدت لمضجعى فجاءنى الثانية فهمزنى بقدمه فجلست
فلم ار شيئا فعدت لمضجعى فجاءنى الثالثة فهمزنى بقدمه فجلست فلم ار شيئا
فاخذ بعضدى فقمت معه فخرج بى الى باب المسجد وفيه انه اذا لم يجد شيئا

من أخذ بعضده الآن يقال ثم تراه عند أخذه بعضديه فإذا دابة أبيض أي ومن
قيل له البراق بضم الموحدة لشدة بريقه وقيل قيل له ذلك لسرعته أي فهو كالبرق
وقيل لأنه كان ذا لونين أبيض وأسود أي يقال شاة برقاء إذا كان بخلال صوفها
الأبيض طاقات سود أي وهي العفراء ومن ثم جاء في الحديث أبرقوا فإن دم عفراء عند الله
أزكى من دم سوداوين أي ضحوا بالبرقاء وهي العفراء لكن في الصحاح الأعفر الأبيض
ليس بالشديد البياض وشاة عفراء يعلو بياضها حمرة ولعله لبياض شعره على سواده
أو حمرته قيل أبيض ولعل سواد شعره لم يكن حالكا بل كان قريبا من الحمرة فوصف
بأنه أحمر وهذا لا يتم إلا لو كان البراق كذلك أي شعره أبيض داخله طاقات سود
أو حمر ولعله كان كذلك ويدل له قول بعضهم إنه ذو لونين أي بياض وسواد والسواد
كما علمت إذا أصفى شبها بالأحمر وهذه الرواية طوى فيها ذكر أنه كان بين حمزة وجعفر
رضي الله عنهما وأنه جاء جبريل وميكائيل وملك آخر وأنهم احتملوه إلى زمزم وشق
جبريل صدره إلى آخر ما تقدم وذلك البراق فوق الحمار ودون البغل مضطرب
الأذنين أي طويلهما أي وكان مسرجا ملجما كما في بعض الروايات فركبته فكان يضع
حافره مد بصره أي حيث ينتهي بصره أي وفي رواية ينتهي خفه حيث ينتهي طرفه
إذا أخذ في هبوط طالت يداه وقصرت رجلاه وإذا أخذ في صعود طالت رجلاه
وقصرت يداه أي وقد ذكر هذا الوصف في فرس فرعون موسى فقد قيل كان
لفرعون أربع عجائب فذكر منها أن لحيته كانت خضراء ثمانية أشبار وقامته سبعة
أشبار فكانت لحيته أطول منه بشبر وكان له فرس وقيل برذون إذا صعد
الجبل قصرت يداه وطالت رجلاه وإذا انحدر يكون ضد ذلك وفي رواية أن البراق
خطوه مد البصر قال ابن المنير فعلى هذا يكون قطع من الأرض إلى السماء في خطوة واحدة
لأن بصر الذي في الأرض يقع على السماء فبلغ أعلى السموات في سبع خطوات انتهى
أي لأن بصره يكون في سماء الدنيا يقع على السماء فوقها وهكذا وهذا لا يأتي على
أنه عرج به صلى الله عليه وسلم راكبا للبراق وسيأتي ما فيه قال صلى الله عليه وسلم
فلما دنوت منه اشمأز أي نفر وفي رواية فاستصعب ومنع ظهره أن يركب فقال
جبريل اسكن فما ركبك أحد أكرم على الله من محمد وفي رواية في فخذها أي تلك الدابة
التي هي البراق جناحان يحفز بهما أي تدفع بهما رجليها أي المعد للخفر لك والإعجال
فلما دنوت لأركبها دنوت لأركبها شمست أي نفرت وسعفت ظهرها وفي رواية شمس
وفي رواية صرت أذنيها أي جمعتهما وذلك شأن الدابة إذا نفرت فوضع جبريل
يده على معرفتها ثم قال ألا تستحي يا براق مما تصنعين فوالله ما ركبك أحد

وفي رواية

وفي رواية عبد الله قبل محمد صلى الله عليه وسلم أكرم على الله منه فاستحييت
حتى ارفضت عرقا أي كثر عرقها وسال ثم قرت حتى ركبتها أي وفي رواية فقال جبريل
مه يا براق فوالله ما ركبك مثله من الأنبياء أي لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
كانت تركبها قبله صلى الله عليه وسلم ففي البيهقي وكانت الأنبياء تركبها قبلي وعند النسائي
وكانت تسخر للأنبياء قبلي وبعد عليها العهد من ركوب الأنبياء لأنها لم تكن ركبت في الفترة
بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام كما ذكره ابن بطال وهو يقتضي أنه لم يركبه
أحد ممن كان بين عيسى ومحمد من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وجاء
التصريح بذلك في بعض الروايات أي والمتبادر منها أنها التي بينه وبين عيسى
عليهما الصلاة والسلام فيكون عيسى ممن ركبها دون من بعده من الأنبياء عليهم
الصلاة والسلام على تقدير ثبوت وجود نبي بعد عيسى وتقدم عن الزهري أنه كان
بينهما ألف نبي وقوله لأن الأنبياء ظاهره يدل على جميع الأنبياء أي عيسى ومن قبله
ركبوه قال الإمام النووي القول باشتراك جميع الأنبياء في ركوبها يحتاج
إلى نقل صحيح هذا كلامه ومما يدل على أن الأنبياء كانت تركبه قبله صلى الله عليه وسلم
ما تقدم وظاهر ما سيأتي في بعض الروايات فربطه بالحلقة التي توثق بها
الأنبياء وإنما قلنا ظاهر لأنه لم يذكر الموثق بفتح المثلثة إذ يحتمل أن الأنبياء كانت
تربط غير البراق من دوابهم ثم رأيت في رواية البيهقي فأوثقت دابتي يعني
البراق التي كانت الأنبياء تربطها فيه ومن ثم قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني
رحمه الله ما من رسول إلا وقد أسري به راكبا على ذلك البراق هذا كلامه وقد
تقدم أن إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه حمل هو وهاجر وولدها يعني إسماعيل
على البراق إلى مكة وهاجر وولدها يعني إسماعيل على البراق إلى مكة وفي تاريخ
الأزرقي وكان إبراهيم يحج كل سنة على البراق فعن سعيد بن المسيب وغيره أن البراق
هو دابة إبراهيم عليه الصلاة والسلام التي كان يزور عليها البيت الحرام وعلى التسليم
أنه لم يركب البراق أحد قبله صلى الله عليه وسلم كما يقول ابن دحية ووافقه
الإمام النووي فقول جبريل عليه الصلاة والسلام ما ركبك ونحوه لا ينافيه لأن
السالبة تصدق بنفي الموضوع ومن ثم قال في الخصائص الصغرى وخص صلى
الله عليه وسلم بركوب البراق في أحد القولين أي وقيل إن الذي خص به هو ركوبه
مسرجا ملجما وفي المنتقى أن البراق وإن كان يركبه الأنبياء إلا أنه لم يكن يضع حافره
عند منتهى طرفه إلا عند ركوب النبي صلى الله عليه وسلم له وجاء في غريب التفسير أن
البراق لما تشمس قال له جبريل لعلك يا محمد مسست الصفراء اليوم وهو صنم كان بعضه

من ذهب وبعضه من فضة على كسره صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فقال له صلى الله عليه وسلم ما مسسته الا اني مررت به وقلت تبا لمن يعبد شيئا من دون الله تعالى فقال جبريل وما شمس الا لذلك ام لمجرد مرورك عليه وهذا حديث موضوع كما نقل عن الامام احمد وقال الحافظ ابن حجر انه من الاخبار الواهية وقال مغلطاي لا ينبغي أن يذكر ولا يعزى لرسول الله صلى الله عليه وسلم **ويقال** فرس شموس اي صعب ولا يقال شموسة **وذكر** لاستصحاب البراق غير ذلك من الحكم لا يطيل بذكرها **قال** وعن الثعلبي بسند ضعيف في صفة البراق عن ابن عباس له خد كخد الانسان وعرف كعرف الفرس وقوائم كالابل واظلاف وذنب كالبقر اي وحينئذ يكون اطلاق الحافر على ذلك في الرواية السابقة بقرينة خطوها حيث ينتهي طرفها مجازا لانه مع كون لها قوائم كقوائم الابل لا خف لها بل ظليف وهو الحافر **وفي** كلام بعضهم في صفة البراق وجهه كوجه الانسان وجسده كجسد الفرس وقوائمه كقوائم الثور وذنبه كذنب الغزال لا ذكر ولا انثى انتهى اي فهو تارة وصف بوصف المذكر تارة وبوصف المؤنث اخرى فهي حقيقة ثالثة ويكون خارجا من قوله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين كما خرجت من ذلك الملائكة فانهم ليسوا ذكورا ولا اناثا **وذكر** بعضهم ان اذنيها كاذني الفيل وعنقها كعنق البعير وصدرها كصدر الفيل كانه من ياقوت احمر لها جناحان كجناح النسر فيهما من كل لون قوائمها كقوائم الفرس وذنبها كذنب البعير **ويحتاج الى الجمع** بين هذه الروايات على تقدير الصحة **قال** صلى الله عليه وسلم ثم سرت وجبريل عليه الصلاة والسلام لا يفارقني أي وفي رواية انه كان ركب خلف البراق **وفي** الشفا ما زايلا ظهر البراق حتى رجعا **وفي** رواية ركبت البراق خلف جبريل اي وفي صحيح ابن حبان وحمله جبريل على البراق رديفا له **قال** وفي الشرف فكان الآخذ بركابه جبريل وبزمام البراق ميكائيل وفي رواية جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره انتهى **اقول** ولا منافاة لجواز ان يكون جبريل تارة ركب مردفا له صلى الله عليه وسلم وتارة اخذ بركابه من جهة اليمين وميكائيل تارة اخذ بالزمام وتارة لم يأخذه وكان جهة يساره وان كان اخذ بالزمام من جهة اليسار ولا يخالف هذا الجمع قول الشفا ما زايلا ظهر البراق لامكان حمله على غالب المسافة هذا وفي حياة الحيوان الظاهر عندي ان جبريل لم يركب مع النبي صلى الله عليه وسلم البراق ليلة الاسرا لانه المخصوص بشرف الاسرا هذا كلامه فليتأمل والله أعلم **قال** صلى الله عليه وسلم ثم انتهينا الى بيت المقدس فاوثقته بالحلقة التي بالباب اي باب المسجد فكانه يقول له صلى الله عليه وسلم انك لست ممن

التي

التي كانت تربطها على ما تقدم عن رواية البيهقي وفي رواية ان جبريل خرق باصبعه الحجر الذي هو الصخرة وفي كلام بعضهم فادخل جبريل يده في الصخرة فخرقها وشد به البراق **اقول** لا منافاة لجواز ان يكون المراد وسع الخرق باصبعه او فتحه لعروض انسداده وان هذا الخرق هو المراد بالحلقة التي في الباب لان الصخرة بالباب وقيل لهذا الخرق حلقة لاستدارته وفي الامتاع وعادت صخرة بيت المقدس كهيئة العجين فربطها دابته والناس يلتمسون ذلك الموضع الى اليوم هذا كلامه **وجمع** بعضهم بانه صلى الله عليه وسلم ربطها بالحلقة خارج باب المسجد الذي هو مكان الانبياء عليهم الصلاة والسلام تادبا فاخذه جبريل فربطه في زاوية المسجد في الحجر الذي هو الصخرة التي خرقها باصبعه وجعله داخلا عن باب المسجد فكانه يقول له انك لست ممن يكون مركوبه على الباب بل يكون داخلا **وفي** حديث ابي سفيان قبل اسلامه لقيصر انه قال لقيصر غيظا من قدره صلى الله عليه وسلم الا اخبرك ايها الملك عنه خبرا تعلم منه انه يكذب قال وما هو قال انه يزعم انه خرج من ارضنا ارض الحرم فجاء مسجدكم هذا ورجع الينا في ليلة واحدة فقال بطريق انا اعرف تلك الليلة فقال قيصر ما علمك بها قال اني كنت لا ابيت ليلة حتى اغلق ابواب المسجد فلما كانت تلك الليلة اغلقت الابواب كلها غير باب واحد وهو الباب القلاني غلبني فاستعنت عليه بعمالي ومن يحضرني فلم نقدر فقالوا ان البناء نزل عليه فاتركوه الى غد حتى ياتي بعض النجارين فيصلحه فتركته مفتوحا فلما اصبحت غدوت فاذا الحجر الذي في زاوية الباب مثقوب اي زيادة على ما كان عليه على ما تقدم واذا فيه اثر مربط الدابة اي التي هي البراق اي ولم اجد بالباب ما يمنعه من الاغلاق فعلمت انه انما امتنع لاجل ما كنت اجده في العلم ان نبيا يصعد من بيت المقدس الى السما وعند ذلك قلت لاصحابي ما حبس هذا الباب الليلة الا هذا الامر وسياتي ذلك عند الكلام على كتابه صلى الله عليه وسلم لقيصر ولا يخفى ان المراد بالصخرة الحجر الذي بالباب لا الصخرة المعروفة كما هو المتبادر من بعض الروايات ومن ثم قال جبريل الصخرة التي في بيت المقدس فوضع اصبعه فيها فخرقها فشد بها البراق لا الذي في بابه فيقال انها فيه ولا يخفى ان عدم انغلاق الباب انما كان ليكون اية والا فجبريل عليه السلام لا يمنعه باب مغلق ولا غيره وفي رواية عن شداد بن اوس انه قال ثم انطلق بي جبريل حتى دخلنا المدينة يعني مدينة بيت المقدس من بابها اليماني فاتى قبلة المسجد فربط فيه دابته قد يقال لا مخالفة لانه يجوز ان يكون ذلك الباب كان بجانب قبلة المسجد ولعل هذا الباب هو الباب اليماني الذي فيه صورة الشمس والقمر ففي رواية ودخل المسجد من باب

فيه تمثل الشمس والقمر اى مثالهما فيه والله اعلم وانكر حذيفة رواية ربط البراق
وقال لم يفر منه وقد سخره له عالم الغيب والشهادة ورد عليه بان الاخذ بالحزم لا ينافي
صحة التوكل فعن وهب بن منبه الايمان بالقدر لا يمنع الحازم من توقي المهالك قال وهب
وجدته في سبعين من كتب الله عز وجل القديمة اى ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم
اعقلها وتوكل وقد كان صلى الله عليه وسلم يتزود في اسفاره ويعد السلاح في
حروبه حتى لقد ظاهر بين درعين في غزوة احد قال وفي رواية فلما استوى النبي صلى
الله عليه وسلم في صخرة المسجد قال جبريل يا محمد هل سالت ربك ان يريك الحور العين
قال نعم قال جبريل فانطلق الى اولئك النسوة فسلم عليهن فسلم صلى الله عليه وسلم
عليهن فرددن عليه السلام فقال من انتن فقلن خيرات حسان نسا قوم ابرار نقوا
فلم يدرنوا واقاموا فلم يظعنوا وخلدوا فلم يموتوا انتهى اقول في كلام بعضهم انه لم
يختلف احد انه صلى الله عليه وسلم عرج به من عند القبة التي يقال لها قبة المعراج
من عن يمين الصخرة وقد جا صخرة بيت المقدس من صخور الجنة وفي لفظ سيدة
الصخور صخرة بيت المقدس وجا صخرة بيت المقدس على نخلة والنخلة على نهر
من انهار الجنة وتحت النخلة اسية امراة فرعون ومريم ابنت عمران ينظمان سموط
اهل الجنة الى يوم القيمة قال الذهبي اسناده مظلم وهو كذب ظاهر قال الامام
ابو بكر بن العربي في شرحه لموطا مالك صخرة بيت المقدس من عجايب الله تعالى فانها
صخرة قايمة في وسط المسجد الاقصى قد انقطعت من كل جهة لا يمسكها الا الذي يمسك
السما ان تقع على الارض الا باذنه في اعلاها من جهة الجنوب قدم النبي صلى الله عليه وسلم
حين ركب البراق وقد مالت من تلك الجهة لهيبته صلى الله عليه وسلم وفي الجهة
الاخرى اصابع الملايكة التي امسكتها لما مالت ومن تحتها المغارة التي انفصلت من
كل جهة اى فهي معلقة بين السما والارض وامتنعت لهيبتها من ان ادخل تحتها لاني
كنت اخاف ان تسقط علي بالذنوب ثم بعد مدة دخلتها فرايت العجب العجاب تمشي
في جوانبها من كل جهة فتراها منفصلة عن الارض لا يتصل بها من الارض شي ولا بعض
شي وبعض الجهات اشد انفصالا من بعض وهذا الذي ذكره ابن العربي ان قدمه
صلى الله عليه وسلم اثر في صخرة بيت المقدس حين ركب البراق وان الملايكة امسكتها
لما مالت قال به الحافظ ناصر الدين الدمشقي حيث قال في معراجه المنتخب ثم توجها
نحو صخرة بيت المقدس وعلاها صعدا من جهة الشرق اعلاها فاضطربت تحت
قدم نبينا صلى الله عليه وسلم ولانت فامسكتها الملايكة لما تحركت ومالت وقول ابن
ابن الجوزي العوفي حين ركب البراق يقتضي انه عرج به على البراق وسياتي الكلام

فيه

فيه وتقدم ان الجلال السيوطي سيل عن عوص قدميه صلى الله عليه وسلم في الحجر
هل له اصل في كتب الحديث فاجابه بانه لم يقف لذلك على اصل ولا راى من خرجه في
شي من كتب الحديث وتقدم ما فيه وفي العرايس قال ابي بن كعب ما من ما عذب الا
وينبع من تحت الصخرة ببيت المقدس ثم يتفرق في الارض والله سبحانه اعلم قال صلى
الله عليه وسلم فنشر لي بضم النون وكسر الشين المعجمة اى احيي لي بعد الموت رهط من الانبيا
لان نشر الموت احياوه والرهط ما دون العشرة من الرجال فيهم ابراهيم وموسى وعيسى
عليهم الصلاة والسلام اى وحكمة تخصيص هولا بالذكر لا تخفى فضليتهم وكلهم
اى فالمراد نشروا عند دخوله صلى الله عليه وسلم المسجد فصلى بهم ركعتين ووصفهم
بالنشور واضح في غير عيسى عليه السلام لانه لم يمت ووصف الانبيا عليهم الصلاة
والسلام بالاحيا بعد الموت سياتي في قصة بدر في الكلام على اصحاب القليب ما
يعلم منه ان المراد باحيا الانبيا بعد الموت شدة تعلق ارواحهم باجسادهم حتى
انهم في البرزخ لسبب ذلك احيا كحياتهم في الدنيا وقد ذكرنا هناك الكلام على
صلاتهم في البرزخ وحجهم وغير ذلك وفي رواية ثم صلى هو وجبريل كل واحد
ركعتين فلم يلبثا الا يسيرا حتى اجتمع ناس كثير ثم اولئك الرهط فلا تخالف
بين الروايتين فصف النبيين ما بين قايم وراكع وساجد ثم اذن موذن واقيمت
الصلاة اقول ذكر ابن حبيب ان اية واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية
نزلت ببيت المقدس ليلة الاسرا ويجوز ان يكون قوله واقيمت الصلاة من عطف
التفسير فالمراد بالاذان الاقامة وليس المراد بالاقامة الا الالفاظ المعروفة الا
ان لما سيذكر في الكلام على شروعية الاذان والاقامة بالمدينة وعلى انه من
عطف المغاير ويدل له ما في بعض الروايات فلما استوينا في المسجد اذن موذن
ثم اقام الصلاة فليس من لازم ذلك ان يكون كل من الاذان والاقامة باللفظين
المعروفين الان لانهما كما علمت لم يشرعا الا في المدينة اى في السنة الاولى من الهجرة وقيل
في الثانية كما سياتي وحديث لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم الى السما اوحى الله
اليه بالاذان فنزل به فعلمه بلالا قال الحافظ ابن حجر موضوع وحديث علم رسول الله
صلى الله عليه وسلم الاذان ليلة اسري به في اسناده متهم وفي الخصايص الكبرى انه
صلى الله عليه وسلم علم الاقامة ليلة الاسرا فقد جا لما اراد الله عز وجل ان يعلم
رسوله صلى الله عليه وسلم الاذان اى الاقامة عرج به الى ان انتهى الى الحجاب الذي
يلي الرحمن اى يلي عرشه خرج ملك من الحجاب فقال الله اكبر الله اكبر فقيل من
ورا الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر ثم قال الملك اشهد ان لا اله الا الله فقيل

من وراء الحجاب صدق عبدي لا اله الا انا فقال الملك اشهد ان محمدا رسول الله فقيل
من وراء الحجاب صدق عبدي انا ارسلت محمدا فقال الملك حي على الصلاة حي على الفلاح
قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله فاخذ الملك بيد
محمد صلى الله عليه وسلم فقدمه فام باهل السموات فاذ في السما والحجاب انما هو في حق
المخلوق لا في حق الخالق فهم المحجوبون قلت فان صح القول بان محمدا صلى الله عليه وسلم
رأى ربه فيحتمل انه في غير هذا الموطن بعد رفع الحجاب عن بصره حتى رآه وجا انه صلى
الله عليه وسلم سال جبريل عن ذلك الملك فقال جبريل ان هذا الملك ما رايته قبل ساعتي
هذه وفي لفظ والذي بعثك بالحق اني لاقرب الخلق مكانا وان هذا الملك ما رايته منذ
خلقت قبل ساعتي هذه وفيه ان هذا يقتضي ان جبريل عليه السلام كان معه صلى الله
عليه وسلم في هذا المكان وسياتي انه تخلف عنه عند سدرة المنتهى فليتامل والله اعلم
ولما اقيمت الصلاة ببيت المقدس قاموا صفوفا ينتظرون من يؤمهم فاخذ جبريل
بيده صلى الله عليه وسلم فقدمه فصلى بهم ركعتين اي واما حديث لما اسري بي اذن
جبريل فظنت الملائكة انه يصلي بهم فقدمني فصليت بالملائكة قال الذهبي منكر بل
موضوع والغرض من تلك الصلاة الاعلام بعلو مقامه صلى الله عليه وسلم وانه
المقدم لا سيما في الامامة وفي رواية ثم اقيمت الصلاة فتدافعوا اي دفعوا حتى قدموا
محمدا صلى الله عليه وسلم اي ولا مخالفة لانه يجوز ان يكون جبريل قدمه بعد دفعهم وتقديمهم
له صلى الله عليه وسلم وفي رواية فاذن جبريل اي اقام الصلاة ونزلت الملائكة من السما
وحشر الله له المرسلين وقد نزلت الملائكة وحشر له الانبيا اي جميعهم بناء على ما في
بعض الروايات بعث له آدم ومن دونه فهو تعميم بعد تخصيص بناء على ان الرسول
اخص من النبي لا بمعناه وهذا هو المراد بقول الخصائص الصغرى ومن خصائصه
صلى الله عليه وسلم احيا الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم وصلاته اماما بهم
وبالملائكة لان الانبيا احيا وفيه اذا كان الانبيا احيا فما معنى احيائهم له ليصلي
بهم وقد علمت معنى احيائهم فلما انصرف قال جبريل يا محمد اتدري من صلى خلفك قال لا
قال كل نبي بعثه الله تعالى اي والنبي غير الرسول بعثه الله الى نفسه اقول ولا يخالف
ما سبق من انه عرف النبيين من بين قائم وراكع وساجد لجواز ان يكون المراد عرف
معظمهم او انه عرفهم بعد هذا القول وذكر القرطبي في تفسيره عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما قال لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس جمع
الله له الانبيا آدم فمن دونه وكانوا سبع صفوف ثلاث صفوف من الانبيا والمرسلين
واربعة من سائر الانبيا وكان خلف ظهره ابراهيم الخليل وعن يمينه اسماعيل وعن

يساره

يساره اسحق صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وفي رواية ثم دخل اي مسجد بيت المقدس س
فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلاة قالوا يا جبريل من هذا معك قال هذا محمد رسول
الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين قالوا وقد ارسل اليه اي للمعراج بناء على انه كان في ليلة
الاسراء قال نعم قالوا حياه الله من اخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة وهذه الرواية
قد يقال لا تخالف ما سبق من انه صلى الله عليه وسلم صلى بالملائكة مع الانبيا والمرسلين لانه
يجوز ان يكون انما افردهم بالذكر لسؤالهم وفيه ان سؤالهم يدل على ان نزولهم من السما لبيت
المقدس لم يكن لاجل الصلاة معه قال القاضي عياض والاظهر ان صلاته صلى الله عليه وسلم
بهم يعني بالانبيا صلوات الله وسلامه عليهم في بيت المقدس كانت قبل العروج اي كما
يدل على ذلك سياق القصة وقال الحافظ ابن كثير صلى بهم في بيت المقدس
قبل العروج وبعده فان في الحديث ما يدل على ذلك ولا مانع منه قال ومن الناس
من يزعم انه انما امهم في السما اي لا في بيت المقدس اي وهذا الزاعم هو حذيفة فانه
انكر صلاته بالانبيا في بيت المقدس قال بعضهم والذي تظافرت به الروايات
صلاته صلى الله عليه وسلم بالانبيا عليهم الصلاة والسلام ببيت المقدس والظاهر
انه بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم اليها اي فلم يصل بهم في بيت المقدس الا مرة واحدة
وانها بعد نزوله لانه صلى الله عليه وسلم لما مر بهم في منازلهم جعل يسال جبريل عنهم واحدا
واحدا فيخبره بهم اي ولو كان صلى الله عليه وسلم صلى بهم اولا لعرفهم بل تقدم انه
عرف النبيين ما بين قائم وراكع وساجد وما بالعهد من قدم وهذا هو اللائق لانه صلى
الله عليه وسلم اولا كان مطلوبا الى الجناب العلوي اي بناء على ان المعراج كان في ليلة
الاسرا حيث كان مطلوبا لذلك اللائق ان لا يشتغل بشي عنه فلما فرغ من ذلك
اجتمع هو صلى الله عليه وسلم واخوته من النبيين ثم اظهر شرفه عليهم فقدمه في الامامة
هذا كلامه اقول بحثا ان صلاته صلى الله عليه وسلم ببيت المقدس لم تكن الا بعد
رجوعه صلى الله عليه وسلم من العروج والاسرا لا ان على ذلك لسؤاله عن الانبيا
واحدا واحدا في السما وان ذلك هو اللائق فيه نظر ظاهر لانه لا بحث مع وجود النقل
بخلافه ومجرد الاستحسان العقلي لا يرد النقل فقد تقدم عن الحافظ ابن كثير
انه ثبت في الحديث ما يدل على انه صلى الله عليه وسلم صلى بهم ببيت المقدس قبل العروج
وبعده وكونه سال عن الانبيا في السما لا ينافي صلاته بهم وانه عرفهم بناء على تسليم
انه لم يعرفهم كانت عند صلاته بهم اولا وانه عرفهم كلهم لا معظمهم على ما قدمناه
لانه يجوز ان يكونوا في السما على صور لم يكونوا عليها ببيت المقدس لان البرزخ عالم
مثال كما تقدم فبهذا يعلم ما في قول بعضهم رؤيته صلى الله عليه وسلم للانبياء

صلوات الله وسلامه عليهم محمولة على رؤيته ارواحهم الا عيسى وادريس عليهما
السلام ورؤيته صلى الله عليه وسلم لهم في بيت المقدس يحتمل ان المراد ارواحهم
ويحتمل اجسادهم ويدل للثاني وبعث له آدم فمن دونه من الانبيا وروايته فنشر لي
الانبيا من سمى الله ومن لم يسم فصليت بهم والاشتغال عن الجناب العلوي بالمدعو له
ما فيه ما ليس له وما حاجته صلى الله عليه وسلم بالانبيا عليهم الصلاة والسلام ه
وصلاته بهم مناسب لائق بالحال والله اعلم واختلف في هذه الصلاة فقيل العشا
اي الركعتان اللتان كان صلى الله عليه وسلم يصليهما بالعشي بناء على انه صلى
الله عليه وسلم صلى ذلك قبل العروج وفيه انه صلى تلك الصلاة بمكة وعلى ذلك
تكون معادة وقيل الصبح اي الركعتين اللتين كان يصليهما بالغداة اي
وهذا يدل على أن الفجر طلع وهو ببيت المقدس بعد العروج وتقدم وسيأتي أنه صلى
الله عليه وسلم صلى الغداة بمكة وعليه تكون معادة بمكة قال والذي يظهر والله اعلم
انها كانت من النفل المطلق انتهى اي ولا يضر وقوع الجماعة فيها ويقولون اي الركعتان
الى آخره يسقط ما قيل القول بانها العشا او الصبح ليس بشي لان اول صلاة صلاها
من الخمس مطلقا الظهر ومن حمل الاولية على مكة اي ويكون صلى الصبح ببيت المقدس
فعليه الدليل اي دليل يدل على ان تلك الصلاة احدى الصلوات الخمس وفي
زين القصص كان زمن ذهابه صلى الله عليه وسلم ومجيئه ثلاث ساعات وقيل
اربع ساعات اي بقيت من تلك الليلة لكن في كلام السبكي أن ذلك كان في قدر
لحظة حيث قال ثم أتيته • وعدت وكل الامر في قدر لحظة • اي ولا بدع لان الله
تعالى قد يطيل الزمن القصير لبعض اوليائه مدة ما يستغرق الازمنة الكثيرة وفي
ذلك حكايات شهيرة قال صلى الله عليه وسلم واتيت بانائين احمر وابيض فشربت
الابيض فقال لي جبريل شربت اللبن وتركت الخمر لو شربت الخمر لارتدت امتك اي
غوت وانهمكت في الشر بدليل الرواية الاخرى وهي رواية البخاري اتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم بقدحين من خمر ولبن فنظر اليهما فاخذ اللبن فقال جبريل
الحمد لله الذي هداك للفطرة اي الاستقامة لو اخذت الخمر غوت امتك ولم
يتبعك منهم الا القليل اي يكونوا على ما انت عليه من ترك ذلك فالمراد ه
بالارتداد الرجوع عما هو الصواب واتيانه بذلك وهو في المسجد بيت المقدس
وسيأتي ما يدل على انه اتي له بذلك ايضا بعد خروجه صلى الله عليه وسلم منه
قبل العروج قال صلى الله عليه وسلم واستويت على ظهر البراق فكان باسرع
من ان اشرفت على مكة ومعي جبريل فصليت به الغداة ثم قال لام هانئ بعد ان

اخبرها

اخبرها بذلك انا اريد ان اخرج الى قريش فاخبرهم بما رايت قالت ام هانئ فتعلقت
بردائه صلى الله عليه وسلم وقلت انشدك الله اي بفتح الهمزة اسالك بالله ابن عم
اي يا ابن عمران تحدث اي لا تحدث بهذا قريشا فيكذبك من صدقك وفي رواية اني
اذكرك الله انك تاتي قوما يكذبونك وينكرون مقالتك فاخاف ان يسطوا بك
فضرب بيده على ردائه فانتزعه من يدي فارتفع عن بطنه صلى الله عليه وسلم فنظرت
الى عكنه اي طبقات بطنه من السمن فوق ردائه صلى الله عليه وسلم وكانه طي القراطيس
اي الورق واذا نور ساطع عند فؤاده كاد يخطف بفتح الطاء وربما كسرت بصري
فخررت ساجدة فلما رفعت راسي اذا هو قد خرج فقلت لجاريتي نبعة اي وكانت حبشية
معدودة في الصحابة رضي الله تعالى عنها اتبعيه وانظري ماذا يقول فلما رجعت اخبرتني
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى الى نفر من قريش في الحطيم هو ما بين الكعبة والحجر
الاسود وفي كلام بعضهم بين الركن والمقام سمي بذلك لان الناس يحطم بعضهم
بعضا فيه من الازدحام لانه من مواطن اجابة الدعا قيل ومن حلف فيه اثما
عجلت عقوبته وربما اطلق على ما تقدم على الحجر بكسر الحا واوليك النفر الذين انتهى
صلى الله عليه وسلم اليهم فيهم المطعم بن عدي وابو جهل بن هشام والوليد بن
المغيرة فقال اني صليت الليلة العشا اي اوقعت صلاة في ذلك الوقت في هذا
المسجد وصليت به الغداة اي اوقعت صلاة في ذلك الوقت في هذا المسجد ه
وصليت به الغداة اي اوقعت صلاة في ذلك الوقت والا فصلاة العشاء لم
تكن فرضت وكذا صلاة الغداة التي هي الصبح لم تكن فرضت كما تقدم واتيت فيما
بين ذلك بيت المقدس قال وجاء انه صلى الله عليه وسلم لما دخل المسجد قطع وعرف
ان الناس تكذبه اي وما احب ان يكتم ما هو دليل على قدرة الله تعالى وما هو دليل
على علو مقامه صلى الله عليه وسلم الباعث على اتباعه اي لا يقال كان المناسب لذلك
ان يقول واتيت في لحظة او ساعات ما تقدم فيما بين ذلك بيت المقدس وكم
يوسع لهم الزمن لانا نقول وسع لهم الزمن لان الطباع لا تنفر منه نفورها من ذلك
فليتامل فقعد حزينا فمر به عدو الله ابو جهل فجاء حتى جلس اليه صلى الله عليه وسلم
فقال له كالمستهزي هل كان من شي قال نعم قال اسري بي الليلة قال الى اين قال
الى بيت المقدس قال ثم اصبحت بين ظهرانينا قال نعم قال فلم يره انه يكذبه مخافة
ان يجحده الحديث ان دعى قومه اليه قال ارايت ان دعوت قومك اتحدثهم ما
حدثتني قال نعم قال يا معشر بني كعب بن لوي فانتفضت اليه المجالس وجاؤا حتى
جلسوا اليهما فقال حدث قومك بما حدثتني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني

انى اسرى بى قالوا الى اين قال الى بيت المقدس الحديث انتهى فنشر لى رهط من الانبيا
منهم ابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وصليت بهم وكلمتهم **فقال**
ابوجهل كالمستهزى صفهم لى قال اما عيسى عليه السلام ففوق الربعة ودون
الطويل اى لا طويل ولا قصير عريض الصدر ظاهر الدم اى لونه احمر وفى رواية
يعلوه حمرة كانما يتحادر من لحيته الجمان وفى رواية كانه خرج من ديماس اى حمام واصله
الكن الذى يخرج منه الانسان وهو عرقان واصله الظلمة يقال ليل دامس والحمام
لفظ عربى واول واضعه الجن وصنعته لسيدنا سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام
وقيل الواضع له بقراط وقيل شخص سابق على بقراط استفاده من رجل كان به
تعقيد العصب فنزع ماخانه فجب فسكن فصار يستعمله حتى برئ **وجا** من طرق عديدة
كلها ضعيفة لكن يقوى بعضها بعضًا ان سليمان عليه السلام لما دخله وجد حره
وغمه قال اواه من عذاب الله لان دخول الحمام يذكر النار لان الحمام اشبه شى بجهنم
لان النار اسفلها والسواد والظلمة اعلاه وقد قيل خير الحمام ما قدم بناؤه واتسع
فناؤه وعذب ماؤه قال بعضهم وبصيرة قديما بعد سبع سنين قال بعضهم ولم تعرف الحمام
فى بلاد الحجاز قبل البعثة وانما عرفها الصحابة بعد موته صلى الله عليه وسلم بعد ان فتحوا
بلاد العجم وفيه ان فى قول البخارى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتدرون بيتا يقال له الحمام قالوا يا رسول الله انه يذهب بالدرن وينفع
المريض قال فاستتروا وفى رواية انه لما قال صلى الله عليه وسلم اتقوا بيتا يقال له الحمام
قالوا يا رسول الله انه يذهب الوسخ ويذكر النار قال ان كنتم لابد فاعلين فمن دخله
فليستتر وهو صريح فى ان الصحابة رضى الله عنهم عرفوه فى زمنه صلى الله عليه وسلم الا ان
يقال جاز ان يكونوا عرفوه من غيرهم بهذا الوصف لهم والمنفى فى كلام هذا البعض
معرفتهم له بالدخول فيه ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم يقال له الحمام وقوله صلى الله
عليه وسلم ستفتح عليكم ارض العجم وستجدون فيها بيوتا يقال لها الحمامات ولقد ما جا
عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه وسلم دخل حمام الجحفة فلا يرد لانه على
تقدير صحته فالمراد به انه محل للاغتسال فيه لا بالهيئة المخصوصة وكذا لا يرد ما
فى معجم الطبرانى الكبير عن ابى رافع انه قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بموضع فقال
نعم موضع الحمام هذا فبنى فيه حماما لجواز ان يكون بنى ذلك بعد موته صلى الله عليه
وسلم فهو من اعلام نبوته قال بعضهم ولعله قال ذلك لقبح الموضع اى فيقول
لبعضهم ويكفى ذلك فى فضيلة الحمام لبستره فى محله وفيه ان هذا البعض يقول فى
الفضيلة على هذا فيبطل عكسه وعلى ما رواه البخارى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما

الذى فيه انه يذهب بالدرن وينفع المريض ولا يرد ايضا ما فى مسند احمد عن
ام الدرداء رضى الله تعالى عنها انها خرجت من الحمام فلقيها رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال لها من اين يا ام الدرداء قالت من الحمام لان فى سنده ضعيفا
ومتروكا ولانه يجوز ان يكون المراد انه محل الاغتسال لا انه المبنى على الهيئة
المخصوصة كما تقدم وبه يجاب ايضا عما فى الفردوس انه صح عن ابن عمر رضى الله
عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر وعمر وقد خرجا من الحمام طاب
حمامكما قال ابن القيم ولم يدخل المصطفى صلى الله عليه وسلم حماما ولعله
ما راه بعينه هذا كلامه **وعن** فرقد السبخى انه ما دخل الحمام نبى قط **ويشكل**
عليه ما تقدم عن سليمان عليه الصلاة والسلام واعترض بعضهم قول ابن
القيم لعله صلى الله عليه وسلم ما راى الحمام بعينه بانه صلى الله عليه وسلم دخل
الشام وبها حمامات كثيرة فيبعد انه ما راها نعم لم ينقل انه صلى الله عليه وسلم
دخل شيا منها وفيه انه قد يقال هو صلى الله عليه وسلم لم يدخل من بلاد الشام الا
بصرى وجاز ان لا يكون بها حمام حين دخوله صلى الله عليه وسلم اليها **وفى** الطبرانى عن
ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مرفوعا شر البيوت الحمام تعلو فيه الاصوات وتكشف
فيه العورات فمن دخله فلا يدخله الا مستترا ورجاله رجال الصحيح الا شخص منهم فيه
مقال **وما احسن** قول الامام الغزالى ونعم البيت الحمام يطهر البدن ويذهب
الدرن ويذكر النار وبيس البيت الحمام يبدى العورة ويذهب الحيا فهذا
تعرض لافته وذاك تعرض لفائدته ولا باس بطلب الفائدة مع التحرز عن الافة
والحاصل ان الحمام تعتريه الاحكام الخمسة فيكون واجبا وحراما ومندوبا ومكروها
ومباحا والاصل فيه عند نا معاشر الشافعية الاباحة للرجال مع ستر العورة
مكروه للنساء مع ستر العورة حيث لا عذر وهو محمل ما جاء من كان يؤمن بالله واليوم
الاخر من نسائكم فلا يدخل الحمامات ومع عدم ستر العورة حرام وهو محمل ما جاء
الحمام حرام على نساء امتى **واول** من اتخذ الحمام فى القاهرة العزيز بن المعز العبيدى
احد الفواطم قال بعضهم ليس فى بنيان الحمام ما يعول عليه الا قول المصطفى صلى
الله عليه وسلم فى صفة عيسى عليه السلام كانما خرج من ديماس قال فخبره اصح حديث
فى هذا الباب وحديث اتقوا بيتا يقال له الحمام فمن دخله فليستتر وقال ابن عمر
فى وصف عيسى عليه السلام انما هو ادم وحلف بالله ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لم يقل فى عيسى انه احمر اى وانما قال ادم وانما اشتبه على الراوى واجاب
الامام النووى بان الراوى لم يرد حقيقة الحمرة بل ما قاربها اى والحمرة المقاربة

لها اى للادمة يقال لها ادمة اى كما يقال لها حمرة فلا مانع ولا منافاة قال صلى الله عليه
وسلم جاعد الشعر اى في شعره تلين وتكسر اقول ينبغي حمل جعد الذى جا في بعض الروايات
واذا ابو بعيسى جعد على هذا ثم رأيت النووي قال قال العلما المراد بالجعد هنا جعودة
الجسم وهو اجتماعه واكتنازه وليس المراد جعودة الشعر فليتامل والله اعلم تعلوه
صهبة اى يعلو شعره شقرة كانه عروة بن مسعود الثقفي اى رضي الله تعالى عنه
فانه بعد انصرافه صلى الله عليه وسلم عن الطايف لحق به قبل ان يدخل المدينة واسلم
ثم جا الى قومه ثقيف يدعوهم الى الاسلام فقتلوه وقال صلى الله عليه وسلم في حقه ان
مثله في قومه كمثل صاحب يس كما سياتى ذلك واما موسى عليه السلام فضخم
آدم اى اسمر ومن ثم كان خروج يده بيضا مخالف لونها لسائر لون جسده آية
طويل كانه من رجال شنوءة طايفة من اليمن اى ينسبون الى شنوءة وهو عبد الله بن كعب
من اولاد الازد لقب بذلك لشنآن كان بينه وبين اهله وقيل لانه كان فيه شنوءة
وهو التباعد من الادناس وفي رواية كانه من رجال ازد عمان وهو ابو حي من اليمن وعمان
هذه بضم العين المهملة وتخفيف الميم بلدة باليمن سميت بذلك لانه نزلها عمان
ابن سنان من ولد ابراهيم عليه الصلاة والسلام واما عمان بفتح العين وتشديد
الميم فبلدة بالشام سميت بذلك لان عمان بن لوط كان سكنها وكما يقال ازد عمان
يقال ازد شنوءة ورجال الازد معروفون بالطول قال صلى الله عليه وسلم كثير
الشعر غاير العينين متراكم الاسنان مقلص الشفتين خارج اللثة اى وهو
اللحم الذى حول الاسنان عابس واما ابراهيم عليه السلام فوالله انه لاشبه
الناس بي خلقا وفي رواية لم ار رجلا اشبه بصاحبكم ولا صاحبكم به منه يعني نفسه
تعجبا واعظموا ذلك اى وصار بعضهم يصفق وبعضهم يضع يده على راسه تعجبا
فقال المطعم بن عدى ان امرك قبل اليوم كان امما يسيرا غير قولك اليوم وانا
اشهد انك كاذب نحن نضرب اكباد الابل الى بيت المقدس مصعدا شهرا ومنحدرا
شهرا تزعم انك اتيته في ليلة واحدة واللات والعزى لا اصدقك وما كان هذا الذى
تقول قط وقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه يا مطعم بئس ما قلت لابن اخيك جبهته
اى استقبلته بالمكروه وكذبته انا اشهد انه صادق وفي رواية حين حدثهم بذلك
ارتد ناس كانوا اسلموا اى وحينئذ قول المواهب فصدقه الصديق وكل من امن
بالله فيه نظر الا ان يراد من ثبت على الايمان وفي رواية سعى رجال من المشركين الى ابى
بكر فقالوا هل لك الى صاحبك يزعم انه اسرى به الليلة الى بيت المقدس قال وقد
قال ذلك قالوا نعم قال لئن قال ذلك لقد صدق قالوا تصدقه انه ذهب الى بيت

المقدس

المقدس وجاء قبل ان يصبح قال نعم اني لاصدقه فيما هو ابعد من ذلك اصدقه في خبر
السما في غدوة اى وقت ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس وروحة اى وهى اسم للوقت
من الزوال الى الليل اى وهذا تفسير لهما بحسب الاصل والا فالمراد انه ليخبرني ان الخبر
لياتيه من السما الى الارض في ساعة من ليل او نهار فاصدقه فهذا اى مجي الخبر له من
السما بواسطة الملك ابعد مما تعجبون منه اى وحينئذ يجوز ان يكون قول ابى بكر
للمطعم ما تقدم كان بعد هذا القول اى قاله بعد ان اجتمع به وقد بلغه مقالته فلا
مخالفة بين الروايتين والى اسرائه صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى
وتحديثه قريشا بذلك اشار صاحب الهمزية بقوله

حظى المسجد الحرام بممشا ه ولم ينس حظه ايلياء
ثم وافى يحدث الناس شكرا اذ اتته من ربه النعماء

اى جميع حرم مكة حصل له الحظ الاوفر بممشاه صلى الله عليه وسلم فيه ففضل ساير
البقاع ولم ينس حظه من ممشاه صلى الله عليه وسلم بيت المقدس بل شرفه الله تعالى
بمشيه فيه ايضا ففضل على ما عدا المسجدين اى مسجد مكة ومسجد المدينة ثم وافى صلى
الله عليه وسلم مكة يحدث الناس لاجل قيامه بالشكر لله تعالى او حال كونه شاكرا له
تعالى وقت او لاجل ان اتته من ربه النعماء في تلك الليلة ثم قال المطعم يا محمد
صف لنا بيت المقدس اراد بذلك اظهار كذبه وقيل القايل له ذلك ابو بكر قال له
صفه لي فاني قد جيته اراد بذلك اظهار صدقه لقومه فقال دخلته ليلا وخرجت منه
ليلا فاتاه جبريل عليه السلام فصوره في جناحه اى جا بصورته ومثاله في جناحه
فجعل يقول باب منه كذا في موضع كذا وباب منه كذا في موضع كذا وابو بكر رضي الله تعالى
عنه يقول اشهد انك رسول الله حتى اتى على اوصافه اى ومعلوم ان من ذهب الى بيت
المقدس من قريش يصدق على ذلك ايضا وفي رواية لما كذبتني قريش اى وسالتني عن
اشيا تتعلق ببيت المقدس لم اثبتها اى قالوا له كم للمسجد من باب فكربت كربا شديدا
لم اكرب مثله قط ثم في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس اى فجلي بتشديد اللام وربما
خففت كشفه لي اى بوجود صورته ومثاله في جناح جبريل وفي رواية فجي بالمسجد اى
بصورته وانا انظر اليه حتى وضع اى بموضع محله الذى هو جناح جبريل فلا مخالفة
بين الروايات وهذا من باب التمثيل ومنه رؤيته الجنة والنار في عرض الحائط لا من
باب طى المسافة وزوى الارض ورفع الحجب المانعة من الاستطراق الذى ادعى الجلال
السيوطى انه احسن ما يحمل عليه حديث رفع بيت المقدس حتى راه النبي صلى الله
عليه وسلم بمكة حال وصفه اياه لقريش صبيحة الاسرا اذ ذاك لايجامع مجيه

صورته في جناح جبريل وإنما قلنا ان ذلك من باب التمثيل لان من المعلوم أن أهل بيت المقدس لم يفقدوه تلك الساعة من بلدهم فرفعه انما هو برفع محله الذي هو جناح جبريل ثم رأيت ابن حجر الهيتمي قال الاظهر أنه رفع بنفسه كالمجيء بعرش بلقيس الى سليمان في طرفة عين وكأن من توقف فيه بان عرش بلقيس فقد علا وبيت المقدس وكان ذلك التجلي عند دار عقيل ثم درأتها عند الصفا وانها استمرت في يد اولاد عقيل الى الآن الى ان اشتراها يوسف اخو الحجاج وأما زبيدة او الخيزران جعلتها مسجدا لما حجت كما تقدم وتقدم ما فيه قال صلى الله عليه وسلم فطفقت اي جعلت اخبرهم عن اياته اي علاماته وانا انظر اليه اي وذلك قبل ان تحول الابنية بين الحجر وتلك الدار لقوله صلى الله عليه وسلم قمت في الحجر وهم يصدقونه صلى الله عليه وسلم على ذلك ومن ثم قيل ان حكمة تخصيص الاسرا الى المسجد الاقصى لان قريشا تعرفه فيسألونه عنه فيخبرهم بما يعرفونه مع علمهم انه صلى الله عليه وسلم لم يدخل بيت المقدس قط فتقوم الحجة عليهم وكذلك وقع واما قول المواهب ولهذا لم يسألوه صلى الله الله عليه وسلم عما رأى اي في السما لانه لا عهد لهم بذلك يقتضي سياقه انه اخبرهم بالمعراج عند اخباره لهم بالاسرا وسيأتي ما يخالفه على انه سيأتي انه قيل ان المعراج كان بعد الاسرا في ليلة اخرى وقيل في حكمة ذلك ايضا ان باب السماء الذي يقال له مصعد الملائكة يقابل بيت المقدس فيحصل العروج مستويا من غير تعويج قال الحافظ ابن حجر وفيه نظر لوروده ان في كل سما بيتا معمورا وان الذي في السما الدنيا حيال الكعبة فكان المناسب ان يصعد من مكة ليصل الى البيت المعمور من غير تعويج هذا كلامه ويقال عليه وان سلم ذلك لم يكن الباب في تلك الجهة فان ثبت ان في السما بابا يقابل الكعبة اتجه سؤاله قالت نبعة جارية ام هانئ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يومئذ يا ابا بكر ان الله قد سماك الصديق اي ومن ثم كان علي رضي الله تعالى عنه يحلف بالله ان الله تعالى انزل اسم ابي بكر من السما الصديق **واما ما رواه** اسحاق بن بشر بسنده الى ابي ليلى الغفاري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيكون بعدي فتنة فاذا كان ذلك فالزموا علي بن ابي طالب فانه اول من يراني واول من يصافحني يوم القيامة وهو الصديق الاكبر وهو فاروق هذه الامة يفرق بين الحق والباطل وهو يعسوب المؤمنين والمال يعسوب المنافقين قال في الاستيعاب اسحق بن بشر لا يحتج بنقله اذا انفرد لضعفه ونكارة احاديثه هذا كلامه وفي مسند البزار بسند ضعيف انه صلى الله عليه وسلم قال لعلي بن ابي طالب انت الصديق الاكبر

وانت الفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل وفي رواية ان كفار قريش لما اخبرهم بالاسرا الى بيت المقدس ووصفه لهم قالوا له ما آية ذلك يا محمد اي ما العلامة الدالة على هذا الذي اخبرت به فانا لم نسمع بمثل هذا قط اي هل رأيت في مسراك وطريقك ما نستدل بوجوده على صدقك اي لان وصفك لبيت المقدس يحتمل ان يكون حفظته عمن ذهب اليه قال آية ذلك اني مررت بعير بني فلان بوادي كذا فانفرهم اي انفر عيرهم حس الدابة يعني البراق فند لهم بعير اي شرد فدللتهم وانا متوجه الى الشام ثم اقبلت حتى اذا كنت بمحل كذا مررت بعير بني فلان فوجدت القوم نياما ولهم اناء فيه ماء قد غطوا عليه بشيء فكشفت غطاه وشربت ما فيه ثم غطيت عليه كما كان وفي كلام بعضهم فعثرت الدابة يعني البراق فقلبت بحافرها القدح الذي فيه الما الذي كان يتوضأ به صاحبه في القافلة وشرب الما الذي للغير جائز لانه كان عند العرب كاللبن مباحا لكل مجتاز من ابنا السبيل على ان من خصائصه صلى الله عليه وسلم ان له ان ياخذ ما يحتاج اليه من مالكه المحتاج اليه ويجب على مالكه حينئذ بذله واما الجواب عن ذلك بانه مال حربي غير صحيح لان هذا كان قبل مشروعية الجهاد ومع عدم مشروعية الجهاد لا يحل مال اهل الحرب لانه لا يحل قتالهم لان الواجب حينئذ مسالمتهم ولا يتم الا بترك التعرض لاموالهم كنفوسهم قاله ابن حجر في شرح الهمزية لكن في قطعة التفسير للجلال المحلي في تفسير قوله تعالى فرددناه الى امه كي تقر عينها ان امه ارضعته باجرة وساغ لها اخذها لانها مال حربي اي من مال فرعون الا ان يقال ذاك اي اخذ مال الكافر جائز في شريعتهم قال وآية ذلك اي علامته المصدقة لما اخبر به صلى الله عليه وسلم انهم الان يصوبون من الثنية يقدمهم جمل اورق هو ما بياضه الى سواد وهو اطيب الابل لحما عند العرب ولحمه عملا عندهم اي ليس بمحمود عندهم في عمله وسيره عليه غرارتان احداهما سودا والاخرى برقا اي فيها بياض وسواد كما تقدم فابتدر القوم الثنية فاول ما لقيهم الجمل الاورق عليه الغرارتان فسألوهم عن الاناء وعن بقايا الماء وعن ند البعير وعن الشخص الذي دلهم فصدقوا قوله **اقول** قد علم ان العير التي نفرت وند منها البعير ودلهم عليه مر عليها صلى الله عليه وسلم وهو ذاهب الى الشام والعير التي كان فيها الاناء التي كان فيها الما الذي شربه صلى الله عليه وسلم مر عليها وهو راجع الى مكة وهي التي صوبت من الثنية وحينئذ لا يحسن سؤال اهلها عما وقع لاهل تلك العير وتصديقهم له صلى الله عليه وسلم فيما اخبر الا ان يقال يجوز ان تكون هذه العير التي مر عليها صلى الله عليه وسلم

في العود اجتمعت في عودها بتلك العير الذاهبة الى الشام واخبروهم بما ذكره والله اعلم
وفي رواية قالوا يا مطعم دعنا نسأله عما هو اغنى لنا من بيت المقدس اي فقولهم ذلك
كان بعد ان اخبرهم بنعت بيت المقدس يا محمد اخبرنا عن عيرنا اي عيراتنا الذاهبة والآتية
هل لقيت منها شيأ فقال نعم اتيت على عير بني فلان بالروحاء اي وهو محل قريب من المدينة
اي بينه وبين المدينة ليلتان قد اضلوا ناقة لهم فانطلقوا في طلبها فانتهيت
الى رحالهم ليس بها منهم احد واذا قدح ما فشربت منه فسألوهم عن ذلك فقالوا هذه
واللات والعزى اية اي علامة **اقول** وهذه العير هي التي مر صلى الله عليه وسلم
عليها في المعود وهي قاصدة الى مكة وفي هذه الرواية زيادة انهم اضلوا ناقة وتقدم
في تلك الرواية انه صلى الله عليه وسلم وجدهم نياما وفي هذه الرواية انه ليس بها منهم
احد وقد يقال لا تخالف بين الروايتين لانه يجوز ان يكون الراوي اسقط منها
الزيادة وهي اضلال الناقة وان قوله صلى الله عليه وسلم ليس بها منهم احد اي
مستيقظ بل بعضهم ذهب في طلب تلك الناقة وبعضهم كان نائما لكن في هذه الرواية
انه صلى الله عليه وسلم مر عليها وهي بالروحاء وهو لا يناسب قوله في تلك انها الآن تصوب
من الثنية لان كونها تاتي من الروحاء الى مكة في ليلة واحدة من ابعد البعيد
الا ان يقال ان الروحاء مشترك بين المحل المعروف المتقدم ذكره ومحل آخر
قريب من مكة ثم قال صلى الله عليه وسلم فانتهيت الى عير بني فلان فنفرت منها
اي من الدابة التي هي البراق الابل اي التي هي العير وبرك منها جمل احمر عليه
جوالق مخطط ببياض لا ادري اكسر البعير ام لا وهذه الرواية يحتمل انها
عير ثالثة ويمكن ان تكون هي الاولى اسقط منها قوله في هذه وبرك منها
جمل الى آخره كما اسقط من هذه قوله في تلك فند لهم بعير **وفي** رواية ثم انتهيت
الى عير بني فلان بمكان كذا وكذا فيها جمل عليه غرارة سوداء وغرارة بيضاء فلما حاذت
العير نفرت وصرع ذلك البعير وانكسر اي واضلوا بعيرا لهم قد جمعه فلان اي
بدلا ليتي لهم عليه فقالوا هذه واللات والعزى اية قال ثم انتهيت الى عير بني
فلان بالابواء اي وهو كما تقدم غير مرة انه محل بين مكة والمدينة يقدمها جمل اورق
اي بياضه الى سواد كما تقدم وها هي تطلع عليكم من الثنية فانطلقوا لينظروا
فوجدوا الامر كما قال فقالوا صدق الوليد فيما قال اي في قوله انه ساحر
وانزل الله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس وهذا يدل على
ان المراد رؤيا الاسراء وانها رؤيا العين وانه يقال في مصدر رأى رؤيا بالالف كما
يقال رؤية لكن خلافا لمن انكر ذلك اذ لو كان رؤيا الاسراء مناما لما انكر عليه

في ذلك

في ذلك اي وقيل نزلت وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم ولد الحكم بن ابي العاص
ابو مروان وهم بنو امية على منبره كانهم القردة اي وقد ورد ارأيت بني مروان
ينعاورون منبري **وفي** لفظ يترون على منبري نزو القردة زاد في رواية فما
استجمع صلى الله عليه وسلم ضاحكا حتى مات وانزل الله تعالى في ذلك وما جعلنا
الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس وفي رواية فنزل انا انزلناه في ليلة القدر
وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر قال بعضهم اي خير
من الف شهر يملكها بعده بنو امية فان مدة ملك بني امية كانت اثنين وثمانين
سنة وهي الف شهر وكانت جميع من ولي الخلافة منهم اربعة عشر رجلا اولهم معاوية
واخرهم مروان بن محمد وقد قيل لبعضهم ما سبب زوال ملك بني امية مع كثرة
العدد والعدد والاموال والموالي فقال ابعدوا اصدقاءهم ثقة بهم وقربوا اعداهم
جهلا منهم فصار الصديق بالابعاد عدوا ولم يصر العدو صديقا بالتقريب اه
وحديث رأيت بني مروان قال الترمذي هو حديث غريب وقال غيره منكر
قال صلى الله عليه وسلم ورأيت بني العباس يتعاورون منبري فسرني ذلك وقيل
ان هذه الاية وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس انما انزلت في رؤيا
الحديبية حيث رأى صلى الله عليه وسلم انه واصحابه يدخلون المسجد محلقين
رؤسهم ومقصرين ولم يوجد ذلك بل صدهم المشركون وقال بعض الصحابة له
الم تقل انك تدخل مكة امنا قال بلى افقلت لكم من عامي هذا قالوا لا قال هو
كما قال لي جبريل كما سيأتي ذلك في قصة الحديبية وقيل انما نزلت هذه
الاية في رؤيا وقعة بدر حيث اراه جبريل مصارع القوم ببدر فاري النبي صلى
الله عليه وسلم الناس مصارعهم فتسامعت بذلك قريش فسخروا منه اي
ولا مانع من تعدد نزول الاية لهذه الامور فقد يتعدد النزول لاينافي تعدد اسبابه
اي وذلك اذا تقدمت الاسباب ويروى انه عين لهم اليوم الذي تقدم فيه
العير اي وقالوا له متى تجيء قال لهم يأتونكم يوم كذا وكذا يقدمهم جمل ادم عليه
مسح ادم وغرارتان فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش ينتظرون ذلك وقد
ولى النهار ولم تجيء حتى كادت الشمس ان تغرب اي دنت للغروب فدعى الله تعالى
فحبس الشمس عن الغروب حتى قدم العير اي كما وصف صلى الله عليه وسلم **اقول**
يجوز ان يكون هذا بالنسبة لبعض العيران التي مر عليها فلا يخالف ما تقدم
انه صلى الله عليه وسلم قال في بعض العيران انها الان تصوب من الثنية
والى حبس الشمس عن المغيب اشار الامام السبكي في تائيته بقوله

هم

وشمس الضحى طاعتك وقت مغيبها • فما غربت بل وافقتك بوقفة •
وجاء في بعض الروايات أنها حبست له صلى الله عليه وسلم عن الطلوع ففي رواية
أن بعضهم قال له اخبرنا عن عيرنا قال لم مررت بها بالتنعيم قالوا فما عدتها واحمالها
ومن فيها فقال كنت في شغل عن ذلك ثم قيل له ذلك فاخبر بعدتها وعدة
احمالها وعدة من فيها وقال تطلع عليكم عند طلوع الشمس فحبس الله الشمس عن
الطلوع حتى قدمت تلك العير فلما خرجوا لينظروا فاذا قايل يقول هذه
الشمس قد طلعت وقال اخر وهذه العير قد اقبلت فيها فلان وفلان كما
اخبر محمد وعلى تقدير صحة هذه الرواية يجاب عنها بمثل ما تقدم والله اعلم
وحبس الشمس وقوفها عن السير اي عن الحركة بالكلية وقيل بطوء حركتها
وقيل ردها الى ورائها قالوا ولم تحبس له صلى الله عليه وسلم الا في ذلك اليوم
وما قيل انها حبست له يوم الخندق عن الغروب ايضا حتى صلى الله عليه وسلم
صلى العصر معارض بانه صلى الله عليه وسلم صلى العصر بعد الغروب وقال
شغلونا عن الصلوة الوسطى كما سياتي ثم رايت في كلام بعضهم ما يوخذ
منه الجواب وهو ان وقعة الخندق كانت اياما فحبست الشمس في بعض تلك الايام
الى الاحمرار او الاصفرار وصلى حينئذ وفي بعضها لم تحبس بل صلى بعد المغرب قال
ذلك البعض ويويده ان راوي التاخير الى المغرب غير راوي التاخير الى الحمرة
او الصفرة وجاء في رواية ضعيفة ان الشمس حبست عن الغروب لداود وذكر
البغوي انها حبست كذلك لسليمان عليه السلام اي فعن علي بن ابي طالب رضي الله
تعالى عنه ان الله امر الملايكة الموكلين بالشمس حتى ردوها على سليمان حتى صلى
العصر في وقتها وهذا ردها لا حبسها عن غروبها الذي الكلام فيه والذي
في كلام بعضهم انها غربت سيدنا سليمان سوق خيله واعناقها حيث الهاه
عرضها عليه عن صلاة العصر حتى كادت الشمس ان تغرب فلم يتصدق بها مبادرة
لتعظيم امر الله تعالى بالصلاة في وقتها لان التصدق يحتاج الى صرف زمن في دفعها
ولاخذها وحبست كذلك ليوشع بن اخت موسى عليهم السلام وهو ابن نون
ابن يوسف الصديق عليه السلام اي وهو الذي قام بالامر بعد موسى لان
موسى عليه السلام لما وعده الحق سبحانه وتعالى ان يورثه وقومه بنوا اسرايل
الارض المقدسة التي هي ارض الشام وكان سكنها الكنعانيون الجبارون
وامرهم بقتال اوليك الجبارين وهم العماليق سار بمن معه وهم ستمائة الف
مقاتل حتى نزل قريبا من مدينتهم وهي اريحا فبعث اليهم اثني عشر رجلا

من كل سبط واحدا ليا توه بخبر القوم فدخلوا المدينة فراوا امرا هايلا
من عظم اجسامهم فقد ذكر بعضهم انه راى في قحف اي نقرة عين رجل
منهم ضبعة رابضة اي جالسة هي واولادها حولها والقحف في الاصل الطرق
الواسع واستظل سبعون رجلا من قوم موسى في قحف رجل اي في عظم اعلا
راسه وفي العرايس وكان لا يحمل عنقود عنبهم الا خمسة انفس منهم ويدخل
في قشرة الرمانة اذا نزع حبها خمسة انفس او اربعة وان رجلا من العمالقة اخذ
الاثني عشر ووضعهم في كمه مع فاكهة كانت فيه وجاء بهم الى ملكهم فسالهم
فقالوا نحن عيون موسى فقال ارجعوا واخبروه وفي العرايس انه عوج بن عناق
احدى بنات ادم من صلبه ويقال انها اول بغي في الارض وفي العرايس انه لما
لقيهم كان على راسه حزمة حطب واخذ الاثني عشر في حجره وانطلق بهم لامراته
وقال انظري الى هولاء القوم الذين يزعمون انهم يريدون قتالنا وطرحهم بين يديها
وقال الا اطحنهم برجلي فقالت امراته لا ولكن خل عنهم حتى يخبرون قومهم بما
راوا ففعل ذلك فلما رجعوا اخبروا موسى فقال اكتموا خوفا ان بني اسرايل يفشلوا
ويرتدوا عن موسى فلم يفعلوا واخبر كل واحد سبطه بشدة ما راه من امر هولاء
الهايل ففشلوا وجبنوا عن القتال الا رجلان لم يخبرا سبطهما وهما يوشع بن نون
من سبط يوسف وكالب بن يوقنا من سبط بنيامين وقالوا لموسى اذهب انت
وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون فدعى عليهم وقال رب اني لا املك الا نفسي
واخي اي فانه لم يبق معه موافق يثق به غير اخيه هرون وكالب ويوشع وهما
المذكوران بقوله تعالى قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم
الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون لان الله منجز وعده وانا قد خبرناهم فوجدنا
اجسامهم عظيمة وقلوبهم ضعيفة فلا تخشوهم وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مومنين
وحينئذ يكون مراد موسى بقوله واخي من واخاه وافقه لا خصوص هرون
ثم دعى بقوله فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين اي باعد بيننا وبينهم فضرب
عليهم التيه فتاهوا اي تحيروا في ستة فراسخ من الارض يمشون النهار كله
ثم يمسون حيث اصبحوا ويصبحون حيث امسوا وانزل الله تعالى عليهم المن
والسلوى لانهم شغلوا عن المعاش وابقيت عليهم ثيابهم لا تخلق ولا تتسخ
وتطول مع الصغير اذا طال وظلل عليهم الغمام من الشمس فلما راى موسى
عليه الصلاة والسلام ما بهم من التعب ندم على دعائه عليهم وفي حياة
الحيوان لما عبد بنوا اسرايل العجل اربعين يوما عوقبوا بالتيه اربعين سنة

لكل يوم سنة فاوحى الله تعالى له فلا تاس تحزن على القوم الفاسقين اى
الذين فسقوا اى خرجوا عن امرك هذا لي انسى الجليل ومن عجيب الاتفاق
ان اريحا هذه كانت فى زمن بنى اسرائيل منزل الجبارين وفى زمن الاسلام منزل
حكام الشرطة فانها الان قرية من قرى بيت المقدس ثم مات موسى وهارون
بالتيه مات هرون اولا ثم موسى بعد سنتين وفى ذلك رد على من قال ان قبر
هارون اخى موسى باحد كما سياتى وفيه رد ايضا على من قال موسى مات قبل
هارون وانه دفنه وقيل ان هرون راى سريرا فى بعض الكهوف فقام عليه فمات
وان بنى اسرائيل قالوا قتل موسى هارون حسدا له على محبة بنى اسرائيل له فقال
لهم موسى ويحكم كان اخى ووزيرى افترون انى اقتله فلما اكثروا عليه قال فصلى
ركعتين ثم دعى فنزل السرير الذى قام عليه فمات حتى نظروا اليه بين السماء
والارض فصدقوه وعلى القول الاول ان موسى انطلق ببنى اسرائيل الى قبره ودعا الله
ان يحييه فاحياه الله تعالى واخبرهم انه مات ولم يقتله موسى وعند ذلك
قام بالامر يوشع بن نون المذكور اى فان موسى لما احتضر اخبرهم بان يوشع بعده
نبى وان الله امره بقتال الجبابرة فسار بهم يوشع وقاتل الجبارين وكان يوم
الجمعة ولما كادوا يفتحونها كادت الشمس ان تغرب فقال للشمس ايتها الشمس انك
مامورة وانا مامور بحرمتى عليك الا ركدت اى مكثت ساعة من النهار وفى
رواية قال اللهم احبسها على فحبسها الله تعالى حتى افتتح المدينة اى قال ذلك
خوفا من دخول السبت المحرم عليهم فيه المقاتلة وقد عبر الامام السبكى
عن حبسها ليوشع بردها فى قوله

وردت عليك الشمس بعد مغيبها ● كما انها قدما ليوشع ردت

ولولا قوله بعد مغيبها لما اشكل وامكن ان يراد بالرد وقوفها وعدم غروبها
ومن ثم ذكر ابن كثير فى تاريخه ان فى حديث رواه الامام احمد وهو على شرط
البخارى ان الشمس لم تحبس لبشر الا ليوشع ليالى سار الى بيت المقدس
وفيه دلالة على ان الذى فتح بيت المقدس هو يوشع بن نون لا موسى وان حبس
الشمس كان فى فتح بيت المقدس لا فى فتح اريحا هذا كلامه وهو خلاف السياق
وفى العرائس ان موسى عليه السلام لم يمت فى التيه بل سار ببنى اسرائيل الى
اريحا وعلى مقدمته يوشع فدخل يوشع وقتل الجبارين ثم دخلها موسى ببنى
اسرائيل فاقام فيها ما شاء الله ثم قبض ولا يعلم موضع قبره من الخلق احد قال
وهذا اولى الاقاويل بالصدق واقربها الى الحق وذكر بعد ذلك ان موسى لما حضرته

الوفاة قال يا رب ادننى من الارض المقدسة برمية حجر فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لو انى عنده لاريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر وذكر ابن
كثير وقوله صلى الله عليه وسلم لم تحبس لبشر يدل على ان هذا من خصائص يوشع عليه
السلام وقيل يدل على ضعف الحديث الذى رويناه ان الشمس حبست اى بعد مغيبها اى فى
خيبر كما سنذكره هنا حتى صلى على بن ابى طالب العصر بعدما فاتته بسبب نوم النبى
صلى الله عليه وسلم على ركبته وهو الدال على نقله وتفردت بنقله امراة من اهل
البيت مجهولة لا يعرف حالها هذا كلامه وسياتى قريبا ما فيه على ان قوله صلى الله
عليه وسلم لم تحبس لبشر اى غيرى صلى الله عليه وسلم وقد علمت ان الحبس لها يكون
شاملا لها عن مغيبها والرد لها يكون بعد مغيبها فليتامل وفى كلام سبط ابن
الجوزى ان فى حبسها ورجوعها مشكل لانها لو تخلفت او ردت لاختلت الافلاك
ولفسد النظام قلت حبسها وردها من باب المعجزات ولا مجال للقياس فى خرق
العادات وذكر انه وقع لبعض الوعاظ ببغداد قعد ليعظ بعد العصر
ثم اخذ فى ذكر فضائل اهل البيت فجاءت سحابة غطت الشمس فظن الناس
الحاضرون ان الشمس غابت فارادوا الانصراف فاشار اليهم ان لا تتحركوا ثم
ادار وجهه الى ناحية المغرب وقال

لا تغربى يا شمس حتى ينتهى ● مدحى لآل المصطفى ولنجله
ان كان للمولى وقوفك فليكن ● هذا الوقوف لولده ولنسله

فطلعت الشمس فلا يحصى ما رمى عليه من الحلى والثياب هذا كلامه ولما افتتحوا
المدينة التى هى اريحا اصابوا بها اموالا عظيمة وكانوا اى الامم السابقة اذا اصابوا
الغنائم قربوها فتجىء النار فتاكلها اى اذا لم يكن فيها غلول كما تقدم فمجىء النار
واكلها دليل على قبولها ولم تحل الا لنبينا صلى الله عليه وسلم كما سياتى فلما
اصابوا تلك الغنائم قربوها فلم تجىء اليها النار فقالوا له يا نبى الله ما لها لا تاكل
قرباننا قال فيكم الغلول فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل راس سبط وصافحه
فلصق كف واحد منهم فى كف يوشع فقال الغلول فى سبطك فقال كيف اعلم
ذلك قال تصافح واحدا بعد واحد فلصقت كفه بكف واحد منهم فسئل فقال
نعم رايت راس بقرة من ذهب عيناها من ياقوت واسنانها من لؤلؤ فاعجبتنى
فغللتها فجاء بها ووضعها فى الغنيمة فجاءت النار فاكلتها وذكر البغوى ان الشمس
حبست عن الطلوع لموسى عليه السلام كما حبست كذلك لنبينا صلى الله عليه وسلم
كما تقدم وكذا القمر حبس لموسى عليه السلام عن الطلوع له فعن عروة بن الزبير

قال ان الله حين امر موسى عليه السلام بالسير ببني اسرائيل الى بيت المقدس
امره ان يحمل معه عظام يوسف عليه السلام وان لا يخلفها بارض مصر وان
يسيرها حتى يضعها بالارض المقدسة اى وفاء بما اوصى به يوسف فقد ذكر ان يوسف
فقد ذكر ان يوسف لما ادركته الوفاة اوصى ان يحمل الى مقابر ابائه فمنع اهل مصر
اولياءه من ذلك فسال موسى عمن يعرف موضع قبر يوسف فما وجد احدا يعرفه
الا عجوزا من بني اسرائيل فقالت له يا نبي الله انا اعرف مكانه فادلك عليه ان
كنت اخرجتني معك ولم تخلفني بارض مصر قال افعل وفي لفظ انها قالت اكون
معك في الجنة فكانه ثقل عليه ذلك فقيل له اعطها طلبتها فاعطاه وقد كان
موسى عليه الصلاة والسلام وعد بني اسرائيل ان يسير بهم اذا طلع القمر فدعا
ربه ان يؤخر طلوعه حتى يفرغ من امر يوسف عليه السلام ففعل فخرجت العجوز
حتى ارته اياه في ناحية من النيل وفي لفظ في مستنقعة ماء اى وتلك المستنقعة
في ناحية من النيل فقالت لهم انضبوا عنها الماء اى ارفعوه عنها ففعلوا قالت احفروا
فحفروا واخرجوه وفي لفظ انها انتهت به الى عمود على شاطئ النيل اى في ناحية
منه فلا يخالف ما سبق في اصله سكة من حديد فيها سلسلة اى ويجوز ان يكون
حضورهم الواقع في تلك الرواية كان على ظهر تلك السكة فلا مخالفة ووجدوه
في صندوق من حديد في وسط النيل في الماء فاستخرجه موسى عليه الصلاة والسلام
في صندوق من مرمر اى داخل ذلك الصندوق الذي من الحديد فاحمله وفي انس
الجليل ان موسى عليه السلام جاءه شيخ له ثلاثمائة سنة فقال له يا نبي الله ما يعرف
قبر يوسف الا والدتي فقال له موسى قم معي الى والدتك فقام الرجل ودخل منزله
واتى بقفة فيها والدته فقال لها الك علم بقبر يوسف فقالت نعم ولا ادلك
على قبره الا ان دعوت الله تعالى ان يرد علي شبابي الى سبعة عشر سنة ويزيد
في عمري مثل ما مضى فدعا موسى لها وقال لها كم عمرك قالت له تسعمائة سنة
فعاشت الفا وثمانمائة سنة فارته قبر يوسف وكان في وسط نيل مصر ليمر
النيل عليه فيصل الى جميع مصر فيكونون شركا في بركته واما عود الشمس بعد غروبها
فقد وقع له صلى الله عليه وسلم في خيبر فعن اسماء بنت عميس انها قالت كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوحى اليه ورأسه في حجر علي ولم يسر على النبي صلى الله عليه وسلم
حتى غربت الشمس وعلي لم يصل العصر اى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
اصليت العصر فقال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان في طاعتك
وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت اسماء فرأيتها طلعت بعدما غربت

قال بعضهم لا ينبغي لمن سبيله العلم ان يتخلف عن حفظ هذا الحديث لانه من اجل
اعلام النبوة وهو حديث متصل وقد ذكر في الامتاع انه جاء عن اسماء من خمسة
طرق وذكرها وبه يرد ما تقدم عن ابن كثير بانه تفردت بنقله امراة من اهل البيت
مجهولة لا يعرف حالها وبه يرد على ابن الجوزي حيث قال فيه هذا حديث موضوع
بلا شك لكن في الامتاع ذكر في خامس الطرق ان عليا اشتغل مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في قسمة الغنائم يوم خيبر حتى غابت الشمس فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا علي صليت العصر قال لا يا رسول الله فتوضأ رسول الله
صلى الله عليه وسلم وجلس في المجلس فتكلم بكلمتين او ثلاثة كانها من كلام الحبشي
فارتجعت الشمس كهيئتها في العصر فقام علي فتوضأ وصلى العصر ثم تكلم
رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ما تكلم به قبل ذلك فرجعت الى مغربها فسمعت
لها صريرا كالمنشار في الخشب وذلك مخالف لسائر الطرق الا ان يدعى ان هذه
الطريق فيها حذف والاصل اشتغل مع النبي صلى الله عليه وسلم في قسمة غنائم
خيبر ثم وضع راسه في حجر علي وناما استيقظا حتى غابت الشمس فلا مخالفة
قال وجاء انه صلى الله عليه وسلم قبل وصوله الى بيت المقدس ساروا حتى بلغوا
ارضا ذات نخل فقال له جبريل انزل فصل ههنا فنزل فصلى ثم ركب فقال اتدرى اين
صليت قال لا قال صليت بطيبة واليها المهاجرة وسيأتي ما فيه من الكلام على
الهجرة فانطلق البراق يهوي يضع حافره حيث ادرك طرفه حتى بلغ ارضا فقال
له جبريل انزل فصل ههنا ففعل ثم ركب فقال له جبريل اتدرى اين صليت قال لا
فقال صليت بمدين اى وهي قرية تلقاء غزة عند شجرة موسى سميت باسم مدين
ابن ابراهيم لما نزلها ثم ركب فانطلق البراق يهوي به ثم قال انزل فصل ففعل ثم
ركب فقال له اتدرى اين صليت قال لا قال صليت ببيت لحم اى وهي قرية تلقاء بيت
المقدس حيث ولد عيسى عليه السلام اى وفي الهدى وقيل انه نزل ببيت
لحم وصلى فيه ولا يصح عنه ذلك البتة وبينما هو يسير على البراق اذ رأى عفريتا
من الجن يطلبه بشعلة من نار كلما التفت راه فقال له جبريل الا اعلمك كلمات
تقولهن اذا قلتهن طفئت شعلته وخر لفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بلى فقال جبريل قل اعوذ بوجه الله الكريم وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن
بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر ما ذرأ في الارض
ومن شر ما يخرج منها ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار
الا طارقا يطرق بخير يا رحمن اى فقال ذلك فانكب لفيه وطفئت شعلته

ورأى حال المجاهدين في سبيل الله اي كشف له عن حالهم في دار الجزاء بضرب ه
مثال فرأى قوما يزرعون في يوم اي في وقت ويحصدون في يوم اي في ذلك الوقت
كما يرشد اليه الحال كلما حصدوا اعاد كما كان فقال يا جبريل ما هذا قال هؤلاء المجاهدون
في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف وما انفقوا من خير فهو يخلفه
هذا انما هو المناسب لحالهم دون الاول فالاولى الاقتصار عليه الا ان يدعى انه
صلى الله عليه وسلم شاهد الحصاد والعود العدد المذكور الذي هو سبعمائة مرة على ان
المضاعفة المذكورة لا تختص بالمجاهدين فقد جاء كل عمل ابن آدم يضاعف
الحسنة بعشرة امثالها الى سبعمائة ضعف الا ان يقال المراد تكرار الجزاء المذكور
للمجاهدين امر مؤكد لا يكاد يتخلف وفي غيرهم بخلافه ووجد صلى الله عليه وسلم
ريح ماشطة بنت فرعون ووجد داعي اليهود وداعي النصارى فاما الاول
فقد رأى عن يمينه داعيا يقول يا محمد انظرني اسألك فلم يجبه فقال ما هذا
يا جبريل فقال هذا داعي اليهود اما انك لو اجبته لتهودت امتك اي لتمسكوا
بالتوراة والمراد غالب الامة واما الثاني فقد رآه عن يساره داعيا يقول يا محمد
انظرني اسألك فلم يجبه فقال ما هذا يا جبريل قال هذا داعي النصارى اما انك لو ه
اجبته لتنصرت امتك اي لتمسكت بالانجيل وحكمة كون داعي اليهود
على اليمين وداعي النصارى على اليسار لا تخفى ورأى صلى الله عليه وسلم حال الدنيا
اي كشف له عن حالها بضرب مثال فرأى امرأة حاسرة عن ذراعيها لان ذلك شان
المتعرض لغيره وعليها من كل زينة خلقها الله تعالى اي ومعلوم ان النوع الواحد
من الزينة يجلب القلوب اليه فكيف بوجود سائر انواع الزينة فقالت يا محمد
انظرني اسألك فلم يلتفت اليها فقال ما هذه يا جبريل قال تلك الدنيا اما انك لو
اجبتها لاختارت امتك الدنيا على الآخرة ورأى عجوزا على جانب الطريق فقالت يا محمد
انظرني اسألك فلم يلتفت اليها فقال من هذه يا جبريل فقال انه لم يبق من عمر الدنيا
الا ما بقي من عمر تلك العجوز اي فرأيتها لا ينبغي الالتفات اليها لانها عجوز شوهاء
لم يبق من عمرها الا القليل وليسطر لم لم يقل تلك الدنيا ولم يبق من عمرها الى
آخره وفي كلام بعضهم الدنيا قد يقال لها شابة وعجوز بمعنى يتعلق بذاتها
ومعنى يتعلق بغيرها الاول وهو حقيقة انها من اول وجود هذا النوع الانساني
الى ايام ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه بعدها تسمى الدنيا شابة وفيما
بعد ذلك الى بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم كهلة ومن بعد ذلك الى يوم القيامة
تسمى عجوزا واعترض بان الائمة صرحوا بان الشباب ومقابله انما يكون في الحيوان

ويجاب

ويجاب بان الغرض من ذلك التمثيل وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال
من يقبل الامانة مع عجزه عن حفظها بضرب مثل فاتى على رجل جمع حزمة حطب
عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال ما هذا يا جبريل قال هذا الرجل من امتك
يكون عنده امانات الناس لا يقدر على ادائها ويريد ان يحمل عليها وكشف له صلى
الله عليه وسلم عن حال من يترك الصلاة المفروضة في دار الجزاء فاتى على قوم ترضخ ه
رؤوسهم كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شيء فقال يا جبريل ما هؤلاء
قال هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة اي المفروضة عليهم وكشف
له صلى الله عليه وسلم عن حال من يترك الزكاة الواجبة عليه ثم اتى على قوم على اقبالهم
رقاع وعلى ادبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الابل والغنم ويأكلون الضريع وهو
اليابس من الشوك والزقوم ثمر شجر مر له زفرة قيل انه لا يعرف شجر الدنيا وانما
هو شجرة في النار وهي المذكورة في قوله تعالى انها شجرة تخرج في اصل الجحيم اي
منبتها في اصل الجحيم وتقدم الكلام عليها عند الكلام على المستهزئين ويأكلون رضف
جهنم اي حجارتها المحماة لان الرضف بالضاد المعجمة الحجارة المحماة التي يكوى
بها فقال من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات اموالهم المفروضة
عليهم وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال الزناة بضرب مثال ثم اتى على قوم بين
ايديهم لحم نضيج في قدور ولحم نيء ايضا في قدور خبيث فجعلوا يأكلون من ذلك النيء
الخبيث ويدعون النضيج الطيب فقال ما هذا يا جبريل قال هذا الرجل من امتك
يكون عنده المرأة الحلال الطيب فياتي امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح
والمرأة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا فتاتي رجلا خبيثا فتبيت عنده حتى
تصبح وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال من يقطع الطريق بضرب مثال
فاتى على خشبة لا يمر بها ثوب ولا شيء الا خرقته فقال ما هذه يا جبريل قال هذا
مثل اقوام من امتك يقعدون على الطريق فيقطعونه وتلا ولا تقعدوا بكل
صراط توعدون وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال من يأكل الربا اي حاله التي
يكون عليها في دار الجزاء فرأى رجلا يسبح في نهر من دم يلقم الحجارة فقال له من هذا قال
آكل الربا وقد شبهه الله تعالى في القرآن بقوله الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما
يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس اذا بعث الناس يوم القيامة خرجوا مسرعين
من قبورهم الا اكلة الربا فانهم لا يقومون من قبورهم الا مثل قيام الذي يتخبطه اي
يصرعه الشيطان فكلما قاموا سقطوا على وجوههم وجنوبهم وظهورهم ان المصروع
حاله ذلك اي فهذه حالهم في الذهاب الى المحشر زيادة على حالهم المتقدمة التي

التي تكون في دار الجزا **وكشف** له صلى الله عليه وسلم عن حاله من يعظ ولا يتعظ
الى على قوم تقرض السنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت لا يفتر
عنهم من ذلك شي فقال من هولا يا جبريل فقال هولا خطبا الفتنة خطبا امتك
يقولون ما لا يفعلون **وكشف** له صلى الله عليه وسلم عن حال المغتابين للناس فمر
على قوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقال من هولا يا جبريل
فقال هولا الذين ياكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم **وكشف** له صلى الله
عليه وسلم عن حال من يتكلم بالفحش بضرب مثال فاتى على حجر صغير يخرج منه ثور
عظيم فجعل الثور يريد ان يرجع من حيث يخرج فلا يستطيع فقال ما هذا يا جبريل
فقال هذا الرجل من امتك يتكلم الكلمة العظيم ثم يندم عليها فلا يستطيع ان يردها
وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال من احوال الجنة فاتى على واد فوجد بها طيبة
باردة وريح المسك وسمع صوتا فقال يا جبريل ما هذا قال هذا صوت الجنة تقول
يا رب ايتني بما وعدتني اى لانه يجوز ان يكون محل الجنة من السما السابعة مقابل لذلك
الوادي **وكشف** له صلى الله عليه وسلم عن حال من احوال النار فاتى على واد
فسمع صوتا منكرا ووجد ريحا خبيثة فقال ما هذا يا جبريل قال هذا صوت جهنم
تقول يا رب ايتني بما وعدتني اى ولعليت جهنم بذلك الوادي كما سياتي ان الوادي
التي من به هو الذي بجنب بيت المقدس ولعل هذا الوادي مقابل لذلك الوادي وينبغي
ان لا يكون هذا هو المراد بما في الخصائص الصغرى للسيوطي وخص صلى الله
عليه وسلم باطلاعه على الجنة والنار بل المراد بذلك رؤية ذلك في المعراج **وعند**
وصوله صلى الله عليه وسلم الى الوادي الذي بجنب المقدس بالنسبة للنار **راى**
صلى الله عليه وسلم الدجال شبيه بعبد العزى بن قطن اى وهو ممن هلك في الجاهلية
اى قبل البعثة **ومر** صلى الله عليه وسلم على شخص متنحيا عن الطريق يقول هلم يا
محمد قال جبريل سر يا محمد قال من هذا قال هذا عدو الله ابليس اراد ان تميل اليه
انتهى **وفي** رواية لما وصلت الى بيت المقدس وصليت فيه ركعتين اى اماما
بالانبيا والملائكة اخذني العطش اشد ما اخذني فاتيت باناين في احدهما
لبن وفي الاخر عسل فهداني الله تعالى فاخذت اللبن فشربت وبين يدي شيخ متكى
على منبر له فقال اى مخاطبا لجبريل اخذ صاحبك الفطرة انه لمهدي فلما خرجت
منه جاني جبريل عليه السلام باناين خمر وانا من لبن فاخترت اللبن فقال
اخترت الفطرة اى الاستقامة التي سببها الاسلام ومنه كل مولود يولد على الفطرة
اى على الاسلام **وفي** رواية اخرى فاتي بانية ثلاثة مغطاة افواهها فاتي

باناء منها فيه ما فشربت منه قليلا **وفي** رواية انه لم يشرب منه شيا وانه قيل
له لو شربت الما اى جميعه او بعضه لغرقت امتك اى **وفي** رواية انه سمع قايلا
يقول ان اخذ الما غرق وغرقت امته ثم رفع اليه انا اخر فيه لبن فشرب منه حتى
روى اى **وفي** رواية انه سمع قايلا يقول ان اخذ اللبن هدي وهديت امته ثم رفع
اليه انا فيه خمر فقيل له اشرب فقال لا اريده قد رويت فقال له جبريل انها
ستحرم على امتك اى بعد اباحتها لهم **وفي** رواية انه قيل له لو شربت الخمر لغويت
امتك ولم تتبعك اى لا يكون على طريقتك منهم الا القليل اى **وفي** رواية انه
سمع قايلا يقول ان اخذ الخمر غوى وغوت امتك **اقول** وهذه الرواية محتملة لان
تكون وهو في بيت المقدس ولان تكون وهو خارج عنه ومن هنا كله تعلم انه
تكرر عليه عرض اللبن والخمر داخل بيت المقدس وخارجه ولا مانع من تكرر عرض
انيتي الخمر واللبن قبل خروجه من بيت المقدس وبعد خروجه منه قبل العروج
ولا تعارض بين الاخبار بان احداهما كان فيه عسل مع اللبن وبين الاخبار بان
احداهما كان فيه خمر مع اللبن ولا بين الاخبار باناين والاخبار باواني ثلاثة لانه
يجوز ان يكون بعض الرواة اقتصر على اناين ولا بين كون الانا الثالث كان فيه
عسل او ما لانه يجوز ان يكون احدى الاواني الثلاثة كان فيها عسل ثم جعل
فيها الما بدل العسل او مزج العسل به وغلب الما على العسل او تكون الاواني
اربعة او بعض الرواة اقتصر **وقد** قال ابن كثير مجموع الاواني اربعة فيها اربعة
اشيا من الانهار الاربعة التي تخرج من اصل سدرة المنتهى ولكن لم يسقط اللبن
في رواية بخلاف غيره فانه تارة ذكر معه الخمر فقط وتارة ذكر معه العسل
فقط وتارة ذكر معه الما والخمر وعلى الاحتمال الاول يسيل عن ستر عدم ذكر جبريل عليه
السلام حكمة عدم الشرب من العسل والله اعلم **قال** ومر على موسى عليه الصلاة
والسلام وهو يصلي في قبره عند الكثيب الاحمر وهو يقول يرفع صوته اكرمته
فضلته انتهى **وفي** رواية سمعت صوتا وتذمرا هو بالذال المعجمة الحدة فسلم عليه فرد
عليه السلام فقال يا جبريل من هذا قال هذا موسى بن عمران قال ومن يعاتب قال
يعاتب ربه فيك قال او يرفع صوته على ربه والعتاب مخاطبة فيها ادلال وهذا
يدل على ان الصوت الذي سمعه كان مشتملا على عتاب وتذمر مع رفعه **وفي** رواية
على من كان تذمره اى حدته قال على ربه قلت اعلى ربه قال جبريل ان الله عز وجل
قد عرف له حدته وهذا كما علمت كان كالذي بعده قبل وصوله الى مسجد بيت المقدس والله
اعلم **وجا** ليلة اسرى بي مر بي جبريل على قبر ابي ابراهيم فقال انزل فصل هنا ركعتين

قال ومر على شجرة تحتها شيخ وعياله فقال من هذا يا جبريل فقال هذا ابوك ابراهيم عليه الصلاة والسلام فسلم عليه فرد عليه السلام فقال من هذا الذي معك يا جبريل فقال هذا ابنك احمد قال مرحبا بالنبي العربي الامي ودعا له بالبركة اي فموسى عرفه ثم يسال عنه وابراهيم لم يعرفه فسال عنه لكن في السيرة الهشامية ان موسى سال عنه ايضا فقال من هذا يا جبريل فقال هذا احمد مرحبا بالنبي العربي الذي نصح امته ودعا له بالبركة وقال اسال لامتك اليسر والظاهر ان قبر ابراهيم صلى الله عليه وسلم كان تحت تلك الشجرة او قريبا منها فلا مخالفة بين الروايتين وسار صلى الله عليه وسلم حتى اتى الوادي الذي في بيت المقدس فاذا جهنم تنكشف عن مثل الزرابي اي ومن النمارق اي الوسائد فقيل يا رسول الله كيف وجدتها قال مثل الحممة اي الفحمة انتهى قال صلى الله عليه وسلم ثم عرج بنا الى السما اي من الصخرة لا تقدم اي على المعراج بكسر الميم وفتحها الذي يعرج ارواح بني ادم فيه وهو كما في بعض الروايات سلم له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب اي عشر مراق وهو المراد بقول بعضهم كانت المعاريج ليلة الاسرا عشرة سبع الى السما والثامن الى سدرة المنتهى والتاسع الى المستوى والعاشر الى العرش والرفرف اي فاطلق على كل مرقاة معراجا وهذا المعراج لم ير الخلايق احسن منه اما رايت الميت حين يشق بصره طامحا الى السما اي بعد خروج روحه فان ذلك عجبه بالمعراج الذي نصب لروحه ليعرج عليه وذلك شامل للمومن والكافر الا ان المومن يفتح لروحه باب السما دون الكافر فترد بعد عروجها تحسيرا وندامة وتبكيتا له وذلك المعراج اتي به من جنة الفردوس وانه منضد باللولو اي جعل فيه اللولو بعضه على بعض عن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة فصعد هو وجبريل عليهما الصلاة والسلام قال الحافظ ابن كثير ولم يكن صعوده على البراق كما توهمه بعض الناس اي ومنهم صاحب الهمزية كما سيأتي عنه حتى انتهى الى باب من ابواب السما الدنيا اي ويقال له باب الحفظة عليه ملك يقال له اسمعيل اي وهذا يسكن الهوى لم يصعد الى السما قط ولم يهبط الى الارض قط الا مع ملك الموت لما نزل لقبض روحه الشريفة صلى الله عليه وسلم وتحت يديه اثنا عشر الف ملك اي وفي رواية ان تحت يده سبعين الف ملك تحت يد كل ملك سبعون الف ملك فاستفتح جبريل فقيل من انت وفي رواية فضرب بابا من ابوابها فنادوه اهل سما الدنيا اي حفظتها من هذا قال جبريل فقيل ومن معك اي فانهم راوهما فلم يعرفوهما ولعل جبريل لم يكن حينئذ على الصورة التي يعرفونه بها قال محمد وفي رواية قال معك

احمد

احد يجوز ان يكون هذا الدعا القايل لم يرهما ويكون الراي له معظم الحفظة قال نعم محمد قيل وقد بعث اليه اي للاسرا والعروج اي لانه كان عندهم علم بانه سيعرج به الى السموات بعد الاسرا به الى بيت المقدس والا فبعثته صلى الله عليه وسلم ورسالته الى الخلق يبعد ان تخفى على اوليك الملايكة الى هذه المدة وايضا لو كان هذا مرادهم لقالوا وقد بعث ولم يقولوا اليه فان قيل قد جا في حديث انس ان ملايكة سما الدنيا قالت لجبريل او قد بعث قلنا تقدم لان حديث انس كان قبل ان يوحى اليه انه كان نائما لا يقظان قال السهيلي ولم نجد في رواية من الروايات ان الملايكة قالوا وقد بعث الا في هذا الحديث وفي رواية بدل بعث اليه ارسل اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا قال صلى الله عليه وسلم فاذا انا بادم فرحب بي ودعا لي بخير واختلف في لفظ ادم فقيل اعجمي ومن ثم منع الصرف وقيل عربي لانه مشتق من الادمة التي هي السمرة والمراد بها هنا لون بين البياض والحمرة حتى لا ينافي كونه احسن الناس او هو مشتق من اديم الارض اي وجهها لانه مخلوق منه وعلى انه عربي يكون منع صرفه للعلمية ووزن الفعل وفي رواية تعرض عليه ارواح بنيه فيسره مومنها اي عند رويته ويعبس بوجهه عند روية كافرها قال وفي رواية فاذا انا بادم كهيئته يوم خلقه الله تعالى على صورته اي على غاية من الحسن والجمال فاذا هو تعرض عليه ارواح ذريته المومنين فيقول روح طيبة خرجت من جسد طيب اجعلوها في عليين وتعرض عليه ارواح ذرية بيته الكفار فيقول روح خبيثة ونفس خبيثة خرجت من جسد خبيث اجعلوها في سجين اقول وهذا يقتضي كون ارواح العصاة من المومنين في عليين كارواح الطايعين منهم لكن لا يقتضي تساويهما في الدرجة كما لا يخفى وفي رواية تعرض عليه اعمال ذريته وهو اما على حذف المضاف اي صحف اعمالهم التي وقعت منهم وهي التي في صحف الحفظة او والتي ستقع منهم وهي ما في صحف الملايكة غير الحفظة او تعرض نفس اعمال تجسمت لما سياتي ان المعاني تجسم ففي كل من الروايتين اقتصار والله اعلم وفي رواية سندها ضعيف كما قاله الحافظ ابن حجر وعن يمينه اسودة وباب يخرج منه ريح طيبة وعن شماله اسودة وباب يخرج منه ريح خبيثة فاذا نظر عن يمينه اي الى تلك الاسودة ضحك واستبشر واذا نظر عن شماله اي الى تلك الاسودة حزن وبكى فسلم عليه صلى الله عليه وسلم فقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح فقال النبي صلى الله عليه وسلم من هذا قال هذا ابوك ادم اي وزاد في الجواب قوله وهذه الاسودة نسم اي ارواح بنيه فاهل اليمين اهل الجنة

واهل الشمال اهل النار فاذا نظر عن يمينه ضحك واستبشر واذا نظر عن شماله
حزن وبكى وزاد في الجواب ايضا قوله وهذا الباب الذي عن يمينه باب الجنة اذا نظر
من سيدخله من ذريته ضحك واستبشر والباب الذي عن شماله باب جهنم اذا نظر
من سيدخله من ذريته بكى وحزن انتهى اي اذا نظر الى ارواح من سيدخلها **وفيه**
ان الجنة فوق السما السابعة والنار في الارض السابعة وهي محيطة بالدنيا فكيف
يكون بابهما في السما الدنيا وان ارواح الكفار يكون بالا تفتح لها ابواب السما كما تقدم
واجيب عن الثاني بان عرضها اي ارواح ذرية الكفار عليه نظره اليها وهي دون
السما لانها شقا قرا ومن ذلك الباب وكونها عن يساره الذي اخبر به صلى الله عليه
وسلم اي فوجهه يساره **ويجاب** عن الاول بان الباب الذي على يمينه يجوز ان
يكون محاذيا للموضع الجنة من السما السابعة ولهذا قيل له باب الجنة وكذا يقال
في باب جهنم لان الاضافة تاتي لادنى ملابسة وما اجبنا به عن كون ارواح ذرية
الكفار عن جهة يساره يعلم انه لا حاجة في الجواب عن ذلك المنقول الحافظ ابن
حجر ويحتمل ان يقال ان النسم المرئية هي الارواح التي لم تدخل الاجساد بعد اي
الان ومستقرها عن يمين ادم وشماله وقد اعلم بما سيصيرون اليه بناء على ان
الارواح مخلوقة قبل اجسادها على انه لا يناسب قوله روح طيبة ونفس طيبة
خرجت من جسد طيب الى اخره ولا حاجة لما نقل عن القرطبي في الجواب عن ذلك
من الكفار التي لا تفتح لها ابواب السماء المشركون دون الكفار من اهل الكتاب فيجوز
ان تكون تلك الاسودة ارواح كفار اهل الكتاب اذ هو يقتضي ان المراد بتينيه
في الروايتين السما يعني الارواح التي خرجت من اجسادها **قال** صلى
الله عليه وسلم ورايت رجالا لهم مشافر كمشافر الابل اي كشفاه الابل اي وفي ايديهم
قطع من نار كالافهار اي الحجارة التي كل واحد منها ملء الكف يقذفونها في افواههم
فتخرج من ادبارهم قلت من هولاء يا جبريل قال هولاء اكلة اموال اليتامى ظلما
وهولاء لم يتقدم رؤيتهم له صلى الله عليه وسلم في الارض اي ولعل المراد بالرجال
الاشخاص وخصوا بذلك لانهم اولياء الايتام غالبا **قال** صلى الله عليه وسلم ثم
رايت رجالا لهم بطون لم ار مثلها قط وفي رواية امثال البيوت زاد في رواية فيها
حيات ترى من خارج البطون بسبيل اي طريق ال فرعون يمرون عليهم كالابل
المهيومة حين يعرضون على النار لا يقدرون على ان يتحولوا من مكانهم ذلك
اي فتطاهم ال فرعون الموصوفون بما ذكر المقتضي لشدة وطيهم لهم والمهيومة
التي اصابها الهيام وهو داء ياخذ الابل فتهيم في الارض ولا ترعى **وفي** كلام السهيلي

الابل

الابل المهيومة العطاش والهيام شدة العطش اي **وفي** كلامه كلما نهض احدهم
خر اي سقط قال قلت من هولاء يا جبريل قال هولاء اكلة الربا وتقدمت رؤيته صلى
الله عليه وسلم لهم في الارض لا بهذا الوصف بل ان الواحد منهم يسبح في نهر من دم يلقم
الحجارة اي ولا مانع من اجتماع الوصفين لهم اي فيخرجون من ذلك النهر ويلقون
في طريق من ذكر وهكذا عذابهم دائما **قال** صلى الله عليه وسلم ثم رايت رجالا بين ايديهم
لحم سمين طيب والى جنبه لحم خبيث منتن ياكلون من الغث اي الخبيث المنتن ويتركون
السمين الطيب قال قلت من هولاء يا جبريل قال هولاء الذين يتركون ما احل الله لهم
من النسا ويذهبون الى ما حرم الله عليهم منهن اي وتقدمت رؤيته صلى الله
عليه وسلم لهم اي الرجال والنسا في الارض بنحو هذا الوصف **وفي** رواية اخونة عليها
لحم طيب ليس عليها احد واخرى عليها لحم منتن عليها ناس ياكلون قلت يا جبريل من هذا
قال هولاء الذين يتركون الحلال وياكلون الحرام اي من الاموال اعم مما قبله اي وهولا
لم يتقدم رؤيته صلى الله عليه وسلم لهم في الارض **قال** صلى الله عليه وسلم ثم رايت نسا
متعلقات بثديهن من هولاء يا جبريل قال هولاء اللاتي ادخلن على الرجال ما ليس
من اولادهم اي بسبب زناهن اي وهولاء لم يتقدم رؤيته صلى الله عليه وسلم لهن في جهنم
الارض والذي تقدم رؤيته لهن الزانيات لا بهذا القيد وهو ادخالهن على ازوا
ما ليس من اولادهم على انه يجوز ان يكون المراد مطلق الزانيات لان الزنا سبب
في حصول ما ذكر غالبا ولا مانع من اجتماع الوصفين لهن **قال** ثم مضى هنيهة فاذا
هو باقوام تقطع اللحم من جنوبهم فيلقمونه فيقال له اي لكل واحد منهم كل كما
كنت تاكل لحم اخيك قال يا جبريل من هولاء قال هولاء الهمازون من امتك اللمازون
اي المغتابون للناس النمامون لهم انتهى اي وتقدمت رؤيته صلى الله عليه وسلم
للمغتابين في الارض بغير هذا الوصف اي **وروي** انه صلى الله عليه وسلم راى في
هذه السما النيل والفرات يطردان اي يجريان وعنصرهما اي اصلهما وهو
يخالف ما ياتي انه صلى الله عليه وسلم راى في اصل سدرة المنتهى اربعة انهار نهران
باطنان ونهران ظاهران وان الظاهرين النيل والفرات **واجيب** بانه يجوز
ان يكون منبعهما من تحت سدرة المنتهى ومقرهما وهو المراد بعنصرهما الذي
هو اصلهما في السما الدنيا اي بعد مرورهما في الجنة ومن سما الدنيا **فقد جاء**
في تفسير قوله تعالى وانزلنا من السما ما بقدر فاسكناه في الارض انهما النيل
والفرات انزلا من الجنة من اسفل درجة منها على جناح جبريل عليه السلام
فاودعهما بطون الجبال ثم ان الله سبحانه وتعالى سيرفعهما ويذهب بهما

عند رفع القرآن وذهاب الإيمان وذلك قوله تعالى وإنا على ذهاب به لقادرون
ذكره السهيلي وفي زيادة الجامع الصغير أن النيل ليخرج من الجنة ولو التمستم فيه
حين يسيح لوجدتم فيه من ورقها قوله صلى الله عليه وسلم ثم عرج بنا إلى السماء الثانية
فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل
قد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن
زكريا صلوات الله وسلامه على نبينا وعليهما أي شبيه أحدهما بصاحبه ثيابهما
وشعرهما ومعهما نفر من قومهما فرحبا بي ودعوا لي بخير وفي الروايات التي حكم عليها
حكم عليها بالشذوذ أنهما في السماء الثالثة وقد ذكرها الجلال السيوطي في أوائل الجامع
الصغير وذكر بعضهم أنها رواية الشيخين عن أنس والشذوذ لا ينافي الصحة المطلقة
فقد قال شيخ الإسلام في شرح ألفية العراقي عند قوله من غير ما شذوذ وخرج الشاذ وهو
ما خالف فيه الراوي من هو أرجح منه ولا يرد عليه الشاذ الصحيح عند بعضهم
لأن التعريف للصحيح المجمع على صحته لا مطلقا هذا كلامه وفي كلام السخاوي
نقلا عن شيخه الحافظ ابن حجر أن من تأمل الصحيحين وجد فيهما أمثلة من ذلك
أي من الصحيح الموصوف بالشذوذ أقول وكونهما ابنا الخالة أي أن أم كل خالة الآخر
هو المشهور وعليه قال ابن السكيت يقال ابنا خالة ولا يقال ابنا عمة ويقال ابنا
عم ولا يقال ابنا خال لكن في عيون المعارف للقضاعي أن يحيى أمه أي ابن
خالة مريم أم عيسى لا ابن خالة عيسى لأن أم يحيى أخت أم مريم لا أخت مريم وكذا
في كلام ابن إسحاق أن عمران وزكريا كلاهما من ذرية سليمان فزوجة زكريا ولدت
يحيى قبل عيسى بستة أشهر ثم ولدت مريم عيسى وزوجة عمران ولدت مريم فأم يحيى
أخت أم مريم فعيسى ابن بنت خالة يحيى وحينئذ يكون قوله صلى الله عليه وسلم
فإذا أنا بابني الخالة على التجوز وكذا قول عيسى ليحيى يا ابن خالة كما في تفسير التستري
على التجوز ففيه حكي عن يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام أنهما خرجا يمشيان
فصدم يحيى امرأة فقال له عيسى يا ابن خالة لقد أصبت اليوم خطيئة ما أرى
الله عز وجل يغفرها لك قال وما هي قال صدمت امرأة قال والله ما شعرت بها قال
عيسى سبحان الله بدنك معي فأين قلبك قال معلق بالعرش ولو أن قلبي اطمأن إلى جبريل
صلوات الله وسلامه عليه طرفة عين لظننت أني ما عرفت الله عز وجل ووجه
التجوز أنه أطلق على بنت الأخت لفظ الأخت قال بعضهم وهو كثير شائع في كلامهم
ثم رأيت المولى أبا السعود ذكر ما يجمع به بين القولين وهو أنه قيل إن
أم يحيى أخت أم مريم من الأم وأخت مريم من الأب فليتأمل تصويرهم بناء

على

على تحريم نكاح المحارم لأن أم مريم حينئذ بنت موطوءة أبيها لأنها ربيبته إلا أن
يكون في شريعتهم جواز ذلك ثم رأيت بعضهم ذكر ذلك حيث قال لا يبعد أن
تزوج أولا أم حنة فولدت أشياع أي التي هي أم يحيى ثم تزوج حنة بعد ذلك التي
هي ربيبته موطوءته لجواز مثلها بريبتهم بناء على ذلك في شريعتهم وفيه أنه تقدم أن
نوحا عليه الصلاة والسلام بعث بتحريم نكاح المحارم إلا أن يقال المراد نكاح محارم
النسب دون المصاهرة ولم يسم أحد يحيى قبل يحيى هذا إلا يحيى بن خلاد الأنصاري
جيء به للنبي صلى الله عليه وسلم يوم ولد فحنكه بتمرة وقال لأسمينه باسم من لم يسم به
بعد يحيى بن زكريا فسماه يحيى ومما يدل على شرف سيدنا يحيى بن زكريا ما في
الكشاف عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كنا في المسجد نتذاكر فضل الأنبياء
صلوات الله وسلامه عليهم فذكرنا نوحا بطول عبادته وإبراهيم بخلته وموسى بتكليم
الله تعالى إياه وعيسى برفعه إلى السماء وقلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل
منهم بعث إلى الناس كافة وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهو خاتم الأنبياء
أي فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فيم أنتم فذكرنا له فقال لا ينبغي لأحد أن
يكون خيرا من يحيى بن زكريا فذكر أنه لم يعمل سيئة قط ولا هم أي ففي الحديث ما من
أحد إلا يلقى الله عز وجل وقد هم بمعصية أو عملها إلا يحيى بن زكريا فإنه لم يهم بها
ولم يعملها قلت ما سبب ما ذكر وقد ذكر أن والده زكريا لامه على كثرة العبادة والبكاء
فقال له إنك أمرتني بذلك يا أبت ألست أنت القائل إن بين الجنة والنار عقبة لا
يجوزها إلا البكاؤون من خشية الله عز وجل فقال بلى فجد واجتهد وقد جاء في الحديث
أن يحيى هو الذي يذبح الموت يوم القيامة بحضرتهم ويذبحه بشفرة تكون في يده والناس
ينظرون إليه أي فإن الموت يكون في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار
ويقال لأهلهما أتعرفون هذا فيقولون نعم هو الموت أي يلقي الله عز وجل معرفته في
قلوبهم وفي شرح المقاصد جاء به الحديث الصحيح على أنه جاء في تفسير قوله تعالى خلق
الموت والحياة أن الموت في صورة كبش لا يمر على أحد إلا مات وخلق الحياة في صورة
فرس لا يمر على شيء إلا حيي وهو يدل على أن الموت جسم وأن الميت يشاهد حلول الموت
به وقيل الذي يذبح الموت جبريل عليه السلام وقيل إن هذه السماء الثانية
إدريس وهو قول شاذ وقيل يوسف وجاءت به رواية ذكرها الجلال السيوطي في
أوائل الجامع الصغير وذكر فيه أن ابني الخالة في السماء الثانية كما تقدم وتقدم
أن بعضهم ذكر أنها رواية الشيخين عن أنس قال أبو حيان وعيسى لفظ أعجمي
والظاهر أن مثله يحيى هذا كلامه وفي كلام غيره أن يحيى عربي ومنع صرفه

لسلميته دوزن الفعل وقيل في عيسى انه عزلمس العيس وهو بياض يخالطه صفرة
وعلي انه عجمي قيل عبراني وقيل سرياني ثم عرج بنا الى السما الثالثة فاستفتح
جبرقيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل بعث اليه قال بعث اليه ففتح لنا فاذا انا
بيوسف صلى الله عليه وسلم اى ومعه نفر من قومه واذا هو اعطي شطر الحسن اى وفي
رواية صورته صورة القمر ليلة البدر والمراد بشطر الحسن نصف الحسن الذى اعطيه
الناس وفي الحديث اعطي يوسف وامه ثلث حسن الدنيا واعطي الناس الثلثين فيحتاج
للجمع بينهما وبين ما جاء في رواية قسم الله ليوسف من الحسن والجمال ثلثي حسن الخلق
وقسم بين سائر الخلق الثلث وعن وهب بن منبه الحسن عشرة اجزاء تسعة منها
ليوسف وواحد منه بين الناس وفي كلام بعضهم كان فضل يوسف في الحسن على
الناس كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السما وكان اذا سار في ازقة مصر يرى تلالؤ
وجهه على الجدران كما يرى لانوار الشمس وضوء القمر على الجدران والمراد بالناس غير
نبينا صلى الله عليه وسلم فان حسن نبينا صلى الله عليه وسلم لم يشارك في شئ منه كما اشار
اليه صاحب البردة بقوله

منزه عن شريك في محاسنه ۞ فجوهر الحسن فيه غير منقسم

خلافا لابن المنير حيث ادعى ان يوسف
اعطي شطر الحسن الذى اوتيه نبينا صلى الله عليه وسلم وتبعه على ذلك دشا يح
نائبته الامام السبكى وعبارته فاذا هو اى يوسف عليه الصلاة والسلام اعطي
شطر الحسن الذى اعطيه كله النبي صلى الله عليه وسلم هذا وقد قيل ان يوسف ورث
الحسن من اسحاق الذى هو جده واسحق ورث الحسن من سارة التى هى امه وسارة اعطيت
سدس الحسن وورثت ذلك من حوى اى وفي رواية في وصف يوسف عليه الصلاة
والسلام وانه احسن ما خلق الله تعالى قد فضل الناس بالحسن كالقمر ليلة البدر على
سائر الكواكب اى كفضل القمر ليلة البدر على بقية الكواكب الليلية والمراد بخلق
الله عز وجل وبالناس غير نبينا صلى الله عليه وسلم لما علمت انه اعطي شطر الحسن الذى
بغير نبينا صلى الله عليه وسلم ولان المتكلم لا يدخل في عموم خطابه على ما فيه وقد جا
ان يوسف اعطي نصف حسن ادم وفي رواية ثلث حسن ادم وقد جا كان يوسف
يشبه ادم يوم خلقه ربه عز وجل وفي الخصائص الصغرى للسيوطى وخص بانه
صلى الله عليه وسلم اوتى كل الحسن ولم يعط يوسف الا شطره فلينظر الجمع بين هذه
الروايات على تقدير صحتها وقد جا ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت
وكان نبيكم احسنهم وجها واحسنهم صوتا ه اه صلى الله عليه وسلم فرحب بى ودعا لى
بخير وفي بعض الروايات ان في هذه السما الثالثة ابني الخالة يحيى وعيسى ثم

عرج بنا الى السما الرابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك
قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بادريس فرحب بى ودعا
لى بخير وفي رواية قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح وفي رواية قتادة مرحبا
بالابن الصالح قال بعضهم وهو القياس لانه جده الاعلى لانه من ولد شيث
بينه وبين شيث اربعة ابا ارسل بعد موت ادم بمائتي سنة وهو اول من اعطي الرسالة
من اولاد ادم وهو يقتضي ان شيث لم يكن رسولا ونوح من ولده بينه وبينه اثنان
فادريس في عمود نسبه صلى الله عليه وسلم وحينئذ يكون قوله بالاخ الصالح في تلك
الرواية محمولا على التواضع منه فلا يتمسك بذلك على ان ادريس ليس جد النوح
ولا هو من ابا النبي صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل ورفعناه مكانا عليا اى محال حياته
لانه رفع الى السما قيل من مصر بعد ان خرج منها وجال الارض كلها وعاد اليها ودعى الخلائق
الى الله تعالى باثنين وسبعين لغة خاطب كل قوم بلغتهم وعلمهم العلوم وهو اول من
استخرج علم النجوم اى علم الحوادث التى تكون في الارض باقتران الكواكب قال الشيخ
محيي الدين بن العربى وهو علم صحيح لا يخطى في نفسه واما الناظر في ذلك هو الذى
يخطى لعدم استيفائه النظر ودعوى ادريس عليه الصلاة والسلام الخلائق يدل
على انه كان رسولا وفي كلام الشيخ محيي الدين بن العربى ما يجئ نصه في القران برسالة
ادريس بل قيل فيه صديقا نبيا واول من افتتحت به الرسالة نوح عليه الصلاة والسلام
ومن كان قبله انما كانوا انبيا كل واحد على شريعة من ربه فمن شا دخل معه في شرعه
ومن شا لم يدخل فمن دخل ثم رجع كان كافرا ومما يؤثر عنه عليه السلام حب الدنيا
والاخرة لا يجتمعان في قلب ابدا الناس اثنان طالب لا يجد وواجد لا يكتفي ومن ذكر
عارا الفضيحة هان عليه لذتها خير الاخوان من نسى ذنبك ومعروفه عندك وقد
قبضت روحه في هذه السما الرابعة وصلت عليه الملائكة ودفنته بها تصلى عليه الملائكة
كلما هبطت وحينئذ لا يقال ما كان في السما الخامسة والسادسة والسابعة ارفع
منه على انه قيل لما مات احياه الله تعالى وادخله الجنة وهو فيها الان اى غالب احواله
في الجنة فلا ينافي وجوده في السما المذكورة في تلك الليلة لان الجنة ارفع من السموات
لانها فوق السما السابعة ولا ما جا في الحديث انه في السما حى كعيسى عليهما الصلاة
والسلام وفي بعض الروايات ان في هذه السما الرابعة هارون ثم عرج
بنا الى السما الخامسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك
قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بهارون صلى الله
عليه وسلم اى ونصف لحيته بيضا ونصف لحيته سودا تكاد تضرب الى سرته من

طوالها وحوله قوم من بني اسرائيل وهو يقص عليهم فرحب بي ودعا لي بخير اي وفي
رواية فقال يا جبريل من هذا قال هذا الرجل المحبب في قومه هارون ابن عمران ه اي
لانه كان الين لهم من موسى عليهما الصلاة والسلام لان موسى عليه السلام كان فيه
بعض الشدة عليهم ومن ثم كان له منهم بعض الايذا ثم عرج بنا الى السما السادسة
فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث
اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بموسى صلى الله عليه وسلم فرحب ودعا لي بخير
اي وفي رواية فجعل يمر بالنبي والنبيين معهم القوم والنبي والنبيين ليس معهم
احد ثم مر بسواد عظيم فقال من هذا قيل موسى وقومه المتاب هذا قوم موسى كلا
يعني ولكن ارفع راسك فاذا هو بسواد عظيم قد سد الافق من ذا الجانب ومن ذا
الجانب فقيل هولا امتك وهولا سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب اي منهم
بدليل ما جا في رواية قيل لي هذه امتك ومعهم سبعون الفا يدخلون الجنة بغير
حساب ولا عذاب وهم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم ه
يتوكلون فقال عكاشة بن محصن انا منهم قال نعم ثم قام رجل اخر فقال انا منهم قال
سبقك بها عكاشة لان هذا الرجل كان منافقا فلم يقل له صلى الله عليه وسلم لست
منهم لانك منافق بل اجابه بما فيه ستر عليه والقول بان ذلك الرجل هو سعد بن عبادة
مردود وهذا تمثيل اي مثل له صلى الله عليه وسلم امته اي وامة موسى ايضا اذ يبعد
وجودها حقيقة في السما السادسة وهذا السياق يدل على ان الذي مر بهم من
النبي والنبيين في السما السادسة فلما خلصا اي جاوزنا ذكر من النبي والنبيين ه
والسواد العظيم فاذا موسى بن عمران رجل ادم طوال كانه من رجال شنوءة كثير
الشعر اي مع صلابته لو كان اذا غضب يخرج شعر راسه من قلنسوته وربما اشتعلت
قلنسوته نارا لشدة غضبه وفي كلام بعضهم كان اذا غضب خرج شعره
من مدرعته كسل النخل ولشدة غضبه لما فر الحجر بثوبه صار يضربه حتى
ضربه ست ضربات او سبع مع انه لا ادراك له ووجه بانه لما فر صار كالدابة
والدابة اذا جمحت بصاحبها يؤدبها بالضرب فسلم عليه النبي صلى الله عليه وسلم
فرد عليه السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم دعا له ولامته
بخير وقال يزعم الناس اني اكرم على الله من هذا بل هذا اكرم على الله مني فلما
جاوزه بكى فقيل له ما ابكاك فقال ابكي لان غلاما بعث بعدي يدخل الجنة
من امته اكثر ممن يدخل الجنة من امتي اي بل ومن سائر الامم فقد ذكر الجلال
السيوطي في الخصائص الصغرى ان مما اختص به النبي صلى الله عليه وسلم في امته

في الاخرة

في الاخرة ان اهل الجنة اي من الامم مائة وعشرون صفا هذه الامة منها ثمانون
وسائر الامم اربعون وجا في المرفوع كل امة بعضها في الجنة وبعضها في النار الا
هذه الامة فانها كلها في الجنة وفي العرايس عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه لما كلم الله
عز وجل موسى كان بعد ذلك يسمع دبيب النملة السودا في الليلة الظلما على الصفا
من مسيرة عشر فراسخ وفي الحديث ليس احد يدخل الجنة الا جرد مرد الا موسى بن عمران
فان لحيته الى سرته ثم عرج بنا الى السما السابعة واسمها عريبا واسم الارض
السابعة جريبا وروى الخطيب باسناد صحيح الى وهب بن منبه قال من قرا البقرة
وال عمران يوم الجمعة كان له ثواب ما بين عريبا وجريبا فاستفتح جبريل
قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم
قد بعث اليه ففتح لنا فاذا ابراهيم صلى الله عليه وسلم اي رجلا اشمط وفي لفظ
كهلا ولا ينافي ذلك ما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم في وصفه انه اشبه ه
بصاحبكم يعني نفسه صلى الله عليه وسلم خلقا وخلقا جالس عند باب الجنة اي في
جهتها كما تقدم والا فالجنة فوق السما السابعة على كرسي مسند ظهره الى البيت
المعمور اي وهو من عقيق ويقال له الضراح بضم الضاد المعجمة وتخفيف الرا وفي
اخره حا مهملة من ضرح اذا بعد ومنه الضريح اي وفي كلام الحافظ ابن حجر يقال
له الضراح والضريح وجا انه مسجد حذا الكعبة لو خر لخر عليها اي فهو في تلك
السما في محل محاذ للكعبة اي وقيل في السما الرابعة وبه جزم في القاموس وقيل
في السادسة وقيل في الاولى وتقدم ان في كل سما بيتا معمورا وان كل بيت منها
حيال الكعبة واذا هو يدخله كل يوم الف ملك لا يعودون اليه اقول عن بعضهم
ان البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك وفي رواية سبعون وجبة
مع كل وجبة سبعون الف والوجبة الرئيس ولعله صلى الله عليه وسلم علم ذلك
باعلام جبريل والا فرؤيته صلى الله عليه وسلم له في تلك الليلة لا يقتضي ذلك ثم
رايت الشيخ عبد الوهاب الشعراني اشار الى ذلك حيث قال وسماه البيت المعمور
فنظر اليه وركع فيه ركعتين وعرفه جبريل انه يدخله كل يوم سبعون الف ملك
من الباب الواحد ويخرجون من الباب الاخر فالدخول من باب مطالع الكواكب
والخروج من باب مغاربها والظاهر ان دخول هولا الملايكة خاص بالذي في السما
السابعة وقال السهيلي وقد ثبت في الصحيح ان اطفال المومنين والكافرين في
كفالة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل
حين راهم مع ابراهيم عليه الصلاة والسلام من هولا يا جبريل قال هولا اولاد

المومنين الذين يموتون صغارا قال له واولاد الكافرين الذين يموتون صغارا
قال واولاد الكافرين خرجه البخاري في الحديث الطويل في كتاب الجنايز وخرجه
في موضع اخر فقال فيه اولاد الناس وقد روى في اطفال الكافرين ايضا انهم خدم
لاهل الجنة هذا كلامه وجا في حديث مرفوع لكن سنده ضعيف ان في السما الرابعة
نهرا يقال له الحيوان يدخله جبريل كل يوم اى سحرا كما في الرواية فينغمس ثم يخرج
فينتفض فيخرج عنه سبعون الف قطرة يخلق الله من كل قطرة ملكا وفي لفظ
يخلق الله عز وجل من كل قطرة كذا وكذا الف ملك يومرون ان ياتوا البيت المعمور
يصلون فيه فهم الذين يصلون في البيت المعمور ثم لا يعودون اليه ابدا يولى عليهم
احدهم يومر ان يقف بهم من السما موقفا يسبحون الله عز وجل الى ان تقوم الساعة
وذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني ان جبريل اخبره بذلك في تلك الليلة
والله اعلم وفي رواية واذا انا بامتي شطرين شطر عليهم ثياب بيض كانها القراطيس
وشطر عليهم ثياب رمدة فدخلت البيت المعمور ودخل معي الذين عليهم الثياب
البيض وحجب الاخرون الذين عليهم الثياب الرمدة فصليت انا ومن معي في البيت
المعمور اى والظاهر انه ليس المراد بالشطر النصف حتى يكون العصاة من امته
بعدد الطايعين منهم وان الصلاة محتملة للدعا ولذات الركوع والسجود ويناسبه
ما تقدم من قوله ركعتين وان ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال له يا نبي الله انك
لاق ربك الليلة وان امتك اخر الامم واضعفها فان استطعت ان تكون حاجتك
في امتك فافعل وفي السيرة الهشامية ان سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام
قال له صلى الله عليه وسلم ذلك في الارض قبل وصول بيت المقدس وقال له هنا امر امتك
فليكثروا من غراس الجنة فان تربتها طيبة وارضها واسعة فقال له وما غراس الجنة
قال لا حول ولا قوة الا بالله وفي رواية اقرى امتك مني السلام واخبرهم ان الجنة
طيبة التربة عذبة الما وان غراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقد
يقال لا مخالفة بين الروايتين لانه يجوز ان يكون غراس الجنة مجموع ما ذكر وان
بعض الرواة اقتصر قال صلى الله عليه وسلم واستقبلتني جارية لعسا وقد
اعجبتني فقلت لها يا جارية انت لمن قالت لزيد بن حارثة اى ولعل تلك الجارية
خرجت من الجنة فيكون استقبالها له صلى الله عليه وسلم بعد مجاوزة السما السابعة
لكن في رواية فرايت فيها اى في الجنة جارية الحديث وقد يقال يجوز ان يكون راها
مرتين خارج الجنة وداخلها ويكون سوالها في المرة الاولى واللعسا لون الشفة
اذا كانت تضرب الى سواد قليل وذلك من الصحاح وفي رواية فلما انتهى الى السما السابعة

راى فوقه رعدا وبرقا وصواعق اى وهذه الرواية ظاهرة في انه صلى الله عليه وسلم
راى ذلك في السما السابعة محتملة لان يكون قبل دخوله فيها وحينئذ يكون قوله اني
بانا من خمر وانا من لبن وانا من عسل على الاحتمالين المذكورين وعند عرض تلك الاواني
عليه صلى الله عليه وسلم اخذ اللبن فقال جبريل اصبت اى باخذك اللبن الذى هو
الفطرة اصاب الله عز وجل بك امتك على الفطرة اى وجدهم على الفطرة ببركتك
وفي رواية هذه الفطرة التى انت عليها وامتك اى وتقدم ان المراد بها الاسلام
وورد ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام في السما السادسة وموسى في السما السابعة
وهذه الرواية في البخاري عن انس وتقدم ان ذلك كان في الاسرا بروحه صلى الله
عليه وسلم لا بجسده وفيه ان روايا الانبيا حق فالاولى الجمع بين الروايات بالانتقال
وان بعض الانبيا نزل من محله الى ما تحته للملاقاة له صلى الله عليه وسلم عند صعوده
وبعضهم خرج عن محله وصعد الى ما فوقه للملاقاة له صلى الله عليه وسلم عند هبوطه فاخبر
صلى الله عليه وسلم عنه تارة بانه في سما كذا وتارة بانه في سما كذا ولكن الحافظ ابن حجر
لا يرى الجمع بل يحكم على ما خالف اصح الروايات بانه لا يعمل به قال والجمع انما هو مجرد
استرواح لا ينبغي المصير اليه هذا كلامه وعندي فيه نظر ظاهر والجمع اولى من
اثبات المعارضة لا سيما بين الاصح والصحيح وان كان شاذا الا انا لا نقدم الاصح او
الصحيح على غيره الا حيث نعذر الجمع فليتامل وعلى المشهور من الروايات التى
صدر بها ابدى بعضهم لاختصاص هولا الانبيا بالملاقاة له صلى الله عليه وسلم واختصاص
كل واحد منهم بالسما الذى لقيه فيها حكمة يطول ذكرها قال صلى الله عليه وسلم ثم ذهب
بي جبريل الى سدرة المنتهى واذا اوراقها كاذان الفيلة اى وفي رواية مثل اذان
الفيول وفي رواية الورقة منها تظل الخلق وفي رواية تكاد الورقة تغطي هذه
الامة وفي رواية الورقة الواحدة ظهرت لغطت هذه الدنيا وحينئذ يكون
المراد بكونها كاذان الفيلة في الشكل وهو الاستدارة لا في السعة واذا
ثمرها كالقلال وفي رواية كقلال هجر قرية بقرب المدينة والواحدة من قلالها
تسع قربتين ونصف من قرب الحجاز والقربة تسع من الما مائة رطل بغدادي
فلما غشيها من امر الله عز وجل ما غشى تغيرت اى صار لها حالة من الحسن غير
تلك الحالة التى كانت عليها فما احد من خلق الله عز وجل يستطيع ان ينعتها
من حسنها اى لان رويتها الحسن تدهش الراى وهذا السياق يدل على ان سدرة
المنتهى فوق السما ان اغصانها تحت الكرسي وعن وهب ان العرش والكرسي
فوق السما السابعة قال وسيل هل ثمر سدرة المنتهى كالثمار الماكولة في انه

يزول ويعقبه غيره وهذا الزايل يوكل او يسقط اى فلا يوكل انتهى قال صلى الله عليه
وسلم ثم ادخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اى بالمعجمة قباب اللؤلؤ وفى لفظ حبايل اللؤلؤ
اى المعقود والقلايد واذا ترابها المسك ورمانها كالدلا وطيرها كالبخت فدخوله صلى
الله عليه وسلم الجنة كان قبل ان يعرج فى السماء وفى الحديث ما فى الدنيا ثمرة حلوة ولا
مرة الا وهى فى الجنة حتى الحنظل والذى نفس محمد بيده لا يقطف رجل ثمرة من الجنة
فتصل الى فيه حتى يبدل الله مكانها خيرا منها وهذا القسم يرشد الى ان ثمرة الجنة كلها
حلوة توكل وانها تكون على صورة ثمرة الدنيا المرة وفى كلام الشيخ محيى الدين بن
العربى فاكهة الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة اى توكل من غير قطع اى يوكل منها فالاكل
موجود والعين باقية فى غصن الشجرة وليس المراد ان الفاكهة غير مقطوعة فى شتا
ولا صيف او يخلق مكان قطعها اخرى على الفور كما توهمه بعضهم فعين ما ياكل العبد
هو عين ما يشهد واطال فى ذلك وكانه لم يقف على هذا الحديث اولم يثبت عنده فليتامل
قال ويخرج من اصل تلك الشجرة اربعة انهار نهران باطنان اى يبطنان ويغيبان
فى الجنة بعد خروجهما من اصل تلك الشجرة ونهران ظاهران اى يستمرا ظاهرين
بعد خروجهما من اصل تلك الشجرة فيجاوزان الجنة فقال ما هذه الانهار
يا جبريل قال اما الباطنان ففى الجنة اى يبطنان ويغيبان فى الجنة واما الظاهران
فالنيل والفرات انتهى اقول قول جبريل اما الباطنان ففى الجنة لا يحسن ان يكون
جوابا عن هذا السؤال الذى هو سؤال عن بيان الحقيقة وتحصل بذكر اسميهما
فكان المناسب بجنب الظاهران يقول واما الباطنان فنهر كذا ونهر كذا وهذا
السياق يدل على ان النيل والفرات يجريان فى الجنة ويجاوزانها وان ما عداهما كسيحان
وجيحان بنا على انهما يسيلان من اصل شجرة المنتهى يغيبان فيها ولا يجاوزانها
والنيل نهر مصر والفرات نهر الكوفة ويحتمل ان النهرين اللذين هما ما عدا النيل
والفرات بنا على انهما سيحان وجيحان يبطنان فى الجنة ولا يظهران الا بعد خروجهما
منها لوجودهما فى الخارج بخلاف النيل والفرات فانهما يستمران ظاهرين فيها
الى ان يخرجا منها وقد جا فى حديث ما من يوم الا وينزل مثاقيل من بركة الجنة فى الفرات
قال بعضهم ومصداقه ان الفرات مد فى بعض السنين فوجد فيه رمان كل واحدة مثل
البعير فيقال انه رمان الجنة وهذا الحديث ذكره ابن الجوزى فى الاحاديث الواهية
وفى حديث موقوف على ابن عباس اذا كان خروج ياجوج وماجوج ارسل الله جبريل
فرفع من الارض هذه الانهار والقران والعلم والحجر والمقام وتابوت موسى بما فيه
الى السما هذا وفى بعض الروايات ما يدل على ان سيحان وجيحان لا ينبعان من اصل

شجرة المنتهى فليسا مما المراد بالباطنين وعن مقاتل الباطنان السلسبيل والكوثر
اى ومعنى كونهما باطنين انهما لم يخرجا من الجنة اصلا ومعنى كون النيل والفرات
ظاهرين انهما يخرجان منها وفى السيرة الشامية لم يثبت فى سيحان وجيحان انهما
ينبعان من اصل الشجرة فيمتاز النيل والفرات عليهما بذلك واما الباطنان المذكوران
اى فى الحديث فهما غير سيحان وجيحان ولعل ترك ذكرهما اى سيحان وجيحان
فى حديث الاسرا لكونهما ليسا اصلا برأسهما وانما يحتمل ان يتفرعا عن النيل والفرات
هذا كلامه ولعل المراد انهما يتفرعان عنهما بعد خروجهما من الجنة فهما لم يخرجا من
اصل السدرة ولا يبطنان فى الجنة اصلا قال واذا فيها فى تلك الشجرة عين اى فى
اصلها ايضا يقال لها السلسبيل فينشق منها نهران احدهما الكوثر والاخر يقال
له نهر الرحمة فاغتسلت منه فغفر لى ما تقدم من ذنبى وما تاخر انتهى اى فهما يخرجان
من اصل سدرة المنتهى لكن لا من المحل الذى يخرج منه النيل والفرات وحينئذ
يحسن القول بانه يخرج من اصل تلك الشجرة اربعة انهار نهران ظاهران ونهران
باطنان وفى جعل الكوثر قسيما من السلسبيل مخالف لجعله قسيما له كما تقدم
وعن مقاتل فالباطنان الكوثر ونهر الرحمة فالانهار التى تخرج من اصل سدرة
المنتهى اربعة بنا على ان سيحان وجيحان لا يخرجان منها او ستة بنا على انهما يخرجان
منها وعلى الاول لا ينافى قول القرطبى ما فى الجنة نهر الا ويخرج من اصل سدرة المنتهى
لان المراد اما خروجه بنفسه او اصله الذى يتفرع منه بنا على ما تقدم من
ان سيحان وجيحان يتفرعان عن النيل والفرات ولا ينافى ما عند مسلم يخرج من
اصلها يعنى سدرة المنتهى اربعة انهار من الجنة وهى النيل والفرات وسيحان
وجيحان ولا ما عند الطبرانى سدرة المنتهى يخرج من اصلها اربعة انهار من ما
غير آسن ومن لبن لم يتغير طعمه ومن خمر لذة للشاربين ومن عسل مصفى فهو
وعن كعب الاحبار ان نهر العسل نهر النيل اى ويدل لذلك قول بعضهم لولا دخول
بحر النيل فى البحر الملح الذى يقال له البحر الاخضر قبل ان يصل الى بحيرة الزنج
ويختلط بملوحته لما قدر احد على شربه لشدة حلاوته ونهر اللبن نهر جيحان ونهر
الخمر نهر الفرات ونهر الما نهر سيحان لان غاية ذلك سكوتها عن النهرين الاخرين
وهما الكوثر ونهر الرحمة ومعنى كونها تخرج من اصل شجرة المنتهى من الجنة
انه يحتمل ان تكون سدرة المنتهى مغروسة فى الجنة والانهار تخرج من اصلها
فصح انها من الجنة هكذا ذكر العارف ابن ابى جمرة ولم اقف على ثبوت ما يدل على هذا
الاحتمال ان سدرة المنتهى مغروسة فى الجنة ولا حاجة لهذا الاحتمال فى تصحيح

هذه الرواية لان المعنى ان تلك الانهار تخرج من اصل تلك الشجرة ثم تكون خارجة
من الجنة ثم لا يخفى ان فى كلام القاضى عياض ان سيحان يقال فيه سيحون وجيحان
يقال فيه جيحون ويخالفه قول صاحب النهاية اتفقوا كلهم على ان جيحون غير
جيحان وسيحون غير سيحان ومن ثم انكر الامام النووى على القاضى عياض حيث
قال الثانى اى من وجوه الانكار على القاضى قوله سيحان وجيحان ويقال سيحون
وجيحون فجعل الاسما مترادفة وليس كذلك فسيحان وجيحان غير سيحون وجيحون
هذا كلامه وذكر صاحب النهاية ان جيحون نهر وراء خراسان عند بلخ
وسكت عن بيان سيحون قليتأمل قيل والذى غشى الشجرة فراش من ذهب والفراش
هو الحيوان الذى يلقى نفسه فى السراج ليحترق وملائكة على ورقة ملك يسبح الله
تعالى وملائكة اى اخرون يغشونها كانهم الغربان ياوون اليها متشوقين اليها متبركين
بها زائرين كما يزور الناس الكعبة انتهى ورأى صلى الله عليه وسلم جبريل عند تلك السدرة
على الصورة التى خلقه الله عز وجل عليها له ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الافق
تتناثر من اجنحته التهاويل والدر والياقوت ما لا يعلمه الا الله عز وجل وغشيت
تلك السدرة سحابة فتاخر جبريل عليه السلام ثم عرج به صلى الله عليه وسلم اى فى
تلك السحابة حتى ظهر لمستوى سمع فيه صريف الاقلام وفى رواية صريفا اى صوت
حركتها حال الكتابة اى ما تكتبه الملائكة من الاقضية وهذا السياق يدل على ان
جبريل لم يتعد سدرة المنتهى ويدل على ما تقدم من ان سدرة المنتهى فوق السماء
السابعة الى اخر ما تقدم وهو الموافق لقول بعضهم انها على يمين العرش وفى رواية
ثم انطلق بى اى جبريل الى ظهر السماء السابعة حتى انتهى الى نهر عليه خيام الياقوت
واللؤلؤ والزبرجد وعليه طير خضر انعم الطير رايت قال جبريل هذا الكوثر
الذى اعطاك الله فاذا فيه انية الذهب والفضة يجرى على رضراض من الياقوت
والزمرد بالذال المعجمة كما تقدم وماؤه اشد بياضا من اللبن فاخذت من انيته
واغترفت من ذلك فشربت فاذا هو احلى من العسل واشد رائحة من المسك اقول
قد تقدم ان هذا النهر من العين التى تخرج من سدرة المنتهى التى يقال لها السلسبيل
اى فهو يخرج من تلك الشجرة ويمر على ما ذكر ثم يدخل الجنة وان السلسبيل عين فى
الجنة لان السلسبيل على ما تقدم اصل الكوثر والله اعلم وفى رواية انها اى سدرة المنتهى
فى السماء السادسة واليها ينتهى ما يعرج من الارض فيقبض منها واليها ينتهى ما
يهبط من فوقها فيقبض منها وعندها تقف الحفظة وغيرهم فلا يتعدونها ومن ثم
سميت سدرة المنتهى وعن بشير بن سلام عن بعض السلف قال انما سميت سدرة

المنتهى

المنتهى لان روح المؤمن ينتهى بها اليها فتصلى عليه هناك الملائكة المقربون
وجمع الحافظ ابن حجر بين كون سدرة المنتهى فى السادسة وكونها فى السابعة
بان اصلها فى السادسة واغصانها فى السابعة اى اوفق السابعة على ما تقدم وهذا
الحمل المقتضى لكون اصلها فى السادسة لا يناسب كون الانهار تخرج من اصلها الى اخر ما
تقدم ويروى ان جبريل لما وصل الى مقامه وهو سدرة المنتهى فوق السماء السابعة
قال له صلى الله عليه وسلم ها انت وربك هذا مقامى لا اتعداه فزج بى فى النور اى لما
غشيته تلك السحابة ويعبر عن تلك السحابة بالرفرف قال الشيخ عبد الوهاب وهو تطبق
الحفقة عندنا وفى تاريخ الشيخ العينى شارح البخارى عن مقاتل بن حبان قال
انطلق بى جبريل حتى انتهى الى الحجاب الاكبر عند سدرة المنتهى قال جبريل تقدم يا محمد
قال فتقدمت حتى انتهيت الى سرير من ذهب عليه فراش من حرير الجنة فنادى جبريل
من خلفى يا محمد ان الله يثنى عليك فاسمع واطع ولا يهولنك كلامه فبدأت بالثناء على
الله عز وجل الحديث اى وفى ذلك النور المستوى الذى سمع فيه صريف الاقلام ثم
العرش والرفرف والرؤية وسماع الخطاب وفى رواية فى مثل هذا المقام يترك الخليل
خليله قال ان تجاوزت احترقت بالنار فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا جبريل هل لك
من حاجة الى ربك قال يا محمد سل الله عز وجل لى ان ابسط جناحى على الصراط لامتك
حتى يجوزوا عليه قال ثم زج فى النور فخرق بى الى سبعين الف حجاب ليس فيها حجاب يشبه
حجابا غلظ كل حجاب خمسمائة عام وانقطع عنى حس كل ملك فلحقنى عند ذلك استيحاش
فعند ذلك نادى مناد بلغة ابى بكر رضى الله تعالى عنه قف ان ربك يصلى فبينا انا
اتفكر فى ذلك اى فى وجود ابى بكر فى هذا المحل وفى صلاة ربى فاقول هل سبقنى ابو بكر
وكيف يصلى ربى وهو غنى عن ان يصلى كما يدل على ذلك ما يأتى فاذا النداء من العلى
الاعلى ادن يا خير البرية ادن يا محمد ادن يا احمد فادنانى ربى حتى كنت كما قال عز وجل
ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى وفى الخصائص الصغرى وخص بالاسرا
والمعراج وما تضمنه من اختراق السموات السبع والعلو الى قاب قوسين ووطئه
مكانا ما وطئه نبى مرسل ولا ملك مقرب وهذه الرواية كلام الخصائص تدل على ان
فاعل دنا وتدلى واحد وكان هو صلى الله عليه وسلم وحينئذ يكون معنى تدلى زاد فى
القرب وجعل بعض العلماء من جملة ما خالف شريك فيما المشهور من الروايات انه
جعل فاعل دنا فتدلى الحق سبحانه وتعالى اى دنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان
من محمد صلى الله عليه وسلم قاب قوسين او ادنى ثم رايت الحافظ ابن حجر ذكر عن
البيهقى انه روى باسناد حسن ما يوافق ما ذكر شريك ومعلوم ان معنى الدنو والتدلى

الواقعين من الله سبحانه وتعالى كمعنى النزول منه في ينزل ربنا تبارك وتعالى الى سماء
الدنيا كل ليلة حتى يبقى ثلث الليل الاخير وهما اى ذلك عند اهل الحقائق من مقام
التنزل بمعنى انه تعالى يتلطف لعباده ويتنزل في خطابه لهم فيطلق على نفسه ما
يطلقونه على انفسهم فهو في حقهم حقيقة وفي حقه تعالى مجاز ورايت بعضهم ذكر ان
فاعل دنى جبريل وفاعل تدلى محمد صلى الله عليه وسلم اى سجد لربه سبحانه وتعالى شكرا
على ما اعطاه من الزلفى ورايت بعضا آخر ذكر ان فاعل تدلى الرفرف وفاعل دنى محمد
صلى الله عليه وسلم اى تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم حتى جلس عليه ثم دنى محمد
صلى الله عليه وسلم من ربه سبحانه اى قرب منه قرب منزلة وتشريف لا قرب مكان
تعالى الله عز وجل عن ذلك قال صلى الله عليه وسلم وسالني ربي فلم استطع ان اجيبه
عز وجل فوضع يده عز وجل بين كتفي بلا تكييف ولا تحديد اى بقدرته تعالى لانه
سبحانه منزه عن الجارحة فوجدت بردها فاورثني علم الاولين والاخرين وعلمني علوما
شتى فعلم اخذ علي كتمانه اذ علم انه لا يقدر على حمله غيري وعلم خيرني فيه وعلم امرني
بتبليغه الى العام والخاص من امتي ومن الانس والجن وكذلك الملك على ما تقدم اقول
هذا التفصيل يدل على ان العلوم الشتى من هذه العلوم الثلاثة الا ان يقال كل
علم من هذه الثلاثة يشتمل على انواع من العلوم والله اعلم قال صلى الله عليه وسلم
ثم قلت اللهم انه لما لحقني استيحاش سمعت مناديا ينادي بلغة تشبه لغة ابي بكر
فقال لي قف فان ربك يصلي فعجبت من هاتين هل سبقني ابو بكر الى هذا المقام وان
ربي لغني عن ان يصلي فقال تعالى انا الغني عن ان اصلي لاحد وانما اقول سبحاني
سبحاني سبقت رحمتي غضبي اقرا يا محمد هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من
الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما فصلاتي رحمة لك ولامتك واما امر
صاحبك يا محمد فان اخاك موسى كان انسه بالعصا فلما اردنا كلامه قلنا وما
تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي وشغلناه بذكر العصا عن عظيم الهيبة وكذلك
يا محمد لما كان انسك بصاحبك ابي بكر خلقنا ملكا على صورته ينادي بلغته ليزول
عنك الاستيحاش لما يلحقك من عظيم الهيبة اقول لعل المراد خلقنا صورة على صورته
لانه ليس في الرواية انه راى ذلك الملك على صورة ابي بكر وانما سمع صوته والله اعلم ثم
قال الله عز وجل واين حاجة جبريل فقلت اللهم انك اعلم فقال يا محمد قد اجبته
فيما سال ولكن فيمن احبك وصحبك اقول لعل المراد بمن صحبك من كان تابعا لك في
دينك عاملا بسنتك اى وهو مراد جبريل بامته صلى الله عليه وسلم في قوله ان
ابسط جناحي لامتك على الصراط والله اعلم وروى انه صلى الله عليه لما راى

الحق

الحق سبحانه وتعالى خر ساجدا قال صلى الله عليه وسلم فاوحى الله عز وجل الي ما اوحى
وقد ذكر الثعلبي والتستري في تفسير قوله تعالى وقد ذكر فاوحى الى عبده ما اوحى
ان من جملة ما اوحى اليه ان الجنة حرام على الانبياء حتى تدخلها يا محمد وعلى الامم حتى تدخلها
امتك قال التستري واوحى اليه خصصتك بحوض الكوثر فكل اهل الجنة اضيافك
بالماء ولهم الخمر واللبن والعسل ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة اقول تقدم ان
من جملة ما اوحي اليه في هذا الموطن من القران خاتمة سورة البقرة وبعض سورة الضحى
وبعض الم نشرح وقد تقدم ذلك عند الكلام على انواع الوحي وقدمنا انه ينضم لذلك
هو الذي يصلي عليكم وملائكته الاية على ما تقدم هنا وفي حديث رواته ثقات لما
وصلت الى السماء السابعة قال لي جبريل رويدا اى قف قليلا فان ربك يصلي قلت امو
يصلي وفي لفظ كيف يصلي وفي لفظ اخر قلت يا جبريل ايصلي ربك قال نعم قلت وما
يقول قال يقول سبوح قدوس رب الملائكة والروح سبقت رحمتي غضبي ولا مانع نع
من تكرر وقوع ذلك له صلى الله عليه وسلم من جبريل ومن غيره في السماء السابعة
وفيما فوقها لكن يبعد تعجبه صلى الله عليه وسلم من كونه عز وجل يصلي في المرة الثانية
وما بعدها وورد ان بني اسرائيل سالوا موسى هل يصلي ربك فبكى موسى عليه الصلاة
والسلام لذلك فقال الله تعالى يا موسى ما قالوا لك فقال قالوا الذي سمعت قال
اخبرهم اني اصلي وان صلاتي تطفئ غضبي والله اعلم قال صلى الله عليه وسلم
فنزلت الى موسى اى وفي رواية فانجلت تلك السحابة اى عند وصوله الى سدرة المنتهى
الذي هو المحل الذي وقف فيه جبريل فاخذ بيده جبريل فانصرف سريعا فاتى على
ابراهيم فلم يقل شيئا ثم اتى على موسى ه وهذا يدل على ما هو المشهور في الروايات ان
ابراهيم عليه السلام كان في السابعة وموسى كان في السادسة لا على غير المشهورات
ابراهيم كان في السادسة وموسى كان في السابعة كما تقدم ولما اتى الى موسى عليه
الصلاة والسلام قال له ما فرض ربك عليك اى وفي لفظ بما امرت قال خمسين صلاة
قال ارجع الى ربك فاسئله التخفيف فان امتك لا تطيق ذلك فاني بلوت بني
اسرائيل وخبرتهم اى وفي البخاري ان امتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم واني والله
قد كنت جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل اشد المعالجة اى فانه فرض عليهم
صلاتان فما قاموا بهما اى ركعتان بالغداة وركعتان بالعشي وقيل فرض عليهم ركعتان
عند الزوال اى فما قاموا بذلك وفي تفسير البيضاوي ان الذي فرض على بني اسرائيل
خمسون صلاة في اليوم والليلة وسياتي ذكر ذلك في بعض الروايات ويرده
قولهم انه ثبت طلب التخفيف انه استكثر الخمس التي من المرة الاخيرة فهو انما

يناسب ما تقدم **ثم** رأيت القاضي البيضاوي قال في تفسير قوله تعالى ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا أن من ذلك الاصر الذي كلفت به بنو اسرائيل خمسون صلاة في اليوم والليلة وكتب عليه الجلال السيوطي في الحاشية أن كون بني اسرائيل كلفوا بخمسين صلاة في اليوم والليلة باطل وبسط الكلام على ذلك ثم قال موسى فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك اي وانما كانت امته مأمورة بالامر به ومفروض عليها ما فرض عليه لان الفرض عليه صلى الله عليه وسلم فرض على امته والامر له صلى الله عليه وسلم امر لها لان الاصل انما ثبت في حق نبي ثبت في حق امته الا ان يقوم الدليل على الخصوصية قال فرجعت الى ربي اي انتهى الى الشجرة فغشيته السحابة وخر ساجدا فقلت يا رب خفف عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا قال ان امتك لا تطيق ذلك فارجع الى ربك واسأله التخفيف قال فلم ازل ارجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى صلى الله عليه وسلم حتى قال الله تبارك وتعالى يا محمد انهن خمس صلوات في كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرة ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب فان عملها كتبت له سيئة واحدة **قال** صلى الله عليه وسلم فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه **وجاء** في الحديث من الصلاة على موسى فاراه احد من الانبياء احوط على امتي منه اي وفي رواية انه وضع عنه عشر صلوات الى ان امر بخمس صلوات **اقول** في الوفا ان رواية وضعت خمس صلوات من افراد مسلم ورواية وضع عشر صلوات اصح لانه قد اتفق البخاري ومسلم عليها والرواية التي فيها حط خمسا خمسا غلط من الرواة هذا كلامه وتكلم والمتبادر من قوله تعالى الى ان امر بخمس صلوات انه رفع التعلق بجميع الخمسين واثبت تعلقا جديدا بخمس ليست من الخمسين ما المنسوخ جميع الخمسين ويحتمل انه رفع التعلق بجملة الخمسين مع اثبات التعلق بخمسة منها التي هي بعضها فيكون المنسوخ ما عدا الخمس من الخمسين **قيل** وفي هذا النسخ قبل البلاغ وقد اتفق اهل السنة والمعتزلة على منعه ورد بان هذا وقع بعد البلاغ بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه كلف بذلك ثم نسخ **فقد** قال شيخ الاسلام زكريا الانصاري رحمه الله وما قيل ان الخمس في ليلة الاسرا ناسخة للخمسين انما هو في حقه صلى الله عليه وسلم نسخ في حق امته كما هو الاصل الا ان تثبت الخصوصية بدليل صحيح وهو ايرد ما في الخصائص الصغرى للسيوطي رحمه الله تعالى من ان وجوب الخمسين لم ينسخ في حقه صلى الله عليه وسلم وانما نسخ في حق امته ولعل

مسنده في ذلك رواية فرض الله على امتي ليلة الاسرا خمسين صلاة فلم ازل اراجعه واسأله التخفيف حتى جعلها خمسا في كل يوم وليلة اي على الامة كما هو المتبادر وقول موسى عليه الصلاة والسلام له صلى الله عليه وسلم ان امتك لا تطيق ذلك وربما توافق ذلك قول الامام السبكي في تائيته

وقد كان رب العالمين مطالبا ۞ بخمسين فرضا كل يوم وليلة
فابقيت اجرا لكل ما احتمل ذرة ۞ وخففت الخمسون عنا بخمسة

وفيه النسخ قبل التمكن من الفعل وهو يرد قول المعتزلة القائلين بانه لا يجوز النسخ قبل التمكن من الفعل ودخول وقته والظاهر ان الخمسين التي فرضت اولا ان كل صلاة من الخمس تكرر عشر مرات فما زاد على الخمس منسوخ ويحتمل ان تكون صلوات اخر مغايرة لتلك الخمس ولم اقف على بيان تلك الصلوات وعلى ان الخمسين لم تنسخ في حقه صلى الله عليه وسلم لم اقف على ما يدل على انه صلى الله عليه وسلم صلاها ولا على كيفية صلاته صلى الله عليه وسلم لها **والى** عروجه صلى الله عليه وسلم ورجوعه اشار صاحب الهمزية بقوله

وطوى الارض سائرا والسموات العلى طوها له اسراء
وصف الليلة التي كان للمختار فيها على البراق استواء
وترقى به الى قاب قوسين وتلك السيادة القعساء
رتب تسقط الاماني حسرى دونها ما وراءهن وراء
وتلقى من ربه كلمات كل علم في شمسهن هباء
زاخرات البحار يغرق في قطرتها العالمون والحكماء

اي وطوى الارض حالة كونه صلى الله عليه وسلم سائرا عليها الى المدينة عند الهجرة كما طويت له صلى الله عليه وسلم قبل ذلك السموات العلى لما كان له فوقها اسراء اي ليلة الاسرا الى ان جاوزها جميعها في اسرع وقت فصف تلك الليلة التي كان للمختار فيها على البراق الى مقدار قاب قوسين وتلك الرتبة التي وصل اليها صلى الله عليه وسلم من السعادة الثابتة التي لا يعتريها نقص ولا زوال وهذه رتب تسقط دونها الاماني حسرى ذات اعياء وتعب ما قدامهن قدام اي ليس بعدها من رتبة ينالها غيره صلى الله عليه وسلم وتلقى من ربه كلمات ما عداها بالنسبة اليها كالهباء وهو ما يرى في ضوء الشمس وهي سبحانه وتعالى اليه علوما لا يدرك العلماء والحكماء منها ذرة وكونه صلى الله عليه وسلم صعد السموات على البراق يوافقه ما في حياة الحيوان **ان قيل** لم عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم السماء على البراق ولم ينزل عنه منصرفه

عليه **الجواب** انه عرج به الى دار الكرامة فلم ينزل به عليه اظهارا لعذره الله تعالى
هذا كلامه فليتامل وتقدم عن الحافظ ابن حجر كثيرا تكرار صعوده صلى الله عليه وسلم
على البراق **وقد جا** كان موسى اشدهم على حين مررت عليه وخيرهم الى حين رجعت نعم
الصاحب كان لكم اى فانه صلى الله عليه وسلم لما جاوزه عند الصعود بكى فنودى ما
يبكيك قال رب هذا غلام اى لانه صلى الله عليه وسلم حديث السن بالنسبة لموسى
صلى الله عليه وسلم هذا هو المناسب للمقام بعثته بعدى يدخل الجنة من امته اكثر مما
يدخل من امتى **وفى** رواية تزعم بنوا اسرايل اى وهو يعقوب ابن اسحاق عليهما الصلاة
والسلام ومعنى اسرايل عبد الله وقيل صفوة الله **وفى** لفظ تزعم الناس انى اكرم
على الله منه ولو كان هذا وحده هان ولكن معه امته وهم افضل الامم عند الله تعالى
اى انهم المشرفة شرف امته على ساير الامم **اقول** والغرض من هذا وما تقدم عنه عند
مروره صلى الله عليه وسلم على قبره عليه الصلاة والسلام عند الكثيب الاحمر اظهار
فضيلة نبينا صلى الله عليه وسلم وفضيلة امته بانه افضل الانبيا وامته افضل
الامم **وفى** رواية عن ابن عمر كانت الصلاة خمسين والغسل من الجنابة سبع مرات
وغسل البول من الثوب سبع مرات ولم يزل صلى الله عليه وسلم يسال حتى جعلت الصلاة
خمسا وغسل الجنابة مرة وغسل الثوب من البول مرة **وعن** انس رضى الله تعالى
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت ليلة اسرى بى مكتوبا على باب الجنة
الصدقة بعشر امثالها والقرض بثمانية عشر فقلت لجبريل ما بال القرض افضل من
الصدقة قال لان السايل يسال وعنده والمستقرض لا يستقرض الا من حاجة انتهى هذا
والراجح عند ايمتنا ان درهم الصدقة افضل من درهم القرض وبيان كون درهم القرض
بثمانية عشر درهما ان درهم القرض بدرهمين من دراهم الصدقة كما جا فى بعض الروايات
ودرهم الصدقة بعشرة فيصير الجملة عشرين ودرهم القرض يرجع للمقرض بدله وهو
بدرهمين من عشرين يتخلف ثمانية عشر **وعرضت** عليه صلى الله عليه وسلم النار فاذا فيها
غضب الله تعالى اى نقمته لو طرحت فيها الحجارة والحديد لاكلتها وفى هذه الرواية
زيادة على ما تقدم وهى فاذا قوم ياكلون الجيف فقال صلى الله عليه وسلم من هولاء يا جبريل
فقال هولاء الذين ياكلون لحوم الناس اى وتقدم انه صلى الله عليه وسلم راى هولاء فى الارض
وان لهم اظفار من حديد يخمشون وجوههم وصدورهم او راهم فى السما الدنيا وانهم
يقطعون اللحم من جنوبهم فيلقمونه ولينظر ما الحكمة فى تكرير رويتهم هولاء دون غيرهم
من بقية اهل الكباير الذين راهم فى الارض وفى السما الدنيا ولعل الحكمة فى ذلك
المبالغة فى الزجر عن الغيبة لكثرة وقوعها وراى فيها رجلا احمر ازرق فقال من هذا

ياجبريل فقال هذا عاقر الناقة اى ولعل دخول الجنة وعرض النار عليه صلى الله عليه وسلم
كان قبل ان تغشاها السحابة وتزج به فى النور ولا مانع من ان تعرض عليه النار وهو
فوق السما السابعة وهى فى الارض السابعة **اقول** ونقل القرطبى فى تفسيره عن الثعلبى
عن انس بن مالك رضى الله تعالى عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت ليلة اسرى
بى الى السما تحت العرش سبعين مدينة كل مدينة مثل دنياكم هذه سبعين مرة مملوة
من الملايكة يسبحون الله عز وجل ويقدسونه ويقولون فى تسبيحهم اللهم اغفر لمن
شهد الجمعة اى صلاها اللهم اغفر لمن اغتسل يوم الجمعة اى لصلاتها وهذا يفيد ان
هذه التسمية اى تسمية ذلك اليوم بيوم الجمعة معروفة عند الملايكة وعنده
صلى الله عليه وسلم وهو يوافق ما قيل ان المسمى لها بذلك كعب بن لوى كما تقدم ويخالف
ما ياتى من ان تسمية ذلك اليوم بيوم الجمعة هداية من الله عز وجل للمسلمين بالمدينة
وانه لما ارسل لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصلوها فى ذلك اليوم لم يسم بيوم
الجمعة بل اقتصر على قوله اليوم الذى يليه اليوم الذى تجهر فيه اليهود بالزبور لسبتهم
اى فى اكثر الروايات والا فقد رايت السهيلى ذكر حديثا عن ابن عباس رضى الله تعالى
عنهما انه سمى ذلك اليوم بيوم الجمعة ونصه كتب صلى الله عليه وسلم الى مصعب
ابن عمير اما بعد فانظر اليوم الذى يليه اليوم الذى تجهر فيه اليهود بالزبور لسبتهم
فاجمعوا نساكم وابناكم فاذا مال النهار عن شطره الى الزوال من يوم الجمعة بل اكثر
الروايات يجوز ان يكون اخباره صلى الله عليه وسلم بذلك هنا اى فى قصة المعراج
كان بعد التسمية وصلاة الجمعة وعبر بهذه العبارة لكونها عرفت لهم فيكون
الذى سمعه من الملايكة يوما لعروبة مثلا والله اعلم **قال** وراى صلى الله عليه وسلم
مالكا خازن النار فاذا هو رجل عابس يعرف الغضب فى وجهه فبدا النبى صلى
الله عليه وسلم اى بالسلام ثم اغلقت دونه انتهى **وفى** الاصل وفى حديث ابى هريرة
رضى الله تعالى عنه وقد رايتنى اى يخبر انه صلى الله عليه وسلم راى نفسه فى جماعة من الانبيا
فحانت الصلاة اى حضرت ارادة الصلاة فاممتهم اى صليت بهم اماما قال قايل
يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه فبدانى بالسلام **قال** وجا انه صلى الله عليه وسلم
قال لجبريل ما لى لم آت لاهل السما الا رحبوا بى وضحكوا الا غير واحد سلمت عليه فرد
السلام ورحب بى ودعا لى ولم يضحك الى قال ذلك مالك خازن النار لم يضحك منذ
خلق ولو ضحك لاحد لضحك اليك انتهى **اقول** وهذا السياق يدل على ان ضحك من
لقيه من الانبيا والملايكة فى السموات له صلى الله عليه وسلم سقط من جميع روايات
المعراج اذ لم يذكر فى شى منها على ما علمت ويدل على ان مالكا خازن النار وجده فى

السما السابعة وانه مرة بدا النبي صلى الله عليه وسلم بالسلام ومرة بداه النبي صلى
صلى الله عليه وسلم بالسلام والمناسب ان يكون في المرة الاولى هو الذي بدا النبي صلى الله
عليه وسلم بالسلام وهو عند الباب ثم رايت الطيبي صرح بذلك حيث قال انما بداه
خازن النار بالسلام عليه ليزيل ما استشعره من الخوف منه لما ذكره من انه راى تخيله
عابسا يعرف الغضب في وجهه فلا ينافي ما ذكره السهيلي من انه صلى الله عليه وسلم
لم يره على الصورة التي يراه عليها المعذبون في الاخرة ولو رآه عليها لم يستطع ان ينظر اليه
وقوله صلى الله عليه وسلم اه اتت سما الى اخره فربما يعارضه ما جا انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل
ما لي لم ار ميكايل ضاحكا قال ما ضحك منذ خلقت النار وفيه ان هذا يفيد ان ميكايل
كان موجودا قبل خلق النار وايجادها وهذا لا ينافي ان ميكايل ضحك بعد ذلك
فقد جا انه صلى الله عليه وسلم تبسم في الصلاة فسئل عن ذلك فقال رايت ميكايل راجعا
من طلب القوم اي يوم بدر وعلى جناحه الغبار فضحك الي فتبسمت اليه ولعل هذا
كان بعد ما اخرجه احمد في مسنده عن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال لجبريل ما لي لم ار ميكايل ضاحكا قط قال ما ضحك منذ خلقت النار
ومما يدل على ان جبريل عليه السلام خلق قبل النار ايضا ما في مسند احمد عن انس بن مالك
قال قال صلى الله عليه وسلم لجبريل لم تاتني الا وانت صار بين عينيك قال اني لم اضحك
منذ خلقت النار وهذا مع ما تقدم من رؤيته الجنة والنار رد على الجهمية وبعض المعتزلة
كعبد الجبار وابي هاشم حيث زعموا ان الله تعالى لم يخلق الجنة والنار وانهما ليسا موجودتين
الان وانما يخلقهما سبحانه يوم الجزا مستدلين بانه لا يحسن من الحكيم ان يخلق الجنة دار
النعمة والنار دار النقمة قبل خلق اهلهما وبانهما لو كانا مخلوقتين في السما والارض
لفنيا بفنائهما والجواب عن الاول بانه يحسن من الحكيم خلقهما قبل الجزا لان الانسان
اذا علم ثوابا مخلوقا اجتهد في العبادة لتحصيل ذلك الثواب واذا علم عقابا مخلوقا
اجتهد في اجتناب المعاصي لئلا يصيبه ذلك العقاب فليتامل والجواب عن
الثاني بان الله استثناهما من قوله تعالى فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شا
الله وقيل ان هذه صعقة الموت ولا يتصف بالموت غير ذي الروح ولان الجنة كما قيل
ليست في السما السابعة بل فوقها والنار ليست في الارض السابعة بل تحتها وحينئذ
يكون القول بان الجنة في السما السابعة والنار في الارض السابعة فيه تجوز والله
اعلم قال واختلف في رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه تبارك وتعالى تلك الليلة فاكثر
العلما على وقوع ذلك اي انه صلى الله عليه وسلم راه عز وجل بعيني راسه واستدل له
بحديث رايت ربي في احسن صورة ورد بان هذا الحديث مضطرب الاسناد والمتن

وقد

وقد قال بعض العارفين شاهد الحق سبحانه وتعالى القلوب فلم ير قلبا اشوق اليه
من قلب محمد صلى الله عليه وسلم فاكرمه بالمعراج تعجيلا للرؤية والمكالمة وانكرتها
عائشة رضي الله تعالى عنها وقالت من زعم ان محمدا راى ربه بعيني راسه فقد اعظم
الفرية على الله عز وجل اي اتى باعظم الافترا والكذب على الله عز وجل ووافقها على
ذلك من الصحابة ابن مسعود وابو هريرة رضي الله تعالى عنهما وجمع من العلما ونقل
عن الدارمي الحافظ انه نقل اجماع الصحابة على ذلك ونظر فيه وذهب الى الرؤية
اي المذكورة اكثر الصحابة وكثير من المحدثين والمتكلمين بل حكى بعض الحفاظ على وقوع ع
الرؤية له بعيني راسه الاجماع والى ذلك يشير صاحب الاصل بقوله

ورآه وما رآه سواه * رؤية العين يقظة لا المراى

واحتجت عائشة رضي الله تعالى عنها لمنع الرؤية بقوله تعالى لا تدركه الابصار
قال وروى ان مسروقا قال لها الم يقل الله عز وجل ولقد رآه نزلة اخرى اي مرة اي
بناء على ان الضمير المستتر له صلى الله عليه وسلم والبارز له سبحانه وتعالى فقالت
انا اول هذه الامة سال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رايت ربك فقال انما رايت جبريل
منهبطا اي فالضمير البارز انما هو لجبريل وفي رواية قال لها ذاك جبريل لم اره في
صورته التي خلق عليها الا مرتين اي مرة في الارض ومرة في السما في هذه الليلة كما تقدم
وعلى ظاهر الاية ان من جعل الضمير المستتر له صلى الله عليه وسلم والبارز له سبحانه
وقطع النظر عن هذه الرواية التي احتجت بها عائشة يلزم ان يكون صلى الله عليه وسلم راى
الحق سبحانه وتعالى ليلة المعراج مرتين مرة في قاب قوسين ومرة عند سدرة المنتهى
ولا مانع من ذلك ولعل ذلك هو المعنى بقوله للخصائص الصغرى وخص صلى الله
عليه وسلم برؤيته للباري عز وجل مرتين وفيها وجمع له بين الكلام والرؤية وكلمه عند
سدرة المنتهى وكلم موسى بالجبل قال بعضهم يجوز انه صلى الله عليه وسلم خاطب عايشة
رضي الله عنها اذ ذاك بقوله انما رايت جبريل الى اخره على قدر عقلها اي في ذلك الوقت
انتهى واستدل لقولها بما روي عن ابي ذر رضي الله تعالى عنه قلت يا رسول الله هل رايت
ربك قال رايت نورا اي حجبني ومنعني من رؤيته عز وجل ومن ثم جا في رواية نور
انى اراه اي كيف اراه مع وجود النور لان النور اذا غشي البصر حجبه عن رؤية ما وراه
اي وليس المراد انه سبحانه وتعالى هو النور المرئي له خلافا لمن فهم ذلك وايد بما
روي نوراني اراه اي لكن هذه الرواية كما قيل تصحيف ومن ثم قال القاضي عياض لم اره
في اصل من الاصول ومحال ان تكون ذاته تعالى نورا لان النور من جملة الاعراض لانه
كيفية تدركها الباصرة اولا وبواسطتها تلك الكيفية تدرك سائر المبصرات

كالكيفية القابضة من النيرين على الاجرام الكثيفة المجاذبة لهما والله تعالى يتعالى
عن ذلك اى فحجابه تعالى النور كما رواه مسلم اى ومن ثمه قيل في قوله تعالى الله نور
السموات والارض اى ذو النور او هو على المبالغة اى وجا رايت ربي في صورة شاب امرد
عليه حلة خضرا دونه ستر من لولو وجا رايت ربي في احسن صورة قال الكمال بن الهمام
ان كان المراد به رويتا ليقظة فهو حجاب الصورة قال وقيل راه بفواده مرتين
لا بعيني راسه فعن بعض الصحابة قلنا يا رسول الله هل رايت ربك قال لم اره بعيني
رايته بفوادي مرتين ثم تلا ثم دنا فتدلى الاية وهذا السياق يدل على ان فاعل دنى فتدلى
الحق سبحانه وتعالى والمراد بالفواد القلب اى خلقت الروية في القلب او خلق الله لفواده
بصرا راى به انتهى اقول وكون الفواد له بصرا واضح لقوله تعالى ما زاغ البصر وما
طغى اجيب عما احتجت به عايشة رضي الله تعالى عنها بقوله لا تدركه الابصار بانه
لا يلزم من الروية الادراك الذي هو الاحاطة فالمنفي انما هو الاحاطة بدون اصل الروية
وقد قال بعضهم للامام احمد باى معنى تدفع قول عايشة رضي الله تعالى عنها من زعم
ان محمدا راى ربه فقد اعظم على الله تعالى الفرية فقال يدفع بقول النبي صلى الله عليه وسلم
رايت ربي وقول النبي صلى الله عليه وسلم اكبر من قولها هذا وقد قال ابو العباس بن تيمية
الامام احمد انما يعني روية المنام فانه لما سئل عن ذلك قال نعم راه فان رويا الانبيا
حق ولم يقل انه راه بعيني راسه يقظة ومن حكى عنه ذلك فقد وهم وهذه نصوصه
موجودة ليس فيها ذلك اقول وفيه انه يبعد ان يكون الامام احمد يفهم عن عايشة
رضي الله تعالى عنها انها تنكر رويا المنام حتى يرد عليها وقد صح حديث ابي ذر
المتقدم وهو قلت يا رسول الله رايت ربك فقال نور انى اراه وهو من جملة الاحاديث
التي في مسلم التي نطق فيها والله اعلم قال ابو العباس بن تيمية واهل السنة متفقون
على ان الله عز وجل لا يراه احد بعينه في الدنيا لا نبي ولا غير نبي ولم يقع النزاع الا في
نبينا صلى الله عليه وسلم خاصة مع ان احاديث المعراج المعروفة ليس في شيء منها
انه راه وانما روي ذلك باسناد موضوع باتفاق اهل الحديث وفي صحيح مسلم وغيره
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال واعلموا ان احدا منكم لن يرى ربه حتى يموت وقد ساله
موسى الروية فمنعها وقد نقل القرطبي عن جماعة من المحققين القول في الوقف
في هذه المسئلة لانه لا دليل قاطع وغاية ما استدل به الفريقان ظواهر متعارضة
قابلة للتاويل وهي من المعتقدات فلا يكفي فيها الا الدليل القطعي هذا كلامه ونازع
فيه السبكي بانه ليس من المعتقدات التي يشترط فيها الدليل القطعي وهي التي تكلف
باعتقادها كالحشر والنشر بل من المعتقدات التي يكتفى فيها بخبر الاحاد الصحيح

دمي

ويلزم المكلف باعتقادها كما نحن فيه وفي الخصايص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم
برويته من ايات ربه الكبرى وحفظه حتى ما زاغ البصر وما طغى وبرويته للباري
مرتين وفي كلام بعضهم قال العلما في قوله تعالى لقد راى من ايات ربه الكبرى راى
صورة ذاته المباركة في الملكوت فاذا هو عروس المملكة وفي كلام بعضهم ومن
حيثية خص صلى الله عليه وسلم بالفضيلة منها الروية والقرب والدنو قال بعضهم
قد صحت الاحاديث عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في اثبات الروية وحينئذ
يجب المصير الى اثباتها ولا يستجرئ احد ان يظن في ابن عباس انه تكلم في هذه
المسئلة بالظن والاجتهاد وقال الامام النووي والراجح عند اكثر العلما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم راى ربه بعيني راسه واما رويته عز وجل يوم القيمة في الموقف
فعامة لكل احد من الخلق الانس والجن من الرجال والنسا المومن والكافر والملايكة
جبريل وغيره واما رويته عز وجل في الجنة فقيل لا تراه الملايكة وقيل يراه منهم
جبريل خاصة مرة واحدة قال بعضهم وقياس عدم روية الملايكة عدم روية الجن
ورد ذلك واختلف في روية النساء هذه الامة له تعالى في الجنة فقيل لا يرونه
لانهن مقصورات اى محبوسات في الخيام وقيل يرونه كالرجال وقيل يرونه في
ايام الاعياد دون ايام الجمع بخلاف الرجال فانهم يرونه في كل جمعة فقد جا انه
تعالى يتجلى في مثل عيد الفطر ويوم النحر لاهل الجنة تجليا عاما ومن اهل الجنة
مومن الجن على الراجح وجا ان كل يوم كان للمسلمين عيدا في الدنيا فانه عيد لهم في الجنة
يجتمعون فيه على زيارة ربهم ويتجلى لهم فيه ويدعى يوم الجمعة في الجنة يوم المزيد
قال بعضهم هذا العموم اهل الجنة واما خواصهم فكل يوم لهم عيد يرون ربهم فيه بكرة
وعشيا واما روية الله عز وجل في النوم ففي الخصايص الصغرى ومن خصايصه
صلى الله عليه وسلم انه يجوز له روية الله عز وجل في المنام ولا يجوز ذلك لغيره صلى
الله عليه وسلم في احد القولين وهو اختياري وعليه ابو منصور الماتريدي وفي
كلام الامام النووي قال القاضي عياض اتفق العلما على جواز روية الله تعالى
في المنام وصحتها اى وقوعها قال وان راه حينئذ انسان على صفة لا تليق بجلاله
من صفة الاجساد لان ذلك المرئي غير ذات الله تعالى والله اعلم ثم لا يخفى ان
اكثر العلما على ان الاسرا الى بيت المقدس ثم المعراج الى السما كانا في ليلة واحدة
اى وقيل كان الاسرا وحده في ليلة ثم كان هو والمعراج في ليلة اخرى قال وقد
جا انه صلى الله عليه وسلم لما نزل الى سما الدنيا نظر الى اسفل منه فاذا هو
برهج ودخان واصوات فقال ما هذا يا جبريل قال هذه الشياطين يحومون

على أعين بني آدم لا يتفكرون اي وذلك مانع لهم من التفكر في ملكوت السموات
والارض اي لعدم نظرهم للعلامات الموصلة لذلك لو كان ذلك لرأوا العجائب
اي ادركوها **ثم** ركب صلى الله عليه وسلم البراق منصرفا اي بناء على انه لم يعرج
على البراق فمر بعير لقريش الى اخر ما تقدم انتهى **اقول** ذكر بعضهم أن ما انزل عليه صلى
الله عليه وسلم بين السما والارض اي عند نزوله من السما قوله تعالى وما منا الا له مقام
معلوم الايات الثلاث وقوله تعالى واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية
والايتان من آخر سورة البقرة وهما آمن الرسول الى آخر السورة وتقدم انهما
نزلتا بقاب قوسين والله اعلم واستدل العلماء على ان كلا من الاسرا والمعراج كان يقظة
بجسده صلى الله عليه وسلم وروحه بقوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا
لان العبد حقيقة هو الروح والجسد قال تعالى ارأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى
وقوله تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه ولو كان الاسرا مناما لما قام عبد الله يدعوه
ولو كان الاسرا مناما لقال بروح عبده ولان الدواب التي منها البراق لا تحمل الارواح
انما تحمل الاجساد واستدل على الرؤية كانت بعين بصره صلى الله عليه وسلم يقظة
بقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى لان وصف البصر بعدم الازاغة يقتضي ان ذلك
يقظة ولو كانت الرؤية قلبية لقال ما زاغ قلبه **اقول** فيه ان لقائل ان يقول
يجوز ان يكون المراد بالبصر بصر قلبه لما تقدم ان الله تعالى خلق لقلبه بصرا والله
اعلم وقيل كان الاسرا بجسده والمعراج بروحه الشريفة اي بذاتها حقيقة
من غير اماتة للجسد وكان حاله في ذلك ارق منه كحالها بعد مفارقتها الجسد هنا
بموته في صعودها في السموات حتى تقف بين يدي الله تعالى وهذا امر فوق ما يراه
النائم وغيره صلى الله عليه وسلم لا تنال ذات روحه الصعود الا بعد الموت لحبسها
قيل ومن ثم لم يشنع كفار قريش الا امر الاسرا دون المعراج **اقول** الظاهر ان ه
اخباره صلى الله عليه وسلم بالمعراج لم يكن عند اخباره بالاسرا بل تأخر عن اخباره
بالاسرا بناء على انهما كانا في ليلة واحدة والا فقد ذكر بعضهم أن المعراج لم يكن في ليلة
الاسرا الذي اخبرهم كفار قريش قال اذ لو كان اي في تلك الليلة لاخبر به حين
اخبرهم بالاسرا اي ولم يخبر به حينئذ اذ لو اخبر به حينئذ لنقل ولذكره سبحانه
وتعالى اي مع الاسرا لان المعراج ابلغ في المدح والكرامة وخرق العادة من الاسرا
الى المسجد الاقصى **واجيب** عنه بانه على تسليم انه كان في ليلة الاسرا الذي اخبر
به قريشا هو صلى الله عليه وسلم اسند رجعهم الى الايمان بذكر الاسرا اولا فلما ظهرت
امارات صدقه على تلك الاية الخارقة التي هي الاسرا اخبرهم بما هو اعظم منها وهو المعراج

بعد

بعد ذلك اي وحيث اخبرهم بذلك لم ينكر لذلك اي لثبوت صدقه صلى الله
عليه وسلم فيما ادعاه من الاسرا وتقدم عن المواهب انهم لما لم يبينوا علامة تدل
على صدقه صلى الله عليه وسلم في ذلك لعدم علمهم ومعرفتهم بشيء في السما والحق
سبحانه وتعالى ارشده الى ذلك اي الى ان يخبرهم بالاسرا اولا ثم بالمعراج ثانيا
حيث لم ينزل قصة المعراج في سورة الاسرا بل انزل ذلك في سورة النجم ومما
يؤيد انهما كانا في ليلة واحدة قول الامام البخاري في صحيحه باب كيف فرضت
الصلاة ليلة الاسرا لان من المعلوم ان فرض الصلاة الخمس انما هو في المعراج
ولعل افراده كلا من الاسرا والمعراج بترجمة فلا يخالف ذلك لاشارة انه افرد كلا منهما
بترجمة لان كلا منهما يشتمل على قصة منفردة وان كانا وقعا معا وقد خالف
الحافظ الدمياطي في سيرته فذكر ان المعراج كان في رمضان والاسرا كان في
ربيع الاول والله اعلم **وقيل** الاسرا وقع له صلى الله عليه وسلم اي بعد البعثة مرتين
مناما اولا ويقظة ثانيا اي فكانت مرة المنام توطئة وتيسيرا لوقوعه يقظة
وبذلك يجمع بين الاختلاف الواقع في الاحاديث اي فبعض الرواة خلط الواقع
له صلى الله عليه وسلم مناما بالواقع له يقظة وعلى هذا لا يشكل قول شريك فلما استيقظ
لكنه قال ان مرة المنام كانت قبل البعثة ففي روايته وذلك قبل ان يوحى اليه وقد
انكر الخطابي عليه ذلك وعده من جملة اوهامه الواقعة في حديث الاسرا والمعراج
ورد على الخطابي الحافظ ابن حجر في ذلك بما ينبغي الوقوف عليه وقيل كان المعراج
يقظة ولم يكن ليلا ولم يكن من بيت المقدس بل كان من مكة وكان نهارا **فقد جا**
انه صلى الله عليه وسلم كان يسأل ربه عز وجل ان يريه الجنة والنار فلما كان نائما
ظهرا اتاه جبريل وميكائيل فقال انطلق الى ما سألت الله تعالى فانطلقا بي الى
ما بين المقام وزمزم فاتي بالمعراج فاذا هو احسن شيء منظرا فعرجا به الى السموات
تمام الحديث ولا يخفى ان سياق هذا الحديث يدل على ان ذلك كان مناما فلا يحسن
ان يكون دليلا على قوله يقظة **وقد جا** عن ابي ذر رضي الله تعالى عنه انه قال ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي وانا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري
ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغهما في صدري
ثم اخذ بيدي فعرج بي الى السما الحديث **وقد يدعى** ان في رواية ابي ذر اختصارا
وليس فيها ان ذلك مناما او يقظة اي واما ما ادعاه بعضهم ان المعراج تكرر
يقظة فغريب اذ كيف تكرر يقظة سؤال اهل كل باب من ابواب السما هل بعث
اليه وكيف يتكرر سؤاله صلى الله عليه وسلم عن كل نبي نبي وكيف يتكرر فرض الصلوات.

الخمس والمراجعة واما منامًا فلا بعد في تكرر ذلك توطئة لوقوعه يقظة اه وهذا منشأ اختلاف الروايات ادخل بعض الرواة ما وقع في المنام ما وقع في اليقظة كما تقدم نظيره في الاسرا وتعدد روايات الاسرا لا يقتضي لتعدده في اليقظة خلافًا لمن زعمه وممن زعمه الحافظ ابن كثير حيث جعل كل رواية خالفت الاخرى مرة على حدة فاثبت اسراآت متعددة فقد ابعد واغرب اي فالحق انه اسرا واحد بروحه وجسده صلى الله عليه وسلم يقظة وذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم يقظة وذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم وذكر بعضهم انه صلى الله عليه وسلم كان له اسراآت اربعة وعشرين مرة وقيل ثلاثين مرة منها مرة واحدة بروحه وجسده يقظة والباقي بروحه رؤيا راها اي ومن ذلك ما وقع له صلى الله عليه وسلم في المدينة بعد الهجرة وهو يحمل قول عائشة رضي الله تعالى عنها ما فقدت جسده الشريف وفي صبيحة ليلة المعراج اي حين زالت الشمس من اليوم الذي يلي الليلة التي فرضت فيها الصلوات الخمس كان نزول جبريل عليه السلام وامامته بالنبي صلى الله عليه وسلم ليعلمه اوقات الصلوات اي وكيفيتها اعلا انه لا يلزم من علمه صلى الله عليه وسلم بكيفية صلاة الركعتين وصلاة قيام الليل علم كيفية الصلوات الخمس وان قلنا ان الرباعية منها فرضت ركعتين فامر صلى الله عليه وسلم فصيح باصحابه الصلاة جامعة فاجتمعوا فصلى به جبريل وصلى النبي صلى الله عليه وسلم بالناس فسميت تلك الصلاة الظهر لانها فعلت عند قيام الظهيرة اي شدة الحر وعند نهاية ارتفاع الشمس وهذا الحديث ظاهر بان صلاته صلى الله عليه وسلم بالناس كانت بعد صلاته مع جبريل ويحتمل ان يكون صلى الله عليه وسلم صلى بصلاة جبريل والناس صلوا بصلاته صلى الله عليه وسلم ففي بعض الروايات لما نودي بالصلاة جامعة فزعوا لذلك واجتمعوا فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر اربع ركعات لا يقرا فيهن علانية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يدي الناس وجبريل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتدي الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ويقتدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بجبريل ثم تصلي كذلك في العصر ولما غابت الشمس صلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب ثلاث ركعات يقرا في كل ركعة علانية وركعة لا يقرا فيها علانية رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يدي الناس وجبريل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بجبريل وفي كلام الامام النووي قوله ان جبريل نزل فصلى امام رسول الله صلى الله عليه وسلم هو بكسر الهمزة ويوضحه قوله في الحديث نزل جبريل فامني واستدل بذلك بعضهم على جواز الاقتدا بمن هو معتقد بغيره

لا كما يقول ايمتنا من منع ذلك واجيب عنه من ايمتنا بان معنى كونه صلى الله عليه وسلم مقتديا بجبريل انه متابع له في الافعال من غير نية اقتداء ولا يتاتى فعله على فعل جبريل فاذا يشكل على ايمتنا نعم هذا حينئذ يشكل على ايمتنا القايلين بانه لابد من علم كيفية الصلاة قبل الدخول فيها ولا يكفي علمها بالمشاهدة ويجاب بانه يجوز ان يكون جبريل علمه صلى الله عليه وسلم كيفيتها بالقول ثم اتبع القول الفعل وهو صلى الله عليه وسلم علم اصحابه كذلك وبما تقرر يسقط الاستدلال بذلك على جواز الفرض خلف النفل لان تلك الصلاة لم تكن واجبة على جبريل لان الملايكة ليسوا مكلفين بذلك على انه اجيب بانها كانت واجبة على جبريل لانه مامور بتعليمها له صلى الله عليه وسلم قولًا وفعلًا وكان ذلك عند البيت اي الكعبة مستقبلا بيت المقدس اي صخرته واستقباله صلى الله عليه وسلم لبيت المقدس كان باجتهاد منه وقيل كان بامر من الله تعالى له قيل بقران وقيل بغيره وعلى انه بقران يكون مما نسخت تلاوته وقد قال ايمتنا ونسخ قيام الليل بالصلوات الخمس كما نسخ التوجه تقدم وكان صلى الله عليه وسلم اذا استقبل بيت المقدس يجعل الكعبة بينه وبينه فيصلي بين الركن اليماني وركن الحجر الاسود اي كما صلى بجبريل الركعتين اول البعث كما تقدم وحينئذ لا يخالف هذا قول بعضهم لم يزل صلى الله عليه وسلم يستقبل الكعبة حتى خرج منها اي من مكة اي لم يستدبرها فلما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة استقبل بيت المقدس اي تمحض استقباله له واستدبر الكعبة وظاهر اطلاق قوله ان هذا اي استقباله لبيت المقدس وجعل الكعبة بينه وبينه كان شانه صلى الله عليه وسلم تمامًا وان صلى خارج المسجد بمكة ونواحيها والظاهر انه صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك ادبًا لا وجوبًا والا فلا يخفى ان صلاة جبريل به صلى الله عليه وسلم كانت عند باب الكعبة كما رواه امامنا الشافعي رحمه الله تعالى عنه في الام وروى الطحاوي عند باب البيت مرتين اي وذلك في المحل المنخفض الذي تسميه العامة المعجنة كما تقدم وصلاته صلى الله عليه وسلم عند باب الكعبة في المحل المذكور لبيت المقدس لا يكون مستقبلا للكعبة بل يكون على يسار لانه لا يتصور ان يستقبل بيت المقدس ويكون مستقبلا للكعبة ايضا الا اذا صلى بين اليمانيين كما تقدم وايضا ذكر بعضهم انه صلى الله عليه وسلم كان يسجد نحو بيت المقدس ويجعل الكعبة وراء ظهره وهو بمكة اي في بعض الاوقات حتى لا يخالف ما سبق انه صلى الله عليه وسلم كان يستقبلها مع استقباله لبيت المقدس ولا ينافي ذلك ما في زينة الاعمال

اقام صلى الله عليه وسلم بعد نزول جبريل ثلاث عشرة سنة وكان يصلي الى بيت المقدس
مدة اقامته بمكة يجعلها بين يديه ولا يستدبرها لامكان جمل مدة اقامته على غالبها
ومما يدل على انه صلى الله عليه وسلم مع الصحابة كانوا يصلون الى بيت المقدس وهم
بمكة ما سياتي عن البرا بن معرور انه لما عدل عن استقبال بيت المقدس الى
استقبال الكعبة قيل انه هاجر صلى الله عليه وسلم وسأله عن ذلك قال له قد
كنت على قبلة لو صبرت عليها وامر به صلى الله عليه وسلم جبريل مرتين مرة اول الوقت
ومرة اخر الوقت لكن الوقت الاختياري بالنسبة للعصر والعشا والصبح لا الاخر
الحقيقي ليعلمه الوقت اي ولما جاءه صلى الله عليه وسلم جبريل امر فصيح باصحابه الصلاة
الصلاة جامعة كما تقدم اي لان الاقامة المعروفة للصلوات الخمس لم تشرع الا بالمدينة
على ما تقدم وسياتي قال فقد جاء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذا جبريل يعلمكم
دينكم وصلى به في اول يوم الظهر حين زالت الشمس كما تقدم اي عقب زوالها
وصلى به العصر حتى صار ظل كل شيء مثله اي زيادة على ظل الاستوا وعلى الظل الحاصل
عقب الزوال وصلى به المغرب حين افطر الصايم اي دخل وقت افطاره وهو
غروب الشمس وصلى به العشا حين غاب الشفق وصلى به اي في غد ذلك اليوم
وهو اليوم الثاني الفجر حين حرم الطعام والشراب على الصايم اي حين دخل وقت
حرمة ذلك وهو الفجر فان قيل صلاة جبريل به صلى الله عليه وسلم حينئذ لم يكن
الصوم الذي هو رمضان فرض اجيب بانه على تسليم انه لم يفرض عليه صوم قبل
رمضان وهو صوم عاشورا وثلاثة ايام من كل شهر على ما سياتي جاز ان يكون اخباره
صلى الله عليه وسلم بهذه العبارة كان بعد فرض رمضان وصلى به الظهر حين كان ظل
كل شيء مثله وصلى به العصر حين كان ظل الشيء مثليه وصلى به المغرب حين افطر
الصايم وصلى به العشا ثلث الليل الاول وصلى به الفجر اي في اليوم الثالث
فاسفر ثم التفت وقال يا محمد هذا وقتك ووقت الانبيا من قبلك والوقت ما بين
هذين الوقتين انتهى واما رواية صلى بي الظهر الى ان قال وصلى بي الفجر فلما
كان الغد صلى بي الظهر المقتضي ذلك لان يكون الفجر ليس من اليوم الثاني بل
من تتمة ما قبل وفيه دليل على ان اليوم من طلوع الشمس كما يقول الفلكيون اي
ولا يخفى ان قوله والوقت ما بين هذين الوقتين محمول عند امامنا الشافعي رضي الله
عنه على الوقت الاختياري بالنسبة للعصر والعشا والفجر الا فوقت العصر لا يخرج
الا بغروب الشمس ووقت العشا لا يخرج الا بطلوع الفجر ووقت الصبح لا يخرج
الا بطلوع الشمس خلافا للاصطخري حيث ذهب الى خروج وقت العصر بمصير

ظل كل شيء مثليه والعشا بثلث الليل والصبح بالاسفار تمسكا بظاهر الحديث
والبداة بالظهر هو ما عليه اكثر الروايات وروي ان البداة كانت بالصبح
عند طلوع الفجر وعلى الاول انها لم تقع البداة بالصبح مع انها اول صلاة
تحضر بعد ليلة الاسرا الا ان الاتيان بها يتوقف على بيان علم كيفيتها المعلق
عليه الوجوب كانه قيل اوجبت عليك حيث ما تبين كيفيته في وقته والصبح لم
تتبين كيفيتها في وقتها فلم تجب فلا يقال هذا من تاخير البيان عن وقت الحاجة
ولجاب الامام النووي بانه حصل التصريح بان اول وجوب الخمس من الظهر كانه
قيل اوجبت ما عدا صلاة صبح يوم هذه الليلة فعدم وجوبها ليس لعدم علم كيفيتها
فهي غير واجبة وان فرض علم كيفيتها فيه انه يلزم حينئذ ان الخمس صلوات في اليوم
والليلة لم توجد الا فيما عدا ذلك اليوم وليلته قال ابو بكر بن العربي ظاهر قوله
هذا وقتك ووقت الانبيا من قبلك ان هذه الصلوات في هذه الاوقات كانت مشروعة
لكل واحد من الانبيا قبله وليس كذلك وانما معناه ان وقتك هذا المحدود الطرفين
مثل وقت الانبيا قبلك فانه كان محدود الطرفين والا فلم تكن هذه الصلوات
الخمس على هذه المواقيت الا لهذه الامة خاصة وان كان غيرهم قد شاركهم في بعضها
اي فقد جاء عن عايشة رضي الله تعالى عنها ان ادم لما تيب عليه كان ذلك عند الفجر
فصلى ركعتين فصارت الصبح وفدي اسحق عند الظهر اي على القول بانه الذبيح
فصلى اربع ركعات فصارت الظهر وبعث عزير فقيل له كم لبثت قال لبثت يوما فلما
راى الشمس قريبة من الغروب قال او بعض يوم فصلى اربع ركعات فصارت العصر
وغفر لداود عند المغرب اي الغروب فقام يصلي اربع ركعات فجهد اي تعب
فجلس في الثالثة اي سلم منها فصارت المغرب ثلاثا واول من صلى العشا الاخرة
نبينا صلى الله عليه وسلم فصلاتها من خصايصه وفي شرح مسند امامنا الشافعي رضي
الله تعالى عنه للامام الرافعي رحمه الله كانت الصبح صلاة ادم والظهر صلاة داود
اي فقد اشترك داود واسحاق في صلاة الظهر والعصر صلاة سليمان اي فقد
اشترك سليمان وعزير في صلاة العصر والمغرب صلاة يعقوب اي فقد اشترك
يعقوب وداود في صلاة المغرب والعشا صلاة يونس واورد في ذلك خبرا
وعليه فليست صلاة العشا من خصايص نبينا صلى الله عليه وسلم والاصل
ان ما ثبت في حق نبي ثبت في حق امته الا ان يقوم الدليل على الخصوصية
فليست من خصايص هذه الامة وذكر بعضهم ان المغرب كانت صلاة
عيسى اي وكانت اربعا ركعتين عن نفسه وركعتين عن امته اي فقد اشترك

عيسى ويعقوب وداود في صلاة المغرب وفي كلام بعضهم اول من صلى الفجر آدم
والظهر ابراهيم اى وعليه فقد اشترك ابراهيم واسحاق وداود في صلاة الظهر
واول من صلى العصر يونس اى وعليه فقد اشترك سليمان وعزير ويونس في صلاة
العصر واول من صلى المغرب عيسى واول من صلى العتمة التي هي العشا موسى اى وعليه
فقد اشترك موسى ويونس ونبينا صلى الله عليه وسلم عليهم الصلاة العشا وفي
الخصائص الكبرى خص صلى الله عليه وسلم بانه اول من صلى العشا فلم يصلها نبي
قبله ومن لازمه انه لم يصلها احد من الامم وقد جا التصريح به في بعض الروايات
انكم فضلتم بها اى العشا على سائر الامم وعليه فهي من خصائصنا ومن خصائص نبينا
صلى الله عليه وسلم وقد تقدم عند بنا الكعبة ان جبريل صلى بابراهيم صلى الله على
نبينا وعليه وسلم الصلوات الخمس فليتامل قال قيل فرضت الصلاة الخمس في المعراج
ركعتين اى حتى المغرب ثم زيدت في صلاة الحضر فاكملها اربعا في الظهر اى في غير
يوم الجمعة واربعا في العصر وثلاثا في المغرب واقرت صلاة السفر على ركعتين
اى حتى في المغرب فعن عائشة رضي الله تعالى عنها فرضت صلاة الحضر والسفر ركعتين
اى في الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشا فلما اقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالمدينة اى بعد شهر وقيل وعشرة ايام من الهجرة زيد في صلاة الحضر ركعتان
وتركت صلاة الفجر اى لم يزد عليها شي لطول القراة اى فانها تطلب فيها زيادة ه
القراة على الظهر والعصر المطلوب فيهما قراة طوال المفصل وصلاة المغرب
اى تركت صلاة المغرب فلم يزد فيها ركعتان بل ركعة فصارت ثلاثة لانها وتر النهار
اى كما في الحديث نعود عليه بركة الوتر بان الله وتر يحب الوتر والمراد انها وتر
عقب صلاة النهار وتركت صلاة السفر لم يزد فيها شي اى في غير المغرب هذا هو المشهور
المفهوم من كلام عائشة رضي الله تعالى عنها وهو يفيد ان صلاة السفر استمرت على
ركعتين اى في غير المغرب اى وحينئذ يلزم ان يكون القصر في الظهر والعصر ه
والعشا عزيمة لا رخصة ولا يحسن ذلك مع قوله تعالى فليس عليكم جناح ان تقصروا
من الصلاة وفي كلام الحافظ ابن حجر المراد بقول عائشة فاقرت صلاة
السفر باعتبار ما آل اليه الامر من التخفيف اى لانه لما استقر فرض الرباعية
خفف منها اى في السفر لان استقرارها بعد قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة بشهر
او باربعين يوما ثم نزلت اية القصر في ربيع الاول من السنة الثانية لا انها استمرت
منذ فرضت فلا يلزم ذلك ان القصر عزيمة ه وقيل فرضت اى الصلوات الخمس
في المعراج اربعا الا المغرب ففرضت ثلاثا والا الصبح ففرضت ركعتين اى

والا

والا صلاة الجمعة ففرضت ركعتين ثم قصرت الاربع في السفر اى وهو المناسب
لقوله تعالى فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ومن ثم قال بعضهم ان
هذا هو الذي يقتضيه ظاهر القران وكلام جمهور العلما ويمكن ان يكون
المراد من كلام عائشة رضي الله تعالى عنها انها فرضت ركعتان بتشهد ثم ركعتان
بتشهد وسلام وفيه ان هذا لا ياتي في الصبح والمغرب وقال بعضهم
ويبعد هذا الحمل ما روي عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي اى الصلوات
الخمس التي فرضت بالمعراج بمكة ركعتين ركعتين فلما قدم المدينة اى واقام
شهرا او وعشرة ايام فرضت الصلاة اربعا وثلاثا وتركت الركعتان تماما
اى تامة للمسافر وعن يعلى بن امية قال قلت لعمر بن الخطاب ليس عليكم جناح
ان تقصروا من الصلاة ان خفتم فقد امن الناس قال عمر عجبت مما عجبت منه
فسالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم
فاقبلوا صدقته اى فصار سبب القصر مجرد السفر لا الخوف وهذا قد ينافيه
ما في الاتقان سال قوم من بني النجار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول
الله انا نضرب في الارض فكيف نصلي فانزل الله عز وجل واذا ضربتم في الارض
فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ثم انقطع الوحي فلما كان بعد ذلك
غزا النبي صلى الله عليه وسلم فصلى الظهر فقال المشركون لقد امكنكم محمد واصحابه
من ظهورهم هلا شددتم عليهم فقال قائل منهم ان لهم اخرى مثلها في اثرها فانزل الله
عز وجل بين الصلاتين ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا الى قوله عذابا مهينا فنزلت
صلاة الخوف فتبين بهذا الحديث ان قوله ان خفتم شرط فيما بعده وهو صلاة الخوف
لا في صلاة القصر قال ابن جرير هذا تاويل في الاية حسن لو لم يكن في الاية اذا قال ابن
الفرس يصح مع اذا على جعل الواو زايدة قلت ويكون من اعتراض الشرط على الشرط والحسن
منه ان يجعل اذا زايدة بناء على قول من يجيز زيادتها هذا كلامه فليتامل وقيل
فرض اى الرباعية اربعا في الحضر وركعتين في السفر فعن عمر رضي الله تعالى عنه صلاة
السفر ركعتان وصلاة الجمعة ركعتان وصلاة العيد ركعتان غير قصر اى تامة على
لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم اى وفيه بالنسبة لصلاة السفر ما تقدم وعن
ابن عباس رضي الله عنهما فرضت في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة
اى وفيه في صلاة السفر ما تقدم وقوله في الخوف ركعة اى يصليها مع الامام
وينفرد بالاخرى وذلك في صلاة عسفان حيث يحرم بالجميع ويسجد معه صف
اول ويحرس الصف الثاني فاذا قاموا سجد من حرس ولحقه وسجد معه في الرابعة

الثانية وحرس الآخرون فقد صلى كل صف مع الامام ركعة ولا يقال ان في كلام ابن
عباس ما يفيد ان صلاة الفجر تقصر **وفرض التشهد** والصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم متأخر عن فرض الصلاة فعن ابن مسعود كنا نقول قبل ان يفرض علينا التشهد
السلام على الله قبل عباده السلام على جبريل السلام على ميكائيل السلام على فلان اي
من الملائكة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقولوا السلام على الله فان الله هو السلام
وقال له بعض الصحابة كيف نصلي عليك اذا نحن صلينا عليك في صلاتنا فقال
قولوا اللهم صل على محمد الى آخره ولم اقف على الوقت الذي فرض التشهد والصلاة عليه
صلى الله عليه وسلم فيه ولا على ان قولهم السلام على الله الى آخره هل كان واجبا او مندوبا
قال بعضهم والحكمة في جعل الصلوات في اليوم والليلة خمسا ان الحواس لما كانت
خمسة والمعاصي تقع بواسطتها كانت كذلك لتكون ماحية لما يقع في اليوم والليلة
من المعاصي اي بسبب تلك الحواس وقد اشار الى ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله
أرأيتم لو كان بباب احدكم نهر يغتسل منه في اليوم والليلة خمس مرات كان ذلك
يبقي من درنه شيئا قالوا لا قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا
قيل وجعلت مثنى وثلاث ورباع ليوافق اجنحة الملائكة كأنها جعلت اجنحة للمصلي
يطير بها الى الله تعالى وسئل ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هل تجد الصلوات
الخمس في كتاب الله فقال نعم وتلا قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون
وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون اي اراد بحين تمسون المغرب
والعشاء وبحين تصبحون الفجر وبعشيا العصر وبحين تظهرون الظهر واطلاق
التسبيح بمعنى الصلاة جاء في قوله تعالى فلولا انه كان من المسبحين قال القرطبي
اي من المصلين وفي الكشاف عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كل تسبيح في القرآن
فهو صلاة **باب عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه**
على القبائل من العرب ان يحموه ويناصروه على ما جاء به من الحق اي لانه صلى الله عليه وسلم
اخفى رسالته ثلاث سنين ثم اعلن بها في الرابعة على ما تقدم ودعا الى الاسلام عشر
سنين يوافي الموسم كل عام يتبع الحجاج في منازلهم اي بمنى والموقف يسأل عن القبائل
قبيلة قبيلة ويسأل عن منازلهم ويأتي اليهم في اسواق الموسم وهي عكاظ ومجنة
وذي المجاز فقد تقدم ان العرب كانت اذا حجت تقيم بعكاظ شهر شوال ثم تجيء
الى سوق مجنة تقيم فيه عشرون يوما ثم تجيء سوق ذي المجاز فتقيم به الى
ايام الحج يدعوهم الى ان يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه فعن جابر بن عبد الله
رضي الله تعالى عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس في الموقف

ويقول

ويقول الا رجل يعرض علي قومه فان قريشا قد منعوني ان ابلغ كلام ربي وعن بعضهم
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يهاجر الى المدينة يطوف على الناس في
منازلهم اي بمنى يقول يا ايها الناس ان الله يأمركم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا
ووراءه رجل يقول يا ايها الناس ان هذا يأمركم ان تتركوا دين آبائكم فسألت من هذا
الرجل فقيل ابو لهب يعني عمه وفي رواية عن ابي طارق رضي الله تعالى عنه قال رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوق ذي المجاز يعرض نفسه على قبائل العرب يقول
يا ايها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا وخلفه رجل له غديرتان اي ذوائبتان يرجمه
بالحجارة حتى ادمى كعبيه يقول يا ايها الناس لا تسمعوا منه انه كذاب فسألت عنه
فقيل انه غلام عبد المطلب فقلت ومن الرجل الذي يرجمه فقيل هو عمه عبد العزى
يعني ابا لهب اه وفي السيرة الهشامية عن بعضهم قال اني لغلام شاب مع ابي بمنى
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف في منازل القبائل من العرب فيقول يا بني فلان
اني رسول الله اليكم يأمركم ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وان تخلعوا ما
تعبدون من دونه من هذه الانداد وان تؤمنوا بي وتصدقوا بي وتمنعوني حتى ابين
عن الله عز وجل ما بعثني به قال وخلفه رجل احول وضيء له غديرتان عليه حلة
عدنية فاذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله قال ذلك الرجل يا بني
فلان ان هذا الرجل انما يدعوكم الى ان تسلخوا اللات والعزى من اعناقكم الى ما جاء
به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه فقلت لابي من هذا الرجل
الذي يتبعه يرد عليه ما يقول قال هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب وذكر
ابن اسحاق انه صلى الله عليه وسلم عرض نفسه على كندة وكلب اي الى بطن منهم
يقال لهم بنو عبد الله فقال لهم ان الله قد احسن اسم ابيكم اي عبد الله اي فقد قال صلى
الله عليه وسلم احب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن وعلى بني حنيفة وبني عامر بن
صعصعة اي فقال له رجل منهم أرأيت ان نحن بايعناك على امرك ثم اظهرك الله على من
خالفك أيكون لنا الامر من بعدك فقال الامر الى الله يضعه حيث يشاء قال فقال له
افنهدف نحورنا للعرب دونك وفي رواية افنهدف نحورنا للعرب دونك اي نجعل نحورنا هدفا
لنبلهم فاذا اظهرك الله كان الامر لغيرنا لا حاجة لنا بامرك وابوا عليه فلما
رجعت بنو عامر الى منازلهم وكان فيهم شيخ ادركه السن حتى لا يقدر
ان يوافي معهم الموسم فلما قدموا عليه سألهم عما كان في موسمهم فقالوا جاءنا فتى
من قريش احد بني عبد المطلب يزعم انه نبي يدعونا الى ان نمنعه ونقوم معه
ونخرج به الى بلادنا فوضع الشيخ يده على رأسه ثم قال يا بني عامر هل لها من تلاف

اى تدارك هل لها من مطلب والذى نفس فلان بيده ما يقولها اى ما يدعى النبوة
كاذبا احد من بنى اسمعيل قط وانها لحق وان رايكم غاب عنكم وذكر الواقدى
انه صلى الله عليه وسلم اتى بنى عبس اى وبنى سليم وغسان وبنى محارب اى وفزارة
ومرة وبنى نصر وعذرة والحضارمة فيردون عليه اقبح رد ويقولون اسرتك
وعشيرتك اعلم بك حيث لم يتبعوك ولم يكن احد من العرب اقبح ردا عليه من بنى
حنيفة اى وهم اهل اليمامة قوم مسيلمة الكذاب وقيل لهم بنو حنيفة لان امهم حنيفة
قيل لها ذلك لحنف كان فى رجليها وثقيف اى ومن شهر قبائل العرب بنو حنيفة
وثقيف اى ودفع هو وابو بكر الى مجلس من مجالس العرب فتقدم ابو بكر فسلم وقال
من القوم قالوا من ربيعة قال واى ربيعة من هامها او من لهازمها قالوا بل الهامة
العظمى قال اى اى قالوا من ذهل الاكبر قال منكم حامى الذمار ومانع الجار فلان
قالوا لا قال منكم قاتل الملوك وسالبها فلان قالوا لا قال منكم صاحب العمامة الفردة
فلان قالوا لا قال فلستم من ذهل الاكبر انتم من ذهل الاصغر فقام اليه شاب حين
بقل وجهه اى طلع شعر وجهه فقال له ان على سائلنا ان نسأله يا هذا انك قد
سألتنا فاخبرناك فممن الرجل فقال ابو بكر انا من قريش فقال الفتى بخ بخ اهل
الشرف والرياسة قال من اى قريش انت قال من ولد تيم بن مرة فقال الفتى له
امكنت امنكم قصى الذى كان يدعى مجمعا قال لا قال فمنكم هاشم الذى هشم الثريد
لقومه قال لا قال فمنكم شيبة الحمد عبد المطلب مطعم طير السما الذى كان وجهه
القمر يضئ فى الليلة الظلما قال لا واجتذب ابو بكر رضى الله تعالى عنه زمام ناقته
ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره بذلك فتبسم رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال له على لقد وقعت من الاعرابى بباقعة اى داهية اى ذو دهاء وهو
فى الاصل اسم لطاير حذر يطير يمنة ويسرة قال اجل يا ابا الحسن ما من طامة
الا فوقها طامة والبلاء موكل بالمنطق اى واستفهام الفتى بتوبيخى لابى بكر كما
تقدم لانه من المعلوم ان من ذكر ليسوا من تيم لان ابا بكر كما تقدم انما يجتمع مع النبى
صلى الله عليه وسلم فى مرة ومرة جد لقصى فكان يقول له ان قبيلتكم لم تشتمل
على هولاء الاشراف اى كما ان قبيلتنا لم تجتمع على اولئك الاشراف وعن عبد الله بن
عباس رضى الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه وسلم لقيهم عدة من شيبان بن ثعلبة وكان
معه ابو بكر وعلى رضى الله تعالى عنهما وانا ابا بكر سالهم وقال لهم ممن القوم فقالوا
من شيبان بن ثعلبة فالتفت ابو بكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بابى
انت وامى هولاء غرر اى سادات فى قومهم وفيهم مفروق بن عمرو وهانى

بالهمز

بالهمز ابن قبيصة بفتح القاف ومثنى بن حارثة والنعمان بن شريك وكان
مفروق بن عمرو قد غلبهم جمالا ولسانا له غديرتان اى ذوابتان من شعر وكان
ادنى القوم اى اقرب القوم مجلسا من ابى بكر رضى الله تعالى عنه فقال له ابو
بكر كيف العدد فيكم قال مفروق انا لنزيد على الالف ولن تغلب الالف من قلة والذى
قاله صلى الله عليه وسلم لن تغلب اثنا عشر الفا من قلة قاله لما اراد ان يغزو هوازن
وكان جيشه العدد المذكور كما سياتى فقال ابو بكر رضى الله تعالى عنه كيف المنعة
فيكم قال مفروق علينا الجهد اى بفتح الجيم وضمها الطاقة ولكل قوم جد بفتح الجيم
اى حظ وسعادة اى علينا ان نجهد وليس علينا ان يكون لنا الظفر لانه من عند الله
يؤتيه من يشا فقال ابو بكر رضى الله تعالى عنه فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم
فقال مفروق انا لاشد ما نكون غضبا حين نلقى وانا لاشد ما نكون لقاء حين نغضب
وانا لنوثر الجياد اى من الخيل على الاولاد والسلاح على اللقاح اى ذوات اللبن
من الابل ودما قيل البقر والغنم ايضا والنصر من الله يديلنا بضم اوليه
وكسر الدال المهملة اى ينصرنا مرة ويديل علينا مرة اى ينصر علينا اخرى لعلك
اخو قريش فقال ابو بكر رضى الله تعالى عنه اوقد بلغكم ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم فها هو ذا فقال مفروق بلغنا انه يذكر ذلك فالى م تدعو يا اخا قريش فتقدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ادعوا الى شهادة ان لا اله الا الله وحده لا شريك
له وانى رسول الله والى ان تاوونى وتنصرونى فان قريشا قد تظاهرت اى تعاونت
على امر الله وكذبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغنى الحميد قال
مفروق والى م تدعو ايضا يا اخا قريش فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل تعالوا
اتل ما حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا او
لادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن
ولا تقتلوا التى حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون قال مفروق ما
هذا من كلام اهل الارض ولو كان من كلامهم عرفناه ثم قال والى م تدعو ايضا يا اخا
قريش فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يامركم بالعدل والاحسان وايتاء
ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون وهذه
الاية ذكر العز بن عبد السلام انها اشتملت على جميع الاحكام الشرعية وبين ذلك
فى سائر الابواب الفقهية وسمى ذلك كتابا سماه الشجرة فقال مفروق دعوت
والله الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ولقد افك قوم صرفوا عن الحق كذبوك
وظاهروا اى عاونوا عليك وكان مفروق اراد ان يشركه اى يشاركه فى الكلام

هانئ بن قبيصة فقال هذا هانئ بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا فقال هانئ قد سمعنا مقالتك يا اخا قريش واني ارى ان تركنا ديننا واتباعنا اياك على دينك بمجلس جلسته الينا ليس له اول ولا اخر لزلة في الرأي وقلة نظر في العاقبة وانما تكون الزلة مع العجلة ومن ورائنا قوم نكره ان نعقد عليهم عقدا ولكن نرجع وترجع وننظر وتنظر وكانه احب ان يشركه في الكلام المثنى بن حارثة فقال هذا المثنى بن حارثة شيخنا وصاحب حربنا فقال المثنى قد سمعنا مقالتك يا اخا قريش والجواب هو جواب هانئ بن قبيصة في تركنا ديننا واتباعنا دينك بمجلس جلسته الينا ليس له اول ولا اخر وان احببت ان ناويك وننصرك مما يلي مياه العرب دون ما يلي انهار كسرى فعلنا فانا انما نزلنا على عهد اخذه علينا كسرى ان لا نحدث حدثا وان لا ناوي محدثا واني ارى ان هذا الامر الذي تدعونا اليه انت هو مما تكرهه الملوك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسأتم اذ افصحتم بالصدق وان دين الله عز وجل لن ينصره الا من احاطه من جميع جوانبه ارايتم ان لم تلبثوا الا قليلا حتى يورثكم ارضهم واموالهم ويفرشكم نساءهم اتسبحون الله وتقدسونه فقال النعمان ابن شريك اللهم لك ذا فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين ثم نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم اي وهو لم اقف على اسلام احد منهم الا ان في الصحابة شخصا يقال له المثنى بن حارثة الشيباني وكان فارس قومه وسيدهم والمطاع فيهم ولعله هو هذا القول كهانئ بن قبيصة فيه ان صاحب حربنا وان بعضهم ذكر ان النعمان بن شريك له وفادة فيكون من الصحابة اي وفي اسد الغابة ان مفروق بن عمرو من الصحابة ونقل عن ابي نعيم انه قال لا اعرف لمفروق اسلاما ولما قدمت بكر بن وائل الحج بمكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر ائتهم فاعرضني عليهم فاتاهم فعرض عليهم فقال لهم كيف العدد فيكم قالوا كثير مثل الثرى قال فكيف المنعة قالوا لا منعة جاورنا فارس نحن لا نمتنع منهم ولا نجير عليهم قال فتجعلون لله عليكم ان هو ابقاكم حتى تنزلوا منازلهم وتستنكحوا نساءهم وتستعبدوا ابناءهم ان تسبحوا الله ثلاثا وثلاثين وتحمدوه ثلاثا وثلاثين وتكبروه ثلاثا وثلاثين قالوا ومن انت قال انا رسول الله ثم مر بهم ابو لهب فقالوا هل تعرف هذا الرجل قال نعم فاخبروه بما دعاهم اليه وانه زعم انه رسول الله فقال لهم لا ترفعوا بقوله راسا فانه مجنون يهذي من ام راسه فقالوا لقد راينا ذلك حين ذكر من امر فارس ما ذكر وفي رواية انه لما سالهم قالوا حتى يجي شيخنا حارثة

فلما

فلما جاء قال ان بيننا وبينك فارس حربا فاذا فرغنا مما بيننا وبينهم عدنا فنظرنا فيما تقول فلما التقوا مع الفرس قال شيخهم ما اسم الرجل الذي دعاكم الى ما دعاكم اليه قالوا محمد قال هو شعاركم فنصروا على الفرس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بي نصروا اي نصروا بذكرهم اسمي ولا زال صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل في كل موسم ويقول لا اكره احدا على شيء من الذي ادعو اليه فذاك ومن كره لم اكرهه انما اريد منعي من القتل حتى ابلغ رسالات ربي فلم يقبله احد من تلك القبائل ويقولون قوم الرجل اعلم به اترون ان رجلا يصلحنا وقد افسد قومه وعن ابن اسحاق لما اراد الله تعالى اظهار دينه واعزاز نبيه وانجاز موعده له خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم وفي سيرة مغلطاي ومستدرك الحاكم ان ذلك كان في شهر رجب يعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم فبينما هو عند العقبة التي تضاف اليها الجمرة فيقال لها جمرة العقبة اي وهي عن يسار الطريق لقاصد منى من مكة وبها الان مسجد يقال له مسجد البيعة اذ لقي رهطا من الخزرج اي لان الاوس والخزرج كانوا يحجون فيمن يحج من العرب اي والاوس في الاصل اي اللغة العطية ويقال للرجل للهو واللعب والخزرج في الاصل الريح الباردة قيل هي ريح الجنوب خاصة وكانوا ستة نفر وقيل ثمانية اراد الله تعالى بهم خيرا وقد عد الستة في الاصل وبين الناس اختلاف في ذكرهم فقال لهم من انتم قالوا نفر من الخزرج فقال اي من موالي يهود اي من حلفاء يهود المدينة قريظة والنضير لانهم تحالفوا معهم على التناصر والتعاضد على من سواهم وان يامن بعضهم من بعض وهذا كان في اول امرهم قبل ان تقوى شوكتهم على يهود قالوا نعم قال افلا تجلسون اكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه وفي لفظ وجههم يحلقون رؤسهم فجلس اليهم فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم الاسلام اي وراوا امارات الصدق عليه لائحة فقال بعضهم لبعض تعلمون والله انه للنبي الذي توعدكم به يهود فلا يسبقنكم اليه لان يهود كانوا اذا وقع بينهم وبينهم شيء من الشر قالوا لهم سيبعث نبي قد اظل اي قرب زمانه نتبعه نقتلكم معه قتل عاد وارم اي كما تقدم في اخبار الاحبار والمراد يستأ صلكم بالقتل فلما دعاهم الى الاسلام اجابوه وصدقوه واسلموا وقالوا له انا تركنا قومنا يعنون الاوس والخزرج بينهم من العداوة والشر ما بينهم اي فان الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام فوقعت بينهما العداوة وتطاولت بينهما الحروب فمكثوا على المحاربة والمقاتلة اكثر من مائة سنة اي مائة وعشرين كما في الكشاف فان يجمعهم الله عليك فلا رجل اعز منك اقول وفي رواية قالوا

يا رسول الله انما كانت بعاث اى بضم الموحدة ثم عين مهملة مخففة وفى اخرى ثاء
مثلثة وقيل بفتح الموحدة وبدل المهملة معجمة قيل وذكر المعجمة تصحيف فعن ابن الخليل
اجد بن يوم بغاث بالغين المعجمة وانما هو بالمهملة وفى القاموس بالمهملة والمعجمة
عام اول يوم من ايامنا اقتتلنا به ونحن كذلك لا يكون لنا عليك اجتماع فدعنا
حتى نرجع الى عشايرنا لعل الله ان يصلح ذات بيننا وندعوهم الى ما دعوتنا فعسى الله
ان يجمعهم اليك فان اجتمعت كلمتهم عليك واتبعوك فلا احد اعز منك وبعاث
مكان قريب من المدينة على ليلتين منها عند بنى قريظة ويقال انه حصن للاوس
كان فيه القتال قبل قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة بخمس سنين بين الاوس والخزرج
وسيد الاوس ورئيسهم حينئذ حضير والد اسيد وبه قتل مع من قتل من قومه
كان النصر فيهم اولا للخزرج ثم صار للاوس وتسبب القتال انه كان من قاعدتهم
ان الاصيل لا يقتل بالحليف فقتل رجل من الاوس اى وهو سويد بن الصامت
رجلا حليفا للخزرج اى وهو زياد والد المجذر بن زياد وزياد بالذال المعجمة مكسورة
ومفتوحة وتخفيف المثناة تحتية والمجذر بالذال المعجمة مشددة مفتوحة
فارادوا ان يقتلوا سويدا فيه فابى عليهم الاوس ذلك لان سويدا هذا كان ابن
خالة عبد المطلب لان امه اخت سلمى ام عبد المطلب وكان قدم مكة حاجا او معتمرا
فتصدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به لما قدم لانه كان لا يسمع بقادم
قدم مكة من العرب له اسم وشرف الا تصدى له ودعاه الى الله تعالى فدعا سويدا
الى الله والى الاسلام فقال له سويد لعل الذى معك مثل الذى معى فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم وما الذى معك قال حكمة لقمان فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم اعرضها على فعرضها عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا الكلام
حسن والذى معى افضل من هذا قران انزله الله على هو هدى ونور فتلى عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم القران ودعاه الى الاسلام فلم يبعد منه وقال ان هذا القول
حسن ثم انصرف وقدم المدينة فلم يلبث ان قتله الخزرج وفى كلام بعضهم
ثم امن بالله ورسوله وسار حتى دخل المدينة الى قومه فشعروا باسلامه فقتلته
الخزرج وقيل القاتل له المجذر ولد زياد الذى قتله سويد لان سويدا كان قد
شرب الخمر وجلس يبول وهو ثمل سكرا فبصر به انسان من الخزرج فخرج حتى اتى
المجذر بن ذياد فقال له هل لك فى الغنيمة الباردة قال ما هى قال سويد اعزل
لا سلاح معه فخرج المجذر بالسيف مصلتا فلما ابصره سويد قال له قد امكن الله منك
قال ما تريد منى قال قتلك فقتله فكان ذلك تسبب الحرب بين الاوس والخزرج

بيعاث فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اسلم الحارث بن سويد والمجذر
ابن ذياد وشهدا بدرا فجعل الحارث بن سويد يطلب مجذرا ليقتله بابيه فلا يقدر
عليه حتى كان وقعة احد قدر عليه فقتله غيلة كما سياتى وممن قتل فى الحرب التى يقال
لها بغاث شخص يقال له اياس بن معاذ قدم مكة وشخص يقال له ابو الحيسر انس بن
رافع مع جماعة من قومهم يلتمسون الحلف من قريش على قومهم الخزرج فاتاهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فجلس اليهم وقال لهم هل لكم فى خير مما جئتم له قالوا له وما ذاك
قال انا رسول الله بعثنى للعباد وادعوهم ان يعبدوه ولا يشركوا به شيا وانزل
على الكتاب ثم ذكر لهم الاسلام وتلى عليهم القران فقال اياس بن معاذ وكان صغيرا
اى قوم والله خير مما جئتنا اليه فاخذ ابو الحيسر حفنة من تراب فضرب بها وجه
اياس وانتهره وقال دعنا منك لقد جئنا لغير هذا فسكت اياس وقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم عنهم فلما دنى موت اياس صار يحمد الله ويسبحه ويهلله ويكبره حتى
مات والله اعلم ثم انصرف اولئك الرهط من الخزرج راجعين الى بلادهم قال
وفى رواية انهم لما امنوا به صلى الله عليه وسلم وصدقوه قالوا له انا نشير
عليك ان تمكث على رسلك اى على حالك باسم الله حتى نرجع الى قومنا فنذكر
لهم شانك وندعوهم الى الله ورسوله لعل الله يصلح ذات بينهم ونواعدك
الموسم من العام المقبل فرضى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى اى
فلم يقع لهولاء الستة او الثمانية مبايعة ويسمى هذا ابتدا اسلام الانصار
وربما سماه بعضهم العقبة الاولى فلما كان العام المقبل قدم من الاوس
والخزرج اثنى عشر رجلا اى عشرة من الخزرج واثنان من الاوس وقيل
كانوا احد عشر منهم خمسة من الستة او الثمانية الذين اجتمعوا به صلى الله
عليه وسلم عند العقبة اولا فاجتمع بهم صلى الله عليه وسلم عند العقبة ايضا
فبايعوه اى عاهدهم صلى الله عليه وسلم اى وسميت المعاهدة مبايعة تشبيها بالمعاوضة
المالية وتلا عليهم اية النسا اى الاية التى نزلت بعد ذلك فى شان النسا يوم
الفتح لما فرغ من مبايعة الرجال واراد مبايعة النسا فعن عبادة بن الصامت
بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة النسا اى كبيعة النسا اى كمبايعته
للنسا التى كانت يوم فتح مكة وهى على ان لا نشرك بالله شيا ولا نسرق ولا نزنى
ولا نقتل اولادنا لان قتل الاولاد كان سابقا فيهم وهو وأد البنات قيل والبنين
خوف الاملاق وفى النهر كان جمهور العرب لا يئدون بناتهن وكان بعض ربيعة
ومضر يئدونهن وهو دفنهن احيا فبعضهم يئد خوف العيلة والاقتار

وبعضهم خوف الشبى قال ولا نا في ببهتان اى الكذب يبهت سامعه تفتريه
بين ايدينا وارجلنا اى في الحال والاستقبال وقيل غير ذلك ولا نعصيه في معروف
ه اى ما عرف من الشارع حسنه نهيا وامرا قال الحافظ ابن حجر المبالغ المذكور
في حديث عبادة على الصفة المذكورة لم تقع ليلة العقبة وانما نص بيعة العقبة
ما ذكر ابن اسحاق وغيره من اهل المغازي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لمن حضر من
الانصار ابايعكم على ان تمنعوني ما تمنعون منه نسائكم وابنائكم فبايعوه على
ذلك وعلى ان يرحل اليهم هو واصحابه ثم ذكر جملة من الاحاديث وقال فهذه ادلة ه
صريحة في ان هذه البيعة بعد نزول الاية بعد فتح مكة **اقول** ليس في كلام عبادة ان
هذه البيعة بيعة العقبة انما يقل بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة
وان كان السياق يقتضيه وحينئذ فلا يحسن ان يكون كلام عبادة شاهدا لمن
قال وتلى عليهم اية النساء فلا يعتبر التصريح المتقدم بل هو دليل على ان هذه المبايعة
متاخرة عن يوم الفتح كما قال الحافظ والله اعلم زاد بعضهم والسمع والطاعة في
العسر واليسر والمنشط والمكره وان لا ننازع الامر اهله وان نقول الحق حيث
كنا لا نخاف في الله لومة لائم ثم قال ومن وفى بالتخفيف والتشديد اى ثبت على العهد
فاجره على الله ومن اصاب من ذلك شيئا فعوقب به في الدنيا فهو اى العقاب طهرة
له او قال كفارة له واستشكل بان ابا هريرة روى انه صلى الله عليه وسلم قال لا ادري
الحدود كفارة لاهلها ام لا واسلام ابي هريرة تاخر عن بيعة العقبة بسبع سنين كما سياتي
فانه كان عام خيبر في سنة سبع كما سياتي ويجاب بان هذه البيعة التي ذكرها عبادة ليست
ببيعة العقبة بل بيعة غيرها وقعت بعد فتح مكة كما علمت وحينئذ يكون ما رواه ابو ه
هريرة رضي الله تعالى عنه كان قبل ان يعلم صلى الله عليه وسلم ذلك ثم علمه اى ان الحدود
كفارة قال صلى الله عليه وسلم ومن اصاب من ذلك شيئا فستره الله عليه فامره الى الله
ان شاء غفر له وان شاء عذبه اى وكون الحدود كفارة او طهرة مخصوص بغير الشرك
فقتل المرتد لا يكون كفارة وطهرة له لان الله لا يغفر ان يشرك به وفي رواية فان اصبتم
فلكم الجنة وان غشيتم من ذلك شيئا فاصبتم حدا في الدنيا فهو كفارة لكم في الدنيا
وان سترتم عليه فامركم الى الله ان شاء عذب وان شاء غفر اه وفي هذا رد على من قال بوجوب
التعذيب لمن مات بلا توبة وعلى من قال بكفر مرتكب الكبيرة فلما انصرفوا راجعين الى
بلادهم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم ابن ام مكتوم واسمها عاتكة واسمه
عمرو وقيل عبد الله وهو ابن خال خديجة بنت خويلد ام المؤمنين رضي الله تعالى عنها **قال**
الشعبي غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر غزوة ما منها غزوة الا واستخلف ابن

ام مكتوم

ام مكتوم على المدينة فكان صلى الله عليه وسلم بهم وليس له رواية ومصعب بن عمير رضي الله تعالى
عنهما يعلمان من اسلم منهم القران ويعلمانهم اي من اراد ان يسلم الاسلام ويفقهانهم في الدين
ويدعوان من لم يسلم منهم الى الاسلام وهذا ما في اكثر الروايات وهو يفيد انه صلى الله
عليه وسلم بعثهما معا ويدل له ما رواه البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه اول من قدم علينا من
ه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير وابن ام مكتوم فجعلا يقرآن الناس
القران اي وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مصعبا حين كتبوا اليه يبعثه اليهم
ه وفي رواية ثم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن عفراء ورافع بن مالك ان ابعث
الينا رجلا من قبلك يفقهنا ويدعو الناس بكتاب الله وفي رواية كتبوا اليه بذلك فبعث اليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير وكان يقال له المقرئ وهو اول من تسمى بهذا الاسم
وهذا يدل على ان مصعبا لم يكن معهم **اقول** وقد يقال لا منافاة لانه يجوز ان يكون كتبوا وارسلوا
اليه بذلك عند خروجهم من مكة وقبل ان يتصل قولهم راجعين الى المدينة والاقتصار
على مصعب لا ينافي ما تقدم من ذكر ابن ام مكتوم معه ثم رايت ما يبعد الجمع الاول وهو
ما في ابن اسحاق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بعثه يعني مصعب بن عمير بعدهم وانما
كتبوا اليه ان الاسلام قد فشا فينا فابعث الينا رجلا من اصحابك يقرئنا القران ويفقهنا
في الاسلام ويقيمنا بسنته وشرائعه ويؤمنا في صلاتنا فبعث مصعب بن عمير وما يبعد
الجمع الثاني وهو ما نقل عن الواقدي ان ابن ام مكتوم قدم المدينة بعد بدر بيسير وفي
كلام ابن قتيبة وقدم ابن ام مكتوم المدينة مهاجرا بعد بدر بسنتين وقد يقال لا منافاة ه
لانه يجوز ان يكون كل من مصعب بن عمير وابن ام مكتوم رجعا الى مكة بعد مجيئهما مع القوم
وان مكاتبتهم بان الاسلام قد فشا فينا الخ كانت وهم بالمدينة فجاء اليهم مصعب وتخلف ابن ام
مكتوم فليتامل ذلك والله اعلم وهذه المبايعة يقال لها العقبة الاولى لوجود تلك المبايعة
يقال لها العقبة الاولى لوجود تلك المبايعة عندها ولما قدم مصعب المدينة نزل على ابي امامة
اسعد بن زرارة اي دون بقية رفقته وكان سالم مولى ابي حذيفة يؤم المهاجرين بقباء
قبل ان يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مصعب يؤم القوم اي الاوس والخزرج
لان الاوس والخزرج كره بعضهم ان يؤمه بعض فجمع بهم اول جمعة جمعت في الاسلام
قبل قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة وقبل نزول سورة الجمعة الامرة بها فان الآية مدنية
وقال الشيخ ابو حامد فرضت الجمعة بمكة ولم يتمكن من فعلها قال الحافظ ابن حجر وهو غريب
اي وعلى صحته فهو مما تقدم حكمه على تلاوته وعند ابن اسحاق ان اول من جمع بهم ابو امامة
اسعد بن زرارة وكانوا اربعين رجلا اي فعن كعب بن مالك قال اول من جمع بنا في المدينة
اسعد بن زرارة قبل مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة في نقيع الخضمات والنقيع بالنون

قيل او بالبا الموحدة لكن قال الحافظ انه خطا والخضمات جمع خضمة وهي الماشية التي
تقضم اي تاكل بفمها كله بما في ذلك المحل من الكلام وهو اسم لقرية من قرى المدينة قال
وكنا اربعين رجلا اي ولا يخالفه لان مصعب بن عمير كان عند ابي امامة اسعد بن زرارة كما
علمت فكان هو المعاون على الجمع وكان الخطيب والمصلي مصعب بن عمير فنسب التجميع لكل
منهما اي ويكون ما في الرواية الاتية من ان اسعد بن زرارة هو الذي صلى بهم على التجوز
اي جمعهم على الصلاة ويؤيده ما تقدم من ان الاوس والخزرج كره بعضهم ان يؤمه بعض
وايضا المامور بالتجميع مصعب بن عمير كما سياتي قال السهيلي وتسميتهم اي الانصار
اياها بهذا الاسم اي تسميتهم اليوم بيوم الجمعة لاجتماعهم فيه هداية من الله تعالى والا فكانت
تسمى في الجاهلية العروبة اي يسمى ذلك اليوم بيوم العروبة اي الرحمة وقال عليه الصلاة
والسلام في حق ذلك اليوم انه اليوم الذي فرض عليهم اي على اليهود والنصارى اي
طلب منهم تعظيمه والتفرغ للعبادة فيه كما فرض علينا اضلته اليهود والنصارى وهدانا
الله تعالى له اي ان كلا من اليهود والنصارى امر بان ذلك اليوم يعظمون فيه الحق سبحانه
وتعالى ويتفرغون فيه لعبادته واتخذ اليهود من قبل انفسهم بدله السبت لانهم يزعمون
انه اليوم السابع الذي استراح فيه الحق تعالى من خلق السموات والارض وما فيهن من
المخلوقات اي بناء على ان اول الاسبوع الاحد وانه مبدا الخلق قال بعضهم وهو الراجح و
وفي كلام بعضهم اول الاسبوع الاحد لغة واوله السبت عرفا اي في عرف الفقهاء
في الايمان ونحوها ويؤيد الاول ان السبت ماخوذ من السبات وهي الراحة قال تعالى وجعلنا
نومكم سباتا اي راحة ظنا منهم انه اولى بالتعظيم لهذه الفضيلة وحينئذ يكون معنى
اضلوه تركوه مع علمهم به ويؤيد ذلك ما جاء ان الله تعالى فرض على اليهود الجمعة فابوا
وقالوا يا موسى اجعل لنا يوم السبت فجعل عليهم وهدى الله تعالى المسلمين ليوم الجمعة
اي وهدايته المسلمين له تدل على انهم لم يعلموا عينه وانما اجتهدوا فيه فصادفوه وفي سفر
السعادة كان من عوائده الكريمة صلى الله عليه وسلم ان يعظم يوم الجمعة غاية التعظيم
ويخصه بانواع التشريف والتكريم وجاء ان اهل الجنة يتباشرون في الجنة بيوم الجمعة
كما يتباشر اهل الدنيا في الدنيا واسمه عندهم يوم المزيد كما تقدم لان الله تعالى يتجلى عليهم
في ذلك اليوم ويعطيهم كلما يتمنوه ويقال لهم لكم ما تمنيتم ولدي مزيد فهم يحبون
يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير وقد جاء في المرفوع يوم الجمعة سيد الايام واعظمها
عند الله تعالى فهو في الايام كشهر رمضان في الشهور وساعة الاجابة فيه كليلة القدر
في رمضان والذي في البخاري ثم هذا اي يوم الجمعة يومهم الذي فرض عليهم اي على اليهود
والنصارى فاختلفوا فيه فهدانا الله تعالى له فالناس لنا فيه تبع اليهود غدا والنصارى

بعد

بعد غد وقوله فاختلفوا فيه يدل على انهم لم يعلموا عينه ويوافقه ما نقل عن بعض اهل العلم
ان اليهود امروا بيوم من الاسبوع ليعظمون الله تعالى فيه ويتفرغون لعبادته فاختاروا من قبل
انفسهم السبت فاكرموه في شرعهم وكذلك النصارى امروا على لسان عيسى بيوم من الاسبوع
فاختاروا من قبل انفسهم الاحد فالتزموه شرعا لهم وهو يخالف ما سبق فليتامل قال بعضهم
والراجح ان اول الاسبوع السبت لانه اول يوم ابتدا فيه بايجاد المخلوقات فقد جاء في الصحيح
ان الله خلق التربة يوم السبت والجبال يوم الاحد والشجر يوم الاثنين والمكروه يوم الثلاثا
والنور يوم الاربعا كذا في مسلم وعليه يشكل تسمية اليوم الذي يليها الاحد واجيب بانه
من تسمية اليهود وتبعهم غيرهم وقد ذكر السهيلي ان تسمية هذه الايام طارئة ولو كان
الله سبحانه سماها في القران بهذه الاسما المشتقة من العدد لقلنا هي تسمية صادقة لكن لم يذكر
منها الا الجمعة والسبت وانهما مشتقين من العدد هذا كلامه ورد بانه جاء ان الله خلق يوما
فسماه الاحد ثم خلق ثانيا فسماه الاثنين ثم خلق ثالثا فسماه الثلاثا ثم خلق رابعا فسماه
الاربعا ثم خلق خامسا فسماه الخميس واجاب ابن حجر الهيتمي بان هذا اي التسمية المذكورة
لم يثبت وان العرب تسمي خامس الورد اربعا هذا كلامه فيكون اول الاسبوع السبت
ثم رايت السهيلي قال لم يسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاحد والاثنين الى سائرها
الا حاكيا للغة قومه لا مبتدئا بتسميتها ولعل قومه ان يكونوا اخذوا معاني هذه الاسماء من اهل
الكتاب المجاورين لهم فالقوا عليها هذه الاسماء اتباعا لهم هذا كلامه فليتامل وفي التسبيعيات
للهمداني اكرم الله موسى بالسبت وعيسى بالاحد وداود بالاثنين وسليمان بالثلاثا ويعقوب
بالاربعا وادم بالخميس ومحمدا صلى الله عليه وسلم بالجمعة وهذا يدل على ان اليهود لم يختاروا
يوم السبت والنصارى يوم الاحد من عند انفسهم فليتامل الجمع وقد سئل صلى الله
عليه وسلم عن يوم السبت قال يوم مكر وخديعة اي وقع فيه المكر والخديعة اي لانه اليوم الذي
اجتمعت فيه قريش في دار الندوة للاستشارة في امره صلى الله عليه وسلم وسئل عن
يوم الاحد قال يوم غرس وعمارة لان الله ابتدا فيه خلق الدنيا وعمارتها وفي رواية لان الجنة
بنيت فيه وغرست وسئل عن يوم الاثنين فقال يوم سفر وتجارة لان فيه سافر شعيب
فربح في تجارته وسئل عن يوم الثلاثا فقال يوم دم لان فيه حاضت حوا وقتل ابن ادم
اخاه وذكر الهمداني في السبعيات ايضا انه قتل فيه سبعة جرجيس عليه السلام وزكريا
ويحيى ولده وسحرة فرعون واسية بنت مزاحم امراة فرعون وبقرة بني اسرائيل وهابيل
ابن ادم وبين قصة كل واحد اي ومن ثم نهى عن الحجامة يوم الثلاثا اشد النهي وقال فيه
ساعة لا يرقى فيها الدم وفيه نزل ابليس الى الارض وفيه خلقت جهنم وفيه سلط الله ملك
الموت على ارواح بني ادم وفيه ابتلي ايوب وفي بعض الروايات ان اليوم الذي ابتلي فيه

ايوب يوم الاربعا وسئل عن يوم الاربعا فقال يوم نحس لان فيه اغرق فرعون وقومه واهلك
فيه عاد وثمود وقوم صالح اى وسى ثم كان يسمى في الجاهلية دبار والدبار الهلاك لكن الذي
في الحديث الموقوف على ابن عباس الذى لا يقال من قبل الراى اخر اربعا في الشهر يوم نحس
مستمر وجا يوم الاربعا لا اخذ ولا عطا وذكر الزمخشري ان بعضهم قال لاخيه اخرج
معي في حاجة فقال هذا الاربعا قال فيه ولد يونس قال لا جرم قد بانت له بركته الحيث ابتلعه
الحوت قال وفيه ولد يوسف قال فما احسن ما فعل به اخوته طال حبسه وغربته قال وفيه
نصر المصطفى يوم الاحزاب قال اجل ولكن بعد ان زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر
وورد في بعض الاثار النهى عن قص الاظفار يوم الاربعا وانه يورث البرص وعن ابن الحاج
صاحب المدخل انه هم بقص اظفاره يوم الاربعا فتذكر ذلك فترك ثم راى ان قص الاظفار
سنة حاضرة ولم يصح عنده النهى فقصها فلحقه البرص فراى النبي صلى الله عليه وسلم في
النوم فقال له الم تسمع نهيى عن ذلك فقال يا رسول الله لم يصح ذلك عندى فقال
يكفيك ان تسمع ثم مسح صلى الله عليه وسلم بيده على يديه فزال البرص جميعا قال ابن الحاج
فجددت مع الله توبة انى لا اخالف ما سمعته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابدا وجا
في حديث خرجه ابن ماجه عن ابن عمر مرفوعا وخرجه الحاكم من طريقين اخرين لا يبدو
جذام ولا برص الا يوم الاربعا وكره بعضهم عيادة المريض يوم الاربعا وفي منهاج
الحليمي وشعب الايمان للبيهقي ان الدعا مستجاب يوم الاربعا بعد الزوال قبل وقت
العصر لانه صلى الله عليه وسلم استجيب له الدعا على الاحزاب في ذلك اليوم في ذلك الوقت
وكان جابر يتحرى ذلك بالدعا في مهماته وذكر ان ما بدى يوم الاربعا الا وتم
فينبغي البداءة بنحو الدرس فيه وسئل عن يوم الخميس فقال يوم قضا الحوائج لان فيه
دخل ابراهيم الخليل على ملك مصر فقضى حاجته واعطاه هاجر ومن ثم زاد في رواية
والدخول على السلاطين وسئل عن يوم الجمعة فقال يوم نكاح نكح فيه ادم حوا ويوسف
زليخا وموسى بنت شعيب وسليمان اى ونكح فيه صلى الله عليه وسلم خديجة وعايشة وعن
ابن عباس رضى الله تعالى عنهما اذن النبى صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة اى قبل ان يهاجر
صلى الله عليه وسلم في اقامة الجمعة اى فلم يفعلوها باجتهاد بل باذنه صلى الله عليه وسلم
كتب الى مصعب بن عمير اما بعد فانظر الى اليوم الذى تجهر فيه اليهود بالزبور لسبتهم
اى اليوم الذى يليه يوم السبت فاجمعوا نساءكم وابناءكم فاذا مال النهار عن شطره
فتقربوا الى الله بركعتين فجمع مصعب بن عمير عند الزوال اى صلى الجمعة حتى قدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم اى استمر على ذلك حتى قدم النبى صلى الله عليه وسلم
وهذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم عين لهم ذلك اليوم وهو خلاف قوله السابق فهذا كله

الله له الظاهر في ان هدايتهم له باجتهاد منهم ويدل له ما روى عن ابن عباس باسناد صحيح
ان الانصار قالوا ان لليهود يوما يجتمعون فيه كل سبعة ايام وللنصارى مثل ذلك فهلم
فلنجعل يوما نجتمع فيه فنذكر الله ونصلى ونشكره فجعلوه يوم العروبة اى لانه اليوم الذى
وقع فيه خلق ادم الذى هو مبدا هذا الجنس وحصل فيه فنا الخلق وانقضاؤهم اذ فيه
تقوم الساعة ففيه المبدا والمعاد اذ هذا المروى عن ابن عباس يقتضى ان الانصار
اختاروه باجتهاد منهم الا ان يقال لا مخالفة لانه يجوز ان يكون هذا العزم على ذلك حصل
منهم اولا ثم ارسلوا له صلى الله عليه وسلم يستاذنوه في ذلك فاذن لهم فيه فقد جاء
الوحى موافقا لما اختاروه وفيه لو كان كذلك لقال صلى الله عليه وسلم لمصعب بن عمير
افعلوا ذلك ولم يقل له انظروا الى اليوم الى اخره الا ان يقال يجوز انهم لما استاذنوه
صلى الله عليه وسلم في الاجتماع لم يعينوا له اليوم فعينه صلى الله عليه وسلم لهم وتقدم
عن الشيخ ابى حامد ان الجمعة امر بها صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وتركها لعدم التمكن من
فعلها وتقدم عن الحافظ ابن حجر انه غريب ويؤيده انه لو كان امر بها صلى الله عليه وسلم
وهو بمكة وتركها لعدم التمكن من فعلها لامر بها مصعب بن عمير عند ارساله للمدينة ولم
يامره بها الا بعد ذلك الا ان يقال انه لم يامره بها حينئذ لانه يجوز ان يكون انما امره بها
بعد ذهاب مصعب الى المدينة او انه انما لم يامره بذلك حينئذ لان لاقامتها
شروطا منها العدد وهو عند امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه اربعون بشروط
فلم يكن ذلك موجودا عند ارساله ومن ثم لما علم صلى الله عليه وسلم وجود العدد المذكور
ارسل له يامره بذلك في قوله اما بعد فانظر اليوم الخ ثم لا يخفى ان ظاهر سياق
الروايات يدل على ان الذى هداهم الله اليه انما هو ايقاع العبادة في هذا اليوم لا هو
تسميته بيوم الجمعة كما تقدم عن السهيلى على ان تسميتهم له بذلك لم اقف عليها
في رواية على ان السهيلى ذكر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان النبى صلى الله
عليه وسلم سماها يوم الجمعة لما ارسل لمصعب بن عمير ان يفعلها كما تقدم في الاسرا
وذكر ايضا ان كعب بن لوى اول من سمى يوم العروبة الجمعة فقد يقال لا مخالفة
لانه يجوز ان يكون الانصار ومن معهم من المهاجرين لم يبلغهم ما ذكر عن كعب بن
لوى ان ثبت انهم سموها بهذا الاسم اجتهادا منهم وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه
انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبب تسمية هذا اليوم يوم الجمعة
فقال لان فيها جمعت طينة ابيك ادم وقدمنا انه لا مخالفة بين ما هنا وما تقدم
في الاسرا والله اعلم واسلم سعد بن معاذ وابن عمه اسيد بن حضير على يد مصعب
ابن عمير وكان اسلام اسيد قبل سعد في يومه ففى ابن اسحاق ان اسعد بن زرارة

خرج بمصعب بن عمير الى حائط اى بستان من حوائط بنى ظفر فجلسا فيه واجتمع
اليهما رجال ممن اسلم وسعد بن معاذ واسيد بن حضير يومئذ سيدا قومهما اى بنى عبد
الاشهل وكلاهما مشرك على دين قومه فقال سعد بن معاذ لاسيد بن حضير لا ابا لك
انطلق بنا الى هذين الرجلين يعنى اسعد بن زرارة ومصعب بن عمير اللذين اتيا
دارينا تثنيه دار وهى المحلة والمراد قبيلتنا وعشيرتنا ليسفها ضعفانا فازجرهما
وانههما اى وفى لفظ قال له ايت اسعد بن زرارة فازجره عنا فكيف عنا ما نكره
فانه بلغنى انه قد جاء بهذا الرجل الغريب يسفه سفهاءنا وضعفانا فانه لولا اسعد
ابن زرارة منى حيث علمت لكفيتك ذلك وهو ابن خالتى ولا اجد عليه مقدما
فاخذ اسيد بن حضير حربته ثم اقبل اليهما فلما راه اسعد بن زرارة قال لمصعب
هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه ثم قال لمصعب ان يجلس هذا اكلمه قال فوقف
عليهما متشتما قال ما جاء بكما الينا تسفهان ضعفانا اعتزلانا اذا كانت لكما بانفسكما
حاجة وفى لفظ قال يا اسعد ما لنا ولك تاتينا بهذا الرجل الغريب تسفه به سفهاءنا
وضعفانا وفى رواية على ما اتيتنا فى دورنا بهذا الرجل الوحيد الغريب الطريد يسفه
ضعفانا بالباطل ويدعوهم اليه فقال له مصعب او تجلس بفتح الواو استفهاما فتسمع
بالنصب فى جواب الاستفهام فان رضيت امرا قبلته وان كرهته كف عنك ما تكره اى
منعنا عنك ما تكره فقال انصفت ثم ركز حربته وجلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام
وقرا عليهما القران فقال ما احسن هذا واجمله بالنصب على التعجب كيف تصنعون
اذا اردتم ان تدخلوا فى هذا الدين قالا تغتسل وتتطهر وتغسل ثوبيك ثم تشهد
شهادة الحق ثم تصلى فقام واغتسل وطهر ثوبيه وتشهد بشهادة الحق ثم قام
فركع ركعتين اى وهما صلاة التوبة فقد روى اصحاب السنن وقال الترمذى
حديث حسن انه صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم
فيصلى ركعتين ثم يستغفر الله عز وجل الا غفر له ثم قال لهما ان ورائى رجلا ان اتبعكم
لم يتخلف عنكم احد من قومه وسارسله اليكما الان وهو سعد بن معاذ ثم اخذ حربته
فانصرف الى سعد وقومه وهم جلوس فى ناديهم فلما نظر اليه سعد مقبلا قال احلف
بالله لقد جاءكم اسيد بن حضير بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم فلما وقف على النادى
فقال له سعد ما فعلت قال كلمت الرجلين فوالله ما رايت بهما باسا وقد نهيتهما
فقالا نفعل ما احببت وقد حدثت ان بنى حارثة خرجوا الى اسعد بن زرارة ليقتلوه
وذلك انهم عرفوا انه ابن خالتك ليخفروك اى ينقضوا عهدك فقام سعد
مغضبا مبادرا فاخذ الحربة من يده وقال والله ما اراك اغنيت شيئا ثم خرج

اليهما

اليهما فلما اقبل سعد قال اسعد لمصعب لقد جاءك والله سيد من وراءه من قومه
ان يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان فلما راهما سعد مطمئنين عرف سعد ان
اسيدا انما اراد منه ان يسمع منهما فوقف عليهما متشتما ثم قال لاسعد بن زرارة يا ابا
امامة والله لولا ما بينى وبينك من القرابة ما رمت منى هذا اتغشانا فى دارنا بما
نكره فقال له مصعب او تقعد فتسمع فان رضيت امرا قبلته وان كرهته عزلنا
عنك ما تكره قال سعد انصفت ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه الاسلام وعرض
عليه القران فقال لهما كيف تصنعون اذا انتم اسلمتم ودخلتم فى هذا الدين فقالا له
تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تركع ركعتين فقام فاغتسل
وطهر ثوبيه ثم شهد شهادة الحق ثم ركع ركعتين ثم اخذ حربته فاقبل عامدا الى نادى
قومه ومعه اى مع ذلك النادى اسيد بن حضير فلما راه قومه مقبلا قالوا نحلف بالله
لقد رجع اليكم سعد بغير الوجه الذى ذهب من عندكم فلما وقف عليهم قال يا بنى عبد
الاشهل كيف تعلمون امرى فيكم قالوا سيدنا وافضلنا رايا وايمننا اى ابركنا نقيبة
اى نفسا وامرا قال فان كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تومنوا بالله ورسوله قال
فوالله ما امسى فى دار اى قبيلة بنى الاشهل رجل ولا امراة الا مسلما ومسلمة فاسلموا
فى يوم واحد كلهم وكان ذلك بعد العقبة الاولى وقبل العقبة الثانية الا ما كان
من الاصيرم وهو عمرو بن ثابت من بنى الاشهل فانه تاخر اسلامه الى يوم احد فاسلم
واستشهد ولم يسجد لله سجدة واخبر صلى الله عليه وسلم انه من اهل الجنة اى وفى كلام
ابن الجوزى اول دار اى قبيلة اسلمت من دور الانصار دار بنى عبد الاشهل ثم تحول مصعب
الى دار سعد بن زرارة فاقام عنده يدعو الناس الى الاسلام حتى لم يبق دار من دور
الانصار الا فيها رجال ونساء مسلمون الا ما كان من سكان عوالى المدينة اى قراها من
جهة نجد قال وفى كلام بعضهم الاجماع على الاوس بن حارثة وذلك انه كان فيهم ابو
قيس وهو صيفى بن الاسلت وكان شاعرهم يسمعون منه ويطيعونه لانه كان قوالا
بالحق معظما قد ترهب فى الجاهلية ولبس المسوح واغتسل من الجنابة ودخل بيتا
له فاتخذه مسجدا وقال اعبد اله ابراهيم لا يدخل فيه حائض ولا جنب فوقف بهم عن
الاسلام فلم يزل على ذلك حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى
بدر واحد والخندق فاسلم وحسن اسلامه وهو شيخ كبير انتهى اى وسبب تاخر اسلامه
ما ذكره بعضهم انه لما اراد الاسلام عند قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة لقيه ابى
ابن سلول وكلمه بما اغضبه ونفره عن الاسلام وقال ابو قيس لا اتبعه الا اخر الناس
فلما احتضر ارسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قل لا اله الا الله اشفع

للابنها فقالها وتم ابنه ان ينكح امراة ابيه اى على ما هو عادة الجاهلية اى وكان ذلك فى المدينة حتى فى اول الاسلام ان اكبر اولاد الرجل يخلفه على زوجته بعد موته فتنزل التحريم اى قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النسا وتقدم الكلام على سبب نزول هذه الاية مستوفا ثم ان مصعب بن عمير رجع الى مكة مع من خرج من المسلمين من الانصار الى الموسم مع حجاج قومهم من اهل الشرك حتى قدموا مكة اى ولم يخبر النبى صلى الله عليه وسلم بمن اسلم فسره ذلك وعن كعب بن مالك قال خرجنا فى حجاج قومنا من المشركين ومعنا البرا بن عازب سيدنا وكبيرنا والبرا بالمد ومعرور بمعناه لغة مقصود فلما خرجنا من المدينة قال البرا لنا انى قد رايت رايا ما ادرى اتوافقونى عليه ام لا قلنا وما ذاك قال رايت ان لا ادع هذه البنية اى بفتح الموحدة وكسر النون وتشديد المثناة تحت المفتوحة ثم تا التانيث على وزن فعيلة يعنى الكعبة منى بظهر وان اصلى اليها قال قلنا والله ما بلغنا ان نبينا صلى الله عليه وسلم يصلى الا الى الشام يعنون بيت المقدس اى صخرته وما نريد ان نخالفه قال فقال انى اصلى اليها قال فقلنا له لكنا لا نفعل قال فكنا اذا حضرت الصلاة صلينا الى الشام يعنى بيت المقدس اى واستدبرنا الكعبة وصلى الى الكعبة اى مستدبرا للشام حتى قدمنا مكة وقد كنا عبنا عليه ذلك وابى الا الاقامة على ذلك فلما قدمنا مكة قال لى يا ابن اخى انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نسأله عما صنعت فى سفرى هذا فانه والله لقد وقع فى نفسى منه شى لما رايت من خلافكم اياى فيه قال فخرجنا نسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنا لا نعرفه لانا لم نره قبل ذلك فلقينا رجلا من اهل مكة فسالناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هل تعرفانه قلنا لا قال فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه قلنا نعم وكنا نعرف العباس كان لا يزال يقدم علينا تاجرا قال فاذا دخلتما المسجد فاذا العباس هو الرجل الجالس مع العباس فدخلنا المسجد فاذا العباس جالس ورسول الله صلى الله عليه وسلم معه فسلمنا حين جلسنا اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس هل تعرف هذين الرجلين يا ابا الفضل قال نعم هذا البرا بن معرور سيد قومه وهذا كعب بن مالك فوالله ما انسى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الشاعر قال نعم فقال له البرا بن معرور يا نبى الله انى خرجت فى سفرى هذا وقد هدانى الله بالاسلام فرايت ان لا اجعل هذه البنية منى بظهر يعنى الكعبة فصليت اليها وخالفنى اصحابى فى ذلك حتى وقع فى نفسى شى فماذا ترى يا رسول الله قال قد كنت على قبلة لو صبرت عليها فرجع البرا الى قبلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى بيت المقدس اى ولم يامره باعادة الصلاة مع انه كان مستقبلا

وبين

وبين له انه كان الواجب استقبال بيت المقدس لانه كان متاولا فليتامل وفى هذا الحديث تصريح بانه صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا بمكة قبل الهجرة وبعدها يصلون الى بيت المقدس قبل ان تحول القبلة وقد تقدم الوعد بذلك قال كعب ثم خرجنا الى الحج وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة اى الى ان يوافوه فى الشعب الايمن اذا انحدروا من منى اسفل العقبة حيث المسجد اليوم اى الذى يقال له مسجد البيعة كما تقدم وامرهم ان لا ينبهوا نائما ولا ينتظروا غائبا وذلك فى ليلة اليوم الذى هو يوم النفر الاول قال فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التى واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين امرنا وكان من جملة المشركين ابو جابر عبد الله بن عمرو بن حرام بفتح الحا والرا المهملتين سيد من ساداتنا فكلمناه وقلنا له يا ابا جابر انك سيد من ساداتنا وشريف من اشرافنا وانا نرغب بك عما انت فيه ان تكون حطبا للنار غدا ثم دعوناه الى الاسلام فاسلم واخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معنا العقبة فكنا تلك الليلة مع قومنا فى رحالنا حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم اى تعد هناه يتسلل الرجل والرجلان تسلل القطا مستخفين حتى اذا اجتمعنا فى الشعب عند العقبة ونحن ثلاث وسبعون رجلا وامراتان نسيبة بالتصغير وهى ام عمارة من بنى النجار اى وكانت تشهد الحرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هى وزوجها وابناها حبيب وعبد الله وحبيب هذا اخذه مسيلمة الكذاب وصار يعذبه يقول له اتشهد ان محمدا رسول الله فيقول نعم ثم يقول وتشهد انى رسول الله ه فيقول لا فيقطع عضوا من اعضائه وهكذا حتى فنيت اعضاؤه ومات وسيأتى ما وقع لها فى حرب مسيلمة وام منيع اى وهذه الرواية لا تخالف رواية الحاكم خمسة وسبعون نفسا فهم تخالف قول ابن مسعود وهم سبعون رجلا يزيدون رجلا او رجلين وامراتان اى منهم احد عشر رجلا من الاوس قال فلا زلنا ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جانا اى وفى رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سبقهم وانتظرهم ه اقول وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز ان يكون سبقهم وانتظرهم فلما لم يجيئوا ذهب ثم جاءهم بعد مجيئهم والله اعلم ومعه عمه العباس بن عبد المطلب اى ليس معه غيره وهو يومئذ على دين قومه الا انه احب ان يحضر امر ابن اخيه ويتوثق له اقول قول العباس قد احكم الناس كلهم وهذا لا يخالف ما جا انه كان معه ايضا ابو بكر وعلى لان العباس اوقف عليا على فم الشعب عينا له واوقف ابا بكر على فم الطريق الاخر عينا فلم يكن معه عندهم الا العباس والله اعلم فلما جلسوا كان العباس اول متكلم

فقال يا معشر الخزرج اى قال ذلك لان العرب كانت تطلق الخزرج على ما يشمل الاوس
وكانت تغلب الخزرج على الاوس فيقولون الخزرجين ه ان محمدا منا حيث قد علمتم
وقد منعناه من قومنا ممن هو مثل رأينا فيه فهو في عز من قومه ومنعة في بلده وقد
ابى الا الانحياز اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه
ومانعوه ممن خالفه فانتم وما تحملتم من ذلك وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه
بعد الخروج به اليكم فمن الان تدعوه فانه في عز ومنعة من قومه وبلده فقال البرا
ابن معرور انا والله لو كان في انفسنا غير ما ننطق به لقلناه ولكنا نريد الوفا
والصدق وبذل مهج انفسنا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم اى والبرا بن معرور
هو اول من اوصى بثلث ماله وفي رواية ان العباس قال قد ابى محمد الناس كلهم غيركم
فان كنتم اهل قوة وجلد وبصر بالحرب واستقلال بعداوة العرب قاطبة ترميكم
عن قوس واحدة فاروا رأيكم وائتمروا بينكم ولا تفرقوا الا عن ملا منكم واجتماع فان
احسن الحديث اصدقه **اقول** قول ابن العباس قد ابى محمد الناس كلهم غيركم ربما يفيد
ان الناس غير الانصار وافقوه على مناصرته فاباهم ولا يساعد عليه ما تقدم
ولولا التأكيد بلفظ كلهم لامكن ان يراد بالناس قبيلة شيبان بن ثعلبة فانهم كما
تقدم قالوا له ننصرك مما يلي مياه العرب دون ما يلي مياه كسرى فابى ذلك
ويحتمل ان المراد بالناس الذين اباهم اهله وعشيرته والله اعلم وعند ما تكلم العباس
بما ذكر قالوا له قد سمعنا مقالتك فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما
احببت وفي رواية خذ لنفسك ما شئت واشترط لربك ما شئت فقال النبي
صلى الله عليه وسلم اشترط لربي عز وجل ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ولنفسي ان
تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم وابناءكم ونساءكم فقال ابن رواحة فاذا فعلنا فما لنا فقال
صلى الله عليه وسلم لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل وفي رواية فتكلم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلى القرآن ودعا الى الله عز وجل ورغب في الاسلام
قال ابايعكم على ان تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وابناءكم اه وفي رواية انهم قالوا
له يا رسول الله نبايعك على السمع والطاعة في النشاط والكسل والنفقة في
العسر واليسر وعلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وان تقولوا في الله لا تخافوا
في الله لومة لائم وعلى ان تنصروني فتمنعوني اذا قدمت عليكم مما تمنعون منه
انفسكم وازواجكم وابناءكم ولكم الجنة فاخذ البرا بن عازب بيده صلى الله عليه وسلم
ثم قال نعم والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه ازرنا اى نساءنا وانفسنا
لان العرب تكنى بالازر عن المرأة وعن النفس فنحن والله اهل الحرب واهل الحلقة اى

اى السلاح ورثناها كابرا عن كابر وبينا البرا يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو
الهيثم بن التيهان بتشديد المثناة تحت وتخفيفها نقبله على مصيبة المال وقتل الاشراف
فقال العباس اخفوا جرسكم اى صوتكم فان علينا عيونا ثم قال ابو الهيثم يا رسول الله ان بيننا
وبين الرجال يعني اليهود حبالا اى عهودا وانا قاطعوها فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم
اظهرك الله ان ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم
والهدم الهدم بفتح الدال وسكونها اهدار دم القتيل دمكم اى تطلبون بدمي واطلب بدمكم
ودمي ودمكم واحد وفي لفظ بل اللدم اللدم وهو بالتحريك الحرم من القرابات اى حرمي
حرمكم تقول العرب اذا ارادت تأكيدا لمحالفة هدمي وهدمكم واحد اى واذا اهدرتم الدم
اهدرته وذمتي ذمتكم ورحلتي مع رحلتكم انا منكم وانتم مني احارب من حاربتم واسالم
من سالمتم اى وعند ذلك قال لهم العباس عليكم بما ذكرتم ذمة الله مع ذمتكم وعهد الله
مع عهدكم في هذا الشهر الحرام والبلد الحرام يد الله فوق ايديكم لتجدن في نصرته ولتشدن
من ازره قالوا جميعا نعم قال العباس اللهم كن لابن اخي عليهم شهيدا ثم قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اخرجوا الي منكم اثنى عشر نقيبا يكونون على قومهم بما فيهم فاخرجوا تسعة
من الخزرج وثلاثة من الاوس اى وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم ان موسى اخذ
من بني اسرائيل اثنى عشر نقيبا فلا يجد احد في نفسه ان يوخذ غيره فانما يختار لي جبريل
اى لانه حضر البيعة فلما تخيرهم اى وهم سعد بن عبادة واسعد بن زرارة وسعد بن الربيع
وسعد بن خيثمة والمنذر بن عمرو وعبد الله بن رواحة والبرا بن معرور وابو الهيثم بن
التيهان واسيد بن حضير وعبد الله بن عمرو بن حرام وعبادة بن الصامت ورافع بن مالك
كل واحد على قبيلة وقال لاولئك النقبا انتم كفلا على غيركم ككفالة الحواريين لعيسى بن
مريم وانا كفيل على قومي يعني المهاجرين وقيل ان الذي تولى الكلام من الانصار وشد
العقد لرسول الله صلى الله عليه وسلم اسعد بن زرارة اى وهو من اصغرهم فانه اخذ بيد
النبي صلى الله عليه وسلم وقال رويدا يا اهل يثرب انا لن نضرب اليه اكباد الابل الا ونحن
نعلم انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وان اخراجه اليوم مفارقة لجميع العرب وقتل
خياركم وان تعضكم السيوف فاما انتم قوم تصبرون عليها اذا مستكم بقتل خياركم
ومفارقة العرب كافة اى جميعا فخذوه واجركم على الله تعالى واما انتم تخافون من انفسكم
خيفة فذروه فهو عذر لكم عند الله تعالى فقالوا يا اسعد امط عنا يدك فوالله لا نذر
اى نترك هذه البيعة ولا نستقيلها اى لا نطلب الاقالة منها وقيل ان الذي تكلم
وشد العقد العباس بن عبادة بن نضلة قال يا معشر الخزرج هل تدرون على م تبايعون
هذا الرجل انكم تبايعونه على حرب الاحمر والاسود من الناس اى على من حاربه منهم

والا وهو صلى الله عليه وسلم لم يؤذن له في البداءة بالمحاربة الا بعد ان هاجر الى المدينة
بمدة كما سياتى وكان قبل ذلك مامورًا بالدعاء الى الله تعالى والصبر على الاذى والصفح
عن الجاهل ثم ذكر ما تقدم عن اسعد بن زرارة اى ثم توافقوا على ذلك وقالوا يا رسول الله
ما لنا بذلك ان نحن وفينا قال رضوان الله والجنة قالوا رضينا ابسط يدك فبسط يده
صلى الله عليه وسلم فبايعوه ه اى واول من بايعه البراء بن معرور وقيل اسعد بن زرارة
وقيل ابو الهيثم بن التيهان ثم بايعه السبعون كلهم اى بايعه المرأتان المذكورتان من
غير مصافحة لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يصافح النساء انما كان ياخذ عليهم فاذا احرزن
قال اذهبن فقد بايعتكن كما سياتى فكانت هذه البيعة على حرب الاحمر والاسود اى
العرب والعجم فهولاء الثلاثة لم يتقدمهم عليهم غيرهم وحينئذ تكون الاولية فيهم حقيقية
واضافية اى ويقال ان ابا الهيثم قال ابايعك يا رسول الله على ما بايع عليه الاثنا عشر
نقيبا من بنى اسرائيل موسى عليه السلام بن عمران وان عبد الله بن رواحة قال ابايعك يا رسول
الله على ما بايع عليه الاثنا عشر من الحواريين عيسى بن مريم عليه السلام وقال اسعد
ابن زرارة ابايع الله عز وجل يا رسول الله وابايعك على ان اتم عهدى بوفائى وصدق
قولى بفعلى في نصرك وقال النعمان بن حارثة ابايع الله يا رسول الله وابايعك على الاقدام
في امر الله عز وجل لا اراعى فيه القريب ولا البعيد اى لا اعامل بالرافة والرحمة وقال عبادة
ابن الصامت ابايعك يا رسول الله على ان لا ياخذنى في الله لومة لائم وقال سعد بن الربيع
ابايع الله وابايعك يا رسول الله على ان لا اعصى لكما امرا ولا اكذبكما حديثا فلما
انتهت البيعة وهذه البيعة يقال لها العقبة الثانية ولما وقعت صرخ الشيطان من
راس العقبة باشد صوت وابعده يا اهل الجباجب اى بجيمين الاولى مفتوحة والثانية
مكسورة وبعد كل جيم باء موحدة وهى منازل منى وفى الهدى يا اهل الاخاشب هل لكم
في مذمم والصباة معه يعنى بمذمم النبى صلى الله عليه وسلم لان قريشا كانت تقول بدل محمد
صلى الله عليه وسلم مذمم ويعنى بالصباة اصحابه الذين بايعوه لانهم كانوا يقولون لمن
اسلم صابى لان الصابى من خرج من دين الى دين وقد جاء الا تعجبون كيف يصرف الله
عنى شتم قريش ولعنهم يسبون مذمما ويلعنون مذمما وانا محمد فانهم قد اجمعوا اى عزموا
على حربكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ازب العقبة اسمع اى عدو الله اما
والله لافرغن وازب بكسر الهمزة واسكان الزاى ثم باء موحدة اى شيطان يسمى بهذا
الاسم المركب من المضاف والمضاف اليه عارها وازب في الاصل القصير ومن ثم
راى عبد الله بن الزبير رجلا طوله شبران على بردعة رحلة فقال له ما انت قال ازب
قال وما ازب قال رجل من الجن فضربه على راسه بعود سوطه فهرب وعند ذلك قال

لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفضوا وفى لفظ انفضوا الى رحالكم اقول وفى
رواية لما بايع الانصار بالعقبة صاح الشيطان من راس الجبل يا معشر قريش هذه بنو الاوس
والخزرج تحالف على قتالكم ففزعوا اى الانصار عند ذلك فقال رسول الله صلى الله
لا يرعكم هذا الصوت فانما هو عدو الله ابليس وليس يسمعه احد مما تخافون ولا مانع
من اجتماع صراخ ازب العقبة وصراخ ابليس الذى هو ابو الجن ويجوز ان يكون المراد
بعدو الله ابليس ازب العقبة لانه من الابالسة وانه اتى باللفظين معا وقد حضر
البيعة جبريل كما تقدم فعن حارثة بن النعمان لما فرغوا من المبايعة قلت يا نبى الله
لقد رايت رجلا عليه ثياب بيض انكرته قائما على يمينك قال وقد رايته قلت نعم قال
ذلك جبريل والله اعلم ثم ان الحديث نما وسمع المشركون من قريش بذلك اى وفى كتاب
الشريعة ان الشيطان لما نادى بما ذكر شبه صوته بصوت منبه بن الحجاج فقال عمرو بن
العاص ما نام ابو جهل قال عمرو فذهبت انا وهو الى عتبة بن ربيعة فاخبره بصوت منبه
ابن الحجاج فلم يرعه ما راعنا وقال هذا اتاكم فاخبركم بهذا منبه قلنا لا فقال لعله ابليس
الكذاب الحديث وفيه طول وامور مستغربة ولا ينافى سماع عمرو وابى جهل صوت ابليس قوله
صلى الله عليه وسلم ليس يسمعه احد مما تخافون لان سماعهما لم يحصل منه خوف لهم عند فشو
الخبر بخاجلتهم واشرافهم حتى دخلوا شعب الانصار فقالوا يا معشر الاوس والخزرج
وفى رواية يا معشر الخزرج اى بالتغليب بلغنا انكم جئتم الى صاحبنا هذا تستخرجوه من بين
اظهرنا وتبايعوه على حربنا والله ما من حى ابغض الينا ان تنشب الحرب بيننا وبينه
منكم فصار مشركوا الاوس والخزرج يحلفون لهم ما كان من هذا شئ وما علمناه اى حتى ان
ابن ابى بن سلول جعل يقول هذا باطل وما كان هذا وما كان قومى ليفتاتوا على
بمثل هذا لو كنت بيثرب ما صنع هذا قومى حتى يؤامرونى وصدقوا لانهم لم يعلموه كما
علم مما تقدم اى ونفر الناس من منى وبحثت قريش عن خبر الانصار فوجدوه حقا فلما
تحققوا الخبر اقتفوا اثارهم فلم يدركوا الا سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو فاما سعد
فمسك وعذب في الله واما المنذر ففلت ثم انقذ الله سعدا من ايدى المشركين قال
نقل عنه انه قال لما ظفروا بى ربطوا يدى في عنقى فلا زالوا يلطمونى على وجهى ه
ويجذبونى بجمتى اى وكان ذا شعر كثير حتى ادخلونى مكة فاوى الى رجل اى وهو
ابو البخترى بن هشام مات كافرا ه وقال ويحك ما بينك وبين احد من قريش جوار
ولا عهد قال بلى قد كنت اجير لجبير بن مطعم تجارة وامنعهم ممن اراد ظلمهم ببلادى
وللحارث بن حرب بن امية اى وهو اخو ابى سفيان والاول اسلم بعد الحديبية والثانى
لا يعلم له اسلام فقال ويحك فاهتف باسم الرجلين ففعلت فخرج ذلك الرجل اليهما

فوجدهما في المسجد فقال لهما ان رجلا من الخزرج يضرب بالابطح يهتف باسمكما
فقالا من هو قال يقول انه سعد بن عبادة لجأ مخلصا لي من ايديهم انتهى اي وعن سعد
بينا انا مع القوم اضرب اذ طلع علي رجل ابيض وضي شعشاع اي طويل زايد الحسن
حلو من الرجال فقلت في نفسي ان يكن عند احد من القوم خير فعند هذا فلما دنا مني رفع
يده ولكمني لكمة شديدة فقلت في نفسي والله ما عندهم بعد هذا خير اي وهذا الرجل
سهيل بن عمرو رضي الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك فلما قدم الانصار المدينة اظهروا
الاسلام اي اظهارا كليا وتجاهروا والا فقد تقدم ان الاسلام فشا فيهم قبل قدومهم
لهذه البيعة وكان عمرو بن الجموح وهو من سادات بني سلمة بكسر اللام واشرافهم لم
يكن اسلم وكان ممن اسلم ولده معاذ بن عمرو ٥ وكان لعمرو في داره صنم اي من خشب يقال له مناة
لان الدما كانت تمنى اي تصب عنده تقربا اليه كان يعظمه فكان فتيان قومه ممن اسلم
كمعاذ بن جبل وولده معاذ بن عمرو يدلجون بالليل على ذلك الصنم فيطرحونه اي ٥
ولعله بعد اخراجه من داره في بعض الحفر التي فيها خرء الناس منكسا فاذا اصبح عمرو
ويحكم من عدا على الهتنا هذه الليلة ثم يعود يلتمسه حتى اذا وجده غسله فاذا امسى
عدوا عليه وفعلوا به مثل ذلك الى ان غسله وطيبه وجاء بسيف علقه في عنقه
ثم قال له ما اعلم من يصنع بك فان كان فيك خير فاصنع بك فان كان فيك خير فامتنع
فهذا السيف معك فلما امسى عدوا عليه واخذوا السيف من عنقه ثم اخذوا
كلبا ميتا فقرنوه به بحبل ثم القوه في بير من ابار بني سلمة فيها خرء الناس فلما
اصبح عمرو غدا اليه فلم يجده ثم تطلبه الى ان وجده في تلك فلما راه كذلك رجع
الى عقله وكلمه من اسلم من قومه فاسلم وحسن اسلامه وانشد ابياتا منها •

• والله لو كنت الها لم تكن • انت وكلب وسط بير في قرن •

اي حبل ٥ وامر صلى الله عليه وسلم من كان معه من المسلمين بالهجرة الى المدينة اي
لان قريشا لما علمت انه صلى الله عليه وسلم اوى الى قوم اهل حرب ونجدة
ضيقوا على اصحابه ونالوا منهم ما لم يكونوا ينالونه من الشتم والاذى وجعل البلاء
يشتد عليهم وصاروا ما بين مفتون في دينه وبين معذب في ايديهم وبين هارب في
البلاد فشكوا اليه صلى الله عليه وسلم واستاذنوه في الهجرة اي فمكث اياما لا ياذن
ثم قال لهم اريت دار هجرتكم اريت سبخة ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان ولو كانت
السراة ارض نخل وسباخ لقلت هي هي والسراة بفتح السين اعظم جبال بلاد العرب
ثم خرج اليهم مسرورا فقال قد اخبرت بدار هجرتكم وهي يثرب فاذن وقال من اراد
ان يخرج فليخرج اليها فخرجوا اليها ارسالا اي متتابعين يخفون ذلك ٥ اي وفي رواية

رايت

رأيت في المنام اني هاجرت من مكة الى ارض بها نخل فذهب وهلي اي وهمي الى انها اليمامة
او هجر فاذا هي المدينة يثرب وفي الترمذي عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اوحى الي اي هؤلاء الثلاثة نزلت فهي دار هجرتك الى
المدينة او البحرين او قنسرين قال الترمذي هذا حديث غريب وزاد الحاكم فاختار
المدينة **اقول** فيه ان هذا السياق المتقدم يدل على ان استيذانهم في الهجرة عبارة
عن خروجهم من مكة لا لخصوص المدينة وان عدم اذنه صلى الله عليه وسلم لهم في الهجرة
لعدم تعيين المحل الذي يهاجرون اليه له صلى الله عليه وسلم وكل ذلك لا يناسب ما تقدم
في حديث المعراج من قول جبريل له صليت بطيبة واليها المهاجرة وقد يجاب بانه يجوز
ان يكون صلى الله عليه وسلم انسي قول جبريل المذكور حينئذ ثم تذكره بعد ذلك في قوله
قد اخبرت بدار هجرتكم الخ وفيه ان هذا لا يحسن بعد مبايعته صلى الله عليه وسلم للاوس
والخزرج على مناصرته ومحاربة عدوه وعلمه بان وطنهم المدينة وكونهم يبايعونه
على مناصرته ومحاربة عدوه وعلمه بان وطنهم المدينة وكونهم يبايعونه على مناصرته مع
كونه ساكنا في البحرين او قنسرين في غاية البعد على انه سيأتي في غزاة بدر انه صلى الله
عليه وسلم خشي ان الانصار لا ترى مناصرته الا في المدينة اي فان في بعض الروايات
وعلى ان تنصروني اذا قدمت عليكم بيثرب والله اعلم **وقبل** الهجرة اخا صلى الله عليه
وسلم بين المسلمين اي من المهاجرين على الحق والمواساة فاخا بين ابي بكر وعمر رضي الله عنهما
واخا بين حمزة وزيد بن حارثة وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف وبين الزبير وابن مسعود
وبين عبادة بن الحارث وبلال وبين مصعب بن عمير وسعد بن ابي وقاص وبين ابي عبيدة
وسالم مولى ابي حذيفة وبين سعيد بن زيد وطلحة بن عبيد الله وبين علي ونفسه صلى
الله عليه وسلم وقال اما ترضى ان اكون اخاك قال بلى يا رسول الله رضيت قال فانت اخي
في الدنيا والاخرة **قال** وانكر ابو العباس بن تيمية المواخاة بين المهاجرين سيما مواخاة
النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله تعالى عنه قال لان المواخاة بين المهاجرين والانصار
انما شرعت لارفاق بعضهم ببعض ولتألف قلوبهم بعضهم على بعض فلا معنى لمواخاة
مهاجري لمهاجري قال الحافظ ابن حجر وهذا رد للنص بالقياس وبعض المهاجرين كان
اقوى من بعض بالمال والعشيرة فاخا بين الاعلى والادنى ليرتفق الادنى بالاعلى ولهذا
تظهر مواخاته صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله تعالى عنه لانه صلى الله عليه وسلم كان هو
الذي يقوم بامره قبل البعثة وفي الصحيح في عمرة القضا ان زيد بن حارثة قال ان ابنة
حمزة بنت اخي اي بسبب المواخاة انتهى وكان اول من هاجر منهم اليها اي الا معهم
ابو سلمة عبد الله الاسدي المخزومي وهو اخوه من الرضاع وابن عمته وهو اول من

يدعى للحساب اليسير كما تقدم اى فانه لما قدم من الحبشة مكة اذاه اهلها واراد الرجوع
الى الحبشة فلما بلغه اسلام من اسلم من الانصار اى الاثنى عشر الذين بايعوه البيعة
الاولى خرج اليهم وقدم المدينة بكرة النهار ولما عزم على الرحيل رحل بعيره وحمل
عليه ام سلمة وابنها سلمة فى حجرها وخرج يقود البعير رآه رجال من قوم ابى سلمة فقاموا
اليه وقالوا يا ابا سلمة قد غلبتنا على نفسك فصاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها
فى البلاد ثم نزعوا خطام البعير منه فجاء رجال من قوم ابى سلمة وقالوا ان ابننا معها
اذ انتزعتموها من صاحبنا ننزع ولدنا منها ثم تجاذبوه حتى خلعوا يده واخذه قوم ابيه
ففرق بينها وبين زوجها وولدها فكانت تخرج كل غداة بالابطح فتبكى حتى المساء
سنة فمر بها رجل من بنى عمها فرأى ما بها فرحمها وقال لقومها اما ترحمون هذه المسكينة
فرقتم بينها وبين ولدها وزوجها فقالوا لها الحقى بزوجك فلما بلغ ذلك قوم ابى سلمة ردوا
عليها ولدها فارسلت بعيرا وجعلت ولدها فى حجرها وخرجت تريد المدينة وما معها احد
من خلق الله تعالى حتى اذا كانت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة اى الحجبى صاحب مفتاح
الكعبة وكان عثمان بن طلحة يومئذ مشركا ثم اسلم رضى الله تعالى عنه فى هدنة الحديبية
وهاجر مع خالد بن الوليد وعمرو بن العاص كما سيأتى فشيعها الى المدينة حتى اذا وافى
على قباء قال لها زوجك هنا ثم انصرف وهى اول ظعينة دخلت من المهاجرين المدينة
رضى الله تعالى عنها وكانت ام سلمة تقول ما رايت صاحبا اكرم من عثمان بن طلحة قال
وقال ابن اسحاق وابن سعد ثم كان اول من قدمها بعد ابى سلمة عامر بن ربيعة ومعه
امرأته ليلى بنت ابى حثمة بالحاء المهملة وسكون الثاء المثلثة وهى اول ظعينة
قدمت المدينة انتهى اقول ام سلمة اول ظعينة قدمت المدينة لا مع زوجها وليلى
اول ظعينة قدمت المدينة مع زوجها فلا منافاة وفى كلام ابن الجوزى اول من
هاجر الى المدينة من النساء ام كلثوم بنت عقبة بن ابى معيط والله اعلم قال يعنى ام سلمة
ما تقدم عنها فى حق عثمان بن طلحة بقولها فانه لما رآنى قال الى اين قلت الى زوجى قال اوما
معك احد قلت ما معى الا الله وابنى هذا فقال والله لا اتركك ثم اخذ بخطام البعير
وسار معى فكان اذا وصلنا المنزل اناخ ثم استأخر حتى اذا نزلت جاء البعير فحط عنه
ثم قيده فى الشجر اى الشجرة فاضطجع تحتها فاذا دنى الرواح قام الى بعيرى فرحله وقدمه
ثم استأخر عنى وقال اركبى فاذا ركبت اخذ بخطامه فقادنى انتهى اى وقد قال فقهاؤنا
من الصغائر مسافرة المرأة بغير زوج ولا محرم ولا امرأة ثقة فى غير الهجرة وفرض الحج
والعمرة اما فى ذلك فيجوز حيث امنت الطريق وقولنا لا مع زوجها لا ينافى ان اول من قدم المدينة
من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير لانه خرج وحده كان معهم على ما تقدم

اويقال ابو سلمة اول من قدم المدينة بواو ذرع طيبة واما مصعب فكان بارسال منه
صلى الله عليه وسلم ثم رأيت فى السيرة الشامية اول من هاجر الى المدينة من اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم من بنى مخزوم ابو سلمة وعليه فلا اشكال ثم عمار وبلال وسعد
وفى رواية ثم قدم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالا اى بعد العقبة الثانية
فنزلوا على الانصار فى دورهم فاووهم وواسوهم ثم قدم المدينة عمر بن الخطاب وعياش
ابن ابى ربيعة فى عشرين راكبا وكان هشام بن العاص واعد عمر بن الخطاب ان يهاجر معه
وقال تجدنى او اجدك عند محل كذا ففطن بهشام قومه فحبسوه عن الهجرة وعن
على رضى الله تعالى عنه قال ما علمت ان احدا من المهاجرين هاجر الا مختفيا الا عمر بن الخطاب
فانه لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه وانتضى فى يده اسهما واختصر عنزته
اى وهى الحربة الصغيرة علقها عند خاصرته ومضى قبل الكعبة والملأ من قريش بفنائها
فطاف بالبيت سبعا ثم اتى المقام فصلى ركعتين ثم وقف على الحلق واحدة واحدة فقال
شاهت الوجوه لا يرغم الله الا هذه المعاطس يعنى الانوف من ليس فى الاصل من اراد ان
تثكله امه او تنفذه او يوتم او يرمل زوجته فليلقنى وراء هذا الوادى قال على
رضى الله تعالى عنه فما تبعه احد ثم مضى لوجهه ثم ان ابا جهل واخاه شقيقه الحارث بن
هشام رضى الله تعالى عنه فما تبعه احد ثم مضى لوجهه ثم ان ابا جهل واخاه شقيقه الحارث
ابن هشام رضى الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك يوم الفتح قدما المدينة والنبى صلى
الله عليه وسلم بمكة لم يهاجر فكلما عياش بن ابى ربيعة وكان اخاهما لامهما وابن عمهما وكان اصغر
ولد امه واخبراه ان امه قد نذرت ان لا تغسل راسها وفى لفظ ولا يمس راسها مشط ولا
تستظل من شمس حتى تراه اى وفى لفظ ان لا تاكل ولا تشرب ولا تدخل كنا حتى يرجع اليها
وقال له وانت احب ولد امك اليك وانت فى دين منه بر الوالدين فارجع الى مكة
فاعبد ربك كما تعبد بالمدينة فرقت نفسه وصدقهما اى واخذ عليهما المواثيق ان لا يغشيا
به وقال له عمر انه يريد الا فتنتك عن دينك فاحذرهما والله لو اذى امك القمل لامتشطت
ولو اشتد عليها حر مكة لاستظلت فقال عياش ابر امى ولى هناك مال اخذه فقال عمر خذ نصف
مالى ولا تذهب معهما فابى الا ذلك فقال له عمر فحيث صممت فخذ ناقتى هذه فانها نجيبة
ذلول فالزم ظهرها فان رابك منهما ريب فانج عليها فابى ذلك وخرج راجعا معهما الى مكة
فلما خرجا من المدينة كتفاه بخفيف الكتاف اى شداه بها الخلف بالكتان فى الطريق
وفى السيرة الهشامية انه اخذ الناقة وخرج عليها معهما حتى اذا كانوا ببعض الطريق
قال له ابو جهل يا اخى والله لقد استغلظت بعيرى هذا افلا تعقبنى ناقتك هذه
قال بلى قال فاناخ واناخا ليتحول عليها فلما استووا بالارض عدوا عليه واوثقوه

رباطًا وتحملا به مكة نهارًا موثقًا وقالا يا اهل مكة هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا ه
بسفهائنا وفي لفظٍ بسفيهنا فحبس بمكة مع هشام بن العاص فانه كما تقدم منع وحبس
عن الهجرة وجعل كل في قيدٍ وفي لفظ انهما لما ذكرا له ان امه حلفت ان لا يظلها سقف
بيت حتى تراه واعطياه موثقا ان لا يمنعاه وان يخليا سبيله بعد ان تراه امه فانطلق
معهما حتى اذا خرجا من المدينة عمدا اليه فشداه وثاقا وجلداه نحوا من مائة جلدة وكان
اعانهما عليه رجل من بني كنانة اى يقال له الحارث بن يزيد القرشي وفي كلام
ابن عبد البر انه كان ممن يعذبه بمكة مع ابي جهل وفي الينبوع جلده كل واحد منهما مائة
جلدة وانه لما جيء به الى مكة القي في الشمس وحلفت امه انه لا يحل عنه حتى يرجع عن دينه
ففتن قيل وكان ذلك سبب نزول قوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه الاية وفيه
انه تقدم انها نزلت في سعد بن ابي وقاص الا ان يقال يجوز ان يكون مما تكرر نزوله
فيكون نزلت فيهما فحلف عياش ليقتلن ذلك الرجل ان قدر عليه قيل ولم يزل عياش فلقي
ذلك الرجل الكناني وكان قد اسلم وعياش لا يعلم باسلامه فقتله واعلم النبي صلى الله
عليه وسلم بذلك فانزل الله تعالى وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ فقراها النبي
صلى الله عليه وسلم وقال لعياش قم فحرر اى اعتق رقبة وما ذكر من ان عياشا استمر محبوسا
الى الفتح يخالف قول بعضهم مكث صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة كما سيأتي اربعين صباحا
يقنت في صلاة الصبح بعد الركوع اى من الركعة الاخيرة وكان يقول في قنوته اللهم
انج الوليد بن الوليد وعياش بن ربيعة وهشام بن العاص والمستضعفين من المؤمنين
بمكة الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فان هذا يدل على ان هشام بن
العاص وعياش بن ابي ربيعة لم يفتتنا ولم يرجعا عن الاسلام وفي السيرة الهشامية
ما يفيد انهما فتنا الاول ضمنا والثاني ظاهرا وفي السيرة الشامية التصريح بافتتانهما
وفيه نظر لما ذكر ولانهما لو كانا فتنا لاطلقا من الحبس والقيد وادامة ذلك الا ان
يقال فعل بهما ذلك لعدم الوثوق برجوعهما عن الاسلام ومما يدل على ان رجوعهما عن الاسلام
ان صح انما كان ظاهرا فقط دعاؤه صلى الله عليه وسلم لهما اى وسيأتي ان الوليد كان
سببا لتخليص عياش بن ابي ربيعة وهشام بن ابي العاص بعد ان تخلص من الحبس وهاجر
الى المدينة فان الوليد كان اسر ببدرٍ ثم افتكه اخواه خالد وهشام ابنا الوليد بن المغيرة
وذهبا به الى مكة فاسلم واراد الهجرة فحبسوه بمكة وقيل له هلا اسلمت قبل ان
تفدى فقال كرهت ان يظن في اني جزعت من الاسار ثم نجا وتوصل الى المدينة ورجع الى مكة
مستخفيا وخلص عياشا وهشاما وجاء بهما الى المدينة فسر صلى الله عليه وسلم بذلك ودعا لكن
صنيعه وبه تعلم ضعف ما تقدم من ان عياشا لم يزل محبوسا الى يوم الفتح اى ومن

هاجر

هاجر قبل النبي صلى الله عليه وسلم سالم مولى ابي حذيفة بن عتبة بن ربيعة اى لانه لما اعتقته
زوجة ابي حذيفة وكانت انصارية تبناه ابو حذيفة وكان يؤم المهاجرين بالمدينة فيهم
عمر بن الخطاب لانه كان اكثرهم اخذا للقرآن وكان عمر بن الخطاب يثني عليه كثيرا حتى
قال لما اوصى عند قتله لو كان سالم مولى ابي حذيفة حيا ما جعلتها شورى قال ابن عبد
البر معناه انه كان يأخذ برأيه فيمن يوليه الخلافة اى فانه قتل في يوم اليمامة وارسل
عمر بميراثه لمعتقته فابت ان تقبله فجعله في بيت المال ولما اراد صهيب الهجرة اى
المدينة اى بعد ان هاجر اليها صلى الله عليه وسلم خلافا لما يوهمه كلام الاصل والشامي
قال له كفار قريش اتيتنا صعلوكا حقيرا فكثر مالك عندنا ثم تريد ان تخرج بمالك
لا والله لا يكون ذلك فقال لهم صهيب ارأيتم ان جعلت لكم مالي اتخلون سبيلي قالوا نعم
قال فاني جعلته لكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ربح صهيب **اقول** وذكر
ان صهيبا تواعد معه صلى الله عليه وسلم ان يكون معه في الهجرة فلما اراد صلى الله عليه
وسلم ان يكون معه في الهجرة فلما اراد صلى الله عليه وسلم الخروج للغار ارسل اليه ابا
بكر مرتين او ثلاثا فوجده يصلي فكره ان يقطع عليه صلاته كما سيأتي وحينئذ يكون
قول صهيب المذكور بعد هجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة كما تقدم ويوما في الخصائص
الكبرى عن صهيب لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فخرج معه ابو بكر
وقد كنت هممت بالخروج معه فصدني فتيان من قريش اى بعد ان اردت الخروج تبعه
وقالوا له جئتنا فقيرا حقيرا صعلوكا فكثر مالك عندنا وتريد ان تخرج بمالك ونفسك
لا يكون ذلك ابدا قال فقلت لهم هل لكم ان اعطيكم اواقي من الذهب وفي لفظٍ تلك ما لي
وفي لفظٍ مالي وتخلوا سبيلي ففعلوا فقلت احفروا تحت اسكفة الباب فان تحتها
الاواقي وخرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يتحول منها فلما رآني
قال يا ابا يحيى ربح البيع ثلاثا فقلت يا رسول الله ما سبقني اليك احد وما اخبرك الا
جبريل عليه السلام اى واخرج ابو نعيم في الحلية عن سعيد بن المسيب قال اقبل
صهيب مهاجرا نحو النبي صلى الله عليه وسلم اى وقد اخذ سيفه وكنانته فاتبعه نفر
قال يا معشر قريش قد علمتم اني من ارماكم رجلا وايم الله لا تصلون الي حتى ارمي بكل سهم
في كنانتي ثم اضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء ثم افعلوا ما شئتم وان شئتم دللتكم
على مالي بمكة وخليتم سبيلي فقالوا نعم فقال لهم ما تقدم اى وفي رواية انهم قالوا له دلنا
على مالك ونخلي عنك وعاهدوه على ذلك ففعل وذكر بعض المفسرين ان
المشركين اخذوه وعذبوه فقال لهم اني شيخ كبير لا يضركم امنكم كنت ام من غيركم فهل
لكم ان تأخذوا مالي وتذروني وديني وتتركوا الي راحلة ونفقة ففعلوا ونزل قوله تعالى ومن

الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله قال فلما قدمت وجدت النبى صلى الله عليه
وسلم وابا بكر جالسين فلما رانى ابو بكر قام الى فبشرنى بالاية التى نزلت فى اى وفى رواية
فتلقانى ابو بكر وعمر ورجال فقال لى ابو بكر ربح بيعك ابا يحيى فقلت وبيعك هلا
تخبرنى ما ذاك فقال انزل الله فيك كذا وقرا على الاية وفى تفسير سهل بن عبد الله التسترى
ان صهيبا كان من المشتاقين لم يكن له قرار كان لا ينام لا بالليل ولا بالنهار وقد حكى
ان امراة اشترته فرأته كذلك فقالت لا ارضى بك حتى تنام بالليل فانك تضعف فلا تتهيا
لك الاشتغال باعمال فبكى وقال ان صهيبا اذا ذكر النار طار نومه واذا ذكر الجنة
جاء شوقه واذا ذكر الله طال شوقه اى ولينا تامل هذا مع ما فى تاريخ ابن كثير ان الروم
اغارت على بلاد صهيب وكانت على دجلة وقيل على الفرات فاسرته وهو صغير ثم اشتراه
منهم بنو كلب فحملوه الى مكة فابتاعه عبد الله بن جدعان فاعتقه واقام بمكة حينا فلما
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلم وكان اسلامه واسلام عمار فى يوم واحد وقد
يقال يجوز ان تكون تلك المراة التى اشترته كانت من بنى كلب وعن صهيب صحبت النبى
صلى الله عليه وسلم قبل ان يوحى اليه وانه قال له عمر رضى الله عنه يا صهيب اكتنيت
وليس لك ولد فقال كنانى رسول الله صلى الله عليه وسلم بابى يحيى اى فهو من جملة من كناه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ولد له وكان فى لسانه عجمة شديدة وكان فيه دعابة راه
صلى الله عليه وسلم ياكل قثا ورطبا وبه رمد احدى عينيه فقال له تاكل رطبا وانت
ارمد فقال انا اكل من ناحية عينى الصحيحة فضحك صلى الله عليه وسلم وفى المعجم
الكبير للطبرانى عن صهيب قال قدمت ادنو فاخذت الآكل من التمر فقال لى اناكل التمر وبك
رمد فقلت يا رسول الله امضغه من الناحية الاخرى فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
اى ولا مانع من التعدد ولما اذن صلى الله عليه وسلم لاصحابه فى الهجرة وهاجروا مكث
صلى الله عليه وسلم بعد اصحابه ينتظر ان يوذن له فى الهجرة ولم يتخلف معه الا على بن ابى
طالب رضى الله تعالى عنه وابو بكر اى وصهيب كما علمت ومن كان محبوسا او مريضا او عاجزا
عن الخروج وكان ابو بكر كثيرا ما يستاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة فيقول
له لا تعجل لعل الله ان يجعل لك صاحبا فيطمع ابو بكر ان يكون هو وفى رواية تجهز ابو بكر
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلك فانى ارجو ان يوذن لى فقال له ابو بكر هل
ترجو ذلك بابى انت وامى قال نعم فحبس ابو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه
وعلف راحلتين عنده الخبط اى ورق الطلح ورق السمر بفتح المهملة والخبط ما يخبط ٥
بالعصا فيسقط من ورق الشجر وكان من علفهما اربعة اشهر وكان اشتراهما بثمانمائة
اقول ظاهر هذا السياق ان عطفه للراحلتين كان بعد قول المصطفى صلى الله عليه وسلم

له ما ذكر ومعلوم ان ذلك بعد مبايعة الانصار له فالمدة بين مبايعة الانصار له صلى
الله عليه وسلم والهجرة كانت ثلاثة اشهر او قريبا منها لانها كانت فى ذى الحجة ومهاجرته صلى
الله عليه وسلم كانت فى ربيع الاول وفى السيرة الهشامية ما يصرح بان علفه للراحلتين كان
بعد قول المصطفى صلى الله عليه وسلم له ما ذكر ففيها انه صلى الله عليه وسلم لما قال لابى بكر
وقد استاذنه فى الهجرة لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا طمع بان رسول الله صلى الله
عليه وسلم انما يعنى نفسه فابتاع راحلتين فحبسهما فى داره يعلفهما اعدادا لذلك
وسيأتى عن الحافظ ابن حجر ان بين ابتداء هجرة الصحابة وبين هجرته صلى الله عليه وسلم
شهرين ونصف على التحرير والله اعلم فلما رات قريش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
صار له شيعة اى انصار واصحاب من غيرهم وراوا خروج اصحابه اليهم وانهم اصابوا
منعة لان الانصار قوم اهل حلقة اى سلاح وباس حذروا اى خافوا ان يخرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم وان يجمع على حربهم فاجتمعوا فى دار الندوة يتشاورون فيما
يصنعون فى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت محل مشورتهم لا يقضون امرا الا
فيها اى وهى اول دار بنيت بمكة كانت منزل قصى بن كلاب كما تقدم ثم صارت لولده عبد
الدار ثم ابتاعها معاوية لما حج وهو خليفة من اولاد عبد الدار وتقدم ان معاوية
انما اشتراها من حكيم بن حزام ويدل لذلك ما جاء عن مصعب بن عبد الله قال جاء
الاسلام ودار الندوة بيد حكيم بن حزام فباعها من معاوية بن ابى سفيان بمائة
الف درهم فقال له عبد الله بن الزبير بعت مكرمة قريش فقال حكيم ذهبت المكارم
الا التقوى يا ابن اخى انى اشتريت بها دارا فى الجنة اشهد انى قد جعلتها فى سبيل الله
... وكانت دار الندوة جهة الحجر عند المقام
الحنفى الان وكان لها باب للمسجد وكان لا يدخلها عند المشورة من غيرهم ولد قصى
الا ابن اربعين سنة وفى كلام بعضهم ساد ابو جهل وما طر شاربه ودخل
دار الندوة وما استدارت لحيته وقد دخلت فى المسجد قيل لها دار الندوة لاجتماع
الندى وهو الجماعة وكان ذلك اليوم يسمى يوم الزحمة لانه اجتمع فيه اشراف بنى
عبد شمس وبنى نوفل وبنى عبد الدار وبنى اسد وبنى مخزوم وبنى سهم وبنى جمح وغيرهم
ممن لا يعد من قريش اى ولم يتخلف من اهل الراى والحجا احد منهم ان ابليس جاء اليهم
فى صورة شيخ نجدى عليه طيلسان من خز وقيل من صوف اى وانما فعل ذلك ليقبل
منه ما يشير به لان اهل الطيالسة فى العادة اهل الوقار والمعرفة ووقف ذلك
الشيخ على الباب فقالوا من الشيخ قال شيخ من اهل نجد سمع بالذى اجتمعتم له فحضر
معكم ليسمع ما تقولون وعسى ان لا يعدمكم منه رايا ونصحا قالوا اجل اى نعم فادخل
فدخل معهم اى وانما قال لهم من اهل نجد لان قريشا قالوا لا يدخلن معكم فى المشاورة احد

من اهل تهامة لان هوا هم كان مع محمد صلى الله عليه وسلم وقيل لما سمعهم يقولون
لا يدخل معكم البيوم الا من هو منكم قال لهم لما سالوه وقالوا له من انت قال شيخ من نجد
وانا ابن اختكم فقالوا ابن اخت القوم منهم وقيل ان ابليس لما دخل عليهم انكروه
وقالوا له من انت وما ادخلك علينا في خلوتنا هذه بغير اذننا فقال انى رجل من اهل
نجد رايتكم حسنة وجوهكم طيبة ريحكم فاحببت ان اجلس اليكم واسمع كلامكم فان
كرهتم ذلك خرجت عنكم فقال بعضهم لبعض هذا نجدى ولا عين عليكم منه وفي لفظ
هذا من اهل نجد لا من مكة فلا يضركم حضوره معكم وعند المشورة قال بعضهم
لبعض ان هذا الرجل يعنى النبى صلى الله عليه وسلم قد كان من امره ما قد رايتم وانا والله
لا نامنه على الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا فاجمعوا فيه رايا فتشاوروا فقال
قائل اى وهو ابو البخترى بن هشام احبسوه في الحديد واغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به
ما اصاب اشباهه من الشعراء حتى يصيبه ما اصابهم من هذا الموت فقال الشيخ النجدى
لا والله ما هذا لكم براى والله لو حبستموه كما تقولون ليخرجن امره من وراء الباب
الذى اغلقتم دونه الى اصحابه فلا تشكوا ان يثبوا عليكم فينتزعوه من ايديكم ثم
يكاثروكم حتى يغلبوكم على امركم ما هذا براى فانظروا رايا غيره فتشاوروا فقال قائل
منهم اى وهو الاسود بن ربيعة بن عمير نخرجه من بين اظهرنا فننفيه من بلادنا فاذا
خرج عنا فوالله ما نبالى به اين يذهب فقال الشيخ النجدى والله ما هذا لكم براى الم تروا
حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما ياتى الله به والله لو فعلتم
ذلك ما امنتم ان يحل بفتح اوله وبضم الحاء المهملة اى ينزل ويجوز ان يكون بكسرها
اى يسقط على حى من العرب فيغلب بذلك عليهم من قوله وحديثه حتى يتابعوه ثم
يسير به اليكم حتى يطاكم بهم فياخذ امركم من ايديكم ثم يفعل بكم ما اراد دبروا فيه
رايا غير هذا فقال ابو جهل بن هشام والله ان لى فيه لرايا ما اراكم وقعتم عليه بعد قالوا
وما هو يا ابا الحكم قال الراى ان تاخذوا من كل قبيلة شابا جلدا اى قويا حسيبا في قومه
نسيبا وسطا ثم يعطى كل فتى منهم سيفا صارما ثم يعمدون اليه فيضربونه ضربة رجل واحد
فيقتلونه فنستريح منه فانهم اذا فعلوا ذلك تفرق دمه فى القبائل جميعا فلم يقدر
بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا فيرضوا منا بالعقل اى الدية فعقلنا لهم فقال النجدى
القول ما قال هذا الرجل هذا هو الراى ولا راى غيره فتفرق القوم على ذلك فاتى جبريل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تبت هذه الليلة في فراشك الذى كنت عليه
اى واخبره بمكرهم وانزل الله عليه واذ يمكر بك الذين كفروا الاية فلما كانت عتمة من
الليل اى الثلث الاول من الليل اجتمعوا على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرصدونه

حتى

حتى ينام فيثبوا عليه اى وكانوا مائة **اقول** في الدر المنثور اخرج ابن جرير وابن المنذر
وابن حاتم عن عبيد بن عمير لما ائتمروا بالنبى صلى الله عليه وسلم ليثبتوه او يقتلوه او يخرجوه
قال له ابو طالب هل تدرى ما ائتمروا بك قال يريدون ان يحبسونى او يقتلونى او يخرجونى
قال من حدثك بهذا قال ربى قال نعم الرب ربك فاستوص به خيرا قال انا استوصى
به بل يستوصى بى هذا كلامه ولم يتعقبه بان هذا كان بعد موت ابى طالب وكان
ائتمارهم يوم السبت فقد سئل صلى الله عليه وسلم عن يوم السبت فقال يوم مكر وخديعة
قالوا ولم يا رسول الله قال ان قريشا ارادوا ان يمكروا فيه اى ارادوا فيه المكر فانزل الله
تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا وفي سيرة الحافظ الدمياطى فاجتمع اولئك القوم من
قريش يتطلعون من صير الباب اى شقه ويرصدونه يريدون بياته اى يوقعون به
الامر ليلا ويأتمرون انهم يحمل على المضطجع وفيه ان ائتمارهم فى ذلك لا يناسب ما اجتمع
رايهم عليه من انهم يجتمعون على قتله ليتفرق دمه فى القبائل ثم رايت بعضهم قال ه
ولعلهم قاموا ببابه وعليهم السلاح يرصدون طلوع الفجر ليقتلوه ظاهرا فيذهب دمه لمشاهدة
بنى هاشم قاتله من جميع القبائل فلا يتم لهم اخذ ثاره وهو المناسب لما ذكر والله اعلم
فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم اى علم ما يكون منهم قال لعلى بن ابى طالب نم
على فراشى واتشح ببردى هذا الحضرمى وقد كان يشهد فيه العيدين وكان طوله اربعة
اذرع وعرضه ذراعان وشبر وهل كان اخضر او احمر بدليل الشامى قول جابر كان يلبس
رداء احمر فى العيدين والجمعة ثم رايت فى بعض الروايات كان اخضر فليتطلب الجمع وفي
سيرة الدمياطى وارتدى بردى هذا الاحمر والحضرمى منسوب الى حضرموت التى هى
البلدة او القبيلة باليمن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتشح بذلك البرد وعند
نومه فانه لن يخلص اليك شئ تكرهه منهم **اقول** واما ما روى ان الله تعالى اوحى الى
جبريل وميكائيل انى قد اخيت بينكما وجعلت عمر احدكما اطول من الاخر فايكما يؤثر صاحبه
بالحياة فاختار كلاهما الحياة فاوحى الله اليهما الا كنتما مثل على بن ابى طالب آخيت
بينه وبين محمد صلى الله عليه وسلم فبات على فراشه ليفديه بنفسه ويؤثره بالحياة
اهبطا الى الارض فاحفظاه من عدوه فنزلا فكان جبريل عند راسه وميكائيل عند
رجليه فقال جبريل بخ بخ من مثلك يا ابن ابى طالب باهى الله تعالى بك الملائكة وانزل
الله تعالى عز وجل ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله قال فيه الامام
ابن تيمية انه كذب باتفاق اهل العلم بالحديث والسير وايضا قد حصلت له الطمانينة
بقول الصادق له لن يخلص اليك شئ تكرهه منهم فلم يكن فداء بالنفس ولا ايثارا ه
بالنفس بالحياة والاية المذكورة في سورة البقرة وهى مدنية باتفاق وقد قيل انها

هد

نزلت فى صهيب رضى الله تعالى عنه لما هاجر اى كما تقدم لكن هذه الاساع لم يذكر انه صلى الله
عليه وسلم قال لعلى ما ذكر وعليه يكون فداؤه للنبى صلى الله عليه وسلم واضح ولا مانع من تكرر
نزول الاية فى حق على وفى حق صهيب وحينئذ يكون شرى فى حق على بمعنى باع اى باع
نفسه بحياة المصطفى صلى الله عليه وسلم وفى صهيب بمعنى اشترى اى اشترى نفسه بماله
ونزول هذه الاية بمكة لا يخرج سورة البقرة عن كونها مدنية لان الحكم يكون للغالب
وفى السبعيات انه صلى الله عليه وسلم نظر الى اصحابه وقال ايكم يبيت على فراشى وانا اضمن
له الجنة فقال على انا ابيت واجعل نفسى فداك هذا كلامه ولعله لا يصح ثم رأيت فى الامتاع
ما يدل على لعدم الصحة وهو قال ابن اسحاق ولم يعلم فيما بلغنى بخروجه صلى الله عليه وسلم
حين خرج الا على وابو بكر الصديق ملتاملا والله اعلم والنضر بن الحارث وامية بن
خلف وزمعة بن الاسود وابو لهب وابو جهل فقال وهم على باب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان محمدا يزعم انكم ان تابعتموه على امره كنتم ملوك العرب والعجم ثم بعثتم
بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الاردن اى بضم الهمزة وتشديد النون وهو
محل بارض الشام بقرب بيت المقدس وان لم تفعلوا كان فيكم ذبح ثم بعثتم من بعد
موتكم فجعلت لكم نار تحترقون فيها وسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج عليهم
وهو يقول نعم انا اقول ذلك واخذ حفنة من تراب وتلى قوله تعالى يس والقران
الحكيم الى قوله فاغشيناهم فهم لا يبصرون فاخذ الله تعالى على ابصارهم عنه صلى الله
عليه وسلم فلم يروه وفى مسند الحارث بن ابى اسامة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه ذكر
فى فضل يس انها ان قرأها خائف امن او جائع شبع او عار كسى او عاطش سقى او سقيم
شفى وبعد خروجه صلى الله عليه وسلم جعل ينثر التراب على رؤسهم فلم يبق رجل الا
وضع على رأسه ترابا ثم انصرف الى حيث اراد فاتاهم آت فقال ما تنتظرون ههنا قالوا
محمد قال قد خيبكم الله والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك منكم رجلا الا وضع على رأسه
ترابا وانطلق لحاجته افما ترون ما بكم قال فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فاذا عليه
تراب قال ابن الجوزى وهذا يعارض حديث مارية خادم النبى صلى الله عليه وسلم تكنى ام
الرباب انها طاطات لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد حائطا ليلة فر من المشركين
وينبغى ان يوفق بينهما ان صحا والا فالمعول بالصحيح منهما هذا كلامه اقول التوفيق
حاصل وهو انه يجوز ان يكون النبى صلى الله عليه وسلم لم يتيسر له ان يخرج عليهم من الباب
فتسور الحائط التى ينزل منها عليهم والله اعلم اى وكان ذهابه صلى الله عليه وسلم فى تلك
الليلة الى بيت ابى بكر رضى الله تعالى عنه فكان فيه الى الليل اى الى الليلة المقبلة ثم
خرج هو وابو بكر ثم مضيا الى الجبل ثور كذا فى سيرة الدمياطى ثم اى بعد اخبارهم بخروجه

صلى الله

صلى الله عليه وسلم ووضعه التراب على رؤسهم جعلوا يطلعون فيرون عليا نائما على
الفراش مسجى ببرد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون والله ان هذا لمحمد نائم
عليه برده فلم يزالوا كذلك اى يريدون ان يوقعوا به الفعل والله مانع لهم من ذلك حتى
اصبحوا واتضح النهار فقام على عن الفراش فقالوا والله لقد صدقنا الذى كان حدثنا
اى ولما قام على رضى الله تعالى عنه سألوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا علم
لى به وفى رواية فلما اصبحوا ثاروا اليه يحسبونه النبى صلى الله عليه وسلم فلما رأوا عليا
رد الله تعالى مكرهم فقالوا اين صاحبك قال لا ادرى فانزل الله تعالى قوله ام يقولون
شاعر نتربص به ريب المنون وانزل الله عز وجل واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك
او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين كذا فى الاصل تبعا
لابن اسحاق ولا يخفى ان الاية الثانية موافقة لما ذكر وهو من المشاورة قال وقد منع
من اقتحام الجدار عليه فى الدار مع قصر الجدار وقد جاؤا لقتله انهم هموا بذلك فصاحت
امرأة من الدار فقال بعضهم لبعض انها لسبة فى العرب ان يتحدث عنا انا تسورنا
الحيطان على بنات العم وهتكنا ستر حرمنا انتهى اقول لا يخفى ان هذا لا يناسب ما تقدم
عن بعضهم انهم انما ارادوا قتله صلى الله عليه وسلم عند طلوع الفجر ليظهر لبنى هاشم
قاتلوه فلا يتبعوا عليه لئلا يتسوروا الجدار الا ان يقال ارادة ذلك منهم كانت عند
طلوع الفجر ووجود الاسباب المانعة لهم من الوثوب عليه لا ينافى ان المانع لهم على الوثوب
عليه الذى جاؤا بصدده وهم مائة رجل من صناديد قريش انما هو حماية من الله تعالى
لخذلانهم واظهار عجزهم وفى ذلك تصديق لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال
لعلى لا يخلص اليك شئ تكرهه منهم على ما تقدم والمراد بقول بعضهم كان المشركون
يرمون عليا يظنون انه النبى صلى الله عليه وسلم يرمونه بابصارهم لا بحجارة او نبل
لا يخفى انه قيل هلا نام صلى الله عليه وسلم على فراشه قلنا لو فعل ذلك لفات اذلالهم
لهم
بوضع التراب على رؤسهم واظهار حماية الله تعالى له بخروجه عليهم ولم يبصره احد
منهم وفى رواية انهم تسوروا عليه ودخلوا شاهرين سيوفهم فثار على فى وجوههم
فعرفوه فقالوا هو انت اين صاحبك فقال لا ادرى وهذا مخالف لما تقدم فلينظر
الجمع بناء على صحة هذا وفى لفظ امروه بالخروج فضربوه وابطوه المسجد وحبسوه
ساعة ثم خلوا عنه والله اعلم ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن له فى الهجرة
الى المدينة اى وانزل الله تعالى عليه وقل رب ادخلنى مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق
واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا قال زيد بن اسلم جعل الله مدخل صدق المدينة
ومخرج صدق مكة وسلطانا نصيرا الانصار وبها رضى ما جاء ان عند رجوعه صلى

صلى الله عليه وسلم من تبوك الى المدينة قال له جبريل سل ربك فان لكل نبي مسئلة فقال
ما تامرني ان اسال قال قل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل
لي من لدنك سلطانا نصيرا فانزل الله عليه ذلك في رجعته من تبوك بعد ما ختمت
السورة اي الا ان يدعى تكرر النزول وعند الاذن له صلى الله عليه وسلم في الهجرة
قال لجبريل من يهاجر معي قال جبريل ابو بكر الصديق اي ومن الغريب قول بعضهم
ومن ذلك اليوم سماه الله تعالى صديقا فقد تقدم ان تسميته بذلك عند تصديقه
له صلى الله عليه وسلم عند اخباره بالاسرا وعن صفة بيت المقدس ومن الغريب ايضا
ما في السبعيات ان النبي صلى الله عليه وسلم تنشا ورمع اصحابه فقال ايكم يوافقني معي
ويرافقني فقد امرني الله تعالى بالخروج من مكة الى المدينة فقال ابو بكر انا يا رسول
الله ويرده ما في السيرة انه صلى الله عليه وسلم اتا ابا بكر ذات يوم ظهرا فناداه فقال اخرج
من عندك فقال يا رسول الله انما هي ابنتاي اي يعني عايشة واسما قال شعرت اني
علمت انه قد اذن لي في الهجرة فقال يا رسول الله الصحبة اي اسالك الصحبة فقال
اي رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحبة اي لك الصحبة عندي فانطلقا اي ليلة
كما تقدم عن سيرة الدمياطي لكن تقدم عنها انه دخل بيت ابي بكر في ليلة خروجه
من على قريش وانه مكث ببيت ابي بكر الى الليلة القابلة التي كان فيها خروجه صلى
الله عليه وسلم الى جبل ثور فيحتاج الى الجمع وقد يقال ان مجيئه صلى الله عليه وسلم
ظهرا كان قبل تلك الليلة ومع خروجهما خرجا مستخفيين حتى اتيا الغار وهو
بجبل ثور فتواريا فيه وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال
عند خروجه من مكة اي متوجها الى المدينة والله اني لاخرج منك واني لاعلم انك
احب بلاد الله الى الله واكرمها على الله ولولا ان اهلك اخرجوني منك ما خرجت اي
وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم وقف اي على راحلته بالحزورة ونظر الى البيت وقال
والله انك لاحب ارض الله الي وانك لاحب ارض الله الى الله ولولا ان اهلك اخرجوني
منك قهرا ما خرجت وفي لفظ انه وقف في وسط المسجد والتفت الى البيت فقال اني
لاعلم ما وضع الله بيتا احب الى الله منك وما في الارض بلد احب اليه منك وما
خرجت رغبة ولكن الذين كفروا اخرجوني اي وهذا السياق يدل على ان وقوفه
صلى الله عليه وسلم على الحزورة او في وسط المسجد يقتضي انه جا بعد خروجه
من الغار الى ما ذكر ثم ذهب الى المدينة وفي رواية وقف صلى الله عليه وسلم في موضع
الحجون وقال والله انك لخير ارض الله واحب ارض الله الى الله ولولم اخرج منك
ما خرجت وفي لفظ ولو تركت فيك ما خرجت منك فلما منع من تكرر ذلك ثم رايت

في كلام بعضهم ان وقوفه صلى الله عليه وسلم على الحجون كان في عام الفتح وفي لفظ اخر
قال لمكة ما اطيبك من بلدة واحبك الي ولولا ان قومي اخرجوني ما سكنت غيرك اي
وفي حال الفرار السخا وي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما توجه مهاجرا الى المدينة وقف
ونظر الى مكة وبكى فانزل الله عليه وكاين من قرية هي اشد قوة الاية واما ما روى الحاكم
عن ابي هريرة مرفوعا اللهم انك اخرجتني من احب البقاع الي فاسكني في احب البقاع
اليك قال الذهبي انه موضوع وقال ابن عبد البر لا يختلف اهل العلم انه منكر
موضوع اقول والذي رايته عن المستدرك للحاكم اللهم انك تعلم انهم اخرجوني من
احب البلاد الي فاسكني احب البلاد اليك والمعنى واحد والي ما روي عن
الزهري اللهم انك اخرجتني من احب البلاد الي فاسكني احب البلاد اليك استند
من قال بتفضيل المدينة على مكة قال لان الله تعالى اجاب دعاه فاسكنه المدينة قيل
وعليه جمهور العلما ومنهم الامام مالك رضي الله تعالى عنه والى الاحاديث الاوايل
استند من قال بتفضيل مكة على المدينة وهم الجمهور ومنهم امامنا الشافعي رضي الله تعالى
عنه واستندوا في ذلك الى انه صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع اي بلد تعلمونه
اعظم حرمة قالوا لا نعلم الا بلدنا هذه يعنون مكة وهذا اجماع من الصحابة اقرهم
عليه صلى الله عليه وسلم انما مكة افضل من ساير البلاد لان ما كان اعظم حرمة فهو
افضل وقد قال صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت عنه
جهنم مسيرة مائة عام قال ابن عبد البر واني لاعجب ممن يترك قول رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو قوله والله اني لاعلم انك خير ارض الله واحبها الى الله ولولا ان اهلك
اخرجوني منك ما خرجت وهذا حديث صحيح ويميل الى تاويل لا يجامع ما تاوله عليه
اي ولان المحسن فيها بمائة الف حسنة فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال من حج ماشيا كتب له بكل خطوة سبع مائة حسنة من حسنات الحرم
قيل وما حسنات الحرم قال الحسنة فيه بماية الف حسنة والكلام في غير ما ضم
اعضاوه الشريفة من ارض المدينة والا فذاك افضل بقاع الارض بالاجماع بل حتى
من العرش والكرسي على ان صاحب عوارف المعارف ذكر ان الطوفان موج تلك التربة
المكرمة عن محل الكعبة حتى ارساها بالمدينة فهي من جملة ارض مكة وحينئذ لا يحسن
الاستناد في تفضيل المدينة على مكة بقول ابي بكر رضي الله تعالى عنه لهم لما اختلفوا في
اي محل يدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقبضه الله الا في احب البقاع اليه
ليدفن فيه كما سياتي والله اعلم وعن عايشة رضي الله تعالى عنها انها قالت بينا نحن
جلوس يوما في بيت ابي بكر الصديق في نحر الظهيرة اي وسطها وهو وقت الزوال

قد قيل لابي بكر اي وهذا القايل من اسما بنت ابي بكر وفي كلام بعض الحفاظ يحتمل
ان يفسر بعامر بن فهيرة اي مولى ابي بكر قالت اسما قلت يا ابت هذا رسول الله صلى
الله عليه وسلم متقنعا اي متطيلسا في ساعة لم يكن ياتينا فيها اي فهو علامة رضي الله
تعالى عنها لم يمر علينا يوم اي قبل الهجرة الا ياتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي
النهار بكرة وعشية وفي لفظ كان لا يخطي ان ياتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت ابي بكر
طرفي النهار اما بكرة واما عشية اي ويحتاج الى الجمع بين هاتين الروايتين على تقدير صحة
الثانية والا فالاولى في البخاري وتفسيرا لتقنع بالتطيلس ذكره الحافظ ابن حجر حيث
قال قوله متقنعا اي متطيلسا وهو اصل في لبس الطيلسان هذا كلامه واعترضه ابن
القيم حيث قال لم ينقل عنه صلى الله عليه وسلم انه لبس الطيلسان ولا احد من اصحابه
وحينئذ لا يكون القناع هنا هو الطيلسان بل التقنع بتغطية الراس واكثر الوجه
بالردا من غير ان يجعل منه شي تحت رقبته الذي يقال له التحنيك وحمل قول ابن القيم
المذكور على الطيلسان المقور التي تلبسه اليهود قال بعضهم وهذا الطيلسان المقور
هو المعروف بالطرحة وقد اتخذت خلفا بني العباس الطرحة السودا على العمامة
عند الخطبة واستمر ذلك شعارا للخلفا فالحاصل ان ما يغطى به الراس مع اكثر الوجه
ان كان مع تحنيك اي ادارة على العنق قيل له طيلسان وربما قيل له ردا مجازا
وان لم يكن مع تحنيك قيل له ردا وقناع وربما قيل له مجازا طيلسان وهو مما
كان شعارا في القديم لقاضي القضاة الشافعي خاصة قال بعضهم بل صار شعارا
للعلما ومن ثم صار لبسه يتوقف على الاجازة من المشايخ كالافتا والتدريس
فكان الشخص يكتب في اجازته وقد اذنت له في لبس الطيلسان لانه شهادة بالاهلية
وما يجعل على الاكتاف دون الراس يقال له ردا فقط وربما قيل له طيلسان ايضا
مجازا وصح عن ابن مسعود وله حكم المرفوع التقنع من اخلاق الانبيا وقد ذكر بعضهم
ان الطيلسان الخلوة الصغرى وفي حديث لا يتقنع الا من استكمل الحكمة في قوله
وفعله وكان ذلك من عادة فرسان العرب في المواسم والجموع كالاسواق
واول من لبس الطيلسان بالمدينة جبير بن مطعم وعن الكفاية لابن الرفعة
ان ترك الطيلسان للفقيه مخل بالمروة اي وهو عجب ما كان في زمنه وفي الترمذي
لم يكن عادته صلى الله عليه وسلم التقنع انما كان يفعله لحر وبرد وتعقب بان في حديث
انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكثر التقنع وفي طبقات ابن سعد مرسلا انه ذكر
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا ثوب لا يودى شكره اي لان فيه غض
البصر ومن ثم قيل الخلوة الصغرى كما تقدم ولما قيل لابي بكر رضي الله تعالى عنه

ذلك

ذلك اي هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا قال ابو بكر فدا له ابي وامي والله ما
جاء به في هذه الساعة الا امر قالت فجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستاذن فاذن له
فدخل اي وتنحى ابو بكر عن سريره فجلس عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى
الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله تعالى عنه اخرج من عندك فقال ابو بكر انما هم اهلك اي لانه
صلى الله عليه وسلم كان عقد على عائشة رضي الله تعالى عنها كما تقدم فامها من جملة اهله
واختها كذلك وقيل هو على حد قول الشخص لاخر اهلي اهلك وفي رواية قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اخرج من عندك فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه لا عين عليك انما
هن ابنتاي اي وسكت عن امهما سترا قال فانه قد اذن لي في الخروج فقال ابو بكر الصحبة
يا رسول الله بابي انت وامي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم اي فبكى ابو بكر
سرورا قالت عائشة رضي الله تعالى عنها فرايت ابا بكر يبكي وما كنت احسب ان احدا يبكي
من الفرح حتى رايت ابا بكر ولله در القايل

ورد الكتاب من الحبيب بانه ٭ سيزورني فاستعبرت اجفاني
غلب السرور علي حتى انه ٭ من فرط ما قد سرني ابكاني
يا عين صار الدمع عندك عادة ٭ تبكين في فرح وفي احزان

اي ومنه اقر الله عينه لمن يدعى له وهو قرة عين لمن يفرح به واسخن عينه لمن يدعى عليه
وهو سخنة عين لمن يحزن به لان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة وقد
روي ان نبيا من الانبيا اجتاز بحجر يخرج منه الما فسال ربه عن ذلك فانطق الله ذلك
الحجر فقال منذ سمعت ان الله تعالى نارا وقودها الناس والحجارة وانا ابكي هذا الدمع
خوفا من تلك النار فاشفع لي عند ربك فشفع له فشفع فيه وبشره بذلك ثم مر به
بعد مدة فاذا الما يخرج منه فقال الم ابشرك ان الله اجارك من النار فما هذا فقال
يا نبي الله ذاك بكا الخوف والخشية وهذا بكا الفرح والمسرة ومن ثم لما قيل لابي بن
كعب ان الله امرني ان اقرا عليك سورة لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب
بكى من الفرح وقال او ذكرت هناك اي ذكرني الله وفي لفظ وسماني قال نعم وفي سفر
السعادة قال العلما البكا خوف لما يحصل وبكا كذب كبكا على عشرة انواع بكا فرح وبكا
حزن لما فات وبكا رحمة وبكا خوف لما يحصل وبكا كذب كبكا النايحة فانها تبكي لشجو
غيرها وبكا موافقة بان يرى جماعة يبكون فيبكي مع عدم علمه بالسبب وبكا المحبة والشوق
وبكا الجزع من حصول الم لا يحتمله وبكا الخور والضعف وبكا النفاق وهو ان تدمع
العين والقلب قاس والبكا بالقصر دمع العين من غير صوت والممدود ما كان معه صوت
واما التباكي فهو تكلف البكا وهو نوعان محمود ومذموم فالاول ما يكون لاستجلاب

رقة القلب وهو المراد بقول سيدنا عمر لما رأى المصطفى وابا بكر يبكيان فى شأن اسارى
بدر اخبرنى ما يبكيك يا رسول الله فان وجدت بكا بكيت والا تباكيت ومن ثم لم ينكر عليه
صلى الله عليه وسلم ذلك والثانى ما يكون لاجل الريا والسمعة قال ابو بكر فخذ بابى انت
وامى يا رسول الله احدى راحلتى هاتين فانى اعددتهما للخروج قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم بل بالثمن اى لتكون هجرته صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى بنفسه وماله اى
والافقد انفق ابو بكر رضى الله تعالى عنه اكثر ماله عليه صلى الله عليه وسلم اى فعن عائشة
رضى الله تعالى عنها انفق ابو بكر على النبى صلى الله عليه وسلم اربعين الف درهم
وفى لفظ دينار ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم ليس من احد امن على فى اهل ومال من
ابى بكر وفى رواية ما احد امن على فى صحبته وذات يده من ابى بكر وما نفعنى
مال ما نفعنى مال ابى بكر فبكى ابو بكر وقال هل انا ومالى الا لك يا رسول الله وفى رواية ما لاحد
عندنا يد الا وقد كافيناه ما خلا ابا بكر فان له عندنا يدا الله يكافيه بها يوم القيمة
اقول ولا ينافى كونه صلى الله عليه وسلم اخذ احدى ناقتى ابى بكر بالثمن ما رواه ابان بن
ابى عياش احد التابعين عن انس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لابى بكر رضى الله تعالى عنه ما اطيب مالك منه بلال مؤذنى وناقتى التى هاجرت عليها وزوجتنى
ابنتك وواسيتنى مالك كانى انظر اليك على باب الجنة تشفع لامتى لان ابان بن عياش
معدود من الضعفا وقد قال شعبة لان اشرب من بول حمار حتى اروى احب الى من ان اقول
حدثنا ابان بن ابى عياش وقال فيه مرة اخرى لان يزنى الرجل خير من ان يروى عن ابان
وقد طلب من شعبة ان يكف عن ابان هذا قال الا ترى وهذا يكذب على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقد نقل ابن حبان عذر ابان بانه كان يروى عن انس وابان يجالس الحسن البصرى فكان
يسمع كلامه فاذا حدث ربما جعل كلام الحسن عن انس مرفوعا وهو لا يعلم وعلى تقدير صحة
ما قاله لا منافاة ايضا لانها كانت من مال ابى بكر قبل ان ياخذها صلى الله عليه وسلم بثمنها
على انه فى الترمذى ما يوافق ما رواه ابان ففيه عن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم رحم الله ابا بكر زوجنى ابنته وحملنى الى دار الهجرة وصحبنى فى الغار واعتق
بلالا من ماله قال وهذا حديث غريب والله اعلم وكان الثمن عن تلك الناقة التى هى
القصوى وقد عاشت بعده صلى الله عليه وسلم وماتت فى خلافة ابى بكر رضى الله تعالى عنه
والجدعاء اربعمائة درهم اى لما علمت ان الناقتين اشتراهما ابو بكر بثمانمائة درهم
وان الناقة له صلى الله عليه وسلم العضبا فقد جاء ان بنته فاطمة تحشر عليها قالت عائشة
رضى الله تعالى عنها فجهزناهما احث الجهاز اى اسرعه والجهاز بكسر الجيم افصح من فتحها
ما يحتاج اليه فى السفر ووضعنا لهما سفرة فى جراب اى زادا فى جراب لان السفرة فى
الاصل

الاصل الزاد الذى يصنع للمسافر ثم استعمل فى وعا الزاد وكان فى السفرة شاة
مطبوخة فقطعت اسما بنت ابى بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب اى
وابقت الاخرى اى نطاقا لها وهو يوافق ما فى صحيح مسلم عن اسما رضى الله تعالى عنها
انها قالت للحجاج بلغنى انك تقول اى لولدها عبد الله بن الزبير تعيره يا ابن ذات
النطاقين اما احدهما فكنت ارفع به طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعام
ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه واما الاخر فنطاق المراة اى الذى لا تستغنى عنه
اى عن اشتغالها لان النطاق ما تشد به المراة وسطها لئلا تعثر فى ذيلها اى على ثوب يلقى
اعلاه على اسفله وقيل النطاق ازار فيه تكة ومن ثم جاء فى بعض الروايات ذات النطاق
اى وكلاهما صحيح لكن فى لفظ قطعت نطاقها قطعتين فاوكت بقطعة منه فم الجراب
وشدت فم القربة بالباقى اى فلم يبق لها شى منه وهو يوافقه ما فى البخارى عن اسما لم نجد
لسفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم اى لمحلها الذى هو القربة ما نربطهما به فقلت لابى بكر
لا والله ما اجد شيئا اربطه به الا نطاقى قال فشقيه اثنين واربطى بواحد السقا الذى هو القربة
وبواحد السفرة ففعلت فلذلك سميت ذات النطاقين اى سماها رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال لها ابدلك الله بنطاقك هذا نطاقين فى الجنة وفيه ان الرواية الاولى التى عن
عائشة والرواية الثانية التى عن اسما التى رواها مسلم لم يذكر السقا وفى رواية البخارى
ذكر السقا واسقاط الجراب لكن ذكر بدله الجراب السفرة وقد يقال المراد بربط السفرة
ربط محلها الذى هو الجراب كما اشارنا اليه قال بعضهم وما تقدم عن مسلم ينبغى ان يكون
اقرب الى الضبط لان اسما قالت فى اخر عمرها مخبرة عن نفسها اى فلم تربط الا الجراب بالنطاق
النطاق وابقت لها الاخر وقد يقال يقال الحصر ليس فى محله لما علمت من رواية البخارى وحينئذ
بانه يجوز انها لما شقت النطاق نصفين قطعت احدهما قطعتين فشدت باحديهما
الجراب وبالاخرى السقا فهى ذات النطاقين الذى ابقته والذى قطعت به ما ذكر وفى السيرة
الشامية ان اسما بنت ابى بكر جاءت اليهما لما تركا الى الغار بسفرتهما ولم تجعل لها عصاما
فذهبت لتعلق السفرة فاذا ليس لها عصام فشقت نطاقها فجعلت عصاما فعلقتها به وانتطقت
الاخرى وهذا يدل على ان المراد بقول عائشة فجهزناهما احب الجهاز اى عند خروجهما من الغار
لا عند ذهابهما الى الغار كما قد يتبادر من السياق ثم على المتبادر جرى ابن الجوزى حيث قال
اسما بنت ابى بكر اسلمت بمكة قديما وبايعت وشقت نطاقها ليلة خروج رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى الغار فجعلت واحدا لسفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والاخر عصاما لقربته
فسميت ذات النطاقين هذا كلامه وقد يقال لا مانع من تعدد ذلك وكون النطاق ما تشد
به المراة وسطها لئلا تعثر فى ذيلها يخالفه قول بعضهم النطاق هو ثوب تلبسه المراة

ثم تشد وسطها بحبل ثم يرسل الاعلى على الاسفل وهذا يوافق القيل المتقدم
ولقبل له اطلاقين ويوافق الثاني ما قيل اول من فعل هاجر ام اسماعيل اتخذته
لتخفي اثر مشيها على سارة ولعله عند خروجها لما امر الله عز وجل باخراجها مع ابراهيم
ليذهب بها الى مكة قبل ان تركب مع ابراهيم على البراق ثم استاجر رسول الله صلى
الله عليه وسلم وابو بكر رجلا من بني الديل اي وهو عبد الله بن الاريقط اي ويقال ابن ارقط
او اقد اسم امه فاريقط مصغرها ليدلهما على الطريق للمدينة وكان على دين قريش اي ثم
اسلم بعد ذلك وقيل لم يعرف له اسلام وفي الغروض ما وجدنا من طريق صحيح انه اسلم
بعد ذلك فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه على جبل ثور بعد ثلاث ليال وقيل للجبل ذلك
لانه على صورة الثور الذي يحدث عليه وسياق النسائي يدل على ان استيجار عبد الله المذكور
كان قبل التجهيز قالت عائشة رضي الله تعالى عنها ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو
بكر بغار في جبل ثور اي ليلا كما تقدم وعن ابن سعد لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
من بيته الى بيت ابي بكر رضي الله تعالى عنه فكان فيه الى الليل ثم خرج هو وابو بكر فمضيا
الى الغار ثور فدخلاه اي وكان خروجهما من خوخة في ظهر بيت ابي بكر وعن عائشة بنت
قدامة رضي الله تعالى عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لقد خرجت من الخوخة متنكرا
فكان اول من لقيني ابو جهل لعنه الله فاعمى الله بصره عني وعن ابي بكر حتى مضينا وفي
كلام سبط ابن الجوزي وعن وهب بن منبه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما خرج
الى الغار من بيت ابي بكر فخرج من خوخة في ظهر الدار والاصح انما كان خروجه من بيت
نفسه وجعل ابو بكر رضي الله تعالى عنه يمشي مرة امام النبي صلى الله عليه وسلم ومرة
خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن شماله فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك
فقال يا رسول الله اذكر الرصد فاكون امامك واذكر الطلب فاكون خلفك ومرة عن
يمينك ومرة عن يسارك لا امن عليك اقول في الدر المنثور فمشى صلى الله عليه وسلم ليلته
على اطراف اصابعه لئلا يظهر اثر رجليه على الارض حتى حفيت رجلاه فلما رآها ابو بكر
قد حفيت حمله على كاهله وجعل يشتد به حتى اتى فم الغار فانزله وفي المطامح بصبيب
رسول الله صلى الله عليه وسلم الغار حتى قطرت قدماه دما وفي كلام السهيلي عن ابي
بكر انه قال نظرت الى قدمي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار وقد تقطرتا دما قال
بعضهم ويشبه ان يكون ذلك من خشونة الجبل والا فبعد المكان لا يحتمل ذلك
او لعلهم ضلوا طريق الغار حتى بعدت المسافة ويدل عليه قوله فمشى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ليلته الا ان يقدر ذلك او انه صلى الله عليه وسلم كما قيل ذهب الى جبل حنين
فناداه اهبط عني فاني اخاف ان تقتل على ظهري فاعذب فناداه جبل ثور الي يا رسول

الله

الله وسياق في الاصل رواية تقتضي انه ذهب الى الغار ثور راكبا ناقته الجدعاء ثم
رأيته في النور اشار الى ان ركوبه الجدعاء انما كان بعد خروجه من الغار لانه ركبها من
منزل ابي بكر الى الغار كما هو ظاهر الرواية وفي الخصائص الكبرى عن ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما لما تشاوروا المشركون في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم واطلع الله
نبيه على ذلك فخرج تلك الليلة حتى لحق الغار فلما اصبحوا اقتفوا اثره صلى
الله عليه وسلم فلما بلغوا الجبل الحديث اي وهو مخالف لما تقدم من ان خروجه صلى الله عليه
وسلم الى الغار كان في الليلة الثانية لا في ليلة خروجه على قريش وقد يقال لا منافاة
لان قوله حتى لحق بالغار غاية لمطلق الخروج من بيته لا لخصوص تلك الليلة
اي خروج من بيته واستمر على خروجه حتى لحق بالغار وذلك في الليلة الثانية
لكن تقدم انه صلى الله عليه وسلم جاء الى بيت ابي بكر متقنعا في وقت الظهيرة فليتأمل
والله اعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا بخروجه الى الهجرة وامره ان يتخلف بعده
حتى يؤدي عنه الودائع التي كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس لانه لم يكن
احد عنده شيء يخشى عليه الا وضعه عنده صلى الله عليه وسلم لما يعلموا من امانته اي ولعل
اعلامه على بذلك عند توجهه صلى الله عليه وسلم الى بيت ابي بكر لانه لم يثبت انه صلى الله عليه
وسلم اجتمع بعلي رضي الله تعالى عنه بعد ذلك الا في المدينة لكن سيأتي عن الدر ما يقتضي
انه اجتمع به عند خروجه من الغار وفي الفصول المهمة انه صلى الله عليه وسلم وصى عليا
بحفظ ذمته واداء امانته ظاهرا على اعين الناس وامره ان يبتاع رواحل للفواطم فاطمة
بنت النبي صلى الله عليه وسلم وفاطمة بنت اسد ام علي كرم الله وجهه وفاطمة بنت الزبير
ابن عبد المطلب ولمن هاجر معه من بني هاشم ومن ضعفاء المؤمنين وشرا على الرواحل مخالف
لما يأتي في الاصل انه صلى الله عليه وسلم ارسل الى علي وارسل يقول له تستتر بحمل الفواطم
الفواطم ومن فاطمة ابنة حمزة وفاطمة بنت عتبة وفاطمة ام علي وفاطمة بنته
صلى الله عليه وسلم وارسال له بذلك للحملة كان بعد وصوله الى المدينة فليتأمل وفي الفصول
المهمة وقال له اي لعلي اذا ابرمت ما امرتك به كن على اهبة الهجرة الى الله ورسوله
وسر بعد وركابي عليك واذا جاء ابو بكر فوجهه خلفي نحو بئر ام ميمون وكان ذلك
في فحمة العشاء والرصد من قريش قد احاطوا بالدار ينتظرون ان ينتصف الليل وتنام
الناس ودخل ابو بكر على علي وهو يظنه اي وابو بكر يظن عليا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال له علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج نحو بئر ام ميمون وهو يقول
لك ادركني فلحقه ابو بكر ومضيا جميعا يتسايران حتى اتيا جبل ثور فدخلا الغار
فليتأمل الجمع بينه وبين ما تقدم ولما انتهيا الى فم الغار قال ابو بكر للنبي صلى الله

عليه وسلم والذي بعثك بالحق لا تدخل حتى ادخل قبلك فان كان فيه شيء نزل بي قبلك
فدخل فجعل يلتمس بيده كلما راى جحرا قال بثوبه فشقه ثم القمه الجحر حتى فعل ذلك
بجميع ثوبه فبقي جحر وكان فيه حية فوضع عقبه عليه ثم دخل رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم ان الحية التي في الجحر لما احست بعقب سيدنا ابي بكر جعلت تلسعه وصارت
دموعه تتحدر قال ابن كثير وفي هذا السياق غرابة ونكارة اه وقد كان صلى الله
عليه وسلم وضع راسه في حجر ابي بكر ونام فسقطت دموع ابي بكر على رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ما لك يا ابا بكر قال لدغت بالدال المهملة والغين المعجمة فداك
ابي وامي فتفل رسول الله صلى الله عليه وسلم على محل اللدغة فذهب ما يجده قال
بعضهم وقاه بعقبه فبورك في عقبه قال بعضهم والسر في اتخاذ رافضة العجم
اللباد المقصص على رؤسهم تعظيما للحية التي لدغت ابا بكر في الغار اي لانهم
يزعمون ان ذلك على صورة تلك الحية فلما اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لابي بكر اين ثوبك فاخبره الخبر زاد في رواية وانه راى على ابي بكر اثر الدم فسال
عنه فقال من لدغة الحية فقال صلى الله عليه وسلم هلا اخبرتني قال كرهت ان اوقظك
فمسحه صلى الله عليه وسلم فذهب ما به من الورم والالم اه ويحتاج الى الجمع بين هاتين
الروايتين على تقدير صحتهما وحين اخبره ابو بكر بذلك رفع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يديه وقال اللهم اجعل ابا بكر معي في درجتي في الجنة فاوحى الله تعالى اليه
قد استجاب الله لك وروى انه لما صار يتبع كل جحر يجده اصاب يده ما ادماها
فصار يمسح الدم عن اصبعه وهو يقول

هل انت الا اصبع دميت ۰ وفي سبيل الله ما لقيت

ما لقيت اي وسياتي ان هذا البيت من كلام ابن رواحة وقيل من كلامه صلى الله
عليه وسلم وانه يجوز ان يكون ابن رواحة ضمن ذلك البيت لابياته وتمامه
يؤيد ان ذلك من كلامه صلى الله عليه وسلم ما ذكره سبط ابن الجوزي ان ابا بكر لما
تبعه صلى الله عليه وسلم ما ذكره سبط ابن الجوزي ان ابا بكر لما تبعه صلى الله عليه وسلم
في اثناء الطريق ظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفار فاسرع في المشي
فانقطع قبال نعله ففلق ابهامه حجر فسال الدم فرفع ابو بكر صوته فعرفه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فوقف ومما يصرح بذلك ما رايته عن جندب البجلي قال كنت مع النبي صلى
الله عليه وسلم في غار فنكبت اصبعه فذكر البيت المذكور واراد بالغار الغار اي
الغيران لا هذا الغار كما توهم وجاء في الصحيحين عن جندب بن عبد الله بينما نحن مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اصابه حجر فدميت اصبعه فقال هل انت الا اصبع

دميت

دميت البيت اي فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر الغار امر الله تعالى
شجرة اي وهي التي يقال لها العشار اي وقيل ام غيلان فنبتت في وجه الغار فسترته
بفروعها اي ويقال انه صلى الله عليه وسلم دعا تلك الشجرة وكانت امام الغار فاقبلت
حتى وقفت على باب الغار وانها كانت مثل قامة الانسان وبعث الله العنكبوت فنسجت
ما بين فروعها اي نسجا متراكما بعضه على بعض اي كنسج اربع سنين كما قال بعضهم وقد نسج
العنكبوت ايضا على عبد الله بن انيس رضي الله تعالى عنهما لما قتل سفيان بن خالد وقطع
راسه واخذها ودخل في غار في الجبل وكمن فيه حتى انقطع عنه الطلب كما سياتي ونسج على
نبي الله داود لما طلبه طالوت ونسج ايضا على عورة سيدنا زيد بن علي بن الحسين
بن علي بن ابي طالب وهو اخو الامام محمد الباقر وعم الامام جعفر الصادق وهو الذي
نسبت اليه الزيدية كان اماما مجتهدا وكان ممن اخذ عن واصل بن عطا الآخذ عن الحسن
البصري ولما ابتدع عطا المنزلة بين المنزلتين امره الحسن البصري باعتزال مجلسه فقيل
له معتزلي وصار يقال لاصحابه معتزلة ولا يلزم من كون شيخ سيدنا زيد معتزليا ان
يسلك سيدنا زيد مسلكه وصلب سيدنا زيد عريانا واقام مصلوبا اربع
سنين وقيل خمس سنين فلم تر عورته وقيل ان بطنه الشريف ارتخى على عورته فغطاها
ولا مانع من وجود الامرين وكانوا عند صلبه وجهوه الى غير القبلة فدارت خشبته التي
صلب عليها الى ان صار وجهه الى القبلة اي وقد وقع نحو ذلك كما سياتي ثم احرقوا
خشبة زيد وجسده واذري رماده في الرياح على شاطئ الفرات لانه خرج على هشام
ابن عبد الملك وقد دعا نفسه للخلافة فحاربه يوسف بن عمر الثقفي امير العراقين
من قبل هشام بن عبد الملك فانهزم اصحاب زيد عنه بعد ان خذلوه وانصرف عنه اكثرهم وقد
بايعه ناس كثير من اهل الكوفة وطلبوا منه ان يتبرا من الشيخين ابي بكر وعمر لينصروه
فقال كلا بل اتولاهما فقالوا اذن نرفضك فقال اذهبوا فانتم الرافضة فسموا بذلك من
حينئذ رافضة وجاءت اليه طائفة وقالوا نحن نتولاهما ونبرا ممن يتبرا منهما وقاتلوا
معه فسموا الزيدية **اقول** والعجب ممن يتمذهب بمذهب سيدنا زيد ويتبرا من الشيخين
ويكرههما ويكره من يذكرهما بخير بل ربما سبهما وعند مسا ليلة اصابته نشابة جراحات واصابه سهم
في جبهته وحال الليل بين الفريقين فطلبوا حجاما من بعض القرى لينزع له النصل
فاستخرجه فمات من ساعته فدفنوه من ساعته واخفوا قبره واجروا عليه الماء واستكتموه
الحجام ذلك فلما اصبح الحجام مشى الى يوسف بن عمر مستنصحا واخبره ودله على موضع قبره
فاستخرجه وبعث براسه الى هشام فكتب اليه هشام ان اصلبه عريانا فصلبه كذلك
ويقال ان هشام بن عبد الملك قال يوما لزيد بلغني انك تريد الخلافة ولا تصلح لك

لانك ابن امة فقال قد كان اسماعيل بن امة واسحاق ابن حرة فاخرج الله من صلب اسماعيل خير ولد آدم فقال له هشام قم قال اذن لا تراني الا حيث تكره ومن شعره

لا تطمعوا ان تهينونا ونكرمكم ۞ وان نكف الاذى عنكم وتؤذونا

قيل ورأس زيد هذا دفنت بمصر القديمة بمسجد يقال له مشهد زين العابدين بن الحسين وكذلك وقع في طبقات الشيخ الشعراوي نفعنا الله به وببركاته وليس كذلك بل هو محل رأس زيد بن زين العابدين لا زين العابدين كما ذكره المقريزي في الخطط ويقال له زيد الازياد وذكر في حياة الحيوان ان ما ينسجه العنكبوت يخرج من خارج جلدها لا من جوفها وعن علي رضي الله تعالى عنه طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه في البيوت يورث الفقر وامر الله تعالى حمامتين وحشيتين فوقعتا بفم الغار اي وروي انهما باضتا اي وفرختا كما قال بعضهم واقبل المشركون رجلا يقال له علقمة بن كرز رضي الله عنه فانه اسلم بعد ذلك عام الفتح ليقص لهم اثر النبي صلى الله عليه وسلم فقفا لهم الاثر حتى انتهى الى الغار اي فصعد الجبل وبالى في اصل الشجرة ثم قال هاهنا انقطع الاثر ولا ادري اخذ يمينا ام شمالا ام صعد الجبل وفي رواية قال لهم القائف هذا القدم قدم ابن ابي قحافة وهذا القدم الاخر لا اعرفه الا انه يشبه القدم الذي في المقام يعني مقام ابراهيم فقالت قريش ما وراء هذا شيء فلما وصل الى الغار قال الى هنا انتهى الاثر وتقدم انه صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر ضع قدمك موضع قدمي فان الرجل لا تنم وتقدم ما في ذلك اي لان المشركين لما فقدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شق عليهم ذلك وخافوا ذلك وطلبوه بمكة اعلاها واسفلها وبعثوا القافة اي الذين يقصون الاثر في كل وجه يقفوا اثره فوجد الذي ذهب الجبل ثور اثره اي وقال ما تقدم واقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم وسيوفهم اي فلما اقبلوا اشفق صلى الله عليه وسلم على صهيب يخاف عليه وقال واصهيباه ولا صهيب لي اي لانه تواعد معهما ان يكون ثالثهما فلما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج للغار ارسل له ابا بكر مرتين او ثلاثا فوجده يصلي فقال يا رسول الله وجدت صهيبا يصلي فكرهت ان اقطع عليه صلاته فقال اصبت وتقدمت الحوالة على هذا فلما كان فتيان قريش على اربعين ذراعا من الغار تعجل بعضهم ينظر في الغار فلم ير الا حمامتين وحشيتين اي مع العنكبوت فقال ليس فيه احد فسمع النبي صلى الله عليه وسلم ما قال فعرف ان الله عز وجل قد درأ عنه اي دفع عنه وفي رواية فلما انتهوا الى فم الغار قال قائل منهم ادخلوا الغار فقال امية بن خلف وما اربكم اي حاجتكم الى الغار ان عليه لعنكبوتا كان قبل ميلاد محمد اي ولو دخل الغار لانفتح ذلك العنكبوت وتكسر البيض وهذا يدل على ان البيض لم يكن فرخ اي ويحتمل ان بعض

البيض

البيض فرخ وبعضه لم يفرخ ثم جاء قبالة فم الغار فبال فقال ابو بكر يا رسول الله انه يرانا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر لو كان يرانا ما فعل هذا وفي بعض الروايات لو كان يرانا ما تكشف عن فرجه اي ما استقبلنا بفرجه وبوله وقال ابو جهل اما والله اني لاحسبه قريبا يرانا ولكن بعض سحره قد اخذ على ابصارنا فانصرفوا وذكر ابن كثير ان بعض اهل السير ذكر ان ابا بكر رضي الله تعالى عنه لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم لو ان احدهم نظر الى قدميه لابصرنا تحت قدميه قال النبي صلى الله عليه وسلم لو جاؤنا من هاهنا لذهبنا من هاهنا فنظر الصديق الى الغار قد انفرج من الجانب الاخر واذا البحر قد اتصل به وسفينة مشدودة الى جانبه قال ابن كثير وهذا ليس بمنكر من حيث القدرة العظيمة ولكن لم يرد ذلك باسناد قوي ولا ضعيف ولسنا نثبت شيئا من تلقاء انفسنا ونهى النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ عن قتل العنكبوت وقال انها جند من جند الله انتهى وعن ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه انه قال لا ازال احب العنكبوت منذ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم احبها ويقول جزى الله العنكبوت عنا خيرا فانها نسجت علي وعليك يا ابا بكر الا ان البيوت تطهر من نسجها اي ينبغي ذلك لما تقدم ان وجود نسجها في البيوت يورث الفقر وفي الجامع الصغير جزى الله العنكبوت عنا خيرا نسجت على الغار اقول فيه انه في الحديث العنكبوت شيطان فاقتلوه وفي لفظ العنكبوت شيطان مسخها الله فاقتلوه فان صح وثبت تأخره فهو ناسخ له وان كان متقدما على ما هنا وقد صح ما هنا فهو منسوخ به والله اعلم وبارك صلى الله عليه وسلم على الحمامتين اي وفرض جزاء الحمام فانحدرتا في الحرم فافرختا كل شيء في الحرم من الحمام اي ولا بد ذلك ذهب الغزالي من ائمتنا الى صحة الوقوف على حمام مكة دون غيره من الطيور وهو الراجح ونظير في الامتناع في كون حمام الحرم من نسل ذلك الزوج فانه روي في قصة نوح عليه السلام انه بعث الحمامة من السفينة لتاتيه بخبر الارض فوقعت بوادي الحرم فاذا الماء قد نضب من موضع الكعبة وكانت طينتها حمراء فاختضبت رجلاها ثم جاءته فمسح عنقها وطوقها طوقا ووهب لها الحمرة في رجليها واسكنها الحرم ودعا لها بالبركة وفي شعر الحارث بن مضاض الذي اوله ۞

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا ۞ انيس ولم يسمر بمكة سامر

وتبكي لبيت ليس يؤذى حمامه ۞ يظل به امنا وفيه العصافر

ففي هذا ان الحمام قد كانت في الحرم من عهد جرهم اي ونوح وذكر بعضهم ان حمام مكة اظلته صلى الله عليه وسلم يوم فتحها فدعا بالبركة له ويروى ان ابا بكر رضي الله تعالى عنه لما رأى قريشا اقبلت نحو الغار حصوصا ومعهم القافة بكى اي

ويقول لما سمع القايف يقول لقريش والله ما جاز مطلوبكم من هذا الغار حزن وبكى وقال
والله ما على نفسي ابكي ولكن اخاف ان ارى فيك ما اكره فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا وانزل الله تعالى سكينته على ابي بكر رضي الله تعالى عنه
اي وانزل عليه امنته الذي تسكن عندها القلوب قيل قال له لا تحزن ولم يقل له
لا تخف لان حزنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا النهي تأنيس وتبشير له كما
في قوله تعالى له صلى الله عليه وسلم فلا يحزنك قولهم وبه يرد ما زعمته الرافضة ان
ذلك غضا من ابي بكر وذم له لان حزنه رضي الله تعالى عنه ان كان طاعة فالنبي
صلى الله عليه وسلم لا ينهى عن الطاعة فلم يبق الا انه معصية وفي رواية عن ابي بكر رضي
الله تعالى عنه قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ونحن في الغار لو ان احدهم نظر الى قدميه
لابصرنا تحت قدميه اي لانهم علوا على رؤسهما فعن ابي بكر قال نظرت الى اقدام ٥
المشركين ونحن في الغار وهم على رؤسنا فقلت يا رسول الله لو ان احدهم نظر الى قدميه
ابصرنا تحت قدميه فقال يا ابا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما قال بعضهم كان
معهما وثالثهما باللفظ والمعنى اما باللفظ فكان يقال يا رسول الله ويقال لابي بكر
يا خليفة رسول الله واما بالمعنى فكان مصاحبا لهما بالنصر والهداية والارشاد والظهير
في ايده بجنود لم تروها راجع للنبي صلى الله عليه وسلم وتلك الجنود ملايكة انزلهم الله
تعالى عليه في الغار يبشرونه صلى الله عليه وسلم بالنصر على اعدائه ويروى ان
ابا بكر رضي الله تعالى عنه عطش في الغار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب
الى صدر الغار فاشرب فانطلق ابو بكر رضي الله تعالى عنه الى صدر الغار فوجد ماء احلى
من العسل وابيض من اللبن وازكى رايحة من المسك فشرب منه فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله امر الملك الموكل بانهار الجنان ان يخرق نهرا من جنة الفردوس
الى صدر الغار لتشرب قال ابو بكر يا رسول الله ولي عند الله هذه المنزلة فقال النبي صلى
الله عليه وسلم نعم وافضل والذي بعثني بالحق نبيا لا يدخل الجنة مبغضك ولو كان
له عمل سبعين نبيا اي وذكر بعضهم قال كنت جالسا عند ابي بكر فقال من
كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة فليقم فقام رجل فقال ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعدني بثلاث حثيات من تمر فقال ارسلوا الى علي فجاء فقال يا ابا الحسن ان هذا
يزعم كذا وكذا فاحث له فحثا له فقال ابو بكر عدوها فعدوها فوجدوها كل حثية
ستين تمرة لا تزيد ولا تنقص فقال ابو بكر صدق الله ورسوله قال لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليلة الهجرة في الغار كفي وكف علي في العدد سواء كذا ذهبنا به موضوع ولعل
قول الصديق صدق الله ورسوله علة لاختياره عليا على نفسه في ان يحثو لا ان ذلك

علة

علة لكون كل حثية جاءت ستين حبة ولما ايست قريش منهما ارسلوا لاهل السواحل
ان من اسر او قتل احدهما كان له مائة ناقة اي ويقال ان ابا جهل امر مناديا ينادي
في اعلا مكة واسفلها من جاء بمحمد او دل عليه فله مائة بعير والى قصة الغار اشار
صاحب الهمزية بقوله

اخرجوه منها وآواه غار ● وحمته حمامة ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت ● ما كفته الحمامة الحصداء
واختفى منهم على قرب مرآ ● ه ومن شدة الظهور الخفاء

اي وكان سببا لاخراجه من تلك الارض التي هي مولده ومرباه ووطنه ووطن ابائه
بسبب مبالغتهم في ايذائه وايذاء اصحابه خصوصا ضعفاؤهم وآواه غار وحمته
منهم حمامة في لونها بياض وسواد وكفته اعداه عنكبوت بنسجها الذي كفته اياه الحمامة
الكثيرة الريش فتلك الحمامة كانت ورقاء حصداء واستتر منهم مع قرب محل رؤيته
وحكمة خفائه واستتاره منهم مع ظهوره لهم لو نظر احدهم الى ما تحت قدميه شدة
ظهوره عليهم بالغلبة والمعونة الالهية ومكثا في الغار ثلاث ليال يبيت عندهما
عبد الله بن ابي بكر وهو غلام بصير فطن يقال يأتيهما حين يختلط الظلام ويدلج من
عندهما بسحر فيصبح مع قريش كبايت في بيته فلا يسمع امرا يكادان به الا وعاه ويخبر مما
به وكان عامر بن فهيرة مولى ابي بكر كان مملوكا للطفيل فاسلم وهو مملوك
وكان ممن يعذب في الله فاشتراه ابو بكر من الطفيل واعتقه كما تقدم فكان يروح ٥
عليهما بمنحة غنم اي قطعة من غنم ابي بكر فكان يرعاها حيث تذهب ساعة من العشا
ويغدو بها عليهما ثم يغلس اي اذا خرج من عندهما عبد الله تبع عامر بن فهيرة اثره
بالغنم حتى يعفي اثر قدميه يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الى الثلاث اي
وذلك بارشاد من ابي بكر رضي الله عنه وفي السيرة الهشامية وامر ابو بكر ابنه عبد
الله يستمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ثم ياتيهما اذا امسى بما يكون في ذلك اليوم
من الخبر وامر عامر بن فهيرة ان يرعى غنمه نهاره ثم يريحها عليهما اذا امسى في الغار
وكانت اسماء بنت ابي بكر تاتيهما اذا امست بما يصلحهما من الطعام اقول ومما الدر
عن عايشة رضي الله تعالى عنها ما كان احد يعلم مكان ذلك الغار الا عبد الله بن ابي بكر
واسماء بنت ابي بكر فانهما كانا يختلفان اليهما وعامر بن فهيرة فانه كان اذا سرح غنمه
مر بهما فحلب لهما وفي الفصول المهمة واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام
بلياليها في الغار وقريش لا يدرون اين هو واسماء بنت ابي بكر رضي الله تعالى عنهما
تاتيهما ليلا بطعامهما وشرابهما فلما كان بعد الثلاث امرها صلى الله عليه وسلم ان تاتي

علينا وتخبرنا بموضعهما وتقول له يستأجر لهما دليلا ويأتي معه بثلاث من الابل بعد مضي ساعة من الليل الآتية اي وهي الليلة الرابعة فجاءت اسماء الى علي كرم الله وجهه فاخبرته بذلك فاستأجر لهما رجلا يقال له الاريقط بن عبد الله الليثي وارسل معه بثلاث من الابل فجاء بهن الى اسفل الجبل ليلا فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم رغاء الابل نزل من الغار هو وابو بكر فعرفاه اي والذي في البخاري فأتاهما براحلتيهما صبيحة ليال ثلاث فارتحلا اه وتقدم ان المستأجر للدليل النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وقد يجمع بان المراد باستئجار علي رضي الله تعالى عنه اعطاؤه الاجرة وكونه استأجر لهما ثلاث رواحل واتى بها معه فيه نظر لما ظاهره ركوب النبي صلى الله عليه وسلم وركب ابو بكر وركب الدليل وفي الدر المنثور فمكث هو وابو بكر في الغار ثلاثة ايام يختلف اليهما بالطعام عامر بن فهيرة وعلي يجهزهما فاشترى ثلاثة اباعر واستأجر لهم دليلا فلما كان في بعض الليل من الليلة الثالثة اتاهم علي بالابل والدليل فليتأمل ذلك مع ما قبله وفي حديث مرسل مكث مع صاحبه في الغار بضعة عشر يوما ما لنا طعام الا ثمر البربر اي الاراك وتقدم في باب رعيه الغنم ان ثمر الاراك النضيج يقال له الكباث بكاف فباء موحدة مفتوحتين فثاء مثلثة قال ابن عبد البر وهذا اي القول بانهما مكثا في الغار بضعة عشر يوما غير صحيح عند اهل العلم بالحديث قال الحافظ ابن حجر والمراد بحجر كما قال الحاكم انهما مكثا مختفيين من المشركين في الغار وفي الطريق بضعة عشر يوما وذكر في الغار اي الاقتصار عليه من بعض الرواة والله اعلم قال وعن اسماء بنت ابي بكر رضي الله تعالى عنهما ان ابا بكر ارسل الى عبد الله فحمل ماله وكان خمسة الاف درهم او اربعة الاف وكان حين اسلم الاربعين الف درهم وفي لفظ اربعين الف دينار اي ويؤيد ذلك ما جاء عن انس رضي الله تعالى عنه انفق ابو بكر على النبي صلى الله عليه وسلم اربعين الف دينار فحمل اليه ذلك في الغار قالت اسماء فدخل علينا جدي ابو قحافة رضي الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك وكان قد ذهب نور بصره فقال والله اني لاراه يعني ابا بكر قد فجعكم بماله ونفسه كلا يا ابت انه ترك لنا خيرا كثيرا قالت فاخذت احجارا فوضعتها في كوة اي طاقة في البيت كان ابي يضع ماله فيها ثم وضعت عليها ثوبا ثم اخذت بيده فقلت ضع يدك على هذا المال قالت فوضع يده عليه فقال لا بأس اذا كان ترك لكم هذا ففي هذا بلاغ لكم ولا والله ما ترك لنا شيئا ولكن اردت ان اسكن قلب الشيخ انتهى اي ولما بلغ ضمرة بن جندب خروجه صلى الله عليه وسلم وكان مريضا فقال لا عذر لي في مقامي بمكة فامر اهله فخرجوا به فلما وصل الى التنعيم مات به فانزل الله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى

الله

الله صلى الله عليه وسلم ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما وقيل نزلت في خالد بن حزام بن خويلد بن اسد اسلم قديما وهاجر الى الحبشة في المرة الثانية فمات من نهشة حية قبل ان يصل وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال لحسان رضي الله تعالى عنه هل قلت في ابي بكر شيئا قال نعم قال قل وانا اسمع فقال

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد ... طاف العدو به اذ صاعد الجبلا

وكان حب رسول الله قد علموا ... من البرية لم يعدل به رجلا

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه اي وفي لفظ تبسم ثم قال صدقت يا حسان هو كما قلت انه احب البرية اليه اي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعدل به غيره **اقول** في ينبوع الحياة والذي اعرف في هذين البيتين انهما من ابيات رثى بهما حسان ابا بكر هذا كلامه وقد يقال لا مانع ان يكون ادخلهما حسان في مرثيته لابي بكر بعد ذلك والله اعلم **وعن** ابي بكر رضي الله تعالى عنه قال كنا عندكم ليقرأ سورة التوبة قال رجل انا اقرأ فلما بلغ اذ يقول لصاحبه لا تحزن بكى وقال انا والله صاحبه **وعن** ابي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم امشي امام ابي بكر فقال يا ابا الدرداء اتمشي امام من هو افضل منك في الدنيا والآخرة فوالله الذي نفسي بيده ما طلعت الشمس ولا غربت على احد بعد النبيين والمرسلين افضل من ابي بكر **وعن** عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اتاني جبريل فقال ان الله يأمرك ان تستشير ابا بكر **وعن** انس حب ابي بكر واجب على امتي ه بسم الله الرحمن الرحيم

باب الهجرة الى المدينة

لا يخفى انه لما كان صبيحة الليلة الثالثة من دخولهما الغار على ما تقدم جاءهما الدليل الذي هو الرجل الدؤلي براحلتيهما فركبا وانطلق بهما وانطلق معهما عامر بن فهيرة اي رديفا لابي بكر يخدمهما اي وفي البخاري ان ابا بكر كان رديفا له صلى الله عليه وسلم اي ولا مخالفة لما سيأتي ويروى انه صلى الله عليه وسلم لما خرج من الغار وركب اخذ ابو بكر بغرزه اي بركابه والغرز بغين معجمة مفتوحة وراء ساكنة وزاي ركاب الابل خاصة فقال صلى الله عليه وسلم له الا ابشرك قال بلى فداك ابي وامي قال ان الله عز وجل يتجلى للخلائق يوم القيامة ويتجلى لك خاصة قال الخطيب هذا الحديث لا اصل له قال السيوطي رأيت له متابعا ودعا صلى الله عليه وسلم بدعاء منه اللهم اصحبني في سفري واخلفني في اهلي واخذ بهم الدليل على طريق السواحل وصار ابو بكر اذا سأله سائل عن النبي صلى الله عليه وسلم من هذا الذي معك اي وفي رواية من هذا الذي بين يديك وفي رواية من

هذا الغلام بين يديك اى جا على انه كان رديفا له صلى الله عليه وسلم يقول هذا الرجل
يهدينى الطريق يعنى طريق الخير اى لانه صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر الهى الناس
اشغل الناس عنى اى تكفل عنى بالجواب لمن سال عنى فانه لاينبغى لنبى ان يكذب
اى ولو صورة كالتورية فكان ابو بكر يقول لمن ساله عن النبى صلى الله عليه وسلم ما ذكر
وانما يسئل ابو بكر عن نفسه لان ابا بكر كان معروفا لهم لانه كان يكثر المرور عليهم فى التجارة
للشام اى معروفا الغالبهم فلاينافى ما جا فى بعض الروايات انه كان اذا سئل من انت
يقول باغى اى طالب حاجة فعلم ان الانبيا لاينبغى لهم الكذب ولو صورة ومن ذلك
التورية لكن سياتى فى غزوة بدر وقوع التورية منه صلى الله عليه وسلم وفى رواية
ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورا ابى بكر ناقته وفى التمهيد لابن عبد البر انه
لما اتى براحلة ابى بكر سال ابو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يركب ويردفه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل انت راكب واردفك انا فان الرجل احق
بصدر دابته فكان اذا قيل له من هذا وراك قال هذا يهدينى السبيل **اقول**
لامخالفة بين هذا وما تقدم لانه يجوز ان يكون ركب صلى الله عليه وسلم تارة خلف
ابى بكر على ناقة ابى بكر وتارة ركب صلى الله عليه وسلم على ناقته نفسه امامه وان
ركوبه لها كان فى اثناء الطريق ويكون صلى الله عليه وسلم اما اركب راحلته عامر بن
فهيرة وترك ركوبها لاجل اراحتها والهداية كما تكون من المتقدم تكون من المتاخر
وان كان الاول هو الغالب والله اعلم والى توجهه صلى الله عليه وسلم الى المدينة
اشار صاحب الهمزية بقوله

ونحو للمدينة واشتا * قت اليه من مكة الانحاء

اى وقصد صلى الله عليه وسلم المدينة واشتاقت اليه الجهات والنواحى من مكة
وقد جا انه لما خرج من مكة الى المدينة مهاجرا وبلغ الجحفة اشتاق الى مكة فانزل
الله تعالى عليه ان الذى فرض عليك القران لرادك الى معاد اى الى مكة واهل
الرجعة يقولون الى الدنيا اى من يقول بان النبى صلى الله عليه وسلم يرجع الى الدنيا
كما يرجع عيسى وقد اظهرها عبد الله بن السودا اظهر الاسلام فى خلافة عمر وقيل
فى خلافة عثمان وكان قصده باظهار الاسلام بوار الاسلام فكان يقول العجب
ممن يزعم ان عيسى يرجع الى الدنيا ويكون برجعة محمد وقد قال الله تعالى ان الذى
فرض عليك القران لرادك الى معاد فمحمد احق بالرجعة من عيسى عليهما الصلاة
والسلام وسياتى ذلك عند بنا المسجد وكانت قريش كما تقدم ارسلت لاهل
السواحل ان قتل او اسر ابا بكر او محمدا كان له مايتا ناقة اى فى قتلهما او اسرهما

كان

كان له مايتان **فمن** سراقة جانا رسل كفار قريش يجعلون فيهما ان قتلا او اسرا
دية فبينا انا جالس فى مجلس من مجالس قومى بنى مدلج اى بقديد وهو محل قريب من
رابغ اقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال يا سراقة انى رايت اسودة اى
اشخاصا بالسواحل اراه محمدا واصحابه قال سراقة فعرفت انهم هم فقلت انهم ليسوا
بهم ولكنك رايت فلانا وفلانا انطلقوا باعيننا اى بمعرفتنا يطلبون ضالة لهم
اى وفى لفظ قال رايت ركبة بالتحريك جمع راكب ثلاثة مروا على آنفا اى قريبا
انى لاراهم محمدا واصحابه قال سراقة فاومات اليه ان اسكت ثم قلت انما هم بنو فلان
يتبعون ضالة لهم ثم لبثت فى المسجد ساعة ثم قمت الى منزلى فامرت جاريتى ان تخرج
فرسى خفية اى الى بطن الوادى وتحبسها على واخذت رمحى وخرجت به من
ظهر البيت فخططت بزجه فى الارض والزج الحديدة التى تكون فى اسفل الرمح
وخفضت عاليه اى مسكت باعلاه وجعلت اسفله فى الارض ليلا يراه احد
وانما فعل ذلك كله ليفوز بالجعل المتقدم ذكره ولا يشركه فيه احد من قومه
بخروجه معه لقتلهما او اسرهما زاد فى رواية ثم انطلقت فلبست لامتى وجعلت
اجر الرمح مخافة ان يشركنى اهل الما يعنى قومه قال حتى اتيت فرسى اى وكان يقال
لها العود والفرس لغة يقع على الذكر والانثى قال فى النور والمراد هنا الانثى لقوله
فركبتها ولقوله فرفعتها اى بالغت فى اجرائها حتى دنوت منهم وفى لفظ فرفعتها تقرب
بى وحينئذ يكون المراد اسرعت بالسير لان التقريب دون العدو وفوق
العادة فعثرت بى فرسى اى وقعت لمنخريها اى فى حديث اسما بنت ابى بكر زاد فى
رواية ثم قامت تحمحم فخررت عنها فقمت فاهويت بيدى الى كنانتى فاستخرجت الازلام
اى وهى عيدان السهام التى لاريش لها ولم تركب فيها النصال واستقسمت بها اضرهم ام لا
فخرج الذى اكره وهو عدم اضرارهم اى لانه مكتوب عليها افعل لاتفعل ويقال للاول
الامر وللثانى الناهى فركبت فرسى وعصيت الازلام تقرب بى حتى سمعت قراة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو لايلتفت وابو بكر يكثر الالتفات ساخت اى غابت يدا فرسى
فى الارض حتى بلغتا الركبتين اى وكانت الارض جلدة فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت
فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قايمة اذا لاثر يديها عثان اى غبار ساطع فى السما مثل
الدخان اى مع كون الارض جلدة فاستقسمت بالازلام فخرج الذى اكره فناديتهم بالا
اى وقلت انظرونى لا اوذيكم ولا ياتيكم منى شى تكرهونه اى وفى رواية ناديت القوم
وقلت انا سراقة بن مالك انظرونى اكلمكم انا لكم نافع غير ضار وانى لا ادرى لعل
الحى فزعوا لركوبى اى ان بلغهم ذلك والا راجع رادهم عنك فقال رسول الله صلى

مكان

الله عليه وسلم لا بل قل له ماذا ينبغي فوقفوا فاخبرتهم بما يريد الناس منهم وفي رواية
قال يا محمد ادع الله ان يطلق فرسي وارجع عنكم واردّ من ورائي وفي رواية قال يا هذا
ان ادعوا الى الله ربكما ولكما ان لا اعود ففعل اي دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق
الفرس وحينئذ يكون زجره لها ونهوضها بعد الدعا فلا يخالفه قال فركبت فرسي
اي بعد نهوضها حتى جئتهم فقلت ان قومك جعلوا فيك الدية اي مائة من الابل لمن
قتلك او اسرك وهذا هو المراد بقوله في الرواية السابقة فاخبرتهم بما يريد الناس
منهم وكأنه رأى ان ذلك كاف في لحوقه بهم عن ذكر ابي بكر قال سراقة وعرضت عليهما
الزاد والمتاع فلم يقبلا وقالا اخف عنا اي وفي رواية عرضت عليهما الزاد والحملان
اي ولعل الحملان هو المراد بالمتاع اي لا نحتاج انه قال لهما خذا هذا السهم من كنانتي
وغنمي وابلي بمحل كذا وكذا فخذا منها ما شئتما فقالا له اكفنا نفسك فقال كفيتماها
اقول وفي رواية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سراقة اذا لم ترغب في دين الاسلام
فاني لا ارغب في ابلك ومواشيك وفي رواية عن ابي بكر رضي الله تعالى عنه قال لما
ادركنا سراقة قلت يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا قال لا تحزن ان الله معنا
اي وقد تقدم انه قال ذلك له في الغار فلما كان بيننا وبينه قيد اي مقدار رمح او
ثلاثة قلت يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا وبكيت قال لم تبكي قلت اما والله ما
على نفسي ابكي ولكن ابكي عليك فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اكفناه
بما شئت فساخت به فرسه في الارض الى بطنها وكانت الارض صلبة اي ولا يخالف
ما سبق انها بلغت الركبتين لجواز ان يكون ذلك في اول امرها ثم صارت الى بطنها
وذلك كله في المرة الاولى فلا يخالف ما في الامتاع لما قرب من رسول الله صلى
الله عليه وسلم ساخت يدا فرسه في الارض الى بطنها فقال ادع الله لي يا محمد ان يخلصني
الله تعالى ولك علي ان ارد عنك الطلب فدعا فتخلص فعاد فتبعهم فساخت قوائم
فرسه في الارض اشد من الاولى فقال يا محمد قد علمت ان هذا من دعائك علي الحديث
اذ هو يدل على انها في المرة الاولى وصلت الى بطنها وفي الثانية وصلت الى ما هو
زائد على ذلك وقد يدل له ما يأتي من الهمزية ولعل المراد انه دخل جزء من بطنها
في الارض في المرة الثانية وفي لفظ قال يا رسول الله محمد قد علمت ان هذا عملك
فادع الله ينجيني مما انا فيه فوالله لاعمين على من ورائي من الطلب فدعا له فانطلق
راجعا وفي السبعيات للهمداني ان سراقة لما دنا منه صلى الله عليه وسلم
صاح وقال يا محمد من يمنعك مني اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمنعني
الجبار الواحد القهار ونزل جبريل عليه السلام وقال يا محمد ان الله عز وجل يقول

جعلت الارض مطيعة لك فامرها بما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ارض خذيه
فاخذت الارض ارجل جواده الى الركب فساق سراقة فرسه فلم يتحرك فقال يا محمد
الامان وعزة العزى لو انجيتني لاكونن لك لا عليك فقال يا ارض اطلقيه فاطلقت
جواده وروي في بعض التفاسير ان سراقة عاهد سبع مرات ثم ينكث العهد
وكلما ينكث تغوص قوائم فرسه في الارض وهذا اي الاقتصار على غوص قوائم
فرسه في الارض لا ينافي الزيادة فلا يخالف ما سبق وفي السبعيات تاب توبة
صدق وفي الفصول المهمة لما اتصل خبر مسيره صلى الله عليه وسلم الى المدينة وذلك
في اليوم الثالث من خروجه من الغار جمع الناس ابو جهل وقال بلغني ان محمدا
قد مضى نحو يثرب على طريق الساحل ومعه رجلان آخران فايكم يأتيني بخبره فوثب
سراقة فقال انا لمحمد يا ابا الحكم ثم انه ركب راحلته واستجنب فرسه واخذ معه
عبدا له اسود كان ذلك العبد من الشجعان المشهورين فسارا في اثر النبي صلى الله
عليه وسلم سيرا عنيفا حتى لحقا به فقال ابو بكر يا رسول الله قد دهينا هذا سراقة قد
اقبل في طلبنا ومعه غلامه الاسود المشهور فلما ابصرهم سراقة نزل عن راحلته وركب
فرسه وتناول رمحه واقبل نحوهم فلما قرب منهم قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم
اكفنا امر سراقة بما شئت وكيف شئت واني شئت فغابت قوائم فرسه في الارض حتى لم
يقدر الفرس ان يتحرك فلما نظر سراقة الى ذلك هاله ورمى نفسه عن الفرس الى الارض
ورمى رمحه وقال يا محمد انت واصحابك اي انت كما انت اي آمن واصحابك فادع ربك
يطلق لي جوادي ولك عهد وميثاق ان ارجع عنك فرفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه
الى السماء وقال اللهم ان كان صادقا فيما يقول فاطلق له جواده قال فاطلق الله تعالى
له قوائم فرسه حتى وثب على الارض سليما اي ولعل هذا في المرة الثانية او المرة الاخيرة
من السبع على ما تقدم وتقدم ان الاقتصار على القوائم لا ينافي الزيادة عليها فلا يخالف
ما سبق في هذه الرواية ورجع سراقة الى مكة فاجتمع الناس عليه فانكروا انه رأى محمدا
فلا زال به ابو جهل حتى اعترف واخبرهم بالقصة وفي ذلك يقول سراقة مخاطبا لابي جهل

ابا حكم والله لو كنت شاهدا ۞ لامر جوادي اذ تسيخ قوائمه
علمت ولم تشكك بان محمدا ۞ رسول ببرهان فمن ذا يقاومه

وسياق هذه الرواية يدل على انه خرج خلف النبي صلى الله عليه وسلم من مكة
ويدل لذلك ما ذكر انه مخالف لما تقدم انه خرج خلفه صلى الله عليه وسلم من قديد
من مجلس قومه واخفى خروج فرسه وخروجه على قومه وقد يقال لا مخالفة لانه
يجوز ان يكون لما خرج من مكة سلك طريقا غير الطريق الذي سلكها النبي

صلى الله عليه وسلم فلم يجده وسبقه على قديد فجلس في مجلس قومه فلما اخبر بذلك
فعل ما تقدم ثم وجد عبده الاسود في مروره وكان معه راحلته فركبها
واستجنب فرسه وصحب عبده ولا مانع ان يخرج من مكة بعد خروجهم من الغار
ويسبقهم على قديد ولا ينافي ذلك قوله فالان ارسل كفار قريش لانه يجوز ان
يكون ذلك هو الحامل لسراقة على الذهاب الى مكة لعله يجده بطريقه ولا ينافي
ذلك كونه كان احد القصاصين لاثر لانه يجوز ان يكون عاد الى قديد قبل ان
يحصل الجعل وفي كلام بعضهم انه ارسل بهذين البيتين الى ابي جهل ولا ٥
منافاة لجواز ان يكون ارسل بهما قبل ان يشافهه بهما وفي رواية انه لما لحق بهم
قال صلى الله عليه وسلم اللهم اصرعه فصرعه عن فرسه فقال يا نبي الله مرني بما شئت
قال تقف مكانك لا تتركن احدا يلحق بنا ثم لا يخفى ان صرعه عن فرسه يحتمل ان يكون
لما ساخت ويحتمل انه صرع عنها قبل ذلك وهو ظاهر سياق الروايتين الاولى ومنه
فعثرت بي فرسي فخررت عنها وحينئذ يكون عثور رجلها بدعائه صلى الله عليه وسلم
والله اعلم قال سراقة فسألته ان يكتب لي كتاب امن لانه وقع في نفسي حين لقيت
ما لقيت من الحبس عنهم ان سيظهر امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي السبعيات
قال سراقة يا محمد اني لاعلم انه سيظهر امرك في العالم وتملك رقاب الناس فعاهدني
اني اذا اتيتك يوم القيمة ملكك فاكرمني فامر عامر بن فهيرة اي وقيل ابا بكر
فكتب لي في رقعة من ادم اي وقيل في قطعة من عظم وقيل في خرقة **اقول**
وحينئذ يمكن ان يكون كتب عامر بن فهيرة اولا فطلب سراقة ان يكون ابو بكر
هو الذي يكتب فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابة ذلك فاحد مما
كتب في الرقعة من الادم والاخر كتب في العظم او الخرقة او المراد بالخرقة الرقعة
من الادم فلا مخالفة ولما اراد الانصراف قال له كيف بك يا سراقة اذا لبست
بسواري كسرى قال كسرى بن هرمز قال نعم وسياتي ان سراقة اسلم بالجعرانة
فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بها قال له مرحبا بك وعن سراقة لما فرغ
رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنين والطائف خرجت ومعي الكتاب لالقاه فلقيته
بالجعرانة فدخلت في كتيبة من خيل الانصار فجعلوا يقرعونني بالرماح ويقولون
اليك ماذا تريد قال فدنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته
فرفعت يدي بالكتاب ثم قلت يا رسول الله هذا كتابي وانا سراقة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم وفاء وبر ادنه فدنوت منه واسلمت **ولما** جيء لعمر رضي الله عنه
في زمن خلافته بسواري كسرى وتاجه ومنطقته اي وبساطه وكان ستون ذراعا

في ستين

في ستين ذراعا منظوما باللؤلؤ والجواهر الملونة على الوان زهر الربيع كان يبسط له
في ايوانه ويشرب عليه اذا عدمت الزهور وجيء له بال كثير من مال كسرى وببنات كسرى
وكن ثلاثة وعليهن الحلي والحلل والجواهر ما يقصر اللسان عن وصفه وعند ذلك دعى سراقة
وقال ارفع يديك والبسه السوارين وقال له قل الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز الذي
كان يقول انا رب الناس والبسهما سراقة بن مالك اي ورفع عمر بها صوته وصب المال
الذي جيء به من اموال كسرى في صحن المسجد وفرقه على المسلمين ثم قطع البساط وفرقه
بين المسلمين فاصاب عليا رضي الله تعالى عنه منه قطعة باعها بخمسين الف دينار ثم جيء
ببنات الملك الثلاث فوقفت بين يديه وامر المنادي ان ينادي عليهن وان يزيل نقابهن
عن وجوههن ليزيد المسلمون في ثمنهن فامتنعن من كشف نقابهن ووكزن المنادي
في صدره فغضب عمر رضي الله تعالى عنه واراد ان يعلوهن بالدرة وهن يبكين فقال له
علي رضي الله تعالى عنه مهلا يا امير المؤمنين فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ارحموا عزيز قوم ذل وغني قوم افتقر فسكن غضبه فقال له علي ان بنات
الملوك لا يعاملن معاملة غيرهن من بنات السوقة فقال له عمر كيف الطريق الى العمل
معهن فقال يقومن ومهما بلغ ثمنهن يقوم به من يختارهن فقومن واخذهن علي رضي
الله تعالى عنه فدفع واحدة لعبد الله بن عمر فجاءت منها بولده سالم والاخرى لمحمد بن ابي بكر فجاء
منها بولده القاسم والثالثة لولده الحسين فجاءت منه بولده علي الملقب بزين العابدين
وهؤلاء الثلاثة فاقوا اهل المدينة علما وورعا وكان اهل المدينة قبل ذلك يرغبون
عن التسري فلما نشأ هؤلاء الثلاثة فيهم رغبوا فيه ومن غريب الاتفاق ما حكاه بعضهم
قال كنت اجالس سعيد بن المسيب واعجب سعيد بن يوما فقال لي من اخوالك فقلت
امي فتاة فكاني نقصت من عينه فانا عنده اذ دخل عليه سالم بن عبد الله بن عمر فلما
خرج من عنده قلت له يا عم من هذا قال سبحان الله اتجهل مثل هذا من قومك هذا سالم
بن عبد الله بن عمر قلت فمن امه قال فتاة ثم دخل القاسم بن محمد فجلس عنده ثم نهض
فلما خرج قلت يا عم من هذا قال ما اعجب امرك اتجهل مثل هذا هذا القاسم بن محمد قلت
فمن امه قال فتاة ثم دخل عليه علي بن الحسين فجلس ثم نهض فلما خرج قلت له من هذا
قال عجبت منك اتجهل مثل هذا هذا علي زين العابدين بن الحسين قلت فمن امه قال
٥ فتاة قلت يا عم رايتني نقصت من عينك لما علمت ان امي فتاة فما لي في هؤلاء اسوة
فقال اجل فعظمت في عينه جدا ولما رجع سراقة صار يرد عنهم الطلب لا يلقى احدا
الا رده يقول سبرت اي اختبرت الطريق فلم ار احدا فيه لقطا قال لقريش اي لجماعة
منهم قصدوه صلى الله عليه وسلم كانهم اخبروا بمكان مسيره ذلك قد عرفتم بصري

بالطريق وقد سبرت فلم ارشيا فرجعوا اى فان كفا وقريش لما سمعوا من الهاتف
اى ومن غيره بانه صلى الله عليه وسلم نزل خيمة ام معبد كما سيأتى ارسلوا سرية فى طلبه يقول
قايلهم اطلبوه قبل ان يستعين عليكم بكلاب العرب فيحتمل ان هولاء الذين ذكرهم
سراقة فكان سراقة اول النهار جاهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم واخر النهار
مسلحة اى سلاحا له وفى رواية قال سراقة خرجت وانا احب الناس فى تحصيلهما ورجعت
وانا احب الناس فى ان لا يعلم بهما احد ويحتمل ان بعد ان ردهم سراقة ذهبوا الى ام معبد
فتمد الخبر ان تلك السرية جات الى ام معبد فسألوها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاشفقت اى خافت عليه منهم فتجاحدت اى اظهرت عدم علمها بذلك فقالت انكم تسالون
عن امر ما سمعت به قبل عامى هذا ثم قالت لين لم تنصرفوا عنى لاصرخن فى قومى عليكم وكانت
فى عز من قومها فانصرفوا ولم يعلموا اين توجه اى من اى طريق توجه اى ولعلها قالت لهم
ذلك لما رأت منهم التثقيل عليها وهذا السياق يدل على ان قصة سراقة قبل قصة
ام معبد والى قصة سراقة اشار صاحب الاصل بقوله

غرت سراقة اطماع فساخ به • جوادة فانثنى للصلح مطلبا •

والیها اشار ایضا صاحب الهمزیة بقوله

واقتفى اثره سراقة فاستهوته فى الارض صافن جرداء •

ثم ناداه بعد ما سيمت الخسف وقد ينجد الغريق النداء •

اى وتبع اثره سراقة فهوت اى سقطت به صافن وهى الفرس التى تقوم على
ثلاثة قوائم وتقدم الرابعة على طرف الحافر وهو وصف محمود فى الخيل جرداء
قصيرة الشعر وذلك وصف محمود فى الخيل ايضا بعد ان قاربت ان يخسف بها
كلها وقد يخلص النداء الغريق كما وقع ليونس صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه
قال وعن ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه انه قال سرنا ليلتنا كلها حتى قام
قائم الظهيرة وخلا الطريق فلا يرى فيه احد رفعت لنا صخرة طويلة لها ظل فنزلنا
عندها فاتيت الصخرة فسويت بيدى مكانا ينام فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى ظلها ثم بسطت له فروة معى ثم قلت يا رسول الله نم وانا احرسك وانفض من
حافه فنام صلى الله عليه وسلم واذا براع يقبل بغنمه الى الصخرة يريد منها الذى
اردنا اى وهو الظل فلقيته فقلت له لمن انت يا غلام فقال لرجل من اهل مكة
فسماه فعرفته اى وقال الحافظ ابن حجر لم اقف على اسم هذا الراعى ولا على اسم صاحب
الغنم قال ابو بكر رضى الله تعالى عنه فقلت هل فى غنمك من لبن قال نعم قلت
افتحلب لى قال نعم فاخذ شاة فحلب لى فى قعب معه وفى رواية فى اداوة معى على

منها

على فمها خرقة فاتيت النبى صلى الله عليه وسلم وكرهت ان اوقظه من نومه فوقفت حتى
استيقظ فصببت على اللبن من الماء حتى برد اسفله فقلت يا رسول الله اشرب من هذا
اللبن فشرب لانه جرت العادة باباحة مثل ذلك لابن السبيل اذا احتاج الى ذلك
فكان كل راع مأذونا له فى ذلك اى كما تقدم فى حديث لا يحلبن احد ماشية
احد الا باذنه او ان هذا الحديث محمول على فعل ذلك اختلاسا من غير معرفة الراعى
ولما نقل بعضهم انما استجاز شربه لانه مال حربى فخفيه نظر لان الغنائم اى اموال الحرب
لم تكن ابيحت له حينئذ ثم قال يعنى النبى صلى الله عليه وسلم الم يأن للرحيل قلت بلى
فارتحلنا بعد ما زالت الشمس انتهى اى وفى رواية ان ابا بكر قال قد آن الرحيل يا رسول
الله اى دخل وقته قال الحافظ ابن حجر يجمع بينهما بان يكون النبى صلى الله عليه وسلم بدأ
فسأل فقال له ابو بكر بلى ثم اعاد عليه بقوله قد آن الرحيل واجتازوا فى طريقهم بام معبد
اى قاسمها عاتكة وكان منزلها بقديد اى وهو محل سراقة كما تقدم ولعلها كانت بطرفه
الاخير الذى يلى المدينة ومنزل سراقة بطرفه الذى يلى مكة وكانت مسافة متسعة
فليتأمل وكانت ام معبد امرأة برزة جلدة تحتبى بفناء قبتها وتطعم وتسقى من مر بها فسألوها
اى وسألوها لحما وتمرا اى وفى رواية لبنا يشترونه فقالت والله لو كان عندنا شئ ما
اعوزناكم اى للنزل وفى رواية ما اعوزناكم القرى لانهم كانوا مسنتين اى مجدبين فقال
لها رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ام معبد هل عندك من لبن قالت لا والله فرأى شاة
خلفها الجهد عن الغنم اى لم تطق اللحاق بها لما بها من الهزال قال هل بها من لبن قالت هى اجهد
من ذلك قال اتأذنين فى حلابها قالت والله ما ضربها من فحل قط فشانك اى اصلح
شانك بها ان رأيت منها حلبا فاحلبها فدعى بها فمسح ظهرها بيده اى وفى رواية فبعث
النبى صلى الله عليه وسلم معبدا وكان صغيرا فقال ادع هذه الشاة ثم قال يا غلام هات فرقا
فمسح ظهرها وفى رواية فمسح بيده ضرعها وظهرها وسمى الله تعالى اى وقال اللهم بارك
لنا فى شاتنا فدرت واجترت وتفاجت اى فتحت ما بين رجليها للحلب ثم دعا باناء يربض
الرهط اى يرويهم بحيث يغلب عليهم الرى فيربضون وينامون والرهط من الثلاثة الى العشرة
وقيل من السبعة الى الاربعين فحلب فيها ثجا اى بقوة لكثرة اللبن وسيلانه ثم قال حتى
علاه البها وفى رواية حتى علته الثمالة بضم المثلثة اى الرغوة وفى رواية فسقاها فشربت
حتى رويت وسقى اصحابه حتى رووا عللا بعد نهل اى مرة ثانية بعد الاولى اى ثم
شرب صلى الله عليه وسلم فكان اخرهم شربا وقال ساقى القوم اخرهم اخرهم شربا ثم حلب
فيه ثانيا وغادره اى تركه عندها وارتحل والى ذلك اشار الامام السبكى بقوله فى تائيته

مسحت على شاة لدى ام معبد • فالفاها ادرت حلوبة •

بيتين

والى ذلك اشار صاحب الهمزية بقوله في وصف راحته الشريفة بقوله

٥ درت الشاة حين مرت عليها ٥ فلها ثروة بها ونماء ٥

٥ اى ارسلت الشاة لبنها حين مرت راحته الشريفة على تلك الشاة فلذلك الشاة بسبب تلك الراحة كثرة لبن وزيادة وعن ام معبد ان هذه الشاة بقيت الى خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الى سنة ثماني عشرة وقيل سبع عشرة من الهجرة ويقال لتلك السنة عام الرمادة اى وكانت تلك السنة اجدبت الارض جدبا شديدا حتى جعلت الوحوش تاوى الى الانس ويذبح الرجل الشاة فيعافها اى يجد لحمها وكانت الريح اذا هبت القت ترابا كالرماد فسمي ذلك العام عام الرمادة وعند ذلك آلى عمر ان لا يذوق لبنا ولا سمنا ولا لحما حتى يحيى الناس اى يحيى اليهم الحيا وهو المطر وقال كيف لا يعنيني شان الرعية اذا لم يمسني ما مسهم وهذا السياق يدل على ان الذي جاءه صلى الله عليه وسلم عند ام معبد شاة واحدة وفي تاريخ العيني شارح البخاري قال يونس عن ابن اسحاق انه دعى ببعض غنمها فمسح ضرعها بيده ودعى الله وحلب في العس حتى ارغى وقال اشربي يا ام معبد فقالت اشرب انت احق به فرده عليها فشربت ثم دعى بحائل اخرى ففعل بها مثل ذلك فشربه ثم دعى بحائل اخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى دليله ثم دعى بحائل اخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى عامر بن فهيرة وطلبت قريش ٥ رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغوا ام معبد فسالوا عنه ووصفوه لها فقالت ما ادري ما تقولون قد ضافني حالب الحائل فقالوا ذلك الذي نريد وعند عمر ذلك قال كعب نعم يا امير المؤمنين ان بني اسرائيل كانوا اذا اصابهم مثل هذا استسقوا بعصبة الانبياء فقال عمر هذا عم النبي صلى الله عليه وسلم وصنو ابيه وسيد بني هاشم يعني العباس فمشى اليه عمر وشكى اليه ما فيه الناس فصعد عمر المنبر ومعه العباس وقال اللهم انا قد توجهنا اليك بعم نبينا وصنو ابيه فاسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ثم قال عمر للعباس يا ابا الفضل قم وادع فقام وحمد الله واثنى عليه ودعا منه اللهم شفعنا في انفسنا واهلينا اللهم انا نشكو اليك جوع كل جائع اللهم انا لا نرجو الا اياك ولا ندعو غيرك ولا نرغب الا اليك فسقوا قبل ان يصلوا الى منازلهم وخاضوا في الماء واخصبت الارض وعاش الناس فقال عمر هذا والله هو الوسيلة الى الله تعالى وصار الناس يتمسحون بالعباس ويقولون هنيئا لك ساقي الحرمين وذكر السهيلي ان جماعة كانت مقبلة الى المدينة في ذلك اليوم فسمعوا صائحا يصيح في السحاب اتاك الغوث ابا حفص اتاك الغوث ابا حفص هذا وذكر العلامة ابن حجر الهيتمي في الصواعق عن تاريخ دمشق ان الناس كرروا الاستسقاء عام الرمادة سنة سبع عشرة من الهجرة

فلم

فلم يسقوا فقال عمر لاستسقين غدا بمن يسقيني الله به فلما اصبح غدا للعباس فدق عليه الباب فقال من قال عمر قال ما حاجتك قال اخرج حتى نستسقي الله بك قال اقعد فارسل الى بني هاشم ان تطهروا والبسوا من صالح ثيابكم واتوه فاخرج طيبا فطيبهم ثم خرج وعلي امامه بين يديه والحسن عن يمينه والحسين عن يساره وبنو هاشم خلف ظهره وقال يا عمر لا تخلط بنا غيرنا ثم اتى المصلى فوقف فحمد الله واثنى عليه وقال اللهم انك خلقتنا ولم تؤامرنا وعلمت ما نحن عاملون قبل ان تخلقنا فلم يمنعك علمك فينا عن رزقنا اللهم فكما تفضلت علينا في اوله فتفضل علينا في اخره قال جابر فما برحنا حتى سحت السماء علينا سحا فما وصلنا الى منازلنا الا خوضا فقال العباس انا ابن المسقى ابن المسقى ابن المسقى ابن المسقى ابن المسقى خمس مرات اشار الى ان اباه عبد المطلب استسقى خمس مرات فسقي هذا كلامه فلينظر الجمع قال ابن شهاب كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرفون للعباس فضله ويقدمونه ويشاورونه وياخذون برايه اى وكان لا يمر عمر وعثمان وهما راكبان الا ترجلا حتى يجوز العباس وربما مشيا معه الى بيته اجلالا له قالت ام معبد في وصف تلك الشاة وكنا نحلبها صبوحا وغبوقا اى بكرة وعشية وما في الارض قليل ولا كثير اى ما يتعاطى الدواب اكله ولما جاء زوجها ابو معبد قال السهيلي لا يعرف اسمه وقيل اسمه اكثم بالثاء المثلثة ولما جاء زوجها ابو معبد قال السهيلي لا يعرف اسمه وقيل اسمه اكثم بالثاء المثلثة كما تقدم وقيل خنيس وقيل عبد الله جاء عند المساء يسوق اعنزا عجافا ورأى اللبن الذي حلبه صلى الله عليه وسلم عجب وقال يا ام معبد ما هذا اللبن ولا حلوب في البيت اى والشاة عازب اى لم يطرقها فحل لكن رأيته في النور فسر العازب بالبعيدة المرعى التي لا تأوي الى المنزل في الليل وفي الصحاح العازب الكلأ البعيد الذي لم يؤكل ولم يوطأ قالت مر بنا رجل مبارك قال صفيه قالت رأيت رجلا ظاهر الوضاءة مبلج الوجه اى مشرقه في اشفاره اى اجفان عينيه اى شعرها النابت بها وطف اى طول وفي عينيه دعج اى شدة سواد في شدة بياض وهذا هو المشهور انه الحور ومنهم فسر بعضهم الدعج بشدة السواد وفيه انه صلى الله عليه وسلم لم يكن بياض عينيه شديد البياض كان اشكل العين والشكلة حمرة في بياض العين وهو دليل الشهامة وهو من علامات النبوة صلى الله عليه وسلم في الكتب القديمة كما تقدم وفي صوته صحل اى بحة بضم الموحدة اى ليس بحاد الصوت غصن بين الغصنين لا تشنأه من طول اى لا تبغضه لفرط طوله ولا تقتحمه من قصر اى تحتقره من قصره لم تعبه ثجلة اى عظم البطن وكبرها ولم تزر به صعلة اى صغر الراس كان عنقه ابريق فضة اى والابريق السيف الشديد البريق اذا نطق فعليه البهاء واذا صمت فعليه الوقار له كلام كخرزات

معبد انها قالت مر على خيمتي غلام سهيل بن عمرو ومعه قربتان فقلت ما هذا قال
ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى مولاي يستهديه من ماء زمزم فانا اعجل السير كي
لا ينشف القرب اي فانه صلى الله عليه وسلم كتب الى سهيل بن عمرو ان جاءك كتابي
ليلا فلا تصبحن او نهارا فلا تمسين حتى تبعث الي من ماء زمزم فجاء بقربتين فملأهما
من ماء زمزم وبعث بهما على بعير مولاه ازهر ولا زالا كنا وقريش تكنه لا يعلمون اين
توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر حتى سمعوا هاتفا يذكرهما ويذكر ام معبد
في ابيات منها

جزى الله رب الناس خير جزائه ... رفيقين قالا خيمتي ام معبد
هما نزلا بالبر ثم ترحلا ... فافلح من امسى رفيق محمد

فعلموا توجهه ليثرب اي وفي طريق اليمن محل يقال له الدهيم وبه ام معبد قال بعضهم
وليست ام معبد التي نزل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة ويجوز ان
يكون الخبر الذي وصل اليهم في اليوم الثاني من خروجه من الغار هو قول هذا
الهاتف او عقبه من شخص راهم والى قول الهاتف اشار صاحب الهمزية بقوله

وتغنت بمدحه الجن حتى ... اطرب الانس منه ذاك الغناء

اي واظهرت الجن اوصافه صلى الله عليه وسلم الجميلة في صورة الغناء الذي تتولع به
النفس حتى اطرب ذلك الغناء الانس حيث سمعوه واما قول بعضهم انهم علموا ذلك
من هاتف هتف بقوله

ان يسلم السعدان يصبح محمد ... من الامر لا يخشى خلاف المخالف

قالوا السعود سعد بن بكر وسعد زيد مناة وسعد هذيم فلما كانت القابلة
سمعوا ذلك الهاتف يقول

فيا سعد سعد الاوس كن انت ناصرا ... ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف

فقالوا سعد الاوس سعد بن معاذ وسعد الخزرجين سعد بن عبادة ففيه نظر لان
السعدين المذكورين كانا اسلما قبل ذلك فلا يحسن قوله ان يسلم السعدان **اقول**
يجوز ان يكون ان هنا بمعنى اذا اي صير ورته صلى الله عليه وسلم امنا لا يخشى خلاف المخالف
لاجل اسلام السعدين او المراد دوامهما على الاسلام على انه ذكر في الاصل ان انشاد هذين
البيتين وسماع اهل مكة له كان قبل اسلام سعد بن معاذ وذكر بعضهم ان
السعود من الانصار سبعة اربعة من الاوس سعد بن معاذ وسعد بن خيثمة وسعد بن
عبيد وسعد بن زيد وثلاثة من الخزرج سعد بن عبادة وسعد بن الربيع وسعد بن
عثمان ابو عبادة والله اعلم **قال** وتقديم قصة سراقة على قصة ام معبد هو ما في الاصل

النظم ازين اصحابه منظرا واحسنهم وجها اصحابه يحفون به اذا امر ابتدروا امره
واذا نهى انتهوا عند نهيه **قال** وفي لفظ قالت رايت رجلا ظاهر الوضاءة ابلج الوجه اي
مشرقه حسن الخلق لم تعبه ثجلة ولم تزر به صعلة وسيما قسيما اي حسنا في عينيه
دعج وفي اشفاره وطف وفي صوته صحل او قالت صهل احور اكحل اي في اجفانه
عينيه سواد خلقة وفي عنقه سطع اي نور وفي لحيته كثاثة اي لا طويلة ولا
دقيقة ازج اي دقيق طرف الحاجب اقرن اي مقرون الحاجبين شديد سواد الشعر
ان صمت فعليه الوقار وان تكلم سماه اي ارتفع على جلسائه وعلاه البهاء اجمل
الناس وابهاهم من بعيد واحسنهم من قريب حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كان
كان منطقه خرزات نظم يتحدرن ربعة لا تشناه تبغضه من طول اي من فرط طوله
ولا تقتحمه عين من قصر اي لا تتجاوزه الى غيره احتقارا له غصنا بين الغصنين فهو انضر
الثلاثة منظرا واحسنهم قدرا له رفقاء يحفون به ان قال انصتوا لقوله وان امر ابتدروا الى
امره محفود محشود لا عابس ولا مفند اي كثير اللوم انتهى قال
هذا والله صاحب قريش ولو رايته لاتبعته ولاجتهدن ان افعل اي وفي الامتاع
ويقال انها اي ام معبد ذبحت لهم شاة وطبختها فاكلوا منها ووضعت لهم في سفرتهم منها
ما وسعتهم تلك السفرة وبقي عندها اكثر لحمها وفي الخصائص الكبرى انه صلى الله عليه
وسلم بايعها اي اسلمت قبل ان يرتحلوا عنها وفي كلام ابن الجوزي ان ام معبد هاجرت واسلمت
وكذا زوجها هاجر واسلم **اقول** في شرح السنة للبغوي وهاجرت هي وزوجها
واسلم اخوها حبيش بن الاسعر واستشهد يوم الفتح وكان اهلها يؤرخون بيوم
نزول الرجل المبارك ويقال ان زوجها خرج في اثرهم فادركهم وبايعه صلى الله
عليه وسلم ورجع وفي الاجوبة المسكتة لابن عبد قيل لام معبد ما بال صفتك لرسول
الله صلى الله عليه وسلم اشبه به من سائر صفات من وصفه اي من الرجال فقالت اما
علمتم ان نظر المراة الى الرجل اشفى من نظر الرجل الى الرجل وفي ربيع الابرار للزمخشري
عن هند بنت الجون انه صلى الله عليه وسلم لما كان بخيمة خالتها ام معبد قام من رقدته
فدعا بماء فغسل يديه ثم تمضمض ومج ذلك في عوسجة الى جانب الخيمة فاصبحت وهي
اعظم دوحة اي شجرة ذات فروع كثيرة وجاءت بثمر كاعظم ما يكون في لون الورس
ورائحة العنبر وطعم الشهد ما اكل منها جائع الا شبع ولا ظمآن الا روي ولا سقيم الا
برئ ولا اكل من ورقها بعير ولا شاة الا در فكنا نسميها المباركة فاصبحنا في يوم
من الايام وقد سقط ثمرها واصفر ورقها ففزعنا لذلك فما راعنا الا نعي رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال والعجب كيف لم يشتهر امر هذه الشجرة كما اشتهر امر الشاة وعناق

حميد

وقد التزم فيه ترتيب الوقايع وقضية الترتيب ذكر قصة ام معبد قبل قصة
سراقة لانه الصحيح الذي صرح به جماعة انتهى اقول ومما يدل لذلك ما تقدم من ان كفار
قريش لم يعلموا اين توجه صلى الله عليه وسلم حتى سمعوا الهاتف بذكر ام معبد وعن اسما
بنت ابي بكر رضي الله عنهما قالت لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم اتانا نفر من قريش
فيهم ابو جهل ووقفوا على الباب فخرجت اليهم فقالوا اين ابوك قلت والله لا ادري فرفع
ابو جهل يده فلطم خدي لطمة اخرج منها قرطي اي وفي لفظ طرح فيها قرطي والقرط
ما يعلق في شحمة الاذن قالت ثم انصرفوا فمضى ثلاث ليال فلم ندر اين توجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذ اقبل رجل من الجن من اسفل مكة يغني بابيات وان الناس
ليتبعونه يسمعون صوته حتى خرج باعلا مكة جزى الله رب الناس الابيات كذا
في الاصل وقضية ان قولها لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهر في خروجه
للغار وقولها فمضى ثلاث ما ندري يقتضي ان المراد خروجه من الغار وتقدم انهم
علموا بخروجه الى المدينة في اليوم الثالث من خروجه من الغار وتقدم انهم لم يعلموا
بذلك الا من الهاتف فليتامل وقد تبع الاصل في ذلك شيخه الحافظ الدمياطي حيث
قدم خبر سراقة على قصة ام معبد الا ان يقال الدمياطي لم يلتزم الترتيب فلا يحسن
تبعيته وهنا قصة اخرى فيها زيادة ونقص قيل من قصة ام معبد وقيل غيرها
واجتاز صلى الله عليه وسلم بغنم فقال لراعيها لمن هذا قال لرجل من اسلم فالتفت صلى
الله عليه وسلم لابي بكر وقال ان شا الله تعالى ثم قال للراعي ما اسمك قال مسعود فالتفت
الى ابي بكر رضي الله تعالى عنه فقال سعدت ان شا الله وفي الاصل ولقي بريدة بن
الحصيب الاسلمي رضي الله تعالى عنه في ركب من قومه فدعاهم الى الاسلام فاسلموا
اي والحصيب بضم الحا المهملة وفتح الصاد وفي الشرف ان بريدة لما بلغه ما جعلته
قريش لمن ياخذ النبي صلى الله عليه وسلم طمع في ذلك فخرج هو في سبعين من اهل بيته وفي
لفظ وكانوا نحوا من ثمانين بيتا وحينئذ يراد ببيته قومه فلما راوه صلى الله عليه وسلم
قال له من انت قال بريدة بن الحصيب فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا ابا
بكر برد امرنا وصلح قال ممن انت قال من اسلم من بني سهم قال النبي صلى الله عليه وسلم
سلمنا وخرج سهمك يا ابا بكر اي لانه صلى الله عليه وسلم كان يتفال ولا يتطير
ثم قال بريدة للنبي صلى الله عليه وسلم من انت قال محمد انا ابن عبد الله بن عبد المطلب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بريدة اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله
فاسلم بريدة وكل من كان معه اي وصلوا خلفه صلى الله عليه وسلم العشا الاخرة ثم
قال بريدة يا رسول الله لا تدخل المدينة الا ومعك لوا فحل بريدة عمامته ثم شدها

في رمح ثم مشى بين يديه اي وقال له كا في الوفا تنزل علي يا نبي الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان ناقتي هذه مامورة قال بريدة الحمد لله الذي اسلمت بنو سهم يعني طايعين غير
مكرهين والله اعلم ولما سمع المسلمون بالمدينة بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم
من مكة كانوا يغدون كل غداة الى الحرة ينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة اقول ولعل
خروجهم كان في ثلاثة ايام وهي المدة الزايدة على المسافة المعتادة بين مكة والمدينة
التي كانها في الغار والله اعلم فانقلبوا يوما بعد ان طال انتظارهم اي واحرقتهم الشمس
واذا رجل من اليهود صعد على اطم اي محل مرتفع من اطامهم اي من معالمهم المرتفعة لامر
ينظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مبيضين اي لانهم لقوا الزبير
في ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام فكسى الزبير رسول الله صلى الله
عليه وسلم وابا بكر ثيابا بيضا كما في البخاري وقيل ان الذي كساهما طلحة بن عبيد
الله قال في النور ولعلهما لقياه معا او متعاقبين فكسواه وابا بكر ما ذكر وهذا الجمع اولى
من ترجيح الحافظ الدمياطي لهذا القيل ومن ثم ذكر الحافظ ابن حجر ان هذا القيل هو
القيل هو الذي في السير ومال الدمياطي الى ترجيحه على عادته في ترجيح ما في السيرة
على ما في الصحيح لكنه ذكر ان ذلك شانه في ابتدا امره فلما تضلع من الاحاديث الصحيحة
كان يرفعهم ويظهرهم اي والسراب ما يرى كالماء في وسط النهار في زمن الحر فلم يملك
اليهودي ان قال باعلا صوته يا معشر العرب هذا جدكم اي حظكم الذي تنتظرون اي وفي
رواية فلما دفعوا الى المدينة بعثا رجلا من اهل البادية الى ابي امامة واصحابه من
الانصار اي ولا مانع من وجود الامرين فثار المسلمون الى السلاح فتلقوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم بظهر الحرة اي وفي لفظ فوافوه وهو مع ابي بكر في ظل النخلة ولعل تلك النخلة
كانت بظهر الحرة فقال لا تخالفه ثم قال لهما ادخلا امنين مطمئنين وفي لفظ
فاستقبله زها خمسمائة اي ما يزيد على خمسمائة من الانصار فقالوا اركبا امنين مطاعين
فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بقبا في دار عمرو بن عوف وذلك في يوم الاثنين لاثنتي
عشرة خلت من شهر ربيع الاول على كلثوم بن الهدم اي لانه كان شيخ بني عمرو بن عوف اي
وهم بطن من الاوس قيل وكان يومئذ مشركا ثم اسلم وتوفي قبل بدر بيسير وقيل
اسلم قبل وصوله صلى الله عليه وسلم المدينة اي وعند نزوله صلى الله عليه وسلم نادى كلثوم
بغلام له يا نجيح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انجحت يا ابا بكر وكان يجلس للناس
ويتحدث مع اصحابه في بيت سعد بن خيثمة اي لانه كان عزبا لا اهل له هناك اي
وكان منزله يسمى منزل العزاب والعزب من الرجال من لا زوجة له ولا يقال اعزب وقيل
هي لغة رديه اقول وبذلك يجمع بين قول من قال نزل على كلثوم وقول من قال نزل على

كلثوم وقول من قال نزل على سعد بن خيثمة ثم رأيت الحافظ الدمياطي اشار الى ذلك والله اعلم ونزل علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه لما قدم المدينة على كلثوم ايضا بقبا بعد ان تاخر بمكة بعده صلى الله عليه وسلم ثلاث ليال يؤدي الودايع التي كانت عند النبي صلى الله عليه وسلم لامره له صلى الله عليه وسلم بذلك كما تقدم فلما توجه صلى الله عليه وسلم الى المدينة قام علي بالابطح ينادي من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وديعة فليات نؤدي اليه امانته فلما نفد ذلك ورد عليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشخوص اليه فابتاع ركايب وقدم معه الفواطم ومعه ام ايمن وولدها ايمن وجماعة من ضعفاء المؤمنين **اقول** سياتي ما يخالف ذلك وهو انه صلى الله عليه وسلم لما نزل في دار ابي ايوب بعث زيد بن حارثة وابا رافع الى مكة واعطاهما خمسمائة درهم وبعيرين يقدمان عليه بفاطمة وام كلثوم بنته وسودة زوجته وام ايمن وولدها اسامة الا ان يقال يجوز ان يكون الكتاب الذي فيه استدعا سيدنا علي المتقدم كان مع زيد وابي رافع وانهما صحباه ولا ينافي ذلك ما تقدم من انه تاخر بمكة بعده ثلاث ليال يؤدي الودايع لان تلك الليالي الثلاث كانت مدة تاديه الودايع ومكث بعدها الى ان جاه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويشبه ان يكون قدم على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد نزوله بقبا على كلثوم فلا مخالفة لكن في السيرة الهشامية فنزل اي علي معه اي مع النبي صلى الله عليه وسلم على كلثوم وهو لا يناسب الا على القول بانه صلى الله عليه وسلم مكث في قبا بضع عشرة ليلة كما سياتي وحينئذ يخالف ما سبق من مجيئه مع زيد وابي رافع لما علمت انه صلى الله عليه وسلم انما ارسلهما بعد ان تحول من قبا الى المدينة وفي الامتاع لما قدم علي من مكة كان يسير الليل ويكمن النهار حتى تفطرت قدماه فاعتنقه النبي صلى الله عليه وسلم وبكى رحمة لما بقدميه من الورم وتفل في يديه وامرهما على قدميه فلم يشتكيهما بعد ذلك ولا مانع من وقوع ذلك من علي مع وجود ما يركبه لانه يجوز ان يكون هاجرها مشيا في عظيم الاجر وفي السيرة الهشامية ان اقامته على بقبا كانت ليلة او ليلتين وانه رأى امرأة مسلمة لا زوج لها ياتيها انسان من جوف الليل يضرب عليها بابها فتخرج اليه فيعطيها شيا معه فتاخذه قال علي فسالتها فقالت هذا سهل بن حنيف قد عرف اني امرأة لا احد لي فاذا امسى غدا على اوثان قومه فكسرها ثم جاءني بها فقال احتطبي بهذا اي اجعليه للنار فكان علي يعرف ذلك لسهل بن حنيف والله اعلم **قال** ونزل ابو بكر على حبيب بن اساف وقيل على خارجة بن زيد بالسنح بضم السين المهملة فنون ساكنة فحا مهملة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ولد نبيكم يوم الاثنين اي وحملت به امه

يوم

يوم الاثنين وخرج من مكة اي من الغار يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين قال الحاكم تواترت الاخبار ان خروجه صلى الله عليه وسلم كان يوم الاثنين ودخول المدينة كان يوم الاثنين زاد بعضهم وفتح مكة كان يوم الاثنين ووضع الركن يوم الاثنين ومن الغريب ما حكاه بعضهم عن ابن الربيع المالكي وكان بمصر كان يوم الاثنين خاصة اذا نام فيه تنام عيناه ولا ينام قلبه وقيل خرج من مكة اي الى الغار يوم الخميس وعليه يكون مكث في الغار تلك الليلة التي هي ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الاحد وعليه يكون خروجه من الغار صبيحة يوم الاحد ففي البخاري انهما اي الدليل براحلتيهما صبح ثلاث وتقدم ان خروجهما الى الغار كان ليلا من بيت ابي بكر وقول ابي بكر سرنا ليلتنا كلها حتى قام قائم الظهيرة يقتضي انهما خرجا من الغار ليلا بل اول النهار لان مع التاكيد يبعد ان يكون المراد بقية ليلتنا وتقدم عن البخاري اتاهما براحلتيهما صبح ثلاثة وحمل ذلك على ما قارب الصبح من الليل بعيد فليتامل هذا المحل وقيل دخلها اي المدينة ليلا كما في رواية لمسلم اي وقال الحافظ ابن حجر ويجوز ان الوصول كان ليلا الى قرب المدينة فاقاموا بذلك المحل الى ان اسفر النهار وساروا فوافوا وصلوا الا وقت الظهيرة فلا يخالف ما تقدم وقيل دخلها يوم الجمعة وذكر الحافظ ابن حجر انه شاذ والله اعلم وسرى السرور الى القلوب بحلوله في المدينة فعن البرا رضي الله تعالى عنه قال ما رايت اهل المدينة فرحوا بشي فرحهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وعن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اضاء منها كل شي وصعدت ذوات الخدور على الاجاجير اي الاسطحة عند قدومه يقلن بقولهن طلع البدر علينا الخ **وعن** عايشة رضي الله تعالى عنها لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل النسا والصبيان والولايد يقلن ه

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ... ما دعى لله داعي
ايها المبعوث فينا ... جئت بالامر المطاع

قال واستشكل بان ثنيات الوداع ليست من جهة مكة بل هي جهة القادم من جهة الشام فقد قال ابن القيم في الهدى في غزوة تبوك ثنيات الوداع من جهة الشام لا يطوها القادم من مكة ونقل الحافظ ابن حجر عنه عكس ذلك وليس في محله واجيب بانه صلى الله عليه وسلم جاس جهتها في دخوله للمدينة عند خروجه من قبا انتهى اي وفي كلام بعضهم ما كان احد يدخل المدينة الا منها فان لم

يعير منها مات قبل أن يدخل لمو ياها كما زعمت اليهود فاذا وقف عليها قيل قد
ودع فسميت به وقيل قيل لها ثنية الوداع لان المودع يمشي مع المسافر من
المدينة اليها وهو اسم قديم جاهلي وقيل اسلامي سمي بذلك المحل لذلك وقيل
لان الصحابة ودعوا فيها النسا اللاتي استمتعوا بهن في خيبر عند رجوعهم من خيبر
او وقع توديع من خرج الى الغزاة تبعث فيها او لكونه صلى الله عليه وسلم ودع بعض
المسافرين عندها وهذا يدل على ان هذا الشعر قيل له عند دخوله المدينة لا عند
دخوله قبا وسياق بعضهم يقتضيه وسياق بعض اخر انه كان عند دخوله قبا ومن
هذا تعلم ان المدينة تطلق ويراد بها ما يشمل قبا ومنه قولنا وسرى السرور الى الطوب
فعي البرالى اخره وتى المرادة يدخوله المدينة يوما لاثنين على ما تقدم وتطلق
ويراد بها ما قابل قبا وحينئذ تكون هي المرادة بقول انس لما كان اليوم الذي دخل فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة الخ ولعل منه ما في بعض الروايات المتقدمة
دخل المدينة يوم الجمعة الذي حكم الحافظ ابن حجر بشذوذه كما تقدم وقلنا جلس
رسول الله صلى الله عليه وسلم قام ابو بكر للناس اى وابو بكر شيخ اى شيبة ظاهر
والنبي صلى الله عليه وسلم شاب اى شعر لحيته اسود مع كونه اسن من ابي بكر كما تقدم
وقد يقال انس لم يكن في الذين هاجروا اشمط غير ابي بكر فطفق من جا من الانصار ممن
لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيي ابا بكر اى فيعرف بالنبي صلى الله عليه وسلم حتى
اصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل ابو بكر حتى ظلل عليه بردائه
فعرف الناس بمعرفه من جانبيهم بعد ذلك اى لا بعدم تاثير الشمس فيه لتظليل
الغمامة كان قبل البعثة ادها ما كما تقدم وما يدل على ان دخوله المدينة وخروجه
من قبا كان يوم الجمعة قول بعضهم ولبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو
ابن عوف اى في قبا يوم الاثنين ويوم الثلاثا ويوم الاربعا ويوم الخميس وخرج
يوم الجمعة وقيل لبث بضعة عشر ليلة وهو المنقول عن البخاري وعن ابن عقبة اقام
ثنتين وعشرين ليلة وفي الهدى اقام اربعة عشر يوما وهو ما في صحيح مسلم قلنا ال
واسس بها المسجد الذي اسس على التقوى اى نزلت فيه الاية
وصلى الله عليه وسلم قال في الهدى وقلنا في هذا قوله صلى الله عليه وسلم وقد سئل
عن المسجد الذي اسس على التقوى فقال مسجدكم هذا واشار لمسجد المدينة اى وفي
رواية فاخذ حصا فضرب بها الارض وقال مسجدكم هذا كلامه يعني مسجد المدينة
لان كلا منهما مؤسس على التقوى هذا كلامه ويوافقه ما نقل عن ابن عباس رضي
الله عنهما انه كان الذي نزلت فيه الاية هو مسجد قبا وكان خروجه صلى الله عليه وسلم

من قبا

من قبا يوم الجمعة حين ارتفع النهار **قال** قيل وكان محل قبا مربدا اى محلا يجفف فيه
التمر لكلثوم بن الهدم وهو اول مسجد بني في الاسلام لعموم المسلمين فلا ينافي انه بني
قبله غيره من المساجد لكن بخصوص الذي بناه كالمسجد الذي بناه الصديق بفنا
داره بمكة كما تقدم انتهى اى وفي كلام ابن الجوزي اول من بنا مسجدا في الاسلام عمار بن
ياسر وفي السيرة الهشامية عن الحكم بن عتيبة لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
نزل قبا قال عمار بن ياسر ما لرسول الله صلى الله عليه وسلم بد من ان يجعل له مكانا
يستظل به اذا استيقظ ويصلي فيه فجمع حجارة فبنى مسجد قبا اى فانه لما جمع
الحجارة اسسه صلى الله عليه وسلم واستتم بنيانه عمار فعمار اول من بنى مسجدا لعموم
المسلمين **قال** وعن جابر لبثنا بالمدينة قبل ان يقدم النبي صلى الله عليه وسلم سنتين
نعمر المساجد ونقيم الصلاة انتهى ونعمر يحتمل ان يكون بالتخفيف فيكون عطف نقيم
الصلاة من عطف التفسير ويحتمل ان يكون بالتشديد فيكون بنا المساجد
تعدد في المدينة قبل قدومه صلى الله عليه وسلم وفيه ان الحافظ ابن حجر قال كان بين
ابتدا هجرة الصحابة وبين هجرته صلى الله عليه وسلم شهرين ونصف شهر على التحرير كما
تقدم اى ورواية جابر تدل على انه كان بين اجتماع الاثني عشر من الانصار به وتحيزهم
الى المدينة وبين قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة سنتين وقد يقال ليس مراد جابر
ان ابتدا المدة من قدوم الاثني عشر عليه بل مراده ان ابتداها من قدوم الستة عليه الذين
منهم جابر والمدة تزيد على السنتين قليلا فليتامل **وهو اى مسجد قبا** اول مسجد صلى فيه
صلى الله عليه وسلم باصحابه جماعة ظاهرين اى امنين وقيل ان هذا المسجد بناه المهاجرون
والانصار يصلون فيه فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وورد قبا صلى فيه
فلم يحدث فيه شيا ويخالفه ما تقدم عن السيرة الهشامية وما في الطبراني بسند
رجاله ثقات عن الشموس بفتح الشين المعجمة بنت النعمان رضي الله تعالى عنها قالت نظرت
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم ونزل واسس المسجد مسجد قبا فرايته ياخذ
الحجر او الصخرة حتى يصهره الحجر اى يميله فياتي الرجل من اصحابه فيقول يا رسول الله
بابي انت وامي تعطيني اكفك فيقول لا خذ مثله حتى اسسه اى وجا انه لما اراد
بناه قال يا اهل قبا ايتوني باحجار من الحرة فجمعت عنده احجار كثيرة فخط القبلة
واخذ حجرا فوضعه ثم قال يا ابا بكر خذ حجرا فضعه الى جنب حجري ثم قال يا عمر خذ حجرا
فضعه الى جنب حجر ابي بكر ثم قال يا عثمان خذ حجرا فضعه الى جنب حجر عمر قال بعضهم كانه
صلى الله عليه وسلم اشار الى ترتيب الخلافة وسيجي في بناء مسجد المدينة ويحتاج
للجمع بين هذه الروايات **وبعد تحوله الى المدينة** كان ياتيه يوم السبت ماشيا

جرون

وراكبا وقال من توضأ واسبغ الوضوء ثم جاء مسجد قبا فصلى فيه كان له اجر عمرة اى
وروى الترمذى والحاكم وصححاه عن اسيد بن ظهير عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال
صلاة فى مسجد قبا كعمرة وفى رواية مما صلى فى مسجد قبا يوم الاثنين والخميس نقلب
بأجر عمرة وكان عمر رضى الله تعالى عنه يأتيه يوم الاثنين ويوم الخميس وقال لو كان بطرف
من الاطراف وفى رواية فى افق من الافاق لضربنا اليه اكباد الابل اى وصحح الحاكم عن
ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الاختلاف الى قبا
ماشيا وراكبا وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه عن ابيه قال خرجت مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين الى قبا وعن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم كان يأتى
مسجد قبا فيصلى فيه ركعتين وعنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
قبا فقام يصلى فجاءته الانصار تسلم عليه فقلت لبلال كيف رايت رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى قبا فقام يصلى فجاءته الانصار تسلم عليه فقلت لبلال كيف رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد عليهم قال يشير اليهم بيده وهو يصلى اى يجعل باطنها
الى اسفل وظهرها الى فوق وقد وقعت له صلى الله عليه وسلم الاشارة فى الصلاة
برد السلام لما تقدمت عليه ابنته رضى الله تعالى عنها من الحبشة وهو يصلى فسلمت
فاومأ اليها برأسه وفى الهدى واما حديث من اشار فى الصلاة اشارة تفهم عنه فليعد
صلاته فحديث باطل وفى كلام بعضهم قد ثبت فى الاحاديث الصحيحة انه صلى
الله عليه وسلم كان اذا سلم عليه احد وهو فى الصلاة اشار باصبعه المباركة جوابا للسلام
وليس لهذه الاحاديث معارض الا حديث مجهول وهو من اشار فى صلاته اشارة مفهمة
ولما نزلوا قوله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
سألهم عن ذلك فقال لهم ما هذا الطهور الذى اثنى الله تعالى عليكم فقالوا يا رسول الله
ما خرج منا رجل ولا امرأة من الغائط الا غسل فرجه فقال هو هذا وفى لفظ اتاهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد قبا اى وفى الكشاف ومعه المهاجرون حتى وقف
على باب مسجد قبا فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون انتم فسكت القوم ثم
اعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمؤمنون وانا معهم فقال عليه الصلاة والسلام
اتؤمنون بالقضا قالوا نعم قال وتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون على
الرخاء قالوا نعم فقال عليه الصلاة والسلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس وقال
يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذى تصنعون عند الوضوء وعند
الغائط اى المعبر عنه بالطهور فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة
ثم نتبع الاحجار الماء فتلا النبى صلى الله عليه وسلم رجال يحبون ان يتطهروا هذا كلامه

وفى رواية

وفى رواية فقال ان الله قد احسن الثناء عليكم فى الطهور فما هذا الطهور الذى تتطهرون
به قالوا يا رسول الله ما نعلم شيئا الا انه كان لنا جيران من اليهود فكانوا يغسلون ادبارهم
من الغائط فغسلنا كما غسلوا وفى لفظ كنا نستنجى بالماء فى الجاهلية فلما جاء الاسلام
لم ندعه قال فلا تدعوه وفى لفظ قالوا نتوضأ للصلاة ونغتسل من الجنابة فقال هل
مع ذلك غيره قالوا لا غير ان احدنا اذا خرج الى الغائط احب ان يستنجى بالماء وفى
رواية نستنجى بالماء من البول والغائط زاد فى رواية ولا ننام الليل كله على الجنابة
قال هو ذاك فعليكموه اى الزموه اى وفى رواية فى مسند البزار عن ابن عباس رضى الله تعالى
عنهما انه صلى الله عليه وسلم لما سألهم قالوا انا نتبع الحجارة الماء قال بعضهم فى اسناده
ضعف وبهذا وما تقدم من ذكر الحجارة يرد على الامام النووى حيث قال هكذا اى
ذكر الحجر مع الماء فى خبر الانصار بقبا رواه الفقهاء فى كتبهم وليس له اصل فى كتب الحديث
المذكور فيها انهم قالوا كنا نستنجى بالماء وليس فيها مع الحجر اى ويكون السكوت عن ذكر
الحجر كونه كان معلوما فعله وفى الخصائص الصغرى ان مما اختص به فى شرعنا الاستنجاء
بالجامد وبالجمع فيه بين الماء والحجر ومن اهل قبا عويمر بن ساعدة قال فى حقه صلى الله
عليه وسلم نعم العبد من عباد الله والرجل من اهل الجنة عويمر بن ساعدة اى لانه كان
اول من استنجى بالماء كما قيل اى ومن ثم جاء تخصيصه بالسؤال فقد روى البيهقى
عن ابن عباس رضى الله عنهما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عويمر بن ساعدة
فقال ما هذا الطهور الذى اثنى الله عليكم به فقال يا نبى الله ما خرج منا رجل ولا امرأة
من الغائط الحديث وهذا السياق ربما يقتضى ان الاستنجاء بالماء لم يكن معروفا فى
غير اهل قبا قبل نزول هذه الاية وفى كلام بعضهم اول من استنجى بالماء ابراهيم
الخليل وكره بعض الصحابة الاستنجاء بالماء وهو حذيفة لعله لكون فى الاستنجاء بالماء
عدول عن الرخصة ونقل عن ابن عمر انه كان لا يستنجى بالماء ولعله لما ذكرنا وكذا ما نقل
عن ابن الزبير ما كنا نفعله وعن الامام احمد انه لم يصح حديث فى الاستنجاء بالماء وبالغ
مغلطاى فى رده وعن سيدنا مالك انه انكر ان النبى صلى الله عليه وسلم استنجى بالماء
ولعل المراد انكار صحة ذلك عنه صلى الله عليه وسلم فليتأمل وذكر الاحجار فى الخبر
يؤيد ظاهر ما ذكره ائمتنا فى الام ان سنة الجمع بين الحجر والماء تتوقف على كون الاستنجاء
بالحجر كافيا لو اقتصر عليه ونصه والاستنجاء اى بالحجر كاف ولو اتى به اى الاستنجاء
الكافى رجل ثم غسل بالماء كان احب الى وانما قلنا ظاهر لامكان رجوع الضمير للاستنجاء
لا بقيد كونه كافيا ولا يخفى ان حديث الانصار يقتضى اختصاص سنة الجمع بين الحجر
والماء بالغائط وبه قال القفال فى كتابه محاسن الشريعة والمفهوم من نص الامام

ان مثل الغائط البول ثم بعد اقامته صلى الله عليه وسلم المدة المذكورة بقبا ركب راحلته الجدعا وقيل القصوى وقيل العضبا اى قاصدا المدينة والجدعا بالدال المهملة المقطوعة الانف او مقطوعة الاذن كلها والقصوى المقطوع طرف اذنها والعضبا المشقوقة الاذن قال بعضهم وهذه القاب ولم يكن بها اى بتلك النوق شئ من ذلك وسيأتى عن الاصل ان هذه القاب لناقة واحدة ولما ركب صلى الله عليه وسلم وخرج من قبا وسار سار الناس معه ما بين ماشى وراكب اى ولا زال احدهم ينازع صاحبه زمام الناقة شحا اى حرصا على كرامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما له حتى دخل المدينة قال وصار الخدم والصبيان يقولون الله اكبر جا رسول الله صلى الله عليه وسلم جا محمد ولعبت الحبشة بحرابها فرحا برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قالت بنو عمرو بن عوف له يا رسول الله اخرجت ملالا لنا ام تريد دارا خيرا من دارنا قال انى امرت بقرية تاكل القرى اى تغلبها وتقهرها والمراد اهلها اى ان اهلها تفتح القرى فياكلون اموال اهل تلك القرى ويسبون ذراريهم فخلوا سبيلها يعنى ناقته صلى الله عليه وسلم اى ومن اسماء تلك القرية المدينة روى الشيخان امرت بقرية تاكل القرى يثرب وهى المدينة فالمدينة علم بالغلبة على تلك القرية كالنجم للثريا اذا اطلق فهى المرادة وان اريد غيرها قيدوا النسبة اليها مدنى ولغيرها مدينى فرقا بينهما ويثرب اسم محل فيها سميت كلها به ولعل ذلك المحل سمى بذلك لانه نزل به يثرب من نسل نوح وفى الحديث المدينة تنفى الناس اى شرارهم كما ينفى الكير خبث الحديد وفى بعض الروايات لا تقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارها قيل وذلك يكون فى حياته صلى الله عليه وسلم وقيل يكون ذلك فى زمن الدجال فقد جاء ان الدجال يرجف باهلها فلا يبقى منافق ولا كافر الا خرج اليه وفى رواية ينزل الدجال السبخة فترجف المدينة ثلاث رجفات يخرج الله منها كل منافق وكافر وبهذا استدل من قال كون المدينة تنفى الخبث ليس عاما فى الازمنة ولا فى الاشخاص لان المنافقين كانوا بها وخرج منها جماعة من خيار الصحابة منهم على وطلحة والزبير وابو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وعبد الله ابن مسعود وفى كلام ابن الجوزى ان عبد الله بن مسعود مات بالمدينة وقد قال صلى الله عليه وسلم اى ارض مات بها رجل من اصحابى كان قائدهم ونورهم يوم القيمة وفى رواية فهو شفيع لاهل تلك الارض واما قوله صلى الله عليه وسلم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون اى خير لهم من بلاد الرخا بدليل صدر الحديث ياتى على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه هلم الى الرخا هلم الى الرخا والمدينة خير لهم لو كانوا

يعلمون

يعلمون والذى نفسى بيده لا يخرج احد منها رغبة عنها الا اخلف الله تعالى فيها من هو خير منه اى من خرج منها رغبة عنها الى غيرها من بلاد الرخا والسعة فلا دليل فى ذلك على انها افضل من مكة ومن اسمائها الكالة البلدان ومن اسمائها البارة بتشديد الرا وتسمى الفاضحة لان اضمر فيها شيئا اظهره الله ما اضمره وافتضح به اى فالمراد اضمر شيئا من السو وقد قال صلى الله عليه وسلم من سمى المدينة بيثرب فليستغفر الله تعالى هى طابة كشامة هى طابة هى طابة قال ذلك ثلاثا وفى رواية فليستغفر الله فليستغفر الله هى طيبة كهينة هى طيبة هى طيبة هى طابة ككاتب قيل وانما سميت طيبة لطيب رائحة من مكث بها وتزيد روائح الطيب بها ولا يدخلها طاعون ولا دجال ولا يكون بها مجذوم اى لان ترابها يشفى الجذام وتسميتها بيثرب فى القران انما هو حكاية لقول المنافقين اى بعد نهيه عن ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم لا اراها الا يثرب اى ونحو ذلك من كل ما وقع فى كلامه صلى الله عليه وسلم من تسميتها بذلك كان قبل النهى عن ذلك انتهى اى وجا الايمان ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها ويأرز بكسر الزاى اى ينضم ويجتمع بعضه الى بعض وفى رواية ان الاسلام بدا غريبا وسيعود غريبا كما بدا يأرز كما تأرز الحية الى جحرها وانما كرهت تسميتها يثرب لان يثرب ماخوذ من التثريب وهو المؤاخذة بالذنب ومنه قوله تعالى لا تثريب عليكم اليوم اى او من الثرب بالتحريك وهو الفساد وعن القاسم بن محمد قال بلغنى ان للمدينة فى التورية اربعين اسما وقيل احد عشر من جملتها سكينة اى ومن جملتها الجابرة والعذرا والمرحومة وفى كلام بعضهم لها نحو مائة اسم منها دار الاخيار ودار الابرار ودار الايمان ودار السنة ودار السلامة ودار الفتح قال الامام النووى لا يعرف فى البلاد اكثر اسما منها ومن مكة ومما يدل على ان خروجه من قبا متوجها الى المدينة ادركته صلاة الجمعة قول بعضهم وعند مسيره صلى الله عليه وسلم الى المدينة ادركته صلاة الجمعة فى بنى سالم بن عوف فصلاها فى المسجد الذى فى بطن الوادى بمن معه من المسلمين وهم مائة اى وصلاها بعد ذلك فى المدينة وكانوا به صلى الله عليه وسلم اربعين فعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه انه صلى الله عليه وسلم جمع بالمدينة وكانوا اربعين رجلا اى ولم يحفظ انه صلاها مع النقص عن هذا العدد ومن حينئذ صلى الجمعة فى ذلك المسجد سمى هذا المسجد مسجد الجمعة وهو على يمين السالك الى قبا فكانت اول جمعة صلاها بالمدينة اى وخطب لها وهى اول خطبة خطبها فى الاسلام اى ومن خطبته تلك فمن استطاع ان يقى وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ومن لم يجد فبكلمة الاسلام طيبة فانها تجزى الحسنة بعشر امثالها

الى سبعماية والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبركاته وفي
رواية والسلام عليكم وبركاته ورحمة الله ونقل القرطبي هذه الخطبة
في تفسيره واوردها جميعها في المواهب وليس فيها هذا اللفظ **اقول** هذا
واضح ان كان اقام في قبا الاثنين والثلاثا والاربعا والخميس كما تقدم واما
على انه اقام بضع عشرة ليلة او اكثر من ذلك كما تقدم فيبعد انه لم يصل الجمعة
في قبا في تلك المدة ثم رايت في كلام بعضهم انه كان يصلي الجمعة في مسجد
قبا في اقامته هناك اي ويبعد انه صلاها من غير خطبة وفي الجامع الصغير
ان الله كتب عليكم الجمعة في مقامي هذا في ساعتي هذه في شهري هذا في عامي
هذا الى يوم القيمة من تركها من غير عذر مع امام عادل او امام جاير فلا جمع له شمله
ولا بورك له فيها في امره الا ولا صلاة له ولا حج له الا ولا بركة له ولا صدقة له
فان كان قال ذلك في هذه الخطبة التي خطبها في مسجد الجمعة كما هو المتبادر
اقتضى ذلك انها لم تكن واجبة قبل ذلك وهو يخالف قول فقهائنا انها وجبت بمكة
ولم تقم بها لعدم قدرته على اظهارها بمكة لان اظهارها اقوى من اظهار جماعة
الصلاة الخمس وفي الاتقان مما تاخر حكمه عن نزوله اية الجمعة فانها مدنية والجمعة
فرضت بمكة وقول ابن الفرس ان اقامة الجمعة لم تكن بمكة قط يرده ما اخرجه
ابن ماجة عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال كنت قايد ابي حين ذهب بصره
فكنت اذا اخرجت به الى الجمعة فسمع الندا يستغفر لابي امامة اسعد بن زرارة
فقلت يا ابتاه ارايت صلاتك على اسعد بن زرارة كلما سمعت الندا بالجمعة لم
هذا قال اي بني كان اول من صلى بنا الجمعة قبل ان يقدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم من مكة هذا كلامه وليتامل ما وجه الرد من هذا وجا صلاة الجمعة
بالمدينة كالف صلاة فيما سواها وصيام شهر رمضان في المدينة كصيام الف شهر
فيما سواها كذا في الوفا عن نافع عن ابن عمر **واول** قرية صليت فيها الجمعة بعد المدينة
قرية عبد القيس بالبحرين **وهل** كانت الخطبة قبل الصلاة او بعدها في الدر انه
صلى الله عليه وسلم كان وهو بالمدينة يخطب الجمعة بعد ان يصلي مثل العيدين
فبينما هو يخطب يوم الجمعة قايما اذ قدمت عير دحية الكلبي وكان اذا قدم
يخرج اهله للقايه بالطبل واللهو ويخرج الناس للشرا من طعام تلك العير وللتفرج
عليها وقيل للتفرج على وجهه فقد قيل كان اذا قدم دحية المدينة لم تبق معصر
الا خرجت لتنظر اليه لفرط جماله ولا مانع ان يكون لاجتماع الامرين فانفض
الناس ولم يبق معه صلى الله عليه وسلم الا اثنا عشر رجلا والجلال المحلي في

قطعة

قطعة التفسير اسقط لفظ غير اي وانفضاض الناس ما عدا هولاء يحتمل ان
يكون في حال الخطبة قبل تمام الاركان ويحتمل ان يكون بعد ذلك وعلى الاول يجوز
ان يكون رجع ممن انفض ما يكمل به العدد اربعون قبل طول الفصل وقد اعاد صلى
الله عليه وسلم ما لم يسمعوه من اركان الخطبة عند انفضاضهم فلا يخالف ما ذهب اليه
امامنا رضي الله عنه من وجوب سماع اربعين لاركان الخطبة قال مقاتل بلغني انهم
فعلوا ذلك اي الانفضاض عند الخطبة ثلاث مرات **فانزل** الله تعالى واذا راوا تجارة
او لهوا الاية ثم صار يخطب قبل ان يصلي اي ليحافظ الناس على عدم الانفضاض
لاجل الصلاة وعليه انعقد الاجماع فلا نظر لمخالفة الحسن البصري وحينيذ يكون
قول بعض فقهاينا استدل الايمة على وجوب تاخر صلاة الجمعة عن الخطبتين بثبوت صلاته
بعد خطبتين اي استقر ثبوت ذلك **وعن** الزهري بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه كان يقول اذا خطب اي في غير الخطبة المتقدمة كل ما هو ات قريب لا بعد لما هو ات
لا يعجل الله لعجلة احد ولا يخف لامر الناس يريد الناس امرا ويريد الله امرا فما شاء
الله كان لا ما شا الناس وما شا الله كان ولو كره الناس لا مبعد لما قرب الله ولا مقرب
لما بعد الله ولا يكون شي الا باذن الله والله اعلم **ثم ركب** صلى الله عليه وسلم راحلته بعد
الجمعة متوجها للمدينة اي وقد ارخى زمامها فلم يحركها وهي تنظر يمينا وشمالا فاتاه بنو
سالم منهم عتبان بكسر العين المهملة بن مالك ونوفل بن عبد الله بن مالك وعبادة بن الصامت
فقالوا يا رسول الله اقم عندنا في العدد والعز والمنعة **وفي لفظ** والثروة وفي لفظ اتول
بنا فان فينا العدد والعدة والحلقة اي السلاح ونحن اصحاب الحدايق والدرك يا رسول
الله كان الرجل من العرب يدخل هذه البحيرة خايفا فيلجا الينا فقال لهم خيرا وقال خلوا
سبيلها يعني ناقته دعوها فانها مامورة اي **وفي** رواية انها مامورة خلوا سبيلها وهو
يتبسم ويقول بارك الله عليكم فانطلقت حتى وردت دار بني بياضة اي محلتهم اي
والمراد القبيلة فتلقاه بنو بياضة اي ومنهم زياد بن لبيد وفروة بن عمرو بمثل ما
تقدم واجابهم بانها مامورة خلوا سبيلها فانطلقت حتى وردت دار بني ساعدة اي
ومنهم سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو وابو دجانة فسالوه بنو ساعدة بمثل ذلك
فاجابهم بخلوا سبيلها فانها مامورة فانطلقت حتى مرت بدار عدي بن النجار وهم
اخواله صلى الله عليه وسلم اي اخوال جده عبد المطلب كما تقدم اي باوايل دورهم فساله
بنو عدي بن النجار اي اوليك الطايفة منهم بمثل ما تقدم اي وفي رواية انهم
قالوا يا رسول الله هلم الى العدد والمنعة والعزة مع القرابة لا تجاوزنا الى غيرنا يا رسول
الله اي زاد في رواية لا تجاوزنا الى غيرنا ليس احد من قومنا اولى بك منا لقرابتنا واجابهم بانها

مامورة فانطلقت حتى بركت في محل من محلات بني النجار وذلك في محل المسجد اى محل
بابه او في محل المنبر الان وذلك عند دار بني مالك بن النجار وعند باب ابي ايوب الانصاري
اى واسمه خالد بن زيد النجاري الانصاري الخزرجي شهد العقبة وسائر المشاهد
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مع علي بن ابي طالب من خاصته شهد معه الجمل
وصفين والنهروان غزا ايام معاوية ارض الشام مع يزيد بن معاوية سنة خمسين
وقيل احدى وخمسين فتوفي عند مدينة قسطنطينية فدفن هناك وامر يزيد
بالخيل تجعل تقبل وتدبر على قبره حتى عفى اثر القبر اى خوفا ان ينبشه الكفار فكان
اذا امحلوا كشفوا عن قبره فيمطروا فلم ينزل عنها صلى الله عليه وسلم ثم وثبت وسارت
غير بعيد ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع لها زمامها ثم التفتت خلفها ورجعت
الى مبركها فبركت فيه وتجلجلت اى بالجيم تضعضعت ووضعت جرانها اى
باطن عنقها من المذبح الى المنحر وارزمت اى صوتت من غير ان تفتح فاها فنزل عنها
صلى الله عليه وسلم وقال رب انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين قال ذلك اربع مرات
واخذه الذي كان ياخذه عند الوحي اى وسري عنه ۵ وقال هذا ان شاء الله يكون
المنزل اى ولعل ان يحط رحله وفي لفظ ان ابا ايوب قال له ايذن لي ان انقل رحالك
فاذن له واحتمل ابو ايوب رحله فوضعه في بيته اى وجاء اسعد بن زرارة فاخذ
بزمام راحلته فكانت عنده اى وذكر بعضهم ان ابا ايوب لما نقل رحله
اناخ الناقة في منزله وقد يقال لا مخالفة لجواز ان يكون اسعد اخذ بزمامها
بعد ذلك فكانت عنده اى وعن ابي ايوب لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة
اقترعت الانصار ايهم ياويه فقرعتهم الحديث وقد يقال مراده بالانصار اهل
تلك المحلة التي بركت فيها الناقة وذكر السهيلي انها لما القت جرانها في دار
بني النجار اى في محل من محلاتها جعل رجل من بني سلمة وهو جبار بن صخر اى وكان
من صالحي المسلمين ينخسها رجاء ان تقوم فتنزل في دار بني سلمة فلم تفعل وجاء انه
صلى الله عليه وسلم قال خير دور الانصار بنو النجار ثم بنو عبد الاشهل ثم بنو الحارث
ثم بنو ساعدة وفي كل دور الانصار خير ولما بلغ ذلك سعد بن عبادة وجد
نفسه وقال خلفنا فكنا اخر الاربع اسرجوا لي حماري اتي رسول الله صلى الله عليه
وسلم فكلمه ابن اخيه سهل فقال اتذهب لترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم اوليس حسبك ان تكون رابع اربع فرجع
وقال الله ورسوله اعلم وامر بحماره فحل عنه وفي رواية قال له اجلس الا ترضى ان
سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاربع الدور التي سمى فمتى تركت فلم يسم اكثر

ممن سمى فانتهى سعد بن عبادة عن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرجت
جويريات من بني النجار بالدفوف يقلن ۵
• نحن جوار من بني النجار • يا حبذا محمد من جار •
فخرج اليهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اتحببنني وفي رواية اتحبونني
قلن نعم يا رسول الله فقال الله يعلم ان قلبي يحبكن وفي رواية والله احبكم وفي رواية
وانا والله احبكم وانا والله احبكم وانا والله احبكم قال ذلك ثلاثا وهذا دليل لسماع ع
الغناء على الدف من المراة لغير العرس ويدل لذلك ايضا ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلسوا سماطين وجاءت جارية يقال لها سيرين
معها مزهر تختلف به بين القوم وهي تغنيهم وتقول ۵
• هل علي ويحكم • ان لهوت من حرج •
فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم وقال لا حرج ان شاء الله تعالى وما روي عن عائشة
رضي الله تعالى عنها دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان من جوار
الانصار يغنيان وفي رواية يضربان بدفين فاضطجع صلى الله عليه وسلم على الفراش
وحول وجهه ودخل ابو بكر رضي الله تعالى عنه فانتهرني فاقبل عليه رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال دعهما وفي رواية قال ابو بكر بمزمور وفي لفظ بمزمار وفي لفظ
بمزمارة الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك مرتين وانتهرني
وكان صلى الله عليه وسلم متغشيا بثوبه فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن وجهه
الشريف فقال دعهما يا ابا بكر فانها ايام عيد اى لان تلك كانت ايام منى وقيل كان
يوم عيد الفطر وقيل الاضحى ولا مانع من تعدد الواقعة اقول في البخاري عن
الربيع بنت معوذ انه صلى الله عليه وسلم دخل عليها غداة بني عليها وعندها جويريات
يضربن بالدف يندبن من قتل من ابائهن يوم بدر حتى قالت جارية وفينا نبي يعلم
ما في غد فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تقولي هكذا وقولي ما كنت تقولين وفي حديث
ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج في بعض مغازيه فلما انصرف جاءت سوداء
فقالت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اني كنت نذرت ان ردك الله سالما ان اضرب
بين يديك بالدف فقال لها ان كنت نذرت فاضربي فجعلت تضرب فدخل ابو بكر
وهي تضرب ثم دخل عمر فالقت الدف تحتها وقعدت عليه فقال النبي صلى الله عليه
وسلم ان الشيطان ليفرق منك يا عمر اني كنت جالسا وهي تضرب ودخل ابو بكر
وهي تضرب فلما دخلت انت القت الدف اى واذا كان الشيطان يخاف منه فما
بالك بامراة ضعيفة العقل ولا ينافي هذا اى سماعه الغناء من المراة مع الضرب

على الدف ما تقدم في باب ما حفظ به صلى الله عليه وسلم في صغره من امر الجاهلية
لان الدف ثم كان معه مزمار بخلافه هنا وتسمية ابي بكر رضي الله تعالى عنه الدف
مزمارا لانه كان يعتقد حرمة ذلك فنبهه بالمزمار المحرم سماعه قال بعضهم
واعلم ان السماع في طريق القوم معروف وفي الجواب الى المحبة معدود وموصوف
وقال بعض اخوانه من اكبر مصايد النفوس اي والرجوع بها الى الله تعالى وقد
شوهد تاثير السماع في الحيوانات غير الناطقة بل في الاحجار ومن لم يحركه السماع
فهو فاسد المزاج غليظ الطبع وعن ابي بشر ان النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر مر
بالحبشة وهم يلعبون ويرقصون ويقولون ه

يا ايها الضيف المعرج طارقا * لولا مررت بالعبد الدار
لولا مررت بهم تريد قراهم * منعوك من جهد ومن اقتار

اي فلم ينكر عليهم وبه استدل ايضا على جواز الرقص حيث خلي عن التكسر فقد صحت
الاخبار وتواترت الاثار بانشاد الاشعار بين يديه صلى الله عليه وسلم بالاصوات
الطيبة مع الدف وبغيره وبذلك استدل ايضا على جواز الضرب بالدف ولو فيه
جلاجل لما هو سبب لاظهار السرور وعلى جواز انشاد الشعر واستماعه حيث خلي عن
هجو لغير نحو فاسق متجاهر بفسقه وخلي عن تشبيب بمعين من امراة او غلام والخلاف
انما هو في سماع الملاهي كالاوتار والمزامير وخوف الفتنة من سماع صوت المراة
او الامرد الجميل ونقل عن الجنيد انه قال الناس في السماع اي سماع الالات على
ثلاثة اضرب العوام وهو حرام عليهم لبقاء نفوسهم والزهاد وهو مباح لهم لحصول
مجاهداتهم والعارفون وهو مستحب لهم لحياة قلوبهم وذكر نحوه ابو طالب المكي
وصححه السهروردي في عوارف المعارف وفي كلام بعضهم جبلت النفوس حتى
غير العاقلة على الاصغاء الى ما يحسن من سماع الصوت الحسن فقد كانت الطيور
تعكف على راس داود عليه السلام لسماع صوته لكن يشكل على ذلك ما اخرجه ابن ابي
شيبة عن صفوان بن امية وهو من المؤلفة قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ
جاء عمرو بن قرة فقال يا رسول الله ان الله كتب علي الشقوة فلا اراني ارزق الا من دفي بكفي
فاذن لي في الغناء من غير فاحشة فقال صلى الله عليه وسلم لا اذن لك ولا كرامة
ولا نعمة كذبت اي عدو الله اي يا عدو الله لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما حرم الله عليك
من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله اما انك لو قلت بعد هذه المقالة لضربتك
ضربا وجيعا الا ان يقال هذا النهي ان صح محمول على من يتخذ ضرب الدف حرفة
وهو مكروه تنزيها وقوله صلى الله عليه وسلم اخترت ما حرم الله عليك الخ للمبالغة

في التنفير عن ذلك ونزل صلى الله عليه وسلم على ابي ايوب وقال المرء مع رحله اي
بعد ان قال اي بيوت اهلنا يعني اهل تلك المحلة من بني النجار اقرب فقال ابو
ايوب داري هذا وقد حططنا رحلك فيه فذهبت تلك الكلمة اي التي هي المرء مع
رحله مثلا وقال له اذهب فهيء لنا مقيلا فذهب فهيأ ذلك ثم جاء فقال يا نبي الله قد
هيأت مقيلا فقم على بركة الله تعالى ونزل معه زيد بن حارثة ه اقول وفي
رواية فتنازع القوم ايهم ينزل عليه اي كل يحرص على ان يكون داره له منزلا
اي مقاما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل الليلة على بني النجار اخوال
عبد المطلب لاكرمهم بذلك فلما اصبح غدا حيث امر وحينئذ يكون قوله صلى
الله عليه وسلم انزل الليلة اي غد تلك الليلة ولا يخالف هذا ما قبله من قول بني
النجار هلم الينا وقوله لهم انها مامورة لجواز ان يكون امره لنزول عليهم واعلم خصوص
البقعة والمحلة من محلات بني النجار التي ينزل بها من دارهم ما تبرك به الناقة
وفيه انه يبعد مع ذلك اي مع قوله المذكور اي انه ينزل على بني النجار سؤال غير بني
النجار في النزول عنده الا ان يقال لعل السائلين له في ذلك لم يبلغهم قوله المذكور
او جوزوا ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم بدا له في ذلك راي وقد اشار
الى نزوله على بني النجار الامام السبكي في تائيته بقوله ه

نزلت على قوم بايمن طائر * لانك ميمون السنا والنقيبة
فيا لبني النجار من شرف به * يجرون اذيال المعالي الشريفة

وهذا السياق يدل على ان تنازع القوم وقوله لهم المذكور كان في اخر ليلة وهي في قبا
وهو يرد قولهم يشبه ان يكون ذلك في اول قدومه من مكة قبل نزوله قبا لا في قدومه
الى المدينة فالمراد باهل المدينة اهل قبا ويرد قول سبط ابن الجوزي لعله نزل
على بني النجار ليلة انتهى اي تلك الليلة ثم ارتحل الى بني عمرو بن عوف اي في قبا
هذا وفي رواية عن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه لما قدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم المدينة المدينة نزل في علو المدينة في حي يقال لهم بنو عمرو بن عوف فاقام
فيهم اربع عشرة ليلة ثم ارسل الى ملا من بني النجار فجاؤا متقلدين سيوفهم قال انس
فكاني انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته وابو بكر رديفه وملاء
من بني النجار حوله حتى اناخ بفناء ابي ايوب وهذه الرواية وقع فيها اختصار كبير
يقال انه عرج على عبد الله بن ابي بن سلول وكان جالسا محتبيا واراد النزول عليه
فقال له اذهب الى الذين دعوك وانزل عليهم فقال له سعد بن عبادة يا رسول الله
لا تجد في نفسك من قوله فقد قدمت علينا والخزرج تريد ان تملكه وقد وقع

له في بعض الايام انه صلى الله عليه وسلم قيل له يا رسول الله لو اتيت عبد الله بن ابي
سلول اي منافق الله ليكون ذلك سببا لاسلام من تخلف من قومه وليزول ما عنده
من النفاق فانطلق النبي صلى الله عليه وسلم وركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون
معه فلما اتاه النبي صلى الله عليه وسلم قال له اليك عني والله لقد اذاني نتن حمارك فقال
رجل من الانصار والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم اطيب ريحا منك فغضب
لعبد الله رجل من قومه فشتمه فغضب لكل واحد منهما اصحابه فكان بينهما ضرب
بالجريد والايدي والنعال فنزل وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا
بينهما كذا في البخاري وفيه ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على ابن ابي سلول
في جماعة فقال ابي لقد عنا ابن ابي كبشة في هذه البلاد فسمعها ابنه عبد الله رضي
الله تعالى عنه فاستاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيه براسه فقال له
صلى الله عليه وسلم لا ولكن بر اباك وكان ابي جميل الصورة ممتلا الجسم فصيح
اللسان وهو المعني بقوله تعالى واذا رايتهم تعجبك اجسامهم الاية ولكونه
متبوعا جي فيه بصيغة الجمع وعن الزهري اخبرني عروة عن اسامة بن زيد ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب حمارا على اكاف واردف اسامة وراءه يعود
سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر حتى مر بمجلس فيه عبد
الله بن ابي بن سلول وذلك قبل ان يسلم عبد الله بن ابي فاذا في المجلس اخلاط
من المسلمين والمشركين عبدة الاوثان واليهود وفي المسلمين عبد الله بن
رواحة فلما غشيا رهج مشي الحمار خمر ابن ابي انفه بردائه ثم نزل ودعاهم الى الله
وقرا عليهم القران فقال ابن ابي ايها المرء انه لا احسن مما تقول ان كان حقا فلا تؤذينا
به في مجالسنا ارجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة
بلى يا رسول الله فاغشنا به فانا نحب ذلك واستب المسلمون والمشركون واليهود
حتى كادوا يتبادرون فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى
سكتوا ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم دابته حتى دخل على سعد بن عبادة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سعد الم تسمع ما قال ابو حباب يعني ابن ابي
قال كذا وكذا قال سعد بن عبادة يا رسول الله اعف عنه واصفح فوالله الذي
انزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي انزل عليك وقد اصطلح اهل هذه
البحيرة على ان يتوجوه فيعصبوه بالعصابة فلما رد بالحق الذي اعطاك الله
شرق فذلك الذي فعل به ما رايت فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم والله
اعلم ومكث صلى الله عليه وسلم ببيت ابي ايوب الى ان تم بناء المسجد وبعض

مساكنه

مساكنه وقد مكث في بناء ذلك من شهر ربيع الاول الى شهر صفر من السنة القابلة
اي وذلك اثنا عشر او قيل مكث ببيت ابي ايوب سبعة اشهر قال ولما تحول
رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني عمرو بن عوف الى المدينة تحول المهاجرون اي غا لهم
احذاما يالي فتنافس فيهم الانصار ان ينزلوا عليهم حتى اقترعوا فيهم بالسهمان
فما نزل احد من المهاجرين على احد من الانصار الا بقرعة بينهم فكان المهاجرون
في دور الانصار واموالهم انتهى وكان من جملة محل مسجده صلى الله عليه وسلم
مسجد لابي امامة اسعد بن زرارة وكان ابو امامة يجمع فيه بمن يليه بناه في بعض
مربد التمر لسهل وسهيل اي يجفف فيه التمر ويرادف المربد الجرين والمسطح
والبيدر وهو ما يبسط فيه الزرع او التمر للتجفيف وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يصلي في ذلك المسجد قال فعن ام زيد بن ثابت انها قالت رايت اسعد بن
زرارة قبل ان يقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة يصلي بالناس الصلوات الخمس ويجمع
بهم في مسجد بناه في مربد سهل وسهيل قالت فكاني انظر الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما قدم صلى بهم في ذلك المسجد وبناه اي مع ادخال بقية المربد فهو مسجده وحينئذ
لا يخالف ذلك قول الحافظ الدمياطي عن الزهري قال بركت ناقة رسول الله صلى الله
عليه وسلم عند موضع مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ يصلي فيه رجال
من المسلمين قبل قدومه صلى الله عليه وسلم وكان مربدا لسهل وسهيل وكان جدارا له
مجدرا ليس عليه سقف وقبلته الى بيت المقدس وكان اسعد بن زرارة بناه فكان يصلي
باصحابه ويجمع بهم فيه الجمعة قبل قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ولما قدم
المدينة صار يصلي فيه وفي الامتاع كان اسعد بن زرارة بنى فيه جدارا تجاه بيت المقدس
كان يصلي اليه بمن اسلم قبل قدومه مصعب بن عمير ثم صلى بهم اليه مصعب
هذا كلامه وتعلم ما فيه لما قدمناه في قدوم مصعب المدينة لكن في البخاري انه
صلى الله عليه وسلم كان يصلي في مرابض الغنم قبل ان يبني المسجد اي ولعله انقوله
ذلك في بعض الاوقات لانه صلى الله عليه وسلم كان يصلي حيث ادركته الصلاة ثم
انه صلى الله عليه وسلم بعد ذلك سال اسعد بن زرارة ان يبيعه تلك البقعة
التي كان من جملتها ذلك المسجد ليجعلها مسجدا فانها كانت في يده ليتيمين في حجره وهما
سهل وسهيل وقيل كانا في حجر معاذ بن عفراء قال في الاصل وهو الاشهر وفي المواهب
ان الاول هو المرجح واليتيمان المذكوران من بني مالك بن النجار وقيل كانا في
حجر ابي ايوب الانصاري قال بعضهم والظاهر ان الكل اي من اسعد ومعاذ
وابي ايوب كانوا يتكلمون لليتيمين لانهم بنو اعمامهم فنسبا الى حجر كل وقد عرض ابو ايوب

عليه صلى الله عليه وسلم ان يأخذ تلك الارض ويغرم لليتيمين قيمتها فابى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابتاعها بعشرة دنانير اداها من مال ابى بكر اى وفى
رواية فدعى الغلامين فساومهما بالمربد فقالا نهبه لك يا رسول الله فابى ان
يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما بعشرة دنانير وامر ابا بكر ان يعطيهما
ذلك اى وحينئذ يكون وصفهما باليتم باعتبار ما كان وفى رواية ارسل الى
ملأ من بنى النجار ولعلهم من تقدم وهم اسعد ومعاذ وابو ايوب ومعهم سهل
وسهيل فجاؤه فقال ثامنونى بحائطكم هذا اى خذوا منى ثمنه قالوا لا والله لا
نطلب ثمنه الا الى الله فابى ان يأخذه الا بالثمن قال وجاء ان اسعد بن زرارة
عوض اليتيمين من تلك الارض نخلا اى له فى بنى بياضة وقيل ارضاهما فيها
ابو ايوب وقيل معاذ بن عفرا وطريق الجمع بين ذلك انه يحتمل ان كلا من اسعد
وابى ايوب ومعاذ بن عفرا دفع للغلامين شيئا اى زيادة على العشرة دنانير فنسب
ذلك لكل منهم وجاء انه كان فى تلك الارض قبور جاهلية فامر بها صلى الله عليه وسلم
فنبشت وامر بالعظام فالقيت انتهى وفى رواية وامر بالعظام ان تغيب اى وفى رواية
كان فى موضع المسجد نخل وخرب اى حفر ومقابر المشركين فامر صلى الله عليه وسلم
بالنخل الذى فى الحديقة اى وفى تلك الارض التى كانت مربدا اى وسيجىء يقطع
النخل به وامر بالغرقد الذى فيه وشجر الغرقد يقال له شجر اليهود فانه لا يدل على اليهود
اذا توارى به عند نزول عيسى عليه السلام وقتله للدجال وتتبعه من اليهود فاذا
توارى اليهودى بشجرة نادت يا روح الله ها هنا يهودى حتى يقف عليه فاما ان يسلم
واما ان يقتل الا شجر الغرقد فانه لا يدل على اليهودى اذا توارى به فقيل له شجر
اليهود لذلك قال وكان فى المربد ماء مستنجل فسيروه حتى ذهب والمستنجل الذى
ينبع ويظهر من الارض ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر باتخاذ اللبن فاتخذ وبنى
به المسجد وجاء انه صلى الله عليه وسلم عند الشروع فى البناء وضع لبنة ثم دعى ابا بكر
فوضع لبنة اى بجانب لبنته صلى الله عليه وسلم ثم دعى عمر فوضع لبنة بجانب ابى بكر
ثم جاء عثمان فوضع لبنة بجانب عمر اى وقد اخرج ابن حبان لما بنى رسول الله صلى
الله عليه وسلم المسجد وضع فى البناء حجرا وقال لابى بكر ضع حجرك الى جنب حجرى ابى بكر
ثم قال لعثمان ضع حجرك الى جنب حجر عمر ثم قال هؤلاء الخلفاء بعدى قال ابو زرعة
اسناده لا بأس به فقد تقدم انه اخرجه الحاكم فى المستدرك وصححه وفى رواية
هؤلاء ولاة الامر بعدى قال ابن كثير وهذا الحديث بهذا الاسناد غريب جدا قال بعضهم
وقوله لعثمان ما ذكر اى ضع حجرك الى جنب حجر عمر يرد على من زعم ان هذا منه صلى الله

عليه

عليه وسلم اشارة الى قبورهم اى اذ لو كان اشارة الى ذلك لدفن عثمان
بجانب عمر كما دفن عمر بجانب ابى بكر بل هو اشارة الى ترتيب الخلافة اى لا
يستفاد من قوله هؤلاء الخلفاء بعدى الا ذلك ومن ثم جاء فى رواية فسئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال امر الخلافة من بعدى وبتصحيح الحاكم
لما ذكر يظهر التوقف فى قول بعضهم ان هذا يجئ فى الصحيح الشيخين واما قوله
قال البخارى فى تاريخه ان ابن حبان لم يتابع على الحديث المذكور لان عمر وعثمان
وعليا قالوا لم يستخلف النبى صلى الله عليه وسلم فقد يقال عليه معناه لم ينص على
استخلاف احد بعينه عند موته وذلك لا ينافى الاشارة الى وقوع الخلافة لهؤلاء
بعده ولا ينافيه قوله هؤلاء الخلفاء بعدى لجواز ان يراد الخلافة فى العلم ثم رأيت
ابن حجر الهيتمى اشار الى ذلك حيث قال قلت هذا اى وضع تلك الاحجار وقوله صلى
الله عليه وسلم هؤلاء الخلفاء بعدى مع احتماله للخلافة فى العلم والارشاد متقدم
على وقت الاستخلاف عادة وهو قرب الموت فلم يكن نصا سالما من المعارض
هذا كلامه ثم قال للناس ضعوا اى الحجارة فوضعوا ورفع بالحجارة اى قريبا من ثلاثة
اذرع وشئ باللبن وجعل عضادتيه اى جانبيه بالحجارة وسقفه بالجريد
وفى رواية سواريه من جذوع النخل وطول جداره قامة اى كان ارتفاعه قدر
قامة قال وعن شهر بن حوشب قال لما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبنى
المسجد قال ابنوا لى عريشا كعريش موسى ثمامات وخشبات وظلة كظلة موسى
والامر اعجل من ذلك قيل وما ظلة موسى قال كان اذا قام اصاب رأسه السقف
او رفعت يدى اصابت السقف والجمع بين هاتين الروايتين يدل على ان المراد ما
هو قريب من ذلك بحيث لا يكون كثير الارتفاع فلا ينافى ما يأتى من امره بجعل
ارتفاعه سبعة اذرع فليتأمل اى وفى سيرة الحافظ الدمياطى فقيل له الا
نسقفه فقال عريش كعريش موسى خشيبات وثمام اى وقيل للحسن ما عريش
موسى قال اذا رفع يده بلغ العرش يعنى السقف وفى رواية لما اراد رسول الله صلى
الله عليه وسلم بناء المسجد قال لى اى قال له جبريل عريش كعريش اخيك موسى سبعة
اذرع طولا فى السماء اى وكان سبعة اذرع بحيث يصيب رأسه ولا تزخرفه ثم
الامر اعجل من ذلك اى وفيه انه هذا يقتضى ان موسى كان طوله سبعة اذرع وهو
يخالف ما اشتهر ان قامة موسى كانت اربعين ذراعا وعصاه كذلك ووثبته كذلك
وقد جاء الامر بتشييد المساجد اى ولعل قوله ذلك كان لما جمع الانصار مالا وجاؤا
به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ابن هذا المسجد وزينه الى

منتى نصلي تحت هذا الجريد وجا لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد
وجا من اشراط الساعة ان يتباهى الناس في المساجد اي يزخرفونها كما زخرفته
اليهود والنصارى كنائسهم وبيعهم ولم يكن على السقف كثير طين اذا كان المطر
يكف اي ينزل منه ما المطر المخالط للطين عليهم بحيث يمتلي اي المسجد طينا فقالوا
يا رسول الله لو امرت فطين اي جعل عليه طين كثير بحيث لا ينزل منه المطر فقال لا
عريش كعريش موسى فلم يزل كذلك حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند بنائه عمل
فيه المسلمون المهاجرون والانصار وعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه
ليرغب المسلمين في العمل فيه قال فقد جا انه صلى الله عليه وسلم صار ينقل اللبن اي في ثيابه
وفي رواية في ردائه حتى اغبر صدره الشريف وصار يقول

هذا الحمال لا حمال خيبر ۞ هذا ابر ربنا واطهر

اي هذا المحمول من اللبن ابر واطهر يا ربنا مما يحمل من خيبر من نحو التمر والزبيب
فالحمال بالحاء المهملة بمعنى المحمول ووقع في رواية بالجيم جمع جمالة لبعضهم وله
وجه والاول اظهر ولا يحسن هذا الوجه الا اذا كانت جمال خيبر انفس من جمال غيرها
وصار يقول

اللهم ان الاجر اجر الاخره ۞ فارحم الانصار والمهاجره

وهذا القول لامراة من الانصار وتمامه

وعافهم من حر نار ساعره ۞ فانها للكافر وكافره

والذي في البخاري فاغفر للانصار والمهاجره ولعله صلى الله عليه وسلم هو الذي اخرجه
عن الوزن كما هو عادته في انشاد الشعر كما سياتي وفي لفظ فاصلح وفي لفظ فاكرم وفي
رواية اللهم لا خير الا خير الاخره فارحم المهاجرين والانصار وفي رواية فانصر الانصار
والمهاجره وعن الزهري انه كان يقول اللهم لا خير الا خير الاخره فارحم المهاجرين
والانصار لانه كان لا يقيم الشعر اي لا ياتي به موزونا ولو متمثلا وفيه انه مع قوله
اللهم ان الاجر الخ لا يكون شعرا موزونا الا ان حذف ال من اللهم وقال لاهم وكسر همزة
فارحم وحينئذ يكون المراة من الانصار انما نطقت بذلك اي قالت لاهم الخ وهو صلى
الله عليه وسلم هو الذي غيره ونقل عن الزهري انه صلى الله عليه وسلم انه صلى الله عليه وسلم
لم يقل بيتا موزونا متمثلا به الا قوله هذا الحمال البيت ولم اقف على ما يليه وسياتي عن الزهري
انه من انشائه صلى الله عليه وسلم وسياتي ما فيه وفي كلام بعضهم قال ابن شهاب يعني الزهري
لم يبلغنا في الاحاديث انه صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام اي موزون الا هذه
الابيات قال ابن عائذ اي التي كان يرتجزهن وهو ينقل اللبن لبنا المسجد اي وفيه ان

هذا يخالف لما تقدم عن الزهري انه صلى الله عليه وسلم لم يقل بيتا موزونا متمثلا
به الا قوله هذا الحمال فلا يحسن ان يفسر كلامه بذلك على انه تمثل ببيت شعر تام
موزون غير ذلك فقد جا انه صلى الله عليه وسلم جعل يدور بين قتلى بدر ويقول

نفلق هاما من رجال اعزة ۞ علينا وهم كانوا اعق واظلم

وفي المواهب وقد قيل ان الممتنع عليه صلى الله عليه وسلم انشاء الشعر لا انشاده اي
ولذلك جا ما ابالي ما اتيت ان انا قلت الشعر من قبل نفسي وفي الكشاف وقد صح
ان الانبيا معصومون من الشعر ولا دليل على منع انشاده اي الشعر موزونا متمثلا
اقول نقل الحافظ الدمياطي عن الزهري انه كان يقول انه صلى الله عليه وسلم لم يقل
شيا من الشعر الا ما قد قيل قبله الا قوله

هذا الحمال لا حمال خيبر ۞ هذا ابر ربنا واطهر

اي فانه من قوله وهو يخالف ما تقدم عنه ولعله سقط من عبارة الزهري
المذكورة شي والاصل انه لم يقل شيا من الشعر الا ما قد قيل قبله ولم يقل ما
قيل تاما اي موزونا الا قوله هذا الحمال الخ فلا يخالف ما تقدم عنه وكونه كان لا يقيم
الشعر اي لا ياتي به موزونا ولو متمثلا هو المنقول عن عائشة رضي الله تعالى عنها فقد
قيل لها هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتي بشي من الشعر فقالت كان ابغض الحديث
اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعر غير انه كان يتمثل ويجعل اوله اخره واخره اوله
اي غالبا كان يقول ويأتيك من لم تزود بالاخبار ويقول كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا
اي بدل قول سحيم بمهملة مصغرا عبد بني الحساس شاعر مشهور مخضرم كفى الشيب
والاسلام للمرء ناهيا ولما غير ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له الصديق انما
قال الشاعر كذا فاعاده صلى الله عليه وسلم كالاول فقال له الصديق انما قال الشاعر كذا
فاعاده صلى الله عليه وسلم كالاول فقال الصديق اشهد انك رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما علمناه الشعر ولما سمع صلى الله عليه وسلم قول سحيم

الحمد لله حمدا لا انقطاع له ۞ فليس احسانه عنا بمقطوع

قال احسن وصدق وقول الصديق اشهد انك رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجري
الشعر على لسانه موزونا وقد قيل له صلى الله عليه وسلم من اشعر الناس قال الذي يقول

الم تريانى كلما جيت طارقا ۞ وجدت بها وان لم تطيب طيبا

الاصل ۞ وجدت بها طيبا وان لم تطيب ۞ وكان ابو بكر يقول له بابي انت وامي
يا رسول الله ما انت بشاعر ولا راويه والمراد بكون الشعر ابغض اليه اي الاتيان به
والا فقد كان يسمع الشعر كما تقدم ويستنشد لخنسا اخت صخر لاميه ويعجبه

شعرها فكانت تنشده وهو يقول هيه يا خناس ويومي بيده وقد قال
بعضهم اجمع اهل العلم بانه لم يكن امراة قبلها ولا بعدها اشعر منها ومن شعرها في اخيها
المذكور • اعيني جودا ولا تجمدا • الا تبكيان لصخر الندا •
• طويل النجاد عظيم الرما • د وساد عشيرته امردا •
وللجلال السيوطي كتاب سماه نزهة الجلسا في اشعار الخنسا وقولنا في قوله عايشة
انه كان يتمثل اي بالشعر يجعل اوله اخره اي غالبا حتى لا ينافي ما جا عنها كان
يتمثل بشعر ابن رواحة ويأتيك بالاخبار من لم تزود وقولها ما سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ينشد شعرا الا بيتا واحدا •
• تفال بما تهوى يكن فلقلما • يقال لشي كان الا تحقق •
وفي الخصايص الكبرى قال المزني ولم يبلغني انه صلى الله عليه وسلم انشد بيتا تاما على
رويه بل اما الصدر كقول لبيد • الا كل شي ما خلا الله باطل • او العجز كقول طرفة
• ويأتيك بالاخبار من لم تزود • اي وفيه ما تقدم عن عايشة وكقوله وقد انشده
اعشى بني مازن ابيا تا في ذم النسا اخرتلك الابيات وهن شر غالب لمن غلب فجعل صلى
الله عليه وسلم يقول وهن شر غالب لمن غلب فان انشد بيتا كاملا غيره اي غالبا لما تقدم
كبيت العباس بن مرداس اي فانه صلى الله عليه وسلم قال يوما للعباس بن مرداس انت القايل
قولك وفي لفظ انت القايل اتجعل نهبي ونهب العبيد بين الاقرع وعيينة فقيل
له انما هو بين عيينة والاقرع فقال انما هو الاقرع وعيينة فقال ابو بكر رضي الله تعالى
عنه بابي انت وامي يا رسول الله وفي لفظ اشهد انك رسول الله ما انت بشاعر ولا راوية
ولا ينبغي لك انما قال بين عيينة والاقرع كما انه لا ينبغي لك ان تكون شاعرا كما قال
الله لا ينبغي لك ان تكون راوية للشعر اي بان تاتي به على وجهه اي لا يكون شانك ذلك
مباعدة عن الشعر وكون شانه ذلك لا ينافي وجوده على وجهه في بعض الاحيان •
قليلا تأمل وعن بعضهم ما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت شعر قط اي موزونا
وقد يقال لا يخالف هذا ما تقدم عن المواهب لانه يجوز ان يكون هذا المنقول عن
عايشة وعن المزني وعن بعضهم كان اغلب لحاله كما قدمناه في المنقول عن عايشة
ثم رايت في الامتاع اشار الى ذلك بقوله وربما انشد صلى الله عليه وسلم البيت
المستقيم في النادر وقول المواهب لا دليل على منع انشاده متمثلا اي دايما وابدا
ويدل لذلك قول الزهري انه لم يقل بيتا موزونا متمثلا به الا قوله هذا الحمال
الخ وقيد ما علمت ولا يخفى ان الشعر عرف بانه كلام عربي موزون عن قصد قال البدر
الدماميني وقولنا عن قصد يخرج ما كان وزنه اتفاقيا كايات شريفة اتفق جريان

الوزن فيها اي من بحور الشعر الستة عشر وقد ذكرها الجلال السيوطي في نظم
التلخيص وذلك كما في قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وكقوله تعالى
• وجفان كالجوابي • وقدور راسيات • وقوله تعالى • نصر من الله وفتح قريب •
وكلمات شريفة نبوية جا الوزن فيها اتفاقيا غير مقصود كما في قول النبي صلى
الله عليه وسلم • هل انت الا اصبع دميت • وفي سبيل الله ما لقيت • اي بنا
على تسليم انه من قول النبي صلى الله عليه وسلم والا فقد قيل انه من قول عبد الله بن
رواحة اي فان ذلك مذكور في ابيات قالها في غزوة موتة وقد صدمت اصبعه
فدميت وذكر بدل في سبيل الله في كتاب الله ولا مانع ان يكون ابن رواحة
انحل ذلك البيت في تلك الابيات التي صنعها كما تقدم وفي كلام ابن دحية
ولا يرد على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضروب الرجز الا ضربان منهوك ومشطور
فالمنهوك انا النبي لا كذب • والمشطور هل انت الا اصبع دميت وقيل البيت
الواحد لا يكون شعرا على انه قيل ان الرجز ليس من الشعر عند الاخفش خلافا للخليل
اي فان الاخفش احتج على ان الرجز ليس بشعر رادا على الخليل ومن تبعه القايلين
بانه من الشعر حيث قال لا احتج عليهم بحجة ان لم يقروا بها كفروا لو كان شعرا ما جرى على
لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى يقول وما علمناه الشعر وما ينبغي له هذا
كلامه قال في النور والصحيح انه شعر اي موافقة للخليل وقد علمت ان ما جرى
منه على لسانه صلى الله عليه وسلم ليس شعرا لعدم قصده فليتامل وقد نقل الماوردي
ان ايتنا انه كان يحرم عليه قول الشعر اي انشاوه يحرم عليه روايته اي دون انشاده
وفرق بعضهم بين الانشاد والرواية بان الرواية يقول قال فلان كذا واما انشاده
متمثلا فلا يقول ذلك هذا كلامه وفيه انه قال لما قيل له من اشعر الناس قال
الذي يقول الى اخره وقال للعباس مرداس انت القايل الخ قال ذلك البعض وكان
الفرق بين الرواية والانشاد ان في قوله قال فلان فيه رفعة للقايل بسبب قوله
وهذا يستضمن لرفع شان الشعر والمطلوب منه الاعراض عن الشعر من حيث كونه
شعرا وفيه ان الصديق قال له عند كل من الرواية والانشاد لست براوية كما تقدم
وعن الخليل كان الشعر احب اليه من كثير من الكلام اي وقد يقال لا يخالف هذا
ما تقدم عن عايشة رضي الله تعالى عنها كان ابغض الحديث اليه الشعر لان المراد بالشعر
الذي يبغضه ما كان مشتملا على ما فيه هجنة او هجو ونحو ذلك ومن ثم قيل الشعر
كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح وفي الجامع الصغير الشعر الحسن احد الجمالين يكسوه
الله المرء المسلم وقد قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اذا خفي عليكم شي من غريب

القران فالتسمع في الشعر فان الشعر ديوان العرب **وفي كلام** سيدنا عمر
رضي الله تعالى عنه نعم الابيات من الشعر يقدمها الرجل في صدر حاجته يستعطف
بها قلب الكريم ويستميل بها لوم اللئيم **والحاصل** ان الحق الحقيق بالاعتماد وبه
تجتمع الاقوال ان المحرم عليه صلى الله عليه وسلم انما هو انشاء الشعر اي الاتيان بالكلام
الموزون عن قصد وزنه وهذا هو المعنى بقوله وما علمناه الشعر فان فرض وقوع
كلام موزون منه صلى الله عليه وسلم لا يكون ذلك شعرا اصطلاحا لعدم قصد وزنه
فليس من الممنوع منه صلى الله عليه وسلم وانما لم يتمثل صلى الله عليه وسلم انه
اذا انشد بيتا من الشعر متمثلا او مسندا لقائله لا ياتي بمثل ما اتى به موزونا وادعى
بعض الادبا انه صلى الله عليه وسلم كان يحسن الشعر اي ياتي به موزونا قصدا ولكنه
كان لا يتعاطاه اي لا يقصد الاتيان به موزونا قال وهذا اتم واكمل من قولنا
انه كان لا يحسنه وفيه ان في ذلك تكذيب للقران **وفي** التهذيب للبغوي من ائمتنا
قيل كان يحسن الشعر ولا يقوله والاصح انه كان لا يحسنه ولكن كان يميز بين جيد
الشعر ورديه ولعل المراد بين الموزون منه وغير الموزون ثم رايته في ينبوع
الحياة قال كان بعض الزنادقة المتظاهرين بالاسلام حفظا لنفسه وماله ۵
يعرض في كلامه بان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحسن الشعر يقصد بذلك تكذيب
كتاب الله تعالى في قوله وما علمناه الشعر وما ينبغي له قال بعضهم والحكمة في تنزيه
القران عن الشعر الموزون مع ان الموزون من الكلام رتبته فوق رتبة غيره
ان القران منبع الحق ومجمع الصدق وقصارى امر الشاعر التخييل بتصوير الباطل
في صورة الحق واثبات الصدق ولهذا نزه الله نبيه عنه ولاجل شهرة الشعر بالكذب
سمى اصحاب البرهان القياسات المودية في اكثر الامر الى البطلان والكذب شعرية
وقد جاء النهي عن انشاد الشعر في المسجد قال صلى الله عليه وسلم من رايتموه
ينشد شعرا في المسجد فقولوا فض الله فاك ثلاثا والاخذ بعمومه فيه من العسر
ما لا يخفى **وفي** العرايس عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال من قال ادم قد قال
الشعر فقد كذب على الله ورسوله ورمى ادم بالماثم وان محمدا والانبيا كلهم في النهي عن
الشعر سوا **وفي** كلام الشيخ محيي الدين بن العربي في قوله تعالى وما علمناه الشعر
وما ينبغي له اعلم ان الشعر محل الاجمال واللغز والتورية اي ما رمزنا لمحمد صلى الله
عليه وسلم شيئا ولا لغزنا ولا خاطبناه بشيء ونحن نريد شيئا اخر ولا اجملنا له ۞
الخطاب بحيث لم يفهمه واطال في ذلك **وهل** يشكل على ذلك الحروف المقطعة
اوايل السور ولعله رضي الله عنه لا يرى ان ذلك من المتشابه او ان المتشابه ليس مما

استأثر

استأثر الله بعلمه والله اعلم **ولما** راى الصحابة ينقل اللبن بنفسه دابوا في
ذلك اي في نقل اللبن وهو المراد بالصخر في قول بعضهم فجعل الصحابة ينقلون
الصخر او المراد الصخر الذي يبنى به الجدار وجانبا الباب كما تقدم حتى قال قايلهم
لين قعدنا والنبي يعمل لذاك منا العمل المضيع وجعل يحمل كل رجل لبنة لبنة وعمار بن
ياسر يحمل لبنتين لبنتين فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفض التراب عن راس
عمار ويقول يا عمار الا تحمل كما يحمل اصحابك قال اني اريد الاجر من الله تعالى **وفي رواية**
كان يحمل لبنتين لبنة عنه ولبنة عنه صلى الله عليه وسلم فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم
ظهره وقال يا ابن سمية للناس اجر ولك اجران واخر زادك من الدنيا شربة من لبن
وجاء في حق عمار بن سمية ما عرض عليه امران قط الا اختار الارشد منهما اذا اختلف
الناس كان ابن سمية مع الحق وتقتلك الفية الباغية تدعوهم الى الجنة ويدعونك
الى النار وعمار يقول اعوذ بالله وفي رواية بالرحمن من الفتن اي وهذا السياق يدل
على انه صلى الله عليه وسلم لم يستمر ينقل اللبن بل نقل ذلك في بعض الاوقات **وفي**
مسلم وعن ابي سعيد الخدري قال اخبرني من هو خير مني ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لعمار حين يشغل بحفر الخندق فجعل يمسح راس عمار ويقول ابن سمية
تقتلك فية باغية وفي رواية تعيين من ابهمه ابو سعيد وهو ابو قتادة وزاد في
رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق وكان الناس يحملون لبنتين لبنتين قالت
لعمار بوسا لك يا ابن سمية تقتلك الفية الباغية ثم رايت بعضهم قال يشبه ان
ذكر الخندق وهما او قال لا عند بنا المسجد وقال الحافظ ذكر الخندق هنا لا عهد اي ويكون
عمار بن ياسر في الخندق صار يحمل الحجرين وكان في بنا المسجد يحمل اللبنتين وكان عثمان
ابن مظعون رضي الله تعالى عنه رجلا متنطعا اي متنزها فكان اذا حمل اللبنة يجافي
بها عن ثوبه لئلا يصيبه التراب فان اصابه شيء من التراب نفضه فنظر اليه علي
ابن ابي طالب رضي الله تعالى عنه وانشد يقول ۵ اي مباسطا مع عثمان بن مظعون
لا طعنا فيه ۵ لا يستوي من يعمر المساجدا ● يداب فيها قايما وقاعدا ●
● ومن يرى عن التراب حايدا ● اي وكان عثمان هذا ممن حرم الخمر على
نفسه في الجاهلية وقال لا اشرب شرابا يذهب عقلي ويضحك بي من هو ادنى مني وذكر
ابن اسحاق قال سالت غير واحد من اهل العلم بالشعر عن هذا الرجز فقالوا بلغني ان عمار بن ياسر فصار
يرتجز بذلك وهو لا يدري من يعني بذلك فمر يرتجز بذلك على عثمان فظن عثمان
ان عمارا يقصد التعريض به فقال له عثمان يا ابن سمية ما اعرفني بمن تعرض به لتكفن
او لاعترضن بهذه الحديدة وجهك وفي يده حديدة كانت معه والله اني اراني

ساعرض هذه العصا لانها لعصاة كانت في يده فسمعه رسول الله صلى
الله عليه وسلم فغضب وقال ان عمار بن ياسر جلدة ما بين عيني ووضع يده الشريفة
بين عينيه الشريفتين فقال الناس لعمار قد غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي ونخاف ان ينزل فينا قران فقال انا ارضيه فقال يا رسول الله ما لي ولاصحابك قال
مالك ولهم قال يريدون قتلي يحملون لبنة لبنة ويحملون علي لبنتين لبنتين اي زيادة
لغيظ يحملون على اللبنتين والثلاث اي ولعله حمل ثلاث لبنات في بعض الاوقات
فاخذ بيده وطاف به المسجد وجعل يمسح ذفرته من التراب والذفرة بالذال المعجمة
الشعر الذي يجيء القفا ويقول يا ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك تقتلك الفئة
الباغية ويقول ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم الى الجنة اي الى سببها وهو
اتباع الامام الحق لانه كان يدعو الى اتباع علي وطاعته وهو الامام الواجب الطاعة
اذ ذاك ويدعونه الى النار اي الى سببها وهو عدم اتباع علي وطاعته واتباع معاوية
وطاعته وفيه ان تلك الفئة التي كانوا فيها قاتلة كان فيها جمع من الصحابة وهم
معذورون بالتاويل الذي ظهر لهم الا ان يقال يدعونه الى النار باعتبار اعتقاده واطلاق
البغي عليهم حينئذ باعتبار ذلك قال بعضهم وفئة معاوية وان كانت باغية
لكنه بغي لا فسق به لانه انما صدر عن تاويل يعذر به اصحابه انتهى اي وما زاده بعضهم
في الحديث لا انالهم الله شفاعتي يوم القيامة قال ابن كثير من روى هذا فقد افترى
في هذه الزيادة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لم يقلها اذ لم تنقل من طريق
يقبل وقال الامام ابو العباس بن تيمية وهذا كذب مزيد في الحديث لم يروه احد من
اهل العلم باسناد معروف وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم عمار جلدة ما بين عيني لا يعرف
له اسناد والذي في الصحيح تقتل عمار الفئة الباغية وعن ابي العادية سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قاتل عمار في النار ومن العجب ان ابا العادية هذا
هو القاتل لعمار يوم صفين فكان ابو العادية مع معاوية وكان عمار مع علي اي ويقال
ان عمارا لما برز للقتال قال اللهم لو اعلم رضاك عني ان اوقد نارا فارمي نفسي فيها لفعلت
او اغرق نفسي لفعلت واني لا اريد قتالهم الا لوجهك الكريم وانا ارجو ان لا
تخيبني وجعلت يده ترتعش على الحربة اي لانه يومئذ كان ثلاثا وتسعين سنة
اي وقد كان جيء له بلبن فضحك فقيل له ما يضحكك قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اخر شراب تشربه حين تموت لبن وفي رواية اخر زادك من الدنيا
ضيح من اللبن ثم نادى اليوم زخرفت الجنان وزينت الحور الحسان اليوم نلقى
الاحبة محمدا وحزبه ولما قتل عمار دخل عمرو بن العاص على معاوية فزعا وقال

قتل

قتل عمار فقال معاوية قتل عمار فما ذا قال عمرو سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول تقتله الفئة الباغية فقال له معاوية دحضت اي زلقت في بولك انحن قتلناه
انما قتله من اخرجه وفي رواية قال له اسكت فوالله ما تزال تدحض اي تزلق في
بولك انما قتله علي واصحابه جاؤا به حتى القوه بيننا ويذكر ان عليا رضي الله
تعالى عنه لما احتج على معاوية بهذا الحديث ولم يسع معاوية انكاره قال انما
قتله من اخرجه من داره يعني بذلك عليا فقال علي رضي الله تعالى عنه فرسول الله
صلى الله عليه وسلم اذن قتل حمزة حين اخرجه ولما قتل عمار جرد خزيمة بن ثابت
رضي الله تعالى عنه سيفه وقاتل مع علي وكان قبل ذلك اعتزل عن الفريقين وقال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقتل عمارا الفئة الباغية فقاتل معاوية حتى
قتل وكان ذو الكلاع رضي الله تعالى عنه مع معاوية وقال له يوما ولعمرو بن العاص كيف ع
تقاتلان عليا وعمار بن ياسر فقالا له ان عمارا يعود الينا ويقتل معنا فقتل ذو الكلاع
قبل قتل عمار ولما قتل عمار قال معاوية لو كان ذو الكلاع حيا لمال بنصف الناس
الى علي اي لان ذا الكلاع كان ذو قوم اربعة الاف اهل بيت وقيل عشرة الاف وكان
عبد الله بن بديل بن ورقاء رضي الله تعالى عنه مع علي رضي الله تعالى عنه فلما قتل عمار اخذ
سيفين ولبس درعين ولم يزل يضرب بسيفيه حتى انتهى الى معاوية فازاله عن موقفه
وازال اصحابه الذين كانوا معه عن موقفهم ثم قام خطيبا فحمد الله تعالى واثنى عليه وصلى
على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال الا ان معاوية ادعى ما ليس له ونازع الامر اهله ومن
ليس مثله وجادل بالباطل ليدحض به الحق وصال عليكم بالاعراب والاحزاب وزين لهم الضلالة
على نور من ربكم وبرهان مبين فقاتلوا الطغاة الجفاة قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم
وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين قاتلوا الفئة الباغية الذين نازعوا الامر
اهله قوموا رحمكم الله ولما قتل عمار ندم ابن عمر على عدم نصرة علي والمقاتلة معه
وقال عند موته ما اسفي على شيء على ترك قتال الباغية قال بعضهم شهدنا صفين
مع علي بن ابي طالب في ثمان مائة من اهل بيعة الرضوان وقتل منهم ثلاث وستون
منهم عمار بن ياسر وكان خزيمة بن ثابت الذي جعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم شهادته بشهادة رجلين كان مع علي يوم صفين كافا سلاحه حتى قتل عمار جرد
سيفه وقاتل حتى قتل لانه كان يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عمار تقتله
الفئة الباغية وفي الحديث من عادى عمارا عاداه الله ومن ابغض عمارا ابغضه الله عمار
يزول مع الحق حيث يزول عمار خلط الايمان بلحمه ودمه عمار ما عرض عليه امران
الا اختار الارشد منهما وجاء ان عمارا دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال مرحبا

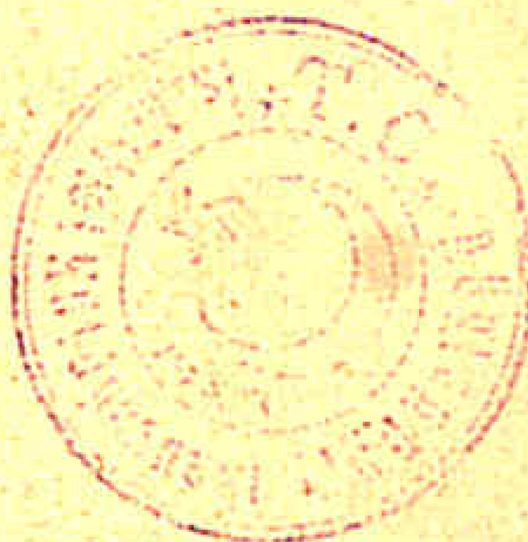
بالطيب المطيب ان عمارًا بن ياسر حشى ما بين اخمص قدميه الى شحمة اذنه ايمانًا وفى
رواية ان عمارًا ملئ ايمانًا من قرنه الى قدميه واختلط الايمان بلحمه ودمه وتخاصم
عمار مع خالد بن الوليد فى سرية كان فيها خالد اميرًا فلما جاآ اليه صلى الله عليه وسلم
استبا عنده فقال خالد يا رسول الله ايسرك ان هذا العبد الاجدع يشتمنى فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا خالد لا تسب عمارًا فان من سب عمارًا فقد سب الله ومن
ابغض عمارًا ابغضه الله ومن لعن عمارًا لعنه الله ثم ان عمارًا قام مغضبًا فقام
خالد فتبعه حتى اخذ بثوبه واعتذر اليه فرضى عنه وعن سعد بن ابى وقاص رضى الله تعالى
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحق مع عمار ما لم يغلب عليه دلهة الكبر
وهذا الحديث من اعلام النبوة فان عمارًا وقع بينه وبين عثمان بن عفان بعض الشحنا
واشيع عنه انه يريد ان يخلع عثمان فاستدعاه سعد بن ابى وقاص وكان مريضًا فقال
له ويحك يا ابا اليقظان كنت فينا من اهل الخير فما الذى بلغنى عنك من السعى فى
الفساد بين المسلمين والتألب على امير المؤمنين امعك عقلك ام لا فغضب عمار
ونزع عمامته وقال خلعت عثمان كما خلعت عمامتى هذه فقال سعد انا لله وانا اليه
راجعون ويحك حين كبر سنك ورق عظمك ونفد عمرك خلعت ربقة الاسلام
من عنقك وخرجت من الدين عريانًا كما ولدتك امك فقام عمار مغضبًا موليًا
وهو يقول اعوذ بربى من فتنة سعد وعند ذلك روى سعد الحديث وقال قد
دله وخرف عمار واظهر عمار التوبة على ذلك قال وجعلت قبلة المسجد الى بيت المقدس
وجعل له ثلاثة ابواب باب فى مؤخره والباب الذى كان يقال له باب عاتكة وكان
يقال له باب الرحمة والباب الذى يقال له الان باب جبريل انتهى وهو الباب الذى كان
يدخل منه صلى الله عليه وسلم ويقال له باب عثمان لانه كان يلى دار عثمان وهو الذى يخرج منه
الان الى البقيع اقول وجعل قبلته الى بيت المقدس كان قبل ان تحول القبلة ولما
حولت قبلته الى الكعبة وهذا محمل قوله صلى الله عليه وسلم ما وضعت قبلة مسجدى
هذا حتى رفعت لى الكعبة فوضعتها ايمها وامها اى اقصدها وفى رواية
ما وضعت قبلة مسجدى هذا حتى فرج لى ما بين بينى وبين الكعبة والله اعلم اى وفى
كلام بعضهم ومن الفوايد الحسنة ما ذكره مغلطاى ان موضع المسجد كان
ابتاعه تبع لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه بالف سنة وانه نزل على ملكه اى
متعلقا به من ذلك العهد على ما دل عليه كتاب تبع اقول سيأتى ان تبعًا بنى
للنبى صلى الله عليه وسلم دارًا بالمدينة اذا قدمها ينزل فى تلك الدار وانه يقال انها دار
ابى ايوب بعضها وذلك المربد بعضها الاخر وان الايدى تداولت سكنى تلك الدار

الى الان

الى ان صارت سكنا لابى ايوب وهذا هو المراد بقول المواهب تداولت الدار الملاك
الى ان صارت لابى ايوب لكن قد يقال لو كانت الدار مذكورة فى الكتاب لذكر ذلك لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فان الكتاب كما سيأتى وصل اليه فى مكة فى اول البعثة ونزوله
دار ابى ايوب واحده المربد على الكيفية المذكورة يبعد ذلك الا انه ذكر له امر تلك الدار
والله اعلم قال ومكث صلى الله عليه وسلم يصلى فى المسجد بعد تمامه الى بيت المقدس
خمسة اشهر ولما حولت القبلة سد صلى الله عليه وسلم الباب الذى كان فى مؤخر المسجد
وفى كلام بعضهم لما حولت القبلة لم يبق من الابواب التى كان يدخل منها صلى
الله عليه وسلم الا الباب الذى يقال له باب جبريل عليه السلام اى فانه بقى فى محله واما باب
الرحمة الذى كان يقال له ايضا باب عاتكة فاخر عن محله وسبب وضع الحصا فى المسجد
ان المطر جاء ذات ليلة فاصبحت الارض مبتلة فجعل الرجل يأتى بالحصا فى ثوبه
فيبسط تحته ليصلى عليه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال ما احسن
هذا وفى رواية ما احسن هذا البساط وقد يعارض هذا ما قيل ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم امر ان يحصب المسجد فمات قبل ذلك فحصبه عمر رضى الله تعالى عنه اقول قد
يقال لا معارضة لانه يجوز ان يكون صلى الله عليه وسلم لما اعجبه ذلك من فعل بعض الصحابة
امر ان يحصب جميع المسجد ولان الواقع تحصيب بعضه لكن يشكل على ذلك قول بعضهم
من البدع فرش المساجد الا ان يراد بالحصر ونحوها لانه لم يكن فى زمنه صلى الله عليه وسلم
ولا امر به ثم رايت بعضهم ذكر ذلك حيث قال اول من فرش الحصر فى المساجد عمر بن الخطاب
وكانت قبل ذلك مفروشة بالحصبا اى فى زمنه كما تقدم وفى الاحيا اكثر معروفات هذه
الاعصار منكرات فى عصر الصحابة رضى الله تعالى عنهم اذ من عزيز المعروف فى زماننا
فرش المساجد بالبسط الرقيقة فيها وقد كان يعد فرش البوارى فى المسجد بدعة كانوا
لا يرون ان يكون بينهم وبين الارض حايل هذا كلام الاحيا اى والحصبا لا تعد حايلا
وسيأتى ان المسجد بنى بعد فتح خيبر وهى التى عناها خارجة رضى الله تعالى عنه بقوله
لما كثر الناس قالوا يا رسول الله لو زيد فيه ففعل ولعلها هى التى ادخل فيها الارض التى
اشتراها عثمان رضى الله تعالى عنه من بعض الانصار بعشرة الاف درهم ثم جاء عثمان الى النبى
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اتشترى منى البقعة التى اشتريتها من
الانصار اى التى كانت مجاورة للمسجد فاشتراها منه صلى الله عليه وسلم ببيت فى الجنة
اى وفى رواية ان عثمان رضى الله تعالى عنه لما حصر اى الحصرة الثانية واشرف على
الناس من فوق سطح داره وقد اشتد به العطش قال اههنا على قالوا لا قال اههنا
سعد قالوا لا قال انشدكم بالله الذى لا اله الا هو اتعلمون ان رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال من يبتاع مربد بني فلان اي المربد كان مجاورا للمسجد غفر الله له فابتعته
بعشرين الف دينار او بخمسة وعشرين الفا شك عثمان وتقدم انه اشتراها
بعشرة آلاف درهم فليتأمل فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت قد ابتعته
فقال اجعله مسجدنا واجره لك قالوا اللهم نعم قد كان ذلك وفي لفظ انشدكم بالله
وبالاسلام هل تعلمون ان المسجد ضاق باهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من يشتري بقعة آل فلان لبقعة كانت الى جنب المسجد فقال صلى الله عليه وسلم من
يشتريها ويوسعها في المسجد له مثلها وفي لفظ بخير له منها في الجنة فاشتريتها في المسجد
فانتم الآن تمنعوني ان اصلي فيها ركعتين اي وزاد فيه عثمان رضي الله تعالى عنه
بعد ذلك زيادة كبيرة وبنى فيه جدارا بالحجارة المنقوشة وجعل عمده من حجارة
منقوشة وسقفه بالساج كما في البخاري وعد عثمان اشياء منها انه قال انشدكم بالله
وبالاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ما
يستعذب غير بئر رومة ولم يكن يشرب منها احد الا بالثمن فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من يشتري بئر رومة فيجعل دلوه فيها مع دلاء المسلمين وفي لفظ ليكون
دلوه فيها كدلاء المسلمين بخير له منها في الجنة وفي لفظ له بها شرب في الجنة فاشتريتها
من صلب مالي فجعلتها للغني والفقير وابن السبيل قالوا اللهم نعم قال فانتم اليوم
تمنعوني ان اشرب منها بل وتمنعوني الماء الا احد يبقينا فاني افطر على الماء الملح
وفي رواية هل فيكم من يبلغ عليا عطشنا فابلغوه فلما بلغ ذلك عليا ارسل اليه
بثلاث قرب مملوءة ماء فما كادت تصل اليه وجرح بسببها عدة من موالي بني هاشم
وبني امية اي وكانت هذه البئر ركية ليهودي يقال له رومة يقال انه اسلم وكان
يبيع للمسلمين ماءها كانت بالعقيق وتفل فيها صلى الله عليه وسلم فعذب ماؤها فلما
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري بئر رومة فيجعلها للمسلمين يضرب بدلوه
في دلائهم وله بها مشرب في الجنة فساومه للمسلمين يضرب بدلوه في دلائهم وله بها
مشرب في الجنة فساومه عثمان فابى ان يبيعها كلها فاشترى نصفها باثني عشر الف
درهم وجعل ذلك للمسلمين وجعل له يوما ولليهودي يوما فكان اذا كان يوم عثمان
استقى المسلمون ما يكفيهم يومين فلما رأى اليهودي ذلك قال لعثمان افسدت علي
ركيتي فاشتر النصف الآخر بثمانية آلاف فقيل جملة ما اشتراها به خمسة وثلاثون
الف درهم وقول عثمان جعلتها للغني والفقير وابن السبيل دليل على ان قوله دلوي
فيها كدلاء المسلمين على انه لم يشترط ذلك قصد به التعميم في الموقوف عليه فلا دليل
فيه على جواز ان للواقف ان يشترط له الانتفاع بما وقفه كما زعمه بعضهم وكان

حصار



حصار عثمان شهرين وعشرين يوما وفي كلام سبط ابن الجوزي
كان الحصار الاول عشرين يوما والثاني اربعين يوما وفي يوم من تلك الايام قال
وددت لو ان رجلا صادقا اخبرني عن امري هذا اي من اين اتيت فقام شاب من
الانصار فقال انا اخبرك يا امير المؤمنين انك تطأطأت لهم فركبوك وما جرأهم
على ظلمك الا افراط حلمك فقال له صدقت اجلس واول من دخل عليه الدار محمد
ابن ابي بكر تسور عليه هو وجماعة من الحائط من دار عمرو بن حزم فاخذ بلحيته فقال
له دعها يا ابن اخي فوالله لقد كان ابوك يكرمها فاستحيا وخرج وفي رواية لما
اخذ بلحيته هزها وقال له ما اغنى عنك معاوية وما اغنى عنك ابن ابي سرح فقال
له يا ابن اخي ارسل لحيتي فوالله انك لتجر لحية كانت تعز على ابيك وما كان ابوك
يرضى مجلسك هذا مني فتركه وخرج ويقال انه قال له ما اريد بك اشد من قبضي
على لحيتك فقال عثمان استنصر بالله عليك واستعين به ثم طعن جبينه بمشقص
في يده ثم ضربه بعض هؤلاء بالسيف فاتقاه بيده فقطع اصابع يده
الخمس وعن ابن الماجشون عن مالك ان عثمان بعد قتله القي على المزبلة ثلاثة
ايام وقيل اغلق عليه بابه ثلاثة ايام لا يستطيع احد ان يدفنه فلما كان في الليل
اتاه اثنا عشر رجلا منهم حويطب بن عبد العزى وحكيم بن حزام وعبد الله بن الزبير
وقيل صلى الله عليه وسلم عليه اربعة وان ابن الزبير لم يشهد قتل عثمان فاحتملوه فلما
صاروا به المقبرة منعوهم وقالوا والله لا يدفن في مقابر المسلمين فدفنوه بمحل كان
الناس يتوقون ان يدفنوا موتاهم به فكان يمر به ويقول سيدفن هنا رجل صالح
فيتأسى به الناس في دفن موتاهم وكان ذلك المحل بستانا فاشتراه عثمان وزاده
في البقيع فكان هو اول من قبر فيه وجلسوا على بابه وان رأسه لتقرع الباب لاسراعهم
به من شدة الخوف ولما دفنوه عفوا قبره خوفا عليه ان ينبش واما غلاماه اللذان
قتلا معه فجروا برجليهما والقوهما على التلال فاكلهما الكلاب وسبب هذه
الفتنة انهم انقموا عليه امورا منها عزله كالاكابر الصحابة ممن ولاه رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من اوصى عمر رضي الله تعالى عنه بان يبقى على ولايته وهو
ابو موسى الاشعري عن البصرة فان عمر اوصى بان يبقى على ولايته فعزله عثمان
وولى ابن خاله عبد الله بن عامر محله وعزل عمرو بن العاص عن مصر وولاها ابن ابي سرح
وعزل المغيرة بن شعبة عن الكوفة وعزل ابن مسعود عنها ايضا واشخصه الى المدينة
وعزل سعد بن ابي وقاص رضي الله تعالى عنه عن الكوفة وولى اخاه لامه الوليد بن عقبة
ابن ابي معيط الذي سماه الله فاسقا بقوله افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا

وصار الناس يقولون بئس ما فعل عثمان عزل اللين الهين الورع المستجاب
الدعوة وولى أخاه الخائن الفاسق المدمن الخمر ولعل مستندهم في ذلك ما
رواه الحاكم في صحيحه من ولى رجلا على عصابة وهو يجد في تلك العصابة من
هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين ومنها أنه ادخل عمه الحكم بن
أبي العاص والد مروان المدينة وكان يقال له طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولعينه وقد كان صلى الله عليه وسلم طرده الى الطايف ومكث به مدة رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومدة أبي بكر بعد ان سأله عثمان في ادخاله المدينة فأبى فقال له عثمان
عمي فقال عمك الى النار هيهات هيهات ان اغير شيئا فعله رسول الله صلى الله عليه
وسلم والله لا أرده أبدا فلما توفي أبو بكر وولي عمر كلمه عثمان في ذلك فقال له
ويحك يا عثمان تتكلم في لعين رسول الله صلى الله عليه وسلم وطريده وعدو الله
وعدو رسوله فلما ولي عثمان رده الى المدينة فاشتد ذلك على المهاجرين والانصار
وانكر ذلك عليه اعيان الصحابة فكان ذلك من اكبر الاسباب على القيام
عليه واعتذر عثمان عن ذلك بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان وعدني برده وهو
في مرض موته قال فشهدت عند أبي بكر فقال انك شاهد واحد ولا تقبل شهادة الواحد
ثم قال لعمر كذلك فلما صار الامر الي قضيت بعلمي واما عزله لأبي موسى فان جند
عمله شكوا شحه فعزله خوف الفتنة ومنها انه جاء الى عثمان اهل مصر يشكون
ممن ولاه عليهم وهو ابن ابي سرح وقالوا كيف توليه على المسلمين وقد اباح رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم الفتح دمه وتعزل عمرو بن العاص عنا ورد هذا بأن عزله لعمرو
انما كان لكثرة شكايتهم منه وابن ابي سرح اسلم يوم الفتح وحسن حاله ووجدوه
لسياسة الامر اقوى من عمرو وعزله للمغيرة فانه انتهى اليه فيه انه ارتشى فرأى
المنفعة في عزله فلما عادوا الى مصر قتل ابن ابي سرح رجلا منهم فعادوا الى
عثمان وكلموا اكابر الصحابة كعلي وطلحة بن عبيد الله فقال اعزله عنهم فانما
يسألونك رجلا مكانه فقال لهم عثمان يختارون رجلا اوليه عليهم فاختاروا
محمد بن ابي بكر فكتب اليه عهده وولاه فخرج وخرج معه جماعة من المهاجرين
والانصار وجماعة من التابعين لينظروا بين اهل مصر وبين ابن ابي سرح فلما
كان محمد بن ابي بكر ومن معه على مسيرة ثلاثة مراحل عن المدينة فاذا هو بغلام
اسود على بعير فقالوا له ما قضيتك فقال لهم انا غلام امير المؤمنين ارسلني الى
عامل مصر فقال له واحد منهم هذا عامل مصر يعني محمد بن ابي بكر فقال ما هذا
اريد فلما اخبر ذلك الرجل محمد بن ابي بكر استدعاه فقال له بحضور من معه من

المهاجرين



المهاجرين والانصار انت غلام من فصار تارة يقول غلام امير المؤمنين وتارة
يقول غلام مروان فعرفه رجل من القوم وقال هذا غلام عثمان فقال له محمد الى
من ارسلت قال الى عامل مصر برسالة قال معك كتاب قال لا ففتشوه فاذا معه
كتاب من عثمان الى ابن ابي سرح في قصبة من رصاص في جوف الاداوة في الماء ففتح الكتاب
بحضرة جميع من معه فاذا فيه اذا اتاك محمد وفلان وفلان فاحتل في قتلهم
وفي رواية انظر فلانا وفلانا اذا قدموا عليك فاضرب اعناقهم وعاقب فلانا بكذا
وفلانا بكذا منهم نفر من الصحابة ونفر من التابعين وفي رواية اذبح محمد بن ابي بكر
واحش جلده تبنا وكن على عملك حتى يأتيك كتابي فلما قرئ الكتاب فزعوا ورجعوا
الى المدينة وقرئ الكتاب بعلم جميع من بالمدينة من الاصحاب والتابعين فما منهم
احد الا واغتم لذلك فدخل عليه علي جميع معهما عدة من اهل بدر ومعه الكتاب والغلام
فقالوا له هذا الغلام غلامك قال نعم قالوا والبعير بعيرك قال نعم قالوا فانت كتبت
هذا الكتاب فقال لا وحلف بالله ما كتبت هذا الكتاب ولا امرت به ولا علم لي به فقال
له علي والخاتم خاتمك قال نعم قال فكيف يخرج غلامك ببعيرك وبكتاب عليه خاتمك
وانت لا تعلم به فحلف بالله ما امرت بهذا الكتاب ولا وجهت هذا الغلام الى مصر فعرفوا
ان خط مروان لا عثمان لان عثمان لا يحلف باطلا وفي رواية انطلق الغلام بغير
امري واخذ الجمل بغير علمي قالوا فما نقش خاتمك قال نقش عليه فسألوه ان يدفع لهم
مروان وكان مروان عنده في الدار فأبى فخرجوا من عنده غضابا وقالوا لا نبرأ
عثمان الا ان يدفع الينا مروان حتى نبحث ونعرف حال الكتاب فان كان عثمان امر به
عزلناه وان كان مروان كتبه على لسان عثمان نظرنا ما يكون في امر مروان فأبى عثمان
ان يخرج اليهم مروان خوفا عليه من القتل فحصر عثمان بسبب ذلك ومنعوه الماء
ووقع ما تقدم وذكر ابن الجوزي انه لما دخل المصريون على عثمان رضي الله
عنه والمصحف في حجره يقرأ فيه فمدوا اليه ايديهم بمدية فضربت فسال الدم و
وقعت قطرة على فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم فقال اما انها اول يد خطت
المفصل هذا كلامه اي وهذا من اعلام النبوة فقد اخرج الحاكم عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا عثمان تقتل وانت تقرأ
سورة البقرة فتقع قطرة من دمك على فسيكفيكهم الله قال الذهبي انه حديث
موضوع اي قوله فيه وانت تقرأ الخ وروي انه لما حوصر قال والله ما زنيت في جاهلية
ولا اسلام ولا تمنيت ان لي بديني بدلا منذ هداني الله ولا قتلت نفسا فبم تقتلونني
وقال يا قوم لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح او قوم هود او

قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد يا قوم لا تقتلوني انكم ان قتلتموني كنتم هكذا
وشبك بين اصابعه وقال معددا النعم الله تعالى عليه ما وضعت يدي على فرجي
منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما مرت بي جمعة منذ اسلمت الا وانا اعتق
فيها رقبة الا ان لا يكون عندي شي فاعتقها بعد ذلك قال بعضهم وجملة من اعتقه
عثمان الفان واربعماية رقبة تقريبا وذكر انه راى في الليلة التي قتل في يومها المصطفى
صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر في المنام قالوا له اصبر فانك تفطر عندنا الليلة القابلة
فلما اصبح دعا بالمصحف فنشره بين يديه ولبس السراويل ولم يكن قبل ذلك في الجاهلية
ولا في الاسلام خوفا ان يطلع على عورته عند قتله وكان من جملة ما نقم على عثمان
رضي الله عنه انه اعطى ابن عمه مروان بن الحكم مائة الف وخمس افريقية واعطى الحارث
عشر ما يباع في السوق سوق المدينة وانه جاء اليه ابو موسى بكيلة ذهب وفضة
فقسمها بين نسائه وبناته وانه انفق اكثر بيت المال في عمارة ضياعه ودوره وانه
حمى لنفسه دون ابل الصدقة وانه حبس عطاء ابن مسعود وهجره وحبس عطاء ابي
ابن كعب ونفى ابا ذر الى الربذة واشخص عبادة بن الصامت من الشام لما شكاه
معاوية وضرب عمار بن ياسر وكعب بن عبدة ضربه عشرين سوطا ونفاه الى بعض الجبال
وقال لعبد الرحمن بن عوف انك منافق وانه اقطع اكثر اراضي بيت المال وان لا يشترى
احد قبل وكيله وان لا تسير سفينة في البحر الا في تجارته وانه احرق الصحف
التي فيها القران وانه اتم الصلاة بمنى لم يقصرها لما حج الناس وانه ترك قتل
عبيد الله وقد قتل الهرمزان وقد اجاب عن ذلك كله في الصواعق فراجعه وفيما
رواه الزبير بن بكار عن انس من انه صلى الله عليه وسلم يعمل اللبن ولم يبن به المسجد
الا بعد اربع سنين من الهجرة رايت ما يرده في تاريخ المدينة ونصه ما روي عن
انس وانه او موقوف والمعروف خلافه والله اعلم اي وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو بني مسجدي هذا الى صنعاء كان مسجدي قال بعضهم
ان صح هذا كان من اعلام نبوته اي لانه وسع بعد ذلك اي وبه يرد القول بان المضاعفة
خاصة بالموجود وسعه المهدي وذلك في سنة ستين ومائة ثم زاد وفيه المامون
في سنة ثنتين ومائتين حين الاشارة اي وكثر المحافظة على الصلاة فيما كان
في عهده صلى الله عليه وسلم اولى اقول وبني حجرتين لعائشة وسودة كانتا بيتا مما يجاور
المسجد وملاصقين له على طرز بنا المسجد من لبن وجعل سقفهما من جذوع النخل
والجريد اي وقدم رجل من اهل اليمامة عند الشروع في بنا المسجد يقال له طلق بن علي
الحنفي قال قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم رضي الله عنه قال قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم

وهو

وهو يبني مسجده والمسلمون يعملون معه فيه وكنت صاحب علاج الطين فاخذت
المسحاة فخلطت بها الطين فقال لي يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله امرأ
احسن صنعته وقال لي الزم انت هذا الشغل فاني اراك تحسنه وفي لفظ ان هذا
الحنفي لصاحب طين وفي لفظ قربوا اليمامي من الطين فانه احسنكم له مسكا واشدكم
منكبا وفي لفظ دعوا الحنفي والطين فانه من اصنعكم للطين وارسل وهو في بيت
ابي ايوب زيد بن حارثة وابا رافع بمكة واعطاهما خمسمائة درهم وبعيرين ليأتيا
باهله اي ولخمسمائة ياخذهما من ابي بكر ليشتريا بها ما يحتاجان اليه فاشترى
بها زيد ثلاثة ابعرة وارسل معهما ابو بكر عبد الله بن الاريقط دليلا اي ببعيرين
او ثلاثة فقدما بفاطمة وام كلثوم ابنتيه وسودة زوجته وام ايمن حاضنته
زوج زيد بن حارثة وابنها اسامة بن زيد فاسامة اخو ايمن لامه وكان اسامة
حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن حبه وابن حاضنته عن عائشة رضي الله
تعالى عنها ان اسامة عثر يوما في اسكفة الباب فشج وجهه فقال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم اميطي عنه قالت عائشة فكاني تقذرته اي لانه كان اسود
افطس فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب التي هي اكبر بناته فكانت مع زوجها
ابن خالتها ابي العاص بن الربيع فمنعها من الهجرة وسياتي انها هاجرت بعد ذلك
قبل وتركته على شركه وبعد ان اسر في بدر واطلق وامره صلى الله عليه وسلم بان
يخلي سبيلها ففعل ثم لما اسلم ردها اليه واما بنته رقية فتقدم انها هاجرت مع
زوجها عثمان بن عفان وخرج مع فاطمة ومن ذكر معها عبد الله بن ابي بكر ومعه
عيال ابي بكر فيهم زوجته ام رومان وعائشة واختها اسماء زوج الزبير اي وهي
حامل بابنها عبد الله بن الزبير وعن عائشة رضي الله تعالى عنها انها كانت هي وامها
على بعير في محفة فنفر البعير قالت فصارت امي تقول وابنتاه واعروساه فمسك
البعير وسلم وفي رواية عن عائشة رضي الله تعالى عنها لما صارت امي تقول واعروساه
وابنتاه سمعت قائلا يقول ارسلي خطامه فارسلت خطامه فوقف باذن الله
وسلمنا الله وام رومان توفيت في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتت سنة
ست من الهجرة ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبرها وقال اللهم انه لم يخف
عليك ما لاقت ام رومان فيك وفي رسولك وعورض القول بموتها في حياة
رسول الله صلى الله عليه وسلم بان في البخاري عن مسروق قال سالت ام رومان وهي
ام عائشة ومسروق ولد بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم بلا خلاف وما في
البخاري حديث صحيح مقدم على ما ذكره اهل السير من موتها في حياته صلى الله عليه وسلم

وفي البخاري عن اسما فنزلت بقبا فولدته بها يعني ولدها عبد الله بن الزبير ثم اتيت
النبي صلى الله عليه وسلم فوضعته في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه فكان
اول شي دخل جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حنكه بتمرة اي بتلك
التمرة ففي المواهب وحنكه بها ثم دعا له وبرك عليه وهو اول مولود ولد في الاسلام
اي للمهاجرين وفيه ان اسما انما قدمت المدينة اي الى قبا بعد تحوله صلى الله عليه وسلم
من قبا ويدل له قول بعضهم قدم ال ابي بكر من مكة وهو صلى الله عليه وسلم يبني مسجده
وانزلهم ابو بكر في السنح الا ان يقال يجوز انه صلى الله عليه وسلم جا الى قبا بعد ذلك
فقد قال بعضهم وهذا السياق يدل على ان عبد الله بن الزبير ولد في السنة الاولى لا الثانية
كما قاله الواقدي وتبعه غيره فقال ولد بعد عشرين شهرا من الهجرة ففرح به المسلمون
فرحا شديدا لان اليهود كانوا يقولون قد سحرناهم فلا يولد لهم مولود وهذا ربما يؤيد
القول الثاني الا ان يقال يجوز ان يكون عبد الله مكث في بطنها المدة المذكورة
فقد ذكر ان مالكا رضي الله عنه مكث في بطنها المدة سنتين وكذا الضحاك
ابن مزاحم الا انه مكث في بطن امه سنتين وفي المحاضرات للجلال السيوطي ان
مالكا مكث في بطن امه ثلاث سنين واخبر سيدنا مالك ان جارة له ولدت
ثلاث اولاد في اثنتي عشرة سنة بحمل اربع سنين وحينئذ يجوز ان يكون ه
سيدتنا اسما جاءت المقبا فولدت سيدنا عبد الله وصادف مجيئه صلى الله عليه
الى قبا في ذلك اليوم وقد سماه صلى الله عليه وسلم عبد الله وكناه ابا بكر بكنية
جده الصديق وروي انه جا الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن سبع او ثمان
سنين ليبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد امره والده الزبير بذلك فتبسم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعه وكون ال ابي بكر نزلوا عند مجيئهم المدينة
في السنح لا ينافي كون اسما نزلت بقبا وولدت بها لانه يجوز ان يكون نزول اسما
في السنح بعد نزولها في قبا قصدا للراحة لكونها كانت حاملا حتى وضعت ه
والسياق المتقدم يدل على ذلك وكون عبد الله بن الزبير اول مولود ولد في الاسلام
للمهاجرين بالمدينة كذلك عبد الله بن جعفر بن ابي طالب اول مولود ولد للمهاجرين
بالحبشة ويقال له عبد الله الجواد واتفق ان النجاشي ولد له مولود يوم ولد عبد الله
هذا فارسل الى جعفر يقول له كيف سميت ابنك فقال سميته عبد الله فسمى النجاشي ابنه
عبد الله وارضعتهما اسما بنت عميس مع ابنها عبد الله المذكور فكانا يتراسلان بتلك
الاخوة من الرضاع واول مولود ولد للانصار بعد الهجرة مسلمة بن مخلد وقيل
النعمان بن بشير وذكر ان ام اسما قدمت المدينة وهي مشركة على اسما بهديتها

نجيتها اسما وردت عليها هديتها فسألت عايشة رضي الله تعالى عنها رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن ذلك فامر اسما ان تاوي امها وتقبل هديتها قيل وفي ذلك وفي
ارسال عبد الرحمن بن ابي بكر وهو يكد على دينه قبل ان يسلم الى ابيه يسأله النفقة
فابى ابوه ان ينفق عليه انزل الله الاذن في الانفاق على الكفار وقال ابو ايوب
الانصاري لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي نزل في اسفل البيت وانا وام
ايوب في العلو فقلت يا رسول الله بابي انت وامي اني اكره واعظم ان اكون في
العلو تحتي فاظهر انت فكن في العلو وننزل نحن فنكون في السفل فقال يا ابا ايوب
ارفق بنا اي السفل وارفق بنا وبمن يغشانا اي وفي لفظ انا ارفق بنا وبمن يغشانا
ان نكون في سفل البيت قال ابو ايوب فانكسر حب لنا فيه ما والحب بضم الحا المهملة
الجرة الكبيرة فقمت انا وام ايوب بقطيفة لنا ما لنا لحاف غيرها ننشفها بها تخوفا
ان يقطر على راس رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شي فيؤذيه ولم ازل اتضرع
للنبي صلى الله عليه وسلم حتى تحول في العلو اي وفي رواية عن ابي ايوب قال نزل على
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تحول في العلو اي وفي رواية عن ابي ايوب قال فلما
خلوت الى ام ايوب قلت لها رسول الله صلى الله عليه وسلم احق بالعلو منا ينتثر
التراب عليه من وطي اقدامنا وتنزل عليه الملائكة وينزل عليه الوحي وفي رواية نزل
عليه القران وياتيه جبريل فما بت تلك الليلة انا ولا ام ايوب فلما اصبحت قلت يا رسول
الله ما بت الليلة انا ولا ام ايوب قال لم يا ابا ايوب قلت كنت احق بالعلو منا تنزل
عليك الملائكة وينزل عليك الوحي والذي بعثك بالحق لا اعلو سقيفة انت تحتها ابدا
اي وعن افلح مولى ابي ايوب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل اسفل وابو ايوب
في العلو انتبه ابو ايوب ذات ليلة تمشي فوق رسول الله صلى الله عليه وسلم فباتا فجا
فلما اصبح الحديث وعند نزوله صلى الله عليه وسلم في بيت ابي ايوب صارت
تاتي اليه جفنة سعد بن عبادة وجفنة اسعد بن زرارة كل ليلة اي وكانت جفنة
سعد بن عبادة بعد ذلك تدور معه صلى الله عليه وسلم في بيوت ازواجه فقد جا
كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم من سعد بن عبادة من ثريد اي عليه لحم او خبز
في لبن او في سمن او بخل وزيت في كل يوم تدور معه اينما دار مع نسائه وصار يهدى في
بيت ابي ايوب ياتي اليه الطعام من غيرهما اي فقد جا وما كان من ليلة الا وعلى باب رسول
الله صلى الله عليه وسلم الثلاثة والاربعة يحملون الطعام يتناوبون حتى تحول رسول الله
صلى الله عليه وسلم من منزل ابي ايوب اي وفي لفظ فجعل بنو النجار يتناوبون في حمل
الطعام اليه صلى الله عليه وسلم مقامه في منزل ابي ايوب رضي الله تعالى عنه وهو تسعة

اشهر واول طعام جيء به اليه صلى الله عليه وسلم في دار ابي ايوب قصعة ام زيد ابن ثابت **فعن** زيد بن ثابت اول هدية دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت ابي ايوب قصعة ارسلتني بها امي اليه فيها ثريد خبز بر بسمن ولبن فوضعتها بين يديه وقلت يا رسول الله ارسلت بهذه القصعة امي فقال بارك الله فيها اى وفي رواية بارك الله فيك ودعا اصحابه فاكلوا قال زيد فلم ادر الباب اى ارده حتى جاءت قصعة سعد بن عبادة ثريد معراق لحم اى بفتح العين عظم عليه لحم فان اخذ عنه اللحم قيل له عراق بضم العين وقد جاء كان احب الطعام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الثريد ويقال له الثفل بالمثلثة والفا ولما بنى المسجد جعل في المسجد محلا مظللا ياوي اليه المساكين يسمى الصفة وكان اهله يسمون اهل الصفة وكان صلى الله عليه وسلم في وقت العشا يفرقهم على اصحابه ويتعشى معه منهم طايفة وظاهر السياق ان ذلك اى المحل فعل في زمن بنا المسجد واوى اليه المساكين من حينئذ لكن **روى** البيهقي عن عثمان بن اليمان قال لما كثر المهاجرون بالمدينة ولم يكن لهم زاد ولا ماوى انزلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وسماهم اصحاب الصفة وكان يجالسهم ويانس بهم اى وكان اذا صلى اتاهم فوقف عليهم فقال لو تعلمون ما لكم عند الله لاحببتم ان تزدادوا فقرا وحاجة **اقول** ذكر ان المسجد كان اذا جاءت العتمة يوقد بسعف النخل فلما قدم تميم الداري المدينة صحب معه قناديل وحبالا وزيتا وعلق تلك القناديل بسوارى المسجد واوقد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نورت مسجدنا نور الله عليك اما والله لو كان لي ابنة لانكحتكها هنا وفي كلام بعضهم والمستحب من بدع الافعال تعليق القناديل فيها يعني المساجد واول من فعل ذلك عمر بن الخطاب فانه لما جمع الناس على ابي بن كعب في صلاة التراويح علق القناديل فلما راها علي تزهر قال نورت مساجدنا نور الله قبرك يا ابن الخطاب ولعل المراد تعليق ذلك بكثرة فلا يخالف ما تقدم عن تميم الداري ثم رايت في اسد الغابة عن سراج غلام تميم الداري قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن خمسة غلمان لتميم الداري فامرني يعني سيده فاسرجت المسجد بقنديل فيه زيت وكانوا لا يسرجون فيه الا بسعف النخل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسرج مسجدنا فقال تميم غلامي هذا فقال ما اسمه فقال فتح فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل اسمه سراج فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم سراجا **وعن** بعضهم قال امرني المامون ان اكتب بالاستكثار من المصابيح في المساجد فلم ادر ما اكتب لانه شيء لم اسبق اليه فاريت في المنام

اكتب فان فيها انسا للمتهجدين ونفيا لبيوت الله عن وحشة الظلم فانتبهت وكتبت بذلك قال بعضهم لكن زيادة الوقود كالواقع ليلة النصف من شعبان ويقال لها ليلة الوقود ينبغي ان يكون ذلك كتزويق المساجد ونقشها وقد كرهه بعضهم والله اعلم

قال وذكر ابن اسحاق في كتاب المبدا وقصص الانبيا عليهم الصلاة والسلام ان تبع بن حسان الحميري وهو تبع الاول اى الذي ملك الارض كلها شرقها وغربها وتبع بلغة اليمن الملك المتبوع ويقال له الرايش لانه راش الناس بما اوسعهم من العطا وقسم فيهم من الغنايم وكان اول من عتم ولما عمد الى البيت يريد تخريبه رمي بدا تمخض منه راسه قيحا وصديدا وانتن حتى لا يستطيع احد ان يدنو منه قيد رمح كما تقدم وتقدم انه بعد ذلك كسا الكعبة وبعد ذلك اجتاز بيثرب وكان في ركابه مائة الف وثلاثون الفا من الفرسان ومائة الف وثلاثة عشر الفا من الرجالة فاخبر ان اربعمائة رجل من اتباعه من الحكما والعلما تبايعوا ان لا يخرجوا منها فسالهم عن الحكمة في ذلك فقالوا ان شرف البيت انما هو برجل يخرج يقال له محمد هذه دار اقامته ولا يخرج منها فبنى لكل واحد منهم دارا واشترى له جارية واعتقها وزوجها منه واعطاهم عطا جزيلا وكتب كتابا وختمه ودفعه الى عالم عظيم منهم وامره ان يدفع ذلك الكتاب لمحمد صلى الله عليه وسلم ان ادركه وفي ذلك الكتاب انه امن به وعلى دينه وبنى دارا له صلى الله عليه وسلم ينزلها اذا قدم تلك الدار ويقال انها دار ابي ايوب اى كما تقدم وانه من ولد ذلك العالم الذي دفع اليه الكتاب اى فهو صلى الله عليه وسلم لم ينزل الا داره اى على ما تقدم ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم اى دعى الى الاسلام ارسلوا اليه ذلك الكتاب مع شخص يسمى ابا ليلى فلما راه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له انت ابو ليلى الذي معك كتاب تبع الاول فقال له ابو ليلى من انت قال انا محمد هات الكتاب فلما قراه اى قرئ عليه وذكر بعضهم ان مضمون الكتاب اما بعد يا محمد فاني امنت بك وبربك ورب كل شيء وبكل ما جاءك من ربك من شرايع الاسلام والايمان واني قلت ذلك فان ادركتك فبها ونعمت وان لم ادركك فاشفع لي يوم القيمة ولا تنسني فاني من اصل الاولين وبايعتك قبل مجيئك وقبل ان يرسلك الله وانا على ملتك وملة ابراهيم وختم الكتاب وتلى اى قرا عليه لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المومنين بنصر الله فقد قرا هذا قبل نزوله وكتب عنوان الكتاب الى محمد بن عبد الله خاتم النبيين والمرسلين ورسول رب العالمين من تبع الاول حمير امانة الله في يد من وقع هذا الكتاب في يده الى ان يدفعه الى صاحبه ودفع الى راس العلما المذكورين ثم وصل الكتاب المذكور الى النبي صلى الله عليه وسلم على يد بعض ولد العلما المذكورين

هاجر وهو بين مكة والمدينة وسياق الرواية الاولى يدل على ان ذلك كان في اول البعثة
وبعد قراءة الكتاب عليه صلى الله عليه وسلم قال مرحبا بتبع الاخ الصالح ثلاث مرات
وكان بين تبع هذا اى بين قوله انا امنت به وعلى دينه وبين مولد النبي
صلى الله عليه وسلم الف سنة سواء وتقدم انه اتباع الحل الذى بناه دارا له قبل
مبعثه بالف سنة تقريبا ويقال ان الاوس والخزرج من اولاد اولئك العلماء
والحكماء انتهى **اقول** قد علمت ان نزوله صلى الله عليه وسلم دار ابى ايوب على الوجه
المتقدم واحله المربد على الكيفية المتقدمة مع وصول الكتاب اليه اول
البعثة او بين مكة والمدينة وهو مهاجر الى المدينة يبعد هذا وفيه ايضا ان الذى
في التنوير لابن دحية ان هذا تبع الاوسط وانه الذى كسى البيت بعد ما اراد غزوه
وبعد ما غزا المدينة واراد خرابها انصرف عنها لما اخبر انها مهاجر نبي اسمه محمد اى
فقد ذكر بعضهم ان تبعا اراد تخريب المدينة واستيصال اليهود فقال له رجل
منهم بلغ من العمر مائتين وخمسين سنة الملك اجل من ان يستخفه غضب وامره
اعظم من ان يضيق عنه حلمه او يخرم صفحه مع ان هذه البلدة مهاجر نبي يبعث
بدين ابراهيم فكتب كتابا وذكر فيه شعرا فكانوا يتوارثون ذلك الكتاب الى ان
هاجر النبي صلى الله عليه وسلم فادوه اليه ويقال ان الكتاب كان عند ابى ايوب الانصارى
وكان ذلك قبل مبعثه بسبعمائة عام **وفى** التنوير ايضا ان ابن ابى الدنيا ذكر انه حفر
قبر بصنعاء قبل الاسلام فوجد فيه امراتان لم تبليا وعند رؤسهما لوح من فضة
مكتوب فيه بالذهب هذا قبر فلانة وفلانة ابنتى تبع ماتتا وهما تشهدان ان لا
اله الا الله ولا يشركان به شيئا وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما **وجاء** لا تسبوا
تبعا فانه كان مؤمنا **وفى** رواية لا تسبوا تبعا الحميرى فانه اول من كسى الكعبة قال
السهيلى وكذا تبع الاول كان مؤمنا بالنبى صلى الله عليه وسلم وقال شعرا ينبى فيه
بمبعثه صلى الله عليه وسلم والله اعلم وكانت المدينة فى الجاهلية معروفة بالوباء اى
الحمى وكان اذا اشرف على واديها احد ونهق نهيق الحمار لا يضره الوباء وفى لفظ كان اذا
دخلها غريب فى الجاهلية يقال له ان اردت السلامة من الوباء فانهق نهيق الحمار فاذا
فعل ذلك سلم وفى حياة الحيوان كانوا فى الجاهلية اذا خافوا وباء بلد عشروا كتعشير
الحمار نهقوا عشرة اصوات فطلق واحد قبل ان يدخلوها وكانوا يزعمون ان
ذلك ينفعهم من الوباء **ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة** وجد اهلها
من اخبث كيلا فانزل الله تعالى ويل للمطففين الاية فاحسنوا الكيل بعد
ذلك ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة هو واصحابه اصابت اصحابه الحمى وفى لفظ

استوخم المهاجرون حمى المدينة ولم يوافق امزجتهم فمرض كثير منهم وضعفوا
حتى كانوا يصلون من قعود فرآهم صلى الله عليه وسلم فقال اعلموا ان صلاة
القاعد على النصف من صلاة القائم فتجشموا المشقة وصلوا قياما قالت
عائشة رضى الله تعالى عنها قدمنا المدينة وهى اوبا ارض الله اى فلما حصلت لها الحمى
قال لها صلى الله عليه وسلم ما لى اراك هكذا قالت بابى انت وامى هذه الحمى وسبتها فقال
لا تسبيها فانها مامورة ولكن ان شئت علمتك كلمات اذا قلتيهن اذهبها الله تعالى
عنك قالت فعلمنى قال قولى اللهم ارحم جلدى الرقيق وعظمى الدقيق من شدة
الحريق يا ام ملدم ان كنت امنت بالله العظيم فلا تصدعى الراس ولا تنتنى
الفم ولا تاكلى اللحم ولا تشربى الدم وتحولى عنى الى من اتخذ مع الله الها اخر فقالتها
فذهبت عنها **وعن** على رضى الله تعالى عنه لما قدمنا المدينة اصبنا من ثمارها فاجتويناها
وعك اى حم اى وممن حصل من اصابته الحمى سيدنا ابو بكر رضى الله تعالى عنه ومولياه
عامر بن فهيرة وبلال اى وكان ابو بكر اذا اخذته الحمى انشد

كل امرئ مصبح فى اهله • والموت ادنى من شراك نعله

اى وهذا من شعر حنظلة بن يسار بناء على الصحيح ان الزجر يقال له شعر كما تقدم
شعرا فى الاسلام اى ولا فى الجاهلية كما فى رواية عنها والله ما قال ابو بكر شعرا فى
الجاهلية ولا فى الاسلام اى لم ينشئه حتى مات اى وهذا ربما ينافى ما فى الينبوع
لم يستعمل الشعر رذيلة قد كان الصديق وعمر وعلى رضوان الله تعالى عليهم يقولون الشعر
وعلى كرم الله وجهه اشعر من ابى بكر وعمر وما تقدم عن عائشة معارض لظاهر
ما روى عن انس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال كان ابو بكر الصديق رضى الله تعالى
اذا راى النبى صلى الله عليه وسلم يقول

امين مصطفى بالخير يدعو • كضوء الشمس زايلة الظلام

الا ان يحمل قولها على انها لم تسمع ذلك منه بناء على ان ذلك من انشاء الصديق وكان
بلال اذا اقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته اى صوته يقول متشوقا الى مكة

الا ليت شعرى هل ابيتن ليلة • وهل يبدون لى شامة وطفيل
وهل اردن يوما مياه مجنة • بواد وحولى اذخر وجليل

اللهم العن شيبة بن ربيعة وامية بن خلف كما اخرجونا من ارضنا الى ارض
الوباء واراد بلال بالوادى وادى مكة والاذخر نبت معروف وجليل بالجيم
نبت ضعيف وشامة وطفيل جبلان بقرب مكة اى **وفى** رواية وهل يبدون
لى عامر وطفيل جبلان بقرب مكة اى وفى رواية طفيل وعامر اينما جبل من جبال

مكة وفي شرح البخاري للخطابي كنت احب شامة وطفيل جبلين حتى مررت بهما فاذا هما عينان من ما هذا كلامه وقد يقال يجوز ان يكون العينان بقرب الجبلين المذكورين فاطلق اسم كل منهما على الاخر ولعل هذا اللعن من بلال كان قبل النهي عن لعن المعين لانه لا يجوز لعن الشخص المعين على الراجح الا ان علم موته على الكفر كابي جهل وابي لهب دون الكافر الحي لانه يحتمل ان يختم له بالحسنى فيموت على الاسلام لان اللعن هو الطرد عن رحمة الله تعالى المستلزم لليأس منها واما اللعن على الوصف كآكل الربا فجائز وان ذلك محمول في ذلك على الاهانة والطرد عن مواطن الكرامة لا على الطرد عن رحمة الله الذي هو حقيقة اللعن وكان نزل من ابي بكر وعامر وبلال في بيت واحد قالت عائشة رضي الله تعالى عنها فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيادتهم فدخلت عليهم وذلك قبل ان يضرب علينا الحجاب فاذا بهم ما لا يعلمه الا الله تعالى من شدة الوعك فسلمت عليهم اي وقالت لابيها يا ابت كيف اصبحت فانشدها الشعر المتقدم قالت فقلت انا لله ان ابي ليهذي قالت فقلت لعامر بن فهيرة كيف تجدك فقال

اني وجدت الموت قبل ذوقه ۞ ان الجبان حتفه من فوقه

قالت فقلت هذا والله لا يدري ما يقول قالت ثم قلت لبلال كيف اصبحت فاذا هو لا يعقل وفي رواية فانشدها البيتين قالت وذكرت حالهم للنبي صلى الله عليه وسلم وقلت انهم يهذون وما يعقلون من شدة الحمى وهذا السياق يخالف ما في السيرة الهشامية ان الصديق لما قدم المدينة اخذته الحمى هو وعامر بن فهيرة وبلال الا ان يقال لا مخالفة لانه يجوز انها اخذتهم اولا واقلعت عنهم ثم عادت عليهم بعد دخوله صلى الله عليه وسلم بعائشة او ان عائشة استأذنته في ذلك وذكرت له حالهم قبل دخوله بها لانها كانت معقودا عليها ولعل الصديق كان في غير بيت ام عائشة والذي في تاريخ الازرقي عن عائشة رضي الله عنها قالت لما قدم المهاجرون المدينة شكوها فعاد النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر رضي الله عنه فقال كيف تجدك فانشده ما تقدم ثم دخل على بلال فقال كيف تجدك يا بلال فانشده ما تقدم ولا مانع من التعدد فليتامل وحين ذكرت عائشة رضي الله عنها له ذلك نظر الى السماء اي لانها قبلة الدعاء وقال اللهم حبب الينا المدينة كما حببت الينا مكة او اشد وفي رواية واشد وبارك لنا في مدها وصاعها وصححها لنا ثم انقل وباها الى مهيعة اي الجحفة كما في رواية وهي قرية قريبة من رابغ محل احرام من يجيء من جهة مصر حاجا وكان سكانها اذ ذاك يهود ودعاؤه صلى الله عليه وسلم ان

يحبب

يحبب اليهم المدينة انما هو لما جبلت عليه النفوس من حب الوطن والحنين اليه ومن ثم جاء في حديث ان عائشة رضي الله تعالى عنها سألت رجلا بحضور رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة من مكة فقالت له كيف تركت مكة فذكر من اوصافها الحسنة ما غرغرت به عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تشوقنا يا فلان وفي رواية دع القلوب تقر اقول ودعاؤه بنقل الحمى كان في اخر الامر واما عند قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة فخير بين الطاعون والحمى اي بقاها فامسك الحمى وارسل الطاعون الى الشام كما جاء في بعض الاحاديث اتاني جبريل بالحمى والطاعون فامسكت الحمى بالمدينة وارسلت الطاعون الى الشام وقولنا اي بقاها رد لما قد يتوهم من الحديث ان الحمى لم تكن بالمدينة قبل قدومه لها وانما اختار الحمى على الطاعون لانه كان حينئذ في قلة من اصحابه فاختار بقاء الحمى لقلة الموت بها غالبا بخلاف الطاعون ثم لما احتاج للجهاد واذن له في القتال وجد الحمى تضعف اجساد الذين يقاتلون دعى بنقل الحمى من المدينة الى الجحفة فعادت المدينة اصح بلاد الله تعالى بعد ان كانت بخلاف ذلك كذا قيل فليتامل فانه يقتضي ان الحمى لما انتقلت الى الجحفة لم يبق منها بقية بالمدينة وهو الموافق لما يأتي عن الخصائص وحين نقلت الحمى الى الجحفة صارت الجحفة لا يدخلها احد الا حم بل قيل اذا مر بها الطائر حم واستشكل حينئذ جعلها ميقاتا للاحرام وقد علم من قواعد الشرع انه صلى الله عليه وسلم لا يامر بما فيه ضرر واجيب بان الحمى انتقلت اليها مدة مقام اليهود بها ثم زال بزوالهم من الحجاز او قبل حين التوقيت بها كذا قيل فليتامل وعنه صلى الله عليه وسلم قال رايت اي في النوم امرأة سوداء ثائرة الراس خرجت من المدينة حتى نزلت مهيعة فاولتها ان وباء المدينة نقل الى مهيعة وفي الخصائص الصغرى للسيوطي وصرف الحمى عنها يعني المدينة اول ما قدمها ونقلها الى الجحفة ثم لما اتاه جبريل بالحمى والطاعون امسك الحمى بالمدينة وارسل الطاعون الى الشام ولما عادت الحمى الى المدينة باختياره اياها لم تستطع ان تاتي احدا من اهلها حتى جاءت ووقفت ببابه واستأذنته فيمن يبعثها اليه فارسلها الى الانصار فقد جاء ان الحمى جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت انا ام ملدم وفي رواية انا الحمى ابري اللحم واشرب الدم قال لا مرحبا بك ولا اهلا وفيما تقدم انه نهى عائشة عن سبها فقال لها امضي الى احب قومك او احب اصحابك اليك فقال اذهبي للانصار فذهبت اليهم فصرعتهم فقالوا له ادع لنا بالشفاء فقال ان شئتم دعوت الله عز وجل يكشفها عنكم وان شئتم تركتموها فاسقطت ذنوبكم وفي رواية كانت لكم طهورا فقالوا بل ندعها يا رسول الله ولعل هذا كان

لطايفة من الانصار فلا ينافي ما جا ان الانصار لما شكوا اليه الحمى وقد مكثت عليهم
ستة ايام بلياليها دعا لهم بالشفا وصار صلى الله عليه وسلم يدخل دارا وبيتا بيتا
يدعو لهم بالعافية وهذا الذى فى الخصايص يدل على ان الحمى لما ذهبت الى الجحفة
لم يبق منها بقية بالمدينة وانها بعد ذلك عادت الى المدينة باختياره منه صلى
الله عليه وسلم والذى نقله عن الحافظ ابن حجر ان الحمى كانت تصيب من اقام
بالمدينة من اهلها وغيرهم فارتفعت بالدعا عن اهلها الا ان رضى لابالف
هواها **وفي** ان الحمى ليلة كفارة سنة ومن حم يوما كانت له براة من النار
وخرج من ذنوبه كيوم ولدته امه والذى رواه الامام احمد وابن حبان فى صحيحه
عن جابر استاذنت الحمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من هذه قالت ام
ملدم فامر بها الى اهل قبا فلقوا ما لا يعلمه الا الله فشكوا اليه فقال لهم ان شئتم
دعوت الله ليكشفها وان شئتم تكون لكم طهورا قالوا او تفعل قال نعم قالوا فدعها
والله اعلم ثم دعى بقوله اللهم اجعل بالمدينة ضعفى ما جعلت بمكة من البركة
وفي رواية واجعل مع البركة بركتين **وجا** انهم شكوا اليه سرعة فنا طعامهم فقال
لهم قوتوا طعامكم يبارك لكم فيه قيل معناه تصغير الارغفة ودعا للغنم كانت
ترعى بالمدينة فقال اللهم اجعل نصف اكراشها مثل ملئها فى غيرها من البلاد اى ولعل
الدعا بذلك ليس خاصا بتلك الاغنام الموجودة فى زمنه وقد يدل لذلك ما ذكره
السيوطى فى الخصايص الصغرى مما اختصت به المدينة ان غبارها يطفى الجذام
ونصف اكراش الغنم فيها مثل ملئها فى غيرها من البلاد والكرش كالمعدة
للانسان وكما صينت المدينة عن الطاعون بارساله الى الشام صينت عن
الدجال **روى** الشيخان عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم على انقاب المدينة اى على ابوابها ملايكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال
وفي رواية لها اى المدينة سبعة ابواب على كل باب ملك **فان قيل** كيف مدحت
المدينة بعدم دخول الطاعون وكيف ارسله صلى الله عليه وسلم الى الشام مع
انه شهادة واجيب بانه انما ارسله الى الشام لما تقدم وصينت عنه بعد
انتقا ما تقدم لان سببه طعن كفار الجن وشياطينهم فمنع من المدينة احتراما
لها ولم يتفق دخول الطاعون لها فى زمن الازمنة بخلاف مكة فانه وجد بها
فى بعض السنين وهى سنة تسع واربعين وسبعماية ويقال انه وقع فى سنة تسع
وثلاثين بعد الالف لما هدم السيل الكعبة اى الجانب الذى جهة الحجر قال بعضهم
فمن حين انهدم وجاء الطاعون بمكة واستمر الى ان قاموا الاخشاب موضع المنهدم

وجعلوا

وجعلوا عليها الستر فعند ذلك ارتفع الطاعون كذا اخبر بعض الثقات من
اهل مكة وكونه لم يتفق دخول الطاعون فى المدينة فى زمن من الازمنة
يخالف قول بعضهم وفى السنة السادسة من الهجرة وقع طاعون فى المدينة
افنى الخلق وهو اول طاعون وقع فى الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
وقع بارض فلا تخرجوا منها واذا سمعتم به فى ارض فلا تقربوها **ويروى** انه لما قدم
صلى الله عليه وسلم المدينة رفع يديه وهو على المنبر وقال اللهم انقل عنا الوبا ثلاثا اى
وفيه ان هذا قد يخالف ما سبق من ان هذا كان فى اخر الامر لا عند قدومه المدينة
الا ان قدومه كان من سفر لا للهجرة **وفي** الحديث سيأتى على الناس زمان يلتمسون
فيه الرخا فيحملون باهليهم الى الرخا والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون لا يلبث فيها
احد فيصبر للاوايها وشدتها حتى يموت الا كنت له يوم القيمة شهيدا وشفيعا
وفي مسلم لا يصبر على لاوى المدينة وشدتها احد من امتى الا كنت له شفيعا
يوم القيمة او شهيدا اى شفيعا للعاصى وشهيدا للطايع واللاوا بالمد الجوع
وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من استطاع منكم ان يموت بالمدينة
فليمت فانى اشفع لمن يموت بها لا يريد احد اهل المدينة بسوء الا اذابه الله تعالى
ذوب الملح فى الما وفى لفظ اذابه الله فى النار ذوب الرصاص او ذوب الملح فى
الما لا تقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارها كما ينفى الكير خبث الحديد اى
وتقدم ان هذا ليس عاما فى الازمنة ولا فى الاشخاص **وفي** رواية فى مسلم انها
تنفى الخبث كما تنفى النار خبث الفضة وفى رواية مكة والمدينة ينفيان
الذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد من اخاف اهل المدينة ظلما اخافه الله عز
وجل وعليه لعنة الله والملايكة والناس لا يقبل الله منه يوم القيمة صرفا
ولا عدلا اى وبهذا الحديث تمسك من جوز اللعن على يزيد لما تقدم عنه فى المحنة
المدينة فى وقعة الحرة ورد بانه لا دلالة فيه على جواز لعن يزيد باسمه والكلام
انما هو فيه وانما يدل على جواز لعنه بالوصف وهو من اخاف اهل المدينة وليس
الكلام فيه والفرق بين المقامين واضح وهو كما علمت وجا اهل المدينة جيرانى
ما اجتنبوا الكباير من حفظهم كنت له شهيدا او شفيعا يوم القيمة ومن
لم يحفظهم سقوا من طينة الخبال اى وهى عصارة اهل النار وفى لفظ من اخاف هذا
الحى من الانصار فقد اخاف ما بين هذين ووضع يده على جنبه ومن خصايصها
ان ترابها شفا من الجذام كما تقدم زاد بعضهم ومن البرص بل من كل دا وعجوتها
شفا من السم اى وفى حديث تخرب المدينة قبل يوم القيمة باربعين سنة

اى وان خرابها يكون من الجوع وان خراب اليمن يكون من الجراد اى وقد دعى صلى
الله عليه وسلم على الجراد فقال اللهم اهلك الجراد واقتل كباره واهلك صغاره
واقطع دابره وخذ بافواهها عن مواشينا وارزاقنا انك سميع الدعا وفى مسلم
عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه كان صلى الله عليه وسلم يؤتى باول الثمر فيقول اللهم
بارك لنا فى مدينتنا وفى ثمارنا وفى مدنا وفى صاعنا بركة مع بركة ثم يعطيه اصغر
من الولدان اللهم ان ابراهيم عبدك وخليلك ونبيك دعاك لمكة وانى عبدك ونبيك
ادعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه ثم بنى صلى الله عليه وسلم بقية
الحجر المتسعة عند الحاجة اليها اى وفى هذا هو الموافق لما سبق ان بعضها بنى مع المسجد
وبنى حجرة سودة وحجرة عايشة رضى الله تعالى عنهما كما تقدم وفى كلام ايمتنا
ان بيوته كانت مختلفة واكثرها كان بعيدا عن المسجد وكلام الاصل يقتضى انها
بنيت كلها فى السنة الاولى من الهجرة حيث قال وفيها اى السنة الاولى بنى مسجده
ومساكنه اى وخط صلى الله عليه وسلم للمهاجرين فى كل ارض ليست لاحد وفيما
وهبه له الانصار من خططها واقام قوم منهم ممن لم يمكنهم البنا بقبا عند من نزلوا
عليهم قال عبد الله بن زيد الهذلى رايت بيوت ازواج النبى صلى الله عليه وسلم حين
هدمها عمر بن عبد العزيز بامر الوليد بن عبد الملك اى بعد موت ازواجه قال بعضهم
حضرت كتاب الوليد بن عبد الملك يقرا بادخالها فى المسجد فما رايت اكثر باكيا
من ذلك اليوم اى وكانت تسعة اربعة مبنية باللبن اى وسقفها من جريد
النخل مطين بالطين ولها حجر من جريد اى غير بيت ام سلمة فانها جعلت حجرتها
بنا وكان صلى الله عليه وسلم فى غزاة دومة الجندل فلما قدم دخل عليها اول نسائه
فقال لها ما هذا البنيان قالت اردت ان اكف ابصار الناس فقال ان شر ما ذهب
فيه مال المرء المسلم البنيان وعن على رضى الله تعالى عنه ان لله بقاعا تسمى المنتقمات
فاذا اكتسب الرجل المال من حرام سلط الله عليه الما والطين ثم لا يمتعه به اى وكانت
تلك الحجر التى من الجريد مغشاة من خارج بمسوح الشعر وخمسة ابيات من جريد
مطينة لا حجر لها على ابوابها ستور من مسوح الشعر اى وهى التى يقال لها البلادين
ذرع الستر فوجد ثلاثة اذرع فى ذراع هذا وفى كلام السهيلى كانت مساكنه
مبنية من جريد عليه طين وبعضها من حجارة مرصوصة وسقوفها كلها من
جريد وكانت حجرته عليه السلام اكسية من شعر مربوطة بخشب من عرعر هذا
كلامه قال بعضهم وليتها تركت ولم تهدم حتى يقصر الناس عن البنا ويروا ما
رضى الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ومفاتيح خزائن الارض بيده اى فان ذلك

ما يزهد الناس فى التكاثر والتفاخر فى البنيان وجا انه صلى الله عليه وسلم
خرج الى بطن طرق المدينة فراى فيه مشرعة قال ما هذه قالوا هذه لرجل من الانصار
فجا ذلك الرجل فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم فاعرض عنه فعل ذلك مرارا فاعلم
بالقصة فهدمها الرجل وعن الحسن البصرى قال كنت وانا مراهق ادخل بيوت
ازواج النبى صلى الله عليه وسلم فى خلافة عثمان فاتناول سقفها بيدى اى لان الحسن
البصرى ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب يقينا وكان ابنا لمولاة لام
سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم اسمها خيرة وكانت تخرجه للصحابة يباركون
عليه واخرجته الى عمر فدعى له بقوله اللهم فقهه فى الدين وحببه الى الناس وكان
والده من جملة السبى الذى سباه خالد فى خلافة الصديق من العرب وروى
عن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه لان عمره كان قبل ان يخرج على من المدينة
الى الكوفة وذلك بعد قتل عثمان اربعة عشر سنة قيل له يا ابا سعيد انك تقول
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانك لم تدركه فقال لذلك السايل كل شى سمعتنى
اقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو عن على بن ابى طالب غير انى فى زمان لا استطيع
ان اذكر عليا اى خوفا من الحجاج وقد اخرج له عن على جماعة من الحفاظ كالترمذى والنساى
والحاكم والدارقطنى وابو نعيم بما بين حسن وصحيح وبه يرد قول من انكر انه لم يسمع من على
لان المثبت مقدم على النافى او هو محمول على انه لم يسمع من على بعد خروج على من المدينة
قال بعضهم وتلك الفصاحة التى كانت عند الحسن والحكمة من قطرات لبن شربها من
ثدى ام المومنين ام سلمة رضى الله تعالى عنها فان امه ربما غابت فيبكى فتعطيه ام سلمة
ثديها تعلله به الى ان تجى امه فربما در عليه ثديها فشربه قال بعضهم كان الحسن البصرى
اجل اهل البصرة وفى كلام ابن كثير كان الحسن البصرى شكلا ضخما طوالا
هذا كلامه وكان اذا اقبل كانه اقبل من دفن حميمه واذا جلس فكانه اسير امر بضرب
عنقه واذا ذكرت النار فكانها لم تخلق الا له وعن الواقدى كان لحارثة بن النعمان
منازل قرب المسجد وحوله فكلما اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم اهلا تحول
له حارثة عن منزل حتى صارت منازله كلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم اى وهذا
يخالف ما تقدم عن الاصل من ان مساكنه بنيت فى السنة الاولى ومات عثمان
ابن مظعون وهو اخوه صلى الله عليه وسلم من الرضاعة وامر صلى الله عليه وسلم
ان يرش قبره بالما ووضع حجرا عند راس القبر اى بعد ان امر رجلا ان ياتيه بحجر
فاخذ الرجل حجرا ضعف عن حمله فقام اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحسر
عن ذراعيه ثم حمله ووضعه فى المحل المذكور وقال اتعلم به قبر اخى وادفن اليه

من مات من اهلي اي ومن ثم دفن عثمان بن مظعون وهو ميت قالت ورايت
ولده ابراهيم عند رجليه وعن عايشة رضي الله تعالى عنها انها انه صلى الله عليه وسلم
قبل عثمان بن مظعون وهو ميت قالت ورايت دموع رسول الله صلى الله عليه وسلم
على خدي عثمان بن مظعون اي وفي الاستيعاب انه مات بعد شهوده بدرا فلما غسل
وكفن قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عينيه ولا معارضة بينه وبين خبر
عايشة رضي الله تعالى عنها السابق كما لا يخفى وجعل النساء يبكون فجعل عمر
يسكتهن فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا عمر ثم قال اياكن ونعيق الشيطان
ومهما كان من العين فمن الله ومن الرحمة وما كان من اليد واللسان فمن الشيطان
وقالت امراته وهي خولة بنت حكيم وقيل ام العلاء الانصارية وكان نزل عليها
وقيل ام خارجة بن زيد طبت هنيئا لك الجنة ابا السائب فنظر اليها رسول الله صلى
الله عليه وسلم نظرة غضب وقال وما يدريك فقالت يا رسول الله فارسك وصاحبك
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ادري ما يفعل بي فاشفق الناس على
عثمان وعن عايشة رضي الله تعالى عنها ان خولة بنت حكيم دخلت عليها وهي متشوشة
الخاطر فقالت لها عايشة ما بالك قالت زوجي تعني عثمان بن مظعون يقوم الليل ويصوم
النهار فدخل النبي صلى الله عليه وسلم على عايشة فذكرت له ذلك فلقي عثمان فقال له يا عثمان
ان الرهبانية لم تكتب علينا اما لك بي اسوة والله ان اخشاكم لله وحدوده لانا اي
وسماه السلف الصالح فقال عند دفن ولده ابراهيم الحق بسلفنا الصالح وقال
عند دفن زينب بنته الحقي بسلفنا الخير عثمان بن مظعون ومات اسعد بن
زرارة ووجد اي حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدا شديدا عليه وكان
نقيبا لبني النجار فلم يجعل لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نقيبا بعده اي
بعد ان قالوا له اجعل لنا رجلا مكانه يقيم من امرنا ما كان يقيم وقال لهم انتم
اخوالي وانا نقيبكم وكره ان يخص بذلك بعضهم دون بعض فكانت من مفاخرهم
اي ووهم ابن منده وابو نعيم في قولهما ان ابا امامة كان نقيبا لبني ساعدة لانه
صلى الله عليه وسلم كان يجعل نقيب كل قبيلة منهم ومن ثم كان نقيب بني ساعدة
سعد بن عبادة اي وقد قيل انه قبل قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة ذهب هو
واصحابه فصلى على قبره وقال اللهم اغفر له وارحمه وارض عنه وقد قيل وهي اول
صلاة صليت في الاسلام على الميت بناء على ان المراد بالصلاة حقيقتها والا جاز
ان يراد بالصلاة الدعاء ويوافق ذلك قول الامتاع لم اجد في شيء من كتب السير
متى فرضت الصلاة الجنازة ولم ينقل انه صلى الله عليه وسلم صلى على عثمان بن مظعون

وقد

وقد مات في السنة الثانية وكذلك اسعد بن زرارة مات في السنة الاولى ولم
ينقل انه صلى الله عليه وسلم صلى عليه الصلاة الحقيقية وقد تقدم ذلك وتقدم
ما فيه وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والانصار وادع فيه
يهود اي بني قينقاع وبني قريظة وبني النضير اي صالحهم على ترك الحرب والاذى
اي ان لا يحاربهم ولا يؤذيهم وان لا يعينوا عليه احدا وانه ان دهمه بها عدو ينصروه
وعاهدهم واقرهم على دينهم واموالهم وقد ذكر في الاصل صورة الكتاب وآخا
صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار في دار انس بن مالك وهي دار ابي طلحة بلغ
زوج ام انس اي واسمه زيد بن سهل وقد ركب البحر غازيا فمات فلم يجدوا جزيرة
يدفنوه فيها الا بعد سبعة ايام فدفنوه بها ولم يتغير وعن انس ان ابا طلحة لم
يكن يكثر من الصوم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب الغزو فلما مات صلى
الله عليه وسلم سرد الصوم وكانت المواخاة بعد بنا المسجد وقيل والمسجد يبنى
على المواساة والحق وان يتوارثوا بعد الموت دون ذوي الارحام وفي لفظ دون
القرابة فقال تاخوا في الله اخوين اخوين اقول ذكر ابن الجوزي عن زيد بن ابي
اوفى قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد المدينة فجعل يقول اين
فلان بن فلان فلم يزل يتفقدهم ويبعث اليهم حتى اجتمعوا عنده فقال اني محدثكم
بحديث فاحفظوه وعوه وحدثوا به من بعدكم ان الله اصطفى من خلقه خلقا ثم تلا
هذه الاية الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس واني اصطفي منكم من احب
ان اصطفيه واواخي بينكم كما اخى الله تعالى بين ملائكته قم يا ابا بكر فقام فجثى
بين يديه فقال ان لك عندي يدا الله يجزيك بها ولو كنت متخذا خليلا لاتخذتك
خليلا فانت مني بمنزلة قميصي من جسدي وحرك قميصه بيده ثم قال ادن يا عمر
فدنا فقال قد كنت شديد الباس علينا يا ابا حفص فدعوت الله ان يعز بك الدين
او بابي جهل ففعل الله ذلك بك وكنت احبهما الى الله فانت معي في الجنة ثالث
ثلاثة من هذه الامة وآخا بينه وبين ابي بكر هذا كلام ابن الجوزي وهو يقتضي انه
صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة اخا بين اخا المهاجرين وهذا لا يتم الا لو آخى بين غير
ابي بكر وعمر من المهاجرين ويكون ابن ابي اوفى اقتصر ايضا اي كما آخا بينهم قبل
الهجرة والمعروف المشهور ان المواخاة انما وقعت مرتين مرة بين المهاجرين قبل
الهجرة ومرة بين المهاجرين والانصار بعد الهجرة والله اعلم ويدل لذلك قول
بعضهم كانوا اذ ذاك خمسين من المهاجرين وخمسين من الانصار اي وقيل كانوا
تسعين فاخا بين ابي بكر وخارجة بن زيد وكان صهرا لابي بكر كانت ابنته تحت

بين ابى بكر وبين عمر وعتبان بن مالك وبين ابى رويم الخثعمى وبين بلال وبين اسيد
ابن حضير وبين زيد بن حارثة وكان اسيد ممن كناه النبى صلى الله عليه وسلم
كناه ابا عيسى وكان من احسن الناس صوتا بالقران وكان احد العقلاء اهل الراى
وكان الصديق يكرمه ولا يقدم عليه احدا واخا بين ابى عبيدة وبين سعد بن معاذ
واخا بين عبد الرحمن بن عوف وبين سعد بن الربيع وعند ذلك قال سعد لعبد الرحمن
يا عبد الرحمن انى من اكثر الانصار مالا فانا مقاسمك وعندى امراتان فانا مطلق
احداهما فاذا انقضت عدتها فتزوجها فقال له بارك الله لك فى اهلك ومالك وفى
الاصل عن ابن اسحاق اخا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصحابه من المهاجرين
والانصار فقال تاخوا فى الله اخوين اخوين وفى كلام بعضهم انه صلى الله
عليه وسلم اخا بين حمزة وبين زيد بن حارثة واليه اوصى حمزة يوم احد فليتامل لانهما
مهاجران ثم اخذ بيد على بن ابى طالب وقال هذا اخى فكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعلى اخوين وفيه ان هذا ليس من المواخاة بين المهاجرين والانصار
وقد تقدم فى المواخاة بين المهاجرين قبل الهجرة مواخاته له صلى الله عليه وسلم
واخا بين المهاجرين قبل الهجرة مواخاته له صلى الله عليه وسلم واخا بين جعفر
ابن ابى طالب وهو غايب بالحبشة وبين معاذ بن جبل اى ارصد معاذا الاخوة لجعفر
اذا قدم من الحبشة وبه يرد ما قيل جعفر بن ابى طالب انما قدم فى فتح خيبر سنة
سبع فكيف يواخى بينه وبين معاذ بن جبل اول مقدمه عليه السلام واخا
بين ابى ذر الغفارى والمنذر بن عمرو وبين حذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر وبين
مصعب بن عمير وابى ايوب وفى الاستيعاب انه اخى بين سلمان وابى الدرداء وجا
سلمان لابى الدرداء زائرا فراى ام الدرداء متبذلة فقال ما شانك قالت ان اخاك ليس
له حاجة فى شئ من الدنيا فقال له سلمان ان لربك عليك حقا ولاهلك عليك حقا
ولجسدك عليك حقا فاعط كل ذى حق حقه فاتى ابو الدرداء النبى صلى الله عليه وسلم
عما قال سلمان فقال له مثل ما قال سلمان ولعل هذه المواخاة بين سلمان وابى الدرداء
كانت قبل سلمان لانه تاخر عتقه عن احد لان اول مشاهده الخندق كما تقدم
وروى الامام احمد عن انس انه اخا بين ابى عبيدة وبين ابى طلحة وقد تقدم انه
اخا بينه وبين سعد بن معاذ وقال المهاجرون يا رسول الله ما راينا مثل قوم قدمنا
عليهم احسن مواساة فى قليل ولا احسن بذلا فى كثير كفونا المؤنة واشركونا
فى المهنا اى الحدمة حتى لقد خشينا ان يذهبوا بالاجر كله قال لا ما اثنيتم عليهم
ودعوتم لهم اى فان ثناءكم عليهم ودعاءكم لهم حصل منكم نوع مكافاة قال بعضهم

والمؤاخاة

والمؤاخاة من حصرها ثم انه صلى الله عليه وسلم قال من لى بعياش بن ابى ربيعة وهشام بن
العاص اى المحبوسين عند قريش المانعين لهما من الهجرة فقال الوليد بن الوليد بن المغيرة
اى بعد ان خرج الى المدينة من حبس اهله له بمكة كما تقدم انا لك يا رسول الله بهما
فخرج الى مكة فقدمها مستخفيا فلقى امراة تحمل طعاما فقال لها اين تريدين يا امة الله قالت
اريد هذين المحبوسين تعنيهما فتبعها حتى عرف موضعهما وكانا فى بيت لا سقف له
فلما امسى تسور عليهما ثم اخذ مروة اى حجرا فوضعها تحت قيدهما ثم ضربهما بسيفه فقطعهما
فكان يقال لسيفه ذو المروة ثم حملهما على بعيره وساق بهما فعثر فدميت اصبعه
فانشد متمثلا
هل انت الا اصبع دميت ... وفى سبيل الله ما لقيت
ثم قدم بهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم ان ذلك يرد القول بان عياشا
استمر محبوسا حتى فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قنوت الصلاة بقوله اللهم انج الوليد
ابن الوليد اى وذلك قبل ان يتخلص من حبسه بمكة اى فان الوليد اسر يوم بدر
اسره عبد الله بن جحش فقدم فى فداءه اخواه خالد وكان اخاه لابيه وهشام وكان
اخاه لامه وسن ثم الى عبد الله ان ياخذ فى فداء الوليد الا اربعة الاف درهم وصار
خالد يابى ذلك قال له هشام انه ليس بابن امك والله لو ابى فيه الا كذا وكذا لفعلت
ويقال انه صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن جحش لا تقبل فى فدائه الا شكته وهى
درع فضفاضة مقومة بمائة دينار وطا عاه وسلماها الى عبد الله فلما افتدى وقدم
الى مكة اسلم فقيل له هلا اسلمت قبل ان تفتدى فقال كرهت ان يظنوا بى انى
جزعت من الاسر فلما اسلم حبسه اهله بمكة ثم افلت فلحق برسول الله صلى الله عليه
وسلم وشهد عمرة القضا وكتب الى اخيه خالد فوقع الاسلام فى قلب خالد وكان خالد
من جملة من خرج من مكة فرارا لئلا يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه كراهة للاسلام
واهله فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد عنه وقال لو اتانا خالد لاكرمناه
وما مثله يجهل الاسلام فكتب له اخوه الوليد بذلك وفى مدة حبس الوليد كان صلى
الله عليه وسلم فى كل ليلة اذا صلى العشاء الاخرة قنت فى الركعة الاخيرة يقول اللهم
انج الوليد بن الوليد اللهم نج سلمة بن هشام اللهم نج عياش بن ابى ربيعة اللهم نج هشام
ابن العاص اللهم نج المستضعفين من المؤمنين اللهم اشدد وطاتك على مضر اللهم
اجعلها عليهم سنين مثل سنى يوسف فاكلوا العلهز ثم لم يزل يدعو للمستضعفين
حتى نجاهم الله اى بعد ان نجا عياش وهشام والوليد اقول هذه الرواية تدل على انه
كان يدعو بما ذكر فى الركعة الاخيرة من العشاء الاخرة وفى البخارى ان ذلك كان

فى الركعة الاخيرة من الصبح وقد يقال لا مخالفة لانه كان تارة يدعو فى الركعة
الاخيرة من صلاة العشا الاخيرة وتارة فى الركعة الاخيرة من الصبح او كان يدعو
بذلك فيهما وكل روى بحسب ما راى والله اعلم ثم لا زال المهاجرون والانصار ه
يتوارثون بذلك الاخا دون القرابات اى الى ان نزل قوله تعالى فى وقعة بدر واولوا
الارحام اى القرابات بعضهم اولى ببعض اى فى الارث فى كتاب الله اى اللوح المحفوظ
فنسخ ذلك اى لانه كان الغرض من المواخاة ذهاب وحشة الغربة ومفارقة
الاهل والعشيرة وشد ازر بعضهم اولى ببعض فلما عز الاسلام واجتمع الشمل وذهبت
الوحشة بطل التوارث ورجع كل انسان الى نسبه وذوى رحمه اى ومن ثم قيل
لزيد بن حارثة زيد بن حارثة بعد ان كان يقال له زيد بن محمد **اقول** تقدم ان
سبب امتناع ان يقال زيد بن محمد نزول قوله تعالى ادعوهم لابائهم اى ومن ثم قيل
للمقداد بن عمرو وكان يقال له المقداد بن الاسود لان الاسود كان تبناه فى الجاهلية
ومن لم يعرف ابوه رد الى مواليه ومن ثم قيل لسالم مولى ابى حذيفة بن عتبة بن ربيعة
ابن عبد شمس بعد ان كان يقال له سالم بن ابى حذيفة فكان ابو حذيفة يرى
انه ابنه ومن ثم انكحه ابنة اخيه فاطمة بنت الوليد بن عتبة وجاءت سهلة
بنت سهيل بن عمرو امراة ابى حذيفة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
يا رسول الله انا كنا نرى سالما ولدا وكان يدخل على وقد بلغ ما يبلغ الرجال
وانه يدخل على واظن فى نفس ابى حذيفة من ذلك شى فماذا ترى فيه فقال
ارضعيه تحرمى **وعن** ام سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قلن لعايشة ما نرى
هذه الا رخصة رخصها رسول الله صلى الله عليه وسلم لسالم وكان سالم رضى الله
تعالى عنه يؤم المهاجرين الاولين فى مسجد قبا فيهم ابو بكر وعمر **وفى** ينبوع الحياة
كانت المواخاة بين المهاجرين والانصار توجب التوارث بينهم ثم نسخ ذلك قبل
العمل به واما قول ابن عباس كانوا يتوارثون بذلك حتى نزلت واولوا الارحام
فمعناه انهم التزموا هذا الحكم ودانوا به ومن المشكل حينئذ ما نقل ان الحباب
بضم الحا وفتح المثناة فوق مخففة كان صلى الله عليه وسلم اخى بينه وبين معاوية
ولما مات الحباب عند معاوية فى خلافته ورثه بالاخوة مع وجود اولاده ثم
رايت الحافظ ابن حجر فى الاصابة ذكر ذلك ونظر فيه والله اعلم ه

باب بدء الاذان ومشروعيته

اى والاقامة
ومشروعيتها وكل منهما من خصايص هذه الامة كما ان من خصايصها الركوع
والجماعة وافتتاح الصلاة بالتكبير فان صلاة الامم السابقة كانت لا ركوع

فيها

فيها ولا جماعة وكانت الانبيا كامتهم يستفتحون الصلاة بالتوحيد والتسبيح والتهليل
او وكان دابه صلى الله عليه وسلم فى احرامه لفظ الله اكبر ولم ينقل عنه سواها اى كالنية
ولا يشكل على الركوع قوله تعالى لمريم واسجدى واركعى مع الراكعين لان المراد به فى ذلك
الخضوع او الصلاة لا الركوع المعهود كما قيل به لكن فى الينبوع قيل انما قدم السجود
على الركوع لانه كان كذلك فى شريعتهم وقيل بل كان الركوع قبل السجود فى الشرايع
كلها وليست الواو للترتيب بل للجمع هذا كلامه وكان وجود ذلك اى الاذان والاقامة
فى السنة الاولى وقيل فى الثانية ه ذكر ان الناس انما كانوا يجتمعون للصلاة لتحين
مواقيتها اى لدخول اوقاتها من غير دعوة اى وقدم لابن المنذر انه صلى الله عليه وسلم كان
يصلى بغير اذان منذ فرضت الصلاة بمكة الى ان هاجر الى المدينة الى ان وقع التشاور **وقد**
وردت احاديث تدل على ان الاذان شرع بمكة قبل الهجرة من تلك الاحاديث ما فى
الطبرانى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال لما اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم اوحى
الله تعالى اليه بالاذان فنزل به وعلمه بلالا قال الحافظ ابن حجر هو حديث موضوع ه
ومنها ما رواه ابن مردويه عن عايشة مرفوعا لما اسرى بى اذن جبريل فظنت الملايكة انه
يصلى بهم فقدمنى فصليت قال فيه الذهبى حديث منكر بل موضوع هذا كلامه
على انه يدل على ان المراد بالاذان الاقامة كما تقدم انها المرادة بالاذان انتهى **اقول** ومن
اغرب ما وقع فى بدء الاذان ما رواه ابو نعيم فى الحلية بسند فيه مجاهيل ان جبريل
نادى بالاذان لادم حين اهبط من الجنة بسند فيه مجاهيل ان جبريل نادى بالاذان
لادم حين اهبط من الجنة وقد سيل الحافظ السيوطى هل ورد ان بلالا او غيره اذن
بمكة قبل الهجرة فاجاب بقوله ورد ذلك باسانيد ضعيفة لا يعتمد عليها والمشهور
الذى صححه اكثر العلما ودلت عليه الاحاديث الصحيحة ان الاذان انما شرع
بعد الهجرة وانه لم يؤذن قبلها لا بلال ولا غيره وذكر فى الدر فى قوله تعالى ومن احسن
قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا انها نزلت بمكة فى شان المؤذنين والاذان انما شرع
فى المدينة فهى مما تاخر حكمه عن نزوله هذا كلامه **وفى** كلام الحافظ ابن حجر
ما يوافقه حيث ذكر ان الحق انه لا يصح شى من الاحاديث الدالة على ان الاذان
شرع بمكة قبل الهجرة وذكر ما تقدم عن ابن المنذر من انه صلى الله عليه وسلم كان يصلى
بغير اذان منذ فرضت الصلاة بمكة الى ان هاجر الى المدينة والى ان وقع التشاور
فى ذلك اى **فعند** اهتمامه صلى الله عليه وسلم هو واصحابه بكيفية جمع الناس للصلاة فقيل
له انصب راية عند حضور الصلاة فاذا راها الناس اذن اى اعلم بعضهم بعضا
فلم يعجبه ذلك فذكر له بوق يهود اى ويقال له الشبور بفتح المعجمة ثم موحدة مشددة

مضمومة ثم واو ساكنة ثم زاء ويقال له القبع بضم القاف واسكان الموحدة وقيل
بفتحها وقيل باسكان النون وبالعين المهملة قال السهيلي وهو اولى بالصواب
وقيل بالمثناة فوق وقيل بالمثلثة وهو القرن الذي يدعون به لصلاتهم اي
يجتمعون لها عند سماع صوته فكرهه صلى الله عليه وسلم وقال هو من امر اليهود
فذكر له الناقوس الذي يدعون به النصارى لصلاتهم فقال هو من امر النصارى
اي فقالوا رفعنا نارا اي فاذا رآها الناس اقبلوا الى الصلاة فقال ذلك للمجوس
وقيل كما في حديث الشيخين عن ابن عمر ان عمر رضي الله تعالى عنه قال اولا تبعثون
رجلا ينادي بالصلاة اي بحضورها اي ففعلوا ذلك وكان المنادي هو بلال
رضي الله عنه قال الحافظ ابن حجر وكان اللفظ الذي ينادي به بلال اي قبل
رؤيا عبد الله الصلاة جامعة كما رواه ابن سعد وسعيد بن منصور عن سعيد
ابن المسيب مرسلا وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قال لقد هممت ان ابث رجالا ينادون
الناس بحين الصلاة اي بحينها اي وقتها وحتى هممت ان امر رجالا تقوم على
الآطام ينادون المسلمين بحين الصلاة اي ولعل هذا كان منه صلى الله
عليه وسلم قبل وقوع ما تقدم عن بلال ثم امر بلالا بما تقدم وقيل ائتمر رسول الله
صلى الله عليه وسلم هو واصحابه بالناقوس اي اتفقوا عليه فنحت ليضرب به للمسلمين
اي وهو خشبة طويلة يضرب عليها بخشبة صغيرة فنام عبد الله بن زيد فارى
الاذان والاقامة في منامه رضي الله تعالى عنه قال لما امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالناقوس طاف بي وانا نائم رجل وفي لفظ اني لبين نائم ويقظان
طاف بي رجل والمراد انه نائم نوما خفيفا قريبا من اليقظة فرجحه كالمتوسطة
بين النوم واليقظة قال الحافظ السيوطي الظاهر من هذا ان يحمل على الحالة التي
تعتري ارباب الاحوال ويشاهدون فيها ما يشاهدون ويسمعون ما يسمعون
والصحابة هم رؤوس ارباب الاحوال اي وهذه الحالة هي التي عناها الشيخ عبد الله
الدلاصي بقوله كنت بالمسجد الحرام في صلاة الصبح فلما احرم الامام واحرمت
اخذتني اخذة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي اماما وخلفه العشرة
فصليت معهم فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركعة الاولى سورة المدثر
وفي الثانية عم يتساءلون ثم سلم الامام فعقلت تسليمه فسلمت اي ويدل لذلك
قول ابن عباس عبد الله بن زيد كما في رواية ولولا ان يقول الناس اي يستبعدون
الناس ذلك لقلت اني كنت يقظانا غير نائم وذلك الرجل عليه ثوبان اخضران
يحمل ناقوسا في يده فقلت يا عبد الله اتبيع الناقوس قال وما تصنع به فقلت

تدعوا

ندعو به الى الصلاة قال افلا ادلك على ما هو خير لك من ذلك فقلت بلى
اي وفي رواية فقلت اتبيع الناقوس فقال ماذا تريد به فقلت اريد ان ابتاعه
لكي اضرب به للصلاة لجماعة الناس قال فانا احدثك بخير لكم من ذلك فقلت
بلى قال تقول الله اكبر الله اكبر الله اكبر الله اكبر اشهد ان لا اله الا الله اشهد
ان لا اله الا الله اشهد ان محمدا رسول الله اشهد ان محمدا رسول الله حي على الصلاة
حي على الصلاة حي على الفلاح حي على الفلاح الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله
قال عبد الله ثم استأخر عني اي ذلك الرجل غير بعيد ثم قال وتقول اذا اقمت الى
الصلاة الله اكبر الله اكبر اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان محمدا رسول الله حي على
الصلاة حي على الفلاح قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة الله اكبر الله اكبر
لا اله الا الله اي ففي هذه الرواية افراد لفظ الاقامة الا لفظها ولفظ التكبير
اولا واخرا وفي رواية رأى رجلا عليه ثياب خضر وهو قائم على سقف المسجد
وفي رواية على جذم حائط بكسر الجيم وسكون المعجمة اي اصل الحائط ولا مخالفة لما
سيعلم فاذن ثم قعد قعدة ثم قام فقال مثلها اي مثل الكلمات اي كلمات الاذان الا انه
يقول قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة اي زيادة على تلك الكلمات التي هي الاذان
ففي هذه الرواية تثنية الفاظ الاقامة والاتيان بالتكبير في اولها اربعا كالاذان
اي وهذا اي كونه على سقف المسجد وكونه على جذم حائط لا مخالفة بينهما لانه يجوز
ان يكون لما قال له تقول الله اكبر الى آخر الاذان والاقامة كان قائما على سقف المسجد قريبا
من جذم الحائط فنسب قياما الى كل منهما ويكون قوله ثم استأخر عني غير بعيد اي سكت
غير طويل قال عبد الله فلما اصبحت اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بما رأيت
اي وفي رواية انه اتاه ليلا واخبره وهي المذكورة في سيرة الحافظ الدمياطي ولا
منافاة لانه يجوز ان يكون من قول عبد الله فلما اصبحت اي قاربت الصباح فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم انها لرؤيا حق ان شاء الله تعالى فقم مع بلال فالق عليه
ما رأيت فليؤذن به فانه اندى وفي رواية امد صوتا منك اي اعلى وارفع وقيل
احسن واعذب ولا مانع من ارادة ذلك كله هنا فقمت مع بلال وفي رواية فقال لبلال
قم فانظر ما امرك به عبد الله بن زيد فافعله فجعلت القيه عليه ويؤذن به اي فبلال اول
مؤذنيه صلى الله عليه وسلم اي وقيل اول مؤذنيه عبد الله بن زيد ذكره الامام
والغزالي وانكره ابن الصلاح اي حيث قال لم اجد هذا بعد البحث عنه هذا كلامه
الله وقد يقال لا منافاة لان عبد الله اول من نطق بالاذان وبلال اول من اعلن به وحينئذ
يكون اول [illegible] وعينئذ كان في اذان الصبح فلما سمع بذلك اي باذان بلال عمر بن الخطاب

ويتوفى بيته خرج يجر رداءه وفي رواية ازاره اي عجلا اي وقد اعلم بالقصة فقال والذي بعثك بالحق يا رسول الله لقد رايت مثل ما راى يعني عبد الله بن زيد رضي الله تعالى عنه وفي رواية مثل ما يقول اي بلال رضي الله تعالى عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلله الحمد قال الترمذي عبد الله بن زيد هو ابن عبد ربه لا نعرف له عن النبي صلى الله عليه وسلم شيئا يصح الا هذا الحديث الواحد في الاذان وقيل راى مثل ما راى عبد الله ابو بكر رضي الله عنه وقيل سبعة من الانصار وقيل اربعة عشر قال ابن الصلاح لم اجد هذا بعد امعان البحث وتبعه النووي فقال هذا ليس بثابت ولا معروف وانما الثابت خروج عمر يجر رداءه وقيل رآه صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرا سمع ملكا يؤذن اي فقد جا في حديث بعض رواته متروك بل قيل انه وضيع انه لما اراد الله عز وجل ان يعلم رسوله الاذان جا جبريل عليه السلام بدابة يقال لها البراق فركبها حتى اتى بها الحجاب الذي يلي الرحمن فبينما هو كذلك خرج من الحجاب ملك فقال الله اكبر فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر وذكر بقية الاذان فرؤيا عبد الله دلت على ان هذا الذي رآه في السما يكون سنة في الارض عند الصلوات الخمس اي التي فرضت عليه تلك الليلة اي فلذلك قال انها لرؤيا حق ان شا الله تعالى وفيه ان الذي تقدم عن الخصائص ان المراد بهذا الاذان الذي اتى به الملك الاقامة لا حقيقة الاذان اي ويدل لذلك ان الملك قال فيه قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة فقال الله صدق عبدي انا اقمت فريضتي ثم قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم تقدم فام اهل السما فيهم ادم ونوح قال بعضهم والاذان ثبت بحديث عبد الله باجماع الامة لا يعرف بينهم خلاف في ذلك الا ما روي عن ابن الحنفية وعن ابي العلا قال قلت لمحمد بن الحنفية انا لنتحدث ان بدء هذا الاذان كان من رؤيا راها رجل من الانصار في منامه قال ففزع لذلك محمد بن الحنفية فزعا شديدا وقال عمدتم الى ما هو الاصل في شرايع الاسلام ومعالم دينكم فزعمتم انه انما كان من رؤيا راها رجل من الانصار في منامه يحتمل الصدق والكذب وقد يكون اضغاث احلام قال فقلت له هذا الحديث قد استفاض في الناس قال هذا والله هو الباطل ثم قال وانما اخبرني ابي عليه السلام ان جبريل اذن في بيت المقدس ليلة الاسرا فاقام ثم اعاد جبريل الاذان لما عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم الى السما فسمعه عبد الله ابن زيد وعمر بن الخطاب وفي رواية عنه انه لما انتهى الى مكان من السما وقف به وبعث الله ملكا فقيل له علمه الاذان فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقال الله صدق عبدي انا اكبر الى ان قال قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة وفيه ما علمت اذ هذا

الامر لا الاذان وقد رد عليه بانه لو ثبت بقول جبريل لما احتاج صلى الله عليه وسلم الى المشورة والمعراج كان بمكة قبل الهجرة والاولى ان يتمسك ابن الحنفية بما في بعض الروايات من قوله صلى الله عليه وسلم لعبد الله قد سبقك بذلك الوحي وكونه اتى بالبراق الى الحجاب هو بنا على ان العروج كان على البراق وتقدم ما فيه ويحتمل ان يكون هذا عروجا اخر غير ذلك وحينئذ لا يخالف هذا ما تقدم انه لما اسري به اذن جبريل وتقدم ما فيه ولا ما جاء عن علي رضي الله تعالى عنه مؤذن اهل السما جبريل لجواز حمل ذلك على الغالب وحينئذ لا يخالف ايضا ما جا اسرافيل مؤذن اهل السما واما مهم ميكائيل عند البيت المعمور وفي لفظ يؤمهم بالملائكة في البيت المعمور ولعل كون ميكائيل امام اهل السما الا غالبا ما جاء عن عائشة رضي الله عنها امام اهل السما جبريل لما علم وجا انه مؤذن اهل السما يؤذن لاثنتي عشرة ساعة من النهار ولاثنتي عشرة ساعة من الليل اقول وفي النور لو راه اي الاذان ليلة الاسرا لم يحتج الى ما يجمع به الناس الى الصلاة ويرد بانه لم يكن يعلم قبل هذه الرؤيا ان ما راه في السما يكون سنة للصلوات الخمس التي فرضت عليه تلك الليلة فبتلك الرؤيا علم ان ذلك سنة في الارض كما تقدم وعبارة بعضهم ولا يشكل على اذان جبريل ببيت المقدس ان الاذان انما كان بعد الهجرة لانه لا مانع من وقوعه ليلة الاسرا وشروعيته للصلوات الخمس وهذا كله على تسليم ان المرئي له الاذان حقيقة لا الاقامة وقد علمت ما فيه ثم رايت بعضهم قال واما قول القرطبي لا يلزم من كونه سمعه ليلة الاسرا ان يكون مشروعا في حقه ففيه نظر لقوله في اوله لما اراد الله تعالى ان يعلم رسوله الاذان اي لان المتبادر تعليمه الاذان الذي ياتي به في الارض للصلوات وقد يقال على تسليم ذلك فقد علمت ان المراد بالاذان الذي سمعه ليلة الاسرا الاقامة وقد قال الحافظ ابن حجر الحق انه لم يصح شي من هذه الاحاديث الواردة بانه سمعه ليلة الاسرا ومن ثم قال ابن كثير في بعض الاحاديث الواردة بانه سمع هذا الاذان في السما ليلة المعراج هذا الحديث ليس كما زعم البيهقي انه اليه القرب لجارودية وهو من المتهمين وبهذا يعلم ما في الخصائص الصغرى خص بذكر اسمه في الاذان في عهد ادم وفي الملكوت الاعلى والله اعلم اي وروي بسند واه ان اول من اذن بالصلاة جبريل في سما الدنيا فسمعه عمر وبلال فسبق عمر بلالا فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم ثم جا بلال فقال له سبقك بها عمر وهذا لا دلالة فيه لانه يجوز ان يكون ذلك بعد رؤيا عبد الله وذكر ان عمر راه بعد عشرين يوما وكتمه فلما اخبر صلى الله عليه وسلم بذلك قال له ما منعك ان تخبرني قال سبقني عبد الله بن زيد فاستحييت منه اقول

في هذا الكلام ما لا يخفى فليتأمل والله اعلم وقيل انما قال له انها رؤيا حق لانه يجوز
ان يكون جاءه صلى الله عليه وسلم الوحي بذلك قبل ان يجيء اليه عبد الله بن زيد به
ومن ثم قال له حين اخبره بذلك على ما في بعض الروايات قد سبقك بذلك الوحي
فالاذان انما ثبت بالوحي لا بمجرد رؤيا عبد الله قال بعضهم في قوله تعالى واذا ناديتم
الى الصلاة اتخذوها هزوا الاية كان اليهود اذا نودي للصلاة وقام المسلمون
اليها يقولون قاموا لا قاموا صلوا لا صلوا على طريق الاستهزاء والسخرية وفيها
دليل على مشروعية الاذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده هذا كلامه ورده ابو حيان
بان هذه جملة شرطية دلت على سابقية المشروعية لا على انشائها هذا كلامه اي وذلك
على تسليم ان يكون المدعو به للصلاة خصوص اللفظ الذي وجد في المنام اي وصار
بلال يؤذن بذلك للصلوات الخمس وينادي في الناس لغير الصلوات الخمس لامر
يحدث يطلب له حضور الناس كالكسوف والخسوف والاستسقاء الصلاة جامعة
قيل وكان بلال يقول اذا اذن اشهد ان لا اله الا الله حي على الصلاة فقال له عمر
على اثرها اشهد ان محمدا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال قل
كما قال عمر وهنا روي عن ابن عمر في حديث فيه نار وضعيف ولولا التعبير بكان لامكن
حمل ذلك على ان بلالا اتى بذلك ناسيا في ذلك الوقت لما لقنه عبد الله بن زيد
ثم رايت ابن حجر الهيتمي قال والحديث الصحيح الثابت في اول مشروعية الاذان
يرد هذا هذا كلامه قيل وزاد بلال في اذان الصبح بعد الحيعلات الصلاة خير
من النوم مرتين واقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم اي لان بلالا كان يدعو النبي
صلى الله عليه وسلم للصلاة فيقول له الصلاة فدعاه ذات غداة الى الفجر فقيل ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم نائم فصرخ باعلى صوته الصلاة خير من النوم مرتين
اي اليقظة الحاصلة للصلاة خير من الراحة الحاصلة بالنوم اقول وهذا يقال
له التثويب وذكر فقهاؤنا انه صح انه صلى الله عليه وسلم لقن ذلك لابي محذورة
اي قال له فان كانت صلاة الصبح قلت الصلاة خير من النوم ولا منافاة لان
تعليم ابي محذورة للاذان كان عند منصرفه من حنين على ما سياتي وكذا ما ورد
من انه صلى الله عليه وسلم قال ان ذلك من السنة لانه يجوز ان يكون ذلك صدر منه
بعد ان اقر بلالا عليه بغمزة كما انه لم ينقل ان ابن ام مكتوم كان يقوله اي لقول بلال
له في الاذان الاول ومؤيد لما قالوا انه اذا قيل في الاذان الاول لا يقال في الثاني
لان اذانه للصبح كان متاخرا عن اذان بلال في اكثر الاحوال وهو محمل ما جاء في كثير
من الاحاديث ان بلالا يؤذن بليل فكلوا حتى يؤذن ابن ام مكتوم ومن غير الاكثر

محل

محل ما جاء ان ابن ام مكتوم ينادي بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن بلال اذ ابن
ام مكتوم اعمى فاذا اذن ابن ام مكتوم فكلوا واذا اذن بلال فامسكوا ولا تاكلوا ه
والراجح انه يقوله فيهما لكن ربما يخالف ذلك ما في الموطأ ان المؤذن جاء عمر يؤذنه
لصلاة الصبح فوجده نائما فقال الصلاة خير من النوم فامره عمر ان يجعلها في نداء
الصبح وفي الترمذي ان بلالا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تثويب في
شيء من الصلاة اي من اذان الصلاة الا في صلاة الفجر اي بقول الصلاة خير
من النوم وعن ابن عمر انه سمع الاذان في مسجد فاراد ان يصلي فيه فسمع المؤذن يثوب
في غير الصبح فقال لرفيق له اخرج بنا من عند هذا المبتدع فان هذه بدعة اي سمع
المؤذن يقول بين الاذان والاقامة على باب المسجد الصلاة الصلاة وهذا هو ه
المشهور المراد بالتثويب الذي سمعه ابن عمر كما قاله بعضهم وفي كلام بعضهم من
المحدثات ان المؤذن يجيء بين الاذان والاقامة الى باب المسجد فيقول حي على الصلاة
قيل واول من احدثه مؤذن معاوية فكان ياتيه بعد الاذان وقبل الاقامة
يقول حي على الصلاة حي على الصلاة حي على الفلاح حي على الفلاح يرحمك الله اما
قول المؤذن بين الاذان والاقامة الصلاة الصلاة فليس ببدعة لان بلالا كان يقول
ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم واما قوله حي على الصلاة فهذا لم يعهد في عصره صلى
الله عليه وسلم ثم رايت في درر المباحث في احكام البدع والحوادث اختلف الفقهاء
في جواز دعاء الامير الى الصلاة بعد الاذان وقبل الاقامة بان ياتي المؤذن باب الامير
فيقول حي على الصلاة حي على الفلاح ايها الامير وقربه التثويب واحتج من
قال بجوازه اي بسنيته ان بلالا كان اذا اذن ياتي النبي صلى الله عليه وسلم ثم يقول
حي على الصلاة حي على الفلاح الصلاة يرحمك الله اي كما كان يفعل مؤذن معاوية
فليس من المحدثات وفي الحديث المشهور انه في مرضه صلى الله عليه وسلم اتاه بلال فقال
السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته الصلاة يرحمك الله فقال صلى الله
عليه وسلم له مروا ابا بكر فليصل بالناس واحتج من قال بالمنع بان عمر رضي الله تعالى عنه
لما قدم مكة اتاه ابو محذورة فقال الصلاة يا امير المؤمنين حي على الصلاة حي على الفلاح
فقال ويحك امجنون انت اما كان في دعائك الذي دعوته ما يكفيك حتى تاتينا ولو كان
هذا سنة لم ينكر عليه اي وكون عمر لم يبلغه فعل بلال من البعيد وعن ابي يوسف
لا ادري باسا ان يقول المؤذن السلام عليك ايها الامير ورحمة الله وبركاته حي على
الصلاة حي على الفلاح الصلاة يرحمك الله لاشتغال الامراء بمصالح المسلمين اي ولهذا
كان مؤذن عمر بن عبد العزيز يفعله وذكر بعضهم ان في دولة بني بويه كانت

وبه

الرافضة تقول بعد الحيعلتين حي على خير العمل فلما كانت دولة السلجوقية منعوا المؤذنين من ذلك وامروا ان يقولوا في اذان الصبح بدل ذلك الصلاة خير من النوم مرتين وذلك في سنة ثمان واربعين واربعمائة ونقل عن ابن عمر وعن علي بن عمر وعن علي بن عمر وعن علي بن الحسين انهما كانا يقولولان في اذانيهما بعد حي على الفلاح حي على خير العمل **وورد** الترجيع في خبر اذان ابي محذورة ايضا وبرواية قال قلت يا رسول الله علمني سنة الاذان قال فمسح مقدم راسي وقال تقول اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان محمدا رسول الله اشهد ان محمدا رسول الله تخفض بها صوتك ثم ترفع صوتك بالشهادة اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان محمدا رسول الله اشهد ان محمدا رسول الله وكان ابو محذورة يشفع الاقامة كالاذان اي يكرر الفاظها فيقول الله اكبر الله اكبر الله اكبر الله اكبر اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان محمدا رسول الله اشهد ان محمدا رسول الله حي على الصلاة حي على الصلاة حي على الفلاح حي على الفلاح قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله لقنه صلى الله عليه وسلم ذلك وهي الرواية الثانية التي تقدمت عن عبد الله بن زيد وذكر الامام ابو العباس بن تيمية انا لنقل ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم علم ابا محذورة الاذان فيه الترجيع والاقامة مثناة كالاذان وان بلالا كان يشفع الاذان ويوتر الاقامة اي ولا يرجع الاذان ففي الصحيحين امر بلال ان يشفع الاذان اي وهي شفع الاذان والتكبير اولا اربعا ولم يصح عنه صلى الله عليه وسلم الاقتصار فيه على مرتين وان كان هو عمل اهل المدينة كما سياتي نعم يرد على شفع الاذان التهليل اخره فانه مفرد فالاولى ان يقال الشفع معظم الاذان ويوتر الاقامة الا الاقامة اي لفظها اي وهي قد قامت الصلاة فانه يكررها مرتين يقول قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة ولم يصح عنه صلى الله عليه وسلم افرادها البتة اي وان كان هو عمل اهل المدينة كما سياتي وصح عنه تكرير لفظ التكبير مرتين اولا واخرا وحينئذ يكون المراد بافراد الاقامة افراد معظمها فكان يقول في الاقامة الله اكبر الله اكبر اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان محمدا رسول الله حي على الصلاة حي على الفلاح قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله ولم يكن في اذانه ترجيع اي وهو الاتيان بالشهادتين مرتين سرا ثم ياتي بهما جهرا كما تقدم قال فنقل افراد الاقامة صحيح بلا ريب وتثنيتها صحيح بلا ريب اي وكل روي عن عبد الله بن زيد كما علمت قال اي ابن تيمية فاحمد وغيره اخذوا باذان بلال واقامته اي فلم يستحبوا الترجيع في الاذان واستحبوا افراد

الاقامة

الاقامة الا لفظها **والشافعي** اخذ باذان ابي محذورة واقامة بلال فاستحب الترجيع في الاذان والافراد في الاقامة الا لفظها **وابو** حنيفة اخذ باذان بلال واقامة ابي محذورة اي فلم يستحب الترجيع واستحب تثنية الفاظ الاقامة **قال** في الهدي ولم ياخذ مالك بما عليه عمل اهل المدينة من الاقتصار في التكبير على مرتين في الاذان وعلى كلمة الاقامة مرة واحدة اي ولعل هذا بحسب ما كان في المدينة والا ففي ابي داود ولم يزل ولد ابي محذورة وهم الذين يلون الاذان بمكة يفردون الاقامة اي معظم الفاظها ويحكونه عن جدهم غير ان التثنية عنه اكثر فيحتمل ان اتيان ابي محذورة بالاقامة فرادى واستمراره وولده بعده على ذلك كان بامر منه صلى الله عليه وسلم له بذلك بعد امره اولا له بتثنيتها اي فيكون اخر امره الافراد **وقد** قيل لاحمد وكان ياخذ باذان بلال اي كما تقدم اليس اذان ابي محذورة بعد اذان بلال اي لان النبي صلى الله عليه وسلم علمه له منصرفه من حنين على ما سياتي وهو الذي رواه امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه عن ابي محذورة انه قال خرجت في نفر وكنا ببعض طريق حنين مقفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنين فلقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الطريق فاذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة فسمعنا صوت المؤذن ونحن متنكبون اي عن الطريق فصرنا نحكيه ونستهزئ به فسمع النبي صلى الله عليه وسلم فارسل الينا الى ان وقفنا بين يديه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايكم الذي سمعت صوته قد ارتفع فاشار القوم كلهم الي فحبسني اي ابقاني عنده وارسلهم وقال فاذن فقمت ولا شيء اكره الي من النبي صلى الله عليه وسلم ولا مما يامرني به فقمت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فالقى علي التاذين هو بنفسه لكذب ثم دعاني حين قضيت التاذين فاعطاني صرة فيها شيئا من فضة ثم وضع يده على ناصيتي وامرها على وجهي ثم بين ثديي ثم على كبدي حتى بلغت يده سرتي ثم قال بارك الله فيك وبارك عليك فقلت يا رسول الله مرني بالتاذين بمكة فقال قد امرتك به وذهب كل شيء كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كراهية وعاد ذلك كله محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمت على عتاب بن اسيد عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل علمه ذلك يوم فتح مكة لما اذن بلال للظهر على ظهر الكعبة وصار فتية من قريش يستهزئون ببلال ويحكون صوته وكان من جملتهم ابو محذورة فاعجبه صلى الله عليه وسلم صوته فدعاه وعلمه الاذان وامره ان يؤذن لاهل مكة فليتامل **وانما** يؤخذ بالاحدث فالاحدث من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اي بالمتاخر منه لان المتاخر ينسخ المتقدم فقال اليس لما عاد الى المدينة اقر بلالا على اذانه قال ابو داود وتثنية الاذان وافراد الاقامة مذهب اكثر علماء الامصار وجرى به العمل

في الحرمين والحجاز وبلاد الشام واليمن وديار مصر ونواحي المغرب اى الا في مصر في
المساجد التي تغلب صلاة الاروام بها فان الاقامة تثنى كالاذان فيها وقد ذكر
ان ابا يوسف ناظر امامنا الشافعي في المدينة بين يدي مالك والرشيد فامر الشافعي
باحضار اولاد بلال واولاد سائر موذني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم كيف
تلقيتم الاذان والاقامة من ابائكم فقالوا الاذان مثنى مثنى والاقامة فرادى
هكذا تلقيناه من ابائنا واباؤنا عن اسلافنا الى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجا انه صلى الله عليه وسلم سمع بلالا يقيم الصلاة فلما قال قد قامت الصلاة قال اقامها
الله وادامها وفي البخاري من قال قد قامت الصلاة قال اقامها الله وادامها حين
يسمع النداء اى الاذان اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة ات محمدا الوسيلة
والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته وجبت له شفاعتي يوم القيمة قال
بعضهم كان المؤذنون في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم موذنان بلال وابن
ام مكتوم فلما كان زمن عثمان جعلهم اربعا وزاد الناس بعده ولما مات صلى الله
عليه وسلم ترك بلال الاذان ولحق بالشام فمكث زمانا فرأى النبي صلى الله عليه وسلم
في المنام فقال له يا بلال جفوتنا وخرجت من جوارنا فاقصد الى زيارتنا وفي لفظ
انه قال ما هذه الجفوة يا بلال ما آن لك ان تزورنا فانتبه بلال فقصد المدينة
فلما انتهى الى المدينة تلقاه الناس اى واتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وجعل يبكي
عنده ويتمرغ عليه واقبل على الحسن والحسين يقبلهما ويضمهما وكلموا عليه ان
يوذن فلما صعد ليوذن اجتمع اهل المدينة رجالهم ونساؤهم وخرجت العذارى
من خدورهن ليسمعوا اذانه فلما قال الله اكبر ارتجت المدينة وصاحوا وبكوا فلما
قال اشهد ان لا اله الا الله ضجوا جميعا فلما قال اشهد ان محمدا رسول الله لم يبق ذو روح
الا بكى وكان ذلك اليوم كيوم موت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف
الى الشام وكان يرجع الى المدينة في كل سنة مرة فينادي بالاذان الى ان مات رضي
الله تعالى عنه اقول في كلام بعضهم كان سعد القرظ موذنه صلى الله عليه وسلم
بقبا فلما لحق بلال بالشام ايام عمر امر سعد القرظ ان يوذن في مسجد رسول الله صلى
الله عليه وسلم اى فان بلالا لما توفي صلى الله عليه وسلم جا الى ابي بكر فقال يا خليفة رسول
الله اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول افضل اعمال المومن الجهاد في سبيل
الله وقد اردت ان ارابط في سبيل الله حتى اموت فقال له كما قال لابي بكر ورد ابو بكر
انشدك بالله يا بلال وحرمتي وحقي عليك ان لا تفارقني فاقام بلال حتى توفي
ابو بكر وهو يوذن ثم جا الى عمر فقال له كما قال لابي بكر ورد عليه ابو بكر فابى وخرج

الى

الى الشام مجاهدا وفي انس الجليل لما فتح امير المومنين عمر رضي الله تعالى عنه بيت المقدس
حضرت الصلاة فقال يا بلال اذن لنا رحمك الله قال بلال يا امير المومنين والله ما اردت
ان اوذن لاحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احد ولكن ساطيعك اذا امرتني في هذه
الصلاة وحدها فلما اذن بلال وسمعت الصحابة رضي الله تعالى عنهم صوته ذكروا
النبي صلى الله عليه وسلم فبكوا بكاء شديدا ولم يكن من الصحابة يومئذ اطول بكا من ابي عبيدة
ومعاذ بن جبل حتى قال لهما عمر رضي الله تعالى عنه حسبكما رحمكما الله تعالى فلم يوذن
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا مرة واحدة لما امره عمر بالاذان هذا ما في انس الجليل
اى فالمراد بالمرة هذه المرة التي كانت ببيت المقدس وفيه ان هذا يخالف ما تقدم
ما ظاهره انه استمر يوذن مدة خلافة ابي بكر وما تقدم من الحاح الحسن والحسين
عليه ان يوذن عند مجيئه للمدينة الا ان يقال المراد لم يوذن خارج المدينة
فلا يخالف ما سبق من انه بعد الحاح الحسن والحسين ولعل ما سبق كان بعد فتح
بيت المقدس بل وبعد موت الخلفا الاربعة ثم رايت الزين العراقي قال لم يوذن
بلال بعد النبي صلى الله عليه وسلم لاحد من الخلفا الا ان عمر لما قدم الشام حين فتحها
اذن بلال هذا كلامه فليتامل مع ما سبق وفي الكتاب المذكور روي عن جابر رضي
الله عنه ان رجلا قال يا رسول الله اى الخلق اول دخولا الجنة قال الانبيا قال ثم من قال
الشهدا قال ثم من قال موذنوا بيت المقدس قال ثم من قال موذنوا البيت الحرام قال
ثم من قال موذنوا مسجدي قال ثم من قال سائر المؤذنين ثم رايت في تنبيه من شرح
المنهاج للدميري عن جابر تقديم موذني المسجد الحرام على موذني بيت المقدس ورايت
في بعض الروايات ما يوافقه وهي اول من يدخل الجنة بعدي ابو بكر ثم الفقراء ثم موذنو
المسجد الحرام ثم موذنوا بيت المقدس ثم موذنوا مسجدي ثم سائرهم على قدر اعمالهم
وفي البدور السافرة عن جابر ان رجلا قال يا رسول الله اى الخلق اول دخولا الجنة
يوم القيمة قال الانبيا قال ثم من قال الشهداء قال ثم من قال موذنوا الكعبة قال ثم من قال
موذنوا بيت المقدس قال ثم من قال موذنوا مسجدي هذا قال ثم من قال سائر المؤذنين
على قدر اعمالهم وفيه عن جابر ايضا اول من يكسى من حلل الجنة ابراهيم ثم محمد صلى الله
عليه وسلم ثم النبيون والرسل ثم يكسى المؤذنون وجا ان الصحابة قالوا يا رسول الله
لقد تركتنا نتنافس في الاذان بعدك فقال اما انه يكون قوم بعدكم سفلتهم موذنوهم
وهذه الزيادة منكرة وقال الدارقطني ليست محفوظة وجا اذا اخذ المؤذنون
في اذانه وضع الرب يده فوق راسه ولا يزال كذلك حتى يفرغ من اذانه وانه ليغفر
له مد صوته فاذا فرغ قال الرب صدق عبدي وشهدت شهادة الحق فابشر والله اعلم

قال وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال كان رجل من اليهود اي من التجار وعلى السدي من الانصار بالمدينة سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال خزي الله الكاذب وفي رواية احرق الله الكاذب فدخلت خادمه بنار وهو نائم واهله نيام فسقطت شرارة فاحرقت البيت واحترق هو واهله انتهى اي وفي بعض الاسفار حضر وقت الصلاة اي صلاة الصبح فطلبوا بلالا ليؤذن فلم يوجد اي لتاخره في السير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له اذن يا اخا صدا وصدا حي من اليمن وعنه رضي الله تعالى عنه سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يومرني على قومي فقال لا خير في الامرة لرجل مومن فقلت حسبي ثم سار النبي صلى الله عليه وسلم مسيرا فتبعته فانقطع عنه اصحابه واضاء الفجر فقال لي اذن يا اخا صدا فاذنت ثم لما حضرت الصلاة اراد بلال ان يقيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا انما يقيم من اذن واختلف العلما هل اذن صلى الله عليه وسلم بنفسه فقيل نعم اذن مرة واستدل على ذلك بانه جا في بعض الاحاديث اي وقد صح انه اذن في السفر وصلى وهم على رواحلهم فتقدم على راحلته فصلى بهم يومي ايما يجعل السجود اخفض من الركوع وقيل ما اذن وانما امر بلالا بالاذان كما في بعض طرق ذلك الحديث ففي الهدى وصلى بهم الفرض على الرواحل لاجل المطر والطين وقد روى احمد والترمذي انه صلى الله عليه وسلم انتهى الى مضيق هو واصحابه والسماء من فوقهم والبلة من اسفل منهم فحضرت الصلاة فامر المؤذن فاذن واقام ثم تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم الحديث والمفصل يقضي على المجمل وفي رواية اذن اختصار اي امر بالاذان اي وهذا المجمل الذي يشير اليه هو فاذن صلى الله عليه وسلم على راحلته واقام اي ويروى انه بلالا كان يبدل الشين في اشهد سينا فقال صلى الله عليه وسلم سين بلال عند الله شين قال ابن كثير لا اصل لرواية سين بلال شين في الجند ولا يلزم من كون هذه الرواية لا اصل لها ان تكون تلك الرواية كذلك وكان بلال وابن ام مكتوم يتناوبان في اذان الصبح فكان احدهما يؤذن بعد مضي نصف الليل الاول والليل باق والثاني يؤذن بعد طلوع الفجر روى الشيخان ان بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن ام مكتوم اي وفي مسلم عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنعن احدا منكم اذان بلال او قال نداء بلال من سحوره فانه يؤذن او قال ينادي ليرجع قائمكم ويوقظ نائمكم انما يؤذن بليل بعد نصفه الاول فيرجع القائم المتهجد الى راحته لينام غفوة ليصبح نشيطا ويستيقظ النائم ليتاهب للصبح قال في الهدى وانقلب على بعض الرواة فقال ان ابن ام

مكتوم

مكتوم ينادي بليل فكلوا واشربوا حتى ينادي بلال اي وقد علمت انه لا قلب وانهما كانا يتناوبان فكان بلال تارة يؤذن بليل وابن ام مكتوم عند الفجر الثاني وتارة يكون ابن ام مكتوم بالعكس فوقع كل من الاحاديث باعتبار ما هو موجود عند النطق ولم يكن بين اذانيهما الا ان ينزل هذا ويرقى هذا اي ان ينزل المؤذن الاول من اذانه ويرقى المؤذن الثاني لما ذكر من كان يؤذن اولا يتربص بعد اذانه للدعا ثم يرقب الفجر فاذا قارب طلوعه نزل فاخبر صاحبه فيرقى ويؤذن مع الفجر او عقبه من غير فاصل وهذا هو المراد مما قيل ان ابن ام مكتوم كان لا يؤذن حتى يقال له اصبحت اصبحت وعن ابن عمر كان ابن ام مكتوم يتوخى الفجر فلا يخطيه وفي ابي داود عن ابن عمر ان بلالا اذن قبل طلوع الفجر فامره صلى الله عليه وسلم ان يرجع فينادي الا ان العبد نام فلا يخطيه نام اي غفل عن الوقت او رجع لينام لبقا الليل ولعل هذا كان قبل ان يتخذ ابن ام مكتوم مؤذنا ثانيا او كان اذان بلال في هذه المرة بعد اذان ابن ام مكتوم على ما تقدم فلا مخالفة والثابت في الجمعة اذان واحد كان يفعل بين يديه صلى الله عليه وسلم اذا صعد المنبر وجلس عليه كذا قال فقهاؤنا مستدلين على ذلك بحديث البخاري عن السائب بن يزيد قال كان التاذين يوم الجمعة حين يجلس الامام على المنبر في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما وليس فيه ان ذلك الاذان كان بين يديه ولما كثر المسلمون امر عثمان رضي الله تعالى عنه اي وقيل عمر ومعاوية بان يؤذن قبله على المنارة وعبارة بعضهم وفي السنة الرابعة والعشرين زاد عثمان النداء على الزوراء يوم الجمعة ليسمعوا الناس فياتوا الى المسجد واول من احدثه بمكة الحجاج والتذكير قبل الاذان الاول الذي هو التسبيح احدث بعد السبعمائة في زمن الناصر محمد بن قلاوون واول ما احدث الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم اي على الكيفية المعهودة الان بعد تمام الاذان على المنارة اي في غير المغرب في زمن السلطان المنصور حاجي ابن الاشرف شعبان بن حسن بن محمد بن قلاوون بامر المحتسب نجم الدين الطنبدي في اواخر القرن الثامن واستمر ذلك الى الان لكن في غير اذان الصبح وغير اذان الجمعة اول الوقت اما اذان الصبح الثاني واذان الجمعة المذكور فيقدم الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم على الاذان فيهما وكان احداث ذلك في زمن صلاح الدين بن ايوب ولعل الحكمة في ذلك اما في الاول فلاستيقاظ النائم واما في الثاني فلا حاجة حصول التكبير المطلوب في الجمعة ولا يخفى ان من السنة مطلق الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم بعد فراغ الاذان ففي مسلم اذا سمعتم المؤذن فقولوا

مثل ما يقول ثم صلوا على وقيس بذلك الاقامة فالاذان والاقامة من المواطن التي يستحب فيها الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى ورفعنا لك ذكرك فقد قيل في معناه لا اذكر الا وتذكر معي لكن بعد فراغهما لا عند الابتداء بهما كما يقع لبعض الا دوام ان يقول المقيم للصلاة عند ابتداء الاقامة اللهم صلى على سيدنا محمد الله اكبر الله اكبر فان ذلك بدعة ومن البدع التطريب في الاذان والتلحين فيه وفي كلام امامنا الشافعي رضي الله عنه ويكون الاذان مرسلا بغير تمطيط ولا تغني قيل التمطيط التفريط في المد والتغني ان يرفع صوته حتى يجاوز المقدار ومن البدع رفع المؤذنين اصواتهم بتبليغ التكبير لمن بعد عن الامام من المقتدين قال بعضهم ولا باس به لما فيه من النفع اي حيث لم يبلغهم صوت الامام بخلاف ما اذا بلغهم ففي كلام بعضهم التبليغ بدعة منكرة باتفاق الائمة الاربعة حيث بلغ المامومين صوت الامام ومعنى منكرة انها مكروهة واول ما حدث التسبيح بالاسحار في زمن موسى عليه السلام حين كان بالتيه واستمر الى ان بنى داود عليه السلام بيت المقدس فرتب فيه جماعة يقومون به على الالات الى ثلث الليل الاخير ثم بعد ثلث الليل الاخير يقومون به على الالات عند الفجر واول حدوثه في ملتنا كان بمصر امر به اميرها من قبل معاوية مسلمة بن مخلد الصحابي رضي الله تعالى عنه فانه لما اعتكف بجامع عمرو وسمع اصوات النواقيس عالية فشكى ذلك الى شرحبيل ابن عامر عريف المؤذنين بجامع عمرو ففعل ذلك من نصف الليل الى قرب الفجر ومسلمة هذا تولى مصر من معاوية بعد عتبة بن ابى سفيان اخو معاوية وعتبة تولاها حين مات اميرها عمرو بن العاصي وهذا ما يدل على ان عمرو بن العاص مدفون بمصر وكان عتبة خطيبا فصيحا قال الاصمعي الخطباء من بني امية عتبة بن ابى سفيان وعبد الملك بن مروان وان خطب عتبة يوما اهل مصر فقال يا اهل مصر خف على السنتكم مدح الحق ولا تاتونه وذم الباطل وانتم تفعلونه كالحمار يحمل اسفارا يثقله حملها ولا ينفعه علمها واني لا اداوي داءكم الا بالسيف ولا ابلغ السيف ما كفاني السوط ولاما ابلغ السوط ولا ابلغ السوط ما صلحتم على الدرة فالزموا ما الزمكم الله لنا تستوجبوا ما فرض الله لكم علينا وهذا يوم ليس فيه عتاب ولا بعده عتاب ومما يؤثر عنه ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم وقال لبنيه يوما تلقوا النعم بحسن مجاورتها والتمسوا المزيد منها بالشكر عليها ومسلمة اول من جعل بنيان المنابر التي هي محل التاذين في المساجد فلما ولى احمد بن طولون رتب جماعة يكبرون ويسبحون ويحمدون فلما ولى صلاح الدين يوسف بن ايوب وحمل الناس على اعتقاد مذهب

الاشعري

الاشعري والخروج عما كان يعتقده الفواطم امر المؤذنين ان يعلنوا وقت التسبيح بذكر العقيدة المرشدة وقد وقفت عليها فاذا هي ثلاث ورقات فلم اقف على اسم مؤلفها فواظبوا على ذكرها كل ليلة قيل في سبب نزول قوله تعالى قل كل من عند الله ان اليهود قالوا في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ دخل المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها فرد الله تعالى عليهم بقوله قل كل من عند الله يبسط الارزاق ويقبضها وعند ظهور الاسلام وقوته في المدينة قامت نفوس احبار يهود ونصبوا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل قوله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر ان تمسسكم حسنة تسؤهم وعن صفية ام المؤمنين رضي الله تعالى عنها بنت حيي قالت كنت احب ولد ابي اليه والى عمي ابي ياسر اه وكانا من احبار اليهود واعظمهم فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة غدوا اليه ثم جاءا من العشي فسمعت عمي يقول لابي اهو هو قال نعم والله قال اتعرفه وتثبته قال نعم قال فما في نفسك منه قال عداوته والله ما بقيت قال وفي رواية انها قالت ان عمي ابا ياسر حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ذهب اليه وسمع منه وحادثه ثم رجع الى قومه فقال يا قوم اطيعوني فان الله قد جاءكم بالذي كنتم تنتظرون فاتبعوه ولا تخالفوه ثم انطلق ابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع منه ثم رجع الى قومه فقال لهم اتيت من عند رجل والله لا ازال له عدوا فقال له اخوه ابو ياسر يا ابن ام اطعني في هذا الامر واعصني فيما شئت بعده لا تهلك فقال والله لا اطيعك انتهى اي ثم وافق اخاه حيي فكانا اشد اليهود عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدين في رد الناس عن الاسلام بما استطاعا فانزل الله تعالى وفي من كان موافقا لهما في ذلك ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق اي وحيي بن اخطب هذا قيل هو الذي قال لما نزل قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا يستقرضنا ربنا وانما يستقرض الفقير الغني فانزل الله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء وقيل في سبب نزولها ان ابا بكر دخل بيت المدارس فقال لفنحاص اتق الله واسلم فوالله انك لتعلم ان محمدا رسول الله فقال والله يا ابا بكر ما بنا الى الله من فقر وانه الينا لفقير فغضب ابو بكر وضرب وجه فنحاص ضربا شديدا وقال لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك فشكاه فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ابو بكر ما كان منه فانكر قوله ذلك فنزلت الاية اي وقيل في سبب نزولها ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسل ابا بكر رضي

الله تعالى عنه الى فنحاص بن عازوراء الكتابي وكان انفرد بالعلم والسيادة على
يهود بني قينقاع تجد اسلام عبد الله بن سلام يامرهم في ذلك الكتاب بالاسلام
واقام الصلاة وايتاء الزكاة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فلما قرا فنحاص الكتاب
قال اقد احتاج ربكم سنمده وفي رواية قال يا ابا بكر تزعم ان ربنا يستقرضنا اموالنا
وما يستقرض الا الفقير من الغني فان كان حقا ما تقول فان الله اذا الفقير ونحن
اغنيا فضرب ابو بكر وجه فنحاص ضربا شديدا وقال لقد هممت ان اضربه بالسيف
وما منعني ان اضربه بالسيف الا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دفع الي الكتاب
قال لي لا تفتنت على شيء حتى ترجع الي فجا فنحاص الى النبي صلى الله عليه وسلم وشكى ابا
بكر فقال صلى الله عليه وسلم لابي بكر ما حملك على ما صنعت قال يا رسول الله انه قال قولا
عظيما زعم ان الله فقير وانهم اغنيا فغضبت لله تعالى فقال فنحاص والله ما قلت هذا
فنزلت الاية تصديقا لابي بكر رضي الله تعالى عنه وقد قال بعض اليهود لبعض العلماء انا
قلنا ان الله فقير ونحن اغنيا لانه استقرض اموالنا فقال له ان كان استقراضه
لنفسه فهو فقير وان كان استقرضها لفقرائكم ثم يكافئ عليها فهو الغني الحميد ومن
شدة عداوتهم اي اليهود ان لبيد بن الاعصم اليهودي سحر النبي صلى الله عليه وسلم
في مشط اي له صلى الله عليه وسلم وقيل في اسنان من مشط اي من شعر راسه صلى
الله عليه وسلم وغرز فيه ابرا وجعل معه وترا عقد فيه احدى عشرة عقدة وفي
لفظ ان الابر كانت في العقد ودفن ذلك تحت راعوفة في بير ذي ذروان وقد
مسخ الله تعالى ماها حتى صار كنقاعة الحنا فكان يخيل اليه صلى الله عليه وسلم
انه يفعل الفعل وهو لا يفعله اي ومكث في ذلك سنة وقيل ستة اشهر وقيل
اربعين يوما قال بعضهم ويمكن ان تكون السنة او الستة اشهر من ابتدا تغير مزاجه
الشريف وان مدة استمداده كانت في الاربعين وقيل اشتد عليه ثلاثة ايام وقد
يقال هي اشد الاربعين فلا منافاة وبعد ذلك نزل جبريل عليه السلام وقال له ان
رجلا من اليهود سحرك وعقد لك عقدا ودفنها بمحل كذا فارسل صلى الله عليه وسلم
عليا فاستخرجها فجا بها فجعل كلما حل عقدة وجد صلى الله عليه وسلم بذلك خفة
حتى قام كانما نشط من عقال وفي رواية ان اليهودي دفن ذلك ببير فانزل الله تعالى
سورة الفلق وسورة الناس وهما احدى عشرة اية سورة الفلق خمس ايات وسورة
الناس ست ايات كلما قرا اية انحلت عقدة حتى انحلت العقد كلها وفي لفظ فاذا وتر
فيه احدى عشرة عقدة مغرورة بالابر فلم يقدروا على حل تلك العقد فنزلت ٥
المعوذتان فكلما قرا جبريل اية انحلت عقدة ووجد بعض الخفة حتى قام عند

انحلال

انحلال العقدة الاخيرة كانما نشط من عقال وجعل جبريل يقول بسم الله ارقيك
والله يشفيك من كل داء يوذيك اي ولعله كان يقول ذلك عند حل كل عقدة
بعد قراءة الاية اي وكان ذلك بين الحديبية وخيبر وذكر بعضهم انه
بعد خيبر جات رؤسا يهود الذين بقوا في المدينة ممن يظهر الاسلام الى لبيد بن
الاعصم وكان اعلمهم بالسحر فقالوا له يا ابا الاعصم قد سحرنا محمد اسحر منا الرجال
ثم تصنع شيا الا لم يوثر سحرهم وانت ترى امره فينا وخلافه في ديننا ومن قتل واجلى
ونجعل لك على سحره ثلاث دنانير ففعل ذلك ثم انه صلى الله عليه وسلم قال حبالي
بلال رجلان اي وهما جبرايل وميكايل كما في بعض طرق الحديث فقعد احدهما
عند راسي والاخر عند رجلي فقال احدهما ما وجع الرجل فقال الاخر مطبوب اي
مسحور فقال من طبه قال لبيد بن الاعصم قال فيمه قال في مشط ومشاطة وفي لفظ
ومشاقة اي وهي المشاطة وقيل هي مشاقة الكتان وجف بالجيم والفا وقيل
بالبا الموحدة طلعة وقيل هي مشاقة الكتان وجف بالجيم والفا وقيل بالبا
الموحدة طلعة ذكر اي غشاء طلع الذكر الذي يقال له كوز الطلع قال فاين هو قال
في بير ذي ذروان على وزن مروان وفي لفظ في بير ذي اروان وفي لفظ بير
ذروان وعليه اقتصر في الامتاع تحت صخرة في الماء قال فما دوا ذلك قال تنزح
البير ثم تقلب الصخرة فتوجد الكدية فيها تمثال احدى عشرة عقدة فتحرق فانه يبرا
باذن الله تعالى ثم احضر صلى الله عليه وسلم لبيدا فاعترف فعفا عنه لما اعتذر له بان
الحامل على ذلك حب الدنانير وقيل له يا رسول الله لو قتلته فقال قد عافاني الله
وما وراءه من عذاب الله اشد ويحتاج الى الجمع بين كون جبريل قال له سحرك الى اخره
وكون جاء رجلان فقعد احدهما عند راسه والاخر عند رجليه فقال احدهما للاخر ما وجع
الرجل الخ قيل وهذا اي عدم قتل الساحر ربما يعارض القول بان الساحر يتحتم
قتله وفيه انه عندنا لا يتحتم قتله ولا يقتل الا اذا قتل بسحره واعترف بان سحره
يقتل غالبا ولبيد هذا قيل انه اول من قال بنفي صفات الباري وقال بها الجهم
ابن صفوان واظهرها فقيل لاتباعه في ذلك الجهمية فعند ذلك وقيل الذي استخرج
السحر بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم قيس بن محصن وفي الصحيح عن عايشة انه
صلى الله عليه وسلم توجه الى البير مع جماعة من اصحابه فاذا ماؤها كانه نقاعة الحنا
فاستخرجا اي النبي وجماعته منها ذلك ويحتاج الى الجمع بين كونه صلى الله عليه وسلم
ارسل لاستخراج السحر عليا وكونه بعث لاستخراجه عليا وعمار ابن ياسر وكونه امر
قيس بن محصن باستخراجه وكونه صلى الله عليه وسلم ذهب هو وجماعته لاستخراجه

فاذا وتر فيه احدى عشرة عقدة اى واذا فيها ابر مغروزة ونزلت المعوذتان فجعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما قرا اية انحلت عقدة حتى انحلت العقد فذهب عنه
صلى الله عليه وسلم ما كان يجده ولا ينافى ما تقدم ان القارى لذلك جبريل عليه
السلام لجواز ان يكون كل منهما صار يقرا الاية او انه صلى الله عليه وسلم صار يقرا بعد
قراءة جبريل وفى الامتاع عن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت له افلا استخرجته قال
لا اما انا فقد عافانى الله وكرهت ان اثير على الناس شرا ومراد عائشة بقولها افلا
استخرجته اى السحر اى هلا استخرجته من الجف والمشاطة حتى تنظر اليه فقال
اكره ان اثير على الناس شرا قال ابن بطال اى كره ان يخرجه فيتعلم منه بعض الناس
فذلك هو الشر الذى كرهه وذكر السهيلى انه يجوز ان يكون الشر غير هذا وهو
انه لو اظهره للناس لربما قتلته طائفة من المسلمين ويغضب اخرون من عشيرته فيثور
شر وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت له صلى الله عليه وسلم هلا تنشرت اى
استعملت النشرة قال بعضهم وفيه دليل على عدم كراهة استعمال النشرة حيث لم
ينكر عليها قولها وكرهها جمع واستند الى الحديث فى ابى داود مرفوعا النشرة من عمل
الشيطان وحمل ذلك على النشرة التى يصحبها العزايم المشتملة على الاسماء التى
لا تفهم فامر بها فدفنت اى تلك البير وحفروا بيرا اى اخرى فاعانهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى حفرها حيث طموا الاخرى التى سحر فيها هذا كلامه فليتامل
مع ما قبله وقيل ان الساحر بنات اعصم اخوات لبيد ودخلت احداهن على عائشة
فسمعت عائشة تذكر ما انكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من بصره ثم خرجت الى
اخواتها بذلك فقالت احداهن ان يكن نبيا فسيخبر وان يكن غير ذلك فسوف
يدلهه هذا السحر حتى يذهب عقله فدله الله تعالى عليه وقد يجمع بين كون الساحر
له لبيد وكون الساحر له اخوات لبيد بان الساحرة اخوات لبيد ونسبة السحر
الى لبيد لانه جاء الذى ذهب به فادخله تحت راعوفة البير اى وفى المعبر كما
تقدم ولا منافاة لجواز ان يكون وضع فى المعبرة ثم اخرجه منه ووضعه
تحت تلك الراعوفة اى وهى حجر يوضع على راس البير يقوم عليه المستقى وقد
يكون فى اسفل البير يجلس عليها الذى ينظف البير اى والثانى هو المراد بدليل
ما سبق وفى النهر لابى حيان ونص القران والحديث ان السحر تخييل اى لا يقلب الاعيان
ولا شك فى وجوده فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم واما فى زماننا الان
فكل ما وقفنا عليه من كتبه فهو كذب وافترا لا يترتب عليه شى ولا يصح منه شى
البتة وطعنت المعتزلة وطوايف من اهل البدع فى كونه صلى الله عليه وسلم سحر

وقالوا

وقالوا لا يجوز على الانبيا ان يسحروا ولو جاز ان يسحروا لجاز ان يجنوا وقد عصموا
من الناس ورد بان الحديث الدال على ذلك صحيح والعصمة انما وجبت لهم فى عقولهم
واديانهم واما ابدانهم فيبتلون فيها والسحر انما اثر فى بعض جوارحه فقد تقدم عن عائشة
من ذكرها انما انكر صلى الله عليه وسلم من بصره لكن تقدم انه صلى الله عليه وسلم صار يخيل
له انه يفعل الشى ولا يفعله وهذا متعلق بالعقل ثم رايت ابا بكر بن العربى قال لم
ينقل كل الرواة انه اختلط عليه امره وانما هذا اللفظ زيد فى الحديث لا اصل له قال وقيل
هذه الاخبار من وضع الملحدين تلعبا واستجرارا الى القول بابطال معجزات الانبيا
والقدح فيها وانه لا فرق بين معجزات الانبيا وبين فعل السحرة وان جميعه من نوع واحد
هذا كلامه فليتامل وممن كان حريصا على رد الناس عن الاسلام ايضا شاس بن قيس
كان شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم مر يوما على الانصار الاوس والخزرج
وهم يجتمعون يتحدثون فغاظه ما راى من الفتهم بعد ما كان بينهم من العداوة فقال
قد اجتمع بنو قيلة والله ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر فتى شابا من يهود فقال له
اعمد اليهم فاجلس معهم ثم اذكر يوم بعاث اى يوم الحرب الذى كان بينهم وما كان
فيه وانشدهم ما كانوا تقاولوا به من الاشعار ففعل فتكلم القوم عند ذلك اى
قال احد الحيين قد قال شاعرنا كذا وقال الاخر قد قال شاعرنا كذا وتنازعوا وتواعدوا
على المقاتلة اى قالوا تعالوا نرد الحرب جذعا كما كانت فنادى هؤلاء يا آل الاوس
ونادى هؤلاء يا آل الخزرج ثم خرجوا اليها وقد اخذوا السلاح واصطفوا للقتال
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم
فقال يا معشر المسلمين الله الله اى اتقوا الله ابدعوى الجاهلية اى ومن يا للخزرج
يا للاوس وانا بين اظهركم بعد ان هداكم الله الى الاسلام واكرمكم به وقطع به عنكم
امر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر والف به بينكم فعرف القوم انها نزغة
من الشيطان وكيد من عدوهم فبكوا وعانق الرجال من الاوس الرجال من الخزرج
ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى فى شاس ابن قيس
يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من امن تبغونها عوجا الاية وقد جاء
فى ذم هذه الكلمة التى هى دعوى الجاهلية وهى يا آل فلان قوله صلى الله عليه وسلم
اذا رايتم الرجل يتعزى بعزاء الجاهلية فاعضوه بهن ابيه ولا تكنوا اى قولوا له
اعضض على ذكر ابيك ولا تكنوا عنه بالهن فلا تقولوا اعضض على هن ابيك بل قولوا اعضض على
ذكر ابيك تنكيلا له وزجرا عما اتى به اى وقد كان انزل الله تعالى فيهم يا ايها الذين
امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب الاية وقد قراها رسول الله صلى

الله عليه وسلم عليهم وهو بين الصفين رافعا بها صوته فالقوا السلاح وفعلوا ما تقدم
وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان يهود كانوا يستفتحون اى يستنصرون
على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه اى يقولون سيبعث
نبى صفته كذا وكذا نقتلكم معه قتل عاد وارم كما تقدم عند مبايعة العقبة فقال
لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء يا معشر يهود اتقوا الله واسلموا فقد كنتم تستفتحون
علينا بمحمد ونحن اهل شرك وكفر وتخبرونا انه مبعوث وتصفونه لنا بصفته فقال
سلام اى بالتشديد ابن مشكم من عظماء يهود بنى النضير ما جاءنا بشئ نعرفه ما هو الذى
كنا نذكره لكم فانزل الله تعالى فى ذلك قوله تعالى: ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق
لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به
فلعنة الله على الكافرين وقيل فى سبب نزول قوله تعالى: ما انزل الله على بشر من شئ انه
صلى الله عليه وسلم قال لمالك بن الصيف وكان رئيسا على اليهود انشدكم بالذى انزل
التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين قد سمنت من مالك الذى تطعمك
اليهود فضحك القوم فغضب والنفت الى عمر فقال ما انزل الله على بشر من شئ فقالت
له اليهود ما هذا الذى بلغنا عنك فقال انه اغضبنى فنزعوه من الرياسة وجعلوا
مكانه كعب بن الاشرف اى لانه فى قوله المذكور طعنا فى التوراة وقيل ان يهود
المدينة من بنى قريظة وبنى النضير وغيرهم كانوا اذا قاتلوا من يليهم من مشركى
العرب من اسد وغطفان وجهينة وعذرة قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم
يقولون اللهم انا نستنصرك بحق النبى صلى الله عليه وسلم الامى الذى وعدت انك
باعثه فى اخر الزمان الا نصرتنا عليهم وفى لفظ قالوا اللهم انصرنا بالنبى المبعوث
فى اخر الزمان الذى نجد نعته وصفته فى التوراة فينصرون وفى لفظ يقولون اللهم
ابعث النبى الذى نجده فى التوراة يعذبهم ويقتلهم وفى لفظ ان يهود خيبر كانت
تقاتل غطفان فكلما التقوا هزمت يهود فدعت يوما اللهم انا نسالك بحق النبى
الامى الذى وعدتنا ان تخرجه لنا فى اخر الزمان الا نصرتنا عليهم فكانوا اذا التقوا
دعوا بهذا الدعاء فيهزمون غطفان وصار اليهود يسالونه صلى الله عليه وسلم عن
اشياء ليلبسوا الحق بالباطل اى ومن جملة ما سالوه صلى الله عليه وسلم عن الروح
فعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال كنت امشى مع النبى صلى الله عليه وسلم فى حرث
المدينة متوكا على عسيب اى جريدة من جريد النخل اذ مر بنفر من اليهود فقال بعضهم
لبعض سلوه لئلا يسمعكم ما تكرهون وفى رواية لئلا يستقبلكم بشئ
تكرهونه اى يجيبكم يا يهود لئلا يقدم عندكم على انه النبى صلى الله عليه وسلم الاتى اى وانتم تنكرون

بنبوته

بنبوته فقاموا اليه فقالوا يا محمد وفى رواية يا ابا القاسم ما الروح وفى رواية اخبرنا
عن الروح فسكت قال ابن مسعود فظننت انه يوحى اليه فتركته وبينا الونه عن الروح
اى التى يكون بها الحيوان حيا قل الروح من امر ربى فقالوا هكذا نجد فى كتابنا
اى التوراة وقد تقدم الكلام على ذلك عند الكلام على فترة الوحى قال صاحب الانصاف
انما سال اليهود عن الروح تعجيزا وتغليطا لان الروح تطلق بالاشتراك على الروح
للانسان وعلى القران وعلى عيسى وعلى جبريل وعلى ملك اخر وعلى صنف من الملائكة
فقصد اليهود انه باى شئ اجابهم به قالوا ليس هو فجاءهم الجواب مجملا فكان هذا
الجواب لرد كيدهم لان كل واحد مما ذكر امر من مامورات الحق تعالى ولما انزل الله تعالى
وما اوتيتم من العلم الا قليلا قالوا اوتينا علما كثيرا اوتينا التوراة ومن اوتى
التوراة فقد اوتى خيرا كثيرا فانزل الله تعالى: قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى
لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا وفى الكشاف انهم قالوا انحن
مخصوصون بهذا الخطاب ام انت معنا فيه فقال صلى الله عليه وسلم نحن وانتم لم نؤت
من العلم الا قليلا فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد
اوتى خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو انما فى الارض من شجرة اقلام والبحر
يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله هذا كلامه وسالوه متى الساعة ان
كنت نبيا فانزل الله تعالى يسالونك عن الساعة ايان مرساها قل انما علمها عند
ربى الاية اى وجاء يهوديان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالاه عن قوله تعالى ولقد
اتينا موسى تسع ايات بينات فقال لهما لا تشركوا بالله شيئا ولا تزنوا ولا تقتلوا
النفس التى حرم الله الا بالحق ولا تسرقوا ولا تسحروا ولا تمشوا ببرئ الى السلطان ولا
تاكلوا الربا ولا تقذفوا محصنة وعليكم يا يهود خاصة ان لا تعتدوا فى السبت
فقالا نخاف ان اسلمنا ان تقتلنا اليهود اى وسالوه عن خلق السموات والارض
اى فى اى زمن وما بينهما اى مدة ما بينهما فقال لهم خلق الارض فى يوم الاحد والاثنين
وخلق الجبال وما بينهما يوم الثلاثاء اى ولذلك يقول الناس انه يوم ثقيل
وخلق البحر والماء والمدائن والعمران والخراب يوم الاربعاء وخلق السموات
يوم الخميس وخلق الشمس والقمر والنجوم والملائكة يوم الجمعة قالوا ثم ماذا
يا محمد قال ثم استوى على العرش قالوا قد اصبت لو تممت ثم استراح اى لو قلت
هذا اللفظ لانهم يقولون انه استراح يوم السبت ومن ثم يسمونه يوم الراحة
فانزل الله تعالى قوله ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام
وما مسنا من لغوب اى تعب فاصبر على ما يقولون وفى رواية خلق الارض يوم

الاحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثا وخلق الانهار والاشجار يوم الاربعا
وخلق الطير والوحوش والسباع والهوام والآفات يوم الخميس وخلق الانسان
يوم الجمعة وفرغ من الخلق يوم السبت وهذا يشكل على ما تقدم ان مبدأ الخلق يوم
السبت حتى يكون آخر الاسبوع يوم الجمعة وهو الراجح على ما تقدم وقد قيل
في سبب نزول قوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم الى قوله ان الدين
عند الله الاسلام ان حبرين من احبار الشام لم يعلما ببعثته صلى الله عليه وسلم فقدما
المدينة فقال احدهما للآخر ما اشبه هذه بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم الخارج في
آخر الزمان واخبرا بما جرى للنبي صلى الله عليه وسلم ووجوده في تلك المدينة فلما
رأياه قالا له انت محمد قال نعم قالا نسألك مسألة ان اخبرتنا بها آمنا فقال اسألا
فقالا اخبرنا عن اعظم الشهادة في كتاب الله تعالى فنزلت هذه الآية فتلاها عليهما
فآمنا قال وعن قتادة رضي الله تعالى عنه ان رهطا من اليهود جاؤوا الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقالوا يا محمد هذا الله خلق الجن والانس من خلقه وفي لفظ خلق الله الملائكة
من نور الحجاب وآدم من حمأ وابليس من لهب النار والسماء من الدخان والارض من زبد
الما فاخبرنا عن ربك من اي شيء خلق فغضب صلى الله عليه وسلم حتى انتقع لونه فجاءه
جبريل وقال له اخفض عليك وانزل الله تعالى عليه قل هو الله احد الله الصمد والسورة اي
متوحد في صفات الجلال والكمال منزه عن الجسمية واجب الوجود لذاته اي اقتضت
ذاته وجوده مستغن عن غيره وكل ما عداه محتاج اليه انتهى اقول ونزول جبريل
بذلك دال على انه صلى الله عليه وسلم توقف فلم يدر ما يقول كما وقع له لما سأله
عبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه وقال له صف ربك كما سيأتي ثم رأيت عن الشيخين
وغيرهما ان ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ذكر في سبب نزول هذه السورة غير ما
ذكر ولعله ما سيأتي في قصة ابن سلام ولا مانع من تكرر النزول لاسباب
مختلفة ثم رأيته في الاتقان ذكر ان سورة الاخلاص تكرر نزولها فنزلت جوابا
للمشركين بمكة وجوابا لاهل الكتاب بالمدينة وقال قبل ذلك انها انما نزلت بالمدينة
وفي دعوى تكرر نزولها نظر لانه حيث سئل اولا ونزلت جوابا كيف يتوقف ثانيا عند
السؤال الثاني حتى يحتاج الى نزولها مع بعد نسيان ذلك له صلى الله عليه وسلم
ثم رأيت عن البرهان قد ينزل الشيء مرتين تعظيما لشأنه وتذكيرا عند حدوث
سببه خوف نسيانه وهذا كما ترى لا يدفع التوقف وكان من اعلم احبار
يهود عبد الله بن سلام بالتخفيف وكان قبل ان يسلم اسمه الحصين فلما اسلم سماه
رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وكان من ولد يوسف الصديق اي وقد اثنى الله

تعالى

تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم وكان من يهود جا
فبايع كما تقدم مجيئه الى النبي صلى الله عليه وسلم وسمع كلامه اي وفي اول يوم دخل
فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم دار ابي ايوب ه اي ولعل الذي سمعه من النبي
صلى الله عليه وسلم هو قوله يا ايها الناس افشوا السلام وصلوا الارحام واطعموا
الطعام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام فعنه رضي الله تعالى
عنه قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل اليه الناس اي بالجيم
اسرعوا فكنت ممن اتى اليه اي وهذا يدل على انه جاءه في قبا وسيأتي قال فلما رأيت وجهه
عرفت انه وجه غير كذاب اي صورته وهيئته وسمته تدل العقلاء على صدقه وانه
لا يقول الكذب قال عبد الله فسمعته يقول يا ايها الناس الخ اي ولا مانع ان يكون ذلك
تكرر منه صلى الله عليه وسلم وعند ذلك قال اشهد انك رسول الله حقا وانك جئت
بحق ثم رجعت الى اهل بيتي فأمرتهم فاسلموا وكتمت اسلامي من اليهود ثم جئته اي في
بيت ابي ايوب وقلت له لقد علمت اليهود اني سيدهم وابن سيدهم واعلمهم وابن اعلمهم
فاخبئني يا رسول الله قبل ان يدخلوا عليك فادعهم فاسألهم عني قبل ان يعلموا
اني اسلمت فانهم قوم بهت اي بضم الباء والهاء يواجهون الانسان بالباطل واعظم قوم
عضيهة اي كذبا وانهم ان يعلموا اني قد اسلمت قالوا في ما ليس في وجحد عليهم ميثاقا فا
الى ان اتبعك وآمنت بكتابك ان يؤمنوا بك وبكتابك الذي عليك فارسل
رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فدخلوا عليه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا معشر يهود ويلكم اتقوا الله الذي لا اله الا هو انكم لتعلمون اني رسول الله حقا
واني جئتكم بحق اسلموا قالوا ما نعلم فاعاد ذلك عليهم ثلاثا وهم يجيبونه كذلك
قال فاي رجل فيكم ابن سلام قالوا ذاك سيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا
وفي رواية خيرنا وابن خيرنا بالخاء المعجمة والياء المثناة تحت افعل تفضيل وقيل
بالمهملة والبا الموحدة اي اعلمنا بكتاب الله سيدنا وعالمنا وافضلنا قال افرأيتم
ان شهد اني رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمن بالكتاب الذي انزل ان تؤمنوا بي قالوا
نعم فدعاه فقال يا ابن سلام اخرج عليهم فخرج عليهم فقال يا عبد الله بن سلام اما
تعلم اني رسول الله تجدني مكتوبا عندكم في التوراة والانجيل اخذ الله ميثاقكم ان
تؤمنوا بي وان تتبعوني من ادركني منكم قال ابن سلام بلى يا معشر يهود ويلكم اتقوا
الله والله الذي لا اله الا هو انكم لتعلمون انه رسول الله حقا وانه جاء بالحق قال
زاد في رواية انكم لتعلمون انه رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدونه مكتوبا عندكم
في التوراة اسمه وصفته فقالوا كذبت انك اشرنا وابن اشرنا وهذه لغة رديئة

والفصحى اشهرنا قال ابن شرنا بغير همزة وهي رواية البخاري قال ابن سلام هذا
الذي كنت اخاف يا رسول الله الم اخبرك انهم قوم بهت اهل غدر وكذب وفجور
انتهى فاخرجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واظهرت اسلامي وانزل الله قوله تعالى
قل أرأيتم ان كان من عند الله يعني الكتاب والرسول ثم كفرتم به وشهد شاهد
من بني اسرائيل يعني عبد الله بن سلام على مثله يعني اليهود فآمن واستكبرتم ان
الله لا يهدي القوم الظالمين **اقول** هذا السياق لا يناسب ما في حكاه في الخصائص
الكبرى عن تاريخ الشام لابن عساكر ان ابن سلام اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم
بمكة قبل ان هاجر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انت ابن سلام عالم اهل يثرب قال
نعم قال ناشدتك بالذي انزل التوراة على موسى هل تجد صفتي في كتاب الله يعني
التوراة قال انسب ربك يا محمد فارتج صلى الله عليه وسلم اي توقف ولم يدر ما يقول
فقال له جبريل قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فقال ابن
سلام اشهد انك رسول الله وان مظهرك ومظهر دينك على الاديان واني لاجد
صفتك في كتاب الله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
انت عبدي ورسولي الى اخر ما تقدم عن التوراة فانه يدل على ان ابن سلام اسلم
بمكة وكتم اسلامه ولو كان كذلك لما قال فلما رايت وجهه عرفت انه غير وجه كذاب
ولما قال وكنت عرفت صفته واسمه ولما سأله عن الامور الاتية ولما احتاج الى الا
سلام ثانيا الا ان يقال على تسليم صحة ما قال ابن عساكر جاز ان يكون قال له
ذلك ثم فعل ما ذكر اقامة للحجة على اليهود وقد وقع لابن سلام هذا انه لقي عليا
بالربذة وقد خرج بعد قتل عثمان وبعد ان بويع بالخلافة متوجها الى البصرة لما بلغه
ان عائشة وطلحة والزبير ومن معهم خرجوا الى البصرة في طلب دم عثمان وكان
ذلك سببا لوقعة الجمل فاخذ بعنان فرس علي وقال يا امير المؤمنين لا تخرج منها
يعني المدينة فوالله ان خرجت منها لا تعود اليها سلطان المسلمين ابدا فسبه
بعض الناس وقال له ما لك ولهذا يا ابن اليهودية فقال علي دعوه فنعم الرجل من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم **وعن** ابي هريرة رضي الله عنه قال لقيت عبد الله بن سلام
فقلت وكيف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي
وتلك الساعة لا صلاة فيها فقال ابن سلام الم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم
من جلس ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى يصلي وفيه ان في الصحيحين ان في
يوم الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي فسأل الله عز وجل شيئا الا
اعطاه اياه ثم رايت عن سنن ابن ماجه ان جواب ابن عبد الله بن سلام قال قلت

ورسول

ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس انا لنجد في كتابنا يعني التوراة في الجمعة ساعة
لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله عز وجل فيها شيئا الا قضى الله له حاجته قال عبد الله
ابن سلام فاشار الي رسول الله صلى الله عليه وسلم او بعض ساعة فقلت صدقت يا رسول
الله او بعض ساعة قلت اي ساعة هي قال اخر ساعة من ساعات النهار قلت انها ليست
ساعة صلاة قال بلى ان العبد المؤمن اذا صلى ثم جلس لا يجلسه الا الصلاة فهو في
الصلاة ولعل لفظ قائم في روايتي الصحيحين يراد منه مريد القيام للصلاة اي صلاة العصر
وقد قيل ان تلك الساعة رفعت بعد موته صلى الله عليه وسلم وقيل هي باقية وهو
الصحيح وعليه فقيل لا زمن لها معين وقيل هي في زمن معين وعليه ففي تعيينها
احد عشر قولا وقيل اربعين قولا **وقد وقع** لميمون بن يامين وكان رأس اليهود مثل ما وقع
لابن سلام فانه جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ابعث اليهم
واجعلني حكما فانهم يرجعون الي فادخله داخلا وارسل اليهم فجاؤوا فقال اختاروا
رجلا يكون حكما بيني وبينكم قالوا قد رضينا ميمون بن يامين فقال اخرج اليهم فقال
اشهد انه رسول الله فابوا ان يصدقوه والله اعلم وقد اشار الى انكارهم نبوته صلى الله
عليه وسلم مع معرفتهم لها صاحب الهمزية بقوله

عرفوه وانكروه بظلم * كتمته الشهادة الشهداء
او نورا لاله يطفيه الافو * اه وهو الذي به يستضاء
كيف يهدي الاله منهم قلوبا * حشوها من حبيبه البغضاء

اي عرفوا انه النبي المنتظر وانكروه بظواهرهم ولاجل ظلمهم كتمت الشهادة
به العارفون به او نورا لا لاله الذي هو النبوة تذهبه الالسن لا يكون ذلك
وكيف يكون ذلك وهو الذي يستضاء به في الظاهر والباطن كيف يوصل الاله
قلوبا للحق وعليها البغضاء لحبيبه **اقول** وقيل في سبب نزول سورة قل هو الله احد
ان وفد نجران لما نطقوا بالتثليث قال لهم المسلمون من خلقكم قالوا الله قالوا لهم
فلم عبدتم غيره فجعلتم معه الهين قالوا بل هو اله واحد لكنه حل في جسد المسيح
اذ كان في بطن امه فقالوا لهم هل كان المسيح ياكل الطعام قالوا كان ياكل الطعام
فانزل الله تعالى قل هو الله احد الله الصمد تكذيبا لهم في انه ثالث ثلاثة والصمد هو
الذي لا جوف له فهو غير محتاج الى الطعام وقيل سبب نزولها ان قريشا هم الذين
قالوا له انسب لنا ربك يا محمد وتقدم ما فيه والله اعلم **وقد جا** عن ابن عباس رضي
الله عنهما في تفسير قوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واوفوا
بعهدي اوف بعهدكم قال الله تعالى للاحبار من اليهود اوفوا بعهدي الذي اخذته

في اعناقكم للنبي صلى الله عليه وسلم اذا جاءكم بتصديقه واتباعه اوف بعهدكم
انجز لكم ما وعدتكم عليه بوضع ما كان عليكم من الاصر والاغلال ولا تكونوا اول
كافر به وعندكم فيه من العلم ما ليس عند غيركم وتكتموا الحق وانتم تعلمون اي لا
تكتموا ما عندكم من المعرفة برسول الله وبما جاء به وانتم تجدونه عندكم فيما تعلمون
من الكتب التي بايديكم قال بعضهم ولم يسلم من رؤساء علماء اليهود الا عبد الله بن سلام
وضم اليه السهيلي عبد الله بن صوريا قال الحافظ ابن حجر لم اقف لعبد الله بن صوريا
على اسلام من طريق صحيح وانما نسب لتفسير النقاش اي وبعضهم لعبد الله بن سلام ميمون
المتقدم ذكره **وروي** في سبب اسلام ابن سلام اي اظهار اسلامه على ما تقدم انه
لما بلغه مقدم النبي صلى الله عليه وسلم اتاه في قبا فعنه صلى الله عليه وسلم رضي الله تعالى
عنه جاء رجل حتى اخبر بقدومه صلى الله عليه وسلم وانا في راس نخلة اعمل فيها وعمتي
جالسة فلما سمعت بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم كبرت فقالت عمتي لو كنت سمعت
بموسى بن عمران ما زدت فقلت لها اي عمتي فوالله هو اخو موسى بن عمران وعلى دينه
بعث بما بعث به قالت يا ابن اخي اهو النبي الذي كنا نخبر انه يبعث مع نفس الساعة
وفي لفظ مع نفس الساعة فقلت لها نعم اي وقد جاء عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما
بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت
ظل رمحي وجعل الذل والصغار على من خالف امري وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال
بعثت انا والساعة كهاتين وقال باصبعيه هكذا يعني السبابة والوسطى اي
جمع بينهما وفي رواية بعثت في نفس الساعة سبقتها كما سبقت هذه هذه
واشار باصبعيه الوسطى والسبابة قال الطبري الوسطى تزيد على السبابة
بنصف سبع اصبع كما ان نصف يوم من سبعة ايام نصف سبع اي وقد تقدم
عن ابن عباس الدنيا سبعة ايام كل يوم الف سنة وبعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم في اخر يوم منها وتقدم في حديث اخرجه ابو داود لن يعجز الله ان يؤخر
هذه الامة نصف يوم يعني خمسمائة سنة قال بعضهم فان قيل ما وجه الجمع
بين هذا وبين قوله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الساعة ما المسئول عنها
باعلم من السائل لدلالة الرواية على علمه بها **اجيب** بان القران نطق بان
علمها عند الله لا يعلمها الا هو ومعنى قوله بعثت انا والساعة كهاتين انه ليس
بيني وبينها اخر اي نبي بشريعة ولا يتراخى الى ان تندرس شريعتي فهو صلى الله عليه
وسلم اول اشراطها لانه نبي اخر الزمان وهذا لا يقتضي ان يكون عالما بخصوص
وقتها قال ابن سلام وكنت عرفت صفته واسمه اي في التوراة زاد في روايته

مكث

مكث سرّ لذلك ساكتا عليه حتى قدم المدينة فجئته **فقلت** يا محمد اني سائلك
عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما اول طعام ياكله اهل الجنة
وما بال الولد ينزع الى ابيه او الى امه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخبرني بهن
جبريل انفا فقال ابن سلام ذاك يعني جبريل عدو اليهود من الملائكة وقيل
قائل ذلك عبد الله بن صوريا ولا مانع من ان يكون قال ذلك كل منهما اي **وعن**
ابن صوريا انه قال له صلى الله عليه وسلم من ينزل عليك بالوحي قال جبريل قال ذاك عدونا
ولو كان غيره وفي لفظ لو كان ميكائيل لامنا بك لان جبريل ينزل بالخسف والحرب
والهلاك وميكائيل ينزل بالخصب والسلم **وسبب** العداوة انهم زعموا انه امر ان
يجعل النبوة فيهم اي يجعل النبي المنتظر في بني اسرائيل الذين هم اولاد اسحاق فجعلها
في غيرهم اي في ولد اسماعيل وقيل سبب عداوتهم لجبريل انه اطلع على نبيهم ان بيت
المقدس به بخت نصر فبعثوا من يقتله من اعظم بني اسرائيل قوة فاراد قتله فمنعه
منه جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه فصدقه ورجع
عنه اي فان بني اسرائيل لما اعتدوا وقتلوا شعيا جاء بخت نصر ملك فارس
وحاصر بيت المقدس وفتحها عنوة واحرق التوراة وخرب بيت المقدس وقيل
في سبب العداوة كونه يطلع النبي صلى الله عليه وسلم على سرهم ولا مانع من ان يكون
كل ذلك سببا للعداوة **ثم** قال صلى الله عليه وسلم اما اشراط الساعة فنار
تحشرهم من المشرق الى المغرب **واما** اول طعام ياكله اهل الجنة فزيادة كبد الحوت
اي وهي القطعة المنفردة المعلقة بالكبد قال بعضهم وهي في الطعم في غاية
اللذة ويقال انها اهنى طعام وامراه **وروي** ان الثور ينطح الحوت بقرنه فيموت
فياكل منه اهل الجنة ثم يحيى فينحر الثور بذنبه فياكله اهل الجنة ثم يحيى
قال واما الولد فاذا سبق ماء الرجل ماء المراة نزع الولد اليه وان سبق ماء
المراة ماء الرجل نزع اليها اي ولكن في فتح الباري عن عائشة رضي الله تعالى عنها
اذا علا ماء الرجل ماء المراة اشبه اعمامه واذا علا ماء المراة ماء الرجل اشبه المراة
اخواله والمراد بالعلو السبق **وعن** ثوبان اذا علا مني الرجل مني المراة جاء
الولد ذكرا وان علا مني المراة مني الرجل جاء انثى والعلو فيه على بابه هذا كلامه
اي واذا استوى الماآن جاء خنثى وفي رواية قال اول له صلى الله عليه وسلم اين تكون
الناس يوم تبدل الارض غير الارض والسموات ومن اول الناس اجازة وما
تحفتهم اي الناس حين يدخلون الجنة وما غذاؤهم على اثره وما شرابهم عليه
فاجابهم بانهم يكونون في ظلمة دون الجسر ولعل المراد بالجسر الصراط لكن

في رواية مسلم اين الناس يومئذ قال على الصراط ثم رايت عن البيهقي ان قوله على
الصراط مجاز لكونه مجاورته ونقل القرطبي عن صاحب الافصاح ان الارض
والسما يتبدلان مرتين المرة الاولى تتبدل صفتهما فقط وذلك قبل نفخة الصور
الصعق فتتناثر كواكبها ويخسف الشمس والقمر وتصير السما كالمهل وتكشط
الارض وتسير الجبال والمرة الثانية تتبدل ذاتهما وذلك اذا وقفوا في المحشر
فتتبدل الارض بارض من فضة لم يقع عليها معصية وهي الساهرة اي والسما تكون
من ذهب كما جا عن علي وفي الصحيحين عن ابي سعيد الخدري تكون الارض يوم القيمة
خبزة واحدة يكفاها الجبار كما يكفي احدكم خبزته في السفرة نزلا لاهل الجنة
فيا كل المومن من تحت رجليه ويشرب من الحوض قال الحافظ ابن حجر ويستفاد
منه ان المومنين لا يعذبون بالجوع في طول زمان الموقف بل يقلب الله بقدرته طبع
الارض حتى ياكلوا منها من تحت اقدامهم ما شا الله من غير علاج ولا كلفة قال ويويد
ان هذا مراد الحديث ما جا تبدل الارض بيضا مثل الخبزة ياكل منها اهل الاسلام
حتى يفرغوا من الحساب هذا كلامه فليتامل مع ما قبله من ان الارض تبدل بارض
من فضة وان هذا يدل على ان تلك الارض التي تكون خبزة في موقف الحساب
وما جا عن علي رضي الله عنه يدل على انها تكون بعد مجاوزتهم الصراط واول
الناس اجازة فقرا المهاجرين وتحفة اهل الجنة حين يدخلونها زيادة كبد النون
اي الحوت وغداهم ينحر لهم ثور الجنة الذي ياكل من اطرافها وشرابهم من عين تسمى
سلسبيلا وسالوه فقالوا اخبرنا عن علامة النبي صلى الله عليه وسلم فقال تنام
عيناه ولا ينام قلبه وسالوه اي طعام حرم اسرايل على نفسه قبل ان تنزل
التوراة قال انشدكم بالذي انزل التوراة على موسى هل تعلمون ان اسرايل
يعقوب مرض مرضا شديدا وطال سقمه فنذر لين شفاه الله تعالى من سقمه
ليحرمن احب الشراب اليه واحب الطعام اليه فكان احب الطعام اليه لحمان
الابل واحب الشراب اليه البانها قالوا اللهم نعم اي حرمهما دعا لنفسه ومنعا
لها عن شهواتها وقيل لانه كان به عرق النسا وكانوا اذا طعم ذلك هاج
به وذكر ان نزول قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرايل الا ما حرم اسرايل
على نفسه قول اليهود له صلى الله عليه وسلم كيف تقول انك على ملة ابراهيم
وانت تاكل لحوم الابل وتشرب البانها وكان ذلك محرما على نوح وابراهيم حتى
انتهى الينا اي علمه في التوراة فنحن اولى الناس بابراهيم منك ومن غيرك فانزل
الله تعالى الاية تكذيبا لهم اي بان هذا انما حرمه يعقوب على نفسه ومن ثم جا

فيها فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين وكانت اليهود اذا حاضت
المراة منهم اخرجوها من البيت ولم يواكلوها ولم يشاربوها اي وفي كلام
الواحدي قال المفسرون كانت العرب في الجاهلية اذا حاضت المراة لم
يواكلوها ولم يشاربوها ولم يساكنوها في بيت كفعل المجوس هذا كلامه
فسيل صلى الله عليه وسلم عن ذلك اي قال له بعض الاعراب يا رسول الله البرد
شديد والثياب قليلة فان اثرناهن بالثياب هلك ساير اهل البيت
وان استاثرناها هلكت الحيض فانزل الله تعالى ويسيلونك عن المحيض قل هو
اذى الاية فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنعوا كل شي الا النكاح
اي الوطي وما في معناه من مباشرة ما بين السرة والركبة اي فان الاية
لم تنص الا على عدم قربانهن بالوطي في المحيض ومن ثم جا في رواية انما امرتم
ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت فبلغ
ذلك اليهود فقالوا ما يريد هذا الرجل ان يدع من امرنا شيا الا خالفنا فيه فجا اسيد
ابن حضير وعباد بن بشر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالا ان اليهود قالت كذا
فلا نجامعهن اي نوافقهن فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم اي وعند ذلك
قال بعض الصحابة فظننا انه قد وجد اي غضب عليهما فلما خرجا استقبلتهما
هدية من لبن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل في اثارهما فسقاهما فعرفنا انه
لم يجد عليهما وذكر المفسرون ان في منع الوطي للحايض اقتصادا بين افراط اليهود
وتفريط النصارى فانهم لا يمتنعون من وطي الحيض اي وذكر ان ابن سلام وغيره
ممن اسلم من يهود استمروا على تعظيم السبت وكراهة اكل لحم الابل وشرب البانها
فانكر ذلك عليهم المسلمون فقالوا ان التوراة كتاب الله فنعمل بها ايضا فانزل الله تعالى
يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة قال وفي رواية قالوا له ما هذا السواد الذي في القمر
فاجابهم عن ذلك بانهما كانا شمسين اي شمس في الليل وشمس في النهار قال الله تعالى
فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة فالسواد الذي يرى هو المحو اي اثره قال
بعضهم في قوله تعالى واية لهم الليل نسلخ منه النهار ان الليل ذكر والنهار انثى
فالليل كادم والنهار كحوى وقد ذكر ان الليل من الجنة والنهار من النار ومن ثم كان
الانس بالليل اكثر وجا انه صلى الله عليه وسلم قال لرجل من علما اليهود اتشهد اني
رسول الله قال لا قال اتقرا التوراة قال نعم قال والانجيل قال نعم فناشده هل تجدني
في التوراة والانجيل قال نجد مثلك ومثل مخرجك ومثل هيئتك فلما خرجت
خفنا ان تكون انت فنظرنا فاذا انت لست هو قال ولم ذلك قال معه من امته سبعون

الفا ليس عليهم حساب ولا عذاب وانا معك نتر بيبير قال والذى نفسى بيده
لانا هو وانهم لاكثر من سبعين الفا وسبعين الفا وقد سالنه صلى الله عليه وسلم
عن اليهود عن الرعد والبرق فقال هو صوت ملك موكل بالسحاب بيسوقه اى بمخراق
من نار فى يده يزجر به السحاب المحيث امرالله تعالى وعن على بن ابى طالب رضى الله تعالى
عنه قال البرق مخاريق من نار بايدى ملائكة يزجرون بها السحاب والمخراق المنديل يلف
ليضرب به وحينئذ فالمراد بالملك الجنس وفى رواية ان الله ينشى السحاب فينطق احسن
نطق ويضحك احسن الضحك ومنطقها الرعد وضحكها البرق وفى بعض الاثار ملائكة
يقال لهم الحيات فاذا حركوا اجنحتهم فهو البرق اى وتحريكهم لاجنحتهم يكون غالبا
عند الرعد لان الغالب وجود البرق عند الرعد وعن بعضهم قال بلغنى ان البرق ملك
له اربعة وجوه وجه انسان ووجه ثور ووجه نسر ووجه اسد فاذا مصع بذنبه
اى حركه فذلك البرق وتحريكه غالبا يكون عند وجود الرعد وعن ابن عباس رضى الله تعالى
عنهما البرق ملك يترا اى يظهر ويغيب وفى رواية الرعد ملك يزجر السحاب والبرق
طرف ملك اى ينظر به عند وجود الرعد غالبا وفى رواية ان ملكا موكل بالسحاب
وفى يده مخراق فاذا دفع برقت واذا زجر رعدت واذا ضرب صعقت وعن مجاهد
الرعد ملك والبرق اجنحته يسوق بها السحاب فيكون المسموع صوته او صوت
سوقه فليتامل الجمع بين هذه الروايات وذهبت الفلاسفة الى ان الرعد صوت
اصطكاك اجرام السحاب والبرق ما ينقدح من اصطكاكها فقد زعموا ان عند
اصطكاكها اى اجرام السحاب بعضها ببعض تخرج نار لطيفة حديدة لا تمر بشى الا اتت
عليه الا انها مع حدتها سريعة الخمود وقيل فى سبب نزول قوله تعالى ما ننسخ من اية
او ننسها نات بخير منها او مثلها ان اليهود انكروا النسخ فقالوا الا ترون الى محمد
يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامرهم بخلافه فنزلت وسالوه مم يخلق الولد فقال
يخلق من نطفة الرجل ومن نطفة المراة اما نطفة الرجل فنطفة غليظة اى
بيضا منها العظم والعصب واما نطفة المراة فنطفة رقيقة اى صفرا منها اللحم
والدم فقالوا هكذا كان يقول من قبلك اى من الانبيا وتقدم فى ترجمة سطيح ايراد
عيسى عليه السلام على ذلك اى وقالوا اغاظة له صلى الله عليه وسلم ما نرى لهذا
الرجل همة الا النسا والنكاح ولو كان نبيا كما زعم لشغله امر النبوة عن النساء
فانزل الله تعالى ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية فقد
جا انه كان لسليمان عليه السلام مائة امراة وتسعمائة سرية وسالوه عن رجل
زنا بامراة بعد احصانه اى لان شريعتهم تخيير زنا بشريعتهم وهما محصنان فكرهوا

رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم الى بنى قريظة ليسالوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم اى قالوا لهم ان هذا الرجل الذى بيثرب ليس فى كتابه الرجم ولكنه الضرب فسالوه
فاجابهم بالرجم فلم يفعلوا ذلك فقال لجمع من علمائهم انشدكم بالذى انزل التوراة
على موسى اما تجدون فى التوراة على من زنا بعد احصان الرجم فانكروا ذلك فقال
عبد الله بن سلام فان فيها اية الرجم فاتوا بالتوراة فوضع واحد منهم يده على تلك
الاية فقال له ابن سلام ارفع يدك عنها فرفع فاذا اية الرجم اقول هذا كان فى
السنة الرابعة وهو مخالف لما فى بعض الروايات ان احبار يهود اى وهم كعب بن الاشرف
وسعيد بن عمرو ومالك بن الصلت وكنانة بن ابى الحقيق اجتمعوا فى بيت المدارس
حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقد زنا رجل من يهود بعد احصانه
بامراة محصنة من يهود وقالوا ان افتانا بالجلد اخذنا به واحتججنا به عند الله
وقلنا فتيا نبى من انبيائك وان افتانا بالرجم خالفناه لانا خالفنا التوراة
فلا علينا من مخالفته وفى رواية الصحيحين عن ابن عمر ان اليهود جاؤا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له ان رجلا منهم وامراة زنيا اى بعد احصان فقال
لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجدون فى التوراة فى شان الرجم قالوا نفضحهما
اى بان نسود وجوههما ثم يجلدان على حمارين ووجوههما من ادبار الحمار وفى
لفظ يحملان على الحمار فقال عبد الله بن سلام كذبتم ان فيها اية الرجم فاتوا بالتوراة
فنشروها فوضع احدهم يده على اية الرجم فقرا ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله
ابن سلام ارفع يدك فرفع يده فاذا فيها اية الرجم فقالوا صدق يا محمد فيها اية الرجم
وتقدم ان موسى عليه السلام خطب بنى اسرائيل فقال يا بنى اسرائيل من سرق قطعنا يده
ومن افترى جلدناه ثمانين جلدة ومن زنا وليست له امراة جلدناه مائة جلدة
ومن زنا وله امراة رجمناه حتى يموت والله اعلم قال فلما جاءوا اليه قالوا يا ابا القاسم
ما ترى فى رجل وامراة زنيا اى بعد احصانهما فقال لهم ما تجدون فى التوراة قالوا
دعنا من التوراة فقل ما عندك فافتاهم بالرجم فانكروه ثم لم يكلمهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى اتى بيت مدارسهم فقام على الباب فقال يا معشر اليهود اخرجوا
الى اعلمكم فاخرجوا اليه عبد الله بن صوريا وابا ياسر بن اخطب ووهب بن يهودا فقالوا
هؤلاء علماؤنا فقال انشدكم بالله الذى انزل التوراة على موسى ما تجدون فى التوراة
على من زنا بعد احصانه قالوا نجمه اى نعيره ونجبيه فقال عبد الله بن سلام كذبتم
فان فيها اية الرجم اى وفى رواية لما سالهم واجابوه الا شاب منهم فانه سكت
فالح صلى الله عليه وسلم فى التشديد النشد فقال اللهم اذ نشدتنا فانا نجد

في التوراة الرجم ولكن رأينا انه ان زنى الشريف جلدناه والوضيع رجمناه كان من
الحيف فاتفقنا على ما نقيمه على الشريف والوضيع وهو ما علمك فعند ذلك قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا احكم بما في التوراة ولعل هذا الشاب ابن صوريا وفي
الكشاف انه لما امرهم بالرجم ابوا ان ياخذوا به فقال له جبريل عليه السلام اجعل
بينك وبينهم ابن صوريا حكما اي ووصفه له جبريل فقال صلى الله عليه وسلم هل تعرفون
شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو اعلم يهودي
على وجه الارض بما انزل الله تعالى على موسى في التوراة ورضوا به حكما فقال له صلى الله
عليه وسلم انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي انزل التوراة على موسى وفلق
البحر ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق فرعون وظلل عليكم الغمام وانزل عليكم
المن والسلوى والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم
على من احصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا
العذاب وفي رواية قال نعم والذي ذكرتني به لولا خشيت ان تحرقني التوراة ان
كذبتك ما اعترفت لك ولكن كيف هي في كتابك يا محمد قال اذا شهد اربعة رهط
عدول انه قد ادخله فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم فقال ابن صوريا
والذي انزل التوراة على موسى هكذا انزل الله في التوراة على موسى قلينا مثل الجمع
بين هذه الروايات على تقدير صحتها ثم سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء يعرفها
من اعلامه فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله النبي الامي وهذا مما يدل
على اسلامه وتقدم انكار صحته عن الحافظ ابن حجر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ايتوا بالشهود فجاؤا باربعة فشهدوا انهم رأوا ذكره في فرجها مثل الميل في المكحلة
فامر بهما فرجما عند باب مسجده صلى الله عليه وسلم قال ابن عمر فرايت الرجل يجنى على
المراة يقيها الحجارة فكان ذلك سببا لنزول قوله تعالى انا انزلنا التوراة فيها
هدى ونور ولنزول قوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون وفي اخرى
فاولئك هم الفاسقون وفي اخرى فاولئك هم الكافرون وعن عمرو بن ميمون قال
رايت الرجم في الجاهلية في غير بني ادم كنت في اليمن في غنم لاهلي فجاء قرد ومعه
قردة فتوسد يدها ونام فجاء قرد اصغر منه فغمزها فسلت يدها من تحت رأس القرد
برفق وذهبت معه شجرات فاستيقظ القرد فزعا فشمها فصاح فاجتمعت القردة
فجعل يصيح ويومي اليها بيده فذهب القردة يمنة ويسرة فجاؤا بذلك القرد فحفروا
لهما حفرة فرجموهما وفي لفظ رايت في الجاهلية قردة زنت فرجموها يعني القردة
ورجمتها معهم قال في الاستيعاب وهذا عند جماعة من اهل العلم منكر لاضافة

الزنا الى غير مكلف واقامة الحدود في البهائم ولو صح لكانوا من الجن لان العبادات
في الانس والجن دون غيرهما هذا كلامه فليتامل والله اعلم وقد ذكر غير واحد ان
احبار يهود غيروا صفته صلى الله عليه وسلم التي في التوراة خوفا على انقطاع
نفقتهم فانها كانت على عوامهم لعلمهم بالتوراة فخافوا ان تؤمن عوامهم فتنقطع
عنهم النفقة اي وكانوا يقولون لمن اسلم لا تنفقوا مالكم على هؤلاء يعني المهاجرين
فانا نخشى عليكم الفقر فانزل الله تعالى الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل
ويكتمون ما آتاهم الله من فضله اي من صفة النبي صلى الله عليه وسلم الذي يجدونها
في كتابهم فقد كان فيها كحل العين ربعة جعد الشعر حسن الوجه فمحوه وقالوا نجده
طويلا ازرق العين سبط الشعر واخرجوا ذلك الى اتباعهم وقالوا هذا نعت النبي
الذي يخرج في آخر الزمان وعند ذلك انزل الله تعالى ان الذين يكتمون ما انزل الله من
الكتاب الاية وكان اليهود اذا كلموا النبي صلى الله عليه وسلم قالوا راعنا سمعك
واسمع غير مسمع ويضحكون فيما بينهم اي لان ذلك كما قال ابن عباس بلسان اليهود
السب القبيح فلما سمع المسلمون منهم ذلك ظنوا ان ذلك شيء كان اهل الكتاب يعظمون
به انبياءهم فصاروا يقولون ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ففطن سعد بن معاذ
لليهود يوما وهم يضحكون فقال لهم يا اعداء الله لئن سمعنا من رجل منكم هذا بعد
هذا المجلس لاضربن عنقه فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا
انظرنا وفي رواية ان اليهود لما سمعوا الصحابة رضي الله عنهم تقول له صلى الله عليه وسلم
اذا القى عليهم شيئا يا رسول الله راعنا اي انتظرنا وتأن حتى نفهم وكانت
هذه الكلمة عبرانية تتساب بها اليهود فلما سمعوا المسلمين يقولون له صلى
الله عليه وسلم راعنا خاطبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم براعنا يعنون بذلك
السبة ومن ثم لما سمع سعد بن معاذ ذلك من اليهود قال لهم يا اعداء الله عليكم لعنة
الله والذي نفسي بيده ان سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه
وسلم لاضربن عنقه بالسيف فقالوا الستم تقولونها فنزلت وجاء صلى الله عليه وسلم
جماعة من اليهود باطفالهم فقالوا له يا محمد هل على اولادنا هؤلاء من ذنب قال لا فقالوا
والذي نحلف به ما نحن الا كهيئتهم ما من ذنب نعمله بالليل الا كفر عنا بالنهار وما
من ذنب نعمله بالنهار الا كفر عنا بالليل فانزل الله تعالى الم تر الى الذين يزكون
انفسهم الاية وجاء ان احبار يهود منهم ابن صوريا اي قبل ان يسلم على ما تقدم
وشاس بن قيس وكعب بن اسد اجتمعوا وقالوا ابعث الى محمد لعلنا نفتنه في دينه
فجاؤا اليه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار يهود واشرافهم وان اتبعناك اتبعك

كل اليهود وبيننا وبين قوم خصومة فنحاكمهم اليك فتقضي لنا عليهم فنؤمن
بك فابى ذلك عليهم فنزل وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم الاية
ومن اليهود من دخل في الاسلام تقية من القتل لما قهرهم الاسلام بظهوره
واجتماع قومهم عليه فكان هواهم مع يهود في السر وهم المنافقون وقد ذكر
بعضهم ان المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثمائة
منهم الجلاس بجيم مضمومة ولام مخففة فالف فسين مهملة بن سويد بن الصامت
قال يوما ان كان هذا الرجل صادقا لنحن شر من الحمر فسمعها عمير بن سعد رضي الله تعالى
عنه وهو ابن زوجة جلاس اي فان الجلاس كان زوجا لام عمير وكان عمير يتيما في
حجره ولا مال له وكان يكفله ويحسن اليه فجاء الجلاس ليلة فاستلقى على فراشه
فقال لئن كان ما يقول محمد حقا فلنحن شر من الحمير فقال له عمير يا جلاس انك لاحب الناس
واحسنهم عندي يدا ولقد قلت مقالة لئن رفعتها عليك لافضحك ولئن صمت عليها
اي سكت عنها ليهلكن علي ديني ولاحداهما ايسر من الاخرى فمشى الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فذكر له مقالة الجلاس فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الجلاس
فحلف بالله لقد كذب علي عمير وما قلت ما قال عمير فقال عمير بلى والله لقد قلته فتب الى
الله ولولا ان ينزل القران فيجعلني معك ما قلته وجاء انه صلى الله عليه وسلم استحلف
الجلاس عند المنبر فحلف انه ما قال واستحلف الراوي عنه فحلف لقد قال وقال اللهم
انزل على نبيك تكذيب الكاذب وتصديق الصادق فقال النبي صلى الله عليه وسلم
امين فنزل يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم
الى قوله فان يتوبوا يك خيرا لهم فاعترف الجلاس وتاب وقبل منه صلى الله عليه
وسلم توبته وحسنت توبته ولم ينزع عن خير كان يصنعه الى عمير فكان ذلك مما
عرف به حسن توبته وقال صلى الله عليه وسلم لعمير لقد وفت اذنك ومنهم نبتل
بنون مفتوحة فموحدة ساكنة فمثناة فوقية مفتوحة فلام ابن الحارث فقال النبي
صلى الله عليه وسلم من احب ان ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحارث كان
يجلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ينقل حديثه للمنافقين وهو الذي قال
لهم انما محمد اذن من حدثه شيئا صدقه فانزل الله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون
هو اذن الاية وجاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له يجلس اليك رجل معك
صفته فقال اي للحديث الذي تحدث به كبده اغلظ من كبد الحمار ينقل حديثك الى
المنافقين فاحذره ومنهم عبد الله بن ابي بن سلول وهو راس المنافقين ولاشتهاره
بالنفاق لم يعد في الصحابة وكان من اعظم اشراف اهل المدينة وكانوا قبل مجيئه

صلى الله

صلى الله عليه وسلم المدينة قد نظموا له الخرز ليتوجوه ثم يملكوه عليهم اي كما تقدم
لان الانصار من القحطان ولم يتوج من العرب الا القحطان ولم يبق من الخرز الا
خرزة واحدة كانت عند شمعون اليهودي فلما جاءهم الله برسوله صلى الله عليه وسلم
انصرف عنه قومه الى الاسلام فضغن اي اضمر العداوة لانه راى رسول الله صلى
الله عليه وسلم قد سلبه ملكا فلما راى قومه قد ابوا الا الاسلام دخل فيه كارها
مصرا على النفاق اي وكان له اماء يكرههن على الزنا ليأخذ اجورهن فانزل الله تعالى
ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء اي وقد قيل في سبب نزول قوله تعالى واذا لقوا الذين
امنوا قالوا امنا ان عبد الله بن ابي واصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ابو بكر وعمر وعلي فقال عبد الله بن ابي انظروا
كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم
وشيخ الاسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار الباذل نفسه وماله
ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه
وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى
الله عليه وسلم وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم افترقوا
فقال علي اتق الله يا عبد الله ولا تنافق فان المنافقين شر خليقة الله تعالى فقال له عبد
الله مهلا ابا الحسن الي تقول هذا والله ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم
ثم قال لاصحابه كيف رايتموني فعلت فاثنوا عليه خيرا فنزلت وقد قال صلى الله عليه وسلم
مثل المنافق مثل الشاة العائرة بين الغنمين اي المترددة بينهما تعير الى هذه
مرة والى هذه مرة وفي هذه السنة الاولى من الهجرة اعرس صلى الله عليه وسلم
بعائشة كذا في الاصل وفي المواهب ان ذلك كان في السنة الثانية من الهجرة
في شوال فعن عائشة رضي الله تعالى عنها تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنى بي
في شوال فاي نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كان احظى عنده مني فاتوهم بعض
الناس من التشاؤم بذلك لكونه بين العيدين فتحصل المفارقة بين الزوجين
لا عبرة به ولا التفات اليه وكان ذلك على راس اثني عشر شهرا وقيل بعد سبعة
اشهر وقيل بعد ثمانية اشهر من مقدمه صلى الله عليه وسلم قالت عائشة رضي الله
تعالى عنها فدخل بيتنا واجتمع اليه رجال ونساء من الانصار فجاءتني امي واني لفي ارجوحة
بين عذقين اي نخلتين فانزلتني من الارجوحة ولي جميمة لاني وعكت اي مرضت لما
قدمنا المدينة اي اصابتها الحمى وفي البراء قال دخلت مع ابي بكر الصديق على اهله
فاذا عائشة ابنته مضطجعة قد اصابتها الحمى فرأيت اباها يقبل خدها ويقول

كيف أنت يا بنية قالت عائشة فتمرق شعري ففرقتها وتمسحت وجهي بشيء من ماء
ثم اقبلت تقود بي حتى وقفت بي عند الباب وانى لانهج حتى سكن نفسي ثم دخلت
بي فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على سرير في بيتنا وعنده رجال ونساء
من الانصار فاجلستني في حجره ثم قالت هولاء اهلك فبارك الله لك فيهم وبارك
لهم فيك فوثب الرجال والنساء فخرجوا وبنى بي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتنا
اي ففد بنى بها نهارا وفي الصحاح العامة تقول بنى باهله وهو خطا وانما يقال بنى
على اهله قال الحافظ ابن حجر ولا يغني عن الخطا كثرة استعمال الفصحاء له كاستعمال
عائشة له هنا وفي الاستيعاب واخرج عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان ابا بكر قال
يا رسول الله ما يمنعك ان تبني باهلك قال الصداق فاعطاه ابو بكر اثنتي عشرة
اوقية ونشا فبعث بها الينا وبنى بي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي هذا الذي انا
فيه وهو الذي توفي فيه ودفن فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه ان سياق
ما تقدم وما ياتي يدل على انه انما دخل بها في بيت ابيها بالسنح ثم رايت بعضهم صرح بذلك
فقال كان دخوله بها عليه الصلاة والسلام بالسنح نهارا وهذا خلاف ما يعتاده
الناس اليوم هذا كلامه وفي رواية عنها اتتني امي وانى لفي ارجوحة مع صواحب لي
فصرخت بي فاتيتها ما ادري ما تريد بي فاخذت بيدي حتى وقفت بي على باب
الدار وانا انهج حتى سكن بعض نفسي ثم اخذت شيئا من ما فمسحت به وجهي
وراسي ثم ادخلتني الدار فاذا نسوة من الانصار في البيت فقلن على الخير والبركة
وعلى خير طائر فاسلمتني اليهن واصلحن من شاني فلم يرعني الا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ضحى فاسلمتني اليه وانا يومئذ بنت تسع سنين قال بعضهم دخل صلى
الله عليه وسلم بعائشة ولعبتها معها اي وعنها رضي الله تعالى عنها انها كانت تلعب
بالبنات اي اللعب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ياتيها جويريات
يلعبن معها بذلك وربما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسربهن اليها اي يطلعهن
لها ليلعبن معها قالت وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك او حنين
فهبت ريح فكشفت ناحية من ستر على صفة في البيت عن بنات لي فقال ما هذا
يا عائشة قلت بناتي وراى بينهن فرسا له جناحان من رقاع فقال وما هذا الذي ارى
وسطهن قلت فرس قال وما هذا الذي عليه قلت جناحان قلت اما سمعت ان لسليمان
خيلا لها اجنحة فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وفيه هلا امرها
بتغيير ذلك واجيب بان هذا استثني من عدم جواز تصوير ذي الروح وقولها
اما سمعت ان لسليمان خيلا لها اجنحة واقراره صلى الله عليه وسلم لها على ذلك

بذل

بدل على صحته ثم رأيت بعضهم اورد انه كان لسليمان خيل لها اجنحة وقد ذكرت
ذلك عند الكلام على اسماعيل صلوات الله وسلامه عليه في اوائل هذه السيرة
وعنها انها قالت وما نحرت على جزور ولا ذبحت على شاة اي عند بنائه بها حتى
ارسل الينا سعد بن عبادة بجفنة كان يرسل بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي وفي كلام بعضهم وروى انه صلى الله عليه وسلم ما اولم على عائشة بشيء
غير ان قدحا من لبن اهدي من بيت سعد بن عبادة فشرب النبي صلى الله عليه وسلم
بعضه وشربت عائشة باقيه اقول يجوز ان يكون سعد ارسل بالقدح من اللبن
وبالجفنة وان بعض الرواة اقتصر على احدهما ثم لا يخفى انه يجوز ان تكون الرواية
الاولى واقعة بعد هذه الرواية الثانية وانها ذهبت الى الارجوحة ثانيا بعد
ان اصلح النساء من شانها وفعلت بها امها ما ذكر وانه وقع الاختصار في الرواية
الاولى والله اعلم

باب ذكر مغازيه

صلى الله عليه وسلم ذكر ان مغازيه اي وهي التي غزا فيها بنفسه كانت سبعا
وعشرين اي وهي غزوة بواط ثم غزوة العشيرة ثم غزوة سفوان ثم
غزوة بدر الكبرى ثم غزوة بني سليم ثم غزوة بني قينقاع ثم غزوة السويق
ثم غزوة قرقرة الكدر ثم غزوة غطفان وهي غزوة ذي امر ثم غزوة بحران
بالحجاز ثم غزوة احد ثم غزوة حمراء الاسد ثم غزوة بني النضير ثم غزوة
ذات الرقاع وهي غزوة محارب وبني ثعلبة ثم غزوة بدر الاخرة وهي غزوة بدر
الموعد ثم غزوة دومة الجندل ثم غزوة بني المصطلق ويقال به بدر الموعد ثم
غزوة الخندق ثم غزوة بني قريظة ثم غزوة بني لحيان ثم غزوة الحديبية
ثم غزوة ذي قرد ويقال قرد بضمتين وهو في اللغة الصوف الردي ثم غزوة
خيبر ثم غزوة وادي القرى ثم غزوة عمرة القضاء ثم غزوة فتح مكة ثم
غزوة حنين والطائف ثم غزوة تبوك والتي وقع فيها القتال من تلك الغزوات
اي وقع القتال من اصحابه وهو المراد بقول بعضهم كالاصل التي قاتل فيها رسول الله
صلى الله عليه وسلم تسع وهي غزاة بدر الكبرى واحد والمريسيع اعني بني المصطلق
والخندق وقريظة وخيبر وفتح مكة وحنين والطائف اي وبعضهم اسقط
فتح مكة قال النووي ولعل مذهبه انها فتحت صلحا كما قال امامنا الشافعي وموافقوه
اي فيصح بيع دورها واجارتها واستدل لذلك بانها لو كانت فتحت عنوة لقسمها بين
الغانمين وسياتي الجمع بان اسفلها فتح عنوة اي لوقوع القتال فيه من خالد بن الوليد
مع المشركين واعلاها فتح صلحا لعدم وجود القتال فيه وفي الهدي من تامل الاحاديث

الصحيحة وجدها كلها دالة على قول الجمهور انها فتحت عنوة اى لوقوع القتال
بها ومما يدل على ذلك انه لم يصالح اهلها عليها والا لم يحتج الى قوله من دخل دار ابى
سفيان فهو امن الخ وانما لم يقسمها لانها دار المناسك فلكل مسلم فيها حق **اقول**
هذا واضح فى غير دورها وسياتى الجواب عن ذلك وبما قررناه يعلم ان قول المواهب
قاتل فى تسع منها بنفسه فيه نظر ظاهر لانه صلى الله عليه وسلم لم يقاتل فى تسع منها
بنفسه فيه نظر ظاهر لانه صلى الله عليه وسلم لم يقاتل بنفسه فى شئ من تلك الغزوات الا
فى احد كما سياتى وكانه صلى الله عليه وسلم اغتر فى ذلك بقول بعضهم المتقدم قاتل فيها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد علمت المراد منه والله اعلم ولا يخفى انه صلى الله عليه وسلم
مكث بضع عشرة سنة ينذر بالدعوة بغير قتال صابرا على شدة اذية العرب بمكة واليهود
بالمدينة له ولاصحابه لامر الله تعالى له بذلك اى بالانذار وبالصبر على الاذى والكف
بقوله ولعرض عنهم وبقوله واصبر ووعده بالفتح اى فكان ياتيه اصحابه بمكة
ما بين مضروب ومشجوج فيقول لهم صلى الله عليه وسلم اصبروا فانى لم اومر بالقتال
لانهم كانوا بمكة شرذمة قليلة ثم لما استقر امره صلى الله عليه وسلم اى بعد الهجرة
وكثرت اتباعه وشانهم ان يقدموا محبته على محبة ابائهم وابنائهم وازواجهم واصر
المشركون على الكفر والتكذيب اذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم اى ولاصحابه
بالقتال اى وذلك فى صفر من السنة الثانية من الهجرة لكن لمن قاتلهم ولبداهم به
بقوله فان قاتلوكم فاقتلوهم قال بعضهم فلم يوجبه بقوله اذن للذين يقاتلون اى
للمؤمنين ان يقاتلوا بانهم ظلموا اى بسبب انهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير اى فكان
القتال لعوضا من العذاب الذى عوملت به الامم السالفة لما كذبت رسلهم **وذكر**
فى سبب نزول قوله تعالى الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم الاية ان جماعة منهم عبد
الرحمن بن عوف والمقداد بن الاسود وقدامة بن مظعون وسعد بن ابى وقاص
كانوا من المشركين اذى كثيرا بمكة فقالوا يا رسول الله كنا فى عز ونحن مشركون فلما
امنا صرنا اذلة فاذن لنا فى قتال هؤلاء فيقول لهم كفوا ايديكم عنهم فانى لم اومر بقتالهم
فلما هاجروا الى المدينة وامروا بالقتال للمشركين كرهه بعضهم وشق عليه ذلك
فانزل الله تعالى الاية **لا يقال** يدل لما تقدم من انه قاتل صلى الله عليه وسلم بنفسه
فى تلك الغزوات ما جاء عن بعض الصحابة كنا اذا لقينا كتيبة او جيشا اول من
يضرب النبى صلى الله عليه وسلم **لانا نقول** لا يبعد ان يكون المراد بالضرب السير فى
الارض اى اول من يسير الى لقاء العدو ويؤيده ما جاء عن على رضى الله تعالى عنه
لما كان يوم بدر اتقينا المشركين برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اشد الناس

باسا وما كان احد اقرب الى المشركين منه صلى الله عليه وسلم **وفى** رواية كنا اذا حمى
الباس واتقى القوم بالقوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم اى كان وقاية
لنا من العدو وقد نقل اجماع المسلمين على انه لم يرو احد قط انه صلى الله عليه وسلم انهزم
بنفسه فى موطن من المواطن بل ثبتت الاحاديث الصحيحة باقدامه صلى الله عليه وسلم
وثباته فى جميع المواطن **لا يقال** سياتى فى غزوة بدر عن السيرة الشامية غير معزو
انه قاتل بنفسه قتالا شديدا وكذلك ابو بكر وكانا فى العريش يجاهدان بالدعا
فقاتلا بذاتهما جمعا بين المقامين وايضا سياتى فى خيبر ما قد يدل على انه قاتل بنفسه
لانا نقول سياتى ما فى ذلك ما يدل على انه لم يباشر القتال الا فى احد كما سياتى ولم تقاتل
معه الملائكة الا فى بدر ولا فى حنين قيل واحد وسياتى ما فى ذلك ولم يرم
صلى الله عليه وسلم بالحصباء فى وجوه العدو فى شئ من الغزوات الا فى هذه الثلاثة
على خلاف فى الثالث ولم يجرح اى لم تصبه جراحة فى غزوة من الغزوات الا فى
احد ولم ينصب المنجنيق فى غزوة من الغزوات الا فى غزوة الطائف **وقيل** انه نصبه
على بعض حصون خيبر وسياتى الجمع بينهما ولم يتحصن بالخندق فى غزاة الا فى غزاة
الاحزاب ثم لا يخفى ان الاية المذكورة اى التى هى اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا
وان الله على نصرهم لقدير قال بعضهم هى اول اية نزلت فى شان القتال ولما نزلت
اخبر صلى الله عليه وسلم بقوله امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله اى
او تقط حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وانى محمد رسول الله فاذا قالوها عصموا منى
دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله تعالى قيل وما حقها قال زنا بعد
احصان وكفر بعد اسلام او قتل نفس **اقول** وظاهر هذا السياق يقتضى ان الاية
فيها الامر له صلى الله عليه وسلم بالقتال المذكور **وقد** يتوقف فى ذلك ولعله امر
بذلك بغير الاية المذكورة لان الاية انما هى ظاهرة فى الاباحة والمباح ليس مامورا
به وحينئذ يكون قوله فى الاية الاخرى وهى فان قاتلوكم فاقتلوهم للاباحة لان
صيغة افعل تاتى لها وان كان الاصل فيها الوجوب وعلى ان قوله صلى الله عليه وسلم امرت
وان امره كان بغير هذه الاية يحمل على ان المراد الندب لان امر مشترك بين الوجوب والندب
ولا ينافى ما تقدم من انه لم يكن وجب عليهم القتال حينئذ والله اعلم **ثم** لما رماهم
العرب قاطبة عن قوس وتعرضوا لقتالهم من كل جانب كانوا لا يبيتون الا فى السلاح
ولا يصبحون الا فيه ويقولون ترى نعيش حتى نبيت مطمئنين لا نخاف الا الله عز
وجل **انزل** الله تعالى وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى
الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد

خوفهم امنا ثم اذن فی القتال ای ابیح الابتدا به حتی لمن لم یقاتل ای ولکن فی غیر
الاشهر الحرم ای التی هی رجب وذو القعدة وذو الحجة ومحرم ای بقوله فاذا انسلخ
الاشهر الحرم فاقتلوا المشرکین الایة ثم امر به وجوبا ای بعد فتح مکة فی السنة
الثانیة مطلقا ای من غیر تقیید بشرط ولا زمان بقوله وقاتلوا المشرکین کافة ای
جمیعا فی ای زمن فعلم ان القتال کان قبل الهجرة وبعدها الی صفر من السنة
الثانیة محرما ای لانه کان فی ذلک مامورا بالتبلیغ وکان انذار بلا قتال
لانه نهی عنه فی نیف وسبعین ایة ثم صار ماذونا فیه ای ابیح قتال من قاتل
ثم ابیح قتال من لم یقاتل فی غیر الاشهر الحرم ثم امر به مطلقا ای لمن قاتل ومن لم
یقاتل فی کل زمن ای فی الاشهر الحرم او غیرها وظاهر کلام الامام الاسنوی ان القتال
فی الحالة الثانیة کان مامورا به لا مباحا کالحالة الاولی وعبارته لما بعثه صلی
الله علیه وسلم امر بالتبلیغ والانذار بلا قتال فقال ولنعرض عنهم وقال واصبر ثم اذن
له بعد الهجرة فی قتال ان ابتدوا به فقال فان قاتلوکم فاقتلوهم ثم امر بذلک ابتداء
ولکن فی غیر الاشهر الحرم فقال فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشرکین ثم امر به
مطلقا فقال وقاتلوا المشرکین کافة هذا کلامه ولا یخفی ان الاسنوی ممن یری
ان امر للوجوب وهو یقتضی ان یکون الامر به فی الحالة الثانیة للوجوب والراجح
کما علمت ان امر المشترک بین الوجوب والندب وانه فی الحالة الثانیة مباح لا مامور
به ثم استقر امر الکفار معه صلی الله علیه وسلم بعد نزول براءة علی ثلاثة اقسام
القسم الاول محاربون له وهولاء المحاربون اذا کانوا ببلادهم یجب قتالهم علی الکفایة
فی کل عام مرة ای یکفی ذلک فی اسقاط الحرج کاحیا الکعبة واستدل لذلک بقوله
تعالی فلولا نفر من کل فرقة منهم طائفة ای فهلا نفر وقیل کان فرض عین لقصة
الثلاثة الذین تخلفوا عن الجهاد فی غزوة تبوک ویحتاج الی الجواب عن ذلک
وقیل کان فرض کفایة فی حق الانصار وفرض عین فی حق المهاجرین والقسم
الثانی اهل عهد وهم المامنون من غیر عقد الجزیة ای صالحهم ووادعهم علی ان لا
یحاربوه ولا یظاهروا علیه عدوه وهم علی کفرهم امنون علی دمائهم واموالهم والقسم
الثالث اهل ذمة ای وهم من عقدت لهم الجزیة وذلک قسم اخر وهو من دخل
فی الاسلام تقیة من القتل وهم المنافقون کما تقدم وامر ان یقبل منهم علانیتهم
ویکل سرائرهم الی الله تعالی وکان معرضا عنهم الا فیما یتعلق بشعائر الاسلام
الظاهرة کالصلاة فلا یخالف ما رواه الشیخان لقد هممت ان امر بالصلاة
فتقام ثم امر رجلا فیصلی بالناس ثم انطلق معی برجال معهم حزم من حطب الی قوم

لایشهدون

لایشهدون الصلاة فاحرق علیهم بیوتهم بالنار فقد ذکر ائمتنا ان ذلک
ورد فی قوم منافقین یتخلفون عن الجماعة ولا یصلون ای اصلا بدلیل السیاق
ای لان صدر الحدیث اثقل الصلاة علی المنافقین صلاة العشا والفجر الی ان قال
ولو یعلمون ما فیهما لاتوهما ولو حبوا ولقد هممت الخ **وفی** الخصائص الصغری وکان
الجهاد فی عهده صلی الله علیه وسلم فرض عین فی احد الوجهین عندنا وکان اذا غزا
بنفسه یجب علی کل احد الخروج معه لقوله تعالی ما کان لاهل المدینة ومن حولهم
من الاعراب ان یتخلفوا عن رسول الله ومن ثم وقع لمن تخلف عن غزوة تبوک ما وقع
واما بعده صلی الله علیه وسلم فللکفار حالان مذکوران فی کتب الفقه وعند الاذن له
صلی الله علیه وسلم فی القتال خرج لاثنتی عشرة لیلة مضت من شهر صفر من السنة
الثانیة من الهجرة ای مکث بالمدینة باقی الشهر الذی قدم فیه وهو شهر ربیع
الاول وباقی ذلک العام کله الی صفر من السنة الثانیة من الهجرة فخرج غازیا
حتی بلغ **ودان** ای بفتح الواو وتشدید الدال المهملة اخره نون وهی قریة کبیرة
بینها وبین الابوا ستة امیال او ثمانیة والابوا بالمد قریة بین مکة والمدینة کما تقدم
سمیت بذلک لتبوا السیول بها وقیل لما کان فیها من الوبا فیکون علی القلب والا
لقیل الاوبا وحینئذ لا تخالف بین تسمیة ابن الخفاف لها بغزوة ودان وبین
تسمیة البخاری لها بغزوة الابوا لتقارب المکانین ای **وفی** الامتاع ودان جبل
بین مکة والمدینة واقول قد یقال لا منافاة لانه یجوز ان تکون تلک القریة کانت
عند الجبل المذکور سمیت باسمه والله اعلم **وکان** خروجه صلی الله علیه وسلم
بالمهاجرین لیس فیهم انصاری یعترض عیرا لقریش ولبنی ضمرة ای وخرج لبنی
ضمرة فکان خروجه للشیئین کذا یفهم من الاصل ویوافقه قول بعضهم وخرج
صلی الله علیه وسلم فی سبعین رجلا من اصحابه یرید قریشا وبنی ضمرة والمفهوم من
سیرة الشامی ان خروجه انما کان لاعتراض العیر وانما اتفق له موادعة بنی ضمرة
ویوافقه قول الحافظ الدمیاطی خرج یعترض عیرا لقریش فلم یلق کیدا وفی هذه
الغزاة وادع بنی ضمرة هذا کلامه ای صالح سیدهم حینئذ وهو مجدی بن عمرو
وعبارة بعضهم فلما بلغ الابوا لقی سید بنی ضمرة مجدی بن عمرو الضمری فصالحه ثم
رجع الی المدینة والمصالحة علی ان لا یغزوهم ولا یغزونه ولا یکثروا علیه جمعا
ولا یعینوا علیه عدوا **قال** وکتب بینه وبینهم کتابا نسخته بسم الله الرحمن الرحیم
هذا کتاب من محمد رسول الله لبنی ضمرة بانهم امنون علی انفسهم واموالهم وان لهم
النصرة علی من رامهم ای قصدهم الا ان یحاربوا فی دین الله ما بل بحر صوفة ای ما بقی

فيه ما يبل الصوفة وان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دعاهم لنصرة اجابوه عليهم
بذلك ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم اى امانهما انتهى وكان
لواؤه ابيض وكان مع عمه حمزة واستعمل على المدينة سعد بن عبادة وانصرف الى
المدينة راجعا فهي اول غزوة له صلى الله عليه وسلم اى وكانت غيبته خمس عشرة
ليلة **غزوة بواط** ثم غزى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع
الاول اى وقيل الاخر اى من السنة المذكورة يريد عيرا لقريش فيها امية بن خلف
ومائة رجل من قريش والفان وخمسمائة بعير خرج في مائتين من اصحابه اى من
المهاجرين خاصة وحمل اللوا وكان ابيض سعد بن ابي وقاص **واللوا** هو العلم
الذى يحمل في الحرب يعرف به موضع امير الجيش وقد يحمله امير الجيش وقد يحمل في مقدم
الجيش واول من عقد الالوية ابراهيم الخليل بلغه ان قوما اغاروا على لوط فعقد
لوا وسار اليهم قال بعضهم صرح جماعة من اهل اللغة بترادف اللوا والراية اى
فيطلق على كل اسم الاخر **وعن** ابن اسحاق وابن سعد ان اسم الراية انما حدث
يوم خيبر واستعمل على المدينة سعد بن معاذ وقيل السايب بن مظعون اى اخو
عثمان بن مظعون وقيل السايب بن عثمان بن مظعون حتى بلغ بواط بضم الموحدة
وفتحها وتخفيف الواو والطا المهملة اى وهو جبل الينبع اى ومن ثم قيل لها
غزوة بواط قال بعضهم ومن هذا الجبل يقلع احجار المسان وهذا الجبل
لجهينة من ناحية رضوى وهو احد الاجبل التي بني منها اساس الكعبة وفيه
انه لم يذكر رضوى في تلك الاجبل الخمس التي كان منها اساس الكعبة المتقدم
ذكرها على المشهور **وقد جا** في الحديث رضوى رضي الله تعالى عنه وتزعم الكيسانية
وهم اصحاب كيسان مولى علي رضي الله تعالى عنه ان محمد بن الحنفية مقيم برضوى حي
يرزق وهو الامام المنتظر عندهم اى **وفي كلام** بعضهم ان المنتظر هو محمد
القاسم بن الحسن العسكري الذي تزعم الشيعة انه المنتظر وهو صاحب السرداب
يزعمون انه دخل السرداب في دار ابيه وامه تنظر اليه فلم يخرج اليها وكان
عمره تسع سنين وانه يعمر الى اخر الزمان كعيسى وسيظهر فيملا الدنيا عدلا كما
ملئت جورا واختفاؤه الان خوفا من اعدائه قال وهو زعم باطل لا اصل له
ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى المدينة ولم يلق كيدا اى حربا واصل الكيد الاحتيال
والاجتهاد ومن ثم سمي الحرب كيدا **غزوة العشيرة** اى وبها بدا
البخاري المغازي ويدل له ما جا عن زيد بن اسلم وقد قيل له ما اول غزاة
غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ذات العشيرة واجيب عنه بان المراد

ما اول

ما اول غزاة غزاها وانت معه ثم غزى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر جمادى
الاولى **وفي** سيرة الدمياطي الاخرة من تلك السنة اى وفي الامتاع جمادى الاخرة
ويقال جمادى الاولى يريد عيرا لقريش متوجهة للشام يقال ان قريشا جمعت جميع
اموالها في تلك العير لم يبق بمكة لا قرشي ولا قرشية له مثقال فصاعدا الا بعث
به في تلك العير الا حويطب بن عبد العزى يقال ان في تلك العير خمسين الف
دينار اى والف بعير وكان فيها ابو سفيان اى قايدها وكان معه سبعة وعشرون وقيل
تسعة وثلاثون رجلا منهم مخرمة بن نوفل وعمرو بن العاص وهي العير التي خرج
اليها حين رجعت من الشام وكانت سببا لوقعة بدر الكبرى كما سياتي فخرج في
خمسين ومائة ويقال في مائتين من المهاجرين خاصة حتى بلغ العشيرة بالمعجمة والتصغير
اخرها هاء اى فلم يختلف فيه اهل المغازي كما قال الحافظ ابن حجر **وفي** البخاري
اخرها همزة **وفيه** ايضا العسيرة بالسين المهملة اخرها هاء اى بالتصغير واما
التي بغير تصغير فهي غزوة تبوك كما سياتي والتي بالتصغير يقال ايضا لموضع
ببطن الينبع اى وهو منزل الحاج المصري وهي لبني مدلج واستخلف على المدينة
ابا سلمة بن عبد الاسد وحمل اللوا وكان ابيض عمه حمزة بن عبد المطلب خرجوا على
ثلاثين بعيرا يعتقبونها فوجدوا العير قد مضت قبل ذلك بايام ورجع ولم يلق
حربا واودع فيها بني مدلج قال في الاصل وحلفاءهم من بني ضمرة وذكر في المواهب
هنا صورة الكتاب الذي كتبه صلى الله عليه وسلم لبني ضمرة في غزوة ودان الذي
قدمناه فليتامل ذلك وكنى فيها عليا بابي تراب حين وجده نايما هو وعمار بن ياسر
وقد علق به التراب فايقظه عليه الصلاة والسلام برجله وقال له قم ابا تراب لما
يرى عليه من التراب اى الذي سفته عليه الريح **ولما** قام قال له الا اخبرك باشقى
الناس اجمعين عاقر الناقة والذي يضربك على هذا ووضع يده على قرن راسه فيخضب
هذه ووضع يده على لحيته وفي رواية اشقى الاولين عاقر ناقة صالح واشقى الاخرين
قاتلك وفي رواية انه قال يوما لعلي من اشقى الاولين فقال علي الذي عقر الناقة
يا رسول الله قال فمن اشقى الاخرين قال علي لا اعلم يا رسول الله قال الذي يضربك على
هذه واشار الى يافوخه وكان كما اخبر صلى الله عليه وسلم فهو من اعلام نبوته فانه
لما كان شهر رمضان سنة اربعين صار يفطر ليلة عند الحسن وليلة عند الحسين
وليلة عند عبد الله بن جعفر لا يزيد في اكله على ثلاث لقم ويقول احب ان القى الله وانا
خميص يقول فلما كانت الليلة التي ضرب صبيحتها اكثر الخروج والنظر الى السما
وجعل يقول والله انها الليلة التي وعدت فلما كان وقت السحر واذن المؤذن

بالصلاة خرج الى المسجد فاقبل الاوز الذى فى داره يصحن فى وجهه فمنعهن بعض
نسا اهل بيته فقال دعوهن فانهن نوايح فلما دخل المسجد اقبل ينادى الصلاة
الصلاة فشد عليه عبد الرحمن بن ملجم المرادى من طائفة الخوارج فضربه الضربة
التى اخبر بها صلى الله عليه وسلم وعند ذلك شد عليه الناس من كل جانب فطرح
عليه رجل قطيفة ثم طنبوه واخذ السيف منه وقالوا له يا امير المومنين خل بيننا
وبين مراد يعنون قبيلته الرجل الذى ضربه فقال لا ولكن احبسوا الرجل فان
انا مت فاقتلوه وان اعش فالجروح قصاص فحبس فلما مات رضى الله تعالى
عنه غسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر ومحمد بن الحنفية يصب الماء
وكفن فى ثلاثة اثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة وصلى عليه الحسن وكبر
عليه سبعا ودفن ليلا قيل بدار الامارة بالكوفة وقيل بغير ذلك واخفى قبره
ليلا تنبشه الخوارج وقيل حملوه على بعير ليدفنوه مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فبينما هم فى مسيرهم ليلا اذ ند البعير الذى عليه فلم يدر اين ذهب
ومن الناس من يزعم انه انتقل الى السما وانه الان فى السحاب ولما اصيب
دعى الحسين والحسن فقال لهما اوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا ولا تبكيا
على شىء زوى منها عنكما وقولا الحق فلا تاخذكما فى الله لومة لائم ثم نظر الى ولده
محمد بن الحنفية فقال هل حفظت ما اوصيت به اخويك فقال نعم فقال اوصيك
بمثله واوصيك بتوقير اخويك لعظم حقهما عليك ولا تزيق امرا دونهما ثم قال اوصيكما
به فانه اخوكما وابن ابيكما وقد علمتما ان اباكما كان يحبه ثم لم ينطق الا بلا اله الا الله
الى ان قبض فلما قبض اخرج الحسين ابن ملجم من الحبس وقتله **اقول** ذكر بعضهم
عن المبرد قال ابن ملجم لعلى انى اشتريت سيفى هذا بالف وسممته بالف وسالت الله
ان يقتل به شر خلقه فقال له على قد اجاب الله دعوتك يا حسن اذا انا مت فاقتله
بسيفه ففعل به الحسن ذلك ثم احرقت جثته وقد ذكر انه قطعت اطرافه
وجعل فى قوصرة واحرقوه بالنار وقد ذكر انه قطعت اطرافه وجعل فى
قوصرة واحرقوه بالنار وقد ذكر ان عليا قال يوما وهو مشير لابن ملجم هذا والله
قاتلى فقيل له الا تقتله فقال من يقتلنى وتبع الاصل فى كون تكنيته على بابى تراب
فى هذه الغزوة شيخه الدمياطى واعترضه فى الهدى بانه انما كناه بذلك بعد نكاحه
فاطمة رضى الله تعالى عنها فانه صلى الله عليه وسلم دخل عليها وقال اين ابن عمك قالت
خرج مغاضبا فجا الى المسجد فوجده مضطجعا فيه وقد لصق به التراب فجعل
ينفضه عنه ويقول اجلس ابا تراب وقيل انما كناه ابا تراب لانه كان اذا غضب

على

على فاطمة فى شىء لم يكلمها ولم يقل لها شيا تكرهه الا انه ياخذ ترابا فيضعه على راسه
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا راى التراب على راسه عرف انه عاتب
على فاطمة قال فى النور يجوز ان يكون خاطبه بهذه الكنية مرتين اى ويكون سبب
الكنية علوق التراب وكونه يضعه على راسه والله اعلم

غزوة سفوان

ويقال لها غزوة بدر الاولى وحين قدم صلى الله عليه وسلم من غزوة العشيرة لم يقم
بالمدينة الا ليالى لم تبلغ العشر حتى غزى وخرج خلف كرز بن جابر الفهرى وقد
اغار على قبل ان يسلم على سرح المدينة اى النعم والمواشى التى تسرح للمرعى بالغداة
خرج فى طلبه حتى بلغ واديا يقال له سفوان بالمهملة والفا ساكنة وقيل بفتوحة
من ناحية بدر اى ولذا قيل لها غزوة بدر الاولى وفاته كرز فلم يدركه وكان قد
استعمل على المدينة زيد بن حارثة وحمل اللوا وكان ابيض على بن ابى طالب رضى الله
تعالى عنه وقد تبعت الاصل فى تقديم غزوة العشيرة على غزوة سفوان لما تقدم
وهو عكس ما فى سيرة الشامى الموافق لسيرة الدمياطى ولما فى الامتاع ه 6

باب تحويل القبلة

وحولت القبلة فى شهر رجب
من السنة المذكورة التى هى الثانية فى نصفه وقيل فى نصف شعبان قال
بعضهم وعليه الجمهور الاعظم وقيل كان فى جمادى الاخرة اى فقد قيل انه صلى الله
عليه وسلم صلى فى المدينة الى بيت المقدس ستة عشر شهرا وقيل سبعة عشر شهرا
وقيل اربعة عشر شهرا وقيل غير ذلك وتقدم انه صلى الله عليه وسلم صلى فى مسجده
بعد تمامه الى بيت المقدس خمسة اشهر والاكثرون على ان تحويلها كان فى صلاة الظهر
وقيل العصر اى ففى الصحيح عن البرا ان اول صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى الكعبة صلاة العصر وقد يقال لا منافاة لجواز ان يكون المراد اول صلاة صلاها
كلها الى الكعبة صلاة العصر لان الظهر صلى نصفها الاول لبيت المقدس ونصفها الثانى
للكعبة ثم رايت الحافظ ابن حجر فعل كذلك حيث قال التحقيق ان اول صلاة صلاها
بالمسجد النبوى العصر وان التحويل فى العصر كان فى محل اخر لا انصار اى وهم بنو حارثة
وقيل حولت فى صلاة الصبح وهو محمول على ان ذلك كان فى قبا لان الخبر لم يبلغهم
الا حينئذ كما سياتى وانما حولت لانه صلى الله عليه وسلم كان يحب ان تكون قبلته
الكعبة سيما لما بلغه ان اليهود قالوا يخالفنا محمد ويتبع قبلتنا اى وفى لفظ قالوا
للمسلمين لم تقولون نحن على ملة ابراهيم وانتم تركتم قبلته وتصلون الى قبلة
اليهود اى ولانه لما هاجر صار اذا استقبل صخرة بيت المقدس يستدبر الكعبة فشق
ذلك عليه صلى الله عليه وسلم فقال لجبريل وددت ان الله سبحانه وتعالى صرفنى عن قبلة

اليهود فقال جبريل انما انا عبد لا املك لك شيئا الا ما امرت به فادع الله تعالى
فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الله تعالى ويكثر اذا صلى الى بيت المقدس
من النظر الى السما ينتظر امر الله تعالى اى لان السما قبلة الدعا وفي رواية انه
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل وددت انك سالت الله تعالى ان يصرفني
الى الكعبة فقال جبريل لست استطيع ان ابتدى الله تعالى بالمسالة ولكن ان
سالني اخبرته وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرا ام بشر بن البراء بن معرور
في بني سلمة فصنعت له طعاما وكانت صلاة الظهر فصلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى الكعبة اى فاستدار الناس مكان الرجال والرجال مكان النسا اى فقد
تحول من مقدم المسجد الى موخره لان من استقبل الكعبة في المدينة يلزم ان يستدبر
بيت المقدس اى كما ان من يستقبل بيت المقدس يستدبر الكعبة وهو لو دار كما
هو مكانه لم يكن خلفه مكان يسع الصفوف قيل وكان ذلك وهم راكعون وفيه ان
هذا يستدعي عملا كثيرا في الصلاة وهو مفسد لها عندنا اذا توالى وقد يقال
لا مانع ان يكون ذلك قبل تحريم العمل الكثير في الصلاة او ان هذا العمل لم يكن
على التوالي اقول وبدخوله على ام بشر وعلى الربيع بنت معوذ بن عفرا وعلى ام حرام
بنت ملحان وعلى اختها ام سليم والخلوة بكل منهن فقد كانت ام حرام بنت ملحان
تفلي راسه وينام عندها استدل على ان من خصايصه صلى الله عليه وسلم جواز ه
النظر الى الاجنبية والخلوة بها لامنه الفتنة كما سياتي والله اعلم وسمي ذلك المسجد
مسجد القبلتين وقيل كانت الصلاة التي هي صلاة الظهر التي وقع فيها التحول في
مسجده صلى الله عليه وسلم فخرج عباد بن بشر وكان صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم
ومر على قوم من الانصار يصلون العصر وهم راكعون فقال اشهد بالله لقد صليت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البيت يعني الكعبة ثم بلغ اهل قبا ذلك وهم
في صلاة الصبح في اليوم الثاني اى وهم ركوع وقد ركعوا فنادى مناد الا ان القبلة
قد حولت الى الكعبة فتحولوا اليها اى وفي البخاري بينما الناس بقبا في صلاة الصبح اذ جاءهم
آت فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انزل عليه الليلة قران وقد امر ان يستقبل
الكعبة فاستقبلوها فاستداروا الى الكعبة وفي مسلم بدل صلاة الصبح صلاة الغداة
قال الحافظ ابن حجر وهو احد اسمايها وقد نقل بعضهم كراهة تسميتها بذلك ولم ينقل
انهم امروا بقضا العصر والمغرب والعشا ولا اعادة الركعة التي صلوها من الصبح
وهو دليل على ان الناسخ لا يلزم حكمه الا بعد العلم به وان تقدم نزوله وعلى انه يجوز ترك
الامر المقطوع به وهو استقبال بيت المقدس الى امر مظنون وهو خبر الواحد واجيب

عن

عن هذا الثاني بان المذكور احتفت به قراين افادت القطع عندهم بصدق المخبر
فلم يتركوا الامر المعلوم الا لامر معلوم ايضا وعلى انه يجوز نسخ المتواتر بالاحاد لان
محل النسخ الحكم ودلالة المتواتر عليه ظنية كما تقرر في محله ويقال ان المبلغ لهم عباد بن
بشر ايضا وعلى انه يجوز نسخ المتواتر بالاحاد لان محل النسخ الحكم ودلالة المتواتر عليه
ظنية كما تقرر في محله ويقال ان المبلغ لهم عباد بن بشر ايضا فيكون عباد اتى بني حارثة
اولا في صلاة العصر ثم توجه الى اهل قبا فاعلمهم بذلك في وقت الصبح والقران الذي
نزل هو قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السما الايات اى والى هذا يشير بعضهم بقوله

كم للنبي المصطفى من اية ● غرا حار الفكر في معناها ●
لما راه البارى تقلب وجهه ● ولاه ابهى قبلة يرضاها ●

وعن عمارة بن اوس الانصاري قال صلينا احدى صلاتي العشي اى وهما الظهر والعصر
فقام رجل على باب المسجد ونحن في الصلاة فنادى ان الصلاة قد وجهت نحو الكعبة
فتحول امامنا نحو الكعبة وقوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السما اى متطلعا نحو
الوحي ومتشوقا للامر باستقبال الكعبة فلنولينك اى نحولنك قبلة ترضاها اى
تحبها فول وجهك شطر المسجد الحرام اى نحوه والمراد بالمسجد الحرام الكعبة وحيث ما
كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق اى الرجوع
الى الكعبة الحق من ربهم اى لما في كتبهم من نعته صلى الله عليه وسلم بانه يتحول الى الكعبة
اقول ولعل هذه القصة التي رواها عمارة هي التي رويت عن رافع بن خديج قال اتانا
آت ونحن نصلي في بني عبد الاشهل فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امر ان يوجه
الى الكعبة فدار امامنا الى الكعبة ودرنا معه والله اعلم واجتمع قوم من كبار اليهود
وجاوا اليه صلى الله عليه وسلم وقالوا له يا محمد ما ولاك عن قبلتك التي كنت
عليها وانت تزعم انك على ملة ابراهيم ودينه اى وما كنت عليه قبلة ابراهيم
وهذا بنا على دعواهم ان بيت المقدس كان قبلة الانبيا كما سياتي عنهم وسياتي
ما فيه ثم قالوا ارجع الى قبلتك التي كنت عليها نتبعك ونصدقك وانما يريدون
بذلك فتنته ليعلم الناس انه في حيرة من امره اى واختبارا لما يجده من نفسه
صلى الله عليه وسلم من انه يرجع عن استقبال بيت المقدس الى استقبال الكعبة وانه
لا يرجع عن تلك القبلة وفي رواية انهم قالوا للمسلمين ما صرفكم عن قبلة موسى ه
ويعقوب وقبلة الانبيا اى ويوافقه قول الزهري لم يبعث الله منذ هبط ادم عليه
السلام الى الارض نبيا الا جعل قبلته صخرة بيت المقدس ويوافق هذا ظاهر قول
الامام السبكي في تائيته ه

وصليت نحو القبلتين تفردا ۝ وكل نبي ماله غير قبلة ۝

قال شارحها يشير الى ان كل نبي كانت قبلته بيت المقدس وهو صلى الله عليه وسلم
قد شاركهم فيه اى واختص بالكعبة ومن ثم جا في التوراة في وصفه صلى الله
عليه وسلم بصاحب القبلتين وفيه ان قبلة الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم
انما هي الكعبة فعن ابي العالية كانت الكعبة قبلة الانبيا وكان موسى يصلي الى
صخرة بيت المقدس وهي بينه وبين الكعبة ومثل هذا لا يقال الا عن توقيف اى
ويقال ومثل هذا فيما تقدم عن اليهود وعن الزهري على تسليم صحته من ان صخرة
بيت المقدس كانت قبلة لجميع الانبيا انهم كانوا يصلون اليها ويجعلونها بينهم وبين
الكعبة فلا مخالفة لا يقال هذا اليس اولى من العكس اى ان استقبال الانبيا للكعبة
انما كانوا يجعلونها بينهم وبين صخرة بيت المقدس لانا نقول قد ذكر في الاصل في تفسير
قوله تعالى ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك اى يكتمون ما علموا من ان الكعبة
هي قبلة الانبيا اى المقصودة بالاستقبال الا انهم يستقبلونها لاجل صخرة بيت
المقدس وذكر عن بعضهم ان اليهود لم تجد كون الصخرة قبلة في التوراة وانما
كان تابوت السكينة على الصخرة فلما غضب الله على بني اسرائيل رفعه فصلوا
بعدا ورى منهم وادعموا انها قبلة الانبيا وما تقدم عن الزهري تقدم الجواب
عنه ثم قالوا والله ان انتم الا قوم تفتنون فانزل الله تعالى سيقول السفهاء
من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب اى الجهات
كلها فيامرنا بالتوجه الى اى جهة شا لا اعتراض عليه يهدي من يشا الى صراط ۝
مستقيم اى فكان اول ما نسخ امر القبلة فعن ابن عباس اول ما نسخ من القران
فيما ذكر لنا والله اعلم شان القبلة فاستقبل بيت المقدس اى بمكة والمدينة
ثم صرفه الله تعالى الى الكعبة اى واما قوله تعالى فاينما تولوا فثم وجه الله فمحمول
على التنفل في السفر اذا صلى حيث توجه وما قيل ان سبب نزولها ما ذكره بعض
الصحابة قال كنا في سفر في ليلة مظلمة فلم ندر اين القبلة فصلى كل منا على حياله
فلما اصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ففيه نظر لضعف
الحديث او هو محمول على ما اذا صلوا باجتهاد اى ولما توجه صلى الله عليه وسلم
الى الكعبة وقال المشركون من اهل مكة توجه محمد بقبلته اليكم وعلم انكم كنتم اهدى
منه ويوشك اى يقرب ان يدخل في دينكم ومن ثم رايت جاء عنه وقالوا اقرها هاهنا
ومرة هاهنا ولما حولت القبلة الى الكعبة اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
مسجد قبا فقدم جدار المسجد موضعه الان وقالت الصحابة له يا رسول الله لقد

ذهب منا قوم قبل التحول فهل يقبل منا ومنهم فانزل الله تعالى قوله وما كان الله ليضيع
ايمانكم ان الله اى صلاتكم الى بيت المقدس وذكر في الاصل ان الصحابة قالوا مات
قبل ان نحول القبلة الى البيت رجال وقتلوا اى وهم عشرة ثمانية من اهل مكة واثنان من
الانصار وهما البرا بن معرور واسعد بن زرارة ۝ فلم ندر ما نقول فيهم فانزل
الله تعالى الاية ولفظة القتل وقعت في البخاري وانكرها الحافظ ابن حجر فقال ذكر
القتل لم اره الا في رواية زهير وباقي الروايات انما فيها ذكر الموت فقط ولم اجد
في شي من الاخبار ان احدا من المسلمين قتل قبل تحويل القبلة لكنه لا يلزم من عدم
الذكر عدم الوقوع فان كانت هذه اللفظة محفوظة فتحمل على ان بعض المسلمين
ممن لم يشتهر قتل في تلك المدة في غير الجهاد ثم قال وذكر لي بعض الفضلا
انه يجوز ان يراد من قتل بمكة من المستضعفين كابوي عمار فقلت يحتاج الى ثبوت
ان قتلهما كان بعد الاسرا هذا كلام الحافظ وفيه ان الركعتين اللتين كان يصليهما
هو والمسلمون بالغداة وبالعشي قبل فرض الصلوات الخمس كانتا لبيت المقدس
لما تقدم انه كان يصلي هو واصحابه الى الكعبة ووجههم الى بيت المقدس فكانوا
يصلون بين الركنين اليماني والذي عليه الحجر الاسود لاجل استقبال بيت المقدس
وتقدم انه لم يلتزم ذلك بل كان في بعض الاوقات يصلي الى الكعبة في اى جهة
اراد ثم لما قدم المدينة صار يستقبل بيت المقدس ويستدبر الكعبة الى وقت
التحويل ومن ثم قال في الاصل ولما كان صلى الله عليه وسلم يتحرى القبلتين جميعا
اى يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس لم يتبين توجهه الى بيت المقدس للناس
حتى خرج من مكة اى فانه استدبر الكعبة واستقبل بيت المقدس فقول ابن عباس
لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة واليهود يستقبلون بيت المقدس
امره الله تعالى ان يستقبل بيت المقدس فمعناه ان يستمر على استقبال بيت المقدس
وهذا هو المراد بقوله الذي نقله بعضهم عنه وهو انه صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا
يصلون بمكة الى الكعبة فلما هاجروا امره الله تعالى ان يصلي نحو صخرة بيت المقدس
اى يستمر على ذلك ويستدبر الكعبة ثم امره باستقبال الكعبة واستدبار بيت
المقدس فلم يقع النسخ مرتين كما قد يفهم من ظاهر السياق ومن قول ابن جرير صلى
الله عليه وسلم اول ما صلى الى الكعبة ثم صرف الى بيت المقدس وهو بمكة فصلى ثلاث
حجج ثم هاجر فصلى اليه ثم وجهه الله تعالى الى الكعبة هذا كلامه ومن ثم قال الحافظ
ابن حجر هذا ضعيف ويلزم منه دعوى النسخ مرتين قيل وكان امره بمداومة
استقبال بيت المقدس ليتالف اهل الكتاب لانه كان ابتدا الامر يحب ان يتالف

اهل الكتاب فيما لم ينه عنه فلا يخالف ما سبق من انه كان يحب ان يستقبل
الكعبة كراهة لموافقة اليهود في استقبال بيت المقدس ولا يخالف هذا قول
بعضهم كان صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة يحب موافقة اهل الكتاب فيما لم ينه
عنه وبعد الفتح يحب مخالفتهم لجواز ان يكون ذلك اغلب احواله وقد يؤخذ
من ان استدلمة استقباله لبيت المقدس كان لتالف اهل الكتاب جواب عما
يقال لماذا كانت الكعبة قبلة الانبيا كلهم فلم وفق الى استقبال بيت المقدس
وهو بمكة بناء على ان صلاته لبيت المقدس وهو بمكة كانت باجتهاد وحاصل
الجواب انه امر بذلك او وفق اليه لانه سيصير الى قوم قبلتهم بيت المقدس ففيه
تاليف لهم وقد يوافقه ما في الاصل عن محمد بن كعب القرظي قال ما خالف نبي
نبيا قط في قبلة الا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استقبل بيت المقدس
اي فهو مخالف لغيره من الانبيا في ذلك وهذا موافق لما تقدم عن ابي العالية
كانت الكعبة قبلة الانبيا اي ثم في السنة المذكورة التي هي الثانية فرض
صوم رمضان وفرضت زكاة الفطر وطلبت الاضحية اي استحبابا عن ابي
سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه فرض شهر رمضان بعد ما صرفنا القبلة
الى الكعبة بشهر في شعبان اي على ما تقدم وكان صلى الله عليه وسلم يصوم
هو واصحابه قبل فرض رمضان ثلاثة ايام من كل شهر اي وهي الايام البيض
وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر قيل وجوبا فعن ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفطر الايام البيض في حضر
ولا سفر وكان يحث على صيامها وقيل كان الواجب عليه صلى الله عليه وسلم قبل
فرض رمضان صوم عاشورا ثم نسخ ذلك بوجوب رمضان وعاشورا هو اليوم
العاشر من شهر الله المحرم ففي البخاري عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما صام النبي صلى
الله عليه وسلم عاشورا فلما فرض رمضان ترك صوم عاشورا هذا والمشهور من
مذهبنا معاشر الشافعية انه لم يجب على هذه الامة صوم قبل رمضان وحديث
ابن عباس لا دلالة فيه على الوجوب لجواز ان يكون شانه صلى الله عليه وسلم صيام
تلك الايام على الوجه المذكور حتى بعد فرض رمضان وحديث البخاري ايضا
لا دلالة فيه لجواز ان يكون تركه لصوم يوم عاشورا في بعض الاحايين بعد فرض
رمضان خشية اعتقاد وجوب صومه كرمضان ويجاب بمثل ذلك عما في الترمذي
عن عايشة رضي الله تعالى عنها قالت كان عاشورا يوما تصومه قريش في الجاهلية
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه موافقا لهم اي ولم يامر احدا من اصحابه

بصيامه

بصيامه فلما قدم المدينة صام وامر بصيامه فلما فرض رمضان كان رمضان
هو الفريضة وترك عاشورا فمن شا صامه ومن شا تركه اي ترك صلى الله عليه
وسلم صومه خوفا من توهم انه فرض كرمضان وقولها رضي الله تعالى عنها فلما
قدم المدينة صامه وامر بصيامه اي لانه صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة
اي ايام قدومه للمدينة وذلك في شهر ربيع الاول وجد اليهود تصومه وتعظمه
فسالهم عن ذلك فقالوا يوم عظيم انجى الله فيه موسى وقومه واغرق فرعون وقومه
فصامه موسى شكرا فنحن نصومه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن احق
بموسى منكم فصامه وامر بصيامه كما جاء ذلك عن ابن عباس وفي كلام
الحافظ ابي حجر ناصر الدين عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قدم المدينة يوم عاشورا فاذا اليهود صيام فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما هذا قالوا هذا يوم اغرق الله تعالى فيه فرعون وانجا فيه موسى فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انا اولى بموسى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصومه هذا
حديث صحيح اخرجه البخاري ومسلم والمدينة يحتمل ان المراد بها قبا ويحتمل ان
المراد بها باطنها قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فلما فرض رمضان قال صلى الله عليه
وسلم اي لاصحابه من شا صامه ومن شا تركه اي قال ذلك لهم خشية اعتقادهم
وجوب صومه كصوم رمضان وفي كونه صلى الله عليه وسلم وجدهم صايمين
لذلك اليوم اشكال لان يوم عاشورا هو اليوم العاشر من شهر الله المحرم كما تقدم
او هو اليوم التاسع منه كما يقول ابن عباس فكيف يكون في ربيع الاول واجيب بان
السنة عند اليهود شمسية لا قمرية فيوم عاشورا الذي كان عاشر المحرم واتفق فيه غرق
فرعون لا يتقيد بكونه عاشر المحرم بل اتفق انه في ذلك الزمن اي زمن قدومه صلى
الله عليه وسلم وجود ذلك اليوم بدليل سواله صلى الله عليه وسلم اذ لو كان ذلك
اليوم يوم عاشورا ما سال ومما يدل على ذلك ما في المعجم الكبير للطبراني عن خارجة
ابن زيد عن ابيه قال ليس يوم عاشورا اليوم الذي يقوله الناس انما كان يوم تستر
فيه الكعبة وتلعب فيه الحبشة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يدور في
السنة وكان الناس ياتون فلانا اليهودي فيسالونه فلما مات اليهودي اتوا زيد بن
ثابت فسالوه فصام صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم وامر بصيامه حتى انه
ارسل في ذلك اليوم اسلم بن حارثة الى قومه وهم اسلم وقال مر قومك بصيام
عاشورا فقال ارايت ان وجدتهم قد طعموا قال فليتموا اي يمسكوا تعظيما لذلك
اليوم وفي دلايل النبوة للبيهقي عن بعض الصحابيات قالت كان رسول الله صلى

الله عليه وسلم يعظم يوم عاشورا ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو
يوم عاشورا بالرضعا فيتفل فى افواههم ويقول للامهات لا ترضعنهن الى الليل
والظاهر ان المراد بيوم عاشورا هذا اليوم الذى هو عاشر المحرم الهلالى لا الشمسي
وكذا يقال فى قوله وقيل سمى الخ فليتامل وقيل سمى يوم عاشورا لان عشرة
من الانبيا ذكرهم الله تعالى فيه بعشر كرامات تاب الله فيه على ادم واستوت فيه
سفينة نوح على الجودى اى قصا منه نوح ومن معه حتى الوحش شكرا لله ورفع فيه
ادريس ونصر الله فيه موسى ونجى فيه ابراهيم من النار وفيه اخرج يوسف من السجن
اى وفيه ولد ورد فيه على والده يعقوب ويونس من بطن الحوت اى وتاب على اهل
مدينته وتاب الله فيه على داود وعوفى فيه ايوب وفى كلام الحافظ ابن
ناصر الدين عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله عز وجل افترض على بنى اسرائيل صوم يوم فى السنة وهو يوم عاشورا وهو
اليوم العاشر من المحرم فصوموه ووسعوا على اهاليكم فيه فانه من وسع على ٥
اهله من ماله يوم عاشورا وسع الله عليه سائر سنته فصوموه وهو اليوم الذى
تاب الله فيه على ادم وذكر ما تقدم وزاد عليه وانه اليوم الذى انزل
الله فيه التوراة على موسى وفيه فدى الله اسماعيل من الذبح وهو اليوم الذى
رد الله فيه على يعقوب بصره وهو الذى رد الله فيه على سليمان ملكه وهو اليوم
الذى غفر الله فيه لمحمد صلى الله عليه وسلم ذنبه ما تقدم وما تاخر واول يوم
خلق من الدنيا يوم عاشورا واول مطر نزل من السما يوم عاشورا واول رحمة
نزلت من السما يوم عاشورا فمن صام يوم عاشورا فكانما صام الدهر كله وهو
صوم الانبيا الحديث بطوله ثم قال هذا حديث حسن ورجاله ثقات وذكر
الحافظ المذكور عن بعضهم قال كنت افت للنمل خبزا فى كل يوم فلما كان يوم عاشورا
لم تاكل وتقدم ان الصرد اول طير صام عاشورا وفى كلام بعضهم ما قيل فى يوم
عاشورا كانت توبة ادم الخ مما تقدم من الاحاديث الصحيحة وفى كلام
بعض اخر ما يفعل فيه من اظهار الزينة بالخضاب والاكتحال ولبس الجديد
وطبخ الحبوب والاطعمة والاغتسال والتطيب ووضع الكذابين والحاصل
ان الرافضة اتخذوا ذلك ماتما يندبون وينوحون ويحزنون والجهال اتخذوا
ذلك فيه موسما وكلاهما مخطئ مخالف للسنة واما التوسعة فيه على العيال ٥
فحديثها وان لم يكن صحيحا فهو حسن خلافا لقول ابن تيمية ان التوسعة لم يرد
فيها شئ عنه صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم يصوم عاشورا كما تصومه

اليهود

اليهود اى ويوم عاشورا يختلف لانه عند اليهود من السنة الشمسية وعند
اهل الاسلام من السنة الهلالية وفى مسلم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين صام يوم عاشورا وامر بصيامه قال له بعض الصحابة
يا رسول الله انه يوم تعظمه اليهود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان
العام المقبل صمنا اليوم التاسع قبله اى مخالفة لليهود فلم يات العام المقبل حتى
توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى هذا الحديث اشكال فان سياقه يدل على انه صلى
الله عليه وسلم ما صام يوم عاشورا ولا امر بصيامه الا فى السنة التى توفى فيها وهو مخالف
لما سبق ويجاب عن هذا الاشكال بان المراد بقوله حين صام اى حين واظب على
صومه واتفق ان قول بعض الصحابة ذلك كان فى السنة التى توفى فيها وهو صلى
الله عليه وسلم كان شانه موافقة اهل الكتاب قبل فتح مكة ومخالفتهم بعده كما تقدم
وبعض متاخرى فقهائنا ظن ان قوله صلى الله عليه وسلم اذا كان العام المقبل ان
شا الله تعالى صمنا اليوم التاسع من تتمة حديث ولما قدم المدينة وجد اليهود
تصومه فصامه وامر بصيامه فاستشكل واجاب بان المراد لما قدم
من سفرة سافرها من المدينة بعد الهجرة اى وكان قدومه من تلك السفرة فى
السنة التى توفى فيها وقد علمت انهما حديثان وقد علمت معنى الحديث الذى تمسك
اذا كان العام المقبل وفى كون اغراق فرعون ونجاة موسى كان يوم قدومه
صلى الله عليه وسلم المدينة يلزم عليه ان ذلك اليوم انتقل من ذلك الشهر الى
اليوم العاشر من المحرم الذى هو الشهر الهلالى من السنة الثانية واستمر كذلك
كما هو ظاهر من سياق الاحاديث ان الذى واظب على صيامه انما هو ذلك اليوم
وكونه وافق اليهود على صوم ذلك اليوم ثم خالفهم فى السنة الثانية وما بعدها
من ابعد البعيد ثم رايت ابا الريحان البيرونى نازع فى ذلك فى كتابه الاثار
الباقية عن القرون الخالية حيث قال رواية ان الله اغرق فرعون ونجى موسى
يوم قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة الامتحان يشهد عليها بالبطلان وبين
ذلك بما يطول وحينئذ يكون من جملة ما يحكم عليه بالبطلان اقرارهم على
ذلك وكونه صلى الله عليه وسلم صامه وامر بصيامه وفرض الله عز وجل عليه
صلى الله عليه وسلم وعلى امته صيام شهر رمضان او الاطعام عن كل يوم مسكينا
بقوله تعالى وعلى الذين يطيقونه من الاصحا المقيمين فدية طعام مسكين فمن تطوع
خيرا اى زاد على اطعام المسكين فهو خير له وان تصوموا خير لكم اى من الفطر
والاطعام فكان من شا صام ومن شا اطعم عن كل يوم مدا ثم ان الله تعالى

نسخ هذا التخيير بايجاب صوم رمضان عينًا بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه
اى علمه الا فى حق من لا يستطيع صومه لكبر او لمرض لا يرجى زواله فيجزيه الاطعام
ورخص فيه للمريض اى اذا كان بحيث يحصل له مشقة تبيح التيمم وللمسافر اى الذى
يباح له قصر الصلاة وان لم يحصل له مشقة بالكلية مع وجوب القضا اذا زال
المرض والسفر بقوله تعالى ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر اى فافطر
فعليه صيام عدة ما افطر من ايام اخر وكانوا ياكلون ويشربون ويأتون النساء
ما لم يناموا بعد الغروب او يدخل وقت العشا الاخرة فاذا ناموا او دخل وقت
العشا الاخرة امتنع عليهم ذلك الى الليلة القابلة ثم نسخ ذلك واحل الاكل
والشرب واتيان النسا الى طلوع الفجر ولو بعد النوم ودخول وقت العشاء
بقوله تعالى احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ثم قال تعالى وكلوا واشربوا حتى
يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود ولما فهم بعض الصحابة ان المراد
الخيط حقيقة صار يجعل عند وساده حبلا ابيض وحبلا اسود انزل الله تعالى من
الفجر اشارة الى ان المراد بياض النهار وسواد الليل وذكر فى التفسير فى سبب
نزول هذه الاية ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه واقع اهله بعد ما صلى
العشا فلما اغتسل اخذ يبكى ويلوم نفسه فاتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله اعتذر الى الله واليك من نفسى هذه الخاطئة انى رجعت الى اهلى
فوجدت رايحة طيبة فسولت لى نفسى فجامعت اهلى فقال النبى صلى الله عليه وسلم
ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بمثله فنزلت وذكر له صلى الله
عليه وسلم ان بعض اصحابه سقط مغشيا عليه بسبب الصوم فسأله عن ذلك فاخبره
انه اهل حرث وانه جا ليفطر فما تعجل له زوجته ليتعشى به فغلبته عينه
فنام فلم يستيقظ الا بعد الغروب فلم يتناول شيا فانزل الله تعالى وكلوا واشربوا
الاية وقوله تعالى كما كتب على الذين من قبلكم جا فى بعض الروايات ان المراد بهم
اهل الكتاب اى اليهود والنصارى وجا فى بعضها المراد بهم النصارى خاصة
وجا فى بعض الروايات ان المراد بهم جميع الامم السابقة فقد جا ما من امة الا
وجب عليها صوم رمضان الا انهم اخطاؤه فلم يهتدوا له وهذه الرواية تدل
على انه لم يصمه احد من الامم السابقة فصومه من خصوصيات هذه الامة
وفى بعض الروايات ما يفيد ان النصارى صاموه واتفق انه وقع فى
بعض السنين فى شدة الحر فاقتضى رايهم تاخيره بين الصيف والشتا وانه
يزيدوا فى مقابلة تاخيره عشرين يوما وعلى هذا فصومه ليس من خصايص

هذه

هذه الامة وقيل التشبيه انما هو فى مطلق الصوم لا فى حق فرض صوم رمضان
لانه كان الواجب على جميع من تقدم من الامم صوم ثلاثة ايام من كل شهر صام ذلك
نوح فمن دونه حتى صامه النبى صلى الله عليه وسلم كما تقدم وتقدم ان تلك الايام التى
صامها صلى الله عليه وسلم كانت البيض التى هى الثالث عشر والرابع عشر والخامس
عشر وتقدم انه قيل ان صوم ذلك كان واجبا عليه صلى الله عليه وسلم وعلى امته
وقيل كان الواجب عليه وعلى اصحابه قبل صوم رمضان عاشورا وتقدم رده
وكان فرض زكاة الفطر قبل العيد بيومين وكان صلى الله عليه وسلم يخطب
قبل العيد بيومين يعلم الناس زكاة الفطر فامر باخراج تلك الزكاة قبل
الخروج الى صلاة العيد اى بعد ان شرعها لان مشروعيتها تاخرت عن مشروعية
صلاة عيد الاضحى وكان فرض زكاة الفطر قبل فرض زكاة الاموال وكان فرض
زكاة الاموال فى تلك السنة اى فى السنة الثانية ولم اقف على خصوص الشهر الذى
وجبت فيه قال بعضهم ولعل هذا محمل قول بعض المتاخرين المطلعين على
الفقه والحديث لم يتحرر لى وقت فرض الزكاة اى زكاة المال ولعله عنى ببعض
المتاخرين الامام سراج الدين البلقينى لان الامام البلقينى سئل عن السنة
التى فرضت فيها زكاة المال فاجاب بقوله لم يتعرض الحفاظ ولا هو
اصحاب السير للسنة التى فرض فيها زكاة المال ووقع لى حديثان ظهر منهما
تقريب ذلك ولم اسبق اليه ثم قال فقد ظهر ان زكاة المال بعد زكاة الفطر وقبل
مما قدوم ضمام بن ثعلبة وقدومه كان فى السنة الخامسة هذا كلامه وقيل
فرضت زكاة الفطر قبل الهجرة وعليه يحمل ظاهر ما فى سفر السعادة كان
صلى الله عليه وسلم يرسل مناديا ينادى فى الاسواق والمحلات والازقة من
مكة الا ان صدقة الفطر واجبة على كل مسلم ومسلمة الحديث وورد بانه لم
يفرض قبل الهجرة بعد الايمان الا الصلوات الخمس وكل الفروض فرضت بعد
الهجرة وفيه انه فرض قيام الليل كما تقدم وصلاة الركعتين بالغداة والركعتين
بالعشى على ما تقدم الا ان يقال المراد الفروض الموجودة الان المستمر فرضها
وما تقدم عن سفر السعادة يجوز ان يكون صلى الله عليه وسلم يرسل المنادى
الذى ينادى فى مكة بوجوب زكاة الفطر وهو بالمدينة بعد وجوبها بالمدينة وامر
ان تخرج زكاة الفطر عن الصغير والكبير والحر والعبد والذكر والانثى
صاعا من تمر او صاعا من شعير او صاعا من زبيب او صاعا من بر وكان يصلى
العيد من قبل الخطبة بلا اذان ولا اقامة اى بل يقال الصلاة جامعة لكن فى

سفر السعادة وكان صلى الله عليه وسلم اذا بلغ المصلى شرع فى الصلاة من غير
وقته بلا اذان ولا اقامة ولا الصلاة جامعة والسنة ان لا يكون شى من
هذا هذا الكلام وكانت تحمل العنزة بين يديه فاذا وصل المصلى نصبت
تجاهه وهى عصا قدر نصف الرمح فى اسفلها زج من حديد وكانت تلك العنزة
للزبير بن العوام قدم بها من ارض الحبشة فاخذها منه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكان يصلى اليها اى اخذها منه بعد وقعة بدر وقد قتل بها الزبير بن
عبيدة بفتح العين المهملة وبضمها ابن سعيد بن العاص الذى كان يقال
له ابو ذات الكرش قال الزبير لقيته لا يرى منه الا عيناه فقال انا ابو ذات
الكرش فحملت عليه بالعنزة فطعنته فى عينه فمات واردت اخراجها فوضعت
رجلى عليه ثم تمطيت فكان الجهد ان نزعتها وقد انثنى طرفها ولما قبض صلى الله
عليه وسلم اخذها الزبير ثم طلبها ابو بكر فاعطاه اياها فلما قبض ابو بكر
اخذها ثم سالها عمر فاعطاه اياها فلما قبض عمر اخذها ثم طلبها عثمان
فاعطاه اياها فلما قتل دفعت الى على ثم اخذها عبد الله بن الزبير فكانت
عنده حتى قتل وكان صلى الله عليه وسلم اذا رجع من صلاة عيد الفطر
وخطبته يقسم زكاة الفطر بين المساكين ولعل المراد الزكاة المتعلقة
به لانه تقدم انه كان يامر الناس باخراجها قبل الصلاة الا ان يقال المراد
باخراجها جمعها له صلى الله عليه وسلم ليفرقها واذا فرغ من صلاة الاضحى وخطبته
يوتى له بكبشين وهو قايم فى مصلاه فيذبح احدهما بيده ويقول هذا عن امتى
جميعا من شهد لك بالتوحيد وشهد لى بالبلاغ وعند الحاكم عن ابى سعيد
الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذبح كبشا اقرن بالمصلى اى
بعد ان قال بسم الله والله اكبر وقال اللهم هذا عنى وعن من لم يضح من امتى
واستدل بذلك على ان من خصايصه صلى الله عليه وسلم ان يضحى عن
غيره بغير اذنه ويذبح الاخر ويقول هذا عن محمد وال محمد فياكل هو واهله
منهما ويطعم المساكين ولم يترك الاضحية قط وهل كانت الانبيا من بعد
ابراهيم تضحى هم واممهم خاصة ه وكان فى مسجده صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة
قبل ان يوضع له المنبر يخطب ويسند ظهره الى اسطوانة من جذوع النخل او من
الدوم وهو شجر المقل وعبارة بعضهم كان يخطب الناس وهو مستند الى جذع
عند مصلاه فى الحايط القبلى فلما كثر الناس اى وقالوا له لو اتخذت شيئا تقوم
عليه اذا خطبت يراك الناس وتسمعهم خطبتك قال ابنوا لى منبرا فلما بنى

ك

له المنبر عتبتين اى ومحل الجلوس فكان ثلاث درجات وقام عليه فى يوم
جمعة اى وخطب وفى لفظ لما عدل الى المنبر ليخطب عليه وجاوز ذلك
الجذع سمع لذلك الاسطوانة حنين كحنين الواله بصوت هايل سمعه
اهل المسجد حتى ارتج اى اضطرب المسجد وكثر بكا الناس لذلك ولا زالت
تحن تصدعت وانشقت اى وفى رواية سمع له صوت كصوت العشار اى النوق
التى الى حملها عشرة اشهر وقيل التى لخذ ولدها وفى بعض الروايات كحنين
الناقة الخلوج وهى التى انتزع ولدها منها وفى رواية كحنين الناقة الخلوج
وهى التى انتزع ولدها منها وفى رواية جار بفتح الجيم وبعدها همزة مفتوحة
اى صوت او بالخا المعجمة بلا همز وهو بمعناه كخوار الثور فنزل صلى الله عليه وسلم
فالتزمها وحضنها اى فجعلت تئن انين الصبى الذى يسكت فسكنت اى وفى
كلام بعضهم وذكر الاسفراينى ان النبى صلى الله عليه وسلم دعاه الى نفسه
فجاء يخرق الارض فالتزمه فعاد الى مكانه وفى رواية ووضع يده عليها وقال ه
لها اسكنى واسكتى فسكنت وفى رواية ان هذا اى الجذع يبكى لما فقد من الذكر
والذى نفسى بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا اى يحن الى يوم القيمة زاد فى رواية
حزنا على رسول الله صلى الله عليه وقوله لما فقد من الذكر هو واضح على الرواية الاولى
واما على الثانية فالمراد لما يفقده من الذكر والى حنين الجذع اشار الامام السبكى
فى تائيته بقوله ه

وحن اليك الجذع حين تركته ● حنين الثكالى عند فقد الاحبة

وعن بعضهم قال قال لى الشافعى رضى الله تعالى عنه ما اعطى الله نبيا ما اعطى
محمدا صلى الله عليه وسلم فقلت اعطى عيسى احيا الموتى فقال اعطى محمدا صلى الله
عليه وسلم حنين الجذع فهذا اكبر من ذلك وفى رواية لا تلوموه اى الجذع فهذا
اكبر على حبيبه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفارق شيئا الا وجد عليه
اى حزن وفى رواية انه قال له ان شئت ادرك الى الحايط اى البستان الذى كنت
فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة وان شئت اغرس سك
فى الجنة فياكل اولياء الله من ثمرك ثم اصغى له يستمع ما يقول فقال بصوت سمعه
من يليه بل تغرسنى فى الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فعلت قد فعلت
وفى رواية لما اصغى اليه سئل فقال اختار ان اغرسه فى الجنة اى وفى رواية
اختار دار البقا على دار الفنا ولا يخالف ما قبله لانه يجوز ان يكون السايل
من عنده من سمع جوابه وامر به فدفن تحت المنبر وقيل جعل فى السقف ولا خذه

الى بعد ان هدم المسجد وازيل سقفه فكان عنده الى ان اكلته الارضة وعاد رفاتا
اى متكسرا من شدة اليبس اقول في سيرة الحافظ الدمياطى قالوا كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوم الجمعة يخطب الى جذع فى المسجد قائما فقال ان القيام شق على
فقال له تميم الدارى الا اعمل لك منبرا كما رايت يصنع بالشام اى تصنعه النصارى
فى كنائسهم لاساقفتهم تسمى المرقاة يصعدون عليها عند تذكيرهم فتشاور رسول
الله صلى الله عليه وسلم مع المسلمين فى ذلك فراوا ان يتخذه فقال العباس بن عبد المطلب
ان لى غلاما يقال له كلاب اعلم الناس اى بالنجارة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
مره ان يعمله فارسله الى اثلة بالغابة فقطعها ثم عمل منها درجتين ومقعدا ثم جاء
به فوضعه فى موضعه اليوم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام عليه وقال ان اتخذ
منبرا فقد اتخذه ابى ابراهيم اى ولعله عنى به المقام الذى كان يقوم عليه عند بناء
البيت وهو الحجر الا ان ثبت ان ابراهيم كان له منبر يحدث عليه الناس وعن ابن
عمر رضى الله تعالى عنهما قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم وهو عند المنبر يقول ياخذ
الجبار سمواته وارضه بيده ثم يقول انا الجبار اين الجبارون اين المتكبرون ويميل
يعنى النبى صلى الله عليه وسلم عن يمينه وشماله حتى نظرت الى المنبر يتحرك حتى انى
اقول اساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية عنه فقال المنبر هكذا
فجا وذهب ثلاث مرات وفى رواية عن عائشة رضى الله تعالى عنها فرجف برسول
الله صلى الله عليه وسلم منبره حتى قلن ليخرن وقال منبرى هذا على ترعة بضم المثناة
فوق واسكان الراء وبالعين المهملة من ترع الجنة اى افواه جداول الجنة وقوائم
منبرى رواتب اى ثوابت فى الجنة وقال منبرى على حوضى وقال ان حوضى كما بين عدن
الى عمان اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل واطيب رائحة من المسك
اكوابه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظما بعدها ابدا واكثر الناس
ورودا عليه يوم القيمة فقراء المهاجرين قلنا من هم يا رسول الله قال الشعثة
رؤسهم الدنسة ثيابهم الذين لا ينكحون المنعمات ولا تفتح لهم السدد اى الابواب
الذين يعطون الذى عليهم ولا يعطون الذى لهم وقال ما بين قبرى ومنبرى وفى رواية
بدل قبرى بيتى وفى لفظ حجرتى والمراد قبره الشريف فانه فى حجرته وحجرته
فى بيته من بيته صلى الله عليه وسلم روضة من رياض الجنة اى يكون بعينه
فى الجنة بقعة من بقاعها اى ينقلها الله تعالى فتكون فى الجنة بعينها وقيل ان الصلاة
والدعا فيها يستحق بذلك من الثواب ما يكون سببا للجنة كما قيل بذلك فى قوله صلى
الله عليه وسلم الجنة تحت ظلال السيوف مع ان تلك السيوف كانت بارض الكفر

وقيل

وقيل انما البركة اضيفت الى الجنة كما قيل فى الضان انها من دواب الجنة قال ابن حزم
ليس على ما يظنه اهل الجهل من ان تلك الروضة قطعة منقطعة من الجنة وقال
صلى الله عليه وسلم من حلف على منبرى كاذبا ولو على سواك اراك فليتبوأ مقعده
من النار وفى رواية الا وجبت له النار اقول وجا انه كان على المنبر يعتمد على عصا
من شوحط وفى الهدى لم يعتمد صلى الله عليه وسلم فى خطبته على سيف ابدا وقبل
ان يتخذ له المنبر كان يعتمد على قوس او عصا اى وقيل كان يعتمد على قوس ان خطب
فى الحرب وعلى عصا ان خطب فى غيره ولعل فى قوله يعنى تلك العصا هل هى العنزة
التى كان يصلى اليها او غيرها وما يظنه بعض الناس من انه كان يعتمد على سيف
وان ذلك اشارة الى ان الدين قام بالسيف فمن فرط جهله هذا كلامه وفيه ان
بعض فقهائنا ذكر ان اعتماده فى خطبته كان على سيف روى ولم يثبت وذكر
فقهاؤنا ان تلك الحكمة الاشارة الى ان هذا الدين قام بالسلاح وقول صاحب الهدى
وكان قبل ان يتخذ المنبر يعتمد على قوس او عصا يقتضى ان بعد اتخاذ المنبر لم
يعتمد على شئ من ذلك اى وصرح به صاحب القاموس فى سفر السعادة حيث قال لم
يكن ياخذ السيف والحربة بيده بل كان يعتمد على القوس او العصا وذا قبل اتخاذ
المنبر واما بعد اتخاذ المنبر فلم يحفظ انه اعتمد على العصا ولا على القوس ولا
على غير ذلك هذا كلامه فيكون الاعتماد على ذلك فوق المنبر بدعة وهو خلاف
ما عليه ايمتنا من انه يسن ان يشتغل يمناه بحرف المنبر ويسراه بما يعتمد عليه من نحو
العصا لكن قالوا كعادة من يريد الضرب بالسيف والرمى بالقوس وهو لا يأتى فى العصا
ولا يأتى فى السيف الا اذا كان فى غمده ووجود المرقى الذى يقرأ الاية والخبر المشهور
بدعة لانه صلى الله عليه وسلم حدث بعد الصدر الاول ولم اقف على اول زمان
فعل فيه ذلك لكن ذكر بعضهم انه صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع امر من
يستنصت له الناس عند ارادة خطبته وعليه ان كان استنصتهم بالحديث فذكر
المرقى الخبر ليس من البدعة الا ان يقال هو بالنسبة لخطبة الجمعة بدعة لانه صلى الله
عليه وسلم كان يذكر الحديث على المنبر فالسنة ان يذكره الخطيب كذلك قى سفر السعادة
وكان فى اثناء الخطبة يامر الناس بالانصات ويقول ان الرجل اذا قال لصاحبه انصت
فقد لغوت ومن لغا فلا جمعة له وكان يقول من تكلم يوم الجمعة والامام يخطب فهو
كمثل الحمار يحمل اسفارا والذى يقول انصت ليس له جمعة وفى الحافظ الدمياطى كان
يخطب الى الجذع قائما وانه قال ان القيام شق على يقتضى ان حنين الجذع كان عند
قيامه على ذلك المنبر من الخشب وانهم يتخذ قبل ذلك المنبر من الطين الذى قدمناه

فيه نظر وكذا فى قوله فقال له تميم الدارى لان تميم الدارى انما اسلم فى السنة التاسعة
وهذا المنبر اى الذى من الخشب انما فعل فى السابعة او الثامنة وعلى الثانى اقتصر الاصل
حيث قال فى الحوادث وفيها اى السنة الثامنة اتخاذ المنبر والخطبة عليه وحنين
الجذع وهو اول منبر عمل فى الاسلام وهو فى ذلك موافق لما تقدم عن شيخه الدمياطى
مخالف لما قدمه هو اى الاصل من اتخاذ المنبر له من الطين قبل ذلك وانه كان
عنده حنين الجذع وعلى كون المنبر عمل فى الثامنة لا يشكل كون العباس امر غلامه
بعمله لان العباس قدم المدينة فى السنة الثامنة فى بعض الروايات انه صلى الله
عليه وسلم دعى رجلا فقال اتصنع لى منبرا قال نعم قال ما اسمك قال فلان قال لا
بصاحبه ثم دعى اخر فقال له مثل ذلك ثم دعى الثالث فقال له ما اسمك قال ابراهيم
قال خذ فى صنعته فصنعه وفى رواية عمله رجل رومى اسمه باقوم غلام سعد بن
العاص اى ولعله هو الذى تقدم ذكره عند بناء الكعبة لقريش وفى رواية انه
ارسل الى امراة قال لها مرى غلامك يعمل لى اعوادا اكلم الناس عليها فعمل له درجات
من طرفا الغابة ويجوز ان يكون غلام العباس انتقل اليها بعد تلك المرة وانه كان
غلاما لسعيد بن العاص وانما شترك فى عمله مع ابراهيم المتقدم ذكره فنسب
لكل منهما فعلم من كلام الاصل فى غير الحوادث انه صلى الله عليه وسلم كان يخطب اولا
على الجذع ثم على المنبر من الطين وان حنين الجذع كان عند قيامه على ذلك المنبر
من الطين وهو مخالف لكلامه فى الحوادث انه حنين الجذع كان عند اتخاذه المنبر
من الخشب وانه اول منبر عمل فى الاسلام الا ان يقال اول منبر عمل فى الاسلام
من خشب ويكون ذكر حنين الجذع عند القيام عليه من تصرف بعض الرواة
لان حنين الجذع لم يتكرر حتى يقال يجاذ ان يكون كان عند قيامه على المنبر من
الطين ثم عند قيامه على المنبر من الخشب ثم رايت فى النور ارجع كلام الاصل فى
غير الحوادث الى كلام الاصل فى الحوادث من انه لم يكن له منبر من طين حيث قال
قوله اى الاصل فبنوا له منبرا اهذا الكلام فيه تجوز يعنى اتخذوا له منبرا
وذلك لان المنبر كان من طرفا الغابة وهو شىء معروف هذا كلامه وليته عكس
لان هذا منه يقتضى حينئذ ان يكون صلى الله عليه وسلم استمر من حين يخطب
فى المسجد الى السنة الثامنة يخطب الى الجذع لان المنبر من الخشب اتخذ فى السنة الثامنة
كما تقدم عن الاصل ويشكل عليه قول عائشة رضى الله تعالى عنها فى قصة
الافك فثار الحيان الاوس والخزرج حتى كادوا ان يقتتلوا ورسول الله صلى الله
عليه وسلم على المنبر لان قصة الافك كانت فى سنة خمس ثم رايت فى كتاب الشريعة

للاجرى



للاجرى عن انس بن مالك رضى الله تعالى عنه كان صلى الله عليه وسلم يخطب يسند ظهره الى
خشبة فلما كثر الناس قال ابنوا لى منبرا فبنوا له عتبتين اى غير المستراح فلما قام على المنبر
يخطب حنت الخشبة الحديث وعن سهل بن سعد لما كثر الناس وصار يجىء القوم وكانوا لا يكادون
يسمعون كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخطبة قال الناس يا رسول الله قد
كثر الناس وكثير منهم لا يكاد يسمع كلامك فلو انك اتخذت شيئا تخطب عليه مرتفعا
من الارض ويسمع الناس كلامك فارسل الى غلام نجار لامراة من الانصار فاتخذ له مرقاتين
من طرفا الغابة فلما قام عليهم حنت الخشبة التى كان يخطب اليها هذا كلامه وهو موافق
لما تقدم عن الاصل فى الحوادث والذى ينبغى فى الجمع بين الروايتين ما علم من ان اتخاذ
المنبر من طرفا الغابة كان بعد اتخاذه من الطين لانه احرى فى الارتفاع من منبر
الطين وكون الجذع حن عند اتخاذ المنبر من الخشب من تصرف بعض الرواة لان
حنينه انما كان عند اتخاذ المنبر من الطين ولم يتكرر حنينه كما تقدم ولما ولى معاوية
الخلافة كسا ذلك المنبر قبطية ثم كتب الى عامله بالمدينة وهو مروان بن الحكم ان
يرفع ذلك المنبر عن الارض فدعى بالنجارين وفعل ست درج ورفع ذلك المنبر
عليها فصارت تسع درجات وهذا يدل على ان قوله فاتخذ له مرقاتين اى غير المستراح
ومن ثم تقدم فعمل له درجات وقيل امر بحمله الى الشام فلما ارادوا قلعه اظلمت
المدينة وكسفت الشمس حتى بدت النجوم وثارت ريح شديدة فخرج مروان الى
الناس فخطبهم وقال يا اهل المدينة انكم تزعمون ان امير المؤمنين بعث الى
ان يغير منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انما امرنى ان اكرمه وارفعه ففعل ما
تقدم وقيل ان معاوية لما حج اراد ان ينقل المنبر الى الشام فحصل ما تقدم
من كسوف الشمس الخ فاعتذر معاوية للناس وقال اردت ان انظر الى ما تحته
وخشيت عليه من الارضة وكساه يومئذ قبطية ولا مانع من تعدد الواقعة
وان واقعة معاوية سابقة على واقعة مروان لقوله لانظر ما تحته والامر وان رفعه
عن الارض ثم ان هذا المنبر احترق بسبب الحريق الواقع فى المسجد اول مرة فارسل
صاحب اليمن منبرا فوضع موضعه بعد عشر سنين وفى الامتاع ثم تهافت المنبر
النبوى على طول الزمان فعمل بعض خلفاء بنى العباس منبرا واتخذ من اعواد المنبر
النبوى امشاطا يتبرك بها فاحترق هذا المنبر الجديد فى حريق المسجد فبعث
المظفر ملك اليمن منبرا هذا كلامه ثم ارسل الملك الظاهر بيبرس من مصر منبرا
فرفع منبر صاحب اليمن ووضع منبر الملك الظاهر فمكث مائة سنة واثنتين وثلاثين
سنة فبلى فيه الارضة ثم ان السلطان المؤيد شيخ لما بنى مدرسته بالقاهرة التى

تبين

يقال لها المويدة عمل اهل الشام له منبرا وارسلوا به اليه ليجعله في مدرسته
فوجدوا اهل مصر قد صنعوا له منبرا فصير المويد منبرا لاهل الشام الى المدينة
فمكث سبعا وستين سنة ثم حرق في الحريق الواقع في المسجد ثاني مرة ثم جعل موضعه
منبر مبني بالاجر مطلي بالنورة فمكث احدى وعشرين سنة ثم جعل موضعه المنبر
الرخام الموجود الان **قيل واعجب منبر** في الدنيا منبر جامع قرطبة قاعدة
بلاد الاندلس بالمغرب ذكر ان خشبه من ساج وابنوس وعود قاقلي احكم عمله
ونقشه في سبع سنين وكان يعمل فيه سبعة صناع لكل صانع في كل يوم نصف مثقال
ذهب فكان جملة ما صرف على اجرته عشرة الاف مثقال وخمسون مثقالا وبالجامع
المذكور مصحف فيه اربع ورقات من مصحف عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه بخط
يده وفيه نقط من دمه وفي هذا المسجد ثلاثة اعمدة حمر مكتوب على احدها اسم
محمد وعلى الثاني صفة عيسى وموسى واهل الكهف وعلى الثالث صورة غراب
نوح للجميع خلقة ربانية ولا بدع فقد ذكر بعضهم رايت بجامع القاهرة نجافة
عليها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم معشرا يقراه كل احد **وعن** سهل قال لقد رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم اول يوم جلس على المنبر اي من الخشب كبر فكبر الناس
خلفه ثم ركع وهو على المنبر ثم رجع فنزل القهقرى ثم سجد في اصل المنبر ثم
عاد حتى اذا فرغ الصلاة يصنع فيها كما يصنع في الركعة الاولى فلما فرغ اقبل
على الناس وقال ايها الناس انما صنعت هذا لتاتموا بي ولتعلموا صلاتي وقوله لتاتموا
بي اي تقتدوا بي مثل هذا الفعل من الاحرام والركوع على المحل المرتفع ثم النزول
عنه عند ايمتنا مخصوص جوازه بما اذا لم يلزم على ذلك استدبار القبلة او توالي
حركات ثلاث وقوله ولتعلموا صلاتي هو واضح لو كان ذلك اول صلاة صلاها
الا ان يقال المراد ولتعلموا جواز صلاتي هذه **وفي كلام** فقهائنا انه كان
ينزل من المنبر ويسجد للتلاوة اسفل المنبر واخر الامرين ترك ذلك فعلم ان منبره
صلى الله عليه وسلم كان ثلاث درجات بالمستراح وحينئذ يشكل ان صح ما
روي ان ابا بكر نزل درجة عن موقفه صلى الله عليه وسلم وعمر نزل درجة اخرى
وعثمان درجة اخرى ومن ثم قال في النور وهذا يدل على انه اكثر من ثلاث درجات
اي اربعة غير المستراح والا يلزم ان يكون عمر وعثمان كانا يخطبان على الارض قال
ويمكن تاويله هذا الكلام فلينظر ما وليه فانه يلزم على كونه درجتين غير المستراح
ان يكون الصديق كان يخطب على الدرجة الثانية وعمر يخطب على الارض وان
عثمان فعل كفعل عمر وحينئذ لا يحسن قولهم وعثمان نزل درجة اخرى اذ لا درجة

بعد

بعد الدرجة الثانية ينزل عنها وحينئذ يشكل ما في الامتاع كان منبره صلى
الله عليه وسلم درجتين ومجلسا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس على المجلس
ويضع رجليه اذا قعد على الدرجة الثانية فلما ولي ابو بكر قام على الدرجة
الثانية ووضع رجليه على الدرجة السفلى فلما ولي عمر قام على الدرجة السفلى
ووضع رجليه على الارض اذا قعد فلما ولي عثمان فعل كذلك اي فعل كعمر ست
سنين من خلافته ثم علا الى موضع وقوفه صلى الله عليه وسلم هذا كلامه
وكان ينبغي ان يقول بدل قوله فلما ولي ابو بكر قام على الدرجة الثانية
جلس على الدرجة الثانية وكذا قوله فلما ولي عمر قام على الدرجة السفلى جلس على الدرجة
السفلى اي قعد حتى خطب على الارض وكذا عثمان وذكر فقهاؤنا ان منبره صلى الله عليه
وسلم كان ثلاث درج غير الدرجة التي تسمى المستراح وتسمى بالمقعد والمجلس فكان يقف
على الدرجة الثالثة اي بالنسبة للسفلى واذا جلس يجلس على المستراح ويجعل رجليه
محل وقوفه اذا قام للخطبة وكذلك الخلفاء الثلاثة كل يجعل رجليه محل وقوفه ويذكر
ان المتوكل قال يوما لجلسائه وفيهم عبادة اتدرون ما الذي نقم على عثمان نقم عليه اشياء
منها انه قام ابو بكر دون مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمرقاة ثم قام عمر دونه
بمرقاة فصعد عثمان ذروة المنبر فقال له عبادة ما احد اعظم منة عليك يا امير
المومنين من عثمان قال وكيف ذاك قال لانه صعد ذروة المنبر ولولا انه كلما قام خليفة
نزل عن تقدمه كنت انت تخطبنا في بير عميق فضحك المتوكل ومن حوله
وكون عثمان صعد ذروة المنبر انما هو في اخر الامر كما علمت **وفي كلام** بعضهم اول من
اتخذ المنبر خمس عشرة درجة معاوية رضي الله عنه وانه اول من اتخذ المقصورة في
الاسلام واول من قيد بين يديه الجنائب وعثمان اول من كسى المنبر قبطية **وعن**
الواقدي ان امراة سرقت كسوة عثمان للمنبر فاتوه بها فقال لها عثمان هل سرقت قولي لا فاعترفت
فقطعها ثم كساه معاوية كما تقدم ثم كساه عبد الله بن الزبير فسرقتها امراة فقطعها
كما قطع عثمان ثم كساه الخلفاء من بعده

باب غزوة بدر

الكبرى ويقال بدر العظمى ويقال بدر القتال ويقال لها بدر الفرقان اي لان الله تعالى
فرق فيها بين الحق والباطل ثم ان العير التي خرج صلى الله عليه وسلم في طلبها حتى بلغ
العشيرة ووجدها سبقته بايام لم يزل مترقبا قفولها اي رجوعها من الشام فلما
سمع بقفولها من الشام ندب المسلمين اي دعاهم وقال هذه عير قريش فيها اموالهم فاخرجوا
اليها لعل الله ان ينفلكموها فانتدب ناس اي اجابوا وثقل اخرون اي لم يجيبوا ظنهم
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلق حربا ولم يحتفل لها رسول الله صلى الله عليه وسلم

اى لم يهتم بها قال من كان ظهره اى ما يركبه حاضرًا فليركب معنا ولم ينتظر من كان
ظهره غائبًا عنه ولما خرج صلى الله عليه وسلم الى بدر قالت له ام ورقة بنت نوفل
يا رسول الله ائذن لى فى الغزو معك امرض مرضاكم لعل الله يرزقنى الشهادة فقال
لها قرى فى بيتك فان الله يرزقك الشهادة وكانت قد قرأت القرآن فكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يزورها ويسميها الشهيدة فكان الناس يقولون لها الشهيدة
فلما كان زمن خلافة سيدنا عمر عدا عليها غلام وجارية كانت دبرتهما فغماها
بقطيفة الى ان ماتت فجئ بهما الى سيدنا عمر فامر بصلبهما فكانا اول مصلوب
بالمدينة وقال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول انطلقوا بنا نزور
الشهيدة وكان ابو سفيان حين دنى بالعير من ارض الحجاز يتجسس الاخبار اى
يبحث عنها ويسأل من لقى من الركبان تخوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استنفر اصحابه للعير اى ويقال انه لقى
رجلا فاخبره انه صلى الله عليه وسلم قد كان عرض لعيره فى بدايته وانه تركه
مقيما ينتظر رجوع العير ٥ فخاف خوفا شديدًا فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفارى
اى استأجره بعشرين مثقالا وهو لا يعرف له اسلام والذى فى الصحابة ضمضم بن عمرو
الخزاعى ٥ ليأتى مكة وان يجدع بعيره وان يحول رحله ويشق قميصه من
قبله ومن دبره اذا دخل مكة ويستنفر قريشا ويخبرهم ان محمدا قد عرض
لعيرهم هو واصحابه فخرج ضمضم سريعا الى مكة وقبل ان يقدم بثلاث ليال
رأت عاتكة بنت عبد المطلب عمة النبى صلى الله عليه وسلم اختلف فى اسلامها
رؤيا افزعتها فبعثت الى اخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له يا اخى والله لقد
رأيت الليلة رؤيا افظعتنى اى اشتدت على وتخوفت ان يدخل على قومك منها
شر ومصيبة فاكتم عنى ما احدثك قيل وفى رواية انها قالت له لن احدثك حتى تعاهدنى
ان لا تذكرها فانهم ان سمعوها يعنى كفار قريش آذونا واسمعونا ما لا نحب فعاهدها
العباس انتهى فقال لها ما رأيت قالت رأيت راكبا اقبل على بعير له حتى وقف بالابطح
اى وهو ما بين المحصب ومكة ثم صرخ باعلا صوته الا انفروا يا آل غدر اى يا اصحاب
الغدر وعدم الوفا الى مصارعكم فى ثلاث اى بعد ثلاثة ايام وفى كلام
السهيلى يا آل غدر بضم الغين والدال جمع غدور اى ان تخلفتم فانتم غدر لقومكم قالت
فارى الناس اجتمعوا اليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله مثل
به بعيره على راس ابى قبيس فصرخ بمثلها ثم اخذ صخرة فارسلها فاقبلت تهوى
حتى اذا كانت باسفل الجبل ارفضت اى تكسرت فما بقى بيت من بيوت مكة ولا دار

الا دخلها منه فلقة فقال لها العباس فلقى الوليد بن عتبة اى وكان صديقا له فذكرها
له اى واستكتمه فذكرها الوليد لابنه عتبة فتحدث بها ٥ ففشا الحديث قال العباس
فغدوت لاطوف بالبيت وابو جهل بن هشام فى رهط من قريش قعود يتحدثون
برؤيا عاتكة فلما رآنى ابو جهل قال يا ابا الفضل اذا فرغت من طوافك فاقبل الينا
فلما فرغت اقبلت حتى جلست معهم فقال ابو جهل يا بنى عبد المطلب متى حدثت فيكم
هذه النبية قال قلت وما ذاك قال ذاك الرؤيا التى رأت عاتكة فقلت وما رأت
قال يا بنى عبد المطلب اما رضيتم ان تتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم قيل وفى
رواية ما رضيتم يا بنى هاشم بكذب الرجال حتى جئتمونا بكذب النسا انتهى قال ابو جهل
وقد زعمت عاتكة فى رؤياها انه قال انفروا فى ثلاث فسنتربص بكم هذه الثلاث
فان يك حقا ما تقول فسيكون وان تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شئ نكتب
عليكم كتابا انكم اكذب اهل بيت فى العرب قال العباس فوالله ما كان منى اليه كبيرا
الا انى جحدت ذلك وانكرت ان تكون رأت شيئا وفى رواية ان العباس قال لابى جهل
هل انت منته يا مصفر استه اى يا مأبون او يا جبان او الذى يغيرلون البرص الذى
يعقده بالزعفران فان الكذب فيك وفى اهل بيتك فقال من حضرهما ما كنت يا ابا
الفضل جهولا ولا خرقا ولقى العباس من اخته عاتكة اذى شديدا حين افشى حديثها
قال العباس فلما امسيت لم تبق امرأة من بنى عبد المطلب الا اتتنى اقررتم اى بالك اقررتم
لهذا الفاسق الخبيث ان يقع فى رجالكم ثم قد تناول النسا وانت تسمع ثم لم يكن عندك ٥
غيرة لشئ مما سمعت فقلت لهن وايم الله لاتعرضن له وان عاد لاكفينكه وغدوت فى اليوم
الثالث من رؤيا عاتكة وانا مغضب ارى انى قد فاتنى منه امر احب ان ادركه منه
فدخلت المسجد فرأيته فوالله انى لامشى نحوه اتعرضه ليعود الى بعض ما قال فاوقع
به اذا هو قد خرج نحو باب المسجد يشتد اى يعدو فقلت فى نفسى ما له لعنه الله
اكل هذا فرق اى خوف منى فاذا هو سمع ما لم اسمع صوت ضمضم بن عمرو الغفارى وهو
يصرخ ببطن الوادى واقفا على بعيره قد جدع بعيره اى قطع انفه واذنه وحول
رحله وشق قميصه وهو يقول يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة اى ادركوا اللطيمة
وهى العير التى تحمل الطيب والبز اموالكم مع ابى سفيان قد عرض لها محمد فى اصحابه لا ارى
ان تدركوها وفى لفظ ان اصابها محمد لن تفلحوا ابدا الغوث الغوث قال العباس فشغلنى
عنه وشغله عنى ما جاء من الامر فتجهز الناس سراعا اى وفزعوا اشد الفزع واشفقوا
ايخافوا من رؤيا عاتكة ٥ ويروى انهم قالوا ايظن محمد واصحابه ان تكون كعير ابن
الحضرمى والله ليعلمن غير ذلك فكانوا بين رجلين اما خارج واما باعث مكانه رجلا

اى واعان قويهم ضعيفهم وقام اشراف قريش يحضون الناس على الخروج وقال سهيل
ابن عمرو يا آل غالب أتاركون انتم محمدا والصباة من اهل يثرب ياخذون اموالكم من اراد
مالا فهذا مالى ومن اراد قوة فهذه قوتى ٥ ولم يتخلف من اشراف قريش الا ابا لهب اى خوفا
من رؤيا عاتكة فانه كان يقول رؤيا عاتكة كأخذ بيد اى صادقة لا تتخلف ٥ وبعث
مكانه العاص بن هشام بن المغيرة اى استأجره باربعة آلاف درهم قال ابو عبيد
وسمى الربا لياطا لانه ملصق بالضبع وليس بضبع وفى كلام البلاذرى على انه قامر ابا لهب
على ان يطيعه فيما اراد فقمره ابو لهب فاسلمه الى الضيق اى ضيق عليه بالطلب ثم قامره
فقمره ابو لهب ايضا فارسله مكانه الى بدر وهشام هذا قتله عمر بن الخطاب فى هذه الغزاة
حتى ان امية بن خلف اراد القعود وكان شيخا جسيما ثقيلا فجاء اليه وهو جالس مع قومه
عقبة بن ابى معيط بمجمرة فيها بخور اى بجمر وقد جاء فى صفة اهل الجنة مجامرهم جمع مجمر وهو
البخور لا جمع مجمرة لقوله الشمر الجمر الالوة وهو العود الرطب يحملها حتى وضعها بين
يديه ثم قال يا ابا على استجمر فانما انت من النساء فقال له قبحك الله وقبح ما جئت به اى
وكان عقبة كما فى فتح البارى سفيها وكان ابو جهل سلط عقبة على ذلك وفى لفظ
اتاه ابو جهل فقال له يا ابا صفوان انك متى يراك الناس قد تخلفت وانت سيد
اهل الوادى وفى لفظ وانت من اشراف الوادى تخلفوا معك فسر يوما او يومين
اى ولا مانع من وجود ذلك كله فتجهز مع الناس اى وسبب تخلفه ان سعد بن معاذ
قدم مكة معتمرا فنزل عليه لان امية كان ينزل على سعد بالمدينة اذا ذهب الى
الشام فى تجارته فقال سعد لامية انظر لى ساعة لعلى اطوف بالبيت فقال امية
لسعد انتظر حتى اذا انتصف النهار وغفل الناس انطلقت فطفت وفى لفظ فخرج
امية به قريبا من نصف النهار فبينما سعد يطوف اذ اتاه ابو جهل فقال من هذا الذى
يطوف فقال له سعد انا سعد بن معاذ فقال له ابو جهل اتطوف بالكعبة آمنا وقد
آويتم محمدا واصحابه وفى لفظ آويتم الصباة وزعمتم انكم تنصرونهم وتعينونهم اما
والله لولا انك مع ابى صفوان ما رجعت الى اهلك سالما فتلاحيا اى تخاصما وسعد
يرفع صوته فصار امية يقول لسعد لا ترفع صوتك على ابى الحكم فانه سيد اهل الوادى
وجعل يمسك سعدا فقال سعد لامية اليك عنى فانى سمعت محمدا صلى الله عليه وسلم
يزعم انه قاتلك قال اياى قال نعم قال بمكة قال لا ادرى قال والله ما كذب محمد فكاد يحدث
اى يبول فى ثيابه فزعا فرجع الى امرأته فقال لها ما تعلمين ما قال لى اخى اليثربى سعد بن
معاذ قالت وما ذاك قال زعم انه سمع محمدا يزعم انه قاتلى قالت فوالله ما يكذب محمد
فلما جاء الصريخ واراد الخروج قالت له امرأته اما علمت ما قال لك اخوك اليثربى

قال لى اذن لا اخرج فلما صمم على عدم الخروج بل اقسم بالله لا يخرج من مكة قيل له ما
تقدم فخرج ناويا ان يرجع عنهم اى ومعنى كونه صلى الله عليه وسلم قاتله اى كان سببا فى قتله والا
فهو صلى الله عليه وسلم لم يباشر الا قتل اخيه وهو ابى بن خلف فى احد ٥ كما سيأتى ومن ثم جاء فى
روايته قال لامية ان اصحابه يعنى النبى صلى الله عليه وسلم يقتلونك يحتمل ان سعد بن معاذ
سمعه صلى الله عليه وسلم يقول انا اقتل ابن خلف ففهم سعد انه يريد امية لا ابى اى وفى الامتاع
ان امية بن خلف وعتبة وشيبة ابنى ربيعة وزمعة بن الاسود وحكيم بن حزام
استقسموا بالازلام فخرج لهم القدح الناهى اى المكتوب عليه لا تفعل فاجمعوا على
المقام فجاءهم ابو جهل وازعجهم واعانه على ذلك عقبة بن ابى معيط والنضر بن الحارث
ويقال ان عداسا قال لسيديه عتبة وشيبة ابنى ربيعة بابى وامى انتما والله ما تساقان الا
لمصارعكما فارادا عدم الخروج فلم يزل بهما ابو جهل حتى خرجا عازمين على العود عن
الجيش فلما فرغوا من جهازهم اى وكان ذلك فى ثلاثة ايام وقيل فى يومين
واجمعوا السير اى عزموا عليه وكانوا خمسين وتسعمائة وقيل كانوا الفا وقادوا مائتى
فرس اى عليها مائة درع سوى دروع فى المشاة قال ابن اسحاق وخرجوا على الصعب والذلل
اى لشدة اسراعهم والصعب الذى لا ينقاد والذلل الذى ينقاد معهم القيان
اى بفتح القاف وتخفيف المثناة تحت وفى اخره نون جمع قينة وهى الامة مطلقا
وقيل المغنية والمراد هنا الثانى لقوله فى الامتاع ومعهم القيان يضربن بالدفوف
يغنين اى بهجاء المسلمين وسيأتى فى احد خروج جماعة من نساء قريش معهن الدفوف
وعند خروجهم ذكروا ما بينهم وبين كنانة من الحرب اى والدماء وقالوا نخشى ان
ياتونا من خلفنا اى لان قريشا كانت قتلت شخصا من كنانة وان شخصا من قريش
كان شابا وضيئا له ذؤابة وعليه حلة خرج فى طلب ضالة له فمر ببنى كنانة وفيهم
سيدهم وهو عامر فرآه فاعجبه فقال من انت يا غلام فذكر انه من قريش فلما ولى
الغلام قال عامر لقومه اما لكم فى قريش من دم قالوا بلى فاغراهم به فقتلوه ثم
قال بنو كنانة لقريش رجل برجل فقالت قريش نعم رجل برجل ثم ان اخا المقتول
ظفر بعامر بمر الظهران فعلاه بالسيف حتى قتله ثم خاض بطنه بسيفه ثم جاء وعلقه
باستار الكعبة من الليل فلما اصبحت قريش رأوا سيف عامر فعرفوه وعرفوا قاتله
اى وكان ذلك يثنيهم اى يصرفهم عن الخروج ٥ فتبدى لهم ابليس فى صورة سراقة
ابن مالك المدلجى وكان من اشراف بنى كنانة وقال لهم انا لكم جار من ان تأتيكم
كنانة من خلفكم بشئ تكرهونه فخرجوا سراعا وخرج معهم ابليس يعدهم ان بنى
كنانة ورائهم قد اقبلوا لنصرهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم

ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة وضرب رسول الله صلى الله
عليه وسلم عسكره ببير ابي عتبة اي امر اصحابه ان يستقوا منها وشرب من مائها وفي
الامتاع عسكر ببيوت السقيا وهي عين بينها وبين المدينة يومان كان يستقى له
صلى الله عليه وسلم الماء منها وقد جاء ان عبده رباح كان يستقي له من بير غرس مرة
ومن بيوت السقيا مرة وقال صلى الله عليه وسلم بير غرس من عيون الجنة ومنها
غسل منها صلى الله عليه وسلم كما سياتي وغرس اسم عبد كان يقوم عليها وقيل
عليها وقيل غير ذلك وامر حين فصل من بيوت السقيا ان تعد المسلمون فوقف
لهم عند بير ابي عتبة فعدوا وهي على ميل من المدينة فعرض اصحابه ورد من استصغر
اي وكان ممن رده اسامة بن زيد ورافع بن خديج والبراء بن عازب واسيد بن
ظهير وزيد بن ارقم وزيد بن ثابت ورد عمير بن ابي وقاص فبكى فاجازه وقتل
وعمره ستة عشر عاما وحينئذ يتوقف في رده لان الخمسة عشر عاما وحينئذ
يتوقف في رده لان الخمسة عشر بلوغ بالسن على ما عليه ايمتنا وخرج في خمسة
وثلاثمائة رجل من المهاجرين اربعة وستون وباقيهم من الانصار وقيل كان المهاجرون
نيفا وثمانين وكانت الانصار نيفا واربعين ومائتين وذكر الامام الدواني
انه سمع من مشايخ الحديث ان الدعاء عند ذكرهم يعني اصحاب بدر مستجاب وقد
جرب وتخلف عثمان على ابنته صلى الله عليه وسلم رقية وكانت مريضة اي وقيل
لانه كان مريضا بالجدري اي ولا مانع من وجود الامرين وقد قال صلى الله عليه وسلم
ان لك لاجر رجل وسهمه اي وكان ابو امامة بن ثعلبة الانصاري اجمع الخروج الى
بدر وكانت امامة بن ثعلبة الانصاري اجمع الخروج الى بدر وكانت امه مريضة فامره
صلى الله عليه وسلم بالمقام على امه فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر وقد
توفيت فصلى على قبرها واستعمل ابا لبابة واليا على المدينة ورده من المحل المذكور
اي من بير ابي عتبة كذا في الاصل وقيل رده من الروحاء وهو المشهور وهي قرية على ليلتين
من المدينة كما تقدم واستعمل ابن ام مكتوم على الصلاة بالناس في المدينة وخلف
عاصم بن عدي على قباء واهل العالية اي لشيء بلغه عن اهل مسجد الضرار لينظر في
ذلك وكسر بالروحاء خوات بن جبير اي وفي كلام ابن عبد البر وقال موسى بن
عقبة خرج خوات بن جبير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما بلغ الصفراء اصاب
ساقه حجر ودميت رجله واعتك فرجع وضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم
بسهمه واهل الاخبار يقولون انه شهد بدرا وله في الجاهلية قصة مشهورة مع
ذات النحيين التي تضرب العرب بها المثل فيقول اشغل من ذات النحيين وهي خولة

يروي انه صلى الله عليه وسلم ساله عنها وتبسم فقال يا رسول الله قد رزق الله خيرا واعوذ
بالله من الحور بعد الكور وروي انه قال له ما فعل بعيرك الشارد يعرض بهذه
القضية فقال القول لتلك القضية وانما هو لقضية اخرى هي ان خواتا من نسوة
في الجاهلية اعجبه حسنهن فسالهن ان يغزلن له قيد البعير ثم زعم انه شارد
وجلس اليهن بهذه العلة فمر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث
اليهن واعرض عنه وعنهن فلما اسلم ساله عن ذلك البعير وهو يتبسم وكسر
ايضا الحارث بن الصمة وبعث طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد يتجسسان خبر
العير والتحسس للاخبار بالحاء المهملة ان يبحث الشخص عن الاخبار بنفسه وبالجيم
ان يبحث عنها بغيره وجاء تحسسوا ولا يحضرا القتال بل رجعا بخبر العير الى المدينة
على ظن انه صلى الله عليه وسلم بالمدينة فلما علما انه ببدر خرجا اليه فلقياه منصرفا
من بدر واسهم لكل وصار كل من اسهم له يقول واجري يا رسول الله فيقول واجرك
ودفع اللواء وكان ابيض لمصعب بن عمير وكان امامه صلى الله عليه وسلم رايتان
سوداوان احداهما مع علي بن ابي طالب اي ويقال لها العقاب وكانت من مرط لعائشة
وفي كلام بعضهم كان ابو سفيان بن حرب من اشراف قريش وكانت اليه راية الرؤسا
المعروفة بالعقاب لا يحملها في الحرب الا هو او رئيس مثله وسياتي انه حملها في هذه
الغزوة الاب الخامس لامامنا الشافعي وهو السائب بن يزيد والاخرى مع بعض
الانصار وابن قتيبة اقتصر على الاولى وذكر بعضهم ان بعض الانصار هذا قيل
هو سعد بن معاذ وقيل الحباب بن المنذر وهذا يرد ما تقدم في غزوة بواط عن
ابن اسحاق وما سياتي في غزوة بني قينقاع عن ابن سعد ان الرايات لم تكن وجدت
وانما حدثت يوم خيبر ومما يدل على تاييد الرد ما جاء عن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم اعطى عليا الراية يوم بدر وهو ابن عشرين سنة
وفي الهدى ان لواء المهاجرين كان مع مصعب بن عمير ولواء الخزرج مع الحباب بن
المنذر ولواء الاوس مع سعد بن معاذ ولم يذكر الرايتين وفي الامتاع عقد الالوية
وهي ثلاثة لواء يحمله مصعب بن عمير ورايتان سوداوان احداهما مع علي والاخرى
مع رجل من الانصار وفيه اطلاق اللواء على الراية وقد تقدم ان جماعة من اهل
اللغة صرحوا بترادف اللواء والراية وكان خروجه من المدينة على غير لواء معقود
قال في الاصل والمعروف ان سعد بن معاذ كان على حرس رسول الله صلى الله
عليه وسلم في العريش اي كما سياتي قال اي جوابا عما تقدم عن الاصل العريش كان
ببدر اي وهذا كان عند خروجهم وفي الطريق فلا منافاة اي لانه يجوز ان يكون

في بدر دفع الراية لغيره باذنه صلى الله عليه وسلم ليكون معه في العريش ولبس
صلى الله عليه وسلم درعه ذات الفضول وتقلد سيفه العضب وحين فصل من
بيوت السقيا قال اللهم انهم حفاة فاحملهم عراة فاكسهم وجياع فاشبعهم
وعالة فاغنهم من فضلك فما رجع احد منهم يريد ان يركب الا وجد ظهرا للرجل البعير
والبعيران واكتسى من كان عاريا واصابوا طعاما من ازوادهم واصابوا فداء الاسارى
فاغنى به كل عائل وكان خبيب بن يساف ذا باس ونجدة ولم يكن اسلم ولكنه خرج
نجدة لقومه من الخزرج طالبا للغنيمة ففرح المسلمون بخروجه معهم فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يصحبنا الا من كان على ديننا اي وفي رواية ارجع فانا لا نستعين
بمشرك اي وسياتي في احد انه قال لا ننتصر باهل الشرك على اهل الشرك لما رد حلفاء
عبد الله بن ابي بن سلول من يهود وتكررت من خبيب المراجعة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وفي الثالثة قال له تؤمن بالله ورسوله قال نعم فاسلم وقاتل قتالا شديدا
وفي الامتاع وقدم خبيب بن يساف بالروحاء مسلما ولا يخالف ما تقدم لجواز ان يكون اسلم
قبل الروحاء ولما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم صام يوما او يومين ثم نادى
مناديه يا معشر العصاة اني مفطر فافطروا وذلك انه كان قال لهم قبل ذلك افطروا
فلم يفعلوا انتهى اي وسياتي في فتح مكة اناسوهم بالفطر فلم يفعل جماعة منهم ذلك
فقال اولئك العصاة وكانت ابل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اي التي معهم
يومئذ سبعين بعيرا فاعتقبوها كل ثلاثة يعتقبون بعيرا اي الا ما كان من حمزة
وزيد بن حارثة وابو كبشة وانيسة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان هؤلاء الاربعة
كانوا يعتقبون بعيرا اي وعن عائشة رضي الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
امر بالاجراس ان تقطع من اعناق الابل يوم بدر وفي الامتاع فكانوا يتعاقبون الابل
الاثنين والثلاثة والاربعة هذا كلامه فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي بن
ابي طالب ومرثد يعتقبون بعيرا وفي لفظ كان ابو لبابة وعلي والنبي صلى الله عليه وسلم
يعتقبون بعيرا اي وذلك قبل ان يرد ابا لبابة للمدينة من الروحاء وبعد ان رده قام
مقامه مرثد وقيل زيد بن حارثة وقيل زيد كان مع حمزة اي كما تقدم ويجوز انه كان
مع حمزة تارة ومع النبي صلى الله عليه وسلم اخرى فكان اذا كانت عقبة النبي صلى الله
عليه وسلم قالا له اي رفيقاه اركب حتى نمشي عنك فيقول ما انتما باقوى مني على المشي وما
انا باغنى عن الاجر منكما وكان ابو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف يعتقبون بعيرا
اي ورفاعة وخلاد ابنا رافع وعبيد بن يزيد الانصار الانصاري يعتقبون بعيرا
حتى اذا كانوا بالروحاء برك بعيرهم عيا فمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا

يا رسول

يا رسول الله برك علينا بكرنا فدعى رسول الله صلى الله عليه وسلم بماء فتمضمض والقاه
في اناء اي وفي الامتاع فتمضمض وتوضأ في اناء ثم قال افتح فاه فصب منه في فيه ثم صب
باقي ذلك عليه ثم قال اركبا ومضى فلحقاه وانه لينفر بهم اي وامر باحصاء من معه ولم
يحتمل ان يكون امر بذلك ثانيا بعد الروحاء بعد ان رد ابا لبابة وبعد عدهم في بيوت
ابي عتبة فاذا هم ثلاثمائة وثلاثة عشر ففرح بذلك وقال عدة اصحاب طالوت الذين
جاوزوا معه النهر وهذا قول عامة السلف كما قال ابن جرير ومن زاد على ذلك عد معهم
من رده من الروحاء ومن اسهم له ولم يحضر ومن نقص عن ذلك وعدهم ثلاثمائة
وخمس رجال او ست رجال او سبعة رجال فالجواب عنه لا يخفى وكان في الجيش خمسة
افراس فرسان له صلى الله عليه وسلم وفرس لمرثد ويقال له السيل وفرس للمقداد بن الاسود
نسب اليه لانه تبناه في الجاهلية كما تقدم ويقال لها سبحة وفرس للزبير ويقال له
اليعسوب وقيل لم يكن في الجيش الا فرسان فرس المقداد وفرس الزبير وعن علي
رضي الله تعالى عنه ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد اقول يجوز ان يكون المراد
لم يقاتل يوم بدر فارسا الا المقداد وغيره ممن له فرس قاتل راجلا ويؤيده ما ياتي
انه لما قسم الغنيمة لم يميز احدا عن احد الراجل مع الراجل والفارس مع الفارس
لكن قد يخالفه قول الزمخشري في خصائص العشرة كان الزبير صاحب الراية
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وليس على الميمنة يومئذ فارس غيره هذا
كلامه الا ان يقال كون الزبير فارسا على الميمنة لا يخالف كون المقداد فارسا في محل
اخر مع الجماعة الذين فيهم سيدنا علي فقوله سيدنا علي لم يكن فينا اي في الجماعة
الملازمين لنا تامل والله اعلم وفي اثناء الطريق بعرق الظبية لقوا رجلا من الاعراب
فسالوه عن الناس فلم يجدوا عنده خبرا فقال له الناس سلم على رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال افيكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا نعم فسلم عليه ثم قال ان كنت رسول
الله فاخبرني بما في بطن ناقتي هذه فقال له سلمة بن سلامة بن وقش لا تسل رسول
الله صلى الله عليه وسلم اقبل علي انا اخبرك عن ذلك نزوت عليها ففي بطنها منك
سخلة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مه افحشت على الرجل ثم اعرض عن سلمة فلما
نزلوا بوادي ذفران بكسر الفاء اي وهو واد قريب من الصفراء اتاه الخبر عن قريش بمسيرهم
ليمنعوا عيرهم فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم اي واخبرهم الخبر قال لهم ان القوم قد
خرجوا من مكة من النفير فقالوا بلى اي قال ذلك طائفة منهم العير احب الينا
من لقاء العدو وفي رواية هلا ذكرت لنا القتال حتى نتاهب له انا خرجنا للعير
وفي رواية يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله

عليه وسلم وقد روى ذلك عن ابى ايوب فى سبب نزول قوله تعالى كما اخرجك ربك
من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون وعند ذلك قام ابو بكر فقال
واحسن ثم قام عمر فقال واحسن ثم قام المقداد فقال يا رسول الله امض لما امرك
الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل اى لموسى اذهب انت وربك
فقاتلا انا ههنا قاعدون اذهب انت وربك فقاتلا انا معكم مقاتلون ما دامت
منا عين تطرف فوالله الذى بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد اى وهى
مدينة بالحبشة لجالدنا اى ضربنا بالسيوف معك من دونه حتى تبلغه وفى لفظ
لقاتلنا عن يمينك وعن يسارك ومن بين يديك ومن خلفك قال ابن مسعود فرأيت
وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرق لذلك ويسره ذلك **وفى الكشاف**
فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ثم
دعى له بخير هذا وفى العرائس روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم الحديبية
حين صد عن البيت انى ذاهب بالهدى فناحره عند البيت واستشار اصحابه فى ذلك
فقال المقداد بن الاسود اما والله لا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى فاذهب انت وربك
فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكنا نقول انا معكم مقاتلون والله لنقاتلن عن يمينك
وشمالك ومن بين يديك ولو خضت بحرا لخضناه معك ولو علوت جبلا لعلوناه
معك ولو ذهبت بنا برك الغماد لتبعناك فلما سمع اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم والسعد وممكن لكنه بعيد ثم قال اشيروا على فقال عمر يا رسول الله انها
قريش وعزها والله ما ذلت منذ عزت ولا امنت منذ كفرت والله لتقاتلنك ه
فاتهب لذلك اهبته واعد لذلك عدته اى ثم استشارهم ثانيا فقال اشيروا على
ثالثا فقال اشيروا على ايها الناس ففهمت الانصار انه يعنيهم وذلك لانهم عدد
الناس اى اكثرهم عددا ومن ثم قيل وانما كرر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستشارة
اى فى ذلك المجلس ليعرف حال الانصار فانه تخوف ان لا تكون الانصار ترى عليها
نصرته الا ممن دهمه اى جاءه على حين غفلة بالمدينة من عدوه وان ليس عليهم
ان يسير بهم الى عدو من بلادهم عملا بظاهر قولهم له حين بايعوه عند العقبة
يا رسول الله انا برآء من ذمامك حتى تصل الى دارنا فاذا وصلت الينا فانت فى
ذمتنا نمنعك مما نمنع به ابناءنا ونساءنا ومن ثم قال له سعد بن معاذ سيد الاوس
وقيل سعد بن عبادة سيد الخزرج وانما حكى بصيغة التمريض لانه قد اختلف
فى عده فى البدريين والصحيح انه لم يشهد بدرا فانه كان تهيأ للخروج فنهش بالمهملة
اى لدغته الحية قبل ان يخرج فاقام اى وضرب له بسهم فقال لعلك تريدنا معاشر

الانصار يا رسول الله فقال اجل قال فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت
به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة وزاد فى
رواية ولعلك يا رسول الله تخشى ان تكون الانصار ترى عليها ان لا ينصروك الا فى ديار هم
وانى اقول عن الانصار واجيب عنهم فاظعن حيث شئت وصل حبل من شئت واقطع
حبل من شئت وفى لفظ وصل حبال من شئت واقطع حبال من شئت وسالم من شئت
وعاد من شئت وخذ من اموالنا ما شئت وما اخذت منا كان احب الينا مما تركت وما
امرت فيه من امر فامرنا تبع لامرك فامض يا رسول الله لما اردت فنحن معك والذى
بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل
واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا انا لصبر فى الحرب صدق فى اللقا لعل الله يريك
منا ما تقر به عينك وفى لفظ بعض ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله تعالى
فنحن عن يمينك وشمالك وبين يديك وخلفك فسر النبى صلى الله عليه وسلم اى
واشرق وجهه بقول سعد ونشطه ذلك ثم قال سيروا وابشروا فان الله تعالى قد
وعدنى احدى الطائفتين اى وهما عير قريش ومن خرج من مكة من قريش يريد حماية
ذلك العير فوالله لكانى الان انظر الى مصارع القوم اى فقد اعلمه الله تعالى بنجز وعده
بذلك بالظفر بالطائفة الثانية واراه مصارعهم فعلم القوم انهم ملاقون القتال
وان العير لا تحصل لهم ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذفران حتى نزل قريبا من
بدر فركب هو وابو بكر اى وقيل بدل ابو بكر قتادة بن النعمان وقيل معاذ بن جبل
حتى وقفا على شيخ من العرب اى يقال له سفيان قال ابن الجوزى لا اعلم له اسلاما فسأله عن
قريش وعن محمد واصحابه وما بلغه عنهم فقال الشيخ لا اخبركما حتى تخبرانى ممن انتما فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اخبرتنا اخبرناك فقال الشيخ ذاك بذاك قال نعم
قال فانه قد بلغنى ان محمدا واصحابه خرجوا يوم كذا وكذا فان كان صدق الذى اخبرنى
به فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذى نزل به رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغنى
ان قريشا خرجوا يوم كذا وكذا فان كان الذى اخبرنى به صدق فهم اليوم بمكان كذا
وكذا للمكان الذى نزل به قريش فلما فرغ من خبره قال ممن انتما فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم نحن من ماء اى من ماء دافق وهو المنى ثم انصرفا عنه فقال الشيخ من ماء
اى من ماء العراق فهم الشيخ ان المراد الماء حقيقة اى لكثرته فى الاحساء فقال النبى صلى
الله عليه وسلم نحن من ماء واشار بيده الى العراق فقال من ماء العراق اى واضيف
الماء الى العراق لكثرته به وفيه ان هذا من التورية وقد تقدم فى اول الهجرة انه
لا ينبغى لنبى ان يكذب ولو صورة ومنه التورية لكن فى كلام القاضى البيضاوى

وما روى انه عليه الصلاة والسلام قال لابراهيم ثلاث كذبات تسمية للمعاريض
لما شابهت صورتها صورته ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اصحابه ودعا
لهم فقال اللهم انهم حفاة فاحملهم اللهم انهم عراة فاكسهم اللهم انهم جياع فاشبعهم
ففتح الله تعالى له يوم بدر فانقلبوا حين انقلبوا وما منهم رجل الا وقد رجع بجمل
او جملين واكتسوا وشبعوا اخرجه ابو داود عن عمرو بن العاص اى شبعوا واكتسوا
وشبعوا بما اصابوه من كسوة وازواد قريش وفي الامتاع ان دعاءه المذكور كان عند
مفارقته محل معسكره بالمدينة وهو بيوت السقيا كما تقدم وتقدم فيه زيادة وقاتل
فاغنهم فاصابوا الاسرى فاغتنى بهم كل عايل ولا مانع ان يكون دعا وصلى الله عليه وسلم
بذلك تكررا فلما امسى بعث علي بن ابي طالب والزبير بن العوام وسعد بن ابي وقاص
في نفر من اصحابه الى بدر ليتجسسوا الخبر فاصابوا رواية لقريش معها غلام لبني
الحجاج وغلام لبني العاص فاتوا بهما ورسول الله صلى الله عليه وسلم قايم يصلي فقالوا
لمن انتما وظنوا انهما لابي سفيان فقالا نحن سقاة لقريش بعثونا نسقيهم من الماء
فضربوهما فلما اوجعوهما ضربا قالا نحن لابي سفيان فتركوهما فلما فرغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم من صلاته قال اذا صدقاكم ضربتما واذا كذباكم تركتموهما صدقا
والله انهما لقريش اخبراني عن قريش قالا هم وراء هذا الكثيب اي التل من الرمل الذي
يرى بالعدوة القصوى اي جانب الوادي المرتفع فقال لهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم كم القوم قالا كثير اي وفي لفظ هم والله كثير عددهم شديد باسهم قال ما عدتهم
قالا لا ندري اي وجهد النبي صلى الله عليه وسلم ان يخبراه كم هم فابيا قال كم تنحرون اي من
الجزر كل يوم قالا يوما تسعا ويوما عشرا فقال صلى الله عليه وسلم القوم ما بين التسعمائة
والالف اي لكل جزور مائة ثم قال لهما فمن فيهم من اشراف قريش قالا عتبة بن ربيعة
وشيبة بن ربيعة وابو البختري بن هشام وحكيم بن حزام ونوفل بن خويلد والحارث
بن عامر بن نوفل وطعيمة بن عدي بن نوفل والنضر بن الحارث وزمعة بن الاسود
وابو جهل بن هشام وامية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو
العامري اي رضي الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك يوم الفتح وهو من اشراف قريش
وخطبائهم وسيأتي انه ممن اسر في هذه الغزاة وعمرو بن عبد ود فاقبل رسول
الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال هذه مكة قد القت اليكم افلاذ اي
قطع كبدها اي اشرافها وعظماءها وذكر ان مسيرهم واقامتهم كانت عشرة
ليال حتى بلغوا الجحفة اي وهي قرية بقرب رابغ كما تقدم نزولها عشاء اي وفي الامتاع
انهم ردوا القيان من الجحفة اقول هذا والذي في مسلم وابي داود عن انس رضي الله

تعالى

تعالى عنه فاذا هم بروايا قريش فيها عبد اسود لبني الحجاج فجاؤا به فكانوا يسالونه
عن ابي سفيان فيقول ما لي بابي سفيان علم فاذا قال ذلك ضربوه فاذا قال هذا
ابو سفيان تركوه الحديث اي وفي الامتاع واخذ تلك الليلة يسار غلام عبيدة
بن سعيد بن العاص واسلم غلام منبه بن الحجاج وابو رافع غلام امية بن خلف
فاتي بهم النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي الحديث وقد يقال لا منافاة لان بعض
الرواة ذكر الثلاثة وبعضهم اقتصر على اثنين وبعضهم على واحد والله اعلم
وكان مع قريش رجل من بني المطلب بن عبد مناف يقال له جهيم بن الصلت
رضي الله تعالى عنه فانه اسلم في عام خيبر واعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
من خيبر ثلاثين وسقا وقيل اسلم بعد الفتح فوضع راسه فاغفا ثم قام فزعا
فقال لاصحابه هل رايتم الفارس الذي وقف علي فقالوا لا فقال قد وقف علي فارس فقال
قتل ابو جهل وعتبة وشيبة وزمعة وابو البختري وامية بن خلف وفلان وفلان
وعد رجالا من اشراف قريش ممن قتل يوم بدر اي وقال اسر سهيل بن عمرو وفلان
وفلان وعد رجالا ممن اسر قال ثم رايت ذلك الفارس ضرب في لبة بعيره ثم
ارسله في العسكر فما بقي خباء من اخبية العسكر الا اصابه من دمه فقال له
اصحابه انما لعب بك اي لعب بك الشيطان ولما شاعت هذه الرؤيا في العسكر
وبلغت ابا جهل قال قد جئتم بكذب بني المطلب مع كذب بني هاشم سترون
غدا من يقتل وفي لفظ قال ابو جهل هذا نبي اخر من بني المطلب سيعلم غدا اي المقتول
نحن او محمد واصحابه واول من نحر لهم حين خرجوا من مكة ابو جهل بن هشام عشر جزائر ير
اي بمر الظهران وكانت جزور منها نحرها بعد ان نحرت بها حياة فجالت في العسكر فما بقي خباء
من اخبية العسكر الا اصابه من دمها كذا في الامتاع ومن هذا المحل رجع بنو عدي
اي تفاولا بذلك ثم نحر لهم سفيان بن امية بعسفان تسع جزائر ونحر لهم سهيل بن
عمرو بقديد عشر جزائر وساروا من قديد فضلوا بها ثم اصبحوا بالجحفة فنحر لهم عتبة بن
ربيعة عشر جزائر فلما اصبحوا بالابواء نحر لهم مقيس بن عمرو الجمحي تسع جزائر اي
ويقال ان الذي نحر لهم بالابواء نبيه ومنبه ابنا الحجاج عشرا ونحر لهم العباس بن
عبد المطلب عشر جزائر ونحر لهم الحارث بن عامر بن نوفل تسعا ونحر لهم ابو البختري
على ماء بدر عشر جزائر ونحر لهم مقيس الجمحي على ماء بدر تسعا اي ثم شغلتهم الحرب
فاكلوا من ازوادهم ثم مضى رجلان من الصحابة اي قبل وصوله صلى الله عليه وسلم
الى بدر وكذا قبل وصول قريش الى بدر كما يدل عليه الكلام الاتي خلاف ما يدل
عليه هذا السياق الى ماء بدر فنزلا قريبا منه عند تل هناك ثم اخذا شنا لهما

يستقيان فيه وشخص على الماء واذا جاريتان يتلازمان اى يتخاصمان وتمسك
احداهما الاخرى على الماء والملزومة تقول لصاحبتها انما ياتى العير غدا او بعد
غد فاعمل لهم واقضيك الذى لك فقال ذلك الرجل الذى على الماء صدقت ثم خلص
بينهما وسمع ذلك الرجلان فجلسا على بعيريهما ثم انطلقا حتى اتيا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاخبراه بما سمعا ثم ان ابا سفيان تقدم العير حذرا حتى ورد الماء فلقى
ذلك الرجل فقال له هل احسست احدا قال ما رايت احدا انكره الا انى رايت
راكبين قد اناخا الى هذا التل ثم استقيا فى شن لهما ثم انطلقا فاتى ابو سفيان
مناخهما فاخذ من ابعار بعيريهما ففته فاذا فيه النوى فقال والله علائف
يثرب فرجع الى اصحابه سريعا فضرب عيره عن الطريق وترك بدرا بيسار وانطلق
حتى اسرع فلما علم انه احرز عيره ارسل الى قريش اى وقد كان بلغهم مجيئهم ليحرزوا
العير وكانوا حينئذ بالجحفة انكم انما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم واموالكم
وقد نجاها الله تعالى فارجعوا فقال ابو جهل والله لا نرجع حتى نحضر بدرا فنقيم عليه
ثلاثة ايام فقد بدا ان ننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان
اى تضرب بالمعازف اى الملاهى وقيل الدفوف وقيل الطنابير وقيل نوع
منها يتخذه اهل اليمن وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا ابدا
بعدها وسياتى فى غزاة بدر للموعد ان موسم بدر يكون عند هلال ذى القعدة فى كل
عام يمكث ثمانية ايام ويبعد ارادة ذلك لابى جهل اى اقاموا ببدر بقية رمضان
وتمام شوال قال ولما ارسل ابو سفيان يقول لقريش ما تقدم اى ورد عليه ابو جهل
بالذكرة لهذا بغى والبغى منقصة وشوم وعند ذلك رجع منهم بنو زهرة وكانوا
نحو المائة انتهى اى وقيل ثلاثمائة ومقدمهم كان الاخنس بن شريق وفى كلام
ابن الاثير فلم يقتل منهم اى من بنى زهرة احد ببدر وفى كلام غيره فلم يشهد بدرا
احد من بنى زهرة الا رجلان قتلا كافرين فان الاخنس قال لبنى زهرة يا بنى زهرة
قد نجا الله اموالكم وخلص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل وانما نفرتم لتمنعوه وماله
واجعلوا بى جبنها وارجعوا فانه لا حاجة لكم بان تخرجوا فى غير منفعة لا ما يقول
هذا يعنى ابا جهل قال لابى جهل وقد خلا به اترى محمدا يكذب فقال ما كذب قط كنا
نسميه الامين لكن اذا كانت فى بنى عبد المطلب السقاية والرفادة والمشورة
ثم تكون فيهم النبوة فاى شىء يكون لنا فاخنس الاخنس ورجع ببنى زهرة
اى واسمه ابى وانما لقب بالاخنس من حين رجع ببنى زهرة فقيل خنس بهم فسمى
الاخنس كان حليفا لبنى زهرة ومقدما فيهم رضى الله تعالى عنه فانه اسلم يوم الفتح

واعطاه

واعطاه صلى الله عليه وسلم مع المؤلفة قلوبهم ورايت عن السهيلى انه قتل يوم
بدر كافرا وتبعه على ذلك الشمنى فى حاشية الشفا واستدل له
بقول القاضى البيضاوى ان قوله تعالى ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة
الدنيا الاية نزلت فى الاخنس بن شريق وفى الاصابة انه كان من المؤلفة ومات
فى خلافة عمر وعن السدى ان الاخنس جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فاظهر
الاسلام وقال الله يعلم انى لصادق ثم هرب بعد ذلك فمر بقوم من المسلمين
فحرق زرعهم فنزلت ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا الى قوله
بئس المهاد قال ابن عطية ما ثبت قط ان الاخنس اسلم قلت قد اثبته
فى الصحابة جماعة ولا مانع ان يكون اسلم ثم ارتد ثم رجع الى الاسلام هذا
كلام الاصابة وفى كلام ابن قتيبة ولم يسلم الاخنس وفى كلام بعضهم
ثلاثة ابن وابوه وجده شهدوا بدرا الاخنس وابنه يزيد وابن ابنه معن
فلينا مثل ذلك قال واراد بنو هاشم الرجوع فاشتد عليهم ابو جهل وقال لا تفارقنا
هذه العصابة حتى نرجع انتهى ثم لم يزالوا سائرين حتى نزلوا بالعدوة القصوى
قريبا من الماء ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيدا من الماء بينهم وبين
الماء رملة فظمئ الناس المسلمون واصابهم ضيق شديد واجنب غالبهم والقى الشيطان
فى قلوبهم الغيظ فوسوس اليهم تزعمون انكم اولياء الله وانكم على الحق وفيكم رسول
الله وقد غلبكم المشركون على الماء وانتم عطاش وتصلون مجنبين اى وما ينتظر
اعداؤكم الا ان يقطع العطش رقابكم ويذهب قواكم فيحكموا فيكم كيف شاؤوا
وفى الكشاف فاذا قطع العطش اعناقكم مشوا فيكم فقتلوا من احبوا وساقوا
بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا واشفقوا وكان الوادى دهسا بالسين المهملة
المهملة اى لينا كثير التراب تسيخ فيه الاقدام فبعث الله السماء اى المطر فاطفات
الغبار ولبدت الارض اى شدتها للنبى صلى الله عليه وسلم ولاصحابه اى وطهرهم به
واذهب عنهم رجز الشيطان اى وسوسته وشربوا منه وملاوا الاسقية وسقوا
الركائب واغتسلوا من الجنابة اى وطابت نفوسهم فذلك قوله تعالى وينزل
عليكم من السماء ماء ليطهركم به اى من الاحداث ويذهب عنكم رجز الشيطان اى
وسوسته وليربط على قلوبكم اى يشدها ويقويها ويثبت به الاقدام اى يلبده
الارض حتى لا تسوخ فى الرمل واصاب قريشا منها ما لم يقدروا ان يرحلوا منه
اى ويصلوا الى الماء اى فكان المطر نعمة وقوة للمؤمنين وبلاء ونقمة للمشركين
وعن على رضى الله تعالى عنه اصابنا من الليل طش من مطر فانطلقنا تحت الشجر

والجحف يستظل تحتها من المطر وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ربه وعن
علي رضي الله تعالى عنه ما كان فينا اي تلك الليلة قايم الا رسول الله صلى الله عليه
وسلم يصلي تحت الشجرة ويكثر في سجوده ان يقول يا حي يا قيوم يكرر ذلك حتى
اصبح اي لان المسلمين اصابهم تلك الليلة نعاس شديد يلقى الشخص على جنبه
اي وعن قتادة كان النعاس امنة من الله وكان النعاس نعاسين نعاس يوم
بدر ونعاس يوم احد لان النعاس هنا كان ليلا قبل القتال وفي احد كان وقت
القتال وكون النعاس امنة وقت القتال او وقت التاهب له وهو وقت المصاف
واضح لا قبله هذا وذكر الشمس الشامي انه لما نزلت الملايكة والناس بعد على
مصافهم لم يحملوا على عدوهم وبشرهم صلى الله عليه وسلم بنزول الملايكة حصل لهم
السكينة والطمانينة وقد حصل النعاس الذي هو دليل على الطمانينة ربما
يقتضي ان حصل لهم النعاس عند المصافة والا فقد يقال ان قوله وقد حصل
النعاس جملة حالية اي والحال ان حصل لهم قبل ذلك في تلك الليلة لا في وقت
المصافة ولا يبعد ذلك قوله بعد ذلك ولهذا قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه
النعاس في المصاف من الايمان والنعاس في الصلاة من النفاق اي لانه في الاول
يدل على ثبات الجنان وفي الثاني يدل على عدم الاهتمام بامر الصلاة فلما ان طلع
الفجر نادى صلى الله عليه وسلم الصلاة عباد الله فجا الناس من تحت الشجر والجحف فصلى
بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرض على القتال اي في خطبة خطبها فقال بعد ان
حمد الله واثنى عليه اما بعد فاني احثكم على ما حثكم الله عليه الى ان قال وان الصبر في
مواطن الباس مما يفرج الله تعالى به الهم وينجي به من الغم الحديث ثم خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم يبادرهم اي يسابق قريشا الى الما فيسبقهم اليه حتى جا ادنى ما
من بدر اي اقرب ما الى بدر من بقية مياهها فنزل به فقال له الحباب بن المنذر
يا رسول الله ارايت هذا المنزل امنزل انزلكه الله تعالى ليس لنا ان نتقدمه ولا نتاخر
عنه ام هو الراي والحرب والمكيدة قال بل هو الراي والحرب والمكيدة قال يا رسول
الله ان هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى تاتي ادنى ما من القوم اي اذا نزل
القوم يعني قريشا كان ذلك الما اقرب المياه اي محلا اقرب محال المياه اليهم قال الحباب
فاني اعرف غزارة مايه وكثرته بحيث لا ينزح فننزله ثم نغور ما عداه من القلب
وهي الابار غير المبنية ثم نبني عليه حوضا فنملاه ما فنشرب ولا يشربون لان القلب
كلها حينيذ تصير خلف ذلك القليب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد
اشرت بالراي ونزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فقال الراي ما اشار

اليه

اليه الحباب فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس فسار حتى اتى
ادنى ما من القوم اي من المحل الذي ينزل به القوم فنزل عليه ثم امر بالقلب فغورت
بسكون الواو وقال السهيلي لما كانت القليب عينا جعلها كعين الانسان ويقال
في عين الانسان غرتها فغارت ولا يقال غورتها اي بالتشديد وبنى حوضا على القليب
الذي نزل به فملى ما ثم قذفوا فيه الانية ومن يوميذ قيل الحباب ذو الراي وظاهر
كلام بعضهم انه كان معروفا بذلك قبل هذه الغزاة وفيه ان ذلك القليب اذا
كان خلف ظهورهم وساير القلب خلفه ما المعنى في تغويرها لانها اذا لم تغورهم
يشربون ولا يشرب القوم الا ان يقال المعنى لييلا ياتوا اليها من خلفهم فالغرض
قطع اطماعهم من الماء كلية مل واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم بل هو الراي على جوازه
الاجتهاد له صلى الله عليه وسلم في الحرب نظرا الصورة السبب او مطلقا لان صورة
السبب لا تخصص وجواز الاجتهاد له مطلقا هو الراجح ومما استدل به على
وقوع الاجتهاد له صلى الله عليه وسلم في الاحكام بقوله الا الاذخر عقب ما قيل له الا
الاذخر قال السبكي وليس قاطعا لاحتمال ان يكون اوحي اليه في تلك اللحظة هذا وفي
كلام بعضهم انهم نزلوا على ذلك القليب نصف الليل فصنعوا الحوض وملوه
وقذفوا فيه الانية بعد ان استقوا منه وشربا في ما يحوله وقال سعد بن معاذ
يا نبي الله الا نبني لك عريشا اي وهو شي كالخيمة من جريد يستظل به تكون فيه
ونعد عندك ركايبك ثم نلقى عدونا فان اعزنا الله تعالى واظهرنا على عدونا كان
ذلك ما احببنا وان كانت الاخرى جلست على ركايبك فلحقت بمن وراينا فقد
تخلف عنك اقوام يا نبي الله ما نحن باشد لك حبا منهم ولا اطوع لك منهم لهم
رغبة في الجهاد ونية ولو ظنوا انك تلقى حربا ما تخلفوا عنك انما ظنوا انها العير يمنعك
الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك فاثنى الله تعالى خيرا اي ذلك عليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير اي وقال او يقضي الله تعالى خيرا من ذلك
يا سعد اي وهو نصرهم وظهورهم على عدوهم ثم بني اي ذلك العريش لرسول الله
صلى الله عليه وسلم اي فوق تل مشرف على المعركة ٥ كان فيه اي وعن علي رضي الله
تعالى عنه قال للجمع من الصحابة اخبروني عن اشجع الناس قالوا انت قال اشجع الناس
ابو بكر لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشا فقلنا من مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم اي من يكون معه لييلا يهوي اليه احد من المشركين فوالله ما
دنا منا احد الا ابو بكر شاهرا بالسيف على راس رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يهوي اليه احد الا اهوى اليه اي ولذلك حكم على انه اشجع الناس وبه يرد قول ٥

الشيعة والرافضة ان الخلافة لا يستحقها الا علي لانه اشجع الناس اي وهذا
كان قبل ان يلتحم القتال والا فبعد التحامه كان على باب العريش في نفر من
الانصار كما سياتي ومما استدل به على ان ابا بكر اشجع من علي ان عليا اخبره النبي
صلى الله عليه وسلم انه لا يقتله الا ابن ملجم فكان اذا دخل الحرب ولاقى الخصم يعلم
انه لا قدرة له على قتله فهو معه كالنائم على فراشه واما ابو بكر فلم يخبر بقاتله
فكان اذا دخل الحرب لا يدري هل يقتل او لا ومن هذه حاله يقاسي من التعب
ما لا يقاسيه غيره ومما يدل على ذلك ما وقع له في قتال اهل الردة وتصميمه
العزم على مقاتلة مانعي الزكاة مع تثبيط سيدنا عمر له عن ذلك فلما كان
الصباح اقبلت قريش من الكثيب وهذا يؤيد القول بانه صلى الله عليه وسلم
سار باصحابه ليلا يبادرهم الى الماء الا ان ذلك كان بعد طلوع الفجر وصلاة
الصبح كما تقدم لان الظاهر من قول الراوي اقبلت اي عليهم وهم ماكثون ٥
ويؤيده ايضا ما في مسلم عن انس رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ليلة بدر اي بعد ان وصل الى محل الوقعة هذا مصرع فلان ان شاء الله غدا
ووضع يده على الارض وهذا مصرع فلان ههنا وهذا مصرع فلان ههنا قال
انس فما ماط احدهم عن موضع يده صلى الله عليه وسلم اي ما تنحى فليتامل الجمع
ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا وقد اقبلت بالدروع السابغة
والجموع الوافرة والاسلحة الشاكة اي التامة قال اللهم هذه قريش قد
اقبلت بخيلائها اي كبرها وعجبها وفخرها تحادك اي تعاديك وتخالف امرك
وتكذب رسولك فنصرك اي انجز نصرك الذي وعدتني اي وفي لفظ اللهم انك
انزلت علي الكتاب وامرتني بالثبات ووعدتني احدى الطائفتين اي وقد
فاتت احداهما وهي العير وانك لا تخلف الميعاد اللهم احنهم اي اهلكهم الغداة
وفي رواية اللهم لا تفلتني ابا جهل فرعون هذه الامة اللهم لا تفلتن زمعة بن الاسود
اللهم واسخن عين ابي زمعة واعم بصر زمعة اللهم لا تفلتن سهيلا الحديث ولما
اطمانت قريش ارسلوا عمير بن وهب الجمحي اي رضي الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك
وحسن اسلامه شهد احدا معه صلى الله عليه وسلم ٥ فقالوا احزر لنا اصحاب محمد
اي احزر لنا عدتهم فاستجال بفرسه حول عسكر النبي صلى الله عليه وسلم ثم رجع اليهم
فقال ثلاثمائة رجل يزيدون قليلا او ينقصون قليلا ولكن امهلوني حتى انظر للقوم
كمينا او مددا فضرب في الوادي حتى ابعد فلم ير شيئا ثم رجع اليهم وقال ما رايت شيئا
ولكن قد رايت يا معشر قريش البلايا اي وهي في الاصل النوق تترك على قبر صاحبها

ولا تعلف ولا تسقى حتى تموت تحمل المنايا اي الموت اي نواضح يثرب تحمل الموت الناقع
اي البالغ زاد بعضهم الا ترونهم خرسا لا يتكلمون يتلمظون تلمظ الافاعي لا يريدون
ان ينقلبوا الى اهليهم زرق العيون كانهم الحصا تحت الحجف يعني الانصار قوم ليس
لهم منعة ولا ملجا الا سيوفهم والله ما ارى ان تقتل رجلا منهم حتى يقتل رجل منكم
فاذا اصابوا منكم اعدادهم فما خير العيش بعد ذلك فروا رايكم فلما سمع حكيم بن
حزام ذلك مشى في الناس فاتى عتبة بن ربيعة فقال يا ابا الوليد انك كبير
قريش وسيدها والمطاع فيها هل لك الى ان لا تزال تذكر فيها بخير الى اخر الدهر
قال وما ذاك يا حكيم قال ترجع بالناس فقام عتبة خطيبا فقال يا معشر قريش انكم
والله ما تصنعون بان تلقوا محمدا واصحابه شيئا والله لئن اصبتموه لا يزال رجل ينظر
في وجه رجل يكره النظر اليه قتل ابن عمه وابن خاله ورجلا من عشيرته فارجعوا
وخلوا بين محمد وبين سائر العرب فان اصابوه فذاك الذي اردتم وان كان غير
ذلك الفاكم ولم تعرضوا منه ما تريدون اي يا قوم اعصبوها اليوم براسي اي اجعلوا
عارها متعلقا بي وقولوا جبن عتبة وانتم تعلمون اني لست باجبنكم ٥ اي وفي لفظ
اخر ان حكيم بن حزام قال لعتبة بن ربيعة تجير بين الناس وتحمل دم حليفك عمرو بن
الحضرمي اي الذي قتله واقد بن عبد الله في سرية عبد الله بن جحش الى نخلة وهو
اول قتيل قتله المسلمون وتحمل ما اصاب محمد من تلك العير التي غنمها عبد
الله بن جحش كما سياتي في السرايا فانهم لا يطلبون من محمد الا ذلك فقال عتبة
نعم قد فعلت اي هو حليفي فعلي عقله وما اصيب من ماله ونعم ما قلت ونعما ما
دعوت اليه وركب عتبة جملا له وصار يجيله في صفوف قريش يقول يا قوم اطيعوني
فانكم لا تطلبون الا دم ابن الحضرمي وما اخذ من العير وقد تحملت ذلك زاد بعضهم
انه قال يا معشر قريش انشدكم الله في هذه الوجوه التي تضيء ضياء المصابيح يعني
قريشا ان تجعلوها اندادا لهذه الوجوه التي كانها عيون الحيات يعني الانصار
وهذا كما ترى ومما ايضا يضعف قول من قال انه صلى الله عليه وسلم عقل ابن الحضرمي
اي اعطى ديته وقد كان صلى الله عليه وسلم لما راى قريشا اقبلت من الكثيب وعتبة على
جمل احمر قال ان يكن في احد من القوم خير فعند صاحب الجمل الاحمر وفي رواية ان يكن
احد يامر بخير فعسى ان يكون صاحب الجمل الاحمر ان يطيعوه يرشدوا ولما راى رسول
الله صلى الله عليه وسلم راكب الجمل الاحمر يجيله في صفوف قريش قال يا علي ناد حمزة
وكان اقربهم الى المشركين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من صاحب الجمل
الاحمر وما يقول لهم فقال هو عتبة بن ربيعة ينهى عن القتال وحينئذ يكون

قوله ان يكن في احد من القوم خير الى اخره من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم ثم قال
عتبة لحكيم بن حزام انطلق الى ابن الحنظلية يعني اباجهل قال حكيم فانطلقت حتى
جئت اباجهل فوجدته قد نثل درعاله من جرابها اى اخرجها منه فقلت له يا ابا الحكم ان
عتبة ارسلني اليك بكذا وكذا للذي قال فقال انتفخ والله سحره اى رئته كلمة
تقال للجبان وفي لفظ انه قال لعتبة وقد جاء اليه انت تقول هذا والله لو غيرك يقول
هذا لاعضضته اى قلت له اعضض على بظر امك ان قد ملات رئتك جوفك رعبا
كلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد وقال الحكيم ما بعقبة ما قال ولكنه قد رأى
ان محمدا واصحابه اكلة جزور اى في قلة بحيث يكفيهم الجزور وفيهم ابنه اى وهو ابو حذيفة
رضي الله تعالى عنه فانه كان ممن اسلم قديما فقد تخوفكم عليه وفي رواية انه قال يا معشر
قريش انما يشير عليكم عتبة بهذا الان ابنه مع محمد ومحمد ابن عمه فهو كره ان تقتلوا ابنه
وابن عمه فغضب عتبة وسب اباجهل وقال سيعلم اينا افسد لقومه اى ومن غريب
الاتفاق ان ام ابان بنت عتبة بن ربيعة المذكور كان لها اربعة اخوة وعمان كل منهم
حضر بدرا اثنان من اخوتها مسلمان واثنان مشركان وواحد من عميها مسلم والاخر
كافر فالاخوان المسلمان ابو حذيفة ومصعب بن عمير ولعله كان اخاها لامها والكافر
ان الوليد بن عتبة وابو عزيز والعم المسلم معمر بن الحارث ولعله كان اخا لعتبة
لامه والعم الكافر شيبة بن ربيعة وكان من حكمة الله تعالى ان الله جعل المسلمين
قبل ان يلتحم القتال في اعين المشركين قليلا استدراجا لهم ليقدموا ولما التحم القتال
جعلهم في اعين المشركين كثيرا ليحصل لهم الرعب والوهن وجعل الله المشركين عند
التحام القتال في اعين المسلمين قليلا ليقوى جاشهم عليهم ما نالهم ومن ثم جاء عن ابن
مسعود رضي الله عنه انه قال لقد قللوا في اعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل اتراهم
سبعين قال اراهم مائة وانزل الله تعالى واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا
ويقللكم في اعينهم ومن ثم قال الله تعالى قد كان لكم اية في فئتين التقتا فئة تقاتل
في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم اى يرون اولئك الكفار المؤمنين مثليهم رأى
العين اى وقد ذكر ان قباث بن اشيم رضي الله عنه فانه اسلم بعد ذلك قال في نفسه
يوم بدر لو خرجت نساء قريش باكمها ردت محمدا واصحابه وعنه انه قال لما كان بعد
الخندق قدمت المدينة سالت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هو ذاك
في ظل المسجد مع ملا من اصحابه فاتيته وانا لا اعرفه من بينهم فسلمت فقال يا قباث
انت القائل يوم بدر لو خرجت نساء قريش باكمها ردت محمدا واصحابه فقال قباث
والذي بعثك بالحق ما تحدث به لساني ولا ترمرمت به شفتاي ولا سمعه مني احد

وما

وما هو الا شئ يجس في قلبي وحينئذ فيكون معنى قوله صلى الله عليه وسلم له انت القائل
اى في نفسك اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده
ورسوله وان ما جئت به الحق ولما عتبة ما قاله ابوجهل قال سيعلم مصفر استه من انتفخ
سحره انا ام هو وقد تقدم معنى مصفر استه وذكر السهيلي هنا ان هذه الكلمة لم يخترعها
عتبة ولا هو ابو عذرتها فقد قيل لبعض الملوك كان مترفا لا يغزو في الحروب
يريدون صفرة الخلوق والطيب وسادة العرب لا تستعمل الخلوق والطيب الا في
الدعة وتعيبه في الحرب اشد العيب واظن ان اباجهل لما علم بسلامة العير استعمل
الطيب والخلوق فلذلك قال له عتبة هذه الكلمة وانما اراد مصفر بدنه ولكنه
قصد المبالغة في الذم فخص منه بالذكر ما يسوءه ان يذكر هنا كلامه وذكر ان النبي
صلى الله عليه وسلم بعث عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه اليهم يقول ارجعوا فانه
ان يلي هذا الامر مني غيركم احب الي من ان تلوه مني فقال حكيم بن حزام قد عرض نصفا
فاقبلوه فوالله لا تنتصرون عليه بعد ما عرض من النصف فقال ابوجهل والله لا نرجع
بعد ان مكننا الله منهم ثم ان اباجهل بعث الى عامر بن الحضرمي اى اخو المقتول الذي
هو عمرو وقال هذا حليفك يعني عتبة يريد ان يرجع بالناس وفي لفظ يخذل الناس
عن القتال وقد تحمل دية اخيك من ماله يزعم انك قابله الا ان تستحي ان تقبل الدية من
مال عتبة وقد رأيت ثارك بعينك فقم فاذكر مقتل اخيك وكان عامر كاخيه المقتول من
حلفاء عتبة وسيأتي ذلك فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف اى كشف استه اى وحثى
عليها التراب ثم صرخ واعمراه واعمراه فثارت النفوس اى وعامر هذا لا يعرف له اسلام
اى وفي الاستيعاب عامر بن الحضرمي قتل يوم بدر كافرا واما اخوهما العلاء فمن فضلاء
الصحابة رضي الله تعالى عنهم اه وكان يقال انه مجاب الدعوة وانه خاض البحر هو
وسريته التي كان اميرا عليها وذلك في زمن عمر رضي الله تعالى عنه وقال يبس حتى
ربي الغبار وسمع حوافر الخيل بجانب ما له ودعي بها وهي يا علي يا حكيم يا عظيم انا عبيدك
وفي سبيلك نقاتل عدوك اللهم فاجعل لنا اليهم سبيلا ووقع نظير ذلك اى دخول
البحر لابي مسلم الخولاني التابعي فانه لما غزى الروم مع جيشه مروا بنهر عظيم بينهم
وبين العدو فقال ابو مسلم اللهم اجزت بني اسرائيل البحر وانا عبادك وفي سبيلك فاجزنا
هذا النهر اليوم ثم قال اعبروا بسم الله فعبروا فلم يبلغ الماء بطون الخيل وكذا وقع نظير
ذلك لابي عبيد الثقفي التابعي امير الجيوش في ايام سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه فانما
تجلت حالت بينه وبين العدو فتلى قوله تعالى وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا
مؤجلا ثم سمى الله تعالى واقتحم الجيش وراه فلما نظر اليهم الاعاجم صاروا يقولون

دبراناد برانا اى بجانبين ثم ولوا مدبرين فقتلهم المسلمون وغنموا اموالهم وله
اخ يقال له ميمون وهو الذى حفر البير التى باعلا مكة التى يقال لها بير ميمون ولم اقف
على اسلامهم واما اختهم التى هى الصعبة وهى ام طلحة بن عبيد الله فصحابية رضى الله
تعالى عنها كانت اولا عند ابى سفيان بن حرب فطلقها فخلف عليها عبيد الله فولدت له
طلحة الذى قال فى حقه صلى الله عليه وسلم من اراد ان ينظر الى شهيد يمشى على وجه
الارض فلينظر الى طلحة بن عبيد الله ثم ان الاسود بن عبد الاسد المخزومى وهو اخو ابى
سلمة عبد الله بن عبد الاسد وكان رجلا شرسا سيئ الخلق شديد العداوة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وجا انه اول من يعطى كتابه بشماله كما ان اخاه ابا سلمة اول من يعطى
كتابه بيمينه كما تقدم قال اعاهد الله لاشربن من حوضهم او لاهدمنه او لاموتن فلما
خرج خرج اليه حمزة بن عبد المطلب فلما التقيا ضربه حمزة فاطن قدمه بنصف
ساقه اى اسرع قطعها فطارت وهو دون الحوض فوقع على ظهره تشخب رجله دما
ثم حبى الى الحوض حتى اقتحم فيه اى وشرب منه وهدمه برجله الصحيحة يريد ان
تبر يمينه فاتبعه حمزة فضربه حتى قتله فى الحوض واقبل نفر من قريش حتى وردوا
ذلك الحوض منهم حكيم بن حزام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فما شرب
منه رجل يومئذ الا قتل الا ما كان من حكيم بن حزام فانه لم يقتل ثم اسلم بعد ذلك
وحسن اسلامه فكان اذا اجتهد فى يمينه قال لا والذى نجانى يوم بدر وعلى ان
هذا الحوض كان وراء ظهره صلى الله عليه وسلم يكون مجئ هولاء للحوض من خلفه
صلى الله عليه وسلم فليتأمل ثم ان عتبة بن ربيعة التمس بيضة اى خوذة ليدخلها
فى راسه فما وجد فى الجيش بيضة تسع راسه لعظمها فاعتجر على راسه ببرد له اى
تعمم به ولم يجعل تحت لحيته من العمامة شيا وخرج بين اخيه شيبة وابنه الوليد
حتى فصل من الصف ودعى للمبارزة فخرج اليه فتية من الانصار ثلاثة اخوة
اشقا وهم معوذ ومعاذ وعوف بنو عفرا وقيل بدل عوف عبد الله بن رواحة فقالوا
من انتم قالوا رهط من الانصار فقالوا ما لنا بكم من حاجة وفى رواية اكفاء كرام انما
نريد قومنا اى وفى لفظ ولكن اخرجوا الينا من بنى عمنا اى وفى لفظ انه صلى الله
عليه وسلم امرهم بالرجوع فرجعوا الى مصافهم وقال لهم خيرا لانه كره ان تكون الشوكة
لغير بنى عمه وقومه فى اول قتال وعند ذلك نادى مناديهم يا محمد اخرج لنا اكفاءنا
من قومنا فقال النبى صلى الله عليه وسلم قم يا عبيدة بن الحارث وقم يا حمزة وقم يا على اى
وفى لفظ قوموا يا بنى هاشم فقاتلوا بحقكم الذى بعث به نبيكم اذ جاءوا بباطلهم
ليطفئوا نور الله قم يا عبيدة بن الحارث قم يا حمزة قم يا على فلما قاموا ودنوا قالوا من انتم

اى لانهم كانوا ملبسين لا يعرفون من السلاح قال عبيدة عبيدة وقال حمزة حمزة
وقال على على قالوا نعم اكفاء كرام فبارز عبيدة بن الحارث وكان اسن القوم كان
اسن من النبى صلى الله عليه وسلم بعشر سنين عتبة بن ربيعة وبارز حمزة شيبة
وبارز على الوليد فاما حمزة فلم يمهل ان قتل شيبة واما على فلم يمهل ان قتل الوليد
واختلف عبيدة وعتبة بينهما بضربتين كلاهما اثبت صاحبه وكر حمزة وعلى
باسيافهما على عتبة فذففاه بالمهملة والمعجمة واحتملا صاحبهما فجاءا به الى اصحابه
اى واضجعوه الى جانب موقفه صلى الله عليه وسلم فافرشه رسول الله صلى الله عليه وسلم
قدمه الشريفة فوضع خده عليها وقال له يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهد انك
شهيد اى بعد ان قال له عبيدة الست شهيدا يا رسول الله فتوفى بالصفرا
ودفن بها عند مرجع المسلمين الى المدينة وقيل بارز حمزة لعتبة وعبيدة
لشيبة وعلى للوليد واختلف عبيدة وشيبة بينهما بضربتين كلاهما اثبت صاحبه
ووقعت الضربة فى ركبة عبيدة فطاحت رجله وصار مخ ساقه يسيل ثم
مال حمزة وعلى على شيبة فذففا عليه اى ويقال ان شيبة لما صرع من ضربة
عبيدة قام فقام اليه حمزة فاختلفا ضربتين فلم يصنع سيفهما شيا فاعتنق
كل واحد منهما صاحبه فاهوى عبيدة وهو صريع فضرب شيبة فقطع ساقه
فذفف عليه حمزة وقيل بارز على شيبة وبارز عبيدة الوليد فقد روى الطبرانى
باسناد حسن عن على انه قال اعنت انا وحمزة عبيدة بن الحارث على الوليد فلم
يعب النبى صلى الله عليه وسلم علينا ذلك وقال الحافظ ابن حجر وهذا اصح الروايات
ولكن المشهور ان عليا انما بارز الوليد وهو اللائق بالمقام لان عبيدة وشيبة كانا
شيخين كعبيدة وحمزة بخلاف على والوليد فكانا شابين وقتل حمزة طعيمة بن
عدى اخا المطعم بن عدى وتقدم ان المطعم مات قبل هذه الغزاة بستة اشهر
كافرا قيل وهذه المبارزة اول مبارزة وقعت فى الاسلام وفى الصحيحين عن ابى
ذر انه كان يقسم قسما ان هذه الاية هذان خصمان اختصموا فى ربهم نزلت فى حمزة
وصاحبيه وعتبة وصاحبيه يوم بدر وفى البخارى عن على رضى الله تعالى عنه
انا اول من يجثو بين يدى الرحمن عز وجل للخصومة يوم القيامة وقيل اول من يقف
بين يدى الله تعالى للخصومة على ومعاوية رضى الله عنهما ثم تزاحم الناس ودنا بعضهم
من بعض وقد كان عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوف اصحابه بقدح فى يده
اى بسهم لا نصل له ولا ريش فمر بسواد بتخفيف الواو ولا بتشديدها كما زعمه ابن
هشام بن غزية بفتح الغين المعجمة وكسر الزاى وتشديد اليا الحليف بنى النجار

وهو خارج من الصف فطعنه صلى الله عليه وسلم في بطنه بالقدح وقال استو يا سواد فقال يا رسول الله اوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فاقدني اي مكني من القود اي القصاص من نفسك فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه وقال استقد اي خذ القود اي القصاص فاعتنقه فقبل بطنه فقال ما حملك على هذا يا سواد فقال يا رسول الله حضر ما ترى فاردت ان يكون اخر العهد بك ان يمس جلدي جلدك فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وفيه ان هذا لا قود فيه ولا قصاص عندنا فليتأمل وسواد هذا جعله صلى الله عليه وسلم بعد فتح خيبر عاملا على خيبر كما سيأتي اه وفي حديث حسن عن عبد الرحمن بن عوف قال صفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فبدرت منا بادرة امام الصف فنظر اليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال معي معي اقول وقع له صلى الله عليه وسلم مع بعض الانصار اي وهو سواد بن عمرو مثل هذا الذي وقع له مع سواد بن غزية ففي ابي داود ان رجلا من الانصار كان فيه مزاح فبينما هو يحدث القوم يضحكهم اذ طعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في خاصرته بعود كان في يده وفي لفظ بعرجون وفي لفظ بعصا فقال اصبرني يا رسول الله اي اقدني ومكني من نفسك لاقتص منك فقال اصطبر اي اقتص قال ان عليك قميصا وليس علي قميص فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه فاحتضنه وجعل يقبل كشحه ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم انه ما التصق ببدنه مسلم ومسته النار كذا في الخصائص الصغرى وفيهما في محل الحزر ولا تاكل النار شيئا من جسده وكذلك الانبياء ثم انه عدل الصفوف قال لهم ان دنا القوم منكم فانضحوهم اي ادفعوهم عنكم بالنبل واستبقوا نبلكم اي لا ترموهم على بعد فان الرمي مع البعد غالبا يخطئ فتضيع النبل بلا فائدة اي وقال لهم لا تسلوا السيوف حتى يغشوكم وخطبهم خطبة يحثهم فيها على الجهاد وعلى المصابرة فيه منها وان الصبر في مواطن البأس مما يفرج الله عز وجل به الهم وينجي به من الغم وهذا السياق يدل على تكرر هذه الخطبة اي وقوعها قبل مجيئهم الى محل القتال وبعد مجيئهم اليه ولا مانع منه ثم رجع الى العريش فدخله ومعه ابو بكر ليس معه فيه غيره وسعد بن معاذ قائم على باب العريش متوشح بسيفه في نفر من الانصار يخافون على رسول الله صلى الله عليه وسلم كرة العدو اي والجنائب مهياة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان احتاج اليها ركبها ولما اصطف الناس للقتال رمى قطبة بن عامر حجرا بين الصفين وقال لا افر الا ان فر هذا الحجر وكان اول من خرج من المسلمين مهجع بكسر الميم واسكان الهاء

نجيم

نجيم مفتوحة فعين مهملة مولى عمر بن الخطاب فقتله عامر بن الحضرمي بسهم رمى به اليه ونقل بعض المشايخ انه اول من يدعى من شهداء هذه الامة وانه صلى الله عليه وسلم قال يومئذ مهجع سيد الشهداء اي من هذه الامة فلا ينافي ما جاء ان سيد الشهداء يوم القيامة يحيى بن زكريا وقائدهم الى الجنة وذابح الموت يوم القيامة يضجعه ويذبحه بشفرة في يده والناس ينظرون اليه لكن جاء سيد الشهداء هابيل الا ان يجعل الاولية اضافية فيراد اول اولاد ادم لصلبه قتيل وكون مهجع اول قتيل من المسلمين لا ينافي كون اول قتيل من المسلمين عمير بن الحمام لان ذاك اول قتيل من المهاجرين وعميرا اول قتيل من الانصار ولا ينافي ذلك ان اول قتيل من الانصار حارثة بن قيس اي قتل قبلهم لم يدر راميه ففي البخاري عن حميد قال سمعت انسا يقول اصيب حارثة يوم بدر وهو غلام قتل بارسال سهم اليه اي فانه اصابه سهم غرب اي لا يعرف راميه وهو يشرب من الحوض وفي كلام ابن اسحاق اول من قتل من المسلمين مهجع مولى عمر بن الخطاب ومن نبله حارثة بن سراقة وقد جاءت ام حارثة وهي عمة انس بن مالك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله حدثني عن حارثة فان يكن في الجنة لم ابك عليه ولكن احزن وان يكن في النار بكيت ما عشت في دار الدنيا وفي رواية ان يكن في الجنة صبرت وان كان غير ذلك اجتهدت عليه بالبكا فقال يا ام حارثة انها ليست بجنة ولكنها جنان وحارثة في الفردوس الاعلى فرجعت وهي تضحك وتقول بخ بخ يا حارثة وهذا قد يخالف قول ابن القيم كالزمخشري ان الجنة التي هي دار الثواب واحدة بالذات كثيرة بالاسما والصفات وهذا الاسم الذي هو الجنة يجمعها ومن اسمائها جنة عدن والفردوس والمأوى ودار السلام ودار المقام ودار النعيم ومقعد صدق وغير ذلك مما يزيد على عشرين اسما اي وعن الواقدي انه بلغ امه واخته وهما بالمدينة مقتله فقالت امه والله لا ابكي عليه حتى يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسأله فان كان في الجنة لم ابك عليه وفي رواية اصبر واحتسب وان كان ابني في النار بكيته وفي رواية ترى ما اصنع فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر جاءت امه فقالت يا رسول الله قد عرفت موقع حارثة من قلبي فاردت ان ابكي عليه ثم قلت لا افعل حتى اسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان في الجنة لم ابك عليه وان كان في النار بكيته فقال النبي صلى الله عليه وسلم هبلت وفي رواية ويحك اوهبلت اجنة واحدة انها جنان كثيرة والذي نفسي بيده انه لفي الفردوس الاعلى ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم باناء من ماء فغمس يده فيه ومضمض فاه ثم ناول ام حارثة فشربت ثم ناولت ابنتها فشربت ثم امرهما فنضحتا في جيوبهما ففعلتا

فرجعنا من عند النبي صلى الله عليه وسلم وما بالمدينة امرأتان اقر عينا منهما ولا اسر
وقد كان حارثة سأله صلى الله عليه وسلم ان يدعو له بالشهادة فقد جا انه صلى الله عليه
وسلم قال لحارثة يوما وقد استقبله كيف اصبحت يا حارثة قال اصبحت مؤمنا بالله حقا
قال انظر ما تقول فان لكل قول حقيقة قال يا رسول الله عزفت نفسي عن الدنيا فاسهرت
ليلي واظمأت نهاري فكاني بعرش ربي بارزا وكاني انظر الى اهل الجنة يتزاورون فيها
وكاني انظر الى اهل النار يتعاوون فيها قال ابصرت فالزم عبد اي انت عبد نور
الله الايمان في قلبك قال فقال ادع الله لي بالشهادة فدعا له رسول الله صلى الله عليه
وسلم بذلك وقال ابو جهل واصحابه حين قتل عتبة وشيبة والوليد نحن لنا العزى
ولا عزى لكم ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم الله مولانا ولا مولى لكم قتلانا
في الجنة وقتلاكم في النار اقول سيأتي وقوع مثل ما قال ابو جهل واصحابه من ابي سفيان
وانه اجيب بمثل هذا الجواب في يوم احد والله اعلم وصار رسول الله صلى الله عليه
وسلم يناشد ربه ما وعده من النصر اي وهذا العريش هو المراد بالقبة في قول
البخاري عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو في قبة يوم بدر اللهم
انشدك عهدك الحديث ويقول اللهم ان تهلك هذه العصابة فلا تعبد اي وفي
مسلم انه قال اللهم انك ان تشأ لا تعبد في الارض قال ذلك في هذا اليوم ويوم
احد قال العلماء فيه التسليم لقدر الله والرد على غلاة القدرية الذين يزعمون ان
الشر غير مراد لله ولا مقدور له وذكر الامام النووي ان كونه قال ما ذكر يوم بدر
هو المشهور وفي كتب التفسير والمغازي انه يوم احد ولا معارضة بينهما فقاله في
اليومين هذا كلامه اي ويجوز ان يكون قال ذلك اليوم بدر وفي يوم احد وفي
رواية اللهم ان ظهروا على هذه العصابة ظهر الشرك ولا يقوم لك دين اي لانه علم انه اخر
النبيين فاذا هلك هو ومن معه لا يبعث من يعبده بهذه الشريعة وفي لفظ اللهم
لا تودع مني ولا تخذلني انشدك ما وعدتني لانه كان وعد النصر وفي رواية ما زال
يدعو ربه مادا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبه فاخذ ابو بكر رداءه
والقاه على منكبه ثم التزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك تناشد ربك فانه
سينجز لك ما وعدك اي وفي رواية والله لينصرنك الله وليبيضن وجهك اي وفي
لفظ قد الححت على ربك وكون وعد الله لا يتخلف لا ينافي الالحاح في الدعا لان الله
يحب الملحين في الدعا وانما قال ابو بكر ما ذكر لانه شق عليه تعب النبي صلى الله عليه وسلم في
الحاجة بالدعا لانه رضي الله عنه رقيق القلب شديد الاشفاق على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقيل لان الصديق كان في تلك الساعة في مقام الرجا والنبي صلى الله عليه وسلم

في مقام

في مقام الخوف لان الله يفعل ما يشا وكلا المقامين سوا في الفضل ذكره السهيلي
وحين راى المسلمون القتال قد نشب عجوا بالدعا الى الله تعالى فانزل الله تعالى عند
ذلك اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة مردفين اي
متتابعين وقيل ردفا لكم ومددا لكم وراء كل ملك ملك اخر ويوافق ما جا عن
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما امد الله نبيه يوم بدر بالف من الملائكة فكان جبريل
في خمسمائة وميكائيل في خمسمائة فامده الله تعالى بالملائكة الف مع جبريل والف مع
ميكائيل وجا امده الله بثلاثة الاف الف مع جبريل والف مع ميكائيل والف مع اسرافيل
وهذا رواه البيهقي في الدلائل عن علي باسناد فيه ضعف وقيل وعدهم الله تعالى ان
يمدهم بالف ثم زيدوا في العدد الوعد ثم اكملهم خمسة الاف قال الله تعالى اذ تقول للمؤمنين
الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف من الملائكة منزلين اي الف مع جبريل والف مع
ميكائيل والف مع اسرافيل بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم
بخمسة الاف من الملائكة مسومين فان ذلك كان يوم بدر على ما عليه الاكثر وقيل
يوم احد كان الامداد فيه بذلك اي بثلاثة ثم وقع الوعد بان لهم خمسة الاف مطلقا
معلقا على شرط وهو التقوى والصبر عن حوز الغنائم فلم يصبروا ففات الامداد
بالزائد على الثلاثة الاف وهذا الثاني هو الذي في النهر لابي حيان كان المدد يوم بدر
بالف من الملائكة ويوم احد بثلاثة الاف ثم بخمسة لو صبروا عن اخذ الغنائم فلم يصبروا
فلم ينزل هذا كلامه وهو واضح لان عدم صبرهم عن اخذ الغنائم وعدم امتثال امره
انما كان في احد لا في بدر وروى البيهقي عن حكيم بن حزام ان يوم بدر وقع نمل من السما
قد سد الافق فاذا الوادي يسيل نملا اي نازلا من السما فوقع في نفسي ان هذا شي ايد
به صلى الله عليه وسلم وهي الملائكة اي وروي بسند حسن عن جبير بن مطعم قال رايت
قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل البجاد الاسود مبثوث حتى امتلا الوادي
فلم اشك انها الملائكة فلم يكن الا هزيمة القوم والبجاد كسا مخطط من اكسية الاعراب
وسيأتي وقوع مثل ذلك في حنين قال وانما كانت الملائكة تشاركهم في بعض القتال
ليكون الفعل منسوبا للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه والا فجبريل قادر على ان يدفع
الكفار بريشة من جناحه كما فعل في مداين قوم لوط واهلاك قوم صالح وثمود بصيحة
واحدة وليهابهم العدو بعد ذلك حيث يعلمون ان الملائكة تقاتل معهم وبهذا يرد
ما قيل لم قاتلت الملائكة يوم بدر وانما كانوا يكثرون السواد والا فملك واحد كاف
في اهلاك اهل الدنيا وجا لولا ان الله تعالى حال بيننا وبين الملائكة التي تركت يوم
بدر لمات اهل الارض خوفا من شدة صعقاتهم وارتفاع اصواتهم وجا في حديث مرسل

تارئ الشيطان احقر ولا ادحر ولا اصغر من يوم عرفة الا ما روى يوم بدر اى وكذا
سائر مواسم المغفرة والعتق من النار كايام رمضان سيما ليلة القدر وجاء ان
ابليس جاء في صورة سراقة بن مالك المدلجي الكناني في جند من الشياطين اى مشركي
الجن في صورة رجال من بني مدلج من بني كنانة معه رايته وقال للمشركين لا غالب
لكم اليوم من الناس واني جار لكم اى مجير لكم كما قال لهم ذلك عند ابتدا خروجهم وقد
خافوا من بني كنانة قوم سراقة وقد تقدم انه كان وحده ولا منافاة لجواز انه يكون
جنده لحقوا به بعد قال فلما راى جبريل والملائكة وفي رواية واقبل جبريل الى ابليس
فلما راه وكانت يده في يد رجل من المشركين اى وهو الحارث بن هشام اخو ابي جهل انتزع
يده من يد الرجل ثم نكص على عقبيه وتبعه جنده فقال له الرجل يا سراقة اتزعم انك
لنا جار فقال انى برئ منكم انى ارى ما لا ترون انى اخاف الله والله شديد العقاب
وتشبث به الحارث بن هشام رضي الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك وقال والله لا
ارى الا خفافيش يثرب فضربه ابليس في صدره فسقط وعند ذلك قال ابو جهل
يا معشر الناس لا يهمنكم خذلان سراقة فانه كان على ميعاد من محمد ولا يهمنكم قتل
عتبة وشيبة اى والوليد فانهم قد عجلوا فواللات والعزى لا نرجع حتى نقرن محمدا
واصحابه بالحبال وصار يقول لا تقتلوهم خذوهم باليد وذكر السهيلي انه
يروى ان من بقي من قريش وهرب الى مكة وجدوا سراقة بمكة فقالوا له يا سراقة
خرقت الصف واوقعت فينا الهزيمة فقال والله ما علمت بشيء من امركم وما شهدت
وما علمت فما صدقوه حتى اسلموا وسمعوا ما انزل الله فعلموا انه ابليس هذا كلامه
قال قتادة صدق ابليس في قوله انى ارى ما لا ترون وكذب في قوله انى اخاف
الله والله شديد العقاب والله ما به مخافة من الله قال في ينبوع الحياة ولا يعجبني هذا
فان ابليس عارف بالله ومن عرف الله خافه اى وان لم يكن ابليس خافه حق الخوف قال وانما
خاف ان يكون هذا اليوم هو اليوم الموعود الذي قال فيه سبحانه يوم يرون الملائكة
لا بشرى يومئذ للمجرمين ورايت عن سيدي على الخواص انه لا يلزم من قول ابليس ذلك
ان يكون معتقده الا باطلا كما هو شان المنافقين ورايت عن وهب ان اليوم المعلوم
الذي انظر فيه ابليس هو يوم بدر قتلته الملائكة في ذلك اليوم والمشهور انه
منظر الى يوم القيمة ويدل لذلك ما روى ان ابليس لما ضرب الحارث في صدره لم يزل
ذاهبا حتى سقط في البحر ورفع يديه وقال يا رب موعدك الذي وعدتني اللهم اني
اسالك نظرتك اياى وخاف ان يخلص اليه القتل هذا وفي زوائد الجامع الصغير
عن مسلم ان سيدنا عيسى يقتل ابليس بيده بعد نزوله وفراغه من صلاته ويرى

المسلمين دمه في حربته وفي كلام بعضهم ولعل المراد بيوم القيمة الذي انظر
اليه ابليس ليس نفخة البعث بل نفخة الصعق التي هي يكون موت من لم يمت من اهل
السموات واهل الارض قبل الا حملة العرش وجبريل وميكائيل واسرافيل وملك
الموت وهو لا ممن استثنى الله تعالى في قوله ونفخ في الصور فصعق من في السموات
ومن في الارض الا من شاء الله ثم يموت جبريل وميكائيل ثم حملة العرش ثم اسرافيل ثم ملك
الموت فهو اخر من يموت وفي كلام بعضهم الصعق اعم من الموت اى فالمراد ما يشمل
الغشي وذهاب الشعور اى لمن مات قبل ذلك وصار حيا في البرزخ كالانبيا والشهدا
الا يموت وانما يحصل له غشي وذهاب شعور ويكون المستثنى من القسم الاول من تقدم
ذكره من الملائكة ومن القسم الثاني موسى صلوات الله وسلامه عليه فانه جوزي
بذلك اى بعدم الغشي وذهاب الشعور الحاصل له من ذلك بسبب صعقة الطور
وفيه انه صلى الله عليه وسلم لم يجزم بذلك بل تردد في ذلك حيث قال فاكون اول من رفع راسه
اى افاق من الغشي فاذا انا بموسى اخذ بقائمة من قوائم العرش فلا ادرى ارفع راسه اى
افاق من الغشي قبلى او كان ممن استثنى الله فلم يصعق وفي رواية فاذا موسى متعلق
بقائمة العرش فلا ادرى اكان فيمن صعق فافاق قبلى ام كان فيمن استثنى الله ولعل بعض
الرواة ضم هذا الخبر الشيخين انا اول من تنشق عنه الارض يوم القيمة فاذا موسى الى اخره
وفيه نظر لان المراد بيوم القيامة عند نفخة البعث ونفخة الصعق سابقة عليها كما علمت
ويلزم على هذا التردد مع كون الخبرين خبرا واحدا اشكال جزمه صلى الله عليه وسلم بانه
اول من تنشق عنه الارض واجاب شيخ الاسلام بما يفيد انهما خبران لا خبر واحد حيث قال
الترمذي التردد كان قبل ان يعلم انه اول من تنشق عنه الارض اى فهما حديثان لا حديث
واحد فان قيل قوله صلى الله عليه وسلم لا تخيروني على موسى فان الناس يصعقون
يوم القيمة فاصعق معهم فاكون اول من يفيق فاذا موسى الحديث يقتضي انه صلى
الله عليه وسلم ليس افضل من موسى قلنا هو كقوله من قال انا خير من يونس بن متى
فقد كذب وذلك منه صلى الله عليه وسلم تواضعا او كان قبل ان يعلم انه افضل
الخلق اجمعين وقيل الوقت المعلوم خروج الدابة واذا خرجت قتلته بوطئها
وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان ابليس اذا مرت عليه الدهور وحصل له الهرم
عاد ابن ثلاثين سنة وهذه النفخة التي هي نفخة الصعق مسبوقة بنفخة الفزع
التي تفزع فيها اهل السموات والارض فتكون الارض كالسفينة في البحر تضربها
الامواج وتسير الجبال كسير السحاب وتنشق السما وتكسف الشمس ويخسف القمر
وهي المعنية بقوله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة وبقوله تعالى ان

زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل
ذات حمل حملها الاية وقال تعالى ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء
الله قيل وهم الشهداء فقد جاء ان الاموات يومئذ لا يعلمون بشيء من ذلك قلنا
يا رسول الله فمن استثنى الله تعالى في قوله الا من شاء الله فقال اولئك الشهداء
وانما يصل الفزع الى الاحياء وهم احياء عند ربهم يرزقون وقاهم الله فزع ذلك اليوم
وامنهم منه واقتصاره صلى الله عليه وسلم على ذكر الشهداء وسكوته عن الانبياء
لما هو معلوم من الاصل ان مقام الانبياء ارقى من مقام الشهداء وانه كان قد يوجد
في المفضول ما لا يوجد في الفاضل ومن ثم قيل الرزق خاص بالشهداء ومن ثم
اختلفوا في مشروعية الصلاة عليهم ويقال انه كان مع المسلمين يوم بدر من مؤمني الجن
سبعون اي لكن لم يثبت انهم قاتلوا فكانوا لمجرد مدد ثم ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم خفق خفقة اي مال رأسه من النعاس ثم انتبه فقال ابشر يا ابا بكر
اتاك نصر الله هذا جبريل اخذ بعنان فرسه وفي لفظ براس فرسه يقوده على
ثناياه النقع اي الغبار وهو يقول اتاك نصر الله اذ دعوته اي وفي رواية ان
جبريل اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعدما فرغ من بدر على فرس حمراء معقودة الناصية
قد خضب الغبار ثنيته عليه درعه وقال يا محمد ان الله بعثني اليك وامرني
ان لا افارقك حتى ترضى ارضيت اي ولا مانع من تعدد رؤيته لجبريل وان
هذه بعد تلك وان المرة الاولى مسامة يقتضي انها كانت مسامتا وان الغبار في
المرة الثانية كان اكثر منه في المرة الاولى بحيث علا على ثناياه ثم خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم من العريش الى الناس فحرضهم وقال والذي نفس محمد بيده
لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا ادخله الله الجنة
فقال عمير بن الحمام بضم الحاء المهملة وتخفيف الميم وفي يده تمرات يا كلهن بخ بخ
كلمة تقال لتعظيم الامر والتعجب منه اما بيني وبين ان ادخل الجنة الا ان يقتلني
هؤلاء ثم قذف التمرات من يده واخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل اي وفي
البخاري رواية انه صلى الله عليه وسلم قال قوموا الى جنة عرضها السموات والارض اعدت
للمتقين فقال عمير بن الحمام بخ بخ فقال النبي صلى الله عليه وسلم لم تبخبخ اي ما تتعجب فقال
رجاء ان اكون من اهلها اي وفي رواية ما يحملك على قولك بخ بخ قال لا والله يا رسول
الله الا رجاء ان اكون من اهلها فاخذ تمرات فجعل ياكلهن ثم قال والله ان بقيت حتى
اكلهن وفي لفظ ان حييت حتى اكل تمراتي هذه انها لحياة طويلة فنبذهن وقاتل اي
وهو يقول

ركضنا

ركضنا الى الله بغير زاد * الا التقى وعمل المعاد
والصبر في الله على الجهاد * وكل زاد عرضة النفاد
غير التقى والبر والرشاد

ولا زال يقاتل حتى قتل رضي الله تعالى عنه وسيأتي في غزاة احد مثل هذا
لبعض الصحابة ابهمه جابر في القاء التمرات من يده ومقاتلته حتى قتل ففي جابر
قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يوم احد ارأيت ان قتلت فاين انا قال في الجنة
قال فالقى تمرات في يده ثم قاتل حتى قتل اخرجه البخاري ومسلم والنسائي وسيأتي
ما في ذلك وقال عوف بن الحارث بن عفراء يا رسول الله ما يضحك الرب من عبده
اي ما يرضيه غاية الرضا قال غمسه يده في العدو حاسرا اي لا درع له ولا مغفر
فنزع درعا كانت عليه فقذفها ثم اخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل رضي الله تعالى
عنه فالضحك في حق الله كناية عن غاية رضاه وقد جاء اللهم الق طلحة يضحك اليك
وتضحك اليه اي القه لتاكلنا المتحابين المطهرين لما في انفسهما من غاية الرضى والمحبة
فهي كلمة وجيزة تتضمن الرضى مع المحبة واظهار البشر فهي من جوامع كلمه التي اوتيها
صلى الله عليه وسلم وقاتل في ذلك اليوم معيد بن وهب زوج عمرة بنت زمعة
اخت سودة بنت زمعة ام المؤمنين بسيفين ثم اخذ رسول الله صلى الله عليه
وسلم حفنة من الحصباء بالمد امره بذلك جبريل كما في بعض الروايات قال له خذ قبضة من تراب
وارمهم بها فناولها وفي رواية انه قال لعلي ناولني فاستقبل بها قريشا ثم قال شاهت
الوجوه اي قبحت الوجوه اي وزاد بعضهم اللهم ارعب قلوبهم وزلزل اقدامهم ثم
نفحهم اي ضربهم بها فلم يبق من المشركين رجل الا ملات عينيه وفي رواية فانعرونه
لا يدري اين يتوجه يعالج التراب لينزعه من عينيه اي فانهزموا وردفهم
المسلمون يقتلون ويأسرون هذا والمحفوظ المشهور ان ذلك انما كان في حنين لكن
يوافق الاول ما نقله بعضهم ان قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى نزل يوم بدر
هكذا قال عروة وعكرمة ومجاهد وقتادة قال البعض وقد فعل عليه السلام
مثل ذلك في غزوة احد هذا كلامه وفي رواية انه اخذ ثلاث حصيات فرمى بحصاة
في ميمنة القوم وحصاة في ميسرة القوم وحصاة بين ايديهم وقال شاهت الوجوه
فانهزم القوم وهذه الحصيات الثلاث قال جابر بن عبد الله وقعن من السماء
يوم بدر كانهن وقعن في طست فاخذهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرمى بهن
في وجوه المشركين اي ميمنة وميسرة وبين ايديهم وحين رمى بذلك قال لاصحابه
شدوا فكانت الهزيمة وانزل الله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وقد يقال لا

تانع من اجتماع الامرين وكل منهما مراد من الاية قال وقاتل رسول الله صلى الله عليه
وسلم يومئذ بنفسه قتالا شديدا وكذلك ابو بكر كما كانا في العريش يجاهدان بالدعا
قاتلا بابدانهما جمعا بين المقامين انتهى اقول كذا نقل بعضهم عن الاموى ونيا مل
ذلك فانى لم اقف عليه فى كلام احد غيره وكان قائل ذلك فهم مباشرته صلى الله
عليه وسلم للقتال مما تقدم عن على رضى الله تعالى عنه لما كان يوم بدر اتقينا المشركين
برسول الله صلى الله عليه وسلم كان اشد الناس باسا ولا دلالة فى ذلك والله اعلم
نعم ذكر ابن سعد انه لما انهزم المشركون رئى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اثرهم
بالسيف مصلتا يتلو هذه الاية سيهزم الجمع ويولون الدبر وهذه الاية ذكر فى الاتقا
انها مما تاخر حكمه عن نزوله فانها نزلت بمكة وكان ذلك يوم بدر وعن عمر رضى الله عنه
قلت اى جمع فلما كان يوم بدر وانهزمت قريش نظرت الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى اثارهم مصلتا بالسيف يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فكانت ليوم
بدر اخرجه الطبرانى فى الاوسط ولو قاتل صلى الله عليه وسلم بجرح او قتل من قاتله
ولو وقع ذلك لنقل لانه صلى الله عليه وسلم لم يقتل بيده قط احدا الا ابى بن خلف
لا قبله ولا بعده والى رميه بالحصا اشار صاحب الهمزية بقوله

ورمى بالحصا فاقصد جيشا ما العصا عنده وما الالقا

اى ورمى بالحصا جيشا فاصابهم كلهم اى شئ القا عصا موسى على حبال السحرة
يفرعون وعصيهم عند ذلك الحصا المرمى به لا يقاربه ذلك الالقا ولا يدانيه
لان ذلك وجد له نظير وهو القا السحرة الحبال والعصى والرمى بالحصا لم يوجد
له نظير اى وقال صلى الله عليه وسلم حينئذ من قتل قتيلا فله سلبه ومن اسر اسيرا
فهو له كما فى الامتاع فلما وضع القوم ايديهم ياسرون راى رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى سعد فوجد فى وجهه الكراهية لما يصنع القوم فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم لكانك يا سعد تكره ما يصنع القوم قال اجل والله يا رسول
الله كانت اول وقعة اوقعها الله باهل الشرك فكان الاثخان فى القتل احب الى
منه واستبقاء الرجال وذكر بعضهم ان النبى صلى الله
عليه وسلم قال لاصحابه انى قد عرفت ان رجالا من بنى هاشم وغيرهم قد اخرجوا
اكراها لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقى منكم احدا من بنى هاشم فلا يقتله اى بل
ياسره وذكر ابا البخترى بن هشام اى فمن لقى ابا البخترى فلا يقتله اى لانه
كان ممن قام فى نقض الصحيفة ونص على العباس بن عبد المطلب فقال ابو حذيفة رضى
الله تعالى عنه انقتل اباءنا وابناءنا واخواننا وعشيرتنا ونترك العباس لانه

تقدم ان اباه عتبة وعمه شيبة واخوه الوليد اول من قتل من الكفار مبارزة
وعشيرته وهى بنو عبد شمس قد قتل منها جماعة لين لقيته يعنى العباس لالحمنه
السيف هو بالمهملة والمعجمة فبلغت اى تلك المقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر يا ابا حفص ايضرب وجه عم رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالسيف فقال عمر والله انه لاول يوم كناني فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
بابى حفص يا رسول الله دعنى اضرب عنقه يعنى ابا حذيفة بالسيف فوالله لقد نافق
فكان ابو حذيفة يقول ما انا من تلك الكلمة التى قلتها يومئذ ولا ازال منها خائفا
الا ان تكفرها عنى الشهادة فقتل يوم اليمامة شهيدا فى جملة من قتل فيها من الصحابة
وهم اربعمائة وخمسون وقيل ستمائة رضى الله تعالى عنهم ولقى المجذر ابا البخترى
فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهانا عن قتلك فقال وزميلى اى ورفيقى
وكان معه زميل له خرج معه من مكة اى يقال له جنادة بن مليحة فقال له المجذر
لا والله ما نحن بتاركى زميلك ما امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بك وحدك
قال لا والله اذا لاموتن انا وهو جميعا لا تحدث عنى نساء مكة انى تركت زميلى اى
يقتل حرصا على الحياة فقتله المجذر اى بعد ان قاتله ثم اتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال والذى بعثك بالحق لقد جهدت عليه ان يستاسر فاتيك به فابى
الا ان يقاتلنى فقتلته اقول لعل المجذر فهم ان ما عدا من نهى عن قتله يقتل وان
استاسر حتى قال ما نحن بتاركى زميلك اى ولا بد من قتله وان استاسر فكان ذلك
حاملا لابى البخترى على ان يستاسر ويترك زميله فيقتل خوف السبة والله اعلم
اى وكان من جملة من خرج مع المشركين يوم بدر عبد الرحمن بن ابى بكر وكان اسمه
قبل الاسلام عبد الكعبة وقيل عبد العزى فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد
الرحمن وكان من اشجع قريش واشدهم رماية وكان اسن ولد ابيه وكان صالحا
وفيه دعابة فلما اسلم قال لابيه لقد اهدفت لى اى ارتفعت لى يوم بدر مرارا فصدفت
عنك اى اعرضت عنك فقال ابو بكر لو هدفت لى لم اصدف اى اعرض عنك فالمراد بكونه
اهدف له ارتفع له وهو لا يشعر بذلك فلا ينافى ما قيل ان عبد الرحمن بن ابى بكر
يوم بدر دعا الى البراز فقام اليه ابو بكر ليبارزه فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم متعنا بنفسك يا ابا بكر اما علمت انك عندى بمنزلة سمعى وبصرى اى
وفى بعض السير ان الصديق قال لولده عبد الرحمن يوم بدر وهو مع المشركين لم يسلم
اين مالى يا خبيث فقال له عبد الرحمن كلاما معناه لم يبق الا عدة الحرب التى هى السلاح
وفرس سريعة الجرى وحسام يقاتل عليه شيوخ الضلال اى وهذا يدل على ان الصديق

رضي الله تعالى عنه ترك مالا عند اهله لما هاجر وهو قد يخالف ما تقدم عن ابنته
اسماء من قولها ان ابا بكر ارسل ابنه عبد الله فحمل ماله وكان خمسة الاف درهم
الى الغار فدخل علينا جدي ابو قحافة الحديث ولعل ماله الذي عناه الصديق
ما كان من نحو امتعته وبعض مواشيه لا النقد فلا يخالف **ويروي** عن ابن مسعود
ان الصديق دعى ابنه يعني عبد الرحمن يوم احد الى البراز فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
متعنا بنفسك اما علمت انك مني بمنزلة سمعي وبصري ولا مانع من التعدد حتى
في نزولها او لا في بدر **ثم** رايت ابن ظفر قال في الينبوع انه لم يثبت ان ابا بكر دعى ابنه
الى المبارزة وانما هو شيء ذكر في كتب التفسير فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا استجيبوا
لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم فالاية مدنية لا مكية ويرد ما ذكر ان سببها
ان ابا بكر سمع والده ابا قحافة يذكر النبي صلى الله عليه وسلم بشر فلطمه لطمة سقط
منها فاخبر ابو بكر النبي صلى الله عليه وسلم فقال له لا تعد لمثلها فقال والله لو حضرني ٥
السيف لقتلته به **وفي كلام** الزمخشري ان عبد الرحمن اسلم في هدنة
الحديبية وهاجر الى المدينة ومات سنة ثلاث وخمسين بمحل بينه وبين مكة
ستة اميال وحمل على رقاب الرجال الى مكة وقدمت اخته عائشة رضي الله تعالى
عنها من المدينة فاتت قبره فصلت عليه اي وفي هذا اليوم الذي هو يوم بدر قتل ابو
عبيدة بن الجراح اباه وكان مشركا فان اباه قصده ليقتله فولى عنه ابو عبيدة ليتكف
عنه فرجع عليه وقتله وانزل الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون
من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم الاية وعن عبد الرحمن
ابن عوف رضي الله تعالى عنه قال لقيت امية بن خلف وكان صديقا لي في الجاهلية
ومعه اي مع امية ابنه علي اخذا بيده وكان علي ممن اسلم والنبي صلى الله عليه وسلم
بمكة قبل ان يهاجر ففتنتهم اباؤهم عن الاسلام ورجعوا عنه وماتوا على كفرهم وانزل
الله تعالى فيهم ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم الاية اي وهم
الحارث بن ربيعة وابو قيس بن الفاكه وابو قيس بن الوليد والعاص بن منبه وعلي
ابن امية المذكور **وفي** السيرة الهشامية وذلك انهم كانوا اسلموا ورسول الله صلى
الله عليه وسلم بمكة فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة حبسهم اباؤهم
وعشيرتهم بمكة وفتنوهم فافتتنوا اي رجعوا عن الاسلام ثم ساروا مع قومهم
الى بدر فاصيبوا جميعا وسياق ما ترى يقتضي انهم لم يرجعوا الى الكفر الا بعد
الهجرة وسياق ما قبله يقتضي انهم رجعوا الى الكفر قبل ان يهاجر صلى الله عليه وسلم
قال عبد الرحمن بن عوف وكان معي ادراع استلبتها اي فانا احملها فلما راني امية ناداني باسمي

الاول يا عبد عمرو فلم اجبه لانه كان قال لي لما سماني رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن
اترغب عن اسم سماك به ابوك فقلت نعم قال الرحمن لا اعرفه ولكني اسميك بعبد الاله
كما تقدم فلما ناداني بعبد الاله قلت نعم اي وظاهر السياق يقتضي انه عرف ان المراد بذلك
انه ترك اجابته قصدا حيث جعله عبدا للصنم ويحتمل وهو الاقرب انه لم يجبه لعدم
معرفته انه المراد بذلك الاسم لكونه هجره بالمرة فلما ناداه امية بما ذكر عرفه وعرف انه المراد
بذلك كما ذكر وعند ذلك قال له امية هل لك في فانا خير لك من هذه الادراع التي
معك قلت نعم فطرحت الادراع من يدي واخذت بيده وبيد ابنه علي وهو يقول ما
رايت كاليوم قط ثم قال لي يا عبد الاله من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة في صدره اي
كانت في درعه حيال الصدر قلت ذاك حمزة بن عبد المطلب قال ذاك الذي فعل بنا
الافاعيل وقيل ذلك ابنه ثم خرجت امشي بهما فوالله اني لاقودهما اذ راه بلال معي
وكان هو الذي يعذب بلالا بمكة على ان يترك الاسلام اي كما تقدم فقال بلال راس
الكفر امية بن خلف لا نجوت ان نجا فقلت اي بلال ا باسيري اي تفعل ذلك بهما
قال لا نجوت ان نجا وكررت وكرر ذلك ثم صرخ باعلى صوته يا انصار الله راس الكفر
امية بن خلف لا نجوت ان نجا فاحاطوا بنا فاصلت رجل السيف اي سله من غمده وذلك
الرجل هو بلال فضرب رجل ابنه فوقع وصاح امية صيحة ما سمعت مثلها
قط فضربوهما باسيافهم حتى فرغوا منهما **اقول** الذي في البخاري عن عبد الرحمن بن عوف
ان بلالا لما استصرخ الانصار قال خشيت ان يلحقوا فخلفت لهم ابنه لاشغلهم به
فقتلوه ثم ابوا حتى لحقونا وكان امية رجلا ثقيلا اي كما تقدم فقلت ابرك
فبرك فالقيت عليه نفسي لامنعه فتخللوه بالسيوف من تحتي حتى قتلوه فاصاب
احدهم رجلي بسيفه اي ظهر قدمه **وفي كلام** ابن عبد البر قال ابن هشام قتل
امية معاذ بن عفراء وخارجة بن زيد وحبيب بن اساف اشتركوا فيه قال ابن اسحاق
واسند على قتله عمار بن ياسر وحبيب بن اساف هذا شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم وتزوج بنت خارجة بعد ان توفي عنها ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه
وهو جد حبيب شيخ مالك رضي الله تعالى عنه والله اعلم وكان عبد الرحمن بن
عوف يقول يرحم الله بلالا ذهبت ادراعي وفجعني باسيري اي وفي رواية لما كان يوم
بدر حصل لي درعان ولقيني امية فقال خذني وابني فانا خير لك من الدرعين فالقيت
الدرعين فاخذتهما فلما قتلا صار يقول يرحم الله بلالا لا درعي ولا اسيري اي لانه صلى
الله عليه وسلم جعل في هذه الغزاة ان كل من اسر اسيرا فهو له كما تقدم وسيأتي اي له
فداؤه وهو يخالف ما عليه ائمتنا ان مال فدا الاسرى ورقابهم اذا استرقوا كسائر الاموال

العقيمة الا ان يقال ذلك كان فى صدر الاسلام ترغيبا فى الجهاد ثم استقر الامر على ما
قاله فقهاونا اى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من له علم بنوفل بن خويلد فقال على انا ٥
قتلته فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحمد لله الذى اجاب دعوتى فيه اى فانه لما التقى
الصفان نادى نوفل بصوت رفيع يا معشر قريش اليوم يوم الرفعة والعلا فقال صلى الله
عليه وسلم اللهم اكفنى نوفل بن خويلد وفى كلام بعضهم ما يفيد ان قتل على له كان
بعد ان اسره جبار بن صخر فقد جاء ان جبارا بينما هو يسوقه اذ راى عليا فقال يا اخا الانصار
من هذا واللات والعزى انه ليريدنى فقال هذا على بن ابى طالب فقصد له على فقتله
ثم قال امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بابى جهل ان يلتمس فى القتلى وقال ان خفى عليكم
اى بان قطع راسه واذيل عن جثته انظروا الى اثر جرح فى ركبته فانى ازدحمت يوما
انا وهو على مائدة لعبد الله بن جدعان ونحن غلمان وكنت اشف منه اى اكبر منه
بيسير فدفعته فوقع على ركبتيه فجحش اى خدش على احداهما جحشا لم يزل اثره به
اى ولعل هذا هو محمل قول بعضهم انه صلى الله عليه وسلم صارع ابا جهل فانه لم يصح
انه صارعه ولعل هذا الاثر هو الذى عناه ابن مسعود بقوله لما قتلت ابا جهل وقلت
لرسول الله صلى الله عليه وسلم قتلت ابا جهل فقال الرجل عقيل وهو اسير عند النبى صلى الله
عليه وسلم كذبت ما قتلته فقلت له بل انت الكذاب الاثم يا عدو الله قد والله قتلته
قال فما علامته قلت ان بفخذه حلقة كحلقة الجمل المحلق قال صدقت وكان ابو
جهل قد استفتح اى طلب الحكم على نفسه لانه لما دنى القوم بعضهم من بعض قال
اللهم اقطعنا للرحم واتانا بما لا نعرف فاحنه اى اهلكه الغداة اى زاد بعضهم
اللهم من كان احب اليك وارضى عندك وفى لفظ اللهم اولانا بالحق فانصره اللهم
من كان احب اليك وارضى عندك وفى لفظ اللهم اولانا بالحق فانصره اليوم ٥
فانزل الله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ٥ اقول كون ابى جهل طالبا الحكم على نفسه
واضح لو سكت عن قوله واتانا بما لا نعرف اذ هو نص فيه صلى الله عليه وسلم وفى
تفسير سهل ان ابا جهل قال يوم بدر اللهم انصر افضل النبيين عندك وارضاهم
لك اى وفى رواية اللهم انصر خير النبيين اللهم ديننا القديم ودين محمد الحادث
فنزل ان تستفتحوا يعنى تستنصروا فقد جاءكم الفتح وفى اسباب النزول للواحدى
ان المشركين حين ارادوا الخروج من مكة اخذوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر
اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وافضل الدينين فانزل الله تعالى
الاية وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يستفتح بصعاليك المهاجرين
والله اعلم قال معاذ بن عمرو بن الجموح رايت ابا جهل وقد احاطوا به وهم يقولون

ابو

ابو الحكم لا يخلص اليه فلما سمعتها عمدت نحوه وحملت عليه فضربته ضربة اطنت قد مه
بنصف ساقه اى اسرعت قطعه فوالله ما شبهتها حين طاحت الا بالنواة تطيح
من تحت مرضخة النوى والمرضخة بالخاء المعجمة وبالمهملة وقيل الرضخ بالمعجمة
كسر الرطب وبالمهملة كسر اليابس وضربنى ابنه اى عكرمة رضى الله تعالى عنه
فانه اسلم بعد ذلك على عاتقى فطرح يدى فتعلقت بجلدة من جنبى واجهضنى
القتال اى شغلنى عنه فلقد قاتلت عامة يومى وانى لاسحبها خلفى فلما اذتنى
وضعت عليها قدمى ثم تمطيت عليها حتى طرحتها وفى رواية جاء بها الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فبصق عليها اى ولصقها فلصقت والى ذلك يشير الامام السبكى
فى تائيته لكن قال ابن عفرا ولا منافاة لجواز ان يكون معاذ بن عمرو بن الجموح بن عفرا
وسيأتى ما يدل على ذلك بقوله ٥

وبانت بها كف ابن عفرا فاشتكى ● اليك فعادت بعد احسن عودة

الا ان قولها يرجع لغزاة احد وقد علمت ان ذلك انما هو ببدر واحتمال تكرر ذلك
باحد وفى بدر لشخص واحد بعيد الا ان يثبت النقل بذلك ثم مر بابى جهل وهو
عقير معوذ بضم الميم وتشديد الواو مفتوحة ومكسورة ابن عفرا فضربه حتى
اثبته وتركه وبه رمق اى وما جاء فى بعض الروايات ضرباه حتى بردا بفتح الموحدة
والراء والدال المهملة اى مات لا ينافيه لانه يجوز ان يكون المراد صار فى حالة من مات
بان صار الى حركة المذبوح ومن ثم جاء فى بعض الروايات حتى برك بالكاف بدل الدال
اى سقط الى الارض اى المجنبه والا فقطع قدمه مع نصف ساقه لا يقتضى غالبا
ان يسقط المجنبه ومعوذ هذا لا زال يقاتل حتى قتل قال عبد الله بن مسعود رايت ابا
جهل باخر رمق فعرفته فوضعت رجلى على عنقه ثم قلت له هل اخزاك الله يا عدو
الله قال وبم اخزانى اعار على رجل قتلتموه اى ليس بعار على رجل قتلتموه وفى رواية
اعمد من رجل قتلتموه اى انا سيد رجل قتلتموه لان عميد القوم سيدهم اى
فلا عار على فى قتلكم اياى وجاء انه قال لو غير اكار قتلنى والاكار الزراع يعنى الا نصار
لانهم كانوا اصحاب زرع اى لو كان الذى قتلنى غير فلاح لكان احب الى واعظم لشانى
فلم يكن على فى ذلك نقص لقد ارتقيت يا رويعى الغنم مرتقى صعبا اخبرنى لمن الدبرة
اى النصرة والظفر اليوم زاد فى رواية لنا او علينا قلت لله ولرسوله صلى
الله عليه وسلم وفى الصحاح فى دبر بالباء الموحدة والدبرة الهزيمة فى القتال ومما
يدل للاول ما تقدم من قول ابى جهل اخبرنى على من كانت الدبرة لنا او علينا وفى
مغازى ابن عقبة التى قال فيها مالك رضى الله تعالى عنه مغازى موسى بن عقبة

اصح المغازي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على القتلى والتمس ابا جهل
فلم يجده حتى عرف ذلك في وجهه ثم قال اللهم لا يعجزني فرعون هذه الامة فسعى
له الرجال حتى وجده ابن مسعود الحديث وفي الصحيحين عن ابن انس رضي الله تعالى
عنه لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينظر لنا ما صنع ابو جهل فانطلق
ابن مسعود رضي الله تعالى عنه فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد ولمسلم برك
اي وهو المراد من الاول لما تقدم فاخذ بلحيته فقال انت ابو جهل الخبيث واخذه
بلحيته لا ينافي وضع رجله على رقبته لجواز ان يكون جمع بينهما قال ابن مسعود
ثم احتززت راسه وفي رواية رويت عن ابن مسعود قال لما ضربته بسيفي لم يغن
شيئا فبصق في وجهي وقال خذ سيفي فاحتز به راسي من عرشي ليكون انهى
للرقبة والعرش في اصل الرقبة ففعلت كذلك ثم جئت به الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقلت يا رسول الله هذا راس عدو الله ابي جهل فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الله الذي لا اله غيره اي رددها ثلاثا وروى الطبراني آلله قتلت ابا
جهل بنصب الجلالة وهو بهذا اللفظ عندنا كناية بيمين ومثل النصب الرفع والجر قال
قلت نعم والله الذي لا اله غيره ثم القيت راسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فحمد الله تعالى اي ويقال انه سجد خمس سجدات شكرا ويقال انه قال الله اكبر الحمد لله الذي
صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وكون ابي جهل بصق في وجه ابن
مسعود وقال له خذ سيفي الى آخره ينافي كونه وصل الى حركة المذبوح الا ان يقال
يجوز ان يكون في اول الامر كان كذلك ثم راجعت اليه روحه حتى قدر على ما ذكر فليتامل
مع ما ياتي قيل وهذا اي حمل راس ابي جهل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد على
الزهري قوله لم يحمل الى النبي صلى الله عليه وسلم راس قط ولا يوم بدر وحمل راس لابي بكر
فانكره ويجاب بان البيهقي قال ما روي من حمل راس ابي جهل قد تكلم في ثبوته
وبتقدير ثبوته فهو من محل الى محل لا من بلد الى بلد اي من بلد الكفر الى دار الاسلام اي الذي
انكره ابو بكر اي فانه انكر نقل الراس من بلد الكفر الى بلد الاسلام وقد جوزه من ائمتنا
الماوردي والغزالي اذا كان في ذلك مكايدة للكفار وفي النور تحصلنا على جماعة حملت
رؤسهم اليه صلى الله عليه وسلم ابو جهل وسفيان بن خالد وكعب بن الاشرف ومرحب
اليهودي والاسود العنسي على ما روي وعصماء بنت مروان ورفاعة بن قيس بن رفاعة
اي وراس عتبة بن ابي وقاص الذي كسر رباعيته صلى الله عليه وسلم وشق شفته السفلى
يوم احد كما سياتي وفي وضع ابن مسعود رضي الله تعالى عنه رجله على عنق ابي جهل
وقطع راسه تصديق لتعبيره الرؤيا التي رآها لابي جهل وقال له ان صدقت رؤياي ه

لاطان رقبتك ولاذبحنك ذبح الشاة وفي رواية ان ابن مسعود وجده مقنعا في الحديد
وهو منكب لا يتحرك فرفع سابغة البيضة اي الخوذة عن قفاه لان سابغة البيضة
ما يغطي به العنق ومن ثم يقال بيضة لها سابغ فضربه فوقع راسه بين يديه وعن ابن
مسعود كما في المعجم الكبير للطبراني انتهيت الى ابي جهل وهو صريع وعليه بيضة ومعه
سيف جيد ومعي سيف ردي فجعلت انقف راسه واذكر نقفا كان ينقف راسي بمكة
فاخذت سيفه فرفع راسه فقال على من كانت الدبرة الست برويعينا بمكة فقتلته
ثم سلبته فلما نظرت اليه اذا هو ليس به جراح وانا ارى احدا رايه اورام في عنقه ويديه وكتفيه
كهيئة آثار السياط اي آثار سواد كسمة النار اي ليس به جراح من جراح الادميين
داخل بدنه فلا ينافي ما تقدم من قطع ابن الجموح لرجله ويجوز ان يكون ضرب ابني
عفراء حتى اثبتاه نشا عنه جراحة داخل بدنه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره
به فقال ذاك ضرب الملائكة اي فان الملائكة كانت لا تعلم كيف تقتل الادميين
فعلمهم الله تعالى ذلك بقوله تعالى فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان
اي مفصل فكانوا يعرفون قتلى الملائكة من قتلاهم باثار سود كسمة النار ولا ينافي
ذلك وصفه بالخضرة في بعض الروايات لان الاخضر لشدة خضرته ربما قيل
فيه اسود وتلك الاثار في الاعناق والبنان الظاهر ان ذلك يكون موجودا حتى بعد
مفارقة الراس او اليد ليستدل به على ان مفارقة الراس او اليد من فعل الملائكة
وينبغي ان يكون هذا اي ضربهم فوق الاعناق والبنان اكثر احوالهم فلا ينافي وجود
اثر ضربهم في الكتفين كما تقدم وفي الوجه والانف فعن بعض الصحابة كنا ننظر
الى المشركين امامنا مستلقيا فننظر اليه فاذا هو قد خطم انفه وشق وجهه كضربة
السوط فاخضر ذلك الموضع وفسر بعضهم الاعناق بالرؤس وهو غير مناسب لما
ذكرنا وروي عن سهل بن حنيف عن ابيه قال لقد رايتنا يوم بدر وان احدنا ليشير
بسيفه الى المشرك اي يرفعه عليه فيقع راسه عن جسده قبل ان يصل اليه السيف
ويمكن الجمع بين هذا وما قبله بان ضرب الملائكة في الاعناق تارة يفصلها وتارة
يفصلها وتارة لا وفي الحالين يرى اثر ذلك اسود في العنق ليستدل به على انه
من فعل الملائكة كما تقدم وفي رواية عن ابن مسعود قال انتهيت الى ابي جهل يوم بدر
وقد قطعت رجله وهو صريع وهو يذب الناس عنه بسيف له فقلت الحمد لله الذي
اخزاك يا عدو الله قال هل هو الا رجل قتله قومه قال فجعلت اتناوله بسيف لي غير
طائل فاصبت يده فندر اي سقط سيفه فاخذته فضربته حتى قتلته ثم خرجت
حتى اتيت النبي صلى الله عليه وسلم كانما اقل من الارض اي احمل من شدة الفرح فاخبرته

فقال الله الذی لا اله الا هو وفی لفظ تقدم لا اله غیره ردها ثلاثا وفی روایة عن ابن
مسعود فاستحلفنی ثلاث مرات ثم قال الحمد لله الذی اعز الاسلام واهله ثلاث مرات
وخر ساجدا ای خمس سجدات شکرا کما تقدم وفی روایة صلی رکعتین قال ابن مسعود
ثم انه صلی الله علیه وسلم خرج یمشی معی حتی قام علیه فقال الحمد لله الذی اخزاک الله یا عدو
هذا کان فرعون هذه الامة زاد فی لفظ وراس قاعدة الکفر وتعلی سیفه ای وکان
قصیرا عریضا فیه قبایع فضة وقع قصره کان اقصر من سیف ابن مسعود فلاهنا فا
اقول یجوز ان یکون المضی الیه بعد القا الراس بین یدیه استعطاما لقتله ای وان
ابن مسعود فی هذه الروایة سکت عن قطع راسه والمجیء به الی رسول الله صلی الله
علیه وسلم فلا یخالفه وقد قال له النبی صلی الله علیه وسلم یوما وقد اخذ بمجامع ثوبه
اولی لک فاولی ثم اولی لک فاولی ای وعیدا علی وعید فقال ما تستطیع انت ولا ربک
بی شیا وانی لاعز من مشی بین جبلیها فانزل الله تعالی فلا صدق ولا صلی ولکن کذب
وتولی ثم ذهب الی اهله یتمطی وقیل نزلت کالتی قبلها فی عدی بن ربیعة لما سال رسول
الله صلی الله علیه وسلم عن امر القیامة فاخبره به فقال لو عاینت هذا الیوم لم اصدقک
او یجمع الله هذه العظام فانزل الله تعالی ایحسب الانسان ان لن نجمع عظامه الایات
والله اعلم وعن قتادة ان رسول الله صلی الله علیه وسلم قال ان لکل امة فرعونا
وان فرعون هذه الامة ابو جهل قتله الله شر قتلة بکسر القاف الهیئة قتلته الملایکة
وفی لفظ قتله ابن عفرا وقتلته الملایکة وتدفف ای اجهز علیه ابن مسعود وابن
عفرا هذا یجوز ان یکون هو معاذ بن عمرو بن الجموح ویجوز ان یکون اخاه معاذ بن
الحارث وکونه قتله لانه ازال منعته کما تقدم وفی مسلم عن عبد الرحمن بن عوف انه
قال انی لواقف یوم بدر فی الصف نظرت عن یمینی وعن شمالی فاذا انا بین غلامین من
الانصار حدیثة اسنانهما فغمزنی احدهما فقال یا عم هل تعرف ابا جهل بن هشام قلت
نعم وما حاجتک به قال بلغنی انه کان یسب رسول الله صلی الله علیه وسلم والذی نفسی
بیده لو رایته لم یفارق سوادی سواده ای شخصی شخصه حتی یموت الاعجل منا
ای الاقرب اجلا فغمزنی الاخر فقال لی مثلها فعجبت لذلک ای لحرص کل منهما علی ذلک
واخفائه عن صاحبه لیکون هو المختص به فلم انشب ای البث ان نظرت لهما
الا غیران هو صاحبکما الذی تسالان عنه فابتدراه بسیفیهما فضرباه حتی قتلاه ای
اشرفا به علی القتل بدلیل قصیره الی حرکة مذبوح ثم انصرفا الی رسول الله صلی
الله علیه وسلم فاخبراه فقال ایکما قتله فقال کل واحد منهما انا قتلته قال اهل مسحتما
سیفیکما قالا لا فنظر فی السیفین فقال کلاکما قتله وقضی بسلبه ای ما عدا سیفه

لهما فلاینا فی ما سبق من اعطایه لابن مسعود ومهما معاذ بن عمرو بن الجموح
ومعاذ بن عفرا ابن الحارث ومهما ای معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ وابن الحارث ابنا
عفرا غایته الامران الاول اشتهر بابیه عمرو بن الجموح والثانی اشتهر بامه التی هی
عفرا وقول الحافظ ابن حجر ان معاذ بن عمرو بن الجموح لیس اسم امه عفرا یجوز ان
یکون مستنده فی ذلک مقابلته ابن الجموح بابن عفرا فی کلامهم المقتضی ذلک
بکون ابن الجموح لیس ابن عفرا ولا یشکل علی ذلک ما فی النور نقلا عن الامام
النووی ان عمرو بن الجموح وابنی عفرا ای معاذ ومعوذ اشترکوا فی قتل ابی جهل
لان معاذ الثانی ابن الحارث فکل من عمرو بن الجموح والحارث تزوج عفرا فکل سمی
ولده منها بمعاذ ویدل لذلک ما یاتی عن الامتاع انه صلی الله علیه وسلم قال رحم الله ابنی
عفرا اشترکا فی قتل فرعون هذه الامة ولما قیل له یا رسول الله من قتله معهما قال الملائکة
ولم یقل عمرو ابن الجموح لکن رایت لبعضهم ذکر ان عفرا شهد لها بدرا سبع بنین ثلاثة من الحارث
ابن رفاعة وهم معوذ ومعاذ وعامر واربعة من بکر بن عبد یالیل وهم خالد واساس وعاقل
وعامر واستشهد منهم بها معاذ وعاقلا هذا کلامه وذکر عامر فی الاول تقدم
بدله ذکر عوف وهو واضح فقد تقدم ان عوف بن الحارث بن عفرا قال یا رسول الله ما یضحک
الرب الی عبده ولم یذکر هذا البعض ان من اولادها معاذ بن عمرو ابن الجموح وهو یؤید
ما تقدم عن الحافظ وعن الامام النووی فعلیک بالتامل وقیل قضی بسلبه لمعاذ
ابن عمرو بن الجموح اقول ای لکونه هو الذی ازال منعته فاستحق سلبه ولا ینافی ذلک قوله
صلی الله علیه وسلم لهما کلاکما قتله لجواز ان یکون اتی بذلک ملاطفة للثانی وترغیبا
له فی الجهاد لان له مشارکة ما فی قتله لانه زاد فی اثخانه الی ان صیره الی اخر رمق ویرده
کونه صلی الله علیه وسلم اشرکهما فی سلبه وصی ثم قال فقیها وانما یعطی السلب لمن اثخن دون
من قتل ای بعد ذلک فقد اعطی رسول الله صلی الله علیه وسلم سلب ابی جهل لمثخنه ابنی
عفرا دون قاتله ابن مسعود ولکن فی هذا النقل قال به بعض اخر من فقهائنا وهو الموافق
لما فی البخاری فی کتاب فرض الخمس معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفرا فقتلا ابا
جهل ثم تنازعا فیه وذلک لان النبی صلی الله علیه وسلم نظر الی السیفین فرای فیهما
اثر الطعام فقال کلاکما قتله وقضی بسلبه لمعاذ بن الجموح قال الاصحاب لانه
المثخن والاخر جرحه بعده وقوله کلاکما قتله تطییب لقلب الاخر هذا کلامه فلیتامل
فان الذی اظنه ان کونه رای اثر الطعام فی سیفیهما خلط من الراوی لان ذلک کان
فی قتل ابی الاشرف ویؤید الخلط ما تقدم عن ابن مسعود انه لم تر فیه اثر جراح
دا لغل بدنه وفی الامتاع انه صلی الله علیه وسلم قال یرحم الله ابنی عفرا فانهما قد اشترکا

يكذ

فى قتل فرعون هذه الامة وراس ائمة الكفر فقيل يا رسول الله من قتله معهما قال الملائكة
وذا فر ابن مسعود وهذا السؤال يقتضى ان معنى قوله صلى الله عليه وسلم انهما قد اشتركا
فى قتل فرعون هذه الامة ان غيرهما شاركهما فى ذلك فليتامل وفى شرح الروض وهو
من اجل كتبنا ان عبد الله بن رواحة وابنى عفرا تقاتلا مع ابى جهل مبارزة وانه صلى
الله عليه وسلم علم ذلك واقره وجعلوا ذلك دليلا على اباحة مبارزة القوى لكافر لم يطلب
المبارزة اى واما ما تقدم من امره صلى الله عليه وسلم لحمزة وعلى وعبيدة بن الحارث بمبارزة
عتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة فذاك لكافر طلب المبارزة فقد تقدم
ان عتبة خرج بين اخيه شيبة وولده الوليد حتى فصل من الصف ودعى للمبارزة
وانه خرج اليه من الانصار ثلاثة اخوة اشقاء هم معاذ ومعوذ وعوف بنو عفرا وقيل
بدل عوف عبد الله بن رواحة فلم يرضوا بمبارزتهم فعند ذلك امر صلى الله عليه وسلم
من ذكر بمبارزتهم وعندى ان ما ذكره فى شرح الروض من مبارزة عبد الله بن رواحة
وابنى عفرا لابى جهل ذكر ابى جهل اشتباه وانما هو لهؤلاء الثلاثة ولم تقع منهم مقاتلة
وكيف تبارز ثلاثة ولحدا فليتامل وجا فى الحديث ان الله قتل ابا جهل فالحمد لله الذى
صدق وعده ونصر دينه والله اعلم وكان على الملائكة يوم بدر عمائم بيض قد
ارسلوها فى ظهورهم اى الا جبريل فانه كان عليه عمامة صفرا اى وقيل حمراء قال بعضهم
كان بعضهم بعمائم خضر وبعضهم بعمائم صفر وبعضهم بعمائم حمر اى وبعضهم بعمائم
بيض وبعضهم بعمائم سود فلا منافاة وذكر ان عمامة جبريل يوم غرق فرعون
كانت سودا قال وفى رواية سيماهم عمائم سود وعن ابن مسعود كان سيما الملائكة
يوم بدر عمائم قد ارخوها بين اكتافهم خضر وصفر وحمر انتهى اى وبيض وسود
وفى كلام لبعضهم نزلت الملائكة يوم بدر بعمائم صفر وفى رواية بيض وسود
ضعيفة وفى كلام ابن اسحاق عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال كانت سيما الملائكة
يوم بدر عمائم بيضا قد ارخوها على ظهورهم الا جبريل فانه كان عليه عمامة صفرا من لون
وكانوا يوم بدر بعمائم سود ويوم احد عمائم حمر وما ذكر لا ينافى ما قيل سيماهم
ببدر عمائم صفر قد ارخوها بين اكتافهم وما جا كان على الزبير ببدر عمامة صفرا
معتجرا بها فقال صلى الله عليه وسلم نزلت الملائكة على سيما ابى عبد الله يعنى الزبير لجواز
ان يكون اكثرهم كان بعمائم صفر وقد ذكر ان الزبير قاتل يوم بدر قتالا شديدا حتى
كان الرجل يدخل يده فى الجراح فى ظهره وعاتقه وقد سئل الحافظ السيوطى عن
قوله تعالى يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين ما السمة التى كانت عليهم
فاجاب بان ابن ابى حاتم ذكر فى تفسيره باسانيده عن على انها الصوف الابيض

فى نواصى خيلهم واذنابها وعن مكحول وغيره انها العمائم وعن ابن عباس انها كانت عمائم
بيض قد ارسلوها الى ظهورهم وفى سنده رجل ضعيف وعنه ايضا عمائم سود وفى
سنده متروك ثم قال ورواية البيض والسود ضعيفة هذا كلامه اى وعلى تقدير صحتها
يجاب بما تقدم وكان شعار الانصار اى علامتهم التى يتعارفون بها فى ذلك اذا
جا الليل او وقع اختلاط احد احد اى وشعار المهاجرين يومئذ يا بنى عبد الرحمن اى وعن
زيد بن على قال كان شعار النبى صلى الله عليه وسلم اى والمهاجرين او هو حتى لا يشتبه
بغيره يا منصور امت ويقال احد احد وشعار الخزرج يا بنى عبد الله وشعار الاوس
يا بنى عبيد الله وعن ابن سعد يقال كان شعار الجميع يومئذ يا منصور امت اى وقد
يقال لا منافاة بين هذه الرواية وما قبلها من الروايات لان المراد بالجميع المجموع لكن
يحتاج الى الجمع بين تلك الروايات السابقة على تقدير صحتها وكانت خيل الملائكة
بلقا وعن على رضى الله تعالى عنه قال كان سيما الملائكة اى سيما خيلهم يوم بدر الصوف
الابيض اى وفى لفظ بالعهن الاحمر فى نواصى الخيل واذنابها اى ولا منافاة لجواز
ان يكون بعضهم كذا وبعضهم كذا وعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم سوموا
اى خيلكم فان الملائكة قد سومت فهو اول يوم وضع الصوف اى فى نواصى الخيل واذنابها ٤٨
ولم اقف على لون الصوف الذى وضع فى ذلك وعن ابن عباس قال حدثنى رجل من بنى
غفار قال اقبلت انا وابن عم لى حتى اصعدنا فى جبل يشرف بنا على بدر ونحن مشركان
ننتظر الواقعة على من تكون الدبرة اى الغلبة فننتهب مع من ينتهب فبينا نحن فى
الجبل اذ دنت منا سحابة فسمعنا فيها حمحمة الخيل فسمعت قائلا يقول اقدم حيزوم
فاما ابن عمى فانكشف قناع قلبه اى غشاوته فمات مكانه واما انا فكدت اهلك ثم تماسكت
واقدم بضم الدال من التقدم كلمة يزجر بها الخيل وحيزوم بالميم وربما قيل بالنون
اسم فرس جبريل ولعلها هى الحياة ولحدهما اسم لها والاخر لقب وقيل لها الحياة لانه
ما مست شيئا الا صار حيا وهى التى قبض من اثرها اى من تراب حافرها السامرى نسبة
الى سامرة قرية او طائفة ما القاه فى العجل الذى صاغه من حلى القبط فكان له خوار
اى صوت فكان اذا خار سجدوا واذا سكت رفعوا رؤسهم الظاهر انه قامت به
الحياة وقيل لما صنعه السامرى اجوف تحيل لتصويته بان جعل فى تجويفه انابيب
على شكل مخصوص وجعله فى مهب الرياح فتدخل فى تلك الانابيب فيظهر له صوت
يشبه الخوار وفى كلام بعضهم فرس جبريل علمت الملائكة ان نزول للرحمة
واذا نزل منشور الاجنحة علمت ان نزوله للعذاب اى وحينئذ فنزول جبريل عليها يوم
بدر كان لرحمة المسلمين وان كان عذابا على الكافرين ويكون نزول لا عليها بل منشور

الا جنحة اذا كان لمحض العذاب ويحتمل ان يكون حيزوم غير فرس الحياة قال الحافظ
ابن حجر ومن الاخبار الواهية ان الموت كبش لا يجد ريحه شيء الا مات والحياة فرس
بلقاء انثى اى خطوتها كما في العرايس مد البصر وهى التى كان جبريل والانبياء يركبونها
اى كلهم كما في العرايس لا تمر بشيء ولا يجد ريحها شيء الا حيى هذا وفى اثر مرسل ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لجبريل من القايل يوم بدر من الملايكة اقدم حيزوم فقال جبريل
يا محمد ما كل اهل السما اعرف قال ابن كثير وهذا الاثر يرد قول من زعم ان حيزوم
اسم فرس جبريل اى وفيه انه لا يبعد ان يقول احد من الملايكة لفرس جبريل اقدم
حيزوم ولا يعرف ذلك القايل وكان للحافظ ابن كثير فهم من قوله صلى الله عليه
وسلم من القايل الى اخره ان ذلك الفرس لذلك القايل نعم ان كان هذا الاثر
وقع بعد الرواية التى تلى هذه وهى جاءت سحابة الى اخره اوان ذلك الاثر سقط
منه لفظة لفرسه والاصل من القايل يوم بدر من الملايكة لفرسه اتجه ما فهمه
ابن كثير فليتامل قال وفى رواية جاءت سحابة فسمعنا اصوات الرجال والسلاح
وسمعنا رجلا يقول لفرسه اقدم حيزوم فنزلوا على ميمنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم جاءت سحابة اخرى نزل منها رجال كانوا على ميسرته فاذا هم على الضعف
من قريش فمات ابن عمى واما انا فتماسكت واخبرت النبى صلى الله عليه وسلم
واسلمت ومن ثم ذكر في الصحابة وفى النور هذا الرجل مذكور في الصحابة وليس
في الحديث اى الرواية الاولى ما يدل على اسلامه الا ان تحديثه لابن عباس بهذه
المعجزة للنبى صلى الله عليه وسلم يشعر باسلامه هذا كلامه وفيه ان قوله ونحن مشركون
يدل على انه كان مسلما عند تحديثه لابن عباس رضى الله عنهما وقد جاء عن ابن عباس
ان الغمام الذى ظلل بنى اسرايل في التيه هو الذى ياتى الله تعالى فيه يوم القيمة وهو
الذى جاءت فيه الملايكة يوم بدر اى وعن على هبت ريح شديدة ما رايت مثلها قط
ثم جاءت اخرى كذلك ثم جاءت اخرى كذلك ثم جاءت اخرى كذلك فكانت الاولى
جبريل نزل فى الف من الملايكة اى لعلها امامه اخذا من قوله وكانت الثانية ميكايل
نزل فى الف من الملايكة عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الثالثة اسرافيل
فى الف من الملايكة عن ميسرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى ذلك سكوت عن الرابعة
اى زاد فى الامتاع وكان اسرافيل صلى الله عليه وسلم وسط الصف لا يقاتل كما يقاتل غيره
من الملايكة وظاهر هذا ان كلا من جبريل وميكايل قاتل وتقدم انهم فى هذه الغزاة
التى هى غزاة بدر قبل لم يمدوا الا بالف من الملايكة وروايته الف ضعيفة جاءت
عن على فتكون هذه الرواية التى جاءت عن على ايضا كذلك ولا نظر لما تقدم عن بعضهم

آن

ان امدادهم يوم بدر بثلاثة الاف اولا وانه وعدوا ان يمدوا بخمسة الاف ان ثبتوا
وصبروا لم يوما علينا الا كثرون لما علمت ان ذلك انما كان فى احد وسياتى ذلك مع
زيادة قال بعضهم ولم يقاتل الملايكة الا فى يوم بدر اى وفى غيره يكونون مددا ابن
غير مقاتلة وسياتى انهم قاتلوا يوم احد ويوم حنين ففى مسلم عن سعد بن ابى وقاص
انه راى عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم احد رجلين عليهما ثياب
بيض ما رايتهما قبل ولا بعد يعنى جبريل وميكايل عليهما السلام يقاتلان كاشد
القتال قال الامام النووى فيه ان قتال الملايكة لم يختص بيوم بدر وهذا هو الصواب
خلافا لمن زعم اختصاصه فان هذا صريح فى الرد عليه اقول يمكن الجمع بان المختص
ببدر قتال الملايكة عنه وعن اصحابه وفى غيره كان عنه خاصة فلا منافاة ثم رايتنى
ذكرت فى الجمع فى غزاة احد عن البيهقى وتعقبته بان جا ان الملايكة قاتلت فى ذلك
اليوم عن عبد الرحمن بن عوف وعلى تسليم ورود ذلك فيه انهم لو قاتلوا يوم احد
لظهر اثر قتلهم كما ظهر فى يوم بدر وقد يقال مرادهم بالمقاتلة يوم احد المدافعة من غير
ان يوقعوا فعلا وفى يوم بدر المراد بالمقاتلة ايقاع الفعل والله اعلم وانكسر
سيف عكاشة بتشديد الكاف اكثر من تخفيفها ابن محصن وهو يقاتل به فاعطاه
رسول الله صلى الله عليه وسلم جذلا من حطب اى اصلا من اصول الحطب وقال له قاتل
بهذا يا عكاشة فلما اخذه من رسول الله صلى الله عليه وسلم هزه فعاد فى يده سيفا
طويلا القامة شديد المتن ابيض الحديدة فقاتل به حتى فتح الله تعالى على المسلمين وكان
ذلك السيف يسمى العون ثم لم يزل عند عكاشة وشهد به المشاهد كلها مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وسياتى مثل ذلك فى احد لعبد الله بن جحش وانكسر سيف سلمة بن
اسلم فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قضيبا كان فى يده اى عرجونا من عراجين
النخل وقال اضرب به فاذا هو سيف جيد فلم يزل عنده قال وعن خبيب بن عبد الرحمن
قال اضرب به فاذا هو سيف جيد فلم يزل عنده قال وعن خبيب بن عبد الرحمن
قال ضرب خبيب جدى يوم احد بدر فمال شقه فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولامه ورده فانطبق وعن رفاعة بن مالك قال لما كان يوم بدر رميت بسهم
ففقئت عينى فبصق فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا لى فما اذانى منها شيء انتهى
ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتلى من المشركين ان ينقلوا من مصارعهم
التى اخبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وجودها فعن عمر بن الخطاب رضى الله
تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا مصارع اهل بدر يقول هذا مصرع
امية بن خلف وهذا مصرع ابى جهل بن هشام وهذا مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى

اى ويضع يده الشريفة على الارض فما تنحى احدهم عن موضع يده كما تقدم عن انس
وتقدم عنه ان ذلك كان ليلا فالتقدير بعد ان وصل الى محل الوقعة اذ لا يتصور
وضع يده على الارض الا اذا كان بمحل الوقعة وبه يعلم فيما ذكره بعضهم انما اخبار
صلى الله عليه وسلم بمصارع القوم تكرر منه مرتين قبل الوقعة بيوم او اكثر ويوم
الوقعة هذا كلامه الا ان يقال قوله يوم الوقعة مبنيا على انه وصل بدرا في النهار
والقول بان ذلك كان ليلا مبنيا على انه وصل بدرا ليلا ومعلوم انه انما وضع يده في محل
الوقعة **ثم امر** ان يطرحوا فطرحوا في القليب الا ما كان من امية بن خلف فانه انتفخ
في درعه فملاه فذهبوا ليحركوه فتزايل اى تقطعت اوصاله فاقروه والقوا عليه ما
غيبه من التراب والحجارة وهذا دليل على ان الحربى لا يجب دفنه وبه قال ايمتنا بل قالوا
يجوز اغراء الكلاب على جيفته فلما القى عتبة والد ابى حذيفة رضى الله تعالى عنه
فى القليب تغير وجه ابى حذيفة ففطن بفتح الطاء له رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال له لعلك دخلك من شان ابيك شىء فقال لا والله لكنى كنت اعرف من ابى رايا
وحلما وفضلا فكنت ارجوا ان يهديه الله للاسلام فلما رايت ما مات عليه احزننى
ذلك فدعى له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وقال له خيرا **اقول** وذكر فقهاؤنا ان
النبى صلى الله عليه وسلم نهى ابا حذيفة عن قتل ابيه فى هذه الغزاة وقد اراد ذلك
والله اعلم **ثم جاء** رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل ابيه فى هذه الغزاة وقد
اراد ذلك والله اعلم حتى وقف على شفير القليب اى قيل بعد ثلاثة ايام من القائهم
فى القليب وذلك اى **وفى** الصحيحين عن انس رضى الله تعالى عنه كان صلى الله عليه
وسلم اذا ظهر على قوم اقام بالعرصة ثلاث ليال فلما كان اليوم الثالث امر براحلته
فشد عليها رحلها ثم مشى واتبعه اصحابه حتى قام على شفة الركى اى وهو القليب وجعل
يقول يا فلان بن فلان ويا فلان هل وجدتم ما وعد الله ورسوله حقا فانى وجدت
ما وعدنى الله حقا **وجاء** فى بعض الطرق نداؤهم باسمائهم فقال يا عتبة بن ربيعة
ويا شيبة بن ربيعة ويا امية بن خلف ويا ابا جهل بن هشام وهذا يقتضى انه
فى تلك الرواية نطق بلفظ يا فلان بن فلان ولا يختص بعدله مكيا تملى ولا يعترضه
بان امية بن خلف لم يكن من اهل القليب لما علمته **واجيب** بانه كان قريبا من
القليب بئس عشيرة النبى كنتم لنبيكم كذبتمونى وصدقنى الناس واخرجتمونى
واوانى الناس وقاتلتمونى ونصرنى الناس فقال عمر يا رسول الله كيف تكلم اجسادا
لا ارواح فيها وفى رواية اجسادا قد اجيفوا فقال ما انتم باسمع لما اقول منهم غير
انهم لا يستطيعون ان يردوا شيئا **وعن** قتادة احياهم الله حتى سمعوا الكلام رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم توبيخا لهم وتصغيرا او نقمة وحسرة **اقول** والمراد باحيائهم
شدة تعلق ارواحهم باجسادهم حتى صاروا كالاحياء فى الدنيا للغرض المذكور لان
الروح بعد مفارقة جسدها يصير لها تعلق به او بما يبقى منه ولو عجب الذنب فانه
لا يفنى وان اضمحل الجسد باكل التراب او باكل السباع او الطير او النار وبواسطة
ذلك التعلق يعرف الميت من يزوره ويانس به ويرد سلامه اذا سلم عليه كما
ثبت فى الاحاديث والغالب ان هذا التعلق لا يصير الميت به حيا كحياته فى الدنيا
بل يصير كالمتوسط بين الحى والميت الذى لا تعلق لروحه بجسده وقد يقوى حتى
يصير كالحى فى الدنيا ولعله مع ذلك لا يكون فيه القدرة على الافعال الاختيارية
فلا يخالف ما حكى عن السعد **اتفقوا** على انه تعالى لم يخلق فى الميت القدرة والافعال
الاختيارية هذا كلامه والكلام فى غير الانبيا والشهدا اى شهدا المعركة اما هم
فتعلق ارواحهم باجسادهم تصير به اجسادهم حية كحياتها فى الدنيا ويكون لهم
القدرة والافعال الاختيارية فقد روى البيهقى فى الجزء الذى الفه فى حياة
الانبيا فى قبورهم عن انس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الانبيا احيا فى قبورهم
يصلون **وجاء** ان على بعد موتى كعلمى فى الحياة وروى ابو يعلى عن ابى هريرة رضى
الله تعالى عنه لينزلن عيسى بن مريم ثم ان قام على قبرى وقال يا محمد لاجيبنه ومن
ثم قال الامام السبكى حياة الانبيا والشهدا كحياتهم فى الدنيا ويشهد له صلاة
موسى عليه السلام فى قبره فان الصلاة تستدعى جسدا حيا وكذا الصفات
المذكورة فى الانبيا ليلة الاسرا كلها صفات الاجسام ولا يلزم من كونها حياة
حقيقة ان تكون الابدان معها كما كانت فى الدنيا من الاحتياج الى الطعام
والشراب واما الادراكات كالعلم والسماع فلا شك ان ذلك ثابت لهم ولساير
الموتى هذا كلامه وسائر الموتى شامل للكفار واكل الشهدا وشربهم فى البرزخ
لا عن احتياج بل لمجرد الاكرام وكون الشهدا اختصوا بذلك دون الانبيا
لا مانع منه لان المفضول قد يختص بما لا يوجد فى الفاضل الا ترى ان الدنيا حرمت
الصدقة وجوبا عليهم وحرمت على الشهدا وبهذا يرد قول بعضهم الاستدلال على حياة
الانبيا بقوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احيا عند ربهم
يرزقون والانبيا اولى بذلك لانهم اجل واعظم **وما** من نبى الا وقد جمع بين النبوة
ووصف الشهادة فيدخلون فى عموم لفظ الاية ولانه صلى الله عليه وسلم قال فى مرض
موته لم ازل اجد الم الطعام الذى اكلته بخيبر فهذا اوان انقطاع ابهرى من ذلك
السم فثبت كونه صلى الله عليه وسلم حيا فى قبره بنص القران اما من عموم اللفظ

او من مفهوم الموافقة ووجه رده ان الاولوية قد يمنع بل اصل القياس لما علمت
انه قد يوجد في المفضول ما لا يوجد في الفاضل والانبيا وان جمعوا بين النبوة
والشهادة الا ان المراد في الاية شهدا المعركة لا مطلق الشهدا اذ شهادة المعركة
لا مطلق الشهدا اذ شهادة المعركة لم تحصل لاحد من الانبيا **ثم لا يخفى** ان الذي
ثبت حياة الانبيا وصلاتهم في قبورهم وحجهم واما صومهم واكلهم وشربهم
في ذلك فلم اقف على ما يدل على ذلك في شي من الاحاديث والاثار وقياسهم في ذلك
على الشهدا علمت انه قد يمنع لما انه قد يوجد في المفضول ما لا يوجد في الفاضل
والذي يدل على انهم يحجون ما جا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما سرنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بين مكة والمدينة فمررنا بواد فقال اي واد هذا فقالوا وادي
الازرق فقال كاني انظر الى موسى واضعا اصبعيه في اذنيه له جوار الى الله تعالى
بالتلبية مارا بهذا الوادي ثم سرنا حتى اتينا على ثنية فقال كاني انظر الى يونس على
ناقة حمرا عليه جبة صوف مارا بهذا الوادي ملبيا وقد جا في موسى انه كان على بعير
وفي رواية على ثور ولا منافاة لجواز تكرر حجه او ركب البعير مرة والثور اخرى
ولا يخفى ان رزق الشهدا يصدق على الجماع لانه مما يتلذذ به كالاكل والشرب
ثم رايت سيدي ابا المواهب الشاذلي قال في كتابه المسمى بعنوان اهل السر
المصون في كشف عورات اهل المجون واخبر سبحانه عن الشهدا انهم احيا عند ربهم
يرزقون وحملها اهل العلم على الحقيقة انهم ياكلون ويشربون وينكحون حقيقة
وقال غيرهم هنا اي ان الاكل والشرب والنكاح عبارة عن لذة تحصل لهم كاللذة
الناشية عن الاكل والشرب والنكاح صرف للاية عن الظاهر من غير ضرورة تلجي
الى ذلك ثم قاس الانبيا على الشهدا في ذلك لما تقدم من انهم اجل واعظم
وما من نبي الا وقد جمع بين النبوة والشهادة وقد علمت جواز منع القياس ثم
رايت عن افتا شيخنا الشمس الرملي الانبيا والشهدا ياكلون في قبورهم ويشربون
ويصلون ويصومون ويحجون ووقع الخلاف هل ينكحون فقيل نعم وقيل لا وانهم
يثابون على صلاتهم وصومهم وحجهم ولا تكليف عليهم في ذلك لانقطاع التكليف
بالموت بل من قبيل التكرمة ورفع الدرجات هذا كلامه ولعل مستنده في اثبات
ما عدا الصلاة والحج للانبيا قياسهم على الشهدا وقد علمت ما فيه واثبات
الخلاف الذي ذكره شيخنا في نكاح الانبيا لا ادري هل هو خلاف اهل عصره
او من تقدمهم على ان اثبات النكاح للانبيا ربما يبعده ما ذكروه في حكمة قوله
صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم النسا والطيب حيث لم يقل من دنياي فلا

من الدنيا

من الدنيا فانه اشار بهذه الاضافة الى ان النسا والطيب من دنيا الناس لانهم
يقصدونهما للاستلذاذ وحظوظ النفس وهو عليه الصلاة والسلام منزه
عن ذلك وانما حبب اليه النسا لينقلن عنه محاسنه ومعجزاته الباطنة والا
السرية التي لا يطلع عليها غالبا وغير ذلك من الفوائد الدينية وحبب اليه الطيب
لملاقاته للملايكة لانهم يحبونه ويكرهون الريح الخبيث لان حقيقة الاكرام
ان يحصل له في البرزخ ما كان يتلذذ به في الدنيا ليكون حاله فيه كحاله في الدنيا
وفيه كحاله في الدنيا وفيه ان الحكمة المذكورة لا تناسب قوله صلى الله عليه وسلم
فضلت على الناس باربع وعد منها كثرة الجماع وهم كغيرهم في هذا التعلق يتفاوتون
بحسب تفاوتهم وانه يعبر عن قوة هذا التعلق بعود الحياة ومنه ما ذكر عن قتادة وبعود
الروح ومنه قول بعضهم ارواح الانبيا والشهدا بعد خروجها من اجسادهم تعود
الى تلك الاجساد في القبر ويعبر عنه بردها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ما من احد
يسلم علي الا رد الله تعالى علي روحي حتى ارد عليه السلام اي الا قوي تعلق روحي وذلك
اكراما لهذا المسلم حيث لا يرد عليه سلامه الا وقد قوي تعلق روحه الشريفة بجسده
الشريف والروح بناء على انها غير عرض مع كونها في مقامها لها تعلق بجسدها كالشمس في
السما الرابعة ولها تعلق بالارض وربما عبر عن ضعف هذا التعلق بصعودها
وطلوعها بناء على انها عرض نزولها هو وحفظها وقد اوضحت ذلك في النفحة
القلوتية في الاجوبة الحلبية عن الاسيلة القروية وهي اسيلة سيلت عنها من
بعض اهل القرى المصرية وذكرت ان هذا اولى مما اطال به الجلال السيوطي من
الاجوبة مع ما فيها مما لا يخفى ورايت في حديث عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لله ملكا اعطاه سمع العباد كلهم وانه
ليس من احد يصلي علي صلاة الا بلغنيها واني سالت ربي عز وجل ان لا يصلي علي احد
الا صلى الله عليه وسلم بها عشرة امثالها وذكر الحافظ الذهبي ان راوي هذا
الحديث تفرد به متنا وسندا والله اعلم وعن عايشة رضي الله عنها انها انكرت
قوله صلى الله عليه وسلم لقد سمعوا ما قلت وقالت انما قال لقد علموا ان الذي كنت اقول
حق وقالت انما اراد النبي صلى الله عليه وسلم اي بقوله في حق اهل القليب ما انتم
باسمع منهم انهم الآن ليعلمون ان الذي اقول لهم هو الحق اي لا انهم يسمعون ما اقول
بحاسة سمعهم التي كانت موجودة في الدنيا ثم قرات اي محتجة على ذلك قوله تعالى
انك لا تسمع الموتى الاية وبقوله وما انت بمسمع من في القبور واجيب بانه لا مانع
من ابقا السمع هنا على حقيقته لانا اذا قوي تعلق ارواح هولا الكفار باجسادهم

حكام

بحيث صاروا احيا كحياتهم فى الدنيا للغرض المذكور لا مانع من سماعهم بحاسة سمعهم لبقا محل تلك الحاسة منهم كما ان الجسد بذلك التعلق يقوى على الجلوس للسؤال في القبر والسماع المنفي في الابيتين بمعنى السماع النافع وقد اشار الى ذلك الجلال السيوطى بقوله نظما ؎

سماع موتى كلام الخلق قد ❁ جاءت به عندنا الاثار في الكتب

وآية النفي معناها سماع هدى ❁ لا يقبلون ولا يصغون للادب

لانه تعالى شبه الكفار الاحيا بالاموات في القبور في انهم لا ينتفعون بالدعا الى الاسلام النافع ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة بشيرا لاهل العالية اى وهى محل قريب من المدينة على عدة اميال وزيد بن حارثة بشيرا لاهل السافلة راكبا ناقته القصوى وقيل العضبا بما فتح الله على رسوله والمسلمين فجعل عبد الله بن رواحة ينادى فى اهل العالية يا معشر الانصار ابشروا بسلامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل المشركين واسرهم ونادى زيد بن حارثة فى اهل السافلة وقتل المشركين واسرهم ونادى زيد بن حارثة فى اهل السافلة بمثل ذلك اى ويقولان قتل فلان وفلان اى واسر فلان وفلان من اشراف قريش وصار عدو الله كعب بن الاشرف يكذبهما ويقول ان كان محمد قتل هولاء القوم فبطن الارض خير من ظاهرها قال اسامة بن زيد فاتانا الخبر حين سوينا التراب على رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم اى ولما عزى فيها صلى الله عليه وسلم قال الحمد لله دفن البنات من المكرمات وفى رواية من المكرمات دفن البنات ويجيبنى قول الباخرزى

القبر اخفى سترة للبنات ❁ ودفنها يروى من المكرمات

اما رايت الله عز اسمه ❁ قد وضع النعش بجنب البنات

وجاء عثمان من رقية هذه بولد يقال له عبد الله فاكتنى به وكان قبل ذلك يكنى ابا عمرو وتزوج بعدها اختها ام كلثوم بوحى فقد روى انه صلى الله عليه وسلم راى عثمان ابن عفان مهموما بعد موت رقية فقال له مالى اراك لهفانا مهموما فقال يا رسول الله وهل دخل على احد ما دخل على انقطع الصهر بينى وبينك بينما هو يحاوره اذ قال صلى الله عليه وسلم هذا جبريل يامرنى عن الله ان ازوجك اختها ام كلثوم على مثل صداقها وعلى مثل عشرتها فزوجه اياها ولما تزوجها دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بنية اين ابو عمرو قالت خرج لبعض حاجاته قال كيف رايت بعلك قالت يا ابت خير بعل وافضله قال يا بنية كيف لا كذلك وهو اشبه الناس بجدك ابراهيم واشبه اصحابى بى خلقا وجاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال الى جبريل ان اردت

ان تنظر

ان تنظر من اهل الارض شبيه يوسف الصديق فانظر الى عثمان بن عفان ولتزوجه بنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له ذو النورين ولم يجمع احد منذ ادم الى اليوم بين بنتى نبى غيره ومن ثم لما سئل على عنه قال ذاك امرئ يدعى في الملا الاعلى النورين ولما ماتت ام كلثوم تحته وذلك سنة تسع قال صلى الله عليه وسلم زوجوا عثمان لو كان لى ثالثة لزوجته اياها وما زوجته الا بوحى من الله وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال له لو ان لى اربعين زوجتك واحدة بعد واحدة بعد اخرى حتى لا يبقى منهن ؎ واحدة وام عثمان بنت عمته صلى الله عليه وسلم **اقول** وقال رجل من المنافقين لابى لبابة قد تفرق اصحابكم تفرقا لا يجتمعون بعده ابدا قد قتل محمد وغالب اصحابه وهذه ناقته عليها زيد بن حارثة لا يدرى ما يقول من الرعب قال اسامة فجئت حتى خلوت بابى لبابة وسالته عما اسره له الرجل فاخبرنى بما اخبره فقلت احق ما تقول قال اى والله حق ما اقول يا بنى فقويت نفسى ورجعت الى ذلك المنافق فقلت انت المرجف برسول الله صلى الله عليه وسلم لنقدمنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قدم فيضرب عنقك فقال انما هو شىء سمعته من الناس يقولونه انتهى اى وهذا كان قبل ان يجتمع اسامة بابيه زيد بن حارثة ثم اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة فلما خرج من مضيق الصفرا قسم النفل اى الغنيمة وكانت مائة وخمسين من الابل وعشرة افراس ومتاعا وسلاحا وانطاعا وثيابا وادما كثيرا حمله المشركون للتجارة ونادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه ومن اسر اسيرا فهو له اى كما تقدم ولعله تكرر ذلك منه مرتين مرة للتحريض على القتال ومرة عند القسمة على المسلمين بالسوية بعد الاختلاف فيه فادعى من قاتل العدو وصله انهم احق به وادعى من جمعه انهم احق به وادعى من كان يحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش الذى به صلى الله عليه وسلم وابو بكر في نفر من الانصار وفى رواية عن عبادة بن الصامت ان جماعة خرجت فى اثر العدو وعند انهزامه وجماعة اكبوا على جمع الغنيمة يجمعونها وجماعة عند انهزام العدو احدقوا به صلى الله عليه وسلم فى العريش خوفا ان يصيب العدو منه غرة ولعل هولاء كانوا زيادة عمن كان مع سعد ابن سعد بن معاذ على باب العريش فادعى من اكب على جمعها انهم احق بها وادعى من عداهم ان اولئك ليسوا باحق بها منهم اى كون جماعة احدقوا به بعد انهزام العدو قد يقال لا ينافى ذلك ما تقدم عن ابن سعد انه لما انهزم المشركون رئى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اثرهم بالسيف مصلتا يتلو هذه الاية سيهزم الجمع ويولون الدبر لجواز ان يكون خرج فى اثرهم برهة من الزمان ثم عاد الى العريش فاحدق به هولاء من

تقدم فانزل الله تعالى سورة الانفال يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول
فالنفل قد يطلق على الغنيمة كما هنا كما اشرنا اليه وسماها انفالا لانها زيادة في
اموال المسلمين وكذا الفيء المذكور في سورة الحشر التي نزلت في غزوة بني النضير يطلق
على الغنيمة وسمي فيئا لان الله افاءه على المؤمنين اى رده عليهم من الكفار فان الاصل
ان الله انما خلق الاموال اعانة على عبادته لانه انما خلق الخلق لعبادته فقد رد اليهم
ما يستحقونه كما يقال ويرد على الرجل ما غصب من ميراثه وان لم يقبضه قبل ذلك
ومن قول بعضهم كان اهل الفيء بمعزل عن اهل الصدقة واهل الصدقة بمعزل
عن اهل الفيء كان يعطى من الصدقة اليتيم والمسكين والضعيف فاذا احتلم اليتيم نقل
الى الفيء اى الى الغنيمة واخرج من الصدقة فنزعه الله تعالى من ايديهم فجعله الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم اى يضعه حيث شاء فدلت الاية على ان الغنيمة لرسول الله صلى
الله عليه وسلم خاصة ليس لاحد من المقاتلة شيء منها ثم نسخت هذه الاية بقوله تعالى
واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين
وابن السبيل والاربعة الاخماس الباقية للمقاتلة اى فكان ذلك الخمس خمسة
اخماس واحد له صلى الله عليه وسلم يفعل فيه ما احب والاربعة من ذلك الخمس لمن
ذكر في الاية والاربعة الاخماس الباقية تكون للمقاتلة وسيأتي في سرية عبد الله
ابن جحش لنخلة انه صلى الله عليه وسلم خمس العير الذي جاء به عبد الله كذلك فجعل
خمس ذلك لله واربعة اخماسه للجيش وقيل عبد الله هو الذي خمسها كذلك واقره
صلى الله عليه وسلم على ذلك وهي اول غنيمة في الاسلام واول غنيمة خمست فكان تخميسا
قبل نزول الاية لما علمت ان نزول تلك الاية كان بعد بدر فهي من الايات التي تأخرت
تلاوتها عن حكمها قال بعضهم وكان ابتداء تحليل الغنائم لهذه الامة في وقعة بدر كما
ثبت في الصحيحين وذلك في قوله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فاحل الغنيمة
لهم **اقول** وفيه ان هذا قد يعين القول بانه صلى الله عليه وسلم وقف غنائم نخلة
حتى رجع من بدر وبعضها ما سبق من انه صلى الله عليه وسلم خمسها او ان عبد الله هو
الذي خمسها قبل بدر واقره صلى الله عليه وسلم على ذلك وقد علمت ان ما اصابه من بدر قسمه
بين المسلمين سواء اى لم يميز فيها احد عن احد الراجل مع الراجل والفارس مع الفارس
سواء فيه تفضيل الفارس على الراجل في ذلك اليوم وسيأتي التصريح بذلك
وهذا يؤيد القول بان الجيش كان فيه خمسة افراس او فرسان دون القول بانه لم يكن
فيه الا فرس واحد على ما تقدم حتى هو صلى الله عليه وسلم كان سهمه كسهم واحد
منهم اى كفارس منهم بناء على ما تقدم انه كان له فرسان الا ما اصطفاه وهو سيفه

ذوالفقار

ذوالفقار كما سيأتي وحينئذ يكون قول سعد بن ابي وقاص يا رسول الله اتعطي
فارس القوم الذي يحميهم مثل ما تعطي الضعيف وفي مسند الامام احمد قال سعد
ابن ابي وقاص قلت يا رسول الله الرجل يكون حامية للقوم يكون سهمه وسهم
غيره سواء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثكلتك امك وهل تنصرون الا بضعفائكم
وما في مسند الامام احمد يدل على ان مراد سعد بالفارس القوي المقابل له في هذه
الرواية بالضعيف فلا ينافي انه اعطى الفارس لفرسه سهمين وله سهم كالراجل
وقد اسهم لمن لم يحضر لما امره صلى الله عليه وسلم بالتخلف لعذر منعه الحضور كعثمان
ابن عفان فانه تخلف لاجل مرض زوجته رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم او لما
كان فيه من الجدري على ما تقدم ولهذا اعد من البدريين وابي لبابة لانه خلفه على
اهل المدينة وعاصم بن عدي فانه خلفه على اهل قباء والعالية ولمن ارسل لكشف
العدو ويتجسس خبره فلم يحضر الا بعد انقضاء القتال وهما طلحة بن عبيد الله وسعيد
ابن زيد كما تقدم والحارث بن حاطب امره بامر في بني عمرو بن عوف وخوات بن جبير
والحارث بن الصمة لان كلا منهما كسر بالروحاء كما تقدم وبهذا يظهر التوقف في قول
الجلال السيوطي في الخصائص الصغرى وضرب لعثمان يوم بدر بسهم ولم يضرب
لاحد غاب غيره رواه ابو داود عن ابن عمر قال الخطابي هذا خاص بعثمان لانه كان
يمرض ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا كلامه ولم يسهم لاربعة عشر رجلا قتلوا
ببدر ولعلهم ما تروا بعد انقضاء الحرب فلا يشكل على ما قاله فقهاؤنا ان من مات قبل
انقضاء الحرب لا حق له وتنفل صلى الله عليه وسلم زيادة على سهمه سيفه ذا الفقار اي
وكان لمنبه بن الحجاج اى وقيل لابنه العاص قتل ايضا يوم بدر وقيل كان لعمه
نبيه وفي كلام ابي العباس ابن تيمية انه كان لابي جهل ثم اعطاه لمنبه بن الحجاج
او لغيره ممن ذكر لا ينافي او بالعكس لان سيف ابي جهل اخذه ابن مسعود كما
تقدم فلا يخالفه وتنفل ايضا صلى الله عليه وسلم جمل ابي جهل وكان مهريا ولم
يزل يغزو عليه حتى ساقه في هدي الحديبية كما سيأتي وهذا الذي كان ياخذه زيادة
على سهمه اى قبل قسمة القسمة اذا كان صلى الله عليه وسلم مع الجيش يقال له الصفي
والصفية عبدا او امة او دابة او سيفا او درعا لكن في الامتاع عن محمد بن ابي بكر
الصديق رضي الله تعالى عنهما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم صفي من المغنم حضر
او غاب قال بعضهم وهو محسوب من سهمه وقيل يكون زائدا عليه الا ان يقال ذلك
الذي وقع فيه الخلاف كان بعد نزول اية التخميس وهذا قبل ذلك فلا يخالف ما
سبق انه ما اخذه قبل القسمة كان زائدا على سهمه المساوي لسهام القوم وامر

عليًا فقتل النضر بن الحارث بالصفراء اي وفي الامتاع انه صلى الله عليه وسلم نظر الى
النضر وهو اسير فقال النضر للاسير الذي بجانبه محمد والله قاتلي فانه نظر الي بعينين
فيهما الموت فقال له والله ما هذا منك الا الرعب وقال النضر لمصعب بن عمير يا مصعب
انت اقرب من هنا الي رحما فكلم صاحبك ان يجعلني كرجل من اصحابي يعني
المأسورين هو والله قاتلي فقال مصعب انك كنت تقول في كتاب الله كذا وكذا
وتقول في نبيه كذا وكذا تعذب اصحابه وفي اسباب النزول للسيوطي واقره وكان
المقداد اسر النضر فلما امر بقتله قال المقداد يا رسول الله اسيري فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول في كتاب الله ما يقول وقد رثته اخته وقيل
بنته رضي الله تعالى عنها فانها اسلمت بعد ذلك يوم الفتح

امحمد يا خير ضنء كريمة ... في قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما ... من الفتى وهو المغيظ المحنق

وحين سمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى حتى اخضل اي بل لحيته وقال
لو بلغني هذا الشعر قبل قتله لمننت عليه اي لقبلت شفاعتها عندي بهذا الشعر
وليس معناه الندم لانه صلى الله عليه وسلم لا يفعل الا حقا اي وكان للنضر هذا اخ
يقال له النضير بالتصغير وكان اسن المهاجرين وقيل كان من مسلمة الفتح
وربما يدل له انه صلى الله عليه وسلم امر له بمائة بعير من غنائم حنين فجاءه شخص يبشره
بذلك فقال لا اخذها لاني احسب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعطني ذلك
الا تألفا على الاسلام وما اريد ان ارتشي على الاسلام فقيل له انها عطية رسول
الله صلى الله عليه وسلم واعطى المبشر منها عشرة ابعرة ثم قتل عقبة بن ابي معيط
بعرق الظبية بضم الظاء المعجمة وهي شجرة يستظل بها وقال حين قدم للقتل من
للصبية يا محمد قال النار وجاء عن ابن عباس ان عقبة لما قدم للقتل نادى يا معشر
قريش ما لي اقتل من بينكم صبرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك وافترائك
على رسول الله اي وفي لفظ ببزاقك في وجهي اي فان عقبة كان يكثر مجالسته صلى
الله عليه وسلم واتخذ ضيافة فدعا اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فابى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابي بن
خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت يا عقبة قال لا ولكن ابى ان يأكل من طعامي وهو
في بيتي فاستحييت منه فشهدت له الشهادة وليست في نفسي فقال وجهي من وجهك
حرام ان لقيت محمدا فلم تطأ قفاه وتبزق في وجهه وتلطم عينه فوجده ساجدا في دار
الندوة ففعل به ذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا القاك خارج مكة الا

علوت رأسك بالسيف كذا في الكشاف وفي لفظ اخر بكفرك وفجورك وعتوك على الله
وعلى رسوله وانزل الله فيه ويوم يعض الظالم على يديه الاية وذكر ابن
قتيبة انه صلى الله عليه وسلم لما امر بقتل عقبة قال له يا محمد ناشدتك الله والرحم
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل انت الا يهودي من اهل صفورية وفي رواية
قال له انما انت يهودي من اهل صفورية اي لا رحم بيننا وبينك لان امية جد ابيه
خرج الى الشام لما نافر عمه هاشم كما تقدم فاقام بصفورية فوقع على امة يهودية
من اهل صفورية فولدت له ابا عمرو الذي هو والد ابي معيط على فراش اليهودي
فاستلحقه ثم قدم به مكة وكناه بابي عمرو وسماه ذكوان مع ان الولد للفراش وقيل
كان عبدا لامية فتبناه فلما مات امية خلفه على زوجته ويدل لهذا الثاني ما ذكره
بعض المورخين ان معاوية رضي الله عنه سال رجلا كم عمرك قال ادركت ومائتا
سنة قال كيف رأيت الزمان فقال سنيات بلاء وسنيات رخاء يهلك والد ويخلف
مولود فلولا الهالك لامتلأت الدنيا ولولا المولود لم يبق احد قال فهل رأيت امية
يعني جده قال نعم يقوده ذكوان عبده قال كف فقد جاء غير ما ذكرت والقاتل لعقبة
عاصم وقيل علي رضي الله تعالى عنه اي وقيل صلب على الشجرة اقول قال محمد بن حبيب
الهاشمي هو اول مصلوب في الاسلام ورده ابن الجوزي بان اول من صلب في الاسلام
حبيب بن عدي وقد يقال لا مخالفة لان المراد بالثاني اول مصلوب من المسلمين
وبالاول اول مصلوب من الكفار وذكر ان اول من استعمل الصلب فرعون
ولعل المراد به فرعون موسى بن عمران لا فرعون ابراهيم الخليل فهو اول الفراعنة
ولا فرعون يوسف بن يعقوب فهو ثاني الفراعنة وفي قول ان فرعون يوسف هذا
هو فرعون موسى انه بقي الى زمن موسى وكان هلاكه على يده وفي كلام
ابن قتيبة عن سعيد بن جبير ضم طعيمة بن عدي الى عقبة بن ابي معيط والنضر بن
الحارث اي انه ممن قتل معهما صبرا وفيه نظر فقد تقدم ان القاتل له حمزة في الحرب
وسيأتي في احد ان قاتل حمزة كان يترقب قتله لطعيمة المذكور ثم سار رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى قدم المدينة قبل الاسارى بيوم اي وروى عن ابن عباس
انه صلى الله عليه وسلم قال لما قدمت الى المدينة وكنت جائعا استقبلتني امرأة يهودية
على رأسها جفنة فيها جدي مشوي فقالت الحمد لله يا محمد الذي سلمك كنت نذرت
لله ان قدمت المدينة سالما لاذبحن هذا الجدي ولاشوينه ولاحملنه اليك لتأكل
منه فانطق الله الجدي فقال يا محمد لا تأكلني فاني مسموم اي بخلاف ما وقع له
في خيبر فانه لم يخبره الذراع بذلك الا بعد اكله منه كما سيأتي وسيأتي انه قال

المراة عن سبب ذلك وهنا لم ينسالا فلما قدم المدينة اى قاربها خرج المسلمون للقائه
وتهنيته بما فتح الله عليه فتلاقوا معه بالروحا اى وقال لهم سلمة بن سلامة بن وقش
ما الذى تهنونا به فوالله ان لقينا اى ما لقينا الا عجائز صلعا كالبدن المعقولة
فنحرناها فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اولئك الملا اى الاشراف ۵
والرؤسا وتلقته الولايد عند دخوله المدينة بالدفوف والولايد جمع وليدة وهى
الصبية والامة وتلك الولايد يقلن ۵

طلع البدر علينا ❁ من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ❁ ما دعا لله داعى

وتلقاه اسيد بن الحضير فقال له الحمد لله الذى اظفرك واقر عينك ولما اقبلوا
من بدر فقدموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقفوا فجا رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقعد على فقالوا يا رسول الله فقدناك فقال ان ابا الحسن وجد مغسا
فى بطنه فتخلفت عليه ثم لما قدمت الاسارى فرقهم بين الصحابة وقال استوصوا
بهم خيرا وكان اول من قدم مكة بمصاب قريش بن عبد عمرو رضى الله تعالى عنه
فانه اسلم بعد ذلك فقال قتل عتبة وشيبة وابو الحكم وامية وفلان وفلان
وفلان من اشراف قريش اى واسر فلان وفلان فقال صفوان بن امية وكان يقال
له سيد البطحا وكان من افصح قريش لسانا وكان جالسا فى الحجر والله ان يعقل
اى ما يعقل هذا سلوه عنى فسالوه اى قالوا له ما فعل صفوان فقال هو ذاك
الجالس فى الحجر وقد رايت اباه واخاه حين قتلا وعن عكرمة مولى ابن عباس قال قال
ابو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب
اى ثم وهبه العباس له صلى الله عليه وسلم وسياتى الكلام عليه فى السرايا وكان
العباس اسلم واسلمت زوجته اى ام الفضل قيل انها اول امراة اسلمت بعد خديجة
كما تقدم وهى ام اولاده وهم عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن والفضل وقثم ومعبد
وام حبيب قيل راها صلى الله عليه وسلم وهى تدب بين يديه فقال ان بلغت وانا حى تزوجتها
فقبض صلى الله عليه وسلم قبل ان تبلغ قال ابن الجوزى فليس فى الصحابيات من كنيتها
ام الفضل الا زوج العباس قال ابو رافع واسلمت انا وكنا نكتم الاسلام اى
لان العباس كان يكره خلاف قومه لانه كان ذا مال كثير واكثره متفرق فيهم
۵ اى وسياتى الجواب عن كونه اسر واخذ منه الفداء مع كونه مسلما وسياتى انه لم يظهر
اسلامه الا يوم الفتح فلما جا الخبر عن مصاب قريش ببدر سرنا ذلك اذ اقبل ابو
لهب يجر رجليه بشر حتى جلس عندنا اذ قدم ابو سفيان بن الحارث وكان مع قريش

فى بدر فقال له ابو لهب هلم الى عندك الخبر فقال والله ما هو الا ان لقينا القوم فمنحناهم
اكتافنا يقتلوننا كيف شاؤا ويأسروننا كيف شاؤا وايم الله ما لمت الناس
لقينا رجال بيض على خيل بلق بين السماء والارض والله ما يقوم لها شى قال ابو رافع
فقلت والله تلك الملائكة فرفع ابو لهب يده فضرب وجهى ضربة شديدة وثاورته
اى واثبته اى قام كل للاخر فاحتملنى وضرب بى الارض ثم برك على يضربنى فقامت
ام الفضل الى عمود وضربته به ضربة فى راسه اثرت شجة منكرة وقالت استضعفته
ان غاب سيده يعنى العباس فقام موليا ذليلا فوالله ما عاش الا سبع ليال حتى رمى
بالعدسة اى ما عاش صحيحا قبل ان يرمى بالعدسة الا سبع ليال اى وهى بثرة
تشبه العدسة من جنس الطاعون فقتلته فلم يحفروا له حفيرة ولكن اسندوه
الى الحائط وقذفوا عليه الحجارة من خلف الحائط حتى واروه اى لان العدسة قد كانت
العرب تتشاءم بها ويرون انها تعدى اشد العدوى فلما اصابت ابا لهب تباعد عنه
بنوه وبقى بعد موته ثلاثا لا تقرب جنازته ولا يحاول دفنه حتى انتن فلما خافوا
السبة اى سب الناس لهم فى تركه فعلوا به ما ذكر وفى رواية حفروا له ثم دفعوه
بعود فى حفيرته وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه وعن عايشة رضى الله تعالى
عنها انها كانت اذا مرت بموضعه ذلك غطت وجهها اقول قال فى النور وهذا القبر
الذى يرجم خارج باب شبيكة اى الان ليس بقبر ابى لهب وانما قبر رجلين لطخا
الكعبة بالعذرة وذلك فى دولة بنى العباس فان الناس اصبحوا وجدوا الكعبة
ملطخة بالعذرة فرصدوا الفاعل فمسكوهما بعد ايام فصلبا فى ذلك الموضع فصارا
يرجمان الى الان والله اعلم فلما ظهر الخبر ناحت قريش على قتلاهم اى شهرا وجز النسا
شعورهن وكن ياتين بفرس الرجل او راحلته وتستر بالستور وينحن حولها وخرجن
الى الازقة ثم اشير عليهم ان لا تفعلوا فيبلغ محمدا واصحابه فيشمتوا بكم وتواصوا على
ذلك وكان الاسود بن المطلب اصيب له فى بدر ثلاثة ولداه وولد ولده وكان
يحب ان يبكى عليهم وكان قد ذهب بصره وكان من المستهزئين بالنبى صلى الله عليه وسلم واصحابه
اذا راوهم يقول قد جاءكم ملوك الارض ومن يغلب على ملك كسرى وقيصر ويكلم رسول
الله صلى الله عليه وسلم بما يشق عليه فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمى
وتقدم ذلك وتقدم سبب عماه وفى كلام بعضهم كان صلى الله عليه وسلم
دعى على الاسود هذا بان يعمى الله تعالى بصره ويثكل ولده فاستجاب الله تعالى له سبق
العمى الى بصره اولا ثم اصيب يوم بدر بعين بنا من ولده اى وهو زمعة واخوه عقيل
فانهما قتلا كافرين ببدر فتمت اجابة الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم فاذا به

قد سمع صوتا باكية بالليل فقال لغلامه انظر هل احل النحب اى البكا هل يبكي قريش
على قتلاهم لعلي ابكي فان جوفي قد احترق فلما رجع الغلام قال انما هي امراة تبكي
على بعير لها اضلته فانشد ابيات

اتبكي ان يضل لها بعير ● ويمنعها من النوم السهود
فلا تبكي على بكر ولكن ● على بدر تقاصرت الجدود

والسهود بضم السين المهملة عدم النوم والبكر الفتي من الابل والجدود
بضم الجيم جمع جد بفتحها وهو الحظ والسعد قال وقد جا في بعض الروايات اختلاف
الصحابة فيما يفعل بالاسرى لما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترون
في هولاء الاسرى ان الله قد مكنكم منهم اى وقد يخالف هذا ما سبق من قوله ان من
اسر اسيرا فهو له وقد يقال لا مخالفة لان معنى كونه له انه مخير فيه بين قتله واخذ
فدائه ولعله لا يخالف ما تقدم انه صلى الله عليه وسلم لما اراد قتل النضر قال
المقداد وكان اسره يا رسول الله اسيري فقال له انه كان يقول في كتاب الله ما
يقول وفي رواية استشار صلى الله عليه وسلم ابا بكر وعمر وعليا اى وفي رواية
ابا بكر وعمر وعبد الله بن جحش فيما هو الاصلح من الامرين القتل والاخذ للفدا فقال
ابو بكر رضي الله تعالى عنه يا رسول الله هم اهلك وقومك وفي رواية هولاء بنو العم
والعشيرة والاخوان قد اعطاك الله الظفر ونصرك عليهم ارى ان تستبقيهم
وتاخذ الفدا منهم فيكون ما اخذنا منهم قوة لنا على الكفار وعسى الله ان يهديهم
بك فيكونون لنا عضدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقول يا ابن الخطاب قال
يا رسول الله قد كذبوك واخرجوك وقاتلوك ما ارى ما راى ابو بكر ولكن ارى ان
تمكنني من فلان قريب وفي لفظ نسيب لعمر فاضرب عنقه وتمكن عليا من اخيه
عقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزة من فلان اخيه اى العباس فيضرب عنقه حتى يعلم
الله انه ليس في قلوبنا مودة للمشركين ما ارى ان تكون لك اسرى فاضرب اعناقهم هولا
صناديدهم وايمتهم وقادتهم اى وقال ابن رواحة انظر واديا كثير الحطب فاضرم
عليهم نارا فقال العباس وهو يسمع ثكلتك رحمك فدخل رسول الله صلى الله
عليه وسلم البيت اى ولم يرد عليهم فقال بعض الناس ياخذ بقول ابي بكر وقال
بعض الناس ياخذ بقول ابن رواحة لم يقل قايل ياخذ بقول عمر ثم خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ان الله ليلين قلوب اقوام فيه حتى تكون الين من اللين وان
الله ليشدد قلوب اقوام فيه حتى تكون اشد من الحجارة مثلك يا ابا بكر في الملايكة
مثل ميكايل ينزل بالرحمة لعله لا ينزل الا بالرحمة فلا ينافي ان جبريل ينزل بالرحمة

في بعض

في بعض الاحايين كما تقدم قريبا ومن ثم جا في الحديث ارأف امتي بامتي ابو بكر ومثلك
في الانبيا مثل ابراهيم حيث يقول فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم
ومثلك يا ابا بكر مثل عيسى بن مريم اذ قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم
فانك انت العزيز الحكيم قيل ان قوله انت العزيز الحكيم من مشكلات الفواصل
اذ كان مقتضى الظاهر فانك انت الغفور الرحيم ورد الفواصل بان العزيز الذي
لا يغلبه احد ولا يغفر لمن استحق العذاب الا من ليس فوقه احد يرد عليه حكمه والحكيم
هو الذي يضع الشي في محله ومثلك يا عمر في الملايكة مثل جبريل نزل بالشدة
والباس والنقمة على اعدا الله تعالى اى اغلب احواله ذلك فلا ينافي انه ينزل
بالرحمة في بعض الاوقات كما تقدم ومثلك في الانبيا مثل نوح اذ قال رب لا تذر
على الارض من الكافرين ديارا ومثلك في الانبيا مثل موسى اذ قال ربنا اطمس
على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يومنوا حتى يروا العذاب الاليم قال الجلال
السيوطي في الخصايص الصغرى ومن خصايصه ان من اصحابه من يشبه بجبريل
وبابراهيم وبنوح وبموسى وبعيسى وبيوسف وبلقمان الحكيم وبصاحب يس هذا
كلامه وقد علمت ان ابا بكر شبه بميكايل ولم يذكر ميكايل فلينظر من شبه من اصحابه
بيوسف ثم رايتني ذكرت فيما تقدم قريبا انه عثمان بن عفان ولينظر من
شبه من اصحابه بلقمان وبصاحب يس ثم قال صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر
لو اتفقتما ما خالفتكما فلا يفلتن منهم احد الا بفدا او ضرب عنق وقد وقع له
صلى الله عليه وسلم انه قال مثل ذلك لهما وقد اختلفا في تولية شخصين اراد صلى
الله عليه وسلم تولية احدهما على بني تميم فقال ابو بكر يا رسول الله استعمل فلانا وقال
عمر يا رسول الله استعمل فلانا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انكما لو اجتمعتما
لا اخذت برايكما ولكنكما اختلفتما على احيانا فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقدموا
بين يدي الله ورسوله واستدل بقوله مثلك يا ابا بكر الخ على جواز ضرب المثل من
القران وهو جايز في غير المزح ولغو الحديث والاكثر ونسبة الاختلاف في اسارى
بدر لابي بكر وعمر لا يخالف ما سبق من نسبته للصحابة رضي الله تعالى عنهم لانه يجوز ان
يكونوا هم المرادون بالصحابة وعدم ذكر علي رضي الله تعالى عنه مع ادخاله في الا
ستشارة وكذا عبد الله بن جحش على ما تقدم لانه يجوز ان يكون وافق احدهما
اى وقد ذكر ابن رواحة مع عدم ادخاله في الاستشارة فلما كان الغد
غدا عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول
الله ما يبكيك فان وجدت بكا بكيت والا تباكيت لبكايكما فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم ان كان لمسنا في خلاف ابن الخطاب عذاب عظيم لو نزل عذاب ما
افلت منه الا ابن الخطاب وفي مسلم والترمذي عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم
قال لعمر رضي الله تعالى عنه ابكي للذي عرض على اصحابك من اخذهم الفداء اي للعذاب
كاد يقع على اصحابك لاجل اخذهم الفداء اي ارادة اخذه لقد عرض علي عذابهم
ادنى اي اقرب من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه صلى الله عليه وسلم وانزل الله
تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله
يريد الاخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب
عظيم الايات اقول قال بعضهم في هذه الايات دليل على انه يجوز الاجتهاد للانبيا
لان العتاب الذي في الايات لا يكون فيما صدر عن وحي ولا يكون فيما كان صوابا وانه
يجوز ان يقع خطا ولكن لا يتركون فيه بل ينبهون على الصواب وتقدم جوازه
الاجتهاد له مطلقا لا في خصوص الحرب واستثنا عمر ربما يفيد ان جميع الصحابة
رضي الله تعالى عنهم وافقوا ابا بكر على اخذ الفدا وخالفوا عمر مع انه تقدم قريبا
ان سعد بن معاذ كره ذلك قبل عمر فقد تقدم ان المسلمين لما وضعوا ايديهم يأسرون
راى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سعد بن معاذ فوجد في وجهه الكراهية لما
يصنع القوم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لكانك يا سعد تكره ما يصنع
القوم قال اجل والله يا رسول الله كانت اول وقعة اوقعها الله تعالى باهل الشرك
فكان الاثخان في القتل احب الي من استبقا الرجال ومن ثم قال لو نزل عذاب لم يفلت
منا الا ابن الخطاب وسعد بن معاذ كما سياتي وفيه ان ابن رواحة كره ذلك واشار
باحراقهم بالنار وفي الاصل ان جبريل نزل على النبي صلى الله عليه وسلم في اسارى بدر فقال
ان شئتم اخذتم منهم الفدا ويستشهد منكم سبعون بعدد ذلك فنادى النبي صلى الله
عليه وسلم في اصحابه فجاءوا او من جا منهم اي ومنهم المعظم فقال ان هذا جبريل يخيركم بين
ان تقدموهم فتقتلوهم وبين ان تفادوهم ويستشهد قابل منكم بعدتهم فقالوا بل نفاديهم
فنتقوى به عليهم ويدخل قابل منا الجنة سبعون وفي لفظ ويستشهد منا عدتهم
فليس في ذلك ما نكره وهو كما ترى يدل على ان الصحابة وافقوا ابا بكر على اخذ الفدا
ولعل هذا الاخبار بالتخيير كان بعد تلك الاستشارة التي تكلم فيها ابو بكر وعمر
وان بكاه كان بعد هذه الاستشارة الثانية وقول صاحب الهدى بكا وهو صلى
الله عليه وسلم وبكا الصديق رحمة خشية ان العذاب يعم ولا يصيب من اراد ذلك
خاصة يفيد ان الذي اشار باخذ الفدا طايفة من الصحابة لا كلهم اقول وفيه
ان هذا يشكل عليه قوله لو نزل العذاب ما افلت منه الا ابن الخطاب وسعد بن

معاذ فان فيه تصريح بان العذاب لو وقع لا يعم وانه لا يصيب الا من اشار بالفدا وفيه
ان من اشار بالفدا غايته الامر انهم اختاروا غير الاصلح من الامرين واختيار غير الاصلح
لا يقتضي العذاب على انه حل اخذ الفدا علم مما سوا فقد فعل عبد الله بن جحش التي قتل فيها
ابن الحضرمي فانه اسر فيها عثمان بن المغيرة والحكم بن كيسان ولم ينكره الله تعالى وذلك
قبل بدر بازيد من عام الا ان يقال اراد الله تعالى تعظيم امر بدر لكثرة الاسارى فيها
مع شدة تصليهم في قتاله صلى الله عليه وسلم وفي المواهب كلام في الاية المذكورة
يتامل فيه والله اعلم ولا ينافي قتل سبعين منهم في مقابلة في احد كون بعض الاسارى
في بدر مات في الاسر فلم يوخذ فداوه وهو مالك بن عبيد الله اخو طلحة بن عبيد الله وكون
بعضهم اطلق من غير فدا لان المنكر عدم قتل اوليك السبعين الذين اسروا فقال بعضهم
اتفق اهل العلم بالسير على ان المخاطبين بقوله تعالى اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم
مثليها هم اهل احد اي قد اصبتم يوم بدر مثلي من استشهد منكم يوم احد سبعين قتيلا
وسبعين اسيرا والله اعلم وتواصت قريش على ان لا يعجلوا في طلب فدا الاسرى لئلا يتغالى
محمد واصحابه في الفدا فلم ينفذ لذلك المطلب بن ابي وداعة السهمي بل خرج من الليل
خفية وقدم المدينة واخذ اباه باربعة الاف درهم وقد كان صلى الله عليه وسلم قال
لاصحابه لما راى ابا وداعة اسيرا ان له بمكة ابنا كيسا تاجرا ذا مال وكانكم به قد جاء
في طلب فدا ابيه اي فكان اول اسير فدي واسم ابي وداعة الحارث وذكر
في الصحابة قال الزبير بن بكار زعموا انه كان شريكا للنبي صلى الله عليه وسلم بمكة
اي والمشهور ان شريكه انما هو السايب بن ابي السايب الذي قال في حقه وقد اسلم يوم
الفتح وقد جعل الناس يثنون عليه انا اعلمكم به هذا شريكي نعم الشريك كان لا يداري
ولا يماري وفي رواية انه لما قال صلى الله عليه وسلم انا اعلمكم به قال صدقت بابي انت وامي
كنت شريكي فنعم الشريك لا تداري ولا تماري وعند ذلك بعثت قريش في فدا
الاسارى وكان الفدا فيهم على قدر اموالهم وكان من اربعة الاف الى ثلاثة الاف درهم
الى الفين ومن لم يكن معه فدا اي وهو يحسن الكتابة دفع اليه عشرة غلمان من
غلمان المدينة يعلمهم الكتابة فاذا تعلموا كان ذلك فداه وجا جبير بن مطعم وهو كافر
اي الى المدينة يسال النبي صلى الله عليه وسلم في اسارى بدر فقال له صلى الله عليه وسلم
لو كان شيخك او الشيخ ابوك حيا فاتانا فيهم لشفعناه وفي رواية لو كان شيخك او
الشيخ ابوك حيا فاتانا فيهم لشفعناه وفي رواية لو كان مطعم حيا وكلمني في هولاء
النفر وفي رواية في هولاء النتنا لتركتهم له لان المطعم كان اجار النبي صلى الله عليه
وسلم لما قدم من الطايف وكان ممن سعى في نقض الصحيفة كما تقدم ذلك وكان من

جملة الاسارى عمرو بن ابى سفيان بن حرب اخو معاوية اى اسره على بن ابى طالب رضى
الله تعالى عنه ٥ فقيل لابى سفيان افد عمرا ابنك قال ايجمع على دمى ومالى قتلوا حنظلة
يعنى ابنه وهو معتق ام حبيبة ام المؤمنين وافدى عمرا دعوه فى ايديهم يمسكونه
ما بدا لهم فبينما ابو سفيان اذ وجد سعد بن النعمان اخو بنى عمرو بن عوف اى وقد
وقدم المدينة معتمرا فعدا عليه ابو سفيان فحبسه بابنه عمرو فمضى بنو عمرو بن
عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه خبر سعد بن النعمان وسألوه ان
يعطيهم عمرو بن ابى سفيان فيفكون به صاحبهم ففعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم فبعثوا به الى ابى سفيان فخلى سبيل سعد اى ولم يذكر عمرو وهذا فيمن اسلم
من الاسارى والظاهر انه مات على شركه وكان فى الاسارى زوج بنت
النبى صلى الله عليه وسلم زينب وهو ابو العاص بن الربيع بكسر الموحدة وتشديد
الياء مفتوحة قال فى الاصل ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم اى بناء على ما تقوله
العامة ان ختن الرجل زوج ابنته والمعروف لغة ان ختن الرجل اقارب زوجته
مثل ابيها واخيها ومع ذلك لا ينبغى ان يقال فى حق رسول الله صلى الله عليه وسلم
ختن ابى العاص ولا ختن على لابهامه النقص وفى حفظى ان عند المالكية من قال عنه
صلى الله عليه وسلم يتيم ابى طالب وختن حيدرة كان مرتدا وفى عبارة او بدل الواو
وروايته او ميتته للمرادى من روايتنا لو او ان ما افهمه من اعتبار الجمع ليس مرادا اه
وحيدرة اسم على رضى الله تعالى عنه واسم الربيع لقيط رضى الله تعالى عنه فانه اسلم
بعد ذلك كما سيأتى وهو ابن خالتها هالة بنت خويلد اخت خديجة ام المؤمنين رضى الله
تعالى عنها وابو ولدها على الذى اردفه صلى الله عليه وسلم خلفه يوم الفتح مكة ومات
مراهقا وابو بنتها امامة التى كان يحملها صلى الله عليه وسلم فى الصلاة اى وكان يحبها
حبا شديدا فعن عائشة رضى الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اهديت
له هدية فيها قلادة من جزع فقال لادفعنها الى احب اهلى الى فقال النساء ذهبت
بها ابنة ابى قحافة فدعى رسول الله صلى الله عليه وسلم امامة بنت زينب فاعلقها
فى عنقها وتزوجها على بعد موت خالتها فاطمة رضى الله تعالى عنها بوصية من فاطمة
زوجها له الزبير بن العوام وكان ابوها اوصى بها الى الزبير ومات عنها فتزوجها المغيرة
ابن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب فماتت عنده وكان تزويجها للمغيرة بوصية
من على رضى الله تعالى عنه فانه لما حضرته الوفاة قال لها انى لا آمن ان يخطبك معاوية
ولعل هذا الطاغية بعد موتى فان كان لك فى الرجال حاجة فقد رضيت لك
المغيرة بن نوفل عشيرا فلما انقضت عدتها ارسل معاوية الى مروان ان يخطبها

عليه

عليه ويبذل لها مائة الف دينار فلما خطبها ارسلت الى المغيرة بن نوفل ان هذا
الرجل ارسل يخطبنى فان كان لك حاجة فاقبل فجاء وخطبها من الحسن بن على فزوجها
منه اى ولا يخالف ما تقدم ان المزوج لها الزبير بن العوام لانه يجوز ان يكون الحسن
كان هو المسبب فى تزويج الزبير لها فبعثت زينب فى فداء زوجها ابى العاص قلادة لها
كانت امها خديجة ادخلتها بها عليه حين بنى بها اى وجاء بها اخوه عمرو بن الربيع ولا يعلم
لعمرو هذا اسلام فلما رأى تلك القلادة رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها رقة شديدة
وقال للصحابة ان رأيتم ان تطلقوا لها اسيرها وتردوا عليها القلادة فافعلوا قالوا نعم
يا رسول الله فاطلقوه وردوا القلادة عليها وشرط عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يخلى سبيل زينب اى ان تهاجر الى المدينة اى وقد كان كفار قريش مشوا اليه ان
يطلق زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما طلق ولدا ابى لهب بنتى النبى صلى
الله عليه وسلم قبل الدخول رقية وام كلثوم كما تقدم وقالوا له نزوجك اى امرأة
من قريش شئت فابى ذلك وقال والله لا افارق صاحبتى وما احب ان لى بها امرأة من قريش
فشكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك واثنى عليه بذلك خيرا فلما وصل ابو العاص
مكة امرها باللحوق بابيها فخرجت وقد كان صلى الله عليه وسلم ارسل زيد بن حارثة ورجلا
من الانصار قال لهما تكونا ببطن كذا المحل قريب من مكة حتى تمر بكما زينب فتصحباها
حتى تأتيا بها اى وذكر ان حموها كنانة بن الربيع اخو زوجها قدم لها بعيرا
فركبته واخذ قوسه وكنانته ثم خرج بها نهارا يقودها فى هودج لها وكانت حاملا
فتحدث بذلك رجال من قريش فخرجوا فى طلبها حتى ادركوها بذى طوى فكان اول
من سبق اليها هبار بن الاسود رضى الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك ونخس البعير
بالرمح فوقعت والقت حملها وفى رواية انه سبق اليها هبار ورجل اخر يقال له نافع
وقيل خالد بن عبد قيس ثم ان كنانة برك ونثر كنانته واخذ قوسه وقال والله
لا يدنو منى رجل الا وضعت فيه سهما فجاء اليه ابو سفيان فى رجال من قريش وقال
كف عنا نبلك حتى نكلمك فكف ثم قال له انك لم تصب فى فعلك ما نابت خرجت بالمرأة
نهارا على رءوس الاشهاد وقد عرفت مصيبتنا التى كانت وما دخل علينا من محمد فيظن
الناس اذا خرجت زينب علانية على رءوس الناس من بين اظهرنا ان ذلك عن ذل
اصابنا وان ذلك منا ضعف ووهن ولعمرى ما لنا بحبسها عن ابيها من حاجة ولكن
ارجع بها حتى اذا هدأت الاصوات وتحدث الناس ان قد رددناها فسر بها سرا فالحقها
بابيها ففعل واقام ليالى ثم خرج بها ليلا حتى اسلمها الى زيد بن حارثة وصاحبه
وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لزيد بن حارثة الا تنطلق فتجئ بزينب قال بلى

يارسول الله قال لحد خاتمى فاعطها فانطلق زيد فلم يزل يتلطف حتى لقى راعيا فقال
لمن ترعى قال لابى العاص قال فلمن هذه الغنم قال لزينب بنت محمد فتكلم معه ثم قال
له هل ان اعطيتك شيا تعطها اياه ولا تذكره لاحد قال نعم فاعطاه الخاتم فانطلق
الراعى الى زينب فادخل غنمه واعطاها الخاتم فعرفته فقالت من اعطاك هذا
قال رجل قالت فاين تركته قال بمكان كذا وكذا فسكتت حتى اذا كان الليل خرجت
اليه فلما جائته قال لها زيد اركبى بين يدى على بعيرى قالت لا ولكن اركب انت بين يدى
فركب وركبت خلفه حتى اتت المدينة وذلك بعد شهرين من بدر **وكان** رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول زينب افضل بناتى اصيبت فى اى بسببى ومن العجب ان هذه
العبارة ساقها الامام سراج الدين البلقينى فى فتاويه فى حق فاطمة حيث قال
وقد روى البزار فى مسنده من طريق عايشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه
وسلم قال لفاطمة هى خير بناتى لانها اصيبت فى هذا كلامه وليستظر ما الذى
اصيبت فاطمة بسببه صلى الله عليه وسلم وقد يقال اصابتها بسببه صلى الله عليه
وسلم وقد يقال اصابتها بسببه موته صلى الله عليه وسلم فى حياتها ثم رايت الحافظ
ابن حجر اجاب بذلك حيث قال انها رزيت بابيها فكان فى صحيفتها اى فهو من اعلام
نبوته او ان قوله فى زينب ما ذكر كان قبل ما وهب الله لفاطمة من الكمالات وقد
سئل الامام البلقينى رحمه الله هل بقية بناته صلى الله عليه وسلم اى بعد فاطمة
سواء فى الفضل او يفضل بعضهن على بعض ولم يجب عن ذلك ولا يخالف بين خروج
زينب الى زيد وخروج حموها الى زيد وبهذا اى بتاخر هجرة زينب يظهر التوقف
فى قول ابن اسحاق اما بناته فكلهن ادركن الاسلام واسلمن وهاجرن معه الا ان
يقال المراد اشتركن معه فى الهجرة وتقدم ما فى قوله واسلمن وكون الجائى فى فدا
ابى العاص اخوه عمرو يخالف ما جا ان زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ارسلت فى فدا ابى العاص العاص واخيه عمرو بن الربيع بمال وبعثت فيه بقلادة
الحديث ولعلها تصحيف وان الاصل بعثت فى فدا ابى العاص اخاه عمرو بن الربيع
ويدل لذلك انه صلى الله عليه وسلم قال فى هذه الرواية ان رايتم ان تردوا لها اسيرها
فاطلقوه ولم يقل اسيريها وكان فى الاسارى سهيل بن عمرو العامرى وتقدم انه
كان من اشراف قريش وخطبائها فقد سئل سعيد بن المسيب عن خطباء قريش فى
الجاهلية فقال الاسود بن المطلب وسهيل بن عمرو وسئل عن خطبائهم فى الاسلام
فقال معاوية بن ابى سفيان وابنه يعنى يزيد وسعيد بن العاص وابنه يعنى عمرو
ابن سعيد وعبد الله بن الزبير ولعل هذا لا يخالف ما تقدم من قول الاصمعى الخطباء

من

من بنى مروان عتبة بن ابى سفيان اخو معاوية وعبد الملك بن مروان **ومما يوثر عنه**
عتبة ازدحام الكلام فى السمع مضلة للفهم وقال عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
دعنى انزع ثنيتى سهيل بن عمرو يدلع اى بالدال والعين المهملتين يخرج لسانه اى
لانه كان اعلم والاعلم اذا نزعت ثنيتاه لم يستطع الكلام فلا يقوم عليك خطيبا
فى موطن ابدا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا امثل به فيمثل الله تعالى بى وان كنت
نبيا وعسى ان يقوم مقاما لا تذمه وكان كذلك فانه لما مات رسول الله صلى الله عليه
وسلم اراد اكثر اهل مكة الرجوع عن الاسلام حتى خافهم امير مكة عتاب ابن اسيد
وتوارى فقام سهيل بن عمرو خطيبا فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم ذكر وفاة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد
الله فان الله حى لا يموت الم تعلموا ان الله قال انك ميت وانهم ميتون وقال وما محمد
الا رسول قد خلت من قبله الرسل الايات وتلى ايات اخر ثم قال والله انى اعلم ان هذا
سيمتد امتداد الشمس فى طلوعها وغروبها فلا يغرنكم هذا من انفسكم يعنى ابا
سفيان فانه ليعلم من هذا الامر ما اعلم لكنه قد ختم على صدره حسد بنى هاشم
وتوكلوا على ربكم فان دين الله قايم وكلمة الله تامة وان الله ناصر من نصره ومقوى
دينه وقد جمعكم الله على خيركم يعنى ابا بكر رضى الله تعالى عنه وقال انه ذلك لم يزد
الاسلام الا قوة فمن رابناه ارتد ضربنا عنقه فتراجع الناس وكفوا عما هموا به
وعند ذلك ظهر عتاب بن اسيد وقدم مكرز بن حفص فى فدا سهيل فلما ذكر
قدرا ارضاهم به قالوا له هات فقال اجعلوا رجلى مكان رجله وخلوا سبيله حتى يبعث
اليكم بفدائه فخلوا سبيل سهيل وحبسوا مكرزا وكان فى الاسارى الوليد بن الوليد
اخو خالد بن الوليد افتكه اخواه هشام وخالد فلما افتدى اسلم فعاتبوه فى ذلك
فقال كرهت ان يظن بى انى جزعت من الاسر فلما اسلم واراد الهجرة حبسه اخواه وكان
النبى صلى الله عليه وسلم يدعو له فى القنوت كما تقدم ثم افلت ولحق بالنبى صلى الله
عليه وسلم فى عمرة القضا كما سيأتى اى وكان فى الاسارى السايب وهو الاب الخامس
لامامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه وكان صاحب راية بنى هاشم فى ذلك اليوم اى التى
كان يقال لها العقاب ويقال لها راية الروسا ولا يحملها فى الحرب الا رئيس القوم وكانت
لابى سفيان او لونها مثله ولغيبة ابى سفيان فى العير حملها السايب لشرفه وفدى
نفسه واما ابوه الرابع الذى هو شافع الذى ينتسب اليه امامنا الشافعى رضى الله تعالى
عنه الذى هو ولد السايب لقى النبى صلى الله عليه وسلم وهو مترعرع فاسلم وكان فى
الاسارى وهب بن عمير رضى الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك واسره رفاعة بن رافع

وكان ابو عمير شيطانا من شياطين قريش وكان ممن يوذي رسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه بمكة رضي الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك فجلس يوما مع صفوان
ابن امية رضي الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك وكان جلوسه معه في الحجر فتذاكرا
اصحاب القليب ومصابهم فقال صفوان ما في العيش والله خير بعدهم فقال له عمير
صدقت اما والله لولا دين علي ليس له عندي قضا وعيال اخشى عليهم الضيعة
بعدي كنت آتي محمدا حتى اقتله فان لي فيهم علة ابني اسير في ايديهم فاغتنمها
صفوان وقال له عمير فاكتم عني شاني وشانك قال افعل ثم ان عميرا اخذ سيفه
وشحذه بالمجة اي سنه وسمه اي جعل فيه السم ثم انطلق حتى قدم المدينة
فبينا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر
اذ نظر الى عمير حين اناخ راحلته على باب المسجد متوشحا السيف فقال هذا الكلب
عدو الله عمير ما جا الا بشر فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي
الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جا متوشحا سيفه قال فادخله علي فاقبل عمر حتى
اخذ بحمالة سيفه في عنقه والحمالة بكسر الحا المهملة العلاقة فمسكه بها وقال لرجال
ممن كانوا معه من الانصار ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده
فان هذا الخبيث غير مامون ثم دخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر اخذ بحمالة سيفه في عنقه قال ارسله يا عمر ادن
يا عمير فدنا ثم قال انعموا صباحا وكانت تحية اهل الجاهلية بينهم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد اكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير بالسلام تحية
اهل الجنة ما جا بك يا عمير قال جيت لهذا الاسير الذي في ايديكم يعني ولده وهب
فاحسنوا فيه قال فما بال السيف قال قبحها الله من سيوف وهل اغنت عنا شيئا
قال اصدقني ما الذي جيت له قال ما جيت الا لذلك قال بل قعدت انت وصفوان
ابن امية في الحجر فذكرتما اصحاب القليب من قريش ثم قلت لولا دين علي وعيال لخرجت
حتى اقتل محمدا فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك على ان تقتلني له والله حائل
بيني وبين ذلك قال عمير اشهد انك رسول الله قد كنا يا رسول الله نكذبك بما تاتينا
به من خبر السما وما ينزل عليك من الوحي وهذا امر لم يحضره الا انا وصفوان
فوالله اني لاعلم ما اتاك به الا الله تعالى فالحمد لله الذي هدانا للاسلام وساقني
هذا المساق ثم شهد شهادة الحق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقهوا اخاكم
في دينه واقروه القران واطلقوا اسيره ففعلوا ذلك ثم قال يا رسول الله اني
كنت جاهدا على اطفا نور الله شديد الاذى لمن كان على دين الله فانا احب ان تاذن

لى

لي فاقدم مكة فادعوهم الى الله والى الاسلام لعل الله يهديهم والا اذيتهم في دينهم كما
كنت اوذي اصحابك في دينهم فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلحق بمكة واسلم
ولده وهب وكان صفوان حين خرج عمير يقول ابشروا بوقعة تاتيكم الان تنسيكم
وقعة بدر وكان صفوان يسال عنه الركبان حتى قدم راكب فاخبره عن اسلامه فحلف
ان لا يكلمه وان لا ينفعه بنفع ابدا اي ولما قدم عمير لم يبدا بصفوان بل بدا ببيته واظهر
الاسلام ودعا اليه فبلغ ذلك صفوان فقال قد عرفت حين لم يبدا بي قبل منزله
انه قد ارتكس وصبا ولا اكلمه ابدا ولا انفعه ولا عياله بنافعة ثم ان عميرا وقف
على صفوان وناداه انت سيد من ساداتنا ارايت الذي كنا عليه من عبادة حجر
والذبح له اهذا دين اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فلم يجبه
صفوان بكلمة وعند فتح مكة هو الذي استامنه صلى الله عليه وسلم لصفوان كما سياتي
وكان في الاسارى ابو عزيز بن عمير اخو مصعب بن عمير لابيه وامه قال ابو عزيز مر بي
اخي مصعب فقال للذي اسرني شد يدك به فان امه ذات متاع لعلها تفديه منك
فقلت له يا اخي هذه وصايتك بي فبعثت امي في فدايه اربعة الاف درهم ففديته بها
وكان في الاسارى العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم اي وقد شدوا وثاقه فابى فلم ياخذه
صلى الله عليه وسلم نوم فقيل ما يسهرك يا رسول الله قال لانين العباس فقام رجل وارخى
وثاقه وفعل ذلك بالاسارى كلهم والذي اسره ابو اليسر كعب بن عمرو وكان دميما اي
بالمهملة صغير الجثة والعباس جسيما طويلا فقيل للعباس لو اخذته بكفك لوسعته
كفك فقال ما هو الا ان لقيته فظهر في عيني كالخندمة اي وهي جبل من جبال مكة اي وابو
اليسر هذا هو الذي انتزع راية المشركين وكانت بيد ابي عزيز بن عمير قال وفي رواية
ان النبي صلى الله عليه وسلم سال كعبا وقال له كيف اسرت العباس قال يا رسول الله لقد
اعانني عليه ملك كريم اي وفي رواية ان العباس لما قيل له ما تقدم قال والله ان هذا
ما اسرني لقد اسرني رجل ابلج من احسن الناس وجها على فرس ابلق ما اراه في القوم
فقال الذي جا به والله انا الذي اسرته يا رسول الله فقال اسكت فقد ايدك الله بملك كريم
وفي الكشاف ان العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اخذ اسيرا ببدر
لم يجد والله قميصا وكان رجلا طويلا فكساه عبد الله بن ابي بن سلول قميصه وجعل
صلى الله عليه وسلم فدا العباس اربعماية اوقية وفي رواية ماية اوقية وفي رواية اربعين
اوقية من ذهب وفي رواية جعل على العباس ايضا فدا عقيل بن اخيه ثمانين اوقية اي وجعل
عليه فدا ابن اخيه نوفل بن الحارث ففي رواية انه قال له افد نفسك يا عباس وابني اخيك
عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث ابني عبد المطلب وحليفك عتبة بن عمرو ففدى

نفسه بمائة اوقية وكل واحد باربعين اوقية وسياتى ما يدل على انه انما فدى نفسه وابن اخيه عقيل فقط وقال للنبى صلى الله عليه وسلم تركتنى فقير قريش ما بقيت وفى لفظ تركتنى اسال الناس فى كفى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين المال الذى دفعته لام الفضل يعنى زوجته وقلت لها ان اصبت فهذا لبنى الفضل وعبد الله وقثم وفى كلام ابن قتيبة فللفضل كذا ولعبد الله كذا فقال والله انى اعلم انك رسول الله ان هذا شئ ما علمه الا انا وام الفضل زاد فى رواية وانا اشهد ان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله وفى رواية ان العباس قال للنبى صلى الله عليه وسلم لقد تركتنى فقير قريش ما بقيت فقال له كيف تكون فقير قريش وقد استودعت بنادق الذهب ام الفضل وقلت لها ان قتلت فقد تركتك غنية ما بقيت وفى رواية اين المال الذى دفنته انت وام الفضل فقال اشهد ان الذى تقول قد كان وما اطلع عليه الا الله وتقدم عن ابى رافع مولى العباس ان العباس وزوجته ام الفضل كانا مسلمين بل تقدم انها اول امراة اسلمت بعد خديجة وكانا يكتمان اسلامهما وان ابا رافع كان كذلك ومما يؤيد اسلام العباس انه جاء فى بعض الروايات ان العباس قال علام يأخذ منا الفدا وكنا مسلمين اى وفى رواية كنت مسلما ولكن القوم استكرهونى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم اعلم بما تقول ان يك حقا فان الله يجزيك ولكن ظاهر امرك انك كنت علينا وقد انزل الله تعالى يا ايها النبى قل لمن فى ايديكم من الاسارى ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا اى ايمانا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم اى من الفدا الايات فعند ذلك اى عند نزول الايات قال العباس للنبى صلى الله عليه وسلم لوددت انك كنت اخذت منى اضعافا فقد اتانى الله خيرا منها مائة عبد وفى لفظ اربعين عبدا كل عبد فى يده مال يضرب به اى يتجر فيه وانى لارجو من الله المغفرة اى وهذا القول من العباس يدل على تاخر نزول هذه الاية وجاء ان العباس خرج لبدر ومعه عشرون اوقية من ذهب ليطعم بها المشركين فاخذت منه فى الحرب فكلم النبى صلى الله عليه وسلم ان يحسب العشرين اوقية من فدائه فابى وقال اما شئ خرجت تستعين به علينا فلا نتركه لك وجاء فى بعض الروايات ان العباس لما اسر تواعدت طائفة من الانصار على قتله فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال لعمر لم انم الليلة من اجل عمى العباس زعمت الانصار انهم قاتلوه فاتى عمر الانصار فقال لهم ارسلوا العباس فقالوا والله لا نرسله فقال لهم عمر فان كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم رضى قالوا ان كان رضى فخذه فاخذه عمر فلما صار فى يده قال له يا عباس اسلم فوالله لان تسلم احب الى من ان يسلم الخطاب اى وفى اسباب النزول للواحدى لما اسر العباس يوم بدر اقبل المسلمون عليه يعيرونه بكفره بالله وقطيعة الرحم واغلظ على له القول فقال العباس ما لكم تذكرون

مساوينا ولا تذكرون محاسننا فقال له على الكم محاسن قال نعم انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقى الحاج ونفك العانى فانزل الله تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله الاية وجاء انه قال للمسلمين لئن كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقى الحاج فانزل الله تعالى اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله الاية وذكر ان العباس كان رئيسا فى قريش واليه عمارة المسجد الحرام فكان لا يدع احدا يستب فيه ولا يقول فيه هجرا والتشبيب ترقيق الشعر بذكر النسا والهجر الكلام الفاحش فكانت قريش اجتمعت وتعاقدت على تسليم ذلك للعباس وكانوا عونا له على ذلك ومن ثم قيل فى العباس هذا والله هو الشرف يطعم الحاج ويؤدب السفيه فان طعامه كان لفقرا بنى هاشم وقيل وسوط معد لسفهائهم واذا كان ذلك لسفهاء بنى هاشم فلسفهاء غيرهم بطريق الاولى والظاهر ان ذلك لا يختص بكونهم فى المسجد كما قد يدل عليه الرواية الاولى ولا ينافى هذا اى قول عمر له اسلم الى اخر ما تقدم عن مولاه ابى رافع من ان العباس كان مسلما ومن قوله للنبى صلى الله عليه وسلم انه كان مسلما ومن اتيانه بالشهادتين عنده صلى الله عليه وسلم لان ذلك لم يظهر علانية بل اظهره له صلى الله عليه وسلم فقط فلم يعلم به عمر ولا غيره ولم يظهر النبى صلى الله عليه وسلم اسلام العباس رفقا به لما تقدم ان العباس كان له ديون متفرقة فى قريش وكان يخشى ان يظهر اسلامه ضاعت عندهم ومن ثم لما قهرهم الاسلام يوم فتح مكة اظهر اسلامه فلم يظهر اسلامه الا يوم فتح وكان كثيرا ما يطلب الهجرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكتب له مقامك بمكة خير لك اى وفى رواية استاذن العباس رضى الله تعالى عنه النبى صلى الله عليه وسلم فى الهجرة كما ختمت بى النبوة فكان كذلك وفى رواية انه قال لابن عمه نوفل بن الحارث بن عبد المطلب افد نفسك يا نوفل قال ما لى شئ افدى به نفسى قال افد نفسك من مالك الذى بجدة وفى لفظ بارماحك التى بجدة فقال اشهد انك رسول الله والله ما احد يعلم ان لى بجدة ارماحا غير الله اى وفدى نفسه فلم يفد العباس يدل لذلك ما رواه البخارى عن انس ان النبى صلى الله عليه وسلم اتى بمال من البحرين اى من خراجها فقال انثروه فى المسجد فكان اكثر مال اتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم اى كان مائة الف وكان اول خراج حمل اليه صلى الله عليه وسلم وكان ياتى فى كل سنة فحينئذ لا يعارض هذا قوله صلى الله عليه وسلم لجابر لو قد جاء مال البحرين اعطيتك فلم يقدم مال البحرين حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم لان المراد انه لم يقدم فى تلك السنة ولما نثر ذلك المال فى المسجد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصلاة فلم يلتفت اليه فلما قضى

الصلاة جاء فجلس اليه فما كان يرى احدا الا اعطاه فجاءه العباس فقال يا رسول الله
اعطني اني فاديت نفسي وفاديت عقيلا اي فلم يقل ونوفلا وكان حليفه عتبة بن
عمرو فقال خذ فحثى في ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال مر بعضهم يرفعه الي قال لا
فارفعه انت علي قال لا فنثر منه ولا زال يفعل كذلك حتى بقي ما يقدر على رفعه
فرفعه على كاهله اي بين كتفيه ثم انطلق وهو يقول انما اخذت ما وعد الله فقد انجز فما
زال صلى الله عليه وسلم يتبعه بصره عجبا من حرصه حتى خفي ومن رسول الله
صلى الله عليه وسلم على نفر من الاسارى بغير فداء منهم ابو عزة عمرو الجمحي الشاعر كان
يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين بشعره فقال يا رسول الله اني فقير وذو عيال
وحاجة قد عرفتها فامنن علي صلى الله عليك وسلم فمن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي وفي رواية قال له ان لي خمس بنات ليس لهن شيء فتصدق بي عليهن ففعل واعتقه
واخذ عليه ان لا يظاهر عليه احدا اي فلما وصل مكة قال سحرت محمدا فلما كان يوم احد
خرج مع المشركين يحرض على قتال المسلمين بشعره فاسر وقتل صبرا وحمل راسه الى
المدينة كما سيأتي اي فعلم ان اسرى بدر منهم من فدي ومنهم من خلي سبيله من غير
فدا وهو ابو العاص وابو عزة ووهيب بن عمير ومنهم من مات ومنهم من قتل وهو النضر
ابن الحارث وعقبة بن ابي معيط كما تقدم ولما بلغ النجاشي نصرة رسول الله صلى
الله عليه وسلم ببدر فرح فرحا شديدا فعن جعفر بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه ان
النجاشي ارسل اليه والى اصحابه الذين معه بالحبشة ذات يوم فدخلوا عليه فوجدوه
جالسا على التراب لابسا اثوابا خلقة فقال لهم اني ابشركم بما يسركم انه قد جاءني من نحو
ارضكم عين لي فاخبرني ان الله قد نصر نبيه واهلك عدوه فلان وفلان وعدد جمعا
التقوا بمحل يقال له بدر فقال له جعفر ما لك تجالس على التراب عليك هذه الاخلاق
قال انا نجد فيما انزل الله على عيسى ان حقا على عباد الله ان يحدثوا لله عز وجل
تواضعا عندما احدث لهم نعمة وفي رواية كان عيسى صلوات الله وسلامه عليه اذا
حدث له من الله نعمة ازداد تواضعا فلما احدث الله تعالى نصرة نبيه صلى الله عليه
وسلم احدثت هذا التواضع قال ولما اوقع الله تعالى بالمشركين يوم بدر واستاصل
وجوههم قالوا ان ثارنا بارض الحبشة فلنرسل الى ملكها ليدفع الينا من عنده من اتباع
محمد فنقتلهم بمن قتل منا فارسلوا عمرو بن العاص وعبد الله بن ربيعة رضي الله تعالى
عنهما فانهما اسلما بعد ذلك الى النجاشي ليدفع اليهما من عنده من المسلمين فارسلوا معهما
هدايا وتحفا للنجاشي فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى النجاشي عمرو
ابن امية الضمري بكتاب يوصيه فيه على المسلمين انتهى وفي الاصل هنا ما يوافقه

وفيه

وفيه ان عمرو بن امية لم يكن اسلم بعد اي لانه كما في الاصل شهد بدرا واحدا مع المشركين واول
مشهد شهده مع المسلمين بئر معونة واسر في ذلك وجزت ناصيته واعتق وكان ذلك
في سنة اربع كما سيأتي قال فلما وصل عمرو وعبد الله الى النجاشي ردهما خائبين انتهى
اي فعن عمرو بن العاص قال دخلت على النجاشي فسجدت له فقال مرحبا بصديقي
اهديت لي من بلادك شيئا فقلت نعم ايها الملك اهديت لك ادما كثيرا ثم قربته اليه
فاعجبه وفرق منه اشياء بين بطارقته وامر بسائره فادخل في موضع وامر ان يكتب
ويحتفظ به قال عمرو فلما رايت طيب نفسه قلت ايها الملك اني رايت رجلا خرج من
عندك يعني عمرو بن امية الضمري وهو رسول عدو لنا قد وترنا وقتل اشرافنا وخيارنا
فاعطنيه فاقتله فغضب ثم رفع يده فضرب بها انفي ضربة ظننت انه قد كسره فجعلت
اتقي الدم بثيابي وفي رواية ثم رفع يده فضرب بها انف نفسه ظننت انه قد كسره وقد
يجمع بوقوع الامرين منه وعند ذلك قال عمرو فاصابني من الذل ما لو انشقت لي الارض
لدخلت فيها فرقا منه ثم قلت ايها الملك لو ظننت انك تكره ما قلت ما سالتك فقال لي
يا عمرو تسالني ان اعطيك رسول رجل ياتيه الناموس الاكبر الذي كان ياتي موسى والذي
كان ياتي عيسى بن مريم لتقتله قلت وتشهد انت ايها الملك انه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال نعم فوالله انه لعلى الحق قلت افتبايعني له على الاسلام قال نعم فمد
يده فبايعته على الاسلام ثم خرجت الى اصحابي وقد كساني فلما راوا كسوة الملك
سروا بذلك وقالوا هل ادركت من صاحبك حاجتك يعنون قتل عمرو بن امية فقلت
لهم كرهت ان اكلمه اول مرة وقلت اعود اليه قالوا الراي ما رايت وفارقتهم وهذا يدل
على انه كان معه ومع عبد الله جماعة اخرين من قريش ويحتمل انه عنى باصحابه
عبد الله بن ربيعة ويؤيد الاول ما يأتي قلت فاعمل وكاني اعمد الى حاجة فعمدت الى
موضع السفن فوجدت سفينة قد شحنت فركبت معهم ودفعوها من ساعتهم
حتى انتهوا الى الشعيبة وهو محل معروف كان مورد جدة فخرجت من السفينة
فابتعت بعيرا وتوجهت الى المدينة حتى اذا كنت بالهدأة اسم محل اذا رجلان وهما
خالد بن الوليد وعثمان بن ابي طلحة فرحبا بي واذا هما يريدان الذي اريد فتوجهنا
الى المدينة فقد علمت ان ارسال عمرو بن امية الى النجاشي عقب وقعة بدر مع انه
كان في ذلك الوقت كافرا لانه شهد مع الكفار احدا ومن ثم قال في الاصل فلما كان في
شهر ربيع الاول وقيل المحرم سنة سبع اي وقيل ست حكاه ابن عبد البر عن الواقدي
من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشي
كتابا يدعوه فيه الى الاسلام وبعث به عمرو بن امية الضمري فلما قرئ عليه الكتاب

اسلم وكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يزوجه ام حبيبة ففعل وكتب اليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبعث اليه من بقي عنده من اصحابه ويحملهم ففعل وقد
تقدم القول عند ذكر الهجرة الى ارض الحبشة ان توجه عمرو بكتابي رسول الله صلى الله
عليه وسلم في المحرم سنة سبع يدعوه في احدهما الى الاسلام والثاني في تزويجه عليه الصلاة
والسلام ام حبيبة وقيل في شهر ربيع الاول منها وسيأتي ذكر كتاب النبي صلى الله
عليه وسلم الى النجاشي مع عمرو وعند ذكر كتبه الى الملوك هذا كله كلامه في الاصل فليتأمل
ما فيه ثم رأيت صاحب النور قال قد رأيت غير واحد صرح بان النجاشي اسلم في السنة
السابعة يعنون من الهجرة وهذا يعكر على قصة تقدمه واسلامه عند ارسال عمرو
ابن العاص وعبد الله بن ربيعة اي عقب بدر حيث قال انا اشهد انه رسول الله الى اخر
ما تقدم هذا كلامه اي فكيف يكون ارسال عمرو بن امية الى النجاشي ليسلم وقد يجاب
بان المراد اظهار اسلامه اي بعث له عمرو بن امية لاجل ان يظهر اسلامه ويعلن
به بين قومه على ان ابن الجوزي ذكر ان ذهاب عمرو بن العاص الى النجاشي كان عند
منصرفه مع قريش في غزوة الاحزاب اي لا عقب بدر فعن عمرو بن العاص رضي الله تعالى
عنه لما انصرفنا مع الاحزاب عن الخندق جمعت رجالا من قريش كانوا يرون مكاني
ويسمعون مني فقلت لهم تعلمون والله اني لارى امر محمد يعلو الامور علوا منكرا واني
قد رأيت رأيا فما ترون فيه قالوا وما رأيت قال ان نلحق بالنجاشي فنكون عنده فان
ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي فانا ان نكون تحت يديه احب الينا ان نكون تحت
يد محمد وان ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا فلن يأتينا منهم الا خير فقالوا ان هذا
هو الرأي فقلت اجمعوا اما نهدي له وكان احب ما يهدى اليه من ارضنا الادم فجمعنا
له ادما كثيرا ثم خرجنا اليه فوالله انا لعنده اذ جاء عمرو بن امية الضمري بعثه
رسول الله صلى الله عليه وسلم في شان جعفر واصحابه الحديث وهذا لا يمنع ان يكون
عمرو بن العاص وفد على النجاشي هو وعبد الله بن ربيعة عقب بدر فيكون وفود عمرو
ابن العاص على النجاشي كان ثلاث مرات مرة مع عمارة ومرة مع عبد الله بن ربيعة عقب
بدر وهذه المرة الثالثة وان ارسال عمرو بن امية واسلام عمرو بن العاص على يد
النجاشي كان في هذه المرة الثالثة وحينئذ لا يشكل ارسال عمرو بن امية للنجاشي
لانه كان مسلما وحينئذ يكون ذكر مجيء عمرو بن امية الى النجاشي في المرة الثانية
اشتباه من بعض الرواة وكذا ذكر اسلام عمرو بن العاص على يد النجاشي في المرة
الثانية من تخليط بعض الرواة ثم رأيته في الامتاع قال وقد روينا قصة الهجرة
الى الحبشة واسلام النجاشي من طرق عديدة مطولة ومختصرة وكان رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم يرسل عمرو بن امية في اموره لانه كان من رجال النجدة اي ومعلوم
انه كان لا يرسله الا بعد اسلامه واسلامه قد علمت انه كان سنة اربع وفي الاصل انه
صلى الله عليه وسلم ارسله الى مكة بهدية لابي سفيان بن حرب اي ولعل المراد بذلك
ما حكاه بعض الصحابة قال دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اراد ان يبعثني
بمال الى ابي سفيان يقسمه في قريش بمكة بعد الفتح فقال لي التمس صاحبا قال فجاءني
عمرو بن امية فقال لي بلغني انك تريد الخروج الى مكة وتلتمس صاحبا قلت اجل قال فانا
لك صاحب قال فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت وجدت صاحبا فقال
من قلت عمرو بن امية الضمري فقال اذا هبطت بلاد قومه فاحذره فانه قد قال القائل
اخوك البكري ولا تأمنه وقد اسلم عبد الله ولده قبل ابيه عمرو بن العاص رضي الله
عنهما وروى انه صلى الله عليه وسلم قال فيهما وفي ام عبد الله نعم اهل البيت عبد الله وابو
عبد الله وام عبد الله وكان صلى الله عليه وسلم يفضل عبد الله على ابيه لانه كان
من عباد الصحابة وزهادهم وفضلائهم وعلمائهم ومن اكثرهم رواية وذكر ابن مرزوق
ان ابن عمر مر ببدر فاذا رجل يعذب ويئن فناداه يا عبد الله قال فالتفت اليه
فقال اسقني فاردت ان افعل فقال الاسود الموكل بتعذيبه لا تفعل يا عبد الله
فان هذا من المشركين الذين قتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه الطبراني
في الاوسط زاد السيوطي في الخصائص فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته
قال اوقد رأيته قلت نعم قال ذاك عدو الله ابو جهل وذاك عذابه الى يوم القيمة
واخرج ابن ابي الدنيا والبيهقي عن الشعبي ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم
اني مررت ببدر فرأيت رجلا يخرج من الارض فيضربه رجل بمقمعة حديد وفي لفظ
بعمود من حديد حتى يغيب في الارض ثم يخرج فيفعل به مثل ذلك فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذاك ابو جهل يعذب الى يوم القيمة ومما جاء في فضل من شهد
بدرا ان جبريل عليه السلام اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما تعدون اهل
بدر فيكم قال هم افضل المسلمين او كلمة نحوها قال جبريل عليه السلام وكذلك
من شهد بدرا من الملائكة وفي رواية ان الملائكة الذين شهدوا بدرا في السماء
لفضلا على من تخلف منهم وجاء بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم الى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان ابن عمي نافق اي وقد كان من اهل بدر ايأذن لي
ان اضرب عنقه فقال صلى الله عليه وسلم انه شهد بدرا وعسى ان يكفر عنه وفي
رواية وما يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر وقال اعملوا ما شئتم قال وفي الطبراني
بسند جيد عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع الله على

اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم او قال فقد وجبت لكم الجنة اى غفرت
لكم ما مضى وما سيقع من الذنوب اى وهو يفيد ان ما يقع منهم من الكبائر لا يحتاج
الى التوبة عنه لانه اذا وقع يقع مغفورا وعبر عنه بالماضى مبالغة فى تحققه وهذا كما
لا يخفى بالنسبة للاخرة لا بالنسبة لاحكام الدنيا ومن ثم لما شرب قدامة بن مظعون
الخمر فى ايام عمر حده وكان بدريا اى وقد يقال هذا يقتضى وجوب التوبة فى الدنيا
فاذا لم تقع لا يؤاخذ بذلك فى الاخرة لان وجوب التوبة من احكام الدنيا لا يقال اذا
سلم ان الذنب اذا وقع منهم يقع مغفورا لا معنى لوجوب التوبة فى الدنيا وانما حد
قدامة زجرا عن شرب الخمر لانا نقول لا معنى لوجوب التوبة فى الدنيا معنى وان كان
الذنب اذا وقع يقع مغفورا لان المراد بذلك عدم المغفرة المؤاخذة فى الاخرة
وذلك لا ينافى وجوب التوبة عنه فى الدنيا لانه لا تلازم بين وجوب التوبة فى الدنيا
وبين غفران الذنب فى الاخرة هذا وفى الخصائص الصغرى نقلا عن شرح جمع الجوامع
ان الصحابة كلهم لا يفسقون بارتكاب ما يفسق به غيرهم وقدامة هذا كان متزوجا
اخت عمر رضى الله عنه وكان عمر متزوجا باخت قدامة وهى ام حفصة فكان خالا
لحفصة ولاخيها عبد الله وكان عاملا لعمر فى بعض النواحى اى البحرين فقدم الجارود
سيد عبد القيس على عمر من البحرين وكان قدامة واليا عليها فاخبر عمر ان قدامة
سكر قال وانى رايت حدا من حدود الله حقا على ان ارفعه اليك فقال له عمر من يشهد
معك قال ابو هريرة فشهد ابو هريرة انه راه سكران اى قال لم اره يشرب ولكنى رايته
سكران يقى فاحضر قدامة فقال له الجارود اقم عليه الحد فقال له عمر اخصم انت ام
شاهد فصمت ثم عاوده فقال له عمر لتمسكن او لاسوءنك فقال ليس لى فى الحق وفى
لفظ اما والله ما ذلك بالحق ان يشرب ابن عمك وتسوءنى فارسل عمر الى زوجة قدامة
اى بعد ان قال له ابو هريرة ان كنت تشك فى شهادتنا فارسل الى ابنة الوليد يعنى
زوجته فشهدت على زوجها بانه سكر فقال عمر لقدامة اريد ان احدك فقال ليس لك
ذلك لقول الله عز وجل ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا فقال
له عمر اخطات التاويل فان بقية الاية اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات فانك
اذا اتقيت اجتنبت ما حرم الله تعالى عليك ثم امر به فحد فتغاضبه قدامة ثم
حجا جميعا ففى يوم استيقظ عمر من نومه فزعا فقال عجلوا بقدامة اتانى آت فقال
صالح قدامة فانه اخوك فاصطلحا اى وقد احتج بهذه الاية ايضا جمع من الصحابة
شربوا الخمر وهم ابو جندل وضرار بن الخطاب وابو الازور فاراد ابو عبيدة وهو وال
بالشام ان يحدهم فقال ابو جندل ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما

طعموا

طعموا اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات فكتب ابو عبيدة الى عمر بذلك وقال اخصمنى
ابو جندل بهذه الاية فكتب عمر لابى عبيدة ان الذى زين لابى جندل الخطيئة زين له
الخصومة فلما اراد ابو عبيدة ان يحدهم قال ابو الازور لابى عبيدة دعنا نلقى العدو
غدا فان قتلنا فذاك وان رجعنا اليكم فحدونا فلقوا العدو فاستشهد ابو الازور
وحد الاخران وفى حواشى البخارى للحافظ الدمياطى ان نعيمان كان ممن شهد بدرا والمشاهد وانى به فى شربه الخمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحده اربعا او خمسا
اى من المراة فقال رجل من القوم اللهم العنه ما اكثر ما يشرب وما اكثر ما يحد فقال عليه
الصلاة والسلام لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله ومثل هذا التعليل لا يبطل لمفهومه
وعند الامام احمد عن حفصة رضى الله تعالى عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول انى لارجو ان لا يدخل النار ان شاء الله تعالى احد شهد بدرا والحديبية ولعل
الراوى شك او يدل لذلك ما فى بعض الروايات عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه
عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار احد ممن بايع تحت الشجرة ولا ينافى ما فى
مسلم والترمذى عن جابر ان عبد الحاطب جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو حاطبا
اليه فقال يا رسول الله ليدخلن حاطب النار فقال كذبت لا يدخلها فانه شهد بدرا ٥
والحديبية لانه يجوز ان يكون ذلك لكونه اى الجمع بين بدر والحديبية الواقع لحاطب
وفى الطبرانى عن رافع بن خديج رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال يوم بدر والذى نفسى بيده لو ان مولودا ولد فى فقه اربعين سنة من اهل الدين
يعمل بطاعة الله تعالى كلها ويجتنب معاصى الله كلها الى ان يرد الى ارذل العمر او يرد الى
ان لا يعلم بعد علم شيئا لم يبلغ احدكم هذه الليلة وكان صلى الله عليه وسلم يكرم اهل
بدر ويقدمهم على غيرهم ومن ثم جاء جماعة من اهل بدر للنبى صلى الله عليه وسلم وهو جالس
فى صفة ضيقة ومعه جماعة من اصحابه فوقفوا بعد ان اسلموا ليفسح لهم القوم فلم
يفعلوا فشق قيامهم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال لمن لم يكن من اهل بدر من الجالسين
قم يا فلان قم يا فلان بعدد الواقفين فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجه
اقامه فقال رحم الله رجلا يفسح لاخيه فنزل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم ٥
تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم واذا قيل انشزوا فانشزوا الاية فجعلوا
يقومون لهم بعد ذلك اى ولعل المراد ويجلسونهم مكانهم وفى الخصائص الصغرى
وخص اهل بدر من اصحابه بان يزادوا فى الجنازة على اربع تكبيرات تمييزا لهم وقد ذكر
ان عمر بن عبد العزيز بن مروان كان يختلف الى عبيد الله بن عبد الله ليسمع منه فبلغ
عبيد الله ان عمر ينتقص عليا رضى الله تعالى عنه فاتاه عمر فاعرض عبيد الله عنه وقام يصلى

فجلس عمر ينتظره فلما سلم اقبل عليه وقال له متى بلغك ان الله سخط على اهل بدر بعد
ان رضي عنهم فقبلهما عمر وقال لم تعذرني الى الله واليك والله لا اعود فما سمع بعد
ذلك يذكر عليا الا بخير **غزاة بني سليم** ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة من بدر لم يقم الا تسع ليال حتى غزا بنفسه يريد بني سليم واستعمل على المدينة
سباع بن عرفطة الغفاري او ابن ام مكتوم اي **وفي** ابي داود ان استخلاف ابن ام
مكتوم انما كان على الصلاة بالمدينة دون القضايا والاحكام فان الضرير لا يجوز له
ان يقضي بين الناس لانه لا يدرك الاشخاص ولا يثبت الاعيان ولا يدري لمن يحكم ولا على
من يحكم اي فامر القضايا والاحكام يجوز ان يكون فوضه صلى الله عليه وسلم لسباع فلا مخالفة
فبلغ ماء من مياههم يقال له الكدر اه وقيل لهذا الماء الكدر لان به طيرا في الوانها كدرة
فاقام على ذلك ثلاث ليال ثم رجع الى المدينة ولم يلق حربا اي وكان لواؤه ابيض حمله علي بن
ابي طالب **وكان** في تلك السنة تزويج فاطمة بعلي رضي الله تعالى عنهما اي عقد بها
في رمضان وقيل في رجب ودخل بها في ذي الحجة وقيل بعد ان تزوجها بنى بها بسبعة اشهر
ونصف اه فيكون عقد عليها اول جمادى الاولى وكان عمرها خمس عشرة سنة وكان سن علي
يومئذ احدى وعشرون سنة وخمسة اشهر اي واولم عليها بكبش من عند سعد وآصع من
ذرة من عند جماعة من الانصار ولما خطبها علي قال لها صلى الله عليه وسلم ان عليا يخطبك
فسكتت اي **وفي** رواية قال لها اي بنية ان ابن عمك عليا قد خطبك فماذا تقولين
فبكت ثم قالت كانك يا ابت انما ادخرتني لفقير قريش فقال صلى الله عليه وسلم والذي بعثني
بالحق ما تكلمت في هذا حتى اذن الله فيه من السماء فقالت فاطمة رضيت بما رضي الله
ورسوله وقد كان خطبها ابو بكر ثم عمر فسكت **وفي** رواية قال لكل انتظر بها القضاء فجاء
اي ابو بكر وعمر الى علي يأمرانه ان يخطبها قال علي فنبهاني اي لامر كنت عنه غافلا فجئته
صلى الله عليه وسلم فقلت تزوجني فاطمة قال وعندك شيء قلت فرسي وبدني اي درعي
قال اما فرسك فلا بد لك منها واما بدنك فبعها فبعتها باربعمائة وثمانين درهما
فجئته صلى الله عليه وسلم بها فوضعها في حجره فقبض منها قبضة فقال اي بلال ابتع لنا
بها طيبا **وفي** رواية لما خطبها قال له ما تصدقها **وفي** لفظ هل عندك شيء تستحلها به
قال ليس عندي شيء قال فاين درعك الحطمية التي اعطيتك يوم كذا وكذا قال
عندي فباعها من عثمان بن عفان باربعمائة وثمانين درهما ثم ان عثمان رد الدرع الى علي
فجاء بالدرع والدراهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعى لعثمان بدعوات **وفي** فتاوى
الجلال السيوطي انه سئل هل لصحة ما قيل ان عثمان بن عفان راى درع علي رضي
الله تعالى عنهما يباع باربعمائة درهم ليلة عرسه على فاطمة فقال عثمان هذا درع علي

فارس

فارس الاسلام لا يباع ابدا فدفع لغلام علي اربعمائة درهم واقسم ان لا يخبره بذلك
ورد الدرع معه فلما اصبح عثمان وجد في داره اربعمائة كيس في كل كيس اربعمائة درهم
مكتوب على كل درهم هذا ضرب الرحمن لعثمان بن عفان فاخبر جبريل النبي صلى الله عليه
وسلم بذلك فقال هنيئا لك يا عثمان **وفيها** ايضا ان عليا خرج ليبيع ازار فاطمة
ليكمل بثمنه فباعه بستة دراهم فسأله سائل فاعطاه اياها فجاءه جبريل في صورة
اعرابي ومعه ناقة فقال يا ابا الحسن اشتر هذه الناقة قال ما معي ثمنها قال الى اجل
فاشتراها بمائة ثم عرض له ميكائيل في صورة رجل في طريقه فقال لي اتبيع هذه الناقة قال
نعم قال بكم اشتريتها قال بمائة قال اخذتها بمائتين ولك من الربح ستون فباعها له فعرض له
جبريل فقال بعت الناقة قال نعم قال ادفع الي ديني فدفع له مائة ورجع بالستين فقالت
له فاطمة من اين لك هذا قال ضاربت مع الله بستة فاعطاني ستين ثم جاء الى النبي صلى
الله عليه وسلم فاخبره بذلك فقال البائع جبريل والمشتري ميكائيل والناقة لفاطمة
تركبها يوم القيامة **فاجاب** عن ذلك كله بانه لم يصح اه وهي تصدق بان ذلك لم
يرد فهو من الكذب **ولما** اراد ان يعقد خطب خطبة منها الحمد لله المحمود بنعمته المعبود
بقدرته الذي خلق الخلق بقدرته وميزهم بحكمته ثم ان الله عز وجل جعل المصاهرة
نسبا وصهرا وكان ربك قديرا ثم ان الله امرني ان ازوج فاطمة من علي على اربعمائة
مثقال فضة ان رضيت يا علي قال رضيت ثم بعد ان خطب علي ايضا خطبة منها الحمد لله
شكرا لانعمه واياديه واشهد ان لا اله الا الله شهادة تبلغه وترضيه اي **وفي** رواية
انه صلى الله عليه وسلم قال يا علي اخطب لنفسك فقال علي الحمد لله الذي لا يموت وهذا
محمد رسول الله زوجني ابنته على صداق مبلغه اربعمائة درهم فاسمعوا ما يقول
واشهدوا قالوا ما تقول يا رسول الله قال اشهدكم اني قد زوجته كذا رواه ابن عساكر قال
الحافظ ابن كثير وهذا خبر منكر وقد ورد في هذا الفصل احاديث كثيرة منكرة
وموضوعة ضربنا عنها **ولما** تم العقد دعى صلى الله عليه وسلم بطبق بسر فوضع بين يديه
ثم قال للحاضرين انتهبوا وقال علي بنى بها لامر كنت عنه غافلا لا ابالي فيما روي عن اسماء
بنت عميس انها قالت قيل لعلي الا تتزوج بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالي
صفراء ولا بيضاء ولست بالمأبور اي المأبور يعني لست غير الصحيح الدين ولا المتهم في
الاسلام اي لا اخشى الفاحشة اذا لم اتزوج وليلة بنى بها قال صلى الله عليه وسلم لعلي
لا تحدث شيئا حتى تلقاني فجاءت بها ام ايمن حتى قعدت في جانب البيت وعلي في جانب آخر
وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لفاطمة ائتيني بماء فقامت تعثر في ثوبها وفي لفظ
في مرطها من الحياء فاتته بقعب فيه ماء فاخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومج فيه ثم

قال لها تقدمي فتقدمت فنضح بين ثدييها وعلى رأسها وقال اللهم اني اعيذها بك
وذريتها من الشيطان الرجيم ثم قال ائتوني بماء فقال علي فعلمت الذي يريد فقمت
وملأت القعب فاتيته فاخذه فمج فيه وصنع بي كما صنع بها اي بفاطمة ودعا لي بما دعا
لها به ثم قال اللهم بارك فيهما وبارك عليهما وبارك لهما في شملهما اي الجماع وتلى
قل هو الله احد والمعوذتين ثم قال ادخل باهلك باسم الله والبركة وكان فراشهما
اهاب كبش اي جلده وكان لهما قطيفة اذا جعلاها بالطول انكشف ظهورهما
واذا جعلاها بالعرض انكشف رؤسهما ثم مكث صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام
لا يدخل على فاطمة وفي اليوم الرابع دخل عليهما في غداة باردة وهما في تلك القطيفة
فقال لهما كما انتما وجلس عند رأسهما ثم ادخل قدميه وساقيه بينهما فاخذ علي احداهما
فوضعها على صدره وبطنه ليدفيها واخذت فاطمة الاخرى فوضعتها كذلك **وقالت**
له في بعض الايام يا رسول الله ما لنا فراش الا جلد كبش ننام عليه بالليل ونعلف
عليه ناضحنا بالنهار فقال يا بنية اصبري فان موسى بن عمران اقام مع امرأته عشر
سنين ليس لهم فراش الا عباءة قطوانية اي وهي نسبة الى قطوان موضع بالكوفة
اي ولعل ذلك العبا التي كانت عليه من ذلك الموضع كانت صنعته **وعن علي**
رضي الله تعالى عنه لم يكن لي خادم غيرها وعنه رضي الله تعالى عنه لقد رأيتني مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم اني لاربط الحجر على بطني من الجوع وان صدقتي اليوم لتبلغ اربعين
الف دينار ولعل المراد في السنة قال الامام احمد بن حنبل ما ورد لاحد من الصحابة
ما ورد لعلي رضي الله تعالى عنه اي من ثنائه صلى الله عليه وسلم وسبب ذلك اكثرة
اعدائه والطاعنون عليه من الخوارج وغيرهم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
ما نزل في احد من الصحابة من كتاب الله ما نزل في علي نزل في علي ثلاثمائة اية **وعن ابن**
عباس رضي الله تعالى عنهما كلما تكلمت به في التفسير فانا اخذته عن علي **ومن**
البديعة الوجيزة لا يخافن احد الا ذنبه ولا يرجون الا ربه ولا يستحي من لا يعلم
ان يتعلم ولا من يعلم اذا سئل عما لا يعلم ان يقول الله اعلم ما ابردها على الكبد
اذا سئلت عما لا اعلم ان اقول الله اعلم ومن ذلك العالم من عمل بما علم ووافق
علمه عمله وسيكون اقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم تخالف سريرتهم علانيتهم
ويخالف علمهم عملهم يجلسون حلقا فيباهي بعضهم بعضا حتى ان الرجل ليغضب
على جليسه ان يجلس الى غيره ويدعه اولئك لا تصعد اعمالهم في مجالسهم تلك
الى الله وقال صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله تعالى عنه في مجالسهم تلك الى الله وقال
صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله تعالى عنه يهلك فيك رجلان محب مفرط وكذاب مفتري

مكرم

مكرم لك يأتي بالكذاب المفترا وقال له يا علي ستفترق امتي فيك كما افترقت في عيسى
ابن مريم **وجاء** انه صلى الله عليه وسلم قال ان بني هشام بن المغيرة استأذنوني في ان
ينكحوا ابنتهم علي بن ابي طالب فلا اذن ثم لا اذن ثم لا اذن الا ان يريد ابن ابي طالب
ان يطلق ابنتي وينكح ابنتهم فانما هي بضعة مني يريبني ما ارابها ويؤذيني ما اذاها

غزوة بني قينقاع

بضم النون وقيل بكسرها اي وقيل بفتحها فهي
مثلثة النون والضم اشهر قوم من اليهود وكانوا اشجع يهود وكانوا صاغة وكانوا
حلفاء عبادة بن الصامت وعبد الله بن ابي بن سلول فلما كانت وقعة بدر اظهروا
البغي والحسد ونبذوا العهد اي لانه صلى الله عليه وسلم كان عاهدهم وعاهد بني
قريظة وبني النضير ان لا يحاربوه وان لا يظاهروا عليه عدوه وقيل على ان لا يكونوا
معه ولا عليه وقيل على ان ينصروه على من دهمه من عدوه اي كما تقدم **فهم اول**
من غدر من يهود فانزل الله تعالى فيهم ما نزل عليه من الحداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقدمت
امرأة من العرب بجلب لها اي وهو ما يجلب ليباع من ابل وغنم ونحوهما **ه** فباعته
بسوق بني قينقاع وجلست الى صائغ منهم اي **وفي** الامتاع ان المرأة كانت زوجة
لبعض الانصار اي ومعلوم ان الانصار كانوا بالمدينة اي وقد يقال لا مخالفة لجواز ان
يكون زوجة لبعض الانصار من الاعراب وانها جاءت بجلب لها فجعلوا اي جماعة
منهم يراودونها عن كشف وجهها فابت فعمد الصائغ الى طرف ثوبها فعقده الى
ظهرها **قال** وفي رواية خله بشوكة وهي لا تشعر فلما قامت انكشفت سوءتها فضحكوا
منها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وشدت اليهود على المسلم
فقتلوه فاستصرخ اهل المسلم المسلمين على اليهود فغضب المسلمون اي وتقدم
وقوع مثل ذلك وانه كان سببا لحرب الفجار الاول فلما غضب المسلمون على بني قينقاع
اي وقال صلى الله عليه وسلم ما على هذا اقررناهم تبرأ عبادة بن الصامت من حلفهم
اي قال يا رسول الله اتولى الله ورسوله والمؤمنين وابرأ من حلف هؤلاء الكفار **ه** وتشبث
به عبد الله بن ابي بن سلول اي لم يتبرأ من حلفهم كما تبرأ منه عبادة بن الصامت اي **وفيه**
نزلت يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض الى
قوله فان حزب الله هم الغالبون فجمعهم صلى الله عليه وسلم وقال لهم يا معشر يهود ا
حذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة اي يوم بدر واسلموا فانكم قد عرفتم اني مرسل
تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله تعالى اليكم قالوا يا محمد انك ترى انا قومك اي تظننا
انا مثل قومك ولا يغرنك انك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فاصبت لهم فرصة انا
والله لو حاربناك لتعلمن انا نحن الناس **وفي** لفظ لتعلمن انك لم تقاتل مثلنا اي لانهم

كانوا أشجع اليهود وأكثرهم أموالاً وأشدهم بغياً فأنزل الله تعالى قل للذين كفروا الآية اى وأنزل الله تعالى وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم الآية فتحصنوا في حصنهم فسار اليهم صلى الله عليه وسلم ولواؤه وكان أبيض بيد عمه حمزة بن عبد المطلب قال ابن سعد ولم تكن الرايات يومئذ وقد قدمنا أن هذا يرده ما تقدم في غزاة بدر من أنه كان أمامه رايتان سوداوان احداهما مع علي ويقال لها العقاب ولعلها سميت بذلك في مقابلة الراية التي كانت في الجاهلية تسمى بهذا الاسم ويقال لها راية الرؤساء لانه كان لا يحملها في الحرب الا رئيس وكانت في زمنه صلى الله عليه وسلم مختصة بأبي سفيان لا يحملها في الحرب الا هو أو رئيسهم اذا غاب كما في يوم بدر والأخرى مع بعض الانصار وسيأتي في خيبر أن العقاب كان قطعة من برد لعائشة رضي الله تعالى عنها واستخلف على المدينة أبا لبابة وحاصرهم خمس عشرة ليلة أشد الحصار لان خروجه كان في نصف شوال واستمر الى هلال ذي القعدة الحرام فقذف الله في قلوبهم الرعب وكانوا أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخلي سبيلهم وأن يجلوا من المدينة اى يخرجوا منها وأن لهم نساءهم والذرية وله صلى الله عليه وسلم الاموال اى ومنها الحلقة التي هي السلاح والظاهر من كلامهم أنه لم يكن لهم نخيل ولا أراضي تزرع وخمسة أموالهم اى مع كونها فيئاً له صلى الله عليه وسلم لانهم لم يحصل بقتال ولا جلوا عنها قبل التقاء الصفين فكان له صلى الله عليه وسلم الخمس ولأصحابه الاربعة الاخماس **أقول** ولا يخفى أن من جملة أموالهم دورهم ولم أقف على نقل صريح دال على ما فعل بها وعلم أنه صلى الله عليه وسلم جعل هذا الفيء كالغنيمة ومذهبنا معاشر الشافعية أن الفيء المقابل للغنيمة كالواقع في هذه الغزوة وغزوة بني النضير الآتية كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم يقسم خمسة أقسام له صلى الله عليه وسلم أربعة منها والقسم الخامس يقسم خمسة أقسام له صلى الله عليه وسلم منها قسم فيكون له أربعة أخماس وخمس الخمس والاربعة الاقسام الباقية من الخمس منها واحد لذوي القربى ولآخر لليتامى ولآخر للمساكين ولآخر لابن السبيل فجميع مال الفيء مقسوم على خمسة وعشرين سهماً منها احد وعشرون سهماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأربعة أسهم لاربعة أصناف هم ذوو القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ولعل إمامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه رأى أن ذلك كان أكثر أحواله صلى الله عليه وسلم والا فهو هنا وفي بني النضير كما سيأتي لم يفعل ذلك بل خمسه هنا وثم استقل به اى ولم يعط الخمس منه وقد جعل صلى الله عليه وسلم سهم ذوي القربى بين بني اى وبنات هاشم وبني اى وبنات المطلب دون بني أخويهما

عبد

عبد شمس ونوفل مع أن الاربعة أولاد عبد مناف كما تقدم ولما فعل كذلك جاءه اليه جبير بن مطعم من بني نوفل وعثمان بن عفان من بني عبد شمس فقالا يا رسول الله هؤلاء اخواننا من بني هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي وضعك الله منهم أرأيت اخواننا من بني المطلب أعطيتهم وتركتنا **وفي** لفظ وضعتنا وانما قرابتنا وقرابتهم واحدة **وفي** رواية ان بني هاشم شرفوا بمكانك منهم وبنو المطلب ونحن ندلي اليك بنسب واحد ودرجة واحدة فيم فضلتهم علينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد هكذا وشبك بين أصابعه زاد في رواية انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام اى لان الصحيفة انما كتبت على بني هاشم والمطلب لانهم هم الذين قاموا دونه صلى الله عليه وسلم ودخلوا الشعب **وبعده** صلى الله عليه وسلم صار الفيء أربعة أخماسه للمرتزقة المرصدة للجهاد وخمس الخمس الخامس لمصالح المسلمين والخمس الثاني منه لذوي القربى والخمس الثالث منه لليتامى والخمس الرابع منه للمساكين والخمس الخامس منه لابن السبيل والله أعلم ثم لا يخفى أنه صلى الله عليه وسلم اذا كان مع الجيش وغنم شيئاً بقتال او ايجاف خيل او خلي عنها اهلها بعد التقاء الصفين كان من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن يختار من ذلك قبل قسمته ويقال لهذا لهذا الذي يختاره الصفي والصفية كما تقدم **أقول** وتقدم عن الامتاع عن محمد بن أبي بكر خلافه وتقدم هل صفية كان محسوباً عليه من سهمه أو لا قيل نعم وقيل كان خارجاً عنه وتقدم الجواب عن ذلك في غزاة بدر أن هذا الخلاف لا ينافي الجزم ثم بأنه كان زائداً على سهمه لان ذاك كان قبل نزول آية تخميس الغنيمة فكان سهمه صلى الله عليه وسلم كسهم واحد من الجيش فصفيه يكون زائداً على ذلك وأما سهمه بعد نزول آية التخميس للغنيمة فهو خمس الغنيمة فهو خمس الغنيمة فيجري فيما يأخذه قبل القسمة الخلاف هل يكون زائداً على ذلك الخمس أو يكون محسوباً منه فلا مخالفة بين اجراء الخلاف والجزم والله أعلم **وقيل** لما نزل بنو قينقاع على أمر رسول الله صلى عليه وسلم أمر أن يكتفوا فكتفوا وأراد قتلهم فكلمه فيهم عبد الله بن أبي سلول وألح عليه اى فقال يا محمد أحسن في موالي فأعرض عنه فأدخل يده في جيب درع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلفه اى وتلك الدرع هي ذات الفضول فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك أرسلني وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأوا لوجهه سمرة لشدة غضبه ثم قال ويحك أرسلني فقال والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي فانهم عزي وأنا امرؤ أخشى الدوائر فقال خلوهم لعنهم الله ولعنه معهم وتركهم من القتل اى وقال له خذهم لا بارك الله لك فيهم وأمر أن يجلوا من المدينة اى ووكل باجلائهم عبادة

ابن الصامت واستمهلوه ثلاثة ايام فجلوا منها بعد ثلاث اى بعد ان سالوا عبادة بن
الصامت ان يمهلهم فوق الثلاث فقال لا ولا ساعة واحدة وتولى اخراجهم وذهبوا
الى اذرعات بلدة بالشام اى فلم يدر الحول عليهم حتى هلكوا اجمعون بدعوته صلى الله
عليه وسلم فى قوله لابن ابى لا بارك الله لك فيهم ويذكر ان ابن ابى قبل خروجهم جاء
المعتذر له صلى الله عليه وسلم يسأله فى الحائط فحجبه فانصرف مغضبا فقال بنو
قينقاع لانمكث فى بلد يفعل فيه بابى الحباب هذا ولا ننتصر له وتاهبوا للجلاء قال
وقيل الذى تولى اخراجهم محمد بن مسلمة اى ولا مانع ان يكونا اى عبادة بن الصامت ومحمد
ابن مسلمة اشتركا فى اخراجهم ووجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منازلهم سلاحا
كثيرا اى لانهم كما تقدم اكثر يهود اموالا واشدهم باسا واخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
من سلاحهم ثلاث قسى قوسا يدعى الكتوم اى لايسمع له صوت اذا رمى به وهو الذى
رمى به يوم احد حتى تشظى بالظا المثالثة كما سياتى وسياتى ما فيه وقوسا يدعى الروحا
وقوسا يدعى البيضا واخذ درعين درعا يقال له السعدية اى بسين مهملة وعين
معجمة ويقال انها درع داود التى لبسها حين قتل جالوت والاخرى يقال لها فضة ه
وثلاثة ارماح وثلاثة اسياف سيف يقال له قلعى وسيف يقال له بتار والاخر لم يسم
انتهى اى وسماه بعضهم بالحيف ووهب درعا لمحمد بن مسلمة ودرعا لسعد بن معاذ
رضى الله تعالى عنهما **غزوة السويق** لما اصاب قريشا فى بدر ما اصابهم نذر ابو
سفيان ان لا يمس راسه ماء من جنابة اى يأتى النسا ولعل هذه العبارة وهى لا يمس
راسه ماء من جنابة وقعت من بعض الصحابة مراده بها ما ذكر من انه لا يأتى النسا ه
ويؤيده ما جا فى بعض الروايات لا يمس النسا والطيب حتى يغزو محمدا او ان ذلك قاله
ابو سفيان بنا على انهم كانوا يغتسلون من الجنابة **ومن ثم** ذكر الدميرى
ان الحكمة فى عدم بيان الغسل فى اية الوضو كون الغسل من الجنابة كان معلوما
قبل الاسلام بقية من دين ابراهيم واسماعيل فهو من الشرائع القديمة **وفى**
كلام بعضهم كانوا فى الجاهلية يغتسلون من الجنابة ويغسلون موتاهم ويكفنونهم
ويصلون عليهم وهو ان يقوم وليه بعد ان يوضع على سريره ويذكر محاسنه
ويثنى عليه ثم يقول عليك رحمة الله ثم يدفن فخرج ابو سفيان فى مائتى راكب من
قريش ليبر يمينه حتى نزل بمحل بينه وبين المدينة نحو بريد ثم اتى لبنى النضير اى
وهم حى من يهود خيبر ينسبون الى هرون اخى موسى بن عمران عليهما السلام تحت
الليل فاتى حيى بن اخطب اه وهو من رؤسا بنى النضير وهو ابو صفية ام
المؤمنين رضى الله تعالى عنها فضرب عليه بابه فابى ان يفتح له لانه خافه فانصرف

عنه فجاء الى سلام بن مشكم سيد بنى النضير اى وصاحب كنزهم اى المال الذى
كانوا يجمعونه ويدخرونه لنوائبهم وما يعرض لهم ه اى وكان حليا يعيرونه لاهل
مكة فاستاذن عليه فاذن له واجتمع به ثم خرج الى اصحابه فبعث رجالا من قريش فاتوا
ناحية من المدينة فحرقوا نخلا منها ووجدوا رجلا من الانصار اى **فى** الامتاع وهذا
الانصارى هو معبد بن عمرو وحليفا لهم فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين فعلم بهم الناس
فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبهم فى مائتين من المهاجرين والانصار اى
واستعمل على المدينة بشير بن عبد المنذر وكان خروجه لخمس خلون من ذى الحجة
وجعل ابو سفيان واصحابه يخففون للهرب اى لاجله فجعلوا يلقون جرب السويق
اى وهو قمح او شعير يقلى ثم يطحن ليستف تارة بما وتارة بسمن وتارة بعسل وسمن ه
وهو عامة ازوادهم فياخذه المسلمون فلم يلحقوا بهم وانصرف رسول الله صلى الله
عليه وسلم راجعا الى المدينة وكانت غيبته خمسة ايام **غزوة قرقرة الكدر**
ويقال قرارة الكدر ويقال قراقر بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جمعا من
بنى سليم وغطفان الكدر اى لعله لبعدانهم يريدون الاغارة على المدينة
بعد ان غزاهم صلى الله عليه وسلم كما تقدم وقرقرة الكدر ارض ملسا فيها طيور فى
الوانها كدرة عرف بها ذلك الموضع كما تقدم ان الما الذى بارضهم الذى بلغه صلى
الله عليه وسلم فلم يجد به احدا منهم يسمى الكدر لوجود ذلك الطير به فسار اليهم
فى مائتين من اصحابه وحمل لواءه على بن ابى طالب واستخلف على المدينة ابن ام
مكتوم وتقدم فى تلك انه استخلف على المدينة سباع بن عرفطة او ابن ام مكتوم
وتقدم ما فيه فلما سار اليه اى الى ذلك الموضع لم يجد به احدا وارسل نفرا من اصحابه
الى اعلى الوادى واستقبلهم فى بطن الوادى فوجد خمسمائة بعير مع رعاة منهم
غلام يقال له يسار فحازوها وانحدروا بها الى المدينة فلما كانوا بمحل على ثلاثة
اميال من المدينة خمسها صلى الله عليه وسلم فاخرج خمسه وقسم الاربعة اخماس
على اصحابه فخص كل رجل منهم بعيران ووقع يسار فى سهمه صلى الله عليه وسلم ه
فاعتقه صلى الله عليه وسلم لانه رآه يصلى اى وقد اسلم وتعلم الصلاة من المسلمين
بعد اسره اى **وفى** كونه غنيمة حيث قسمه كذلك وقفة وكانت مدة غيبته صلى
الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة فعلم انه غزى بنى سليم وانه استعمل على المدينة خمس عشرة
ليلة فعلم انه غزى بنى سليم وانه وصل الى ما من مياههم يقال له الكدر لوجود ذلك
الطير به وانه استعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى او ابن ام مكتوم
وهنا وقع الجزم بالثانى وان الاول لم يذكر انه وجد فيها شيئا من النعم وظاهر

هذا بدا على التعدد وجرى عليه الاصل اي وحينئذ تكون تلك الطير توجد
في ذلك الماء وفي تلك الارض فعلى هذا يكون غزى بني سليم مرتين مرة وصل
فيها لذلك الماء ولم يجد شيئا من النعم ومرة وصل فيها لتلك الارض ووجد بها
تلك النعم ولم اقف على ان محل ذلك الماء سابق على تلك الارض او ان تلك الارض
سابقة على محل ذلك الماء وفي السيرة الشامية ان غزوة بني سليم من غزوة
قرقرة الكدر فعليه يكون انما غزى بني سليم مرة واحدة اي وحينئذ يكون الماء
الذي كان به ذلك الطير كان في تلك الارض المسماة او قريبا منها فلينا مل والحافظ
الدمياطي جعل غزوة بني سليم من غزوة بحران الاتية وسنذكره غزوة
ذي امر بتشديد الراء اسم ماء اي وسماها الحاكم غزوة انمار ويقال لها غزوة
غطفان بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقال له دعثور بضم الدال واسكان
العين المهملتين ثم مثلثة مضمومة ابن الحارث اي الغطفاني من بني محارب
جمع جمعا من ثعلبة ومحارب بذي امر اي وهو موضع من ديار غطفان اي ولعل
به ذلك الماء المسمى بها ذكر كما تقدم يريدون ان يصيبوا من اطراف المدينة فخرج
اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في اربعمائة وخمسين رجلا لاثنتي عشرة
ليلة مضت من شهر ربيع الاول واستخلف على المدينة عثمان بن عفان واصاب
اصحابه رجلا منهم اي يقال له جبار وقيل حباب بكسر الحاء المهملة وبالباء الموحدة
من بني ثعلبة فادخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره من خبرهم اي وقال
له لن يلاقوك ولو سمعوا بمسيرك هربوا في رؤس الجبال وانا سائر معك فدعاه
رسول الله صلى الله عليه وسلم للاسلام فاسلم وضمه صلى الله عليه وسلم الى بلال اي
واخذ به لك الرجل طريقا وهبط به عليهم فسمعوا بمسير رسول الله صلى
الله عليه وسلم فهربوا في رؤس الجبال اي فبلغوا ماء يقال له ذو امر فعسكر به واصابهم
مطر اي كثير بل ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثياب اصحابه فنزع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبيه ونشرهما على شجرة ليجفا واضطجع اي بمراى
من المشركين واشتغل المسلمون في شؤنهم فبعث المشركون دعثورا الذي هو سيد
القوم واشجعهم المجتمع لهم اي فقالوا له قد انفرد محمد فعليك به اي وفي لفظ انه
لما راه قال قتلني الله ان لم اقتل محمدا فجاء دعثور ومعه سيفه حتى قام على راس
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال من يمنعك مني اليوم وفي رواية الان
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله ودفع جبريل في صدره فوقع السيف من
يده اي بعد وقوعه على ظهره فاخذ السيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال

له من يمنعك مني قال لا احد اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله وفي
رواية وانا اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ثم اتى قومه اي بعد ان اعطاه صلى
الله عليه وسلم سيفه فجعل يدعوهم الى الاسلام واخبرهم انه راى رجلا طويلا
دفع في صدره فوقع على ظهره فقال علمت انه ملك فاسلمت ونزلت هذه الاية يا ايها
الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم الاية ثم اقبل
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ولم يلق حربا وكانت مدة غيبته احدى عشرة
ليلة غزوة بحران بفتح الموحدة وتضم وسكون الحاء المهملة وعبر
عنها الحافظ الدمياطي بغزوة بني سليم كما تقدم لما بلغه صلى الله عليه وسلم ان ببحران
وهو موضع بالحجاز معروف بينه وبين المدينة ثمانية برد جمعا كثيرا من بني سليم
خرج في ثلثمائة من اصحابه لست خلون من جمادى الاولى واستخلف على المدينة ابن ام
مكتوم اي ولم يظهر وجها للسير وفي السير حتى بلغ بحران فوجدهم قد تفرقوا في
مياههم اي وكان قبل ان يصل الى ذلك بليلة لقي رجلا من بني سليم فاخبره ان
القوم تفرقوا فحبسه مع رجل وسار الى ان وجدهم كذلك فاطلق الرجل واقام
بذلك المحل اياما ثم رجع ولم يلق حربا وكانت غيبته عشر ليال وعلى مقتضى السياق
تبعا للاصل يكون غزى بني سليم ثلاث مرات عقب بدر وهذه الغزوة وغزوة
ذي امر كانت في السنة الثالثة من الهجرة وفي تلك السنة التي هي الثالثة عقد
عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه على ام كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
موت اختها رقية وتقدم وقت موتها وعقد صلى الله عليه وسلم على حفصة بنت عمر
ابن الخطاب رضي الله تعالى عنهما وذلك في شعبان لما انقضت عدة وفاة زوجها
خنيس بن حذافة من شهد بدرا بعد ان عرضها عمر على ابي بكر فلم يجبه لشئ وعرضها
على عثمان فلم يجبه لشئ فقال عمر يا رسول الله قد عرضت حفصة على عثمان فاعرض
عني فقال له صلى الله عليه وسلم ان الله قد زوج عثمان خيرا من ابنتك وزوج ابنتك
خيرا من عثمان فتزوج عثمان ام كلثوم وتزوج صلى الله عليه وسلم حفصة وتزوج
ايضا صلى الله عليه وسلم زينب بنت خزيمة في رمضان وتزوج زينب بنت جحش
بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب في تلك السنة وقيل تزوجها في السنة الرابعة
وصححها في الاصل وقيل في الخامسة وكان اسمها برة بفتح الموحدة واسم امها
برة بضمها فغيره صلى الله عليه وسلم اسمها وسماها زينب وقال لها صلى الله عليه وسلم
لو كان ابوك منا لسميناه باسم رجل منا ولكن قد سميته جحشا اي والجحش في اللغة
السيد وقد كان صلى الله عليه وسلم جاء اليها يخطبها لمولاه زيد بن حارثة فقالت لست

بنا كحته قال فانكحنيه قالت يا رسول الله اوامري اشاور نفسي فاني خير منه حسبا
فانزل الله تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة
من امرهم الاية فقالت عند ذلك رضيت وفي رواية انها وهبت نفسها للنبي صلى الله
عليه وسلم فزوجها من زيد فسخطت هي واخوها وقالا انما اردنا رسول الله صلى الله عليه
فزوجها عبده فنزلت الاية اي وعن مقاتل ان زيد بن حارثة لما اراد ان يتزوج زينب
جا الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له يا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله
اخطب علي قال له من قال زينب بنت جحش فقال له لا اراها تفعل انها اكرم من ذلك
نسبا فقال يا رسول الله اذا كلمتها انت وقلت زيد اكرم الناس علي فعلت قال انها
امرأة لسنا اي فصيحة والمراد لسانها طويل فذهب الى علي رضي الله تعالى عنه فحمله على ان
يكلم له النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق معه علي الى النبي صلى الله عليه وسلم فكلمه فقال
اني فاعل ذلك ومرسلك يا علي الى اهلها لتكلمهم ففعل ثم عاد فاخبره بكراهتها
وكراهة اخيها لذلك فارسل اليهم النبي صلى الله عليه وسلم يقول قد رضيته لكم
واقضي ان تنكحوه فانكحوه وساق اليهم عشرة دنانير وستين درهما ودرعا
وخمارا وملحفة وازارا وخمسين مدا من الطعام وعشرة امداد من التمر اعطاه
ذلك كله رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعد ذلك جا صلى الله عليه وسلم بيت زيد
يطلبه فلم يجده فتقدمت اليه زينب فاعرض عنها فقالت له ليس هو هاهنا ه
يا رسول الله فادخل فابى ان يدخل واعجبت رسول الله صلى الله عليه وسلم اي لان
الريح رفعت الستر فنظر اليها من غير قصد فوقعت في نفسه صلى الله عليه وسلم
فرجع وهو يقول سبحان مصرف القلوب وفي رواية مقلب القلوب وسمعته زينب
يقول ذلك فلما جا زيد اخبرته الخبر فجا الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله
لعل زينب اعجبتك فافارقها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم امسك عليك
زوجك فما استطاع زيد اليها سبيلا بعد ذلك اليوم اي فلم يستطع ان يغشاها
من حين راها صلى الله عليه وسلم الى ان طلقها فعنها رضي الله تعالى عنها لما وقعت في
قلب النبي صلى الله عليه وسلم لم يستطع زيد وما امتنع منه وصرف الله تعالى
قلبه عني وجاه يوما وقال يا رسول الله ان زينب اشتد علي لسانها وانا اريد ان
اطلقها فطلقها فلما انقضت عدتها ارسل زيدا الخاطب قال له اذهب فاذكرها
علي فانطلق قال فلما رايتها عظمت في صدري فقلت يا زينب ابشري ارسلني رسول
الله صلى الله عليه وسلم يذكرك قالت ما انا بصانعة شيئا حتى اوامر ربي فاستخيره
فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس يتحدث مع عايشة اذ نزل عليه الوحي بان

الله زوجه زينب فسرى عنه وهو يتبسم وهو يقول من يذهب الى زينب يبشرها
ان الله زوجنيها من السما وجا اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل عليها بغير
اذن قالت دخل علي وانا مكشوفة الشعر فقلت يا رسول الله بلا خطبة ولا شهادة
قال الله المزوج وجبريل الشاهد اي وانزل الله تعالى واذ تقول للذي انعم الله عليه
وانعمت عليه امسك عليك زوجك الاية اي لان الله تعالى كان اعلم نبيه ان زينب
ستكون من ازواجه صلى الله عليه وسلم فلما شكى اليه زيد قال له امسك عليك ه
زوجك واتق واخفى منه في نفسه ما الله مبديه ومظهره وهو ما اعلمه الله به
من انك ستتزوجها فالذي اخفاه ما كان الله اعلمه به وتخشى الناس اي اليهود
والمنافقين ان يقولوا تزوج امراة ابنه والله احق ان تخشاه في الفضا ما احبه
ورضيه لك واعطاك اياه وقد جعل الله تعالى طلاق زيد لها وتزويج النبي صلى
الله عليه وسلم اياها لازالة حرمة التبني قال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج
في ازواج ادعيائهم واولم صلى الله عليه وسلم عليها ما لم يولم به على نسائه وذبح
شاة واطعم فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام فشق ذلك
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البخاري فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يخرج ثم
يرجع وهم قعود يتحدثون وفي البخاري ايضا فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق
الى حجرة عايشة فقال السلام عليكم اهل البيت ورحمة الله وبركاته فقالت وعليك
السلام ورحمة الله كيف وجدت اهلك بارك الله لك ثم دخل حجر نسائه كلهن
يقول كما قال لعايشة ويقلن له كما قالت عايشة ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم
فوجد القوم في البيت يتحدثون قال انس رضي الله تعالى عنه وكان النبي صلى الله عليه
وسلم شديد الحيا فخرج فطلبها الى حجرة عايشة فاخبر ان القوم خرجوا فرجع حتى
وضع رجله في اسكفة البيت داخله واخرى خارجه ارخى الستر بيني وبينه
نزلت اية الحجاب قال في الكشاف وهي ادب ادب الله تعالى به الثقلا وفي
مسلم عن عايشة رضي الله تعالى عنها قالت خرجت سودة بعد ما ضرب علينا الحجاب
تقضي حاجتها اي بالمناصع كان ازواجه صلى الله عليه وسلم يخرجن اليه بالليل للبراز
وكانت امراة جسيمة فراها عمر بن الخطاب فقال يا سودة والله ما تخفين علينا
فانظري كيف تخرجين فانكفات راجعة ورسول الله صلى الله عليه في بيتي ليتعشى
وفي يده عرق فدخلت فقالت يا رسول الله اني خرجت فقال لي عمر كذا وكذا فاوحى
الله تعالى اليه ثم رفع عنه وان العرق في يده ما وضعه فقال انه قد اذن لكن ان
تخرجن لحاجتكن وكان قول عمر لسودة حرصا على ان ينزل الحجاب فقالت عايشة

رضي الله تعالى عنها فانزل الحجاب وفيه انه تقدم عنها ان قول عمر لسودة كان بعد ان ضرب الحجاب وقد يقال المراد بالحجاب هنا عدم خروجهن للبراز فلا يرى اشخاصهن والحجاب المتقدم عدم رؤية شيء من بدنهن فلا مخالفة فليتأمل وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت دخلت على زينب بنت جحش وعندي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبلت عليه فقالت ما كل واحدة منا عندك الا على خلابة اي على ارادة ثم اقبلت علي تسبني فردعها النبي صلى الله عليه وسلم فلم تنته فقال لي سبيها فسببتها وكنت اطول لسانا منها حتى جف ريقها في فمها ووجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل سرورا اي وفي يوم غضب صلى الله عليه وسلم على زينب لقولها في صفية بنت حيي تلك اليهودية فهجرها لذلك ذا الحجة والمحرم وبعض صفر ثم اتاها بعد وعاد الى ما كان عليه معها وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت ارسل ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم تستاذن والنبي صلى الله عليه وسلم معي فاذن لها فدخلت عليه فقالت يا رسول الله ان ازواجك ارسلنني اليك العدل في ابنة ابي قحافة اي ان تعدل بينهن وبينها فقال النبي صلى الله اي بنية الستِ تحبين ما احب فقالت بلى قال فاحبي هذه يعنيني فقامت فاطمة فخرجت فجاءت ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فحدثتهن بما قالت وبما قال لها فقلن ما اغنيت عنا من شيء فارجعي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله لا اكلمه فيها ابدا فارسل ازواج النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش فاستاذنت عليه وهو في بيت عائشة فاذن لها فدخلت فقالت يا رسول الله ارسلني ازواجك يسألنك العدل في ابنة ابي قحافة ثم وقعت اي زينب بي تسمعني ما اكره فطفقت انظر الى النبي صلى الله عليه وسلم حتى ياذن لي فيها فلم ازل حتى عرفت ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يكره ان انتصر فوقعت بها اسمعها ما تكره فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم وقال لها انها ابنة ابي بكر اي محل الفصاحة والشهامة وسبب ذلك اي طلبهم ان يعدل بينهن وبين عائشة ان الناس كانوا يتحرون بهداياهم يوم عائشة يبتغون بذلك مرضات رسول الله صلى الله عليه وسلم

غزوة احد

وكانت في شوال سنة ثلاث اي باتفاق الجمهور وشذ من قال سنة اربع واحد جبل من جبال المدينة قيل سمي بذلك لتوحده وانفراده عن غيره من الجبال وهذا الجبل يقصد لزيارة سيدنا حمزة ومن فيه من الشهداء وهو على نحو ميلين وقيل على ثلاثة اميال من المدينة يقال ان فيه قبر هرون اخي موسى عليهما الصلاة والسلام وفيه قبض فواراه موسى فيه وكانا قدما حاجين او معتمرين وعن ابن دحية ان هذا باطل بيقين

وان نص التوراة انه دفن بجبل من جبال بعض مدن الشام وقد يقال لا مخالفة لانه يقال المدينة شامية وقيل دفن بالتيه هو واخوه موسى عليهما السلام كما تقدم قال صلى الله عليه وسلم ان احدا هذا جبل يحبنا ونحبه اذا مررتم به فكلوا من شجره ولو من عضاهه اي من كل شجرة عظيمة لها شوك والقصد الحث على عدم اهمال الاكل من شجره تبركا به وقال احد ركن من اركان الجنة اي جانب عظيم من جوانبها وفي رواية على باب من ابواب الجنة ولا يخالف ما قبله ما قبله فانه جاز ان يكون ركنا بجانب الباب وفي رواية جبل من جبال الجنة ولا مانع ان تكون المحبة من الجبل على حقيقتها وقيل هو على حذف مضاف اي يحبنا اهله وهم الانصار واخذ من هذا انه افضل الجبال وقيل افضلها عرفة وقيل ابو قبيس وقيل الذي كلم الله عليه موسى وقيل قاف لما اصاب قريشا يوم بدر ما اصابها مشى عبد الله بن ابي ربيعة وعكرمة بن ابي جهل وصفوان بن امية رضي الله تعالى عنهم فانهم اسلموا بعد ذلك ورجال اخر من اشراف قريش الى ابي سفيان رضي الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك ايضا والى من كان له تجارة في تلك العير اي التي كان سببا في وقعة بدر وكانت تلك العير موقوفة في دار الندوة لم تعط الاربابها فقالوا ان محمدا قد وتركم اي قتل رجالكم ولم تدركوا دماءهم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثارا عمن اصاب منا اي وقالوا نحن طيبوا النفس ان تجهزوا بربح هذه العير جيشا الى محمد فقال ابو سفيان وانا اول من اجاب الى ذلك وبنو عبد مناف معي فجعلوا لذلك ربح المال فسلم لاهل العير رؤوس اموالهم وكانت خمسين الف دينار واخرجوا ارباحها وكان الربح لكل دينار دينارا اي فكان الذي اخرج خمسون الف دينار وقيل اخرجوا خمسة وعشرين الف دينار وانزل الله تعالى في ذلك ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون وتجهزت قريش ومن والاهم من قبائل كنانة وتهامة وقال صفوان بن امية لابي عزة يا ابا عزة انك رجل شاعر فاعنا بلسانك ولك علي ان رجعت ان اغنيك وان اصبت اجعل بناتك مع بناتي يصيبهن ما اصابهن من عسر ويسر فقال ان محمدا قد من علي اي واخذ علي ان لا اظاهر عليه احدا حين اطلقني وانا في اسارى بدر فلا اريد ان اظاهر عليه قال بلى فاعنا بلسانك فخرج ابو عزة ومسافع يستنفران الناس باشعارهما فاما مسافع فلا يعلم له اسلام لكن في كلام ابي عبد البر مسافع بن عياض بن صخر القرشي التيمي له صحبة وكان شاعرا لم يرو شيئا ولا ادري هل هو هذا او غيره واما ابو عزة فظفر به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الوقعة

بحمراء الاسد اى المكان المعروف الاتى بيانه قريبا وتقدم استطرادا انهم امر عاصم ابن ثابت فضرب عنقه وحملت راسه الى المدينة كما سيأتى وتقدم استطرادا ودعا جبير بن مطعم بن عدى رضى الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك غلاما له حبشيا يقال له وحشى رضى الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك وكان يقذف بحربة له قذف الحبشة قل ما يخطئ بها فقال له اخرج مع الناس فان انت قتلت حمزة عم محمد بعمى طعيمة بن عدى فانت عتيق اى لان حمزة هو القاتل له وقيل وحشى كان غلاما لطعيمة وان ابنة سيده طعيمة قالت له ان قتلت محمدا او حمزة او عليا فى ابى فانى لا ارى فى القوم كفوا له غيرهم فانت عتيق وخرج معهم النسا بالدفوف وفى كلام سبط ابن الجوزى وسلوا بالقيان والدفوف والمعازف والخمور والبغايا هذا كلامه وخرج من نسا قريش خمس عشرة امرأة اى مع ازواجهن ومنهن هند زوج ابى سفيان رضى الله تعالى عنه فانها اسلمت بعد ذلك اى وام حكيم بنت طارق مع زوجها عكرمة رضى الله تعالى عنهما فانهما اسلما بعد ذلك وسلافة مع زوجها طلحة وام مصعب بن عمير يبكين قتلى بدر وينحن عليهم يحرضنهم على القتال وعدم الهزيمة والفرار وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ارسل به اليه عمه العباس اى بعد ان راودوه على الخروج معهم فاعتذر بما لحقه من القوم يوم بدر فلم يساعدهم بشئ وذلك فى كتاب جاء اليه وهو بقبا ارسله العباس مع رجل استاجره من بنى غفار وشرط عليه ان ياتى المدينة فى ثلاثة ايام بلياليها ففعل كذلك فلما جاءه الكتاب فك ختمه ودفعه لابى فقراه عليه ابى بن كعب واستكتم ابيا ونزل صلى الله عليه وسلم على سعد بن الربيع فاخبره بكتاب العباس اى فقال والله انى لارجو ان يكون خيرا فاستكتمه اياه فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده قالت له امراته ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها لا ام لك وما انت وذاك فقالت قد سمعت ما قال واخبرته بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسترجع واخذ بيدها ولحقه صلى الله عليه وسلم فاخبره خبرها وقال يا رسول الله انى خفت ان يفشو الخبر فترى انى انا المفشى له وقد استكتمتنى اياه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خل عنها ه وسارت قريش وهم ثلاثة الاف رجل وقال بعض الحفاظ جمع ابو سفيان قريشا من ثلاثة الاف من قريش والحلفا والاحابيش وخرج معهم ابو عامر الراهب فى سبعين فارسا من الاوس كل بنى الاصل والاحابيش الذين حالفوا قريشا وهم بنو المصطلق وبنو الهون بن خزيمة اجتمعوا عند حبشى وهو جبل باسفل مكة وتحالفوا على انهم مع قريش يدا

واحدة

واحدة على غيرهم ما سجى ليل ووضح نهار وما رسى حبشى مكانه فسموا احابيش باسم الجبل وقيل سموا بذلك لتحبشهم وفيهم مائتا فارس اى وثلاثة الاف بعير وسبعمائة دارع حتى نزلوا مقابل المدينة بذى الحليفة اى وهو ميقات اهل المدينة الذى يحرمون منه اى وارجف اليهود والمنافقون فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عينين له اى جاسوسين فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبرهم ويقال ان عمرو بن سالم الخزاعى مع نفر من خزاعة فارقوا قريشا من ذى طوى وجاؤا الى النبى صلى الله عليه وسلم واخبروه خبرهم وانصرفوا ولما وصلوا اى كفار قريش ومن معهم للابوا ارادوا نبش قبر امه صلى الله عليه وسلم والمشير عليهم بذلك هند بنت عتبة زوج ابى سفيان رضى الله تعالى عنها فقالت لو بحثتم قبر ام محمد فان اسر منكم احد فديتم كل انسان بارب من ارابها اى جزء من اجزائها فقال بعض قريش لا يفتح هذا الباب والا نبشت بنو بكر موتانا عند مجيئهم وحرست المدينة وبات سعد بن معاذ واسيد بن حضير وسعد بن عبادة وعليهم السلاح فى المسجد بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اصبحوا وراى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا قال رايت البارحة فى منامى خيرا رايت بقرا تذبح ورايت فى ذباب سيفى اى وهو ذو الفقار ثلما باسكان اللام وفى لفظ وكان ظبة سيفى انكسرت وفى لفظ ورايت سيفى ذا الفقار انفصم من عند ظبته فكرهته وهما مصيبتان ورايت انى ادخلت يدى فى درع حصينة وفى رواية ورايت انى فى درع حصينة اى وانى مردف كبشا قال بعد ان قيل له ما اولتها قال فاما البقر فناس من اصحابى يقتلون وفى لفظ اولت البقر ببقر يكون فينا واما الثلم الذى رايت فى سيفى فهو رجل من اهل بيتى اى وفى رواية من عترتى يقتل وفى رواية ورايت ان سيفى ذا الفقار فل فاولته فلا فيكم اى فلول السيف كسور فى حده وقد حصل فى حد سيفه كسور وحصل انفصام ظبته وذهابها فكان ذلك علامة على وجود الامرين واما الدرع الحصينة فالمدينة اه واما الكبش فانى اقتل كبش القوم اى حاميهم وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فان اقاموا اقاموا بشر مقام وان هم دخلوا علينا قاتلنا فيها اى فانا اعلم بها منهم وكانوا قد شبكوا المدينة بالبنيان من كل جانب فهى كالحصن وكان ذلك راى اكابر المهاجرين والانصار قال ووافق على ذلك عبد الله بن ابى بن سلول اى فان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسل اليه يستشيره ولم يستشره قبل ذلك قال يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج فوالله ما خرجنا منها الى عدو لنا الا اصاب منا

ولا دخلها الا اصبنا منه فدعهم يا رسول الله فان اقاموا اقاموا بشر محلس وان
دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم الصبيان بالحجارة من ورائهم وان
رجعوا رجعوا خائبين كما جاؤا انتهى وهذا من النظر مخالفا لما ذكره بعضهم
من انه صلى الله عليه وسلم دعى عبد الله بن ابى بن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره
فقال يا رسول الله اخرج بنا الى هذه الاكالب اذ لا يناسب ذلك ما يأتى عنه من رجوعه
وتوله خالفنى الى اخره وانما قال ذلك رجال من المسلمين ممن اكرمه الله بالشهادة يوم
احد وقال رجاله اى غالبهم احداث احبوا لقاء العدو ه وغالبهم ممن اسف على ما فاته
من مشهد بدر اخرج بنا الى اعدائنا لا يرون انا جبنا عنهم وضعفنا اى فيكون ذلك
جراة منهم علينا والله لا تطمع العرب فى ان تدخل علينا منازلنا وفى لفظ ان
الانصار قالوا يا رسول الله ما غلبنا عدو لنا اتانا فى دارنا اى فى ناحية من نواحيها
فكيف وانت فينا ووافقهم على ذلك حمزة بن عبد المطلب وقال للنبى صلى الله عليه
وسلم والذى انزل عليك الكتاب لا اطعم طعاما حتى اجالدهم بسيفى خارج المدينة
كل ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم كاره للخروج فلم يزالوا برسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى وافق على ذلك فصلى الجمعة بالناس ثم وعظهم وامرهم بالجد
والاجتهاد واخبرهم ان لهم النصر ما صبروا وامرهم بالتهيؤ لعدوهم ففرح الناس
بذلك ثم صلى بالناس العصر وقد حشدوا اى اجتمعوا وقد حضر اهل العوالى ثم
دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته ومعه ابو بكر وعمر فعمماه والبساه وصف
الناس ينتظرون خروجه صلى الله عليه وسلم فقال لهم سعد بن معاذ واسيد بن
حضير استكرهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخروج فردوا الامر اليه اى فما
امركم به وما رايتم له فيه هوى ورايا فاطيعوه ه فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد لبس لامته اى وظاهر بين درعين ه اى لبس درعا فوق درع وهما ذات الفضول
وفضة التى اصابها من بنى قينقاع كما تقدم وذات الفضول هذه هى التى ارسلها
اليه سعد بن عبادة حين سار الى بدر وهى التى مات وهى مرهونة عند اليهودى ه
وامسكها ابو بكر رضى الله عنه واظهر الدرع وحزم وسطها بمنطقة من ادم من حمائل
سيفه صلى الله عليه وسلم وانكر الامام ابو العباس بن تيمية انه صلى الله عليه وسلم
تمنطق حيث قال لم يبلغنا ان النبى صلى الله عليه وسلم شد وسطه بمنطقة وقد
يقال مراد ابن تيمية المنطقة المعروفة وليس هذا منها وفيه رد على بعضهم فى قوله
كان له منطقة من ادم فيها ثلاث حلق من فضة والطرف من فضة وقد يقال لا يلزم
من كون له منطقة ان يكون تمنطق بها فليتامل وتقلد صلى الله عليه وسلم السيف

والقى

والقى الترس فى ظهره اى وفى رواية فركب صلى الله عليه وسلم فرسه السكب وتقلد
القوس واخذ قناة بيده ه اى ولا مانع ان يكون جمع بين ذلك فقالوا له ما كان
لنا ان نخالفك ولا نستكرهك على الخروج فاصنع ما شئت وفى رواية فان شئت
فاقعد اى وقال قد دعوتكم الى القعود فابيتم وما ينبغى لنبى اذا لبس لامته ان يضعها
حتى يحكم الله بينه وبين اعدائه اى وفى رواية حتى يقاتل ولاخذ منه انه يحرم على النبى
نزع لامته اذا لبسها حتى يلقى العدو ويقاتل وبه قال ائمتنا اى وقيل هو مكروه واستبعد
وقوله وما ينبغى لنبى يقتضى ان سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام مثله فى ذلك اى
لان نزع ذلك يشعر بالجبن وذلك ممتنع على الانبياء قال فى النور وما اختص به من
المحرمات فهو مكرمة لان المحرم فى الدنيا المستهيات كالواجب فى المامورات وعقد
صلى الله عليه وسلم ثلاثة الوية لواء للاوس وكان بيد اسيد بن حضير ولواء للمهاجرين وكان
بيد على بن ابى طالب وقيل بيد مصعب بن عمير اى لانه كما قيل لما سئل عن من يحمل لواء المشركين
فقيل طلحة بن ابى طلحة اى من بنى عبد الدار فاخذه من على ودفعه الى مصعب بن عمير
اى لان مصعبا من بنى عبد الدار وهم اصحاب اللواء فى الجاهلية كما تقدم وسياتى ولواء للخزرج
كان بيد الحباب بن المنذر وقيل بيد سعد بن عبادة وخرج فى الف وقيل تسعمائة
ولعله تصحيف عن سبعمائة لما سياتى ان عبد الله بن ابى بن سلول رجع معه بثلاثمائة
نبقى سبعمائة من اصحابه منهم مائة دارع وخرج السعدان امامه يعدوان سعد بن
معاذ بن وسعد بن عبادة دارعين واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم اى وسار
الى ان وصل راس الثنية اى وعندها وجد كتيبة كبيرة فقال ما هذا قال هؤلاء
حلفاء عبد الله بن ابى من يهود فقال اسلموا فقيل لا فقال انا لا ننتصر باهل الكفر
على اهل الشرك فردهم اى وهؤلاء اليهود غير حلفائه من بنى قينقاع فلا يقال هذا انما
ياتى على ان اجلاء بنى قينقاع كان بعد احد لانهم هم حلفاؤه من يهود كما تقدم لانا نقول
نمنع انحصار حلفائه من يهود فى بنى قينقاع وسار صلى الله عليه وسلم وعسكر بالشيخين
وهما اطمان اى جبلان ه وعند ذلك عرض قومه فرد جمعا اى شيا بالم يرهم بلغوا
خمس عشرة سنة بل اربع عشرة سنة كذا نقل عن امامنا الشافعى رضى الله تعالى
عنه ونقل عنه بعضهم انه قال لم يرهم بلغوا اربع عشرة سنة منهم عبد الله بن عمر
وزيد بن ثابت واسامة بن زيد وزيد بن ارقم والبراء بن عازب واسيد بن ظهير
وعرابة بن اوس وابو سعيد الخدرى وسعد بن خيثمة اى وزيد بن حارثة الانصارى
كان ابو حارثة من المنافقين من اصحاب مسجد الضرار ورافع بن خديج وسمرة بن جندب
ثم اجاز رافع بن خديج لما قيل له انه رام واصيب فى ذلك اليوم بسهم فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم انا اشهد له يوم القيمة ومات في زمن عبد الملك بن مروان لما نقض
عليه ذلك الجرح وعندما اجازه فقال سمرة بن جندب لزوج امه اجاز رسول الله
صلى الله عليه وسلم رافع بن خديج وردني وانا اصرعه فاعلم بذلك رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال تصارعا فصرع جندب رافعا فاجازه وتقدم في بدر انه رد
زيد بن ثابت وزيد بن ارقم واسيد بن ظهير فما فرغ العرض الا وقد غابت الشمس
فاذن بلال بالمغرب فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم باصحابه ثم اذن بالعشاء
فصلى بهم وبات واستعمل على الحرس تلك الليلة محمد بن مسلمة في خمسين رجلا
يطوفون بالعسكر ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم اي وذكوان بن عبد قيس
يحرسه لم يفارقه قال صلى الله عليه وسلم من يحفظنا الليلة ه حتى كان السحر وجا
انه صلى الله عليه وسلم قال لقد رايت اي في النوم الملائكة تغسل حمزة وادلج رسول
الله صلى الله عليه وسلم في السحر فحانت صلاة الصبح بالشوط حائط بين المدينة
واحد ومن ذلك المكان رجع عبد الله بن ابي بن سلول ومن معه من اهل النفاق
وهم ثلاثمائة رجل وهو يقول عصاني واطاع الولدان ومن لا راي له ما ندري
علام نقتل انفسنا ارجعوا ايها الناس فرجعوا فتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام
وهو والد جابر وكان من الخزرج كعبد الله بن ابي يقول يا قوم اذكركم الله ان تخذلوا
بضم الذال المعجمة قومكم ونبيكم اي تتركوا نصرتهم واعانتهم عند ما حضر من عدوهم
قالوا لو نعلم انكم تقاتلون لما اسلمناكم ولكنا لا نرى انه يكون قتال وابوا الا الانصراف
قال لهم ابعدكم الله اي اهلككم الله اعداء الله فسيغني الله عنكم نبيه وقيل ان قوله المذكور
يجاب به قولهم علام نقتل انفسنا الا انه يقال على فرض ان يقع قتال علام نقتل انفسنا
فلما رجع عبد الله بن ابي بمن معه قالت طائفة نقتلهم وقالت طائفة اخرى لا نقتلهم
وهمّا ان يفشلا والطائفتان هما بنو حارثة من الاوس وبنو سلمة من الخزرج
فانزل الله تعالى فما لكم في المنافقين فئتين والله اركسهم اي ردهم الى كفرهم بما كسبوا
وفي كلام سبط بن الجوزي فلما رات بنو سلمة وبنو حارثة عبد الله بن ابي
تخذل هموا بالانصراف وكانوا جناحي العسكر ثم عصمهما الله وانزل قوله تعالى
اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا الاية فبقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
سبعمائة رجل ومن هذا يعلم ما في المواهب من قوله ويقال ان النبي صلى الله عليه وسلم
امرهم بالانصراف لكفرهم بمكان يقال له الشوط لان الذي ردهم صلى الله عليه وسلم
لكفرهم حلفاء عبد الله بن ابي بن سلول من يهود وكان رجوعهم قبل الشوط والذي
رجع بهم عبد الله كانوا منافقين ورجوعهم كان من الشوط ولم يكن مع المسلمين

الافرسان فرس لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفرس لابي بردة وقيل لم يكن معهم
فرس اي وهذا القيل نقله في فتح الباري عن موسى بن عقبة واقره وقالت الانصار
اي لما رجع ابن ابي ه يا رسول الله الا نستعين بحلفائنا من يهود اي يهود المدينة ولعلهم
عنوا بهم بني قريظة لان بني قريظة من حلفاء سعد بن معاذ وهو سيد الاوس قال
بعضهم كان في الانصار كابي بكر في المهاجرين فقال لا حاجة لنا فيهم اقول وحينئذ
يكون المراد قالت طائفة من الانصار وهم الاوس ولم يكونوا سمعوا قوله صلى الله عليه
وسلم انا لا نستنصر باهل الشرك على اهل الشرك والله اعلم وقال صلى الله عليه
وسلم لاصحابه من رجل يخرج بنا على القوم من كثب اي من طريق قريب لا يمر بنا عليهم
فقال ابو خيثمة انا يا رسول الله فنفذ به في حرة بني حارثة وبين اموالهم حتى دخل
في حائط لمربع بن قيظي الحارثي وكان رجلا منافقا ضريرا فقام يحثي التراب اي
في وجوههم ويقول ان كنت رسول الله فاني لا احل لك ان تدخل حائطي وفي يده
حفنة من تراب وقال والله لو اعلم اني لا اصيب بها غير وجهك يا محمد لضربتها
وجهك فابتدر اليه سعد بن زيد فضربه بالقوس في راسه فشجه واراد القوم
قتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتلوه فهذا الاعمى اعمى القلب اعمى البصر
اي وغضب له ناس من بني حارثة كانوا على مثل رايه اي منافقين لم يرجعوا مع من
رجع مع عبد الله بن ابي فهم بهم اسيد بن حضير حتى اوما اي اشار اليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشعب من احد فجعل ظهره وعسكره الى احد قال
واستقبل المدينة وصف المسلمون في جبل احد اي بعد ان بات به تلك الليلة
وحانت الصلاة صلاة الصبح والمسلمون يرون المشركين فاذن بلال واقام
وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم باصحابه صفوفا وخطب خطبة حثهم
فيها على الجهاد ومن جملة ما ذكر فيها من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فعليه الجمعة
الا صبيا او امراة او مريضا او عبدا مملوكا وفي رواية الا امراة او مسافر
او عبد بالرفع وعليها فالمستثنى محذوف اي الا اربعة وما ذكر بدل منها قال ومن
استغنى عنها استغنى الله عنه والله غني حميد ما اعلم من عمل يقربكم الى الله
تعالى الا وقد امرتكم به ولا اعلم من عمل يقربكم من النار الا وقد نهيتكم عنه وانه
قد نفث اي اوحى والقى في روعي بضم الراء اي قلبي الروح الامين اي الذي هو جبريل
انه لن يموت نفس حتى تستوفي اقصى رزقها لا ينقص منه شيء وان ابطا عنها
فاتقوا الله ربكم واجملوا اي احسنوا في طلب الرزق لا يحملنكم استبطاؤه ان
تطلبوه بمعصية الله والمؤمن من المؤمن كالراس من الجسد اذا اشتكى تداعى عليه

سائر جسده والسلام عليكم انتهى اى فلما اقبل خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه
فانه اسلم بعد ذلك ومعه عكرمة بن ابى جهل رضي الله تعالى عنه فانه اسلم بعد
ذلك كما تقدم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام وقال له
استقبل خالد بن الوليد فكن بازائه وامر خيلا اخرى فكانوا من جانب اخر ولعل
المراد وامر جماعة بان يكونوا بازاء خيل اخرى للمشركين لانه تقدم انه لم يكن معهم
فرس او الا فرسان اى وما وقع فى الهدى ان الفرسان من المسلمين يوم احد كانوا
خمسين رجلا سبق قلم وقال لا تبرحوا حتى اوذنكم وقال لا يقاتلن احد حتى امره
بالقتال وكان الرماة خمسين رجلا وامر عليهم عبد الله بن جبير وقال انضح الخيل عنا
بالنبل لا يأتونا من خلفنا واثبت مكانك ان كانت لنا او علينا اى وفى رواية ان رايتمونا
تخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى ارسل اليكم وان رايتمونا ظهرنا على القوم واوطأناهم
فلا تبرحوا حتى ارسل اليكم زاد فى رواية وان رايتمونا قد غنمنا فلا تشركونا قال
وفى رواية انه قال اى للرماة الزموا مكانكم لا تبرحوا منه فاذا رايتمونا نهزمهم حتى
تدخل فى عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم وان رايتمونا نقتل فلا تغيثونا ولا تدفعوا
عنا وارشقوهم بالنبل فان الخيل لا تقوم على النبل انا لن نزال غالبين ما مكثتم
مكانكم اللهم انى اشهدك عليهم انتهى واخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفا
اى وكان مكتوبا فى احدى صفحتيه

فى الجبن عار وفى الاقبال مكرمة ٥ والمرء بالجبن لا ينجو من القدر

وقال من ياخذ هذا السيف بحقه فقام اليه رجال فامسكه عنهم من جملتهم على
رضي الله تعالى عنه قام لياخذه فقال اجلس وعمر رضي الله تعالى عنه فاعرض عنه
والزبير رضي الله تعالى عنه اى وطلبه ثلاث مرات كل ذلك ورسول الله صلى
الله عليه وسلم يعرض عنه ٥ حتى قام اليه ابو دجانة وقال ما حقه يا رسول الله قال
تضرب به فى العدو حتى ينحنى قال انا اخذه بحقه فدفعه اليه وكان رجلا شجاعا
يختال عند الحرب اى يمشى مشية المتكبر وحين رآه صلى الله عليه وسلم يتبختر
بين الصفين قال انها لمشية يبغضها الله الا فى مثل هذا الموطن اى لان فيها
دليلا على عدم الاكتراث بالعدو وعند اصطفاف القوم نادى ابو سفيان
ابن حرب يا معشر الاوس والخزرج خلوا بيننا وبين بنى عمنا وننصرف عنكم فشتموه
اقبح شتم ولعنوه اشد اللعن قال وخرج رجل من المشركين على بعير له فدعى للبراز
فاحجم عنه الناس حتى دعى ثلاثا فقام اليه الزبير فوثب حتى استوى معه على البعير
ثم عانقه فاقتتلا فوق البعير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يلى حضيض

الارض

الارض مقتول فوقع المشرك فوقع عليه الزبير فذبحه فاثنى عليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال لكل نبى حوارى وان حوارى الزبير وقال صلى الله عليه وسلم لو لم يبرز اليه
الزبير لبرزت اليه لما رأى من احجام الناس عنه انتهى وخرج رجل من المشركين بين الصفين
اى وهو طلحة اى ابن ابى طلحة وابو طلحة والده اسمه عبد الله بن عثمان بن عبد الدار وكان
بيده لواء المشركين لان بنى عبد الدار كانوا اصحاب لواء المشركين لان اللواء كان لولد
عبد الدار كما تقدم وطلب طلحة المبارزة مرارا فلم يخرج اليه احد فقال يا اصحاب محمد زعمتم
ان قتلاكم فى الجنة وان قتلانا فى النار وفى رواية قال يا اصحاب محمد انكم تزعمون
ان الله يعجلنا بسيوفكم الى النار ويعجلكم بسيوفنا الى الجنة فهل احد منكم يعجلنى بسيفه
الى النار او اعجله بسيفى الى الجنة كذبتم واللات لو تعلمون ذلك حقا لخرج الى بعضكم
فخرج اليه على بن ابى طالب فالتقيا بين الصفين فبدره على فصرعه اى قطع رجله
ووقع على الارض وبدت عورته فقال يا ابن عم انشدك الله والرحم فرجع عنه ولم
يجهز عليه فقال له بعض اصحابه افلا اجهزت عليه فقال انه استقبلنى بعورته فعطفتنى
عليه الرحم وعرفت ان الله قد قتله وفى رواية قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما منعك ان تجهز عليه فقال ناشدنى الله والرحم فقال اقتله فقتله ٥ فاخذ لواء
المشركين اخو طلحة وهو عثمان بن ابى طلحة وعثمان هذا هو ابو شيبة الذى ينسب اليه
الشيبيون فيقال بنو شيبة فحمل عليه حمزة فقطع يده وكتفه حتى انتهى الى مؤتزره فرجع ٥
حمزة وهو يقول انا ابن ساقى الحجيج يعنى عبد المطلب فاخذه اخو عثمان واخو طلحة
وهو ابو سعيد بن ابى طلحة فرماه سعد بن ابى وقاص فاصاب حنجرته فقتله فحمله مسافع
ابن طلحة بن ابى طلحة الذى قتله على رضي الله تعالى عنه فرماه عاصم بن ثابت بن ابى الافلح
فقتله اى فكانت امهما وهى سلافة معهما وكل واحد منهما بعد ان رماه عاصم ياتى
امه ويضع راسه فى حجرها فتقول له يا بنى من اصابك فيقول سمعت رجلا حين رمانى
يقول خذها وانا ابن ابى الافلح فنذرت ان امكنها الله من راس عاصم ان تشرب فيه
الخمر وجعلت لمن جاء براسه مائة من الابل وسياتى مقتل عاصم فى سرية الرجيع فحمله
اخو مسافع واخو الحارث وهو كلاب بن طلحة فقتله الزبير اى وقيل قزمان فحمله
اخوهم وهو الجلاس بن طلحة فقتله طلحة بن عبيد الله فكل من مسافع والحارث
وكلاب والجلاس الاربعة اولاد طلحة بن ابى طلحة قتل كابيهم طلحة وعميهم وهما
عثمان وابو سعيد وعند ذلك حمله ارطاة بن شرحبيل فقتله على بن ابى طالب وقيل
حمزة فحمله شريح بن قارظ فقتل اى ولم يعرف قاتله ثم حمله ابو زيد عمرو بن عبد
مناف بن هاشم بن عبد الدار فقتله قزمان فحمله ولد لشرحبيل بن هاشم فقتله

قزمان ايضا ثم حمله صؤاب غلامهم اى وكان حبشيا فقاتل حتى قطعت يداه ثم برك
عليه فاخذه لصدره وعنقه حتى قتل عليه اى قتله قزمان وقيل القاتل له سعد بن
ابى وقاص وقيل على وقد كان ابو سفيان قال لاصحاب اللواء اى لواء المشركين من بنى
عبد الدار يحرضهم على القتال يا بنى عبد الدار انكم قد توليتم لواءنا يوم بدر فاصابنا ما
قد رايتم وانما تؤتى الناس من قبل راياتهم اذا زالت زالوا فاما ان تكفونا لواءنا واما ان
تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه فهموا به وتواعدوه وقالوا نحن نسلم اليك لواءنا
ستعلم غدا اذا التقينا كيف نصنع وذلك الذى اراد ابو سفيان قال ابن قتيبة ويقال
ان هذه الاية نزلت فى بنى عبد الدار ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون
ولما صرع صاحب لواء المشركين اى الذى هو طلحة بن ابى استبشر النبى صلى الله عليه وسلم
واصحابه اى لانه كبش الكتيبة اى الجيش اى حاميهم الذى رآه صلى الله عليه وسلم
فى رؤياه المتقدمة انه مردف كبشا وقال اوله ذلك انى اقتل صاحب الكتيبة
فهذا كبش الكتيبة وعند وجود ما ذكر من قتل اصحاب اللواء صاروا كتائب متفرقة
فجاس المسلمون فيهم ضربا حتى اجهضوهم اى ازالوهم عن اثقالهم اى وكانت
شعار المسلمين يومئذ امت امت وشعار الكفار يا للعزى وهى شجرة كانوا يعبدونها
يا لهبل وهو صنم كان داخل الكعبة وسياتى فى فتح مكة انه كان خارجها بجانب
الباب وقد يقال لا منافاة لانه يجوز ان يكون فى اول الامر كان داخل الكعبة ثم اخرج
منها وجعل بجانبها ه اى وخرج عبد الرحمن بن ابى بكر رضى الله تعالى عنه فانه اسلم بعد
ذلك فقال من يبارز فنهض اليه ابوه ابو بكر شاهرا سيفه فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم شم سيفك وارجع الى مكانك ومتعنا بنفسك وتقدم طلب عبد
الرحمن للمبارزة ايضا فى بدر وتقدم عن ابى مسعود ان الصديق دعى ابنه يعنى
عبد الرحمن يوم احد الى البراز وهو مخالف ما هنا الا ان يقال انه يجوز وقوع
كل من الامرين اى طلب المبارزة من الصديق لولده عبد الرحمن وطلب المبارزة من
عبد الرحمن لوالده الصديق وقد وقع للصديق رضى الله عنه ان العرب لما ارتدت
بعد موته صلى الله عليه وسلم خرج مع الجيش شاهرا سيفه فاخذ على رضى الله
عنه بزمام راحلته وقال له الى اين يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم اقول لك
لك كما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد شم سيفك ولا تفجعنا
بنفسك وارجع الى المدينة فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للاسلام نظام ابدا
فرجع وامضى الجيش وفى اول الامر حملت خيل المشركين على المسلمين ثلاث مرات
كل ذلك تنضح بالنبل فترجع مغلولة اى بالغا متفرقة وحمل المسلمون على المشركين

فنهكوهم

فنهكوهم اى اضعفوهم قتلا فلما التقى الناس وحميت الحرب قامت هند فى النسوة
اللاتى معها واخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويقلن ه ويها بنى عبد
الدار ه ويها حماة الادبار ه ضربا بكل بتار ه ويها كلمة اغراء وتحريض كما تقول دونك
يا فلان والادبار الاعقاب اى الذين يحمون اعقاب الناس والبتار السيف القاطع
ويقلن ه نحن بنات طارق ه نمشى على النمارق ه مشى القطا النوارق ه اى الخفاف والمسك
فى المفارق ه والدر فى المخانق ه ان تقبلوا نعانق ه ونفرش النمارق ه او تدبروا
نفارق ه فراق غير وامق ه والطارق النجم قال الله تعالى والسماء والطارق وما ادراك
ما الطارق النجم الثاقب قيل هو زحل اى نحن بنات من بلغ العلو وارتفاع القدر
كالنجم واعترض بانها لو ارادت النجم لقالت نحن بنات الطارق ثم رايت ان هذا
الزجر لهند بنت طارق وحينئذ فليس المراد بطارق النجم وانما هو الرجل المعروف
كانها قالت نحن بنات طارق المعروف بالعلو والشرف والنمارق الوسائد الصغار
والمراد نفرش ما تجعل عليه الوسائد مع جعلها عليه والوامق المحب اى فراق غير
محب لان غير المحب لا يرجع اذا غضب بخلاف المحب ومن ثم قيل غضب المحب فى
الظاهر نبابة سيف وفى الباطن كسحابة صيف وقال وكان صلى الله عليه وسلم اذا سمع
ذلك اى تحريض هند بما ذكر يقول اللهم بك احول بالحاء المهملة اى امنع وبك اصول ه
وفيك اقاتل حسبى الله ونعم الوكيل انتهى اى وفى رواية كان صلى الله عليه وسلم اذا لقى
العدو قال اللهم بك اصاول وبك احاول اى اطالب وقاتل ابو دجانة حتى امعن الزبير
قال وجدت اى غضبت فى نفسى حين سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف ه
الذى قال فيه من ياخذه بحقه ثلاث مرات وانا ابن عمته صفية فمنعنيه واعطاه ابا دجانة
فقلت والله لانظرن ما يصنع فاتبعته فاخذ عصابة حمراء اى اخرجها من ساق
خفه وكان مكتوبا على احد طرفيها نصر من الله وفتح قريب وفى طرفها الاخر الجبانة
فى الحرب عار ومن فر لم ينج من النار فعصب بها راسه فقالت الانصار اخرج ابو دجانة
عصابة الموت اى لانهم كانوا يقولون ذلك اذا تعصب بها فجعل لا يلقى احدا الا ه
قتله اى وكان اذا كل ذلك السيف يشحذه اى يحده بالحجارة ولم يزل يضرب به
العدو حتى انحنى وصار كانه منجل ه وكان رجل من المشركين لا يدع لنا جريحا
الا ذفف عليه اى اسرع قتله فدعوت الله ان يجمع بينه وبين ابى دجانة فالتقيا فاختلفا
ضربتين فضرب المشرك ابا دجانة فاتقاه بدرقته فعضت الدرقة على سيفه ه
وضربه ابو دجانة فقتله ثم رايته حمل بالسيف على راس هند اى بنت عتبة زوج
ابى سفيان وقيل غيرها ثم رد السيف عنها قال ابو دجانة رايت انسانا يخمش الناس

اى بالسين المهملة حسا شديدا اى يشجعهم وبالشين المعجمة يوقد الحرب ويثيرها
فعمدت اليه فلما حملت عليه السيف ولول اى دعى بالويل اى قال يا ويلاه فعلمت انه امراة
فاكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اضرب به امراة وقاتل حمزة بن عبد
المطلب قتالا شديدا ومر به سباع بن عبد العزى فقال له حمزة هلم اى اقبل يا ابن
مقطعة البظور لان امه ام انمار مولاة شريق والد الاخنس كانت ختانة بمكة اى وفى
البخارى يا سباع يا ابن ام انمار مقطعة البظور اتحاد الله ورسوله اى تعاديهما
وتعاندهما وفيه انهم لما اصطفوا للقتال خرج سباع فقال هل من مبارز فخرج اليه
حمزة فشد عليه فلما التقيا ضربه حمزة فقتله وفى رواية فكان كامس الذاهب اى
وكان تمام واحد وثلاثين قتلهم وفيه انه سياتى عن الاصل وقتل من كفار قريش
يوم احد ثلاثة وعشرون رجلا واكب حمزة عليه لياخذ درعه قال وحشى غلام جبير
ابن مطعم انى لانظر الى حمزة يهد الناس بسيفه يهد بالدال المهملة يهدم وبالمعجمة
يقطع اه وقد عثر حمزة فانكشف الدرع عن بطنه فهززت حربتى حتى اذا رضيت
منها دفعتها عليه فوقعت فى ثنته بالمثلثة وهو موضع تحت السرة وفوق العانة وفى
لفظ تندرته حتى خرجت من بين رجليه فاقبل نحوى فغلب فوقع فامهلته حتى اذا مات
جئته فاخذت حربتى ثم تنحيت الى العسكر ولم يقاتل بين يدى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بسيفين وهو يقول انا اسد الله فبينا هو كذلك اذ عثر عثرة وقع منها
على ظهره فانكشف الدرع عن بطنه فطعنه وحشى الحبشى بحربته ثم لما قتل
اصحاب لوا المشركين واحدا بعد واحد ولم يقدر احد يدنو منه انهزم المشركون وولوا لا
يلوون على شئ ونسا وهم يدعون بالويل بعد فرحهم وضربهم بالدفوف كالقين الدفوف
وقصدن الجبل كاشفات سيقانهن يرفعن ثيابهن وتبع المسلمون المشركين يضعون
فيهم السلاح وينتهبون الغنايم ففارقت الرماة محلهم الذى امرهم صلى الله عليه
وسلم ان لا يفارقوه ونهاهم اميرهم عبد الله بن جبير فقالوا الله انهزم المشركون فما
مقامنا هاهنا وانطلقوا ينتهبون وثبت عبد الله بن جبير مكانه وثبت معه دون
العشرة وقال لا اجاوز امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر خالد بن الوليد الى
خلا الجبل من الرماة وقلة من به منهم فكر بالخيل ومعه عكرمة بن ابى جهل رضى
الله تعالى عنهما اسلما بعد ذلك فحملوا على من بقى من الرماة فقتلوهم مع اميرهم
عبد الله بن جبير اى ومثلوا به ومن كثرة طعنه بالرماح خرجت حشوته واطاحوا
بالمسلمين فبينما المسلمون قد شغلوا بالنهب والاسر اذ دخلت خيول المشركين
تنادى فرسانها بشعارها يا للعزى يا لهبل ووضعوا السيوف فى المسلمين وهم

امنون وتفرقت المسلمون فى كل وجه وتركوا ما انتهبوا وخلوا من اسروا وانتقضت
صفوف المسلمين واختلط المسلمون وصار يضرب بعضهم بعضا من غير شعار
اى من غير ان ياتوا بما كانوا ينادون به فى الحرب يتعارفون به فى ظلمة الليل او عند
الاختلاط وهو امت امت لما اصابهم من الدهش والحيرة ولم يزل لوا المشركين ملقى
حتى اخذته عمرة بنت علقمة ورفعته لهم فلاثوا اى بالمثلثة استداروا واجتمعوا
عنده ونادى ابن قميئة بفتح القاف وكسر الميم وبعدها همزة ان محمدا قد قتل وقيل
المنادى بذلك ابليس اى متمثلا بصورة جعال او جعيل بن سراقة وكان رجلا
صالحا ممن اسلم قديما وكان من اهل الصفة قيل وهو الذى غير النبى صلى الله عليه وسلم
اسمه يوم الخندق وسماه عمرا كما سياتى وسياتى ما فيه ثم ان المنادى وثبوا على جعال
ليقتلوه فتبرأ من ذلك القول حين صرخ ذلك الصارخ وقيل المنادى بذلك
ازب العقبة قال ذلك ثلاث مرات اى لانه لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما صرخ الشيطان به قال هذا ازب العقبة بكسر الهمزة وسكون الزاى والازب القصير
كما تقدم وقد ذكر ان عبد الله بن الزبير راى رجلا طوله شبران على رحله فقال
ما انت قال ازب العقبة قال ما ازب العقبة قال رجل من الجن فضربه على راسه
بعود السوط حتى هرب اى ويجوز ان يكون ذلك صدر من الثلاثة وهم ابن قميئة
وابليس وازب العقبة فرجعت الهزيمة على المسلمين اى وقال قايل يا عباد الله
اخراكم اى احترزوا من جهة اخراكم فعطف المسلمون على اخراهم يقتل بعضهم
بعضا وهم لا يشعرون وانهزمت طايفة منهم الى جهة المدينة ولم يدخلوها
وقال رجل من المسلمين حيث قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجعوا الى قومكم
يؤمنوكم وقال اخرون ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل افلا تقاتلون على
دين نبيكم وعلى ما كان عليه نبيكم حتى تلقوا الله عز وجل شهدا اى وفى الامتاع ان
ثابت بن الدحداح قال يا معشر الانصار ان كان محمد قد قتل فان الله حى لا يموت قاتلوا
عن دينكم فان الله مظفركم وناصركم فنهض اليه نفر من الانصار فحمل بهم على كتيبة
فيها خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعكرمة بن ابى جهل وضرار بن الخطاب فحمل عليه
خالد بن الوليد بالرمح فقتله وقتل من كان معه من الانصار رضى الله تعالى عنهم وكان
من جملة من انهزم عثمان بن عفان والوليد بن عتبة وخارجة بن زيد ورفاعة بن
معلى فاقاموا ثلاثة ايام ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذهبتم فيها عريضة وانزل الله تعالى ان الذين تولوا منكم يوم التقى
الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم قال وقال جماعة

ليت لنا رسولا الى عبد الله بن ابى ليأخذ لنا امانا من ابى سفيان يا قوم ان محمدا قد قتل
فارجعوا الى قومكم قبل ان يأتوكم فيقتلوكم وانهزمت طايفة منهم حتى دخلت المدينة
فلقيتهم ام ايمن فجعلت تحثوا التراب فى وجوههم وتقول لبعضهم هاك المغزل
فاغزل به وهلم سيفك انتهى اى اعطنى سيفك اى فالمنهزمون فى ذلك اليوم
طايفتان طايفة لم تدخل المدينة ولخرى دخلتها وفيه ان ام ايمن كانت فى الجيش
تسقى الجرحى اى فقد جاء ان حبان بن العرقة رمى بسهم فاصاب ام ايمن وكانت تسقى
الجرحى فوقعت وتكشفت فاعرق عدو الله فى الضحك فشق ذلك على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فدفع الى سعد سهما لا نصل له وقال ارم به فوقع السهم فى نحر حبان
فوقع مستلقيا حتى بدت عورته فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت
نواجذه ثم قال استقاد لها سعد اجاب الله دعوته اى وفى رواية اللهم استجب لسعد
اذا دعاك فكان مجاب الدعوة وقد يقال لا منافاة بين كون ام ايمن كانت فى الجيش
وبين كونها كانت فى المدينة لجواز ان تكون رجعت ذلك الوقت محل الذين يقولون
بذمنوا مع عبد الله بن ابى بن سلول لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا هاهنا اى
وقال بعضهم لو كان نبيا ما قتل فارجعوا الى دينكم الاول وفى النهر ان فرقة
قالوا نلقى اليهم بايدينا فانهم قومنا وبنو عمنا وهذا يدل على ان هذه الفرقة ليست
من الانصار بل من المهاجرين قال وعن الزبير بن العوام رضى الله تعالى عنه قال
لقد رايتنى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حين اشتد علينا الخوف
وارسل علينا النوم فما منا احد الا وذقنه فى صدره فوالله انى لاسمع كالحلم
قول معتب بن قشير اى ويقال ابن بشير وكان ممن شهد العقبة لو كان لنا من
الامر شئ ما قتلنا هاهنا فحفظتها فانزل الله تعالى فى ذلك قوله ثم انزل عليكم من بعد
الغم امنة نعاسا الاية وعن كعب بن عمرو الانصارى رضى الله تعالى عنه قال لقد رايتنى
يومئذ فى اربعة عشر من قومى الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اصابنا
النعاس امنة منه اى لانه لا ينعس الا من يامن ما منهم احد الا غط غطيطا حتى ان
الحجف اى الدرق تتناطح ولقد رايت سيف بشر بن البراء بن معرور سقط من يده
وما يشعر وان المشركين لتحتنا انتهى وتقدم فى بدر انه حصل لهم النعاس ليلة
القتال لا فيه على ما تقدم وتقدم ان النعاس فى الصف من الايمان وفى الصلاة
من الشيطان وثبت صلى الله عليه وسلم لما تفرق عنه اصحابه وصار يقول الى يا فلان
الى يا فلان انا رسول الله فما يعرج اليه احد والنبل ياتيه من كل جانب والله يصرفه
عنه اى وفى الامتاع انه صلى الله عليه وسلم انه صلى الله عليه وسلم قال انا النبى لا كذب

انا ابن عبد المطلب ﴿ انا ابن العواتك فليتأمل فان المحفوظ انه انما قال ذلك فى حنين
وان كان لا مانع من التعدد وثبت معه صلى الله عليه وسلم جماعة من اصحابه منهم
ابو طلحة فانه استمر بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم يجوز عنه بحجفته وكان رجلا راميا
شديد النزع الرمى فنثر كنانته بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم اى وصار يقول
نفسى لنفسك الفدا ووجهى لوجهك الوقا فلم يزل يرمى بها وكان الرجل يمر
بالجعبة بضم الجيم من النبل فيقول صلى الله عليه وسلم انثرها لابى طلحة اى وكسر
ذلك اليوم قوسين او ثلاثة وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرف اى ينظر
الى القوم وفى لفظ ليرى مواضع النبل فيقول له ابو طلحة يا نبى الله بابى انت وامى
لا تشرف يصيبك سهم من سهام القوم نحرى دون نحرك انتهى اى ويتطاول ابو
طلحة بصدره يقى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستدل بذلك على انه من خصايصه
صلى الله عليه وسلم انه يجب على كل مسلم مؤمن ان يؤثر حياته صلى الله عليه وسلم على حياته
قال فلا خلاف ان هذا لا يجب لغيره وهذا المذكور عن ابى طلحة من قوله نحرى دون نحرك
نقله ابن المنير عن سعد بن ابى وقاص فقال ولهذا قال سعد يوم احد نحرى دون نحرك
ولا زال صلى الله عليه وسلم يرمى عن قوسه اى المسماة بالكتوم لعدم تصويتها اذا
رمى بها حتى صارت شظايا اى ذهب منها قطع وفى رواية رمى عن قوسه حتى اندقت
سيتها اى السية ما انعطف من طرف القوس اللذين محل الوتر قال وما زال صلى الله
عليه وسلم يرمى عن قوسه حتى تقطع وتره وبقيت فى يده منه قطعة تكون شبرا فى سية
القوس حتى تقطع وتره وبقيت فى يده منه قطعة تكون شبرا فى سية القوس فاخذ
القوس فاخذ القوس عكاشة بن محصن ليوتره له فقال يا رسول الله لا يبلغ الوتر
فقال مده يبلغ قال عكاشة فوالله الذى بعثه بالحق لمددته حتى بلغ وطويت منه
ليتين او ثلاثا على سية القوس ورمى بالحجارة وكان اقرب الناس الى القوم انتهى
اى وانكر الامام ابو العباس بن تيمية كونه صلى الله عليه وسلم رمى عن قوسه حتى
صارت شظايا اى لانه يبعد وجود رميه من غير اصابة ولو اصاب احدا لذكر لانه مما
يتوفر الدواعى على نقله وقاتل جماعة من اصحابه منهم سعد بن ابى وقاص فانه كان
من الرماة المذكورين رمى بقوسه قال سعد لقد رايته يعنى النبى صلى الله عليه وسلم
يناولنى النبل ويقول ارم فداك ابى وامى حتى انه ليناولنى السهم ماله نصل فيقول
ارم به وقد تقدم انه رمى بسهم من تلك السهام التى لا نصل لها لما رمى ام ايمن
قال وفى رواية عن سعد قال اجلسنى رسول الله صلى الله عليه وسلم امامه فجعلت ارمى واقول
اللهم سهمك فارم به عدوك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم استجب

لسعد اللهم سدد رميته واجب دعوته حتى اذا فرغت من كنانتى نثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فى كنانته انتهى اى فكان سعد مجاب الدعوة كما تقدم ولما سعى اهل الكوفة به الى سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه ارسل جماعة للكوفة يسالون عن حاله من اهل الكوفة فصاروا كلما سالوا احدا قال خيرا واثنى عليه معروفا حتى سالوا رجلا يقال له ابو سعدة ذمه وقال لا يقسم بالسوية ولا يعدل فى القضية فلما بلغ سعد ذلك قال اللهم ان كان كاذبا فاطل عمره وادم فقره واعم بصره وعرضه للفتن فعمى وافتقر وكبر سنه وصار يتعرض للاماء فى سكك الكوفة فاذا قيل له كيف انت يا ابا سعدة يقول شيخ كبير فقير مفتون اصابتنى دعوة سعد قيل لسعد لم تستجاب دعوتك من دون الصحابة فقال ما رفعت الى فمى لقمة الا وانا اعلم من اين جيئت ومن اين خرجت اه لانه جاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما تليت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية يا ايها الناس كلوا مما فى الارض حلالا طيبا فقام سعد بن ابى وقاص وقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلنى مستجاب الدعوة فقال والذى نفس محمد بيده ان العبد ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل منه اربعين يوما وقد جا فى الحديث من كان ماكله حراما ومشربه حراما وملبسه حراما انى يستجاب له فليتامل هذا الجواب وقد يقال مراد سعد بقوله ادع الله ان يجعلنى مستجاب الدعوة اى ممن ياكل الحلال الطيب ويميز عنده الاكل بين الحرام وبين غيره حتى اكون مستجاب الدعوة ولعل المراد بالاكل ما يشمل الشرب ولعل السكوت عن اللبس لانه نادر بالنسبة للاكل وجوابه صلى الله عليه وسلم بقوله والذى نفس محمد بيده تقرير لما فهمه سعد انه ياكل غير الحلال لا يكون مستجاب الدعوة تامل والحق ان سبب استجابة دعوة سعد دعا النبى صلى الله عليه وسلم له بذلك ولعله انما لم يجب بذلك لمن ساله بقوله لم يستجاب دعوتك من بين الصحابة لانه يجوز ان يكون دعا النبى صلى الله عليه وسلم له بذلك ناخر عن هذا فليتامل وفى الشرف ان سعدا رمى يوم احد الف سهم ما منها سهم الا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له ارم فداك ابى وامى ففداه فى ذلك اليوم الف مرة وعن على رضى الله تعالى عنه ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فداك ابى وامى الا لسعد رضى الله تعالى عنه وفى رواية فما جمع صلى الله عليه وسلم ابويه لاحد الا لسعد قال فى النور والرواية الاولى اصح لانه اخبر فيها انه لم يسمع اى لانه حينئذ لا يخالف ما جاء عن عبد الله بن الزبير ان النبى صلى الله عليه وسلم جمع لابى الزبير ابويه اى قال له فداك ابى وامى كسعد اى وذلك يوم الخندق حيث اتاه بخبر بنى قريظة وكذا

الرواية الثانية لا تخالف لانها محمولة على سماعه وعلى الاخذ بظاهرها وعلى عدم حملها على ذلك يجاب بما قاله فى النور ظهر لى ان عليا رضى الله تعالى عنه انما اراد تفدية خاصة وهى الف مرة اه وفى خصوص احد وكان صلى الله عليه وسلم يفتخر بسعد هذا فيقول هذا سعد خالى فليرنى امرؤ خاله لان سعدا كان من بنى زهرة وكانت ام النبى صلى الله عليه وسلم منهم كما تقدم اى وكان اذا غاب يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم مالى لا ارى الصبيح المليح الفصيح ولما كف بصره رضى الله عنه قيل له لولا دعوت الله سبحانه وتعالى يرد عليك بصرك فقال قضا الله سبحانه وتعالى احب الى من بصرى ولما حضرت الوفاة سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه دعى بخلق جبة من صوف فقال كفنونى فيها فانى كنت لقيت المشركين فيها يوم بدر وانما كنت اخبوها لهذا وممن كان مشهورا بالرماية سهل بن حنيف وكان ممن ثبت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا اليوم الذى هو يوم احد قال بعضهم وكان بايعه يومئذ على الموت فثبت معه حتى انكشف الناس عنه وجعل ينضح بالنبل يومئذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم نبلوا سهلا اى اعطوه النبل وجا ان خاله وهو الاسود بن وهب بن عبد مناف ابن زهرة استاذن على النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا خالى ادخل فدخل فبسط له رداه وقال اجلس عليه ان الخال والد يا خال من اسدى اليه معروفا فلم يشكر فليذكر فانه اذا ذكر فقد شكر وقال له الا ابنيك بشئ عسى الله ان ينفعك به قال بلى قال ان اربى الربا استطالة المرء فى عرض اخيه بغير حق وعن ام عمارة المازنية رضى الله تعالى عنها اى وهى نسيبة بالتصغير على المشهور زوج زيد بن عاصم قالت خرجت اى يوم احد لانظر ما يصنع الناس ومعى سقا فيه ما اى استقى به للجرحى فانتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى اصحابه والريح للمسلمين فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمت اباشر القتال واذب عنه بالسيف وارمى عن القوس حتى خلصت الجراحة الى وزئى على عاتقها جرح اجوف له غور فقيل لها من اصابك بهذا قالت ابن قميئة لما ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل يقول دلونى على محمد فلا نجوت ان نجا فاعترضت له انا ومصعب بن عمير فضربنى هذه الضربة وضربته ضربات ولكن عدو الله كان عليه درعان قال وفى كلام بعضهم خرجت نسيبة يوم احد وزوجها زيد بن عاصم وابناها حبيب وعبد الله رضى الله تعالى عنهم وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمكم الله اهل بيت وفى رواية

بارك الله عليكم اهل بيت قالت له ام عمارة ادع الله ان نرافقك في الجنة فقال اللهم
اجعلهم رفقائي في الجنة اه وعند ذلك قالت ما ابالي ما اصابني من امر الدنيا
ه وقال صلى الله عليه وسلم في حقها ما التفت يمينا ولا شمالا يوم احد الا واراها
تقاتل دوني انتهى اي وقد جرحت اثني عشر جرحا بين طعنة برمح او ضربة بسيف
وعبد الله ابنها هو القاتل لمسيلمة الكذاب فعنها رضي الله تعالى عنها قالت يوم اليمامة
فقطعت يدي وانا اريد قتل مسيلمة وما كان لي ناهية اي مانعا حتى رايت الخبيث
مقتولا واذا ابني عبد الله بن زيد يمسح سيفه بثيابه فقلت اقتلته فقال نعم
فسجدت لله شكرا ه ثانيا فيه ما اشتهر ان قاتله وحشي فعن وحشي رضي الله تعالى عنه
قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اي بعد ان قدم عليه في وفد ثقيف واسلم كما سيأتي
يا وحشي اخرج فقاتل في سبيل الله كما كنت تقاتل لتصد عن سبيل الله فلما كان
خروج المسلمين لقتال مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة لما ولي الصديق الخلافة
وارتدت العرب خرجت معهم فاخذت حربتي فلما رايته تهيات له وتهيا له رجل
من الانصار من الناحية الاخرى كلانا يريده وهززت حربتي حتى اذا رضيت
منها دفعتها فوقعت فيه وشد عليه الانصاري فضربه بالسيف فربك اعلم اينا
قتله قال بعضهم والانصاري هو عبد الله بن زيد اي كما تقدم وقيل غيره اه وفي
كلام بعضهم اشترك في قتل مسيلمة الكذاب ابو دجانة وعبد الله بن زيد بن عاصم
ووحشي وفي تاريخ ابن كثير الاقتصار على وحشي وابي دجانة وقد يقال لا مخالفة
لان كلا من الرواة روى بحسب ما راى وذكر ابن كثير ان ما يروى عن ابي
دجانة من ذكر الحرز المنسوب اليه اسناده ضعيف لا يلتفت اليه وقد نقل عن
وحشي انه قال قتلت بحربتي خير الناس وشر الناس وذكر ان ابا دجانة تترس
دون رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار يقع النبل على ظهره وهو منحن عليه
حتى كثر فيه النبل وقاتل دونه زياد بن عمارة حتى اثبتته الجراحة اي اصابت
مقاتله فقال صلى الله عليه وسلم ادنوه مني فوسده قدمه الشريفة فمات وخده
على قدمه صلى الله عليه وسلم وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى قتله ابن قمئة وهو يظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع الى قريش فقال
قتلت محمدا وقيل القاتل لمصعب ابي بن خلف فانه اقبل نحو النبي صلى الله عليه وسلم
وهو يقول اين محمد لا نجوت ان نجا فاستقبله مصعب بن عمير فقتل مصعبا فاعترض
له رجال من المسلمين فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخلوا طريقه اي فاقبل
وهو يقول يا كذاب اين تفر وتناول النبي صلى الله عليه وسلم الحربة من بعض اصحابه وهو

الحارث بن الصمة او الزبير بن العوام على ما سياتي فخدشه بها في عنقه خدشا غير
كبير احتقن الدم اي لم يخرج بسبب ذلك الخدش فقال قتلني والله محمد فقالوا له ذهب
والله فؤادك اي وفي لفظ ذهب عقلك انك لتاخذ السهام من اضلاعك فترمي بها
ما هذا والله ما بك من باس ما اجزعك انما هو خدش ولو كان هذا الذي بك بعين احدنا
ما ضره فقال واللات والعزى لو كان هذا الذي بي باهل ذي المجاز اي السوق المعروف
من جملة اسواق الجاهلية كان عند عرفة كما تقدم وفي لفظ لو كان بربيعة ومضر
اي وفي لفظ باهل الارض لماتوا اجمعين انه قد قال لي بمكة انا اقتلك فوالله لو
بصق علي لقتلني اي فضلا عن هذه الضربة لانه كان يقول للنبي صلى الله عليه
وسلم في مكة يا محمد ان عندي العود يعني فرسا له اعلفه في كل يوم فرقا بفتح الراء
مكيال معروف يسع اثني عشر مدا من ذرة اقتلك عليه فيقول له رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا اقتلك ان شاء الله تعالى فحقق الله قول نبيه المصطفى صلى الله
عليه وسلم هذا وعن سعيد بن المسيب ان ابي بن خلف قال حين افتدي اي من الاسر
ببدر والله ان عندي لفرسا اعلفها كل يوم فرق ذرة اقتلك ان شاء الله اقول
يمكن الجمع بانه تكرر ذلك من ابي ومن النبي صلى الله عليه وسلم والله اعلم وفي رواية
ابصر صلى الله عليه وسلم ترقوته بالفتح لا بالضم من فرجة من سابغة الدرع ومن
ما يغطي به العنق من الدرع كما تقدم فطعنه اي كسر فيها ضلعا بكسر الضاد وفتح اللام
وتسكينها من اضلاعه اي وهو المناسب لما في بعض الروايات ان النبي صلى الله عليه وسلم
طعنه طعنة وقع منها مرارا عن فرسه وجعل يخور كما يخور الثور اذا ذبح والنبي صلى
الله عليه وسلم لما اخذ الحربة من الحارث بن الصمة وقيل من الزبير بن العوام انتفض
انتفاضة شديدة ثم استقبله فطعنه في عنقه اقول ولا مخالفة بين كون
الطعنة في عنقه وكونها في ترقوته لان الترقوة في اصل العنق ولا مخالفة ايضا بين
كون الحاصل من الطعنة خدشا مع اعتنائه صلى الله عليه وسلم بالطعنة وناهيك بعزمه
صلى الله عليه وسلم لان كون الخدش في الظاهر اي بحسب ما يظهر للرائي والشدة في
الباطن اقوى في النكاية ودليل وجود الشدة في الباطن وقوعه مرارا وكونه
خار كالثور الذي يذبح وكون الطعن في العنق يفضي الى كسر الضلع من خوارق
العادات اي ولكن رايت في رواية انه ضربه تحت ابطه فكسر ضلعا من اضلاعه
وقد يقال يجوز ان يكون الحربة نفذت من المكان المذكور الى النور ولم يقتل بيده
صلى الله عليه وسلم قط احدا الا ابي بن خلف لا قبل ولا بعد ثم مات عدو الله وهم قافلون
به الى مكة اي بسرف بفتح السين المهملة وكسر الراء وهو مناسب لوضعه لانه مشرف

وقيل ببطن رابغ قعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما انه قال انى لاسير ببطن رابغ بعد
هدء من الليل اذا انا بنار تاجج لى فجئتها واذا رجل يخرج منها فى سلسلة يجتذب بها يصيح
العطش ونادانى يا عبد الله فلا ادرى اعرف اسمى او كما يقول الرجل لمن يجهل اسمه يا عبد الله
فالتفت اليه فقال اسقنى فاردت ان افعل واذا رجل وهو الموكل بعذابه يقول لا تسقه
هذا قتيل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ابى بن خلف رواه البيهقى ويدل لهذا ما جاء
فى الحديث كل من قتله نبى او قتل بامر نبى فى زمنه يعذب من حين قتل الى نفخة الصعق
وجا أشد الناس عذابا من قتله نبى اى وفى رواية اشد غضب الله على رجل قتله رسول
الله فسحقا لاصحاب السعير وفى رواية اشتد غضب الله عز وجل على رجل قتله
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبيل الله اى لان الانبيا مامورون باللطف والشفقة
على عباد الله فما يحمل الواحد منهم على قتل شخص الا امر عظيم ورسول الله صلى الله
عليه وسلم اكملهم لطفا ورفقا وسعة بعباد الله وفى طرح التثريب احترز بقوله
فى سبيل الله عمن يقتله حدا او قصاصا لان من يقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبيل
الله تعالى كان قاصدا قتله صلى الله عليه وسلم وقد اتفق ذلك لابى بن خلف وقد تقدم
ان ابن مرزوق ذكر ان ابن عمر مر ببدر فاذا رجل يعذب ويئن فناداه يا عبد الله فالتفت
اليه فقال اسقنى فاردت ان افعل فقال الاسود الموكل بتعذيبه لا تفعل يا عبد الله
فان هذا من المشركين الذين قتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اى اصحابه رواه الطبرانى
فى الاوسط ولا بعد فى تعدد الواقعة ثم رايت فى الخصائص الكبرى ما يقتضى التعدد
فانه فيه ان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ذكر ذلك اى مروره ببدر للنبى صلى الله عليه
وسلم وانه صلى الله عليه وسلم قال له ذلك ابو جهل وذلك عذابه الى يوم القيمة وقد
ذكرت ذلك فى الكلام على غزوة بدر ووقع صلى الله عليه وسلم فى حفرة من الحفر التى
حفرت للمسلمين اى التى حفرها ابو عامر الفاسق ابو حنظلة غسيل الملائكة واسم ابو عامر
عبد عمرو مات كافرا بارض الروم فرارا لما فتحت مكة ليقعوا فيها وهم لا يعلمون فاغمى عليه
صلى الله عليه وسلم وجحشت اى خدشت ركبتاه فاخذ على رضى الله تعالى عنه بيده ورفعه
طلحة بن عبيد الله حتى استوى قايما وكان سبب وقوعه ان ابن قمئة علاه بالسيف
فلم يؤثر فيه السيف الا ان ثقل السيف اثر فى عاتقه فشكى صلى الله عليه وسلم منه
شهرا او اكثر وقذف صلى الله عليه وسلم بالحجارة حتى وقع لشقه ورماه عتبة ابن ابى
وقاص اخو سعد بن ابى وقاص بحجر فكسر رباعيته اليمنى السفلى وشق شفته السفلى
اى ودعى عليه صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم لا تحول عليه الحول حتى يموت كافرا وقد استجاب
الله تعالى ذلك وقتله فى ذلك اليوم حاطب بن ابى بلتعة رضى الله تعالى عنه لحاطب

لما رايت ما فعل عتبة برسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اين
توجه عتبة فاشار الى حيث توجه فمضيت حتى ظفرت به فضربته بالسيف فطرحت راسه
فنزلت فاخذت راسه واخذت فرسه وسيفه وجئت به الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال لى رضى الله عنك مرتين اى ولا يخالف هذا بعضهم فمات بعد يعلى لكن
يخالفه القول بانه مات بعد ان اسلم بعد الفتح وانه اثبت ولم يولد لعتبة ولدا واولد
ولد الا وهو اهتم اى ساقط مقدم اسنانه اى التى هى الرباعيات ابخر يعرف ذلك فى
عقبه وكسرت البيضة اى الخوذة على راسه صلى الله عليه وسلم وشج وجهه الشريف شجه
عبد الله بن شهاب الزهرى رضى الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك وهو جد الامام الزهرى
رضى الله تعالى عنه ويجوز ان يكون من قبل امه ويقال له عبد الله الاصغر اى ولعل هذا
حصل منه قبل او بعد قوله دلونى على محمد فلا نجوت ان نجا ورسول الله صلى الله عليه
وسلم الى جنبه ما معه احد ثم جاوزه فعاتبه فى ذلك صفوان فقال والله ما رايته
احلف بالله انه منا ممنوع وجد الامام الزهرى من قبل ابيه يقال له عبد الله بن شهاب
ايضا ويقال له عبد الله الاكبر رضى الله تعالى عنه كان من مهاجرى الحبشة توفى بمكة
قبل الهجرة واشار صاحب الهمزية الى ان هذه الشجة لم تشنه صلى الله عليه وسلم بل زادته
جمالا بقوله

● مظهر شجة الجبين على البر ● كما اظهر الهلال البراء ●
● ستر الحسن منه بالحسن فاعجب ● بجمال له الجمال وقاء ●
● فهو كالزهر لاح من سجف الاكمام والعود شق عنه اللحاء ●

اى مظهر وجهه الشريف اثر جرح جبينه اى جبهته مع بروءها ظهورا كظهور الهلال
ليلة استهلاله ستر ذلك الوجه الحسن الاصلى بالحسن العارض بسبب ذلك الجرح
فاعجب بجمال اصلى له الجمال العارض وقاية وساتر فهو اى ما ظهر بذلك الجرح
كالزهر اذا ظهر من ستره وكالعود الذى يتطيب به اذا ازيل عنه قشره وقال
حسان رضى الله تعالى عنه فى وصف جبينه صلى الله عليه وسلم ●

● متى يبد فى الداجى البهيم جبينه ● يلح مثل مصباح الدجى المتوقد ●

وجرحت وجنتاه صلى الله عليه وسلم بسبب دخول حلقتين من المغفر فى وجنته ●
بضربة من ابن قمئة وقال له لما ضربه خذها وانا ابن قمئة فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اقماك الله عز وجل اى صغرك الله واذلك وقد استجاب الله فيه دعوة نبيه
صلى الله عليه وسلم فانه بعد الوقعة خرج الى غنمه فوافاها ذروة جبل اى اعلى الجبل
فاخذ يعترضها فشد عليه كبشها فنطحه نطحة ارداه من شاهق الجبل فتقطع وفى
رواية فسلط الله تعالى عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة ● اقول

ويمكن الجمع بانه لما نطحه ذلك الكبش وقع من شاهق الجبل الى اسفل سلط الله
تعالى عليه عند ذلك تيس الجبل فنطحه حتى قطعه قطعا زيادة فى نكاله وخزيه
والله اعلم ولما جرح وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم صار الدم يسيل على وجهه
الشريف وجعل يمسح الدم وفى لفظ ينشف دمه وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا
وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم اى وفى رواية اشتد غضب الله على قوم ادموا وجه
رسوله فانزل الله تعالى ليس لك من الامر شئ او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون
اى وفى رواية صار صلى الله عليه وسلم يقول اللهم العن فلانا وفلانا اى اللهم العن ابا
سفيان اللهم العن الحارث بن هشام اللهم العن سهيل بن عمرو اللهم العن صفوان
ابن امية فانزل الله تعالى الآية فان قيل كيف هذا مع قوله تعالى والله يعصمك من الناس
اجيب بان هذه الاية نزلت بعد احد وعلى تسليم انها نزلت قبله فالمراد عصمته
من القتل قال الشيخ محيى الدين بن العربى لا يخفى ان اجر كل نبى فى التبليغ على قدر ما
ناله من المشقة الحاصلة له من المخالفين له وعلى قدر ما يقاسيه منهم وله اجر
الهداية لمن اطاعه ولا احد اكثر اجرا من نبينا صلى الله عليه وسلم فانه لم يتفق لنبى من
الانبياء ما اتفق له صلى الله عليه وسلم فى كثير طائعى استجابته ولا فى كثير عصاة
امة دعوته الخارجين عن الاجابة وامتص مالك بن سنان الخدرى وهو والد ابى
سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنهما دم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ازدرده
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مس دمه دمى لم تصبه النار وفى رواية
انه صلى الله عليه وسلم قال من اراد ان ينظر الى رجل من اهل الجنة فلينظر الى هذا
واشار اليه فاستشهد فى هذه الغزاة وفى لفظ من سره ان ينظر الى من لا تمسه
النار فلينظر الى مالك بن سنان ولم ينقل انه صلى الله عليه وسلم امر هذا الذى
امتص دمه بغسل فمه ولا انه غسل فمه من ذلك كما لم ينقل انه صلى الله عليه وسلم
امر حاضنته ام ايمن بركة الحبشية بغسل فمها ولا هى غسلته من ذلك لما
شربت بوله صلى الله عليه وسلم من الليل اى الفخارة اى تحت سريره فبال فيها
فقمت وانا عطشى فشربت ما فى الفخار وانا لا اشعر فلما اصبح النبى صلى الله عليه وسلم
قال يا ام ايمن قومى لتلك الفخارة فاهريقى ما فيها قالت والله قد شربت ما فيها فضحك
صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لا تجفر بالجيم والفا بطنك بعده ابدا
وفى رواية لا تلج بطنك النار وفى لفظ لا تشتكى بطنك النار اى ويجوز انه قال
هذه الالفاظ الثلاثة وكل روى بحسب ما سمع منها فتكون هذه الامور الثلاثة
حصلت لام ايمن وفى رواية بدل الفخارة انا من عيدان فان صح حمل على التعدد ولام ايمن

ولامانع

ولا مانع منه وقد شربت بوله صلى الله عليه وسلم ايضا امراة يقال لها بركة بنت
ثعلبة بن عمرو كانت تخدم ام حبيبة جاءت معها من الحبشة اى ومن ثم قيل لها
بركة الحبشية وفى كلام ابن الجوزى بركة بنت يسار مولاة ابى سفيان
الحبشية خادمة ام حبيبة زوج النبى صلى الله عليه وسلم هذا كلامه ولا مخالفة
لانه يجوز ان يكون يسار لقب ثعلبة وكانت معها فى الحبشة ثم قدمت معها كانت
تكنى بام يوسف فقال لها صلى الله عليه وسلم حين علم انها شربت ذلك صحة يا ام يوسف
فما مرضت قط حتى كان مرضها الذى ماتت فيه وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال
لها لقد احتظرت من النار بحظار وشرب دمه صلى الله عليه وسلم ايضا ابو طيبة
الحجام وعلى وعبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهم فعن عبد الله بن الزبير قال اتيت
النبى صلى الله عليه وسلم وهو يحتجم فلما فرغ قال يا عبد الله اذهب بهذا الدم فاهرقه
حيث لا يراك احد قال فشربته فلما رجعت قال يا عبد الله ما صنعت قلت جعلته
فى اخفى مكان علمت انه يخفى على الناس قال لعلك شربته قلت نعم قال ويل للناس منك
وويل لك من الناس واخذ من ذلك بعض ائمتنا طهارة فضلاته صلى الله عليه
وسلم حيث لم يامره بغسل فمه ولم يغسل هو فمه وان شربه جائز حيث اقره على شربه
وما اورده فى الاستيعاب ان رجلا من الصحابة اسمه سالم حجمه صلى الله عليه وسلم
ثم ازدرد دمه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم اما علمت ان الدم كله حرام اى شربه فقد
قال بعضهم هو حديث لا يعرف له اسناد فلا يعارض ما قبله على انه يمكن ان يكون ذلك
سابقا على اقراره على ذلك والله اعلم ونزع ابو عبيدة عامر بن عبد الله الجراح رضى الله
تعالى عنه احدى الحلقتين من وجنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقطت ثنية
ابى عبيدة ثم نزع الاخرى فسقطت ثنيته الاخرى اى وقيل الذى نزعهما عقبة بن
وهب بن كلدة وقيل طلحة بن عبيد الله ولعل الثلاثة تعالجوا اخراجها وكان
اشدهم لذلك ابو عبيدة قال بعضهم ولما سقط مقدم اسنان ابى عبيدة
صار اهتم ولم ير قط اهتم احسن من ابى عبيدة لان ذلك الهتم حسن فاه وكان
اول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة وقول القائل قتل رسول
الله صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك قال عرفت عينيه تزهران اى تضيئان وتتوقد
من تحت المغفر وهو ما يجعل على الراس من الزرد فناديت باعلى صوتى يا معشر المسلمين
ابشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشار الى ان انصت وعن بعض الصحابة
قال لما صرخ الشيطان قتل محمد لم نشك فى انه حق وما زلنا كذلك حتى طلع رسول
الله صلى الله عليه وسلم بين السعدين فعرفناه بتكفئه اذا مشى ففرحنا حتى كانه

لم يصبنا ما اصابنا فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ه
ونهض معهم نحو الشعب فيهم ابو بكر وعمر وعلى وطلحة والزبير والحارث بن الصمة
رضى الله تعالى عنهم وفى خصائص العشرة للمحب الطبرى وثبت بعنى الزبير مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم احد وبايعه على الموت هذا كلامه فلينا مل وقول
بعض الرافضة انهزم الناس كلهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على بن ابى
طالب ممنوع وقوله وتعجبت الملائكة من شان على وقول جبريل وهو يعرج الى السما
لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا على وقوله وقتل على اكثر المشركين فى هذه الغزاة
فكان الفتح فيها على يديه وقال اصابتنى يوم احد ستة عشر ضربة سقطت الى
الارض فى اربع منهن فجائنى رجل حسن الوجه حسن اللحية طيب الريح واخذ بضبعى
فاقامنى ثم قال اقبل عليهم فقاتل فى طاعة الله وطاعة رسوله فانهما عنك راضيان
ولما اخبرت النبى صلى الله عليه وسلم فقال لى يا على اما تعرف الرجل قلت لا ولكن
شبهته بدحية الكلبى فقال يا على اقر الله عينك كان جبريل جميعه رده الامام ابو
العباس بن تيمية بانه كذب باتفاق الناس وبين ذلك بما يطول قال واقبل عثمان
ابن عبد الله بن المغيرة على فرس ابلق وعليه لامة كاملة قاصدا رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو متوجه للشعب وهو يقول لا نجوت ان نجوت فوقف رسول الله
صلى الله عليه وسلم فعثر بعثمان فرسه فى بعض تلك الحفر ومشى اليه الحارث بن
الصمة فاصطدما ساعة بسيفيهما ثم ضرب الحارث على رجله فبرك وذفف
واخذ درعه ومغفره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى احانه اى
اهلكه واقبل عبيد بن جابر العامرى يعدو فضرب الحارث على عاتقه فجرحه
فاحتمله اصحابه ووثب ابو دجانة الى عبيد فذبحه بالسيف ولحق برسول الله صلى
الله عليه وسلم انتهى ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى فم الشعب خرج على بن
ابى طالب حتى ملاء درقته ماء وغسل به صلى الله عليه وسلم عن وجهه الشريف الدم وهو
يقول اشتد غضب الله على من ادمى وجه نبيه اى والسياق يقتضى انه قال ذلك
ايضا بعد قوله كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم ونزول تلك الاية بان ذلك كان
قبل غسل وجهه الشريف قال ثم اراد صلى الله عليه وسلم ان يعلو الصخرة التى فى الشعب
فلما ذهب لينهض لم يستطع اى لانه صلى الله عليه وسلم ضعف لكثرة ما خرج من دم
راسه الشريف ووجهه مع كونه عليه درعان فجلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهض به
حتى استوى عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة اى فعل شيئا ه
استوجب به الجنة حين صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع انتهى اى وقد

قيل

قيل ان طلحة كان فى مشيه اختلاف لعرج كان به فلما حمل النبى صلى الله عليه وسلم تكلف
استقامة المشى لئلا يشق عليه صلى الله عليه وسلم فذهب عرجه ولم يعد اليه وفى
رواية انه صلى الله عليه وسلم انطلق حتى الى اصحاب الصخرة اى الجماعة من الصحابة
الذين علوا الصخرة اى التى فى الشعب فلما راوه وضع رجل سهما فى قوسه واراد ان
يرميه فقال صلى الله عليه وسلم انا رسول الله ففرحوا بذلك وفرح رسول الله صلى
الله عليه وسلم الذى وجد فى اصحابه من يمنع اى ولعل هذا الذى اراد رميه صلى الله
عليه وسلم لم يعرفه ولا من معه من الصحابة لارتفاع الصخرة قال وعطش صلى
الله عليه وسلم عطشا شديدا اى فلم يشرب من الما الذى جاء به على فى درقته لانه صلى
الله عليه وسلم وجد له ريحا فعافه اى كرهه فخرج محمد بن مسلمة يطلب له ماء فلم يجد
فذهب الى مياه فاتى منها بماء عذب فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا له بخير
وفى بعض الروايات ان نساء المدينة خرجن وفيهم فاطمة بنت النبى صلى الله عليه
وسلم فلما لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتنقته وجعلت تغسل جراحاته
وعلى يسكب الما فيتزايد الدم فلما رات ذلك اخذت شيئا من حصير اى معمول من
البردى فاحرقته بالنار حتى صار رمادا فاخذت ذلك الرماد وكمدته حتى
لصق بالجرح فاستمسك الدم انتهى اى لان البردى له فعل قوى فى حبس الدم
لان فيه تجفيفا قويا وفى حديث غريب انه صلى الله عليه وسلم داوى جرحه بعظم
بال اى محرق وقد يقال يجوز ان يكون الراوى ظن ذلك البردى المحرق عظما محرقا
بناء على صحة تلك الرواية وعن وضع هذا الرماد الحال عبر بعضهم بانه صلى الله عليه
وسلم اكتوى فى وجهه وجعله معارضا للحديث الصحيح فى وصف السبعين الفا
الذين يدخلون الجنة من غير حساب بانهم لا يكتوون وعارض ايضا بانه صلى الله عليه
وسلم كوى سعد بن معاذ مرتين ليرقى اى ينقطع الدم من جرحه وكوى اسعد بن
زرارة لمرض الذبحة ففى كلام بعضهم كان موت اسعد بن زرارة بمرض يقال
له الذبحة فكواه النبى صلى الله عليه وسلم بيده وقال بئس الميتة لليهود يقولون
افلا دفع عن صاحبه وما املك له ولا لنفسى شيئا واجيب بان الحديث محمول على من
اكتوى خوفا من حدوث الدا او لانهم كانوا يعتقدون امره ويرون انه يقطع الدا واذا
لم يكو العضو عطب وبطل وهو محمل قوله صلى الله عليه وسلم لم يتوكل من اكتوى وما
فى الخصائص الكبرى ان الملائكة كانت تصافح عمران بن حصين وتسلم عليه من
جوانب بيته ثلاثين سنة حتى اكتوى اى لبواسير كانت به فكان يصبر على المها
فلما ترك الكى عادت الملائكة الى سلامها عليه لان ذلك قادح فى التوكل وما

في البخاري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
الشفاء في ثلاث شربة من عسل وشرطة محجم وكية بنار وانا انهى عن الكي وفي رواية
وما احب ان اكتوي اي فالنهي للتنزيه لا للتحريم والا لم يفعله عمران مع علمه بالنهي
قال في الهدى واراد بقوله وانا انهى الى اخره اي اخر لا يؤتى بالكي الا اذا لم ينجع
الدوا فلا يأتي به اولا ومن ثم اخره قيل والفصد داخل في شرطة المحجم والحجامة
في البلاد الحارة انفع من الفصد هذا كلامه وبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الشعب مع اوليك النفر من اصحابه اذ علت طايفة من قريش الجبل معهم خالد
ابن الوليد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا ينبغي لهم ان يعلونا اللهم
لا قوة لنا الا بك فقاتلهم عمر بن الخطاب وجماعة من المهاجرين حتى اهبطوا من
الجبل اي ونزل قوله تعالى ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون اي لا تضعفوا عن
الحرب ولا تحزنوا على ما فاتكم من الظفر بالكفار ولعل هذا كان قبل ان يعلو
الصخرة كما تقدم او لعل الجبل كان اعلى من تلك الصخرة قال وفي بعض الروايات
انه صلى الله عليه وسلم قال لسعد اردد هم قال كيف اردهم وحدي فقال له
اردد هم فقال كيف ارد دهم فقال له اردد هم قال سعد فاخذت سهما من كنانتي
فرميت به رجلا منهم فقتلته ثم اخذت سهما فاذا هو سهمي الذي رميت به فرميت
به اخر فقتلته ثم اخذت سهما فاذا هو سهمي الذي رميت به فرميت به اخر فقتلته
ثم اخذت سهما فاذا هو سهمي الذي رميت به فرميت به اخر فقتلته ثم اخذت سهما
فاذا هو سهمي الذي رميت به فرميت به اخر فقتلته فهبطوا من مكانهم فقلت هذا
سهم مبارك فكان عندي في كنانتي لا يفارق كنانتي وكان بعده بنيه انتهى اي
وحينئذ يحتاج الى الجمع بين هذا اي كون سعد ردهم وحده بهذا السهم وما
قبله الدال على ان الراد لهم كان عمر بن الخطاب وجماعة من المهاجرين وروي عنه انه
قال لقد رايتني ارمي بالسهم يوم احد فيرده علي رجل ابيض حسن الوجه لا اعرفه
حتى كان بعد اي بعد انقضاء الحرب لم اعرفه فظننت انه ملك اي وفي رواية عنه
انه قال رميت بسهم فرده علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسهمي اعرفه حتى
واليت بين ثمانية او تسعة كل ذلك يرده علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
هذا سهم دم اي يصيب فجعلته في كنانتي لا يفارقني اقول ولا منافاة بين هذا
وبين قوله ثم اخذت سهما لان قوله المذكور لا ينافي ان يكون اخذه منه صلى الله
عليه وسلم من كنانته كما قد يتبادر ولا بين قوله فيرده علي رجل ابيض حسن الوجه
لا اعرفه لانه يجوز ان يكون ذلك الرجل كان يرد السهام التي كان يرمي بها حتى لا ينفني

سهامه

سهامه الا هذا السهم فانه لم يرده له بل ناوله له صلى الله عليه وسلم ويرده عليه
ولا منافاة بين قوله حتى واليت بين ثمانية او تسعة وبين اخباره بقوله ثم اخذت
سهما الى ان عد خمس مرات لانه يجوز ان تكون تلك الخمسة قتل فيها وفيما زاد لم يقتل
بل جرح فليتامل والله اعلم وصلى صلى الله عليه وسلم ظهر ذلك اليوم موجعا
من الجراح التي اصابته وصلى المسلمون خلفه قعودا اي ولعل ذلك كان بعد انصراف
عدوهم وانما صلى المسلمون خلفه صلى الله عليه وسلم قعودا اتباعا له وقد نسخ ذلك
او ان من صلى قاعدا انما هو لما اصابهم من الجراح وكانوا هم الاغلب فقيل صلى المسلمون
خلفه قعودا فقد جاء انه وجد بطلحة بضع وسبعون جراحة من طعنة وضربة ورمية
وقطعت اصبعه وفي رواية انامله وعند ذلك قال حس فقال صلى الله عليه وسلم
لو قلت بسم الله لرفعتك الملايكة والناس ينظرون اليك حتى تلج بك في جو السماء
زاد في لفظ ولرايت بناءك الذي بنى الله لك في الجنة وانت في الدنيا وفي البخاري
عن قيس بن ابي حازم قال رايت يد طلحة بن عبيد الله شلا وقى بها رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوم احد اي من سهم وقيل من حربة ونزف به الدم حتى غشي عليه ونضح
ابو بكر الما في وجهه حتى افاق فقال ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ابو
بكر هو بخير وهو ارسلني اليك فقال الحمد لله كل مصيبة بعده جلل اي قليلة وكان
يقال لطلحة الفياض سماه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة العشيرة
كما تقدم وسماه طلحة الجود في احد لانه انفق في احد سبعماية الف درهم وسماه
في احد ايضا طلحة الخير وعبد الرحمن بن عوف اصيب فوه فهتم وجرح عشرين
جراحة او اكثر وجرح بن عوف في رجله فكان يعرج منها واصاب كعب بن مالك سبعة
عشر جراحة وفي رواية عشرون جراحة قال عاصم بن عمر بن قتادة كان عندنا
رجل غريب لا ندري ممن هو اي يظهر الاسلام يقال له قزمان وكان ذا باس
وقوة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا ذكر انه لمن اهل النار فلما كان
يوم احد قاتل قزمان قتالا شديدا اي فكان اول من رمى من المسلمين بسهم وكان
يرمي النبال كانها الرماح ثم فعل بالسيف الافاعيل فكان يكت كتيت الجمل وقتل
ثمانية او تسعة من المشركين ولما اخبر صلى الله عليه وسلم بذلك قال انه من اهل النار
فاعظم الناس ذلك واثبتته الجراحة فاحتمل الى دار بني ظفر لانه كان حليفا
لهم فجعل رجال من المسلمين يقولون والله لقد ابليت اليوم يا قزمان فابشر فيقول
بماذا ابشر فوالله ما قاتلت الا على احساب قومي اي على شرفهم ومفاخرهم اي مناصرة
لهم ولولا ذلك ما قاتلت اي فلم يقاتل لاعلاء كلمة الله ورسوله وقهر اعدايهما اي وفي

روايه أن قتادة قال له هنيئا لك الشهادة يا ابا الغيداق فقال والله اني ما قاتلت يا ابا عمرو على دين ما قاتلت الا على الحفاظ ان تسير الينا قريش حتى تطأ ارضنا فلما اشتدت عليه الجراحة اخذ سهما يقال لها الزوامق اي وفي روايه فجعل ذباب سيفه في صدره اي بين ثدييه كما في روايه ثم تحامل عليه حتى قتل نفسه قال في النور وهو الصحيح ولا مانع ان يكون فعل كلا من الامرين اي وعند ذلك جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال اشهد انك رسول الله قال وما ذاك قال الرجل الذي ذكرت انفا انه من اصحاب النار فعل كذا وكذا وقد جاء سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء اي ذلك في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله متفق عليه وحينئذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من اهل النار وان الرجل ليعمل بعمل اهل النار فيما يبدو للناس وهو من اهل الجنة فيه اشارة الى ان باطن الامر قد يكون بخلاف الظاهر وقال ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر اي وقد اشار الى هذا الامام السبكي في تائيته بقوله

وقلت لشخص يدعي الدين انه ۝ بنار فالقى نفسه للمنية

هذا وفي كلام ابن الجوزي عن ابي هريرة قال شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر فقال لرجل ممن يدعي الاسلام هذا من اهل النار فلما حضرنا القتال قاتل الرجل قتالا شديدا فاصابته جراحة فقيل يا رسول الله الرجل الذي قلت انه من اهل النار فانه قاتل اليوم قتالا شديدا وقد مات فقال النبي صلى الله عليه وسلم كما قال الى النار ثم قيل انه لم يمت ولكن به جراح شديدة فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال الله اكبر اشهد اني عبد الله ورسوله فامر بلالا فنادى في الناس انه لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر هذا الرجل اسمه قزمان من المنافقين هذا كلامه فليتامل فان تعدد الشخص المسمى بهذا الاسم فيه بعد ولعل ذكر خيبر بدل احد اشتباه من الراوي وقوله ان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر عام فيدخل فيه كل من الملك والعالم الذي جعل تسليكه وتعليمه مصيدة للدنيا واكل الحرام فان الله يحيي بهما قلوبا ويهدي بهما سواء السبيل مع انهما فاجران وقتل الاصيرم اصيرم بني عبد الاشهل قال بعضهم كان الاصيرم يأبى الاسلام على قوم بني عبد الاشهل فلما كان يوم خروج النبي صلى الله عليه وسلم الى احد جاء الى المدينة فسال

عن

عن قومه فقيل باحد فبدا له في الاسلام اي رغب فيه فاسلم ثم اخذ سيفه ورمحه ولامته وركب فرسه فغدا بالغين المعجمة حتى دخل في عرض الناس اي بضم العين المهملة والضاد المعجمة جانبهم وناحيتهم فقاتل حتى اثبتته الجراحة اصابت مقاتله فبينما رجال من بني عبد الاشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة اذا هم به فقالوا والله ان هذا الاصيرم فسالوه ما جاء بك مناصرة لقومك ام رغبة في الاسلام فقال بل رغبة في الاسلام امنت بالله وبرسوله ثم جئت وقاتلت حتى اصابني ما اصابني ثم لم يلبث ان مات في ايديهم فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انه لمن اهل الجنة وكان ابو هريرة رضي الله تعالى عنه يقول حدثوني عن رجل دخل الجنة ولم يصل يعني الاصيرم ويصدق على هذا قوله صلى الله عليه وسلم وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار الحديث اي وممن يدخل الجنة ولم يصل الاسود الراعي لبعض يهود خيبر الذي جاء للنبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله اعرض علي الاسلام فعرضه عليه فاسلم ثم تقدم يقاتل فاصابه حجر فقتله وما صلى صلاة قط كما سياتي في غزاة خيبر وقتل حنظلة ابن ابي عامر الفاسق وابو عامر هذا هو الذي كان يسمى في الجاهلية الراهب فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق كما تقدم وكان هو وعبد الله بن ابي بن سلول من رؤس اهل المدينة وعظمائها المتوجهين للرياسة على اهلها كان ابو عامر من الاوس ويقال له ابن صيفي وكان عبد الله من الخزرج فتعس الله ابن ابي ظهر الاسلام واما ابو عامر فاصر على الكفر الى ان مات طريدا وحيدا اجابة لدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث دعى عليه بذلك والى ذلك اشار الامام السبكي في تائيته بقوله

ومات ابن صيفي على الصفة التي ۝ ذكرت وحيدا بعد طرد وغربة

وقد كان خرج ابو عامر هذا مباعدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه خمسون غلاما وقيل خمسة عشر من قومه من الاوس فلحق بمكة وكان قريشا انه لو لقي قومه الاوس لم يختلف عليه منهم رجلان فلما جامع قريش نادى يا معشر الاوس انا ابو عامر قالوا لا انعم الله بك عينا يا فاسق اي وفي لفظ قالوا لا مرحبا بك ولا اهلا يا فاسق ولا مانع من صدور الامرين منهم فلما سمع ردهم عليه قال لقد اصاب قومي بعدي شر ثم قاتل قتالا شديدا وهو الذي حفر الحفائر ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون التي وقع في احداها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم اي وكان هو اول من انار الحرب وضرب باسهم في وجوه المسلمين واستاذن ولده حنظلة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتله فنهاه عن قتله وسبب قتل حنظلة رضي الله تعالى عنه ان حنظلة ضرب فرس ابي سفيان فوقع الارض فصاح وعلاه حنظلة يريد ذبحه فراه شداد بن الاوس كذا

فى الاصل قيل وهو ابن شداد بن الاسود فحمل عليه فقتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان صاحبكم يعنى حنظلة لتغسله الملائكة اى وفى رواية رايت الملائكة تغسل حنظلة بين السماء والارض بماء المزن فى صحايف الفضة فسئلت صاحبته اى وهى جميلة بنت عبد الله بن ابى بن سلول راس المنافقين اخت ولد عبد الله رضى الله تعالى عنه فقالت خرج جنبا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك غسلته الملائكة فانه دخل عليها عروسا تلك الليلة التى فى صبيحتها احد وقد كان استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك اى فى الدخول بها فلما صلى الصبح غدا يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج الى العدو وفى لفظ الهايعة وفى لفظ الهيعة من الهياع وهو الصياح الذى فيه فزع وقد جاء فى الحديث خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه فلما سمع هيعة طار اليها وفى رواية فى تلك الليلة ان السماء فرجت فدخل ثم اطبقت وجاء انها اشهدت اربعة من قومها عليه بالدخول بها خشية ان يكون فى ذلك نزاع قالت لانى رايت السماء فرجت فدخل فيها ثم اطبقت فلذلك هذه الشهادة وعلقت منه بعبد الله بن حنظلة رضى الله تعالى عنهما فى تلك الليلة وعبد الله هذا هو الذى ولاه اهل المدينة عليهم لما خلعوا يزيد بن معاوية وكان ذلك سببا لوقعة الحرة ولم يمثل قريش بحنظلة لكون والده منهم الذى هو ابو عامر الراهب وفى الامتاع وجعل ابو قتادة الانصارى يريد التمثيل من قريش لما راى من المثلة بالمسلمين فقال له صلى الله عليه وسلم يا ابا قتادة ان قريشا اهل امانة من بغاهم العواثر كبه الله تعالى الى فيه وعسى ان طالت لك مدة ان تحقر عملك مع اعمالهم وفعالك مع فعالهم لولا ان تبطر قريش لاخبرتها بما لها عند الله فقال ابو قتادة والله يا رسول الله ما غضبت الا لله ولرسوله فقال صدقت بئس القوم كانوا لنبيهم قال وجاء انه صلى الله عليه وسلم هم ان يدعو عليهم فنزلت الاية المذكورة اى ليس لك من الامر شىء فكف عن الدعاء عليهم اى وفيه انها نزلت بعد قوله اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا الى اخر ما تقدم عن بعض الروايات الا ان يقال اراد المداومة على الدعاء عليهم وعن ابى سعيد الساعدى قال ذهبنا الى حنظلة فاذا راسه يقطر ماء انتهى اى فعلم انه لا منافاة بين كونه صلى الله عليه وسلم دعا عليهم وبين كونه هم بالدعاء عليهم لانه يجوز ان يكون المراد هم بتكرير الدعاء عليهم وفى البخارى ومسلم والنسائى عن جابر رضى الله تعالى عنه قال قال رجل يوم احد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان قتلت فاين انا قال فى الجنة فالقى تمرات كن فى يده فقاتل حتى قتل قال فى طرح التثريب قال الخطيب كانت هذه القصة يوم بدر لا يوم احد فاشار الى تضعيف رواية الصحيحين التى فيها يوم احد ولا توجيه لذلك بل التضعيف تعبير هذه بهذه اى جعلهما قصة واحدة وكل

منهما

منهما صحيحة ومما قصتان لشخصين هذا كلامه وقد تقدم فى غزاة بدر الحوالة على هذا فليتامل اى واقبل رجل من المشركين مقنعا بالحديد يقول انا ابن عويف فتلقاه رسول الله صلى الله عليه وسلم رشيد الانصارى الفارسى فضربه على عاتقه فقطع الدرع وقال خذها وانا الغلام الفارسى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يرى ذلك ويسمعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلا قلت خذها وانا الغلام الانصارى فعرض لرشيد اخو ذلك المقتول يعدو كانه كلب وهو يقول انا ابن عويف فضربه رشيد على راسه وعليه المغفر ففلق راسه وقال خذها وانا الغلام الانصارى فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال احسنت يا ابا عبد الله وكان يومئذ لا ولد له وقتل عمرو بن الجموح وكان اعرج شديد العرج وكان له بنون اربعة مثل الاسد يشهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد فلما يوم احد ارادوا حبسه وقالوا له قد عذرك الله فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان بنى يريدون ان يحبسونى من الخروج معك فوالله انى لارجو ان اطا بعرجتى هذه الجنة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انت فقد اعذرك الله فلا جهاد عليك وقال لبنيه ما عليكم ان لا تمنعوه لعل الله يرزقه الشهادة فاخذ سلاحه وخرج واقبل على القبلة وقال اللهم ارزقنى الشهادة ولا تردنى خائبا الى اهلى فقتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان منكم من لو اقسم على الله لابره منهم عمرو بن الجموح ولقد رايته يطا فى الجنة بعرجته اى كشف له عن حاله يوم القيمة اى وفى رواية انه قال يا رسول الله ارايت ان قاتلت فى سبيل الله حتى اقتل امشى برجلى هذه صحيحة فى الجنة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانى انظر اليك تمشى برجلك هذه صحيحة فى الجنة اقول يمكن الجمع بانه فى اول دخوله الجنة يطاها برجله غير صحيحة ثم تصير صحيحة وعمرو بن الجموح كان فى الجاهلية على اصنامهم اى سادنا لها وكان فى الاسلام يولم عنه صلى الله عليه وسلم اذا تزوج وقد وقع منه صلى الله عليه وسلم مثل ذلك لانس بن النضر عم انس بن مالك خادم النبى صلى الله عليه وسلم فانه لما كسرت اخته الربيع ثنية جارية من الانصار فطلب اهلها القصاص فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بكسر ثنية الربيع قال اخوها انس المذكور والله لا تكسر ثنية الربيع وصار كلما يقول صلى الله عليه وسلم كتاب الله القصاص يقول والله لا تكسر ثنية الربيع فرضى القوم بالارش فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله من لو اقسم على الله لابره وقال صلى الله عليه وسلم ذلك ايضا فى حق البراء بن مالك اخو انس بن مالك فعن انس رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال رب اشعث اغبر لا يؤبه له لو اقسم على

الله لأبره منهم البراء بن مالك ومصداق ذلك ما وقع له في مقاتلة الفرس فان الفرس غلبوا
على المسلمين فقالوا البرا يا برا اقسم على ربك فقال اقسم عليك يا رب لما منحتنا اكتافهم
والحقتني نبيك فحمل وحمل المسلمون معه فقتل عظيم الفرس وانهزم الفرس ثم قتل البراء رحمه
الله ومما وقع لانه كان مع اخيه انس عند بعض حصون العدو بالعراق وكانوا يلقون
كلاليب معلقة في سلاسل محماة يختطفون بها الانسان فكان ممن خطفوا انس فاقبل
البرا وصعد محلا عاليا ومسك السلسلة بيده ولا زال حتى قطع السلسلة ثم نظر
الى يده فاذا عظمها يلوح ليس عليه لحم ونجى الله انسا بذلك وقال صلى الله عليه وسلم
كما تقدم في حق اويس القرني ففي عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان خير التابعين رجل يقال له اويس بن عامر
القرني فمن لقيه منكم فمروه ان يستغفر لكم وفي رواية خطابا لعمر رضي الله عنه
يأتي عليك اويس بن عامر مع امداد اهل اليمن كان به برص فبرأ منه الا موضع درهم
له ام هو بها بار لو اقسم على الله لابره فان استطعت ان يستغفر لك فافعل والله اعلم
وقتل ايضا احد بني عمرو بن الجموح وهو خلاد وقتل اخو زوجته هند بنت حرام وهو
عبد الله والد جابر فحملتهم هند على بعير لها تريد ان تدفنهم في المدينة فلقيتها عايشة
ام المؤمنين رضي الله تعالى عنها وقد خرجت في نسوة يستروحن الخبر فقالت لها
عايشة رضي الله تعالى عنها ما خبر الجيش فقالت اما رسول الله صلى الله عليه وسلم
فصالح وكل مصيبة بعده جلل واتخذ الله من المؤمنين شهدا ثم قالت لها من
هولاء قالت اخي عبد الله وابني خلاد وزوجي عمرو بن الجموح فبرك بهم البعير وصار
كلما يوجه الى المدينة يبرك وان وجه الى ارض احد يسرع فرجعت الى النبي صلى الله عليه
وسلم واخبرته فقال ان الجمل مامور فقبرتهم باحد وقال لهند يا هند ما زالت الملايكة
مظلة على اخيك من لدن قتل الى الساعة ينظرون اين يدفن ولعل هذا كان
قبل ان ينادي برد القتلى الى مضاجعهم قال لجابر رضي الله تعالى عنه كان ابي اول
قتيل من المسلمين قتله ابو الاعور السلمي وفي الصحيح ان عايشة رضي الله تعالى
عنها وام سليم كانا ينقلان الماء يفرغان من القرب في افواه القوم اي ولا مخالفة
لانه يجوز ان يكون ذلك شان عايشة بعد وصولها لاحد اي وقد كان صلى الله
عليه وسلم خلف اليمان والد حذيفة وثابت بن وقش في الاطام مع النساء والصبيان
لانهما كانا شيخين كبيرين فقال احدهما لصاحبه لا ابا لك ما ننتظر فوالله ان
بقي لواحد منا من عمره الا ظمء حمار فلا ناخذ اسيافنا ثم نلحق برسول الله صلى
الله عليه وسلم لعل الله يرزقنا الشهادة فاخذا اسيافهما ثم خرجا حتى دخلا

في الناس

في الناس من جهة المشركين ولم يعلم المسلمون بهما فاما ثابت فقتله المشركون واما
اليمان فاختلفت عليه اسياف المسلمين فقتلوه ولم يعرفوه قال حذيفة ابي فقالوا
ما عرفناه فاراد رسول الله ان يديه فتصدق حذيفة بديته على المسلمين فزاده
ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا واسم اليمان حسيل وقيل له اليمان
لانه نسب الى جده اليمان بن الحارث وقيل انما قيل له اليمان لانه اصاب دما في
قومه فهرب الى المدينة فحالف بني عبد الاشهل فسماه قومه اليمان لمحالفته اليمانية
اي وهم اهل المدينة ومما يوثر عن حذيفة انه قيل له من ميت الاحيا قال الذي
لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه وفي الكشاف وعن حذيفة انه استاذن
رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل ابيه وهو في صف المشركين اي قبل ان يسلم فقال
صلى الله عليه وسلم له دعه يليه غيرك هذا كلامه ولم اقف على اي غزاة كان ذلك
بها وسياق ما قبله يدل على انه كان من الانصار كان حلفا لبني عبد الاشهل ولم يحفظ
ان احدا من الانصار قاتله صلى الله عليه وسلم قبل الاسلام فليتامل ثم ان هندا زوج ابي
سفيان والنسوة اللاتي خرجن معها صرن يمثلن بقتلى المسلمين يجدعن الاذان ويقطعن
الاناف واتخذن من ذلك قلايد وبقرت اي شقت هند بطن سيدنا حمزة
واخرجت كبده فلاكتها اي مضغتها فلم تستطع ان تسيغها اي تبتلعها فلفظتها
اي القتها من فيها اي لانها كانت نذرت ان قدرت على حمزة لتاكلن من كبده ولما بلغ
رسول الله صلى الله عليه وسلم انها اخرجت كبد حمزة قال هل اكلت منه شيا قالوا لا
قال ان الله حرم على النار ان تذوق من لحم حمزة شيا ابدا اي ولو اكلت منه اي استقر في
جوفها لم تمسها النار ففي رواية لو دخل بطنها لم تمسها النار لان حمزة اكرم على الله من ان
يدخل شيء من جسده النار اي ورايت في بعض السير انها شوت منه ثم اكلت وقد يقال
لا منافاة لجواز حمل الاكل على مجرد المضغ من غير اساغة قال في رواية ان وحشي
هو الذي بقر بطن سيدنا حمزة واخرج كبده وجاء بها الى هند اي وقال لها ماذا لي ان
قتلت قاتل ابيك قالت سلبي فقال هذه كبد حمزة فاعطته ثيابها وحليها ووعدته
اذا وصلت الى مكة تدفع له عشرة دنانير وجاءت الى مصرع حمزة فجدعت انفه
وقطعت اذنيه ثم جعلت ذلك كالسوارين في يديها وقلايد في عنقها واستمرت كذلك حتى
قدمت مكة وفي النهر لابي حيان ان وحشيا جعل له على قتل حمزة ان يعتق فلم يوف
له بذلك فندم على ما صنع ثم ان هندا علت على صخرة مشرفة فصرخت باعلا صوتها
وانشدت ابياتا ثم ان زوجها ابا سفيان اشرف على الجبل كذا في البخاري انه اشرف
وفي رواية كان باسفل الجبل وقد يقال لا مخالفة لجواز وقوع الامرين معا ثم صرخ

باعلا صوته انعمت فعال ان الحرب سجال اى ومعنى سجال مرة لنا ومرة علينا يوم لحد بيوم
بدر وانعمت بكسر التا خطابا للنفس او للازلام كانوا استقسموا بها عند خروجه الى
احد فخرج الذى يحب وهو افعل والفاعل فعال مفتوحة وليست من بنية الكلمة وهى
امرائة ارتفع عن لومها اى النفس او الازلام عال عنى اى ارتفع عنى ودعنى اى وزاد
فى لفظ يوم لنا ويوم علينا ويوم نسا ويوم نسر حنظلة بحنظلة وفلان بفلان
اى وقد جا انه صلى الله عليه وسلم قال الحرب سجال وقد قال تعالى ان يمسسكم قرح
اى جراح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وقد نزل ذلك
فى قصة احد بالاتفاق ثم قال ابو سفيان انكم ستجدون فى القوم وفى رواية فى قتلاكم
مثلا لم امر بها ولم تسونى وفى رواية والله ما رضيت وما سخطت وما امرت وما نهيت
وفى لفظ ما امرت ولا نهيت ولا احببت ولا كرهت ولا ساءنى ولا سرنى اى وفى لفظ
اما انكم ستجدون فى قتلاكم مثلا ولم تكن عن راى سراتنا ثم ادركته حمية الجاهلية
فقال اما انه اذ كان ذلك لم نكرهه ومر الحليس سيد الاحابيش بابى سفيان وهو
يضرب بزج الرمح فى شدق حمزة ويقول ذق عقق اى ذق طعم مخالفتك لنا
وتركك الذى كنت عليه يا عاق قومه جعل اسلامه عقوقا فقال الحليس يا بنى كنانة
هذا سيد قريش يصنع بابن عمه ما ترون فقال ابو سفيان اكتمها عنى فانها زلة وقال
ابو سفيان اعل هبل اى اظهر دينك او زد علوا ٥ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قم يا عمر فاجبه فقل الله اعلا واجل لا سوا قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار فقال
ابو سفيان انكم تزعمون ذلك لقد خبنا اذا وخسرنا وهبل هذا تقدم انه صنم
وتقدم الكلام عليه ورايت فى كلام الشيخ محيى الدين بن العربى انه الحجر الذى يطوه
الناس فى العقبة السفلى من باب بنى شيبة وبليط الملوك فوقه البلاط ثم قال ابو
سفيان ان لنا العزى ولا عزى لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله مولانا ولا مولا
لكم ثم قال ابو سفيان لعمر اى بعد ان قال له هلم يا عمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ائته فانظر ما شانه فجاءه فقال له ابو سفيان انشدك الله يا عمر اقتلنا محمدا قال عمر
اللهم لا وانه ليسمع كلامك الان قال انت اصدق عندى من ابن قمئة وابر اى لانه
لما قتل مصعب بن عمير ظنه النبى صلى الله عليه وسلم فقال لعمر اللهم لما قتل مصعب بن
عمير ظنه النبى صلى الله عليه وسلم فقال قتلت محمدا كما تقدم وفى رواية ان ابا سفيان نادى
افى القوم محمد افى القوم محمد قال ذلك ثلاثا فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجيبوه
ثم قال ذلك ثلاثا وفى رواية ابن ابى قحافة ابن ابن الخطاب ثم اقبل على اصحابه فقال اما
هولاء فقد قتلوا وقد كفيتموهم اذ لو كانوا احيا لاجابوا فما ملك عمر نفسه ان قال كذبت

والله

والله يا عدو الله ان الذين عددت لاحيا كلهم وقد بقى لك ما يسوءك ثم نادى ابو سفيان
ان موعدكم بدر العام القابل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من اصحابه
قل نعم بيننا وبينكم موعد ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن ابى طالب وقيل
سعد بن ابى وقاص فقال اخرج فى اثار القوم فانظر ماذا يصنعون وماذا يريدون فان
كانوا قد جنبوا الخيل اى جعلوها منقادة بجانبهم وامتطوا الابل اى ركبوا مطاها
اى ظهورها لان المطا الظهر فانهم يريدون مكة وان ركبوا الخيل وساقوا الابل
فهم يريدون المدينة والذى نفسى بيده ان ارادوها لاسيرن اليهم فيها ثم لاناجزنهم
قال على اى او سعد بن ابى وقاص فخرجت فى اثارهم انظر ماذا يصنعون فجنبوا الخيل
وامتطوا الابل وتوجهوا الى مكة اى بعد ما تشاوروا فى نهب المدينة فاشار عليهم
صفوان بن امية ان لا يفعلوا اى وقال لهم فانكم لا تدرون ما يغشاكم وفرغ الناس لقتلاهم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رجل ينظر ما فعل سعد بن الربيع افى الاحياء
هو ام فى الاموات اى زاد فى رواية فانى رايت الاسنة قد اشرعت اليه فقال رجل
من الانصار اى وهو ابى بن كعب وقيل محمد بن مسلمة وقيل زيد بن حارثة وقيل
غير ذلك ويجوز ان يكونوا ارسلوا كلهم كل قال انا انظر لك يا رسول الله اى وفى
رواية قال للرسول ان رايت سعد بن الربيع فاقره منى السلام وقل له يقول لك رسول
الله صلى الله عليه وسلم كيف تجدك فنظر فوجده جريحا وبه رمق اى بقية روح فقال له
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرنى ان انظر افى الاحيا انت ام فى الاموات فقال انا
فى الاموات قد طعنت اثنتى عشرة طعنة وانه قد انفذت مقاتلى فابلغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم عنى السلام وقل له ان سعد بن الربيع يقول جزاك الله عنا خيرا
ما جزى نبيا عن امته وابلغ قومك عنى السلام وقل لهم ان سعد بن الربيع يقول لكم
لا عذر لكم عند الله ان يخلص الى نبيكم وفيكم عين تطرف وفى رواية شفر يطرف
اى يتحرك قال ثم لم ابرح حتى مات فجئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته
خبره اى وفى رواية انه راى الذى ارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم يدور
بين القتلى قال له ما شانك قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتيه
بخبرك قال فاذهب اليه الحديث وفى رواية ان محمد بن مسلمة نادى فى القتلى
يا سعد بن الربيع مرة بعد اخرى فلم يجبه حتى قال ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم ارسلنى انظر ما صنعت فاجابه بصوت ضعيف الحديث اى وفى رواية اقرا
على قومى السلام وقل لهم يقول لكم سعد بن الربيع الله الله ما كم عند الله عذر الحديث
وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمه الله نصح لله ولرسوله حيا وميتا حلفه

بنتين فاعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم من ميراثه الثلثين فكان ذلك
بيان المراد من الاية وهى قوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وفى
ذلك ترك اى اثنان فما فوقهما وحينئذ لا يحتاج الى قياس البنتين على الاختين
بجامع ان للواحدة منهما النصف ودخلت بنت له على ابى بكر رضى الله تعالى عنه
فالقى لها رداءه لتجلس عليه فدخل عمر بن الخطاب فسال عنها فقال هذه ابنة من هو
خير منى ومنك قال ومن هو يا خليفة رسول الله قال رجل تبوا مقعده من الجنة
وبقيت انا وانت هذه ابنة سعد بن الربيع وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
يلتمس عمه حمزة بن عبد المطلب فقال له رجل رايته بتلك الصخرات وهو يقول
انا اسد الله واسد رسوله اللهم انى ابرا اليك مما جاء به هؤلاء النفر ابو سفيان
واصحابه واعتذر اليك مما صنع هؤلاء بانهزامهم وهذا الدعا نقل عن انس بن
النضر عم انس بن مالك خادم النبى صلى الله عليه وسلم فانه غاب عن بدر فشق
عليه ذلك فلما كان احد وراى انهزام المسلمين اى وكان قد قال للنبى صلى
الله عليه وسلم يا رسول الله انى غبت عن اول قتال قاتلت فيه المشركين والله
لئن اشهدنى الله قتال المشركين ليرين الله ما اصنع فقال اللهم انى اعتذر اليك
مما صنع هؤلاء يعنى اصحابه وابرا اليك مما فعل هؤلاء يعنى المشركين ولما سمع
قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما تصنعون بالحياة بعده موتوا على
ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استقبل القوم اى وقال لسعد بن
معاذ هذه الجنة ورب انس اجد ريحها دون احد وقاتل حتى قتل اى ووجد
به بضعا وثمانين جراحة ما بين ضربة بسيف او طعنة برمح او رمية بسهم ولما
قتل مثل به المشركون فما عرفته اخته الربيع الا ببنانه فقال ابن اخيه انس بن مالك
لما نزل من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية قلنا ان هذه الاية
نزلت فيه **وفى** اشباههم من المومنين فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو حمزة
فوجده ببطن الوادى قد بقر بطنه ومثل به فجدع انفه واذناه اى وقطعت ٥
مذاكيره فنظر صلى الله عليه وسلم الى شىء لم ينظر الى شىء قط كان اوجع لقلبه منه اى
وقال لن اصاب بمثلك ما وقفت موقفا اغيظ الى من هذا وقال رحمة الله عليك
فانك كنت ما علمتك فعولا للخيرات وصولا للرحم اما والله لامثلن بسبعين **وفى**
رواية بثلاثين رجلا منهم مكانك **وفى** رواية لئن ظفرنى الله تعالى بقريش فى موطن من
المواطن لامثلن بسبعين منهم مكانك **ولما** راى المسلمون جزع رسول الله صلى
الله عليه وسلم على عمه قالوا لئن اظفرنا الله تعالى بهم يوما من الدهر لنمثلن بهم مثلة

لم

لم يمثلها احد من العرب **وعن** ابن عباس ان الله انزل فى ذلك وان عاقبتم فعاقبوا
بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك الا بالله الا
نعفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصبر ونهى عن المثلة وكفر عن يمينه وكان
نزول هذه الايات بعد ان مثل بالعرنيين وسياتى قصتهم فى السرايا واعترضه
ابن كثير بان هذه الايات مكية وقصة احد فى المدينة بعد الهجرة بثلاث سنوات
فكيف يلتئم هذا مع هذا هذا كلامه وقد يقال يجوز ان يكون ذلك مما تكرر نزوله
فليتامل **وعن** ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ما راينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم باكيا اشد من بكائه على حمزة وضعه فى القبلة ثم وقف على جنازته
وانتحب حتى نشغ اى شهق حتى بلغ به الغشى يقول يا عم رسول الله صلى الله عليه
وسلم واسد الله واسد رسوله يا حمزة يا فاعل الخيرات يا حمزة يا كاشف الكربات
يا حمزة يا ذاب اى بالذال المعجمة يا مانع عن وجه رسول الله اى قال ذلك لا مع
البكا فلا يقال هذا من الندب المحرم وهو تعديد محاسن الميت لان ذلك مخصوص
بما اذا قارنه البكا وليس من نعى الجاهلية المكروه وهو النداء بتذكير محاسن الميت
على ان الندا بذلك محل كراهته اذا كان على وجه التفاخر والتعاظم لم يكن وضعا
لنحو صالح الحدث على سلوك طريقته وقال جاءنى جبريل فاخبرنى ان حمزة مكتوب
فى اهل السموات السبع حمزة بن عبد المطلب اسد الله واسد رسوله وامر رسول
الله صلى الله عليه وسلم الزبير ان يرجع امه صفية اخت حمزة عن رؤيته فقال لها
يا اماه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرك ان ترجعى فدفعت فى صدره وقالت
لم وقد بلغنى انه مثل باخى وذلك فى الله فما ارضانى بما كان فى الله من ذلك اى
انا اشد رضى بذلك من غيرى لاحتسبن ولاصبرن ان شاء الله تعالى فى الزبير
فاخبره صلى الله عليه وسلم بذلك فقال خل سبيلها واسترجعت واستغفرت له **وفى**
رواية ان صفية لقيت عليا والزبير رضى الله تعالى عنهم فقالت لهما ما فعل حمزة
فارياها انهما لا يدريان اى رحمة بها فجاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى اخاف
على عقلها فوضع يده الشريفة على صدرها ودعا لها فاسترجعت وبكت اى لما
راته اى **وفى** رواية لما منعها على والزبير قالت لا ارجع حتى ارى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلما راته قالت يا رسول الله اين ابن امى حمزة قال صلى الله عليه وسلم هو
فى الناس قالت لا ارجع حتى انظر اليه فجعل الزبير يحبسها فقال النبى صلى الله عليه وسلم
دعها فلما راته بكت فصارت كلما بكت بكى صلى الله عليه وسلم ثم امر به فسجى ببرده **وفى**
رواية قال الا كفن فقام رجل من الانصار فرمى بثوب عليه ثم قام اخر فرمى بثوبه عليه

فقال يا جابر بهذا الثوب لابيك وهذا للعم وهذا يدل على ان والد جابر استمر بغير
الى ذلك الوقت وهو خلاف ظاهر سياق ما تقدم وفي رواية وجاءت صفية
بثوبين معها لحمزة فكان لحمزة احدهما والاخر لرجل من الانصار ولعله والد
جابر ولعله لما جاءت صفية بالثوبين جعل صلى الله عليه وسلم احدهما لحمزة والاخر
لوالد جابر وترك ثوبي الرجلين وفي رواية كفن حمزة بنمرة كانوا اذا امدوها
على راسه انكشفت رجلاه وان مدوها على رجليه انكشف راسه فمدوها على
راسه وجعلوا على رجليه الاذخر وفي لفظ الحرمل اه ويحتاج الى الجمع بين هاتين
الروايتين على تقدير صحتهما والمشهور حديث النمرة وقد يقال انما اختار صلى
الله عليه وسلم ان لا يكون لاحد على حمزة منة ويؤيد الاول ما ياتي ولم يكفنهم الا
في ثيابهم التي قتلوا فيها فليتامل فان السياق يقتضي ان ذلك انما هو عن احتياج
وسياتي ما يصرح به وسياتي ما يعارضه وعن عبد الرحمن بن عوف قال قتل
مصعب بن عمير يوم احد وكفن في بردة ان غطي بها راسه بدت رجلاه وان غطي
بها رجلاه بدا راسه وفي رواية قتل مصعب فلم يترك الا نمرة اذا غطينا بها
رجليه خرج راسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غطوا بها راسه واجعلوا على
رجليه الاذخر وكان مصعب بن عمير هذا قبل الاسلام فتى مكة شبابا وجمالا ه
ولباسا وعطرا ولما اسلم رضي الله تعالى عنه تقشف وعن عبد الرحمن بن عوف
رضي الله تعالى عنه انه كان صايما وقد اتي بطعامه فقال قتل مصعب بن عمير وهو خير
مني فلم يوجد له ما يكفن فيه الا بردة ان غطي راسه بدت رجلاه وان غطيت
رجلاه بدا راسه وقد بسط لنا من الدنيا ما بسط او اعطينا من الدنيا ما اعطينا
وخشيت ان اكون عجلت لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا ثم جعل يبكي حتى ترك
الطعام وعن انس رضي الله تعالى عنه وقلت الثياب وكثرت القتلى فكان الرجل
والرجلان والثلاثة في الثوب الواحد ثم يدفنون في قبر واحد وقال صلى الله
عليه وسلم في حق حمزة لولا ان تجزع صفية وتساونا اي يتساوو لجزعهن ويدوم
وفي رواية لولا تجد صفية في نفسها اي بطول ذلك ويكون سنة من بعدي
لتركنا حمزة ولم ندفنه حتى يحشر في بطون الطير والسباع وفي رواية حتى ياكله
العافية ويحشر في بطونها ليشتد غضب الله على من قتله ثم صلى عليه فكبر
اربع تكبيرات ثم اتي بالقتلى يوضعون الى جنب حمزة اي احدا بعد واحد فيصلي
على كل واحد منهم مع حمزة ثم يرفع ويوتى باخر فصلى عليهم وعليه معهم حتى صلى
عليه ثنتين وسبعين صلاة وفي رواية ثنتين وتسعين صلاة وهذا غريب وسبعين

ضعيفا

ضعيفا فالرواية الاولى تقتضي ان جملة من قتل باحد اثنان وسبعون والرواية
الثانية تقتضي انهم كانوا اثنين وتسعين وقوله واحدا بعد واحد قد يخالف
ما تقدم عن انس من جعل الرجلين او الثلاثة في كفن واحد فليتامل وجا انه
صلى الله عليه وسلم كان يصلي على عشرة اي يوتى بتسعة وحمزة عاشرهم فيصلي عليهم
ثم ترفع التسعة وحمزة مكانه ويوتى بتسعة اخرى فيوضعون الى جنب حمزة فيصلي
عليهم حتى فعل ذلك سبع مرات وحينئذ يكون جملة من قتل ثلاثة وستين وسياتي
الكلام على عدتهم وقيل كبر عليهم تسعا وسبعا وخمسا اي بعد ان كبر على حمزة
وحده اربعا ولا ينافي ما تقدم ولم اقف على عدد المرات التي كبر فيها ما ذكر وجا
ان قتلى احد لم يغسلهم ولم يصل عليهم ولم يكفنهم الا في ثيابهم التي قتلوا فيها اي غير
الجلود اخذا مما ياتي اي ولا يضر تتميم ستر بعضهم بالاذخر وحينئذ لا يكون تكفين
حمزة بنمرة ومصعب ببردة وتتميم تكفينهما بالاذخر عن احتياج كما تقدم عن
عبد الرحمن بن عوف وعن انس اي وقال مغلطاي وصلى على حمزة والشهداء من غير
غسل وهذا اي دفنهم من غير غسل اجماع الا ما شذ به بعض التابعين وفيه نظر
ظاهر وقد جا انه صلى الله عليه وسلم قال لقد رايت الملائكة تغسل حمزة وتقدم
ان السياق يقتضي ان هذه رؤيا نوم وحينئذ يظهر التوقف فيما روي عن ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما قتل حمزة جنبا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما
ذكر ولعل الراوي عن ابن عباس ذكر حمزة بدل حنظلة غلطا اما الصلاة
عليهم فقال امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه جاءت الاخبار كانها عيان من وجوه
متواترة ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يصل على قتلى احد وما روي انه صلى الله عليه
وسلم صلى عليهم وكبر على حمزة سبعين تكبيرة لم يصح وقد كان ينبغي لمن عارض ه
بذلك اي بما روي بهذه الاحاديث الصحيحة ان يستحيي على نفسه اي فان من رواة
ذلك الحديث الدال على انه صلى عليهم سعيد بن ميسرة عن انس وقد قال فيه
البخاري انه يروي المناكير وقال ابن حبان يروي الموضوعات ومن جملة رواته
اي رواة ذلك الحديث مقسم عن ابن عباس وقد قال فيه البخاري منكر الحديث
ومن ثم ذكر ابن كثير ان الذي في البخاري امر بدفن شهدا احد بدمائهم ولم يصل
عليهم ولم يغسلوا وهو اثبت من صلاته عليهم واما حديث عقبة بن عامر الذي
رواه الشيخان وابو داود والنسائي وهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى
على قتلى احد بعد ثمان سنين صلاته على الميت اي دعا لهم كدعائه للميت كالمودع
للاحيا والاموات اي حين علم قرب اجله اي فذلك توديعا لهم بذلك قال قال

السهيلي لم يرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه صلى على شهيد في شيء من مغازيه الا في هذه الرواية في احد وكذلك لم يصل احد من الائمة بعده انتهى وفي النور انه صلى الله عليه وسلم صلى على اعرابي في غزوة اخرى وفي البخاري عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم امر في قتلى احد بدفنهم بدمائهم ولم يغسلوا ولم يصل عليهم بكسر اللام وفي رواية ولم يصل عليهم بفتح اللام لا يقال خبر جابر لا يحتج به لانه نفي وشهادة النفي مردودة مع ما عارضها في خبر الاثبات لانا نقول شهادة النفي انما ترد اذا لم يحط بها علم الشاهد ولم تكن محصورة والا فتقبل بالاتفاق وهذه قضية معينة احاط بها جابر وغيره علما واستدل ايضا على ان الشهيد لا يغسل ولو كان جنبا بقصة حنظلة لان تغسيل الملائكة لا يكتفى به في اسقاط الحجج على المكلفين من الانس لعدم تكليفهم بخلاف تغسيل الجن لانهم مكلفون ودفنوا بثيابهم ونزع منهم الحديد والجلود اى واسلم وحشي بعد ذلك فانه يوم فتح مكة فر الى الطائف ثم وقدم مع اهل الطائف لما وفدوا ليسلموا وقد قيل له بعد ان ضاقت عليه الارض ويحك والله انه لا يقتل احدا من الناس دخل في دينه قال وحشي فلم يرعه صلى الله عليه وسلم الا اني قائم على راسه اشهد شهادة الحق فقال لي انت وحشي وسالني كيف قتلت حمزة فاخبرته فقال لي ويحك غيب عني وجهك فلا اراك وفي رواية لا ترني وجهك وفي رواية تفل في وجهي ثلاث تفلات وقيل تفل في الارض وهو وجد مغضبا اه وحينئذ لحق بالشام وكان وحشي لا يزال يحد في الخمر في زمن عمر حتى خلع من الديوان قال عمر رضي الله تعالى عنه قد علمت ان لم يكن ليترك من الابتلاء وهذا اى تكرر حده في شرب الخمر واخراجه من ديوان المجاهدين من اقبح انواع الابتلاء عافانا الله من ذلك وروى الدارقطني في صحيحه عن سعيد بن المسيب انه كان يقول عجبت لقاتل حمزة كيف ينجو من الابتلاء حتى يلقى انه مات غريقا في الخمر اى وذلك مع ما تقدم ابتلاء فظيع رضي الله تعالى عنه وممن مثل به عبد الله بن جحش بدعوة دعاها على نفسه فقال اى قبل احد بيوم اللهم ارزقني عدوا جلدا شديدا باسه فيقتلني ثم ياخذني فيجدع انفي واذني فاذا لقيتك قلت يا عبد الله فيم جدع انفك واذنك فاقول فيك وفي رسولك فيقول الله تعالى صدقت قال وليس هذا من تمني الموت المنهي عنه انتهى اى لان المنهي عنه ان يكون ذلك لضر نزل به فليتامل وجاء ان عبد الله بن جحش انقطع سيفه يوم احد فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرجون نخلة فصار في يده سيفا وكان يسمى العرجون ودفن هو وخاله حمزة بن عبد المطلب في قبر واحد اى وانما كان حمزة خاله لان ام عبد الله اميمة بنت عبد المطلب

عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان القاتل له ابو الحكم بن الاخنس بن شريق وابو الحكم هذا قتل كافرا يوم احد وقال صلى الله عليه وسلم ادفنوا عبد الله بن عمرو اى وهو والد جابر وعمرو بن الجموح وهو زوج عمة جابر في قبر واحد لما بينهما من الصفا وعبد الله بن عمرو هذا قد اصابه جرح في وجهه ومات ويده على جرحه فاميطت يده عن جرحه فانبعث الدم فردت يده الى مكانها فسكن ويقال ان السيل حفر قبر عبد الله بن عمرو والد جابر وعمرو بن الجموح فوجدا لم يتغيرا كانهما ماتا بالامس وانه ازيلت يده عن جرحه ثم ارسلت فرجعت كما كانت وكان ذلك بعد الوقعة بست واربعين سنة وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما انه قال استصرخنا الى قتلانا باحد وذلك حين اجرى معاوية العين في وسط مقبرة شهداء احد وامر الناس بنقل موتاهم فاتيناهم فاخرجناهم رطابا تنثني اطرافهم وذلك على راس اربعين سنة واصابت المسحاة قدم حمزة فانبعث دما وذكر انه فاح من قبورهم مثل ريح المسك وفي لفظ نحو خمسين سنة مع ان ارض المدينة سبخة يتغير الميت في قبره من ليلته اى لان الارض لا تاكل لحوم شهداء المعركة كالانبياء ونحوهم قارئ القران والعالم ومحتسب الاذان ويدل للاخير ما في الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما المؤذن المحتسب كالمتشحط في دمه لا يدود في قبره اى كشهيد المعركة لا ياكله الدود في القبر وقد نظم مولانا الشيخ الثناني المالكي فقال ه

لم تاكل الارض جسما للنبي ولا ... لعالم ولا لشهيد معترك
ولا لقارئ قران ومحتسب ... اذانه لاله مجرى الفلك

ودفن خارجة بن زيد وسعد بن الربيع في قبر واحد لانه كان ابن عمه وولد خارجة ابن زيد وسعد بن الربيع في قبر واحد لانه كان ابن عمه وولد خارجة وهو زيد بن خارجة هو الذي تكلم بعد الموت وذكر ان خارجة اخذته الرماح فجرح بضعة عشر جرحا فمر به صفوان بن امية بن خلف فعرفه فاجهز عليه وقال الان شفيت نفسي حين قتلت الاماثل من اصحاب محمد قتلت خارجة بن زيد وقتلت اوس بن ارقم وقتلت ابا نوفل ودفن النعمان بن مالك وعبدة بن الحارث الحسحاس في قبر واحد وربما دفنوا ثلاثة في قبر وصار صلى الله عليه وسلم يقول احفروا واوسعوا واعمقوا وكان صلى الله عليه وسلم يقول انظروا اكثر هؤلاء جمعا اى حفظا للقران فقدموه في القبر اى اللحد واحتمل ناس من المدينة قتلاهم الى المدينة فردهم صلى الله عليه وسلم ليدفنوا حيث قتلوا وبه استدل ائمتنا على حرمة نقل الميت قبل دفنه من محل موته الى محل ابعد من مقبرة محل موته وفيه انهم قالوا الا ان يكون بقرب

مكة او المدينة او بيت المقدس نص على ذلك امامنا الشافعي رضي الله عنه وقد
يجاب بان هذا مخصوص بغير الشهيد اما هو فالافضل دفنه بمحل موته ولو بقرب مما ذكر
كما بحث ذلك بعض المتاخرين من ائمتنا ويشهد له ما هنا ولا يشكل دفن اثنين
او ثلاثة في لحد على قول فقهائنا بحرمة جمع اثنين في لحد ولو الوالد وولده لان محل
ذلك حيث لا ضرورة ككثرة الموتى ومشقة الحفر لكل واحد كما هنا ثم رايت في بعض
السير وقد ثبت في صحيح البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجمع بين
الرجلين والثلاثة في القبر الواحد وانما ارخص لهم في ذلك لما بالمسلمين من الجراح
التي يشق معها ان يحفروا لكل واحد واحد وفي رواية فحملوهم الى المدينة فدفنوهم
في نواحيها فجاء منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ردوا القتلى الى مضاجعهم
فادرك المنادي واحدا لم يكن يدفن فردا اي ومن دفن ابقوه ولما اشرف صلى الله
عليه وسلم على قتلى احد قال انا شهيد على هؤلاء وما من جرح يجرح في الله الا والله
يبعثه يوم القيمة يدمى جرحه اللون لون الدم والريح ريح مسك وفي رواية انه
ليس مكلوم يكلم في الله تعالى الا وهو ياتي يوم القيمة لونه اي لون الكلم اي الجرح
لون دم وريحه ريح مسك اي وفي رواية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصيبت اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم
في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل من ذهب
معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مشربهم وماكلهم وحسن مقيلهم قالوا يا ليت
اخواننا يعلمون ما صنع الله لنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا اي يمتنعوا عن الحرب
فقال الله عز وجل انا ابلغهم عنكم فانزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم هذه
الاية ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله الاية وقد بينت في النفحة العلوية ان
الارواح في البرزخ متفاوتة في مستقرها اعظم تفاوت فلا تعارض بين الادلة
الدالة على تلك الاقوال المختلفة وحينئذ تكون ارواح الانبياء مع كونها في الملأ
الاعلى متفاوتة وترقية وارواح المومنين غير الشهداء وغير الاطفال منها ما هو سماوي
ومنها ما هو ارضي وارواح الاطفال في حواصل عصافير الجنة عند جبال المسك
وارواح الشهداء منهم من تكون روحه على باب الجنة ومنهم من تكون داخلها
وحينئذ اما ان تكون في جوف طير اخضر او طير ابيض ومنهم من تكون روحه
على صورة الطير وفي كلام القرطبي قال علماؤنا احوال الشهداء طبقات
مختلفة ومنازل متباينة يجمعها انهم يرزقون اي وتقدم الكلام على رزقهم
ومن جملة من قتل في احد من الصحابة ابو جابر اي كما تقدم فقال صلى الله عليه وسلم لجابر

يا جابر الا اخبرك ما كلم الله تعالى احدا قط لعل المراد من هؤلاء الشهداء كما يرشد
اليه السياق الا من وراء حجاب وانه كلم اباك كفاحا فقال سلني اعطك فقال اسالك
ان ارد الى الدنيا فاقتل فيك ثانية فقال الرب عز وجل انه سبق مني انهم لا يرجعون
الى الدنيا قال اي رب فابلغ من ورائي فانزل الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
امواتا الاية اي ولا مانع من تعدد نزول الاية المذكورة فلا يخالف ما تقدم قريبا اي
وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال لما قتل ابي جعلت ابكي واكشف الثوب عن
وجهه فجعل اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينهوني والنبي صلى الله عليه وسلم لم ينهه
وقال النبي صلى الله عليه وسلم تبكيه او ما تبكيه ما زالت الملائكة تظله باجنحتها
حتى رفع اي وسياتي ان جابرا لم يحضر القتال وعن بشير بن عقربة رضي الله تعالى
عنهما قال اصيب ابي يوم احد فمر بي النبي صلى الله عليه وسلم وانا ابكي فقال اما ترضى ان
تكون عائشة امك واكون انا ابوك ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامراة من بني
دينار قد اصيب زوجها واخوها وابوها وفي رواية وابنها يوم احد فلما نعوا لها
قالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ما فعل به قالوا خيرا يا ام فلان هو بحمد الله
كما تحبين قالت ارونيه حتى انظر اليه فلما راته قالت كل مصيبة بعدك جلل
تريد صغيرة والجلل كما يقال للشيء الصغير يقال للشيء الكبير فهو من الاضداد وفي اخرى انها
مرت باخيها وابنها وزوجها وابيها صرعى وصارت كلما سالت عن واحد قالت من هذا قيل
لها اخوك وابنك وزوجك وابوك فلم تكترث بل صارت تقول ما فعل رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيقولون امامك حتى جاءته اخذت بناحية ثوبه ثم جعلت تقول بابي انت وامي
يا رسول الله لا ابالي اذ سلمت من عطب واصيبت يوم احد عين قتادة بن النعمان حتى وقعت
على وجنته اي فارادوا قطعها فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا فدعاه فردها
صلى الله عليه وسلم بيده اي اخذها بيده وردها الى موضعها اي براحته الشريفة وقال
اللهم اكسه جمالا فكانت احسن عينيه واحدهما نظرا وكانت لا ترمد اذا رمدت
الاخرى اي وجاء عن قتادة انه قال كنت يوما اتقي السهام بوجهي عن وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اخرها سهما ندرت منه حدقتي فاخذتها اي رفعتها
بيدي اي وقلت يا رسول الله ان لي امراة احبها واخشى ان تراني تقذرني اي وقال له
صلى الله عليه وسلم ان شئت صبرت ولك الجنة وان شئت رددتها ودعوت الله تعالى
لك فقال يا رسول الله ان الجنة لجزاء جزيل وعطاء جليل واني مغرم بحب النساء واخاف
ان يقلن اعور فلا يردنني ولكن تردها وتسال الله تعالى الجنة فردها ودعا لي بالجنة
وجاء عن ابي قتادة انه صلى الله عليه وسلم لما راها في كفه اي مرفوعة دمعت عيناه وقال

اللهم قِ قتادة كما وقى وجه نبيك بوجهه فاجعلها احسن عينيه واحدهما
نظرا اى تجعلها ان ردها الى موضعها براحته الشريفة كما تقدم والى ذلك اشار صاحب
الهمزية بقوله فى وصف راحته الشريفة

واعادت على قتادة عينا ... فهى حتى مماته النجلاء

اى واعادت تلك الراحة الشريفة على قتادة بن النعمان عينا له ذهبت فهى الى
مماته الواسعة اى كبيرة المنظر قال الشيخ بن حجر الهيتمى ويجمع بين رواية العين
الواحدة ورواية الثنتين اى فقد جاء فى حديث غريب اصيبت عيناى فسقطتا
على وجنتى فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعادهما وبصق فيهما فعادتا
تبرقان بان احد الرواة ظن ان الساقطة واحدة وبعضهم ان الساقطتين
فاخبر كل بحسب علمه ومن قواعدهم ان زيادة الثقة مقبولة وبها تترجح رواية
الثنتين هذا كلامه فليتامل وكون ذلك كان يوم احد هو المشهور وقيل
يوم الخندق وقد حكى ابو عمر بن عبد البر ان رجلا من ولد قتادة قدم على عمر بن عبد
العزيز فقال له ممن الرجل فقال

انا ابن الذى سالت على الخد عينه ... فردت بكف المصطفى احسن الرد
فعادت كما كانت لاول امرها ... فيا حسن ما عين ويا حسن ما رد

ورمى كلثوم بن الحصين بسهم فى نحره فجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصق
عليه فبرا وحضرت الملائكة يوم احد ولم تقاتل قال ويؤيده قول مجاهد لم تقاتل
الملائكة الا يوم بدر لكن عن سعد بن ابى وقاص رضى الله تعالى عنه قال رايت عن يمين رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم احد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلون عنه اشد
القتال وما رايناهما قبل ولا بعد اى وهما جبريل وميكائيل ولا منافاة فقد قال
البيهقى لم يقاتلوا يوم احد عن القوم اى فلا ينافى انهم قاتلوا عنه صلى الله عليه وسلم
خاصة انتهى اقول ويجوز ان يكون المراد بمقاتلتهما دفعهما عنه وقيد انه جاء عن
الحارث بن الصمة قال سالنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى الشعب عن عبد
الرحمن بن عوف فقلت رايته فى جنب الجبل فقال ان الملائكة تقاتل معه قال الحارث فرجعت
الى عبد الرحمن فاذا بين يديه سبعة صرعى فقلت ظفرت يمينك اكل هؤلاء قتلت قال
اما هذا وهذا فانا قتلتهما واما هؤلاء فقتلهم من لم ار فقلت صدق الله ورسوله
اى وما قاتلت الملائكة عن خصوص عبد الرحمن بن عوف لا ينافى مقاتلتهم يوم بدر
عن عموم القوم وفى الامتاع كان قد نزل قبل ان يخرج الى احد قوله تعالى الن يكفيكم
ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا وياتوكم

من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين فلم يصبروا وانكشفوا
فلم يمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بملك واحد يوم احد فليتامل فيه والله اعلم ولما
قتل مصعب بن عمير وسقط اللوا اخذه ملك فى صورة مصعب اى فانه لما قطعت
يده اليمنى اخذ اللوا بيده اليسرى اى وهو يقول وما محمد الا رسول قد خلت من
قبله الرسل الاية فلما قطعت جثا على اللوا وضمه بعضديه الى صدره اى وهو يقول
وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الاية ولم تكن هذه الاية نزلت بل قالها
لما سمع قول القائل قتل محمد وانما نزلت اى بعد قوله فى ذلك اليوم كما فى الدر فهو من
القران الذى نزل على لسان بعض الصحابة ثم قتل اى وهذا لا ينافى ما تقدم من انه
قاتل دونه صلى الله عليه وسلم فقتله ابن قمئة وهو يظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
او قتله ابى بن خلف لانه يجوز ان يكون قتله وهو على هذه الكيفية المذكورة
ثم رايت فى بعض الروايات ان ابن قمئة فعل به هذه الكيفية اى ثم قتله وجعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول للملك الذى على صورة مصعب تقدم يا مصعب فالتفت
اليه الملك فقال لست بمصعب فعرف صلى الله عليه وسلم انه ملك ايد به وفى رواية
ان عبد الرحمن بن عوف لما سمعه صلى الله عليه وسلم يقول اقدم مصعب قال يا رسول
الله الم يقتل مصعب قال بلى ولكن ملك قام مكانه وتسمى باسمه فلا ينافى ذلك
قول الملائكة له صلى الله عليه وسلم لما قال له تقدم يا مصعب لست بمصعب الذى
هو صاحبكم ورايت فى رواية انه لما سقط اللوا اخذه ابو الروم اخو مصعب
ولم يزل فى يده حتى دخل المدينة فليتامل وجود هذا الملك يخالف ما تقدم
عن الامتاع من انه صلى الله عليه وسلم لم يمد بملك واحد ولما اراد صلى الله عليه وسلم
ان يتوجه الى المدينة ركب فرسه وخرج المسلمون حوله عامتهم جرحى اى ومعه
اربعة عشر امراة فلما كانوا باصل احد قال اصطفوا حتى اثنى على ربى عز وجل
فاصطف الرجال خلفه وخلفهم النساء فقال اللهم لك الحمد كله لا قابض لما بسطت
ولا باسط لما قبضت ولا هادى لمن اضللت ولا مضل لمن هديت ولا معطى لما
منعت ولا مانع لما اعطيت ولا مقرب لما باعدت ولا مباعد لما قربت الحديث ثم
توجه صلى الله عليه وسلم للمدينة فلقيته حمنة بنت جحش بنت عمته اخت زينب
بنت جحش ام المؤمنين فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم احتسبى قالت من
يا رسول الله قال خالك حمزة قالت انا لله وانا اليه راجعون غفر الله له هنيئا له
الشهادة ثم قال لها احتسبى قالت من يا رسول الله قال اخاك عبد الله بن جحش قالت
انا لله وانا اليه راجعون غفر الله له هنيئا له الشهادة ثم قال لها احتسبى قالت

بى يا رسول الله قال زوجك مصعب بن عمير فقالت وا حزناه وصاحت وولولت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان زوج المراة بمكان ما هو لاحد لما راى تثبتها على اخيها وخالها وصياحها على زوجها قال لها لم قلت هذا قالت تذكرت يتم بنيه فراعنى فدعى لها ولولدها ان يحسن الله تعالى عليهم الخلف فتزوجت طلحة بن عبيد الله فكان اوصل الناس لولدها وولدت له محمد بن طلحة **ولما قال** وجاءت ام سعد بن معاذ تعدو نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ام سعد بن معاذ ونحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على فرسه وسعد بن معاذ اخذ بلجامها فقال له سعد يا رسول الله امى فقال صلى الله عليه وسلم مرحبا فوقف لها فدنت حتى تاملت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بابنها عمرو بن معاذ فقالت اما اذا رايتك سالما فقد اشتويت المصيبة اى استقللتها ودعى رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل من قتل باحد اى بعد ان قال لها يا ام سعد ابشرى وبشرى اهلهم ان قتلاهم ترافقوا في الجنة جميعا وقد شفعوا فى اهلهم قالت رضينا يا رسول الله ومن يبكى عليهم بعد هذا ثم قالت يا رسول الله ادع لمن خلفوا فقال اللهم اذهب حزن قلوبهم واجبر مصيبتهم واحسن الخلف على من خلفوا وسمع نساء الانصار يبكين على ازواجهن اى وابنائهن واخواتهن فقال لكن حمزة لا بواكى له اى وجاء صلى الله عليه وسلم ولعله لم يكن له بالمدينة لا زوجة ولا بنات فامر سعد بن معاذ نساءه ونساء قومه ان يذهبن الى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكين حمزة بين المغرب والعشاء اى وكذلك اسيد بن حضير امر نساءه ونساء قومه ان يذهبن الى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكين حمزة اى ولما جاء صلى الله عليه وسلم بينه حملا لسعدان وانزلاه عن فرسه ثم اتكى عليهما حتى دخل بيته ثم اذن بلال لصلاة المغرب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على مثل تلك الحال يتوكى على السعدين فصلى صلى الله عليه وسلم فلما رجع من المسجد من صلاته المغرب سمع البكا فقال ما هذا فقيل نساء الانصار يبكين على حمزة فقال رضى الله عنكن وعن اولادكن وامر ان ترد النساء الى منازلهن **وفى** رواية خرج عليهن اى بعد ثلث الليل لصلاة العشاء فان بلالا اذن بالعشاء حين غاب الشفق فلم يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ذهب ثلث الليل نادى بلال الصلاة يا رسول الله فقام من نومه وخرج وهن على باب المسجد يبكين حمزة ولا يخالف ما سبق لان بيت عائشة كان ملاصقا للمسجد فقال ارجعن رحمكن الله لقد واسيتن معى رحم الله الانصار فان المواساة فيهم كما علمت قديما اى ولا منافاة لانه يجوز ان يكون الامر عند رجوعه

من صلاة

من صلاة المغرب كان لطائفة وبعد ثلث الليل كان لطائفة اخرى وصارت الواحدة من نساء الانصار بعد لا تبكى على ميتها الا بدات بالبكا على حمزة ثم بكت على ميتها ولعل المراد بالبكا النوح وباتت وجوه الاوس والخزرج تلك الليلة على بابه صلى الله عليه وسلم بالمسجد يحرسونه خوفا من قريش ان تعود الى المدينة **وجاء** انه صلى الله عليه وسلم نهى نساء الانصار عن النوح وقالت له الانصار يا رسول الله بلغنا انك نهيت عن النوح وانما هو شئ نندب به موتانا ونجد به بعض الراحة فاذن لنا فيه فقال لهم صلى الله عليه وسلم ان فعلن فلا يخمشن ولا يلطمن ولا يحلقن شعرا ولا يشققن جيبا **وجاء** انه فى يوم احد دفع على رضى الله تعالى عنه سيفه لفاطمة رضى الله تعالى عنها وقال لها اغسليه غير ذميم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ان تكن احسنت فقد احسنت فلان وفلان وعد جماعة اى منهم سهل بن حنيف وابا دجانة **وما** روى عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وابا دجانة انه صلى الله عليه وسلم فى يوم احد دفع سيفه ذا الفقار لابنته فاطمة وقال اغسلى عنه دمه فوالله لقد صدقنى اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى لئن صدقت القتال لقد صدق مثل سهل بن حنيف وابو دجانة **وعن** ابن عتبة لما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم سيف على مختضبا دما قال ان تكن احسنت القتال فقد احسن عاصم بن ثابت بن ابى الافلح والحارث بن الصمة وسهل بن حنيف وكونه صلى الله عليه وسلم دفع سيفه لابنته فاطمة رده الامام ابو العباس بن تيمية بانه صلى الله عليه وسلم لم يقاتل فى ذلك اليوم بسيف لكن فى النور ان هذا الحديث لم يتعقبه الذهبى قال ففيه رد على ابن تيمية هذا كلامه فليتامل والاكثر على ان الذين قتلوا يوم احد من المسلمين سبعون اربعة من المهاجرين وهم حمزة ومصعب وعبد الله بن جحش وشماس بن عثمان وقيل ثمانون اربعة وسبعون من الانصار وستة من المهاجرين قال الحافظ ابن حجر لعل الخامس سعد مولى حاطب بن ابى بلتعة والسادس ثقف بن عمرو حليف بنى عبد شمس وعدهم فى الاصل ستة وتسعين وهذا الاناسب ما تقدم فى بدر من قوله صلى الله عليه وسلم ان شئتم اخذتم منهم الفدا ويستشهد منكم سبعون بعد ذلك وقتل من المشركين ثلاثة وعشرون وقيل اثنان وعشرون **اقول** لينظر هذا مع ما تقدم من ان حمزة وحده قتل واحدا وثلاثين **ورايت** فى الطبقات لمولانا الشيخ عبد الوهاب الشعرانى نفعنا الله تعالى به ان اويسا القرنى كان مشغولا بخدمة والدته فلذلك لم يجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم **وقد** روى انه اجتمع

به مرات وحضر معه وقعة احد وقال والله ما كسرت رباعيته حتى كسرت رباعيتي ولا شج وجهه الشريف حتى شج وجهي ولا وطئ ظهره حتى وطئ ظهري قال هكذا رأيت هذا الكلام في بعض المؤلفات والله اعلم بالحال هذا كلامه ولم اقف على انه صلى الله عليه وسلم وطئ ظهره في غزوة احد فان مجموع ما دلت عليه الاخبار انه شج وجهه وكسرت رباعيته وجرحت وجنته وشفته السفلى من باطنها ووهي منكبه وجحشت ركبته ثم رأيت بعض المؤرخين ذكر ان سيدنا عمر رضي الله عنه سمع ليلة وفاة النبي صلى الله عليه وسلم يقول وهو يبكي بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضلك عند ربك ان جعل طاعتك طاعته فقال تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك ان اخبرك بالعفو عنك قبل ان يخبرك بذنبك فقال عفا الله عنك لم اذنت لهم الى ان قال فلقد وطئ ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ومما يدل على ان اويسا لم يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم ما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم خير التابعين رجل يقال له اويس وما اخرجه البيهقي عن عمر رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيكون في التابعين رجل من قرن يقال له اويس بن عامر **وفي** رواية ان عمر قال لاويس استغفر لي فقال كيف استغفر لك وانت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان خير التابعين رجل يقال له اويس القرني والمراد من خير التابعين كما في بعض الروايات فلا ينافي ما نقل عن احمد بن حنبل وغيره ان افضل التابعين سعيد بن المسيب **ومما** يدل على ان اويسا لم يكن موجودا في زمنه صلى الله عليه وسلم ما في الجامع الصغير سيكون بعدي في امتي رجل يقال له اويس القرني وان شفاعته في امتي مثل ربيعة ومضر **وفي** اسد الغابة ان اويسا ادرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره وسكن الكوفة وهو من كبار تابعي الكوفة وكان يسخر به وفد رجل ممن كان يسخر به مع جماعة من اهل الكوفة على عمر بن الخطاب فقال عمر هل هنا احد من القرنيين فجاء ذلك الرجل فقال له عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال ان رجلا يأتيكم من اليمن يقال له اويس وقد كان به بياض فدعا الله تعالى فاذهبه عنه الا قدر الدينار او الدرهم فمن لقيه منكم فمروه فليستغفر لكم فاقبل ذلك الرجل لما قدم الكوفة منكم فمروه فليستغفر لكم فاقبل ذلك الرجل لما قدم الكوفة الى اويس قبل ان يأتي اهله فقال له اويس ما هذه بعادتك قال سمعت عمر يقول كذا وكذا فاستغفر لي قال لا افعل حتى تجعل لي عليك انك لا تسخر بي ولا تذكر قول عمر

لاحد

لاحد فالتزم له ذلك فاستغفر له **وقتل** اويس يوم صفين مع علي والله اعلم **ولما** وصل صلى الله عليه وسلم المدينة اظهر المنافقون واليهود الشماتة والسرور وصاروا يظهرون اقبح القول اي ومنه ما محمد الا طالب ملك ما اصيب بمثل هذا نبي قط اصيب في بدنه واصيب في اصحابه ويقولون لو كان من قتل منكم عندنا ما قتل ولما صلى الله عليه وسلم عمر في قتل هؤلاء المنافقين فقال اليس يظهرون شهادة ان لا اله الا الله واني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بلى لكن تعوذوا من السيف فقد بان امرهم وابدى الله تعالى اضغانهم فقال نهيت عن قتل من اظهر ذلك وصار ابن ابي يوبخ ابنه عبد الله رضي الله تعالى عنه وقد اثبتته الجراحة فقال له ابنه الذي صنع الله لرسوله والمسلمين خير **قال** وكان عادة عبد الله بن ابي بن سلول اذا جلس صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة على المنبر قام فقال ايها الناس هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهركم اكرمكم الله تعالى به واعزكم به فانصروه وعزروه واسمعوا واطيعوا ثم يجلس فبعد احد اراد ان يفعل كذلك فلما قام اخذ المسلمون بثوبه من نواحيه وقالوا له اجلس عدو الله لست لذلك باهل وقد صنعت ما صنعت فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول كانما قلت هجرا وقال له بعض الانصار ارجع يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله ما ابتغي ان يستغفر لي وانزل الله تعالى قصة احد في آل عمران في قوله واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال الآيات

غزوة حمراء الاسد لما كان صبيحة قدومه صلى الله عليه وسلم من احد اذن مؤذنه ان يخرجوا خلف قريش وان لا يخرج الا من حضر احدا وذلك ارهابا للعدو وليبلغهم انه خرج في طلبهم ليظنوا به قوة وان الذي اصابهم لم يوهنهم اي يضعفهم عن عدوهم **قال** وقيل لانه بلغه ان ابا سفيان يريد ان يرجع بقريش الى المدينة ليستاصلوا من بقي من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد بلغه ان المشركين قالوا لا محمدا قتلتم ولا الكواعب اردفتم بئس ما صنعتم ارجعوا اي **وفي** لفظ انهم لما بلغوا بعض الطريق ندموا فقالوا بئس ما صنعتم انكم قتلتموهم حتى اذا لم يبق الا الشريد تركتموهم ارجعوا فاستاصلوهم قبل ان يجدوا قوة وشوكة فقذف الله في قلوبهم الرعب ويذكر ان عبد الله بن عوف جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم صبيحة قدومه من احد واخبره انه اقبل من اهله حتى اذا كان بمحل كذا اذا قريش قد نزلوا به فسمع ابا سفيان واصحابه يقولون ما صنعتم شيئا قد بقي معهم رؤوس يجمعون لكم فارجعوا نستاصل من بقي وصفوان بن امية يأبى ذلك عليهم ويقول يا قوم لا تفعلوا فاني اخاف ان يجمع عليكم من تخلف عن الخروج فارجعوا والدولة لكم فاني لا آمن ان

رجعتم ان تكون الدولة عليكم فقال صلى الله عليه وسلم ارشدهم صفوان وما كان برشيد
فدعى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر وعمر وذكر لهما ما اخبره عبد الله بن عوف
فقالا يا رسول الله اطلب العدو ولا يقتحمون على الذرية فلما انصرف رسول الله صلى
الله عليه وسلم من صلاة الصبح ندب الناس وامر بلالا ان ينادى ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يامركم بطلب عدوكم ولا يخرج الا من شهد القتال بالامس انتهى وعند تهيئة
الخروج جاء جابر بن عبد الله فقال يا رسول الله انا تخلفنى عن احد لان ابى خلفنى على اخوات
لى سبع اى وقيل وهو الصحيح انهن تسع وقال يا بنى انه لا ينبغى لى ولا لك ان نترك
هولاء النسوة لا رجل فيهن ولست بالذى اوثرك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم لعل الله يرزقنى الشهادة فتخلف على اخوتك فاستخلفنى عليهن واستاثر
على بالشهادة فاذن لى يا رسول الله معك فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم
يخرج معه احد لم يشهد القتال بالامس غيره واستاذنه رجال لم يحضروا القتال اى
منهم عبد الله بن ابى قال له انا راكب معك فابى ذلك عليهم ودعى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بلوائه وهو معقود لم يحل فدفعه لعلى بن ابى طالب ويقال لابى بكر
الصديق رضى الله عنه واستخلف على المدينة ابن ام مكتوم وركب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فرسه المسمى بالسكب فلم يكن مع اصحابه فرس سواه وعليه الدرع
والمغفر وما يرى الا عيناه ٥ وخرج الناس معه اى جميع من كان بقى معه فى احد
وعن عايشة رضى الله عنها قالت فى قوله تعالى الذين استجابوا لله والرسول من بعد
ما اصابهم القرح الاية قالت لعروة يا ابن اختى كان ابواك الزبير وابو بكر لما اصاب
نبى الله ما اصاب يوم احد انصرف عنه المشركون خاف ان يرجعوا فقال من يرجع فى
اثرهم فانتدب منهم سبعون رجلا قال ابن كثير وهذا السياق غريب جدا فان المشهور
عند اصحاب المغازى ان الذين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حمراء الاسد
كل من شهد احدا وكانوا سبعمائة كما تقدم قتل منهم سبعون وبقى الباقى هذا كلامه
فليتامل مع ما تقدم قال والظاهر انه لا يخالف لان معنى قول ابن عايشة انهم سبقوا
غيرهم ثم تلاحق بهم الباقون وخرجوا وبهم الجراحات ولم يعرجوا على دواء جراحاتهم اى
لم يلتفتوا لذلك والمراد دوا غير تكميد جراحهم بالنار وهو ان تسخن خرقة وتوضع على
العضو الوجع ويتابع ذلك مرة بعد اخرى ليسكن الوجع فلا يخالف انهم فعلوا ذلك
اى وقدوا النيران يكمدون بها جراحهم تلك الليلة فمنهم من كان به تسع جراحات
وهو اسيد بن حضير وقطبة بن عامر ومنهم من كان به عشر جراحات وهو خراش بن
الصمة ومنهم من كان به بضع عشرة جراحة وهو كعب بن مالك اى ومنهم من كان به

يضع

بضع عشرة جراحة وهو كعب بن مالك اى ومنهم من كان به بضع وسبعون جراحة
وهو طلحة بن عبيد الله وقطعت اصبعه قيل السبابة وقيل البنصر فشلت بقية
اصابعه وهى اليسرى وفى رواية انامله كما تقدم ومنهم من كان به عشرون جراحة
وهو عبد الرحمن بن عوف كما تقدم اى وخرج من بنى سلمة اربعون جريحا فقال صلى
الله عليه وسلم لما راهم اللهم ارحم بنى سلمة وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مجروح
فى وجهه اثر الحلقتين ومشجوج فى وجهه ومكسورة رباعيته وشفته السفلى قد جرحت
من باطنها اى وفى المنتقى وشفته العليا قد كلمت من باطنها متوهن منكبه الايمن لضربة
ابن قمية وركبتاه مجروحتان من وقعته فى الحفيرة وتلقاه طلحة بن عبيد الله رضى
الله تعالى عنه فقال له يا طلحة اين سلاحك فقال قريب فذهب واتى بسلاحه
وبصدره تسع جراحات من تلك الجراحات التى به وهى كما تقدم بضع وسبعون
جراحة يقول طلحة وانا اهم بجراح رسول الله صلى الله عليه وسلم منى بجراحى ثم اقبل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا طلحة اين ترى القوم فقلت بالسيالة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الذى ظننت اما انهم يا طلحة لن ينالوا منا
مثلها حتى يفتح الله مكة علينا وقال لعمر بن الخطاب يا ابن الخطاب ان قريشا لن ينالوا
منا مثلها هذا حتى يستلم الركن انتهى وكان دليله فى السير ثابت بن الضحاك وليس
هو اخو جبير وقيل اخوه ولا زالوا سايرين حتى عسكروا بحمراء الاسد وهو محل
بينه وبين المدينة ثمانية اميال اى وقيل عشرة اميال وعن رجل من الانصار قال
شهدت احدا انا واخى فرجعنا جريحين فلما اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج
فى طلب العدو فقال لى اخى اتفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى
لفظ ان تركنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لغبن والله ما لنا من دابة
نركبها فخرجنا وكنت ايسر جراحا منه فكنت اذا غلب حملته عقبة ويمشى عقبة
حتى انتهينا الى ما انتهى اليه المسلمون من حمراء الاسد وذلك عند العشاء وهم
يوقدون النيران فجاءنا الحرس وكان على حرسه تلك الليلة عباد بن بشر مع طايفة
فلما انتهيا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما ما حبسكما فاخبراه ٥
بعلتهما فدعا لهما بخير وقال ان طالت بكما مدة كانت لكما مراكب من خيل وبغال
وابل وليس ذلك بخير وقال ان طالت بكما مدة كانت لكما مراكب من خيل وبغال وابل
وليس ذلك بخير لكم اى وهذان الرجلان عبد الله ورافع ابنا سهيل بن رافع والذى
ضعف عن المشى رافع والحامل له عبد الله واقام المسلمون بذلك المحل ثلاث ليال
وكانوا يوقدون فى كل ليلة من تلك الليالى خمسمائة نار حتى يرى من المكان

البعيد وذهب صوت معسكرهم وتبرأتهم في كل وجه فكبتنا الله تعالى عدوه قال
قال جابر بن عبد الله وكانت عامة زادنا التمر وحمل سعد بن عبادة رضي الله تعالى
عنه ثلاثين بعيرا حتى وافت حمراء الاسد وساق جزورا للتنحر فنحر ولهم في يوم اثنين
وفي يوم ثلاثا ولقى كفار قريش معبد الخزاعي وكان يومئذ مشركا بالروحا وكان رأى
خروجه صلى الله عليه وسلم خلف قريش فاخبرهم بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم
يطلبهم وقد كانوا ارادوا الرجوع الى المدينة فكسرهم خروجه فتمادوا الى مكة قال لما
كانوا بحمراء الاسد لقيه معبد الخزاعي وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة صلى الله
عليه وسلم فقال يا محمد والله لقد عز علينا ما اصابك في نفسك وما اصابك في اصحابك
ولوددنا ان الله تعالى اعلى كعبك وان المصيبة كانت لغيرك ثم مضى معبد حتى
اذا كان بالروحا فلما رأى ابو سفيان معبدا قال هذا معبد وعنده الخبر ما وراءك
يا معبد فقال تركت محمدا واصحابه قد خرجوا لطلبكم في جمع لم ار مثله قط يتحرقون
عليكم تحرقا قد اجتمع معه من تخلف عنه بالامس من الاوس والخزرج وتعاهدوا
على ان لا يرجعوا حتى يلحقوكم فيثاروا اي ياخذوا ثارهم منكم وغضبوا لقومهم غضبا
شديدا وندموا على ما فعلوا فيهم من الحنق شئ لم ار مثله قط قال ويلك ما تقول
قال والله ما اقول اذن ارحل حتى ترى نواصي الخيل فقال والله لقد اجمعنا الكرة عليهم
لنستاصل بقيتهم قال فاني انهاك عن ذلك فانصرفوا مراعا انتهى اي وعند انصرافهم
ارسل ابو سفيان مع نفر يريدون المدينة ان يخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه بانهم اجمعوا الرجعة فلما بلغوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم حسبنا الله ونعم الوكيل فانزل الله تعالى الذين استجابوا لله والرسول
من بعد ما اصابهم القرح الاية وقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لقد سومت
لهم الحجارة ولو رجعوا لكانوا كامس الذاهب اي وارسل معبد الخزاعي رجلا يخبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بانصراف ابي سفيان ومن معه خائفين فانصرف
الى المدينة وظفر صلى الله عليه وسلم في حمراء الاسد بابي عزة الشاعر الذي من عليه
وقد اسر يوم بدر من غير فداء لاجل بناته واخذ عليه عهدا ان لا يقاتله ولا يكثر عليه جمعا
ولا يظاهر عليه احدا كما تقدم فنقض العهد وخرج مع قريش لاحد وصار يستنفر
الناس ويحرضهم على قتاله صلى الله عليه وسلم باشعاره كما تقدم فدعى رسول الله صلى
الله عليه وسلم باشعاره كما تقدم فدعى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يفلت
فاسر ثم قيل ان المشركين لما نزلوا بحمراء الاسد تركوه نائما فاستمر حتى ارتفع النهار
وكان الذي اخذه عاصم بن ثابت وما اسر احد من المشركين غيره في تلك الوقعة

وقيل

وقيل اسره عمير بن عبد الله وفي النور لا استحضر احدا اسمه عمير بن عبد الله فلما
جئ به النبي صلى الله عليه وسلم قال يا محمد اقلني وامتن علي ودعني لبناتي واعطيك
عهدا ان لا اعود لمثل ما فعلت فقال لا والله لا تمسح عارضيك بمكة وفي لفظ تمسح
لحيتك تجلس بالحجر تقول خدعت محمدا وفي لفظ سخرت بمحمد مرتين اضرب عنقه
يا زيد وفي لفظ يا عاصم بن ثابت وفي لفظ يا زبير وقال لا يلدغ بالدال المهملة
والغين المعجمة وفي لفظ لا يلسع المؤمن من جحر مرتين فضرب عنقه وذكر
ان رأسه حملت الى المدينة مشهورة على رمح قال بعضهم وهي اول رأس حمل في الاسلام
اي ولا ينافي ما قيل ان اول رأس حمل في الاسلام الى المدينة رأس كعب بن الاشرف
كما سياتي في السرايا لامكان ان يراد ان رأس ابي عزة اول رأس حمل الى المدينة
على رمح ولعل هذا لا ينافي ما حكاه بعضهم ان عمرو بن الحمق كان رابع الاربعة
الذين دخلوا على سيدنا عثمان الدار وكان مع علي في مشاهده فلما ولي معاوية
هرب الى العراق فنهشته حية فدخل غارا ومات فاخبر بذلك زياد والي العراق
فارسل من حز رأسه وارسل به الى معاوية فكان اول رأس نقل في الاسلام من
بلد الى بلد قال بعضهم في معنى هذا المثل اي لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين انه ينبغي
للمراد ان يستعمل الحزم وهذا المثل لم يسمع من غيره صلى الله عليه وسلم ومورده انه
شخصا جرد سيفه وقصد النبي صلى الله عليه وسلم فضربه ليقتله فاخطات
الضربة فقال كنت مازحا يا محمد فعفى عنه ثم عاد لمثل ذلك مرة اخرى وقال مثل
ذلك فامر صلى الله عليه وسلم بقتله وقال لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين وامر في ذلك
المحل بقتل معاوية بن المغيرة بن ابي العاص وهو جد عبد الملك بن مروان
لامه وقد كان لجا الى ابن عمه عثمان بن عفان اي فانه لما رجع الكفار من احد ذهب
على وجهه ثم الى باب عثمان فدق فقالت ام كلثوم بنت النبي صلى الله عليه وسلم
زوج عثمان من انت قال ابن عم عثمان فقالت ليس هو هنا فقال ارسلي اليه فان له
عندي ثمن بعير كنت اشتريته منه فجاء عثمان فلما نظر اليه قال اهلكتني واهلكت
نفسك فقال يا ابن عم لم يكن احد امس بي رحما منك فاجرني فادخله عثمان منزله
وصيره باخته ثم خرج عثمان ليأخذ له امانا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان معاوية بالمدينة فاطلبوه فدخلوا
منزل عثمان فاشارت اليهم ام كلثوم بانه في ذلك المكان فاخرجوه واتوا به رسول
الله صلى الله عليه وسلم فامر بقتله فقال عثمان والذي بعثك بالحق ما جئت الا
لاخذ له امانا فهبه لي فوهبه له واجله ثلاثا واقسم ان وجده بعدها قتله

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حمراء الاسد فاقام معاوية ثلاثا يستعلم
اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتي بها قريشا فلما كان في اليوم الرابع عاد
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فخرج معاوية هاربا فادركه زيد بن حارثة
وعمار بن ياسر فرمياه حتى قتلاه وقد كان بعثهما اليه وقال لهما انكما ستجدانه
بموضع كذا وكذا اى بموضع بينه وبين المدينة ثمانية اميال فوجداه فقتلاه وقيل
تبعه علي رضي الله عنه فقتله وكان صلى الله عليه وسلم بعث ثلاثة نفر من اسلم
طليعة في اثار القوم فلحق اثنان منهم القوم بحمراء الاسد فقتلوهما فوجدهما
صلى الله عليه وسلم قتيلين بحمراء الاسد فدفنهما في قبر واحد ولا ينافي هذا الجواب
المتقدم في قتل احد فجاءه جبريل بعد رجوعه الى المدينة بان الحارث بن سويد
في قبا فانهض اليه واقتص منه بمن قتل من المسلمين غدرا يوم احد وهو المجذر
وتقدم انه بالذال المعجمة مشددة مفتوحة ابن ذياد وتقدم انه بكسر الذال المعجمة
وفتحها وتخفيف المثناة تحت لان سويدا كان قد قتل ذيادا ابا المجذر في الجاهلية فظفر
المجذر بسويد والد الحارث فقتله في ايام ذلك قبل الاسلام وكان ذلك سببا
لوقعة بعاث فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اسلم الحارث بن سويد واسلم
المجذر بن ذياد وشهدا بدرا فجعل الحارث يطلب مجذرا ليقتله بابيه فلم يقدر
عليه كما تقدم فلما كان يوم احد وجال المسلمون تلك الجولة اتاه الحارث من خلفه
فضرب عنقه قيل وقتل ايضا قيس بن زيد فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
قبا في وقت لم يكن ياتيهم فيه وهو شديد الحر في يوم حار فخرج اليه الانصار من اهل
قبا ومنهم الحارث بن سويد وعليه ثوب مورس **وفي** لفظ في ملحفة مورسة **وفي** لفظ
في ثوبين مصرجين وفي لفظ ممصرين فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم عويم بن
ساعدة بضرب عنقه اى فقال له قدم الحارث بن سويد الى باب المسجد فاضرب عنقه
وقيل امر عثمان بن عفان بذلك فقدم ليضرب عنقه فقال الحارث لم يا رسول الله
فقال بقتلك المجذر بن ذياد وقيس بن زيد فما راجعه الحارث بكلمة فضرب عنقه
قال وفي رواية ان الحارث قال والله قتلته اى المجذر وما كان قتلي اياه رجوعا عن
الاسلام ولا ارتيابا فيه ولكن حمية من الشيطان واني اتوب الى الله ورسوله
مما عملت واخرج ديته واصوم شهرين متتابعين واعتق رقبة فلم يقبل منه النبي
صلى الله عليه وسلم ذلك انتهى ولم يذكر قتل قيس بن زيد ولعله اكتفى بذلك في
قتل الحارث وبعلم استحقاقه القتل بقتل قيس بن زيد بطريق اولى اى وكان
في هذه السنة الثالثة مولد الحسن بن علي سماه حربا فسماه رسول الله صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم الحسن اى لانه صلى الله عليه وسلم لما جاء قال اروني ابني ما سميتموه قال
علي حربا يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم هو حسن وحنكه صلى الله عليه وسلم بتمر
وكان في هذه السنة تحريم الخمر وقيل كان تحريمها في السنة الرابعة وهو محاصر
بني النضير وقيل كان تحريمها بين الحديبية وخيبر وقيل كان بخيبر قال صلى الله
عليه وسلم الخمر من هاتين الشجرتين النخلة والعنبة **وفي** رواية الكرمة والنخلة
وفي رواية الكرم والنخل كذا في مسلم ولعل ذكر الكرم كان قبل النهي عنه والا ففي
مسلم لا يقولن احدكم للعنب الكرم فان الكرم الرجل المسلم **وفي** رواية فان الكرم
قلب المؤمن او قيل ذلك بيانا للجواز اشارة الى ان النهي للتنزيه **وقد**
حرمت الخمر ثلاث مرات اى نزل تحريمها في القران ثلاث مرات الاولى في قوله تعالى
يسئلونك عن الخمر والميسر اى القمار قل فيهما اثم كبير فانه صلى الله عليه وسلم قدم
المدينة وهم يشربون الخمر ويأكلون القمار فسألوه عن ذلك فنزلت الاية
والثانية ان بعض الصحابة صلى باصحابه صلاة المغرب وهو سكران فخلط
في القران فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى
حتى تعلموا ما تقولون ثم انزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر
والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون فكف
الناس عن شربها **وقد** جاء ان حمزة لما شربها قال للنبي صلى الله عليه وسلم ومن معه
هل انتم الا عبيد لابي اى **ففي** البخاري ان حمزة لما شرب خرج فوجد ناقتين لعلي بن
ابي طالب فعلاهما بالسيف وبقر خواصرهما ثم اخذ من اكبادهما وجب اسنمتهما
قال علي فنظرت الى منظر افظعني فاتيت نبي الله صلى الله عليه وسلم وعنده زيد بن
حارثة فاخبرته الخبر فخرج ومعه زيد فانطلقت معه فدخل على حمزة فتغيظ عليه
فرفع حمزة بصره وقال هل انتم الا عبيد لابائي فرجع النبي صلى الله عليه وسلم يقهقر
حتى خرج وذلك قبل تحريم الخمر ولكون السكر كان مباحا لم يترتب على قول حمزة مقتضاه
مع ان من قال لنبي انت عبدي او عبد ابي كفر واعترض القول بانها في السنة الرابعة
بان انس بن مالك كان ساقيا لهم فلما سمع المنادي بتحريمها اراقها **وفي** البخاري عن انس
اني لقائم اسقي ابا طلحة وفلانا وفلانا اى ابا ايوب وابا مجاشر ومعاذ بن جبل وسهيل
ابن بيضاء وابي بن كعب وابا عبيدة بن الجراح اذ جاء رجل قال وهل بلغكم الخبر قالوا
وما ذاك قال حرمت الخمر قالوا اهرق هذه القلال يا انس فاهرقتها **وفي** لفظ قال
انس فقمت الى مهراس فضربتها باسفله حتى تكسرت **وفي** مسلم عن ابي طارق انه قال
يا رسول الله انا اصنعها اى الخمر للدواء فقال انه ليس بدواء ولكنه داء وانا قد الخمر خبيثة

مع انها كانت مباحة فهي محترمة تغليظ وتاكيد للتحريم وقطع للنفوس لان اراقتها لم تكن بامر منه صلى الله عليه وسلم وسئل الحافظ السيوطي عن حكمة رجوعه صلى الله عليه وسلم القهقرى فاجاب بانه لعله كان من خوف الوثوب عليه ارشادا لمن يخاف الوثوب عليه اوكان مقصوده مداواة تحظرا وان الراوي اراد بالقهقرى مطلق الرجوع الى المنزل لا بالظهر وانس رضي الله تعالى عنه لم يكن خادما للنبي صلى الله عليه وسلم حينئذ اى في السنة الرابعة بل بعدها وحينئذ يكون المقول بان كونه فيها لئلا اشكل اقول لما حرمت الخمر قال بعض القوم قتل قوم وهي في بطونهم اى لانها عنه شربوها صبح يوم احد قتلوا من يومهم شهدا فانزل الله تعالى ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا وكون انس لم يكن خادما الا بعد السنة الرابعة يخالف ما سبق ان عند قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة جات به امه ليخدمه صلى الله عليه وسلم وفي البخاري عن انس قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ليس له خادم ثم اخذ ابو طلحة بيدي فانطلق بي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان انسا غلام كيس فليخدمك فخدمته في السفر والحضر وتقدم الجمع بين كون الاتي به امه والاتي به ابو طلحة وفي البخاري ايضا عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي طلحة التمس لي غلاما من غلمانكم يخدمني حين اخرج الى خيبر فخرج بي ابو طلحة مردفي وانا غلام راهقت الحلم فكنت اخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل وقد يقال لا منافاة لانه يجوز ان يكون صلى الله عليه وسلم لم يامر انسا بالخروج معه الى خيبر لظنه ان امه لا تسمح بذلك فلما قال لابي طلحة ما ذكر جاء اليه بانس والله اعلم

غزوة بني النضير

وهم قوم من اليهود بالمدينة وفي كلام بعضهم بنوا النضير حي من يهود خيبر اى وقريتهم كان يقال لها زهرة كانت تلك الغزاة في ربيع الاول اى من السنة الرابعة وقيل كانت قبل وقعة احد قال وبه قال البخاري قال ابن كثير والصواب ايرادها بعد احد كما ذكر ذلك ابن اسحاق وغيره من ايمة المغازي انتهى امر صلى الله عليه وسلم الناس بالتهيؤ لحرب بني النضير والسير اليهم واختلف في سبب ذلك فمن جملة ما قيل انه ذهب اليهم ليسالهم كيف الدية فيهم اى لانه كان بينهم وبين بني عامر قبيلة الرجلين اللذين قتلهما عمرو بن امية عند رجوعه من بير معونة غيلة حلف وعقد وقيل ذهب اليهم ليستعين بهم في دية الرجلين المذكورين اى وكان اخذ العهد على اليهود ان يعاونوه في الديات وقيل لاخذ دية الرجلين منهم لان بني النضير كانوا حلفاء لقوم

الرجلين

الرجلين المذكورين وهم بنو عامر كذا في الاصل فليتامل فان فيه اخذ الدية من حلفاء المقتول وسار اليهم صلى الله عليه وسلم في نفر من اصحابه اى دون العشرة فيهم ابو بكر وعمر وعلي رضي الله تعالى عنهم فقالوا له نعم يا ابا القاسم حتى تطعم وترجع بحاجتك وكان صلى الله عليه وسلم جالسا الى جنب جدار من بيوتهم فخلا بعضهم ببعض وقالوا انكم لن تجدوا الرجل على مثل هذه الحالة فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه فقال احدهم انا لذلك اى وهو عمرو ابن جحاش وقال لهم سلام بن مشكم لا تفعلوا والله ليخبرن بما هممتم به انه لنقض للعهد الذي بيننا وبينه فلما صعد ذلك الرجل ليلقي الصخرة اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما اراد القوم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم اى مظهرا انه يقضي حاجته وترك اصحابه في مجالسهم ورجع مسرعا الى المدينة ولم يعلم من كان معه من اصحابه فقاموا في طلبه لما استبطؤه فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسالوه فقال رايته داخل المدينة فاقبل اصحابه حتى انتهوا اليه فاخبرهم بما ارادت بنوا النضير وقد اشار الى ذلك الامام السبكي في تائيته بقوله

لوم

وجاك وحي بالذي اضمرت بنوا النضير وقد هموا بالقا صخرة

اى وفي رواية لما راوا قلة اصحابه قالوا نقتله وناخذ اصحابه اسارى الى مكة فنبيعهم من قريش اى ولا مانع من وجود الامرين وقيل السبب في خروجه اليهم انهم ارسلوا اليه ان اخرج الينا في ثلاثين من اصحابك وليخرج منا ثلاثون حبرا فان صدقوك وامنوا بك امنا بك فلما غدا عليهم في ثلاثين من اصحابه قال بعضهم لبعض كيف تخلصون اليه ومعه ثلاثون كل يموت قبله فارسلوا اليه لسو منهم ونحن ستون اخرج في ثلاثة من اصحابك ويلقاك ثلاثة من علمائنا فان امنوا بك اتبعناك ففعل واشتملت اليهود الثلاثة على الخناجر فارسلت امراة من بني النضير لاخ لها مسلم تعلمه بذلك فاعلم اخوها النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فرجع ولا مانع من وجود ذلك مع ما تقدم لكن في السيرة الشامية ان خبر ذلك بلغه قبل وصوله اليهم فرجع فبينما بنوا النضير على ذلك اى على ارادة القا الحجر او التهيئ لا لقائه اذ جاءهم رجل من اليهود من المدينة فقال لهم ما تريدون فذكروا له الامر فقال لهم اين محمد قالوا هذا محمد فقال لهم والله لقد تركت محمدا داخل المدينة فاسقط في ايديهم وقالوا قد اخبر بامرنا فارسل لهم محمد بن مسلمة ان اخرجوا من بلدي يعني المدينة لان قريتهم من اعمالها فلا تساكنوني بها فقد هممتم بما هممتم به من الغدر اى واخبرهم بما هموا به من ظهور عمرو بن جحاش على ظهر البيت ليطرح الصخرة فسكتوا ولم يقولوا حرفا قال ويقول لكم قد اجلتكم عشرا فمن رؤي بعد ذلك ضربت عنقه

واقتصاره صلى الله عليه وسلم على ذلك لاينا في ما تقدم من ارادة قتله ايضا قبل
وانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم
فكف ايديهم عنكم ولاينا في ذلك ما تقدم من نزولها في حق دعثور في غزوة ذي امر
لجواز تكرارا لنزول فارسلوا في احضار الابل فارسل اليهم المنافقون ان لا تخرجوا
من دياركم ونحن معكم ان قوتلتم قاتلنا معكم وان اخرجتم لن نتخلف عنكم خصوصا
عبد الله بن ابي بن سلول فانه ارسل لهم لا تخرجوا من دياركم واقيموا في حصنكم فان معي
الفين من قومي وغيرهم من العرب يدخلون حصنكم فيموتون عن آخرهم قبل ان يوصل اليكم
وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان فطمع بنوا النضير فيما قال ابن ابي فارسلوا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم انا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك فاظهر رسول الله صلى الله
عليه وسلم التكبير وكبر المسلمون لتكبيره وقال حاربت يهود قال والمتولي امر ذلك سيد
بني النضير حيي بن اخطب والد صفية ام المؤمنين رضي الله تعالى عنها وقد نهاه احد
سادات بني النضير وهو سلام بن مشكم وقال له منتك نفسك والله يا حيي الباطل
فان قول ابن ابي ليس بشيء وانما يريد ان يورطك في الهلكة حتى تحارب محمدا فيجلس في
بيته ويترك الا ترى انه ارسل الى كعب بن اسد القرظي سيد بني قريظة ان تمدكم بنوا
قريظة فقال له لا ينقض رجل واحد منا العهد فايس من بني قريظة وايضا قد وعد
حلفاءه من بني قينقاع مثل ما وعدك حتى حاربوا ونقضوا العهد فحصروا انفسهم
في صياصيهم اي حصونهم وانتظروا ابن ابي فجلس في بيته وسار اليهم محمد حتى نزلوا
على حكمه فاذا كان ابن ابي لا ينصر حلفاءه ومن كان يمنعه من الناس ونحن لم نزل نضربه
بسيوفنا مع الاوس في حروبهم اي فانه اذا كان بين الاوس والخزرج حرب خرجت
بنوا قينقاع مع الخزرج وخرجت بنوا النضير وقريظة مع الاوس فكيف يقبل
قوله فقال حيي يابى الاعداوة محمد والا قتاله فقال سلام فهو والله جلاؤنا وياس ارضنا
وذهاب اموالنا وشرفنا وسبي ذرارينا مع قتل مقاتلينا فابى حيي الا محاربة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقالت له بنوا النضير امرنا لامرك تبع لن نخالفك فارسل
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باذكر انه نهيا الناس لحربهم فلما اجتمع الناس خرج
بهم واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم وحمل رايته علي بن ابي طالب وسار بالناس حتى
نزل بهم وصلى العصر بفنائهم وقد تحصنوا وقاموا على حصنهم يرمون بالنبل
والحجارة اي وفي كلام بعضهم انه صلى الله عليه وسلم امر اصحابه بالمسير الى
بني النضير فسار بهم اليهم فوجدوهم ينوحون على كعب بن الاشرف اي الذي قتله في
السرايا قالوا يا محمد داعية اثر داعية وباكية اثر باكية قال نعم قالوا ذرنا نبكي شجونا ثم ائتمر امرك

فقال لهم اخرجوا من المدينة قالوا الموت اهون من ذلك ثم تبادروا بالحرب هذا كلامه قال
ولما جاءت العشاء رجع صلى الله عليه وسلم الى بيته في عشرة من اصحابه عليه الدرع وهو
على فرس واستعمل على العسكر علي بن ابي طالب ويقال ابا بكر وبات المسلمون يحاصر
ويكبرون حتى اصبحوا ثم اذن بلال بالفجر فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم في
اصحابه الذين كانوا معه فصلى بالناس وامر بلالا فضرب القبة وهي قبة من خشب
عليها مسوح تدخل فيها وكان رجل من يهود يقال له غزول وكان اعسر راميا يبلغ
نبله ما لا يبلغ نبل غيره فوصل نبله تلك القبة فامر بها فحولت وفي ليلة من الليالي
فقد علي رضي الله تعالى عنه قرب العشاء فقال الناس يا رسول الله ما نرى عليا فقال دعوه
اي اتركوه فانه في بعض شانكم فعن قليل جاء براس الرجل الذي يقال له غزول الذي
وصل نبله قبته صلى الله عليه وسلم كمن له علي حين خرج يطلب غرة من المسلمين ومعه
جماعة فشد عليه فقتله وفر من كان معه فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع
علي ابا دجانة وسهيل بن حنيف في عشرة فادركوا اولئك الجماعة الذين كانوا مع غزول
وفروا من علي فقتلوهم انتهى وذكر بعضهم ان اولئك الجماعة كانوا عشرة وانهم
اتوا برؤسهم فطرحت في بعض الابار وفي هذا رد على بعض الرافضة حيث ادعى ان
عليا هو القاتل لاولئك العشرة وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخل اي
وحرقها بعد ان حاصرهم ست ليال وقيل خمسة عشر يوما اي وقيل عشرين ليلة وقيل
ثلاثة وعشرين ليلة وقيل خمسة وعشرين ليلة وكان سعد بن عبادة في تلك المدة
يحمل التمر للمسلمين اي يجاء به من عنده قال واستعمل على قطع النخل ابا ليلى المازني وعبد الله
ابن سلام وكان ابو ليلى يقطع العجوة وعبد الله يقطع اللين اي وهو ما عدا العجوة والبرني
من انواع التمر بالمدينة وفي شرح مسلم للنووي انها مائة وعشرون نوعا اي وفي
تاريخ المدينة الكبير للسيد السمهودي ان انواع التمر بالمدينة التي امكن جمعها بلغت مائة
وبضعا وثلاثين ويوافقه قول بعضهم اختبرناها فوجدناها اكثر مما ذكره النووي قال
ولعل ما زاد على ما ذكره حدث بعد ذلك اي واما انواع التمر بغير المدينة كالمغرب
فلا تكاد تنحصر فقد نقل ان عالم فاس محمد بن غازي ارسل الى عالم سجلماسة ابراهيم بن
هلال يسأله عن حصر انواع التمر بتلك البلدة فارسل اليه حملا او حملين من كل نوع تمرة
واحدة وكتب اليه هذا مما تعلق به علم الفقير وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم رايت
في نشق الازهار ان بهذه البلدة رطبا يسمى البتوني وهو اخضر اللون واحلى من عسل
النحل ونواه في غاية الصغر وكانت العجوة خير اموال بني النضير اي لانهم كانوا يقتاتونها
وفي الحديث العجوة من الجنة وتمرها احسن غذاء اي وتقدم ان آدم نزل بالعجوة من

الجنة وفي البخاري من يصبح كل يوم على تسع تمرات عجوة لم يصبه في ذلك اليوم سم ولا سحر اي وفي كلام بعضهم العجوة ضرب من التمر اكبر من الصيحاني تضرب الى السواد وهو مما غرسه النبي صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة بالمدينة اي وقد علمت انها في نخل بني النضير وفي العرايس عن ابن عباس رضي الله عنهما هبط ادم من الجنة بثلاث ثمرات الاسة وهي سيدة ريحان الدنيا والسنبلة وهي سيدة طعام الدنيا والعجوة وهي سيدة ثمار الدنيا وروي عن ابن عباس وعايشة وابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان العجوة من غرس الجنة وفيها شفا وانها ترياق اول البكرة وعليكم بالتمر البرني فكلوه فانه يسبح في شجره ويستغفر لاكله هذا كلام العرايس وجا ايت لا تمر فيه جياع اهله قال ذلك مرتين فلما قطعت العجوة شق النسا الجيوب وضربن الخدود ودعون بالويل اي وذلك النخل الذي حرق كان بمحل يعرف بالبويرة والبويرة تصغير بورة وهي هنا الحفرة ويقال لها البولة باللام بدل الرا وعند ذلك نادوه ان يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه فما بال قطع النخل وتحريقها اي وفي لفظ قالوا يا محمد زعمت انك تريد الصلاح افمن الصلاح قطع النخل وهل وجدت فيما زعمت انه انزل عليك الفساد في الارض وقالوا للمومنين انكم تكرهون الفساد وانتم تفسدون وحينئذ وقع في نفوس بعض المسلمين من ذلك شي فانزل الله تعالى ما قطعتم من لينة او تركتموها قايمة على اصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين اي في قولهم ان ذلك من الفساد قال بعضهم جميع ما قطعوا وحرقوا ست نخلات ولا زال عبد الله بن ابي بن سلول يبعث لبني النضير ان اثبتوا وتمنعوا فانكم ان قوتلتم قاتلنا معكم وان اخرجتم خرجنا معكم اي ومعه على ذلك جمع من قومه فانتظروا ذلك فخذلهم فلم يحصل منه شي اي وجعل سلام بن مشكم وكنانة بن صوريا يقولان لحيي ابن بن اخطب اين الذي زعمت فيقول حيي ما اصنع هي ملحمة كتبت علينا ولزم رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥ حصارهم وقذف الله في قلوبهم الرعب فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجليهم ويكف عن دمايهم على ان لهم ما حملت الابل من اموالهم الا الحلقة اي الة الحرب ففعل فاحتملوا النسا والصبيان وحملوا من اموالهم غير الحلقة ما استقلت به الابل وكانت ستماية بعير فكان الرجل يهدم بيته عما استحسن من خشبه كبابه وكنجاف بابه اي سكفته ٥ فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به اي وفي لفظ صاروا ينقضون الجدران حتى لا يسكنها المسلمون حسدا وبغضا وفي رواية جعل المسلمون يهدمون ما يليهم من حصنهم ويهدم الاخرون ما يليهم قال وفي رواية انهم خرجوا مظهرين التجلد خرجت النسا على الهوادج وعليهن الديباج والحرير وقطف الخز الاخضر والاحمر وحلي الذهب والفضة وخلفهم القيان بالدفوف

والمزامير

والمزامير وشقوا سوق المدينة وصف لهم الناس فجعلوا يمرون قطارا في اثر قطار وان سلاما بن ابي الحقيق رافعا جلدا اي ثورا وجمارا مملوا حليا وينادي باعلا صوته هذا اعددنا لرفع الارض وخفضها وان كنا تركنا نخلا ففي خيبر النخل وحزن المنافقون لخروجهم اشد الحزن انتهى وهذا الحلي كانوا يعيرونه للعرب من اهل مكة وغيرهم وكان يكون عند ال ابي الحقيق وسياتي في غزوة خيبر انه صلى الله عليه وسلم عبر عن هذا الحلي بالانية والكنز وانه كان سببا لقتل ولدي ابي الحقيق لما كتماه عنه صلى الله عليه وسلم فمنهم من سار الى خيبر اي ومن جملة هولاء اكابرهم حيي بن اخطب وسلام بن الحقيق وكنانة بن الربيع بن ابي الحقيق فلما نزلوا خيبر دان لهم اهلها ومنهم من سار الى الشام اي الى اذرعات وكان فيهم جماعة من ابنا الانصار لان المراة من الانصار كان اذا لم يعش لها ولد تجعل على نفسها ان عاش لها ولد تهوده فلما اجليت بنو النضير قال اما اولئك لا ندع ابنانا وانزل الله تعالى لا اكراه في الدين وهي مخصوصة بهولا الذين تهودوا قبل الاسلام والا فاكراه الكفار الحربيين على الاسلام سايغ ولم يسلم من بني النضير الا رجلان اي وهما يامين بن عمير وابو سعد بن وهب قال احدهما لصاحبه والله انك لتعلم انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ننتظر ان نسلم فنامن على دماينا واموالنا فنزلا من الليل واسلما ٥ فاحرزا اموالهما اي وجعل يامين لرجل من قيس جعلا اي وهو عشرة دنانير وقيل خمسة اوسق من تمر على قتل عمرو بن جحاش الذي اراد ان يلقي الحجر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتله غيلة اي بجدان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليامين الم تر ما لقيت من ابن عمك وما هم به من شاني فسر النبي صلى الله عليه وسلم ونزل في امر بني النضير سورة الحشر ولذلك كان يسميها ابن عباس سورة بني النضير كما في البخاري وقد اشار لقصتهم صاحب الهمزية بقوله ٥

خدعوا بالمنافقين وهل ينفق الا على السفيه الشقا

ونهتهم وما انتهت عنه قوم فابيدوا لا تاروا النهاء

اسلموهم لاول الحشر لا ميعادهم صادق ولا ايلاء

سكن الرعب والخراب قلوبا وبيوتا منهم نعاها الجلاء

اي وخدعهم قول المنافقين انهم يكونون معهم وينصرونهم على النبي صلى الله عليه وسلم وما يروج الشقا الا على السفيه والمراد بالمنافقين عبد الله بن ابي بن سلول ومن كان معه على النفاق لانه كما تقدم لا زال يرسل لهم ان اثبتوا وتمنعوا فانكم ان قوتلتم قاتلنا معكم وان خرجتم خرجنا معكم ونهاهم عن موافقته سلام بن مشكم فلم ينتهوا اسلمهم اوليك المنافقون لاول الحشر وهو جلاوهم وخروجهم من ديارهم جميعا ذهم

لهم بان ينصروهم على النبى صلى الله عليه وسلم غير صادق وكذا حلفهم لهم على ذلك غير صادق
ايضا سكن الرعب وهو خشية انتقامه صلى الله عليه وسلم منهم قلوبهم وسكن لخراب
بيوتهم وقد اخبر تلك البيوت بموت اهلها وخروجهم وجلاؤهم من ارضهم فانزل الله تعالى
الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب وهم بنوا النضير
لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم اى فى خذلانكم احدا ابدا وان قوتلتم لننصرنكم
والله يشهد انهم لكاذبون لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم مثلهم
كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برئ منك انى اخاف الله رب العالمين
ووجد صلى الله عليه وسلم من الحلقة اى الة السلاح خمسين درعا وخمسين بيضة وثلثمائة
واربعين سيفا ولم يخمس ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم اى كما خمس اموال بنى قينقاع
قال وقد قال له عمر رضى الله تعالى عنه يا رسول الله الا تخمس ما اصبت اى كما فعلت فى بنى
قينقاع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اجعل شيئا جعله الله لى دون المؤمنين
بقوله تعالى ما افاء الله على رسوله من اهل القرى الاية كهيئة ما وقع فيه السهمان
اى فكان اموال بنى النضير وعقارهم فيئا لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة وتقدم
التنبيه على ذلك فى غزوة بنى قينقاع وقرى عرينة القرى بالصفراء ووادى القرى اى مثل
ذلك فى الامتاع وينبع وقريت القرى ببنى النضير وخيبر اى بثلاث حصون منها
وهى الكتيبة والوطيح وسلالم كما فى الامتاع وفدك اى نصفها كما فى الامتاع ذكره
الرافعى فى شرح مسند امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه اقول قال بعضهم وهذا
اولى فى تحصيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويرده ما تقدم فى غزوة بنى قينقاع الا ان
يقال المراد اولى فى اختصه به ولم يقسمه فقسم الغنيمة على ما تقدم ثم دعا الانصار
الاوس والخزرج فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله ثم ذكر الانصار وما صنعوا بالمهاجرين
من انزالهم فى منازلهم وايثارهم على انفسهم باموالهم ثم قال لهم ان اخوانكم المهاجرين
ليس لهم اموال فان شئتم قسمت هذه الاموال اى التى افاء الله على وخصصتهم بها مع اموالكم
بينكم جميعا وان شئتم امسكتم اموالكم وقسمت هذه فيهم خاصة فقالوا بل اقسم هذه
فيهم واقسم لهم من اموالنا ما شئت وفى رواية ان احببتم قسمت بينكم وبين المهاجرين
ما افاء الله على من بنى النضير وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى فى منازلكم واموالكم
اى الارض والنخل لانه لما قدم المهاجرون من مكة الى المدينة قدموا وليس بايديهم شئ وكان
الانصار اهل الارض والعقار اى النخل فاثروهم بمتاع بين اشجارهم فمنهم من قبلها
منيحة محضة ويكفونهم العمل ومنهم من قبلها بشرط ان يعمل فى الشجر والارض وله نصف
الثمار ولم تطب نفسه ان يقبلها منيحة محضة لشرف نفوسهم وكراهتهم ان يكونوا

كلا

كلا وان احببتم اعطيتهم وخرجوا من دوركم اى واموالكم فتكلم سعد بن عبادة وسعد بن
معاذ فقالا يا رسول الله بل تقسم بين المهاجرين ويكونون فى دورنا كما كانوا بل نحب ان
تقسم ديارنا واموالنا على المهاجرين الذين تركوا ديارهم واموالهم وعشايرهم وخرجوا حبا
لله ولرسوله وتؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها ونادت الانصار رضينا وسلمنا يا رسول الله
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار زاد فى رواية وابناء ابنا
ابناء الانصار وقال ابو بكر رضى الله تعالى عنه جزاكم الله يا معشر الانصار خيرا اى وانزل الله تعالى
فيهم ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة اى ولو كان بهم فاقة وحاجة الى ما يؤثرون
به فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بين المهاجرين اى وفى كلام بعضهم
انه عمم المهاجرين فلم يعط احدا من الانصار الا رجلين كانا محتاجين اى وهما
سهل بن حنيف وابو دجانة وبعضهم ضم اليهما ثالثا وهو الحارث بن الصمة ونظر فيه
بعضهم بانه قتل فى بير معونة واعطى سعد بن معاذ سيف ابن ابى الحقيق احد سادات
بنى النضير وكان سيفا له ذكر عندهم وكان صلى الله عليه وسلم يزرع ارضهم
التى تحت النخل فيدخر من ذلك قوت اهله سنة وما فضل يجعله فى الكراع اى الخيل
والسلاح عدة فى سبيل الله تعالى اقول فيه تصريح بانه لم يقسم الارض ويحتمل ان المراد
بقوله كان يزرع ارضهم التى تحت النخل اى بعض ارضهم ويدل له ما ياتى ولم اقف
على كيفية زرعه صلى الله عليه وسلم للارض من مزارعة او غيرها وفى الخصائص الكبرى
عن رجل من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال كان نخل بنى النضير لرسول الله صلى
الله عليه وسلم خاصة اعطاه الله تعالى اياه وخصه بها فاعطى اكثرها المهاجرين
وقسمها بينهم وقسم منها لرجلين من الانصار وهذا السياق يدل على ان مراده بنخل بنى
النضير اموالهم كما تقدم فى الروايات لا خصوص النخل ثم رايت فى عبارة بعضهم واكثر
الروايات على ان اموال بنى النضير اى من مواشيهم كالخيل ومزارعهم وعقارهم حقا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة لما خصه الله تعالى بها لم يخمسها ولم يسهم منها
لاحد واعطى منها ما اراد ووهب العقار للناس واعطى ابا بكر وعمر وعبد الرحمن بن
عوف وصهيبا وابا سلمة بن عبد الاسد ضياعا معروفة من ضياع بنى النضير ولعل
المراد بالضياع الاراضى ويدل لذلك ما فى البخارى اقطع صلى الله عليه وسلم الزبير
ارضا من اراضى بنى النضير كان ذلك هو المراد بقول الامتاع وكانت بنو النضير من
صفايا رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلها حبسا لنوائبه وكان صلى الله عليه وسلم ينفق
على اهله منها وكانت صدقاته منها وقد يقال لا منافاة لانه يجوز ان يكون اعطى بعض
اراضى وابقى بعضها يزرع له صلى الله عليه وسلم ولما اعطى المهاجرين امرهم برد ما كان للانصار

لاستغنائهم عنهم ولانهم لم يكونوا ملكوهم ذلك وانما كانوا دفعوا لهم تلك النخيل لينتفعوا بثمرها وظنت ام ايمن ان ذلك ملك لها فامتنعت من رده اى لان ام انس كانت اعطته صلى الله عليه وسلم نخلات فاعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ام ايمن ولم ينكر عليها ذلك صلى الله عليه وسلم تطيبيا لكونها حاضنته وصار يعطيها وهى تمتنع من رده الى ان اعطاها عشرة امثاله او قريبا من ذلك وذكر هذا فى بنى النضير يخالف ما فى مسلم ان ذلك كان عند فتح خيبر حيث ذكر انه صلى الله عليه وسلم لما فرغ من قتال اهل خيبر وانصرف الى المدينة رد المهاجرون الى الانصار منايحهم التى كانوا منحوهم من ثمارهم وذكر قصة ام ايمن فليتأمل والله اعلم

غزوة ذات الرقاع

اى وتسمى غزوة الاعاجيب اى لما وقع فيها من الامور العجيبة وغزوة محارب وغزوة بنى ثعلبة وغزوة بنى انمار عن ابن اسحاق ثم اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد غزوة بنى النضير شهر ربيع الاول وقال غيره شهرى ربيع وبعض جمادى ثم غزا نجدا يريد بنى محارب وبنى ثعلبة حين بلغه انهم جمعوا الجموع اى من غطفان لمحاربته فخرج فى اربعمائة من اصحابه اى وقيل سبعمائة وقيل ثمانمائة ه اى واحتج البخارى على ان هذه الغزاة ذات الرقاع وهو خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة نفر بيننا بعير فنقبت اقدامنا نقبت قدماى وسقطت اظفارى فكنا نلف على ارجلنا الخرق فسميت غزاة ذات الرقاع واذا ثبت ان ابا موسى شهد غزاة ذات الرقاع وثبت انه لم يجئ النبى صلى الله عليه وسلم من الحبشة الا بخيبر لزم ان تكون غزاة ذات الرقاع بعد خيبر الا ان يدعى تعدد غزاة ذات الرقاع مرتين وانها كانت قبل خيبر وبعدها والتى وجدت فيها صلاة الخوف هى الثانية اى والسبب فى تسميتها ذات الرقاع ما تقدم عن ابى موسى وحيث كانت بعد خيبر يلزم ان تكون بعد الخندق لقول الحافظ ابن حجر صلاة الخوف فى غزوة الخندق لم تكن شرعت اى لانها لو كانت شرعت لصلاها صلى الله عليه وسلم ولم يؤخر الصلوات كما سيأتى وسيأتى فى الجواب عن ذلك وقد ذكرها الشمس الشامى بعد خيبر والاصل لم يذكر ما تقدم عن البخارى بل رواه بالمعنى فقال روينا فى صحيح البخارى من حديث ابى موسى انهم نقبت اقدامهم فلفوا عليها الخرق فسميت غزوة ذات الرقاع قال وجعله اى البخارى حديث ابى موسى هذا حجة على ان غزوة ذات الرقاع متأخرة عن خيبر لان ابا موسى انما قدم فى خيبر لا دلالة فيه على ذلك اى لانه يجوز ان يكون قول ابى موسى انهم نقبت اقدامهم يعنى الصحابة فيكون هذا مما رواه ابو موسى عمن شاهد الوقعة من الصحابة وفيه ان هذا لا يأتى مع قول البخارى عن ابى موسى فنقبت قدماى وسقطت اظفارى اذ هو صريح فى ان

ابا

ابا موسى حضرها والاصل تبع فى تقديمها على خيبر شيخه الحافظ الدمياطى وتابعه ايضا فى رواية ما تقدم عن البخارى بالمعنى ونظر الدمياطى فى رواية ابى موسى اى التى فى البخارى التى رواها الحافظ ابن حجر وادعى الدمياطى غلط الحديث الصحيح وان جميع اهل السير على خلافه قال والاعتماد على ما فى الصحيح اى من تأخيرها على خيبر اولى لان اصحاب المغازى مختلفون فى زمانها قال والبخارى مع روايته عن ابى موسى الصريحة فى تأخر غزوة ذات الرقاع عن غزوة خيبر قدم غزوة ذات الرقاع على خيبر قال ولا ادرى هل تعمد ذلك تسليما لاصحاب المغازى انها كانت قبل خيبر او ان ذلك من الرواة عنه او اشارة الى احتمال ان تكون ذات الرقاع اسم لغزوتين مختلفتين اى واحدة قبل خيبر والثانية بعدها كما قدمناه اى وقدمنا ان سبب التسمية فى الثانية ما ذكر عن ابى موسى واما فى الاول فاحد الاسباب الاتية قال فى الامتاع وقد قال بعضهم ارخ ان غزوة ذات الرقاع اكثر من مرة فواحدة كانت قبل الخندق واخرى بعدها اى وبعد خيبر ولما غزا صلى الله عليه وسلم استخلف على المدينة اباذر الغفارى وقيل عثمان بن عفان قال ابن عبد البر وعليه الاكثر اى وقد نظر فى الاولى بان اباذر لما اسلم بمكة رجع الى بلاد قومه فلم يجئ حتى مضت بدر واحد والخندق **وقال** وهذا النظر بناء على انها كانت قبل الخندق واما على انها كانت بعد الخندق وبعد خيبر فلا يأتى هذا النظر وسار حتى بلغ نجدا اى فلم يجد بها احدا ووجد نسوة فاخذهن وفيهن جارية وضيئة ثم لقى جمعا فتقارب الجمعان ولم يكن بينهما حرب وقد خاف بعضهم بعضا اى خاف المسلمون ان تغير المشركون عليهم وهم غارون اى غافلون حتى صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة الخوف وكانت اول صلاة للخوف صلاها **قال** وفى رواية كانت صلاة الظهر فصلاها صلى الله عليه وسلم باصحابه فهم بهم المشركون فقال قائلهم دعوهم فان لهم صلاة بعد هذه احب اليهم من ابنائهم اى وهى صلاة العصر فنزل جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فصلى العصر صلاة الخوف انتهى **اقول** سيأتى هذا كله بعينه فى غزوة الحديبية التى هى صلاة الخوف بعسفان ولا مانع من تعدد ذلك ويحتمل انه من الاشتباه على بعض الرواة والله اعلم وكان العدو فى غير جهة القبلة ففرقهم فرقتين فرقة وقفت فى وجه العدو وفرقة صلى بها ركعة ثم عند قيامه للثانية فارقته واتمت بقية صلاتها ثم جاءت ووقفت فى وجه العدو وجاءت تلك الفرقة التى كانت فى وجه العدو واقتدت به فى ثانيته فصلى بها ركعة ثم قام وهو فى جلوس التشهد واتمت بقية صلاتها ولحقته فى جلوس التشهد وسلم بها وهذه الكيفية فى ذات الرقاع رواها الشيخان ونزل بها القرآن وهو قوله تعالى واذا كنت فيهم

ناقت لهم الصلاة الاية اى وفي كلام بعضهم فصلى بهم النبي صلى الله عليه وسلم
صلاة الخوف صلى بطايفة ركعتين وبالاخرى اخريين وسياتى ان هذه صلاته
صلى الله عليه وسلم ببطن نخل وفي الخصايص الصغرى وخص بصلاة الخوف فلم تشرع
لاحد من الامم قبلنا وصلاة شدة الخوف عند التحام القتال اى وفي هذه الغزاة
نزل صلى الله عليه وسلم ليلا وكانت تلك الليلة ذات ريح وكان نزوله في شعب استقبله
فقال من رجل يكلونا اى يحفظنا الليلة فقام عباد بن بشر وعمار بن ياسر رضي الله تعالى
عنهما فقالا نحن يا رسول الله نكلوك فجلسا على فم الشعب فقال عباد بن بشر لعمار بن
ياسر انا اكفيك اول الليل وتكفيني اخره فنام عمار وقام عباد يصلي وكان زوج بعض
النسوة التى اصابهن صلى الله عليه وسلم غايبا فلما جا اخبر الخبر فتتبع الجيش وحلف
لا ينتهي حتى يصيب محمدا او يهريق فى اصحاب محمد دما فلما راى سواد عباد قال هذا ربيئة القوم
فانتزع سهما فوضعه فيه فانتزعه عباد فرماه باخر فوضعه فيه فانتزعه فرماه
باخر فانتزعه فلما غلبه الدم قال لعمار اجلس فقد اثبت فجلس عمار فلما راى ذلك الرجل
عمارا جلس علم انه قد نذر به فهرب فقال لعمار اى اخى ما منعك اذ لم توقظنى له فى اول سهم
رمى به فقال كنت اقرا في سورة اى فى سورة الكهف فكرهت ان اقطعها وفي لفظ جعل
صلى الله عليه وسلم شخصين من اصحابه يقال لهما عباد بن بشر من الانصار وعمار بن ياسر
من المهاجرين في مقابلة العدو فرمى احدهما بسهم فاصابه ونزف الدم وهو يصلى فلم يقطع
صلاته بل ركع وسجد ومضى فى صلاته ثم رماه بثان وثالث وهو يصيبه ولم يقطع صلا
اى وهو عباد بن بشر كما تقدم وقد قال عباد اعتذارا عن ايقاظ صاحبه لولا انى خشيت
ان اضيع ثغرا امرني به رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انصرفت ولو اتى على نفسى
اقول وبهذه الواقعة استدل ايمتنا على ان النجاسة الحادثة من غير السبيلين
لا تنقض الوضوء لانه صلى الله عليه وسلم علم بذلك ولم ينكره واما كونه صلى الله مع الدم
فلعل ما اصاب ثوبه وبدنه منه قليل ولا ينافي ذلك ما تقدم في الرواية قبل هذه
فلما غلبه الدم اذ يجوز مع كونه كثيرا انه لم يصب ثوبه ولا بدنه الا القليل منه والله اعلم
ويقال ان رجلا من القوم اى وهو غورث بالغين المعجمة مكبرا على الاشهر وقيل
غويرث بالتصغير والمهملة ابن الحارث قال لهم الا اقتل لكم محمدا قالوا بلى وكيف تقتله
قال افتك به اى اهجم عليه على غفلة فجا اليه صلى الله عليه وسلم وسيفه فى حجره فقال
يا محمد ارنى انظر الى سيفك هذا فاخذه من حجره فاستله ثم جعل يهزه ويهم فيكبته
الله اى يخزيه ثم قال يا محمد ما تخافنى قال لا بل يمنعني الله تعالى منك ثم دفع السيف
اليه صلى الله عليه وسلم فاخذه صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك منى فقال كن خير اخذ

قال

قال تشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله قال اعاهدك انى لا اقاتلك ولا اكون مع قوم
يقاتلونك قال فخلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيله فجا الى قومه فقال جيتكم من عند
خير الناس واسلم هذا بعد وكانت له صحبة اى وفي رواية جا اليه وهو جالس وسيفه في
حجره فقال يا محمد انظر الى سيفك هذا قال نعم فاخذه فاستله ثم جعل يهزه ثم قال
يا محمد انظر الى سيفك هذا قال نعم فاخذه فاستله ثم جعل يهزه ثم قال يا محمد اما
تخافنى قال لا وما اخاف منك قال وفي يدي السيف قال لا يمنعني الله تعالى منك ثم
غمد سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فرده عليه وهذه غير واقعة دعثور المتقدمة
في غزوة ذي امر فهما واقعتان احداهما مع دعثور والثانية مع غورث فقول الاصل
والظاهر ان الخبرين واحد فيه نظر ظاهر فليتامل قال وفي رواية لما قفل رسول الله
صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة ادركته القايلة يوما بواد كثير العضاه اى الاشجار
العظيمة التى لها شوك وتفرق الناس في العضاه اى الاشجار يستظلون بالشجر ونزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت ظل شجرة اى ظليلة قال جابر تركناه النبي صلى الله
عليه وسلم فعلق سيفه فنمنا نومة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا فجينا اليه
فوجدناه عنده اعرابي جالس فقال ان هذا قد اخترط سيفي وانا نايم فاستيقظت وهو
في يده مصلتا اى مسلولا فقال لي من يمنعك مني قلت الله قال ذلك ثلاث مرات ولم
يعاقبه صلى الله عليه وسلم انتهى وهذه الرواية مع ما قبلها ربما يقتضى سياقهما
انهما واقعتان لا واقعة واحدة ويبعد ان يكون ذلك الاعرابي هو غورث صاحب الواقعة قطعة
الاولى فيكون تعدد منه هذا الفعل مرتين اى وانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا
نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم وتقدم من اسباب
نزولها ارادة القا الحجر عليه من بعض اهل بنى النضير وتقدم انه لا مانع من تعدد النزول
لتعدد الاسباب وفي الشفا قيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاف قريشا فلما
نزلت هذه الاية يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم الاية استلقى ثم قال من
شا فليخذلنى اى وفيه ان هذا لا يحسن الا عند نزول اية والله يعصمك من الناس الا
ان يقال هو صلى الله عليه وسلم فهم من ذلك ان الله مانع له ممن يريده بسو وان كان يجوز ان
يمنعه من شخص دون اخر فليتامل وانما لم يعاقب ذلك الاعرابي حرصا على استيلاف
قلوب الكفار ليدخلوا فى الاسلام وكانت مدة غيبته خمس عشرة ليلة وبعث صلى
الله عليه وسلم جعال بن سراقة الى المدينة مبشرا بسلامته وسلامة المسلمين اى وكان
رضي الله تعالى عنه من اهل الصفة وهو الذى تمثل به ابليس يوم احد حين نادى ان محمدا
قد قتل كما تقدم وايضا جمل جابر بن عبد الله فنخسه صلى الله عليه وسلم وفي لفظ انه

حجنه بمحجنه فانطلق متقدما بين يدي الركب وفي رواية ولقد رايتني اكفه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم حيا لا يسبقه اي وهو ينازعني خطامه مع اني ارجو ان يسابق
معنا ثم قال له صلى الله عليه وسلم ابيعنيه فابتاعه منه اي باوقية وقال له لك ظهره
الى المدينة اي واستغفر لجابر في تلك الليلة خمسا وعشرين وقيل سبعين مرة فلما
وصل المدينة اعطاه الثمن ووهب له الجمل اي وقيل ان هذه القصة اي ابطا جمل
جابر انما كانت في رجوعه من مكة الى المدينة وقيل كانت في رجوعه من غزوة تبوك
اي والذي في البخاري عن جابر بن عبد الله قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر
فكنت على جمل ثفال انما هو في اخر القوم فمر بي النبي صلى الله عليه وسلم فقال من هذا فقلت
جابر بن عبد الله قال ما لك قلت اني على جمل ثفال قال امعك قضيب قلت نعم قال اعطنيه
فضربه فزجره فكان من ذلك المكان من اول القوم قال بعنيه قلت بل هو لك يا رسول
الله قال بل بعنيه قد اخذته باربعة دنانير ولك ظهره الى المدينة فلما قدمت المدينة
قال يا بلال اقضه وزده فاعطاه اربعة دنانير وزاده قيراطا قال جابر واعطاني
الجمل وسهمي مع القوم وفي لفظ عن جابر قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم المسجد فدخلت
اليه فعقلت الجمل في ناحية البلاط فقلت يا رسول الله هذا جملك فخرج فجعل يطيف
بالجمل قال الثمن والجمل لك وفي رواية باعه باوقية اي ذهب وانه استثنى حملانه الى
اهله فلما قدم المدينة وانقده الثمن وانصرف ارسل على اثره وقال له ما كنت لاخذ
جملك فخذ جملك وعن جابر انه صلى الله عليه وسلم اشتراه بطريق تبوك باربع اواق
وفي لفظ بعشرين دينارا ه فليتامل الجمع بين هذه الروايات على تقدير صحتها فان
التعدد بتعددها بعيد قيل وسميت ذات الرقاع باسم شجرة كانت في ذلك المحل يقال
لها ذات الرقاع او لانهم رقعوا راياتهم او لانهم لفوا على اقدامهم الخرق لما حصل
لها الحفا كما تقدم او لان الصلاة رقعت فيها او لان الجبل الذي نزلوا به كانت ارضه
ذات الوان تشبه الرقاع فيه بقع حمر وسود وبيض واستقربه الحافظ ابن حجر
قال الامام النووي ويحتمل انها سميت بالمجموع قال وفي هذه الغزاة جائته امرأة
بدوية بابن لها فقالت يا رسول الله هذا ابني قد غلبني عليه الشيطان ففتح فاه فبزق
فيه وقال اخسا عدو الله انا رسول الله ثم قال شانك بابنك لن يعود اليه شيء مما
كان يصيبه اي فكان كذلك وفيها ايضا جاء رجل بفرخ طاير فاقبل احد ابوي الطاير
حتى طرح نفسه في يدي الذي اخذ فرخه فتعجب الناس من ذلك فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اتعجبون من هذا الطاير اخذ فرخه فطرح نفسه رحمة لفرخه والله
لربكم ارحم بكم من هذا الطاير بفرخه وفيها ايضا جيء له صلى الله عليه وسلم بثلاث بيضات

من بيض النعام فقال لجابر دونك يا جابر فاعمل هذه البيضات قال جابر فعملتهن
ثم جئت بهن في قصعة فجعلنا نطلب خبزا فلم نجد فجعل صلى الله عليه وسلم واصحابه ياكلون
من ذلك البيض بغير خبز حتى انتهى كل الى حاجته اي الى الشبع والبيض في القصعة
كما هو وفيها ايضا جاء جمل يرقل اي حتى وقف عنده وارغى فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اتدرون ما قال هذا الجمل يستعديني على سيده يزعم انه كان يحرث
عليه منذ سنين وانه اراد ان ينحره اذهب يا جابر الى صاحبه فأت به قال جابر
فقلت لا اعرفه قال انه سيدلك عليه قال جابر فخرج بين يدي حتى وقف على
صاحبه فجئت به فكلمه في شان الجمل انتهى وعن عبد الله بن جعفر ان النبي صلى
الله عليه وسلم دخل حائط رجل من الانصار فاذا جمل فلما راى النبي صلى الله عليه
وسلم حن وذرفت عيناه فاتاه النبي صلى الله عليه وسلم فمسح عليه فسكن ثم
قال من رب هذا الجمل فجاء فتى من الانصار فقال هذا لي يا رسول الله فقال الا ه
تتقي الله عز وجل في هذه البهيمة التي ملكك الله فانه شكى الي انك تجيعه
وفي رواية كنا جلوسا مع النبي صلى الله عليه وسلم اذا بعير اقبل حتى وقف
على هامة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرغى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ايها
البعير اسكن فان تك صادقا فلك صدقك وان تك كاذبا فعليك كذبك ان الله
تعالى قد امن عائذنا ولن يخيب لائذنا فقلنا يا رسول الله ما يقول هذا البعير
قال يريد اهله نحره واكل لحمه فهرب منهم واستغاث بنبيكم فبينما نحن كذلك اذا
اصحابه يتعادون فلما نظر اليهم البعير عاد الى هامة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلاذ بها
فقالوا يا رسول الله هذا بعيرنا هرب منا منذ ثلاثة ايام فلم نجده الا بين يديك
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انه يشكو فقالوا يا رسول الله ما يقول
قال يقول انه ربي فيكم سنين وكنتم تحملون عليه في الصيف الى موضع الكلا فاذا
كان الشتا حملتم عليه الى موضع الدفا فلما كبر استفحلتموه فرزقكم الله به ابلا
سايمة فلما ادركته هذه السنة الجدبة هممتم بنحره واكل لحمه فقالوا والله يا رسول
الله قد كان ذلك فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا جزاء المملوك الصالح
من مواليه فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا لا نبيعه ولا ننحره فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا لا نبيعه ولا ننحره فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم كذبتم قد استغاث بكم فلم تغيثوه وانا اولى بالرحمة منكم لان الله قد نزع
الرحمة من قلوب المنافقين واسكنها في قلوب المؤمنين فاشتراه منهم بمائة
درهم وقال ايها البعير انطلق حيث شئت فرغا على هامة رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال له امين ثم دعا الثانية فقال له امين ثم دعا الثالثة فقال له امين ثم دعا
الرابعة فبكى النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله ما يقول هذا البعير فقال
قال جزاك الله خيرا ايها النبي عن الاسلام والقران قلت امين قال سكن الله رعب
امتك كما سكنت رعبي قلت امين قال حقن الله دماء امتك كما حقنت دمي قلت
امين قال لا جعل الله باسهم بينهم شديدا فبكيت لاني سالت ربي فيها اي في هذه
الرابعة فمنعني اعطاها وقوله للجمل اذهب كيف شئت لا يناسب ما عليه ائمتنا
من عدم جواز ارسال الدواب تقربا الى الله تعالى لانه في معنى سوائب الجاهلية
الا ان يقال المراد بقوله صلى الله عليه وسلم اذهب كيف شئت اي انت امن في ساير
احوالك ما شكوت منه ورايت في كلام ابن الجوزي ما يؤيد ذلك وهو ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمه بسمة نعم الصدقة ثم بعث به وعليه لا اشكال
والى قصة الجمل اشار الامام السبكي في تائيته بقوله

ورب بعير قد شكا لك حاله ۞ فاذهبت عنه كل كل وثقلة

وفي هذه اعني السنة الرابعة تزوج صلى الله عليه وسلم ام سلمة بعد موت ابي سلمة
ابن عبد الاسد **وما** روي عن ابن عمر انه قال تزوجها سنة اثنين ليس بشيء قيل
وفيها شرع النبيم **غزوة بدر الاخرة** ويقال لها بدر الموعد اي لموعد ابي
سفيان حيث قال حين منصرفه من احد موعد ما بيننا وبينكم بدر اي موسمها فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب قل نعم ان شاء الله تعالى كما تقدم لما قدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم من غزوة ذات الرقاع اقام بقية جمادى الاولى الى اخر رجب ثم
خرج في شعبان وعليه اقتصر الاصل وقيل خرج في شوال وقيل في مستهل ذي
القعدة كل ذلك في سنة اربع ومن الوهم قول موسى بن عقبة انها كانت في شعبان
سنة ثلاث لما علمت انها بعد احد واحد كانت في شوال سنة ثلاث والحافظ الدمياطي
قدم هذه الغزاة على غزاة ذات الرقاع وتبعه الشمس الشامي صاحب الامتاع وكان
وصوله صلى الله عليه وسلم الى بدر هلال ذي القعدة وهذا لا يناسب الا القول بان
خروجه كان في شوال وكان ذلك موسما لبدر في كل سنة يحضره الناس ويقيمون به
ثمانية ايام كما تقدمت الحوالة عليه وحين خرج صلى الله عليه وسلم من المدينة استخلف
عليها عبد الله بن عبد الله بن ابي بن سلول رضي الله تعالى عنه وقيل عبد الله بن رواحة
وخرج في الف وخمسمائة من اصحابه والخيل عشرة افراس وعند تهيء المسلمين للخروج
قدم نعيم بن مسعود الاشجعي وكان ذلك قبل اسلامه رضي الله تعالى عنه واخبر
قريشا ان المسلمين تهيئوا لقتالهم بيده وكره ابو سفيان الخروج لذلك وجعل

لنعيم

لنعيم ان رجع الى المدينة وخذل المسلمين عن الخروج لهم عشرين بعيرا **وفي** لفظ
عشرة من الابل وحمله على بعير اي قال له ابو سفيان انه بدا لي ان لا اخرج واكره ان يخرج
محمد ولا اخرج انا فيزيد بهم ذلك جراة فلان يكون الخلف من قبلهم احب الي من ان يكون من
قبلي فالحق بالمدينة واعلمهم انا في جمع كثير ولا طاقة لهم بنا ولك عندي من الابل كذا اي
ادفعها لك على يد سهيل بن عمرو فجاء نعيم الى سهيل بن عمرو فقال له يا ابا يزيد تضمن لي
هذه الابل وانطلق الى محمد واثبطه قال نعم فقدم نعيم المدينة وارجف بكثرة جموع
ابي سفيان اي وصار يطوف فيهم حتى قذف الرعب في قلوب المسلمين ولم يبق لهم
نية في الخروج واستبشر المنافقون اي واليهود وقالوا محمد لا يفلت من هذا الجمع فجاء
ابو بكر وعمر الى النبي صلى الله عليه وسلم وقد سمعا ما ارجف به المسلمون وقالا له يا رسول
الله ان الله مظهر نبيه ومعز دينه وقد وعدنا القوم موعدا لا نحب ان نتخلف عنه
فيرون ان هذا جبن فسر لموعدهم فوالله ان في ذلك لخيرة فسر رسول الله صلى
الله عليه وسلم بذلك ثم قال والله ان في ذلك لخيرة فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بذلك ثم قال والذي نفسي بيده لاخرجن وان لم يخرج معي احد فاذهب الله تعالى عنهم ما كانوا
يجدون **وحمل** لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب وخرج المسلمون معهم
بتجارات الى بدر فربحت الضعف ثم ان ابا سفيان قال لقريش لقد بعثنا نعيما ليخذل
اصحاب محمد عن الخروج ولكن نخرج نحن فنسير ليلة او ليلتين ثم نرجع فان كان محمد
لم يخرج وبلغه انا خرجنا فرجعنا لانه لم يخرج كان هذا لنا عليه وان خرج اظهرنا ان هذا
عام جدب ولا يصلحنا الا عام عشب قالوا نعم ما رايت فخرج ابو سفيان في قريش وهم
الفان ومعهم خمسون فرسا حتى انتهوا الى مجنة اي بفتح الميم والجيم وتشديد النون
وهو سوق معروف من ناحية مر الظهران وقيل الى عسفان ثم قال يا معشر قريش
لا يصلحكم الا عام خصب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن وان عامكم هذا عام
جدب واني راجع فارجعوا فرجع الناس فسماهم اهل مكة جيش السويق يقولون
انما خرجتم تشربون السويق واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على بدر ينتظر
ابا سفيان لميعاده مدة الموسم التي هي ثمانية ايام اي فانه صلى الله عليه وسلم انتهى الى
بدر هلال ذي القعدة كما تقدم وقام السوق صبيحة الهلال فاقاموا ثمانية ايام والسوق
قائمة اي وصار المسلمون كلما سالوا عن قريش وقيل لهم قد جمعوا لكم يقولون حسبنا
الله ونعم الوكيل فلما قدموا بدرا وجدوا اسواقا لا ينازعهم فيها احد فانزل الله
الله تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا
حسبنا الله ونعم الوكيل فالمراد بالناس الاول نعيم نزل منزلة الجماعة **وعن** امامنا

الشافعي رضي الله تعالى عنه ان القايلين ذلك كانوا اربعة ولا مانع ان يكون هولاء الاربعة من المنافقين واتفقوا نعيما على ما قال حتى ان قايلهم قال للمسلمين انا انتم لهم اكلة راس وان ذهبتم اليهم لا يرجع منكم احد وقيل القايلون ركب من عبد القيس كانوا قاصدين المدينة للميرة فجعل لهم ابو سفيان حمل بعيرهم زبيبا ان هم خذلوا المسلمين وارجفوا بهم ولا مانع من وجود ذلك كله هذا وقد نقل ابن عطية عن الجمهور ان هذه الاية والواقعة المذكورة انما كانت بحمراء الاسد عندما نصرا فر من احد قليلا مثل ثم انصرف صلى الله عليه وسلم الى المدينة اي وبلغ قريشا خروج المسلمين لبدر وكثرتهم وانهم كانوا اصحاب الموسم اي والمخبر لهم بذلك معبد بن ابي معبد الخزاعي فانه بعد انقضاء الموسم خرج سريعا الى مكة واخبرهم بذلك فقال صفوان بن امية لابي سفيان قد والله نهيتك يومئذ ان تعد القوم وقد اجترؤا علينا ورأوا انا اخلفناهم وانما خلفنا ٥ خلفنا الضعف **غزوة دومة الجندل** بضم الدال ويجوز فتحها واقتصر الحافظ الدمياطي على الاول اي واما دومة بالفتح لا غير فموضع اخر ومن ثم قال الجوهري الصواب الضم ولخطا المحدثون في الفتح سميت بدومى بن اسماعيل عليه السلام لانه كان نزلها وهي بلدة بينها وبين دمشق خمس ليال وهي اقرب بلاد الشام الى المدينة بينها وبين المدينة خمس ليال وهي اقرب بلاد الشام اوست عشرة ليلة اي وهي بقرب تبوك بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بها جمعا كثيرا يظلمون من مر بهم وانهم يريدون ان يدنوا من المدينة فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك فخرج في الف من المسلمين اي وذلك في اواخر السنة الرابعة وذكر بعضهم انها كانت في ربيع الاول من السنة الخامسة ويوافقه قول الحافظ الدمياطي انها كانت على راس تسعة واربعين شهرا من مهاجره صلى الله عليه وسلم اي واستخلف على المدينة سباع ابن عرفطة الغفاري ٥ فكان يسير الليل ويكمن النهار ومعه دليل له من بني عذرة اي يقال له مذكور رضي الله تعالى عنه ٥ فلما دنى منهم جاءهم الخبر فتفرقوا فهجم على ماشيتهم ورعائهم فاصاب من اصاب وهرب من هرب ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بساحتهم فلم يلق بها احدا وبعث السرايا فرجعت فلم تجد منهم احدا اي ورجعت كل سرية بابل واخذ محمد بن مسلمة منهم رجلا وجاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم فساله رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فقال هربوا حيث سمعوا انك اخذت نعمهم فعرض عليه الاسلام فاسلم ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وفي رجوعه وادع اي صالح عيينة ابن حصن واسمه حذيفة الفزاري ان يرعى بمحل بينه وبين المدينة ستة وثلاثون ميلا اي لان ارضه كانت قد اجدبت ولما سمن حافره وخفه وانتقل الى ارضه غزى

على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة كما سياتي وقيل له بئس ما جزيت به محمدا احلك ارضه حتى سمن حافرك وخفك وتفعل معه ذلك فقال هو كافري وقيل له عيينة لانه اصابته لقوة فجحظت عيناه فسمي عيينة وعيينة هذا اسلم بعد الفتح وشهد حنينا والطايف وكان من المولفة كما سياتي وكان يقال له الاحمق المطاع كان يتبعه عشرة الاف قناة دخل على النبي صلى الله عليه وسلم بغير اذن واساء الادب فصبر النبي صلى الله عليه وسلم على جفوته وقال فيه صلى الله عليه وسلم ان شر الدواب عند الله الصم البكم الناس من تركه الناس اتقاء فحشه وقيل ان ذلك انما قيل في مخرمة بن نوفل اي ولا مانع من تعدد ذلك وقد ارتد عيينة بعد ذلك في زمن الصديق فانه لحق بطليحة بن خويلد حين تنبأ وامن به فلما هرب طليحة اسر خالد بن الوليد وارسل به الى الصديق في وثاق فلما دخل المدينة صار اولاد المدينة ينخسونه بالجريد ويضربونه ويقولون اي عدو الله كفرت بالله بعد ايمانك فيقول والله ما كنت امنت فعفى عنه الصديق فاسلم ولم يزل مظهرا للاسلام **وفي** سنة اربع انزلت اية الحجاب لازواجه صلى الله عليه وسلم وكان فيها قصر الصلاة وولادة الحسين ورجم اليهوديين الزانيين وفرض الحج وقيل فرض في الخامسة وقيل في السادسة وقيل في السابعة وقيل في الثامنة وقيل في التاسعة وقيل في العاشرة فقيل وفيها اي الرابعة شرع التيمم اي كما تقدم وقيل شرع في الغزوة التي تلي هذه وهي غزاة بني المصطلق وقيل كان في غزوة اخرى اي **وفي** غيبته صلى الله عليه وسلم في هذه الغزاة ماتت ام سعد بن عبادة وابنها معه صلى الله عليه وسلم ولما قدم المدينة صلى على قبرها وذلك بعد شهر وقال له سعد يا رسول الله اتصدق عنها قال نعم قال اي الصدقة افضل قال الماء فحفر بيرا وقال هذا لام سعد **غزوة بني المصطلق** ويقال لها غزوة المريسيع ويقال لها غزوة محارب وقيل محارب غيرها ويقال لها غزوة الاعاجيب لما وقع فيها من الامور العجيبة اي كما قيل بذلك كذلك في غزوة ذات الرقاع كما تقدم وبنو المصطلق بطن من خزاعة والمريسيع اسم لماء من مياههم من ناحية قديد وسببها انه صلى الله عليه وسلم بلغه ان الحارث بن ضرار سيد بني المصطلق اي رضي الله عنه فانه اسلم كما سياتي جمع لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قدر عليه من قومه ومن العرب فارسل صلى الله عليه وسلم بريدة بالتصغير ابن الحصيب بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين وفي اخره موحدة كما تقدم ليعلم علم ذلك **قال** واستاذن بريدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول ما يتخلص به من شرهم اي وان كان خلاف الواقع فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج حتى ورد عليهم وراى جمعهم فقالوا

لمن الرجل قال رجل منكم قدمت لما بلغني من جمعكم لهذا الرجل فاسير في قومي ومن
اطاعني فتكون يدا واحدة حتى نستأصله فقال له الحارث فنحن على ذلك فعجل علينا
قال بريدة اركب الآن فآتيكم بجمع كثير من قومي فسروا بذلك منه ورجع الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخبره خبر القوم انتهى فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر
خبر القوم انتهى فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس اليهم فاسرعوا الخروج
وكان في شعبان لليلتين خلتا منه سنة خمس من الهجرة وقيل اربع اي كما في البخاري
نقلا عن ابن عقبة وعليه جرى الامام النووي في الروضة قال الحافظ ابن حجر وكان
سبق قلم اراد ان يكتب سنة خمس فكتب اربع لان الذي في مغازي ابن عقبة من عدة
طرق سنة خمس وقيل سنة ست وان عليه اكثر المحدثين وقادوا الخيل وهي ثلاثون
فرسا عشرة للمهاجرين اي منها فرسان له صلى الله عليه وسلم اللزاز والظرب ه وعشرون
للانصار واستخلف على المدينة زيد بن حارثة وقيل ابا ذر الغفاري وقيل نميلة
بتصغير نملة بن عبد الله الليثي وخرج معه من نسائه عائشة وام سلمة اي وخرج
معه صلى الله عليه وسلم ناس كثير من المنافقين لم يخرجوا في غزاة قط مثلها منهم عبد
الله بن ابي بن سلول وزيد بن اللصيت ليس لهم رغبة في الجهاد وانما غرضهم ان يصيبوا
من عرض الدنيا مع قرب المسافة وسار صلى الله عليه وسلم حتى بلغ محلا نزل به فاتي
برجل من عبد القيس فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له اين اهلك قال
بالروحاء فقال له اين تريد قال اياك جئت لاومن بك واشهد ان ما جئت به حق واقاتل
معك عدوك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداك للاسلام وسال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الاعمال احب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة
لاول وقتها فكان بعد ذلك يصلي الصلاة لاول وقتها واصابوا صلى الله عليه وسلم
عينا للمشركين كان وجهه الحارث لياتيه بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فساله صلى
الله عليه وسلم عنهم فلم يذكر من شانهم شيئا فعرض عليه الاسلام فابى فامر صلى الله
عليه وسلم عمر بن الخطاب ان يضرب عنقه فضرب عنقه فلما بلغ الحارث مسير
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه قتل عينه سيء بذلك ومن معه وخافوا خوفا شديدا
وتفرق عنه جمع كثير ممن كان معه وانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المريسيع
فضربت له صلى الله عليه وسلم قبة من ادم وكان معه من نسائه عائشة وام سلمة رضي الله
تعالى عنهما ه فتهيا المسلمون للقتال ودفع راية المهاجرين الى ابي بكر اي وقيل
لعمار بن ياسر وراية الانصار الى سعد بن عبادة اي وامر رسول الله صلى الله عليه
وسلم عمر بن الخطاب ان يقول لهم قولوا لا اله الا الله تمنعوا بها انفسكم واموالكم ففعل

عمر

عمر ذلك فابوا ه فتراموا بالنبل ساعة ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه
فحملوا حملة رجل واحد فما افلت منهم انسان وقتل منهم عشرة واسر سائرهم الرجال والنساء
والذرية واستاق ابلهم وشياههم فكانت الابل الفي بعير والشاء خمسة الاف شاة
واستعمل على ذلك مولاه شقران اي بضم الشين المعجمة واسمه صالح وكان حبشيا وكان
السبي مائتي اهل بيت وفي كلام بعضهم كانوا اكثر من سبعمائة وكانت برة
بنت الحارث الذي هو سيد بني المصطلق في السبي وقيل اغار عليهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهم غافلون فقتل مقاتلهم وسبى سبيهم اي وهذا القيل هو الذي
في صحيح البخاري اه ومسلم والاول هو الذي في السيرة الهشامية وجمع بانه يجوز
ان يكون لما اغار عليهم ثبتوا وصفوا للقتال ثم انهزموا ووقعت الغلبة عليهم اي
وقتل منهم من قاتل فلم يؤسر وكان شعار المسلمين اي علامتهم التي يعرفون
بها في ظلمة الليل او عند الاختلاط يا منصور امت تفاؤلا بان يحصل لهم النصر بعد
موت عدوهم وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاسارى فكتفوا واستعمل عليهم بريدة
ثم فرق السبي فصار في ايدي الناس اي وفي رواية هذا دليل لقول امامنا الشافعي
رضي الله تعالى عنه في الجديد بجواز استرقاق العرب لان بني المصطلق عرب من خزاعة
خلافا للقول في القديم انهم لا يسترقون لشرفهم وقد قال في الام لولا انا نأثم بالتمني
لتمنينا ان يكون هكذا اي لا يجري الرق على عربي وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابا نضيلة الطائي الى المدينة بشيرا من المريسيع اه وجمع المتاع الذي وجد في رحالهم
والسلاح والنعم والشاء وعدلت الجزور بعشرة من الغنم ووقعت برة بنت الحارث
في سهم ثابت بن قيس وابن عم له فخلصها ثابت لابن عمه بنخلات له بالمدينة في حصته
من برة وكاتبها على تسع اواق من ذهب فدخلت عليه صلى الله عليه وسلم فقالت له
يا رسول الله اني امراة مسلمة اي اسلمت لاني اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول
الله وانا برة بنت الحارث سيد قومه اصابنا من الامر ما علمت ووقعت في سهم ثابت بن
قيس وابن عم له فخلصني ثابت من ابن عمه بنخلات في المدينة وكاتبني على ما لا طاقة
لي به واني رجوتك فاعني في مكاتبتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او خير من ذلك
فقالت ما هو قال اودي عنك كتابتك واتزوجك قالت نعم يا رسول الله قد فعلت فارسل
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ثابت بن قيس فطلبها منه فقال ثابت هي لك يا رسول الله
بابي انت وامي فادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان كاتبها عليه واعتقها وتزوجها
اي وهي ابنة عشرين سنة وسماها جويرية اي ويذكر ان عليا رضي الله تعالى
عنه هو الذي اسرها اقول ولا مانع ان يكون علي اسرها ثم وقعت في سهم ثابت وابن

عمة عند القسمة لانه لم يثبت في هذه الغزاة انه صلى الله عليه وسلم جعل الاسرى لمن اسرهم كما وقع في بدر الا ما ياتي من قول ابي سعيد الخدري ورغبنا في الفدا وقد يقال نقتصر في ذلك تبعا لقسمة والله اعلم **قال** وعن عايشة رضي الله تعالى عنها قالت كانت جويرية امراة حلوة لا يكاد يراها احد الا اخذت بنفسه فبينا النبي صلى الله عليه وسلم عندي ونحن على الماء اي الذي هو المريسيع اذ دخلت جويرية تسالة في كتابتها فوالله ما هو الا ان رايتها فكرهت دخولها على النبي صلى الله عليه وسلم وعرفت انه سيرى منها مثل الذي رايت فقالت يا رسول الله اني امراة مسلمة الحديث انتهى اي **وفي لفظ** اخر عن عايشة رضي الله تعالى عنها فما هو الا ان وقعت جويرية بباب الخبا لتستعين رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتابتها فنظرت اليها فرايت على وجهها ملاحة وحسنا فايقنت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا راها اعجبته فما هو الا ان كلمته صلى الله عليه وسلم فقال لها خير من ذلك انا اودي كتابتك وانزوجك فقضى عنها كتابتها وتزوجها وهذا السياق يدل على انه تزوجها وهم على الماء الذي هو المريسيع ويؤيده ما ياتي عنه رضي الله عنه قال الشمس الشامي ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجويرية حتى عرف من حسنها ما دعاه لتزوجها لانها كانت امة مملوكة اي لانها مكاتبة نكاحها او ان ذلك قبل اية الحجاب **اقول** قد قدمنا ان من خصايصه صلى الله عليه وسلم جواز نظر الاجنبية والخلوة بها لامنه الفتنة فلا يحسن قوله ولو كانت حرة ما ملا صلى الله عليه وسلم عينه منها ومن خصايصه حرمة نكاح الامة فلا يحسن قوله او انه نوى نكاحها وان نزول اية الحجاب كان في سنة ثلاث على الراجح ومذهب الشمس الشامي حرمة نظر سائر بدن الامة الاجنبية كالحرة على الراجح عند الشافعي ومنهم الشمس الشامي فلا يحسن قوله لانها كانت امة مملوكة والله اعلم **وروى** الشيخان عن ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة بني المصطلق فسبينا كرايم العرب اي واقتسمناها وملكناها فطالت علينا العزبة ورغبنا في الفدا فاردنا ان نستمتع ونعزل فقلنا نفعل **وفي** لفظ فاصبنا سبايا وبنا شهوة النسا واشتدت علينا العزوبة واحببنا الفدا واردنا ان نستمتع ونعزل وقلنا نعزل ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا فسالناه عن ذلك فقال صلى الله عليه وسلم عليكم ان لا تفعلوا ما كتب الله خلق نسمة اي نفسا قدرها هي كاينة الى يوم القيمة الا ستكون **وفي لفظ** ما عليكم ان لا تفعلوا فانه ليست نسمة كتب الله ان تخرج الا وهي خارجة **وفي** رواية ما عليكم ان لا تفعلوا ذلك فانما هو القدر **وفي** رواية ما من كل الماء يكون الولد واذا اراد الله خلق شيء لم يمنعه اي ما عليكم حرج في عدم

فعل

فعل العزل وهو الانزال في الفرج لان العزل الانزال خارج الفرج فيجامع حتى اذا قارب الانزال نزع فانزل خارج الفرج ما من نسمة كاينة الى يوم القيمة الا وهي كاينة اي عزلتم ام لا فلا فايدة في عزلكم لانه لما قد يسبق العزل الى الرحم فيجيء الولد وقد ينزل في الفرج ولا يجيء الولد وكون ذلك كان في بني المصطلق هو الصحيح خلافا لما نقل عن موسى بن عقبة ان ذلك كان في غزوة اوطاس وقول ابي سعيد قد طالت علينا العزبة واشتهينا النساء ولعل ابا سعيد الخدري ومن تكلم على لسانه كان في المدة اعزب والا فايام تلك الغزاة لم تطل فانها كانت ثمانية وعشرون يوما قال ابو سعيد فقدم علينا وفدهم اي بالمدينة **ففي** الامتاع وكانوا قدموا المدينة ببعض السبي فقدم عليهم اهلوهم فافتدوا الذرية والنساء ولحد بست قرايض ورجعوا الى بلادهم قال ابو سعيد وخرجت بجارية ابيعها في السوق اي قبل ان يقدم وفدهم في فدايهم فقال لي يهودي يا ابا سعيد تريد بيعها وفي بطنها منك سخلة هي في الاصل ولد الغنم فقلت كلا اني كنت اعزل عنها فقال تلك الموءودة الصغرى اي المرة من الواد وهو ان يدفن الرجل بنته حية فالموءودة البنت تدفن في القبر وهي حية كانت الجاهلية خصوصا كندة كانت تفعل ذلك فجيئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال كذبت يهود كذبت يهود زاد في رواية لو اراد الله ان يخلقه ما استطعت ان تصرفه وبهذا مع ما تقدم من نفي الجراح استدل ايمتنا على جواز العزل مع الكراهة في كل امراة سرية او حرة في كل حال سواء رضيت او لا وقال بحرمته قالوا لانه طريق الى قطع النسل **وفي** مسلم ما يوافق ما قاله يهود **ففي** مسلم سالوه صلى الله عليه وسلم عن العزل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الواد الخفي اي بمثابة دفن البنت حية الذي كان يفعله الجاهلية خوف الاملاق او خوف حصول العار الا ان يقال هذا كان منه صلى الله عليه وسلم قبل ان يوحى اليه بحل ذلك ثم نسخ فلا مخالفة ويدل لذلك ما في مسلم عن جابر كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والقران ينزل فلم ينهنا **وفي** رواية ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لي جارية هي خادمنا وسانيتنا في النخل وانا اكره ان تحمل فقال اعزل عنها ان شيت فانه سياتيها ما قدر لها فلبث الرجل ثم اتاه فقال ان الجارية قد حبلت فقال قد اخبرتكم انه سياتيها ما قدر لها فقد ارشده الى العزل الذي لا يكون معه الولد غالبا واخبره بان ذلك لا يمنع وجود ما قدر لها من حصول الولد **وعن** عبد الله بن زياد قال لما اي غنم رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بني المصطلق جويرية بنت الحارث وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم

فاقبل ابوها في فداها فلما كان بالعقيق نظر الى ابله التي يفدي بها ابنته فرغب في بعيرين
منها كانا من افضلها فغيبهما في شعب من شعاب العقيق ثم اقبل الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال يا محمد اصبتم ابنتي وفي رواية قال يا رسول الله كريمة لا تسبى
وهذا فداؤها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين البعيران اللذان غيبتهما
بالعقيق في شعب كذا وكذا فقال الحارث اشهد انك رسول الله ما اطلع على ذلك
الا الله واسلم ولعله دخل بالامان الى المدينة وفي رواية انه اسلم قبل ذلك واسلم
معه ابنان وناس من قومه وعليه فيكون قوله فاسلم اي اظهر اسلامه وعند ذلك
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يخيرها فقال احسنت واجملت فقال لها ابوها
يا بنية لا تفضحي قومك قالت اخترت الله ورسوله وقضية كيفية امره بتخييرها بعد ان
تزوجها كما تقدم ان مقتضى السياق انه تزوجها وهم على المائم رأيت الامام ابن العباس
ابن تيمية انكر مجيء ابيها وتخييرها فليتامل وفي الاستيعاب ان عبد الله بن الحارث اخو جويرية
بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه وسلم قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في فداء اسارى بني
المصطلق وغيب في الطريق ذودا وجارية سوداء فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في
فداء الاسارى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فما جئت به قال ما جئت بشيء قال
فاين الذود والجارية السوداء الذي غيبت بموضع كذا قال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول
الله والله ما كان معي احد ولا سبقني اليك احد فاسلم قيس ما تقدم في ابيه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لك الهجرة حتى تبلغ برك الغماد هذا كلامه والذود من الابل
ما بين الثلاث الى العشر اي والمتبادر من هذا السياق انه جاء بتلك الذود وتلك
الجارية للفدا فعن له ان يبالي في الفدا بغير شيء فغيب ذلك الذود وتلك الجارية
طمعا في انه صلى الله عليه وسلم يجيبه لذلك لمكان اخته عنده ويحتمل ان العبارة
فيها اختصار وحينئذ يكون الاصل في قوله صلى الله عليه وسلم فما جئت به اي زائدا على
هذا الذي جئت به فيكون الذود والجارية بعض ما جاء به للفدا فقال ما جئت بشيء غير ما
وفي لفظ انه لما جاء ابوها في فداها دفعت اليه ابنته جويرية واسلمت وحسن اسلامها
فخطبها النبي صلى الله عليه وسلم الى ابيها فزوجه اياها واصدقها اربعمائة درهم وفي
الامتاع يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم جعل صداقها عتق كل اسير من بني المصطلق
ويقال جعل صداقها عتق اربعين من قومها ولا يخفى ان مجيء ابيها في فدائها وتزويجه لها
للنبي صلى الله عليه وسلم مخالف لسياق ما تقدم انه تزوجها وهم على انه لا يحتاج للجمع
بين ما ذكر وبين ما روى انه لما رأى المسلمون انه صلى الله عليه وسلم تزوج جويرية
قالوا في حق بني المصطلق اصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتقوا ما بايديهم

منهم وعبارة الامتاع ولما تزوجها صلى الله عليه وسلم خرج الخبر الى الناس وقد
اقتسموا رجال بني المصطلق وملكوهم ووطئوا نساءهم فقالوا اصهار النبي صلى الله
عليه وسلم فاعتقوا ما بايديهم من ذلك السبي وعن جويرية رضي الله تعالى عنها قالت
لما اعتقني رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوجني والله ما كلمته في قومي حتى كان المسلمون
هم الذين ارسلوهم وما شعرت الا بجارية من بنات عمي تخبرني الخبر فحمدت الله تعالى
اقول وذكر بعضهم ان ليلة دخوله صلى الله عليه وسلم بها طلبتهم منه فوهبهم لها
ويحتاج للجمع ويتأتى في الجمع بين ما تقدم من فدائهم واطلاقهم من غير فداء بانه يجوز ان
يكون الفدا وقع لبعضهم قبل عتق جويرية والتزوج بها فلما تزوجها صلى الله عليه وسلم
اطلق بعضهم الاخر الباقي فالفدا وقع لبعضهم والاعتاق وقع لبعضهم الاخر فان السبي
كان لاهل مائتي بيت ويؤيد ذلك قول بعضهم كان السبي منهم من من عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم بغير فدا ومنهم من افتدى ويؤيد ذلك ما ياتي في كلام عائشة رضي الله
تعالى عنها ان الاعتاق كان لاهل مائة بيت اي فيكون الفدا لاهل مائة بيت والاطلاق
في الفدا لاهل المائة الاخرى ويكون مراد جويرية بقولها ما كلمته في قومي اي فيمن بقي منهم
ثم لا يخفى ان مجيء ابيها او اخيها ومجيء وفدهم لفدائهم مخالف لما تقدم من انه اسر سائرهم
الرجال والنساء والذرية ولم يفلت منهم احد ويبعد غيبة هؤلاء لا خصوصا
اباها الذي كان يجمع القوم فعليك ان تنتبه للجمع بين هذه الروايات على تقدير
صحتها والله اعلم ثم بعد ذلك اسلم بنو المصطلق وبعد بعامين بعث اليهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة بن ابي معيط لاخذ الصدقة اي وكان بينه
وبينهم شحناء في الجاهلية فخرجوا للقائه وهم متقلدون السيوف فرحا وسرورا
بقدومه فظن انهم خرجوا لقتاله فرجع واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بانهم ارتدوا فهم عليه الصلاة والسلام بقتالهم اي واكثر المسلمون ذكر غزوهم
فعند ذلك قدم وفدهم واخبروا بانهم انما خرجوا اليه ليكرموه ويؤدوا ما عليهم
من الصدقة اي وفي رواية انه ارسل اليهم خالد بن الوليد فاخبره الخبر وعند
ارساله قال له صلى الله عليه وسلم ادهمهم عند الصلوات فان كان القوم تركوا الصلوات
فشانك بهم فدنا منهم عند غروب الشمس فكمن حيث يسمع الصلاة فاذا هو
بالمؤذن قد قام حين غربت الشمس فاذن ثم اقام الصلاة فصلوا فلما انصرفوا
واصبحوا اذا هم بنواصي الخيل في ديارهم فقالوا ما هذا قيل هذا خالد بن الوليد
فقالوا يا خالد ما شانك قال انتم والله شاني اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقيل له
انكم تركتم الصلاة وكفرتم بالله فجثوا يبكون وقالوا معاذ الله وهذا الوليد بينا

زينة شحنا في الجاهلية وانا خرجنا بالسيوف خشية ان يكافينا بالذي كان بيننا فرد الخيل عنهم ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة الآية قال ابن عبد البر لا خلاف بين اهل العلم بتاويل القرآن فيما علمت ان قوله تعالى ان جاءكم فاسق بنبأ نزلت في الوليد بن عقبة بن ابي معيط حين بعثه صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق لاخذ صدقاتهم اي ونزل فيه وفي علي بن ابي طالب افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون اي فكان يدعى الفاسق وبعثه لاخذ صدقات بني المصطلق يرد قول من قال انه ممن اسلم يوم الفتح وكان قد ناهز الحلم اي ويرد ما روي عن بعضهم عنه انه قال لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة جعل اهل مكة يأتونه بصبيانهم فيمسح على رؤسهم ويدعو لهم بالبركة فاتي بي اليه وانا مضمخ بالخلوق فلم يمسح على رأسي ولم يمنعه من ذلك الا وجود الخلوق ويرد ذلك ايضا ما سيأتي انه خرج هو واخوه عمارة ليردا اختهما ام كلثوم عن الهجرة وكانت هجرتها في الهدنة هدنة الحديبية والوليد هذا كان اخا عثمان بن عفان لامه ولاه الكوفة اي فعزل عنها سعد بن ابي وقاص فلما قدم الوليد الكوفة على سعد قال له سعد والله ما ادري اصرت كيسا بعدنا ام حمقنا بعدك فقال له لا تجزعن ابا اسحق وانما هو الملك يتغداه قوم ويتعشاه آخرون فقال سعد اراكم يعني بني امية ستجعلونها يعني الخلافة ملكا وعند ذلك قال الناس بئس ما فعل عثمان عزل سعدا الهين اللين الورع المستجاب الدعوة وولى اخاه الخائن الفاسق كما تقدم ولقي الوليد ابن مسعود فقال له ما جاء بك فقال جئت اميرا فقال له ابن مسعود ما ادري اصلحت بعدنا ام فسد الناس وكان الوليد شاعرا ظريفا حليما شجاعا كريما شرب الخمر ليلة من اول الليل الى الفجر فلما اذن المؤذن لصلاة الفجر خرج الى المسجد وصلى باهل الكوفة الصبح اربع ركعات وصار يقول في ركوعه وسجوده اشرب واسقني ثم قاء في المحراب ثم سلم وقال هل ازيدكم فقال له ابن مسعود لا زادك الله خيرا ولا من بعثك الينا واخذ فردة خفه وضرب به وجه الوليد وحصبه الناس فدخل القصر والحصباء تاخذه وهو مترنح والى ذلك يشير الحطيئة بقوله

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه	ان الوليد احق بالعذر
نادى وقد تمت صلاتهم	ازيدكم سكرا وما يدري

ولما شهدوا عليه بشرب الخمر عند عثمان بن عفان استقدمه وامر بجلده اي امر عليا ان يقيم عليه الحد فجلده وقيل فقال علي لابن اخيه عبد الله بن جعفر اقم عليه الحد اي

بعد ان امر ابنه الحسن بذلك فامتنع فاخذ سعيد ابنه السوط فجلده وعلي يعد حتى بلغ اربعين فقال لعبد الله امسك جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمر اربعين وجلد ابو بكر اربعين وجلد عمر ثمانين وكل سنة وهذا اي ما فعلته من جلده اربعين احب الي اي من جلد عمر ثمانين هذا وفي البخاري ان عبد الله جلده ثمانين ولجيب عنه بان السوط كان له راسان فجلده بجبينه يكون قوله وكل سنة اي طريقة فالاربعون طريقته صلى الله عليه وسلم وطريقة الصديق والثمانون طريقة عمر رآها اجتهادا مع استشارته لبعض الصحابة في ذلك لما رآه من كثرة شرب الناس للخمر وبعد ان جلده عزله عن الكوفة واعاد سعد بن ابي وقاص ولما اراد سعد ان يصعد المنبر قال لا اصعد عليه حتى يغسلوه من آثار الوليد الفاسق فانه نجس فغسلوه كما تقدم وكان ارسال الوليد بن عقبة لبني المصطلق ينبغي ان يذكر في السرايا وكذا ارسال خالد لهم قالت عائشة رضي الله تعالى عنها لا اعلم امرأة اعظم بركة على قومها من جويرية اعتق بتزويجها لرسول الله صلى الله عليه وسلم اهل مائة بيت اي ومن المعلوم ان هذا كان قبل سبايا اوطاس الذين اطلقوا بسبب اخته صلى الله عليه وسلم من الرضاعة على ما سيأتي في بعض الروايات وقيل في حقها ما عرفت امرأة اعظم على قومها منها وذكرت جويرية انها قبل قدومه صلى الله عليه وسلم بثلاث ليال رأت كأن القمر يسير من يثرب حتى وقع في حجرها اي وعنها رضي الله تعالى عنها قالت فكرهت ان اخبرها احدا من الناس فلما سبينا رجوت الرؤيا قال وعنها رضي الله تعالى عنها انها قالت لما اتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن على المريسيع فاسمع ابي يقول اتانا ما لا قبل لنا به فكنت اراي من الناس والخيل والسلاح ما لا اصف من الكثرة فلما ان اسلمت وتزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجعنا جعلت انظر الى المسلمين فليسوا كما كنت ارى فعلمت انه رعب من الله يلقيه في قلوب المشركين اي وهذا مما يؤيد ما تقدم من انه صلى الله عليه وسلم تزوجها وهم على الماء الذي هو المريسيع وكان رجل منهم ممن اسلم وحسن اسلامه يقول لقد كنا نرى رجالا بيضا على خيل بلق ما كنا نراهم قبل ولا بعد انتهى وهو يدل على ان الملائكة كانت مددا لهم في هذه الغزوة ولم يقتل في غزوة بني المصطلق من المسلمين الا رجل واحد قتله رجل من الانصار خطأ يظنه من العدو والمقتول هشام بن صبابة اقول وبهذا يحمل قول الحافظ الدمياطي في سيرته انه لم يقتل من المسلمين الا رجل واحد فاعتراض صاحب الهدي عليه بان هذا وهم لانه لم يكن بينهم قتال ليس في محله لانه فهم ان الرجل قتله الكفار وقد علمت انه انما قتله شخص من الانصار يظنه من العدو

بجنى

والله اعلم وقدم اخو هذا المقتول من مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم مظهرا
الاسلام وقال جئت اطلب دية اخي فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدية اخيه
فاخذها مائة من الابل واقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم غير كثير ثم عدا
على قاتل اخيه فقتله ثم خرج الى مكة مرتدا ويوم الفتح لمكة اهدر رسول الله
صلى الله عليه وسلم دمه فقتل في ذلك اليوم كما سياتي وما هنا هو الصحيح خلافا لما
ياتي عن الاصل في فتح مكة ان قتل اخيه كان في غزوة ذي قرد ثم بعد انقضاء الحرب
وهم على الما اختصم اجير لعمر بن الخطاب اي كان يقود له فرسه يقال له جهجاه رضي
الله تعالى عنه مع رجل من حلفا الخزرج قيل حليف عمرو بن عمرو وقيل حليف
عبد الله بن ابي بن سلول وهو سنان بن فروة رضي الله عنه اي فضرب اجير عمر
حليف الخزرج قيل حليف عمرو بن عمرو وقيل حليف عبد الله بن ابي بن سلول
وهو سنان بن فروة رضي الله تعالى عنه اي فضرب اجير عمر حليف الخزرج فسال
الدم **وفي** لفظ كسعه اي دفعه فنادى حليف الخزرج يا معشر الانصار اي
وقيل قال يا للخزرج ونادى اجير عمر يا معشر المهاجرين وقيل قال يا لكنانة
يا لقريش فاقبل جمع من الجيش وشهروا السلاح حتى كادت ان تكون فتنة
عظيمة فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما بال دعوى الجاهلية فاخبر بالحال
اي قالوا رجل من المهاجرين ضرب رجلا من الانصار فقال دعوها اي تلك الكلمة
التي هي يا لفلان فانها منتنة اي مذمومة لانها من دعوى الجاهلية **وجا** من دعى
دعوى الجاهلية كان من محشي جهنم اي ما يرمى به فيها قيل يا رسول الله وان صام
وصلى وزعم انه مسلم قال وان صام وصلى وزعم انه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم
لينصر الرجل اخاه ظالما او مظلوما ان كان ظالما فلينهه فانه ناصر اي له وان كان
مظلوما فلينصره اي يزيل ظلامته ثم كلموا ذلك المضروب فترك حقه فسكنت
الفتنة وانطفت نار الحرب وجهجاه هذا روي عنه عطا بن يسار ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال الكافر ياكل في سبعة امعا والمومن ياكل في معا واحد وهو المراد
بهذا الحديث في كفره واسلامه لانه شرب حلاب سبع شياه قبل ان يسلم ثم اسلم
فلم يستتم حلاب شاة واحدة اي وسياتي نظير ذلك لثمامة الحنفي ونقل ابو
عبيد ان الرجل الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه المقالة هو ابو
بصرة الغفاري اي ولا مانع ان يكون صلى الله عليه وسلم قال ذلك في حق الرجل المذكور
ايضا فقد تكرر ذلك منه ثلاث مرات لرجال ثلاثة اكل كل واحد منهم في الكفر
اكثر مما اكل في الاسلام قال ابن عبد البر وجهجاه هذا هو الذي تناول عصاة

رسول الله صلى الله عليه وسلم من يد عثمان وهو يخطب فكسرها على ركبته فاخذته الاكلة
في ركبته فمات منها هذا كلامه **وفي كلام** السهيلي انه انتزع تلك العصاة من
عثمان حين اخرج من المسجد ومنع من الصلاة فيه وكان هو احد المعينين عليه
هذا كلامه وقد يقال لا مخالفة بين كونه اخذ العصاة منه وهو يخطب وبين كونه
اخذها حين اخرج من المسجد لانه يجوز ان يكون اخرج من المسجد في اثنا الخطبة
واخذت العصاة منه حينئذ وعند تخاصم الرجلين غضب عبد الله بن ابي بن سلول وكان
عنده رهط من قومه من الخزرج من المنافقين وكان عندهم زيد بن ارقم وهو غلام
حديث السن فقال عبد الله بن ابي والله ما رايت كاليوم مذلة او قد فعلوها نافرونا
اي غلبونا وكاثرونا في بلادنا اه وانكرونا ملتنا والله ما اعدنا اي اظننا يعني معاشر
المهاجرين الا كما قال الاول اي الاقدمون في امثالهم سمن كلبك اي ويقولون اجع كلبك
يتبعك والله لقد ظننت اني ساموت قبل ان اسمع هاتفا يهتف بما سمعت اما والله لئن
رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل يعني بالاعز نفسه وبالاذل النبي صلى الله
عليه وسلم **وفي** الاستيعاب ان عبد الله بن ابي قال ذلك في غزاة تبوك هذا كلامه
وفيه تطرف ظاهر والجلابيب جمع جلباب ما يجلب من بلد الى غيره يعني اغراب وقيل
شبهوا بالجلابيب التي هي الازر الغلاظ القليلة المغيمة ثم اقبل على من حضر من
قومه فقال هذا ما فعلتم بانفسكم احللتموهم بلادكم وقاسمتموهم اموالكم اما والله لو
امسكتم عنهم ما بايديكم لتحولوا الى غير داركم اي ثم لم ترضوا بما فعلتم حتى جعلتم انفسكم
اغراضا للمنايا فقتلتم دونه يعني النبي صلى الله عليه وسلم فايتمتم اولادكم وقللتم
وكثروا فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد ه فسمع ذلك زيد بن ارقم على ما
هو الصحيح وقيل سفيان بن تيم فمشى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره الخبر
وعنده عمر بن الخطاب اي ونفر من المهاجرين والانصار **وفي** البخاري عن زيد بن
ارقم فذكرت ذلك لعمي او لعمر فذكره للنبي صلى الله عليه وسلم فدعاني فحدثته فكره
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وتغير وجهه وقال له يا غلام لعلك غضبت عليه
قال والله يا رسول الله لقد سمعته منه قال لعله اخطا سمعك ولام من حضر من
الانصار وقالوا عمدت الى سيد قومك تقول عليه ما لم يقل حتى ما اصابني مثله قط وجلست
في البيت اي الخبا فقال لي عمي ما اردت الا ان كذبك رسول الله صلى الله عليه وسلم ه
ومقتك فقال زيد والله لقد سمعت ما قال ولو سمعت هذه المقالة من ابي لنقلتها
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واني لارجو ان ينزل الله على نبيه ما يصدق حديثي
اي وقيل ان زيد بن ارقم قال لابن ابي لما قال اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن

الاعز منها الاذل انت والله الاذل المنتقص في قومك ومحمد في عز من الرحمن وقوة من
المسلمين فقال له ابن ابي اسكت فانما كنت العب فعند نقير وجه رسول الله صلى الله
عليه وسلم استأذنه عمر في ان يقتل ابن ابي والتمس منه ان يامر غيره بقتله اذا لم
ياذن له بذلك اي فقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال لما كان من امر ابن ابي
ما كان جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في شجرة اي ظلها عنده غليم اسود
يغمز ظهره اي يكبسه فقلت يا رسول الله كانك تشتكي ظهرك فقال تقحمت بي الناقة
اي القتني الليلة فقلت يا رسول الله ائذن لي ان اضرب عنق ابن ابي او مر محمد بن مسلمة
يقتله ۵ اي وفي رواية مر به عباد بن بشر فليقتله فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم كيف يا عمر اذا تحدث الناس بان محمدا يقتل اصحابه وفي لفظ ان عمر قال له
ان كرهت ان يقتله مهاجري فامر به انصاريا فقال ترعد له اذن انف كثيرة بيثرب
يعني المدينة ولعل تسميتها بذلك ان كان بعد النهي لبيان الجواز ويبعد ان
يكون ذلك كان قبل النهي عن ذلك ولكن اذن بالرحيل وكان ذلك في ساعة
لم يكن يرتحل فيها اي وفي رواية فلما شاع الخبر ولم يكن للناس حديث في ذلك
اليوم اي الوقت الا ذلك اذن بالرحيل وكانت ساعة لم يكن رسول الله صلى
الله عليه وسلم يرتحل فيها اي لشدة الحر فارتحل الناس وسار رسول الله صلى الله
عليه وسلم فجاءه اسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه اي قال السلام
عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته ۵ وقال يا نبي الله والله لقد رحلت في ساعة
منكرة ما كنت تروح في مثلها اي فانه صلى الله عليه وسلم انما كان لا يرحل الا ان
برد الوقت ۵ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما بلغك ما قال صاحبكم فقال
اي صاحب يا رسول الله قال عبد الله بن ابي بن سلول قال وما قال قال زعم انه ان رجع
الى المدينة اخرج الاعز منها الاذل وانت العزيز ثم قال يا رسول الله ارفق به فوالله
لقد جاء الله بك وفي رواية لقد جاءنا الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه
ما بقيت عليهم الا خرزة واحدة عند يوشع اليهودي فانه ليرى انك استلبته ملكا
وقد تقدم الاعتذار عنه بذلك في غير ما مرة ثم مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالناس سيرا حثيثا اي بحيث صار يضرب راحلته بالسوط في مراقها اي ما رق من جلده
اسفل بطنها وسار يومهم ذلك وليلتهم وصدر ذلك اليوم الثاني حتى اذتهم الشمس
ثم نزل بالناس فلم يلبثوا ان وجدوا مس الارض وقعوا نياما وانما فعل ذلك ليشتغل
الناس عن الحديث الذي كان بالامس من حديث عبد الله بن ابي بن سلول قال وذهب
بعض الانصار الذين سمعوا قول النبي صلى الله عليه وسلم ورده على الغلام الى ابن ابي

فقال

فقال له يا ابا الحباب ان كنت قلت ما نقل عنك فاخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فليستغفر
لك ولا تجحده فينزل فيك ما يكذبك وان كنت لم تقله فأت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاعتذر له واحلف له ما قلته فحلف بالله العظيم ما قال من ذلك شيئا
ثم مشى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن ابي
ان كان سبقت منك مقالة فتب فجعل يحلف بالله ما قلت ما قال زيد وما تكلمت به
انتهى اي وفي لفظ انه صلى الله عليه وسلم ارسل الى ابن ابي فاتاه فقال له انت صاحب
هذا الكلام الذي بلغني عنك فقال والذي انزل عليك الكتاب ما قلت شيئا من ذلك
وان زيدا لكاذب فقال من حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الانصار يا رسول
الله عسى ان يكون الغلام اوهم في حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل اي وفي لفظ
انهم قالوا يا رسول الله شيخنا وكبيرنا لا يصدق عليه كلام غلام ثم ان عبد الله رضي
الله تعالى عنه ولد عبد الله بن ابي وكان اسمه الحباب فسماه يوم موت ابيه عبد الله لما
بلغه مقالة عمر رضي الله عنه في قتل ابيه جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له
يا رسول الله انه قد بلغني انك تريد قتل عبد الله بن ابي يعني والده فيما بلغك عنه
فان كنت فاعلا فمرني انا احمل لك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل ابر لك
مني اني اخشى ان تامر به غيري فيقتله فاقتل مؤمنا بكافر فادخل النار فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا قال وفي
رواية فمرني فوالله لاحملن اليك رأسه قبل ان تقوم من مجلسك هذا واني لاخشى يا رسول
الله ان تامر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي انظر الى قاتل ابي يمشي في الناس
فاقتله فادخل النار وعفوك افضل ومنك اعظم فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما اردت قتله ولا امرت به ولنحسنن صحبته ما كان بين اظهرنا فقال عبد الله
يا رسول الله ان ابي كانت اهل هذه البحيرة اي المدينة اتفقوا على ان يتوجوه عليهم
فجاء الله عز وجل بك فوضعه ورفعنا بك اي زاد في رواية ومعه قوم اي من المنافقين
يطيفون به يذكرونه امورا قد غلبه الله عليها ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بقرب المدينة هاجت ريح شديدة تخوفوها كادت تدفن الراكب اي خافوا ان تكون لامر
حدث بالمدينة على اهلهم فان مدة الموادعة التي كانت بينه صلى الله عليه وسلم وبين
عيينة بن حصن كان ذلك حين انقضائها فخافوا على المدينة منه فقال صلى الله
عليه وسلم ليس عليكم منه يعني من عيينة بن حصن بأس ما بالمدينة من نقب اي
باب الا وملك يحرسه وما كان ليدخلها عدو حتى تأتوها ولكن تعصف هذه
الريح لموت عظيم من الكفار وفي رواية لموت منافق وفي لفظ مات اليوم ۵

منافق عظيم النفاق بالمدينة فكان كما قال مات فى ذلك اليوم زيد بن رفاعة بن التابوت وكان كهفا للمنافقين كان من عظما يهود بنى قينقاع وكان ممن اسلم ظاهرا والى ذلك اشار الامام السبكى فى تائيته بقوله

وقد عصفت ريح فاخبرت انها ۞ لموت عظيم فى اليهود بطيبة

قال وفى رواية ان النبى صلى الله عليه وسلم اخبر بموته فقد جا ان عبادة بن الصامت قال لابن ابى يا ابا الحباب مات خليلك قال اى خليل قال من موته فتح للاسلام واهله قال من قال زيد بن رفاعة قال واويلاه من اخبرك يا ابا الوليد بموته قال قلت اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انه مات هذه الساعة فحزن حزنا شديدا انتهى وذكر اهل المدينة ان هذه الريح وجدت بالمدينة فلما دفن عدو الله سكنت اقول لكن فى كلام ابن الجوزى رفاعة بن زيد بن التابوت وهو عم قتادة بن النعمان قد ذكر عنه قتادة انه راى منه ما يدل على صحة اسلامه اى وقد تبع الحافظ ابن الجوزى وانهم رفاعة بن التابوت معدود فى الصحابة ذكره فى الاصابة قال الحافظ ذكره فى الاصابة قال ذكره فى حديث مرسل كانوا فى الجاهلية اذا احرموا لم ياتوا بيتا من قبل بابه ولكن من قبل ظهره الا الحمس فانها كانت تاتى البيوت من ابوابها فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حايطا ثم خرج من بابه فاتبعه رجل يقال له رفاعة بن التابوت ولم يكن من الحمس فقالوا يا رسول الله نافق رفاعة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حملك على ما صنعت ولم تكن من الحمس قال فان دينا واحد فنزلت وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها وسياتى نحو هذه القصة لقطبة بن عامر ولعلها وقعت لهما وان الحديث الذى اخرجه مسلم ان ريحا عظيمة هبت فقال النبى صلى الله عليه وسلم انما هبت لموت منافق عظيم من النفاق وهو رفاعة بن التابوت فهو اخر غير هذا فقد جا من وجه اخر رافع بن التابوت اى فذكر رفاعة بدل رافع من تصرف بعض الرواة وذكر فى الاصابة ان رفاعة بن زيد عم قتادة بن النعمان لم يوصف بانه ابن التابوت كما ذكره ابن الجوزى اى فوصفه بابن التابوت من تصرف الرواة فليتامل والله اعلم وعن جابر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ناسا من المنافقين اغتابوا ناسا من المومنين فلذلك هاجت هذه الريح ولم يبين جابر السفرة فيحتمل ان تكون من هذه الغزوة وهو ظاهر سياقه ويحتمل ان تكون غيرها وفقدت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم القصوى من بين الابل اى ليلا فجعل المسلمون يطلبونها فى كل وجه فقال زيد بن اللصيت وكان منافقا كاهلا من بنى قينقاع

وكان يجمع من الانصار اين يذهب محمد فى كل وجه قالوا يطلبون ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ضلت قال افلا يخبره الله بمكانها اى وفى لفظ كيف يدعى انه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته ولا يخبره الذى ياتيه بالوحى فانكر عليه القوم وقالوا قاتلك الله يا عدو الله نافقت واردوا قتله فهرب عامدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم متعوذا به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك الرجل يسمع ان رجلا من المنافقين شمت ان ضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الا يخبره الله بمكانها وان الله قد اخبرنى بمكانها ولا يعلم الغيب الا الله وانها فى الشعب مقابلكم قد مسك زمامها بشجرة فاعمدوا نحوها فذهبوا فاتوا بها من حيث قال فقام ذلك الرجل سريعا الى رفقائه فقالوا له حين دنى لا تدن منا فقال لهم انشدكم الله هل اتى منكم احد محمدا فاخبره خبرى قالوا لا والله ولا قمنا من مجلسنا قال انى وجدت ما تكلمت به عنده فاشهد ان محمدا رسول الله كانى لم اسلم الا اليوم فقالوا له فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك فذهب اليه واعترف بذنبه واستغفر له قال ويقال انه لم يزل فشلا اى جبانا حتى مات ووقع مثل هذا اى هبوب الريح واضلال ناقته صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك واوقع صلى الله عليه وسلم المسابقة بين الابل فسابق بلال على ناقته صلى الله عليه وسلم القصوى فسبقت غيرها من الابل وسابق ابو سعيد الساعدى على فرسه صلى الله عليه وسلم الذى يقال له الظرب فسبق غيره من الخيل انتهى اى وجا ان ناقته صلى الله عليه وسلم العضبا كانت لا تسبق فجا اعرابى على قعود فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال صلى الله عليه وسلم حق على الله لا يرفع شيا من الدنيا الا وضعه انتهى اقول فى الامتاع انه صلى الله عليه وسلم فى هذه الغزوة تسابق مع عايشة رضى الله تعالى عنها فتحزمت بثيابها وفعل كذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استبقا فسبقها صلى الله عليه وسلم وقال لها هذه بتلك السبقة التى كنت سبقتنى يشير صلى الله عليه وسلم الى انه جا الى بيت ابى بكر فوجد مع عايشة شيا فطلبه منها فابت وسعت فسعى صلى الله عليه وسلم خلفها فسبقته هذا وفى كلام ابن الجوزى عن عايشة رضى الله تعالى عنها انها قالت خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض اسفاره وانا جارية لم احمل اللحم فقال للناس تقدموا فتقدموا ثم قال تعالى حتى اسابقك فسابقته فسبقته فسكت عنى حتى حملت اللحم وخرجت معه فى سفرة اخرى فقال للناس تقدموا فتقدموا ثم قال لى تعالى حتى اسابقك فسابقته فسبقنى فجعل يضحك وهو يقول هذه بتلك فليتامل والله اعلم قال ولما

انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وادى العقيق تقدم عبد الله رضى الله
تعالى عنه ابن عبد الله بن ابى بن سلول وجعل يتصفح الركاب حتى مر ابوه فاناخ
به ثم وطئ على يد راحلته فقال ابوه ما تريد يا لكع فقال والله لا تدخل حتى
تقر انك الذليل وان رسول الله صلى الله عليه وسلم العزيز حتى ياذن لك رسول
الله صلى الله عليه وسلم لتعلم ايضا الاعز من الاذل انت او رسول الله فصار
يقول لانا اذل من الصبيان لانا اذل من النسا حتى جا رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال خل عن ابيك فخلا عنه اى **وفى** لفظ انه لما جا قال له ابنه وراك
قال ما لك ويلك قال والله لا تدخلها يعنى المدينة حتى ياذن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وتعلم اليوم من الاعز ومن الاذل **وفى** لفظ حتى تقول رسول الله صلى الله
عليه وسلم الاعز وانت الاذل فقال له انت من بين الناس فقال نعم انا من بين الناس
وانصرف الى النبى صلى الله عليه وسلم وشكى له ما صنع ابنه فارسل الى ابنه ان
خل عنه **وفى** لفظ قال له ابنه لئن لم تقر لله ولرسوله بالعزة لاضربن عنقك
فقال ويحك افاعل انت قال نعم فلما راى منه الجد قال اشهد ان العزة لله ولرسوله
وللمومنين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المومنين
خيرا وانزل الله تعالى سورة المنافقين قال زيد بن ارقم رايت رسول الله صلى
الله عليه وسلم تاخذه البرحا ويعرق جبينه الشريف وتثقل يد راحلته فقلت
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوحى اليه ورجوت ان ينزل الله تعالى تصديقى
فلما سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ باذنى وانا على راحلتى يرفعها
الى السما حتى ارتفعت عن مقعدى وهو يقول وعت اذنك يا غلام وصدق
الله حديثك وكذب المنافقين **وفى** رواية هذا الذى اوفى لله باذنه ونزل وتعيها
اذن واعية فكان يقال لزيد بن ارقم ذو الاذن الواعية وذكر بعض الرافضة
ان قوله تعالى وتعيها اذن واعية جا فى الحديث انها نزلت فى على رضى الله تعالى عنه
قال الامام ابن تيمية وهذا من التعدد وصار قوم عبد الله بن ابى عند نزول سورة
المنافقين يعاتبونه ويعنفونه **ولما** بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك اى بعضهم قومه
له ومعاتبتهم له قال لعمر كيف ترى يا عمر انى والله لو قتلته يوم قلت لى لارعدت له
انوف لو امرتها اليوم بقتله لقتلته قال عمر قد والله علمت لامر رسول الله صلى
الله عليه وسلم اعظم بركة من امرى انتهى وجا انه لما نزلت سورة المنافقين وفيها
تكذيب ابن ابى قال له اصحابه اذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر
لك فلوى راسه ثم قال امرتمونى ان اومن فامنت وامرتمونى ان اعطى زكاة مالى

فقد

فقد اعطيت فما بقى الا ان اسجد لمحمد فانزل الله تعالى واذا قيل لهم تعالوا يستغفر
لكم رسول الله لووا رؤسهم الاية وقد جا ان ابنه قال يا رسول الله ذرنى اسقى والدى
من وضوئك لعل قلبه ان يلين فتوضا رسول الله صلى الله عليه وسلم واعطاه فذهب
به الى ابيه فسقاه وقال له هل تدرى ما سقيتك قال نعم سقيتنى بول امك
قال لا والله لكن سقيتك بول رسول الله وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
هلال رمضان فكانت غيبته ثمانية وعشرين ليلة **قال** وفى هذه الغزاة جاءت امراة
بابن لها وقالت يا رسول الله هذا ابنى غلبنى عليه الشيطان ففتح صلى الله عليه وسلم
فى الولد وبزق فيه وقال اخسا عدو الله انا رسول الله قال ذلك ثلاثا ثم قال للمراة
شانك بابنك لن يعود اليه شى مما كان يصيبه **وفى** هذه الغزوة جا شخص
بثلاث بيضات من بيض النعام له صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم لجابر
دونك يا جابر فاعمل هذه البيضات قال جابر فعملتهن ثم جئت بهن فجعلنا نطلب
خبزا فلم نجد فجعل كل من رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ياكلون من ذلك
بغير خبز حتى انتهى كل الى حاجته والبيض كما هو **وفى** هذه الغزاة جا جمل الى
النبى صلى الله عليه وسلم يرقل اى يختال فى مشيته وصوت فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم تدرون ما يقول هذا الجمل هذا يستعدينى على سيده يقول انه كان
يحرث عليه وانه اراد ان ينحره اذهب يا جابر الى صاحبه فات به فقلت لا اعرفه
قال انه سيدلك عليه فخرج بين يدى حتى وقف على صاحبه فجئت به اليه صلى
الله عليه وسلم فكلمه فى شان الجمل انتهى **اقول** قد تقدمت هذه الامور الثلاثة
التى هى قصة ابن المراة وقصة البيض وقصة الجمل فى غزوة ذات الرقاع
والتعدد فيهما حتى لاجل هذه الامور سميت كل منهما بغزاة الاعاجيب بعيد
والذى اراه انه اشتباه من بعض الرواة فليتامل **وفى** هذه الغزاة كانت
قضية الافك اى الكذب على عايشة الصديقة المبراة المطهرة رضى الله تعالى
عنها قالت لما دنونا من المدينة قافلين اى راجعين اذن ليلة بالرحيل فقمت وذهبت
لاقضى حاجتى حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شانى اقبلت الى رحلى فاذا
عقد لى من جزع اظفار كذا بالالف عند البخارى **وفى** رواية ظفار بغير الف قال
القرطبى ومن قيده بالالف فقد اخطا اى ولعل المراد خالف الرواية **وفى**
لفظ اظفارى اى بيا النسبة **وفى** لفظ الجزع الظفرى اى وقد يقال لا مانع
من وقوع هذه الالفاظ من الصديقة فى اوقات مختلفة قال بعضهم الجزع
بفتح الجيم واسكان الزاى واخره عين مهملة خرز وظفار بالطا المهملة كقطام

مبنية على الكسر قرية من قرى اليمن كان ثمنه يسيرا وفي كلام بعضهم
كان يساوي اثني عشر درهما قد انقطع فالتمست عقدي اى ذهبت الى المكان
في المحل الذي قضيت فيه حاجتي وحبسني التماسه واقبل الرهط الذين كانوا
يرحلون لي هو بتخفيف الحاء اى يجعلون هودجها على الرحل فاحتملوا هودجي فرحلوه
على بعيري الذي كنت اركب وهم يحسبون اني فيه وكان النسا اذ ذاك خفافا
لقلة اكلهن اى لان السمن وكثرة اللحم غالبا ينشا عن كثرة الاكل وساروا اى
وعن عايشة ان الذي كان يرحل هودجها ويقود بعيرها ابو موهبة مولى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكان رجلا صالحا ولا يخالف هذا قولها واقبل الرهط الاخر
وقولها في بعض الروايات ولم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه
لانه يجوز ان جماعة كانوا ايضا ونون ابا موهبة في ذلك فوجدت عقدي فجئت منازلهم
وليس بها داع ولا مجيب فاممت بمنزلي الذي كنت فيه وظننت انهم سيفقدونني
فيرجعون الي فبينا انا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان السلمي
خلف الجيش اى لانه كان على ساقة الجيش يتخلف عن الجيش ليلتقط ما يسقط
من المتاع وقيل كان ثقيل النوم لا يستيقظ حتى يرتحل الناس وقد جا
ان زوجته شكته الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالت له انه لا يصلي الصبح فقال انه
يا رسول الله اني امرؤ ثقيل الراس لا استيقظ الا حتى تطلع الشمس فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا استيقظت فصل اى وفي رواية شكته الى النبي صلى
الله عليه وسلم انه يضربها فقال لم قال لانها تصوم بغير اذني فقال لها لا تصومي الا
باذنه قالت انه ينام عن الصلاة اى صلاة الصبح قال انه شي ابتلاه الله به
فاذا استيقظ فليصل وهذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم كان يعلم من حاله
انه ينام عن صلاة الصبح قالت انه اذا سمعني اقرا يضربني فقال ان معي سورة ليس
معي غيرها مهي تقراها قال لا تقرئها فان هذه السورة لو قسمت في الناس لوسعتهم
اى وهذا الجواب منه صلى الله عليه وسلم يدل على ان صفوان ظن ان امراته اذا قرات تلك
السورة تشاركه في ثوابها فليتامل فادلج اى سار ليلا فاصبح عند منزلي اى على
خلاف عادته فراى سوادا اى شخص انسان نايم فاتاني فعرفني فاستيقظت
باسترجاعه اى بقوله انا لله وانا اليه راجعون اى لان تخلف ام المومنين عن
الرفقة في مضيعة اى مصيبة قالت فخمرت وجهي بجلبابي وهو ثوب اقصر من
الخمار ويقال له المقنعة تغطي به المراة راسها اى لان ذلك كان بعد نزول اية
الحجاب اى يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الاية اى لانه تقدم ان ذلك

كان

كان سنة ثلاث على الراجح عند الاصل وفي الامتاع وذكر بعض علما الاخبار ان
تزويجه صلى الله عليه وسلم زينب التي نزلت اية الحجاب بسببها كان في ذي القعدة سنة
خمس ولا يخفى ان هذا القول ينافيه ما ياتي عن عايشة من قولها ان زينب هي التي كانت
تساميني من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم اذ هو صريح في انها كانت زوجة له صلى
الله عليه وسلم قبل هذه الغزاة بناء على ان هذه الغزاة كانت سنة خمس ويرجح كونها
كانت سنة ست قالت والله ما كلمني وفي لفظ ما يكلمني كلمة وما سمعت منه كلمة
اى فلا كلمها ولا كلم نفسه قيل استعمل الصمت ادبا ولهول هذا الامر الذي هو فيه
فلم يقع منه غير استرجاعه حين اناخ راحلته فوطى على يدها فركبتها وفي رواية
ثم قرب البعير فقال اركبي اى وفي لفظ قال امه قومي فاركبي واخذ براس البعير وجاء
انها لما ركبت قالت حسبي الله ونعم الوكيل وفي سيرة ابن هشام انه قال لها ما خلفك
يرحمك الله قالت فما كلمته ويحتاج الى الجمع بين هذه الروايات الثلاث وما قبلها
على تقدير صحتها وقد يقال انها لم تسمع منه غير استرجاعه ولا كلمها ولا تكلم قبل ان يقرب
اليها البعير كما علمت فلما قرب البعير اليها قال لها يا امه قومي فاركبي لان انا خبر المسير
وتعريضه ليس صريحا في الاذن لها في الركوب واتى بذلك اللفظ الدال على مزيد احترا
واجلالها وتعظيمها وبعض الرواة اقتصر على قوله اركبي وبعد ان ركبت اى وحصلت
الطمانينة واندفعت الريبة قال لها مستعجبا لا مستفهما ما خلفك قالت فانطلق
يقود بي الراحلة حتى اتينا الجيش بعد ما نزلوا وذلك في نحر الظهيرة اى وسطها
وهو بلوغ الشمس منتهاها من الارتفاع وبعد الواقعة استدل فقهاونا على انه
يجوز الخلوة بالمراة الاجنبية اذا وجدها منقطعة ببرية او نحوها بل يجب استصحابها
اذا خاف عليها لو تركها هذا وفي الخصائص الصغرى وفي معاني الاثار للطحاوي
قال ابو حنيفة كان الناس لعايشة محرما فمع ايهم سافرت فقد سافرت مع محرم وليس
غيرها من النسا كذلك اى وقوله وليس غيرها من النسا كذلك يشمل بقية ازواج
النبي صلى الله عليه وسلم وحينئذ فليتامل الفرق بينها وبين بقية امهات المومنين فيما
ذكر وفيما سياتي عن بعضهم ان من قذف عايشة يقتل ويحد في غيرها من ازواجه
صلى الله عليه وسلم حدين قالت عايشة رضي الله عنها فلما نزلنا هلك من هلك يقول
البهتان والافترا والذي تولى كبره اى معظمه عبد الله بن ابي بن سلول اى فانه كان
اول من اشاعه في العسكر اى فانه كان ينزل مع جماعة المنافقين متبعدين من
الناس فمرت عليه فقال من هذه قالوا عايشة وصفوان فقال فجر بها ورب الكعبة
وفي ما برات منه وما برى وفي لفظ والله ما نجت منه ولا نجا منها وصار يقول

امراة نبيكم باتت مع رجل حتى اصبحت ثم اشاع ذلك فى المدينة تجد دخولهم
لها لشدة عدا وتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم اى والذى فى البخارى كان يتحدث
به عنده فيقره ويستمعه ويستوشيه اى يستخرجه بالبحث عنه وقد يقال لا
منافاة لانه يجوز ان يكون اول من اشاعه عند دخول المدينة ثم صار يستخرجه
بالبحث عنه ليكثر اشاعته قالت فقدمنا المدينة فاشتكيت اى مرضت حين قدمت
شهرا والناس يفيضون فى قول اصحاب الافك اى ووصل الخبر الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم والى ابوى ولا اشعر بشئ من ذلك وكان يريبنى انى لا اعرف من
رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذى كنت ارى منه حين اشتكى اى حين امرض واللطف
بضم اللام وسكون الطا وقيل بفتح اللام والطا وهو من الانسان الرفق ومن الله
التوفيق انما يدخل على فيسلم اى وعندى امى تمرضنى ثم يقول كيف تيكم اى لا يزيد على
ذلك ثم ينصرف فذاك الذى يريبنى حتى خرجت بعد ما نقهت بكسر القاف وفتحها
اى اول ما افقت من المرض فخرجت معى ام مسطح وهى بنت خالة ابى بكر اى وما فى لفظ
وكان مسطح ابن خالة ابن بكر هو على ضرب من المسامحة وكان مسطح يتيما فى حجر ابى
بكر وكان فقيرا ينفق عليه ابو بكر قالت وخروجنا كان الى المحل الذى تخرج اليه
النسا ليلا اى لقضا حاجة الانسان وذلك قبل ان تتخذ الكنف اى فان ازواج النبى
صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل اذا تبرزن نحو المصنع وهو محل متسع قالت فلما
فرغنا من شاننا واقبلت عثرت ام مسطح فى مرطها اى ازارها فقالت تعس بفتح
العين وكسرها هلك مسطح تعنى ولدها ومسطح فى الاصل عمود الخيمة قلت لها
بئس ما قلت تسبين رجلا شهد بدرا قالت يا هنتاه بفتح الها الاولى وسكون النون
وضم الها الثانية اى يا هذه اولم تسمعى ما قال قلت وما قال فاخبرتنى بقول اهل
الافك فازددت مرضا على مرضى اى عاودنى المرض وازددت عليه اى **وفى** لفظ فخررت
مغشيا عليها **وفى** رواية خرجت لبعض حاجتى ومعى ام مسطح قد حملت السطل وفيه
ما فعثرت ووقع السطل منها فقالت تعس مسطح فقلت اى ام تسبين ابنك فسكتت
ثم عثرت الثانية فقالت تعس مسطح فقلت اى ام تسبين ابنك ثم عثرت الثالثة
فقالت تعس مسطح فنهرتها فقالت والله ما اسبه الا فيك فقلت فى اى شئ شانى فبقرت
اى كشفت لى الحديث فقلت وقد كان هذا قالت نعم فاخذتنى حمى بافضة ورجعت
الى بيتى فلما رجعت الى بيتى مكثت تلك الليلة حتى اصبحت لا يرقأ لى دمع ولا
اكتحل بنوم ثم اصبحت ابكى ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعد ان سلم
كيف تيكم فقلت اتاذن لى ان اتى بيت ابوى وانا اريد ان اثبت الخبر من قبلهما

اى لان امها فارقتها لما تنقهت من المرض وذهبت الى بيتها فلا ينافى ما سبق من قولها وعندى
امى تمرضنى قالت فاذن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت ابوى اى وارسل معى الغلام
فدخلت الدار فوجدت ام رومان فى السفل وابا بكر فوق يقرا فقالت امى ما جاء بك
فاخبرتها فذهابها الى ابويها كما علمت كان بعد ان صحت من المرض وبعد اخبار ام مسطح لها
بالقصة والذى فى السيرة الهشامية ما يفيد انه كان قبل ذلك وهو انها قالت كان
صلى الله عليه وسلم كلما يدخل يقول كيف تيكم لا يزيد على ذلك حتى وجدت فى نفسى فقلت
يا رسول الله حين رايت ما رايت من جفايه لو اذنت لى فانتقلت الى امى تمرضنى قال
لا عليك قالت فانتقلت الى امى ولا علم لى بشئ مما كان حتى نقهت من وجعى بعد بضع
وعشرين ليلة وكنا قوما عربا لا نتخذ فى بيوتنا هذه الكنف التى تتخذها الاعاجم
اى بيوت الاخلية ونكرهها انما كنا نذهب فى فسح المدينة فخرجت ليلة ومعى ام مسطح
بنت خالة ابى بكر اذ عثرت فى مرطها فقالت تعس مسطح قلت بئس لعمر الله ما قلت لرجل
من المهاجرين وقد شهد بدرا قالت او ما بلغك الخبر يا ابنة ابى بكر قلت وما الخبر
فاخبرتنى بالذى كان من قول اهل الافك وقد كان هذا قالت نعم والله لقد كان فوالله
ما قدرت على ان اقضى حاجتى ورجعت فوالله ما زلت ابكى حتى ظننت ان البكا سيصدع
كبدى فلينا مل الجمع بين ما فى السيرة الهشامية وما فى غيرها على تقدير صحتها قالت
وقلت لامى يغفر الله لك تحدث الناس بما تحدثون به لا تذكرين لى من ذلك شيئا الحديث
وفى رواية فقلت لامى يا اماه ما تحدث الناس **وفى** لفظ قلت لامى يغفر الله لك
تحدث الناس بما تحدثوا ولا تذكرين لى من ذلك شيئا قالت يا بنية هونى عليك **وفى**
لفظ خفضى عليك الشان فوالله لقل ما كانت امراة قط وضيئة اى جميلة عند رجل
يحبها ولها ضرائر الا كثرن عليها اى القول فى تنقيصها وفيه ان ضرايرها امهات المومنين
لم يكن السبب فى اشاعة ذلك فلم يتقصها به الا ان يقال ظنت ام ان ذلك على ما هو العادة
فى ذلك وعند ذلك قالت فقلت سبحان الله ولقد تحدث الناس بهذا اى وقلت قد
علم به ابى قالت نعم قلت ورسول الله قالت نعم فاستعبرت وبكيت فسمع ابو بكر صوتى
فنزل فقال لامى ما شانها فقالت بلغها الذى ذكر من شانها ففاضت عيناه فبكيت تلك
الليلة حتى اصبحت لا يرقى لى دمع اى لا يرتفع ولا اكتحلت بنوم ثم فى الليلة الثانية
كذلك ولما اصبحت اصبح ابواى عندى يظنان ان البكا فالق كبدى فبينما هما
جالسان عندى وانا ابكى اى وهما يبكيان واهل الدار يبكون فاستاذنت على
امراة من الانصار فاذنت لها فجلست تبكى ايضا معى وسمعت من بعض الشيوخ
ان هرة كانت بالبيت جلست تبكى ايضا فبينما نحن على ذلك دخل علينا رسول

الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل وقد لبث شهرا لا
يوحى اليه في شاني فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال اما بعد يا عايشة
فانه قد بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبريك الله وان كنت المممت بذنب فاستغفري
الله وتوبي قال بعضهم فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب الى الله تعالى تاب الله عليه
قال بعضهم دعاها الى الاعتراف ولم يامرها بالستر اى مع انه المطلوب ممن اتى ذنبا ولم
يطلع عليه وفي لفظ قال يا عايشة انه قد كان ما بلغك من قول الناس فاتقي الله فان
كنت قارفت اى اكتسبت سوءا مما يقول الناس فتوبي الى الله تعالى فان الله تعالى يقبل
التوبة عن عباده قالت فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي اى
ارتفع حتى ما احس منه بقطرة فقلت لابي اجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما
قال والله لا ادري ما اقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لامي اجيبي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت والله ما ادري ما اقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفي
لفظ قلت لابوي الا تجيبان رسول الله فقالا والله لا ندري بماذا نجيبه فقلت لقد سمعتم
هذا الحديث حتى استقر في نفوسكم فلئن قلت لكم اني بريئة والله يعلم اني منه بريئة
لا تصدقوني والله لا اجد لكم وفي لفظ لا اجد لي مثلا الا قول ابي يوسف اى والتمست
اسم يعقوب فلم اقدر عليه اذ يقول فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون اى
وفي رواية كما قال البخاري مثلي ومثلكم كيعقوب وبنيه فالله المستعان على ما تصفون
وفي لفظ انما اشكو بثي وحزني الى الله وبذلك استدل على جواز ضرب المثل من القران
ايضا ثم تحولت فاضجعت على فراشي وما كنت اظن ان الله ينزل في شاني وحيا يتلى
وفي لفظ قرانا يقرا به في المسجد ويصلى به ولشاني في نفسي كان احقر من ان
يتكلم الله في بامر يتلى وكنت ارجو ان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا
يبريني الله بها اى وعند ذلك قال ابو بكر رضي الله تعالى عنه ما اعلم اهل بيت من العرب
دخل عليهم ما دخل علي والله ما قيل لنا هذا في الجاهلية حيث لا نعبد الله فيقال لنا
في الاسلام واقبل على عايشة مغضبا فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان ياخذه
عند نزول الوحي اى من شدة الكرب فسجي اى غطي بثوبه ووضعت له وسادة من ادم
تحت راسه وفي لفظ قالت عايشة فاما انا حين رايت من ذلك ما رايت فوالله
ما فزعت لاني قد عرفت اني بريئة وان الله غير ظالمي واما ابواي فوالذي نفس عايشة
بيده ما سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اى واخبرنا حتى ظننت لتخرجن
انفسهما فرقا اى خوفا من ان ياتي من الله تحقيق ما قال الناس فلما سري عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم سري عنه وهو يضحك وانه ليتحدر منه العرق كالجمان وهي

جبوب

جبوب مدحرجة تجعل من الفضة امثال اللؤلؤ فجعل يمسح العرق عن وجهه
الكريم فكانت اول كلمة تكلم بها يا عايشة اما والله فقد براك فقالت امي قومي
اليه فقلت والله لا اقوم اليه ولا احمد الا الله وفي رواية قال ابشري يا عايشة فقد
انزل الله براءتك قلت بحمد الله لا بحمد احد قالت عايشة رضي الله تعالى عنها نزلت تلك
الايات في يوم شات قالت وتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم درعي فقلت بيده
هكذا اى ادفع يده عن درعي فاخذ ابو بكر النعل ليعلوني بها فمنعته فضحك رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال له اقسمت عليك لا تفعل وفي رواية لما انزل الله براءتها
قام اليها ابو بكر فقبل راسها فقالت له هلا كنت عذرتني فقال اى بنية اى سماء تظلني
واى ارض تقلني ان قلت بما لا اعلم ولا مخالفة بين هذه الرواية وما قبلها لجواز
ان يكون ما قبلها بعدها وانزل الله تعالى ان الذين جاءوا بالافك الايات العشر اى
وفي تفسير البيضاوي الثمانية عشر قال السهيلي وكان نزول براءة عايشة رضي
الله عنها بعد قدومهم المدينة اى من الغزوة المذكورة لسبع وثلاثين ليلة في
قول بعض المفسرين فمن نسبها رضي الله تعالى عنها الى الزنا كغلاة الرافضة كان كافرا
لان في ذلك تكذيبا للنصوص القرانية ومكذبها كافر وفي حياة الحيوان ان عايشة
رضي الله عنها لما تكلم الناس في الافك رايت في منامي فتى فقال لي ما لك قلت حزينة
مما ذكر الناس فقال ادعي بهذه يفرج الله عنك قلت وما هي قال قولي يا سابغ النعم
ويا دافع النقم ويا فارج الغمم ويا كاشف الظلم ويا اعدل من حكم ويا حسيب من
ظلم ويا اول بلا بداية ويا اخر بلا نهاية اجعل لي من امري فرجا ومخرجا قالت فقلت
ذلك فانتبهت وقد انزل الله فرجي قال بعضهم برا الله تعالى اربعة باربعة برا يوسف
بشاهد من اهل زليخا وبرا موسى من قول اليهود فيه بالادرة بالحجر الذي فر بثوبه
وبرا مريم بانطاق ولدها وبرا عايشة بهذه الايات وكان ابو بكر ينفق على مسطح
لقرابته منه اى كما تقدم ولفقره فحلف لا ينفق عليه اى فانه قال والله لا انفق
على مسطح ابدا ولا انفعه بنفع ابدا بعد ما قال لعايشة وادخل علينا وفي لفظ
اخرجه من منزله وقال له لا وصلتك ابدا ولا عطفت عليك بخير ابدا فانزل الله تعالى
ولا ياتل اولوا الفضل اى الفضيلة والافضال منكم والسعة اى في الرزق ان
يوتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا الا
تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم وعند ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي
بكر اما تحب ان يغفر الله لك قال ابو بكر والله اني لاحب ان يغفر الله لي فارجع الى
مسطح بالنفقة التي كان ينفق عليه وقال والله اني لا انزعها عنه ابدا وفي

معجم الطبراني الكبير **وفي** معجم النسائي انه اضعف له النفقة التي كان يعطيه
اياها قبل القذف اي اعطاه ضعف ما كان يعطيه قبل ذلك اي وكفر عن يمينه **وبهذا**
وبما في الصحيح ان يأتي الذي هو خير ويكفر عن يمينه استدل فقهاؤنا على ان الافضل
في حق من حلف على ترك مندوب او فعل مكروه ان يحنث ويكفر عن يمينه **وهنا**
لطيفة وهي ان ابن المقري منع عن ولده النفقة تأديبا له على امر وقع منه فكتب
اليه ولده

لاتقطعن عادة بر ولا ... تجعل عقاب المرء في رزقه
فان امر الافك من مسطح ... يحط قدر النجم من افقه
وقد جرى منه الذي قد جرى ... وعوتب الصديق في حقه

فكتب اليه والده

قد يمنع المضطر من ميتة ... اذا عصى بالسير في طرقه
لانه يقوى على توبة ... تكون ايضا الا الى رزقه
لولم يتب مسطح من ذنبه ... ماعوتب الصديق في حقه

ووصف الله تعالى للصديق باولي الفضل موافق لوصفه صلى الله عليه وسلم له بذلك
فقد جاء ان عليا رضي الله تعالى عنه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر
جالس عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنحى ابو بكر عن مكانه واجلس عليا
رضي الله تعالى عنه بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فتهلل وجه رسول
الله صلى الله عليه وسلم فرحا وسرورا وقال لا يعرف الفضل لاهل الفضل الا اولوا
الفضل **وعنها** رضي الله تعالى عنها انها قالت لما استلبث الوحي عنه صلى الله عليه وسلم
اي ابطأ عليه ولم ينزل استشار الصحابة فقال له عمر من زوجها لك يا رسول الله قال
الله قال افتظن ان الله دلس عليك فيها سبحانك هذا بهتان عظيم فنزلت **ودعى**
علي بن ابي طالب واسامة بن زيد ليستأمرهما في فراق اهله اي تعني نفسها فاما اسامة
ابن زيد ليستأمرهما في فراق اهله اي تعني نفسها فاما اسامة بن زيد فقال اهلك
اي الزم اهلك يا رسول الله ولا نعلم الا خيرا واما علي بن ابي طالب فقال يا رسول
الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وانك لتقدر ان تستخلف **وفي**
لفظ قد احل الله لك فطلقها وانكح غيرها وان تسأل الجارية تصدقك يعني
بريرة اي لانها كانت تخدم عائشة اما قبل شرائها لها او بعده وقبل عتقها لها فان
كان بعد العتق فدعى رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال اي بريرة هل رأيت
من شيء يريبك قالت بريرة والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها امرا اغمصه بالغين

المعجمة

المعجمة والصاد المهملة بينهما ميم مكسورة اي اعيبه عليها اكثر من انها جارية حديثة
السن تنام عن عجين اهلها فتاتي الداجن وهي الدابة التي تألف البيوت ولا تخرج
للمرعى وهي هنا الشاة فتأكله **وفي** لفظ فدعى رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة
فسألها فقام اليها علي فضربها ضربا شديدا وجعل يقول اصدقي رسول الله صلى الله
عليه وسلم فتقول والله ما اعلم الا خيرا وما كنت اعيب على عائشة شيئا الا اني كنت اعجن
عجيني فآمرها ان تحفظه فتنام عنده فتأتي الشاة فتأكله اي وضربه لها قال
السهيلي لم تستوجب ضربا ولا استأذن رسول الله في ضربها لانه اتهمها في انها
خانت الله ورسوله فكتمت من الحديث ما لا يسعها كتمه وهذا كلامه والذي في البخاري
وانتهرها بعض الصحابة فقال اصدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت سبحان الله
والله ما علمت عليها الا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الاحمر **وفي** الامتاع جاء صلى
الله عليه وسلم لبريرة وسألها فقالت هي اطيب من طيب الذهب والله لا اعلم عليها
الا خيرا والله يا رسول الله لئن كانت على غير ذلك ليخبرك الله بذلك اي **وبريرة**
هذه روى عنها عبد الملك بن مروان فقد ذكر انه قال كنت اجالس بريرة بالمدينة
قبل ان يأتي الى هذا الامر يعني الخلافة فكانت تقول لي يا عبد الملك اني ارى فيك خصالا
وانك لخليق ان تلي هذا الامر يعني الخلافة فان وليته فاحذر الدماء فاني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل ليدفع عن باب الجنة بعد ان ينظر اليها على محجمة
من دم يريقه من مسلم بغير حق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب
بنت جحش احدى امهات المؤمنين عن امري يقول ماذا علمت او رأيت فتقول يا رسول الله
احمي سمعي وبصري اي اصون سمعي من ان اقول سمعت ولم اسمع واصون بصري من
ان اقول ابصرت ولم ابصر ما علمت الا خيرا اي **وفي** رواية حاشى سمعي وبصري
ما علمت الا خيرا والله ما اكلم واني لمهاجرتها وما كنت اقول الا الحق قالت عائشة وهي
التي كانت تساميني من ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم **وفي** لفظ تناصيني
اي تعادلني من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم في المنزلة والحظوة عنده صلى الله عليه وسلم
فعصمها الله تعالى اي ولهذا جعلها في النور افضل نسائه صلى الله عليه وسلم بعد خديجة
وعائشة حيث قال والذي يظهر ان افضلهن اي زوجاته صلى الله عليه وسلم بعد خديجة
وعائشة زينب بنت جحش وقالت عائشة في وصفها لم ار امرأة قط خيرا مني زينب في
الدين واتقى لله واصدق حديثا واوصل للرحم واعظم صدقة واشد ابتذالا
لنفسها في العمل الذي يتقرب به الى الله ما عدا سورة اي حدة تسرع منها الفيئة
اي ترجع عنها سريعا قالت عائشة رضي الله تعالى عنها وقد قام رسول الله صلى الله

عليه وسلم اى عند استلباث الوحى وتاخره فى الناس وخطبهم فحمد الله تعالى واثنى
عليه ثم قال ايها الناس ما بال رجال يؤذوننى فى اهلى ويقولون عليهم غير الحق وفى
رواية فاستعذر من عبد الله بن ابى بن سلول فقال وهو على المنبر من يعذرنى اى ينصفنى
من رجل قد بلغنى اذاه فى اهل بيتى فوالله ما علمت على اهلى الا خيرا ولقد ذكروا
رجلا يعنى صفوان ما علمت عليه الا خيرا اى وزاد فى رواية ولا يدخل بيتى وفى
لفظ بيتا من بيوتى الا وانا حاضر ولا غبت فى سفر الا غاب معى يقولون عليه غير
الحق فقام سعد بن معاذ اى سيد الاوس فقال يا رسول الله انا اعذرك منه ان كان
من الاوس ضربت عنقه وان كان من اخواننا الخزرج امرتنا ففعلنا امرك فقام
سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وقد احتملته وفى لفظ اجهلته الحمية وكان
قبل ذلك رجلا صالحا اى ذكر سعد بن معاذ للخزرج الذين هم قوم سعد بن عبادة
غضب سعد بن عبادة لاجلهم وحملته الحمية لهم على ان يجهل اى قال قول الجهل فقال
سعد بن معاذ كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله فقام اسيد بن حضير
وهو ابن عم سعد بن معاذ كما تقدم فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه
وانفك راغم فانك منافق تجادل عن المنافقين اى والمراد بكونه منافقا انه
يفعل فعل المنافقين ومن ثم لم ينكر صلى الله عليه وسلم عليه ذلك ان كان
سمعه فتثاور الحيان الاوس والخزرج حتى هموا ان يقتتلوا لانه كان بين
الحيين قبل الاسلام مشاحنة ومحاربة كما تقدم ورسول الله صلى الله عليه وسلم
قائم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا قالت وانا
لا اعلم بشئ من ذلك اقول فيه ان سعد بن معاذ لم يقل انه ان كان من الخزرج
نقتله بل قال نفعل فيه ما امرنا به النبى صلى الله عليه وسلم فلا يحسن رد سعد بن عبادة
عليه بما ذكر ثم رأيت بعضهم ذكر ان الاظهر عندى ان ابن عبادة لم يقل ذلك حمية
لقومه وانما اراد الانكار على ابن معاذ فى كونه يقتل شخصا من قومه الذين هم الاوس
مع انه ينطق بالاسلام لانه صلى الله عليه وسلم لم يكن يقتل من يظهر الاسلام فكانه
قال لا يقل ما لا تفعل ولا تقدر على فعله حيث لم يامرك بذلك النبى صلى الله عليه وسلم
وانما انتصر اسيد بن حضير لسعد بن معاذ بحضرة النبى صلى الله عليه وسلم فى مثل
هذه الحالة العظيمة التى طلب صلى الله عليه وسلم فيها من يعذره من ذلك القائل
وانكاره على سعد بن عبادة انما هو انكار لظاهر لفظه وان كان لباطنه حسن وكم
من لفظ ينكر اطلاقه على قائله وان كان فى الباطن له مخلص هذا كلامه ثم رأيت
فى السيرة الهشامية ان المتكلم اسيد بن حضير وانه قال يا رسول الله ان يكونوا

من

من الاوس نكفيكهم وان يكونوا من اخواننا الخزرج فمرنا امرك فوالله انهم لاهل
لان تضرب اعناقهم فقام سعد بن عبادة فقال كذبت لعمر الله والله ما تضرب اعناقهم
اما والله ما قلت هذه المقالة الا انك قد عرفت انهم من الخزرج ولو كانوا من
قومك يعنى الاوس ما قلت هذا اى لان ابن عبد الله بن ابى من الخزرج وكذا حسان
ابن ثابت بناء على انه كان من اصحاب الافك وفى البخارى ان سعد بن معاذ قال
ايذن لى يا رسول الله ان اضرب اعناقهم فقام رجل من الخزرج وكانت ام حسان
ابن ثابت من رهط ذلك الرجل اى من الخزرج فقال كذبت اما والله لو كانوا من
الاوس ما احببت ان تضرب اعناقهم وعلى هذه الرواية فلا اشكال وقول البخارى
وكانت ام حسان الى اخره يشعر بان ابا حسان لم يكن من الخزرج وهو يخالف ما
تقدم وما سيأتى انه من الخزرج الا ان يقال وصفه بذلك على المسامحة لكون امه
منهم فليتامل ولا يخفى ان ذكر المنبر يخالف ما فى الاصل من ان المنبر كان فى السنة
الثامنة وقصة الافك كانت فى السنة الخامسة او السادسة وفى النور
المراد بالمنبر شئ مرتفع قال والا فالمنبر انما اتخذ فى السنة الثامنة اى فيكون المراد
المنبر الذى اتخذ فى السنة الثانية كان من الطين والذى كان من خشب اتخذ فى السنة
الثامنة وقد قدمنا ذلك مبسوطا والله اعلم ثم بعد نزول ايات الافك اى وهى ان
الذين جاؤا بالافك عصبة الى قوله اولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق
كريم خرج الى الناس فخطبهم وتلى عليهم تلك الايات وامر بجلد اصحاب الافك اى
وهم عبد الله بن ابى ومسطح وحمنة بنت جحش اخت زينب بنت جحش ام المؤمنين
واخوها عبيد الله بالتصغير ابن جحش ويقال له ابو احمد وكان ضريرا اى وكان يدور
مكة اعلاها وادناها فى اى محل من غير قائد وكان شاعرا وهو ابن عمة اميمة بنت
عبد المطلب عمة النبى صلى الله عليه وسلم واما اخوها عبد الله مكبرا فقد قتل يوم احد
كما تقدم وزاد بعضهم خامسا وهو زيد بن رفاعة وفيه انه تقدم انهم لما قدموا
المدينة وجدوه قد مات الا ان يقال تقدم ان لهم زيد بن رفاعة غيره فيجوز ان
يكون هو ذلك ويقال وحسان بن ثابت فجلدوا الحد وهو ثمانون قال بعضهم وذكر
سعد بن معاذ فى هذه الرواية اى انه القائل انا اعذرك وهم من بعض الرواة
وانما المتكلم بذلك اسيد بن حضير اى كما تقدم عن السيرة الهشامية لان
سعد بن معاذ مات بعد بنى قريظة قال فى الاصل لو اتفق اهل المغازى على ان
غزوة الخندق وبنى قريظة متقدمة على غزوة بنى المصطلق لكان الوهم
لازما ولكن هم مختلفون اقول اى فالوهم لا يلزم الا من جعل هذه الغزوة التى هى

غزوة بنى المصطلق متاخرة عن بنى قريظة ويذكر فيها سعد بن معاذ كالاصل ومن
ثم لما قال ابن اسحاق بانها بعد بنى قريظة روى عن عايشة بدل سعد بن معاذ اسيد
ابن حضير قال فى الامتاع وهذا هو الصحيح والوهم لم يسلم منه احد من بنى ادم وفيه
ان ما يدل على تقدمها وان ذكر سعد بن معاذ كالاصل ومن ثم لما قال ابن اسحاق بانها بعد
بنى قريظة روى عن عايشة بدل سعد بن معاذ اسيد بن حضير قال فى الامتاع وهذا
هو الصحيح والوهم لم يسلم منه احد من بنى ادم وفيه انه ما يدل على تقدمها وان ذكر
سعد بن معاذ ليس من الوهم فى شىء ما ذكر فى الكتاب المذكور الذى هو الامتاع ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم مكث اياما ثم اخذ بيد سعد بن معاذ فى نفر حتى دخل على سعد
ابن عبادة فتحدثوا ساعة وقرب لهم سعد بن عبادة طعاما فاصابوا منه ثم انصرفوا
فمكث اياما ثم اخذ بيد سعد بن عبادة فى نفر فانطلقوا حتى دخلوا منزل سعد
ابن معاذ فتحدثوا ساعة وقرب لهم سعد بن معاذ طعاما فاصابوا منه ثم خرجوا
فذهبت من انفسهم ما كان وان ذكر سعد بن معاذ وقع فى الصحيحين وغيرهما والله
اعلم وذكر ان صفوان رضى الله تعالى عنه الذى كان الافك بسببه ظهر انه كان
حصورا لا يأتى النساء اى عندنا انا معه مثل الهدبة اى عنين وقد قال الشيخ محيى
الدين الحصور عندنا العنين ويدل له ما فى البخارى انه ما كشف كنيف امراة قط اى
سترها لان الكنيف الساتر وقد جاء فى تفسير وصف يحيى بن زكريا بحصورا انه
صلى الله عليه وسلم اهوى الى الارض واخذ قذاة وقال كان ذكره يعنى يحيى
مثل هذه القذاة ولعل المراد التشبيه فى الارتخاء وعدم الشدة فلا يخالف
قبله لكن فى النهر الحصور الذى لا يأتى النساء مع القدرة على ذلك اى وربما
يؤيد ذلك ما جاء اربعة لعنوا فى الدنيا والاخرة وامنت الملائكة رجل جعله
الله ذكرا فانث نفسه وتشبه بالنساء وامراة جعلها الله انثى فتذكرت وتشبهت
بالرجال والذى يضل الاعمى ورجل حصور ولم يجعل الله حصورا الا يحيى بن
زكريا فالحصور وصف مذموم الا فى يحيى خصوصية له دون غيره من الانبياء
والا فقد امتن سبحانه على الانبياء بقوله ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا
لهم ازواجا وذرية قيل وهذا الوصف جاء ليحيى من اثر همة والده زكريا فانه
لما شهد مريم منقطعة عن الازواج احب ان يرزقه الله ولدا مثلها اى منقطعا عن
الزوجات فجاء يحيى حصورا ويؤيد ذلك ما فى انس الجليل وكان يحيى لا يأتى
النساء لانه لم يكن له ما للرجال كذا قيل وهو غير مرضى وقد تكلم القاضى عياض فى الشفا
على معنى كون يحيى حصورا ما حاصله ان هذا الذى قيل نقيصة وعيب لا يليق بالانبيا

وانا

وانا معناه انه معصوم من الذنوب لا ياتيها فكانه حصر عنها وانه حصر نفسه عن
الشهوات قمعا لها هذا كلامه قلينا مل اى وعلى الاول لا ينافى ذلك كون صفوان
كان متزوجا لما تقدم ان زوجته شكته للنبى صلى الله عليه وسلم اى على ان ابن الجوزى
نقل عن شيخه ابن ناصر الدين ان صفوان انما تزوج بعد حديث الافك ومما يدل
على ان حسان لم يكن من اصحاب الافك تبريه مما نسب اليه فى ابيات مدح بها عايشة
رضى الله تعالى عنها منها

حصان رزان ما تزن بريبة ۞ وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

مهذبة قد طيب الله خيمها ۞ وطهرها من كل سوء وباطل
فان كنت قد قلت الذى قد زعمتم ۞ فلا رفعت سوطى الى اناملى
وكيف وودى ما حييت ونصرتى ۞ لال رسول الله زين المحافل

ومن ثم قال ابن عبد البر وقد انكر قوم كون حسان خاض فى الافك وانه جلد وجاء
ان عايشة برأته من ذلك اى فقد ذكر الزبير بن بكار انه قيل لعائشة وقد قالت فى حق حسان
انى لارجو ان يدخله الله الجنة بذبه بلسانه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اليس هو
ممن لعنه الله فى الدنيا والاخرة بما قال فيك قالت لم يقل شيئا ولكنه القايل

فان كان ما قد قيل عنى قلته ۞ فلا رفعت سوطى الى اناملى

وقد قال مثل هذا [blank] بن زنيم وقد بلغه ان النبى صلى الله عليه وسلم اهدر
دمه لما بلغه انه هجاه فجاء اليه معتذرا وانشده ابياتا منها

ونبى رسول الله انى قد هجيته ۞ فلا رفعت سوطى الى اذن يدى

لكن فى رواية انها كانت تاذن لحسان بن ثابت وتلقى له الوسادة وتقول لا تقولوا
لحسان الا خيرا فانه كان يرد عن النبى صلى الله عليه وسلم بلسانه وقد قال الله
تعالى والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم وقد عمى والعمى عذاب عظيم والله قادر
على ان يجعل ذلك ويغفر لحسان ويدخله الجنة وفيه انه سيأتى عن عايشة
وغيرها ان الذى تولى كبره عبد الله بن ابى بن سلول كما تقدم الا ان يقال كبره
مقول بالتشكيك والذى بلغ فيه الغاية عبد الله بن ابى بن سلول فليتامل وعن
الزهرى قال كنت عند الوليد بن عبد الملك ليلة من الليالى وهو يقرأ سورة النور
مستلقيا على سريره فلما بلغ والذى تولى كبره جلس ثم قال يا ابا بكر من تولى كبره
اليس على بن ابى طالب قال الزهرى فقلت فى نفسى ماذا اقول ان قلت لا لا امن
ان القى منه شرا وان قلت نعم جيئت بامر عظيم ثم قلت لنفسى لقد عودنى الله على
الصدق خيرا فقلت لا فضرب بقضيبه السرير ثم قال فمن فمن يكرر ذلك مرارا
قلت لكن عبد الله بن ابى بن سلول ووقع لسليمان بن يسار مع هشام بن عبد الملك

هكذا بياض فى نسخة المؤلف

فقال له يا سليمان الذي تولى كبره من هو قلت عبد الله بن ابي قال كذبت هو علي قال انا اكذب
لا ابا لك لو نادى منادي من السماء ان الله احل الكذب ما كذبت حدثني عروة وسعيد
وعبيد الله وعلقمة عن عائشة رضي الله عنها انها قالت الذي تولى كبره عبد الله بن ابي وعن
عائشة رضي الله عنها انه ذكر عندها حسان فنهتهم وقالت سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول لا يحبه الا مؤمن ولا يبغضه الا منافق وفي البخاري كانت عائشة
تكره ان يسب عندها حسان وتقول انه الذي قال

فان ابي ووالده وعرضي ... لعرض محمد منكم وقاء

فهذا البيت يغفر الله تعالى له به وذكر بعضهم ان الذين كانوا يهجون رسول
الله صلى الله عليه وسلم من مشركي قريش عبد الله بن الزبعرى وابو سفيان بن الحارث
ابن عمه صلى الله عليه وسلم وعمرو بن العاص وضرار بن الخطاب ولما اراد حسان ان يهجوهم
قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تهجوهم وانا منهم وكيف تهجو ابا سفيان بن عمي
فقال له والله لاسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين فقال له ايت ابا بكر
فانه اعلم بانساب القوم منك فكان يجيء الى ابي بكر ليوقفه على انسابهم فجعل حسان
يهجوهم فلما سمعوا هجوه قالوا ان هذا الشعر ما غاب عنه ابن ابي قحافة قيل عاش حسان
مائة وعشرين سنة نصفها في الجاهلية ونصفها في الاسلام وعاش والده ايضا
مائة وعشرين سنة وكذا جده ووالده قال بعضهم ولا يعرف اربعة تناسلوا
وتساوت اعمارهم غيرهم ولم يشهد حسان مع النبي صلى الله عليه وسلم مشهدا لانه
كان يخشى الموت فكان ينسب للجبن ومن ثم جعل يوم الخندق مع النساء والذراري
في الآطام وما وقع له مع صفية عمته صلى الله عليه وسلم في امر اليهودي الذي قتلته
في ذلك المكان وما قاله لها يدل على انه كان جبانا شديد الجبن ورد انكار بعض
العلماء كونه جبانا قال اذ لو صح ذلك لهجي به فانه كان يهاجي الشعراء وكانوا يردون
عليه فما عيره احد منهم به ولا وسمه به ولعله كان به علة اقتضت جعله مع
الذراري في الآطام ومنعته من شهود القتال هذا كلامه وقد يقال على تسليم انه لم
يهج بالجبن يجوز ان يكون لكونه كان لا يتأثر بوصفه بذلك وذكر بعضهم ان حسان
شلت يداه بضربة ضربها له صفوان بسيف لما هجاه فذكر ذلك حسان لرسول الله صلى
الله عليه وسلم فدعا حسان وصفوان اي واظهر التغيظ على صفوان بسبب اظهاره
السلاح على حسان وضربه فقال صفوان يا رسول الله اذاني وهجاني فاحتملني
الغضب فضربته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان يا حسان احسن
اي فيما اصابك قال هي لك وفي رواية كان حق لي قبل صفوان فهو لك فقال له صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم قد احسنت وقبلت ذلك واعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عوضا
منها حديقة له يقال لها بيرحا بفتح الراء في الاحوال الثلاث مع قصرها قيل
لها ذلك لان الابل يقال لها اذا زجرت عن الماء حاحا وفيه انه كان القياس
بيرحاء بضم الراء في حالة الرفع ومدها الا ان يقال المجموع اسم مركب كانت هذه
البير لابي طلحة فتصدق بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضعها حيث شاء ثم
اعطاها حسان من معونة العظيم اقول الذي في البخاري كان ابو طلحة اكثر انصاري بالمدينة
مالا وكان احب امواله اليه بيرحا وهي حديقة وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويستظل بها ويشرب من ماء فيها طيب فلما نزلت لن تنالوا
البر حتى تنفقوا مما تحبون قام ابو طلحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
ان الله يقول في كتابه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وان احب اموالي الي بيرحا وانها
صدقة لله ارجو برها وذخرها عند الله تعالى فضعها يا رسول الله حيث شئت فقال صلى
الله عليه وسلم بخ ذلك مال رابح ذلك مال رابح قد سمعت ما قلت فيها قد قبلناه منك
ورددناه عليك واري ان تجعلها في الاقربين قال افعل يا رسول الله فقسمها ابو طلحة
في اقاربه وبني عمه وفي لفظ اخر في البخاري قال لابي طلحة اجعلها لفقراء اقاربك
فجعلها لحسان وابي بن كعب وبين في البخاري وجه قرابتهما لابي طلحة وفيه ان ابي بن
كعب كان غنيا وفي الامتاع انه اعطى حسان تلك الحديقة واعطاه سيرين
جاريته اخت مارية ام ولده ابراهيم فجاءت منه بابنه عبد الرحمن وكان يفتخر بانه ابن خالة
ابراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم وقد رويت سيرين هذه عن النبي صلى الله عليه وسلم
حديثا قالت راى رسول الله صلى الله عليه وسلم خللا في قبر ابراهيم ابنه فاصلحه وقال
ان الله يحب من العبد اذا عمل عملا ان يتقنه واعطاه سعد بن عبادة بستانا كان
يحصل منه مال كبير وحاصل ما في الامتاع فيما وقع بين حسان وصفوان ان حسان
لما قال

امسى الجلابيب قد عزوا وقد كثروا ... وابن الفريعة امسى بيضة البلد

قال صفوان لا اراه الا عناني اي بالجلابيب وقد تقدم ان ابي بن سلول قالها في حق
المهاجرين والفريعة جدة حسان وقيل امه فعند ذلك خرج صفوان مصلتا
السيف وجاء الى حسان وهو في نادي قومه الخزرج وضربه فلقي بيده فوقع السيف
فيها فقام قومه واوثقوا صفوان رباطا ثم انحل وجيء به الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال حسان يا رسول الله شهر علي السيف في نادي قومي ثم ضربني ولا اراني
الا ميتا من جراحتي فقال صلى الله عليه وسلم لصفوان ولم ضربته وحملت السلاح عليه

وتغيظ لحسان فقال لصفوان ما تقدم ثم قال لقوم حسان احبسوا صفوان فان مات حسان فاقتلوه به فحبسوه فبلغ ذلك سيد الخزرج سعد بن عبادة فاقبل على قومه فلامهم على حبسه فقالوا امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحبسه وقال لنا ان مات صاحبكم فاقتلوه فقال سعد والله ان احب الامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العفو عنه ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالحق والله لا ابرح حتى يطلق فاستحى القوم واطلقوه واخذه سعد وانطلق به الى منزله وكساه حلة وجاء به الى المسجد فلما راه صلى الله عليه وسلم قال صفوان قالوا نعم يا رسول الله قال من كساه قالوا سعد بن عبادة قال كساه الله من ثياب الجنة ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم حسان في العفو عن صفوان فقال يا رسول الله كل حق لي قبل صفوان فهو لك فقال صلى الله عليه وسلم قد احسنت وقبلت ذلك ثم اعطاه ارضا له وسيرين جاريته اخت مارية ام ولده ابراهيم **واعطاه** ايضا سعد بن عبادة حايطا كان يحصل منه مال كبير باعفى عن جرحه وقيل انما اعطاه سيرين لذبه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعره فقد قال ابن عبد البر اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم سيرين اخت مارية لحسان بن ثابت **يروى** من وجوه واكثرها ان ذلك ليس بسبب ضرب صفوان له بل لذبه بلسانه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل وكان لسان حسان يصل الى جبهته والى النحر وكذلك كان ابوه وجده وكان حسان يقول على لسانه والله لو وضعته على صخر لفلقه او شعر لحلقه **وقد** عفى مسطح ايضا اه وقد روى اصحاب السنن الاربعة عن عائشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم امر برجلين وامراة فضربوا حدهم قال الترمذي حسن غريب والمراة حمنة بنت جحش والرجلان اخوها عبد الله بن احد بن جحش ومسطح ولم يحد الخبيث عبد الله بن ابي بن سلول لان الحد كفارة وليس من اهلها وقيل لانه لم تقم عليه البينة بذلك بخلاف اوليك وقيل لانه كان لا ياتي بذلك على انه من عنده بل على لسان غيره وفي الطبراني ومعجم النسائي عن عائشة رضي الله عنها ان عبد الله بن ابي بن سلول جلد مائة وستين اي حدين قال عبد الله بن عمر وهكذا يفعل بكل من قذف زوجة نبي اي ولعل المراد انه يجوز ان يفعل به ذلك فلا ينافي ما تقدم من ان الحد كان ثمانين جلدة **وعن** ابن عباس رضي الله عنهما ما زنت وفي لفظ لم تبغ امراة نبي قط واما قوله تعالى في امراة نوح وامراة لوط فخانتاهما فالمراد اذناهما فكانت امراة نوح تخبر انه لمجنون وامراة لوط دلت على اضيافه وقيل انما جاز ان تكون امراة النبي كافرة كامراة نوح ولوط عليهما السلام ولم يكن يجوز ان تكون فاجرة اي زانية لان النبي مبعوث الى الكفار ليدعوهم فيجب ان لا يكون معه منقص ينفرهم عنه والكفر غير منقص عندهم

فاما

واما الفجور فمن اعظم النقصان **وفي** الخصائص الصغرى ومن قذف ازواجه صلى الله عليه وسلم فلا توبة له البتة كما قاله ابن عباس وغيره ويقتل كما نقله القاضي عياض وغيره وقيل يختص القتل بمن قذف عائشة ويحد في غيرها حدين **وقد وقع** ان الحسن ابن زيد الداعي من اهل طبرستان وكان من العظماء كان يلبس الصوف ويامر بالمعروف وكان يرسل في كل سنة الى بغداد عشرين الف دينار تفرق على اولاد الصحابة فحضر عنده رجل من اشياع العلويين فذكر عائشة رضي الله تعالى عنها بالقبيح فقال الحسن لغلامه يا غلام اضرب عنق هذا فنهض اليه العلويون وقالوا هذا رجل من شيعتنا فقال معاذ الله هذا طعن على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات فان كانت عائشة رضي الله تعالى عنها خبيثة فان زوجها يكون خبيثا وحاشاه صلى الله عليه وسلم من ذلك بل هو الطيب الطاهر وهي الطيبة الطاهرة المبراة من السما يا غلام اضرب عنق هذا الكافر فضرب عنقه **وعن كتاب** الاشارات للفخر الرازي انه صلى الله عليه وسلم في تلك الايام التي تكلم فيها بالافك كان اكثر اوقاته في البيت فدخل عليه عمر فاستشاره صلى الله عليه وسلم في تلك الواقعة قال يا رسول الله انا اقطع بكذب المنافقين واخذ براة عائشة من الذباب لان الذباب يدب على بدنك فاذا كان الله تعالى صان بدنك ان يخالطه الذباب لمخالطته القاذورات فكيف باهلك **ودخل** عليه عثمان فاستشاره فقال له سيدنا عثمان رضي الله عنه يا رسول الله اخذت براة عائشة من ظلك لاني رايت الله تعالى صان ظلك ان يقع على الارض اي لان ظل شخصه الشريف كان لا يظهر في شمس ولا قمر لئلا يوطا بالاقدام فاذا صان الله ظلك فكيف باهلك اه وقد اشار الى ذلك الامام السبكي في تائيته بقوله **شعر**

لقد نزه الرحمن ظلك ان يرى ۞ على الارض ملقى فانطوى لمزية

وهنا لطيفة لا باس بها وهو ان عبد الله بن عمر كان مسافرا وكان يسايره يهودي فلما اراد المفارقة قال عبد الله لليهودي بلغني انكم تدينون بايذاء المسلمين فهل قدرت على شيء من ذلك معي واقسم عليه فقال استمني اخبرك فامنه فقال لم اقدر عليك في شيء اكثر من اني كنت اذا رايت ظلك وطيته بقدمي وفاء بامر ديننا **ودخل** صلى الله عليه وسلم على علي رضي الله عنه فاستشاره فقال له علي رضي الله تعالى عنه اخذت براة عائشة من شيء هو انا صلينا خلفك وانت تصلي بنعليك ثم انك خلعت احدى نعليك فقلنا يكون ذلك سنة لنا فقلت لا ان جبريل اخبرني ان في تلك النعل نجاسة فاذا كان لا تكون النجاسة بنعليك فكيف تكون باهلك فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك اي

ويحتاج ايضا الى الجواب عن خلع احدى نعليه فى اثناء الصلاة لنجاسة بها واستمر
فى الصلاة وعن ابى ايوب الانصارى رضى الله عنه ان قالت له زوجته ام ابوب الا ترى
ما يقال اى من الافك فقال له لو كنت بدل صفوان اكنت تهم بسوء لحرم رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لا قال ولو كنت انا بدل عايشة ما خنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فعايشة خير منى وصفوان خير منك وفى السيرة الشامية ان ابا ايوب قالت له
زوجته ام ايوب الا تسمع ما يقول الناس فى عايشة قال بلى وذلك الكذب اكنت يا ام
ايوب فاعلة ذلك قالت لا والله ما كنت لافعله قال فعايشة والله خير منك وجا ان ابن
عباس دخل على عايشة فى مرض موتها فوجدها وجلة من القدوم على الله فقال لها لا تخافى
فانك لا تقدمين الا على مغفرة ورزق كريم فغشى عليها من الفرح بذلك لانها كانت
تقول متحدثة بنعمة الله عليها لقد اعطيت تسعا ما اعطيتهن امراة لقد نزل جبريل
بصورتى فى راحته حين امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتزوجنى ولقد تزوجنى
بكرا وما تزوج بكرا غيرى ولقد توفى وان راسه لفى حجرى ولقد قبر فى بيتى وان
الوحى ينزل فى اهله فيفرقون منه وان كان لينزل عليه وانا معه فى لحاف واحد وانى
خليفته وصديقه ولقد نزلت براتى من السما ولقد خلقت طيبة عند طيب ولقد
وعدت مغفرة ورزقا كريما قيل وفى هذه الغزاة فقدت عايشة رضى الله تعالى
عنها عقدها ايضا فاحتبسوا على طلبه اى فارسل صلى الله عليه وسلم فى طلبه رجلين
من المسلمين اى احدهما اسيد بن حضير فحضرت الصلاة اى صلاة الصبح وكانوا
على غير ما زاد فى رواية وليس معهم ما فنزلت اية التيمم وهذا القيل نقله امامنا
الشافعى رضى الله تعالى عنه عن عدة من اهل المغازى اى وعليه يكون سقط عقدها
فى تلك الغزاة مرتين لاختلاف القضيتين باختلاف سياقهما والصحيح ان
ذلك كان فى غزوة اخرى اى متاخرة عن هذه الغزوة فعن عايشة رضى الله عنها
قالت لما كان من امر عقدى ما كان وقال اهل الافك ما قالوا خرجت مع النبى صلى الله
عليه وسلم فى غزوة اخرى فسقط ايضا عقدى حتى حبس التماسه الناس اى فانه
صلى الله عليه وسلم بعث رجالا فى طلبه وهولاء يخالف ما سبق انه صلى الله عليه وسلم ارسل
فى طلبه رجلين وطلع الفجر فلقيت من ابى بكر ما شا الله اى لان الناس جاوا الى ابى وشكوا
له ما نزل بهم فجا اليها ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع راسه الشريف على فخذها
قد نام فقال لها حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ما وليس معهم
ما فجعل يطعن بيده فى خاصرتها ويقول يا بنية فى كل سفرة تكونين عنا وبلا وليس مع الناس
ما قالت فلا يمنعنى من التحرك الا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذى اى لانه

صلى الله

صلى الله عليه وسلم كان اذا نام لا يوقظه احد حتى يكون هو يستيقظ لانه لا يدرون ما
يحدث له فى نومه فنام حين اصبح وفى لفظ فاستيقظ وحضرت الصبح فالتمس
الما فلم يجد فانزل الله تعالى الرخصة بالتيمم وفى لفظ فانزل الله تعالى اية التيمم وفى
لفظ فانزل الله تعالى اية التيمم اى التى فى المايدة ففى بعض الروايات فنزلت يا ايها الذين
امنوا اذا قمتم الى الصلاة الاية وقيل المراد بالاية اية النسا لان اية المايدة تسمى اية الوضوء
واية النسا لا ذكر للوضوء فيها فيتجه تسميتها باية التيمم وكلام الواحدى فى اسباب
النزول يدل عليه فقال ابو بكر عند ذلك والله يا بنية انك لما علمت مباركة اى وقال لها صلى
الله عليه وسلم ما اعظم بركة قلادتك وقال اسيد بن حضير ما هذا باول بركتكم يا ال
ابى بكر اى وفى رواية انه قال لها جزاك الله خيرا فما نزل بك امر تكرهينه الا جعل الله
منه مخرجا وللمسلمين فيه خيرا اى وهذا يقتضى تكرر وقوع ما تكرهه وان فى ذلك
خيرا للمسلمين فليتامل وفى لفظة قال اسيد بن حضير لقد بارك الله للناس فيكم
يا ال ابى بكر ما انتم الا بركة لهم قال الحافظ ابن حجر وانما قال اسيد بن حضير ما قال دون
غيره لانه كان راس من بعث فى طلب العقد اى بل تقدم فى بعض الروايات الاقتصار
على بعثه لطلب ذلك قالت فبعثنا البعير الذى كنت عليه اى اقمناه من مبركه فوجدنا
العقد تحته اقول فى النور اعلم ان العقد سقط مرتين كان لها ومرة كان لاختها اسما استعا
وبهذا يجمع بين الاحاديث التى فى المسيلة هذا كلامه فليتامل وينظر ما الاحاديث ما
هى اى وكون هذا العقد لاسما اختها لا يخالف ذلك قولها عقدى لان الاضافة تاتى لادنى
ملابسة اى فعقد اسما كان فى المراة الثانية وفى البخارى ايضا ان اية التيمم نزلت
بعد ان صلوا بلا وضو فعن عايشة رضى الله عنها انها استعارت من اسما قلادة فهلكت
اى ضاعت فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فوجدها فادركتهم الصلاة وليس
معهم ما فصلوا فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله اية التيمم وقد
ترجم البخارى عن تلك بقوله باب اذا لم يجد ما ولا ترابا وقوله فبعث رجلا فوجدها
يجوز ان يكون هذا الرجل هو الذى اقام البعير اى ومن جملتهم اقامه فلا يخالف ما سبق
ما يدل على ان الذى بعثهم فى طلبه لم يجدوه ثم رايت الحافظ ابن حجر قال وطريق الجمع بين
هذه الروايات ان اسيدا كان راس من بعث بذلك فلذلك سمى فى بعض الروايات دون
غيره وكذا استد الفعل الى واحد منهم وكانهم لم يجدوا العقد اولا فلما رجعوا ونزلت
اية التيمم وارادوا الرحيل واثاروا البعير وجده اسيد هذا كلامه قيل وفى هذه
الغزوة خرجا عن الطريق وادركهم الليل بقرب واد وعر فتسطح بيل والخبر ان
طايفة من كفار الجن بهذا الوادى يريدون كيده وايقاع الشر باصحابه فدعى بعلى

دعوة وامره بنزول الوادي فقتلهم قال الامام ابن تيمية وهذا من الاحاديث المكذوبة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى علي قال ابن تيمية ومن هذا ما روي عنه في عام
الحديبية انه قتل الجن في بير ذات العلم وهي بير في الجحفة وهو حديث موضوع عند
اهل المغازي اي **وجا** في سبب مشروعية التيمم عن ما ذكره **في** الطبراني عن اسلع قال
كنت اخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وارحل له ناقته فقال لي ذات يوم يا اسلع قم
فارحل فقلت يا رسول الله اصابتني جنابة اي ولا ما فسكت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاتاه جبريل باية الصعيد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا اسلع فتيمم فاراني
التيمم ثم رحلت له حتى مررنا فقال يا اسلع امسس هذا جلدك **وفي** الامتاع نزلت اية
التيمم طلوع الفجر فمسح المسلمون ايديهم بالارض ثم مسحوا بايديهم الى المناكب اي **ويحتاج**
ايضا الى الجواب عن هذه الرواية **وفي** هذه السنة الخامسة خسف القمر فصلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم باصحابه صلاة الخسوف حتى انجلى القمر وصارت اليهود تضرب
بالطساس ويقولون سحر القمر **غزوة الخندق** ويقال لها غزوة الاحزاب
اي وهي الغزاة التي ابتلى الله تعالى فيها عباده المؤمنين وثبت الايمان في قلوب اوليائه
المتقين اي واظهر ما كان يبطنه اهل النفاق والشقاق المعاندين وسببها انه لما
وقع اجلاء بني النضير من اماكنهم كما تقدم سار منهم جمع من كبرائهم منهم سيدهم **حيي**
بن اخطب ابو صفية ام المؤمنين وعظيمهم سلام بن مشكم وربيعهم كنانة بن ابي الحقيق
وهوذة بن قيس وابو عامر الفاسق الى ان قدموا مكة على قريش يدعونهم ويحرضونهم
على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستاصله اي ونكون
معكم على عداوته فقال ابو سفيان مرحبا واهلا واحب الناس الينا من اعاننا على عداوة
محمد زاد في رواية قالوا لهم لكن لا نامنكم الا ان تجعلوا لنا رهنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فقالت
قريش لاولئك اليهود يا معشر يهود انكم اهل الكتاب الاول والعلم اخبرونا عما اصبحنا
نختلف فيه نحن ومحمد افديننا خير ام دين محمد قالوا بل دينكم خير من دينه وانتم اولى بالحق
منه **وفي** رواية انحن اهدى سبيلا ام محمد فقالوا انتم اهدى سبيلا اي لانكم تعظمون
هذا البيت وتقومون على السقاية وتنحرون البدن وتعبدون ما كان يعبد اباؤكم
اي فانتم اولى بالحق منه فانزل الله فيهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون
بالجبت والطاغوت الايات فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطوا لما دعوهم اليه
من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند ذلك خرج من بطون قريش خمسون رجلا
وتحالفوا وقد الصقوا اكبادهم بالكعبة متعلقين باستارها ان لا يخذل بعضهم بعضا
ويكونوا كلهم يدا واحدة على محمد ما بقي منهم رجل وقد اشار الى ذلك صاحب الهمزية بقوله

في ابيات

في ابيات ذم فيها اليهود بامور بقوله

لا تكذب ان اليهود وقد زاغوا ... عن الحق معشر لؤماء
جحدوا المصطفى وآمن بالطا ... غوت قوم هم عندهم شرفاء
قتلوا الانبياء واتخذوا العجـ ... ـل الا انهم هم السفهاء
وسفيه من ساءه المن والسلـ ... ـوى وارضاه الفوم والقثاء
ملئت بالخبيث منهم بطون ... فهي نار طباقها الامعاء
لو اريدوا في حال سبت بخير ... كان سبتا لديهم الاربعاء
هو يوم مبارك قيل للتصر ... يف فيه من اليهود اعتداء
فبظلم منهم وكفر عدتهم ... طيبات في تركهن ابتلاء

اي لا تكذب اليهود والحال انهم قد مالوا عن الحق قوم لؤما واللئيم الدني الاصل الشحيح النفس
ومن عظيم لؤمهم انهم جحدوا نبوته صلى الله عليه وسلم ورسالته والحال انهم قد امن بالطاغوت
وهو كل ما عبد من دون الله ماخوذ من الطغيان قوم منهم عندهم شرفا وهم كفار قريش
ورد ان اليهود قتلوا في يوم واحد سبعين نبيا ومن جملة من قتلوا زكريا ويحيى واتخذوا
العجل الها يعبدونه ومن فعل ذلك لا سفيه غيره ومن ارضاه الفوم والقثاء بدل المن
وهو نوع من الحلوى والسلوى نوع من الطير سفيه بلا شك بالحرام كالربا بطون منهم
فبطونهم نار لاشتمالها على ما يؤدي الى تلك النار وطباق تلك النار المصارين لو اراد
الله لليهود في حال سبتهم الذي اختاروا تعظيمه خيرا لكان يوم الاربعاء يوم سبتهم
لانه يوم خلق فيه النور فاختيار يوم السبت دون يوم الاربعاء لسبتهم اي سكونهم
عما عدا العبادة دليل على انه لم يرد بهم الخير ويوم السبت ابتدا الله فيه خلق العالم
خلافا لهم حيث قالوا ان ذلك اي ابتدا الخلق كان يوم الاحد وفرغ من الخلق يوم الجمعة
واستراح يوم السبت قالوا فنحن نستريح فيه كما استراح الرب تعالى فيه قالوا فان الله
لا يقضي يوم السبت شيئا من خلق ولا رزق ولا رحمة ولا عذاب ولا احيا ولا اماتة ومن مات
يوم السبت يكون محي اسمه من اللوح قبل ذلك وقد كذبهم الله تعالى بقوله كل يوم هو في شان
فكان فيه منهم ظلم وعدوان لاجل التصريف فيه بغير العبادة فبسبب ظلم وكفر حاصل منهم
فيه فاتتهم طيبات كانت حلالا لهم فحرمها الله تعالى عليهم فكان في ذلك ابتلاهم **ونقل**
عن ابن حجر الهيتمي انه بحث استحباب صوم يوم الاربعا لما ذكر من انه خلق فيه النور فليتامل
ثم جا اولئك الى غطفان ودعوهم وحرضوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالوا لهم انا سنكون معكم وان قريشا تابعوكم على ذلك وجعلوا لهم تمر خيبر سنة ان هم
انتصروا فتجهزت قريش اي واتباعها من القبائل ○ وغطفان اي واتباعهم

وقائد قريش ابو سفيان بن حرب وكانوا اربعة الاف ومعهم ثلاثمائة فرس اى والف وخمسمائة
بعير وعقد اللواء في دار الندوة وحمله عثمان بن طلحة بن ابى طلحة المقتول والده
الذى هو طلحة يوم احد وكذا عماه اى عما عثمان بن ابى طلحة وهو ابو شيبة كما تقدم فشيبة
ابن عم عثمان بن طلحة وقتل يوم احد اخوة عثمان بن طلحة الاربعة وهم مسافع بن
طلحة والحارث بن طلحة وكلاب بن طلحة والجلاس بن طلحة وعثمان بن طلحة هذا اى الحامل
لواء قريش اسلم بعد ذلك ويقال له الحجبى لانه كان من بنى عبد الدار وهم سدنة الكعبة وبنوا
عبد الدار كان لهم ولابيهم حمل لواء قريش عند الحرب دون غيرهم كما تقدم وقائد غطفان عيينة
ابن حصن الفزارى في بنى فزارة اى وهم الف وعيينة اسلم بعد ذلك ثم ارتد بعد الاسلام
واخذ اسيرا في زمن خلافة الصديق ثم اسلم وكان يتبعه قبل اسلامه
عشرة الاف قناة وكان عنده جفوة وغلظة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم في حقه
الاحمق المطاع وقال فيه ان شر الناس من ودعه الناس اتقاء شره وقائد بنى مرة اى وهم
اربعمائة الحارث بن عوف المرى واسلم بعد ذلك اى وقيل لم تحضر بنو مرة وقائد بنى
اشجع ابو مسعود بن رخيلة بضم الراء وفتح الخاء المعجمة واسلم بعد ذلك اى وقائد بنى
سليم وهم سبعمائة سفيان بن عبد شمس لا يعلم اسلامه اى وقائد اسد طليحة بن
خويلد الاسدى واسلم بعد ذلك اى بعد ان كان ارتد بعد اسلامه ثم حسن
اسلامه وكانت اشجع وبنى اسد تتمة العشرة الاف فقد قال بعضهم كانت
الاحزاب عشرة الاف وهم ثلاث عساكر وملاك امرها لابى سفيان اى المدبر لامرها
والقائم بشأنها ولما تهيأت قريش للخروج اتى ركب من خزاعة في اربع ليال حتى
اخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بما
اجمعوا عليه ندب الناس اى دعاهم واخبرهم خبر عدوهم وشاورهم في امرهم اى
وقال لهم هل نبرز من المدينة او نكون فيها فاشير عليه بالخندق اى اشار عليه بذلك
سلمان الفارسى فقال يا رسول الله انا كنا بارض فارس اذا تخوفنا الخيل خندقنا
علينا اى فان ذلك كان من مكايد الفرس واول من فعله من ملوك الفرس ملك كان
في زمن موسى بن عمران صلوات الله وسلامه عليه فاعجبهم ذلك فضرب على المدينة
الخندق اى وعند ذلك ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا له ومعه عدة من
المهاجرين والانصار فارتاد موضعا ينزله وجعل سلعا خلف ظهره وامرهم بالجد
ووعدهم النصر ان هم صبروا فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المسلمين اى وحمل
التراب على ظهره الشريف ودأب المسلمون يبادرون قدوم العدو قال واستعاروا
من بنى قريظة آلة كثيرة من مساحى وكرازين ومكاتل وكان ممن جعل من يعمل في الخندق

جعال

جعال او جعيل بن سراقة وكان رجلا دميما قبيح الوجه صالحا من اصحاب الصفة
وهو الذى تمثل به الشيطان يوم احد وقال ان محمدا قد قتل كما تقدم فغير صلى الله
عليه وسلم اسمه يومئذ وسماه عمرا فجعل المسلمون يرتجزون ويقولون

سماه من بعد جعيل عمرا ... وكان للبائس يوما ظهرا

وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قالوا عمرا قال عمرا واذا قالوا ظهرا قال ظهرا
انتهى اى وسياق اسد الغابة يدل على ان هذا الذى غير رسول الله صلى الله
عليه وسلم اسمه وسماه عمرا غير جعيل المذكور وحصل للصحابة تعب وجوع لانه
كان في زمن عسرة وعام مجاعة ولما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما باصحابه
من النصب والجوع قال متمثلا بقول ابن رواحة اللهم لا عيش الا عيش الاخرة
فارحم الانصار والمهاجرة قيل وانما قال ابن رواحة لاهم ان العيش من غير الف
ولام فغيره صلى الله عليه وسلم على ما هو عادته على ما تقدم وفي لفظ اللهم
لا خير الا خير الاخرة فبارك في الانصار والمهاجرة وفي لفظ فاكرم الانصار
والمهاجرة وتقدم في بناء المسجد اللهم ان الاجر اجر الاخرة فارحم الانصار والمهاجرة
زاد في الامتاع اللهم العن عضلا والقاره فهم كلفونا انقل الحجارة وفي لفظ هم كلفونا
ننقل الحجارة قال الحافظ ابن حجر ولعله كان والعن المعضلا والقاره اى والتغيير
منه صلى الله عليه وسلم وفي لفظ اللهم لا خير الا خير الاخرة فارحم المهاجرين والانصاره
وفي لفظ فانصر الانصار والمهاجرة واجابوه بقولهم

نحن الذين بايعوا محمدا ... على الجهاد ما بقينا ابدا

وقال صلى الله عليه وسلم ايضا متمثلا بقول ابن رواحة وهو ينقل التراب وقد وارى الغبار
جلدة بطنه الشريفة

اللهم لولا انت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا
فانزلن سكينة علينا ... وثبت الاقدام ان لاقينا
والمشركون قد بغوا علينا ... وان ارادوا فتنة ابينا

يمد بها صوته مكررا لها ابينا ابينا قيل ولما بدا بالحفر في الخندق قال

باسم الاله وبه بدينا ... ولو عبدنا غيره شقينا
يا حبذا ربا وحب دينا

وفي الامتاع انه صلى الله عليه وسلم قال ما تقدم عنه في بناء المسجد وهو هذا الحمال لا حمال
خيبر هذا ابر ربنا واطهر وتقدم الكلام عليه وعلى انشاد الشعر في الكلام على
بناء المسجد اى ورأيت ان عمار بن ياسر حين كان يحفر في الخندق جعل رسول الله صلى الله

عليه وسلم يمسح رأسه ويقول ابن سمية تقتلك الفئة الباغية اى كما تقدم له فى بنا المسجد وصار الشخص منهم اذا نابته النائبة من الحاجة التى لابد له منها يذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله ويستاذنه فى اللحوق بها فاذا قضى حاجته رجع الى ما كان عليه من عمله رغبة فى الخير وتباطى رجال من المنافقين وجعلوا يورون بالضعف وصار الواحد منهم يتسلل الى اهله من غير استيذان له صلى الله عليه وسلم اى وكان زيد بن ثابت ممن ينقل التراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حقه اما انه نعم الغلام وغلبته عينه فنام فى الخندق فاخذ عمارة بن حزم سلاحه وهو نائم فلما قام فزع على سلاحه فقال له صلى الله عليه وسلم يا بارق قد نمت حتى ذهب سلاحك ثم قال من له علم بسلاح هذا الغلام فقال عمارة انا يا رسول الله وهو عندى فقال رده عليه ونهى ان يروع المسلم ويؤخذ متاعه لاعبا **والنهى** استند ايمتنا فى تحريم اخذ متاع الغير مع عدم علمه بذلك **واشتد** على الصحابة فى حفر الخندق كدية اى محل صلب فشكوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ المعول وضرب فعادت كثيبا اهيل او اهيم اى رملا سائلا **وفى** رواية انه صلى الله عليه وسلم دعى بما فتفل عليه ثم دعا بما شا ان يدعو به ثم نضح ذلك الما اى رشه على تلك الكدية قال بعض الحاضرين فوالذى بعثه بالحق لانها لنحتى عادت كالكثيب اى الرمل ما ترد فاسا ولامسحاة وهى المجرفة من الحديد اى وكان ابو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما ينقلان التراب فى ثيابهما اذ لم يجدا مكاتل من العجلة ه **وعن** سلمان الفارسى قال ضربت فى ناحية الخندق فغلظت على ورسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا منى فلما رانى اضرب وراى شدة المكان على نزل فاخذ المعول من يدى فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة ثم ضرب اخرى فلمعت تحته برقة اخرى ثم ضرب به الثالثة فلمعت برقة اخرى فقلت بابى انت وامى يا رسول الله ما هذا الذى رايت يلمع تحت المعول وانت تضرب قال او قد رايت ذلك يا سلمان قال قلت نعم قال اما الاولى فان الله فتح على بها اليمن واما الثانية فان الله فتح على بها الشام والمغرب واما الثالثة فان الله فتح على بها المشرق **قال** وقد ذكر ان سلمان تنافس فيه المهاجرون والانصار فقال المهاجرون سلمان منا وقالت الانصار سلمان منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمان منا اهل البيت والى ذلك يشير بعضهم بقوله

لقد رقى سلمان بعد رقه … منزلة شامخة البنيان
وكيف لا والمصطفى عده … من اهل بيته العظيم الشان

وانما وقع التنافس فى سلمان لانه كان رجلا قويا يعمل عمل عشرة رجال فى الخندق

اى فكان

اى فكان يحفر فى كل يوم خمسة اذرع فى عمق خمسة اذرع **حتى** اصيب بالعين اصابه بالعين قيس بن صعصعة فلبط به اى بلام مضمومة فموحدة مكسورة فطا مهملة صرع فجاه وتعطل عن العمل فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فقال صلى الله عليه وسلم مروه فليتوضا وليغتسل ويكفا الانا خلفه ففعل فكانما نشط اى حل من عقال **وفى** لفظ فامر ان يتوضى قيس لسلمان ويجمع وضوءه فى ظرف ويغتسل سلمان بذلك الغسالة ويكفا الانا خلفه ظهره وذكر انه لما اشتدت تلك الكدية على سلمان اخذ صلى الله عليه وسلم المعول من سلمان وقال بسم الله وضرب ضربة فكسر ثلثها وبرقت برقة فخرج نور من قبل اليمن كالمصباح فى جوف ليل مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اعطيت مفاتيح اليمن فقطع لاتى ابصر ابواب صنعا من مكانى الساعة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا اخر وبرق منها برقة اخرى فخرج نور من قبل الروم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اعطيت مفاتيح الشام والله انى لابصر قصورها اى **وزاد** فى رواية الحمر ثم ضرب الثالثة فقطع بقية الحجر وبرق برقة فكبر وقال اعطيت مفاتيح فارس والله انى لابصر قصور الحيرة ومداين كسرى كانها انياب الكلاب من مكانى هذا اى **وفى** رواية لانى لابصر قصر المداين الابيض الآن وجعل يصف لسلمان اماكن فارس وسلمان يقول صدقت يا رسول الله هذه صفتها اشهد انك رسول الله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه فتوح يفتحها الله بعدى يا سلمان انتهى اى **وعند** ذلك قال جمع من المنافقين منهم معتب بن قشير الا تعجبون من محمد يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومداين كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق اى الخوف لا تستطيعون ان تبرزوا **فانزل** الله تعالى قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشا الاية وقيل فى سبب نزولها انه صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة وعد امته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم وهم اعز وامنع من ذلك **ولما** فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق اقبلت قريش ومن معها وكانوا عشرة الاف كما تقدم فنزلت قريش بمجتمع الاسيال وغطفان ومن معهم الى جانب احد وكان المسلمون ثلاثة الاف اى وقال ابن اسحاق سبعماية ووهم فى ذلك وقال ابن حزم انه الصحيح الذى لا شك فيه ولا وهم وعسكر بهم صلى الله عليه وسلم الى سفح سلع وهو جبل فوق المدينة اى فجعل ظهر عسكره الى سلع كما تقدم والخندق بينه وبين القوم اى وضربت له قبة من ادم **قال** وكان صلى الله عليه وسلم

يشير

يعقب فيما بين ثلاثة من نسائه عائشة وام سلمة وزينب بنت جحش فتكون عائشة عنده
اياما اى فانه مكث فى عمل الخندق بضعة عشر ليلة وقيل اربعا وعشرين ليلة اى
وقيل قريبا من شهر وقيل شهرا قال بعضهم وكونه قريبا من شهر هو الثبت الا ق وقيل
وقيل الثبت الاقا وقيل انها كانت خمسة عشر يوما وبه جزم النووى فى الروضة وسائر
نسائه صلى الله عليه وسلم فى بنى حارثة وجعل النسا والذرارى فى الاطام وعرض
الغلمان وهو يحفر الخندق وكانوا باجمعهم من بلغ ومن لم يبلغ يعملون فيه فلما
التحم الامر امر من لم يبلغ خمس عشرة سنة ان يرجع الى اهله واجاز من بلغ خمس عشرة
سنة فممن اجازه عبد الله عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت وابو سعيد الخدرى والبرا
ابن عازب رضى الله عنهم انتهى وشبكوا المدينة بالبنيان من كل ناحية فصارت
كالحصن **وفى كلام** بعضهم كان احد جوانب المدينة عورة وسائر جوانبها
مشتبكة بالبنيان والنخيل لا يتمكن العدو منه فاختار ذلك الجانب للخندق واستخلف
على المدينة ابن ام مكتوم وارسل سليطا وسفيان بن عوف طليعة للاحزاب فقتلوهما
فاتى بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفنهما فى قبر واحد فهما الشهيدان القرينان
واعطى لوا المهاجرين لزيد بن حارثة ولوا الانصار لسعد بن عبادة **وبعث**
سلمة بن اسلم فى مايتى رجل وزيد بن حارثة فى ثلثمائة رجل يحرسون المدينة ويظهرون
التكبير تخوفا على الذرارى من بنى قريظة اى لما بلغهم انهم نقضوا ما بينه وبينهم من
العهد كما سيأتى اى وانهم يريدون الاغارة على المدينة فان حيى بن اخطب ارسل الى قريش
ان يأتيه منهم بالف رجل والى غطفان ان يأتيه منهم الف اخرى ليغيروا على المدينة
وجا الخبر بذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظم البلا وصار الخوف على الذرارى
اشد من الخوف على اهل الخندق **ولما** نظر المشركون الى الخندق قالوا والله ان هذه لمكيدة
ما كانت العرب تكيدها وصار المشركون يتناوبون فيغدو ابو سفيان فى اصحابه يوما
ويغدو هبيرة بن ابى وهب يوما ويغدو عكرمة بن ابى جهل يوما ويغدو ضرار بن الخطاب
يوما فلا يزالون يجيلون خيلهم ويفترقون مرة ويجتمعون اخرى ويناوشون اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم اى يتقربون منهم ويقدمون رجالهم فيرمون ومكثوا على
ذلك المدة المتقدمة ولم يكن بينهم حرب الا الرمى بالنبل والحصار **وفى** تلك المدة
اقبل نوفل بن عوف عبد الله بن المغيرة على فرس له ليوثبه الخندق فوقع فى الخندق
فقتله الله اى اندقت عنقه **وفى** لفظ واما نوفل بن عبد الله فضرب فرسه
ليدخل الخندق فوقع فيه مع فرسه فتحطما جميعا وقيل بالحجارة فجعل يقول قتلة
احسن من هذه يا معشر العرب فنزل اليه على فقتله اى ضربه بالسيف فقطعه

تضعيفين

تضعيفين وكبر ذلك على المشركين فارسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا نعطيك الدية
على ان تدفعوه الينا فندفنه فرد عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بانه خبيث الدية فلعنه
الله ولعن ديته ولا يمنعكم ان تدفنوه ولا ارب اى غرض لنا فى ديته وقيل اعطوا فى جثته
عشرة آلاف اى **وفى** رواية انهم ارسلوا اليه صلى الله عليه وسلم ان ابعث الينا بجسده
ونعطيك اثنى عشر الفا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير فى جثته ولا فى ثمنه
ادفعوه اليهم فانه خبيث الجثة خبيث الدية **وفى** لفظ انما هى جيفة حمار ثم ان عدو الله
حيى بن اخطب سيد بنى النضير كان يقول لقريش فى مسيره معهم ان قومى بنى قريظة
معكم وهم اهل حلقة واقرة وهم سبعماية مقاتل وخمسون مقاتل فقال له ابو سفيان
ايت قومك حتى ينقضوا العهد الذى بينهم وبين محمد فعند ذلك خرج حتى اتى كعب بن اسد
القرظى سيد بنى قريظة وولى عهدهم الذى عاهدهم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم اى المتقدم
ذكره فدق عليه باب حصنه فابى ان يفتح له والح عليه فى ذلك فقال له ويحك يا حيى انك
امرؤ مشؤوم وانى قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بينى وبينه ولم ار منه الا وفا وصدقا
فقال له ويحك افتح لى اكلمك فقال ما انا بفاعل فاغاظه فقال له والله ما اغلقت دونى الا
تخوفا على جشيشتك اى بالجيم المفتوحة والشين المعجمة وهى البر يطحن غليظا ويقال
له الدشيشة ان آكل معك منها ففتح له فقال ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر جئتك بقريش
انزلتهم بمجمع الاسيال وبغطفان حتى انزلتهم الى جانب احد قد عاهدونى وعاقدونى ان لا
يبرحوا حتى يستأصلوا محمدا ومن معه فقال له كعب جئتنى والله بذل الدهر وكلما يغشى
فانى لم ار فى محمد الا صدقا ووفا **وفى** لفظ جئتنى بجهام اى سحاب قد هراق ماءه اى
لا ماء فيه يرعد ويبرق وليس فيه شئ ويحك يا حيى دعنى وما انا عليه فلم يزل حيى بكعب
حتى اعطاه عهدا من الله وميثاقا لئن رجعت قريش وغطفان ولم يقتلوا محمدا ان يكون
معه فى حصنه ويصيبه ما اصابه فعند ذلك نقض كعب العهد وبرئ مما كان بينه
وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ومزقوا الصحيفة التى كان فيها العقد وجمع رؤسا
قومه وهم الزبير بن باطا وشاس بن قيس وعزال بن ميمون وعقبة بن زيد واعلمهم بما
صنع من نقض العهد وشق الكتاب الذى كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلحم
الامر لما اراد الله من هلاكهم وكان حيى بن اخطب فى اليهودية كابى جهل فى قريش فلما انتهى
الخبر بذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اى اخبره بذلك عمر بن الخطاب فقال يا رسول
الله بلغنى ان بنى قريظة قد نقضت العهد وحاربت فاشتد الامر على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وشق عليه ذلك وارسل سعد بن معاذ سيد الاوس وسعد بن
عبادة سيد الخزرج وارسل معهما ابن رواحة وخوات بن جبير اى واسقطهما فى

في الامتناع وذكر بدلهما اسيد بن حضير وقال لهم انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن
هؤلاء القوم فان كان حقا فالحنوا لي لحنا اعرفه دون القوم اي وروّا وكنوا في كلامكم بما
لا يفهمه القوم اي لئلا يحصل لهم الوهن والضعف والا فاجهروا بذلك للناس فان اللحن
العدول بالكلام عن الوجه المعروف عند الناس الى وجه لا يعرفه الا صاحبه كما ان اللحن
الذي هو الخطأ عدول عن الصواب المعروف ومنه قول القائل وخير الحديث ما كان لحنا
فخرجوا حتى اتوا بني قريظة فوجدوهم قد نقضوا العهد ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي قالوا من رسول الله وتبرؤوا من عقده وعهده وقالوا لا عهد بيننا وبين محمد فشاتمهم سعد
ابن معاذ وهم حلفاؤه وقيل سعد بن عبادة اي وكان فيه حدة وشاتموه اي ولا مانع
من وجود الامرين وقال سعد بن معاذ لسعد بن عبادة او بالعكس دع عنك مشاتمتهم
فما بيننا وبينهم اربى اي اقوى من المشاتمة ثم اقبل السعدان ومن معهما الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فكنوا له عن نقضهم العهد اي قالوا عضل والقارة اي غدروا كغدر عضل
والقارة باصحاب الرجيع وسيأتي الخبر بذلك في السرايا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله
اكبر اي وقال ابشروا يا معشر المسلمين بنصر الله تعالى وعونه وتقنع صلى الله عليه وسلم بثوبه
واضطجع ومكث طويلا فاشتد على الناس البلاء والخوف حين رأوه صلى الله عليه وسلم اضطجع
ثم رفع رأسه فقال ابشروا بفتح الله ونصره اي ولعل هذا اي ارسال السعدين ومن معهما
كان بعد ارساله صلى الله عليه وسلم الزبير اليهم ليأتي بخبرهم هل نقضوا العهد استثباتا
للامر فعن عبد الله بن الزبير قال كنت يوم الخندق الاحزاب انا وعمر بن ابي سلمة مع النساء
في اطم حسان بن ثابت اي وكان حسان مع النساء ومن جملتهم صفية بنت عبد
المطلب واتفق ان يهوديا جعل يطوف بذلك الحصن فقالت صفية لحسان يا حسان
ما آمن هذا اليهودي ان يدلهم على عورة الحصن فيأتون الينا فانزل فاقتله فقال حسان
يا بنت عبد المطلب قد عرفت ما انا بصاحب هذا فقالت فلما ايست منه اخذت عمودا اه
ونزلت ففتحت باب الحصن واتيته من خلفه فضربته بالعمود حتى قتلته وصعدت الحصن
فقلت يا حسان انزل اليه فاسلبه فانه لم يمنعني من سلبه الا انه رجل فقال يا ابنة
عبد المطلب ما لي بسلبه حاجة اي وهذا يدل على ما قيل ان حسان بن ثابت كان من
اجبن الناس كما تقدمت قال عبد الله بن الزبير فنظرت فاذا الزبير على فرسه يختلف
الى بني قريظة مرتين او ثلاثا فلما رجعت قلت يا ابت رأيتك تختلف الى بني قريظة
قال رأيتني يا بني قلت نعم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يأتي بني قريظة
فيأتيني بخبرهم فلما رجعت جمع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ابويه فقال فداك ابي وامي
اخرجه الشيخان اي وفي كلام ابن عبد البر ثبت عن الزبير انه قال جمع لي رسول الله صلى

الله

الله عليه وسلم ابويه مرتين يوم احد ويوم بني قريظة فقال ارم فداك ابي وامي ولعل
ذلك كان في احد وقال ان لكل نبي حواريا وان حواري الزبير وقال الزبير ابن عمتي وحواريّ
من امتي ويذكر ان الزبير كان له الف مملوك يؤدون اليه الخراج وكان يتصدق
بذلك كله ولا يدخل بيته من ذلك درهما واحدا وذلك من اعلام نبوته فقد جاء
انه لما نزل قوله تعالى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم قال له الزبير يا رسول الله اي نعيم نسأل
عنه وانما هما الاسودان التمر والماء قال اما انه سيكون وقد جعله سبعة من الصحابة
وصيا على اولادهم فكان يحفظ على اولادهم مالهم وينفق عليهم من ماله وهؤلاء السبعة
منهم عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف والمقداد وابن مسعود وعظم عنده صلى
الله عليه وسلم ذلك البلاء على المسلمين لما وصل اليهم الخبر اي خبر نقض قريظة العهد
ولا منافاة بين بلوغهم الخبر وما تقدم من عدم الافصاح به لانهم جاءهم عدوهم من فوقهم
ومن اسفل منهم حتى ظن المسلمون كل الظن وانزل الله تعالى اذ جاءوكم من فوقكم ومن
اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وظهر النفاق من المنافقين
حتى قال بعضهم كان محمد يعدنا ان نأكل كنوز كسرى وقيصر واحدنا اليوم لا يأمن على
نفسه ان يذهب الى الغائط ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا فانزل الله تعالى واذ يقول
المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا ولما رأى رسول
الله صلى الله عليه وسلم شدة الامر بعث الى عيينة بن حصن الفزاري والى الحارث بن
عوف المري في ان يعطيهما ثلث ثمار المدينة على ان يرجعا بمن معهما عنه فجاءا مستخفيين
من ابي سفيان فوافقاه على ذلك اي بعد ان طلبا النصف فابى عليهما الا الثلث
فرضيا وكتبا بذلك صحيفة اي وفي رواية احضرت الصحيفة والدواة ليكتب
عثمان بن عفان رضي الله عنه الصلح فلما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يوقع الصلح
على ذلك بعث الى رسولي سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فذكر ذلك لهما واستشارهما
فيه فقالا يا رسول الله امرا تحبه فنصنعه لنا اي وفي لفظ ان كان امرا من السماء فامض
له وان كان امرا لم تؤمر به ولك فيه هوى فسمع وطاعة وان كان انما هو الرأي فما لهم
عندنا الا السيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو امرني الله ما شاورتكما والله
ما اصنع ذلك الا اني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب
فاردت ان اكسر شوكتهم الى امر ما فقال له سعد بن معاذ يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء
القوم اي غطفان على الشرك بالله وعبادة الاوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم
لا يطمعون ان يأكلوا منا ثمرة الا قرى او بيعا اي وان كانوا ليأكلون العلهز في الجاهلية
من الجهد افحين اكرمنا الله بالاسلام وهدانا له واعزنا بك وبه نعطيهم اموالنا

اي وفي لفظ نعطي الدية ما لنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا
وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانت وذاك فاخذ سعد الصحيفة فمحى ما فيها
من الكتابة اي وهذا انما يناسب الرواية الاولى وكذا ما جاء في لفظ فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم شق الكتاب فشقه سعد وقال لعيينة والحارث ارجعوا بيننا وبينكم السيف
رافعا صوته بمرة قال لسعد ليجهدوا علينا ثم ان طائفة من المشركين اقبلوا اي واكرهوا
خيولهم على اقتحام الخندق من مضيق به ه وفيهم عكرمة بن ابي جهل رضي الله عنه فانه
اسلم بعد ذلك وفيهم هبيرة بن وهب اي وهو زوج ام هاني اخت علي رضي الله عنهما
وابو اولادها مات على كفره وضرار بن الخطاب وعمرو بن عبد ود اي وقتل ونوفل بن
عبد الله وكان عمرو بن ود عمره اذ ذاك تسعين سنة فقال من يبارز فقام علي وقال
انا له يا نبي الله فقال صلى الله عليه وسلم له اجلس انه عمرو وتكرر عمرو النداء وجعل يوبخ المسلمين
ويقول اين جنتكم التي تزعمون انه من قتل منكم دخلها افلا تبرزون لي رجلا فقام علي فقال
انا يا رسول الله فقال له اجلس انه عمرو ثم نادى الثالثة فقام علي فقال انا يا رسول الله
فقال انه عمرو فقال وان كان عمرا فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم واعطاه سيفه اي ذا
الفقار والبسه درعه الحديد وعممه بعمامته وقال اللهم اعنه عليه اي وفي لفظ
اللهم هذا اخي وابن عمي فلا تذرني فردا وانت خير الوارثين زاد في رواية انه صلى الله
عليه وسلم رفع عمامته الى السما وقال الهي اخذت عبيدة مني يوم بدر وحمزة يوم
احد وهذا علي اخي وابن عمي الحديث فمشى اليه علي فقال له يا عمرو انك كنت عاهدت
الله لا يدعوك رجل من قريش الى احدى خلتين اي خصلتين الا اخذتها منه قال له
اجل اي نعم فقال علي فاني ادعوك الى الله والى رسوله صلى الله عليه وسلم والى الاسلام
فقال لا حاجة لي بذلك قال له علي فاني ادعوك الى البراز قال وفي رواية انك كنت
تقول لا يدعوني احد الى واحدة من ثلاث الا قبلتها قال اجل فقال علي فاني ادعوك
ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتسلم لرب العالمين فقال يا ابن اخي
اخر عني هذه قال واخرى ترجع الى بلادك فان يك محمد صادقا كنت اسعد الناس به
وان يك كاذبا كان الذي تريد قال هذا ما لا تتحدث به نساء قريش ابدا كيف وقد
قدرت على استيفاء ما نذرت اي فانه نذر لما افلت هاربا يوم بدر وقد جرح ان لا
يمس رأسه دهنا حتى يقتل محمدا قال فالثالثة قال ما هي قال البراز فضحك عمرو
وقال ان هذه لخصلة ما كنت اظن ان احدا من العرب يرومني بها انتهى ثم قال له عند
طلب المبارزة لم يا ابن اخي فوالله ما احب ان اقتلك فقال علي لكني والله احب
ان اقتلك فحمي عمرو عند ذلك اي اخذته الحمية وفي رواية ان عمرا قال له من انت اي

لان

لان عليا كان مقنعا بالحديد رضي الله عنه فقال له علي قال ابن عبد مناف قال انا علي بن ابي
طالب فقال غيرك يا ابن اخي من اعمامك من هو اشد منك فاني اكره ان اهريق
اي اسيل دمك اي وزاد في رواية فان اباك كان لي صديقا اي وفي لفظ كنت
نديما له فقال له علي وانا والله ما اكره ان اهريق دمك فغضب فقال له علي كيف اقاتلك
وانت على فرسك ولكن انزل معي فاقتحم عن فرسه وسل سيفه كانه شعلة نار فعقر
فرسه وضرب وجهه واقبل على علي رضي الله عنه فاستقبله علي بدرقته فضربه عمرو
فيها فقدها واثبت فيها السيف واصاب رأسه فشجه فضربه علي على حبل عاتقه
اي وهو موضع الرداء من العنق فسقط وكبر المسلمون فلما سمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم التكبير عرف ان عليا قتل عمرا اي وذكر بعضهم ان النبي صلى الله
عليه وسلم عند ذلك قال قتل علي لعمرو بن ود افضل من عبادة الثقلين قال الامام
ابو العباس بن تيمية وهذا من اصحاب الاحاديث الموضوعة التي لم ترد في شيء من الكتب
التي يعتمد عليها ولا بسند ضعيف وكيف يكون قتل كافر افضل من عبادة الانس
والجن ومنهم الانبياء قال بل ان عمرو بن ود هذا لم يعرف له ذكر الا في هذه الغزاة اقول
ويرد قوله ان عمرو بن ود هذا لم يعرف له ذكر الا في هذه الغزاة قول الاصل وكان عمرو
ابن ود قد قاتل يوم بدر حتى اثبتته الجراحة فلم يشهد يوم احد فلما كان يوم الخندق
خرج معلما اي جعل له علامة يعرف بها ليرى مكانه اي ويرده ايضا ما تقدم من انه
نذر ان لا يمس رأسه دهنا حتى يقتل محمدا او استه لا له يقوله وكيف يكون الى اخره
فيه نظر لان قتل هذا كان فيه نصرة للدين وخذلان للكافرين وفي تفسير الفخر انه
صلى الله عليه وسلم قال لعلي بعد قتله لعمرو بن ود كيف وجدت نفسك معه يا علي قال
وجدته لو كان اهل المدينة كلهم في جانب وانا في جانب لقدرت عليهم وفي كلام
السهيلي ولما اقبل علي بعد قتله لعمرو بن ود على رسول الله وهو متهلل قال له عمر بن
الخطاب رضي الله عنه هلا سلبته درعه فانه ليس في العرب خير منها قال اني حين ضربته
استقبلني بسوءته فاستحييت يا ابن عمي ان اسلبه هذا كلامه وعندي ان هذا
اشتباه من بعض الرواة لان هذه الواقعة لعلي رضي الله عنه انما كانت في يوم احد مع
طلحة بن ابي طلحة كما تقدم وعمرو بن ود لم يشهد احدا كما تقدم عن الاصل فليتأمل
قال وذكر ابن اسحاق ان المشركين بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشترون جيفة
عمرو بعشرة آلاف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لكم ولا ناكل ثمن الموتى وحين
قتل عمرو رجع من وصل الخندق من المشركين بخيلهم هاربين فتبعهم الزبير وضرب
نوفل بن عبد الله بالسيف فشقه نصفين ووصلت الضربة الى كاهل فرسه فقيل

فقيل له يا ابا عبد الله ما راينا مثل سيفك فقال والله ما هو السيف ولكنها الساعد
اى وفيه انه تقدم ان نوفل بن عبد الله وقع فى الخندق واندقت عنقه الى اخر ما تقدم
لكن راى بعضهم قال ان وقوع نوفل فى الخندق ورميه بالحجارة وقتل على له غريب
من وجهين فليتامل وحمل الزبير على هبيرة بن وهب وهو زوج ام هانى اخت على بن
ابى طالب فضرب ثفر فرسه فقطعه وسقطت درع كان محقبها الفرس اى جعلها
على مؤخر ظهرها فاخذها الزبير والقى عكرمة بن ابى جهل رمحه وهو منهزم انتهى
اى وفى رواية ثم حمل ضرار بن الخطاب اخو عمر بن الخطاب وهبيرة بن وهب على على فاقبل
عليهما فاما ضرار فولى هاربا ولم يثبت ثم القى درعه وهرب وكان فارس قريش وشاعرها
وذكر ان ضرار بن الخطاب لما هرب تبعه عمر بن الخطاب وصار يشتد فى اثره فكر ضرار
راجعا وحمل على عمر بالرمح ليطعنه ثم امسك وقال يا عمر هذه نعمة مشكورة اثبتها
عليك ويد لى عندك غير مجزى بها فاحفظها اى ووقع له مع عمر مثل ذلك فى احد فانه
التقى معه فضرب عمر بالقناة ثم رفعها عنه وقال ما كنت لاقتلك يا ابن الخطاب فمن
الله على ضرار فاسلم وحسن اسلامه وكان شعار المسلمين حم لا ينصرون اى ولعل
المراد بالمسلمين الانصار فلا يخالف ما فى الامتاع وكان شعار المهاجرين يا خيل الله
وفيه خرجت طائفتان للمسلمين ليلا لا يشعر بعضهم ببعض ولا يظنون الا انهم
العدو فكانت بينهم جراحة وقتل ثم نادوا بشعار الاسلام حم لا ينصرون فكف
بعضهم عن بعض وقد يقال يجوز ان تكون الطائفتان كانتا من الانصار وجاؤوا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جراحكم فى سبيل الله ومن قتل فهو شهيد وبهذا
استدل ائمتنا على ان من قتله مسلم خطا فى الحرب يكون شهيدا ورمى سعد بن معاذ
بسهم قطع الاكحل وهو عرق فى الذراع يتشعب منه عروق البدن ولعله محل الفصد
الذى يقال له المشترك اى ويقال لهذا العرق عرق الحياة اى رماه ابن العرقة اسم جدته
سميت بذلك لطيب عرقها وقال خذها وانا ابن العرقة فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال عرق الله وجهه فى النار وقيل قائل ذلك سعد وعند ذلك قال سعد اللهم
ان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم يعنى قريشا فاجعلها لى شهادة ولا تمتنى حتى
تقر عينى اى وفى لفظ حتى تشفينى من بنى قريظة وفى لفظ اللهم ان كنت ابقيت من
حرب قريش شيئا فابقنى لها فانه لا قوم احب الى ان اجاهدهم من قوم اذوا رسولك واخرجوه
وكذبوه وفى يوم استمرت المقاتلة من سائر جوانب الخندق الى الليل ولم يصل صلى
الله عليه وسلم ولا احد من المسلمين صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء اى وصار
المسلمون يقولون ما صلينا فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا انا فلما انكشف

القتال جاء صلى الله عليه وسلم الى قبته وامر بلالا فاذن واقام الظهر فصلى ثم اقام بعد كل
صلاة اقامة اقامة وصلى هو واصحابه ما فاتهم من الصلوات وعن جابر بن عبد الله فامر
بلالا فاذن فاقام فصلى الظهر ثم امره فاذن واقام فصلى العصر ثم امره فاذن واقام
فصلى المغرب ثم امره فاذن واقام فصلى العشا اقول فى الرواية الاولى ما يشهد لقول
امامنا انه يندب ان يؤذن للاولى من الفوائت ويقيم لما عداها اذا قضاها متوالية وكونه
يؤذن للاولى من الفوائت هو ما ذهب اليه فى القديم وهو المفتى به وفى الرواية الثانية
دليل على انه يؤذن لكل من الفوائت اذا قضاها متوالية ولم يقل به امامنا فان راويها عن ابن
مسعود مرسلا لانه رواه عنه ابنه ابو عبيدة ولم يسمع منه لصغر سنه وروى امامنا
الشافعى باسناد صحيح عن ابى سعيد الخدرى قال حبسنا يوم الخندق حتى ذهب هوى اى
طائفة من الليل حتى كفينا وذلك قوله تعالى وكفى الله المؤمنين القتال فدعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بلالا فامره فاقام الظهر فصلاها كما كان يصلى ثم اقام العصر فصلاها
كذلك ثم اقام المغرب فصلاها كذلك ثم اقام العشا فصلاها كذلك اى وفى لفظ
فصلى كل صلاة كاحسن ما كان يصليها فى وقتها وهو دليل لعدم ندب الاذان للفائتة
وهو ما ذهب اليه امامنا الشافعى رضى الله عنه فى الجديد وهو مرجوح وجمع الامام
النووى فى شرح المهذب بين رواية الليل ورواية حتى ذهب هوى من الليل بانهما
قضيتان جرتا فى ايام الخندق قال فانها كانت خمسة عشر يوما اى على ما تقدم وفيه
انه كونهما قضيتين امر واضح لا خفاء فيه لان فى الاولى وفى يوم استمرت المقاتلة الى الليل
وفى الثانية حبسنا حتى كفينا القتال ومع ذلك كيف يظن انهما قضية واحدة حتى يحتاج
الى الجمع وظاهر مساق هذه الروايات انه صلى الله الاربع صلوات بوضوء واحد وبه
صرح البغوى فى تفسير سورة المائدة وحينئذ يحتاج للجمع بينه وبين ما ياتى
فى فتح مكة وروى الطحاوى واستدل به مكحول والاوزاعى على جواز تاخير الصلاة
لعذر القتال ان الشمس ردت له بعد ما غربت حين شغل عن صلاة العصر حتى صلى
العصر وذكر الامام النووى فى شرح مسلم ان رواته ثقات وفى البخاري
عن عمر بن الخطاب انه جاء يوم الخندق بعد ما كادت الشمس تغرب فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم والله ما صليتها يعنى العصر فنزلنا مع النبى صلى الله عليه وسلم بطحان فتوضا
للصلاة وتوضانا لها فصلى العصر بعد ما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب وهذه
الرواية تقتضى انه لم تفته الا العصر وانه صلاها بعد الغروب قال الامام النووى
رحمه الله وطريق الجمع ان هذا جاء فى بعض الروايات شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة
العصر حتى غابت الشمس ملا الله اجوافهم وفى لفظ بطونهم وقبورهم نارا والذى

في البخاري ومسلم وابي داود والنسائي والترمذي وقال حسن صحيح ملا الله عليهم بيوتهم وقبورهم نارا كما شغلونا عن صلاة الوسطى حتى غابت الشمس وقول الوسطى هي صلاة العصر هو قول من تسعة عشر قولا ذكرها الحافظ الدمياطي في مؤلف له سماه كشف المغطا عن الصلاة الوسطى وفي الينبوع ان كون الصلاة الوسطى هي العصر هو الذي اعتقده والله اعلم قال وجاء انه صلى الله عليه وسلم صلى المغرب فلما فرغ قال هل احد منكم علم اني صليت العصر قالوا يا رسول الله ما صليناها ولا انت فامر المؤذن فاقام الصلاة فصلى العصر ثم اعاد المغرب قيل وكان ذلك قبل ان تنزل صلاة الخوف فان خفتم فرجالا او ركبانا انتهى اقول يحتاج الى الجواب عن اعادة المغرب وقد يقال اعادها مع الجماعة وان قوله فان خفتم فرجالا او ركبانا يرشد الى ان المراد بصلاة الخوف صلاة شدته لا صلاة ذات الرقاع التي نزل فيها قوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة الاية كما تقدم فلا ينافي ما تقدم من صلاته في ذات الرقاع بنا على ما تقدم من صلاته في ذات الرقاع بناء على تقدمها على هذه الغزاة التي هي غزاة الخندق وحينئذ يندفع الاستدلال على ان ذات الرقاع متاخرة عن الخندق بقولهم ولم تكن شرعت صلاة الخوف اي صلاة ذات الرقاع والا لصلاها في الخندق فلم يخرج الصلاة عن وقتها لما علمت ان المراد بصلاة الخوف التي لم تشرع زمن الخندق صلاة شدته لا صلاة ذات الرقاع وسقط القول بان الاية التي نزلت في صلاة ذات الرقاع منسوخة فتركه تلك الصلاة في الخندق لان الخندق وان لم يلتحم فيه القتال الا انهم لا يامنون هجوم العدو عليهم فلو صلوا لكانت تلك الصلاة صلاة شدة الخوف لا صلاة ذات الرقاع لان شرطها امن هجوم العدو وصلاة شدة الخوف ان لا يلتحم الحرب فيها او يخافوا هجوم العدو وقول بعضهم اي ابن اسحاق وهو امام اهل المغازي ذكر انه صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف بعسفان وذكر انها قبل الخندق فتكون صلاة عسفان منسوخة ايضا فيه نظر لان صلاة عسفان انما كانت في الحديبية كما سياتي وعلى تسليم ان صلاة عسفان كانت قبل الخندق فتلك يشترط فيها الامن من هجوم العدو والله اعلم قال ثم ان طايفة من الانصار خرجوا اليه فنوا بيتا منهم بالمدينة فصادفوا عشرين بعيرا لقريش تحمل شعيرا وتمرا وتبنا حملها ذلك لحيي بن اخطب شدادا وتقوية لقريش فاتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوسع بها اهل الخندق ولما بلغ ابو سفيان ذلك قال ان حييا المشوم قطع بنا ما نجد ما نحمل عليه اذا رجعنا ثم ان خالد بن الوليد كر بطايفة من المشركين يطلب غرة للمسلمين اي غفلتهم فصادف اسيد بن حضير على الخندق في مايتين من

المسلمين فناوشوهم اي تقاربوا منهم ساعة وكان في اوليك المشركين وحشي قاتل حمزة فزرق الطفيل بن النعمان فقتله ثم بعد ذلك صاروا يرسلون الطلايع بالليل في الغارة اي الاغارة فاقام المسلمون في شدة من الخوف اي وفي الصحيحين ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاحزاب فقال اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم وزلزلهم اي وقام في الناس فقال يا ايها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسالوا الله العافية فان لقيتم العدو فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف اي السبب الموصل الى الجنة عند الضرب بالسيف في سبيل الله تعالى ودعا بقوله يا صريخ المكروبين يا مجيب المضطرين اكشف همي وغمي وكربي فانك ترى ما نزل بي وباصحابي وقال له المسلمون هل من شي نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر قال نعم قولوا اللهم استر عوراتنا وامن روعاتنا فاتاه جبريل فبشره ان الله يرسل عليهم ريحا وجنودا واعلم صلى الله عليه وسلم اصحابه وصار يرفع يديه قايلا شكرا وجا ان دعاه صلى الله عليه وسلم عليهم كان يوم الاثنين ويوم الثلاثا ويوم الاربعا واستجيب له ذلك اليوم الذي هو يوم الاربعا بين الظهر والعصر فعرف السرور في وجهه اي ومن ثم كان جابر يدعو في مهماته في ذلك اليوم في ذلك الوقت ويتحرى ذلك والاحاديث والاثار التي جاءت بذم يوم الاربعا محمولة على اخر اربعا في الشهر فان في ذلك اليوم ولد فرعون وادعى الربوبية واهلكه الله فيه وهو اليوم الذي اصيب فيه ايوب عليه السلام بالبلا قال وكان صلى الله عليه وسلم يختلف الى ثلمة في الخندق والثلمة الخلل في الحائط فعن عايشة رضي الله تعالى عنها كان صلى الله عليه وسلم يذهب الى تلك الثلمة فاذا اخذه البرد جاءني فادفاته في حضني فاذا دفي خرج الى تلك الثلمة ويقول ما اخشى ان تؤتى الناس الا منها فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حضني صار يقول ليت رجلا صالحا يحرس هذه الثلمة الليلة فسمع صوت السلاح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا فقال سعد بن ابي وقاص سعد يا رسول الله اتيت احرسك فقال عليك هذه الثلمة فاحرسها ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى غط وقام صلى الله عليه وسلم في قبته يصلي لانه صلى الله عليه وسلم كان اذا احزنه امر فزع الى الصلاة ومن ثم لما نعي لابن عباس اخوه قثم وهو في سفر استرجع وتنحى عن الطريق وصلى ركعتين اطال فيهما الجلوس وتلا واستعينوا بالصبر والصلاة ثم خرج صلى الله عليه وسلم من قبته فقال هذه خيل المشركين تطيف بالخندق ثم نادى يا عباد بن بشر قال لبيك قال معك احد قال نعم انا في نفر حول قبتك يا رسول الله وكان الزم الناس لقبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرسها فبعثه صلى الله عليه وسلم يطوف

بالخندق واعلمه بان خيل المشركين تطيف بهم ثم قال اللهم ادفع عنا شرهم وانصرنا
عليهم واغلبهم لا يغلبهم غيرك واذا ابو سفيان فى خيل يطيفون بمضيق من الخندق
فرماهم المسلمون حتى رجعوا ثم ان نعيم بن مسعود الاشجعى اتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم اى ليلا فقال يا رسول الله انى اسلمت وان قومى لم يعلموا باسلامى فمرنى بما شئت
قال وفى رواية فيها لما سارت الاحزاب سار مع قومه اى غطفان وهو على دينهم فقذف
الله فى قلبه الاسلام فخرج حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المغرب والعشاء
فوجده يصلى فلما راه جلس ثم قال له النبى صلى الله عليه وسلم ما جاء بك يا نعيم قال جئت
اصدقك واشهد ان ما جئت به حق فاسلم انتهى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انت
رجل واحد فخذل عنا ما استطعت فان الحرب خدعة بفتح الخاء وسكون الدال المهملة اى
ينقضى امرها بالمخادعة فقال له نعيم يا رسول الله انى اقول اى ما يقتضيه الحال وان كان
خلاف الواقع قال قل ما بدا لك فانت فى حل فخرج نعيم حتى اتى بنى قريظة وكان لهم
نديما قال فلما راونى رحبوا بى وعرضوا على الطعام والشراب فقلت انى لم آت بشئ من
هذا انما جئتكم تخوفا عليكم لاشير عليكم برايى يا بنى قريظة قد عرفتم ودى اياكم وخاصة
ما بينى وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم اكتموا عنى قالوا نفعل قال لقد
رايتم ما وقع لبنى قينقاع ولبنى النضير من اجلائهم واخذ اموالهم وان قريشا وغطفان
ليسوا كانتم البلد بلدكم وبه اموالكم ونساؤكم وابناؤكم لا تقدرون على ان ترحلوا منه
الى غيره وان قريشا وغطفان قد جاؤا لحرب محمد واصحابه وقد ظاهرتموهم اى عاونتموهم
عليه وبلدهم واموالهم ونساؤهم بغيره فليسوا كانتم اى عاونتموهم عليه وبلدهم
واموالهم ونساؤهم بغيره فليسوا كانتم فان راوا نهزة اى فرصة اصابوها وان
كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين بلدكم والرجل ببلدكم ولا طاقة لكم
به ان خلا بكم فلا تقاتلوا معهم حتى تاخذوا منهم رهنا من اشرافهم اى سبعين رجلا
يكونون بايديكم ثقة لكم على ان تقاتلوا معكم محمدا حتى تناجزوه اى تقاتلوه قالوا
لقد اشرت بالراى والنصح ودعوا له وشكروا وقالوا نحن فاعلون قال ولكن اكتموا عنى قالوا
نفعل ثم خرج حتى اتى قريشا فقال لابى سفيان ومن معه من اشراف قريش قد عرفتم
ودى لكم وفراقى لمحمد وانه بلغنى امر قد رايت ان ابلغكموه نصحا لكم فاكتموا قالوا نفعل
قال تعلموا ان معشر يهود يعنى بنى قريظة قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين
محمد اى من نقض عهده وقد ارسلوا اليه اى وانا عندهم انا قد ندمنا على ما فعلنا فهل
يرضيك ان ناخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من اشرافهم اى
سبعين رجلا فنعطيكهم فتضرب اعناقهم اى وترد جناحنا الذى كسرت الى ديارهم

يعنون بنى النضير ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستاصلهم فارسل اليهم نعم فان
بعثت اليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم رجلا واحدا
واحذروهم على اشرافكم ولكن اكتموا عنى ولا تذكروا من هذا حرفا قالوا لا نذكره ثم خرج
حتى اتى غطفان فقال يا معشر غطفان انكم اهلى وعشيرتى واحب الناس الى ولا اراكم
تتهمونى قالوا صدقت ما انت عندنا بمتهم قال فاكتموا على قالوا نعم فقال لهم مثل ما قال
لقريش وحذرهم فلما كان ليلة السبت ارسل ابو سفيان ورؤس غطفان الى بنى قريظة
عكرمة بن ابى جهل فى نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم انا لسنا بدار مقام وقد هلك الخف
والكراع وقد هلك الخف والحافر فاعدوا للقتال حتى نناجز اى نقاتل محمدا ونفرغ مما بيننا
وبينه فارسلوا اليهم ان اليوم اى الذى يلى هذه الليلة يوم السبت وقد علمتم ما نال منا
من تعدى فى السبت ومع ذلك فلا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا اى سبعين رجلا
فقالوا صدق والله نعيم وفى رواية ان بنى قريظة ارسلت لقريش قبل مجئ رسل
قريش اليهم رسولا يقول لهم ما هذا التوانى والراى ان تتواعدوا على يوم نكون
معكم فيه لكنهم لا يخرجون حتى ترسلوا اليهم رهنا سبعين رجلا من اشرافكم فانهم
يخافون وجاءهم نعيم وقال لهم كنت عند ابى سفيان وقد جاءه رسولكم فقال لو طلبوا
منى عناقا ما دفعتها لهم فاختلفت كلمتهم اى وجاء حيى بن اخطب لبنى قريظة فكلم
بجيد منهم موافقة له وقالوا لا نقاتل معهم حتى يدفعوا لنا سبعين رجلا من قريش
وغطفان رهنا عندنا وبعث الله ريحا عاصفا اى وهى ريح الصبا فى ليالى شديدة
البرد فقلعت بيوتهم وقطعت اطنابها وكفأت قدورهم على افواهها وصارت الريح
تلقى الرجال على امتعتهم وفى رواية دقت الرجال واطفأت نيرانهم اى وارسل الله
ملائكة زلزلتهم قال تعالى فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها فلم تقاتل الملائكة
بل نفثت فى روعهم الرعب وقال صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور
وفى لفظ نصر الله المسلمين بالريح وكانت ريحا صفراء ملأت عيونهم ودامت عليهم
ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه اختلاف كلمتهم وكانت تلك الليلة شديدة
البرد والريح فى اصوات ريحها امثال الصواعق وسياتى انها لم تجاوز معسكر المشركين
وشديدة الظلمة بحيث لا يرى الشخص اصبعه اذا مدها فجعل المنافقون يستاذنون
ويقولون ان بيوتنا عورة اى من العدو لانها خارج المدينة وحيطانها قصيرة يخشى
عليها السرقة فاذن لنا نرجع الى نسائنا وابنائنا وذرارينا فياذن لهم قيل فلم
يبق معه صلى الله عليه وسلم تلك الليلة الا ثلثمائة وقال من ياتينا بخبر القوم فقال
الزبير انا قال صلى الله عليه وسلم ذلك ثلاثا والزبير يجيبه بذكر فقال صلى الله عليه وسلم

لكل نبي حواري اي ناصر وان حواري الزبير اي وهذا قاله صلى الله عليه وسلم له ايضا
عند ارساله لكشف خبر بني قريظة هل نقضوا العهد او لا كما تقدم وسيأتي قول ذلك
له في خيبر وفي الحديث حواري الزبير من الرجال وحواري من النساء عائشة وفي
رواية انه صلى الله عليه وسلم قال اي من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع اسأل
الله ان يكون رفيقي في الجنة وفي لفظ يكون معي يوم القيمة وفي لفظ يكون رفيق
ابراهيم يوم القيمة قال ذلك ثلاثا فما قام احد من شدة الخوف والجوع والبرد فدعى
حذيفة بن اليمان قال فلم اجد بدا من القيام حين فوه باسمي فجئته صلى الله عليه وسلم
فقال اتسمع كلامي منذ الليلة ولا تقوم فقلت لا والذي بعثك بالحق ان قدرت اي ما
قدرت على ما بي من الجوع والبرد والخوف فقال اذهب حفظك الله من امامك ومن خلفك
وعن يمينك وعن شمالك حتى ترجع الينا قال حذيفة فلم يكن لي بد من القيام حتى دعاني وقال
يا حذيفة اذهب فادخل في القوم فقمت مستبشرا بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
احتملت احتمالا وذهب عني ما كنت اجده من الخوف والبرد وعهد الي ان لا احدث حدثا
وفي رواية قال لي اما سمعت صوتي قلت نعم قال فما منعك ان تجيبني قلت البرد قال لا برد
عليك اي حتى ترجع كما يدل على ذلك الرواية الآتية قال ان في القوم خبرا فأتني بخبر
القوم قال وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم لما كرر قوله الا رجل يأتيني بخبر القوم يكون
معي يوم القيمة ولم يجبه احد قال ابو بكر يا رسول الله حذيفة قال حذيفة فمر علي رسول الله صلى
الله عليه وسلم وما علي جنة من العدو والبرد الا مرط لامرأتي ما يجاوز ركبتي وانا جاث
على ركبتي فقال من هذا قلت حذيفة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة قال حذيفة
فتقاصرت بالارض قلت بلى يا رسول الله كراهية ان اقوم فقمت فقال انه كائن في القوم خبر فأتني بخبر
القوم قلت والذي بعثك بالحق ما قمت الا حياء منك من البرد قال لا بأس عليك
من حر ولا برد حتى ترجع الي فقلت والله ما بي ان اقتل ولكني اخشى ان اوسر فقال انك لن
تؤسر اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته
فمضيت كأني امشي في حمام ماخوذ من الحميم وهو الماء الحار وهو عربي قال حذيفة فلما
وليت دعاني فقال لا تحدثن شيئا وفي رواية لا ترمي بسهم ولا بحجر ولا تضربن بسيف حتى
تأتيني بخبر اليهم ودخلت في غمارهم فسمعت ابا سفيان يقول يا معشر قريش ليتعرف
كل امرئ منكم جليسه واحذروا الجواسيس والعيون فاخذت بيد جليسي على يميني
وقلت من انت فقال معاوية بن ابي سفيان وقبضت يدي على يساري وقلت من انت
فقال عمرو بن العاص فعلت ذلك خشية ان يفطن بي فقال ابو سفيان يا معشر قريش
والله انكم لستم بدار مقام ولقد هلك الكراع والخف واخلفتنا بنو قريظة وبلغنا

عنهم الذي نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون فارتحلوا فاني مرتحل ووثب على جمله فما حل
عقاله يده الا وهو قائم اي فانه لما ركبه كان معقولا فلما ضربه وثب على ثلاث قوائم ثم حل
عقاله فقال له عكرمة بن ابي جهل انك رأس القوم وقائدهم تذهب وتترك الناس فاستحيى
ابو سفيان واناخ جمله واخذ بزمامه وهو يقوده وقال ارحلوا فجعل الناس يرتحلون
وهو قائم ثم قال لعمرو بن العاص يا ابا عبد الله تقيم في جريدة من الخيل بازاء محمد واصحابه
فانا لا نأمن ان نطلب فقال عمرو انا اقيم وقال لخالد بن الوليد ما ترى يا ابا سليمان فقال
ايضا اقيم فاقام عمرو وخالد في مائتي فارس وسار جميع العسكر قال حذيفة ولولا عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم الي حين بعثني ان لا احدث شيئا لقتلته يعني ابا سفيان
بسهم وسمعت غطفان بما فعلت قريش فاشتدوا راجعين الى بلادهم وفي رواية
فدخلت العسكر فاذا الناس في عسكرهم يقولون الرحيل الرحيل لا مقام لكم والريح
تقلبهم على بعض امتعتهم وتضربهم بالحجارة والريح لا يجاوز عسكرهم فلما انتصف
الطريق اذا انا بنحو عشرين فارسا معتمين فخرج الي منهم فارسان وقالا اخبر صاحبك
ان الله كفاه القوم قال حذيفة ثم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته قائما يصلي
فاخبرته فحمد الله تعالى واثنى عليه اي وفي رواية فاخبرته الخبر فضحك حتى بدت
ثناياه في سواد الليل وعاودني البرد وجعلت اقرقف فاومى الي رسول الله صلى الله
عليه وسلم بيده فدنوت منه فسدل علي من فضلة شملة فنمت ولم ازل نائما حتى الصبح
اي طلوع الفجر فلما ان اصبحت اي دخل وقت صلاة الصبح قال لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم قم يا نومان اي يا كثير النوم لان النبي صلى الله عليه وسلم انما قال له لا بأس عليك
من برد حتى ترجع الي ومن هذا اي ارسال حذيفة وما تقدم اي من ارسال الزبير تعلم
ان ذلك كان في الخندق ولا مانع منه لانه يجوز ان يكون صلى الله عليه وسلم عدل عن
ارسال الزبير واختار حذيفة لامر قام عنده صلى الله عليه وسلم من جملة ذلك كون
الزبير كان عنده حدة وشدة لا يملك معها نفسه ان يحدث بالقوم ما نهى عنه حذيفة
وحينئذ يرد قول بعضهم ان الزبير انما ارسل لكشف امر بني قريظة هل نقضوا العهد
او لا لا لكشف امر قريش وحذيفة ذهب لكشف امر قريش هل ارتحلوا او لا وقد اشتبه
الامر على بعض الناس فظنهما قضية واحدة فليتأمل ذلك وكان يقال لحذيفة صاحب
سر رسول الله صلى الله عليه وسلم اي كان يقال له ايضا صاحب سر رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقد ذكر ابن ظفر في ينبوع الحياة في تفسير قوله تعالى يا ايها الذين
آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها
هبت ريح الصبا ليلا فقلعت الاوتاد والقت عليهم الابنية وكفأت القدور وسفت

عليهم التراب ورميهم بالحصا وسمعوا في ارجائه اي نواحي معسكرهم التكبير وقعقعة السلاح
اي من الملائكة فصار رئيس كل حي يقول لقومه يا بني فلان هلموا الي فاذا اجتمعوا قال
النجا النجا فارتحلوا هرابا في ليلتهم وتركوا ما استثقلوه من متاعهم اي والصبا هي الريح
الشرقية وعن ابن عباس قالت الصبا للشمال اذهبي بنا ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت ان الحرائر لا تهب بالليل فغضب الله عليها فجعلها عقيما ويقال لها الدبور فكان
نصره صلى الله عليه وسلم بالصبا وكان اهلاك عاد بالدبور وهي الريح الغربية وحين
انجلا الاحزاب قال صلى الله عليه وسلم الان نغزوهم ولا يغزونا وانصرف رسول الله
صلى الله عليه وسلم لسبع ليال من ذي القعدة اي بناء على انها كانت في القعدة وهو قول
ابن سعد وقيل كانت في شوال وكان ذلك سنة خمس اي كما قاله الجمهور قال الذهبي
وهو المقطوع به وقال ابن القيم انه الاصح وقال الحافظ ابن حجر هو المعتمد وقيل سنة
اربع وصححه الامام النووي في الروضة قال بعضهم وهو عجيب فانه صحح ان غزوة بني
قريظة كانت في الخامسة ومعلوم انها كانت عقب الخندق اي وفيه انه يجوز ان تكون
غزوة بني قريظة اوائل الخامسة والخندق في اواخر الرابعة فتكون في ذي الحجة
واستدل من قال ان الخندق كان سنة اربع بما صح عن ابن عمر انه عرض على رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوم احد وهو ابن اربع عشرة سنة فلم يجزه ثم عرض عليه يوم الخندق
وهو ابن خمس عشرة سنة فاجازه فيكون بينهما سنة واحدة اي وكانت سنة ثلاث فيكون
الخندق سنة اربع قال الحافظ ابن حجر ولا حجة لاحتمال ان يكون ابن عمر في احد كان اول ما
طعن في الرابعة عشر وكان في الاحزاب قد استكمل الخمسة عشر وسبقه الى ذلك البيهقي
وحينئذ يكون بين احد والخندق سنتان لا سنة واحدة ومما وقع من الآيات في هذه
الغزاة من حفر الخندق غير ما تقدم ان بنت بشير بن سعد جاءت لابيها وخالها اي عبد الله
ابن رواحة بحفنة من التمر ليتغديا بها قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتيه فصببته
في كفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ملاهما ثم امر بثوب فبسط له ثم قال لانسان عنده
اصرخ في اهل الخندق ان هلم الى الغذاء فاجتمع اهل الخندق عليه فجعلوا ياكلون منه
وجعل يزيد حتى صدر اهل الخندق عنه وانه ليسقط من اطراف الثوب اي فان اهل الخندق
اصابهم مجاعة قال بعض الصحابة لبثنا ثلاثة ايام لا نذوق زادا وربط صلى الله عليه وسلم
الحجر على بطنه من الجوع اقول اورد ابن حبان في صحيحه لما اورد الحديث الذي فيه نهيه صلى
الله عليه وسلم عن الوصال وقالوا له مالك تواصل يا رسول الله قال اني لست مثلكم اني ابيت
يطعمني ربي ويسقيني قال يستدل بهذا الخبر على بطلان ما ورد انه كان يضع الحجر على
بطنه من الجوع لانه كان يطعم ويسقى من ربه اذا واصل فكيف يترك جائعا مع عدم الوصال

حتى

حتى يحتاج الى شد حجر على بطنه قال وانما لفظ الحديث الحجز بالزاي وهو طرف الازار فصحف
وزادوا لفظ من الجوع واجيب بانه لا منافاة كان يطعم ويسقى اذا واصل في الصوم
اي يصير كالطاعم والساقي مكرمة له ولا يحصل له ذلك بل يحصل له الجوع في بعض
الاحايين على وجه الابتلاء الذي يحصل للانبياء تعظيما لثوابهم والله اعلم وان جابر بن عبد
الله لما علم ما به صلى الله عليه وسلم من شدة الجوع صنع شويهة وصاعا من شعير قال جابر
وانما اريد ان ينصرف معي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده فلما قلت له امر صارخا فصرخ
ان انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيت جابر بن عبد الله قال جابر فقلت
انا لله وانا اليه راجعون فاقبل الناس اي بعضهم معه فجلس فاخرجناها اليه
فبرك ثم سمى الله تعالى ثم اكل وتواردها الناس كلما فرغ قوم قاموا اي وذهبوا الى
الخندق وجا اخرون حتى صدر اهل الخندق عنها وهم الف فاقسم بالله لقد اكلوا حتى
تركوه وانصرفوا وان برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز كما هو قال وفي رواية ان جابرا
لما راى ما به صلى الله عليه وسلم من الجوع استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الانصراف
الى بيته فاذن له قال جابر فجئت لامراتي وقلت لها اني رايت برسول الله خمصا شديدا
فعندك شيء قالت عندي صاع من شعير وعناق فذبحت العناق وطحنت الشعير
وجعلت اللحم في برمة فلما امسينا جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فساررته
وقلت له طعيم لي فقم انت يا رسول الله ورجل او رجلان فشبك صلى الله عليه وسلم
اصابعه في اصابعي وقال كم هو فذكرت له قال طيب كثير لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن
عجينكم حتى اجي وصاح رسول الله صلى الله عليه وسلم يا اهل الخندق ان جابرا قد صنع
لكم سورا اي ضيافة فحي هلا بكم اي سيروا مسرعين وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقدم الناس قال جابر فلقيت من الحيا ما لا يعلمه الا الله وقلت انه الفضيحة فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ادخلوا عشرة اي بعد ان اخرجت له عجيننا فبصق فيه وبارك ثم عمد الى
برمتنا وبصق فيها وبارك الحديث اي وبقي القوم على الوجه المتقدم وان ام عامر
الاشهلية ارسلت بقصعة فيها حيس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في القبة
عند ام سلمة فاكلت ام سلمة حاجتها ثم خرج بالقصعة ونادى منادي رسول الله صلى
الله عليه وسلم هلموا الى عشائه فاكل اهل الخندق حتى نهلوا منها وهي كما هي وقد ذكر
الشيخ عبد الوهاب الشعراوي انه قدم لاربعة عشر رجلا من الفلاحين رغيفا ولحما فاكلوا
منه كلهم وشبعوا قال وقدمت مرة الطاجن الذي تعمله في الفرن الى سبعة عشر نفسا
فاكلوا منه وشبعوا وذكر انه شاهد شيخه الشيخ محمد الشناوي وقد جاءه الريف ومعه
نحو خمسين رجلا ونزل بزاويته شيخه الشيخ محمد السروي فتسامع مجاوروا الجامع

الازهر بجبينه فاتوا انوبا رته فامتلأت الزاوية وفرشوا الحصر فى الزقاق حتى امتلاء
الزقاق ثم قال للنقيب يحضر هل عندك طبيخ قال نعم الطبيخ الذى افعله لى ولزوجتى فقال
له لا تغرف شيئا حتى احضر ثم غطى الشيخ الدست بردائه واخذ المغرفة وصار يغرف
الى ان كفى من فى الزاوية ومن فى الزقاق وهذا شئ رايته بعينى هذا كلامه ولا بدع فقد
ذكر غير واحد من العلماء كالحافظ ابن كثير ان كرامات الاولياء معجزات للانبياء لان الولى
انما نال ذلك ببركة متابعته لنبيه وثواب ايمانه به هذا كلامه قال وارسل ابو سفيان
كتابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه باسمك اللهم فانى احلف باللات والعزى واساف
ونائلة وهبل كما فى لفظ لقد سرت اليك فى جمع وانا اريد ان لا اعود اليك ابدا حتى استأصلكم
فرايتك قد كرهت لقاءنا واعتصمت بالخندق اى وفى لفظ قد اعتصمت بمكيدة ما كانت
العرب تعرفها وانما تعرف ظل رماحها وشبا سيوفها وما فعلت هذا الا فرارا من سيوفنا
ولقائنا ولك منى يوم كيوم احد فارسل له صلى الله عليه وسلم جوابه فيه اما بعد
بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى صخر بن حرب كذا فى كلام سبط ابن الجوزى
فقد اتانى كتابك وقديما غرك بالله الغرور واما ما ذكرت انك سرت الينا وانت لا تريد
ان تعود حتى تستأصلنا فذلك امر يحول الله بيننا وبينه ويجعل لنا العاقبة وليأتين
عليك يوم اكسر فيه اللات والعزى واساف ونائلة وهبل حتى اذكرك ذلك يا سفيه
بنى غالب انتهى **غزوة بنى قريظة** وهم قوم من اليهود بالمدينة من حلفاء
الاوس وسيد الاوس حينئذ سعد بن معاذ رضى الله تعالى عنه كما تقدم لما رجع رسول
الله صلى الله عليه وسلم من الخندق وكان وقت الظهيرة اى وقد صلى الظهر ودخل
بيت عائشة وقيل زينب بنت جحش ودعى بماء فبينما هو صلى الله عليه وسلم يغتسل
اى غسل شق راسه الشريف وفى رواية بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المغتسل
يرجل راسه قد رجل احد شقيه اى وفى رواية غسل راسه واغتسل ودعا بالمجمرة
ليتبخر اذ جبريل النبى صلى الله عليه وسلم معتجرا بعمامة اى سوداء من استبرق وهو نوع
من الديباج مرخ منها بين كتفيه ه وفى رواية عليه لامته ولا معارضة لانه يجوز ان
يكون الاعتجار بالعمامة على تلك اللامة وهو على بغلة اى شهباء عليها قطيفة وهى
كساء له وبر من ديباج اى احمر وفى رواية جاء على فرس ابلق فقال اوقد وضعت
السلاح يا رسول الله قال نعم قال جبريل ما وضعنا السلاح وفى رواية ما وضعت
ملائكة الله السلاح بعد قال وفى رواية انه قال يا رسول الله ما اسرع ما حللتم عذيرك
من محارب عفا الله عنك اى من يعذرك وفى لفظ غفر الله لك اوقد وضعتم
السلاح قبل ان تضعه الملائكة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال فوالله ما

وضعناه

وضعناه وفى لفظ ما وضعت الملائكة السلاح منذ نزل بك العدو وما رجعنا الان
الا من طلب القوم يعنى الاحزاب حتى بلغنا الاسد انتهى اى حمراء الاسد ان الله يامرك
يا محمد بالمسير الى بنى قريظة فانى عامد اليهم زاد فى رواية بمن معى من الملائكة فمزلزل بهم
الحصون زاد فى رواية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى اصحابى جهدا فلو انظرتهم
تهم
اياما فقال جبريل انهض اليهم فوالله لادقنهم كدق البيض على الصفا لادخلن فرسى
هذا عليهم فى حصونهم ثم لاضعضعنها فادبر جبريل ومن معه من الملائكة حتى سطع الغبار
فى زقاق بنى غنم وهم طائفة من الانصار وفى البخارى عن انس قال كانى انظر الى الغبار
ساطعا فى زقاق بنى غنم موكب جبريل حين سار لبنى قريظة والموكب بكسر الكاف اسم
لنوع من السير وعن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت لما رجع النبى صلى الله عليه وسلم
يوم الخندق بينا هو عندى اذ دق الباب اى وفى رواية نادى مناد اى فى موضع
الجنائز عذيرك من محارب ه اى من يعذرك فارتاع لذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم اى فزع ووثب وثبة منكرة وخرج فخرجت فى اثره فاذا رجل على دابة والنبى
صلى الله عليه وسلم متكئ على معرفة الدابة يكلمه فرجعت فلما دخل قلت من ذلك
الرجل الذى كنت تكلمه قال ورأيته قلت نعم قال بمن تشبهينه قلت بدحية الكلبى
قال ذاك جبريل امرنى ان امضى الى بنى قريظة اى وهذا يؤيد انه كان صلى
الله عليه وسلم عند منصرفه من الخندق فى بيت عائشة وامر رسول الله صلى الله
عليه وسلم مؤذنا اى وهو بلال كما فى سيرة الحافظ الدمياطى فاذن فى الناس من كان سامعا
مطيعا فلا يصلين العصر اى وفى رواية الظهر ه الا ببنى قريظة بالمدينة وقد صلى
قال فى النور والجمع بينهما ان الامر بعد دخول وقت الظهر بالمدينة وقد صلى بعضهم دون
بعض فقيل للذين لم يصلوا الظهر لا تصلوا الظهر الا فى بنى قريظة وقال للذين صلوها
لا تصلوا العصر الا فى بنى قريظة وفى رواية بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ
مناديا يا خيل الله اى يا فرسان خيل الله اركبى ثم سار اليهم قال وقد لبس السلاح
الدرع والمغفر والبيضة واخذ قناة بيده وتقلد القوس وركب فرسه اللحيف
بالضم وقيل ركب حمارا وهو اليعفور عريا والناس حوله قد لبسوا السلاح وركبوا
الخيل وهم ثلاثة الاف والخيل ستة وثلاثون فرسا له صلى الله عليه وسلم منها ثلاثة
واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن ابى
طالب برايته الى بنى قريظة اى وفى رواية دفع اليه لواءه وكان اللواء على حاله لم يحل من رجعه
من الخندق ومر بنفر من بنى النجار قد لبسوا السلاح فقال هل مر بكم احد قالوا نعم دحية
الكلبى مر على بغلة بيضاء اى وفى رواية على فرس ابيض عليه اللامة وامرنا بحمل السلاح

وقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع عليكم الان فلبسنا سلاحنا وصففنا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل بعث الى بني قريظة ليزلزل حصونهم ويقذف
الرعب في قلوبهم فلما دنى علي بن ابي طالب من الحصن اي معه نفر من المهاجرين والانصار
وغرز اللواء عند اصل الحصن سمع من بني قريظة مقالة قبيحة في حقه صلى الله عليه وسلم
اي وحق ازواجه اي فسكت المسلمون وقالوا السيف بيننا وبينكم فلما راى علي
رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا امر ابا قتادة الانصاري ان يلزم اللواء ورجع اليه
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لا عليك ان لا تدنو من هؤلاء الاخابث قال لعلك
سمعت منهم لي اذى قال نعم يا رسول الله قال لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئا
فلما دنى رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال يا اخوان القردة هل اخزاكم
الله وانزل بكم نقمته قال وفي رواية نادى باعلا صوته نفرا من اشرافهم حتى
اسمعهم وقال اجيبوا يا اخوة القردة والخنازير وعبدة الطاغوت اي وهو ما
عبد من دون الله كما تقدم هل اخزاكم الله وانزل بكم نقمته اتشتموني فجعلوا يحلفون
ويقولون ما قلنا انتهى ويقولون يا ابا القاسم ما كنت جهولا اي وفي لفظ ما كنت
فاحشا وفي رواية تقدم صلى الله عليه وسلم اليهود اسيد بن حضير فقال لهم يا اعداء
الله لا نبرح عن حصنكم حتى تموتوا جوعا انما انتم بمنزلة ثعلب في جحر فقالوا يا ابا الحضير
نحن مواليك وخاروا اي خافوا قال لا عهد بيني وبينكم وتقدم اسيد الى بني قريظة
يجوز ان يكون قبل مقدم علي لهم ويجوز ان يكون بعده وانما قال لهم يا اخوان القردة
والخنازير لان اليهود مسخ شبابهم قردة وشيوخهم خنازير عند اعتدائهم يوم السبت
بصيد السمك وقد حرم عليهم ذلك كسائر الاعمال وامرهم ان يتفرغوا لعبادة
ربهم في ذلك اليوم وكان ذلك في زمان داود عليه السلام فلما مسخوا خرجوا من تلك
القرية هائمين على وجوههم متحيرين فمكثوا ثلاثة ايام لا ياكلون ولا يشربون ثم ماتوا
وهذا دليل لمن يقول ان الممسوخ لا يعيش اكثر من ثلاثة ايام وفي العرائس كل ممسوخ
لا يمكث اكثر من ثلاثة ايام ولم يحصل منه توالد ولا تناسل وفي الكشاف قيل ان
اهل ايلة اي وهي قرية بين مصر ومدين لما اعتدوا في السبت قال داود اللهم العنهم
واجعلهم اية فمسخوا قردة ولما كفر اصحاب عيسى بعد المائدة قال عيسى اللهم عذب من
كفر بعد ما اكل من المائدة عذابا لم تعذبه احدا من العالمين والعنهم كما لعنت اصحاب
السبت فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امراة ولا صبي هذا كلامه
فليتامل فمكثوا ثلاثة ايام لا ياكلون ولا يشربون ثم ماتوا ثم انه عذر من الصحابة
شغلهم ما لم يكن لهم منه بد عن المسير لبني قريظة فصلوا العصر بها بعد عشاء الآخرة

اي وتعظم قال لا نصلي ما يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم منا ان ندع الصلاة ونخرجها
عن وقتها وانما اراد الحث على الاسراع فصلوها في اماكنهم ثم ساروا فما عابهم الله في
كتابه ولا عنفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اي لان كلا من الفريقين تاول فلذي الهدى
كل من الفريقين ماجور بقصده الا ان من صلى حاز الفضيلتين ولم يعنف الذين اخروها
لقيام عذرهم في التمسك بظاهر الامر وهو دليل على ان كل مختلفين في الفروع من
المجتهدين مصيب وادعى ابن المنير ان الذين صلوا العصر صلوا على ظهور دوابهم
قال لانهم لو صلوا نزولا لكان مضادة لما امروا به من الاسراع ولا يظن ذلك مع ثقوب
افهامهم قال الحافظ ابن حجر وفيه نظر لانه لم يامرهم بترك النزول ولم ار انهم صلوا
ركبانا في شيء من طرق القصة والتعليل بالاسراع يقتضي انهم صلوا على ظهور
دوابهم سائرة لا واقفة وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة خمسة
وعشرين ليلة وقيل خمسة عشر يوما اي وقيل شهرا وكان طعام الصحابة
التمر يرسل به اليهم سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنه اي يجاء به من عنده وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ نعم الطعام التمر حتى جهدهم الحصار
وقذف الله في قلوبهم الرعب وكان حيي بن اخطب دخل مع بني قريظة حصنهم حين
رجعت الاحزاب وفاء لكعب بما كان عاهده عليه اي مما تقدم فلما ايقنوا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم اي يقاتلهم قال كبيرهم كعب بن اسيد
يا معشر يهود قد نزل بكم من الامر ما ترون واني عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا ايها شئتم
قالوا وما هي قال نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم انه نبي مرسل وانه
الذي تجدونه في كتابكم فتامنون على دمائكم واموالكم وابنائكم ونسائكم قال وزاد
في لفظ آخر وما منعنا من الدخول معه الا الحسد للعرب حيث لم يكن من بني اسرائيل
ولقد كنت كارها لنقض العهد ولم يكن البلاء والشؤم الا من هذا الجالس يعني حيي بن اخطب
اتذكرون ما قال لكم ابن خراش حين قدم عليكم انه يخرج بهذه القرية نبي فاتبعوه وكونوا
له انصارا وتكونوا آمنتم بالكتابين الاول والآخر انتهى اي بالتوراة والقرآن اي وكانت
يهود بني قريظة يدرسون ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتبهم ويعلمون الولدان
صفته وان مهاجره المدينة وفيه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال كانت يهود قريظة
وبني النضير وفدك وخيبر يجدون صفة النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث وان
دار هجرته المدينة ولما قال لهم كعب ذلك قالوا لا نفارق حكم التوراة ابدا ولا نستبدل
به غيره قال كعب فاذا ابيتم علي هذه فهلم فلنقتل ابناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد واصحابه
رجالا مصلتين السيوف لم نترك وراءنا ثقلا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فان نهلك

نهلك ولم نترك ورانا نسلا اه ولدا نخشى عليه وان نظفر فلعمري لنجدن النسا والابنا
قالوا نقتل هولا المساكين فما خير العيش بعدهم قال فاذا ابيتم على هذه فان الليلة ليلة
السبت وانه عسى ان يكون محمدا واصحابه قد امنوا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد
واصحابه غرة اى غفلة فقالوا نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يحدث فيه من كان
قبلنا الا من قد علمت واصابه ما لم يخف عليك من المسخ قال وقال لهم عمرو بن سعدى
قد خالفتم محمدا فيما خالفتموه اى عاهدتموه عليه ولم اشرككم في غدركم فان ابيتم ان
تدخلوا معه فاثبتوا على اليهودية واعطوا الجزية فوالله ما ادرى يقبلها ام لا
قالوا نحن لا نقر للعرب بخراج في رقابنا ياخذونه القتل خير من ذلك قال فانى
برى منكم وخرج في تلك الليلة فمر بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه محمد بن
مسلمة فقال محمد بن مسلمة من هذا قال عمرو بن سعدى قال مر اللهم لا تحرمني اقالة
عثرات الكرام وخلى سبيله ولم يعد ذلك لم يدر ابن هو وقيل وجدت رمته ولخبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره فقال ذاك رجل نجاه الله بوفائه وفي لفظ انه
قال لهم قبل ان يقدم النبي صلى الله عليه وسلم لحصارهم يا بنى قريظة لقد رايت عبرا
رايت دار اخواننا يعنى بنى النضير خالية بعد ذلك العز والجلد والشرف والراى
الفاضل والعقل قد تركوا اموالهم قد تملكها غيرهم وخرجوا خروج ذل لا والتوراة
ما سلط هذا على قوم قط ولله بهم حاجة وقد اوقع قبل ذلك ببنى قينقاع وكانوا اهل عدة
وسلاح ونجدة فلم يخرج احد منهم راسه حتى سباهم فكلموا فيهم فتركوا على اجلائهم
من يثرب يا قوم قد رايتم ما رايتم فاطيعوني وتعالوا نتبع محمدا والله انكم لتعلمون
انه نبى وقد بشرنا به علماؤنا لا نزال نعرفهم بالحرب والسبا والجلا ثم اقبل على كعب بن
اسد وقال والتوراة التى نزلت على موسى يوم طور سينا انه العز والشرف في الدنيا
فبينما هم على ذلك لم يرعهم الا بمقدمة النبي صلى الله عليه وسلم قد حلت بساحتهم
فقال هذا الذى قلت لكم اى وبعد الحصار قيل ارسلوا نباش بن قيس الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان ينزلوا على ما نزلت عليه بنو النضير من ان لهم ما حملت الابل
الا الحلقة فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ان يحقن دماهم ويسلم لهم نساوهم
والذرية فارسلوه ثانيا بانه لا حاجة لهم بشى من الاموال لا من الحلقة ولا من
غيرها فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان ينزلوا على حكم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فعاد نباش اليهم بذلك اتهم ثم انهم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ابعث الينا ابا لبابة وهو رفاعة بن المنذر لنستشيره في امرنا اى لانه كان
من حلفا الاوس وبنو قريظة منهم وفي لفظ وكان ابو لبابة مناصحا لهم لان ماله

وولده وعياله كانت في بنى قريظة فارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما
راوه قام اليه الرجال وجهش اى اسرع اليه النسا والصبيان يبكون في وجهه من
شدة المحاصرة وكشف ما بهم فرق لهم وقالوا يا ابا لبابة اترى ان ننزل على حكم محمد قال نعم
واشار بيده الى الحلقه اى انه الذبح اى وفي لفظ ما ترى ان محمدا قد ابى ان لا ننزل الا على
حكمه قال فانزلوا واوما الى الحلقه ويروى انهم قالوا له ما ترى اننزل على حكم سعد بن معاذ فاوما
ابو لبابة بيده الى حلقه انه الذبح فلا تفعلوا قال ابو لبابة فوالله ما زالت قدماى من مكانهما
حتى عرفت انى خنت الله ورسوله اى لان في ذلك تنفيرا لهم عن الانقياد له صلى الله عليه
وسلم ومن ثم انزل الله تعالى فيه يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول الاية وقيل
نزل وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم
الاية وهذا ابعد من الاول وقد يقال كلا منهما نزل تلك الاية في توجه اللوم عليه وهذه
في توبته لا يقال هى ليست نصا في توبة الله عليه لانا نقول المترجى في حقه تعالى امر محقق
وعن ابى لبابة لما ارسلت بنو قريظة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسالونه
ان يرسلنى اليهم دعانى قال اذهب الى حلفايك فانهم ارسلوا اليك من بين الاوس
فذهبت اليهم فقام كعب بن اسد فقال يا ابا بشير قد عرفت ما بيننا وقد اشتد علينا
الحصار وهلكنا ومحمد ما يفارق حصننا حتى ننزل على حكمه فلو زال عنا لحقنا
بارض الشام او خيبر ولم نطا له ارضا ولم نكثر عليه جمعا ابدا ما ترى قد اخترناك على
غيرك اننزل على حكم محمد قال ابو لبابة نعم فانزلوا واوما الى حلقه بالذبح فندمت
واسترجعت فقال لى كعب ما لك يا ابا لبابة فقلت خنت الله ورسوله فنزلت وان عينى
لتسيل من الدموع ثم انطلق ابو لبابة على وجهه فلم يات رسول الله صلى الله عليه وسلم
وارتبط بالمسجد الى عمود من عمده اى وهى السارية ويقال له الاسطوانة وهى التى
كانت عند باب ام سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم في حر شديد وقيل الاسطوانة المخلقة
التى يقال اسطوانة التوبة والاول اثبت وكان ينصرف اليه من صلاة الصبح
فكان يسبق اليه الفقرا والمساكين ومن لا بيت له الا المسجد فيجى اليهم ويتلو عليهم ما
انزل من ليلته ويحدثهم ويجيد توبته وكان ارتباطه بسلسلة ربوض اى ثقيلة وقال
والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله على مما صنعت وعاهد الله ان
لا يطا بنى قريظة ابدا ولا يرى في بلد خان الله ورسوله فيه ابدا فلما بلغ رسول الله صلى
الله عليه وسلم خبره وكان قد استبطاه قال اما لو جاءنى لاستغفرت له واما اذا فعل ما
فعل فما انا بالذى اطلقه حتى يتوب الله عليه هذا وفي البيهقى وارده في الدر ان
ارتباطه انما كان لتخلفه عن تبوك فقد ذكر انه لما اشار بيده الى الحلق واخبر عنه رسول

الله صلى الله عليه وسلم بذلك قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم احببت أن الله غفل عن
يدك حيث تشير اليهم به الى حلقك قلبك جبنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عاتب عليه
ثم لما غزى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك كان ابو لبابة فيمن تخلف فلما قفل رسول
الله صلى الله عليه وسلم اى رجع جاء ابو لبابة يسلم عليه فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه
وسلم ففزع ابو لبابة وارتبط بالسارية واستغرب ذلك بعضهم فقال وأغرب من ادعى
اذا ابا لبابة انما فعل ذلك لتخلفه عن غزوة تبوك ثم ان بنى قريظة نزلوا على حكم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فامرهم فكتفوا وجعلوا ناحية وكانوا ستمائة وقيل سبعمائة
وخمسين مقاتلا وهو الذى تقدم عن حيى بن اخطب ولا يخالف هذا ما قيل انهم كانوا
بين الثمان والسبعمائة وقيل كانوا اربعمائة مقاتل ولا يخالف ما قبله لانه يجوز ان يكون
ما زاد على ذلك كانوا مقاتل ولا يخالف ما قبله لانه يجوز ان يكون ما زاد على ذلك
كانوا اتباعا لا يعدون واخرج النسا والذرارى من الحصون وجعلوا ناحية اى وكانوا
الفا واستعمل عليهم عبد الله بن سلام فتواثبت الاوس فقالوا يا رسول الله موالينا وحلفاؤنا
وقد فعلت فى موالى اخواننا بالامس ما قد فعلت يعنون بنى قينقاع لانهم كانوا حلفاء
الخزرج ومن الخزرج عبد الله بن ابى بن سلول وقد نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد كلمه فيهم عبد الله بن ابى سلول فوهبهم له على ان يجلوا كما تقدم اى فظنت الاوس من
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كلمه فيهم عبد الله بن ابى بن سلول فوهبهم له على ان يجلوا
كما تقدم اى فظنت الاوس من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يهب لهم بنى قريظة كما
وهب بنى قينقاع للخزرج فلما كلمته الاوس الى ان يفعل ببنى قريظة ما فعل ببنى قينقاع
ثم قال لهم الا ترضون يا معشر الاوس ان يحكم فيهم رجل منكم قالوا بلى فقال فذلك الى سعد
ابن معاذ اى وقيل انه صلى الله عليه وسلم قال لهم اختاروا من شئتم من اصحابى فاختاروا
سعد بن معاذ اى وهو سيد الاوس حينئذ كما تقدم وقيل انهم قالوا ننزل على حكم سعد بن
معاذ فرضى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم اى وكان سعد بن معاذ يومئذ فى المسجد
فى خيمة رفيدة رضى الله عنهما وقد كان صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه سعد بن معاذ حين
اصابه السهم بالخندق اجعلوه فى خيمة رفيدة حتى اعوده من قرب اى كان رفيدة كان
لها خيمة فى المسجد تداوى فيها الجرحى من الصحابة ممن لم يكن له من يقوم عليه فاتاه قومه
فحملوه على حمار ثم اقبلوا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون له يا ابا عمرو
احسن فى مواليك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ولاك ذلك لتحسن فيهم فاحسن
فيهم فقد رايت ابن ابى وما صنع فى حلفائه وهو ساكت فلما اكثروا عليه قال لقد آن
لسعد ان لا تاخذه فى الله لومة لائم فقال بعضهم واقوماه فلما انتهى سعد الى رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم والى المسلمين وهم حوله جلوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قوموا الى سيدكم اى زاد فى رواية فانزلوه فقال عمر السيد هو الله وفى رواية الى خيركم
اى معاشر المسلمين من المهاجرين والانصار او معاشر الانصار فقاموا اليه فقالوا
يا ابا عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك امر مواليك لتحكم فيهم اى وفى
رواية فقمنا صفين يحييه كل رجل منا حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احكم فيهم يا سعد فقال الله ورسوله احق بالحكم
قال قد امرك الله ان تحكم فيهم فقال سعد اى لمن فى الناحية التى ليس فيها رسول
الله صلى الله عليه وسلم عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ان الحكم فيهم ما حكمت قالوا
نعم وعلى من ههنا مثل ذلك واشار الى الناحية التى فيها رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلالا له فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم نعم اى وفى لفظ فقال سعد لبنى قريظة اترضون بحكمى قالوا
نعم فاخذ عليهم عهد الله وميثاقه ان الحكم ما حكم به قال سعد فانى احكم فيهم
ان يقتل الرجال وفى لفظ ان يقتل كل من جرت عليه الموسى وتقسم الاموال
وتسبى الذرارى والنسا زاد بعضهم وتكون الديار للمهاجرين دون الانصار
فقالت الانصار اخواننا يعنون المهاجرين كنا معهم فقال انى احببت ان يستغنوا
عنكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة
ارقعة اى السموات السبع قيل سميت بذلك لانها رقعت بالنجوم وجا فى الصحيح
من فوق سبع سموات والمراد ان شان هذا الحكم العلو والرفعة قد طرقنى بذلك
الملك سحرا ثم امر ان يجمع ما وجد فى حصونهم من الحلقة والسلاح وغير ذلك
فجمع فوجد فيها الفا وخمسمائة سيف وثلاثمائة درع والفى رمح وخمسمائة ترس
وحجفة ووجد اثاثا كثيرا وانية كثيرة واجمالا نواضح اى يسقى عليها الما وماشية
وشياها كثيرة وخمس ذلك اى مع النخل والسبى حتى الرثة وهو السقط من
امتعة البيت خمسة اجزا فقسم اربعة اسهم على الناس فجعل للفارس ثلاثة اسهم
اى سهم له وسهمان لفرسه قال بعضهم وهو اول فئ وقعت فيه السهام ووضخ للنسا
اللاتى حضرن القتال ومن صفية عمته وام عمارة وام سليط وام العلا والسميرا
ابنة قيس وام سعد بن معاذ وكبشة بنت رافع ولم يسهم لهن واحد هو صلى الله
عليه وسلم جزا وهو الخمس وعبارة بعضهم وهو اول فئ وقعت فيه السهمان وخمس
اى جزى خمسة اجزا وكتب فى سهم لله ثم اخذ ذلك السهم الذى خرج عليه وعلى سننه
مضت قسمة الغنايم وفى ذلك اى كونه اول فئ جرت فيه السهمان نظر لما كان

ذلك فی بنی قینقاع فان الفئ الحاصل منهم خمس خمسة اخماس اخذ صلی الله علیه وسلم
واحدا والاربعة لاصحابه ای ووجد جرار خمر فاهریق ولم یخمس وهذا یدل علی ان الخمر
کانت محرمة قبل ذلك ثم ان رسول الله صلی الله علیه وسلم امر بالاساری ان یکونوا
فی دار اسامة بن زید والنسا والذریة فی دار ابنة الحارث النجاریة ای لان تلك
الدار کانت معدودة لنزول الوفود من العرب وبالمتاع ان یحمل وترك المواشی هناك
ترعی الشجر ثم غدا الی المدینة ثم خرج الی السوق المدینة فخندق فیه خنادق
ای حفر فیه حفایر ثم امر بقتل کل من انبت فبعث الیهم فجاؤا الیه ارسالا تضرب
اعناقهم ویلقون فی تلك الخنادق **وقد** قال بعضهم لسیدهم کعب بن اسد یا کعب
ما تراه یصنع بنا قال فی کل موطن لا تعقلون اما ترون انه من ذهب منکم لا یرجع
هو والله القتل قد دعوتکم الی غیر هذا فابیتم علی قالوا لیس حین عتاب فلم یزل ذلك
الدأب حتی فرغ منهم رسول الله صلی الله علیه وسلم ای وذلك علی شعل السعف
ثم رد علیهم التراب فی تلك الخنادق وعند قتلهم صاحت نساؤهم وشققن جیوبها
ونشرت شعورها وضربت خدودها وملات المدینة نواحا وکان ممن جی به من اتی به
معهم عدو الله حیی بن اخطب مجموعة یداه الی عنقه بحبل فلما نظر الیه رسول الله
صلی الله علیه وسلم قال الم یمکن الله منك یا عدو الله قال بلی ابی الله الا تمکینك منی
انا والله ما لمت نفسی فی عداوتك ولکنه من یخذل الله یخذل ثم اقبل علی الناس
فقال ایها الناس انه لا باس بامر الله کتاب وملحمة ای قتال کتبت علی بنی اسرائیل **ثم**
جلس فضربت عنقه **قال** ولما اتی بکعب بن اسد سید بنی قریظة قال له النبی صلی
الله علیه وسلم کعب قال نعم یا ابا القاسم قال ما انتفعتم بنصح ابن خراش لکم وکان مصدقا
بی اما امرکم باتباعی وان رایتمونی تقرؤنی منه السلام قال بلی والتوراة یا ابا القاسم
ولولا ان تعیرنی یهود بالجزع من السیف لاتبعتك ولکنه علی دین یهود فامر رسول
الله ان یقدم فیضرب عنقه ففعل به ذلك ای وکان المتولی لقتلهم علی بن ابی طالب
والزبیر بن العوام **اقول** فی الامتاع **وجا** سعد بن عبادة والحباب بن المنذر
فقالا یا رسول الله ان الاوس قد کرهت قتل بنی قریظة لمکان حلفهم فقال سعد بن
معاذ ما کرهه من الاوس احد فیه خیر فمن کرهه فلا ارضاه الله فقام اسید بن حضیر
فقال یا رسول الله لا تبقی دارا من دور الاوس الا فرقتهم ففرقهم فی دور الانصار
فقتلوهم بهذا کلامه والضمیر فی قتلوهم ظاهر فی رجوعه للاوس وانهم المراد بالانصار
وقد یقال لا مخالفة لانه یجوز ان یکون المراد بالاوس الذین کرهوا ذلك طائفة
منهم وان تلك الطائفة قتلوا ناسا بعثوا الی دورهم فما عدا ذلك تعاطی قتله

علی الزبیر والله اعلم **ولم** یقتل من نسائهم الا واحدة اخرجت من بین النسا یقال
لها نباتة وقیل مزنة کانت طرحت رحا علی خلاد بن سوید رضی الله تعالی عنه فقتلته
بارشاد زوجها لانه احب ان لا تبقی بعده فیتزوجها غیره **وقد** اسهم صلی الله علیه وسلم
لخلاد بن سوید هذا وقال ان له اجر شهیدین واسهم لسنان بن محصن وقد مات فی زمن
الحصار **وعن** عائشة رضی الله عنها انها قالت لم یقتل من نسائهم تعنی الامراة واحدة
قالت والله انها لعندی تتحدث معی وتضحك ظهرا وبطنا ای وکانت جاریة حلوة ورسول
الله صلی الله علیه وسلم یقتل رجالها فی السوق ای لانها دخلت علی عائشة وبنو قریظة
یقتلون اذ هتف هاتف باسمها این نباتة قالت انا والله قالت عائشة فقلت لها ویلك
ما لك قالت اقتل قلت ولم قالت لحدث احدثته ای **وفی** لفظ قتلنی زوجی فقالت
لها عائشة کیف قتلك زوجك قالت امرنی ان القی رحی علی اصحاب محمد کانوا تحت
الحصن مستظلین فی فیئه فادرکت خلاد بن سوید فشدخت راسه فمات وانا اقتل
به **وفی** لفظ اخر انی کنت زوجة رجل من بنی قریظة وکان بینی وبینه کاشد ما یتحاب
الزوجان فلما اشتد امر المحاصرة قلت لزوجی یا حسرتی علی ایام الوصال کادت ان
تنقضی وتتبدل بلیالی الفراق وما اصنع بالحیاة بعدك فقال لی زوجی ان کنت صادقة
فی دعوی المحبة تعالی فان جماعة المسلمین جالسون فی ظل حصن الزبیر من بطا وهو یفتح
الزای وکسر الباء الموحدة فالقی علیهم حجر الرحی لعله یصیب واحدا منهم فیقتله
فان ظفروا بنا فانهم یقتلونك بذلك ففعلت قالت فانطلق بها فضربت عنقها
فکانت عائشة تقول والله ما القی عجبا منها طیب نفسها وکثرة ضحکها وقد عرفت انها
تقتل وکان فی بنی قریظة الزبیر بن بطا وکان شیخا کبیرا وکان قد من علی ثابت بن
قیس فی الجاهلیة یوم بعاث وهی الحرب التی کانت بین الاوس والخزرج قبل قدومه
صلی الله علیه وسلم المدینة وکان الظفر فیها للاوس علی الخزرج اخرا لما تقدم اخذه
فجز ناصیته ثم خلی سبیله فجاء ثابت للزبیر فقال له یا ابا عبد الرحمن هل تعرفنی قال
فهل یجهل مثلی مثلك قال انی قد اردت ان اجزیك بیدك عندی قال ان الکریم
یجزی الکریم والحوج ما کنت الیك الیوم وعبد الرحمن هذا هو الذی تزوج امراة
رفاعة وشکته للنبی صلی الله علیه وسلم بان الذی معه کهدبة الثوب واحبت طلاقه
لها ثم اتی ثابت الی رسول الله صلی الله علیه وسلم فقال یا رسول الله انه کان للزبیر
علی منة وقد احببت ان اجزیه فهب لی دمه فقال رسول الله صلی الله علیه وسلم هو لك
فاتاه فقال ان رسول الله صلی الله علیه وسلم قد وهب لی دمك فهو لك فقال شیخ
کبیر لا اهل ولا ولد فما یصنع بالحیاة قال ثابت فاتیت رسول الله صلی الله علیه وسلم

فقلت يا رسول الله بابى انت وامى امرأته وولده فقال هم لك قال فاتيته فقلت وقد
وهب لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اهلك وولدك فهم لك فقال اهل بيت بالحجاز
لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك قال فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول
الله ماله قال هو لك فاتيته فقلت له قد اعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك
فهو لك فقال اى ثابت اما انت فقد كافيتني وقد قضيت الذى عليك ما فعل الذى كان
وجهه مرآة تتراءى فيه عذارى الحى كعب بن اسد اى سيد بنى قريظة قلت قال فما فعل
سيد الحاضر والبادى اى من يحملهم فى الحرب ويطعمهم فى المحل حيى بن اخطب قلت
قتل قال فما فعل مقدمتنا بكسر الدال المشددة اذا شددنا وحاميتنا اذا فررنا عزال
بالعين المهملة وتشديد الزاى ابن سموال بالسين المهملة مفتوحة ومكسورة
قلت قتل قال فما فعل المجلسان بكسر اللام محل الجلوس وبفتحها المصدر يعنى بنى
كعب بن قريظة وبنى عمرو بن قريظة قلت قتلا وفى لفظ قتلوا قال فانى اسألك يا ثابت
بيدك عندى الا الحقتنى بالقوم فوالله ما فى العيش بعد هؤلاء من خير اارجع الى دار قد كانوا
حلولا فيها فاخلد فيها بعدهم لا حاجة لى فما انا بصابر لله افراغ دلو ناضح اى مقدار
الزمن الذى يفرغ فيه ما الدلو حتى القى الاحبة قال ثابت فقدمته فضربت عنقه اى
وقيل ان ثابتا قال له ما كنت لاقتلك فقال لا ابالى من قتلنى فقتله الزبير بن العوام
ولما بلغ ابا بكر مقالته القى الاحبة قال يلقاهم والله فى نار جهنم خالدا فيها مخلدا قال
فى الاصل وذكر ابو عبيدة هذا الخبر وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لك اهله وماله ان اسلم اى ولم يسلم فكان اهله وماله من جملة الفئ وكان القتل لكل
من انبت ومن لم ينبت يكون فى السبى قال عطية القرظى كنت غلاما فوجدونى لم انبت
فخلوا سبيلى اى عن القتل وكان رفاعة قد انبت فارادوا قتله فلاذ بسلمى بنت قيس
ام المنذر وكانت احدى خالاته صلى الله عليه وسلم اى خالات جده عبد المطلب لانها من
بنى النجار فقالت يا رسول الله بابى انت وامى هب لى رفاعة فوهبه لها اى فاسلم وقرت
عين سعد بن معاذ بقتل بنى قريظة حيث استجاب الله دعوته فانه سأل الله تعالى
لما اصيب بالسهم فى الخندق وقال ولا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة كما تقدم اى
وفى بعض الروايات ان دعاءه بذلك كان فى الليلة التى فى صبيحتها اتوك بنو قريظة على
حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما تقدم وعن بعض الرواة اى ويجوز ان يكون
دعى بذلك مرتين وفى لفظ فدعا الله ان لا يميته حتى يشفى صدره من بنى قريظة ويكن
ان يكون صاحبا لهم بتراً اشار الى سبب بنى قريظة له صلى الله عليه وسلم ونهى عن بعض
اشرافهم لهم عن نقضهم العهد الذى كان بينهم وبينه صلى الله عليه وسلم الذى سببه حيى بن

اخطب

اخطب واغتراره بالاحزاب بقوله

وتعدوا الى النبى حدودا ۞ كان فيها عليهم العدواء
واطمأنوا بقول الاحزاب اخوانهم انا لكم اولياء
وبيوم الاحزاب اذ زاغت الابصار فيه فضلت الاراء
وتعاطوا فى احمد المنكر القول ونطق الاراذل العوراء
كل رجس يزيده الخلق السوء سفاها والملة العوجاء
فانظروا كيف كان عاقبة القوم ۞ وما ساق للبذى البذاء
وجد السب فيه سما ولم يدر ان المير فى مواضع داء
كان من فيه قتله بيديه ۞ فهو من سوء فعله الزباء
او هو النحل قرصها يجلب الحتف اليها وما لها انكاء

ولما انقضى شان بنى قريظة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن تغزوكم قريش
بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم فكان كذلك وتقدم انه قال ذلك بعد انقضاء الاحزاب
وانفجر جرح سعد بن معاذ اى الذى فى يده وسال الدم واحتضنه النبى صلى الله عليه وسلم
فجعلت الدماء تسيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات منه وحمل الى منزله ولم يعلم
صلى الله عليه وسلم بموته فاتى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم من الليل معتجرا بعمامة
من استبرق فقال يا محمد من هذا العبد الصالح وفى لفظ من هذا الميت الذى
فتحت له ابواب السماء واهتز له العرش وفى رواية عرش الرحمن اى فتحت ابواب السماء
لصعود روحه واهتز العرش اى تحرك فرحا بذلك وقال الامام النووى اهتزاز
العرش هو فرح الملائكة بقدوم روحه وفيه ان هذا لا يحتاج اليه الا لو كان تحرك
العرش مستحيلا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا يجر ثوبه الى سعد بن معاذ
فوجده قد مات وعن سلمة بن اسلم بن حريش قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما فى البيت احد الا سعد مسجى فرايته يتخطى واومأ الى قف فوقفت ورددت من ورائى
وجلس ساعة ثم خرج فقلت يا رسول الله ما رايت احدا ورايتك تتخطى فقال ما قدرت
على مجلس حتى قبض لى ملك من الملائكة احد جناحيه اقول قد وقع له صلى الله عليه وسلم
نظير ذلك عند تشييعه لجنازة ثعلبة بن عبد الرحمن الانصارى فانه صار يمشى على
اطراف انامله فلما دفن قيل يا رسول الله رايناك تمشى على اطراف انامك قال
والذى بعثنى بالحق ما قدرت ان اضع قدمى من كثرة ما نزل من الملائكة لتشييعه
وقصته مذكورة فى السيرة الشامية ولما حملوا نعش سعد وكان جسيما وجدوا
خفة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان له حملة غيركم اى من الملائكة لقد نزل سبعون

الف ملك شهدوا سعدًا الى جنازته وسنهم بجناحه ما وطيوا الارض الا يومهم هذا **وعن**
ابي سعيد الخدري قال كنت ممن حفر لسعد قبره فكان يفوح علينا المسك كلما حفرنا قبره
من تراب **وجا** لو كان احد ناجيا من ضمة القبر لنجا منها سعد ضم ضمة ثم فرج الله عنه
وعن جابر بن عبد الله قال لما دفن سعد ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبح رسول
الله فسبح الناس معه فقالوا رسول الله ثم كبر فكبر الناس معه لم سبحت اي وكبرت قال لقد
تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرجه الله عنه **وجا** ان بعض اهل سعد سُيل
ما بلغكم من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اي في سبب تضايق القبر على سعد كما يرشد
الى ذلك جوابهم بقولهم فقالوا ذكرنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سُيل عن ذلك
فقال كان يقصر في بعض الطهور من البول وهذا قد يخالفه ما في الخصايص الصغرى
وخص بانه صلى الله عليه وسلم لا يضغط في قبره وكذلك الانبيا ولم يسلم من الضغطة
لا صالح ولا غيره سواهم وكذا ما في التذكرة للقرطبي الا فاطمة بنت اسد ببركته صلى
الله عليه وسلم اي حيث اضطجع في قبرها فيحتاج للجمع بينه وبين ما في الخصايص **وعن**
عايشة رضي الله تعالى عنها انها قالت يا رسول الله ما انتفعت بشي منذ سمعتك
تذكر ضغطة القبر وضمته فقال يا عايشة ان ضغطة القبر على المومن كضمة الام
الشفيقة يدها على راس ابنها يشكو اليها الصداع وضرب منكر ونكير كالكحل في العين
ولكن يا عايشة ويل للكافرين اوليك الذين يضغطون في قبورهم ضغط البيض على
الصخر اي وحينيذ يكون المراد بالمومن الذي هذا شانه الذي لم يحصل منه تقصير
فلا ينافي ما تقدم عن سعد فليتامل **وقد** روى البيهقي انه صلى الله عليه وسلم حمل
جنازة سعد بن معاذ بين العمودين وبه استدل ايمتنا على ان ذلك افضل من حمل الجنازة
بالتربيع الذي اعتاده الناس الان **ومشى** صلى الله عليه وسلم امام جنازته ثم صلى عليه
وجاءت امه ونظرت اليه في اللحد وقالت احتسبتك عند الله وعزاها رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو واقف على قدميه على القبر فلما سوى التراب على قبره رش عليه الما ثم وقف
صلى الله عليه وسلم ودعى ثم انصرف وناحت عليه امه فقال صلى الله عليه وسلم كل نايحة
تكذب الا نايحة سعد بن معاذ اي لانه موصوف بكل ما يقال فيه من الاوصاف الحسنة
بخلاف غيره وبعث صاحب دومة الجندل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجبة من سندس
كما سياتي فجعل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبون من تلك الجبة فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لمناديل سعد بن معاذ في الجنة احسن يعني من هذا ومن المعلوم
ان المنديل ادنى الثياب لانه معد للامتهان فثيابه في الجنة اعلى واغلى وقد وهب
صلى الله عليه وسلم تلك الجبة لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ونزلت توبة ابي لبابة على

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت ام سلمة قالت ام سلمة فسمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم من السحر يضحك قالت فقلت مم تضحك اضحك الله سنك قال تيب على ابي لبابة
قالت قلت افلا ابشره يا رسول الله قال بلى ان شيت فقامت على باب حجرتها قيل وذلك
قبل ان يضرب عليهن الحجاب وهو لا يناسب ما تقدم في قصة الافك فقالت يا ابا لبابة
ابشر فقد تاب الله عليك قالت فثار الناس اليه ليطلقوه فقال لا والله حتى يكون رسول الله
صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقني بيده الشريفة وقيل المبشر له عايشة رضي الله عنها
فلما مر صلى الله عليه وسلم على ابي لبابة خارجا الى صلاة الصبح اطلقه **وجا** ان فاطمة رضي
الله عنها ارادت اطلاقه فابى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة مني اي وظاهر
هذا انه كان يرى اطلاقه من سيدتنا فاطمة رضي الله تعالى عنها له تحليلا فليتامل وقد اقام مربوطا
ست ليال اي او سبع ليال وقيل سبع عشرة ليلة وقيل خمسة عشر ليلة وعليه
اقتصر في الامتاع وكانت تاتيه امراته او بنته في وقت كل صلاة فتحله للصلاة وكذا
اذا اراد حاجة الانسان ثم يعود فيربط بالعمود حتى كاد يذهب سمعه وبصره ولا
مانع ان امراته وبنته كانتا ياتيانه وان في ذلك اي **وجا** انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم من
تمام توبتي ان اهجر دار قومي اصبت فيها الذنب وفيه انه تقدم انه عاهد الله على ذلك قال
وان انخلع من مالي فقال له عليه الصلاة والسلام يجزيك الثلث ان تتصدق به اي
ولم يامره صلى الله عليه وسلم بان يهجر تلك الدار وليجمع بينه وبين ما تقدم من انه
عاهد الله ان لا يطا تلك الدار مكث ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد
الانصاري بسبايا بني قريظة الى نجد فابتاع لهم بها خيلا وسلاحا **قال** وفي لفظ
بعث سعد بن عبادة الى الشام بسبايا يبيعهم ويشتري بها سلاحا وخيلا اي فاشترى
بذلك خيلا كثيرا اقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين واشترى عثمان
ابن عفان وعبد الرحمن بن عوف جملة من السبايا فجعلت ثلث الجملة من السبايا قسمين
جعلت الشواب على حدة وجعلت العجايز على حدة ثم خير عبد الرحمن عثمان فاخذ
العجايز واخذ عبد الرحمن الشواب وجعل عثمان على كل منهن شيا ان اتت به عتقت
فكان المال يوجد عند العجايز ولا يوجد عند الشواب فربح عثمان مالا كثيرا **اقول**
ويحتاج الى الجمع وقد يقال ان كان المراد بالسبايا في قصة سعد بن عبادة وعثمان وعبد
الرحمن سبايا بني قريظة فيكون قسموا ثلاثة اقسام قسم اعطي لسعد بن زيد وقسم اعطي
لسعد بن عبادة وقسم اشتراه عثمان وعبد الرحمن ووقع الفدا في سبايا قريظة
وحينيذ يكون المراد بقول القايل وبعث سعد بن زيد بسبايا بني قريظة اي بجملة منهم
فان كان المراد بالسبايا في قصة سعد بن عبادة غير سبايا بني قريظة فالامر ظاهر ويدل

لهذا الثانى اسقاط بنى قريظة منه ثم رايته فى الامتاع اسقط قضية سعد بن
زيد الانصارى واقتصر على سعد بن عبادة حيث قال ولما سبيت السبايا والذرية بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم بطائفة الى الشام مع سعد بن عبادة يبيعهم ويشترى بهم
سلاحا هذا كلامه فليتامل والله اعلم **ونهى** رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفرق بين
ام وولدها اى فى السبايا الاعم من بنى قريظة وقال لا يفرق بين ام وولدها حتى يبلغ
قيل يا رسول الله وما بلوغه قال تحيض الجارية ويحتلم الغلام وكان اذا وجد الولد الصغير
ليس له ام لم يبع من المشركين اى مشركى العرب ولا من يهود وانما يباع من المسلمين
اى وكانت ام الولد الصغير تباع من المشركين هى وولدها من العرب ومن يهود المدينة
قال فى الامتاع وكان يفرق بين الاختين اذا بلغتا ومقتضاه انهما اذا لم يبلغا
لا يفرق بينهما **وايمتنا** معاشر الشافعية لم يحرموا الا التفريق بين الاصول والفروع
اذا لم يميزوا وهو محمل قوله صلى الله عليه وسلم من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه
وبين احبته يوم القيمة ولعله لم تصح تلك الروايات عند ائمتنا رضى الله تعالى عنهم
واصطفى صلى الله عليه وسلم لنفسه منهم ريحانة بنت عمرو وهو شمعون [illegible]
رسول الله عليه وسلم من بنى النضير وكانت متزوجة فى بنى قريظة ولعله مراد من قال
انها كانت من بنى قريظة اى وكانت جميلة واسلمت بعد ان ابت الاسلام ووجد صلى
الله عليه وسلم فى نفسه اى غضب بسبب ذلك اى بسبب عدم اسلامها ولم يظهر ذلك ثم
لما اسلمت سر بذلك فقد جا لما ابت ريحانة الاسلام عزلها صلى الله عليه وسلم ووجد
فى نفسه لذلك وارسل الى ثعلبة بن سعية وكان ممن نزل من حصون بنى قريظة
فى الليلة التى صبيحتها نزل بنو قريظة على حكم سعد بن معاذ اى على ما فى بعض الروايات
واسلم هو واخوه اسيد او اسيد او اسد وابن عمه واحرزوا دماءهم واموالهم وليسوا
من بنى قريظة وانما هم من بنى هذيل فذكر له ذلك فقال ابن سعية فداك ابى وامى
هى مسلمة اى ظنا منه انها تسلم فخرج حتى جاءها ولا زال بها يقول لها اسلمى يصطفيك
رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه فاجابت الى ذلك واسلمت فبينا هو صلى الله عليه
وسلم فى مجلس من اصحابه اذ سمع وقع نعلين خلفه فقال ان هاتين لنعلا مبشرى باسلام
ريحانة فكان كذلك واخبره انها اسلمت فسر صلى الله عليه وسلم بذلك واستمرت عنده
رسول الله صلى الله عليه وسلم اى وهى فى ملكه اختارت بقاءها فى ملكه على العتق
والنكاح اى **فقد** خيرها صلى الله عليه وسلم ان يعتقها ويتزوجها او تكون فى
ملكه تنكحها بالملك فاختارت بقاءها فى ملكه قال بعضهم والاثبت عند اهل العلم انه
اعتقها وتزوجها واصدقها اثنتى عشرة اوقية ونشا واعرس بها فى المحرم سنة ست

بعد

بعد ان حاضت حيضة وضرب عليها الحجاب فغارت عليه فطلقها تطليقة
فاكثرت من البكا فراجعها ولم تزل عنده صلى الله عليه وسلم حتى ماتت مرجعه من
حجة الوداع سنة عشرة فدفنها بالبقيع **ووجوب** استبرائها بحيضة يدل
لما قاله فقهاؤنا ان من ملك امة وطئها غيره وطأ غير محرم لا يحل له تزوجها قبل
استبرائها وان اعتقها وتقدم ان قريظة والنضير اخوان من اولاد هارون على نبينا
وعليه وعلى سائر الانبيا والمرسلين افضل الصلاة والسلام **غزوة بنى لحيان**
بناحية عسفان ولحيان بكسر اللام وفتحها قبيلة من هذيل لا يخفى انه
بعد مضى ستة اشهر من غزوة بنى قريظة غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى
لحيان يطلبهم باصحاب الرجيع اى وهم خبيب واصحابه الذين قتلوا ببير معونة كما
سياتى ذكر ذلك فى السرايا اى لانه صلى الله عليه وسلم وجد اى حزن وجدا شديدا على
اصحابه المقتولين بالرجيع واراد ان ينتقم من هذيل فامر اصحابه بالتهيؤ واظهر انه
يريد الشام اى ليدرك من القوم غرة اى غفلة واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم وخرج
فى مائتى رجل ومعهم عشرون فرسا **ولما** وصل الى المحل الذى قتل فيه اهل الرجيع
ترحم عليهم ودعا لهم بالمغفرة فسمعت به بنو لحيان فهربوا فى روس الجبال اى وارسل
السرايا فى كل ناحية فلم يجدوا احدا اى واقام على ذلك يومين فلما راى صلى الله عليه وسلم
انه فاته ما اراد من غرتهم قال لو انا هبطنا عسفان لراى اهل مكة انا قد جئنا مكة فخرج
فى مائتى راكب من اصحابه حتى نزل عسفان وهذا يدل على ان اصحابه كانوا اكثر من مائتين
وهو يخالف ما تقدم انه خرج فى مائتى رجل الا ان يقال زادوا على المائتين بعد خروجه
ثم بعث فارسين من اصحابه حتى بلغا كراع الغميم ثم كرا راجعين **وفى** لفظ اخر
فبعث ابا بكر فى عشرة فوارس لتقصه اى وقد يقال لا منافاة بين اللفظين ثم
توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة قال جابر سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول حين وجه اى توجه الى المدينة ايبون تايبون ان شاء الله لربنا
حامدون اى **وفى** لربنا عابدون اعوذ بالله من وعثاء اى مشقة السفر وكآبة
اى حزن المنقلب وسوء المنظر فى الاهل والمال **قال** وزاد بعضهم اللهم بلغنا بلاغا
صالحا يبلغ الى خير مغفرة منك ورضوانا قيل ولم يسمع هذا الدعا منه صلى الله عليه
وسلم قبل ذلك وكانت غيبته عن المدينة اربع عشرة ليلة انتهى **وذكر**
بعضهم انه لما رجع من بنى لحيان وقف على الابوا فنظر يمينا وشمالا فراى قبر امه
امنة فتوضا ثم صلى ركعتين فبكى وبكى الناس لبكائه ثم قام فصلى ركعتين ثم
انصرف الى الناس وقال لهم ما الذى ابكاكم قالوا بكيت فبكينا يا رسول الله قال

ما ظننتم قالوا ظننا ان العذاب نازل علينا قال لم يكن من ذلك شئ قالوا ظننا ان
امتك كلفت من الاعمال ما لا تطيق قال لم يكن من ذلك شئ ولكني مررت بقبر امي
فصليت ركعتين ثم استاذنت ربي عز وجل ان استغفر لها فزجرت زجرا اي منعت
عن ذلك منعا شديدا فابكاني **وفي** فعلي بكاي هذا اي فعلي هذا بكاي وادي
في الوفا انه وقف على عسفان فنظر يمينا وشمالا فابصر قبر امه فورد الماء فتوضى ثم
صلى ركعتين فلم يرعنا الا ببكائه فبكينا لبكا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم انصرف فقال ما الذي ابكاكم قالوا بكيت فبكينا الحديث ثم دعا براحلته فركبها فسار يسيرا فانزل الله عليه
ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين
لهم انهم اصحاب الجحيم الى اخر الايتين فلما سري عنه الوحي قال اشهدكم اني بريء من
امنة كما تبرا ابراهيم من ابيه اي وهذا السياق يدل على ان هاتين الايتين غير ما زجر به
عن الاستغفار لها المتقدم في قوله فزجرت زجرا فليتامل **وفي** مسلم عن ابي ايوب
رضي الله عنه قال زار رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر امه فبكى وابكى من حوله فقال استاذنت
ربي في ان استغفر لها فلم ياذن لي واستاذنته في ان ازورها اي بعد ذلك فاذن لي
فزوروا القبور فانها تذكر الموت وسياتي عن عايشة ان في حجة الوداع امه صلى
الله عليه وسلم على عقبة الحجون مترل وقال لها وقفت على قبر امي وسياتي ان ذلك
يدل على ان قبر امه بمكة لا بالابوا وتقدم الجمع بين كونه بالابوا وكونه بمكة وسياتي في
الحديبية انه زار قبرها **وفي** فتح مكة ايضا وسياتي الكلام على ذلك وان ذلك
كان قبل احيايها له وايمانها به **غزوة ذي قرد** بفتح القاف والراء وقيل
بضمهما اي وقيل بضم الاول وفتح الثاني اسم ما والقرد في الاصل الصوف الردي
ويقال لها غزوة الغابة والغابة الشجر الملتف لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة من غزوة بني لحيان لم يقم بها الا ليالي قلايل حتى اغار عيينة بن حصن
في خيل من غطفان على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة اي وكانت اللقاح
عشرين لقحة وهي ذات اللبن القريبة من الولادة اي لها ثلاثة اشهر ثم هي لبون
وفيها رجل من بني غفار هو ولد ابي ذر الغفاري وزوجة ابي ذر فقتلوه وامراة له اي لابي
ذر لا لولده كما يعلم مما ياتي وكان راعيها يؤوب اي يرجع بلبنها كل ليلة الى المدينة عند
المغرب اي فان المسافة بينها وبين المدينة يوما ونحو يوم فقتلوا الرجل واحتملوا
المراة مع اللقاح وعند ابن سعد كان فيها ابو ذر وولده اي وزوجة ابي ذر فقتلوا
ولده اي واحتملوا المراة **قال** جا ان ابا ذر الغفاري استاذن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يكون في اللقاح فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا امن عيينة بن حصن

وذويه ان يغيروا عليك فالح عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لكاني بك
قد قتل ابنك واخذت امراتك وجيت تتوكا على عصاك فكان ابو ذر يقول عجبا
لي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لكاني بك وانا الح عليه فكان والله ما قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فانا والله لفي منزلنا ولقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم قد روحت وحلبت
عتمتها ونمنا فلما كان الليل احدق بنا عيينة بن حصن في اربعين فارسا فصاحوا بنا
وهم قيام على رؤسنا فاشرف لهم ابني فقتلوه وكان معه ثلاثة نفر فنجوا وتنحيت عنهم
وشغلهم عني اطلاق عقل اللقاح ثم صاحوا في ادبارها فكان اخر العهد بها **ولما**
قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبرته تبسم انتهى اي **وروي** بدل عيينة
ابن حصن ابنه عبد الرحمن بن عيينة بن حصن قال بعضهم ولا منافاة لان كلا من
عيينة بن حصن وعبد الرحمن بن عيينة كان في القوم وكان اول من علم بهم سلمة بن
الاكوع فانه غدا يريد الغابة متوشحا قوسه ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله معه فرس له اي لطلحة
يقوده فلقي غلاما لعبد الرحمن بن عوف فاخبره ان عيينة بن حصن قد اغار على لقاح رسول
الله صلى الله عليه وسلم في اربعين فارسا من غطفان قال سلمة فقلت يا رباح اقعد على
هذا الفرس فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد اغير على سرحه اي وهذا السياق
يدل على ان رباح غلامه صلى الله عليه وسلم كان مع سلمة اسقط الراوي ذكره فلم ينقل
ومعه رباح غلامه صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان رباح هذا هو غلام عبد الرحمن الذي اخبر
سلمة بخبر اللقاح ولا منافاة بين كون رباح غلامه صلى الله عليه وسلم وغلام عبد الرحمن
لجواز ان يكون كان لعبد الرحمن ثم وهبه للنبي صلى الله عليه وسلم فهو غلام عبد الرحمن
بحسب ما كان ثم رايت ما يؤيد الاول وهو ما في بعض الروايات عن سلمة قال خرجت انا ورباح
عبد النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يؤذن بالاولى يعني لصلاة الصبح نحو الغابة وانا
راكب على فرس ابي طلحة الانصاري فلقيني عبد لعبد الرحمن بن عوف قال اخذت لقاح
رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت من اخذها قال غطفان وفزارة وقد طوى في هذه الرواية
ذكر غلام طلحة ثم رايت الحافظ ابن حجر ذكر انه لم يقف على اسم غلام عبد الرحمن بن عوف
قال اخذت لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت من اخذها قال غطفان وفزارة
وقد طوى في هذه الرواية ذكر غلام طلحة ثم رايت اي الذي اخبر ذكر انه لم يقف على
اسم غلام عبد الرحمن بن عوف هذا اي اخبر سلمة بامر اللقاح قال ويحتمل ان يكون هو
رباح غلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ملك احدهما وكان يخدم الاخر
فنسب تارة الى هذا وتارة الى هذا هذا كلامه ولا يخفى بعده للتصريح بان رباح غير
غلام عبد الرحمن وان رباح كان مع سلمة وان غلام عبد الرحمن هو الذي اخبر سلمة بخبر

اللقاح ولا منافاة بين كون الفرس لطلحة وبين كونها لابى طلحة ولا بين كون عبد
طلحة كان قايدًا لها وبين كون سلمة راكبًا لها لانه يجوز ان يكون ركبها اثناء الطريق فليتامل
وفى تسمية غلامه صلى الله عليه وسلم رباح مع نهيه صلى الله عليه وسلم ان الشخص يسمى رقيقه
باحد اربعة اسما افلح ورباح ويسار ونافع وزاد فى رواية خامسًا وهو نجيح فهلا غير اسمه
ان كانت وقعت التسمية من غيره صلى الله عليه وسلم او يقال لم يغير ذلك الاسم اشارة الى
ان النهى للتنزيه ثم ان سلمة رجع الى المدينة وعلا ثنية الوداع فنظر الى بعض خيولهم فصرخ
باعلى صوته واصباحاه اى قال ذلك ثلاث مرات اى وقيل نادى الفزع الفزع ثلاثًا
ولا مانع ان يكون جمع بين ذلك وفى لفظ وقفت على تل بناحية سلع اى وفى لفظ
على اكمة وفى لفظ اخر فصعدت فى سلع ولا منافاة لما تقدم لا يخفى ثم جعلت وجهى من
قبل المدينة ثم ناديت ثلاث مرات يا صباحاه اسمع ما بين لابتيها اى لسعة صوته وان
ذلك وقع خرقًا للعادة ويا صباحاه كلمة تقال عند استنفار من كان غافلا عن عدوه لانهم
يسمون يوم الغارة يوم الصباح ٥ ثم خرج يشتد فى اثر القوم كالسبع وقد كان
يسبق الفرس جريًا حتى يلحق بهم فجعل يرميهم بالنبل ويقول اذا رمى خذها وانا ابن الاكوع
واليوم يوم الرضع اى يوم هلاك اللئام فاذا وجهت الخيل نحوه انطلق هاربًا وهكذا
يفعل قال كنت الحق الرجل منهم فارميه بسهم فى رجله فيعقره فاذا رجع الى فارس منهم
اتيت شجرة فجلست فى اصلها ثم ارميه فاعقره فيولى عنى فاذا دخلت الخيل فى بعض مضايق
الجبل علوت الجبل ورميتهم فيولى عنى فاذا دخلت الخيل فى بعض مضايق الجبل علوت
الجبل ورميتهم بالحجارة قال ولم ازل ارميهم حتى القوا اكثر من ثلاثين رمحًا واكثر من
ثلاثين بردة يستخفون بها ولا يلقون شيئًا من ذلك الا جعلت عليه حجارة وجمعته
على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم اى وما زلت كذلك اتبعهم حتى ما خلق الله تعالى
من بعير من ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم الا خلفته وراء ظهرى وخلوا بينى وبينه
ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح ابن الاكوع صرخ بالمدينة الفزع الفزع
يا خيل الله اركبى قيل وكان اول ما نودى بها وفيه كما فى الاصل انه نودى بها فى بنى قريظة
كما تقدم واول من انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفرسان المقداد بن عمرو
ويقال ابن الاسود وتقدم انه قيل له ذلك لانه كان فى حجر الاسود بن عبد يغوث وتبناه
فنسب اليه ثم عباد بن بشر وسعد بن زيد ثم تلاحقت به الفرسان وامر عليهم سعد بن
زيد وقيل المقداد وجزم به الدمياطى اى ويدل له قول حسان فى وصف هذه الغزاة ٥
٥ غداة فوارس المقداد ٥ لكن فى السيرة الشامية ان سعد بن زيد غضب على
حسان وحلف لا يكلمه ابدا وقال انطلق الى خيلى فجعلها للمقداد وان حسان اعتذر

لسعد

لسعد بان الروى وافق اسم المقداد وذكر ابياتًا يرضى بها سعد بن زيد فلم يقبل منه
سعد ذلك وهذا يدل على الاول وعقد صلى الله عليه وسلم لذلك الامير لواء فى رمحه
ثم قال له اخرج فى طلب القوم حتى الحقك بالناس فخرج الفرسان فى طلب القوم حتى
تلاحقوا بهم وكان شعارهم يومئذ امت امت واول فارس لحق بهم محرز بن نضلة ٥
ويقال له الاخرم الاسدى وقف لهم بين ايديهم وقال لهم يا معشر بنى اللكيعة اى اللئيمة
قفوا حتى يلحق بكم من وراءكم من المهاجرين والانصار فحمل عليه شخص من المشركين فقتله وعن
سلمة بن الاكوع انه قال ثم ان القوم جلسوا يتغدون وجلست على راس قرن جبل فقال لهم من
هذا قالوا لقينا من هذا البرح حتى انتزع كل شىء فى ايدينا قال فليقم اليه منكم اربعة
فتوجهوا الى فهددتهم اى فقد جاء عندنا قال لهم هل تعرفوننى قالوا لا ومن انت قلت
انا سلمة بن الاكوع والذى كرم وجه محمد صلى الله عليه وسلم لا اطلب رجلا منكم الا ادركته
ولا يطلبنى فيدركنى قال احدهم انا اظن ذلك فرجعوا قال ولما رايت الاخرم الاسدى
اول الفرسان نزلت من الجبل واخذت بعنان فرسه وقلت له احذر القوم ٥
لا يقتطعوك حتى يلحق رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه قال يا سلمة ان كنت تؤمن
بالله واليوم الاخر وتعلم ان الجنة حق وان النار حق فلا تحل بينى وبين الشهادة فخليت
عنه فالتقى هو وعبد الرحمن بن عيينة فعقر فرس عبد الرحمن وطعنه عبد الرحمن
فقتله وتحول على فرسه فلحق عبد الرحمن ابو قتادة فعقر عبد الرحمن فرس ابى قتادة
فقتله ابو قتادة وتحول ابو قتادة الى الفرس اقول ولعل عبد الرحمن هذا هو حبيب
بفتح الحاء المهملة وكسر الموحدة ابن عيينة فانى لم اقف على ذكر عبد الرحمن هذا فيمن
قتل من المشركين فى هذه الغزاة وان ابا قتادة قتل حبيبًا وغشاه ببرده كما سياتى
الا ان يقال يجوز ان يكون له اسمين عبد الرحمن وحبيب ثم رايت الحافظ ابن حجر
اشار الى ذلك وقيل قاتل محرز مسعدة الفزارى وبه جزم الحافظ الدمياطى وذكر ان
قاتل حبيب المقداد فقال وقتل ابو قتادة مسعدة فاعطاه رسول الله صلى الله عليه
وسلم فرسه وسلاحه وقتل المقداد بن عمرو حبيب بن عيينة بن حصن والله اعلم ولم
يقتل من المسلمين الا محرز بن نضلة الذى هو الاخرم الاسدى وكان راى قبل ذلك بيوم
ان سماء الدنيا فرجت وما بعدها حتى انتهى الى السماء السابعة ثم انتهى الى سدرة المنتهى
فقيل له هذا منزلك فعرضها على ابى بكر وكان من اعلم الناس بالتعبير كما تقدم فقال
له ابشر بالشهادة واقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسلمين وقد استعمل على
المدينة ابن ام مكتوم اى واستعمل على حرس المدينة سعد بن عبادة فى ثلثمائة من قومه
يحرسون المدينة فاذا حبيب بفتح الحاء المهملة وكسر الموحدة مسجى اى مغطى ببرده

ابى قتادة فاسترجع المسلمون اى قالوا انا لله وانا اليه راجعون وقالوا قتل ابو
قتادة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بابى قتادة ولكنه قتيل لابى
قتادة وضع عليه برده ليعرف انه صاحبه اى القاتل له قال وفى رواية انه صلى الله
عليه وسلم قال والذى اكرمنى بما اكرمنى به ان ابا قتادة على اثار القوم يرتجز فخرج عمر بن
الخطاب حتى كشف البرد عن وجه المسجى فاذا وجه حبيب فقال الله اكبر صدق الله
ورسوله يا رسول الله غير ابى قتادة وفى لفظ فخرج ابو بكر وعمر حتى كشفا البرد عن حبيب
وقيل الذى قتله ابو قتادة وغشاه ببرده هو مسعدة قال الحافظ الحجة على ما تقدم
ففى رواية ان ابا قتادة اشترى فرسا فلقيه مسعدة الفزارى فتنافرا وضحكه فقال
له ابو قتادة اما انى اسأل الله ان القاك وانا عليها قال امين فلما اخذت اللقاح ركب
تلك الفرس وسار فلقى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له امض يا ابا قتادة صحبك
الله قال فخرجت حتى هجمت على القوم فرميت بسهم فى جبهتى فنزعت قدحه وانا اظن انى
نزعت الحديدة فطلع على فارس وقال لقد القانيك الله يا ابا قتادة وكشف عن
وجهه فاذا مسعدة الفزارى فقال ايما احب اليك مجالدة او مطاعنة او مصارعة
فقلت ذاك اليك فقال صراع فنزل وعلق سيفه فى شجرة ونزلت وعلقت سيفى
فى شجرة وتواثبنا فرزقنى الله الظفر عليه فاذا انا على صدره واذا شئ مس راسى فاذا
سيف مسعدة قد وصلت اليه فى المعالجة فضربت بيدى الى سيفه وجردته
السيف فلما راى ان السيف وقع بيدى قال يا ابا قتادة استحينى قلت لا والله قال
فمن للصبية قلت النار ثم قتلته وادرجته فى بردى ثم اخذت ثيابه فلبستها ثم استويت
على فرسه وان فرسى نفرت حيث تعالجنا وذهبت للعدو فعرقبوها ثم ذهبت خلف القوم
فحملت على ابن اخيه فدققت صلبه فانكشف من معه من اللقاح فخبست اللقاح بركن وجنب
احرته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افلح وجهك يا ابا قتادة اى فقلت ووجهك
يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم ابو قتادة سيد الفرسان بارك الله فيك يا ابا قتادة
وفى ولدك وولد ولدك وفى لفظ وفى ولد ولدك انتهى اى وقال له ما هذا الذى بوجهك
قلت سهم اصابنى فقال ادن منى فنزع النصل نزعا دقيقا ثم بزق فيه ووضع راحته
عليه فوالذى اكرمه بالنبوة ما ضرب على ساعة قط ولا قدح على وفى رواية ولا قاح وفى
لفظ قال اى قتلت مسعدة قلت نعم ثم قال يدعو لابى قتادة اللهم بارك له فى شعره
وبشره فمات ابو قتادة وهو ابن سبعين سنة وكانه ابن خمس عشرة سنة اى واعطاه
فرس مسعدة وسلاحه اى كما تقدم وقال بارك الله لك فيه وهذا السياق يدل على ان
ابا قتادة انفرد عن الصحابة وتقدمهم فتخلف مسعدة عن قومه مدة مصارعته

قتادة

قتادة له وقتله ولا مانع من ذلك وقيل استنقذوا نصف اللقاح اى عشرة
وفيها جمل ابى جهل الذى غنمه ببدر وافلت القوم بالعشرة الاخرى اى ولا ينافيه
ما تقدم من قول ابى قتادة فانكشفوا عن اللقاح وجئت احوشها لان المراد جملة من
اللقاح لكنه يخالف لما تقدم عن سلمة من قوله فما زلت ارشقهم يعنى القوم حتى ما
خلق الله من بعير من ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم الا خلفته وراء ظهرى وخلوا
بينهم وبينه فلينا تمل وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالجبل من ذى
قرد بناحية خيبر وتلاحق به الناس اى وقال له سلمة بن الاكوع يا رسول الله ان القوم
عطاش فلو بعثتنى فى مائة رجل استنقذت ما بقى فى ايديهم من السرح واخذت باعناق
القوم اى وقد يقال لا يخالف هذا ما تقدم من قوله حتى ما خلق الله من بعير من ظهر
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا خلفته وراء ظهرى وخلوا بينهم وبينه لجواز ان يكون
صدر عنه ما تقدم لظنه ان ذلك هو جميع اللقاح اى التى اخذت ثم تحقق ان الذى
استنقذه هو وابو قتادة جملة منها وما فى البخارى واستنقذوا اللقاح كلها يجوز
ان يكون قايل ذلك ظن الذى استنقذه من ايدى القوم هو جميع ما اخذ من اللقاح
كما ان سلمة اعتقد ان جميع اللقاح التى اخذت من التى جعل خلف ظهره كما تقدم
فكل من سلمة وابى قتادة خلف نصف اللقاح التى هى العشرة التى خلصت من ايدى
القوم وفى رواية عن سلمة قلت يا رسول الله ابعثنى مع فوارس لندرك القوم قال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعد ان ضحك صلى الله عليه وسلم ملكت فاسجح اى فارفق والمعنى
قدرت فاعفوا وانما كانوا عطاشا لان سلمة ذكر انه تبعهم الى قبيل غروب الشمس الى ان
عدلوا الى شعب فيه ما يقال له ذو قرد فنفاهم اى طردهم عنه ومنعهم الشرب منه
وتركوا فرسين وجاء بهما سلمة يسوقهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعل
هذا كان من سلمة بعد ان رجعت الصحابة عنهم واستمر يتبعهم وقال له شخص يا رسول
الله القوم الان يغبقون بارض غطفان اى يشربون اللبن بالعشى الذى هو الغبوق فجاء
رجل من غطفان فقال مروا على فلان الغطفانى فنحر لهم جزورا فلما اخذوا يكشطون
جلدها راوا غبيرة فتركوها وخرجوا هرابا ولما نزل صلى الله عليه وسلم بالمحل المذكور لم تزل
الخيل تاتى والرجال على اقدامهم وعلى الابل حتى انتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومكث يوما وليلة اى وعن سلمة والاتى هى عامر بن الاكوع بسطيحة فيها ماء وسطيحة
فيها لبن فتوضات وشربت ثم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على الماء الذى اجليتهم
عنه فاذا هو قد اخذ كل شئ استنقذته منهم ونحر له بلال ناقة ولا مخالفة لانه يجوز
ان يكون ذهب الى الماء بعد ان كان مكثه بالجبل المذكور وصلى بالناس صلاة الخوف

اى يخوف ان القصد ويجئ اليهم ولعل هذه هى صلاة بطن نخل وهى على ما رواه الشيخان ان جعل القوم فرقتين وصلاها مرتين كل مرة بفرقة والاخرى تحرس اى تكون فى وجه العدو اى فى المحل الذى يظن مجيئهم منه وذلك كان لغير جهة القبلة والا فالعدو لم يكن بمراى منهم وهذه الصلاة لم ينزل بها القران **اقول** لكن رايت فى الامتاع وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ صلاة الخوف فقام الى القبلة وصف طايفة خلفه وطايفة مواجهة العدو فصلى بالطايفة التى خلفه ركعة وسجد سجدتين ثم انصرفوا فقاموا مقام اصحابهم واقبل الاخرون فصلى بهم ركعة وسجد سجدتين فكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتان ولكل رجل من الطايفتين ركعة ولا يخفى ان هذه الكيفية هى صلاة عسفان والله اعلم **ولما** اصبح صلى الله عليه وسلم قال خير فرساننا ابو قتادة وخير رجالتنا سلمة وعند خروجه صلى الله عليه وسلم وتلاحق بعض الفرسان به قال لابى عياش لو اعطيت هذا الفرس رجلا هو افرس منك لحق بالناس قال ابو عياش فقلت يا رسول الله انى افرس الناس قال ابو عياش فوالله ما جرى بى خمسين ذراعا حتى طرحنى فعجبت لذلك وقسم فى كل مائة من اصحابه جزورا ينحرونها وكانوا خمسمائة وقيل سبعمائة وبعث سعد بن عبادة باحمال تمر وبعشر جزاير فوافت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى قرد اى وقال صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم سعدا وآل سعد نعم المرء سعد بن عبادة فقالت الانصار هو سيدنا وابن سيدنا من بيت يطعمون فى المحل ويحملون عن العشيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيار الناس فى الاسلام خيارهم فى الجاهلية اذا فقهوا فى الدين وافلتت امراة ابى ذر على ناقة من ابل رسول الله صلى الله عليه وسلم اى من جملة اللقاح وهى القصوى افلتت من القوم فطلبوها فاعجزتهم **وفى** لفظ وانفلتت المراة من الوثاق ليلا فاتت الابل فجعلت اذا دنت من البعير رغا فتتركه حتى انتهت الى العضباء فلم ترغ فقعدت فى عجزها ثم زجرتها وعملوا بها فطلبوها فاعجزتهم ونذرت ان نجاها الله تعالى لتنحرنها فلما اخبرت النبى صلى الله عليه وسلم الخبر قالت يا رسول الله قد نذرت ان انحرها ان نجانى الله عليها اى واكل من كبدها وسنامها فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بئسما جزيتيها ان حملك اى لاجل حملك الله عليها ونجاك بها ثم تنحريها لا نذر فى معصية الله ولا فيما لا تملكين **وفى** لفظ لا وفاء لنذر فى معصية الله ولا فيما لا يملك ابن ادم انما هى ناقة من ابلى ارجعى الى اهلك على بركة الله تعالى ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اى وهذا السياق يدل على ان المراة قدمت عليه صلى الله عليه وسلم بتلك الناقة قبل قدومه المدينة **وفى**

السيرة

السيرة الهشامية انها قدمت عليه المدينة فاخبرته الخبر ثم قالت يا رسول الله انى نذرت الحديث وهو يخالف ما يأتى من قوله ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته العضباء ولعل ما فى الاوسط للطبرانى بسند ضعيف عن النواس بن سمعان ان ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم سرقت فقال لئن ردها الله على لاشكرن ربى وقد وقعت فى حى من احياء العرب فيهم امراة مسلمة فرات من القوم غفلة فقعدت عليها فصبحت المدينة الى اخره لا ينافى ما هنا لجواز تعدد الواقعة ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته العضباء مردفا سلمة بن الاكوع وقد غاب عنها خمس ليال واعطى سلمة بن الاكوع سهم الراجل والفارس جميعا مع كونه كان راجلا **وبهذا** استدل من يقول ان للامام ان يفاضل فى الغنيمة وهو مذهب ابى حنيفة **واحد** الروايتين عن احمد **وعند** مالك **وامامنا** الشافعى لا يجوز ولعله لعدم صحة ذلك عندهما وتبعت فى تقديم هذه الغزوة على غزوة الحديبية الاصل وهو الموافق لقول بعضهم اجمع اهل السير على ان غزوة الغابة قبل الحديبية ولقول ابى العباس شيخ القرطبى صاحب التذكرة والتفسير لا يختلف اهل السير ان غزوة ذى قرد كانت قبل الحديبية والشمس الشامى ذكرها بعد الحديبية تبعا لما فى صحيح البخارى انها بعد الحديبية وقبل خيبر بثلاثة ايام **وفى** مسلم نحوه ففيه عن سلمة بن الاكوع فرجعنا اى من غزوة ذى قرد فلم نلبث الا ثلاث ليال حتى خرجنا الى خيبر ويؤيده قول الحافظ شمس الدين بن امام الجوزية قد وهم جماعة من اصحاب المغازى والسير فذكروا غزوة الغابة قبل الحديبية قال الحافظ ابن حجر ما فى البخارى اصح مما ذكره اهل السير قال ويحتمل فى طريق الجمع ان تكون اغارة عيينة بن حصن على اللقاح اى فى الغابة وقعت مرتين مرة قبل الحديبية ومرة بعد الحديبية قبل الخروج الى خيبر اى ويلزم ان يكون فى كل كان خروجه صلى الله عليه وسلم وان اول من علم بامر اللقاح سلمة بن الاكوع ووقع له وللصحابة ما تقدم هذا حقيقة التكرار والاصل الذى خرج فيه صلى الله عليه وسلم ووقع فيه لسلمة ولغيره من الصحابة ما وقع كان اولا وثانيا فليتامل ثم رايت عن الحاكم انه ذكر فى الاكليل ان الخروج الى ذى قرد تكرر اى ثلاث مرات **ففى** الاولى خرج اليها زيد بن حارثة قبل احد وفى الثانية خرج اليها النبى صلى الله عليه وسلم سنة خمس والثالثة هى المختلف فيها اى ومعلوم ان هذه المختلف فيها خرج اليها صلى الله عليه وسلم فليتامل

غزوة الحديبية

الحديبية بالتخفيف تصغير حدباة وعلى التشديد عامة الفقهاء والمحدثين واشار بعضهم الى انه لم يسمع من فصيح ومن ثم قال النحاس سالت كل من لقيت ممن اثق بعلمه عن الحديبية فلم يختلفوا فى انها بالتخفيف **وفى** كلام بعضهم اهل الحديث

يشددون واهل العربية يخففون وفي كلام بعض اخر اهل العراق يشددون
واهل الحجاز يخففون وهي بير وقيل شجرة سمي المكان باسمها وقيل قرية قريبة
من مكة اكثرها في الحرم قال وسببها انه صلى الله عليه وسلم راى في النوم انه دخل مكة هو
واصحابه امنين محلقين رؤسهم ومقصرين اى بعضهم يحلق وبعضهم يقصر وانه
دخل البيت واخذ مفتاحه وعرف مع المعرفين اى وطاف هو واصحابه واعتمر واخبر
بذلك اصحابه ففرحوا ثم اخبر اصحابه انه يريد الخروج للعمرة فتجهزوا للسفر فخرج صلى
الله عليه وسلم معتمرا ليامن الناس اى اهل مكة ومن حولهم من حربه وليعلم انه صلى الله
عليه وسلم انما خرج زائرا للبيت ومعظما له وكان احرامه صلى الله عليه وسلم بالعمرة من
ذي الحليفة اى بعد ان صلى بالمسجد الذي بها ركعتين وركب من باب المسجد وانبعثت
به راحلته مستقبل القبلة احرم واحرم معه غالب اصحابه ومنهم من لم يحرم الا بالجحفة
اى وكان خروجه في ذي القعدة وقيل كان خروجه في رمضان وهو غريب ولفظ
تلبيته صلى الله عليه وسلم لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة
لك والملك لا شريك لك ٥ واستعمل صلى الله عليه وسلم على المدينة نميلة بن عبد الله
الليثي اى وقيل ابن ام مكتوم وقيل ابا رهم مع ابن ام مكتوم جميعا فكان ابن ام مكتوم
على الصلاة وكان ابو رهم حافظا للمدينة وكان خروجه اى بعد ان استنفر العرب
ومن حول من البوادي من الاعراب ممن اسلم غفار ومزينة وجهينة واسلم القبيلة
المعروفة خشية من قريش ان يحاربوه او ان يصدوه عن البيت كما صنعوا فتثاقل كثير
منهم وقالوا انذهب الى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا اصحابه فيقاتلهم
واعتلوا بالشغل باهاليهم واموالهم وانه ليس لهم من يقوم بهم فانزل الله تعالى تكذيبهم
في اعتذارهم بقوله يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم وخرج صلى الله عليه وسلم بعد
ان اغتسل ببيته ولبس ثوبين وركب راحلته القصوى من عند بابه وخرج معه
ام سلمة وام عمارة وام منيع وام عامر الاشهلية رضي الله تعالى عنهن ومعه المهاجرون
والانصار ومن لحق بهم من العرب وابطا عليه كثير منهم كما تقدم وساق معه الهدى
سبعين بدنة وقلد الهدى اى في ذي الحليفة بعد ان صلى بها الظهر ثم اشعر منها عدة وهي
موجهات للقبلة في الشق الايمن اى من سنامها ثم امر صلى الله عليه وسلم ناجية وكان اسمه
ذكوان فغيره رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه وسماه ناجية لما انه نجى من قريش
فاشعر اسمه ما بقي وقلد من نعلا نعلا واشعر المسلمون بدنهم وقلدوها والاشعار جرح
بصفحة سنامها والتقليد ان يقلد في عنقها قطعة جلد او نعلا بالية ليعلم انها هدى
فيكف الناس عنه ٥ وكان الناس سبعمائة رجل فكانت كل بدنة عن عشرة وقيل كانوا

اربع

اربع الفا وثلثمائة وقيل واربعمائة وقيل وخمسمائة وعشرون اى وقيل الف
وسبعمائة اى وليس معهم سلاح الا السيوف في القرب وقال له عمر بن الخطاب رضي
الله تعالى عنه اتخشى يا رسول الله من ابي سفيان واصحابه ولم ياخذ الحرب بعدتها
فقال لست احب احمل السلاح معتمرا وكان معهم مائتا فرس ٥ فاقبلوا نحوه صلى الله
عليه وسلم اى في بعض المحال صلى الله عليه وسلم وبين يديه صلى الله عليه وسلم ركوة يتوضا
منها فقال ما لكم قالوا يا رسول الله ليس عندنا ما نشرب ولا ما نتوضا منه الا ما في ركوتك
فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه
الشريفة امثال العيون اى وفي لفظ فجعل الماء ينبع من بين اصابعه الشريفة
وفي لفظ اخرى فرايت الماء يخرج من بين اصابعه وفي لفظ اخر فرايت الماء ينبع من
بين اصابعه واستدل به بعضهم على ان الماء خرج من نفس بشرته الشريفة صلى الله
عليه وسلم قال ابو نعيم وهو اعجب من نبع الماء من الحجر لموسى عليه الصلاة والسلام من
فان نبعه من الحجر متعارف معهود واما من بين اللحم والدم فلم يعهد قال بعضهم وانما
لم يخرجه صلى الله عليه وسلم بغير ملابسة ماء ادبا مع الله تعالى لانه المنفرد بابتداع
المعدومات من غير اصل قال جابر رضي الله عنه فشربنا وتوضانا ولو كنا مائة الف لكفانا
كنا خمسة عشر مائة فلما كانوا بعسفان جاء اليه صلى الله عليه وسلم بشر بن سفيان العتكي
اى وقد كان صلى الله عليه وسلم ارسله الى مكة عينا له فقال يا رسول الله هذه قريش قد
سمعت بخروجك واستنفروا من اطاعهم من الاحابيش واجلبت ثقيف معهم
وهم النساء والصبيان وفي لفظ فخرجوا ومعهم العوذ المطافيل اى النياق ذوات
اللبن التي معها اولادها بذلك ولا يرجعون خوف الجوع قال السهيلي والعوذ جمع عائذ
وهي الناقة التي معها ولدها وانما قيل للناقة عائذ وان كان الولد هو الذي يعوذ بها لانها
عاطف عليه كما قالوا تجارة رابحة وان كانت مربوحا فيها لانها في معنى نامية وزاكية
هذا كلامه والعوذ المطافيل النساء معهن اطفالهن اى انهم خرجوا بنسائهم معهن
اولادهن ليكون ادعى لعدم الفرار ٥ اى ويجوز ان يكونوا خرجوا بذلك جميعه قد لبسوا
جلود النمر اى اظهروا العداوة والحقد وقد نزلوا بذي طوى يعاهدون الله ان لا يدخلها
عليهم عنوة ابدا وهذا خالد بن الوليد في خيلهم اى رضي الله عنه فانه اسلم بعد ذلك
قد قدموها الى كراع الغميم اى وكانت مائتي فرس اى وقد صفت الى جهة القبلة ٥ فامر
رسول الله صلى الله عليه وسلم عباد بن بشر رضي الله تعالى عنه فتقدم في خيله فقام بازاء
خالد رضي الله تعالى عنه وصف اصحابه رضي الله تعالى عنهم وحانت صلاة الظهر فاذن
بلال رضي الله تعالى عنه واقام فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلة وصف

الناس خلفه فركع بهم وسجد ثم سلم فقال المشركون لقد امكنكم محمد واصحابه من ظهورهم
هلا شددتم عليهم وفي لفظة لخالد بن الوليد رضي الله عنه قد كانوا على غرة لو حملنا
عليهم اصبنا منهم ولكن تاتي الساعة صلاة اخرى هي احب اليهم من انفسهم وابنائهم
اي التي هي صلاة العصر وبهذا استدل على انها الصلاة الوسطى واستدل ايضا
بانه كان في اول ما انزل حافظوا على الصلوات وصلاة العصر ثم نسخ ذلك اي تلاوته
بقوله تعالى والصلاة الوسطى فنزل جبريل عليه السلام بين الظهر والعصر بقوله
تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك الآيات وهذا
يدل على انه صلى الله عليه وسلم صلى بهم جميعا حتى عباد بن بشر واصحابه جميعا الذين
قاموا بازا خالد رضي الله عنهم وكانت صلاة العصر فصلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم باصحابه صلاة الخوف اي على ما ذكره الله تعالى فلما جعل المسلمون يسجد بعضهم
وبعضهم قائم ينظر اليهم قال المشركون لقد اخبروا بما اردناه بهم ولعل هذه الصلاة
هي صلاة عسفان لان كراع الغميم بالقرب منه كما تقدم وهي على ما رواه مسلم انه
صفهم صفين وانه احرم بهم وركع واعتدل بهم جميعا ثم لما سجد معه الصف الاول سجدتيه
وتخلف الصف الثاني في اعتداله للحراسة فلما قدم وقام تقدم من سجد الصف الثاني
ولحقه في القيام وتقدم الصف الثاني وتاخر الصف الاول ثم ركع واعتدل بهم جميعا
ثم سجد وسجد معه الصف الثاني الذي تقدم واستمر الصف الاول الذي تاخر على الحراسة
في اعتداله فلما جلس للتشهد اتموا بقية صلاتهم وجلسوا معه للتشهد فتشهد وسلم
بهم جميعا وعلى هذه الصلاة حمل ايمتنا ما جا فرضت الصلاة في الخوف ركعة اي
انها ركعة مع الامام ويضم اليها اخرى ثم رايت في الدر المنثور التصريح بان هذه الصلاة
هي جميعا صلاة عسفان عن ابي عياش الزرقي قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم
بعسفان فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد رضي الله عنه وهم بيننا وبين
القبلة فصلى بنا النبي صلى الله عليه وسلم الظهر فقالوا قد كانوا على حال غرة الحديث
واشترط ايمتنا في هذه الصلاة وهي اذا كان العدو في جهة القبلة ولا ساتر ان يكون
كل صف مقاوما للعدو وان كل واحد لاثنين والا لم تصح الصلاة لما فيه من التغرير
بالمسلمين ولعل صلاته صلى الله عليه وسلم بالصفين كانت كذلك وهذه الصلاة
لم ينزل بها القران كصلاة بطن نخل فعلم ان القران لم ينزل الا بصلاة ذات الرقاع
وبصلاة شدة الخوف ولم اقف على انه صلى الله عليه وسلم صلى صلاة شدة الخوف وهو
ان يلتحم القتال او لم يامنوا هجوم العدو ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بان
قريشا تريد منعهم عن البيت قال اشيروا علي ايها الناس اتريدون ان نؤم البيت فمن صدنا

عنه

عنه قاتلناه فقال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله خرجت عامدا لهذا البيت لا تريد
قتل احد ولا حربا فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه اي وفي الامتاع وقال المقداد
رضي الله عنه يا رسول الله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى عليه الصلاة والسلام
اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا
انا معكم مقاتلون والله يا رسول الله لو سرت الى برك الغماد لسرنا معك ما بقي منا
رجل فقال صلى الله عليه وسلم فامضوا على اسم الله فساروا ثم قال يا ويح قريش نهكتهم
الحرب اي اضعفتهم وفي لفظ اكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين
سائر العرب فان هم اصابوني كان ذلك الذي ارادوا وان اظهرني الله عليهم
دخلوا في الاسلام وافرين اي كاملين وان لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فماذا
تظن قريش فوالله لا ازال اجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله او تنفرد
هذه السالفة اي صفحة العنق فهو كناية عن القتل ثم قال هل من انا يا رسول
الله اي يقال انه ناجية بن جندب رضي الله عنه فسلك بهم طريقا وعرا فلما خرجوا
منه وقد شق عليهم ذلك وافضوا الى ارض سهلة قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم للناس قولوا نستغفر الله ونتوب اليه فقالوا ذلك فقال والله انها اي
قول استغفر الله للحطة التي عرضت على بني اسرائيل فلم يقولوها ثم ان خالدا
رضي الله تعالى عنه لم يشعر بهم الا وقد نزلوا بذلك المحل فانطلق نذيرا لقريش وقد
جا في تفسير الحطة انها المغفرة اي طلب المغفرة اي اللهم حط عنا ذنوبنا
وهذا هو المناسب لقوله صلى الله عليه وسلم قولوا نستغفر الله الى اخره وجا
في تفسيرها ايضا انها لا اله الا الله فلم يقولوا حطة بل قالوا حنطة حبة
حمرا فيها شعيرة سودا استهزا وجراة على الله تعالى وفي البخاري فقيل لبني
اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم فبدلوا فدخلوا يزحفون
على استاههم اي على اطيازهم وقالوا حبة في شعيرة وقد جا اهل بيتي فيكم
مثل باب حطة في بني اسرائيل من دخله غفر له الذنوب اي المذكور في قوله تعالى
وادخلوا في بني اسرائيل من دخله غفر له الذنوب اي المذكور في قوله تعالى وادخلوا
الباب اي باب اريحا بلد الجبارين سجدا اي خاضعين متواضعين وقولوا حطة
اي حط عنا خطايانا قال بعضهم فكما جعل الله لبني اسرائيل دخولهم الباب على
الوجه المذكور سببا للغفران فكما جعل الله لبني اسرائيل فكذا حب اهل البيت
سبب للغفران ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ان يسلكوا طريقا تخرجهم
على مهبط الحديبية من اسفل مكة فسلكوا ذلك الطريق فلما كانوا بالثنية

التي يهبط منها بركت ناقته صلى الله عليه وسلم اى القصوى فقال الناس حل حل فالحت
اى تمادت واستمرت على عدمها القيام فقالوا خلات القصوى ه اى حرنت يقال الخلات
الناقة والح الجمل بالخا المعجمة فيهما وحرن الفرس فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما خلات وما هو لها بخلق وفى لفظ ما ذاك لها بعادة ولكن حبسها
حابس الفيل عن مكة اى منعها الله عن دخول مكة اى علم صلى الله عليه وسلم ان ذلك
صد من الله تعالى عن مكة ان يدخلها قهرا والذى نفس محمد بيده لا تدعونى قريش اليوم
الى خطة اى خصلة يسالون فيها صلة الرحم الا اعطيتهم اياها اى وفى رواية
فيها تعظيم حرمات الله تعالى الا اعطيتهم اياها اى من ترك القتال فى الحرم والكف
عن اراقة الدما ثم زجرها صلى الله عليه وسلم فقامت فولى راجعا عوده على بديه
ثم قال للناس انزلوا فقالوا يا رسول الله ما بالوادى ما ننزل عليه فاخرج سهما
من كنانته فاعطاه ناجية بن جندب رضى الله تعالى عنه سايق بدن رسول
الله صلى الله عليه وسلم او البرا بن عازب او خالد بن عبادة الغفارى فنزل
فى قليب فغرزه فى جوفه فجاش اى علا الما وارتفع بالروا اى الما العذب حتى ضرب
الناس عليه بعطن وفى لفظ حتى صدروا عنها بعطن اى حتى رووا ورويت ابلهم
حتى بركت حول الما لان عطن الابل مباركها قال ولما نزل رسول الله صلى الله عليه
وسلم باقصى الحديبية على ثمد وهو حفرة فيها ما من ثمدها قليل الما يتبرضه
الناس تبرضا اى ياخذونه قليلا ثم يلبث الناس حتى نزحوه فاشتكى الناس
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلة الما وفى لفظ العطش اى وكان الحر شديدا
فنزع صلى الله عليه وسلم من كنانته ودفعه البرا فقال اغرز هذا السهم فى بعض
قلب الحديبية ففعل وا القليب جاش الما وقيل دفعه لناجية ابن الاعجم فعنه
رضى الله تعالى عنه قال دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين شكى اليه قلة الما
فاخرج سهما من كنانته ودفعه الى ودعا بدلو من ما البير فجيته به فتوضا فمضمض
ثم مج فى الدلو ثم قال انزل بالدلو فى البير واثر ماها بالسهم ففعلت فوالذى بعثه
بالحق ما كدت اخرج يغمرنى الما وفارت كما يفور القدر حتى طمت واستوت بشفيرها
يغترفون من جانبها حتى نهلوا عن اخرهم وعلى البير نفر من المنا فقين منهم عبد الله
ابن ابى بن سلول فقال له اوس بن خولا رضى الله عنه ويحك يا ابا الحباب ما آن لك
ان تبصر ما انت عليه ابعد هذا شى فقال انى رايت مثل هذا فقال له اوس رضى الله تعالى
عنه قبحك الله وقبح رايك ثم اقبل اى عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا الحباب انى رايت اى كيف رايت مثل ما رايته اليوم ه

فقال ما رايت مثله قط فقال فلم قلت ما قلت فقال يا رسول الله استغفر لى وقال ابنه
عبد الله يا رسول الله استغفر له فاستغفر له وفى لفظ كنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالحديبية اربع عشرة مائة والحديبية بير نترضها من البرض وهو الما
الذى يقطر قليلا قليلا فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم
فاتاها فجلس على شفيرها ثم دعا باناء من ما فتوضا ثم تمضمض ودعا ثم صبه
فيها فتركناها غير بعيد ثم انها اصدرتنا ما شئنا وركابنا وفى لفظ فرفعت
اليه الدلو فغمس يده فيها فقال ما شا الله ان يقول ثم صب الدلو فيها فلقد لقيت
اخرنا اخرج بثوب خشية الغرق ثم ساحت نهرا فليتامل الجمع بين هذه الروايات
على تقدير صحتها وقد يقال لا مانع من وقوع جميع ذلك لكن يبعد ان يكون ذلك فى قليب
واحد قال بعضهم فلما ارتحلوا اخذ البرا رضى الله عنه السهم فجف الما كان لم يكن
هناك شى وفى كلام هذا البعض ان ابا سفيان قال لسهيل بن عمرو قد بلغنا
انه ظهر بالحديبية قليب فيه ما فهلم بنا ننظر الى ما فعل محمد فاشرفا على القليب ه
والعين تنبع تحت السهم فقالا ما راينا كاليوم قط وهذا من سحر محمد قليل وفيه
ان ابا سفيان رضى الله عنه لم يكن حاضرا فى الحديبية وحمل ذلك على ان ذلك من
ابى سفيان كان بعد ارتحاله صلى الله عليه وسلم من الحديبية ينافيه ما قدمه هذا
البعض ان عند ارتحالهم من الحديبية رفع السهم وجف القليب فلما اطمان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اتاه بديل بن ورقا وكان سيد قومه رضى الله عنه فانه اسلم بعد
ذلك يوم الفتح فكان من كبار مسلمة الفتح فى رجال من خزاعة وكانت مسلمهم ومشركهم
لا يخفون عليه صلى الله عليه وسلم شيئا كان بمكة بل يخبرونه به وهو بالمدينة وكانت
قريش ربما تفطن لذلك فسالوه ما الذى جاء به فاخبرهم انه لم يات يريد حربا وانما
جا زائرا البيت ومعظما لحرمته وفى المواهب انه صلى الله عليه وسلم قال لبديل ما
تقدم من قوله وان قريشا قد نهكتهم الحرب الى اخره وان بديلا قال له سابلغهم
ما تقول فانطلق حتى اتى قريشا فقال انا جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه
يقول قولا فان شئتم ان نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم لا حاجة لنا ان تخبرنا
عنه بشى وقال ذو الراى منهم هات ما سمعته يقول قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم
بما قال هذا كلامه والرواية المشهورة ان بديلا ومن معه من خزاعة لما رجعوا الى
قريش قالوا يا رسول الله معشر قريش انكم تعجلون على محمد وان محمدا لم يات لقتال
انما جا زائرا لهذا البيت فاتهموهم وجبهوهم اى قابلوهم بما يكرهون وقالوا ان كان جا
ولا يريد قتالا فوالله لا يدخلها علينا عنوة اى قهرا ابدا ولا تحدث بذلك عنا العرب

اى وفى لفظ انهم قالوا ايريد محمد ان يدخلها علينا فى جنوده معتمرا تسمع العرب
انه قد دخل علينا عنوة وبيننا وبينه من الحرب ما بيننا والله لا كان هذا ابدا ومنا
عين تطرف ثم بعثوا اليه صلى الله عليه وسلم مكرز بن حفص اخا بنى عامر فلما رآه رسول
الله صلى الله عليه وسلم مقبلا قال هذا الرجل غادر اى وفى رواية فاجر فلما انتهى الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوا مما قال
لبديل فرجع الى قريش واخبرهم بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعثوا اليه
صلى الله عليه وسلم الحليس بن علقمة وكان سيد الاحابيش يومئذ وتقدم عن
الاصل ان الاحابيش هم بنوا الهون بن خزيمة وبنوا الحارث بن عبد مناف بن كنانة
وبنوا المصطلق بن خزيمة اى وانه قيل لهم ذلك لانهم تحالفوا تحت جبل باسفل
مكة يقال له حبشى هم وقريش على انهم يد واحدة على من عاداهم ما سجى ليل ووضح نهار
وما رسى حبشى فسموا احابيش قريش ٥ فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان
هذا من قوم يتألهون اى يتعبدون ويعظمون امر الاله وفى لفظ يعظمون البدن
وفى لفظ يعظمون الهدى ابعثوا الهدى فى وجهه حتى يراه فلما رأى الهدى يسيل عليه
بقلائده من عرض الوادى بضم المهملة اى ناحيته واما ضد الطول فبفتح المهملة وقد
اكل اوباره من طول الحبس عن محله بكسر الحاء المهملة موضعه الذى ينحر فيه من الحرم اى يرجع
فيه الحنين واستقبله الناس يلبون قد شعثوا صاح وقال سبحان الله ما ينبغى لهؤلاء ان
يصدوا عن البيت اى ابى الله ان يحج لخم وجذام ونهد وحمير ويمنع ابن عبد المطلب هلكت قريش
ورب الكعبة ان القوم اتوا عمارا اى معتمرين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجل يا اخا
بنى كنانة ٥ وقيل انه بمجرد ان رأى هذا الامر رجع الى قريش ولم يصل الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم اعظاما لما رأى فقال لهم فى ذلك اى قال انى رأيت ما لا يحل منعه رأيت الهدى فى قلائده
قد اكل اوباره ٥ اى معكوفا عن محله والرجال قد شعثوا وقملوا فقالوا له اجلس فانما انت
اعرابى ولا علم لك اى فما رأيت من محمد مكيدة فعند ذلك غضب الحليس وقال يا معشر
قريش والله ما على هذا حالفناكم ولا على هذا عاقدناكم ايصد عن بيت الله من جاءه معظما
والذى نفس محمد الحليس بيده لتخلن بين محمد وما جاء له او لانفرن بالاحابيش نفرة
رجل واحد فقالوا له مه كف يا حليس حتى نأخذ لانفسنا ما نرضى به ثم بعثوا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم عروة بن مسعود الثقفى رضى الله عنه فانه اسلم بعد ذلك وهذا
هو الذى شبهه صلى الله عليه وسلم بعيسى بن مريم ولما قتله قومه قال صلى الله عليه وسلم
مثله فى قومه كصاحب يس كما سيأتى ذلك فقال يا معشر قريش انى قد رأيت ما يلقى منكم
من تبعثونه الى محمد اذا جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ وقد عرفتم انكم والد وانى

ولد فقالوا صدقت وهذا يدل على ان ذهاب عروة بن مسعود رضى الله تعالى عنه انما
كان بعد تكرر الرسل من قريش اليه صلى الله عليه وسلم وبه يعلم ما فى المواهب ان عروة
لما سمع قريشا توبخ بديلا ومن معه من خزاعة قال اى قوم الستم بالوالد الى آخره وفى
لفظ الستم كالوالد اى كل واحد منكم كالوالد لى وانا كالولد له وقيل انتم حى قد ولدنى
لان امه سبيعة بنت عبد شمس قالوا بلى قال اولست بالولد قالوا بلى قال فهل تتهمونى
قالوا ما انت عندنا بمتهم فخرج حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس بين يديه
ثم قال يا محمد اجمعت اوباش اى اخلاط الناس ثم جئت بهم الى بيضتك اى اصلك وعشيرتك
لتفضها بهم انها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمر يعاهدون
الله لا تدخلها عليهم عنوة ابدا وايم الله لكأنى بهؤلاء قد انكشفوا عنك اى انهزموا غدا
وفى لفظ والله لا ارى وجوها اى عظماء وانى ارى اشرابا من الناس خليقا اى حقيقا
ان يفروا ويدعوك وابو بكر رضى الله تعالى عنه جالس خلف رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال له امصص بظر اللات والبظر قطعة تبقى فى فرج المرأة بعد الختان
وقيل التى تقطعها الخاتنة انحن ننكشف عنه قال من هذا يا محمد قال هذا ابن ابى قحافة
فقال له اما والله لولا يد كانت لك عندى لكافأتك بها اى على هذه الكلمة التى خاطبتنى
بها ولكن هذه بها اى وفى رواية والله لولا يد لك عندى لم اجزك بها لاجبتك وتلك اليد
التى كانت لابى بكر رضى الله عنه عند عروة هى ان عروة استعان فى حمل دية فاعان الرجل
بالواحد من الابل والواحد بالاثنين واعانه ابو بكر رضى الله عنه بعشرة ابل شواب ٥ ثم
جعل عروة يتناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يكلمه اى وهذه عادة العرب
ان الرجل يتناول لحية من يكلمه خصوصا عند الملاطفة وفى الغالب انما يصنع ذلك
النظير بالنظير لكن كان صلى الله عليه وسلم الحلم يمنعه من ذلك استمالة وتاليفا له
والمغيرة بضم الميم وكسرها ابن شعبة واقف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى الحديد وعليه المغفر فجعل يقرع يد عروة اذا تناول لحية رسول الله صلى الله
عليه وسلم اى بنصل السيف اى وهو ما يكون اسفل القراب من فضة وغيرها ٥
ويقول اكفف يدك عن وجه وفى رواية عن لحية ٥ رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل ان لا يصل اليك فانه لا ينبغى لمشرك ذلك وانما فعل ذلك المغيرة اجلالا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينظر لما هو عادة العرب فيقول المغيرة رضى الله تعالى
عنه اجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينظر لما هو عادة العرب فيقول للمغيرة
ويحك ما افظك وما اغلظك اى ما اشد قولك وفى رواية فلما اكثر عليه غضب
عروة وقال ويحك ما افظك واغلظك ليت شعرى من هذا الذى اذانى من بين اصحابك

والله انى لا احسب فيكم الامر منه ولا اشر منه فتبسم رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال هذا ابن اخيك المغيرة بن شعبة اى لان المغيرة عروة كان عم والد المغيرة
فالمغيرة يقول له يا عم لان كل قريب من جهة الاب يقال له عم وليس فى الصحيح لفظ ابن
اخيك فقال اى غدر اى يا غادر وهل غسلت غدرتك اى سوأتك وفى لفظ الست
اسعى فى غدرتك الا بالامس وفى لفظ يا غدر والله ما غسلت عنك غدرتك بعكاظ
الا بالامس لقد اورثتنا العداوة من ثقيف الى اخر الدهر قيل اراد عروة بذلك انه
الذى ستر غدر المغيرة بالامس لان المغيرة رضى الله عنه قتل قبل اسلامه ثلاثة عشر
رجلا من بنى مالك من ثقيف وفد هو واياهم مصر على المقوقس بهدايا قال وكنا سدنة
اللات اى خدمها واستشرت عمى عروة فى مرافقتهم فاشار على بعدم ذلك قال فلم اطع
رأيه فانزلنا المقوقس فى كنيسة للضيافة ثم ادخلنا عليه فقدموا الهدية له فاستخبر
كبير القوم عنى فقال ليس منا بل من الاحلاف فكنت اهون القوم عليه فاكرمهم وقصر
فى حقى فلما خرجوا لم يعرض على احد منهم مواساة فكرهت ان يخبروا اهلنا باكرامهم وازدراء
الملك لى فاجمعت قتلهم ونزلنا محلا وعصبت رأسى فعرضوا على الخمر فقلت رأسى تصدع
ولكن اسقيكم فسقيتهم واكثرت عليهم بغير مزج حتى همدوا فوثبت عليهم فقتلتهم
جميعا واخذت كل ما معهم وقدمت على النبى صلى الله عليه وسلم فى مسجده فسلمت عليه
وقلت اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى
هداك للاسلام يا مغيرة فقال ابو بكر رضى الله تعالى عنه من مصر قدمت قلت نعم قال
ما فعل المالكيون الذين كانوا معك لانهم من بنى مالك فقلت كان بينى وبينهم ما يكون
بين العرب وقتلتهم وجئت باسلابهم ليخمسها النبى صلى الله عليه وسلم او يرى فيها رأيه
فقال النبى صلى الله عليه وسلم اما اسلامك فنقبله ولا اخذ من اموالهم شيئا ولا اخمسه
لانه غدر والغدر لا خير فيه فقلت يا رسول الله انما قتلتهم وانا على دين قومى ثم اسلمت
قال الاسلام يجب ما قبله قال وبلغ ذلك ثقيفا فتداعوا للقتال واصطلحوا على ان
يحمل عمى عروة ثلاثة عشر دية وفى رواية لما وردوا على المقوقس اعطى كل واحد
منهم جائزة ولم يعط المغيرة شيئا فحقد عليهم فلما رجعوا نزلوا منزلا وشربوا الخمر ولما
سكروا ناموا وثب عليهم المغيرة فقتلهم واخذ اموالهم ونجا واسلم فاختصم بنوا
مالك مع رهط المغيرة وشرعوا فى المحاربة فسعى عروة فى اطفاء نائرة الحرب وصالح
بنى مالك على ثلاثة عشر دية ودفعها عروة ولما اسلم المغيرة قال له النبى صلى الله
عليه وسلم اما الاسلام فاقبل واما المال فانى لست منه فى شئ وفيه ان هذا المال
حربى قصد اخذه والتغلب عليه الا ان يقال هؤلاء مؤمنون منه لانهم اطمأنوا اليه اى

ويذكر

ويذكر ان المغيرة بن شعبة هذا رضى الله تعالى عنه كان من دهاة العرب احصن فى الاسلام
ثمانين امرأة وقيل ثلاثمائة امرأة وقيل الف امرأة قيل لاحدى نساء المغيرة انه ذميم
اعور فقالت هو والله عسيلة يمانية فى ظرف سوء ولما ولى رضى الله تعالى عنه الكوفة
ارسل يخطب بنت النعمان بن المنذر فقالت لرسوله قل له ما قصدت الا ان يقال تزوج
المغيرة الثقفى بنت النعمان بن المنذر والا فاى حظ لشيخ اعور فى عجوز عمياء وهذه
هى القائلة لسعد بن ابى وقاص رضى الله تعالى عنه لما وفدت عليه وهو والى الكوفة واكرمها
فى دعائها له ملكتك يد افتقرت بعد غنى ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر ولا جعل الله
لك الى لئيم حاجة ولا ازال عن كريم نعمة الا جعلك السبب فى عودها اليه انما يكرم الكريم
الكريم والمغيرة بن شعبة اول من حيا سيدنا عمر رضى الله عنهما بمجئ عروة اخبر صلى الله
عليه وسلم عروة بالخبر بمن تقدم من انهم لم يأتوا لحرب فقام من عند رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقد رأى ما يصنع به اصحابه لا يتوضأ اى يغسل يديه الا ابتدروا وضوءه
اى يكادون يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا الا ابتدروه اى دلك به من
وقع فى يده وجهه وجلده ولا يسقط من شعره شئ الا اخذوه اى واذا تكلم
خفضوا اصواتهم عنده ولا يحدون النظر اليه تعظيما له صلى الله عليه وسلم فقال
يا معشر قريش انى جئت كسرى فى ملكه وقيصر فى ملكه والنجاشى فى ملكه والله ما رأيت
ملكا فى قوم قط مثل محمد فى اصحابه ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشئ ابدا فروا رأيكم فانه
عرض عليكم رشدا فاقبلوا ما عرض عليكم فانى لكم ناصح مع انى اخاف ان لا تنصروا عليه
فقالت له قريش لا تتكلم بهذا يا ابا يعفور ولكن نرده عامنا هذا ويرجع الى قابل فقال
ما اراكم الا ستصيبكم قارعة ثم انصرف هو ومن معه الى الطائف وعروة هذا
هو ابن مسعود الثقفى وهو عظيم القريتين الذى عنته قريش بقولها لولا نزل هذا
القران على رجل من القريتين عظيم وقيل المعنى بذلك الوليد بن المغيرة ويقال
ان عروة هذا كان جدا للحجاج لامه ويدل لذلك كما يدل للاول ما حكى عن الشعبى انه سأل
الحجاج وهو والى العراق حاجة فاعتل عليه فيها فكتب اليه والله لا اعذرك وانت
والى العراقين وابن عظيم القريتين وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خراش بن امية
الخزاعى رضى الله عنه فبعثه الى قريش وحمله صلى الله عليه وسلم على بعير له يقال له الثعلب
ليبلغ اشرافهم عنه ما جاء له فعقروا به جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم اى عقره عكرمة
ابن ابى جهل واسلم بعد ذلك رضى الله تعالى عنه وارادوا قتله فمنعه الاحابيش
فخلوا سبيله حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره بما لقى ثم دعا رسول الله صلى
الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ليبعثه فيبلغ عنه اشراف قريش ما جاء له

فقال يا رسول الله انى اخاف قريشا على نفسى وما بمكة من بنى عدى بن كعب احد يمنعنى
وقد عرفت قريش عداوتى اياها وغلظتى عليها ولكن ادلك على رجل اعز بها منى عثمان بن
عفان اى فان بنى عمه يمنعونه فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان رضى
الله تعالى عنه فبعثه الى ابى سفيان واشراف قريش يخبرهم انه لم يات لحرب وانه لم يات
الا زائرا لهذا البيت ومعظما لحرمته اى ولعل ذكر ابى سفيان من غلط بعض الرواة لما
تقدم انه لم يكن حاضرا بالحديبية اى صلحها وامره صلى الله عليه وسلم عثمان ان ياتى رجالا
مسلمين بمكة ونساء مسلمات ويدخل عليهم ويبشرهم بالفتح ويخبرهم ان الله وشيك اى
قريب ان يظهر دينه بمكة حتى لا يستخفى فيها بالايمان وذكر بعضهم انه صلى الله
عليه وسلم بعث عثمان بكتاب لقريش اى قيل فيه انه ما جاء لحرب احد وانما جاء معتمرا ابديل
ما ياتى فى درهم عليه وقيل فيه ما وقع بين النبى صلى الله عليه وسلم وسهيل بن عمرو ليقع
الصلح بينهم على ان يرجع فى هذه السنة الحديث وانهم لما احتبسوه امسك صلى الله
سهيل بن عمرو عنده كذا فى شرح الهمزية لابن حجر وقد مر على الاول قلينا تامل فخرج عثمان
ابن عفان رضى الله عنه الى المدينة مكة ودخل مكة عشرة من الصحابة ايضا باذن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليزوروا اهاليهم لم اقف على اسمايهم ولم اقف على انهم هل دخلوا مع عثمان
ام لا فلقيه قبل ان يدخل مكة ابان بن سعيد بن العاص رضى الله عنه فانه اسلم بعد ذلك
قبل خيبر فاجاره حتى يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعله بين يديه فجاء الى
ابى سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ارسله به اى وهم يردون
عليه انه لا يدخلها علينا ابدا فلما فرغ عثمان من تبليغ رسالة رسول الله صلى الله عليه
وسلم قالوا له ان شئت ان تطوف بالبيت فطف **وفى** رواية قال له ابان ان شئت ان
تطوف بالبيت فطف قال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم **قال**
وقال المسلمون قد خلص عثمان الى البيت فطاف به دوننا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما اظنه طاف بالبيت ونحن محصورون قالوا وما يمنعه يا رسول الله وقد خلص اليه قال
ذلك ظنى به الا ان يطوف بالكعبة حتى نطوف لو مكث كذا كذا سنة ما طاف به حتى اطوف
فلما رجع عثمان وقيل له فى ذلك اى قالوا له طفت بالبيت قال بئسما ظننتم بى دعتنى
قريش الى ان اطوف بالبيت فابيت والذى نفسى بيده لو مكثت بها معتمرا سنة ورسول
الله صلى الله عليه وسلم مقيم بالحديبية ما طفت حتى يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم
انتهى وكانت قريش قد احتبست عثمان عندها ثلاثة ايام فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان عثمان رضى الله تعالى عنه قد قتل اى وكذا قتل معه العشرة رجال الذين دخلوا مكة ايضا
فقال صلى الله عليه وسلم عند بلوغه ذلك لا نبرح حتى نناجز القوم اى نقاتلهم ودعا

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى البيعة اى بعد ان قال لهم ان الله امرنى بالبيعة **فعن**
سلمة بن الاكوع بينا نحن قائلون اذ نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم اى وهو
عمر بن الخطاب ايها الناس البيعة البيعة نزل روح القدس فاخرجوا على اسم الله فسرنا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو تحت شجرة فبايعناه اى وبايعه الناس على عدم
الفرار وانه اما الفتح واما الشهادة وهذا هو المراد بما جاء فى بعض الروايات فبايعناه
على الموت ولم يتخلف منا احد الا الجد بن قيس فقال لكانى انظر اليه لاصقا بابط ناقته
يستتر بها من الناس وقد قيل انه كان يرمى بالنفاق وقد نزل فى حقه فى غزوة اى غزوة
تبوك من الايات ما يدل على ذلك كما سياتى وهو ابن عمة البراء بن معرور رضى الله تعالى عنه
وكان سيد بنى سلمة بكسر اللام فى الجاهلية وقد قال صلى الله عليه وسلم لبنى سلمة
من سيدكم قالوا الجد بن قيس اى على بخل فيه قال واى داء ادوى من البخل ثم قال صلى
الله عليه وسلم بل سيدكم قالوا الجد بن قيس اى على بخل عمرو بن الجموح وقيل قالوا يا رسول
الله من سيدنا قال سيدكم بشر بن البراء بن معرور وهذا قال ابن عبد البر ان النفس
اليه اميل **وهما** يدل للاول ما انشده شاعر الانصار من قوله

وقال رسول الله والحق قوله	لمن قال منا من نسمون سيدا
فقالوا جد بن قيس على التى	نبخله فيها وان كان اسودا
فتى ما يخطى خطوة لدنية	ولا مد يوما ما الى سوءة يدا
فسود عمرو بن الجموح لجوده	وحق لعمرو بالندا ان يسودا
اذا جاءه السؤال انهب ماله	وقال خذوه انه عائد غدا
ولو كنت يا جد بن قيس على التى	على مثلها عمرو لكنت المسودا

اى وبايع صلى الله عليه وسلم عن عثمان فوضع يده على يده اى وضع يده اليمنى على يده اليسرى
وقال اللهم هذه عن عثمان فانه فى حاجتك وحاجة رسولك اى **وفى** لفظ قال اللهم
ان عثمان ذهب فى حاجة الله وحاجة رسوله فانا ابايع عنه فضرب بيمينه شماله وما
ذاك الا انه صلى الله عليه وسلم علم عدم صحة القول بان عثمان قد قتل او ان ذلك
كان بعد مجئ الخبر له صلى الله عليه وسلم بان القول بقتل عثمان رضى الله عنه باطل وفيه
انه حيث علم صلى الله عليه وسلم ان عثمان لم يقتل لا معنى للبيعة لان سببها كما علمت بلوغ
الخبر ان عثمان قد قتل الا ان يقال سببها ما ذكر وقتل العشرة من الصحابة **ويدل**
لذلك ما ياتى قريبا ان عثمان رضى الله عنه بايع بعد مجيئه من مكة فليتامل اى وبهذا
يرد ما تمسك به بعض الشيعة فى تفضيل على كرم الله وجهه على عثمان رضى الله عنه
لان عليا كان ممن بايع تحت الشجرة وقد خوطبوا بقوله صلى الله عليه وسلم انتم

خيراهل الارض فانه صريح فى تفضيل اهل الشجرة على غيرهم وايضا على حضر بدرًا
دون عثمان **وقد جا** مرفوعًا لايدخل النار من شهد بدرًا والحديبية **وحاصل الرد**
ان النبى صلى الله عليه وسلم بايع عن عثمان مع الاعتذار عنه بانه فى حاجة الله وحاجة
رسوله صلى الله عليه وسلم وخلفه صلى الله عليه وسلم عثمان رضى الله تعالى عنه عن بدر
لتمريض بنته صلى الله عليه وسلم واسهم له صلى الله عليه وسلم كما تقدم فهو فى حكم من حضرها
على انه سياتى انه بايع تحت تلك الشجرة بعد مجيئه من مكة واستدل بقوله صلى الله
عليه وسلم انتم خيراهل الارض على عدم حياة الخضر عليه السلام حينئذ لانه يلزم ان
يكون غير النبى صلى الله عليه وسلم افضل منه وقد قامت الادلة الواضحة على ثبوت
نبوته كما قاله الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى وقد اشار الى امتناع عثمان رضى الله تعالى
عنه من الطواف والى عدم صحة القول بان عثمان قتل والى مبايعته صلى الله عليه وسلم
عنه صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله

وابى ان يطوف بالبيت اذلم ... يدن منه الى النبى فناء

فجزته عنها ببيعة رضوا ... ن يدى من نبيه بيضاء

ادب عنده تضاعفت الاعما ... ل بالترك حبذا الادباء

وامتنع رضى الله عنه ان يطوف بالبيت لاجل انه لم يقرب الى النبى صلى الله عليه وسلم من
البيت جانب فجزته عن تلك الفعلة وهى ذهابه اليهم وامتناعه من الطواف يد من
نبيه صلى الله عليه وسلم تلك اليد البالغة فى الكرم وذلك فى بيعة رضوان وذلك ادب
عظيم عند عثمان حصل منه امر عظيم مستغرب وهو تضاعف ثواب الاعمال التى
تركت بسبب تركها وهى الطواف وذكر ان قريشا بعثت الى ابى بن سلول ان احببت ان
تدخل فتطوف بالبيت فافعل فقال له ابنه عبد الله رضى الله عنه يا ابت اذكرك الله ان
تفضحنا فى كل موطن تطوف ولم يطف رسول الله صلى الله عليه وسلم **وفى** لفظ قال
ان لى فى رسول الله اسوة حسنة فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم امتناعه بذلك
اثنى عليه واثنى بذلك وكانت البيعة تحت شجرة هناك اى من اشجار السمراء ولما جاء عثمان
رضى الله تعالى عنه بايع تحت تلك الشجرة وقيل لها بيعة الرضوان اى لانه صلى الله عليه وسلم
قال لا يدخل النار احد بايع تحت الشجرة رواه مسلم ○ وكانوا الفا واربعمائة على الصحيح
وجا انه صلى الله عليه وسلم قال يا ايها الناس ان الله قد غفر لاهل بدر والحديبية وتقدم
ان الواو بمعنى او فى حديث لا يدخل النار من شهد بدرًا والحديبية بدليل رواية مسلم بهذه
ومن ثم قال ابن عبد البر رحمه الله تعالى ليس فى غزواته صلى الله عليه وسلم ما يعدل بدرًا
او يقرب منها الا غزوة الحديبية والراجح تقديم غزوة احد على الحديبية وانها التى

قبل بدرًا فى الفضيلة **واول** من بايعه صلى الله عليه وسلم سنان بن ابى سفيان الاسدى
كذا فى الاصل انه الصواب بعد ان حكى ان اول من بايع ابو سفيان اى وهو ما ذهب اليه فى
الاستيعاب حيث قال الاكثر الاشهر ان ابا سنان اول من بايع بيعة الرضوان اى لا ابنه
سنان وابو سنان هذا هو اخو عكاشة بن محصن رضى الله عنه وكان اكبر من اخيه عكاشة
اى لا ابنه سنان بعشرين سنة وضعفه فى الاصل بان ابا سنان رضى الله عنه مات فى حصار
بنى قريظة ودفن بمقبرتهم اى كما تقدم **ولما** بايعه سنان قال للنبى صلى الله عليه وسلم
ابايعك على ما فى نفسك فقال وما فى نفسى قال اضرب بسيفى بين يديك حتى يظهرك الله او
اقتل ○ وصار الناس يقولون له صلى الله عليه وسلم نبايعك على ما بايعك عليه سنان
وقيل اول من بايع عبد الله بن عمرو وقيل سلمة بن الاكوع **قال** وذكر ان سلمة بن الاكوع بايع
ثلاث مرات اول الناس ووسط الناس واخر الناس بامره له صلى الله عليه وسلم له فى الثانية
والثالثة بعد قول سلمة له قد بايعت فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ايضا
ليكون له فى ذلك فضيلة اى لانه صلى الله عليه وسلم اراد ان يؤكد بيعته لعلمه بشجاعته
وعنايته فى الاسلام وشهرته فى الثبات اى بدليل ما وقع له فى غزوة ذى قرد بناء على
تقدمها على ما هنا او تفرس فيه صلى الله عليه وسلم ذلك بناء على تاخرها وبايع عبد الله بن
عمر رضى الله عنهما مرتين انتهى اى **وقد قيل** فى سبب نزول قوله تعالى لا تحلوا شعائر
الله الاية ان المسلمين لما صدوا عن البيت بالحديبية مر بهم ناس من المشركين يريدون
العمرة فقال المسلمون نصد هؤلاء كما صدنا اصحابهم فانزل الله تعالى الاية اى لا تصدوا
هؤلاء العمار ان صد وكم اصحابهم **قال** وكان محمد بن مسلمة على حرس رسول الله صلى الله
عليه وسلم فبعثت قريش اربعين وقيل خمسين رجلا عليهم مكرز بن حفص اى وهو
الذى بعثته قريش له صلى الله عليه وسلم ليسالمه فيما جاء وقال صلى الله عليه وسلم فى حقه هذا
رجل غادر **وفى** لفظ رجل فاجر ليطوفوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا
اى رجاء ان يصيبوا منهم احدًا او يجدوا منهم غرة اى غفلة فاخذهم محمد بن مسلمة رضى الله
تعالى عنه الا مكرزا فانه افلت وصدق فيه قول النبى صلى الله عليه وسلم انه رجل غادر او فاجر
كما تقدم واتى بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبسوا وبلغ قريشا حبس اصحابهم فجاء جمع
منهم حتى رموا المسلمين بالنبل والحجارة وقتل من المسلمين ابن زنيم رمى بسهم فاسر
المسلمون منهم اثنى عشر رجلا وعند ذلك بعثت قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
جمعا فيهم سهيل بن عمرو فلما راه النبى صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه سهل امركم فقال سهيل
يا محمد ان الذى كان من حبس اصحابك اى عثمان والعشرة رجال وما كان من قتال من قاتلك
لم يكن من راى ذوى راينا بل كنا له كارهين حين بلغنا ولم نعلم به وكان من سفهائنا فابعث

الينا باصحابنا الذي اسرت اولا وثانيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني غير مرسلهم
حتى ترسلوا اصحابي فقالوا نفعل فبعث سهيل ومن معه الى قريش بذلك فبعثوا
بمن كان عندهم وهم عثمان والعشرة رجال فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابهم
انتهى **ولما علمت قريش** بهذه البيعة خافوا واشار اهل الراي بالصلح على ان يرجع
ويعود من قابل فيقيم ثلاثا معه سلاح الراكب السيوف في القرب والقوس فبعثوا
سهيل بن عمرو اي ثانيا ومعه مكرز بن حفص وحويطب بن عبد العزى الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ليصالحه على ان يرجع من عامه هذا لئلا يتحدث العرب بانه دخلها عنوة
اي وانه يعود من قابل فاتاه سهيل بن عمرو فلما راه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا
قال اراد القوم الصلح حيث بعثوا هذا الرجل اي ثانيا فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم جثى على ركبتيه بين يديه صلى الله عليه وسلم والمسلمون حوله جلوس وتكلم فاطال
ثم تراجعا اي ومن جملة ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له تخلوا بيننا وبين البيت
نطوف به فقال له سهيل ولا تحدث العرب بنا انا اخذنا ضغطة بالضم اي بالشدة
والاكراه ولكن ذلك من العام القابل ثم التأم الامر بينهما على الصلح على ترك القتال
الى الحرم الخ ولم يبق الا الكتاب بذلك وعند ذلك وثب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى
عنه فاتى ابا بكر فقال له يا ابا بكر اليس هو برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بلى قال اولسنا
بالمسلمين قال بلى قال اوليسوا بالمشركين قال بلى قال فعلام نعطي الدنية اي بفتح الدال ه
وكسر النون وتشديد الياء النقيصة والخصلة المذمومة في ديننا فقال ابو بكر يا عمر
الزم غرزه اي ركابه **وفي** رواية انه قال له ايها الرجل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وليس يعصي ربه وهو ناصره استمسك بغرزه حتى تموت فاني اشهد انه رسول الله قال عمر
رضي الله تعالى عنه وانا اشهد انه رسول الله ثم اتى عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له
مثل ما قال لابي بكر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انا عبد الله ورسوله ولن اخالف امره ولن
يضيعني ولقي عمر من ذلك ومن الشروط الا ان ذكرها امرا عظيما وجعل يرد على رسول
الله صلى الله عليه وسلم الكلام حتى قال له ابو عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه الا تسمع يا
ابن الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما يقول نعوذ بالله من الشيطان الرجيم
فجعل يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم حتى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عمر
اني رضيت وتأبى فكان عمر يقول ما زلت اصوم واتصدق واصلي واعتق مخافة كلامي
الذي تكلمت به حين رجوت ان يكون خيرا هذا والذي في الامتاع عكس ما هنا اي انه
قال ما ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم اولا ثم لابي بكر ثانيا ثم دعا رسول الله صلى الله
عليه وسلم علي بن ابي طالب كرم الله وجهه اي بعد ان كان امر اوس بن خولي ان يكتب

فقال

فقال له سهيل لا يكتب الا ابن عمك علي او عثمان بن عفان فامر عليا كرم الله وجهه فقال
اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل بن عمرو لا اعرف هذا اي الرحمن الرحيم ولكن اكتب
باسمك اللهم فكتبها لان قريشا كانت تقولها **واول** من كتبها امية بن ابي الصلت ومنه
تعلموها وتعلمها هو من رجل من الجن في خبر ذكره المسعودي اي وانما كتبها بعد ان قال ه
المسلمون والله لا يكتبها الا بسم الله الرحمن الرحيم ه وضج المسلمون **وعن** الشعبي رحمه
الله كان اهل الجاهلية يكتبون باسمك اللهم فكتب النبي صلى الله عليه وسلم اولا كتب باسمك
اللهم وتقدم انه كتب ذلك في اربع كتب حتى نزلت بسم الله مجراها ومرساها فكتب بسم الله
ثم نزلت ادعوا الله او ادعوا الرحمن فكتب بسم الله الرحمن ثم نزلت انه من سليمان وانه
بسم الله الرحمن الرحيم اي فكتبها **وهذا** السياق يدل على تاخر نزول الفاتحة عن هذه
الايات لان البسملة نزلت اولها وتقدم الخلاف في وقت نزولها فليتامل ثم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو فقال سهيل
ابن عمرو لو شهدت انك رسول الله لم اقاتلك ولم اصدك عن البيت ه ولكن اكتب
اسمك واسم ابيك اي **وفي** لفظ لو اعلم انك رسول الله ما خالفتك واتبعتك افترغب
عن اسمك واسم ابيك محمد بن عبد الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي كرم الله وجهه
امحه **وفي** لفظ امح رسول الله فقال علي ما انا بالذي امحاه **وفي** لفظ لا امحوك **وفي** لفظ
والله لا امحوك ابدا فقال ارنيه فاراه اياه فمحاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة
وقال اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو وقال انا والله رسول الله وان
كذبتموني وانا محمد بن عبد الله **وفي** لفظ فجعل علي يتلكأ ويأبى ان يكتب الا محمد رسول
الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب فان لك مثلها تعطيها وانت مضطهد اي
مقهور وهو اشارة منه صلى الله عليه وسلم لما سيقع بين علي ومعاوية رضي الله عنهما فانهما
في حرب صفين وقعت بينهما المصالحة على ترك القتال الى راس الحول وكان القتال
في صفر دام مائة يوم وعشرة ايام **قيل** قتل فيه سبعون الفا وخمسة واربعون الفا من جيش
معاوية من جملة مائة وعشرين الفا فلما كتب الكاتب في الصلح هذا ما صالح عليه امير المومنين
علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ومعاوية بن ابي سفيان رضي الله عنهما فقال عمرو بن العاص
رضي الله تعالى عنه الذي هو احد الحكمين اكتب اسمه واسم ابيه وارسل معاوية يقول لعمرو
ولا تكتب ان عليا امير المومنين لو كنت اعلم انه امير المومنين ما قاتلته فبئس الرجل
انا ان اقررت انه امير المومنين فقيل له يا امير المومنين لا تمح اسم امارة المومنين فانك
ان محوتها لا تعود اليك فلما سمع علي كرم الله وجهه ذلك وامر بمحوها وقال الصحابة تذكر
قول النبي صلى الله عليه وسلم له في الحديبية ما تقدم ومن ثم قال الله اكبر مثلا بمثل والله اني لفي

لكاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية اذ قالوا لست برسول الله ولا نشهد
لك بذلك اكتب اسمك واسم ابيك محمد بن عبد الله فقال عمرو بن العاص سبحان الله
انتشبه بالكفار فقال له علي كرم الله وجهه يا ابن النابغة اي العاهرة ومتى كنت عدوا
للمسلمين هل تشبه الا امك التي وقعت بك فقال عمرو لا يجمع بيني وبينك مجلس ابدا
فقال علي كرم الله وجهه اني لارجو الله ان يطهر مجلسي منك ومن اشباهك وذكر ان
اسيد بن الحضير وسعد بن عبادة رضي الله عنهما اخذا بيد علي كرم الله وجهه
ومنعاه ان يكتب الا محمد رسول الله والا فالسيف بيننا وبينهم وضجت المسلمون
وارتفعت الاصوات وجعلوا يقولون لم نعطي هذه الدنية في ديننا فجعل رسول الله صلى
الله عليه وسلم يخفضهم ويومي بيده اليهم ان اسكتوا ثم قال ارنيه الحديث وكان الصلح على وضع
الحرب عن الناس عشر سنين وقيل سنتين وقيل اربع سنين اي وصححه الحاكم تامن
فيهما الناس ويكف بعضهم على بعض اي **ويقال** لهذا العقد هدنة ومهادنة ومعاهدة
وموادعة ومسالمة وقال لي زيادة على اشتراط الكف عن الحرب على انه من اتى محمدا من
قريش ممن هو على دين محمد بغير اذن وليه رده اليه ذكرا كان او انثى **قال** السهيلي رحمه
رحمه الله **وفي** رد المسلم الى مكة عمارة للبيت وزيادة خير له في الصلاة بالمسجد الحرام
والطواف بالبيت فكان هذا من تعظيم حرمات الله هذا كلامه ومن اتى قريشا ممن كان
مع محمد اي مرتدا ذكرا كان او انثى لم نرده اليه وهذا الثاني يوافق قول ائمتنا معاشر
الشافعية يجوز شرط ان لا يرد وامن جاءهم مرتدا والاول يخالف قولهم لا يجوز شرط رد
مسلمة تاتينا منهم فان شرط فسد الشرط والعقد الا ان يقال هذا انما وقع عليه الامر
اولا ثم نسخ كما سياتي وشرطوا انه من احب ان يدخل في عقد محمد وعهده دخل
فيه ومن احب ان يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه وان بيننا وبينكم عيبة مكفوفة
اي صدورا منطوية على ما فيها لا تبدي عداوة وقيل صدورا نقية من الغل والخداع
منطوية على الوفا بالصلح وانه لا اسلال ولا اغلال اي لا سرقة ولا خيانة قال سهيل
وانك ترجع عامك هذا فلا تدخل مكة وانه اذا كان عام قابل خرج منها قريش فدخلتها
باصحابك فاقمت بها ثلاثا اي ثلاث ليال ايام معك سلاح الراكب السيوف في القرب والقوس
لا تدخلها بغيرها ويقال انه صلى الله عليه وسلم هو الذي كتب هذا الكتاب بيده وهو ما
وقع في البخاري اي اطلق الله يده صلى الله عليه وسلم بالكتابة في تلك الساعة خاصة
وعد معجزة له وقال بعضهم لم يعتبره اي القول بذلك اهل العلم ومعنى كتب امر بالكتابة
وفي النور وفي كون هذا اي انه كتب بيده في البخاري فيه نظر والذي في البخاري واخذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب ليكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد الحديث اي فلفظ

بيده

بيده فتشنع عليه علماء الاندلس في زمانه بان هذا مخالف للقران فناظرهم واستظهر
عليهم بان هذا لا ينافي القران وهو قوله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه
بيمينك لان هذا النفي مقيد بما قبل ورود القران وبعد ان تحققت امينته صلى الله
عليه وسلم وتقررت معجزته لا مانع من ان يعرف الكتابة من غير معلم فيكون معجزة
اخرى ولا يخرجه ذلك عن كونه اميا اي ويقال ان الذي كتب هذا الكتاب محمد بن مسلمة
رضي الله عنه وعده الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى من الاوهام وجمع بان اصل هذا
الكتاب كتبه علي رضي الله عنه ونسخ مثله محمد بن مسلمة لسهيل بن عمرو **ه** اي فان سهيل
قال يكون هذا الكتاب عندي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل عندي فاخذه
رسول الله صلى الله عليه وسلم **ثم** كتب لسهيل نسخة اخذها عنده وعند كتابته
اشتراط ان يرد اليهم من يأتي مسلما قال المسلمون سبحان الله كيف نرد للمشركين من جاء
مسلما وعسر عليهم شرط ذلك وقالوا يا رسول الله اتكتب هذا قال نعم انه من ذهب
منا اليهم فابعده الله ومن جاءنا منهم فرددناه اليهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا **وفي**
لفظ قال عمر يا رسول الله اترضى بهذا فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال من جاءنا منهم فرددناه
اليهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا ومن اعرض عنا وذهب اليهم فلسنا منه في شيء وليس
منا بل هو اولى بهم فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وسهيل بن عمرو يكتبان الكتاب
بالشروط المذكورة اذ جاء ابو جندل بن سهيل بن عمرو الى المسلمين يرسف في الحديد
اي يمشي في قيوده متوشحا سيفه قد افلت الى ان جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورمى بنفسه بين اظهر المسلمين يرحبون به ويهنونه فلما راى سهيل ابنه ابا جندل
قام اليه فضرب وجهه **وفي** لفظ اخذ غصنا من شجرة له شوك وضرب به وجه
ابي جندل ضربا شديدا حتى رق عليه المسلمون وبكوا واخذ بتلبيبه ثم قال يا محمد هذا اول
ما اقاضيك عليه ان ترده الي لقد لجت القضية بيني وبينك اي وجبت وتمت
قبل ان ياتيك هذا قال صدقت فجعل ينتره بتلبيبه ويجره ليرده الى قريش وجعل
ابو جندل رضي الله عنه يصرخ باعلا صوته يا معشر المسلمين ارد الى المشركين يفتنوني
عن ديني الا ترون ما لقيت فانه رضي الله تعالى عنه كان عذب عذابا شديدا على ان يرجع
عن الاسلام فزاد الناس ذلك الى ما بهم اي فانهم كانوا لا يشكون في دخولهم مكة
وطوافهم بالبيت للرؤيا التي راها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راوا الصلح وما
تحمل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه دخلهم من ذلك امر عظيم حتى كادوا
يهلكون خصوصا من اشتراط انه يرد الى المشركين من جاء مسلما منهم اي ورد ابي جندل
اليهم بعد ضربه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا جندل اصبر واحتسب فان

الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا انا قد عقدنا بيننا وبين
القوم صلحا واعطيناهم على ذلك واعطونا عهد الله ان لا نغدر بهم وبهذا
استدل ايمتنا على انه يجوز شرط رد من جاءنا منهم مسلما اليهم ولا ترده اليهم الا اذا
كان ذكرا حرا غير صبي ومجنون وطلبته عشيرته وفي لفظ اخر ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال لسهيل انا لم نقض الكتاب بعد فقال بلى لقد لجت القضية بيني وبينك
اي تم العقد فرده فقال النبي صلى الله عليه وسلم فاجره لي فقال ما انا بمجيز ذلك لك قال
بلى فافعل فقال ما انا بفاعل فقال مكرز وحويطب قد اجرناه لك لا نعذبه اي وهذا
فما تقدم يخالف قول ابن حجر الهيتمي رحمه الله تعالى ان مجيء ابي جندل كان قبل عقد
الهدنة بينهم رواه البخاري وعند ذلك قال حويطب لمكرز ما رايت قوما قط اشد حبا
لمن دخل معهم من اصحاب محمد لهما اي اقول لك لا نأخذ من محمد نصفا ابدا بعد هذا
اليوم حتى يدخلها عنوة فقال مكرز وانا ارى ذلك وعند ذلك وثب عمر بن الخطاب
ومشى الى جنب ابي جندل اي وابوه سهيل يجنبه يدفعه وصار عمر رضي الله عنه يقول لابي
جندل اصبر يا ابا جندل فانما هم المشركون وانما دم احدهم دم كلب اي ومعك السيف تعرض
له بقتل ابيه اي وفي رواية ان دم الكافر عند الله كدم الكلب ويدني قائم السيف
منه اي وفي لفظ وجعل يقول يا ابا جندل ان الرجل يقتل اباه في الله والله لو ادركنا
اباءنا لقتلناهم في الله فقال له ابو جندل مالك لا تقتله انت فقال عمر نهانا رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن قتله وقتل غيره فقال ابو جندل رضي الله تعالى عنه ما انت احق بطاعة
رسول الله صلى الله عليه وسلم مني قال عمر رضي الله عنه وددت ان ياخذ السيف فيضرب
اباه فضن الرجل بابيه وفيه كيف يظن عمر جواز قتله لابيه حتى يعرض له به الان يقال
ظن ذلك لكونه يريد ان يفتنه عن دينه ويرجع الى الكفر وان كان صلى الله عليه وسلم قال
له يا ابا جندل اصبر واحتسب ورجع ابو جندل الى مكة في جوار مكرز بن حفص اي وحويطب
فادخلاه مكة وكفا عنه ابوه وابو جندل اسمه العاص وهو اخو عبد الله بن سهيل بن عمرو
واسلام عبد الله سابق على اسلام ابي جندل لان عبد الله شهد بدرا اي فانه خرج مع المشركين
لبدر ثم انحاز من المشركين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد معه بدرا والمشاهد
كلها وابو جندل رضي الله عنه اول مشاهده الفتح ودخلت خزاعة في عقده صلى الله عليه وسلم
وعهده اي وفي لفظ وثب من هناك من خزاعة فقالوا نحن ندخل في عهد محمد وعقده
ونحن على من وراءنا من قومنا ودخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم اي وذكر ان حويطبا
قال لسهيل بادانا اخوالك بنو خزاعة بالعداوة وكانوا يستترون منا قد دخلوا في عهد
محمد وعقده فقال له سهيل ما هم الا كغيرهم هؤلاء اقاربنا ولحمتنا قد دخلوا مع محمد

قوم

قوم اختاروا لانفسهم امرا فما نصنع بهم قال حويطب نصنع بهم ان ننصر عليهم حلفاءنا
بني بكر قال سهيل اياك ان تسمع هذا منك بنو بكر فانهم اهل شوم فيبيتوا خزاعة
فيغضب محمد لحلفائه فينتقض العهد بيننا وبينه ومن هذا التقدير يعلم ان بيعة
الرضوان كانت قبل الصلح وانه السبب الباعث لقريش عليه وقد وقع في المواهب
ما يقتضي ان البيعة كانت بعد الصلح وان الكتاب الذي ذهب به عثمان كان متضمنا
للصلح الذي وقع بينه صلى الله عليه وسلم وبين سهيل بن عمرو وحبست قريش عثمان فحبس
صلى الله عليه وسلم سهيلا ولا يخفى عليك ما فيه ولما فرغ صلى الله عليه وسلم من الصلح
واشهد عليه رجالا من المسلمين اي ابو بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن
ابي وقاص وابو عبيدة بن الجراح ومحمد بن مسلمة اي ورجالا من قريش حويطب ومكرز
قام الى هديه فنحره ومن جملته جمل لابي جهل كان نجيبا مهريا وكان يضرب في لقاحه صلى الله
عليه وسلم في راسه برة اي حلقة من فضة وقيل من ذهب ليغيظ بذلك المشركين غنمه
صلى الله عليه وسلم يوم بدر كما تقدم قال وقد كان فر من الحديبية ودخل مكة وانتهى الى
دار ابي جهل وخرج في اثره عمرو بن غنمة الانصاري فابى سفهاء مكة ان يعطوه حتى امرهم
سهيل بن عمرو بدفعه ودفعوا فيه عدة نياق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لولا انا سميناه في الهدي فعلنا انتهى وفي لفظ قال لهم سهيل بن عمرو ان تريدوه
فاعرضوا على محمد مائة من الابل فان قبلها فامسكوا هذا الجمل والا فلا تتعرضوا له اي فعرضوا
عليه صلى الله عليه وسلم ذلك فابى وقال لو لم يكن هذا الجمل للهدي لقبلنا المائة وفرق
رسول الله صلى الله عليه وسلم لحم الهدي على الفقراء الذين حضروا الحديبية وفي رواية
انه صلى الله عليه وسلم بعث الى مكة عشرين بدنة مع ناجية حتى نحرت بالمروة وقسموا لحمها
على فقراء مكة ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلق راسه وكان الحالق لراسه
خراش بن امية الخزاعي الذي بعثه الى قريش فعقروا جمله وارادوا قتله كما تقدم فلما راى
الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نحر وحلق تواثبوا ينحرون ويحلقون وقصر بعضهم
كعثمان وابي قتادة وفي كلام بعضهم اي وهو السهيلي انه لم يقصر غيرهما ودعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم للمحلقين ثلاثا وللمقصرين مرة واحدة فقال اللهم ارحم
المحلقين وفي لفظ يرحم الله المحلقين اي او قال اللهم ارحم المحلقين قالوا والمقصرين فقال
يرحم الله المحلقين وفي لفظ اللهم اغفر للمحلقين قالوا وللمقصرين فقال يرحم الله المحلقين
اي او قال اللهم ارحم المحلقين او اللهم اغفر للمحلقين قالوا والمقصرين فقال يرحم الله
المحلقين والمقصرين وفي رواية قال والمقصرين في الرابعة وقد قالوا له يا رسول الله
لم ظاهرت اي اظهرت الترحم للمحلقين دون المقصرين قال لانهم لم يشكوا اي لم يرجوا ان

يطوفوا بالبيت بخلاف المقصرين اى لان الظاهر من حالهم انهم اخروا بقية شعورهم رجا ان يحلقوها بعد طوافهم بالبيت وارسل الله تعالى ريحا عاصفة احتملت شعورهم فالقتها فى الحرم وفيه انه تقدم ان الحديبية اكثرها فى الحرم فاستبشروا بقبول عمرتهم وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم بعد فراغه من الكتاب امرهم بالنحر والحلق قال ذلك ثلاث مرات فلم يقم منهم احد فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ام سلمة رضى الله عنها اى وهو شديد الغضب فاضطجع فقالت ما شانك يا رسول الله مرارا وهو لا يجيبها ثم ذكر لها ما لقى من الناس وقال هلك المسلمون امرتهم ان ينحروا ويحلقوا فلم يفعلوا وفى لفظة لم يجيبا ام سلمة الا ترين الى الناس امرهم بالامر فلا يفعلونه قلت لهم انحروا واحلقوا وحلوا مرارا فلم يجبنى احد من الناس الى ذلك وهم يسمعون كلامى وينظرون وجهى فقالت يا رسول الله لا تلمهم فانهم قد دخلهم امر عظيم مما ادخلت على نفسك من المشقة فى امر الصلح ورجوعهم بغير فتح ثم اشارت عليه صلى الله عليه وسلم ان يخرج ولا يكلم احدا منهم وينحر بدنه ويحلق راسه ففعل كذلك اى فاخذ الحربة وقصد هديه واهوى بالحربة الى البدنة رافعا صوته بسم الله والله اكبر ثم نحر صلى الله عليه وسلم قبة من ادم احمر ودعى بخراش فحلق راسه ورمى شعره على شجرة فاخذه الناس وتحاصوه واخذت ام عمارة رضى الله عنها طاقات منه فكانت تغسلها للمريض وتسقيه فيبرا فلما راوا ذلك قاموا فنحروا وحلقوا ثم انصرف صلى الله عليه وسلم قافلا الى المدينة اى بعد ان اقام بالحديبية بضعة عشر يوما وقيل عشرين يوما فلما كان صلى الله عليه وسلم بين مكة والمدينة اى بكراع الغميم انزلت عليه سورة الفتح اى وقال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه انزلت على سورة هى احب الى مما طلعت عليه الشمس وحصل للناس مجاعة فقالوا يا رسول الله جهدنا اى اصابنا الجهد وهو المشقة من الجوع وفى الناس ظهر اى ابل فانحره لنا فلنأكل من لحمه ولندهن من شحمه ولنحتذى من جلوده فقال عمر بن الخطاب لا تفعل يا رسول الله فان الناس ان يكن فيهم بقية ظهر امثل كيف بنا اذا لاقينا العدو غدا جياعا رجالا اى مشاة قال وكلكن ان رايت ان تدعوا الناس الى ان يجمعوا بقايا ازوادهم ثم تدعو فيها بالبركة فان الله سيبلغنا بدعوتك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابسطوا انطاعكم وعباءكم ففعلوا ثم قال من كان عنده بقية من زاد وطعام فلينثره ودعا لهم ثم قال قربوا اوعيتكم فاخذوا ما شاء الله اى وحشوا اوعيتهم واكلوا حتى شبعوا وبقى مثله وفى مسلم خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة فاصابنا جهد حتى هممنا ان ننحر بعض ظهرنا فامرنا النبى صلى الله عليه وسلم فجمعنا من ازوادنا فبسطنا له نطعا فاجتمع زاد القوم على النطع فكان كربضة العنز اى كقدر العنز وهى رابضة اى

باركة

باركة وكنا اربع عشرة مائة قال الراوى فاكلنا حتى شبعنا ثم حشونا اجربتنا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال اشهد ان لا اله الا الله وانى رسول الله والله لا يلقى الله عبد مؤمن بهما الا حجب عن النار وقال صلى الله عليه وسلم لرجل من اصحابه هل من وضوء بفتح الواو ما يتوضا به فجاء رجل باداوة وهى الركوة فيها نطفة من ما اى قليل من ما وقيل لكما نطفة لانه ينطف اى ينصب فافرغها فى قدح اى ووضع راحته الشريفة فى ذلك الما قال الراوى فتوضانا كلنا اى الاربعة عشر مائة ندغفقه دغفقة اى نصبه صبا شديدا ثم جا بعد ذلك ثمانية فقالوا هل من طهور فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرغ الوضوء والى كثير الطعام والما اشار صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله فى وصف راحته الشريفة

احيت المرملين من بعد جهد ❊ اعوز القوم فيه زاد وماء

اى حفظت على المحتاجين للزاد والما حياتهم فسلموا من موت قحط شديد اعوز القوم فى ذلك القحط زادوما وقال الامام السبكى فى تائيته فى تكثير الماء

وعقدى يمينى لا تمين بان فى ❊ يمينك وكفاحيها السحب ضنت

ولما انزلت عليه صلى الله عليه وسلم سورة الفتح قال له جبريل عليه الصلاة والسلام سورة الفتح قال له جبريل يهنيك يا رسول الله وهناه المسلمون وتكلم بعض الصحابة وقال ما هذا بفتح لقد صدونا عن البيت وصد هدينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه ذلك بئس الكلام بل هو اعظم الفتح لقد رضى المشركون ان يدفعوكم بالبراح عن بلادهم ويسالوكم القضية ويرغبوا اليكم فى الامان وقد راوا منكم ما كرهوا واظفركم الله عليهم وردكم الله تعالى سالمين ماجورين فهو اعظم الفتوح انسيتم يوم احد اذ تصعدون ولا تلوون على احد وانا ادعوكم فى اخراكم انسيتم يوم الاحزاب اذ جاوكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا فقال المسلمون صدق الله ورسوله فهو اعظم الفتوح والله يا نبى الله ما فكرنا فيما فكرت فيه ولانت اعلم بالله وبامره منا وقال له بعض الصحابة اى وهو عمر بن الخطاب رضى الله عنه يا رسول الله الم تقل انك تدخل مكة امنا قال بلى افقلت لكم من عامى هذا قالوا لا قال فهو كما قال لى جبريل عليه السلام فانكم تاتونه وتطوفون به اقول فيه انه تقدم ان ذلك كان عن رؤيا لا عن وحى الا ان يقال يجوز ان يكون جاه صلى الله عليه وسلم الوحى بمثل ما راى ثم اخبرهم بذلك والله اعلم وفى لفظ لما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالحديبية انه يدخل مكة هو واصحابه امنين محلقين رؤسهم ومقصرين واخبرهم بذلك فلما صدوا قالوا اين رؤياك يا رسول الله فانزل الله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الاية اقول ولا يخالف هذا ما تقدم ان الرؤيا المذكورة كانت بالمدينة وانها السبب الحامل على الاحرام

بالعمرة لجواز تكرر الرؤيا وان الاولى اقترن بها الوحي وذكر بعضهم انه لما دخل مكة عام
القضية وحلق راسه قال هذا الذي وعدتكم فلما كان يوم الفتح واخذ المفتاح قال ادعو
الي عمر بن الخطاب فقال هذا الذي قلت لكم ولما كان في حجة الوداع ووقف صلى الله عليه وسلم
بعرفة قال لعمر بن الخطاب هذا الذي قلت لكم وفيه انه لم يتقدم في الرؤيا انه ياخذ
المفتاح ولا انه يقف بعرفة الا ان يقال يجوز ان يكون صلى الله عليه وسلم اخبر بذلك
بعد الرؤيا او ان المراد من ذلك مجرد دخول مكة والله اعلم واصابهم مطر في الحديبية
لم يبل اسافل نعالهم اي ليلا فنادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان صلوا في رحالكم
اي ووقع مثل ذلك في حنين اصابهم مطر فامر صلى الله عليه وسلم مناديه ينادي الا
صلوا في رحالكم وقال صبيحة ليلة الحديبية لما صلى بهم اتدرون ما قال ربكم قالوا الله
ورسوله اعلم قال قال الله عز وجل اصبح من عبادي مومن بي وكافر فاما المومن من قال مطرنا
برحمة الله وبفضله فهو مومن بالله وكافر بالكواكب واما من قال مطرنا بنجم كذا وفي
رواية بنوء كذا وكذا فهو مومن بالكواكب كافر بي وهذا عند ائمتنا مكروه لا حرام الا ان المراد
بالايمان شكر نعمة الله حيث نسبها الى الله وبالكفر كفران النعمة حيث نسبها لغيره فان اعتقد
ان النجم هو الفاعل كان الكفر فيه على حقيقته وهو ضد الايمان والاولى انما نهى عنه لانه
كان من امر الجاهلية والا فهذا التركيب لا يقتضي ان يكون نوء كذا فاعلا وهو ثم لو قال
مطرنا في نوء كذا اي في وقت نوء كذا لم يكره وكان ابن سلول قال هذا نوء الخريف مطرنا بالشعرى
اي وسمي الخريف خريفا لانه يخترف فيه الثمار اي تقطع والنوء سقوط نجم ينزل
في المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه من المشرق من انجم المنازل وذلك يحصل في كل
ثلاثة عشر يوما الا الجبهة النجم المعروف فان لها اربعة عشر يوما قال بعضهم والانواء ثمانية
وعشرون نوءا نجما كانت العرب يعتقدون ان من ذلك يحدث المطر او الريح اي وفي
الحديث لو حبس الله القطر عن الناس سبع سنين ثم ارسله اصبح طائفة به كافرين يقولون
مطرنا بنوء المجدح بكسر الميم نجم يقال هو الدبران وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان الله ليصبح
القوم بالنعمة ويمسيهم بها فتصبح طائفة منهم بها كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا ونقل عن
عمر رضي الله تعالى عنه انه قال مطرنا بنوء كذا ولعله لم يبلغه النهي عن ذلك حين قال ذلك
قال العارف بالله ابن عطا الله لعل هذا يكون ايها المومن ناهيا لك عن التعرض الى علم
الكواكب واقترانها وما تعالك ان تدعي وجود تاثيراتها واعلم ان لله فيك قضا لا بد
ان ينفذه وحكما لا بد ان يظهره فما فائدة التجسس على غيب علام الغيوب
وقد نهانا سبحانه ان نتجسس على غيبه وصارت تلك الشجرة التي وقعت
عندها البيعة يقال لها شجرة الرضوان وبلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه اي في خلافته

ان ناسا

ان ناسا يصلون عندها فتوعدهم وامر بها فقطعت اي خوف ظهور البدعة
ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة هاجرت اليه ام كلثوم رضي الله عنها بنت عقبة بن
ابي معيط في تلك المدة وكانت اسلمت بمكة وبايعت قبل ان يهاجر صلى الله عليه وسلم
وهي اول من هاجر من النسا بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وفي
الاستيعاب يقولون انها مشت على قدميها من مكة الى المدينة ولا يعرف لها
اسم الا هذه الكنية وهي اخت عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه لامه اي فلما قدمت
المدينة دخلت على ام سلمة رضي الله عنها واعلمتها انها جات مهاجرة وتخوفت ان يردها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ام سلمة اعلمته
بها فرحب بام كلثوم فخرج اخوها عمارة والوليد في ردها بالعهد فقالا يا محمد ف لنا
بما عهدتنا عليه فلم يفعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك اي بعد ان قالت له يا رسول
الله انا امراة وحال النسا الى الضعف فتردني الى الكفار يفتنوني عن ديني ولا
صبر لي فنزل القران بنقض ذلك العهد بالنسبة للنسا لمن جا منهن مومنا لكن
بشرط امتحانهن في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا جاكم المومنات اي في مدة هذا العهد
والصلح مهاجرات فامتحنوهن قال السهيلي وكان الامتحان ان تستحلف المراة
المهاجرة انها ما هاجرت ناشزا ولا هاجرت الا لله ولرسوله وفي لفظ كانت المراة
اذا جات للنبي صلى الله عليه وسلم حلفها عمر بالله ما خرجت رغبة بارض عن ارض وبالله ما
خرجت من بغض زوج وبالله ما خرجت لالتماس دنيا ولا لرجل من المسلمين وبالله
ما خرجت الا حبا لله ولرسوله فاذا حلفت لم ترد ورد صداقها الى بعلها اي ولما قدم
الوليد وعمارة مكة اخبرا قريشا بذلك فرضوا ان تحبس النسا ولم يكن لام كلثوم
رضي الله عنها زوج بمكة فلما قدمت المدينة تزوجها زيد بن حارثة وفي رواية لما كان
صلى الله عليه وسلم بالحديبية جات جماعة من النسا المومنات مهاجرات من مكة
من جملتهن سبيعة بنت الحارث فاقبل زوجها وهو مسافر المخزومي طالبا لها
وارادوا مشركوا مكة ان يردوهن الى مكة فنزل جبريل عليه السلام بهذه الاية يا ايها
الذين امنوا اذا جاكم المومنات مهاجرات فامتحنوهن فاستحلف صلى الله عليه
وسلم سبيعة فحلفت فاعطى زوجها مسافرا ما انفق عليها اي الذي هو الصداق
فتزوجها عمر رضي الله عنه وهذا السياق يدل على ان الاية الكريمة نزلت بالحديبية
وما قبله يدل على انها نزلت بالمدينة وقد يقال لا مانع من تكرر نزول الاية واما في غير
مدة هذا العهد اي بعد نسخه بفتح مكة فلم تستحلف امراة جات الى المدينة ولا يرد
صداقها الى بعلها ومن ثم ذهب ائمتنا الى انه اذا اشترط رد المراة المسلمة اليهم فسدت

الهدنة كما تقدم ولا يجب دفع المهر الى الزوج لوجات مسلمة وقوله تعالى وآتوهم اى الازواج
ما انفقوا اى من المهور محمول على الندب والصارف له عن الوجوب كون الاصل براءة
الذمة لان البضع ليس بمال الكافر وفيه ان طلب رد المهور للازواج كان واجبا
في مدة العهد خاصة كما علمت وانزل الله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر اى نهى المؤمنين
عن البقاء على نكاح المشركات فطلق الصحابة رضي الله عنهم كل امرأة كافرة في نكاحهم حتى
ان عمر بن الخطاب كان له امرأتان فطلقهما يومئذ فتزوج احداهما معاوية بن ابي سفيان
والاخرى صفوان بن امية فكان صلى الله عليه وسلم في مدة العهد يرد الرجال ولا يرد
النساء اى بعد امتحانهن فقد جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة ابو بصير رضي الله
عنه وكان ممن حبس بمكة وكتب في رده ازهر بن عوف رضي الله عنه فانه اسلم بعد ذلك
وهو من الطلقاء اى وهو عم عبد الرحمن بن عوف والاخنس بن شريق رضي الله عنه فانه
اسلم بعد ذلك كتابا وبعثا به رجلا من بني عامر يقال له خنيس ومعه مولى يهديه
الطريق فقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتاب فقرأه ابي رضي الله عنه على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه قد عرفت ما شارطناك عليه من رد من قدم عليك
من اصحابنا فابعث الينا بصاحبنا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا بصير انا
قد اعطينا هؤلاء القوم ما علمت ولا يصلح لنا في ديننا الغدر وان الله جاعل لك ولمن معك
من المستضعفين فرجا ومخرجا فانطلق الى قومك قال يا رسول الله اتردني الى المشركين
يفتنوني عن ديني قال يا ابا بصير انطلق فان الله سيجعل لك ولمن حولك من المستضعفين
فرجا ومخرجا فانطلق معهما اى وصار المسلمون رضي الله عنهم يقولون له الرجل يكون خيرا
من الف رجل يغرونه بالذين معه حتى اذا كان بذي الحليفة جلس الى جدار ومعه
صاحباه فقال ابو بصير رضي الله عنه لاحد صاحبيه ومعه سيفه اصارم سيفك هذا
يا اخا بني عامر فقال نعم انظر اليه ان شئت فاستله ابو بصير رضي الله عنه ثم علاه به حتى قتله
وفي لفظ ان الرجل هو الذي سل سيفه ثم هزه فقال لاضربن بسيفي هذا في الاوس
والخزرج يوما الى الليل فقال له ابو بصير اوصارم سيفك هذا قال نعم قال ناولنيه انظر
اليه فناوله فلما قبض عليه ضربه حتى برد وقيل تناوله بفيه وصاحبه نائم فقطع اسا
اى كتفيه ثم ضربه حتى برد فطلب المولى فخرج المولى سريعا حتى الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم والحصا يطير من تحت قدميه وفي لفظ والحصى يطير من تحت قدميه من شدة
عدوه اى وابو بصير في اثره قد اعجزه قال صلى الله عليه وسلم ان هذا الرجل قد راى ذعرا
وفي لفظ لقد لقي هذا ذعرا فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد
قال له ويحك ما لك قال قتل صاحبكم صاحبي وافلت منه ولم اكد واني لمقتول واستغاث

رسول

برسول الله صلى الله عليه وسلم فامنه فاذا ابو بصير رضي الله عنه اناخ بعير العامري بباب
المسجد ودخل متوشحا السيف ووثب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله وفت
ذمتك وادى الله عنك اسلمتني بيد القوم وقد امتنعت بديني ان افتتن فيه او يعبث بي فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب حيث شئت فقال يا رسول الله هذا سلب العامري اى الذي
قتلته رحله وسيفه فخمسه فقال له صلى الله عليه وسلم اذا خمسته راوني لم اوف لهم بالذي عاهدتهم
عليه ولكن شانك سلب صاحبك ومن ثم قال فقهاؤنا يجوز رد المسلم الى الطالب له من غير
عشيرته اذا قدر على قهر الطالب والهرب منه وعند ذلك ذهب ابو بصير رضي الله تعالى
عنه الى محل من طريق الشام تمر به عيران قريش واجتمع اليه جمع من المسلمين الذين كانوا
احتبسوا بمكة اى لانهم لما بلغهم خبره رضي الله تعالى عنه اى وانه صلى الله عليه وسلم قال في حقه
ويل امه مسعر حرب لو كان معه رجال صاروا يتسللون اليه وانفلت ابو جندل بن سهيل بن
عمرو رضي الله عنهما والذي رده يوم الحديبية وخرج من مكة في سبعين راكبا اسلموا فلحقوا
بابي بصير وكرهوا ان يقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك المدة التي من زمن
الهدنة اى خوفا ان يردهم الى اهليهم وانضم اليهم ناس من غفار واسلم وجهينة وطوائف
من العرب ممن اسلم حتى بلغوا ثلاثمائة مقاتل فقطعوا مادة قريش لا يظفرون باحد منهم
الا قتلوه ولا يمر بهم عير الا اخذوها حتى كتبت قريش له صلى الله عليه وسلم تسأله بالارحام
الا آواهم ولا حاجة لهم بهم وفي رواية ان قريشا ارسلت ابا سفيان بن حرب رضي الله عنه
في ذلك وان قريشا قالوا انا اسقطنا هذا الشرط من الشروط من جاء منهم اليك فامسكه
في غير حرج اى وفي لفظ من اتاه فهو له فانا اسقطنا هذا الشرط فان هؤلاء الركب قد فتحوا علينا
بابا لا يصلح اقراره فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابي جندل والى ابي بصير رضي الله
عنهما ان يقدما عليه اى وان من معهما من المسلمين يلحقوا ببلادهم واهليهم ولا يتعرضوا
لاحد مر بهم من قريش ولا لعيرانهم فقدم كتاب الله صلى الله عليه وسلم عليهما وابو بصير
رضي الله عنه يموت فمات وكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده يقرؤه فدفنه ابو
جندل رضي الله عنه مكانه وجعل عند قبره مسجدا وقدم ابو جندل على رسول الله صلى الله
عليه وسلم مع ناس من اصحابه ورجع باقيهم الى اهليهم وامنت قريش على عيرانهم وعلمت
اصحابه صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم الذين عسر عليهم رد ابي جندل الى قريش مع ابيه سهيل بن عمرو
ان طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم خير مما احبوه وان رايه صلى الله عليه وسلم افضل من رايهم
وعلموا بعد ذلك ان مصالحته صلى الله عليه وسلم كانت اولى لانها كانت سببا لكثرة المسلمين
فان الكفار لما امنوا القتال اختلطوا بالمسلمين فاثر فيهم الاسلام فاسلم كثير منهم وقد
ذكر بعض المفسرين ان الذين اسلموا في سنتي الفتح بما على ان المدة كانت سنتين او المعنى

ستين من الصلح اى من مدة تريد لون الذين اسلموا قبلهما قال وعن بعضهم اى ومنهم ابو بكر
الصديق رضى الله عنه انه كان يقول ما كان فتح فى الاسلام اعظم من فتح الحديبية ولكن الناس
قصر رايهم عما كان بين محمد صلى الله عليه وسلم وربه والعباد يعجلون والله لا يعجل كعجلة
العباد حتى يبلغ الامور ما اراد لقد رايت سهيل بن عمرو رضى الله عنه بعد اسلامه فى حجة
الوداع قايما عند المنحر يقرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بدنه ورسول الله صلى الله عليه وسلم
ينحرها بيده الشريفة ودعا الحلاق يحلق راسه فانظر الى سهيل يلتقط من شعره يضعه
على عينيه واذكر امتناعه ان يقر يوم الحديبية بان يكتب بسم الله الرحمن الرحيم اى وان محمدا
رسول الله فحمدت الله وشكرته الذى هداه للاسلام وعن كعب بن عجرة رضى الله عنه قال
كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية ونحن محرمون قد حصرنا المشركون وكانت
لى وفرة فجعلت الهوام اى القمل يتساقط على وجهى فمر بى رسول الله صلى الله عليه وسلم اى
وفى رواية مشيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقمل يتساقط على وجهى وفى
رواية اتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقال ادن فدنوت يقول ذلك مرتين او ثلاثا وفى
رواية اتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية وانا اوقد تحت برمة وفى
لفظ قدر لى فقال كانك يوذيك هوام راسك قلت اجل قال لى احلق واهد هديا فقلت ما
اجد هديا فقال صم ثلاثة ايام وفى لفظ فقال ايوذيك هوام راسك وفى لفظ العلك
اذاك هوامك قلت نعم يا رسول الله قال ما كنت ارى ان الجهد بلغ بك هذا فامرنى ان
احلق اى وفى رواية اصابتنى هوام فى راسى وانا لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
عام الحديبية حتى تخوفت على بصرى وانزل الله تعالى هذه الاية فمن كان منكم مريضا او به
اذى من راسه اى فحلق ففدية من صيام او صدقة او نسك فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم
صم ثلاثة ايام او تصدق بفرق اى زاد فى رواية من زبيب بين ستة مساكين والفرق
بفتح الفاء والراء ثلاثة اصع اى زاد فى رواية من تمر لكل مسكين نصف صاع او انسك
اى اذبح ما تيسر لك انتهى زاد فى رواية اى ذلك فعلت اجزا عنك فحلقت ثم نسكت اى وفى
رواية الشيخين انسك شاة او صم ثلاثة ايام او اطعم فرقا من الطعام على ستة مساكين
قال ابن عبد البر عامة الاثار عن كعب بن عجرة وردت بلفظ التخيير وهو نص القران
وعليه عمل العلماء فى كل الامصار وفتواهم وما ورد عن بعض الاحاديث لو صح كان معناه
الاخبار او لا فاولا قال فى سفر السعادة امره صلى الله عليه وسلم فى علاج القمل على الراس
لتنفتح المسام وتتصاعد الابخرة وتضعف المادة الفاسدة التى يتولد القمل منها
وذكر فى الهدى ان اصول الطب ثلاثة الحمية وحفظ الصحة والاستفراغ قال
الاول شرع الاول التيمم خوفا من استعمال الماء والى الثانى شرع الفطر فى رمضان

فى السفر لئلا يتوالى معه السفر ومشقة الصوم والى الثالث بحلق راس المحرم اذا كان
به اذى من قمل ليستفرغ المادة الفاسدة والابخرة الرديئة وعند ائمتنا لا بد ان يكون
ما يذبحه مجزيا فى الاضحية وبعد الحديبية قبل خيبر وقيل بعد خيبر نزلت اية الظهار
قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وسبب ذلك ان اوس بن الصامت لا عبادة
ابن الصامت كما قيل اى وكان شيخا كبيرا قد ساء خلقه وفى لفظ كان به لمم اى نوع
من الجنون وكان فاقد البصر قال لزوجته خولة بنت ثعلبة وفى لفظ بنت خويلد وكانت
بنت عمه وقد راجعته فى شىء فغضب فقال لها انت على كظهر امى وكان فى فرقى الجاهلية طلاقا
اى كالطلاق فى تحريم النساء ثم راودها عن نفسها فقالت كلا لا تصل الى وقد قلت ما قلت
حتى اسال رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى لفظ انه لما قال لها انت على كظهر امى اسقط
فى يده وقال ما اراك الا قد حرمت على انطلقى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتت اليه
فدخلت عليه صلى الله عليه وسلم وهو يمشط راسه الشريف اى عنده ماشطة اى وهى عايشة
رضى الله عنها تمشط راسه وفى لفظ كان الظهار اشد الطلاق واحرم الحرام اذا ظاهر
الرجل من امراته لم ترجع اليه ابدا فاخبرته فقال لها ما امرنا بشىء من امرك ما اراك الا قد
حرمت عليه فقالت يا رسول الله والذى انزل عليك الكتاب ما ذكر الطلاق وانه ابو ولدى
واحب الناس الى فقال حرمت عليه فقالت اشكو الى الله فاقتى ووحدتى الى غير احد وقد كبر سنى
ودق عظمى وفى لفظ انها قالت اللهم انى اشكو اليك شدة وحدتى وما شق على من فراقه
وما نزل بى وبصبيتى قالت عايشة رضى الله تعالى عنها فلقد بكيت وبكى من كان فى البيت
رحمة لها ورقة عليها وفى لفظ قالت يا رسول الله ان زوجى اوس بن الصامت تزوجنى وانا
ذات مال واهل فلما اكل مالى وذهب شبابى ونفضت بطنى وتفرق اهلى ظاهر منى فقال
لها صلى الله عليه وسلم ما اراك الا قد حرمت عليه فبكت وصاحت وقالت اشكو الى الله فقرى
ووحدتى وصبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الى جاعوا وصارت ترفع راسها
الى السماء فبينما هو قد فرغ صلى الله عليه وسلم من شق راسه واخذ فى الشق الاخر انزل الله عليه الاية
فسرى عنه وهو يتبسم فقال لها مريه فليحرر رقبة فقالت والله ما له خادم غيرى قال مريه فليصم
شهرين متتابعين فقالت والله انه لشيخ كبير انه لم ياكل فى اليوم مرتين يندر بصره اى
لو كان مبصرا فلا ينافى ما تقدم انه كان فاقد البصر قال فليطعم ستين مسكينا فقالت
والله ما له اليوم وقية قال مريه فلينطلق الى فلان يعنى شخصا من الانصار فقد اخبرنى ان
عنده شطر وسق من تمر يريد ان يتصدق به فليأخذه منه وفى رواية مريه فليأت ام
المنذر بنت قيس فليأخذ منها شطر وسق من تمر فليتصدق به على ستين مسكينا وليراجعك

ثم انه قعصت عليه القصة فانطلق فنعل اى وفى لفظ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

فانا ساعينه بعرق من تمر فيكث وقالت وانا يا رسول الله ساعينه بعرق اخر قال قد
اصبت واحسنت فاذهبي فتصدقي به عنه ثم استوصي بابن عمك خيرا **وفي** رواية لها
قال لها صلى الله عليه وسلم ما اعلم الا قد حرمت عليه قالت لها عائشة وراك فتنحت فلما نزل
عليه صلى الله عليه وسلم الوحي وسري عنه قال يا عائشة ابن المراة قالت هاهو هذه قال ادعيها
فدعوتها فقال النبي صلى الله عليه وسلم اذهبي فجيئي بزوجك فذهبت فجاءت به وادخلته على النبي
صلى الله عليه وسلم فاذا هو ضرير البصر فقير سيء الخلق فقال له صلى الله عليه وسلم اتجد رقبة
قال لا **وفي** لفظ قال مالي بهذا اي قدرة قال اتستطيع ان تصوم شهرين متتابعين قال
والذي بعثك بالحق اني اذا لم اكل المرة والمرتين والثلاثة يغشى علي **وفي** لفظ اني اذا لم
اكل في اليوم مرتين كل بصري اي لو كان موجودا قال افتستطيع ان تطعم ستين مسكينا
قال لا الا ان تعينني فاعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكفر عنه **وفي** رواية انه صلى
الله عليه وسلم اعطاه مكتلا يأخذ خمسة عشر صاعا فقال اطعم ستين مسكينا قال بعضهم
وكانوا يرون ان عند اوس رضي الله عنه مثلها حتى يكون لكل مسكين نصف صاع **وفيه** انه
خلاف الروايات من انه لا يملك شيئا فقال على افقر مني والله الذي بعثك بالحق ما بين
لابتيها اهل بيت احوج اليه مني فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اذهب به الى اهلك
وهذا اول ظهار وقع في الاسلام **ومر** عمر رضي الله تعالى عنه بخولة هذه في ايام خلافته فقالت
له قف يا عمر فوقف لها ودنى منها واصغى اليها واطال الوقوف واغلظت له القول اي قالت له
هيهات يا عمر عهدتك وانت تسمى عميرا وانت في سوق عكاظ ترعى الضان بعصاك فلم
تذهب الايام حتى سميت عمر ثم لم تذهب الايام حتى سميت امير المؤمنين فاتق الله في الرعية
واعلم انه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ومن خاف الموت خشي الفوت فقال لها الجارود
قد اكثرت ايتها المراة على امير المؤمنين فقال عمر رضي الله عنه دعها **وفي** رواية فقال له قائل
حبست الناس لاجل هذه العجوز قال ويحك وتدري من هذه قال لا قال هذه امراة سمع الله
شكواها من فوق سبع سماوات هذه خولة بنت ثعلبة والله لو لم تنصرف عني الى الليل
ما انصرفت حتى تقضي حاجتها **قيل** وفي هذه السنة التي هي سنة ست حرمت الخمر
وبه جزم الحافظ الدمياطي وقيل حرمت سنة اربع ويدل له ما تقدم من اراقة
الخمر وكسر جرارها في بني قريظة وقيل في السنة الثالثة وقيل انها حرمت في عام الفتح
قبل الفتح قال بعضهم حرمت الخمر ثلاث مرات اي نزل تحريمها ثلاث مرات كان المسلمون
يشربونها حلالا اي لغيره صلى الله عليه وسلم اما هو فحرمت عليه قبل البعثة بعشرين
سنة فلم تبح له قط وقد جاء اول ما نهاني عنه ربي بعد عبادة الاصنام شرب الخمر وتقدم
ان جماعة حرموها على انفسهم وامتنعوا من شربها ولا زالت حلالا للناس حتى نزل قوله تعالى

يسألونك

يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس **فعند** ذلك اجتنبها
قوم لوجود الاثم وتعاطاها اخرون لوجود النفع اي وكانوا يشربونها ويصلوا فلما نزل
قوله تعالى لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى امتنع من كان يشربها لاجل النفع من شربها
في اوقات الصلاة ورجع قوم منهم عن شربها حتى في غير اوقات الصلاة وقالوا لا خير في
شيء يحول بيننا وبين الصلاة **وسبب** نزول هذه الاية ما جاء عن علي رضي الله عنه قال صنع
لنا عبد الرحمن بن عوف طعاما اي وشرابا هو الخمر فاكلنا وشربنا فاخذت الخمر منا وحضرت
الصلاة اي الجهرية وقدموني فقرأت فقرأت قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون
ونحن نعبد ما تعبدون الى ان قلت ولنا ديني ولكم دينكم **ثم** نزلت الاية الاخرى
الدالة على تحريمها مطلقا وهي انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان
فاجتنبوه لعلكم تفلحون الى قوله فهل انتم منتهون اي ولعل هذه الاية الاخيرة هي التي
عناها انس رضي الله عنه بقوله كما في البخاري كنت ساقي القوم الخمر بمنزل ابي طلحة اي وهو
زوج امه رضي الله عنهم فنزل تحريم الخمر فامر مناديا ينادي فقال ابو طلحة اخرج فانظر ما هذا
الصوت قال فخرجت فقلت هذا مناد ينادي الا ان الخمر قد حرمت فقال لي اذهب
فاهرقها فقال بعض القوم قتل قوم اي في احد وهي في بطونهم **وفي** رواية قالوا يا رسول
الله كيف بمن مات من اصحابنا وكان يشربها فانزل الله تعالى ليس على الذين امنوا وعملوا
الصالحات جناح فيما طعموا اي لان ذلك كان قبل تحريمها مطلقا وقد جيء لعمر رضي الله
عنه بشخص من المهاجرين الاولين قد سكر فاراد عمر جلده فاستدل على عمر بهذه الاية فقال
عمر لمن حضره الا تردون عليه فقال ابن عباس هذه الاية نزلت عذرا للماضين وحجة على
الباقين ثم استشار عمر رضي الله عنه فاشار عليه ان يجلده ثمانين جلدة ولعل هذا الشخص
هو قدامة بن مظعون وتقدمت قصته في بدر وتقدم في ذلك ان الذي رد عليه بذلك
عمر لا ابن عباس رضي الله تعالى عنهم وكذا وقع لابي جندل رضي الله عنه مثل ذلك وانه اشفق انه
هالك من ذلك فلما بلغ عمر رضي الله عنه كتب اليه ان الذي زين اليك الخطيئة هو
الذي حظر اي منع عليك التوبة بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله
العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب الاية **غزوة خيبر** على وزن جعفر
سميت باسم رجل من العماليق نزلها يقال له خيبر وهو اخو يثرب الذي سميت باسمه المدينة
كما تقدم **وفي كلام** بعضهم الخيبر بلسان اليهود الحصن ومن ثم قيل لها خيابر
لاشتمالها على الحصون وهي مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع ونخيل كثير بينها
وبين المدينة الشريفة ثمانية برد كما في سيرة الحافظ الدمياطي ومعلوم ان البريد اربعة
فراسخ وكل فرسخ ثلاثة اميال لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية اقام

شهرًا او بعض شهر اى ذى الحجة ختام سنة ست واقام من المحرم افتتاح سنة سبع
ايامًا قيل عشرين يومًا او قريبًا من ذلك ثم خرج الى خيبر اى وهذا ما ذهب اليه
الجمهور ونقل عن الامام مالك رضى الله تعالى عنه ان خيبر كانت سنة ست واليه
ذهب الامام ابن حزم **وفى** التعليقة للشيخ ابى حامد انها كانت سنة خمس قال الحافظ
ابن حجر وهو وهم ولعله انتقال من الخندق الى خيبر **قال** ولما استنفر صلى الله عليه وسلم من
حوله ممن شهد الحديبية يغزون معه وجاء المخلفون عنه فى غزوة الحديبية ليخرجوا معه
رجاء الغنيمة قال لا تخرجوا معى الا راغبين فى الجهاد اما الغنيمة فلا اى لا تعطوا منها
شيأ اى ثم امر منادياً ينادى بذلك فنادى به قال انس رضى الله عنه وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لابى طلحة وهو زوج ام انس لما تقدم حين اراد الخروج الى خيبر التمسوا لى غلامًا
من غلمانكم يخدمنى فخرج ابو طلحة مردفى وانا غلام قد راهقت فكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا نزل خدمته فسمعته كثيرًا ما يقول اللهم انى اعوذ بك من الهم والحزن والعجز
والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال انتهى **اقول** وهذا السياق يدل على ان
اول خدمة انس رضى الله عنه له صلى الله عليه وسلم حينئذ وهو يخالف ما سبق ان عند
قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة جاءت به امه وقالت هذا ابنى وهو غلام كيس قيل كان
عمره عشر سنين وقيل تسع سنين وقيل ثمان سنين **ففى** مسلم عن انس قال
جاءت بى امى ام انس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ازرتنى بنصف خمارها وردتنى
بنصفه فقالت يا رسول الله هذا انيس ابنى اتيتك به ليخدمك فادع الله فقال اللهم
اكثر ماله وولده وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز ان يكون صلى الله عليه وسلم انما قال لابى طلحة
ما ذكر رجاء ان ياتى له بمن هو اقوى من انس على السفر شفقة على انس ومن ثم لم يخرج صلى
الله عليه وسلم معه وفيه انه خرج معه فى بدر **فقد جاء** انه قيل لانس رضى الله تعالى عنه
اشهدت بدرًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا ام لك واين غبت عن بدر وقد يقال
جاز ان يكون عرض لانس رضى الله عنه حين خروجه صلى الله عليه وسلم الى خيبر ما يقتضى
الشفقة عليه فى عدم اخراجه معه والله اعلم واستخلف صلى الله عليه وسلم على المدينة نميلة
وقيل سباع بن عرفطة اى وصحح وكان الله وعده وهو بالحديبية اى بعد منصرفه منها
فى سورة الفتح بمغانم بقوله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها اى مغانم خيبر
وخرج معه صلى الله عليه وسلم من نسائه ام سلمة رضى الله تعالى عنها وقال صلى الله عليه وسلم
فى سيره لعامر بن الاكوع عم سلمة بن الاكوع رضى الله عنهما انزل فخذ لنا من هناتك
وفى رواية من هنياتك **وفى** لفظ من هنياتك بقلب الهاء الثانية ياء اى من
اراجيزك واشعارك **وفى** لفظ انزل فحرك بنا الركاب فقال يا رسول الله قد تركت

تولى

تولى اى الشعر فقال له عمر رضى الله عنه اسمع واطع فنزل يرتجز بقوله

والله لولا الله ما اهتدينا ۝ ولا تصدقنا ولا صلينا

الابيات **وفى** مسلم اللهم لولا انت ما اهتدينا قيل وصوابه لاهم او تالله او والله لكن
فى تلك الابيات فاغفر فداك ما اقتفينا اى فاغفر ما اكتسبنا واصل الاقتفاء الاتباع
وفى خطاب البارى تعالى بفداك ما لا ينبغى لانه لا يقال للبارى عز وجل فديتك لان ذلك
انما يستعمل فى مكروه يتوقع حلوله بالمفدى بالفتح فيجعل المفدى بالكسر نفسه فداء له
من ذلك فيبذل المفدى نفسه عن نفسه **واجيب** عن ذلك بان الشاعر لم يرد ذلك
بل اراد ان يبذل نفسه فى رضاه سبحانه وتعالى **وعند** انشاده الابيات المذكورة
قال له النبى صلى الله عليه وسلم يرحمك ربك **وفى** لفظ غفر لك ربك فقال له عمر بن الخطاب
رضى الله عنه والله وجبت اى الشهادة يا رسول الله لولا اى هلا امتعتنا به اى
ابقيته لنا لنتمتع به ومنه استمتعنى الله ببقائك اى هلا اخرت الدعاء له بذلك الى
وقت اخر لانه صلى الله عليه وسلم ما قال ذلك لاحد فى مثل هذا الموطن الا واستشهد
وفى لفظ ان القائل له اسمعنا رجل من القوم قال الحافظ ابن حجر لم اقف على اسمه
صريحًا وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمعه قال من هذا السائق قالوا عامر قال
صلى الله عليه وسلم يرحمه الله فقتل فى هذه الغزاة رجع اليه سيفه فقتله فانه اراد
ان يضرب به ساق يهودى فجاءت ذبابته فى ركبته فمات من ذلك رضى الله تعالى عنه
فقال الناس قتله سلاحه **وفى** رواية قتل نفسه اى فليس بشهيد فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه لشهيد وصلى عليه صلى الله عليه وسلم والمسلمون **وفى** رواية
قال سلمة بن الاكوع يا رسول الله فداك ابى وامى زعموا ان اخى عامرًا حبط عمله
وفى لفظ زعم اسيد بن حضير وجماعة من اصحابك ان عامرًا احبط عمله اذ قتل
بسيفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذب من قال ذلك اى اخطأ فى قوله وان له اجرين
وجمع بين اصبعيه **وفى** رواية انه لشهيد **وفى** لفظ انه جاهد مجاهد **وفى** لفظ
مات جاهدًا مجاهدًا والجاهد الجاد فى امره فلما قام بوصفين كان له اجران وقيل هو من
باب جاد مجد وشعر شاعر فهو تاكيد وكون عامر اخو سلمة هو خلاف ما تقدم انه عمه
وهو الصحيح المشهور قال فى النور ويمكن الجمع بان يكون عمه من النسب واخاه من الرضاعة
اى وحينئذ يكون هذا محمل قول ابن الجوزى رحمه الله من الاخوة الذين حدثوا عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم عامر وسلمة ابنا الاكوع **وفى** فتح البارى عن بعض الصحابة
فلما وصلنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه يقول

قد علمت خيبر انى مرحب ۝ شاكى السلاح بطل مجرب

اذا الحروب اقبلت تلهب ۝ فبرز له عامر رضي الله تعالى عنه يقول ۝
قد علمت خيبر اني عامر ۝ شاكي السلاح بطل مغامر ۝
فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب في ترس عامر فذهب عامر يسفل لمرحب اي يضربه
من اسفل فعاد سيفه على نفسه اي اصاب عين ركبته عامر فمات من ذلك الحديث اي حدا
به لا ينافي ما جاء ان البراء بن مالك كان حسن الصوت وكان يرتجز لرسول الله صلى الله
عليه وسلم في اسفاره لان المراد في بعض اسفاره كما صرحت به بعض الروايات وجاء
انه صلى الله عليه وسلم قال اي للبراء انك والقوارير وهو يدل على انه كان يرتجز لنسائه صلى
الله عليه وسلم وهو يخالف ان البراء كان حادي الرجال وانجشة حادي النسا الا ان يقال
جاز ان يكون البراء حادي للنساء في بعض الاسفار او في بعض الاحيان وانجشة كان في
الغالب قال بعضهم كان انجشة رضي الله عنه عبدا اسود وكان حسن الصوت بالحدا اذا
حدا اعنقت الابل اي سارت العنق واسرعت فلما حدى بامهات المؤمنين قال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا انجشة رويدك رفقا بالقوارير فلما اشرف صلى الله عليه وسلم على خيبر
وكان وقت الصبح قال لاصحابه رضي الله عنهم قفوا ثم قال اي وفي لفظ قال لهم قولوا
اللهم رب السموات وما اظللن ورب الارضين وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن
ورب الرياح وما اذرين فانا نسالك خير هذه القرية وخير اهلها وخير ما فيها
ونعوذ بك من شرها وشر اهلها وشر ما فيها اقدموا بسم الله اي وفي لفظ ادخلوا على
بركة الله تعالى وكان صلى الله عليه وسلم يقولها لكل قرية دخلها اي وجا انه لما توجه الى
خيبر اشرف الناس على واد فرفعوا اصواتهم بالتكبير الله اكبر لا اله الا الله فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعوا على انفسكم اي ارفقوا بانفسكم لا تبالغوا في رفع
اصواتكم انكم لا تدعون اصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم قال عبد الله بن قيس
رضي الله عنه وكنت خلف دابته صلى الله عليه وسلم فسمعني اقول لا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم فقال يا عبد الله بن قيس قلت لبيك يا رسول الله قال الا ادلك على كنز من كنوز الجنة
قلت بلى يا رسول الله فداك ابي وامي قال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ويحتاج
الى الجمع بين هذا وبين امره بان اصحابه يرفعون اصواتهم بالتلبية وقد يقال النهي عنه
هنا الرفع الخارج عن العادة الذي به اذى بدليل قوله صلى الله عليه وسلم اربعوا على انفسكم
اي ارفقوا بها كما تقدم فلا منافاة ولما ابصرهم اهلها وقد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم قالوا
محمد والخميس اي الجيش العظيم معه قيل له الخميس لانه خمسة اقسام والمقدمة والساقة
والميمنة والميسرة وسمي الجناحان والقلب وادبروا هرابا قال وذكر انه كان بها عشرة
الاف مقاتل وانهم كانوا يظنون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزوهم حين بلغهم ان

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزوهم يخرجون ويصطفون صفوفا ثم يقولون محمد
يغزونا هيهات هيهات وذكر ان عبد الله بن ابي بن سلول ارسل اليهم يخبرهم بان محمدا
سائر اليكم فخذوا حذركم وادخلوا اموالكم حصونكم واخرجوا الى قتاله ولا تخافوا
منه ان عددكم كثير وقوم محمد شرذمة قليلون عزل لا سلاح معهم الا قليل فلما كانت
الليلة التي نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحتها بساحتهم لم يتحركوا تلك الليلة
فلم يصح لهم ديك حتى طلعت الشمس فاصبحوا اي قاموا من نومهم وافئدتهم تخفق وفتحوا
حصونهم وغدوا الى اعمالهم معهم الفؤوس ويقال لها الكرازين والمساحي ومعهم
المكاتل اي وهي القفف الكبيرة فلما راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوا هاربين
الى حصونهم انتهى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا
بساحة قوم فساء صباح المنذرين اي وبذلك استدل على جواز الاقتباس من القران
وانما قال صلى الله عليه وسلم خربت خيبر لانه لما راى آلة الهدم التي هي الفؤوس والمساحي
تفاءل صلى الله عليه وسلم بان حصونهم ستخرب او اخذ ذلك من اسمها او ان ذلك دعاء
بلفظ الخبر قال الامام النووي رحمه الله تعالى والاصح انه اعلمه الله بذلك ويوافقه ما في
فتح الباري ويحتمل ان يكون قال ذلك بطريق الوحي ويؤيده قوله انا اذا نزلنا بساحة
قوم فساء صباح المنذرين اي لانه نزل بساحتهم وهي في الاصل الفضاء بين الابنية
وابتدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم بحصن النطاة قبل حصون الشق
وقبل حصون الكتيبة اي لانهم ادخلوا اموالهم وعيالهم في حصون الكتيبة وجمعوا
المقاتلة في حصون النطاة وكان نزل قريبا من حصون النطاة فجاءه الحباب بن
المنذر رضي الله عنه فقال يا رسول الله انك نزلت منزلك هذا فان كان عن امر
امرت به فلا نتكلم وان كان الرأي تكلمنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الرأي
قال يا رسول الله ان اهل النطاة لي بهم معرفة ليس قوم ابعد مدى سهم منهم ولا اعدل
رمية منهم وهم مرتفعون علينا وهو اسرع لانحطاط نبلهم ولا نامن بياتهم يدخلون
في خمر النخل اي النخل المجتمع بعضه على بعض تحول يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اشرت بالراي اذا امسينا ان شاء الله تحولنا ودعى رسول الله صلى الله عليه
وسلم محمد بن مسلمة رضي الله تعالى عنه فقال انظر لنا منزلا بعيدا فطاف محمد رضي
الله عنه وقال يا رسول الله وجدت لك منزلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
على بركة الله وتحول لما امسى وامر الناس بالتحول اي وفي لفظ ان راحلته صلى الله
عليه وسلم تجر بزمامها فادركت لترد فقال دعوها فانها مامورة فلما انتهت الى موضع من
الصخرة تحول الناس اليها واتخذوا ذلك الموضع معسكرا وفي الاصل انه نزل

بذلك ليحول بين أهل خيبر وبين غطفان لانهم كانوا مظاهرين لهم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد يقال لا مخالفة بين هذه الروايات الثلاث فليتامل وابتنى
صلى الله عليه وسلم هناك مسجدا صلى الله طول مقامه بخيبر اى وأمر بقطع نخيل اهل
حصون النطاة فوقع المسلمون فى قطعها حتى قطعوا اربعمائة نخلة ثم نهاهم عن القطع
فما قطع من نخل خيبر غيرها قال وقيل قاتل صلى الله عليه وسلم يومئذ ذلك اشد القتال
وعليه درعان وبيضة ومغفر وهو على فرس يقال له الظرب وفى يده قناة وترس ومما
قيل انه صلى الله عليه وسلم يوم خيبر كان على حمار مخطوم برسن من ليف وتحته اكاف
من ليف اى ففى مسلم عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى
على حمار وهو متوجه الى خيبر جاز ان يكون ركب ذلك الحمار فى الطريق وحال القتال ركب
ذلك الفرس انتهى اقول يرشد الى هذا الجمع قوله متوجه الى خيبر وظاهر هذا الكلام
انه صلى الله عليه وسلم باشر القتال بنفسه وتقدم انه لم يباشر القتال بنفسه الا فى
أحد ويبعد ان يكون باشر القتال بنفسه ولم يقتل احدا اذ لو قتل احدا لذكر لانه
مما تتوفر الدواعى على نقله وقد يكون المراد بقولهم وقاتل صلى الله عليه وسلم اى قاتل
جيشه ويدل لذلك ما فى الامتاع والح على حصن ناعم اى وهو من حصون النطاة بالرمى
واليهود تقاتل ورسول الله صلى الله عليه وسلم على فرس يقال له الظرب وعليه درعان
ومغفر وبيضة وفى يده قناة وترس وقد دفع صلى الله عليه وسلم لواءه لرجل من المهاجرين
فرجع ولم يصنع شيئا فدفعه الى آخر من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيئا وخرجت
كتائب اليهود يقدمهم ياسر فكشف الانصار حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى موقفه فاشتد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وامسى مهموما والله
أعلم وفى ذلك اليوم قتل محمود بن مسلمة اخو محمد بن مسلمة رضى الله عنهما برحى القيت
عليه من ذلك الحصن القاها عليه مرحب وقيل كنانة بن الربيع وقد يجمع بانهما
اجتمعا على ذلك وسيأتى ما يدل ان قاتله غيرهما وقد يقال لا مانع من ان يكونوا اى
الثلاثة تجمعوا على قتله اى فان محمود بن مسلمة رضى الله عنه كان قد حارب حتى اعياه
الحرب وثقل السلاح وكان الحر شديدا فانحاز الى ظل ذلك الحصن فالقى عليه حجر
الرحا فهشم البيضة على رأسه ونزلت جلدة جبينه على وجهه اى وندرت عينه فاد ركه
المسلمون فاتوا به النبى صلى الله عليه وسلم فسوى الجلدة الى مكانها وعصبه بخرقة فمات
رضى الله عنه من شدة الجراحة وجاء اخوه محمد بن مسلمة رضى الله عنه الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال ان اليهود قتلوا اخى محمود بن مسلمة فقال صلى الله عليه وسلم
لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فانكم لا تدرون ما تبتلون به منهم فاذا

لقيتموهم

لقيتموهم فقولوا اللهم انت ربنا وربهم ونواصينا ونواصيهم بيدك وانما يقتلهم انت ثم
الزموا الارض جلوسا فاذا غشوكم فانهضوا وكبروا اى وفى سياق بعضهم ما يدل على
انه صلى الله عليه وسلم مكث سبعة ايام يقاتل اهل حصون النطاة يذهب كل يوم بمحمد
ابن مسلمة رضى الله عنه للقتال ويخلف على محل العسكر عثمان بن عفان فاذا امسى رجع
صلى الله عليه وسلم الى ذلك المحل ومن جرح من المسلمين يحمل الى ذلك المحل ليداوى جرحه
وكان صلى الله عليه وسلم يناوب بين اصحابه فى حراسة الليل فلما كانت الليلة السادسة
من السبع استعمل عمر رضى الله عنه فطاف عمر باصحابه حول العسكر وفرقهم فاتى برجل
من يهود خيبر فى جوف الليل فامر به عمر رضى الله عنه ان يضرب عنقه فقال اذهب بى الى
نبيكم حتى اكلمه فامسك عنه وانتهى به الى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده يصلى
فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده يصلى فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
كلام عمر فسلم وادخلوا عليه فدخل باليهودى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهود
ما وراءك قال تؤمنى يا ابا القاسم قال نعم فقال خرجت من حصن النطاة من عند
قوم يتسللون من الحصن فى هذه الليلة قال فاين تذهبون قال الى الشق يجعلون فيه
ذراريهم ويتهيؤن للقتال ولعل المراد ما ابقوه من ذراريهم فلا ينافى ما تقدم
انهم ادخلوا اموالهم وعيالهم فى حصون الكتيبة او ان ذلك المخبر اخبر بحسب ما فهم
انهم يجعلون ذراريهم فى الشق والحال انهم ذاهبون ليجعلوا ذراريهم فى حصون
الكتيبة فليتامل وفى هذا الحصن الذى هو حصن الصعب من حصون النطاة
فى بيت فيه تحت الارض منجنيق ودبابات ودروع وسيوف فاذا دخلت الحصن غدا
وانت تدخله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شاء الله قال اليهودى ان شاء الله
اوقفتك عليه فانه لا يعرفه غيرى واخرى قيل ما هى قال تستخرج المنجنيق وينصب
على الشق ويدخل الرجال تحت الدبابات فيحفروا الحصن فتفتحه من يومك وكذلك
تفعل بحصون الكتيبة ثم قال يا ابا القاسم احقن دمى قال انت آمن قال ولى زوجة
فهبها لى قال هى لك ثم دعاه صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقال انظرنى اياما ثم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لمحمد بن مسلمة رضى الله تعالى عنه لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله
ويحبه الله ورسوله لا يولى الدبر يفتح الله عز وجل على يديه فيمكنه الله من قاتل اخيك وعنه
ذلك لم يكن احد من الصحابة له منزلة عند النبى صلى الله عليه وسلم الا يرجو ان يعطاها
وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال ما احببت الامارة الا ذلك اليوم ولعل
ذلك لا ينافى ما جاء ان وفد ثقيف لما جاؤه صلى الله عليه وسلم قال لهم لتسلمن او لابعثن
اليكم رجلا منى وفى رواية مثل نفسى فليضربن اعناقكم وليسبين ذراريكم وليأخذن اموالكم

قال عمر رضي الله تعالى عنه فوالله ما تمنيت الامارة الا يومئذ وجعلت انصب صدري له صلى الله عليه وسلم رجاء ان يقول هو هذا فالتفت صلى الله عليه وسلم الى علي كرم الله وجهه فاخذ بيده وقال هو هذا هو هذا وقد يقال لا يلزم من محبة الشيء تمنيه بخلاف العكس ففي هذه الغزاة احب الامارة وما تمناها وفي وفد ثقيف المتاخر عن هذه الغزاة تمناها لان الوصف في ذلك ابلغ من الوصف هنا فليتامل ويروى ان عليا كرم الله وجهه لما بلغه مقالته صلى الله عليه وسلم اي في خيبر قال اللهم لا معطي لما منعت ولا مانع لما اعطيت فبعث صلى الله عليه وسلم الى علي رضي الله عنه وكان ارمد شديد الرمد اي وكان قد تخلف في المدينة ثم لحق بالقوم اي فقيل له انه يشتكي عينيه فقال صلى الله عليه وسلم من ياتيني به فذهب اليه سلمة بن الاكوع رضي الله عنه يقوده حتى اتى به النبي صلى الله عليه وسلم قد عصب عينيه فعقد له صلى الله عليه وسلم اللواء لواءه الابيض فعن ابن اسحاق وابن سعد لم تكن الرايات الا يوم خيبر اي فانه صلى الله عليه وسلم فرق الرايات يومئذ بين ابي بكر وعمر والحباب ابن المنذر وسعد بن عبادة رضي الله عنهم وانما كانت الالوية وكانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء من برد لعائشة رضي الله عنها تدعى العقاب وفي كلام المقريزي لما ذكر رتب الرياسة في الجاهلية ذكر ان العقاب كان في الجاهلية راية تكون لرئيس الحرب وجاء الاسلام وهي عند ابي سفيان وجاء الاسلام والسدانة واللواء عند عثمان بن ابي طلحة من بني عبد الدار وفي سيرة الحافظ الدمياطي رحمه الله وكانت له صلى الله عليه وسلم راية سوداء مربعة من نمرة مخملة يقال لها العقاب وكان له راية صفراء ولواء ابيض دفعه الى علي رضي الله عنه وفيه ان ذلك اللواء يقال له العقاب وفي سيرة الدمياطي رحمه الله وكانت الويته صلى الله عليه وسلم بيضا وربما جعل فيها الاسود ولعل السواد كان كتابة في ذلك اللوا ولعل هذا اللوا الذي فيه الاسود هو المعني بما جاء في بعض الروايات كان له صلى الله عليه وسلم لواء ابيض مكتوب فيه لا اله الا الله محمد رسول الله اي بالسواد ولعله يحمل قول بعضهم كان له صلى الله عليه وسلم لواء اغبر وربما كان من خمر بعض نسائه فقال علي كرم الله وجهه يا رسول الله اني ارمد كما ترى لا ابصر موضع قدمي فتفل صلى الله عليه وسلم وفي لفظ بصق في عينيه اي بعد ان وضع راسه في حجره وفي لفظ فتفل في كفه وفتح له عينيه فدلكهما فبرا حتى كان لم يكن بهما وجع قال علي رضي الله عنه فما رمدت بعد يومئذ وفي لفظ فما رمدت ولا صدعت وفي لفظ فما اشتكيتهما حتى الساعة وفي هذا السياق لطيفة وهو ان من طلب شيئا او تعرض لطلبه حرمه غالبا وان لم يطلب الشيء ولا يتعرض لطلبه ربما وصل اليه وقد اشار الى ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله

ثمان عشر

من ساعته ولكن لاجل سواله اياه ذلك اخر عنه سنة اي وبعد السنة دعاه الملك وتوجه ورداه وقلده بسيفه وامر له بسرير من ذهب مكلل بالدر والياقوت وضرب له عليه حلة من استبرق وفوض اليه امر مصر وقد قيل لو وقعت قلنسوة من السما لا تقع على راس من يريدها زاد في رواية عن علي كرم الله وجهه انه صلى الله عليه وسلم دعا له بقوله اللهم اكفه الحر والبرد قال علي فما وجدت بعد ذلك لا بردا ولا حرا اي فكان يلبس في الحر الشديد القبا المحشو الثخين ويلبس في البرد الشديد الثوبين الخفيفين وفي لفظ الثوب الخفيف فلا يبالي بالبرد وقد يخالف ذلك ما حكاه بعضهم قال دخل رجل على علي رضي الله عنه وهو يرعد تحت سمل قطيفة اي قطيفة خلقة فقال يا امير المومنين ان الله جعل لك في هذا المال وانت تصنع بنفسك هكذا فقال والله لا ارزاكم من مالكم وانها لقطيفتي التي خرجت بها من المدينة وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز ان يكون رعدته رضي الله عنه ليست من البرد خلاف ما ظنه السايل بجواز ان يكون لحمى اصابته في ذلك الوقت وقد اشار الى التفل صاحب الهمزية بقوله

وعلي لما تفل بعينيه ... وكلتاهما معا رمداء
فغدا ناظرا بعيني عقاب ... في غزاة لها العقاب لواء

وفي قوله صلى الله عليه وسلم لادفعن الراية اطلاق الراية على اللوا ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لعلي كرم الله وجهه اخذ هذه الراية وتقدم ان الراية قد يطلق عليها لوا هذا وفي كلام بعضهم ابو سفيان رضي الله عنه كانت اليه الراية المعروفة بالعقاب التي كان لا يحبسها الا رئيس اذا حميت الحرب هذا كلامه فلعل تسمية رايته صلى الله عليه وسلم بالعقاب لكونها كذلك فقال علي كرم الله وجهه علام اقاتلهم يا رسول الله قال ان يشهدوا ان لا اله الا الله واني رسول الله فاذا فعلوا ذلك فقد حقنوا دماءهم واموالهم وفي رواية لما اعطاه صلى الله عليه وسلم الراية قال له امش ولا تلتفت فسار شيئا ثم وقف ولم يلتفت فصرخ يا رسول الله علام اقاتل الناس قال قاتلهم حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله تعالى اي حساب بواطنهم وسرائرهم على الله لانه المطلع وحده على ما فيها من اخلاص او نفاق وكفر زاد في رواية واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فوالله لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من ان يكون لك حمر النعم اي تتصدق بها في سبيل الله تعالى فقد جعل صلى الله عليه وسلم عصمة الدم بالنطق بالشهادتين لكنه لا يغير من نطق بهما وفي لفظة قال له امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك اي وعن حذيفة رضي الله عنه لما تهيا علي كرم الله وجهه يوم خيبر للحملة قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي والذي نفسي بيده ان معك

من لا يخذلك هذا جبريل عليه السلام عن يمينك بيده سيف الله لو ضرب به الجبال لقطعها فاستبشر بالرضوان والجنة يا علي انك سيد العرب وانا سيد ولد ادم **وفي** رواية انه صلى الله عليه وسلم كان يعطي الراية كل يوم واحدا من اصحابه ويبعثه فبعث ابا بكر رضي الله عنه فقاتل ورجع ولم يكن فتح وقد جهد ثم بعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه من الغد اه برايته فقاتل ورجع ولم يكن فتح وقد جهد ثم بعث رجلا من الانصار فقاتل ورجع ولم يكن فتح فقال عليه الصلاة والسلام لاعطين الراية اللواء غدا رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرار **وفي** لفظ كرار غير فرار فدعى عليا كرم الله وجهه وهو ارمد فتفل في عينيه ثم قال خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك اي ودعا له ولمن معه بالنصر **وفي** رواية انه صلى الله عليه وسلم البسه درعه الحديد وشد ذا الفقار اي الذي هو سيفه في وسطه واعطاه الراية ووجهه الى الحصن فخرج كرم الله وجهه يهرول حتى ركزها تحت الحصن فاطلع عليه يهودي من تحت راس الحصن فقال من انت قال علي بن ابي طالب فقال اليهودي علوتم وما انزل على موسى ثم خرج اليه اهل الحصن وكان اول من خرج منهم اليه الحارث اخو مرحب وكان معروفا بالشجاعة فانكشف المسلمون وثبت علي كرم الله وجهه فتضاربا فقتله علي وانهزم اليهود الى الحصن ثم خرج اليه مرحب فحمل مرحب عليه وضربه فطرح ترسه من يده فتناول علي كرم الله وجهه بابا كان عند الحصن فتترس به عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه الحصن ثم القاه من يده اي وراء ظهره ثمانين شبرا قال الراوي فجهدت انا ونفر سبعة على ان نقلب ذلك الباب فلم نقدر قال بعضهم في هذا الخبر جهالة وانقطاع ظاهر **قال** وقيل لم يقدر على حمله اربعون رجلا وقيل سبعون **وفي** رواية ان عليا كرم الله وجهه لما انتهى الى باب الحصن اجتذب احد ابوابه فالقاه بالارض فاجتمع عليه بعده سبعون رجلا فكان جهدا ان اعادوه مكانه وقيل حمل الباب على ظهره حتى صعد المسلمون عليه ودخلوا الحصن قال بعضهم وطرق حديث الباب كلها واهية **وفي** بعضها قال الذهبي انه منكر **وفي** الامتاع وزعم بعضهم انه حمل علي كرم الله وجهه ان عليا لما انتهى الى باب الحصن اجتذب احد ابوابه فالقاه بالارض فاجتمع عليه بعده سبعون رجلا فكان جهدا ان اعادوه مكانه وقيل حمل الباب على ظهره حتى صعد المسلمون عليه ودخلوا الحصن قال بعضهم وطرق حديث الباب كلها واهية وفي بعضها قال الذهبي انه منكر **وفي** الامتاع وزعم بعضهم انه حمل علي كرم الله وجهه للباب لا اصل له وانما يروى عن رعاع الناس وليس كذلك ثم ذكر جملة ممن خرجه من الحفاظ **وجا** ان مرحبا لما راى ان اخاه قد قتل خرج سريعا من الحصن في سلاحه وقد كان لبس درعين وتقلد بسيفين واعتم بعمامتين ولبس فوقهما مغفرا

ورجز

وحجرا قد ثقبه قدر البيضة ومعه رمح لسانه ثلاثة اسنان وهو يرتجز ويقول من ابيات

قد علمت خيبر اني مرحب ... شاكي السلاح بطل مجرب

ومعنى شاكي السلاح تام السلاح ومعنى مجرب اي معروف بالشجاعة وقهر الفرسان ثم صار يقول هل من مبارز فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لهذا فقال محمد بن مسلمة رضي الله عنه انا له يا رسول الله انا الماثور اي الذي قتل له قتيل فلم ياخذ بثاره الثاير قتل اخي بالامس فقال صلى الله عليه وسلم فقم اليه اللهم اعنه عليه فقتله محمد بن مسلمة رضي الله عنه اي فان مرحبا حمل على محمد بن مسلمة فاتقاه بدرقته فوقع سيف مرحب فيها فعضت به وامسكته فضربه محمد رضي الله عنه فقتله ويدل لذلك قول الامام المزني رحمه الله في المختصر ان النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر نفل محمد بن مسلمة سلب مرحب سيفه ورمحه ومغفره وبيضته ووجد على سيفه مكتوب هذا سيف مرحب من يصيبه يعطب وقيل القاتل له علي رضي الله عنه وبه جزم مسلم في صحيحه قال بعضهم والاخبار متواترة به وقال ابن الاثير الصحيح الذي عليه اهل السير والحديث ان عليا كرم الله وجهه قاتله **وفي** الاستيعاب والصحيح الذي عليه اكثر اهل السير والحديث ان عليا قاتله **ويروى** ان عليا كرم الله وجهه لما خرج اليه ارتجز بقوله

انا الذي سمتني امي حيدره ... ضرغام اجام وليث قسوره

وقيل بدله كليث غابات كريه المنظره اي فان ام علي كرم الله وجهه سمته اسد باسم ابيها وكان ابوه ابو طالب غائبا فلما قدم كره ذلك وسماه عليا اي ومن اسماء الاسد حيدرة والحيدرة الغليظ القوي وقيل لقب بذلك في صغره لانه كان عظيم البطن ممتليا لحما ومن كان كذلك يقال له حيدرة ويقال ان ذلك كان كشفا من علي رضي الله تعالى عنه فان مرحبا كان راى في تلك الليلة في المنام ان اسدا افترسه فذكره علي كرم الله وجهه بذلك ليخيفه ويضعف نفسه **ويروى** ان عليا ضرب مرحبا فتترس فوقع السيف على الترس فقده وشق المغفر والحجر الذي تحته والعمامتين وفلق هامته حتى اخذ السيف في الاضراس والى ذلك يشير بعضهم وقد اجاد بقوله

وشادن ابصرته مقبلا ... فقلت من وجدي لما مرحبا

قد فؤادي في الهوى قده ... قد علي في الوغى مرحبا

اي وقد يجمع بين كون القاتل لمرحب علي كرم الله وجهه وكون القاتل له محمد بن مسلمة بان محمدا قال له مرحب اجهز علي فقال لا ذق الموت كما ذاقه اخي ومر به علي فضرب عنقه واخذ سلبه فاختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في سلبه فقال محمد يا رسول الله ما قطعت رجليه اي ثم تركته الا ليذوق الموت وكنت قادرا ان اجهز عليه فقال علي صدق قطعت رجليه ثم تركته ... فقطعت رجليه اي بعد ان شق علي هامته لجواز ان يكون شق هامته لم يثبته

فاثبته محمد بن مسلمة وعليا ذفف عليه اى ويدل لذلك ما فى بعض السير عن الواقدى رحمه الله لما قطع محمد بن مسلمة ساق مرحب قال له مرحب اجهز على فقال له لا ذق الموت كما ذاقه اخى ومر به على فضرب عنقه واخذ سلبه فاختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سلبه فقال محمد يا رسول الله ما قطعت رجليه وتركته الا ليذوق الموت وكنت قادرا ان اجهز عليه فقال كرم الله وجهه صدق فاعطى سلبه لمحمد بن مسلمة رضى الله عنه ولعل هذا كان بعد مبارزة عامر بن الاكوع لمرحب فلا ينافى ما مر عن فتح البارى ثم خرج بعد مرحب اخوه ياسر اى وهو يرتجز بقوله

قد علمت خيبر انى ياسر ۝ شاكى السلاح بطل مغادر

وكان ايضا من مشاهير فرسان يهود وشجعانهم وهو يقول من يبارز فخرج له الزبير رضى الله عنه فقالت امه صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله انه يقتل ابنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل ابنك يقتله ان شاء الله تعالى فقتله الزبير رضى الله عنه اى وعند ذلك قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فداك عم وخال لكل نبى حوارى وحوارى الزبير وذكر الزمخشرى ان هذه الواقعة للزبير كانت فى بنى قريظة حيث قال انه يعنى الزبير رضى الله عنه اول من استحق السلب وكان ذلك فى بنى قريظة برز رجل من العدو فقال رجل ورجل فقال له النبى صلى الله عليه وسلم قم يا زبير فقالت امه صفية بنت عبد المطلب واحدى يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايهما علا صاحبه قتله فعلاه الزبير رضى الله عنه فقتله فنفله رسول الله صلى الله عليه وسلم سلبه وقال السلب للقاتل هذا كلامه قلبتامل فانى لم اقف فى كلام احد على ان بنى قريظة وقعت منهم مقاتلة بالمبارزة وفى رواية ان القاتل لياسر على بن ابى طالب كرم الله وجهه اى ويمكن الجمع بمثل ما تقدم وكان شعار المسلمين امت امت وفى رواية يا منصور امت امت ومن جملة من قتل من المسلمين الاسود الراعى كان اجيرا لرجل من اليهود اى يرعى غنمه وكان عبدا حبشيا يسمى اسلم اى وفى الامتاع اسمه يسار فجاء الينه صلى الله عليه وسلم وهو محاصر خيبر وقال يا رسول الله اعرض على الاسلام فعرضه عليه فاسلم وفى رواية انه قال له اسئلك ما ذا الى قال الجنة فاسلم فلما اسلم قال يا رسول الله انى كنت اجيرا لصاحب هذه الغنم فكيف اصنع بها وفى لفظ انها امانة وهى للناس الشاة والشاتان واكثر من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم اضرب فى وجهها فانها سترجع الى ربها فقام الاسود فاخذ حفنة من حصباء فرمى بها فى وجهها وقال ارجعى الى صاحبك فوالله لا اصحبك فخرجت مجتمعة كان سائقا يسوقها حتى دخلت الحصن ثم تقدم رضى الله عنه الى ذلك الحصن فقاتل مع المسلمين فاصابه حجر وفى رواية سهم

لغرب

غرب بفتح الراء والاضافة وبتسكين الراء بلا اضافة فهو من لا يعرف رامه فقتله ولم يسجد لله سجدة فاتى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من اصحابه ثم اعرض عنه فقالوا يا رسول الله لم اعرضت عنه قال ان معه الان زوجتيه من الحور العين تنفضان التراب عن وجهه ويقولان له ترب الله وجه من ترب وجهك وقتل من قتلك زاد فى لفظ لقد اكرم الله هذا العبد وساقه الى خير قد كان الاسلام من نفسه حقا وفتح الله ذلك الحصن الذى هو حصن ناعم وهو اول حصن فتح من حصون النطاة على يد على رضى الله عنه اى وعن عائشة رضى الله عنها ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز الشعير والتمر حتى فتحت دار بنى قمية اى وهى اول دار فتحت بخيبر وهى بالنطاة وهى منزل ياسر اخو مرحب وظاهر السياق انها حصن ناعم ويروى ان عليا رضى الله عنه لما فتح الحصن اخذ الرجل الذى قتل اخا محمد بن مسلمة ودفعه لمحمد بن مسلمة ليقتله باخيه وهذا يؤيد ما تقدم ان محمد بن مسلمة رضى الله عنه قتل مرحبا لكونه قاتل اخيه على ما تقدم وينافى انه صلى الله عليه وسلم دفع كنانة لمحمد بن مسلمة ليقتله باخيه وهذا يؤيد ما تقدم من ان الثلاثة اشتركوا فى قتل اخى محمد بن مسلمة قال واصاب المسلمون مجاعة وارسلت اسلم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اسماء بن حارثة وامروه ان يقول له صلى الله عليه وسلم ان اسلم يقرؤنك السلام ويقولون اجهدنا الجوع فلامهم رجل وقال يا بنى العرب تصنعون هذا فقال هند بن حارثة اخو اسماء والله انى لارجو ان يكون البعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الخير فجاءه صلى الله عليه وسلم اسماء وبلغه ما قالت اسلم فدعا لهم اى فقال اللهم انك قد عرفت حالهم وان ليست بهم قوة وان ليس بيدى شئ اعطيهم اياه وقال اللهم افتح اكثر الحصون طعاما وودكا ودفع اللواء للحباب بن المنذر رضى الله عنه وندب الناس وكان من اسلم من يهود حصن ناعم انتقل الى حصن الصعب من حصون النطاة ففتح الله حصن الصعب قبل ما غابت الشمس من ذلك اليوم بعد ان اقاموا على محاصرته يومين وما بخيبر حصن اكثر طعاما اى من شعير وتمر وودكا اى من سمن وزيت وشحم اى وماشية ومتاع منه ولا يخالف هذا ما تقدم عن عائشة فى حصن ناعم من قولها ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ولانا تقدم من انهم ادخلوا اموالهم حصون الكتيبة لانه يجوز ان يكون المراد باموالهم النقود ونحوها دون ما ذكر هنا وكان فى هذا الحصن الذى هو حصن الصعب خمسمائة مقاتل وقبل فتحه خرج منه رجل يقال له يوشع مبارزا فخرج له الحباب بن المنذر رضى الله عنه فقتله وخرج اخر مبارزا يقال له الديال فبرز له عمارة بن عقبة الغفارى رضى الله عنه فضربه على هامته فقتله وقال خذها وانا الغلام الغفارى فقال الناس

لهم

حبط جهاده فقال له صلى الله عليه وسلم لما بلغه ذلك يوجر ويحمد اى وجلب يهود دحملة
منكرة فانكشف المسلمون حتى انتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف قد
نزل عن فرسه فثبت الحباب بن المنذر رضى الله عنه فحض صلى الله عليه وسلم المسلمين على الجهاد
فاقبلوا وزحف بهم الحباب رضى الله عنه فانهزمت يهود واغلقوا الحصن عليهم ثم ان
المسلمين اقتحموا الحصن يقتلون ويأسرون فوجدوا فى ذلك الحصن من الشعير
والتمر والسمن والعسل والسكر والزيت والودك شيئا كثيرا ونادى منادى
رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا واعلفوا ولا تحملوا اى لا تخرجوا الى بلادكم وهو دليل
لما ذهب اليه امامنا رضى الله عنه ان للغانمين اخذ ما تعم الحاجة اليه من الطعام
وما يؤكل غالبا كالفواكه وعلف الدواب من الغنيمة بدار الحرب اذا كان الجهاد
بدار الحرب الى ان يصلوا الى غير دار الحرب ما يباع ذلك فيه وليس لهم اخذ ما تندر
الحاجة اليه كالفانيد والسكر ولا ينافى ذلك ما ذكر هنا لانه يجوز ان يكون
الاذن فى اكل مجموع ما ذكر وفى السيرة الهشامية عن عبد الله بن مغفل قال
اصبت من فئ خيبر اى من غنيمتها جراب شحم فاحتملته على عنقى الى رحلى فلقينى صاحب
المغانم الذى جعل عليها اى وهو ابو اليسر كعب بن عمرو بن زيد الانصارى رضى الله عنه
فاخذ بناصيته وقال هلم هذا حتى نقسمه بين المسلمين فقلت لا والله لا اعطيك
فجعل يجاذبنى الجراب فرآنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نصنع ذلك فتبسم
ضاحكا ثم قال لصاحب المغانم لا ابا لك خل بينه وبينه قال فارسله فانطلقت به الى
رحلى واصحابى فاكلناه وفى الامتاع انهم وجدوا فى هذا الحصن الذى هو حصن
الصعب الزحوب دبابات ومنجنيقا اى وذلك موافق لما تقدم عن ذلك المخبر له صلى
الله عليه وسلم بان فى حصن فى بيت منه تحت الارض منجنيق ودبابات ودروع وسيوف
ولعل وجود ذلك كان بدلا له ذلك الرجل عليه ولما فتح ذلك الحصن تحول من سلم
من اهله الى حصن قلة وهو حصن بقلة جبل اى ويعبر عن هذا بقلة الزبير اى الذى
صار فى سهم الزبير بعد ذلك وهو اخر حصون النطاة اى فحصون النطاة ثلاثة
حصن ناعم وحصن الصعب وحصن قلة فاقام المسلمون على حصار الحصن الذى
هو حصن قلة ثلاثة ايام فجاء رجل من اليهود فقال له صلى الله عليه وسلم يا ابا القاسم تؤمنى
على ان ادلك على ما تستريح به فانك لو مكثت شهرا لا تقدر على فتح هذا
الحصن فان له دبولا وهى الانهار الصغيرة تحت الارض يخرجون ليلا فيشربون منها
فان قطعت عنهم شربهم اهلكتهم فامنه صلى الله عليه وسلم وسار الى دبولهم فقطعها فعند
ذلك خرجوا وقاتلوا اشد القتال وفتح ذلك الحصن ثم انتقل المسلمون الى حصار

حصون

حصون الشق بفتح الشين المعجمة وكسرها والفتح اعرف عند اهل اللغة فكان اول
حصن فكان اول حصن بدى به من حصون الشق حصن ابى فقاتل اهله قتالا شديدا
وخرج رجل منهم يقال له غزوال يدعو الى البراز فبرز له الحباب رضى الله عنه وحمل عليه
فقطع يده اليمنى ونصف الذراع فباد راجعا منهزما الى الحصن فتبعه الحباب فقطع
رجله ثم ذفف عليه وعند ذلك احجمت يهود عن البراز فكبر المسلمون وتحاملوا على الحصن
ودخلوه يقدمهم ابو دجانة رضى الله عنه فوجدوا فيه اثاثا ومتاعا وغنما وطعاما
وهرب من كان فيه ولحق بحصن يقال له حصن البرا وهو الحصن الثانى فوجدوا فيه اثاثا
ومتاعا وغنما وطعاما وهرب من كان فيه ولحق بحصن يقال له حصن البرا وهو الحصن
الثانى من حصنى الشق فتمنعوا به اشد التمنع وكان اهله اشد اهل الشق رميا للمسلمين
بالنبل والحجارة حتى اصاب النبل ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلقت به فاخذ لهم
صلى الله عليه وسلم كفا من حصبا فحصب به ذلك الحصن فرجف بهم ثم ساخ فى الارض
واخذ المسلمون من فيه اخذا اى فحصون الشق اثنان حصن ابى وحصن البرا
وحينئذ يتأمل فى قول الحافظ الدمياطى فى سيرته والشق وبه حصون منها حصن
ابى وحصن البرا اقول وفى الامتاع انهم وجدوا فى حصن الصعب اى الذى هو
احد حصون النطاة منجنيقا اى كما اخبر بذلك اليهودي الذى جاء به عمر رضى الله عنه
وادخله عليه صلى الله عليه وسلم واستشكل تقدم وانهم نصبوا المنجنيق الذى وجده فى حصن
الصعب على هذا الحصن الذى هو حصن البرا من حصون الشق اى وهو يخالف قول
بعضهم لم ينصب المنجنيق الا فى غزوة الطائف الا ان يقال يجوز ان يكون المراد بعدم
نصبه انه لم يرم به الا فى غزوة الطائف واما هنا فنصب ولم يرم به فلا مخالفة
ووجدوا فى هذا الحصن انية من نحاس وفخار كانت اليهود تاكل فيها وتشرب فقال
صلى الله عليه وسلم اغسلوها واطبخوا وكلوا فيها واشربوا وفى رواية اسخنوا فيها
الماء ثم اطبخوا بعد وكلوا واشربوا وحكمة تسخين الماء لا تخفى وهى ان الماء الحار اقوى
فى النظافة واخراج الدسومة والله اعلم وفى سيرة الدمياطى والشق وبه حصون
منها حصن ابى وحصن البرا فليتأمل ثم ان المسلمين لما اخذوا حصون النطاة
وحصون الشق انهزم من سلم من يهود تلك الحصون الى حصون الكتيبة وهى ثلاثة
حصون القموص كصبور والوطيح وسلالم بضم السين المهملة وكان اعظم حصون خيبر
القموص وكان منيعا حاصره المسلمون عشرين ليلة ثم فتحه الله على يد على رضى الله عنه
ومنه سبيت صفية قال الحافظ ابن حجر قيل وقيل كان اسمها قبل ان تسبى زينب فلما
صارت من الصفى سميت صفية والصفى ما كان يصطفيه صلى الله عليه وسلم لنفسه من

الغنيمة قبل ان تقسم على ما تقدم وكان في الجاهلية لامير الجيش ربع الغنيمة ومن ثم قيل
له المرباع قال السهيلي رحمه الله كانت اموال النبي صلى الله عليه وسلم من ثلاثة اوجه من الصفي
والهدية وخمس الخمس هذا كلامه ولا يخفى انه يزاد على ذلك الفيء وانتهى المسلمون الى حصار
الوطيح بالحاء المهملة ماخوذ من الوطح وهو في الاصل ما تعلق بمخالب الطير من الطين
وسمي الوطيح أي الوطيح به مارن رجل من اليهود وحصن سلالم ويقال له السلاليم وهو
حصن بني ابي الحقيق وسلالم اخر حصون خيبر ومكثوا على حصارهما اربعة عشر يوما
فلم يخرج احد منهما فهم صلى الله عليه وسلم ان يجعل عليهم اي على من فيهما المنجنيق اي
تنصب عليهم ولم يرم به فلما ايقنوا بالهلكة سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح
على حقن دما المقاتلة وترك الذرية لهم ويخرجون من خيبر وارضها بذراريهم وان لا يصحب
احد منهم الا ثوب واحد يكون على ظهره وفي لفظ وتركوا ما لهم من مال وارض من الصفرا
والبيضا والكراع والحلقة والبز الا ثوبا واحدا فصالحهم على ذلك وعلى ان ذمة الله تعالى
ورسوله بريئة منهم ان يكتموه شيئا من متاعهم يبالهم عنه فعلم ان حصون خيبر فتحت
عنوة الا الحصنين المذكورين وهما الوطيح وسلالم فانهما لم يفتحا عنوة بل صلحا فكانا فيئا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو دليل على انهم لم يقاتلوا في زمن حال حصارهم لان الفيء ما جلوا
عنه من غير مقاتلة كذا قيل وظاهر اطلاق قول الروضة من الفيء ما صولح عليه اهل بلدة
من الكفار انه ولو ان كان بعد محاصرتهم ومقاتلتهم للمسلمين في حال حصارهم برمي الحجارة
او النبل وفي فتح الباري نقلا عن ابن عبد البر انه جزم بان حصون خيبر فتحت عنوة
وانما دخلت الشبهة على من قال فتحت صلحا بالحصنين اللذين اسلمهما اهلهما لحقن دمائهم
وهو ضرب من الصلح لكن لم يقع ذلك الا بحصار وقتال هذا كلامه فليتامل فان بالقتال
يخرج عن كونه فيئا ولعل المراد قتال بالنبل ورمي بالحجارة والا فقد تقدم انه لم يخرج
منهما احد للمقاتلة فليتامل فان كلامه يقتضي ان بالحصار وبالقتال بغير النبل يخرج ذلك
عن كونه فيئا له صلى الله عليه وسلم وكونه غنيمة ولعله مذهب المالكية الذي هو مذهب
ابن عبد البر وفي الاصل عن ابن شهاب انه قال بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
افتتح خيبر عنوة بعد القتال ونزل من نزل من اهلها على الجلا بعد القتال هذا كلامه
وظاهره ان القتال وقع من الذين جلوا في حال حصارهم والا فقد علمت الذين جلوا لم
يخرج واحد منهم للقتال في حال حصارهم وسياتي ما يصرح بان ما جلوا عنه فيء
ووجدوا في الحصنين المذكورين مائة درع واربعمائة سيف والف رمح وخمسمائة قوس
عربية بجعابها اي ووجدوا في اثناء الغنيمة صحايف متعددة من التوراة فجاءت يهود
تطلبها فامر صلى الله عليه وسلم بدفعها اليهم وهو يخالف ما قال ابن سنا ان كتبهم التي جمعوا

الانتفاع بها لكونها مبدلة محرفة اذا امكن او تمزق وتجعل في الغنيمة فتباع الا ان يدعى
ان تلك الصحف لم تكن مبدلة وغيبوا الجلد الذي كان فيه حلي بني النضير اي وعقود الدر
والجوهر الذي جلوا به انهم لما جلوا كان سلام بن ابي الحقيق رافعا له ليراه الناس وهو
يقول باعلا صوته هذا اعددناه لرفع الارض وخفضها كما تقدم فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لسعية بن عمرو اي وهو عم حيي بن اخطب وفي لفظ سعية بن سلام بن
ابي الحقيق وفي الامتاع وسال صلى الله عليه وسلم كنانة بن ابي الحقيق ابن مسك اي
جلد حيي بن اخطب اي وانما نسب اليه الجلد المذكور فقيل كنز حيي لان حييا كان عظيم بني
النضير والا فهو لا يكون الا عند بني الحقيق فقال اذهبته الحروب والنفقات فدفع
رسول الله صلى الله عليه وسلم سعية بن عمرو للزبير فمسه بعذاب فقال رايت حييا يطوف
في خربة ههنا فذهبوا الى الخربة ففتشوها فوجدوا ذلك الجلد ح ل وفي رواية
انه صلى الله عليه وسلم اتى بكنانة وهو زوج صفية تزوجها بعد ان طلقها سلام بن
مشكم وبالربيع اخوه فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اين انيتكما التي كنتم تعيرون
اهل مكة اي لان اعيان مكة اذا كان لاحدهم عرس يرسلون يستعيرون من ذلك الحلي
انتهى اي والانية واكثر عبارة عن حلي كان اولا في جلد شاة ثم كان لكثرته في جلد ثور
ثم كان لكثرته في جلد بعير كما تقدم فقالا اذهبته النفقات والحروب فقال صلى الله
عليه وسلم العهد قريب والمال كثير من ذلك انكما ان كتمتماني شيئا فاطلعت عليه استحللت
دماءكما وذراريكما فقالا نعم فاخبره الله تعالى بموضع ذلك الحلي اي فانه صلى الله عليه وسلم
قال لرجل من الانصار اذهب الى محل كذا وكذا ثم ائت النخل فانظر نخلة عن يمينك او قال
عن يسارك مرفوعة فائتني بما فيها فانطلق فجاءه بالانية ويمكن الجمع بين هذا وبين ما
تقدم وما ياتي انهم فتشوا عليه في خربة وجدوه بان التفتيش كان في اول الامر واعلامه
الله تعالى له بذلك كان بعد فجيء به فقوم بعشرة الاف دينار لانه وجد فيه اساور ودمالج
واقرطة وخواتم الذهب وعقود الجوهر والزمرد وعقود اظفار مجزع بالذهب فضرب اعناقهما
وسبا اهليهما اي وفي لفظ اخر لما فتحت خيبر اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بكنانة بن ابي
الربيع وفي لفظ ابن ربيعة بن ابي الحقيق وكان عنده كنز بني النضير فساله صلى الله عليه
وسلم عنه فجحد ان يكون يعلم مكانه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود فقال
اني رايت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة اي فانا كنا نتحين راى النبي صلى الله عليه وسلم
فتح حصن النطاة وتيقن ظهوره عليهم دفنه في خربة اي وفيه ان هذا لا يناسب ما
سبق ان حييا كان يطيف بتلك الخربة الا ان يقال لجاز ان يكون دفنه في تلك الخربة
في محل اخر غير الذي دفنه فيه حيي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنانة ارايت ان

وجدته عندك اقتلك قال نعم فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فاخرج منها
بعض كنزهم ثم ساله ما بقي فابى ان يؤديه فامر به الزبير رضي الله عنه فقال عذبه حتى تستاصل
ما عنده فكان الزبير رضي الله عنه يقدح بزند اي بالزناد الذي يستخرج به النار على صدره
حتى اشرف على نفسه واخذ منه جواز العقوبة بتهمة ليقر بالحق اي فهو من السياسة
الشرعية ثم دفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى محمد بن مسلمة رضي الله عنه فضرب عنقه
باخيه محمود اي ولا مانع ان يكون السؤال وتعذيب الزبير رضي الله عنه وقع لسعية ولكنانة
ايضا **وامر** رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغنايم اي التي غنمت قبل الصلح فجمعت واصاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم سبايا منهن صفية رضي الله عنها بنت حيي بن اخطب من
سبط هرون بن عمران اخي موسى عليهما الصلاة والسلام فاصطفى رسول الله صلى
الله عليه وسلم صفية لنفسه وجعلها عند ام سليم التي هي ام انس خادمه صلى الله عليه وسلم
حتى اهتدت واسلمت ثم اعتقها صلى الله عليه وسلم وتزوجها وجعل عتقها صداقها اي اعتقها بلا
عوض وتزوجها بلا مهر لا في الحال ولا في المآل اي لم يجعل لها شيئا غير العتق **وقد سئل**
انس رضي الله تعالى عنه عن صفية فقيل له يا ابا حمزة ما اصدقها قال نفسها اعتقها وتزوجها
وبهذا يرد ما استدل به بعض فقهائنا على ان من خصائصه صلى الله عليه وسلم عدم جواز
نكاح الامة الكتابية وجواز وطئها بملك اليمين من انه صلى الله عليه وسلم كان يطؤها اي يطأ
صفية قبل اسلامها بملك اليمين ويرد ايضا على من استدل من فقهائنا على استحباب
الوليمة للسرية بانه صلى الله عليه وسلم اولم على صفية لما علمت انها زوجة لا سرية اي لكن
ذكر بعض فقهائنا انه صلى الله عليه وسلم اولم على صفية رضي الله عنها قالوا ان لم يحجبها فهي
ام ولد وان حجبها فهي امرأته وذلك دليل على استحباب الوليمة للسرية اذ لو اختصت
بالزوجة لم يترددوا في كونها زوجة او سرية وذلك بعد ان خيرها صلى الله عليه وسلم
بين ان يعتقها فترجع الى من بقي من اهلها او تسلم فيتخذها لنفسه فقالت اختار الله ورسوله
وذكر في الاصل ان جعل عتق الامة صداقها من خصائصه صلى الله عليه وسلم وقد ذكره
الجلال السيوطي في الخصائص الصغرى وذهب الامام احمد الى عدم الخصوصية وقال ابن
حبان لم يقم دليل على انه خاص به صلى الله عليه وسلم دون امته **وقيل** ان دحية الكلبي سال
رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية فوهبها له وقيل وقعت في سهمه رضي الله عنه ثم ابتاعها
صلى الله عليه وسلم منه بتسعة ارؤس اي واطلاق الشراء في ذلك على سبيل المجاز على انه يخالف
ما تقدم انها من صفيه صلى الله عليه وسلم قبل القسمة **وفي** البخاري فجمع السبي فجاء دحية
رضي الله عنه فقال يا نبي الله اعطني جارية من السبي فقال اذهب فخذ جارية فاخذ صفية
بنت حيي فجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله اعطيت دحية صفية سيدة

قريظة والنضير لا تصلح الا لك فقال ادعوه بها فجاء بها فلما نظر اليها النبي صلى الله عليه وسلم
قال خذ جارية من السبي غيرها اي فاخذ غيرها اي والذي اخذها غيرها هي اخت
كنانة بن الربيع بن ابي الحقيق زوج صفية كما في الام لامامنا الشافعي عن سير
الواقدي وقول الرجل للنبي صلى الله عليه وسلم يا نبي الله اعطيت دحية صفية يدل على ان
اسمها وحينئذ يخالف ما قيل ان اسمها زينب فسماها صلى الله عليه وسلم صفية كما تقدم
وفي رواية ان صفية سبيت هي وبنت عم لها وان بلالا جاء بهما فمر على قتلى يهود فلما رأتهم
بنت عم صفية صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها فلما رآها صلى الله عليه وسلم
قال اعزبوا عني هذه الشيطانة وقال صلى الله عليه وسلم لبلال انزعت منك الرحمة يا بلال
حتى تمر بامرأتين على قتلى رجالهما ثم دفع صلى الله عليه وسلم بنت عمها لدحية الكلبي رضي الله
عنه **وفي** رواية واعطى دحية بنتي عمها عوضا عنها اي **وقد جاء** انه صلى الله عليه وسلم
لما دخل بصفية رأى باعلى عينها خضرة فقال ما هذه الخضرة قالت كان رأسي في حجر ابن ابي
الحقيق يعني زوجها اي وهي عروس وانا نائمة فرأيت كان القمر وقع في حجري فاخبرته بذلك
فلطمني وقال تتمنين ملك العرب **وفي** لفظ حين رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر
وكانت عروسا رأت كان الشمس نزلت حتى وقعت على صدرها فقصت ذلك على زوجها
فقال والله ما تتمنين الا هذا الملك الذي نزل بنا فلطم وجهها لطمة اخضرت عينها
ولا مانع من تعدد الرؤيا وانها رأت الشمس والقمر في وقت واحد وسيأتي في الكلام على
زوجاته صلى الله عليه وسلم انها قصت ذلك على ابيها ففعل بها ذلك وسيأتي انه لا مانع من
تعدد الواقعة وانهما فعلا بها ذلك وتقدم ان جويرية رضي الله عنها رأت القمر ايضا وقع في
حجرها وكون صفية كانت عروسا عند مجيئه صلى الله عليه وسلم خيبر ربما يدل على ان سلام
ابن مشكم طلقها قبل دخوله بها فقد تقدم ان كنانة تزوجها بعد ان طلقها سلام بن مشكم
فليتامل **وعن صفية** رضي الله عنها انها قالت انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما من الناس احد اكره الي منه قتل ابي وزوجي وقومي فقال صلى الله عليه وسلم يا صفية
اما اني اعتذر اليك مما صنعت بقومك انهم قالوا لي كذا وكذا وقالوا في كذا **وفي** رواية
ان قومك صنعوا كذا وكذا وما زال صلى الله عليه وسلم يعتذر الي حتى ذهب ذلك من نفسي
فما قمت من مقعدي ومن الناس احد احب الي منه صلى الله عليه وسلم واعرس بها رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعد ان طهرت من الحيض في قبة بعد ان دفعها صلى الله عليه وسلم لام سليم اي ام انس
لتصلح من شانها وبات تلك الليلة ابو ايوب الانصاري رضي الله عنه متوشحا سيفه يحرسه
ويطوف بتلك القبة حتى اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى مكان ابي ايوب فقال
ما لك يا ابا ايوب قال يا رسول الله خفت عليك من هذه المرأة قتلت اباها وزوجها

وقومها ومن حديثه عمه بكفره فقال اللهم احفظ ابا ايوب كما بات يحفظنى قال السهيلى
رحمه الله فحرس الله ابا ايوب بهذه الدعوة حتى ان الروم ليحرسون قبره ويستسقون فيسقون
فانه غزا مع يزيد بن معاوية سنة خمسين فلما بلغوا القسطنطينية مات ابو ايوب رضى
الله عنه هنالك فاوصى يزيد ان يدفنه فى اقرب موضع من مدينة الروم فركب المسلمون
ومشوا به حتى اذا لم يجدوا مساغا دفنوه فسالتهم الروم عن شانهم فاخبروهم انه كبير
من اكابر المسلمين الصحابة فقالت الروم ليزيد ما احمق واحمق من ارسلك أأمنت ان ننبشه
بعدك فنحرق عظامه فحلف لهم يزيد لئن فعلوا ذلك ليهدمن كل كنيسة بارض العرب وينبش
قبورهم فحينئذ حلفوا له بدينهم ليكرمن قبره وليحرسنه ما استطاعوا اى وجا انه
صلى الله عليه وسلم لما قطع ستة اميال من خيبر واراد ان يعرس بها فابت فوجد النبى صلى
الله عليه وسلم فى نفسه فلما سار ووصل الصهبا مال الى دومة هناك فطاوعته فقال لها
ما حملك على ابائك حين اردت المنزل الاول قالت يا رسول الله خشيت عليك قرب
يهود وهذا المحل الذى هو الصهبا هو الذى ردت فيه الشمس لعلى كرم الله وجهه بعد ما
غربت كما تقدم واقام صلى الله عليه وسلم بذلك المحل ثلاثة ايام وجعل وليمتها حيسا فى
نطع صغير والحيس تمر واقط وسمن اى ففى البخارى فاصبح النبى صلى الله عليه وسلم عروسا
فقال من كان عنده شئ فليجئ به وبسط نطعا فجعل الرجل يجئ بالتمر وجعل الرجل
يجئ بالسمن اى وجعل الرجل يجئ بالاقط وذكر ايضا السويق ولا يخفى ان الحيس خلط
السمن والتمر والاقط الا انه قد يخلط مع هذه الثلاثة السويق وهذا يدل على ان
الوليمة على صفية رضى الله عنها كانت نهارا وذهب ابن الصلاح من ائمتنا الى ان الافضل
فعلها ليلا قال بعضهم وهو متجه ان ثبت انه صلى الله عليه وسلم فعلها ليلا اى لاحد من
نسائه وفى حكاية للعرس من وليمة وقال لانس اذن من حولك اى ليأكل من الحيس وكان
صلى الله عليه وسلم يضع لها ركبتيه لتركب فتضع رجلها على ركبته الشريفة حتى تركب وفى
لفظ لما وضع ركبته لتركب ابت ان تضع قدمها على ركبته ووضعت فخذها على ركبته
اى ولعل هذا الثانى منها كان فى اول الامر فلا يخالفه وعن صفية رضى الله تعالى عنها
ما رايت احدا قط احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رايته ركب بى
فى خيبر وانا على عجز ناقته ليلا فجعلت انعس فتضرب راسى مؤخرة الرحل فيمسنى
بيده ويقول يا هذه مهلا ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اتيان الحبالى من
النسا اللاتى سبين وان لا يصيب احد امراة من السبى غير حامل حتى يستبرئها اى بحيض
اى وفى لفظ امر صلى الله عليه وسلم مناديه ينادى ان من امن بالله واليوم الاخر لا يسق
ماءه زرع الغير ولا يطأ امراة حتى تنقضى عدتها اى حتى تحيض ونهى عن اكل الثوم وروايت

فى كلام

فى كلام بعضهم ان غالب اقتياتهم فى خيبر كان اكل الثوم والكراث حتى تقرحت اشداقهم
اى وذلك قبل النهى ثم رايت فى الترغيب والترهيب عن ابى ثعلبة انه غزا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم خيبر فوجدوا فى جنانها بصلا وثوما فاكلوا منه وهم جياع فلما راح الناس
الى المسجد اذا ريح بصل وثوم فقال النبى صلى الله عليه وسلم من اكل من هذه الشجرة الخبيثة
فلا يقربنا وليس فى ذلك نهى عن الثوم والبصل اى مطلقا انما النهى عن اتيان المسجد لمن
اكلها نا مل ومن ثم جا انه لما قال ذلك صلى الله عليه وسلم قال الناس حرم ذلك فلما بلغه
صلى الله عليه وسلم ما قالوا قال يا ايها الناس انه ليس بنا تحريم ما احل الله ولكنها شجرة اكره
ريحها وعن فرقد السبخى ما اكل بنو قط ثوما ولا بصلا ونهى صلى الله عليه وسلم عن متعة
النسا ففى مسلم عن على رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر قال بعضهم
والراجح ان النهى عن متعة النسا لم يكن فى خيبر فانه شئ لم يعرفه اهل السير ولا رواه اهل
الاثر ويدل لذلك ما قيل ان ثنية الوداع انما سميت بذلك لانهم فيها ودعوا النسا اللاتى
تمتعوا بهن فى خيبر اى وانما كان تحريمها عام الفتح اى ولا معارضة لانه احل بعد ذلك اى بعد
خيبر فى عام الفتح ثم حرم فيستمتع ثلاثة ايام كما سياتى وقيل حرمت فى حجة الوداع وقيل
فى غزوة اوطاس وهذا هو الصحيح وسياتى فى غزوة الفتح الجمع بين هذه الاقوال قال
السهيلى رحمه الله واغرب ما روى فى ذلك رواية من قال ان ذلك كان فى غزوة تبوك وفى
حديث خرجه ابو داود ان تحريم نكاح المتعة كان فى حجة الوداع ومن قال من الرواة انه
كان فى حجة غزوة اوطاس فهو موافق لمن يقول انه كان عام الفتح هذا كلامه وعن
امامنا الشافعى رضى الله عنه لا اعلم شيئا حرم ثم ابيح الا المتعة اى فقد حرمت مرتين
ونقل السهيلى وغيره عن بعضهم انها ابيحت وحرمت ثلاث مرات وعن بعضهم
ابيحت وحرمت اربع مرات وليتطر هذا مع قول بعضهم ان اول من حرم المتعة سيدنا عمر
وقيل لم يحرمها صلى الله عليه وسلم مطلقا بل عند الاستغنا عنها واباحها عند الحاجة
اليها اى عند خوف الزنا وبذلك كان يفتى ابن عباس وفى كلام فقهائنا والنهى عن نكاح
المتعة فى خبر الصحيحين الذى لو بلغ ابن عباس لم يستمر على القول باباحتها لمن خاف الزنا
مخالفا فى ذلك لكافة العلما وقد وقعت مناظرة فى المتعة بين القاضى يحيى بن
اكثم وامير المؤمنين المامون فان المامون نادى باباحة المتعة فدخل عليه يحيى بن اكثم
وهو متغير بسبب ذلك وجلس عنده فقال له المامون مالى اراك متغيرا قال لما حدث
فى الاسلام قال وما حدث قال النداء بتحليل الزنا قال المتعة زنا قال نعم المتعة زنا قال
ومن اين لك ذلك قال من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم اما كتاب الله
فقد قال الله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون الى قوله والذين هم

ثنية الوداع

لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء
ذلك فاولئك هم العادون يا امير المؤمنين زوجة المتعة ملك يمين قال لا قال افهي
الزوجة التي عند الله ترث وتورث ويلحق بها الولد قال لا قال فقد صار متجاوز هذين
الامرين من العادين وأما من السنة فقد روى الزهري بسنده الى علي بن ابي طالب
رضي الله عنه انه قال امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان انادي بالنهي عن المتعة
وتحريمها بعد ان كان امر بها فالتفت المأمون للحاضرين وقال اتحفظون هذا من حديث
الزهري قالوا نعم يا امير المؤمنين فقال المأمون استغفر الله نادوا بتحريم المتعة
ونهى صلى الله عليه وسلم في خيبر عن لحوم الحمر الاهلية اي فانهم اصابتهم جوع فوجدوا
الحمر الاهلية اي ثلاثين حمارا خرجت من بعض الحصون وقيل لم يدخلوها الحصون
فاخذها رهط من المسلمين وذبحوها وجعلوا لحومها في القدور والبرام وجعلوا يطبخونها
للاكل فرآهم النبي صلى الله عليه وسلم فسألهم عما في القدور والبرام فقالوا لحوم الحمر
الانسية اي المخالطة للانس فنهاهم صلى الله عليه وسلم عن اكلها حتى ان القدور اكفئت
وانها لتفور اي وفي البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى نيرانا توقد يوم خيبر قال علام
توقد هذه النيران قالوا على الحمر الانسية قال اكسروها واهريقوها قالوا الا نهريقها
ونغسلها قال اغسلوا وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال ما هذه النيران على اي شيء
توقد قالوا على لحم قال على اي لحم قالوا على لحم حمر انسية فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اهريقوها واكسروها فقال رجل يا رسول الله او نهريقها ونغسلها فقال او ذاك
وعدوله الى هذا الثاني اما باجتهاد او وحي وجاء انه صلى الله عليه وسلم امر عبد الله بن
عوف ان ينادي في الناس ان لحوم الحمر الاهلية لا تحل لمن يشهد ان محمدا رسول الله وامر ان
تكفأ القدور ولا يأكلوا من لحومها في القدور شيئا وفي مسلم فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابا طلحة فنادى ان الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر فانها رجس او نجس وهذا السياق
كله يدل على انهم لم يأكلوا منها شيئا وفي السيرة الهشامية واكل المسلمون لحوم الحمر
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى الناس عن امور سماها لهم اخذت قبل القسمة وروى
ابو داود باسناده على شرط مسلم عن جابر ذبحنا يوم خيبر الخيل والبغال ولم ينهنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن الخيل وفي رواية ورخص في اكل الخيل اي اباح اكلها وفي
مسلم عن اسماء قالت نحرنا فرسا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكلناه اي وعلم صلى
الله عليه وسلم بذلك ولم ينكره وعن خالد بن الوليد رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم نهى عن اكل لحوم الحمر الاهلية والبغال والخيل قال السهيلي وحديث الاباحة
اصح وجاء انه صلى الله عليه وسلم نهى يوم خيبر عن اكل لحم الجلالة وعن ركوبها حتى تعلف اربعين

يوما

يوما والجلالة هي التي تأكل الجلة وهي الروث والعذرة وذكر الهروي انه صلى الله
عليه وسلم لا يأكل الدجاج الجلالة حتى تقصر اي تحبس ثلاثة ايام وذكر فقهاؤنا ان
الحمر الاهلية حلت بعد تحريمها ثم حرمت فليتأمل ونهى عن اكل كل ذي ناب
من السباع اي وذي مخلب من الطير وعن بيع المغانم حتى تقسم وجعلت له مائدة فاكل
متكئا واطلى بالنورة وكان يتولاه الرجل فاذا بلغ عانته تولى ذلك الشريف بنفسه احمد عن
عائشة رضي الله عنها قالت اطلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنورة فلما فرغ منها
قال يا معشر المسلمين عليكم بالنورة فانها طيبة وطهور وان الله يذهب بها عنكم اوساخكم
حكم
واشعاركم اي فهو من نعيم الدنيا ومن ثم كرهه عمر رضي الله عنه وعن ثوبان مولى رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان لما قيل له وقد دخل الحمام اتدخل الحمام وانت صاحب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الحمام وعن ابن عمر رضي
الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر وعمر طاب حمامكما وجاء انه صلى الله
عليه وسلم كان يتنور كل شهر ويقلم اظفاره كل خمسة عشر يوما وما ورد انه صلى الله عليه
وسلم لم يتنور فهو ضعيف معارض بما هو اقوى منه واكثر عددا على ان المثبت مقدم على
النافي اي وفي الينبوع وقول انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يتنور
وكان يحلق محمول على الغالب من امره صلى الله عليه وسلم وفي الخصائص الصغرى وقال
ابن عباس رضي الله عنهما ما تنور نبي قط وفي صحيح مسلم عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
وقت لقص الشارب وتقليم الاظفار ان لا يدع ذلك اربعين يوما اي وكان صلى الله عليه
وسلم يقص اظفاره كل خمسة عشر يوما كما تقدم وقد استفيد من هذا كما قال بعضهم
فائدة نفيسة وهي ذكر الموقت للتنور وقص الاظفار قال بعضهم وفيه نظر فان بدنه صلى
الله عليه وسلم كان في غاية الاعتدال فلا يقاس به صلى الله عليه وسلم غيره في ذلك نظير
ما قالوه فيما صح انه صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ بالمد ويغتسل بالصاع ان ذلك خاص
بمن يكون بدنه كبدنه صلى الله عليه وسلم نعومة واعتدالا والا للتفاوت فكذلك هنا وس
ثم قال الائمة رحمهم الله تعالى في نحو الحلق وقدم عليه صلى الله عليه وسلم الاشعريون اي
ومنهم ابو موسى الاشعري والدوسيون ومنهم ابو هريرة فسأل صلى الله عليه وسلم
اصحابه رضي الله عنهم ان يشركوهم في الغنيمة ففعلوا قال وعن موسى بن عقبة ان احد
الاشعريين ومن ذكر معهم اي ومنهم الدوسيون من هذين الحصنين اللذين فتحا
صلحا وتكون مشاورة رسول الله صلى الله عليه وسلم فما اعطاهم ليست استنزالا لهم عن
شيء من حقهم وانما هي المشهورة العامة اي المأمور بها في قوله تعالى وشاورهم في الامر
انتهى اقول وهذا صريح في ان ذلك كان فيئا له صلى الله عليه وسلم فهما وما بينهما

بما افا الله عليه صلى الله عليه وسلم لان الفى ما جلوا عنه من غير قتال اى من غير
مضافة للقتال والحاصل ان ارض خيبر ونخلها غنيمة لانه صلى الله عليه وسلم غلب
على النخل والارض والجاهم الى الحصون وفتح جميع الحصون عنوة الا الوطيح
والسلالم فانهما فتحا صلحا على حقن دما المقاتلة وترك الذرية لهم بشرط ان لا
يكتموه شيا من اموالهم وان من كتم شيا انتقض ذلك الصلح له بالنسبة لدمه
وذراريه وهذان الحصنان هما المراد بالكتيبة فى قول بعضهم كان صلى الله عليه وسلم
يطعم من الكتيبة اهله لما علمت انهما من حصونها وانهما وما فيهما مما افاء
الله عليه وكونه صلى الله عليه وسلم كان يطعم اهله مما فيهما واضح واما اذا كان المراد
يطعم من الارض والنخيل المتعلقين بالحصنين المذكورين فقد يتوقف فيه لما
تقدم ان ارض خيبر ونخلها غنيمة وذلك شامل للارض والنخيل المتعلقين
بالحصنين قلينا مل والله اعلم **وفى** لفظ وقدم عليه صلى الله عليه وسلم بعد فتح
جعفر بن ابى طالب رضى الله عنه من ارض الحبشة ومعه الاشعريون ابو موسى الاشعرى
واخواه ابو رهم وابو بردة وكان ابو موسى اصغرهم وقومهم وكانوا قوم جعفر بالحبشة
اى لانهم هاجروا الى الحبشة من اليمن كما تقدم وقيل قدومهم النبى صلى الله عليه
وسلم قال صلى الله عليه وسلم يقدم عليكم قوم هم ارق منكم قلوبا فقدم الاشعريون
وذكروا انهم عند مجيئهم صاروا يقولون غدا نلقى الاحبة محمدا وحزبه **وفى** كلام
بعضهم ما يفيد انه صلى الله عليه وسلم قال فى حقهم اتاكم اهل اليمن هم اضعف قلوبا
وارق افيدة الفقه يمان والحكمة يمانية ولما اقبل عليه صلى الله عليه وسلم جعفر قام
صلى الله عليه وسلم الى جعفر وقبله بين عينيه **وفى** رواية قبل جبهته اى **وعن** ابن
عباس رضى الله عنهما لما قدم جعفر من ارض الحبشة اعتنقه صلى الله عليه وسلم وقبل
بين عينيه وجعل ذلك اصلا لاستحباب النبى صلى الله عليه وسلم المعانقة وقال بعضهم
انها مكروهة وحديث جعفر يحمل ان يكون قبل النهى عنها فانه نهى عن المعانقة وهى
المعانقة وحمل ذلك بعضهم على ما اذا كانت المعانقة من غير حائل **اقول** يجب
بذلك سيدنا مالك رضى الله عنه فانه لما قدم عليه سفيان بن عيينة رضى الله عنه
فصافحه مالك وقال له لولا انها بدعة لعانقتك فقال له سفيان قد عانق من هو خير
منك ومنى النبى صلى الله عليه وسلم قال مالك تعنى جعفر بن ابى طالب قال نعم قال ذلك
حديث خاص ليس بعام اى فذلك من خصوصياته فقال له سفيان ما عم جعفرا يعمنا
وما يخصه يخصنا اى فالاصل عدم الخصوصية ثم قال له سفيان اتاذن لى ان احدث
فى مجلسك قال نعم فقال حدثنى فلان عن فلان عن ابن عباس رضى الله عنهما وذكر الحديث

المتقدم

المتقدم عنه **وقد جا** انه صلى الله عليه وسلم التزم زيد بن حارثة رضى الله عنه حين قدم
عليه من مكة **واما** المصافحة فقد جا ان اهل اليمن لما قدموا المدينة صافحوا الناس
بالسلام فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان اهل اليمن قد سنوا لكم المصافحة وقال من تمام
تحيتكم المصافحة **وقال** صلى الله عليه وسلم لصفوان بن امية لما قدم عليه والى عدى بن حاتم
قال السهيلى وليس هذا معارض لحديث من سره ان يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ
مقعده من النار لان هذا الوعيد انما توجه للمتكبرين والى من يغضب ان لا يقام له
وكان صلى الله عليه وسلم يقوم لفاطمة رضى الله عنها وكانت تقوم له صلى الله عليه وسلم هذا
كلامه والله اعلم ولما راه جعفر رضى الله عنه حجل اى مشى على رجل واحدة اعظاما
لرسول الله صلى الله عليه وسلم لان اهل الحبشة يفعلون ذلك للتعظيم وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول له اشبهت خلقى وخلقى **وفى** لفظ جعفر اشبه الناس بى خلقا
وخلقا وكان يسميه ابا المساكين لانه كان يحب المساكين ويجلس اليهم ويحدثهم ويحدثونه
وذكر بعضهم انه لما قال له اشبهت خلقى وخلقى رقص من لذة هذا الخطاب ولم
ينكر عليه صلى الله عليه وسلم رقصه وجعل ذلك اصلا لجواز رقص الصوفية عند ما
يجدونه من لذة المواجيد فى مجالس الذكر والسماع ثم قال صلى الله عليه وسلم والله ما
ادرى بايهما افرح بفتح خيبر ام بقدوم جعفر **وقيل** قدم مع جعفر سبعون رجلا
عليهم ثياب الصوف منهم اثنان وستون من الحبشة وثمانية من اهل الشام **وفى**
لفظ قدم معه سبعون كانوا اصحاب الصوامع وقيل كانوا اربعين رجلا اثنان وثلاثون
من الحبشة وثمانية من الشام وقيل كانوا ثمانين رجلا اربعون من اهل نجران واثنان
وثلاثون من الحبشة وثمانية روميون من اهل الشام فقرا عليهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم سورة يس الى اخرها فبكوا واسلموا وقالوا ما اشبه هذا بما كان يتلى على
عيسى صلى الله عليه وسلم اى ولعل هؤلاء الذين من الحبشة هم المرادون بقول بعضهم
ووفد عليه وفد النجاشى فقام صلى الله عليه وسلم يخدمهم بنفسه فقال له اصحابه نحن نكفيك
يا رسول الله فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين وانى احب ان اكافيهم **وفى** لفظ وقدم
عليه ايضا ابو هريرة رضى الله عنه وطائفة من قومه وهم دوس كما تقدم قال ابو
هريرة قدمنا المدينة ونحن ثمانون بيتا من دوس فصلينا الصبح خلف سباع بن عرفطة
الغفارى فاخبرنا ان النبى صلى الله عليه وسلم بخيبر فزودنا سباع بن عرفطة ثم جئنا
خيبر وهو محاصر الكتيبة فاقمنا حتى فتح الله اى وكان من جملة من قدم معهم من بلاد
الحبشة ام حبيبة بنت ابى سفيان زوج النبى صلى الله عليه وسلم تزوجها اى عقد
عليها وهى بالحبشة فانها كانت ممن هاجر الهجرة الثانية للحبشة مع زوجها

مؤنة

ويأتي

عبد الله بن جحش فارتد عن الاسلام هناك وتنصر ومات على ذلك وبقيت هي
على اسلامها كما تقدم وقد ارسل صلى الله عليه وسلم عمرو بن امية الضمري في المحرم افتتاح
سنة سبع الى النجاشي ليزوجها منه صلى الله عليه وسلم **قالت** ام حبيبة رايت
في المنام كان قايلا يقول لي يا ام المومنين ففزعت فاولتها بان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يتزوجني قالت فما شعرت الا وقد دخلت علي جارية النجاشي فقالت لي ان الملك
يقول لك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب اليه ان يزوجك منه فقلت لها
بشرك الله بالخير ويقول لك وكلي من يزوجك فارسلت بالوكالة الى خالد بن سعيد
اي واعطت تلك الجارية سوارين وخدمتين اي خلخالين وخواتيم فضة سرورا
بما بشرت به فلما كان العشي امر النجاشي جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه ومن معه من
المسلمين فحضروا **وخطب** النجاشي فقال الحمد لله الملك القدوس اي وفي لفظ بدل
ذلك المومن المهيمن العزيز الجبار اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وانه
الذي بشر به عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام اما بعد فان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كتب الي ان ازوجه ام حبيبة بنت ابي سفيان فاجبت الى ما دعا اليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اصدقها اربعماية دينار اي **وفي** لفظ اربعماية
مثقال ذهب ثم سكب الدنانير بين يدي القوم فتكلم خالد بن سعيد بن العاص فقال
الحمد لله احمده واستعينه واستغفره واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله
ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون اما بعد فقد اجبت
الى ما دعا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجته ام حبيبة بنت ابي سفيان فبارك
الله لرسوله صلى الله عليه وسلم اي ودفع النجاشي الدنانير لخالد بن سعيد فقبضها منه
وقيل انه نقدها لها النجاشي على يد جاريته التي بشرتها فلما جاتها بتلك الدنانير
اعطتها خمسين دينارا وقد يقال يجوز ان يكون النجاشي استردها من خالد ثم
دفعها للملك لجاريته او امر خالد بن سعيد بدفعها للجارية لتدفعها لام حبيبة فلا مخالفة
وهذا السياق يدل على ان النجاشي كان هو الوكيل عنه صلى الله عليه وسلم وفي كلام بعض
فقهايتنا انه صلى الله عليه وسلم وكل عمرو بن امية في نكاح ام حبيبة وقد يقال يعني توكيل
عمرو ارساله بالوكالة اي ثم لما ارادوا ان يقوموا بعد العقد قال لهم النجاشي اجلسوا فان من
سنن الانبيا عليهم الصلاة والسلام اذا تزوجوا ان يوكل طعام على التزويج فدعا
بطعام فاكلوا ثم تفرقوا **قالت** ام حبيبة رضي الله عنها فلما كان من الغد جاءتني جارية
النجاشي فردت علي جميع ما اعطيتها وقالت لي ان الملك عزم علي ان لا ارزاك شيا
وقد امر الملك ان نساه ان يبعثن اليك بكل ما عندهن من العطر فجاءت بورس وعنبر

وزياد

وزياد كثير وقالت حاجتي اليك ان تقرئي على رسول الله صلى الله عليه وسلم مني السلام
وتعلميه اني قد اتبعت دينه وكانت كلما دخلت علي مرة تقول لا تنسي حاجتي اليك ثم
ارسلها النجاشي مع شرحبيل بن حسنة اي وقالت ام حبيبة ولما دخلت على رسول الله صلى
الله عليه وسلم اخبرته كيف كانت الخطبة وما فعلت معي جارية النجاشي واقراته منها
السلام فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وعليها السلام ورحمة الله وبركاته وجا
انه لما رجعت اليه صلى الله عليه وسلم مهاجرة الحبشة قال الا تخبروني باعجب شي رايتم
بارض الحبشة فقالت فتية منهم يا رسول الله بينما نحن جلوس اذ مرت بنا عجوز من عجايزهم
وعلى راسها قلة فيها ما فمرت بصبي فدفعها فوقعت على ركبتيها فانكسرت قلتها فلما ارتفعت
اي قامت التفتت اليه فقالت سوف تعلم يا غدر اذا وضع الله الكرسي وجمع الاولين والاخر
وتكلمت الايدي والارجل بما كانوا يكسبون تعلم امري وامرك عنده فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم صدقت كيف يقدس الله قوما لا يوخذ لضعيفهم من قويهم **وذكر** انه
لما اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خيبر ودنا منها بعث محيصة بن مسعود الى
اهل فدك يدعوهم الى الاسلام ويخوفهم قال محيصة فجيتهم فجعلوا يتربصون ويقولون
ان بخيبر عشرة الاف مقاتل فيهم عامر وياسر والحارث وسيد اليهود مرحب ما نرى ان
محمدا يقترب اليهم فمكثت عندهم يومين ثم اردت الرجوع فقالوا نحن نرسل معك رجالا
ياخذون لنا الصلح كل ذلك وهم يظنون انه صلى الله عليه وسلم لا يقدر على فتح خيبر
حتى جاءهم ناس من حصن ناعم واخبروهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحه فارسلوا
رجلا من رؤسايهم يقال له نون بن يوشع في نفر يصالحون رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يحقن دماهم ويجليهم ويخلوا بينه وبين الاموال ففعل ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقيل صالحوا معه على ان يكون لهم نصف الارض ولرسول الله صلى الله عليه وسلم
النصف الاخر فكانت فدك على الاول لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الثاني كان له نصفها
لانها لم توخذ بعنا فكان صلى الله عليه وسلم ينفق منها ويعود منها على صغير بني هاشم
ويزوج منها ايمهم **ولما** مات صلى الله عليه وسلم وولي ابو بكر الخلافة سالته فاطمة
رضي الله عنها ان يجعلها او نصفها لها فابى وروى لها انه صلى الله عليه وسلم قال انا معاشر الانبيا
لا نورث ما تركناه صدقة اي على المسلمين ومما يويد الثاني ما قيل انه لما اجلاهم
عمر مع يهود خيبر كما سياتي اشترى منهم حصتهم التي هي النصف بمال بيت المال فلما
صارت الخلافة لعمر بن عبد العزيز فقيل له ان مروان اقطعها اي جعلها اقطاعا له
فقال ارايتم امرا منعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة اي بقوله لا نورث ما تركناه
صدقة ليس لي بحق واني اشهدكم اني قد رددتها على ما كانت على عهد رسول الله صلى الله

عليه وسلم اى صدقة على المسلمين **وطلب الصلح** كان بعد ان ارادت غطفان
وسيدهم عيينة بن حصن ان يعينوا اهل خيبر اى وكانوا اربعة الاف فان يهود خيبر
لما سمعوا بمجيئه صلى الله عليه وسلم اليهم ارسلوا كنانة بن ابى الحقيق وهوذة بن قيس
فى اربعة عشر رجلا الى غطفان ليستمدونهم وشرطوا لهم نصف ثمار خيبر ان غلبوا على المسلمين
فجمعوا ثم خرجوا ليظاهروا يهود خيبر اى ويقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسل
اليهم ان لا يعينوهم على ان يعطيهم من خيبر شيئا سماه لهم اى وهو نصف ثمرها فابوا وقالوا
جيراننا وحلفاؤنا فلما ساروا قليلا سمعوا خلفهم فى اموالهم واهليهم حسا ظنوه العدو
اى ظنوا ان المسلمين اغاروا على اهاليهم اى فالقى الله الرعب فى قلوبهم فرجعوا على
الصعب والذلول اى مسرعين على اعقابهم فاقاموا فى اهليهم واموالهم وخلوا بين رسول
الله صلى الله عليه وسلم وبين اهل خيبر اى **وفى** رواية سمعوا صوتا ايها الناس اهليكم خولفتم
اليهم فرجعوا فلم يروا لذلك نبأ ويدل للثانى ان غطفان لما قدموا عليه صلى الله عليه
وسلم خيبر قال عيينة بن حصن لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد وجده صلى الله
عليه وسلم فتح حصونها اعطنا الذى وعدتنا **وفى** رواية اعطنى ما غنمت من حلفائى
فانى انصرفت عنك وعن قتالك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت ولكن الصياح
الذى سمعت انفذك الى اهلك ولك ذو الرقيبة قال عيينة وما ذا الرقيبة قال هو
الجبل الذى رأيت فى منامك انك اخذته اى فان عيينة بن حصن لما سمع الصوت
ورجع الى اهله ولم يجد شيئا رجع بعد ذلك بمن معه الى خيبر وانهم بالقرب منها عرسوا
من الليل فقام عيينة وانتبه وقال لقومه ابشروا انى رأيت الليلة فى النوم انى اعطيت
ذو الرقيبة وهو جبل بخيبر لقد والله اخذت برقبة محمد فلما قدم خيبر وجد رسول الله صلى
الله عليه وسلم قد فتح خيبر الحديث **وقدم عليه** ايضا حجاج بن علاط السلمى
واسلم والعلاط وسم فى العنق وهو ابو نصر بن حجاج الذى نفاه عمر رضى الله عنه لما
سمع ام الحجاج بن يوسف الثقفى تتشبب به وتقول الابيات التى منها

هل من سبيل الى خمر فاشربها ... ام من سبيل الى نصر بن حجاج

ومن ثم قال عروة بن الزبير يوما للحجاج يا ابن المتمنية يعيره بذلك وكان حجاج
مكثرا من المال فقال يا رسول الله ان مالى عند امرأتى بمكة ومتفرق فى تجار مكة فاذن لى
ان اتى مكة لاخذ مالى قبل ان يعلموا باسلامى فلا اقدر على اخذ شئ منه فاذن له رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لا بد لى من ان اقول اى اتقول واذكر ما هو خلاف الواقع
اى ما احتال به لما يوصل الى اخذ مالى قال قل قال فخرجت حتى انتهيت الى الحرم فاذا رجال
من قريش يتشممون الاخبار وقد بلغهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سار الى خيبر

اى اهل القوة والمنعة بعد ما وقع بينهم من المواهنة على ماية بعير فى ان النبى صلى
الله عليه وسلم يغلب اهل خيبر اولا فقال حويطب بن عبد العزى وجماعة بالاول وقال عباس
ابن مرداس وجماعة بالثانى فقالوا حجاج عنده والله الخبر ولم يكونوا علموا باسلامى يا حجاج
انه قد بلغنا ان القاطع يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سار الى خيبر فقلت عندى
من الخبر ما يسركم فاجتمعوا على يقولون ايها يا حجاج فقلت لم يلق محمد واصحابه قوما
يحسنون القتال غير اهل خيبر فهزموا هزيمة لم يسمع بمثلها قط واسر محمد وقالوا لا نقتله
حتى نبعث به الى مكة فنقتله بين اظهرهم **وفى** لفظ يقتلونه بمن كان اصاب من رجالهم
فصاحوا وقالوا لاهل مكة قد جاءكم الخبر هذا محمد انما تنتظرون ان يقدم به عليكم فيقتل
بين اظهركم قال الحجاج وقلت لهم اعينونى على غرمائى اريد ان اقدم فاصيب من غنائم محمد
واصحابه قبل ان يسبقنى التجار الى ما هنا لك فجمعوا الى مالى على احسن ما يكون ففشا
ذلك بمكة واظهر المشركون الفرح والسرور وانكسر من كان بمكة من المسلمين وسمع
بذلك العباس بن عبد المطلب فجعل لا يستطيع ان يقوم ثم ارسل الى حجاج غلاما وقال
قل له يقول لك العباس الله اعلى واجل من ان يكون الذى جئت به حقا فقال له الحجاج اقرأ على
ابى الفضل السلام وقل له ليخل لى بعض بيوته لآتيه بالخبر على ما يسره واكتم عنى فاقبل
الغلام فقال ابشر يا ابا الفضل فوثب العباس فرحا كان لم يمسه شئ واخبره بذلك فاعتقه
العباس وقال لله على عتق عشر رقاب فلما كان ظهرا جاءه حجاج فناشده الله ان يكتم عنه
ثلاثة ايام اى وقال انى اخشى الطلب فاذا مضت ثلاثة ايام فاظهر امرك فوافقه العباس
على ذلك فقال انى قد اسلمت ومالى ما لا عند امرأتى ودينا على الناس ولو علموا باسلامى
لم يدفعوه الى انى تركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فتح خيبر وجرت سهام الله وسهام
رسوله صلى الله عليه وسلم فيها وتركته عروسا بابنة ملكهم حيى بن اخطب وقتل ابن ابى الحقيق
فلما امسى حجاج خرج وطالت على العباس تلك الليالى الثلاث فلما مضى حجاج اى ومضت
الثلاث عمد العباس الى حلة فلبسها وتخلق بخلوق واخذ بيده قضيبا ثم اقبل يخطر حتى
اتى مجالس قريش وهم يقولون اذا مر بهم لا يصيبك الا خير يا ابا الفضل هذا والله
التجلد لحر المصيبة قال كلا والله الذى حلفتم به لم يصبنى الا خير بحمد الله اخبرنى حجاج
ان خيبر فتحها الله على يد رسوله وجرى فيها سهام الله ورسوله واصطفى رسول الله صلى الله
عليه وسلم صفية بنت ملكهم حيى بن اخطب لنفسه وانه تركه عروسا بها اى وانما قال ذلك
لكم ليتخلص ماله والا فهو ممن اسلم فرد الله الكآبة التى كانت بالمسلمين على المشركين فقال
المشركون الا يا عباد الله انفلت عدو الله يعنون حجاجا اما والله لو علمنا لكان لنا وله شان
ولم يلبثوا ان جاءهم الخبر بذلك هذا **وفى** الدلائل للبيهقى لما فتح رسول الله صلى الله

عليه وسلم خيبر قال حجاج بن علاط يا رسول الله ان لي بمكة مالا وان لي بها اهلا وانا اريد ان
اتيهم فانا في حل ان انا نلت منك وقلت شيئا فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول
ما شا فقال لامرأته حين قدم اخفي علي واجمعي ما كان عندك فاني اريد ان اشتري من غنائم
محمد واصحابه فانهم قد استبيحوا واصيبت اموالهم ففشا ذلك بمكة فاشتد ذلك على المسلمين
واظهر المشركون فرحا وسرورا وبلغ العباس رضي الله عنه الخبر فقعد وجعل لا يستطيع ان
يقوم فارسل العباس غلاما له الى حجاج ويلك ما تقول فالذي وعد الله خير مما جئت به
فقال الحجاج يا غلام اقرأ ابا الفضل السلام وقل له فليخل بي في بعض بيوته فانه فان الخبر
على ما يسره فلما بلغ العبد باب الدار قال ابشر يا ابا الفضل فوثب فرحا حتى قبل ما بين عينيه
فاخبره بقول حجاج فاعتقه ثم جاء حجاج فاخبره بافتتاح رسول الله صلى الله عليه وسلم
خيبر وغنم اموالهم وان سهام الله قد جرت فيها وان رسول الله صلى الله عليه وسلم اصطفى
بنت حيي لنفسه وخيرها ان يعتقها وتكون زوجة او يلحقها باهلها فاختارت ان يعتقها
وتكون زوجة له ولكن جئت لمال لي هاهنا ان اجمعه واذهب به واني استأذنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان اقول فاذن لي ان اقول ما شئت فاخف علي يا ابا الفضل ثلاثا ثم
اذكر ما شئت قال فجمعت له امرأته متاعه فلما كان بعد ثلاث اتى العباس امرأة حجاج
فقال لها ما فعل زوجك قالت ذهب وقالت لا يحزنك الله يا ابا الفضل لقد شق علينا الذي
بلغك فقال اجل لا يحزنني الله فلم يكن بحمد الله الا ما احب فتح الله على رسوله خيبر واصطفى
رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية لنفسه فان كان لك في زوجك حاجة فالحقي به
قالت اظنك والله صادقا قال فاني والله صادق والامر على ما اقول ثم ذهب حتى اتى مجلس
قريش الحديث **قال** ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر كان التمر اخضر فاكثر الصحابة
من اكله فاصابتهم الحمى فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابردوا الماء
في الشنان اي القرب ثم صبوا منه عليكم بين اذاني الفجر واذكروا اسم الله عليه ففعلوا فذهبت
عنهم **وعن** سلمة بن الاكوع رضي الله عنه اصابتني ضربة يوم خيبر فقال الناس اصيب
سلمة بن الاكوع فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفث فيها ثلاث نفثات فما
اشتكيت منها ساعة **وفي هذه الغزاة** اراد صلى الله عليه وسلم ان يتبرز فقال
لابن مسعود يا عبد الله انظر هل ترى شيئا فنظرت فاذا شجرة واحدة فاخبرته فقال لي
انظر هل ترى شيئا فنظرت شجرة اخرى متباعدة عن صاحبتها فاخبرته فقال قل لهما ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يامركما ان تجتمعا فقلت لهما ذلك فاجتمعا فاستتر بهما ثم
قام فانطلقت كل واحدة الى مكانها **وفي** الامتاع عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما
سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلنا واديا افيح فذهب رسول الله صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم حتى نزلنا واديا افيح فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فاتبعته
باداوة من ماء فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير شيئا يستتر به فاذا شجرتين
بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احدهما فاخذ بغصن من
اغصانها فقال انقادي علي باذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع
قائده حتى اتى الشجرة الاخرى فاخذ بغصن من اغصانها فقال انقادي علي باذن الله
فانقادت معه كذلك حتى كان صلى الله عليه وسلم بالمنصف مما بينهما والام بينهما وقال
التئما علي باذن الله فالتأمتا قال جابر فخليت احدث نفسي فحانت مني التفاتة فاذا
انا برسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا واذا الشجرتان قد افترقتا وذهبت كل واحدة الى
محلها الحديث ولا بعد في تعدد الواقعة **ووقع له** صلى الله عليه وسلم مجيء بعض الشجر
اليه قبل ان يهاجر صلى الله عليه وسلم **فقد جاء** انه صلى الله عليه وسلم خرج الى بعض شعاب
مكة وقد دخله من الغم ما شاء الله من تكذيب قومه اياه وقولهم له تضلل اباءك واجدادك
يا محمد ومن خضبهم له بالدما فقال يا رب ارني اليوم اية لا اطيبن اليها ولا ابالي بمن اذاني بعدها
وكان ذلك الوادي به شجر فامر ان يدعو شجرة من تلك الشجر وفي لفظ غصنا من اغصان
شجرة فدعى ذلك فانتزع ذلك من مكانه وجاء اليه وسلم عليه ثم امره صلى الله عليه وسلم
بالعود فعاد الى مكانه فحمد الله وطابت نفسه وعلم انه على الحق وقال ما ابالي بمن اذاني بعد
هذا من قومي **اقول** ووقع له صلى الله عليه وسلم اجابة الحجر **ففي** تفسير الفخر الرازي انه
صلى الله عليه وسلم كان مع عكرمة بن ابي جهل بشط ماء فقال عكرمة للنبي صلى الله عليه وسلم
ان كنت صادقا فادع ذلك الحجر الذي كان في الجانب الاخر ليسبح في الماء ويجيء اليك ولا
يغرق فاشار اليه صلى الله عليه وسلم فانقلع ذلك الحجر من مكانه وسبح حتى صار بين يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد له بالرسالة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعكرمة يكفيك
هذا فقال حتى يرجع الى مكانه فاشار اليه صلى الله عليه وسلم فرجع الى مكانه ولم يسلم عكرمة
في ذلك الوقت وانما اسلم يوم فتح مكة والله اعلم **وعند** خروجه صلى الله عليه وسلم الى
هذه الغزاة امر صلى الله عليه وسلم مناديا ينادي من كان مضعفا اي ضعيفا او مصعبا
اي راكبا دابة صعبة فليرجع فرجع ناس وارتحل مع القوم رجل على بكر صعب او ناقة
صعبة فنفر مركوبه فصرعه فاندقت فخذه فمات فلما جيء به الى النبي صلى الله عليه وسلم
قال ما شان صاحبكم فاخبروه قال يا بلال ما كنت اذنت في الناس من كان مصعبا اي
راكبا دابة صعبة فليرجع قال بلى فابى صلى الله عليه وسلم ان يصلي عليه وامر صلى الله
عليه وسلم بلالا فنادى في الناس الجنة لا تحل لعاص ثلاثا وفيه مات شخص من الصحابة
فقال صلى الله عليه وسلم صلوا على صاحبكم وامتنع من الصلاة عليه فتغيرت وجوه الناس

لذلك فقال ان صاحبكم غل في سبيل الله ففتشنا متاعه فوجدنا خرزا من خرز اليهود لا يساوى درهمين **وفيها** انه صلى الله عليه وسلم قال لرجل من المسلمين هذا من اهل النار فلما حضر القتال قاتل الرجل قتالا شديدا فارتاب بعض الصحابة اى فكيف يكون هذا من اهل النار مع هذه المقاتلة الشديدة فلما كثرت الجراحات فى ذلك وجد المها اخرج سهما من كنانته ونحر نفسه فاخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قم يا بلال فاذن لا يدخل الجنة الا مؤمن وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة الحديث **وفى** رواية ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من اهل النار وان الرجل ليعمل بعمل اهل النار فيما يبدو للناس وهو من اهل الجنة وتقدم فى غزوة احد مثل ذلك ولا بعد فى التعدد ان لم يكن من الاشتباه على الراوى **وفى** خيبر كان اكله من الشاة المسمومة **اقول** فى سيرة الحافظ الدمياطى لما فتحت خيبر واطمأن الناس جعلت زينب ابنة الحارث اخى مرحب وهى امرأة سلام بن مشكم تسال اى الشاة احب الى محمد فيقولون الذراع فقيل وانما احب صلى الله عليه وسلم الذراع لانه هادى الشاة وابعدها من الاذى فعمدت الى عنز لها فذبحتها وصلتها ثم عمدت الى سم لا يلبث ان يقتل من ساعته فسمت الشاة واكثرت فى الذراعين والكتف فلما غابت الشمس وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب بالناس انصرف وهى جالسة عند رحله فسال عنها فقالت يا ابا القاسم هدية اهديتها لك فامر بها النبى صلى الله عليه وسلم فاخذت منها فوضعت بين يديه صلى الله عليه وسلم واصحابه حضور او من حضر منهم وفيهم بشر بن البراء بن معرور فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادنوا فقعدوا وتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الذراع فانتهش منه فلما ازدرد رسول الله صلى الله عليه وسلم لقمته ازدرد بشر ما فى فيه واكل القوم منها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفعوا ايديكم فان هذه الذراع او الكتف تخبرنى انها مسمومة فقال بشر والذى اكرمك لقد وجدت ذلك فى اكلتى اى لقمتى التى اكلت فما منعنى ان الفظها الا انى ابغض اليك طعامك فلما اكلت ما فى فيك لم ارغب بنفسى عن نفسك ورجوت ان لا تكون ازدردتها فلم يقم بشر من مكانه حتى عاد لونه كالطيلسان اى اسود وماطله وجعه سنة لا يتحول الا ما حول ثم مات وقال بعضهم فلم يقم بشر من مكانه حتى توفى اى والمتبادر من المكان مكان الاكل وربما يدل له عدم ذكر بشر فى الحجامة وطرح منها لكلب فمات انتهى اى فلم ياكل الا بشر وحينئذ يكون المراد بقوله واكل القوم منها اى ارادوا الاكل اى ووضعوا ايديهم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ارفعوا ايديكم ويدل له ما ياتى عن الامتاع وفى الاصل انها اهدتها لصفية فدخل رسول الله صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم على صفية ومعه بشر بن البراء بن معرور فقدمت اليه تلك الشاة فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتف **وفى** الامتاع رواية الذراع فانتهش منه قطعة فلاكها ثم القاها اى ولم يبلعها وانتهش من الشاة بشر قطعة فابتلعها ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تناول شئ منها وقال ان كتف هذه الشاة تخبرنى ان بغيت فيها فقال بشر والذى اكرمك لقد وجدت ذلك فيما اكلته فما منعنى من لفظه الا انى اعظمك ان انغصك طعامك فلم يقم بشر من مكانه حتى كان لا يتحول الا ان حول والى هذا اشار الامام السبكى فى تائيته بقوله

واجببت عضو الشاة بعد مماتها	فجاء بنطق موضح للنصيحة
وقال رسول الله لانك آكلى	فزينب ماستنى الهوان وسمت

وهذا يؤيد القول الثالث بان كلام نحو الجماد يكون بعد ان يخلق الله فيه الحياة ومذهب الاشعرى ان الله يخلق فى نحو الجماد حروفا وصوتا يحدث ذلك فيه ولا يلتبس من لازم ذلك وجود الحياة **واحتجم** رسول الله صلى الله عليه وسلم على كاهله اى حجمه ابو طيبة مولى بنى بياضة وقيل ابو هند وهو مولى بنى بياضة ايضا اى وامر اصحابه فاحتجموا اوساط رؤسهم اى وهم كما فى الامتاع ثلاثة نفر وضعوا ايديهم فى الطعام ولم يصيبوا منه شيا وفيه انه لا معنى لاحتجام اصحابه اذا لم ياكلوا شيا ومن ثم قال فى سفر السعادة واحتجم صلى الله عليه وسلم بين كتفيه فى ثلاثة مواضع وامر من اكل معه بذلك اى الا ان يقال المجرد وضع اليد ربما سرى بسببه السم الى باقى الجسد وقال صلى الله عليه وسلم الحجامة فى الراس من المعينة امرنى بها جبريل حين اكلت طعام اليهودية **وقد** احتجم صلى الله عليه وسلم فى غير هذه الواقعة مرارا فى محال مختلفة **فقد جاء** انه صلى الله عليه وسلم احتجم على الاخدعين مرتين واحتجم وسط راسه الشريف وكان يسميها منقذا اى وذلك لما سحر **ففى** سفر السعادة لما سحره اليهودى ووصل المرض الى الذات المقدسة النبوية امر صلى الله عليه وسلم بالحجامة على قبة راسه المبارك واستعمال الحجامة فى كل متضرر بالسحر غاية الحكمة ونهاية حسن المعالجة ومن لا حظ له فى الدين والايمان يستشكل هذا العلاج هذا كلامه ودخل عليه صلى الله عليه وسلم الاقرع بن حابس وهو يحتجم فى النقرة فقال يا ابن ابى كبشة لما احتجمت وسط راسك قال يا ابن حابس ان فيها شفاء من وجع الراس والاضراس والنعاس والجنون اى **وفى** الحديث بعض دولة واى الحديث احتجم صلى الله عليه وسلم ثلاثا فى النقرة والكاهل اجتنبوا الحجامة فى الراس شفاء من سبع من الجنون والصداع والجذام والبرص والنعاس ووجع الضرس وظلمة يجدها فى عينيه **وفى الحديث**

اجتنبوا الحجامة يوم الجمعة والسبت والاحد وفى بعض الروايات يوم الاحد شفاء وصحح للجمع وجا النهى عن الحجامة يوم الثلاثا اشد النهى وقال فيه ساعة لا يرقى فيها الدم وفى حديث بعض رواته واهى الحديث احتجم صلى الله عليه وسلم فى النقرة والكاهل ووسط الراس وسمى وللحدة الدافعة والاخرى المعينة والاخرى منقذة وقال صلى الله عليه وسلم خير ما تداويتم به الحجامة وما مررت ليلة اسرى بى بملا من الملائكة الا قالوا يا محمد مر امتك بالحجامة قال فى الهدى والحجامة فى البلاد الحارة انفع من الفصد والاولى ان يكون فى الربع الثالث من ارباع الشهر لانه وقت هيجان الدم وعن ابى هريرة رضى الله عنه مرفوعا من احتجم لسبع عشر وتسع عشرة واحدى وعشرين كانت شفاء من كل داء والحجامة على الريق دوا وعلى الشبع دا ويكره فى الاربعا والسبت قيل ويوم الجمعة وفى الحديث من احتجم يوم الاربعا او السبت وحصل له برص لا يلومن الا نفسه ثم ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تلك اليهودية فقال اسممت هذه الشاة فقالت من اخبرك قال اخبرتنى هذه التى فى يدى وهى الذراع قالت نعم قال ما حملك على ما صنعت قالت بلغت من قومى ما لا يخفى عليك اى وفى لفظ قتلت ابى وعمى وزوجى ونلت من قومى ما نلت فقلت ان كان ملكا استرحنا منه وان كان نبيا فسيخبر فعفى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ذلك اشار صاحب الهمزية بقوله

ثم سمت له اليهودية الشا ... ة وكم سام الشقوة الاشقياء

فاذاع الذراع ما فيه سر ... بنطق اخفاؤه ابداء

وبخلق من النبى كريم ... لم يقاصص بجرحها العجما

اى ثم جعلت اليهودية السم القاتل لوقته فى الشاة وكم اراد كثيرة يطلب الشقوة وتحلى بها الاشقيا الذين لا خلاق لهم فاخبر ذلك الذراع النبى صلى الله عليه وسلم بالنطق بما فيه من سم اخفاء ذلك النطق عن الحاضرين ابدا واظهار له صلى الله عليه وسلم وبسبب ما تحلى به صلى الله عليه وسلم من كمال الحلم والعفو لم يقاصص تلك المراة بجرحها اى بجرح سم لان السم يجرح الباطن كما يجرح الحديد الظاهر فلما مات بشر لم يتركها فقتلت اى وصلبها السهيلى رحمه الله وقد روى ابو داود انه قتلها ووقع فى كتاب شرف المصطفى انه قتلها وصلبها هذا كلامه وقيل انه تركها لانها اسلمت فالعفو عنها اى عدم مواخذتها كان قبل ان يموت بشر فلما مات دفعها صلى الله عليه وسلم الى اوليا بشر فقتلوها وفى الامتاع واختلف الاثار فى قتلها ففى صحيح مسلم انه لم يقتلها وقال ابن اسحاق اجمع اهل الحديث على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلها وقد علمت انه لا يحتاج لعفوه لكن قتلها يشكل على ما عليه ايمتنا معاشر الشافعية من ان من ضيف بمسموم يقتل غالبا مميزا فمات كان

شبه

شبه عمد لا قود فيه وفى كلام بعضهم انها قالت قد استبان لى الان انك صادق وانا اشهدك ومن حضر انى على دينك وان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فانصرف عنها حين كذا فى جامع معمر عن الزهرى انها اسلمت هكذا قال الزهرى انها اسلمت والناس يقولون واعترانها فبسط صلى الله عليه وسلم يده الى الشاة وقال لاصحابه كلوا بسم الله فاكلوا وقد سموا الله فلم يضر ذلك احدا منهم قال ابن كثير وفيه نكارة وغرابة شديدة هذا كلامه ويذكر ان اخت بشر بنت البرا دخلت عليه صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه فقال لها هذا اوان انقطاع ابهرى من الاكلة التى اكلت مع اخيك بخيبر والابهر العرق المعلق بالقلب وقد قسم صلى الله عليه وسلم غنايم خيبر فاعطى الراجل سهما والفارس ثلاثة اسهم بعد ان خمسها خمسة اجزا ولم يقسم لمن غاب من اهل الحديبية الا لجابر بن عبد الله رضى الله عنهما ورضخ صلى الله عليه وسلم للنسا اى وكن عشرين امراة فيهن صفية عمته صلى الله عليه وسلم وام سليم وام عطية الانصارية وعن بعضهن قالت اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نسوة فقلن يا رسول الله قد اردن الخروج معك نعين المسلمين ما استطعنا فقال على بركة الله قالت فخرجنا معه فلما افتتح خيبر رضخ لنا واخذ هذه القلادة ووضعها فى عنقى فوالله لا تفارقنى ابدا واوصت ان تدفن معها زاد فى السيرة الهشامية انها قالت وكنت جارية حديثة السن فاردفنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على حقيبة رحله قالت فلما كان الصبح واناخ راحلته ونزلت عن حقيبة رحله واذا بها دم منى وكانت اول حيضة حضتها قالت فتقبضت الى الناقة واستحييت فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم حالى قال ما لك لعلك نفست قالت قلت نعم قال فاصلحى من نفسك ثم خذى اناء من ما فاطرحى فيه ملحا ثم اغسلى ما اصاب الحقيبة من الدم ثم عودى لمركبك قالت وكنت لا اتطهر من حيضة الا جعلت فى طهورى ملحا واوصت ان يجعل فى غسلها حين ماتت ثم دفع صلى الله عليه وسلم لاهل خيبر الارض لما قالوا له صلى الله عليه وسلم نحن اعلم بها منكم واعمرها بشطر ما يخرج منها من ثمر او زرع وقال لهم على انا اذا شئنا ان نخرجكم اخرجناكم اى وهذا يخالف ما عليه ايمتنا من انه لا يجوز فى عقد الجزية ان يقول الامام او نايبه اقركم ما شئنا بخلاف ما شيتم لانه تصريح بمقتضى العقد لان لهم نبذ العقد ما شاوا وذكر ايمتنا انه يجوز منه صلى الله عليه وسلم لا منا ان يقول اقركم ما شا الله لانه يعلم مشية الله دوننا والشطر فى هذا ظاهر فى النصف ولم اقف على تعيينه فى رواية وكان صلى الله عليه وسلم يرسل الى اهل خيبر عبد الله بن رواحة خارصا قيل وانما خرص عليهم عبد الله عاما واحدا ثم مات وهذا يجا لقوله بعضهم كان عبد الله بن رواحة رضى

الله عنه ياتيهم كل عام يخرصها يعني الثمار عليهم ثم يضمنهم الشطر فشكوا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم شدة خرصه وارادوا ان يرشوه فقال يا اعداء الله تطعموني
السحت والله لقد جئتكم من عند احب الناس الي ولانتم ابغض الي من القردة والخنازير
ولا يحملني بغضي اياكم وحبي اياه على ان لا اعدل فقالوا بهذا قامت السموات والارض وكان
يخرص عليهم بعده جبار بن صخرة وكان خارصا لاهل المدينة **اقول** اي ساقاهم
على النخل وزارعهم على الارض هكذا استدل بذلك ايمتنا على ما ذكر اي على جواز
المساقاة وجواز المزارعة تبعا لها ويكون ذلك مخصصا للنهي عن المزارعة ما لم
يكن تبعا للمساقاة وهولاء يتم الا ان كانت ارض خيبر جميعها بين النخل بحيث يتعسر
سقيها بدون النخل وانه صلى الله عليه وسلم دفع لهم بذرا لان في المزارعة يجب ان يكون
البذر من المالك لا من العامل ولم اقف في شيء من الطرق على انه صلى الله عليه وسلم
دفع لهم بذرا بل ظاهر الروايات يدل على ان البذر منهم وصرح به رواية مسلم ويبعد
ان يكون اراضي خيبر كلها كانت بين النخل بحيث يتعسر سقيها بدون النخل وحينئذ يكون
الواقع في خيبر انما هو المخابرة وهي المعاملة على الارض ببعض ما يخرج منها والبذر من
العامل وهي باطلة عند تامل قليل عند المذاهب الاربعة ولو تبعا للمساقاة
والله اعلم ثم ان الصديق رضي الله عنه اقرهم بعده صلى الله عليه وسلم ثم اقرهم عمر الى
ان اخرج ولده عبد الله في خلافة ابيه الى خيبر فعدي عليه من الليل ففدعت يداه ورجلاه
فقام عمر رضي الله عنه خطيبا فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عامل يهود
اهل خيبر على اموالهم اي ارضهم ونخيلهم وقال نقركم على ما اقركم الله وان عبد الله بن
عمر خرج الى ماله هناك فعدي عليه من الليل ففدعت يداه ورجلاه وليس لنا هناك
عدو غيرهم وقد رايت اجلاءهم اي ووافقه الصحابة على ذلك رضي الله عنه فان عمر
رضي الله عنه قام خطيبا في الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس ان يهود فعلوا
بعبد الله بن عمر ما فعلوا وفعلوا بمطهر بن رافع ما فعلوا مع عدوتهم على عبد الله بن
سهيل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اشك انهم اصحابه وانا اريد ان
اجلو يهود فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقركم ما اقركم الله وقد اذن الله في
اجلائهم فقام طلحة بن عبيد الله فقال قد والله اصبت يا امير المومنين ووفقت فهم
والله اهل سو فقال له عمر رضي الله عنه من معك على مثل رايك قال المهاجرون جميعا
والانصار فسر بذلك عمر رضي الله عنه وقوله وفعلوا بمطهر ما فعلوا اي لان مطهر بن
رافع قدم خيبر باعلاج من الشام عشرة عبيد له ليعملوا له بارضه فاقام بخيبر ثلاثة
ايام فقال لهم رجل من يهود انتم نصارى ونحن يهود وهذا سيدكم من قوم عرب قهرونا

بالسيف

بالسيف وانتم عشر رجال ورجل واحد يسوقكم الى الجهد والبوس وتكونون في رق
شديد فاذا خرجتم من قريتنا فاقتلوه فقالوا له ليس معنا سلاح فدس اليهود
اليهم سكينتين او ثلاثة فلما خرجوا عن خيبر اقبلوا على مطهر بسكاكينهم فخرج مطهر
يعدو الى سيفه وكان في قرابه على راحلته فادركوه قبل الوصول اليه وبعجوا بطنه
ثم انصرفوا سراعا حتى دخلوا خيبر على يهود فاووهم وزودوهم الى الشام وجاء عمر رضي الله
عنه الخبر بقتل مطهر وما صنعت به يهود وقوله مع عدوتهم على عبد الله بن سهيل اي
فانه وجد قتيلا في خيبر لاهل حصن الشق فسالهم اخوه محيصة فقالوا لا والله ما
لنا به من علم قال فجئت انا واخي عبد الرحمن واخي حويصة وهو اكبرنا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاراد اخي عبد الرحمن يتكلم وهو اصغرنا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
كبر كبر فسكت فاردت ان اتكلم فقال كبر كبر فسكت فتكلم اخي حويصة وذكر ان اليهود
تهمتنا وظنتنا فقال صلى الله عليه وسلم اما ان يدوا صاحبكم واما ان ياذنوا بحرب وكتب صلى
الله عليه وسلم اليهم في ذلك وكتبوا اليه ما قتلناه فقال صلى الله عليه وسلم لي ولاخوتي تحلفون
خمسين يمينا وتستحقون دم صاحبكم فقلنا يا رسول الله لم نحضر ولم نشهد قال فتحلف
لكم يهود قلنا يا رسول الله ليسوا بمسلمين فوداه رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده
بمائة ناقة خمس وعشرون جذعة وخمس وعشرون حقة وخمس وعشرون ابنة لبون وخمس
وعشرون بنت مخاض **وعن** ابن المسيب كانت القسامة في الجاهلية ثم اقرها صلى
الله عليه وسلم في الاسلام في الانصاري الذي وجد قتيلا في جب من جباب يهود فلما
اجمع الصحابة على ذلك اي على ما اراده سيدنا عمر رضي الله عنه جاءه احد بني الحقيق
فقال يا امير المومنين اتخرجنا وقد اقرنا محمد صلى الله عليه وسلم وعاملنا على اموالنا وشرط
ذلك لنا فقال له عمر اظننت اني نسيت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لك كيف بك اذا
خرجت من خيبر تعدو بك قلوصك ليلة بعد ليلة فقال كانت هذه هزيلة من ابي القاسم
فقال كذبت يا عدو الله ثم بلغه رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لا يبقى دينان في جزيرة
العرب وقوله لاخرجن اليهود والنصارى وفي لفظ المشركين من جزيرة العرب وفي
رواية اخر ما تكلم به النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا اليهود الحجاز وفي لفظ ان عشت
اخرجت اليهود والنصارى من الحجاز اي وهو مكة والمدينة واليمامة وطرقها وقراها
كالطائف لمكة وخيبر بالمدينة والمراد بجزيرة العرب الحجاز المشتملة عليه اي فالمراد
بجزيرة العرب بعضها وهو الحجاز خاصة لان عمر لما اجلاها ذهب بعضهم الى تيماء
وبعضهم الى اريحا وتيماء من جزيرة العرب لكنها ليست من الحجاز وقيل له حجاز لانه
حجز بين نجد وتهامة فتحصص عن ذلك عمر حتى تيقنه وثلج صدره فاجلا يهود خيبر

اى واعطاهم قيمة ما كان لهم من تمر وغيره واجلا يهود فدك ونصارى نجران
فلا يجوز اقامتهم بذلك اكثر من ثلاثة ايام غير يومى الدخول والخروج ولم يخرج يهود
وادى القرى وتيما لانهما من ارض الشام لا من الحجاز ثم ركب فى المهاجرين والانصار
وخرج معه بجبار بن صخر وزيد بن ثابت فقسما خيبر على اصحاب السهمان التى كانت
عليها كما قسمت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم **روى** انه صلى الله عليه وسلم لما فتح
خيبر اصاب حمارا اسود فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمك قال يزيد بن
شهاب اخرج الله من نسل جدى ستين حمارا كلهم لا يركبهم الا نبى وقد كنت اتوقعك
لتركبنى لم يبق من نسل جدى غيرى ولم يبق من الانبيا غيرك قد كنت لرجل يهودى
وكنت اتعثر به عمدا وكان يجيع بطنى ويضرب ظهرى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم
فانت يعفور وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه الى باب الرجل فياتى الباب
فيقرع براسه فاذا خرج اليه صاحب الدار اوما اليه ان اجب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم القى نفسه فى بير جزعا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فمات قال ابن حبان هذا خبر لا اصل له واسناده ليس بشى وقال ابن
الجوزى لعن الله واضعه فانه لم يقصد الا القدح فى الاسلام والاستهزاء به وقد قال شيخنا
العماد بن كثير هذا شى باطل لا اصل له من طريق صحيح ولا ضعيف وسال شيخنا
المزى فقال ليس له اصل وهو مضحكة وقد اودعه كتبهم جماعة منهم القاضى عياض
فى الشفا والسهيلى فى روضه وكان الاولى ترك ذكره ووافقه على ذلك الحافظ
ابن حجر **غزوة وادى القرى** ثم عند منصرفه صلى الله عليه وسلم
من خيبر اتى وادى القرى واهله يهود فدعاهم صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فامتنعوا
من ذلك وقاتلوا اى برز رجل منهم فقتله الزبير ثم برز اخر فقتله على ثم برز اخر فقتله
ابو دجانة ثم برز اخر فقتله ابو دجانة فقاتلهم المسلمون الى المسا وقتل منهم
احد عشر رجلا ۵ ففتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم عنوة وغنمه الله اموال اهلها
واصاب المسلمون منهم اثاثا ومتاعا فخمسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك الارض
والنخيل فى ايدى اهلها اى من بقى منهم وعاملهم على نحو ما عامل عليه اهل خيبر
وفى لفظ ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم على يهود وتركهم فى ايديهم الاراضى وادى
القرى والبساتين والحدايق يعملون فيها ويأخذون الاجرة **وقيل** حاصرهم
ليالى ثم انصرف راجعا الى المدينة فعلى الاول تضم للغزوات التى وقع فيها القتال
ولما بلغ اهل تيما ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم باهل خيبر وفدك ووادى
القرى صالحوه صلى الله عليه وسلم على الجزية فاقاموا ببلادهم وارضهم فى ايديهم

قال

قال وقتل عبده صلى الله عليه وسلم الاسود الذى كان يرحل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بينما هو يحط رحله صلى الله عليه وسلم جاءه سهم فقتله فقال الناس هنيئا له الجنة فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم كلا والذى نفسى بيده ان الشملة التى اخذها من خيبر من الغنائم
قبل ان تقسم تشتعل عليه نارا انتهى **ولما** قرب من المدينة سار رسول الله صلى الله عليه
وسلم واصحابه ليلة فلما كان قبيل الصبح نزل وعرس وقال الا رجل صالح حافظ
لعينه يحفظ علينا الفجر لعلنا ننام فقال بلال انا يا رسول الله احفظه عليك وفى لفظ
قال يا بلال اكلا لنا الليل فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وقام بلال يصلى
ما شا الله ثم استند الى بعيره واستقبل الفجر يرمقه فغلبته عينه فنام فلم يستيقظ
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا احد من اصحابه حتى ضربتهم الشمس وكان اول من
استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما صنعت يا بلال قال يا رسول الله اخذ
بنفسى الذى اخذ بنفسك قال صدقت اى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم **وفى**
رواية انه صلى الله عليه وسلم التفت الى ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وقال له ان الشيطان
اتى بلالا وهو قايم يصلى فلم يزل يهديه كما يهدى الصبى حتى نام ثم دعى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بلالا فاخبره بلال رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل الذى اخبر به صلى الله
عليه وسلم الصديق فقال ابو بكر رضى الله عنه اشهد انك رسول الله ثم سار صلى الله عليه وسلم
بالناس يقود بعيره غير كثير ثم اناخ فتوضا وتوضا الناس وامر بلالا فاقام الصلاة
وفى رواية فاقتادوا رواحلهم وفى رواية فاستيقظ القوم وقد فزعوا فامرهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يركبوا حتى يخرجوا من ذلك الوادى وقال هذا
واد به شيطان فركبوا حتى خرجوا من ذلك الوادى الحديث فلما فرغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اذا نسيتم الصلاة فصلوها اذا ذكرتموها فان الله تعالى
واقم الصلاة لذكرى **وفى** رواية ان الله قبض ارواحنا ولو شا ردها الينا فى حين
غير هذا فاذا رقد احدكم عن الصلاة او نسيها ثم فزع اليها فليصلها فى وقتها اى
وقيل ان ذلك كان فى مرجعه وقيل صلى الله عليه وسلم من الحديبية وقيل فى مرجعه
من حنين وقيل فى مرجعه من تبوك قال فى الامتاع وهذا لا يصح لان الاثار الصحاح
على خلافه اى دالة على ان ذلك كان فى رجوعه صلى الله عليه وسلم من وادى القرى
وقد يقال لا مانع من التعدد ويدل للقول بان ذلك كان فى مرجعه من الحديبية
ما جا عن ابن مسعود رضى الله عنه اقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن
الحديبية **وفى** رواية لما انصرفنا من غزوة الحديبية فقال النبى صلى الله عليه وسلم
من يحرسنا الليلة فقلت انا يا رسول الله فقال انك تنام ثم اعاد من يحرسنا الليلة فقلت

بيم

انا حتى اعاد ذلك مرارا وانا اقول انا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانت قال فحرستهم حتى اذا كان وجه الصبح ادركني قول رسول الله صلى الله عليه وسلم انك تنام فنمت فما ايقظنا الا حر الشمس في ظهورنا وسياتي في تبوك عن الحافظ ابن حجر لاختلاف العلما في التعدد **وكان** بين الحديبية وعمرة القضا اسلام خالد بن الوليد وعمرو ابن العاص وعثمان بن طلحة الحجبي رضي الله عنهم وقيل كان بعد عمرة القضا ويشهد له ما جا عن خالد بن الوليد انه قال لما اراد الله عز وجل بي ما اراد من الخير قذف في قلبي الاسلام وحضر لي رشدي وقلت قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد صلى الله عليه وسلم فليس موطن اشهده الا انصرف وانا ارى في نفسي اني موضع في غير شي وان محمدا صلى الله عليه وسلم يظهر فلما جا صلى الله عليه وسلم لعمرة القضية فطلبني فلم يجدني فكتب الي كتابا فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فاني لم ار اعجب من ذهاب رايك عن الاسلام وعقلك عقلك ومثل الاسلام يجهله احد قد سالني عنك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اين خالد فقلت ياتي الله به فقال ما مثله يجهل الاسلام ولو كان يجعل نكايته مع المسلمين على المشركين كان خيرا له ولقدمناه على غيره فاستدرك يا اخي ما فاتك فقد فاتتك مواطن صالحة فلما جاني كتابه نشطت للخروج وزادني رغبة في الاسلام وسرتني مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورايت في المنام كاني في بلاد ضيقة جدبة فخرجت الى بلاد خضرا واسعة فلما اجتمعنا للخروج الى المدينة لقيت صفوان فقلت يا ابا وهب اما ترى ان محمدا ظهر على العرب والعجم فلو قدمنا عليه فاتبعناه فان شرفه شرف لنا قال لو لم يبق غيري ما اتبعته ابدا قلت هذا رجل قتل ابوه واخوه ببدر فلقيت عكرمة بن ابي جهل فقلت له مثل ما قلت لصفوان فقال لي مثل الذي قال لي صفوان قلت فاكتم ذكر ما قلت لك قال لا اذكره ثم لقيت عثمان بن طلحة الحجبي قلت هذا لي صديق فاردت ان اذكر له ثم ذكرت من قتل من ابائه اي قتل ابيه طلحة وعمه عثمان اي وقتل اخوته الاربع مسافع والجلاس والحارث وكلاب قتلوا كلهم يوم احد كما تقدم فكرهت ان اذكر له ثم قلت وما علي فقلت له انما نحن بمنزلة ثعلب في جحر لو صب فيه ذنوب من ما يخرج ثم قلت له ما قلت لصفوان ولعكرمة فاسرع الاجابة فواعدني ان سبقني اقام امام في محل كذا وان سبقته اليه انتظرته فلم يطلع الفجر حتى التقينا فغدونا حتى انتهينا الى الهدة اسم محل فنجد عمرو بن العاص بها فقال مرحبا بالقوم فقلنا وبك قال اين مسيركم قلنا الدخول في الاسلام قال وذلك الذي اقدمني وفي لفظ قال عمرو لخالد يا ابا سليمان اين تريد فقال والله لقد استقام الميسم اي تبين الطريق وان الامر وان هذا الرجل لنبي فاذهب فاسلم فحتى متى قال عمرو وانا ما جيت الا لاسلم فاصطحبنا

جميعا

جميعا حتى دخلنا المدينة الشريفة فانخنا بظهر الحرة ركابنا فاخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر بنا اي قال رمتكم مكة بافلاذ كبدها فلبست من صالح ثيابي ثم عمدت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيني اخي فقال اسرع فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سر بقدومكم وهو ينتظركم فاسرعنا المشي فاطلعت عليه فما زال صلى الله عليه وسلم يتبسم الي حتى وقفت عليه فسلمت عليه بالنبوة فرد علي السلام بوجه طلق فقلت اني اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله قال الحمد لله الذي هداك قد كنت ارى لك عقلا رجوت ان لا يسلمك الا الى خير قلت يا رسول الله ادع الله يغفر لي تلك المواطن التي كنت اشهدها عليك فقال صلى الله عليه وسلم الاسلام يجب ما كان قبله اي وتقدم عثمان وعمرو فاسلما **وفي** رواية عن عمرو بن العاص قال قدمنا المدينة فانخنا بالحرة فلبسنا من صالح ثيابنا ثم نودي بالعصر فانطلقنا حتى اطلعنا عليه صلى الله عليه وسلم وان لوجهه تهللا والمسلمون حوله قد سروا باسلامنا فتقدم خالد بن الوليد فبايع ثم تقدم عثمان بن طلحة فبايع ثم تقدمت فوالله ما هو الا ان جلست بين يديه صلى الله عليه وسلم فما استطعت ان ارفع طرفي حياء منه صلى الله عليه وسلم قال فبايعته على ان يغفر لي ما تقدم من ذنبي ولم يحضرني ما تاخر فقال ان الاسلام يجب ما كان قبله والهجرة تجب ما كان قبلها فوالله ما عدل بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبخالد بن الوليد احدا من اصحابه في امر حزبه منذ اسلمنا ولقد كنا عند ابي بكر رضي الله عنه بتلك المنزلة ولقد كنت عند عمر بتلك الحالة وكان عمر رضي الله عنه على خالد كالعاتب وتقدم ان عمرا اسلم على يد النجاشي قال بعضهم وفي اسلام عمرو على يد النجاشي لطيفة وهو صحابي اسلم على يد تابعي ولا يعرف مثله ومن حين اسلم خالد رضي الله عنه لم يزل يوليه رسول الله صلى الله عليه وسلم اعنة الخيل فيكون في مقدمتها والله اعلم

عمرة القضا اي ويقال لها عمرة القضية اي لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضى قريشا عليها اي صالحهم عليها وسمي ثم قيل لها عمرة الصلح ويقال لها عمرة القصاص قال السهيلي وهذا الاسم اولى بها لقوله تعالى الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص قال الحافظ ابن حجر فتحصل من اسمائها اربعة القضا والقضية والصلح والقصاص اي لانها كانت في شهر ذي القعدة من السنة السابعة اي وهو الشهر الذي صده فيها المشركون عن البيت من سنة ست وليست قضا عن العمرة التي صد عن البيت فيها فانها لم تكن فسدت بصدهم له عن البيت بل كانت عمرة تامة معدودة في عمره صلى الله عليه وسلم التي اعتمر بها بعد الهجرة وهي اربعة عمرة الحديبية وعمرة القضا وعمرة الجعرانة لما قسم غنايم حنين والعمرة التي قرنها مع حجته في حجة الوداع بنا على ما هو الراجح من انه كان قارنا وكون العمرة لا تفسد بالصد انما هو وكلها في ذي القعدة

الا التي كانت مع حجة العمرة لا نفسد بالصد وقد مكث صلى الله عليه وسلم في مكة
ثلاثة عشر سنة لم ينقل عنه انه اعتمر خارجا عن مكة الى الحل في تلك المدة اصلا ولم
يفعل هذا على عهده صلى الله عليه وسلم الا عائشة رضي الله عنها كما سياتي في حجة الوداع
وهذا على ما يراه امامنا الشافعي رضي الله عنه اما على من يرى ان العمرة تفسد *
بالصد وانه يجب قضاؤها كما هو المنقول عن ابي حنيفة رضي الله عنه فواضح انها
قضا وهذه العمرة ليست من الغزوات وانما ذكرها البخاري فيها لانه صلى الله عليه وسلم
خرج مستعدا بالسلاح للمقاتلة خشية ان يقع من قريش غدر وليس من لازم الغزوة *
وقوع المقاتلة ومن ثم قيل لها غزوة الامن ٥ خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قاصدا
مكة للعمرة على ما عاهد عليه قريشا في الحديبية اي من انه يدخل مكة في العام القابل
بغير سلاح المسافر ولا يقيم بها اكثر من ثلاثة ايام وفي انس الجليل ما يفيد ان اشتراط
الثلاثة ايام كان في عمرة القضا فقط ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرا عمرة
القضا فابى اهل مكة ان يدعوه صلى الله عليه وسلم يدخل مكة حتى قاضاهم على ان يقيم بها
ثلاثة ايام وان لا يخرج من اهلها باحد اراد ان يتبعه وان لا يمنع من اصحابه احدا
ان يقيم بها واصحابه كانوا الفين اي وامران لا يتخلف عنه احد ممن شهد الحديبية فلم يتخلف
احد الا من استشهد في خيبر ومن مات وخرج معه جمع ممن لم يشهد الحديبية واستخلف
على المدينة ابا ذر الغفاري وقيل غيره وساق ستين بدنة وقلدها اي جعل في عنق
كل بعير قطعة من جلد او نعلا بالية ليعلم انه هدي فيكف الناس عنه ولم يذكر هنا الاشعار
اي وجعل عليها ناجية بن جندب قال وحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم السلاح والدروع
والرماح وقاد مائة فرس عليها محمد بن مسلمة رضي الله عنه اي وعلى السلاح بشير بن زيد
امير بن سعد فاحرم صلى الله عليه وسلم من باب المسجد فلما انتهى الى ذي الحليفة قدم الخيل
امامه فقيل يا رسول الله حملت السلاح وقد شرطوا ان لا ندخل عليهم بسلاح الا سلاح المسافر
السيوف في القرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ندخل عليهم الحرم اي بالسلاح
ولكن يكون قريبا منا فان هاجنا هيج من القوم كان السلاح قريبا منا فمضى بالخيل
محمد بن مسلمة فلما كان بمر الظهران وجد نفرا من قريش فسألوه فقال هذا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يصبح هذا المنزل غدا ان شاء الله تعالى اي وقد رأوا سلاحا كثيرا *
فخرجوا سراعا حتى اتوا قريشا فاخبروهم بالذي رأوا من الخيل والسلاح ففزعت قريش
وقالوا والله ما احدثنا حدثا وانا على كتابنا ومدتنا ففيم يغزونا محمد ما عرفت صغيرا
ولا كبيرا بالغدر تدخل بالسلاح في الحرم على قومك وقد شرطت عليهم ان لا تدخل عليهم بالسلاح
الا بسلاح المسافر السيوف في القرب فقال صلى الله عليه وسلم اني لا ادخل عليهم بسلاح فقال

مكوز

مكرز هو الذي تعرف به البر والوفا ثم رجع مكرز الى مكة سريعا وقال ان محمدا لا يدخل بسلاح
وهو على الشرط الذي شرط لكم انتهى فلما اتصل خروجه بقريش خرج كبراؤهم من مكة
حتى لا يروه صلى الله عليه وسلم فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مكة صلى الله
عليه وسلم يطوف بالبيت هو واصحابه عداوة وبغضا وحسدا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم اي راكبا ناقته القصوى واصحابه محدقين به قد توشحوا السيوف يلبون ثم
دخل من الثنية التي تطلعه على الحجون وهي ثنية كدا بالمد اي وكان صلى الله عليه وسلم
اذا دخل مكة قال اللهم لا تجعل منيتنا بها يقول ذلك من حين يدخل حتى يخرج منها
٥ اي وجعل السلاح في بطن ياجج موضع قريب من الحرم وخلف عنده جمعا من المسلمين
اي نحو مائتين من اصحابه عليهم اوس بن خولي وقعد جمع من المشركين بجبل قعيقعان
ينظرون اليه والى اصحابه وهم يطوفون بالبيت وقد قالوا اي كفار قريش ان المهاجرين
اي اضعفتهم او وهنتهم حمى يثرب وفي لفظ قالوا يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حمى
يثرب فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ما قالوا ثم قال صلى الله عليه وسلم رحم الله
امرأ اراهم من نفسه قوة فامر اصحابه ان يرملوا الاشواط الثلاثة ليرى المشركين
ان لهم قوة اي فعند ذلك قال المشركون اي قال بعضهم لبعض هؤلاء الذين زعمتم ان
الحمى قد وهنتهم هؤلاء اجلد من كذا انهم لينفرون اي يثبون نفر الظبي اي الغزال وانما
لم يأمرهم صلى الله عليه وسلم بالرمل في الاشواط كلها رفقا بهم واضطبع صلى الله عليه وسلم
بردائه وكشف عضده اليمنى ففعلت الصحابة كذلك وهذا اول رمل واضطباع في
الاسلام واقام صلى الله عليه وسلم واصحابه ثلاثة ايام فلما تمت الثلاثة التي هي امد
الصلح جاء حويطب بن عبد العزى ومعه سهيل بن عمرو رضي الله عنهما فانهما اسلما
بعد ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرانه بالخروج هو واصحابه من مكة فقالوا
نناشدك الله والعقد الا ما خرجت من ارضنا فقد مضت الثلاث فخرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم هو واصحابه منها وكان صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة بنت الحارث
الهلالية اي وكان اسمها برة فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة وهي اخت ام *
الفضل زوج العباس واخت اسماء بنت عميس لامها زوج حمزة وكان تزوجه صلى الله
عليه وسلم ميمونة قبل ان يحرم بالعمرة وقيل بعد ان حل منها وقيل وهو محرم اي وهو
ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ورواه الدارقطني من طريق
ضعيف عن ابي هريرة رضي الله عنه فانه كان قد بعث اليها جعفر ليخطبها ولما انتهت
اليها خطبة النبي صلى الله عليه وسلم كانت على بعيرها فقالت البعير وما عليه لله ولرسوله
اي ومن ثم قيل انها التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل جعلت امرها الى

العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم اى وقيل جعلت امرها لام
الفضل فجعلت ام الفضل امرها للعباس واصدقها عنه صلى الله عليه وسلم اربعمائة درهم
ولا مانع من نكاحه صلى الله عليه وسلم وهو محرم فان من خصائصه صلى الله عليه وسلم
حل عقد النكاح فى الاحرام اى وفى كلام بعضهم كان من شيوخنا من يتاول قول ابن عباس
تزوجها محرما اى وفى الشهر الحرام وفى البلد الحرام ولم يرد الاحرام بالحج كما اراد ذلك
الشاعر فى عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه بقوله

قتلوا ابن عفان الخليفة محرما ❁ ودعا فلم ار مثله مخذولا

اى فى شهر حرام فانه قتل فى ايام التشريق هذا كلام السهيلى **قال** ابن كثير وفيه نظر
لان الروايات عن ابن عباس متظافرة بخلاف ذلك التى منها انه تزوجها وهو محرم
هذا كلامه وذكر بعض فقهائنا انه صلى الله عليه وسلم وكل ابا رافع فى نكاح ميمونة
وفى بعض السير **وعن** ابى رافع قال تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة وهو حلال
وبنى بها وهو حلال وانا الرسول بينهما رواه البيهقى والترمذى والنسائى واراد صلى
الله عليه وسلم ان يبنى بها فى مكة فلم يمهلوه يبنى بها **قال** وقد قال لهم ما عليكم لو تركتمونى
فاعرست بين اظهركم وصنعت لكم طعاما فقالوا لا حاجة لنا فى طعامك اخرج عنا من
ارضنا هذه الثلاثة قد مضت **وفى** لفظ قال لهم انى قد نكحت فيكم امرأة فما يضركم
ان امكث حتى ادخل بها واصنع الطعام فنأكل وتأكلون معنا **وفى** رواية جاؤا اليه
صلى الله عليه وسلم فى قبته التى ضربها بالابطح وذلك وقت الظهر وقيل وقت الصبح ولا
مخالفة لجواز مجيئهم له فى الوقتين وعند مجيئهم له صلى الله عليه وسلم كان مع الانصار
يتحدث مع سعد بن عبادة فصاح حويطب ناشدناك الله والعقد الا خرجت من
ارضنا فقد مضت الثلاث فغضب سعد بن عبادة لما رأى من غلظ كلامهم للنبى صلى
الله عليه وسلم فقال لذلك القائل كذبت لا ام لك ليس بارضك ولا ارض ابيك **وفى**
لفظ قال يا عاض بظر امه ارضك وارض امك دونه ليست بارضك ولا ارض ابيك والله
لا يبرح منها الا طائعا راضيا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا سعد لا تؤذ
قوما زارونا فى رحالنا واسكت الفريقين ثم انه صلى الله عليه وسلم امر ابا رافع ان ينادى
بالرحيل وان لا يمسى بها احد من المسلمين وخلف ابا رافع ليأتيه بميمونة حين يمسى
فخرج بها ولقيت ميمونة من سفهاء مكة عنتا **فعن** ابى رافع رضى الله عنه لقينا عنتا من سفهاء
المشركين من اذى السنتهم للنبى صلى الله عليه وسلم ولميمونة فقلت لهم ما شئتم هذه والله
الخيل والسلاح ببطن يأجج وانتم تريدون نقض العهد والمدة فولوا راجعين منكشفين
واقام صلى الله عليه وسلم بسرف بكسر الراء وهو محل بين مساجد عائشة رضى الله عنها

وبطن

وبطن مرو وهو اقرب الى مساجد عائشة وفيه دخل صلى الله عليه وسلم بميمونة اى تحت
شجرة هناك وكان محل موتها ودفنها دفنت فيه بعد ذلك فانه صلى الله عليه وسلم اخبرها
بانها لا تموت بمكة فلما ثقل عليها المرض وهى بمكة قالت اخرجونى من مكة فانى لا اموت بها فان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرنى بذلك فحملوها حتى اتوا بها ذلك الموضع فماتت به
ودفنت به اى وهى اخر امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعلها اخر من توفى من
ازواجه **وحين** دخوله صلى الله عليه وسلم مكة اخذ عبد الله بن رواحة بغرزة اى
ركابه صلى الله عليه وسلم اى وقيل بزمام الناقة وهو يقول اى من ابيات

خلوا بنى الكفار عن سبيله ❁ خلوا فكل الخير فى رسوله
قد انزل الرحمن فى تنزيله ❁ بان خير القتل فى سبيله
فاليوم نضربكم على تاويله ❁ كما ضربناكم على تنزيله

وفى لفظ اخر كما قتلناكم وما قيل

نحن قتلناكم على تاويله ❁ كما ضربناكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله ❁ اويذهل الخليل عن خليله

قاله عمار بن ياسر يوم صفين لا يمتنع ان يكون ذلك من كلام ابن رواحة وتمثل به عمار
اى واما ما روى انه صلى الله عليه وسلم قال انا اقاتل على تنزيل القران وعلى يقاتل على تاويله
قال الحافظ الدارقطنى تفرد به بعض الرافضة **قال** وذكر ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى
عنه قال له يا ابن رواحة بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى حرم الله تعالى تقول
الشعر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فلهو اسرع فيهم من نضح النبل **وذكر**
انه صلى الله عليه وسلم قال له ايها يا ابن رواحة قل لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده
واعز جنده وهزم الاحزاب وحده فقالها وقالها الناس اى هذا **وفى** الامتاع
وكان ابن رواحة يرتجز فى طوافه وهو اخذ بزمام الناقة فقال عليه الصلاة والسلام
ايها يا ابن رواحة قل لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده واعز جنده وهزم
الاحزاب وحده فقالها الناس وطاف على راحلته واستلم الحجر بمحجنه صلى الله عليه
وسلم وذكر انه صلى الله عليه وسلم دخل البيت فلم يزل به حتى اذن بلال الظهر فوق ظهر
الكعبة فقال عكرمة بن ابى جهل لقد اكرم الله تعالى ابا الحكم يعنى والده حيث لم يسمع
هذا العبد يقول ما يقول وقال صفوان بن امية الحمد لله الذى ذهب ابى قبل ان يرى
هذا اليوم حيث يقوم بلال ينهق فوق الكعبة وسهيل بن عمرو لما سمع ذلك غطى
وجهه وكل هؤلاء اسلموا بعد ذلك رضى الله عنهم قال بعضهم وكون ما ذكر اى من دخوله
صلى الله عليه وسلم داخل الكعبة واذان بلال فوق ظهرها كان فى عمرة القضاء خلاف

المشهور ان المشهور ان ذلك كان في يوم الفتح ويؤيد ذلك ما قيل انه صلى الله
عليه وسلم لم يدخل الكعبة واراد ذلك فابوا وقالوا لم يكن في شرطك فامر بلالا فاذن
فوق ظهر الكعبة مرة واحدة ولم يعد بعدها قال الواقدي فهذا القيل انه اثبت
اقول ويؤيد الاول ما جاء دخلت الكعبة ولو استقبلت من امري ما استدبرت ما دخلتها
انى اخاف ان اكون قد شققت على امتي من بعدي اى لاتخاذهم ذلك سنة الا ان
يقال يجوز ان يكون ذلك كان منه صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وينبغي ان يكون هذا
من اعلام النبوة فان الناس يحصل لهم من التعب بسبب دخولها سيما زمن الموسم ما لا
يعتبر عنه من المتاعب والامور الفظيعة والله اعلم ثم سعى صلى الله عليه وسلم بين الصفا
والمروة اى وأوقف الهدى عند المروة وقال هذا المنحر وكل فجاج مكة منحر فنحرها عندها
وحلق ولم اقف على من حلق رأسه الشريف في هذه العمرة ثم رأيته في الامتاع قال حلقه
معمر بن عبد الله العدوي وفعل كفعله صلى الله عليه وسلم المسلمون اى وان من لم يجد منهم
بدنة رخص له في البقرة وكان قدم رجل مكة ببقر فاشتراه الناس منه وامر صلى الله
عليه وسلم من يحلل ان يذهبوا الى السلاح ويأتي آخرون فيقضوا نسكهم ففعلوا **ولما**
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة تبعته ام عمارة اى وقيل اسمها ام ابيها وقيل
امامة وقيل امة الله قال ابن عبد البر والبنت امامة وامها سلمى بنت عميس بنت عمته
حمزة تنادي يا عم يا عم اى وفي لفظها انا ابنة ابي فخرج بها فتناولها على فاخذ بيدها وقال
لفاطمة دونك ابنة عمك فلما وصلوا المدينة اختصم فيها على واخوه جعفر وزيد بن حارثة
فقال زيد بن حارثة انا احق بها لانها بنت اخي اى وانا وصيه لانه صلى الله عليه وسلم آخى بين
حمزة وزيد اى وجعله حمزة وصيه وقال على انا احق بها لانها ابنة عمي وجئت بها من مكة
وقال جعفر انا احق بها لانها بنت عمي وخالتها تحتي اى وهي اسماء بنت عميس فقضى بها صلى
الله عليه وسلم لجعفر وقال الخالة بمنزلة الام هذا **وفي** الامتاع وكلم على بن ابي طالب رضي
الله تعالى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمارة بنت حمزة وكانت مع امها
سلمى بنت عميس بمكة فقال لعلي تترك بنت عمنا يتيمة بين اظهر المشركين وانه لما قضى
بها لجعفر حجل جعفر حول النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا يا جعفر فقال يا رسول الله كان
النجاشي اذا ارضى احدا قام فحجل حوله وفيه انه تقدم مثل ذلك في خيبر وما بالعهد من قدم
الا ان يقال يجوز ان يكون في خيبر فعل ذلك ولم يره صلى الله عليه وسلم **وفي** لفظ لا تنكح
المرأة على عمتها ولا على خالتها وفيه تقديم الخالة في الحضانة على العمة لان عمتها صفية
كانت موجودة وقال صلى الله عليه وسلم في هذا الموطن لعلي انت اخي وصاحبي اى وفي
لفظ انت مني وانا منك وقال لجعفر اشبهت خلقي وخلقي اى وقد تقدم منه صلى الله
عليه وسلم

عليه وسلم ذلك له في خيبر وقال صلى الله عليه وسلم لزيد انت اخي ومولانا انتهى وفي لفظ
انت مولى الله ومولى رسوله

غزوة مؤتة

بضم الميم اى وبالهمزة ساكنة
وبترك الهمزة موضع معروف عند الكرك **وفي** كلام السهيلي موتة مهموزة العين
واما الموتة بلا همز فضرب من الجنون **وفي** الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يقول في صلاته اعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه وفسره راوي
الحديث فقال نفثه السحر ونفخه الكبر وهمزه الموتة هذا كلامه كانت هذه الغزوة في جمادى
الاولى سنة ثمان وكان سببها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الحارث بن عمير
الازدي بكتاب الى هرقل ملك الروم بالشام اى فلما نزل موتة تعرض له شرحبيل
ابن عمرو الغساني اى وهو من امراء قيصر على الشام فقال اين تريد لعلك من رسل محمد
قال نعم فاوثقه رباطا ثم قدمه فضرب عنقه ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
غيره فلما بلغه ذلك اشتد الامر عليه فجهز جمعا من اصحابه عدتهم ثلاثة الاف وبعثهم
الى مقاتلة ملك الروم وامر عليهم زيد بن حارثة وقال ان اصيب زيد فجعفر بن ابي
طالب على الناس وان اصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس **قال** وفي رواية
فان اصيب ابن رواحة فليرتض المسلمون برجل منهم فليجعلوه عليهم وقد حضر ذلك
المجلس رجل من يهود فقال يا ابا القاسم ان كنت نبيا يصاب جميع من ذكرت لان الانبيا
من بني اسرائيل كان الواحد منهم اذا استعمل رجلا على القوم وقال ان اصيب فلان لا بد
ان يصاب اى ولو عد مائة اصيبوا جميعا ثم صار يقول لزيد اعهد فلن ترجع الى محمد ابدا ان
كان نبيا وزيد يقول اشهد انه نبي **وعقد** صلى الله عليه وسلم لواء ابيض ودفعه لزيد بن
حارثة واوصاهم ان يأتوا مقتل الحارث بن عمير وان يدعوا من هناك الى الاسلام فان اجابوا
والا استعانوا عليهم بالله تبارك وتعالى وقاتلوهم **وذكر** بعضهم انه صلى الله عليه وسلم
امرهم ان يأتوا موتة فغشيتهم ضبابة فلم يبصروا حتى اصبحوا على موتة انتهى وودعهم
الناس وقالوا لهم صحبكم الله ودفع عنكم وردكم الينا صالحين **قال** ويقال ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم خرج مشيعا لهم حتى بلغ ثنية الوداع فوقف فقال اى بعد قوله اوصيكم
بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيرا اغزوا باسم الله فقاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام
وستجدون فيها رجالا في الصوامع معتزلين الناس فلا تتعرضوا لهم ولا تقتلوا امرأة ولا
صغيرا ولا كبيرا فانيا ولا تقطعوا شجرا ولا تهدموا بناء انتهى وقال لهم المسلمون دفع
الله عنكم وردكم غانمين فمضوا حتى نزلوا من ارض الشام فبلغهم ان هرقل ملك الروم
في مائة الف من الروم وانضم اليه قبائل من العرب اى المتنصرة اى من بكر ولخم وجذام
مائة الف **وفي** رواية كانوا مائتي الف من الروم وخمسين الفا من العرب ومعهم من الخيول

والسلاح ما ليس مع المسلمين وكان المسلمون ثلاثة الاف كما مر فلما بلغهم ذلك اقاموا
في ذلك المحل ليلتين ينتظرون في امرهم هل يبعثون لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يخبرونه بعدد عدوهم فاما ان يمدهم برجال او يامرهم بامر فيمضوا اليه فشجعهم عبد الله
ابن رواحة وقال لهم يا قوم والله ان الذي تكرهون للذي خرجتم له خرجتم تطلبون الشهادة
ونحن ما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ما نقاتلهم الا بهذا الدين الذي اكرمنا الله
تعالى به فانما هي احدى الحسنيين اما ظهور واما شهادة اي فقال الناس صدق والله
ابن رواحة فمضوا للقتال فلقيتهم جموع هرقل ملك الروم من الروم والعرب
فانحاز المسلمون الى موتة فالتقى الجمعان عندها واقتتلوا فقاتل زيد بن حارثة
ومعه راية رسول الله صلى الله عليه وسلم اي لواءه حتى قتل فاخذ الراية جعفر وقاتل على
فرس له اشقر ثم نزل عنه وعقره اي وهو اول رجل من المسلمين عقر فرسا وان فرسه عقره في
سبيل الله عقره خوفا ان ياخذه الكفار فيقاتلوا عليه المسلمين ومن ثم لم ينكر عليه
احد من الصحابة وبه استدل من جوز قتل الحيوان خشية ان ينتفع به الكفار وتقاتل
عليه المسلمين ثم قاتل فقطعت يمينه فاخذ الراية بيساره فقطعت يساره فاحتضن
الراية وقاتل حتى قتل فاخذها عبد الله بن رواحة وتقدم بها وهو على فرسه وجعل
يتردد في النزول عن فرسه ثم نزل وقاتل حتى قتل اي وحينئذ اختلط المسلمون
والمشركون واراد بعض المسلمين الانهزام فجعل عقبة بن عامر يقول يا قوم يقتل
الانسان مقبلا احسن من ان يقتل مدبرا ه فاخذ الراية ثابت بن ارقم وقال يا معشر المسلمين
اصطلحوا على رجل منكم فقالوا انت قال ما انا بفاعل فاصطلح الناس على خالد بن الوليد
اي ويقال ان ثابت بن ارقم دفعها الى خالد وقال له انت اعلم بالقتال مني ه اي فقال له خالد
انت احق به مني لانك ممن شهد بدرا ثم اخذه خالد ومانع القوم وثبت ثم انحاز كل
من الفريقين عن الاخر من غير هزيمة على احد منهما قال وفي رواية قاتلوا المشركين حتى هزموهم
فعند ابن سعد ان خالدا رضي الله عنه لما اخذ اللواء حمل على القوم فهزمهم الله اسوأ هزيمة
حتى وضع المسلمون اسيافهم حيث شاؤوا واظهر الله المسلمين حيل وسبب ذلك ان
خالدا لما اصبح جعل مقدمة الجيش ساقة وساقته مقدمة وميمنته ميسرة وميسرته
ميمنة فظن المشركون مجيء مدد للمسلمين فرعبوا وانهزموا فقتلوا قتلة لم يقتلها قوم
ويجوز ان يكون ذلك بعد انحياز المسلمين فلا منافاة بين الروايتين وكان مدة
القتال سبعة ايام وروى البخاري عن خالد رضي الله عنه قال اندقت في يدي يوم
موتة تسعة اسياف وما ثبت في يدي الا صفيحة يمانية انتهى واطلع الله رسوله صلى
الله عليه وسلم على ذلك فاخبر به اصحابه اي فانه لما اطلع على ذلك نادى في الناس الصلاة

جامعة

جامعة ثم صعد المنبر اي وعيناه تذرفان وقال يا ايها الناس باب خير باب خير باب خير
ثلاثا اخبركم عن جيشكم هذا الغازي انهم انطلقوا فلقوا العدو فقتل زيد شهيدا
فاستغفروا له ثم اخذ الراية جعفر فشد على القوم حتى قتل شهيدا فاستغفروا له ثم اخذ
الراية عبد الله بن رواحة واثبت قدميه حتى قتل شهيدا فاستغفروا له ثم اخذ اللواء
خالد بن الوليد ولم يكن من الامراء وهو امير نفسه ولكنه سيف من سيوف الله فآب بنصره
وفي لفظ ثم اخذ الراية خالد بن الوليد نعم عبد الله واخو العشيرة وسيف من سيوف
الله سله الله على الكفار والمنافقين عن غير امرة حتى فتح الله عليهم قال وفي رواية انه صلى
الله عليه وسلم قال اللهم انه سيف من سيوفك فانصره فمن يومئذ سمي خالد سيف الله
وفي لفظ ثم اخذ اللواء سيف من سيوف الله تبارك وتعالى ففتح الله تعالى على يديه وعن
عبد الله بن ابي اوفى قال اشتكى عبد الرحمن بن عوف خالد بن الوليد للنبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا خالد لم تؤذي رجلا من اهل بدر لو انفقت مثل احد ذهبا لم تدرك عمله
فقال يا رسول الله انهم يقعون في فارد عليهم فقال لا تؤذوا خالدا فانه سيف من سيوف
الله صبه على الكفار قال بعضهم وكون هذا نصرا وفتحا واضح لاحاطة العدو بهم وتكاثرهم
عليهم لانهم كانوا مائتي الف والصحابة ثلاثة الاف اذ كان مقتضى العادة ان يقتلوا بهم
بالكلية وفي رواية اصاب خالد منهم مقتلة عظيمة واصاب غنيمة وهذا لا يخالف ما ياتي
ان طائفة منهم فروا الى المدينة لما عاينوا من كثرة جموع الروم فصار اهل المدينة يقولون
لهم انتم الفرارون الى اخر ما ياتي وعن اسماء بنت عميس رضي الله تعالى عنها اي زوج جعفر
قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم اصيب جعفر واصحابه فقال ائتيني ببني
جعفر فاتيته بهم فشمهم وذرفت عيناه صلى الله عليه وسلم اي وبكى حتى تقطرت لحيته
الشريفة فقلت يا رسول الله بابي انت وامي ما يبكيك ابلغك عن جعفر واصحابه
شيء قال نعم اصيبوا هذا اليوم فقمت اصيح واجتمع علي النساء فجعل رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول لها يا اسماء لا تقولي هجرا ولا تضربي خدا وجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم
رجل وقال يا رسول الله ان النساء عييننا وفتننا قال فارجع اليهن فاسكتهن فذهب ثم رجع
فقال مثل الاول وقال نهيتهن فلم يطعنني فقال اذهب فاسكتهن فان ابين فاحث في افواههن
التراب وقال صلى الله عليه وسلم اللهم قد قدم يعني جعفرا الى احسن الثواب فاخلفه في ذريته
باحسن ما خلفت احدا من عبادك في ذريته وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى اهله فقال لا تغفلوا عن آل جعفر ان تصنعوا لهم طعاما فانهم قد شغلوا بامر صاحبهم
انتهى اي وفي لفظ انه صلى الله عليه وسلم دخل على فاطمة رضي الله عنها وهي تقول واعماه
فقال صلى الله عليه وسلم على مثل جعفر فلتبك البواكي وفي لفظ البواكي ثم قال صلى الله عليه وسلم

اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد شغلوا عن انفسهم اليوم وفي رواية فانهم قد شغلهم
ما هم فيه وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما ان سلمى مولاة النبي صلى الله عليه وسلم
عمدت الى شعير فطحنته ونسفته ثم طبخته وامتنه بزيت وجعلت عليه فلفلا قال عبد الله
رضي الله عنه فاكلت من ذلك الطعام وحبسني رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اخوتي
وفي لفظ انا واخي في بيته ثلاثة ايام تدور معه صلى الله عليه وسلم كلما صار في بيت احدى
نسائه ثم رجعنا الى بيتنا وهذا الطعام الذي جعل لآل جعفر رضي الله عنهم قال السهيلي
هو اصل في طعام التعزية وتسميه العرب الوضيمة كما تسمي طعام العرس الوليمة وطعام
القادم من السفر النقيعة وطعام البناء الوكيرة قال عبد الله ودعا لي صلى الله عليه وسلم
وقال اللهم بارك له في صفقة يمينه فما بعت شيئا ولا اشتريت الا بورك لي فيه ولما قدم
عليه صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة بخبر الجيش قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت
فاخبرني وان شئت فاخبرتك قال فاخبرني يا رسول الله فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم
خبرهم كله ووصف له فقال والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفا واحدا لم تذكره
وان امرهم لكما ذكرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله رفع لي الارض حتى رأيت
معتركهم اي وحين رأى ذلك صلى الله عليه وسلم قال قد حمي الوطيس اي حميت الحرب واشتدت
وقال صلى الله عليه وسلم مثل لي جعفر وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة في خيمة من در
كل واحد منهم على سرير فرأيت زيدا وابن رواحة في اعناقهما صدودا اي اعراضا ورأيت
جعفر مستقيما ليس في عنقه صدود فسألت فقيل لي انهما حين غشيهما الموت اعرضا
بوجههما واما جعفر فانه لم يفعل وعن قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما
قتل زيد اخذ الراية جعفر فجاءه الشيطان فحبب اليه الحياة وكره اليه الموت ومناه الدنيا
ثم مضى حتى استشهد قال وفي رواية رأيتهم اي فيما يرى النائم وفي رواية لقد رفعوا الي
في الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازورارا
اي اعراضا عن سريري صاحبيه فقلت عم هذا فقيل لي مضيا وتردد عبد الله بعض التردد
ثم مضى انتهى اي فانه لما تقدم صار يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد في النزول وفي
لفظ دخل عبد الله بن رواحة الجنة معترضا فقيل يا رسول الله ما اعتراضه قال لما اصابته
الجراحة نكل فعاتب نفسه فتشجع فاستشهد وقال صلى الله عليه وسلم ان الله ابدل
جعفر بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء قال عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما
وجدنا فيما بين صدر جعفر ومنكبيه وما اقبل منه تسعين جراحة ما بين ضربة بالسيف
وطعنة بالرمح اي وفي لفظ طعنة ورمية وفي لفظ اخر ضربة وري فقده بنصفين فوجد
في احدى شقيه بضعة وثلاثين جرحا وفيما اقبل من بدنه اثنين وسبعين ضربة بسيف

وطعنة

وطعنة برمح اي وقيل اربعا وخمسين ورواية التسعين اثبت قال عبد الله بن عمر اتيته
وهو مستلق لآخر النهار فعرضت عليه الماء فقال اني صائم فضعه في ترسي عند رأسي فان
عشت حتى تغرب الشمس افطرت قال فمات صائما قبل غروب الشمس شهيدا وعمره احد
واربعون سنة وقيل ثلاث وثلاثون سنة وفيما تقدم انه كان اسن من علي بعشر
سنين وكان عقيل اسن من جعفر بعشر سنين وكان طالب اسن من عقيل بعشر
سنين ثم رأيت ابن كثير قال وعلى ما قيل انه كان اسن من علي بعشر سنين يقتضي ان عمره
يوم قتل سبع وثلاثون سنة لان عليا اسلم وهو ابن ثمان سنين على المشهور واقام بمكة
ثلاث عشرة سنة وهاجر وعمره احدى وعشرين سنة ويوم موتة كان في سنة ثمان
من الهجرة وكونه مات صائما لا يناسب كونه شق بنصفين وعن ابن عمر رضي الله عنهما
قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع رأسه الى السماء فقال وعليكم السلام ورحمة الله
وبركاته فقال الناس يا رسول الله ما كنت تصنع هذا قال مر بي جعفر بن ابي طالب في ملا
من الملائكة فسلم علي ولما دنى الجيش من المدينة تلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمسلمون ولقيهم الصبيان يشتدون ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقبل مع القوم على
دابة فقال خذوا الصبيان فاحملوهم واعطوني ابن جعفر فاتي بعبد الله بن جعفر
فاخذه فحمله بين يديه وعن عبد الله بن جعفر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيئا
لك ابوك يطير مع الملائكة في السماء وفي الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا
دخلت البارحة الجنة فرأيت فيها جعفر بن ابي طالب يطير مع الملائكة وفي رواية يطير
مع جبريل وميكائيل له جناحان عوضه الله تعالى من يديه وروي جناحان من ياقوت
اي وذكر السهيلي ان الجناحين عبارة عن صفة ملكية وقوة روحانية اعطيهما جعفر
يقتدر بهما على الطيران لا انهما جناحان كجناح الطير كما قد يسبق للوهم لان الصورة
الآدمية اشرف الصور ولا يضر في ذلك وصفهما بانهما من ياقوت ولا كونهما مضمخين
بالدم وصار المسلمون يحثون في وجوههم التراب يقولون لهم يا فرارون فررتم في سبيل
الله فصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بل هم الكرارون وفي لفظ انهم قالوا يا رسول
الله نحن الفرارون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل انتم العكارون اي الكرارون
وهو دليل على انه كان بينهم محاجزة وترك للقتال وعن بعض الصحابة لما قتل ابن رواحة
انهزم المسلمون اسوأ هزيمة ثم تراجعوا وقد لقوا من اهل المدينة لما رجعوا شرا حتى ان
الرجل يجيء الى اهل المدينة فيدق عليهم فيابون يفتحون له ويقولون له هلا تقدمت
مع اصحابك فقتلت حتى ان نفرا من الصحابة جلسوا في بيوتهم استحياء كلما خرج واحد منهم
صاحوا به وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل اليهم رجلا رجلا ثم يقول انتم الكرارون

في سبيل الله ويعنون بالفرار انحيازهم مع خالد حين احتاز العدو عنهم وانما انحاز خالد ليرتب العسكر وقد مدح النبي صلى الله عليه وسلم خالدا على ذلك واثنى عليه وقتل رجل من المسلمين رجلا من الروم فارادوا اخذ سلبه فمنعه خالد فلما اخبر صلى الله عليه وسلم بذلك قال لخالد ما منعك ان تعطيه سلبه قال استكثرته عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادفعه اليه وكان عوف بن مالك كلم خالدا في دفع ذلك لذلك الرجل قبل ان يقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما مر خالد بعوف بن مالك فاطلق لسانه في خالد وقال له اما ذكرت لك ذلك ونحوه فغضب صلى الله عليه وسلم وقال لخالد لا تعطه يا خالد هل انتم تاركون لي امرائي **وفيه** ان القاتل استحق السلب فكيف يمنعه وليجيب بانه يجوز ان يكون دفعه له بعد وانما اخره تعزيرا لعوف حيث اطلق لسانه في خالد وانتهك حرمته وتطييبا لقلب خالد للمصلحة في اكرام الامراء وهذا السياق يدل على ان الجيش كله قيل لهم الفرارون وانما كان لطائفة من الجيش فروا الى المدينة لما راوا كثرة العدو فليتامل وعد هذه غزوة تبعت فيه الاصل والحق انها ليست من الغزوات بل من السرايا الا انا ذكرناها لانه صلى الله عليه وسلم لم يكن فيها

فتح مكة

كان في رمضان سنة ثمان وكان السبب في ذلك انه لما كان صلح الحديبية بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش كان فيه ان من احب ان يدخل في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده فليدخل ومن احب ان يدخل في عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه فدخلت بنو بكر في عهد قريش ودخلت خزاعة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم وكان قبل ذلك بينهما دماء فحجزها الاسلام بينهم لتشاغل الناس به وهم على ما هم عليه من العداوة وكانت خزاعة حلفاء عبد المطلب بن هاشم جد النبي صلى الله عليه وسلم اي مناصرون على عمه نوفل بن عبد مناف فان المطلب لما مات وثب نوفل على ساحات وافنية كانت لعبد المطلب واغتصبه اياها فاضطرب عبد المطلب لذلك واستنهض قومه فلم ينهض معه احد منهم وقالوا لا ندخل بينك وبين عمك وكتب الى اخواله بني النجار فجاء اليه منهم سبعون راكبا فاتوا نوفلا وقالوا ورب البنية لتردن على ابن اختنا ما اخذت والا ملأنا منك السيف فرده ثم حالف خزاعة بعد ان حالف نوفل بني اخيه عبد شمس وكان صلى الله عليه وسلم يعلم بذلك الحلف فانهم اوقفوه على كتاب عبد المطلب وقراه عليه ابي بن كعب رضي الله عنه اي بالحديبية وهو باسمك اللهم هذا حلف عبد المطلب بن هاشم لخزاعة اذ قدم عليه سرواتهم واهل الراي منهم غائبهم يقر بما قاضى عليه شاهدهم ان بيننا وبينكم عهود الله وميثاقه وما لا ينسى ابدا اليد واحدة والنصر واحد ما اشرف ثبير وثبت حراء مكانه وما بل بحر صوفة **وفي** الامتاع ان في كتابهم باسمك اللهم هذا ما تحالف عليه عبد

المطلب

المطلب بن هاشم ورجالات عمرو بن ربيعة من خزاعة تحالفوا على التناصر والمواساة ما بل بحر صوفة حلفا جامعا غير مفرق الاشياخ على الاشياخ والاصاغر على الاصاغر والشاهد على الغائب وتعاهدوا وتعاقدوا اوكد عهد واوثق عقد لا ينقض ولا ينكث ما اشرقت شمس على ثبير وحن بفلاة بعير وما اقام الاخشبان وعمر بمكة انسان حلف ابد لطول امد يزيده طلوع الشمس شدا وظلام الليل مدا وان عبد المطلب وولده ومن معهم ورجال خزاعة متكافئون متظافرون متعاونون فعلى عبد المطلب النصرة لهم بمن تابعه على كل طالب وعلى خزاعة النصرة لعبد المطلب وولده ومن معهم على جميع العرب في شرق او غرب او حزن او سهل وجعلوا الله على ذلك كفيلا وكفى بالله حميلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اعرفني بحلفكم وانتم على ما اسلفتم عليه من الحلف **فلما** كانت الهدنة وهي ترك القتال التي وقعت في صلح الحديبية اغتنمها بنو بكر اي طائفة منهم يقال لها بنو نفاثة اي **وفي** الامتاع ان سببه ان شخصا من بني بكر هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصار يتغنى به فسمعه غلام من خزاعة فضربه فشجه فثار الشر بين الحيين لما كان بينهم من العداوة وطلب بنو نفاثة من اشراف قريش ان يعينوهم بالرجال والسلاح على خزاعة فامدوهم بذلك فبيتوا خزاعة اي جاؤهم ليلا بغتة وهم امنون على ماء لهم يقال له الوتير فاصابوا منهم اي قتلوا منهم عشرين او ثلاثة وعشرين وقاتل معهم جمع من قريش مستخفيا منهم صفوان بن امية وحويطب بن عبد العزى وعكرمة ابن ابي جهل وشيبة بن عثمان وسهيل بن عمرو رضي الله عنهم فانهم اسلموا بعد ذلك ولم يشاوروا في ذلك ابا سفيان وقيل شاوروه فابى عليهم وظنوا انهم لم يعرفوا وان هذا لا يبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زالوا بهم الى ان ادخلوهم دار بديل بن ورقاء الخزاعي بمكة فلما ناصرت قريش بني بكر على خزاعة ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق ندموا وجاء الحارث بن هشام الى ابي سفيان واخبره بما فعل القوم فقال هذا امر لم اشهده ولم اغب عنه وانه لشر والله ليغزونا محمد ولقد حدثتني هند بنت عتبة يعني زوجته انها رات رؤيا كرهتها رات دما اقبل من الحجون يسيل حتى وقف بالخندمة فكره القوم ذلك وعند ذلك خرج عمرو وقيل عمر بضم العين وصححه الذهبي ابن سالم الخزاعي اي سيد خزاعة في اربعين راكبا اي من خزاعة فيهم بديل بن ورقاء الخزاعي حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ودخل المسجد ووقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد بين الناس وقال وقال من ابيات

يا رب اني ناشد محمدا ... حلف ابينا وابيه الاتلدا
ان قريشا اخلفوك الموعدا ... ونقضوا ميثاقك المؤكدا
هم بيتونا بالوتير هجدا ... وقتلونا ركعا وسجدا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم نصرت يا عمرو بن سالم اي ودمعت عينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال وقال لا ينصرني الله وفي لفظ لا نصرت ان لم انصر بني كعب يعني خزاعة
مما انصر منه نفسي وفي رواية لامنعنهم مما امنع منه نفسي زاد في رواية واهل بيتي ثم
مرت سحابة في السما وارعدت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا السحاب ليستهل اي وفي
لفظ لينصب بنصر بني كعب يعني خزاعة اي وعن بشير بن عصمة رضي الله عنه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول خزاعة مني وانا منهم وقبل قدوم عمرو بن سالم على رسول الله صلى
الله عليه وسلم واعلامه بذلك حدثت عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة
الوقعة قال لها لقد حدث في خزاعة حدث قالت فقلت يا رسول الله اترى قريشا تجترئ على نقض
العهد الذي بينك وبينهم فقال ينقضون العهد لامر يريده الله فقلت خير فقال خير وفي
لفظ قالت لخير او لشر قال لخير وعن ميمونة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بات
عندها ليلة فقام ليتوضا للصلاة قالت فسمعته يقول لبيك لبيك لبيك ثلاثا نصرت
نصرت نصرت ثلاثا فلما خرج قلت يا رسول الله تقول لبيك لبيك لبيك ثلاثا نصرت
نصرت نصرت ثلاثا كانك تكلم انسانا فهل كان معك احد قال هذا راجز بني كعب يعني خزاعة
يزعم ان قريشا اعانت عليهم بكر بن وائل اي بطنا منهم وهم بنوا نفاثة قالت ميمونة فاقمنا
ثلاثا ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح فسمعت الراجز ينشد يا رب اني ناشد محمدا
الى اخر ما تقدم انتهى وعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم لعمرو بن سالم واصحابه فيمن تهمتكم
قالوا بنوا بكر قال كلها قالوا لا ولكن بنوا نفاثة قال هذا بطن من بني بكر ولما ندمت قريش على
نقضهم العهد ارسلوا ابا سفيان ليشد العقد ويزيد في المدة فقالوا ما لنا سواك اخرج
الى محمد فكلمه في تجديد العهد وزيادة المدة فخرج ابو سفيان ومولى له على راحلتين فاسرع
السير لانه يرى انه اول من خرج من مكة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم للناس قبل قدوم ابي سفيان كانكم بابي سفيان قد جاءكم ليشد العقد ويزيد
في المدة وهو راجع بسخطه ثم رجع اولئك الركب من خزاعة فلما كانوا بعسفان لقوا ابا سفيان
اي ومولى له كلا على راحلته وقد بعثته قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشد العقد
ويزيد في المدة وقد خافوا مما صنعوا فقال لهم هل ذهبتم الى المدينة قالوا لا او تركوه وذهبوا نجا
الى مكة مبركهم بعد ان فارقوه فاخذ بعرا ففتته فوجد فيه النوى فعلم انهم ذهبوا الى المدينة
قال وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لعمرو بن سالم واصحابه ارجعوا وتفرقوا في الاودية
اي ليخفى مجيئهم النبي صلى الله عليه وسلم فرجعوا وتفرقوا فذهبت فرقة الى الساحل فيهم
عمرو بن سالم وفرقة فيهم بديل بن ورقا لزمت الطريق وان ابا سفيان لقي بديل بن ورقا
بعسفان فاشفق ابو سفيان ان يكون بديل جا رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فقال

للقوم

للقوم اخبرونا عن يثرب متى عهدكم بها فقالوا لا علم لنا بها اي وقالوا انما كنا في الساحل نصلح
بين الناس في قتيل ثم صبر ابو سفيان حتى ذهب اولئك القوم وفي لفظ قال لبديل من اين اقبلت يا
بديل قال سرت الى خزاعة في هذا الساحل قال اوما اتيت محمدا قال لا فلما راح بديل الى مكة اي
توجه اليها قال ابو سفيان لئن كان جا الى المدينة لقد علف بها النوى فجا منزلهم ففتت ابعار
اباعرهم فوجد فيها النوى فقال ابو سفيان احلف بالله لقد جا القوم محمدا انتهى فلما قدم ابو
سفيان المدينة دخل على ابنته ام حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ولما اراد ان يجلس
على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه فقال يا بنية ما ادري ارغبت بي عن هذا الفراش
ام رغبت به عني قالت بل هو فراش النبي صلى الله عليه وسلم وانت مشرك نجس قال والله
لقد اصابك بعدي شر فقالت بل هداني الله تعالى للاسلام وانت تعبد حجرا لا يسمع ولا يبصر
واعجبا منك يا ابت وانت سيد قريش وكبيرها فقال انا اترك ما كان يعبد اباي واتبع دين
محمد ثم خرج حتى اتى النبي صلى الله عليه وسلم اي وقال له اني كنت غائبا في صلح الحديبية
فامدد العهد وزدنا في المدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك جئت يا ابا سفيان
قال نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كان فيكم من حدث قال معاذ الله نحن
على عهدنا وصلحنا لا نغير ولا نبدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن على صلحنا ومدتنا فاعاد
ابو سفيان القول على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليه شيئا هذا وفي كلام
سبط ابن الجوزي ان مجيئه لام حبيبة كان بعد مجيئه للنبي صلى الله عليه وسلم ثم ذهب
الى ابي بكر رضي الله تعالى عنه فكلمه ان يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما انا بفاعل
وفي رواية قال لابي بكر جدد العقد وزدنا في المدة فقال ابو بكر جواري في جوار رسول
الله صلى الله عليه وسلم والله لو وجدت الذر تقاتلكم لاعنتها عليكم ثم اتى عمر بن الخطاب رضي
الله عنه فكلمه فقال انا اشفع لكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله لو لم اجد الا الذر
لجاهدتكم اي بها وفي رواية انه قال له ما كان من حلفنا جديدا اخلقه الله وما كان مقطوعا
فلا وصله الله فعند ذلك قال له ابو سفيان جزيت من ذي رحم شرا وفي لفظ سوءا
ثم جا الى عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه فقال انه ليس في القوم اقرب بي رحما منك فزد
في المدة وجدد العهد فان صاحبك لا يرده عليك ابدا فقال عثمان جواري في جوار
رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى ثم جا فدخل على علي بن ابي طالب وعنده فاطمة وحسن
غلام يدب بين يديه فقال يا علي انك امس القوم بي رحما واني قد جئت في حاجة فلا ارد
كما جئت خائبا اشفع لي الى محمد فقال ويحك يا ابا سفيان لقد عزم رسول الله صلى الله
عليه وسلم على امر ما نستطيع ان نكلمه فالتفت الى فاطمة فقال يا بنت محمد هل لك ان تامري
ابنك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب الى اخر الدهر قالت والله ما يبلغ بني

ذلك ان يجير بين الناس وما يجير احد على رسول الله صلى الله عليه وسلم اى وفى رواية
انه قال لفاطمة اجيرى بين الناس فقالت انما انا امراة قال قد اجارت اختك يعنى زينب
ابا العاص بن الربيع يعنى زوجها واجاز ذلك محمد قالت انما ذلك الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال فامرى احد ابنيك قالت انهما صبيان ليس مثلهما يجير قال فكلمى عليا
فقالت انت فكلمه عليا فقال يا ابا سفيان انه ليس احد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يفتات على رسول الله صلى الله عليه وسلم بجوار وقول فاطمة رضى الله عنها فى حق ابنيها انهما
صبيان ليس مثلهما يجير هو الموافق لما عليه ايمتنا من ان من شرط من يومن ان يكون مكلفا
واما قولها وانا انا امراة لا يوافق ما عليه ايمتنا من ان للمراة والعبد ان يومنا لان الشرط فى المومن
عند ايمتنا ان يكون مسلما مكلفا مختارا وقد امنت زينب بنت النبى صلى الله عليه وسلم زوجها
ابا العاص بن الربيع وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اجرنا من اجرت وقال المومنون
يد على من سواهم يجير عليهم ادناهم كما سياتى فى السرايا وقد تقدم ذلك عن ابى سفيان
وسياتى قريبا ان ام هانى اجارت وانه صلى الله عليه وسلم قال لها اجرنا من اجرت يا ام هانى
لكن سياتى ان هذا كان تاكيدا للامان الذى وقع منه صلى الله عليه وسلم لاهل مكة لا امانا
مبتدا ثم انه اى ابا سفيان اتى اشراف قريش والانصار وكل يقول جوارى فى جوار رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم جا الى على وقال يا ابا الحسن انى ارى الامور قد اشتدت على فانصحنى قال والله
لا اعلم لك شيا يغنى عنك ولكنك سيد بنى كنانة فقم فاجر بين الناس ثم الحق بارضك
قال او ترى ذلك مغنيا عنى شيا قال لا والله ما اظنه ولكن لا اجد لك غير ذلك فقام
ابو سفيان فى المسجد فقال ايها الناس انى اجرت بين الناس زاد فى رواية ولا والله ما اظن
ان يخفرنى احد ولا يرد جوارى **قال** وفى رواية انه جا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال
يا محمد انى اجرت بين الناس اى وقال لا والله لا اظن احدا يخفرنى ويرد جوارى فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انت تقول ذلك يا ابا حنظلة اى ولم يقل يا ابا سفيان انتهى ثم ركب
بعيره فانطلق حتى قدم على قريش وقد طالت غيبته واتهمته قريش انه صبا واتبع محمدا
سرا وكتم اسلامه وقالت له زوجته ان كنت مع طول الاقامة جيتهم بنجح فانت الرجل فلما
اخبرها اى وقد دنى منها وجلس منها مجلس الرجل من امراته ضربت برجلها فى صدره وقالت
قبحت مجلس الرجل من امراته فضربت برجلها فى صدره وقالت قبحت من رسول قوم فما جيت
بخير فلما اصبح ابو سفيان حلق راسه عند اساف ونايلة وذبح لهما البدن ومسح بالدم رو
سهما ليدفع عنه التهمة فلما راته قريش قالوا وما وراك هل جيت بكتاب من محمد او عهد قال
لا والله لقد ابى على وقد تتبعت اصحابه فما رايت قوما الملك عليهم اطوع منهم له **وفى**
رواية قال جيت محمدا فكلمته فوالله ما رد على شيا ثم جيت الى ابن ابى قحافة فلم اجد فيه خيرا

ثم جيت عمر بن الخطاب فوجدته ادنى العدو **وفى** رواية اعدى العدو ثم جيت عليا فوجدته
الين القوم وقد اشار على بشى صنعته فوالله ما ادرى اتغنى عنى شيا ام لا قالوا وبم امرك
قال امرنى ان اجير بين الناس ففعلت قال فهل لم تلتمس جوار الناس على محمد ولا تجيرانك عليه
وانت سيد قريش واكبرها واحقها ان لا يخفر جواره ففعلت قالوا فهل اجاز ذلك محمد
قال لا اى وانما قال انت تقول ذلك يا ابا حنظلة والله لم يزد لى قالوا رضيت بغير رضى وجيتنا
بما لا يغنى عنا ولا عنك شيا ولعمر الله ما جوارك بجائز وان اخفارك اى ازالة خفارتك عليهم
لهين **ه** والله اراد الرجل يعنون عليا رضى الله تعالى عنه ان يلعب قال والله ما وجدت غير
ذلك وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز وامر اهله ان يجهزوه اى قال
لعايشة جهزينا واخفى امرك فدخل ابو بكر على ابنته عايشة رضى الله تعالى عنها وهى
تحرك بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم اى تجعل قمحا سويقا ودقيقا **وفى** لفظ
وجد عندها حنطة تنسف وتنقى فقال اى بنية امركن رسول الله صلى الله عليه وسلم
بتجهيزه قالت نعم فتجهز قال فاين ترينه يريد قالت لا والله ما ادرى اى وذلك قبل ان
يستشير ابا بكر وعمر فى السير الى مكة كما سياتى ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم الناس
انه سائر الى مكة وامرهم بالجد والتجهيز اى **وفى** الامتاع ان ابا بكر لما سال عايشة
رضى الله عنها دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اردت سفرا
قال نعم قال افاتجهز قال نعم قال فاين تريد يا رسول الله قال قريشا واخف ذلك يا ابا بكر
وامر صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز وطوى عنهم الوجه الذى يريده وقد قال له ابو بكر يا رسول
الله اوليس بيننا وبينهم مدة قال انهم غدروا ونقضوا العهد واطو ما ذكرت لك **وفى**
رواية ان ابا بكر قال يا رسول الله اتريد ان تخرج مخرجا قال نعم قال لعلك تريد بنى الاصفر
قال لا قال افتريد اهل نجد قال لا قال فلعلك تريد قريشا قال نعم قال يا رسول الله اليس
بينك وبينهم مدة قال اولم يبلغك ما صنعوا ببنى كعب يعنى خزاعة **قال** وارسل صلى
الله عليه وسلم الى اهل البادية ومن حوله من المسلمين فى كل ناحية يقول لهم من كان يومن
بالله واليوم الاخر فليحضر رمضان بالمدينة اى وذلك بعد ان تشاور رسول الله صلى
الله عليه وسلم مع ابى بكر وعمر رضى الله عنهما فى السير حيث قال لهم قومك وحضه عمر
رضى الله عنه حيث قال انهم راس الكفر زعموا انك ساحر وانك كذاب وذكر له كل سوء كانوا
يقولونه وايم الله لا تذل العرب حتى تذل اهل مكة فعند ذلك ذكر صلى الله عليه وسلم
ان ابا بكر كابراهيم وكان فى الله الين من اللبن وان عمر كنوح وكان فى الله اشد من الحجر وان
الامر امر عمر وتقدم نحو هذا لما استشارهما فى اسارى بدر اى ثم قدمت المدينة من قبائل
العرب اسلم وغفار ومزينة واشجع وجهينة ثم قال صلى الله عليه وسلم اللهم خذ العيون

والاخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها اه وفي رواية قال اللهم خذ على اسماعهم وابصارهم
فلا يرونا الا بغتة ولا يسمعون بنا الا فجاة واخذ بالانقاب اى الطرق اى وقف بكل طريق
جماعة ليعرف من يمر بها اى وقال لهم لا تدعوا احدا يمر بكم تنكرونه الا رددتموه ولما جمع
صلى الله عليه وسلم المسير الى قريش وعلم بذلك الناس كتب حاطب بن ابي بلتعة الى قريش
اى الى ثلاثة من كبرائهم منهم سهيل بن عمرو وصفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل رضي الله
عنهم فانهم اسلموا بعد ذلك كما تقدم كتابا يخبرهم بذلك ثم اعطاه امراة وجعل لها جعلا
على ان تبلغه قريشا ويقال اعطاها عشرة دنانير وكساها بردا اى وقال لها اخفيه ما
استطعت ولا تمري على الطريق فان عليه حرسا فسلكت غير الطريق قال وتلك المراة
هي سارة مولاة لبعض بني عبد المطلب بن عبد مناف وكانت مغنية بمكة وكانت
قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وطلبت منه الميرة وشكت الحاجة
فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان في غنائك ما يغنيك فقالت ان قريشا منذ
قتل من قتل منهم ببدر تركوا الغنا فوصلها صلى الله عليه وسلم واوقر لها بعيرا طعاما ه
فرجعت الى قريش وارتدت عن الاسلام وكان ابن خطل يلقي عليها هجا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فتغني به انتهى فجعلت الكتاب في قرون راسها اى ضفائر راسها خوفا ان يطلع عليه
احد ثم خرجت به واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السما بما صنع حاطب فبعث
عليا والزبير وقيل عليا والمقداد اى وقيل عمارا او الزبير وطلحة والمقداد وابا
مرثد اى ولا مانع ان يكون ارسل الكل وبعض الرواة اقتصر على بعضهم فقال صلى الله
عليه وسلم ادركا امراة بمحل كذا قد كتب معها حاطب بكتاب الى قريش يحذرهم ما قد اجمعنا
له في امرهم فخذوه منها وخلوا سبيلها فان ابت فاضربوا عنقها فخرجا حتى ادركاها
في ذلك المحل الذي ذكره صلى الله عليه وسلم فقالا لها اين الكتاب فحلفت بالله ما معها
من كتاب فاستنزلاها وفتشاها والتمسا في رحلها فلم يجدا شيئا فقال لها علي كرم الله وجهه
اني احلف بالله ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم قط ولا كذبنا ولتخرجن هذا
الكتاب او لنكشفنك او اضرب عنقك فلما رات الجد منه قالت اعرض فاعرض فحلت
قرون راسها فاستخرجت الكتاب منها وفي البخاري اخرجته من عقاصها ولا منافاة وفيه
في محل اخر اخرجته من حجزتها والحجزة معقد الازار والسراويل قال بعضهم ولا مانع ان يكون
في ضفائرها وانها جعلت الضفائر في حجزتها فوقعتها لنيره وسيأتي انها ممن اباح صلى
الله عليه وسلم دمه يوم الفتح ثم اسلمت وعفا عنها فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك
الكتاب اى وصورة الكتاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه
اليكم بجيش كالليل يسير كالسيل واقسم بالله لو سار اليكم وحده لينصرنه الله تعالى

عليكم

عليكم فانه منجز له ما وعده فيكم فان الله تعالى ناصره ووليه وقيل فيه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد اذن بالغزو ولا اراه الا يريدكم وقد احببت ان يكون لي يد بكتابي
اليكم ه اقول لا مانع ان يكون جميع ما ذكر في الكتاب بان يكون فيه ان محمدا قد اذن
اى اعلم بالغزو وقد نفر اى عزم على ان ينفر اما اليكم واما الى غيركم ولا اراه الا يريدكم وهذا
كان قبل ان يعلم بسيره الى مكة فلما علم الحق بالكتاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه
اى يريد التوجه اليكم بجيش الخ وبعض الرواة اقتصر على بعض ما في الكتاب والله اعلم
فدعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا فقال له اتعرف هذا الكتاب قال نعم
قال فما حملك على هذا فقال والله اني لمومن بالله ورسوله ما غيرت ولا بدلت وفي لفظ
ما كفرت منذ اسلمت ولا غششت منذ نصحت ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكني لم يكن لي
في القوم اهل ولا عشيرة ولي بين اظهرهم ولد واهل فصانعتهم عليهم اى وفي لفظ
قال يا رسول الله لا تعجل علي اني كنت امرا ملصقا اى حليفا في قريش وفي كلام بعضهم
ما يفيد ان الملصق هو الذي لا نسب له ولا دخل في حلف قال ولم اكن من انفسهم وكان
من معك من المهاجرين لهم قرابة يحمون اموالهم واهليهم بمكة ولم يكن لي قرابة فاحببت
ان اتخذ فيهم يدا يحمى بها اهلي اى وهي امه ففي بعض الروايات كنت غريبا في قريش وامي
بين اظهرانيهم فاردت ان يحفظوني فيها وما فعلت ذلك كفرا بعد اسلامي وقد علمت
ان الله منزل بهم باسه لا يغني عنهم كتابي شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد
صدقكم ه فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا رسول الله دعني لاضرب عنقه فان الرجل
قد نافق وفي رواية قال له قاتلك الله ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ياخذ بالانقاب
وتكتب الى قريش تحذرهم وفي رواية دعني اضرب عنقه لانه يعلم انك يا رسول الله
اخذت على الطريق وامرت ان لا ندع احدا يمر بنا ننكره الا رددناه انتهى واقول
مراد سيدنا عمر بقوله قد نافق اى خالف الامر لا انه اخفى الكفر لقوله صلى الله عليه وسلم
قد صدقكم ورأى ان مخالفة امره صلى الله عليه وسلم مقتضية للقتل ولكن رواية البخاري
انه قد صدقكم ولا تقولوا له الا خيرا وعليها يشكل قول عمر المذكور ودعاؤه عليه بقوله
قاتلك الله الا ان يقال يجوز ان يكون قول عمر لذلك كان قبل قوله صلى الله عليه وسلم
ما ذكر وعند قول عمر دعني لاضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد
شهد بدرا وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد
غفرت لكم اى وفي رواية فقد وجبت لكم الجنة وفي رواية لا يدخل النار احد شهد
بدرا فعند ذلك فاضت عينا عمر بالبكا اى وانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا
عدوي وعدوكم اوليا تلقون اليهم بالمودة الايات ه وفي قوله تعالى عدوي وعدوكم

منقبة عظيمة لحاطب رضي الله عنه بان ذلك الشهادة له بالايمان وقوله تلقون اليهم بالمودة
اي تبدون لهم **وذكر** بعضهم ان البلتعة في اللغة التظرف بالظا المشالة يقال تبلتع
في كلامه اذا تظرف ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره فاستخلف على المدينة
ابا رهم كلثوم بن الحصين الغفاري وقيل ابن ام مكتوم وبه جزم الحافظ الدمياطي في سيرته
وخرج لعشر وقيل الليلتين وقيل لثنتي عشرة وقيل لثلاث عشرة وقيل سبع
عشرة وقيل ثمان عشرة وهو في مسند الامام احمد بسند صحيح قال ابن القيم انه اصح من قول
من قال انه خرج لعشر خلون من رمضان اي وصدر به في الامتاع وقيل لتسع عشرة مضين
من شهر رمضان في سنة ثمان قال النووي لا اعلم خلافا في الشهر **وما** في البخاري كان خروجه
صلى الله عليه وسلم من المدينة كان على راس ثمان سنين ونصف من مقدمه المدينة اي فيكون
في السنة التاسعة فيه نظر وكان صلى الله عليه وسلم في عشرة الاف اي باعتبار من لحقه
في الطريق من القبائل كبني اسد وسليم ولم يتخلف عنه احد من المهاجرين والانصار
وكان المهاجرون سبعمائة ومعهم ثلاثمائة فرس وكانت الانصار اربعة الاف ومعهم
خمسمائة فرس وكانت مزينة الفا وفيها مائة فرس وكانت اسلم اربعمائة ومعها ثلاثون
فرسا وكانت جهينة ثمانمائة معها خمسون فرسا وقيل كان صلى الله عليه وسلم في اثني
عشر الفا فلما وصل الى الابواء وقيل قريبا منها لقيه ابو سفيان بن عمه الحارث وكان
الحارث اكبر اولاد عبد المطلب وكان يكنى به كما تقدم وكان ابو سفيان اخاه من الرضاع
على حليمة كما تقدم وعبد الله بن امية بن المغيرة بن عمته عاتكة بنت عبد المطلب اخو
ام سلمة ام المؤمنين لابيها لان والدة ام سلمة عاتكة بنت جدل الطعان وكان عند ابيها
امية بن المغيرة زوجتان ايضا كل منهما تسمى عاتكة فكان عنده اربع عواتك وكان
مجئ الحارث وعبد الله صلى الله عليه وسلم يريد ان الاسلام وكانا رضي الله تعالى عنهما
من اكبر المناهين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن اشد الناس اذية له اي لعبد
ان كان الحارث قبل النبوة الفا له صلى الله عليه وسلم لا يفارقه كما تقدم
وتقدم بعض ذكر اذيتهما له صلى الله عليه وسلم فاعرض صلى الله عليه وسلم عنهما فكلمته
ام سلمة رضي الله عنها فيهما اي قالت له لا يكون ابن عمك وابن عمتك اي وصهرك اشقى
الناس بك فقال صلى الله عليه وسلم لا حاجة لي بهما اي اما ابن عمي يعني ابا سفيان فهتك
عرضي واما ابن عمتي وصهري يعني عبد الله اخا ام سلمة فهو الذي قال لي بمكة ما قال اي قال
له والله لا امنت بك حتى تتخذ سلما الى السما فتعرج اليه وانا انظر اليه ثم تاتي بصك معك
واربعة من الملائكة يشهدون لك ان الله ارسلك الى اخر ما تقدم فلما خرج الخبر اليهما
قال ابو سفيان ومعه ابن له والله لياذنن لي او لاخذن بيد بني هذا ثم لنذهبن في الارض

حتى

حتى يموت عطشا وجوعا **فلما** بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لهما ثم
اذن لهما فدخلا عليه فاسلما وقبل اسلامهما وقيل ان عليا رضي الله تعالى عنه قال لابي
سفيان ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل وجهه فقل له ما قال اخوة يوسف
ليوسف تالله لقد اثرك الله علينا وان كنا لخاطئين فانه صلى الله عليه وسلم لا يرضى ان
يكون احد احسن قولا منه ففعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تثريب عليكم اليوم
يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين وكان ابو سفيان بعد ذلك لا يرفع راسه الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم حيا منه لانه عاداه صلى الله عليه وسلم نحو عشرين سنة يهجوه ولم
يتخلف عن قتاله وكان صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يحبه ويشهد له بالجنة ويقول ارجو
ان يكون خلفا من حمزة اي وقال له صلى الله عليه وسلم انت يا ابا سفيان كما قيل كل
الصيد في جوف الفرا **وفي** سفره صلى الله عليه وسلم صام وصام الناس حتى اذا كان
بالكديد بفتح الكاف وكسر الدال المهملة الاولى اي وهو محل بين عسفان وقديد ه افطر
اي وقيل افطر بعسفان وقيل افطر بقديد وقيل افطر بكراع الغميم ولا منافاة
لتقارب الامكنة وقال بعضهم لا مانع ان يكون صلى الله عليه وسلم كرر الفطر في تلك الاماكن
لتساوي الناس في رويته ذلك فاخبر كل منهم عن محل رويته **قال** وفي رواية انه لما خرج
صلى الله عليه وسلم ووصل المحل يقال له الصلصل قدم امامه الزبير بن العوام في
مائتين ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم من احب ان يصوم فليصم ومن
احب ان يفطر فليفطر اي **وفي** الامتاع لما خرج صلى الله عليه وسلم من المدينة
نادى مناديه من احب ان يصوم فليصم ومن احب ان يفطر فليفطر **وفي** بعض
الايام صب صلى الله عليه وسلم على راسه الما ووجهه من شدة العطش **وفي** لفظ من
شدة الحر وهو صايم وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم لما بلغ الكديد بلغه ان الناس شق
عليهم الصيام اي وانهم ينظرون فيما فعلت ه فاستوى صلى الله عليه وسلم على راحلته
بعد العصر ودعا باناء فيه ما وقيل لبن فشرب ثم ناوله لرجل بجنبه فشرب فقيل له بعد
ذلك ان بعض الناس صام فقال اولئك العصاة اي لانهم خالفوا امره صلى الله
عليه وسلم لهم بالفطر ليقووا على مقاتلة العدو ولانه صلى الله عليه وسلم قال للصحابة لما
دنوا من عدوهم انكم قد دنوتم من عدوكم والفطر اقوى لكم فلم يزل صلى الله عليه وسلم يفطر
حتى انسلخ الشهر انتهى اي وفي قديد عقد صلى الله عليه وسلم الالوية والرايات ودفعها
للقبائل ثم سار حتى نزل بمر الظهران اي وهو الذي يقال له الان بطن مرو عشا اي
وقد عميت الاخبار عن قريش اجابة لدعائه صلى الله عليه وسلم فلم يعلموا بوصوله اليهم
اي ولم يبلغهم حرف واحد من مسيره اليهم ه فامر صلى الله عليه وسلم اصحابه فاوقدوا

عشرة الاف نارا وجعل على الحرس عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان العباس رضى الله
عنه قد خرج قبل ذلك بعيالهِ مسلما اى مظهرا للاسلام مهاجرا فلقى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالجحفة وقيل بذى الحليفة فرجع معه الى مكة اى وارسل اهله وثقله
الى المدينة وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هجرتك يا عم اخر هجرة كما انى نبوتى اخر
نبوة **قال** العباس رضى الله عنه ورقت نفسى لاهل مكة اى وقال واصباح قريش والله لئن
دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قبل ان ياتوه فيستامنوه انه لهلاك قريش
الى اخر الدهر قال العباس رضى الله عنه فجلست على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضا
اى زاد بعضهم التى اهداها له دحية الكلبى فخرجت عليها حتى جئت الاراك فقلت لعلى
اجد بعض الحطابة او صاحب لبن او ذا حاجة ياتى مكة فيخبرهم بمكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليخرجوا اليه فيستامنوه قبل ان يدخلها عنوة فوالله انى لاسير اذ سمعت كلام ابى
سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان اى **وقد** خرجا وحكيم بن حزام اى بعد ان خرج
ابو سفيان وحكيم بن حزام فلقيا بديلا فاستصحباه وخرجوا يتجسسون الاخبار
وينظرون هل يجدون خبرا او يسمعون به اى لانهم علموا بمسيره صلى الله عليه وسلم ولم
يعلموا الى اى جهة **وفى** سيرة الدمياطى ولم يبلغ قريشا مسيره صلى الله عليه وسلم
اى اليهم فلا ينافى ما قبله وهم مغتمون يخافون من غزوه اياهم فبعثوا ابا سفيان بن
حرب يتجسس الاخبار وقالوا ان لقيت محمدا فخذ لنا منه امانا اى فلما سمعوا صهيل الخيل
راعهم ذلك وابو سفيان يقول ما رايت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرا هذه كنيران
عرفة وبديل يقول هذه والله خزاعة حمشتها الحرب وحمشتها بالحاء المهملة والشين اى
المعجمة اى احرقتها وقيل بالسين المهملة اى اشتدت عليها من الحماسة وهى الشدة فابو
سفيان يقول خزاعة اذل واقل من ان يكون هذه نيرانها وعسكرها اى **وفى** رواية ان القائل
هذه خزاعة غير بديل وان بديلا هو القائل هؤلاء اكثر من خزاعة وهو المناسب لان بديلا
من خزاعة قال العباس رضى الله تعالى فعرفت صوت ابى سفيان اى وكان ابو سفيان
صديقا للعباس ونديمه قال العباس فقلت يا ابا حنظلة فعرف صوتى فقال ابو الفضل
قلت نعم قال ما لك فداك ابى وامى قلت والله هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس
قد جاءكم بما لا قبل لكم به اى **وفى** رواية قد جاءكم فى عشرة الاف فقال واصباح قريش والله فما
الحيلة فداك ابى وامى قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب فى عجز هذه البغلة
حتى اتى بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستامنه لك فركب خلفى اى ورجع صاحباه
فجئت به كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا من هذا واذا راوا بغلة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وانا عليها قالوا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته رسول الله صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم وانا عليها قالوا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته حتى مررت بنار عمر بن الخطاب
رضى الله عنه فقال من هذا وقام الى فلما راى ابا سفيان على عجز الدابة قال ابو سفيان عدو الله الحمد لله
الذى امكن منك من غير عقد ولا عهد ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وركضت
البغلة فسبقته فاقتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل
عليه عمر فى اثرى فقال يا رسول الله هذا ابو سفيان اى عدو الله قد امكن الله منه من غير
عقد ولا عهد فدعنى فلاضرب عنقه قال قلت يا رسول الله انى قد اجرته ولعل العباس وعمر
رضى الله عنهما لم يبلغهما قوله صلى الله عليه وسلم انكم لاقون بعضهم فان لقيتم ابا سفيان فلا
تقتلوه انتهى قال العباس ثم جلست الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذت براسه فقلت والله
لا يناجيه الليلة رجل دونى فلما اكثر عمر فى شانه قلت مهلا يا عمر فوالله لو كان من رجال بنى
عدى بن كعب ما قلت مثل هذا اى ولكنك قد عرفت انه من رجال بنى عبد مناف فقال مهلا
يا عباس فوالله لاسلامك يوم اسلمت كان احب الى من اسلام الخطاب لو اسلم وما بى الا انى قد
عرفت ان اسلامك كان احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسلام الخطاب لو اسلم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب به يا عباس الى رحلك فاذا اصبحت فائتنى به **وفى**
البخارى ان الحرس ظفروا بابى سفيان ومن معه وجاؤا بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاسلموا وجمع بعضهم بانه يجوز ان يكون العباس اخذهم من الحرس اى ويؤيده قول ابن
عقبة لما دخل الحرس بابى سفيان وصاحبيه لقيهم العباس بن عبد المطلب فاجارهم
اى واتى بابى سفيان فقط واخر صاحباه **قال** وفى لفظ اخذهم نفر من الانصار بعثهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم عيونا فاخذوا بخطم ابعرتهم فقالوا من انتم قالوا نحن اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وها هو فقال ابو سفيان هل سمعتم بمثل هذا الجيش نزلوا على اكباد
قوم لم يعلموا بهم فجاؤا بهم الى عمر رضى الله عنه لانه كان فى تلك الليلة على الحرس كما تقدم
فقالوا جئناك بنفر من اهل مكة فقال عمر وهو يضحك اليهم والله لو جئتمونى بابى سفيان
ما زدتم فقالوا والله اتيناك بابى سفيان فقال احبسوه فحبسوه حتى اصبح فغدا به على رسول
الله صلى الله عليه وسلم انتهى وفيه ما لا يخفى فان فى الجمع بينه وبين ما قبله بعد **قال** العباس
ولما قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب به يا عباس الى رحلك ذهبت به فلما اصبح
غدوت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اى بعد ان نودى بالصلاة وثار الناس ففزع
ابو سفيان وقال للعباس يا ابا الفضل ما يريدون قال الصلاة **وفى** رواية ما للناس امروا
فىّ قال لا ولكنهم قاموا الى الصلاة وراى المسلمين يتلقون وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم راهم يركعون اذا ركع ويسجدون اذا سجد فقال للعباس يا عباس ما يامرهم بشىء الا فعلوه
فقال له العباس لو نهاهم عن الطعام والشراب لاطاعوه فقال ما رايت ملكا مثل هذا

لا ملك كسرى فلا ملك قيصر ولا ملك بني الاصفر ثم قال يا عباس كلمه في قومك هل عنده من عفو
عنهم فانطلق العباس بابي سفيان حتى ادخله على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم انه لا اله الا الله قال بابي انت
وامي ما احلمك واكرمك واوصلك لقد ظننت انه لو كان مع الله غيره لقد اغنى عني شيئا
بعد قال ويحك يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم اني رسول الله قال بابي انت وامي اما والله هذه
فان في النفس حتى الان منها شيا قال وفي رواية ان بديلا وحكيم بن حزام لم يرجعا بل جاء مع العباس
وان العباس قال يا رسول الله ابو سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقا اجرتهم وهم يدخلون عليك
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادخلهم فدخلوا عليه فمكثوا عنده عامة الليل يستخبرهم
اي عن اهل مكة فدعاهم الى الاسلام فقالوا نشهد ان لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اشهدوا اني رسول الله فشهد بذلك بديل وحكيم بن حزام فقال ابو سفيان ما اعلم ذلك والله
ان في النفس من هذا شيئا فارجيها انتهى اي اخرها الى وقت اخر وفي اسد الغابة انه صلى الله
عليه وسلم قال ليلة قرب من مكة في غزوة الفتح ان بمكة اربعة نفر من قريش اربا بهم عن الشرك
وارغب بهم في الاسلام عتاب بن اسيد وجبير بن مطعم وحكيم بن حزام وسهيل بن عمرو
اي وهذا يدل على القول بان جبيرا اسلم يوم الفتح كما ذكرته وذكر بعضهم انه اسلم بعد
الحديبية وان محمدا ورد قبل الفتح فقال العباس لابي سفيان ويحك اسلم واشهد ان لا اله
الا الله وان محمدا رسول الله قبل ان تضرب عنقك فشهد شهادة الحق فاسلم وذكر عبد بن
حميد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له كيف اصنع بالعزى فسمعه عمر رضي الله عنه من وراء القبة فقال
له تخرا عليها فقال له ابو سفيان ويحك يا عمر انك رجل فاحش دعني مع ابن عمي فاياه اكلم وكان
في هذا تصديق امية بن ابي الصلت فانه كان يقول كنت ارى في كتبي ان نبيا يبعث من حرتنا
فكنت اظن بل كنت لا اشك اني انا هو فلما دارست اهل العلم اذا هو في بني عبد مناف فنظرت
في بني عبد مناف فلم اجد احدا يصلح لهذا الامر الا عتبة بن ربيعة فلما جاوز الاربعين سنة ولم
يوح اليه علمت انه غيره قال ابو سفيان فخرجت في ركب اريد اليمن في تجارة فمررت بامية بن
ابي الصلت فقلت له كالمستهزئ به يا امية قد خرج النبي الذي كنت تنعته قال انه حق
فاتبعه قلت ما يمنعك من اتباعه قال ما يمنعني من اتباعه الا الاستحياء من بنيات ثقيف
اني كنت احدثهن اني هو ثم يرينني تابعا لغلام من بني عبد مناف ثم قال لابي سفيان كاني بك
يا ابا سفيان ان خالفته قد ربطت كما يربط الجدي حتى يؤتى بك اليه فيحكم فيك بما يريد
رواه الطبراني في معجمه وذكر بعضهم ان امية هذا كان يتفرس في بعض الاحيان في لغات
الحيوان فمر يوما على بعير عليه امراة راكبة وهو يرفع راسه اليها ويرغو فقال هذا البعير يقول
ان في رحلها مسلة تصيب ظهره فانزلوا تلك المراة وحلوا ذلك الرحل فوجدوا المسلة كما

قال

قال وذكر ان حكيم بن حزام قال يا رسول الله اجيئت باوباش الناس من يعرف ومن لا يعرف
الى اهلك وعشيرتك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم اظلم وافجر قد غدرتم بعقد
الحديبية وظاهرتم على بني كعب بن يعني خزاعة بالاثم والعدوان في حرم الله وامنه فقال بديل
صدقت والله يا رسول الله فقد غدروا بنا والله لو ان قريشا خلوا بيننا وبين عدونا ما نالوا منا
الذي نالوا فقال حكيم قد كنت يا رسول الله حقيقا بان تجعل عدتك وكيدك لهوازن فانهم ابعد
رحما واشد عداوة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لارجو ان يجمعهما الله لي فتح مكة واعزاز
الاسلام بها وهزيمة هوازن واخذ اموالهم وذراريهم وقال له ابو سفيان يا رسول الله ادع الناس
بالامان ارايت ان اعتزلت قريش فكفت ايديها امنون هم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم من
كف يده واغلق داره فهو امن قال العباس فقلت يا رسول الله ان ابا سفيان رجل يحب الفخر
فاجعل له شيئا قال نعم من دخل دار ابي سفيان فهو امن ومن دخل المسجد فهو امن ومن القى
سلاحه فهو امن ومن اغلق بابه فهو امن ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو امن اي وحكيم بن حزام
من مسلمة الفتح وكان عمره ستين سنة وبقي في الاسلام مثل ذلك كان من اشراف قريش
في الجاهلية والاسلام اعتق في الجاهلية مائة رقبة وفي الاسلام مثل ذلك فانه حج في الاسلام
واوقف بعرفة مائة وصيف في اعناقهم اطواق الفضة منقوش عليها عتقا الله عن حكيم بن
حزام واهدى مائة بدنة وجللها بالحبرة واهدى الف شاة وعقد صلى الله عليه وسلم لابي رويحة
الذي اخى صلى الله عليه وسلم بينه وبين بلال لواء وامره ان ينادي من دخل تحت لواء ابي رويحة
فهو امن وانما قال ذلك لما قال ابو سفيان وما تسع داري وما يسع المسجد ولما قال صلى الله
عليه وسلم ذلك قال ابو سفيان وبديل وحكيم بن حزام ه اي وعلى انه انما خص ابو سفيان بالذكر
في بعض الروايات لشرفه قال له احبسه بمضيق الوادي حتى يمر به جنود الله فيراها قال العباس
ففعلت فمرت القبائل كلها كلما مرت قبيلة كبرت ثلاثا عند محاذاته قال يا عباس من هذه
فاقول سليم فيقول ما لي ولسليم اي فان اول القبائل مرت سليم وفيها خالد بن الوليد ثم تمر
قبيلة فيقول يا عباس من هؤلاء فاقول مزينة فيقول ما لي ولمزينة حتى نفدت بالفاء والدال المهملة
القبائل ما تمر قبيلة الا سالني عنها فاذا قلت له بنو فلان قال ما لي ولبني فلان اي وقد
ذكرها بعضهم مرتبة فقال اول من مر خالد بن الوليد في بني سليم بضم السين فقال ابو سفيان
يا عباس من هؤلاء قال هذا خالد بن الوليد قال الغلام قال نعم قال ومن معه قال بنو سليم قال
ما لي ولبني سليم ثم مر على اثره الزبير بن العوام رضي الله عنه في خمسمائة من المهاجرين وفتيان
العرب فقال ابو سفيان من هؤلاء قال الزبير قال ابن اختك قال نعم ثم مرت بنو غفار بكسر الغين
المعجمة ثم اسلم ثم بنو كعب ثم مزينة ثم جهينة ثم كنانة ثم اشجع ولما مرت اشجع قال ابو سفيان
للعباس هؤلاء كانوا اشد العرب على محمد قال العباس ادخل الله الاسلام في قلوبهم فهذا فضل

الله حتى مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبته الخضراء للبسهم الحديد والعرب تطلق
الخضرة على السواد كما تطلق السواد على الخضرة وفيها المهاجرون والانصار لا يرى منهم الا
الحدق من الحديد اي فيها الفاد ارع وعمر بن الخطاب يقول رويدا حتى يلحق اولكم اخركم قال سبحان
الله يا عباس من هولا قلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الانصار فقال ما لاحد بهولا قبل
ولا طاقة فقال ابو سفيان والله يا ابا الفضل لقد اصبح ابن اخيك ملك ابن اخيك اليوم عظيما
قلت يا ابا سفيان انها النبوة قال نعم اذن ثم قلت له النجا بالفتح والمد الى قومك حتى اذا
جاءهم صرخ باعلا صوته يا معشر قريش هذا محمد قد جاكم فيما لا قبل لكم به فمن دخل دار ابي سفيان
فهو امن فقامت اليه زوجته هند بنت عتبة ام معاوية رضي الله عنهما فاخذت بشاربه وقالت
كلاما معناه اقتلوا الخبيث الدنس الذي لا خير فيه قبح من طليعة قوم اي **وفي** رواية انها
اخذت بلحيته ونادت يا ال غالب اقتلوا الشيخ الاحمق هلا قاتلتم ودفعتم عن انفسكم وبلادكم
فقال لها ويحك اسكتي وادخلي بيتك وقال ويلكم لا يغرنكم هذه من انفسكم فانه قد جاكم
ما لا قبل لكم به من دخل دار ابي سفيان فهو امن قالوا قاتلك الله وما تغني عنا دارك قال ومن
اغلق عليه بابه فهو امن ومن دخل المسجد فهو امن اي ومن القى سلاحه فهو امن ومن دخل
دار حكيم بن حزام فهو امن اي ومن دخل تحت لواء ابي رويحة فهو امن فتفرق الناس الى دورهم
والى المسجد اي وبهذا استدل على ان مكة فتحت صلحا لا عنوة وبه قال اصحابنا الشافعي رضي الله تعالى
عنه وقال غيره فتحت عنوة **وفي** رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم وجه حكيم بن حزام مع ابي
سفيان بعد اسلامهما الى مكة وقال من دخل دار حكيم بن حزام فهو امن وكانت باسفل مكة
ومن دخل دار ابي سفيان فهو امن وكانت باعلا مكة واستثنى صلى الله عليه وسلم جماعة
امر بقتلهم وهم احد عشر رجلا اي **وفي** الامتاع ستة نفر واربع نسوة وان وجدوا متعلقين
باستار الكعبة منهم عبد الله بن ابي سرح وهو اخو عثمان بن عفان من الرضاعة وكان فارس
بني عامر وكان من النجبا العقلا الكرام من قريش رضي الله عنه فانه اسلم بعد ذلك وعبد الله بن
خطل وقينتاه وعكرمة بن ابي جهل رضي الله عنه فانه اسلم بعد ذلك والحويرث بن نقيل
ومقيس بن صبابة وهبار بن الاسود رضي الله عنه فانه اسلم بعد ذلك وكعب بن زهير رضي
الله عنه فانه اسلم بعد ذلك وهو صاحب بانت سعاد والحارث بن هشام رضي الله تعالى
عنه فانه اسلم بعد ذلك وهو اخو ابي جهل لابويه وزهير بن امية رضي الله عنه فانه اسلم بعد
وسارة مولاة لبعض بني عبد المطلب رضي الله عنها فانها اسلمت بعد ذلك وعاشت الى خلافة
ابي بكر وتقدم انها كانت حاملة لكتاب حاطب بن ابي بلتعة وصفوان بن امية رضي الله تعالى
عنه فانه اسلم بعد وزهير بن ابي سلمى اي وهند بنت عتبة امراة ابي سفيان رضي الله عنهما
فانها اسلمت ووحشي بن حرب رضي الله تعالى عنه فانه اسلم بعد **وفي** رواية ان سعد بن

عبادة كان معه راية رسول الله صلى الله عليه وسلم اي على الانصار ولما مر على ابي سفيان وهو
واقف بمضيق الوادي قال ابو سفيان من هذه فقال العباس هولا الانصار عليهم سعد بن عبادة
معه الراية فلما حاذاه سعد قال يا ابا سفيان اليوم يوم الملحمة اي الحرب والقتال اليوم تستحل
الحرمة اي **وفي** لفظ الكعبة اليوم اذل الله قريشا فلما اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم في
بعضهم ورايته مع الزبير فلما مر بابي سفيان وحاذاه ابو سفيان ناداه يا رسول الله امرت
بقتل قومك فانه زعم سعد ومن معه حين مر بنا انه قاتلنا اي فانه قال اليوم يوم الملحمة اليوم
تستحل الحرمة اليوم اذل الله قريشا انشدك الله في قومك فانت ابر الناس وارحمهم واوصلهم
فقال عثمان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما يا رسول الله ما نامن من سعد ان يكون منه في قريش
صولة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا سفيان كذب سعد اليوم يوم المرحمة اليوم اعز الله
فيه قريشا اي **وفي** لفظ اليوم يعظم الله فيه الكعبة اليوم تكسى فيه الكعبة فارسل رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى سعد بن عبادة اي ارسل عليا ان ينزع اللوا منه ويدفعه لابنه قيس رضي
الله عنهما اي لان قيسا كان من دهاة العرب واهل الراي والمكيدة في الحرب مع النجدة والبسالة
والشجاعة من وقف على ما وقع بينه وبين معاوية لما ولاه سيدنا علي بعد قتل سيدنا عثمان
مصر لراى من العجب وفور عقله ومع ذلك كان له من الكرم ما لا مزيد عليه وقفت له عجوز وقالت
له اشكو اليك قلة الجرذان ببيتي والجرذان بالذال المعجمة نوع من الفيران فقال ما احسن
هذا السؤال وقال لها لاكثرن جرذان بيتك فلا ميتها طعاما وادما وقيل قالت له ليس في
جرذان بيتي على العصا فقال لها لادعهن يثبون وثب الاسود ثم ملا لها بيتها طعاما ولا ما نع
من تعدد الواقعة **ومن هذا الوادي** ما كتب به بعضهم الى عبد الملك بن مروان
يا امير المؤمنين اشكو اليك الشرف فقال ما احسن ما استمحت واعطاه عشرة الاف درهم
فقيل له في ذلك فقال يسال ما لا يقدر عليه ويجنذ رملا بعد ولما اشرف ابوه سعد على الموت
قسم ماله في الاولاد وكان له حمل لم يشعر به فلما مات سعد وولد ذلك الحمل فكلم ابو بكر وعمر
رضي الله عنهما في ان ينقض ما صنع ابوه من تلك القسمة فقال نصيبي للمولود ولا اغير ما صنع
ابي ولم يكن في وجه قيس شعر وكان مع ذلك جميلا وكانت الانصار تقول وددنا ان نشتري
لقيس بن سعد لحية باموالنا وكان له ديون على كثير من الناس فلما مرض استبطا عواده فقيل
له انهم مستحيون من اجل دينك فامر مناديا ينادي كل من كان لقيس بن سعد عليه دين فهو له
فاتاه الناس حتى هدموا درجة كان يصعد عليها اليه وراى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اللوا
لم يخرج عن سعد اذ صار لابنه قيس رضي الله عنهما **قال** وروي ان سعدا ابى ان يسلم اللوا الا
بامارة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل اليه صلى الله عليه وسلم بعمامته فدفع
اللوا لابنه قيس انتهى وقيل اعطاه الزبير اي وقيل لعلي خشية ان يقع من ابنه قيس

تالا يرضاه صلى الله عليه وسلم وفي صحيح البخاري ان كتيبة الانصار جاءت مع سعد بن
عبادة ومعه الراية ولم ير مثلها ثم جاءت كتيبة وهي اقل وفي رواية الحميدي اجل الكتائب بالجيم
قال في الاصل وهو اظهر من رواية اقل لانها كانت خاصة المهاجرين فيهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم والراية مع الزبير وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد ان يدخل مع جملة
من قبائل العرب من اسفل مكة اي وان يغرز رايته عند ادنى البيوت وقال لا تقاتلوا الا من
قاتلكم وكان صفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو اي رضي الله عنهم فانهم اسلموا
بعد ذلك ٥ قد جمعوا اناسا بالخندمة وهو جبل بمكة ليقاتلوا وكان من جملتهم رجل كان
يعد سلاحا ويصلح من شأنه فتقول له زوجته اي وقد كانت اسلمت سرا لماذا تعد ما ارى فيقول
لمحمد واصحابه فتقول له والله ما اراه يقوم لمحمد واصحابه شيء قال والله اني لارجو ان اخدمك
بعضهم وفي تاريخ مكة للازرقي قال رجل من قريش لامرأته وهي تبري نبالا له وكانت قد
اسلمت سرا فقالت له لم تبري هذا النبل قال بلغني ان محمدا يريد ان يفتح مكة ويغزوها فلئن
كان لاخدمنك خادما من بعض من نستأسر فقالت والله لكاني بك قد رجعت تطلب مخبأ لجبنك
فيه لو رأيت خيل محمد فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح اقبل ذلك الرجل اليها فقال
ويحك هل من مخبأ فقالت له فاين الخادم فقال لها دعيني عنك وانشد الابيات الآتية هذا
كلامه وسبب ذلك ان خالد بن الوليد لما لقيهم بالمحل المذكور منعوه الدخول ورموه بالنبل
وقالوا لا تدخلها عنوة فصاح خالد في اصحابه فقتل من قتل وانهزم من لم يقتل وكان من جملة
من انهزم ذلك الرجل وفي رواية انه لما دخل بيته قال لامرأته اغلقي علي بابي قالت واين ما
كنت تقول اين الخادم التي كنت وعدتني تسخر به فقال

انك لو شهدت يوم الخندق * عبارة الازرقي
وانك لو ابصرتنا بالخندق * اذ فر صفوان وفر عكرمة
واستقبلتنا بالسيوف المسلمة * تقطع كل ساعد وجمجمة
ضربا فلا تسمع الا غمغمة * لهم نهيت حولنا وهمهمة
لا تنطقي في اللوم ادنى كلمة

والغمغمة الصوت الذي لا يفهم والنهيت بالمثناة تحت وفوق الزحير والهمهمة صوت في
الصدر اي واستمر خالد يدفعهم الى ان وصل الحزورة الى باب المسجد اي وصعدت طائفة منهم
الجبل فتبعهم المسلمون فرأى صلى الله عليه وسلم وهو على العقبة بارقة السيوف فقال صلى الله
عليه وسلم ما هذا وقد نهيت عن القتال فقيل له لعل خالدا قوتل وبدئ بالقتال فلم يكن له
بد من ان يقاتلهم وما كان يا رسول الله ليخالف امرك فقتل من المشركين اربعة وعشرين من قريش
واربعة من هذيل وفي رواية جعل صلى الله عليه وسلم الزبير على احد المجنبتين اي وهما

الكتيبتين

الكتيبتين تاخذ احداهما اليمين والاخرى اليسار من الطريق والقلب بينهما وخالد على الاخرى
وابا عبيدة على الرجالة وفي لفظ على الحسر بضم الحاء المهملة وتشديد السين المهملة اي الذين
لا دروع لهم قال في شرح مسلم فهم رجالة لا دروع عليهم وقد اخذوا بطن الوادي ولعل ذلك
كان قبل الدخول الى مكة فلا ينافي ما سيأتي انه صلى الله عليه وسلم اعطى الزبير رضي الله عنه رايته
وامره ان يغرزها بالحجون لا يبرح حتى يأتيه في ذلك المحل وفي ذلك المحل بني مسجد يقال له مسجد
الراية وقد بوشت قريش اوباشا لها اي جموعا من قبائل شتى فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابا هريرة رضي الله عنه وقال له اهتف اي صح لي بالانصار فهتف بهم فجاؤا وطافوا برسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال لهم ترون الى اوباش قريش واتباعهم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيديه احداهما على الاخرى احصدوهم حصدا حتى توافوني بالصفا اي وتخلوا من اعلا مكة قال
ابو هريرة رضي الله عنه فانطلقنا فما شاء احد منا ان يقتل منهم ما شاء وما احد توجه الينا منهم
شيئا وفي لفظ فما نشاء ان نقتل احدا منهم الا قتلناه اي لا يقدر ان يدفع عن نفسه فجاء
ابو سفيان رضي الله عنه فقال يا رسول الله ابيحت خضراء قريش لا قريش اي لا جماعة لقريش
بعد اليوم لان الجماعة المجتمعة يعبر عنها بالسواد الاعظم فيقال السواد الاعظم ويعبر عنها
بالخضرة كما هنا فالمراد جماعة قريش وعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم من اغلق بابه فهو
امن قال وتوجه صلى الله عليه وسلم اللوم على خالد بن الوليد رضي الله عنه وقال له لم قاتلت وقد
نهيت عن القتال قال هم يا رسول الله بدؤنا بالقتال ورمونا بالنبل ووضعوا فينا السلاح
وقد كففت ما استطعت ودعوتهم الى الاسلام فابوا حتى اذا لم اجد بدا قاتلتهم فظفرنا الله
تعالى بهم فهربوا في كل وجه وفي لفظ انه صلى الله عليه وسلم قال لرجل من الانصار عنده يا فلان
قال لبيك يا رسول الله قال ائت خالد بن الوليد وقل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يامرك ان لا تقتل بمكة احدا فجاء الانصاري فقال يا خالد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرك
ان تقتل من لقيت من الناس فاندفع خالد فقتل سبعين رجلا بمكة فجاء النبي صلى الله عليه وسلم
رجل من قريش فقال يا رسول الله هلكت قريش لا قريش بعد اليوم قال لم قال هذا خالد بن الوليد
لا يلقى احدا من الناس الا قتله قال ادع لي خالدا فدعاه فقال يا خالد الم ارسل اليك ان لا
تقتل احدا قال بل ارسلت الي ان اقتل من قدرت عليه قال صلى الله عليه وسلم ادع لي الانصاري
فدعاه له فقال اما امرتك ان تأمر خالدا ان لا يقتل احدا قال بلى ولكنك اردت امرا واراد الله غيره
فسكت صلى الله عليه وسلم ولم يقل للانصاري شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى الله
ثم قال كفوا السلاح الا خزاعة عن بني بكر الى صلاة العصر وهي الساعة التي احلت لرسول
الله صلى الله عليه وسلم اي وهذه المقاتلة التي وقعت لخالد رضي الله عنه لا تنافي كون مكة
فتحت صلحا كما تقدم اي لانه صالحهم بمر الظهران قبل دخول مكة وقوله صلى الله عليه وسلم من

دخل دار ابي سفيان فهو امن ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو امن ومن القى سلاحه فهو امن
ومن اغلق بابه فهو امن ومن دخل المسجد فهو امن ومن دخل تحت لوا ابي رويحه فهو امن فهو من
زيادة الاحتياط لهم في الامان وقوله احصدوهم حصدا محمول على من اظهر من الكفار القتال
ولم يقع قتال ومن ثم قتل خالد رضي الله عنه من قاتل من الكفار وارادة على رضي الله عنه قتل
الرجلين اللذين امنتهما اخته ام هانى كما سياتى لعله تاولا ولم فيهما شيئا اوجرى منهما
قتال او نا ميين ام هانى لهما تاكيد الامان الذى وقع للعموم فلا حجة في كل ما ذكر على ان
مكة فتحت عنوة كما قال الجمهور وقيل اعلاها فتح صلحا اى الذى سلكه ابو هريرة
والانصار لعدم وجود المقاتلة فيه واسفلها الذى سلكه خالد رضي الله عنه فتح عنوة
لوجود القتال فيه كما تقدم **ودخل** صلى الله عليه وسلم مكة وهو راكب على ناقته القصوى
اى مردفا اسامة بن زيد بكرة يوم الجمعة معتجرا بشقة برد حبرة حمرا واضعا راسه الشريف
على رحله تواضعا لله تعالى حين راى ما راى من فتح الله تعالى مكة وكثرة المسلمين ثم قال
اللهم ان العيش عيش الاخرة وقيل دخل صلى الله عليه وسلم وعلى راسه المغفر وقيل
وعليه عمامة سودا حرقانية قد ارخى طرفيها بين كتفيه بغير احرام ورايته سودا ولواه اسود
وعن جابر رضي الله عنه كان لوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم دخل فتح مكة ابيض **وعن**
عائشة رضي الله تعالى عنها كان لواه يوم الفتح ابيض ورايته سودا تسمى العقاب اى وهى التى
كانت بخيبر وتقدم انها كانت من برد عائشة وعنها رضي الله عنها انها قالت دخل رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح من كدا بفتح الكاف والمد والتنوين من اعلا مكة وهذا هو
المعروف خلافا لمن قال انه دخل من اسفل مكة ومن ثنية كدا بضم الكاف والقصر والتنوين
وسياتى انه عند الخروج خرج صلى الله عليه وسلم من هذه وبهذا استدل ابمتنا على انه
يستحب دخول مكة من الاولى والخروج منها من الثانية اى واغتسل صلى الله عليه وسلم لدخول
مكة كما حكاه امامنا الشافعى في الام وبه استدل على استحباب الغسل لداخل مكة ولو كان
حلالا اى وسياتى ذلك عن ام هانى رضي الله عنها وكان شعار المهاجرين يا بنى عبد الرحمن
وشعار الخزرج يا بنى عبد الله وشعار الاوس يا بنى عبيد الله اى شعارهم الذى يعرف به بعضهم
بعضا في ظلمة الليل وعند اختلاط الحرب لو وجد **ولما** نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة
واطمان الناس **قال** وذلك بالحجون موضع ما غرز الزبير رضي الله عنه رايته صلى الله عليه
وسلم عند شعب ابى طالب المكان الذى حصرت فيه بنوا هاشم اى وبنوا المطلب قبل الهجرة
بقية من ادم نصبت له هناك ومعه صلى الله عليه وسلم فيها ام سلمة وميمونة زوجتاه رضي
الله عنهما **فعن** جابر رضي الله عنه لما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيوت مكة وقف فحمد الله
واثنى عليه ونظر الى موضع قبته وقال هذا منزلنا يا جابر حيث تقاسمت قريش علينا قال جابر

رضي الله

رضي الله عنه فذكرت حديثا كنت سمعته منه صلى الله عليه وسلم قبل ذلك بالمدينة منزلنا
اذا فتح الله علينا مكة في خيف بنى كنانة حيث تقاسموا على الكفر اى لان قريشا وكنانة تحالفت
على بنى هاشم وبنى المطلب ان لا يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا اليهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى اخر ما تقدم في قصة الصحيفة انتهى وفيه انه سياتى في حجة الوداع انهم نزلوا
بالمحصب **ففى** البخارى عن ابى هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال اليوم من الغد وهو بمنى
نحن نازلون غدا بخيف بنى كنانة حيث تقاسموا على الكفر يعنى بذلك المحصب **وعن** اسامة
ابن زيد رضي الله عنهما قال يا رسول الله اين تنزل غدا تنزل في دارك فقال وهل ترك لنا عقيل
من دار وتقدم ما يعينى عن اعادته هنا فكان صلى الله عليه وسلم ياتى المسجد من الحجون لكل صلاة
وكان دخوله مكة يوم الاثنين فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم ولد
يوم الاثنين ووضع الحجر يوم الاثنين وخرج من مكة مهاجرا يوم الاثنين اى ودخل
المدينة يوم الاثنين ونزلت سورة المائدة يوم الاثنين ثم لما سار صلى الله عليه وسلم سار الى
جانبه ابو بكر يحادثه ويقرا سورة الفتح حتى جا البيت فطاف به سبعا على راحلته اى
ومحمد بن مسلمة اخذ بزمامها يستلم الحجر بمحجن في يده **وعن** ابن عباس رضي الله عنهما دخل رسول
الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وعلى الكعبة ثلاثمائة وستون صنما لكل حى من احياء
العرب صنم وقد شد ابليس اقدامها بالرصاص فجاء صلى الله عليه وسلم ومعه قضيب فجعل يهوى
به الى كل صنم منها فيخر لوجهه **وفى** لفظ لقفاه وفى لفظ فما اشار الى صنم منها في وجهه
الا وقع لقفاه ولا اشار لقفاه الا وقع لوجهه من غير ان يمسه بما في يده يقول جا الحق
وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا حتى مر عليها كلها **وفى** رواية فاقبل رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى الحجر فاستلمه ثم طاف بالبيت وفى يده قوس اخذ بسيته والسية ما انعطف
من طرف القوس فاتى صلى الله عليه وسلم في طوافه على صنم الى جنب البيت اى من جهة بابه يعبدونه
اى وهو هبل وكان اعظم الاصنام فجعل يطعن بها في عينيه ويقول جا الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا اى فامر صلى الله عليه وسلم به فكسر فقال الزبير بن العوام لابى سفيان طل
قد كسر هبل اما انك قد كنت يوم احد في غرور حين تزعم انه قد انعم فقال ابو سفيان دع
عنك هذا يا ابن العوام فقد ارى لو كان مع اله محمد غيره لكان غير ما كان اى وانتهى صلى
الله عليه وسلم الى المقام وهو يومئذ لاصق بالكعبة **قال** وعن على رضي الله عنه قال انطلق
بى رسول الله صلى الله عليه وسلم اى ليلا حتى اتى الكعبة فقال اجلس فجلست الى جنب الكعبة
فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على منكبى ثم قال انهض فنهضت فلما راى ضعفى تحته
قال اجلس فجلست ثم قال صلى الله عليه وسلم يا على اصعد على منكبى ففعلت اى **وفى** رواية انه صلى
الله عليه وسلم قال لعلى اصعد على ظهرى واهدم الصنم فقال يا رسول الله بل اصعد انت فانى

اكرمك ان اعلوك فقال انك لا تستطيع حمل ثقل النبوة فاصعد انت فجلس النبي صلى
الله عليه وسلم فصعد على فوق كاهله ثم نهض به قال على فلما نهض بى فصعدت فوق ظهر الكعبة
وتنحى رسول الله صلى الله عليه وسلم اى وخيل لى حين نهض بى ان لو شئت لنلت افق السماء
اى وفى رواية قيل لعلى كيف كان حالك وكيف وجدت نفسك حين كنت على منكبى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال كان من حالى انى لو شئت ان اتناول الثريا لفعلت وعند صعوده
كرم الله وجهه قال له صلى الله عليه وسلم الق صنمهم الاكبر وكان من نحاس وقيل من قوارير
اى زجاج وفى رواية لما القى الاصنام لم يبق الا صنم خزاعة موتدا باوتاد من حديد فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم عالجه فعالجته وهو يقول ايه ايه جا الحق وزهق الباطل ان
الباطل كان زهوقا فلم ازل اعالجه حتى استمكنت منه فقذفته فتكسر اقول وهذا السياق
يدل على ان هذا الصنم غير هبل وان هبل ليس اكبر اصنامهم بل هذا اكبر منه ولم اقف على
اسمه ومما يدل على ان الذى كسر هو هبل قول الزبير رضى الله عنه كما تقدم لابى سفيان اما هبل الذى
كنت تفتخر به يوم احد فقد كسر قال دعنى ولا توبخنى لو كان مع اله محمد اله اخر لكان الامر غير ذلك
وفى الكشاف القاها جميعها وبقى صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر فقال صلى
الله عليه وسلم يا على ارم به فحمله رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد فرمى به فكسره فجعل
اهل مكة يتعجبون ويقولون ما راينا اسحر من محمد وفى خصائص العشرة لصاحب الكشاف
زيادة وهى ونزلت من فوق الكعبة وانطلقت انا والنبى صلى الله عليه وسلم نسعى وخشينا
ان يرانا احد من قريش هذا كلامه وهو يدل على ان ذلك لم يكن يوم فتح مكة فليتامل وفى
الكشاف ايضا كان حول البيت ثلثمائة وستون صنما لكل قوم صنم بحيالهم وعن ابن عباس
رضى الله عنهما كانت لقبائل العرب يحجون اليها وينحرون لها فشكى البيت الى الله عز وجل فقال
يا رب حتى متى تعبد هذه الاصنام حولى دونك فاوحى الله تعالى الى البيت انى سأحدث لك
توبة جديدة فاملأك خدودا سجدا يدفون اليك دفيف النسور ويحنون اليك حنين الطير
الى بيضها لهم عجيج حولك بالتلبية هذا كلامه ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
الكعبة اى بعد ان ارسل بلالا رضى الله عنه الى عثمان بن طلحة يأتى بمفتاح الكعبة الى اخر ما ياتى
وبعد ان ارسل بلالا بحيث منها الصور اى فانه صلى الله عليه وسلم امر عمر وهو بالبطحا ان
ياتى الكعبة فيمحو كل صورة فيها وكان عمر رضى الله عنه قد ترك صورة ابراهيم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا عمر الم امرك ان لا تدع فيها صورة قاتلهم الله جعلوه شيخا يستقسم
بالازلام ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين
هذا وفى كلام سبط ابن الجوزى قال الواقدى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب
وعثمان بن عفان رضى الله عنهما ان يقدما الى البيت وقال لعمر لا تدع صورة الا محوتها الا صورة

ابراهيم

ابراهيم هذا كلامه فليتامل وفى رواية عن اسامة بن زيد رضى الله عنهما قال دخلت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الكعبة فراى صورا فدعى بدلو من ماء فاتيته به فجعل صلى الله
عليه وسلم يمحوها اى وتلك الصور هى صور الملائكة وصورة ابراهيم واسماعيل فى ايديهما
الازلام يستقسمان بها اى واسحاق وبقية الانبيا كما تقدم فى بنيان قريش الكعبة وصورة
مريم فقال قاتل الله قوما يصورون ما لا يخلقون قاتلهم الله لقد علموا انهما لم يستقسما بالازلام
قط اى ولا منافاة لانه يجوز ان يكون عمر رضى الله عنه ترك مع صورة ابراهيم صورة اسماعيل
ومريم وصورة الملائكة ووجد صورة حمامة من عيدان بفتح المهملة فكسرها بيده ثم طرحها
ودعى بزعفران فلطخ بتلك التماثيل اى بمواضعها وصلى بها ركعتين بين اسطوانتين وفى
لفظ بين العمودين اليمانيين وفى لفظ المقدمين وبينه وبين الجدار ثلاثة اذرع انتهى
اى وفى الترمذى دخل صلى الله عليه وسلم البيت وكبر فى نواحيه ولم يصل وفى رواية
لمسلم دخل صلى الله عليه وسلم هو واسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة زاد فى رواية الفضل
ابن العباس قال الحافظ ابن حجر وهى رواية شاذة فاغلقوا عليهم الباب وفى لفظ اخر
فاغلقاه اى عثمان وبلال فاجاف اى اغلق عليهم عثمان الباب وجمع بان عثمان هو المباشر
لذلك لانه من وظيفته وبلال رضى الله عنه كان مساعدا له فى الغلق اى ولما دخلوا
كان خالد بن الوليد يذب الناس وهو واقف على باب الكعبة قال ابن عمر رضى الله عنهما
فلما فتحوا كنت اول من ولج فلقيت بلالا فسألته هل صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال نعم وذهب عنى ان اساله كم صلى وهذا يدل على ان قول بلال رضى الله عنه انه صلى الله
عليه وسلم قال اخبرنى اسامة بن زيد انه صلى الله عليه وسلم لما دخل البيت دعا فى نواحيه
كلها ولم يصل فيه حتى خرج فلما خرج ركع فى قبل البيت ركعتين اى بين الباب والحجر الذى
هو الملتزم وقال هذه القبلة فبلال مثبت للصلاة فى الكعبة واسامة ناف والمثبت
مقدم على النافى على انه جا ان اسامة اخبر ايضا بانه صلى الله عليه وسلم صلى فى الكعبة
واجيب بانه حيث اثبت اعتمد قول بلال وحيث نفى اعتمد ما عنده اى وفى مجمع الزوائد
للحافظ الهيثمى عن ابن عباس رضى الله عنهما دخل صلى الله عليه وسلم الكعبة فصلى بين الساريتين
ركعتين ثم خرج فصلى بين الباب والحجر ركعتين ثم قال هذه القبلة ثم دخل مرة اخرى
فقام يدعو ولم يصل فالنقل عن ابن عباس اختلف وسبب الاختلاف تعدد دخوله صلى
الله عليه وسلم ففى المرة الاولى دخل وصلى وفى المرة الثانية دخل ولم يصل وهذا السياق
يدل على ان ذلك كان يوم الفتح وفى كلام بعضهم رواية ابن عباس ورواية بلال صحيحتان
لانه صلى الله عليه وسلم دخله يوم النحر فلم يصل ودخله من الغد فصلى وذلك فى حجة
الوداع هذا كلامه فليتامل اى ثم انه صلى الله عليه وسلم جا الى مقام ابراهيم وكان لاصقا

بالكعبة فصلى ركعتين ثم اخره على ما تقدم ودعا صلى الله عليه وسلم بماء فشرب منه وتوضأ وفي
لفظ ثم انصرف صلى الله عليه وسلم الى زمزم فاطلع فيها وقال لولا ان تغلب بنو عبد المطلب اي
تغلبهم الناس على وظيفتهم وهي النزع من زمزم لنزعت منها دلوا اي فان الناس يعتقدون
به صلى الله عليه وسلم في ذلك مع ان النزع من وظيفة بني عبد المطلب وانتزع له العباس
دلوا فشرب منه وتوضأ فابتدر المسلمون يصبون على وجوههم وفي لفظ لا تسقط قطرة
الا في يد انسان ان كان قدر ما يشربها شربها والا مسح بها جلده والمشركون يقولون ما رأينا
ولا سمعنا ملكا قط بلغ هذا ولما جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد والناس
حوله خرج ابو بكر وجاء بابيه رضي الله عنهما يقوده وقد كان كف بصره فلما راه رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال هلا تركت الشيخ في بيته حتى اكون انا اتيه وفي لفظ لو اقررت الشيخ في بيته
لاتيناه تكرمة لابي بكر فقال ابو بكر يا رسول الله هو احق ان يمشي اليك من ان تمشي اليه انت
فاجلسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال
اسلم تسلم فاسلم وهنأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر باسلام ابيه رضي الله عنهما وعند
ذلك قال ابو بكر رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق لاسلام ابي طالب كان
اقر لعيني من اسلامه يعني اباه ابا قحافة وذلك ان اسلام ابي طالب كان اقر لعينك كذا في
الشفا وكان راس ابي قحافة ولحيته بيضا كالثغامة فقال غيروهما وجنبوه السواد اي وفي
رواية واجتنبوا السواد وجاء غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود والنصارى وفي رواية
اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم وجاء ان احسن ما غيرتم به هذا الشيب الحنا والكتم
وعن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خضب بالحنا والكتم قال ابن عبد البر
والصحيح انه صلى الله عليه وسلم لم يخضب ولم يبلغ من الشيب ما يخضب له وقد اختضب ابو بكر
رضي الله عنه بالحنا والكتم واختضب عمر رضي الله عنه بالحنا وجاء يا معشر الانصار حمروا وصفروا
وخالفوا اهل الكتاب وكان عثمان يصفر وعن انس رضي الله عنه دخل رجل على النبي صلى الله عليه
وسلم وهو ابيض الراس واللحية فقال الست مؤمنا قال بلى قال فاختضب لكن قيل انه حديث
منكر وجاء من خضب بالسواد سود الله وجهه يوم القيمة لكن قيل انه حديث منكر وجاء
يكون اخر الزمان رجال من امتي يغيرون بالسواد لا ينظر الله اليهم يوم القيمة قيل هو غريب
جدا قال بعضهم ولعل من خضب بالسواد من الصحابة كسعد بن ابي وقاص والحسن والحسين
رضي الله عنهم اي وعقبة بن عامر المدفون بمصر قال بعضهم ليس بمصر قبر صحابي متفق عليه الا قبر
عقبة بن عامر فانه كان يخضب بالسواد وهو القائل في ذلك

نسود اعلاها وتأبى اصولها ۞ ولا خير في اعلا اذا فسد الاصل

وكان واليا على مصر من جهة معاوية فعزله بمسلمة بن مخلد وامره بالغزو في البحر فكان

يقول

يقول ما انصفنا يعني معاوية عزلنا وغربنا ما بلغهم النهي او فهموا ان النهي للكراهة
التنزيهية وقد جاء اول من خضب من الشيب ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين راه في عارضه
فقال عليه الصلاة والسلام يا رب ما هذا الشوه الذي شوهت به خليلك فاوحى الله تعالى
اليه هذا سربال الوقار ونور الاسلام وعزتي وجلالي ما البسته احدا من خلقي يشهد ان لا
اله الا انا وحدي لا شريك لي الا استحييت منه يوم القيمة ان انصب له ميزانا او انشر
له ديوانا او اعذبه بالنار فقال يا رب زدني فاصبح راسه مثل الثغامة البيضا وفي المشكاة
قال صلى الله عليه وسلم يكون قوم في اخر الزمان يخضبون بهذا السواد لا يجدون رائحة الجنة
رواه ابو داود والنسائي اي وفي كلام ابن الجوزي اول من خضب بالسواد فرعون ومن اهل
مكة اي من العرب عبد المطلب بن هاشم وعن عمر رضي الله عنه اخضبوا بالسواد فانه انكى
للعدو واحب للنسا فلينظر وكان لابي بكر رضي الله عنه اخت صغيرة في عنقها طوق من فضة
اقتلعه انسان من عنقها فاخذ ابو بكر بيد اخته وقال انشدكم بالله والاسلام طوق اختي فما
اجابه احد ثم قال الثانية والثالثة فما اجابه احد فقال يا اخية احتسبي طوقك فوالله ان الامانة
في الناس اليوم لقليل قال بعضهم لم يعش لابي قحافة ولد ذكر الا ابو بكر ولم يعرف له بنت الا ام
فروة التي انكحها ابو بكر من الاشعث بن قيس وكانت قبله تحت تميم الداري وهي المذكورة هنا
وقيل له بنت اخرى تسمى قريبة وعليه فيحتمل ان تكون هي المذكورة هنا وتقدم اسلام ام ابي بكر
لما كان المسلمون في دار الارقم وامه بنت عم ابيه قال بعضهم لم يكن احد في الصحابة من المهاجرين
والانصار اسلم هو ووالداه وجميع ابنائه وبناته غير ابي بكر وبنوه ثلاث عبد الله وهو اكبرهم
مات اول خلافة والده وعبد الرحمن ومحمد رضي الله عنهم ولد محمد في حجة الوداع وهو المقتول
بمصر وبناته ثلاثة ايضا اسماء وهي اكبرهن وهي شقيقة عبد الله وعائشة وهي شقيقة عبد الرحمن
وام كلثوم مات ابو بكر وهي ببطن امها وقد انزل الله تعالى في حقه رب اوزعني ان اشكر نعمتك
التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه واصلح لي في ذريتي الاية قال بعضهم
لا يعرف في الصحابة اربعة اسلموا وصحبوا النبي صلى الله عليه وسلم وكل واحد ابو الذي تحته الا في بيت
ابي بكر ابو قحافة وابنه ابو بكر وابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن محمد ويكنى بابي عتيق اي وقد
قيل هل تعرفون اربعة راوا النبي صلى الله عليه وسلم في نسق اي من الذكور كل ابن الذي قبله اجيب
بانهم هؤلاء الاربعة ابو قحافة وابنه ابو بكر وابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن محمد وبقولنا
من الذكور لا يرد ما اورد على ذلك ان هذا يصدق على ابي قحافة وابنه ابي بكر وبنته اسما
وابنها عبد الله بن الزبير نعم يرد على ذلك حارثة ابو زيد فانه اسلم على ما ذكره الحافظ
المنذري وراى النبي صلى الله عليه وسلم بعد اسلامه وابنه زيد بن حارثة وابنه اسامة بن
زيد وجاء اسامة يولد في حياته صلى الله عليه وسلم اي ويحتاج الى اثبات كونه صلى الله عليه وسلم

راه ذلك المولود الا انه يقال كان من شانهم اذا ولد لاحدهم مولود جاء به الى النبي صلى الله عليه
وسلم فيحنكه ويسميه خصوصا وهذا المولود ابن رجب للحب ولم نقف على اسم هذا المولود فيراجع
في اسماء الصحابة وجينئذ يقال لاجل عدم ورود من ذكو ليس لنا اربعة ذكور معروفا اسماؤهم
بعد الوقوف على اسم ذلك المولود لاجل عدم الورود ويقال ليس لنا اربعة من غير الموالي
الا ابو قحافة وابنه ابو بكر وابن ابي بكر عبد الرحمن وابن عبد الرحمن محمد ابو عتيق فلينا امل
لا يقال هذا موجود في غير بيت الصديق فقد ذكروا في الصحابة اربعة كذلك اي ذكور كل واحد ابو
الذي بعده عرفنا اسماؤهم وليس فيهم مولاهم اياس بن سلمة بن عمرو بن الال لانا نقول المراد المتفق
على صحبتهم وهؤلاء لم يقع الاتفاق على صحبتهم ومن الفوايد المستحسنة انه ليس في الصحابة
قال بعضهم ولا في التابعين من اسمه عبد الرحيم وثلاثة ذكور ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم على
نسق وهم السايب والد امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه وابوه وجده عبد يزيد **ثم اتى**
رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا فعلاه حيث ينظر الى البيت فرفع يديه فجعل يذكر الله بما
شا ان يذكره ويدعوه والانصار تحته قال بعضهم لبعض اما الرجل فادركته رغبة في قريته
ورافة بعشيرته فنزل الوحي عليه بما ذكر القوم فلما قضي الوحي رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم
راسه وقال يا معشر الانصار قلتم اما الرجل فادركته رغبة في قريته ورافة بعشيرته قالوا
قلنا ذلك يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم فما اسمي اذن اي ان فعلت ذلك كيف اسمى
واوصف باني عبد الله ورسوله كلا لا افعل ذلك اني عبد الله ورسوله اي ومن كان هذا وصفه
لا يفعل ذلك هاجرت الى الله واليكم فالمحيا محياكم والممات مماتكم فاقبلوا اليه يبكون ويقولون
والله ما قلنا الذي قلنا الا الضن اي البخل بالله ورسوله اي لا نسمح ان يكون رسول الله صلى الله
عليه وسلم في غير بلدتنا يعنون المدينة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله ورسوله
يعذرانكم ويصدقانكم **وفي** وفي رواية ان الانصار قالوا فيما بينهم اترون رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا فتح الله عليه ارضه وبلده يقيم بها فلما فرغ صلى الله عليه وسلم من دعائه
قال ماذا قلتم قالوا لا شي يا رسول الله فلم يزل بهم حتى اخبروه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم اي وقد تقدم له صلى الله عليه وسلم في بيعة العقبة نظير
ذلك وبيان الانصار قالوا يا رسول الله هل عسيت ان نحن نصرناك واظهرك الله ان ترجع الى
قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم وانا امر صلى
الله عليه وسلم بقتل عبد الله بن ابي سرح لانه كان اسلم قبل الفتح وكان يكتب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم الوحي وكان صلى الله عليه وسلم اذا املى عليه سميعا بصيرا كتب عليما حكيما واذا املى عليه
عليما حكيما كتب غفورا رحيما وكان يفعل مثل هذه الخيانات حتى صدر عنه انه قال ان محمدا لا يعلم
ما يقول فلما ظهرت خيانته لم يستطع ان يقيم بالمدينة فارتد وهرب الى مكة وقيل انه لما كتب

ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى قوله ثم انشاناه خلقا اخر تعجب من تفصيل خلق
الانسان فنطق بقوله فتبارك الله احسن الخالقين قبل املائه فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم اكتبه ذلك هكذا انزلت فقال عبد الله ان كان محمد نبيا يوحى اليه فانا نبي يوحى الي فارتد
ولحق بمكة فقال لقريش اني كنت اصرف محمدا كيف شئت كان يملي علي عزيز حكيم فاقول عليم حكيم
فيقول نعم كل صواب وكلما اقوله يقول اكتب هكذا انزلت فلما كان يوم الفتح وعلم باهدار
دمه لجا الى عثمان بن عفان اخيه من الرضاعة فقال يا اخي استامن لي رسول الله صلى الله عليه
وسلم قبل ان يضرب عنقي فغيبه عثمان حتى هدا الناس واطمانوا فاستامن له ثم اتى به اليه صلى
الله عليه وسلم فاعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم فصار عثمان يقول يا رسول الله استنه والنبي
صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ثم قال نعم فبسط يده فبايعه فلما خرج عثمان وعبد الله قال صلى
الله عليه وسلم لمن حوله اعرضت عنه مرارا ليقوم اليه بعضكم فيضرب عنقه وقال صلى الله عليه وسلم
لعباد بن بشر وكان نذر ان راى عبد الله قتله اي وقد اخذ بقايم السيف ينتظر النبي صلى الله
عليه وسلم يشير اليه ان يقتله فقال له صلى الله عليه وسلم انتظرتك ان تفي بنذرك قال يا رسول
خفتك افلا اومضت الي فقال انه ليس لنبي ان يومي **وفي** رواية الايماء خيانة ليس لنبي
ان يومي وفي رواية لا ينبغي لنبي ان تكون له خيانة الاعين اي وهذا يدل على ان خاينة
الاعين الاتية بالعيون اي ان يومي بطرفه خلاف ما يظهره بكلامه وهو المراد هنا وقيل
انه اسلم وتابع والنبي صلى الله عليه وسلم بمر الظهران وصار يستحيي من مقابلته صلى الله عليه وسلم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعثمان اما بايعته وامنته قال بلى ولكن يذكر جرمه القديم فيستحيي
منك قال الاسلام يجب ما قبله واخبره عثمان رضي الله عنه بذلك ومع ذلك فصار اذا جاء
جماعة للنبي صلى الله عليه وسلم يجيء معهم ولا يجيء اليه منفردا وانا امر بقتل ابن خطل لانه
كان ممن اسلم اي قدم المدينة قبل فتح مكة واسلم وكان اسمه عبد العزى فسماه رسول الله صلى
الله عليه وسلم عبد الله وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم لاخذ الصدقة وارسل معه رجلا
من الانصار يخدمه **وفي** لفظ كان معه مولى يخدمه وكان مسلما فنزل منزلا وامره
ان يذبح له تيسا ويصنع له طعاما ونام ثم استيقظ فلم يجده صنع له شيئا وهو نايم فعدا
عليه فقتله ثم ارتد مشركا وكان شاعرا يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعره وكانت
له قينتان تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يصنعه **وقد جا** انه ركب
فرسه لابسا الحديد واخذ بيده قناة وصار يقسم لا يدخلها محمد عنوة فلما راى خيل الله
دخله الرعب فانطلق الى الكعبة فنزل عن فرسه والقى سلاحه ودخل تحت استارها
فاخذ رجل سلاحه وركب فرسه ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجون فاخبره خبره
فامر بقتله وقيل لما طاف صلى الله عليه وسلم بالكعبة قيل هذا ابن خطل متعلقا باستار الكعبة

فقال اقتلوه فان الكعبة لا تعيذ عاصيا ولا تمنع من اقامة حد واجب اى فقتله سعد بن
حريث وابو برزة وقيل قتله الزبير وقيل سعد بن ذويب وقيل سعيد بن زيد قال في النور
والظاهر اشتراكهم فيه جميعا جمعا بين الاقوال وامر صلى الله عليه وسلم بقتل قينتيه فقتلت احداهما
واستؤمن رسول الله صلى الله عليه وسلم للاخرى فامنها واسلمت والحويرث بن نقيذ انما امر بقتله
لانه كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ويعظم القول فى اذيته وينشد الهجا وكان
العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم حمل فاطمة وام كلثوم بنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من مكة يريد بهما المدينة فنخس الحويرث البعير الحامل لهما فرمى بها الارض قتله على بن ابى طالب
رضى الله عنه فى ذلك اليوم وقد خرج يريد ان يهرب ومقيس بن صبابة انما امر بقتله لانه كان قد
اتى النبى صلى الله عليه وسلم مسلما طالبا لدية اخيه هشام بن صبابة رضى الله عنه قتله رجل من
الانصار فى غزوة ذى قرد خطا يظنه من العدو ودفع له النبى صلى الله عليه وسلم دية الخير ثم
انه عدا على الانصارى قاتل اخيه فقتله بعد ان اخذ دية اخيه ثم لحق بمكة مرتدا كما تقدم قتله
ابن عمه نميلة بن عبد الله الليثى اى بعد ان اخبر نميلة بان مقيس مع جماعة يشربون الخمر بمكان
قريش قد سميا السين فقتله وذلك بردم بنى جمح وقيل قتل وهو متعلق باستار الكعبة **واما**
هبار بن الاسود رضى الله عنه فانه اسلم بعد ذلك انما امر صلى الله عليه وسلم لانه كان عرض لزينب
بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفهاء من قريش حين بعث بها زوجها ابو العاص الى المدينة
فاهوى اليها هبار ونخس بعيرها **وفى** رواية ضربها بالرمح فسقطت عن الجمل على صخرة اى
وكانت حاملا فالقيت ما فى بطنها واهراقت الدما ولم يزل بها مرضها ذلك حتى ماتت كما تقدم
فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان وجدتم هبارا فاحرقوه ثم قال انما يعذب بالنار رب النار ان ظفرتم
به فاقطعوا يده ورجله ثم اقتلوه فلم يوجد يوم الفتح ثم اسلم بعد ذلك وحسن اسلامه ويذكر
انه لما اسلم وقدم الى المدينة مهاجرا جعلوا يسبونه فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال سب
من سبك فانتهوا عنه وهذا السياق يدل على انه اسلم قبل ان يذهب الى المدينة **وفى لفظ**
ولما رجع النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة جاء هبار رافعا صوته وقال يا محمد انا جئت مقرا
بالاسلام وقد كنت قبل هذا مخذولا والان هدانى الله للاسلام واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا
عبده ورسوله واعتذر اليه اى قال له صلى الله عليه وسلم بعد ان وقف عليه وقال له السلام عليك
يا نبى الله لقد هربت منك فى البلاد فاردت اللحوق بالاعاجم ثم ذكرت عائدتك وفضلك فى صفحك
عمن جهل عليك وكنا يا نبى الله اهل شرك فهدانا الله بك وانقذنا بك من الهلكة فاصفح عن
جهلى وعما كان سلف عنى فانى مقر بسوء فعلى معترف بذنبى فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا هبار عفوت عنك وقد احسن الله اليك حيث هداك الى الاسلام والاسلام يجب
ما قبله كان وقوله مهاجرا فيه انه لا هجرة بعد فتح مكة الا ان يقال هى مجاز عن مجرد الانتقال من محل

الى محل اخر اخذا مما يانى فى عكرمة **واما** عكرمة بن ابى جهل رضى الله عنه فانما امر بقتله لانه
كان اشد الناس هو وابوه اذية للنبى صلى الله عليه وسلم وكان اشد الناس على المسلمين ولما
بلغه ان النبى صلى الله عليه وسلم اهدر دمه فر الى اليمن فاتبعته امراته بنت عمه ام حكيم بنت
الحارث بن هشام بعد ان اسلمت فوجدته فى ساحل البحر يريد ان يركب السفينة وقيل
وجدته فى السفينة فردته اى بعد ان قالت له يا ابن عم جئتك من عند اوصل الناس وابر
الناس وخير الناس لا تهلك نفسك نفسك فقد استامنت لك فجاء معها فاسلم وحسن
اسلامه اى بعد ان قال يا محمد هذه زوجتى اخبرتنى انك امنتنى قال صدقت انك امن فقال
عكرمة اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وانك عبده ورسوله وطاطا راسه من الحيا
فقال له يا عكرمة ما تسالنى شيا اقدر عليه الا اعطيتكه قال استغفر لى كل عداوة عاديتكها
فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لعكرمة كل عداوة عادانيها او منطق تكلم به اى ولما قدم
عليه صلى الله عليه وسلم وثب صلى الله عليه وسلم اليه قائما فرحا به اى ورمى عليه صلى الله عليه وسلم
رداه وقال مرحبا بمن جاء مؤمنا مهاجرا وكان بعد ذلك من فضلاء الصحابة **وفى** بهجة
المجالس وانس المجالس لابن عبد البر انه صلى الله عليه وسلم راى فى منامه انه دخل الجنة
وراى فيها عذقا فاعجبه وقال لمن هذا فقيل لابى جهل فشق ذلك عليه وقال لا يدخلها الا نفس
مؤمنة فلما جاءه عكرمة بن ابى جهل مسلما فرح به واول ذلك العذق لعكرمة والعكرمة الانثى
من الحمير واستدل بذلك على تاخر الرويا وانها تكون لغير من ترى له **قيل** ومما رد عكرمة قبل
الاسلامه يطلب امراته ام حكيم يجامعها فتابى عليه وتقول انك كافر وانا مسلمة والاسلام
حائل بينى وبينك فقال ان امرا منعك عنى لامر كبير اى **ولما** قتل عكرمة فى اليرموك فى
قتال الروم وانقضت عدتها تزوجها خالد بن سعيد واراد ان يدخل بها فجعلت تقول له
لو اخرت الدخول حتى يفض الله هذه الجموع يعنى الروم فقال خالد ان نفسى تحدثنى انى اصاب
فى جموعهم قالت فدونك فدخل بها فى خيمة فما اصبح الصبح الا والروم قد اصطفت فخرج خالد
فقاتل حتى قتل فشدت ام حكيم عليها ثيابها واخذت عمود الخيمة التى دخل بها خالد فيها فقتلت
بها سبعة من الروم وقال صلى الله عليه وسلم قبل ان يقدم عليه عكرمة بن ابى جهل رضى الله عنه
ولعن اباه ياتيكم عكرمة مؤمنا مهاجرا فلا تسبوا اباه فان سب الميت يؤذى الحى ولا يلحق
الميت انتهى اى **وفى** رواية لا تسبوا الاموات فانهم قد افضوا الى ما قدموا **وفى** اخرى لا تسبوا
الاموات فتؤذوا الاحيا وفى اخرى اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم **وجا**
انه شكا اليه صلى الله عليه وسلم قولهم عكرمة بن ابى جهل فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال لا تؤذوا الاحيا بسب الاموات وقد كان قبل اسلامه بارز رجلا من المسلمين فقتله
فضحك النبى صلى الله عليه وسلم فقال له بعض الانصار ما اضحكك يا رسول الله وقد

بجمعنا بصاحبنا فقال اضحكني انهما في درجة واحدة في الجنة ومن ثم قتل عكرمة شهيدا في قتال
الروم في وقعة اليرموك كاشروسارة رضي الله عنها فانها اسلمت وانما امر صلى الله عليه وسلم
بقتلها لانها كانت مغنية بمكة وكانت تغنيني بهجائه صلى الله عليه وسلم وهي التي وجد معها
كتاب حاطب ٥ وقد استوهبوا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنها واسلمت كما تقدم والحارث
ابن هشام وزهير بن امية استجارا بام هانئ بنت ابي طالب اخت علي بن ابي طالب شقيقته
ولم تكن اسلمت اذ ذاك فاراد علي قتلهما فمنعهما رضي الله عنها انها قالت لما نزل رسول الله
صلى الله عليه وسلم باعلى مكة فر الي رجلان من احماي اي من اقارب زوجها هبيرة بن ابي وهب
مستجيران بي فاجرتهما وذكر الازرقي بدل زهير بن امية عبد الله بن ابي ربيعة فدخل
علي اخي علي بن ابي طالب فقال والله لاقتلنهما اي وهما لمجيري المشركين فغلقت بيني وبينهما
ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم باعلى مكة فوجدته يغتسل
من جفنة فيها اثر العجين وفاطمة ابنته تستره بثوب اي فسلمت عليه فقال من هذه فقلت ام
هانئ بنت ابي طالب فقال مرحبا يا ام هانئ وفي الرواية الاولى فلما اغتسل اخذ ثوبه وتوشح
به ثم صلى ثمان ركعات من الضحى ثم اقبل علي فقال مرحبا واهلا يا ام هانئ ما جاء بك فاخبرته
الحديث فقال اجرنا من اجرت وامنا من امنت فلا تقتلهما وفي البخاري اي ايضا انه صلى الله
عليه وسلم اغتسل في بيتها ثم صلى الضحى ثمان ركعات اي ولما ذكر ذلك لابن عباس رضي الله عنهما
قال اني كنت امر على هذه الاية يسبحن بالعشي والاشراق فاقول اي صلاة صلاة الاشراق فهذه
صلاة الاشراق وفي لفظ ما عرفت صلاة الاشراق الا الساعة وهذا يدل لما افتى به والد
شيخنا الرملي ان صلاة الضحى صلاة الاشراق خلافا لما في العباب من انها غيرها ويحتاج للجمع
بين هذه الرواية والتي قبلها على ثبوت صحتها وبهذه الواقعة قال المحاملي من ائمتنا في كتابه
اللباب الذي هو اصل التنقيح الذي هو اصل التحرير من دخل مكة واراد ان يصلي الضحى اول
يوم اغتسل وصلاها كما فعله عليه الصلاة والسلام يوم الفتح مكة وبه الغزو فيقتل فتخص
يستحب له الاغتسال لصلاة الضحى في مكان خاص اي وقد جاء عن عايشة رضي الله عنها ما رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي سبحة الضحى قط واني لاسبحها اي اصليها وعن عبد الرحمن
ابن ابي ليلى ما اخبرني احد انه راى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى الا ام هانئ وهذا
ينازع فيما ياتي ان صلاة الضحى من الخصائص بوجوبها صلى الله عليه وسلم واسلمت ام هانئ ذلك
اليوم الذي هو يوم الفتح اي وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال لها هل عندك من طعام ناكله فقالت
ليس عندي الا كسر يابسة واني لاستحي ان اقدمها اليك فقال هلميهن فكسرهن في ماء وجاءت
بملح فقال هل من ادم فقالت ما عندي يا رسول الله الا شيء من خل فقال هلميه فصبه على الكسر
واكل منه ثم حمد الله ثم قال نعم الادم الخل يا ام هانئ لا يقفر بيت فيه خل اي وقد جاء انه صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم سال اهله الادام فقالوا ما عندنا الا الخل فدعى به فجعل ياكل به ويقول نعم الادم
الخل وفي الحديث عن جابر بن عبد الله مرفوعا ان الله تعالى يوكل باكل الخل ملكين يستغفران
له حتى يفرغ وجاء نعم الادم الخل اللهم بارك في الخل فانه كان ادام الانبياء قبلي ولم يقفر بيت
فيه خل وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي
ذات يوم الى بعض حجر نسائه فدخل ثم اذن لي فدخلت فقال هل من غدا فقالوا نعم فاتي بثلاثة
اقرصة فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قرصا فوضعه بين يديه واخذ قرصا فوضعه
بين يدي ثم اخذ الثالث فكسره فجعل نصفه بين يديه ونصفه بين يدي ثم قال هل من ادم
فقالوا لا الا شيء من خل قال هاتوه فنعم الادم خل وفي رواية فان الخل نعم الادام قال جابر
فما زلت احب الخل منذ سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم ما زلت احب الخل
منذ سمعتها من جابر وصفوان بن امية اسلم له عمير بن وهب اي قال له يا نبي الله ان صفوان سيد
قومي قد هرب ليقذف نفسه في البحر فامنه فانك امنت الاحمر والاسود فقال صلى الله عليه وسلم
ادرك ابن عمك فهو امن فقال اعطني اية يعرف بها امانك فاعطى صلى الله عليه وسلم لعمير عمامته
التي دخل بها مكة اي وفي لفظ اعطاه برده اي فجاء ان طلب منه العود فقال لا اعود معك
الا ان تاتيني بعلامة اعرفها فقال امكث مكانك حتى اتيك به فلحقه عمير وهو يريد ان يركب البحر
فرده اي فجاء انه قال له اغرب عني لا تكلمني فقال اي صفوان فداك ابي وامي قد جئتك من
عند افضل الناس وابر الناس واحلم الناس وخير الناس وابن عمك عزه عزك وشرفه
شرفك وملكه ملكك قال اني اخافه على نفسي قال هو احلم من ذلك واكرم فرجع معه حتى
وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان هذا يزعم انك امنتني قال صدق فقال
يا رسول الله امهلني بالخيار شهرين فقال صلى الله عليه وسلم انت بالخيار اربعة اشهر اي
ثم خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم الى حنين ولما فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم غنائمها اي
بالجعرانة راه رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمق شعبا ملان نعما وشاء فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم يعجبك هذا قال نعم قال هو لك وما فيه فقبض صفوان ما في الشعب
وقال ما طابت نفس احد بمثل هذا الا نبي فاسلم كما سياتي وهند امراة ابي سفيان رضي
الله عنها فانها اسلمت بعد وانما امر صلى الله عليه وسلم بقتلها لانها مثلت بعمه حمزة وانه اسلم
بعد وانما امر صلى الله عليه وسلم بقتله لانه كان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله لانه كان
ممن يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم ووحشي رضي الله عنه فانه اسلم بعد وانما امر صلى
الله عليه وسلم بقتله لانه قتل عمه حمزة رضي الله عنه يوم احد وكانت الصحابة احرص شيء على
قتله ففر الى الطائف وقد قدمنا استطرادا اسلامه قال وجلس رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم الفتح اي على الصفا يبايع الناس فجاءه الكبار والصغار والرجال والنسا

يبايعهم على الاسلام اى على شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ودخل الناس
فى الاسلام افواجا افواجا اى وجاءه صلى الله عليه وسلم رجل فاخذته الرعدة فقال له صلى
الله عليه وسلم هون عليك فانى لست بملك انما انا ابن امراة من قريش كانت تاكل القديد
اى وكان من جملة من بايعه النبى صلى الله عليه وسلم على الاسلام معاوية بن ابى سفيان
رضى الله عنهما فعن معاوية رضى الله عنه لما كان عام الحديبية وقع الاسلام فى قلبى فذكرت ذلك
لامى فقالت اياك ان تخالف اباك فيقطع عنك القوت فاسلمت واخفيت اسلامى فقال
لى يوما ابو سفيان وكانه شعر باسلامى اخوك خير منك هو على دينى فلما كان عام الفتح
اظهرت اسلامى ولقيته صلى الله عليه وسلم فرحب بى وكتبت له اى بعد ان استشار فيه
جبريل عليه السلام فقال استكتبه فانه امين واردفه النبى صلى الله عليه وسلم يوما خلفه
فقال لى ما يلينى منك قلت بطنى قال اللهم املاه حلما وعلما وعن العرباض بن سارية رضى الله
تعالى عنه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لمعاوية اللهم علمه الكتاب والحساب وقه
العذاب زاد فى رواية ومكن له فى البلاد وعن بعض الصحابة انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم
يدعو لمعاوية يقول اللهم اجعله هاديا مهديا واهده واهد به ولا تعذبه وعن ابن عمر
قال قال النبى صلى الله عليه وسلم يوما لمعاوية يا معاوية انت منى وانا منك لتزاحمنى على باب
الجنة كهاتين واشار باصبعه الوسطى والتى تليها وذكر انه كان عنده قميص رسول الله صلى
الله عليه وسلم وازاره ورداؤه وشىء من شعره فقال عند موته كفنونى فى القميص وادرجونى
فى الرداء وازرونى بالازار واحشوا منخرى وشدقى من الشعر وخلوا بينى وبين ارحم
الراحمين وقد بشر رضى الله عنه بمعاوية رضى الله عنه بعض كهان اليمن وسبب ذلك
ان امه هند كانت قبل ابيه ابى سفيان عند الفاكه بن المغيرة المخزومى وكان الفاكه
من فتيان قريش وكان له بيت للضيافة يغشاه الناس من غير اذن فخلا ذلك البيت
يوما من الضيفان فاضطجع الفاكه وهند فيه فى وقت القائلة ثم خرج الفاكه لبعض
حاجته واقبل رجل كان يغشاه فولج البيت فلما راى المراة التى هى هند ولى هاربا وابصره
الفاكه وهو خارج من البيت فاقبل الى هند فضربها برجله وقال لها من هذا الذى كان عندك
قالت ما رايت احدا ولا انتبهت حتى ايقظتنى فقال لها الحقى بابيك وتكلم فيها الناس
فقال لها ابوها عتبة يا بنية ان الناس قد اكثروا فيك فانبئينى نباك فان كان الرجل عليك
صادقا دسست اليه من يقتله فيقطع عنك المقالة وان يك كاذبا حاكمته الى بعض كهان
اليمن فحلفت له انه لكاذب عليها فقال عتبة للفاكه يا هذا انك قد رميت ابنتى بامر عظيم
فحاكمنى الى بعض كهان اليمن فخرج الفاكه فى بنى مخزوم وخرج عتبة فى جماعة من بنى عبد
مناف وخرجوا معهم بهند ونسوة معها فلما شارفوا البلاد وقالوا غدا نرد على الكاهن

الفلانى

الفلانى تنكرت حال هند وتغير وجهها فقال لها ابوها انى قد ارى ما بك من تنكر الحال
وما ذاك الا لمكروه عندك كان هذا قبل ان تشهد الناس مسيرنا قالت لا والله يا ابتاه
ما ذاك لمكروه عندى ولكنى اعرف انكم تاتون بشرا يخطئ ويصيب ولا امنه ان يسمنى
ميسما يكون على سبة فى العرب قال انى سوف اختبره من قبل ان ينظر فى امرك فصفر بفرس
حتى ادلى ثم اخذ حبة من حنطة فادخلها فى احليله واوكى عليها بسير فلما وردوا على الكاهن اكرمهم
ونحر لهم فلما تغدوا قال له عتبة انا قد جئناك فى امر وانى قد خبات لك خبا اختبرك به
فانظر ما هو قال ثمرة فى كمرة قال اريد ابين من هذا قال حبة بر فى احليل مهر قال صدقت
انظر فى امر هذه النسوة فجعل يدنو من احداهن فيضرب كتفها ويقول انهضى حتى دنى
من هند فضرب كتفها وقال انهضى غير رسحاء ولا زانية ولتلدن ملكا يقال له معاوية
فوثب اليها الفاكه فاخذ بيدها فنترت يدها من يده وقالت اليك عنى فوالله لاحرصن
على ان يكون من غيرك فتزوجها ابو سفيان فجاءت منه بمعاوية رضى الله عنهم وقد
قال له صلى الله عليه وسلم يا معاوية اذا ملكت فاحسن وفى رواية اذا ملكت من امر امتى شيئا
فاتق الله واعدل وبلغ عنه انه لما حضرته الوفاة قال اللهم ارحم الشيخ العاصى ذا
القلب القاسى اللهم اقل عثرتى واغفر زلتى وعد بحلمك على من لا يرجو غيرك ولم يثق باحد سواك
ثم بكى رضى الله عنه حتى علا نحيبه وكتب الى عائشة رضى الله عنها اكتبى لى كتابا توصينى فيه
ولا تكثرى فكتبت من عائشة الى معاوية سلام عليك اما بعد فانى سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول من التمس رضى الناس بسخط الله وكله الله الى الناس ومن التمس رضى الله
بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس والسلام وكتبت اليه رضى الله عنه مرة اخرى
اما بعد فاتق الله فانك اذا اتقيت الله كفاك الناس واذا اتقيت الناس لم يغنوا
عنك من الله شيئا والسلام ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيعة الرجال
بايع النساء وفيهن هند بنت عتبة امراة ابى سفيان متنقبة متنكرة خوفا من رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما دنين من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهن بايعننى على
ان لا تشركن بالله شيئا ولا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن اولادكن اى وذلك اسقاط الاجنة
زاد فى لفظ ولا تلحقن بازواجكن غيرا اولادهن اى ولا تقعدن مع الرجال فى خلاء اى
تجتمع امراة مع رجل فى خلوة ولا تاتين ببهتان تفترينه بين ايديكن وارجلكن
قال ابن عباس رضى الله عنهما البهتان ان تلحق بزوجها ولدا ليس منه ولا يعم عنه الزنا
كما ان ذلك لا يغنى عن الزنا وقد يحمل ولا تلحقه باحد ولا تعصين فى معروف وجاءت
بعض النسوة قالت ما هذا المعروف الذى لا ينبغى لنا ان نعصيك فيه قال لا تنحن
اى وفى لفظ لا تنحن ولا تخمشن وجها ولا تنشرن شعرا وفى لفظ ولا تحلقن

شعرًا ولا تخرقن قرنا ولا تشققن جيبًا ولا تدعين بالويل **وجا** هذه النوايح يجعلن يوم القيمة صفين صفا عن اليمين وصفا عن اليسار ينبحن كما ينبح الكلب **وجا** تخرج النايحة من قبرها يوم القيمة شعثا غبرا عليها جلباب من لعنة ودرع من جرب واضعة يدها على راسها تقول ويلاه **وجا** النايحة اذا لم تتب تقوم يوم القيمة عليها سربال من قطران ودرع من جرب **وجا** النايحة اذا لم تتب لا تقبل الملايكة على نايحة **وجا** ليس للنسا في اتباع الجنايز اجر **وجا** ان هندا قالت له صلى الله عليه وسلم انك لتاخذ علينا ما لا تاخذ على الرجال اى لان الرجال كان يبايعهم على الاسلام وعلى الجهاد فقط وانها قالت لما قال صلى الله عليه وسلم ولا تسرقن والله انى كنت اصبت من مال ابى سفيان الهنة بعد الهنة وما كنت ادرى اكان ذلك حلالًا ام لا فقال ابو سفيان وكان حاضرا اما ما اصبت فيما مضى فانت منه فى حل عفى الله عنك اى فضحك النبى صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عقبة قالت نعم فاعف عما سلف عفى الله عنك وانها قالت لما قال صلى الله عليه وسلم ولا تزنين او تزنى يا رسول الله الحرة ولما قال ولا تقتلن اولادكن قالت ربيناهم صغارًا افتقتلهم كبارًا **وفى** لفظ هل تركت لنا ولدًا الا قتلته يوم بدر **وفى** لفظ انت قتلت اباهم يوم بدر وتوصى باولادهم **وفى** لفظ ربيناهم صغارًا وقتلتهم كبارا فضحك عمر رضى الله عنه حتى استلقى وتبسم صلى الله عليه وسلم **وفى** فضحك صلى الله عليه وسلم ولما قال صلى الله عليه وسلم ولا تعصيننى فى معروف قالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفى انفسنا ان نعصيك فى معروف **وفى** لفظ انها اتته متنقبة بالابطح وقالت الحمد لله الذى اظهر الدين الذى اختاره لنفسه لتنفعنى رحمك يا محمد انى امراة مومنة اشهد ان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله ثم كشفت عن نقابها وقالت انا هند بنت عقبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مرحبا بك **قال** بعضهم وفى اسلام ابى سفيان قبل هند واسلامها قبل انقضا عدتها اى لانها اسلمت بعده بليلة واحدة واقرارهما على نكاحهما حجة للشافعى رضى الله تعالى عنه ثم ارسلت اليه صلى الله عليه وسلم بهدية وهى جديان مشويان مع مولاة لها فاستاذنت فاذن لها فدخلت عليه وهو صلى الله عليه وسلم بين نسايه ام سلمة وميمونة ونسا من بنى عبد المطلب وقالت له ان مولاتى تعتذر اليك وتقول ان غنمنا اليوم قليلة الوالدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لكم فى غنمكم واكثر والدها فكثر الله ذلك تقول تلك المولاة لقد راينا من كثرة غنمنا ووالدها ما لم نكن نرى قبل **وجات** اليه وقالت يا رسول الله ان ابا سفيان رجل مسيك فهل على من حرج ان اطعم من الذى له عيالنا فقال لها لا عليك ان تطعميهم بالمعروف **وفى** لفظ ان ابا سفيان رجل شحيح وليس يعطينى ما يكفينى وولدى الا ما اخذت منه وهو لا يعلم قال خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف وانها قالت هلم نبايعك يا رسول الله قال لا اصافح النسا وانا قولى لماية امراة كقولى

لامراة كقولى لامراة واحدة **وفى** لفظ قولى لالف امراة كقولى لامراة واحدة **وعن** عايشة رضى الله عنها ما يصافح رسول الله صلى الله عليه وسلم امراة قط وانما كان يبايعهن بالكلام **وعن** الشعبى بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم النسا وعلى يده ثوب وقيل انه غمس يده فى اناء وامرهن فغمسن ايديهن فيه فكانت هذه البيعة لابن الجوزى والقول الاول اثبت **وقد** ذكر المبايعات له صلى الله عليه وسلم لا بخصوص يوم الفتح على حروف المعجم فى كتاب التلقيح وتقدم عن ام عطية قالت لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جمع نساء الانصار فى بيت ثم ارسل اليهن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقام على الباب فسلم فرددت عليه السلام فقال انا رسول رسول الله اليكن يبايعكن على ان لا تشركن بالله شيا وقرا الى قوله تعالى فى معروف فقلن نعم فمد يده من خارج ومددنا ايدينا من داخل البيت ثم قال اللهم اشهد ولعل ذلك كان بحايل والقصة ماموته وقال صلى الله عليه وسلم لعمه العباس اين ابنا اخيك يعنى ابا لهب عتبة ومعتب لا اراهما قال العباس قلت تنحيا فيمن تنحى من مشرك قريش قال ايتنى بهما فركبت اليهما فاتيت بهما فدعاهما للاسلام فاسلما فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامهما ودعا لهما ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذ بايديهما وانطلق بهما حتى اتى الملتزم فدعى ساعة ثم انصرف والسرور يرى فى وجهه صلى الله عليه وسلم فقلت له اسرك الله يا رسول الله انى ارى السرور فى وجهك قال انى استوهبت ابنى هذين من ربى فوهبهما لى وشهدا معه حنينا والطايف ولم يخرجا من مكة ولم ياتيا المدينة وقلعت عين معتب فى حنين **وعن** ابى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح هذا ما وعدنى ربى ثم قرا اذا جا نصر الله والفتح انتهى وقد اشار الى ذلك صاحب الهمزية بقوله

واستجابت له بنصر وفتح ۔ بعد ذاك الخضرا والغبرا
فاذا جا ناكفا نامت الله ۔ تلية كتيبة خضرا
وتوالت للمصطفى الاية الكبرى عليهم والغارة الشعوا

اى اجابت دعوته صلى الله عليه وسلم الرفيع والوضيع **وعن** الاول كنى بالخضرا التى هى السما **فقد** جا فى حديث سنده واه السما الدنيا زمردة خضرا وذكر انها اشد بياضا من اللبن وخضرتها من صخرة خضرا تحت الارض وكنى عن الثانى بالغبرا التى هى الارض وانما كانت غبرا لان جميع طبقاتها من طين مع حصول نصره له صلى الله عليه وسلم على اعاديه وفتح لبلادهم بعد ذلك الضعف الذى كان به صلى الله عليه وسلم وباصحابه وقلتهم وكثرة عدوهم مع التصميم على اذيتهم وتتابعت العلامات الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم عليهم وتوالت له عليهم الاغارة المحيطة بهم من ساير الجوانب **وجا** انه صلى الله

عليه وسلم لما فرغ من طوافه دعا عثمان بن ابي طلحة رضي الله عنه فانه كان قدم على رسول
الله صلى الله عليه وسلم المدينة مع خالد بن الوليد وعمرو بن العاص قبل الفتح واسلموا
كما تقدم واستمر في المدينة الى ان جا معه صلى الله عليه وسلم الى فتح مكة وبه يرد ما روى
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عليا الى عثمان بن طلحة لاخذ المفتاح فابى ان يدفعه
له وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه منه ولوى على يده واخذ المفتاح منه قهرا وفتح
الباب وانه لما نزل قوله تعالى ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها امره صلى الله
عليه وسلم ان يدفع له المفتاح متلطفا به فجاء على كرم الله وجهه بالمفتاح متلطفا به فقال
له اكرهت واذيت ثم جئت ترفق فقال له على لان الله امرنا برده عليك فاسلم ثم لما دعا صلى
الله عليه وسلم عثمان وجا اليه اخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها ثم وقف صلى
الله عليه وسلم على باب الكعبة فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق الله وعده ونصر عبده
وهزم الاحزاب وحده ثم ذكر صلى الله عليه وسلم خطبة بين فيها جملة من الاحكام منها
لا يقتل مسلم بكافر ولا يتوارث اهل ملتين مختلفتين ولا تنكح المراة على عمتها
ولا على خالتها والبينة على المدعي واليمين على من انكر ولا تسافر امراة مسيرة ثلاث الا مع
ذي محرم ولا صلاة بعد العصر وبعد الصبح ولا يصام يوم الاضحى ويوم الفطر ثم قال يا
يا معشر قريش ان الله اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالاباء والناس من ادم من تراب
ثم تلى هذه الاية يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبايل لتعارفوا
الاية ثم قال يا معشر قريش ما ترون **وفي** لفظ ما ذا تقولون ما ذا تظنون اني فاعل
فيكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت اي وفي لفظ لما خرج صلى الله عليه وسلم
من الكعبة يوم الفتح وضع يديه على عضادتي الباب ثم قال ما ذا تقولون ما ذا تظنون اني
فاعل فيكم قالوا خيرا فقال سهيل بن عمرو نقول خيرا ونظن خيرا اخ كريم وابن اخ كريم
وقد قدرت فقال اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم فقال اذهبوا فانتم
الطلقا **وفي** لفظ فاني اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم
الراحمين اذهبوا فانتم الطلقا اي الذين اطلقوا فلم يسترقوا فلم يوسروا والطليق في
الاصل الاسير اذا اطلق فخرجوا كانما نشروا من القبور فدخلوا في الاسلام **قال** وذكر
انه صلى الله عليه وسلم لما فرغ من طوافه ارسل بلالا رضي الله عنه الى عثمان بن طلحة يأتي
بمفتاح الكعبة فجا الى عثمان فاخبره فقال انه عند امي فرجع بلال الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاخبره ان المفتاح عند امه فبعث اليها رسولا فقالت لا واللات والعزى
لا ادفعه ابدا فقال عثمان يا رسول الله ارسلني اخلصه لك منها فقالت لا واللات
والعزى لا اوصله اليك ابدا فقال لها يا امه ادفعيه الي فانه قد جا امر غير ما كنا

عليه

عليه انه لم تفعلي قتلت انا واخي ويأخذه منك غيري فادخلته حجزتها وقالت يكون
ذهاب مآثرة قومك على يديك كل ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم قايم ينتظر حتى
انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق فبينما هو يكلمها اذ سمعت صوت ابي بكر وعمر رضي الله عنهما
في الدار وعمر رضي الله عنه رافعا صوته وهو يقول يا عثمان اخرج فقالت يا بني خذ
المفتاح فان تاخذه احب الي من ان ياخذه تيم وعدي اي ابو بكر رضي الله عنهما فاخذه
عثمان فخرج يمشي حتى اذا كان قريبا من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عثر
عثمان فسقط منه المفتاح فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المفتاح فحنى عليه
وتناوله اي وفي رواية فاستقبلته ببشر واستقبلني ببشر فاخذه مني وفتح
الكعبة **وفي** رواية فاستقبلته ببشر واستقبلني ببشر فاخذه مني وفتح
الكعبة وفي رواية انه قال له هات المفتاح يا عثمان **وفي** لفظ لما ابت امه
ان تعطيه المفتاح قال والله لتعطينه او لاخرجن هذا السيف من مكتبي فلما رأت
ذلك اعطته اياه فجاء به ففتح عثمان له الباب ويحتاج الى الجمع بين هذه الروايات
على تقدير صحتها وقد اشار صاحب الهمزية الى بعض هذه القصة بقوله

صرعت قومه حبايل بغي … مدها المكر منهم والدهاء
فاتتهم خيل الى الحرب تختا … ل وللخيل في الوغى خيلاء
قصدت منهم القنا فنوافي الطعن منها ما شانها الاشطاء
واثارت بارض مكة نقعا … ظن ان الغدو منها عشاء
احجمت عنده الحجون واكدى … دون اعطائه القليل كداء
ودهت اوجها بها وبيوتا … مل منها الاكفاء والاكفاء
فدعوا احلم البرية والعفو جواب الحليم والاغضاء
ناشدوه القربى التي من قريش … قطعتها التراث والشحناء
فعفا عفو قادر لم ينغصه … عليهم بما مضى اغراء
واذا كان القطع والوصل لله … تساوى التقريب والاقصاء
وسواء عليه فيما اتاه … من سواه الملام والاطراء
ولو ان انتقامه لهوى النفس … لدامت قطيعة وجفاء
قام لله في الامور فارضى … الله منه تباين ووفاء
فعله كله جميل وهل ينضح الا بما حواه الاناء

اي اهلكت قومه الذين لم يومنوا به بين يديه حبايل بغيهم التي مدها المكر والدها
حال كون ذلك منهم فبسبب مكرهم اتتهم من قبله خيل تتبختر راكبوها الى الحرب

ولخيل عليها الشجعان كبر وترفع في الحرب فقصدت في ابدانهم الرماح فبسبب قصدها
بهم كانت الطعنات المشبهة بالقوافي في تتابعها حالة كون ذلك الطعن من تلك الرماح
نائبا الابيطاء اى لم يعدم وجوده فيها والابيطاء فى القافية تكريرها متحدة اللفظ والمعنى
وهو معيب على الشاعر لانه يدل على قصوره والطعنات المتوالية فى محل واحد تدل على
قصر سكد الشجاع ورفعت تلك الخيل غبارا اظلم الجو حتى ظن ان وقت الغد ومثل
الغبرة وقت العشا وذلك بارض مكة عند فتحها امسكت عند ذلك الغبار لكثرته
الجون وهو كدا بالفتح والمد اعلا مكة لكثرة ما اعطاه صلى الله عليه وسلم للناس
واعطى النبى صلى الله عليه وسلم القليل من الناس كدا بالضم والمد وهو اسفل مكة
وهذه لغة فيه قليلة وعند ذلك قل غباره واهلكت تلك الخيول اوجها من الناس
بمكة ممن اباح دمه ومن قاتل واهلكت بيوتا كان اهل مكة يرجعون اليها ملئ من
تلك البيوت خلوها عن الناس والرجوع اليها وعند ذلك طلبوا منه العفو عما
مضى منهم وجواب الحليم لمن سالها العفو عنها العفو وارخا الجفون من الحيا وحلفوه
بالعرى التى وصلت النسب بطون قريش وهم ولد النضر بن كنانة التى قطعتها
المقاتلة والتباغض والتحاسد فبسبب ذلك عفا صلى الله عليه وسلم عفو قادر لم
يكدر ذلك العفو عنهم اغراسها بهم بحالة كون ذلك الاغرا منهم فيما مضى واذا
كان القطع والوصل لله تساوى عند فاعل ذلك التقريب للاقارب والبعدا
والاباعد للاقارب والبعدا والذى تقريبه وابعاده لله لا لغيره يستوى عنده
نسب والمبالغة فى مدحه اذا اتاه ذلك من غيره وسبب لو كان انتقاما لهوى
النفس الامارة بالسوء لاستمرت قطيعة الرحم ودام ابعاده لها كيف وقد قام لله
فى اموره كلها فبسبب ذلك ارضى الله تباين منه صلى الله عليه وسلم لاعدائه ووفائه
لاوليائه فعله صلى الله عليه وسلم كل جميل ولا بدع فى ذلك اذ ما يسيل مافى الاناء
على ظاهره الا ما كان فى تلك الانا فمن امتلا قلبه خيرا كانت افعاله كلها خيرا
ومن امتلا قلبه شرا كانت افعاله كلها شرا ثم جلس صلى الله عليه وسلم فى المسجد ومفتاح
الكعبة فى يده فى كمه فقام اليه على رضى الله عنه فقال يا رسول الله اجمع لنا وفي
لفظ اجمع لى الحجابة مع السقاية صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم انما اعطيكم ما تبذلون فيه اموالكم للناس اى وهو السقاية لا ما تاخذون
فيه من الناس اموالهم وهى الحجابة لشرفكم وعلو مقامكم وفي رواية ان العباس تطاول
يومئذ لاخذ المفتاح فى رجال من بنى هاشم اى منهم على رضى الله عنه فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اين عثمان بن طلحة فدعى له فقال هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بر

ووفا

ووفا وقيل نزلت هذه الاية ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها فى شان عثمان
ابن طلحة رضى الله عنه ودفع المفتاح له اى لما اخذ على رضى الله عنه وقال يا رسول الله اجمع
لنا الحجابة مع السقاية فقال صلى الله عليه وسلم لعلى اكرهت واذيت وامره صلى الله عليه وسلم
ان يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر اليه فقد انزل الله فى شانك اى انزل الله عليه
ذلك فى جوف الكعبة وقرا عليه الاية ففعل على كرم الله وجهه ذلك وسياق هذه
الرواية يدل على ان عليا كرم الله وجهه اخذ المفتاح على ان لا يرده لعثمان فلما نزلت
الاية امره صلى الله عليه وسلم ان يرد المفتاح لعثمان والسقاية كما تقدم كانت احواضا
من ادم توضع فيها الما العذب لسقاية الحاج ويطرح فى ذلك التمر والزبيب فى بعض
الاوقات وفي كلام الازرقى كان لزمزم حوضان حوض بينهما وبين الركن يشرب
منه وحوض من ورائه للوضوء ولعل هذا كان بعد الفتح والسقاية قام بها العباس
رضى الله عنه بعد موت ابيه عبد المطلب وقام بها بعده ولده عبد الله بن عباس رضى
الله عنهما وقد تكلم فيها محمد بن الحنفية مع ابن عباس فقال له ابن عباس مالك ولها
نحن اولى بها فى الجاهلية والاسلام قام بها العباس بعد موت ابيه عبد المطلب واعطاها
رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس يوم الفتح واستمر المفتاح مع عثمان الى ان اشرف
على الموت فلم يعقب دفعه الى اخيه شيبة ومن ثم عرفت ذريته بالشيبيين اى وفي
دفع صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة الى عثمان والى شيبة ابن عمه وقال خذوها يا بنى طلحة
خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم اه وكون شيبة ابن عم عثمان هو الموافق لقول الحافظ
ابن حجر الشيبيون نسبة الى شيبة بن عثمان بن ابى طلحة وهو ابن عم عثمان بن طلحة بن
ابى طلحة وابو طلحة له ولدان عثمان وطلحة الى عثمان بشيبة والى طلحة بعثمان وفي
كلام ابن الجوزى ما يوافقه وهو ان عثمان لما هاجر الى المدينة واسلم سنة ثمان لم يزل مقيما
بالمدينة حتى خرج مع النبى صلى الله عليه وسلم فى فتح مكة اى وقد تقدم ثم رجع الى
المدينة ولم يزل مقيما بها حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما توفى رسول الله صلى
الله عليه وسلم رجع الى مكة واستمر مقيما بها حتى مات بها فى اول خلافة معاوية رضى الله عنه
فلم يزل عثمان رضى الله عنه يلى فتح البيت الى ان اشرف على الموت دفع المفتاح الى شيبة
وكان عثمان بن طلحة هذا خياطا وهى صناعة نبى الله ادريس عليه السلام وفي
رواية انه صلى الله عليه وسلم لما دعا عثمان بن طلحة وقال يا رسول الله اجعل لى مع السقاية
فكف عثمان يده فقال صلى الله عليه وسلم ادن المفتاح فبسط يده فقال العباس مثل
كلمته الاولى فكف عثمان يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عثمان ان كنت تؤمن
بالله واليوم الاخر فهاتنى المفتاح فقال هاك بامانة الله ولعل هذا كان قبل دخوله

صلى الله عليه وسلم الكعبة فيكون طلب العباس ان يكون المفتاح له تكرر قبل دخوله الكعبة وبعده وفي رواية انه قال له ايتني بالمفتاح قال فاتيته به فاخذه مني ثم دفعه الي وقال خذوها تالدة خالدة لا ينزعها منكم الا ظالم وفي لفظ غيره ان الله رضيكم لها في الجاهلية والاسلام اني لم ادفعها اليكم ولكن الله دفعها اليكم ولا ينزعها منكم الا ظالم وفي لفظ لا يظلمكموها الا كافر ولا مانع ان يكون ذلك بعد ان دفعه علي له بامره صلى الله عليه وسلم وكانه احب صلى الله عليه وسلم ان يؤدي الامانة بيده الشريفة من غير واسطة وقال له يا عثمان ان الله استامنكم على بيته فكلوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف قال عثمان رضي الله عنه فلما وليت ناداني فرجعت اليه فقال الم يكن الذي قلت لك قال فذكرت قوله لي بمكة قبل الهجرة وقد اراد صلى الله عليه وسلم ان يدخل الكعبة مع الناس وكنا نفتحها في الجاهلية يوم الاثنين والخميس فلما اقبل ليدخلها اغلظت عليه ونلت منه وحلم علي ثم قال صلى الله عليه وسلم يا عثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدي فقال صلى الله عليه وسلم بل عمرت وعزت يومئذ فوقعت كلمته صلى الله عليه وسلم مني موقعا وظننت ان الامر سيصير الى ما قال صلى الله عليه وسلم فلما قال لي يوم الفتح ذلك قلت بلى اشهد انك رسول الله وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم دخل يوم فتح الكعبة ومعه بلال فامره ان يؤذن اي الظهر على ظهر الكعبة وابو سفيان وعتاب بن اسيد وفي لفظ خالد بن اسيد اي وخالد بن اسيد لقد اكرم الله اسيدا ان لا يكون يسمع هذا فيسمع منه ما يغيظه فقال الحارث اما والله لو اعلم انه حق لاتبعته اي وفي رواية انه قال اما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا ولا مانع من وجود الامرين منه ايضا وتقدم في عمرة القضاء وقوع مثل ذلك من جماعة لما اذن بلال على ظهر الكعبة ايضا اي وقال بعض بني سواس كنا دقريش لقد اكرم الله فلانا يعني اباه اذ قبضه قبل ان يرى هذا الاسود على ظهر الكعبة وفي لفظ والله الحدث العظيم ان يصيح عبد بني جمح ينهق على بنيته فقال ابو سفيان لا اقول شيئا لو تكلمت لاخبرت عني هذه الحصباء فخرج عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم لقد علمت الذي قلتم وذكر ذلك لهم فقال اما انت يا فلان فعلت كذا واما انت يا فلان فعلت كذا واما انت يا فلان فقلت كذا فقال ابو سفيان اما انا يا رسول الله فما قلت شيئا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الحارث وعتاب بن اسيد اي وخالد ابن اسيد نشهد انك رسول الله والله ما اطلع على هذا احد معنا فنقول اخبرك وجاء ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج على ابي سفيان وهو في المسجد فلما نظر اليه ابو سفيان قال في نفسه ليت شعري باي شيء غلبني فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ضرب بيده بين كتفيه فقال بالله غلبتك يا ابا سفيان فقال ابو سفيان اشهد انك رسول الله

وصا

وصار بعض من قريش يستهزئون ويحكون صوت بلال غيظا وكان من جملتهم ابو محذورة رضي الله عنه وكان من احسنهم صوتا فلما رفع صوته بالاذان مستهزئا سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر به فمثل بين يديه وهو يظن انه مقتول فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم ناصيته وصدره بيده الشريفة قال فامتلا قلبي والله ايمانا ويقينا وعلمت انه رسول الله فالقى علي رسول الله صلى الله عليه وسلم الاذان وعلمه اياه وامره ان يؤذن لاهل مكة وكان سنه ستة عشر سنة وعقبه بعده يتوارثون الاذان بمكة وتقدم ان اذان ابي محذورة وتعليمه صلى الله عليه وسلم الاذان كان مرجعه من حنين وتقدم طلب تامل الجمع بينهما وفي تاريخ الازرقي ان جويرية بنت ابي جهل قالت عند اذان بلال على ظهر الكعبة والله لا نحب من قتل الاحبة ابدا ولقد جاء لابي الذي جاء الى محمد من النبوة فردها فلم يرد خلاف قومه وعن الحارث بن هشام قال لما اجارتني ام هانئ واجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم جوارها فصار لا احد يتعرض لي وكنت اخشى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فمر علي وانا جالس ولم يتعرض لي وكنت استحيي ان يراني رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اذكره وتبديه اياي في كل موطن مع المشركين فلقيته وهو داخل المسجد فلقيني بالبشر فوقف حتى جئته فسلمت عليه وشهدت شهادة الحق فقال الحمد لله الذي هداك ما كان مثلك يجهل الاسلام وجاءه صلى الله عليه وسلم يوم الفتح السائب بن عبد الله المخزومي اي وقيل عبد الله بن السائب بن ابي السائب وقيل السائب بن عويمر وقيل قيس بن السائب بن عويمر قال في الاستيعاب وهذا اصح ما قيل في ذلك ان شاء الله تعالى وكان شريكا له صلى الله عليه وسلم في الجاهلية قال فاخذ عثمان وغيره يثنون علي فقال صلى الله عليه وسلم لهم لا تعلموني به كان صاحبي وفي لفظ لما اقبلت عليه قال مرحبا باخي وشريكي كان لا يداري ولا يماري وقد كنت تعمل اعمالا في الجاهلية لا تتقبل منك اي لم توقعها على الاسلام وهي الاعمال المتوقفة على النية التي شرطها الاسلام وهي اليوم تتقبل منك اي لوجود الاسلام وارسل سهيل بن عمرو ولده عبد الله ليأخذ له امانا منه صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ابي تؤمنه فقال صلى الله عليه وسلم نعم هو آمن بامان الله فليظهر ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله من لقي سهيلا بن عمرو فلا يحد اليه النظر فلعمري ان سهيلا له عقل وشرف وما مثل سهيل يجهل الاسلام فخرج ابنه عبد الله اليه فاخبره بمقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سهيل كان والله برا صغيرا برا كبيرا فكان سهيل يقبل ويدبر وخرج الى حنين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على شركه حتى اسلم بالجعرانة وذكر ان فضالة بن عمير بن الملوح حدث نفسه بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت عام الفتح فلما دنا منه رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال ما ذاكرت تحدث به نفسك قال لا شيء كنت اذكر الله فضحك النبي صلى الله
عليه وسلم ثم قال استغفر الله ثم وضع يده الشريفة على صدره فسكن قلبه فكان فضالة
رضي الله عنه يقول والله ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق الله شيئا احب الي منه قال ولما
كان الغد من يوم الفتح عدت خزاعة على رجل من هذيل فقتلوه وهو مشرك
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا بعد الظهر مسندا ظهره الى الكعبة وقيل
كان على راحلته فحمد الله واثنى عليه وقال ايها الناس ان الله تعالى حرم مكة يوم خلق السموات
والارض ويوم خلق الشمس والقمر ووضع هذين الجبلين فهي حرام الى يوم القيمة فلا يحل
لامرئ يؤمن بالله واليوم الاخر يسفك فيها دما ولا يعضد فيها شجرة لم تحل لاحد كان قبلي
ولم تحل لاحد يكون بعدي ولم تحل لي الا هذه الساعة اي من صبيحة يوم الفتح الى العصر
غضبا على اهلها الا وقد رجعت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهد منكم الغائب
فمن قال لكم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قاتل فيها فقولوا له ان الله تعالى قد احلها
لرسوله صلى الله عليه وسلم ولم يحلها لكم وقد جا في صحيح مسلم لا يحل ان يحمل السلاح بمكة
يا معشر خزاعة ارفعوا ايديكم عن القتل فقد كثر القتل فمن قتل بعد مقامي فاهله
بخير النظرين ان شاؤوا فدم قاتله وان شاؤوا فعقله ثم ودى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذلك الرجل الذي قتلته خزاعة وهو ابن الاقرع الهذلي من بني بكر فانه دخل مكة وهو على
شركه فعرفته خزاعة فاحاطوا به فطعنه منهم خراش بمشقص في بطنه حتى قتله فلامه
صلى الله عليه وسلم وقال لو كنت قاتلا بكافر لقتلت خراشا اي والمشقص ما طال من النصال
وعرض قال ابن هشام وبلغني انه اول قتيل وداه النبي صلى الله عليه وسلم وفيه انه تقدم
في جيرانه ودى قتيلا وقال صلى الله عليه وسلم يوم الفتح لا تغزى مكة بعد اليوم الى
يوم القيمة قال العلماء اي على الكفر اي لا يقاتلوا على ان يسلموا ونادى منادي رسول
الله صلى الله عليه وسلم بمكة من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يدع في بيته صنما الا
كسره ولما اسلمت هند رضي الله عنها عمدت الى صنم كان في بيتها وجعلت تضربه بالقدوم
وتقول كنا منك في غرور ثم بعث صلى الله عليه وسلم السرايا الى كسر الاصنام التي
حول مكة اي لانهم كانوا اتخذوا مع الكعبة اصناما جعلوا لها بيوتا يعظمونها كتعظيم
الكعبة وكانوا يهدون لها كما يهدون للكعبة ويطوفون بها كما يطوفون بالكعبة فكان
في كل حي صنم من ذلك منها كما تقدم العزى وسواع ومناة وسياتي الكلام على ذلك
في السرايا ان شاء الله تعالى اي وفي هذا العام الذي هو عام الفتح كانت غزاة اوطاس
واوطاس من هوازن حلل صلى الله عليه وسلم المتعة ثم بعد ثلاثة ايام حرمها ففي
مسلم عن بعض الصحابة امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمتعة وهي نكاح المرأة الى

صحيح

مدة عام الفتح حيث دخلنا مكة ثم لم نخرج حتى نهانا عنها وعن بعض الصحابة لما اذن
رسول الله صلى الله عليه وسلم في المتعة خرجت انا ورجل الى امرأة من بني عامر كانها بكرة
عيطاء وفي لفظ مثل البكرة العطنطنة فعرضنا عليها انفسنا فقلنا لها هل لك ان
يستمتع منك احدنا فقالت ما تدفعان قلنا بردينا وفي لفظ ردائينا فجعلت تنظر
فتراني اجمل من صاحبي وترى برد صاحبي احسن من بردي فاذا نظرت الي اعجبتها
واذا نظرت الى برد صاحبي اعجبها فقالت انت وبردك تكفيني فكنت معها ثلاثا ه
والحاصل ان نكاح المتعة كان مباحا ثم نسخ يوم خيبر ثم ابيح يوم الفتح ثم نسخ في
ايام الفتح واستمر تحريمها الى يوم القيمة وكان فيه خلاف في الصدر الاول ثم ارتفع واجمعوا
على تحريمه وعدم جوازه قال بعض الصحابة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما
بين الركن والباب وهو يقول ايها الناس اني كنت اذنت لكم في الاستمتاع الا وان الله
حرمها الى يوم القيمة فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيلها ولا تاخذوا مما اتيتموهن شيئا اي
لكن في مسلم عن جابر انه قال استمتعنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر
وفي رواية عنه حتى نهانا عنه عمر رضي الله عنه وقد تقدم في غزاة خيبر عن امامنا الشافعي
رضي الله عنه لا اعلم شيئا حرم ثم ابيح ثم حرم الا المتعة وهو يدل على ان اباحتها
عام الفتح كانت بعد تحريمها بخيبر ثم حرمت به وهذا يعارض ما تقدم ان الصحيح
انها حرمت في حجة الوداع الا ان يقال يجوز ان يكون تحريمها في حجة الوداع تاكيد
التحريم عام الفتح فلا يلزم ان تكون ابيحت بعد تحريمها اكثر من مرة كما يدل عليه كلام
امامنا لكن يخالفه ما في مسلم عن بعض الصحابة رخص لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عام اوطاس المتعة ثلاثا ثم نهى عنها وقد يقال مراد هذا القائل بعام اوطاس عام الفتح
لان غزاة اوطاس كانت في عام الفتح لان غزاة اوطاس كانت في عام الفتح كما تقدم وما
نقل عن ابن عباس من جوازها رجع عنه فقد قال بعضهم والله ما فارق ابن عباس الدنيا
حتى رجع الى قول الصحابة في تحريم المتعة ونقل عنه انه قام خطيبا يوم عرفة وقال
ايها الناس ان المتعة حرام كالميتة والدم ولحم الخنزير والحاصل ان المتعة من الامور
الثلاثة التي نسخت مرتين الثاني لحوم الحمر الاهلية الثالث القبلة كذا في حياة الحيوان
قال واستقرض رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثلاثة نفر من قريش اخذ من صفوان بن امية
خمسين الف درهم ومن عبد الله بن ابي ربيعة اربعين الف درهم ومن حويطب بن عبد
العزى اربعين الف درهم فرقها صلى الله عليه وسلم في اصحابه من اهل الضعف ثم وفاها
من غنيمة من هوازن وقال انما جزاء السلف الحمد والاداء انتهى واقام صلى الله عليه وسلم بمكة
اي بعد فتحها تسعة عشر وقيل ثمانية عشر يوما واعتمده البخاري بقصر الصلاة في مدة

اتاه بها وبهذا الثاني قال ايمتنا ان من اقام بمحل الحاجة يتوقعها كل وقت قصر ثمانية
عشر يوما غير يومي الدخول والخروج ولعل سببا قامة المدة المذكورة التي استرجى
انه كان فيها حصول المال الذي فرقه في اهل الضعف من اصحابه فلما تم له ذلك خرج من
مكة الى حنين لحرب هوازن جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن ابي وقاص وقد اخذ بيد
ابن وليدة زمعة ومعه عبد بن زمعة فقال سعد يا رسول الله هذا ابن اخي عتبة بن ابي
وقاص عهد الي انه ابنه اي قال اذا قدمت مكة انظر الى ابن وليدة ابي زمعة فانه مني
فاقبضه اليك فقال عبد بن زمعة يا رسول الله هذا اخي ابن وليدة ابي زمعة ولد
على فراشه اي مع كونها فراشه فنظر صلى الله عليه وسلم الى ذلك الولد فاذا هو اشبه الناس
بعتبة بن ابي وقاص فقال لعبد بن زمعة هو اخوك يا عبد بن زمعة من اجل انه ولد على
فراش ابيك زمعة الولد للفراش وللعاهر الحجر وقال لزوجته سودة بنت زمعة
احتجبي منه يا سودة لما رآه عليه من شبه عتبة اي تخشى ان يكون ابن خاله فامرها بالاحتجاب
ندبا واحتياطا فلم يرها حتى لقي الله **وفي** بعض الروايات احتجبي منه يا سودة فليس
لك باخ وسرقت امراة فاراد صلى الله عليه وسلم قطعها ففزع قومها الى اسامة بن زيد
ابن حارثة يستشفعون به فلما كلمه اسامة فيه تلون وجهه صلى الله عليه وسلم وقال
اتكلمني في حد من حدود الله تعالى فقال اسامة استغفر لي يا رسول الله ثم قام صلى الله عليه
وسلم خطيبا فاثنى على الله تعالى بما هو اهله ثم قال اما بعد فانما اهلك الناس قبلكم انهم
كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد والذي
نفسي بيده لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بتلك المراة فقطعت يدها **وفي** كلام بعضهم كانت العرب في الجاهلية يقطعون
يد السارق اليمنى وولى صلى الله عليه وسلم عتاب بن اسيد وعمره احدى وعشرون سنة
امر مكة وامره ان يصلي بالناس وهو اول امير صلى بمكة بعد الفتح جماعة وترك صلى الله عليه وسلم
معاذ بن جبل رضي الله عنه معه معلما للناس السنن والفقه **وفي** الكشاف وعنه صلى
الله عليه وسلم انه استعمل على اهل الله اي قال ذلك ثلاثا فكان رضي الله عنه شديدا
على المريب لينا على المؤمن وقال والله لا اعلم متخلفا يتخلف عن الصلاة في جماعة الا ضربت
عنقه فانه لا يتخلف عن الصلاة الا منافق فقال اهل مكة يا رسول الله لقد استعملت على اهل
الله عتاب بن اسيد اعرابيا جافيا فقال صلى الله عليه وسلم اني رأيت فيما يرى النائم كان عتاب
ابن اسيد اتى باب الجنة فاخذ بحلقة الباب فقلقلها قلقالا شديدا حتى فتح له فدخلها
فاعز الله به الاسلام لنصرته للمسلمين على من يريد ظلمهم هذا **وفي** تاريخ الازرقي ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال لقد رأيت اسيدا في الجنة واني اي كيف يدخل اسيد الجنة

فعرض

فعرض له عتاب بن اسيد فقال صلى الله عليه وسلم هذا الذي رأيت ادعوه لي فدعي له فاستعمله
يومئذ على مكة ثم قال يا عتاب اتدري على من استعملتك على اهل الله فاستوص بهم خيرا
يقولها ثلاثا فان قيل كيف يقول صلى الله عليه وسلم عن اسيد انه رآه في الجنة ثم يقول
عن ولد اسيد انه الذي رآه في الجنة قلنا لعل عتابا كان شديد الشبه بابيه اسيد فظن
عتابا اباه ثم لما رآه عرف انه عتاب لا اسيد **وفي** كلام سبط ابن الجوزي عتاب بن
اسيد استعمله سنة **وفي** كلام غيره ما يفيد انه صلى الله عليه وسلم انما استخلف عتاب بن
اسيد وترك معه معاذ بن جبل بعد عوده من الطائف وعمرته من الجعرانة الا ان
يقال لا مخالفة ومراده باستخلافه ابقاؤه على ذلك وينبغي ان يكون ما تقدم عن
الكشاف من قول اهل مكة له صلى الله عليه وسلم لقد استخلفت على اهل الله عتاب بن اسيد
الخ بعد ابقائه على المنام استخلافه لما لا يخفى **وكان** رأى رسول الله صلى الله عليه
وسلم في المنام ان اسيدا والد عتاب واليا على مكة مسلما فمات على الكفر فكانت
الرؤيا لولده كما تقدم مثل ذلك في ابي جهل وولده عكرمة رضي الله عنه ولما ولاه
صلى الله عليه وسلم على مكة جعل له في كل يوم درهما فكان رضي الله عنه يقول لا اشبع
الله بطنا جاع على درهم في كل يوم **وروي** انه قام فخطب الناس فقال ايها الناس
اجاع الله كبد من جاع على درهم اي له درهم فقد رزقني رسول الله صلى الله عليه وسلم
درهما في كل يوم فليست بي حاجة الى احد **وعن** جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
استعمل عتاب بن اسيد على مكة وفرض له عمالته اربعين اوقية من فضة ولعل الدرهم
كل يوم نحو القدر المذكور اي اربعين اوقية في السنة فلا مخالفة **وفي** السنن الكبرى
للبيهقي وولد عتاب هذا عبد الرحمن الذي قطعت يده يوم الجمل واحتملها النسر والقاها
بمكة وقيل بالمدينة كان يقال له يعسوب قريش

غزوة حنين

اسم موضع قريب من الطائف **وفي** كلام بعضهم الى جنب ذي المجاز وهو سوق الجاهلية
تقدم ذكره **وفي** كلام بعض اخر اسم لما بين مكة والطائف ويقال لها غزوة هوازن
ويقال لها غزوة اوطاس باسم الموضع الذي كانت به الوقعة في اخرة الامر وسببها
انه لما فتح الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم مكة اطاعت له قبائل العرب الا هوازن
وثقيفا فان اهلها كانوا طغاة عتاة مردة قال ائمة المغازي لما فتح رسول الله صلى
الله عليه وسلم مكة مشت اشراف هوازن وثقيف بعضها الى بعض واشفقوا اي خافوا
ان يغزوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا قد فرغ لنا فلا ناهية اي مانع له دوننا
والراي ان نغزوه قبل ان يغزونا فحشدوا وبغوا وقالوا والله ان محمدا لاقى قوما
لا يحسنون القتال فاجمعت هوازن امرها اي جمعوا وكان جامع امر الناس مالك

ابن عوف النصري اى بالصاد المهملة رضي الله عنه فانه اسلم بعد ذلك ٥ فاجتمع
اليه من القبايل جموع كثيرة فيهم بنو سعد بن بكر وهم الذين كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم مسترضعا فيهم وحضر معهم دريد بن الصمة وكان شجاعا مجربا
لكنه كبر اى لانه بلغ عشرين ومائة سنة وقيل مائة وخمسين وقيل مائة وسبعين
اى وقيل قارب المائتين قال ابن الجوزي وقد عمي وصار لا ينتفع الا برايه ومعرفته
بالحرب اى لانه كان صاحب راى وتدبير ومعرفة بالحرب وكان قايد ثقيف ريسهم
كنانة بن عبد ياليل رضي الله عنه فانه اسلم بعد ذلك وقيل قارب بن الاسود
وكان سن مالك بن عوف اذ ذاك ثلاثين سنة فامر الناس باخذ اموالهم *
ونسايهم واتباعهم معهم فلما نزل باوطاس اجتمع اليه الناس وفيهم دريد بن الصمة
فقال دريد للناس باى واد انتم قالوا باوطاس قال نعم مجال الخيل وفي لفظ مجال
الخيل بالجيم لا حزن ضرس والحزن بفتح الحا المهملة واسكان الزاى وبالنون ما
غلظ من الارض والضرس بكسر الضاد المعجمة واسكان الرا وبالسين المهملة
ما صلب من الارض ولا سهل دهس والسهل ضد الحزن والدهس بفتح الدال المهملة
والها وبالسين المهملة اللين كثير التراب ما لى اسمع رغا البعير ونهاق الحمير بضم
النون اى صوتها وبكا الصغير ويعار الشاء واليعار بضم اليا المثناة تحت
وبالعين المهملة المخففة واليعار صوت الشاة ويقال ثواج بالمثلثة مضمومة
وفتح الهمزة وبالجيم اى وخوار البقر اى صوتها قالوا ساق مالك بن عوف مع *
الناس اموالهم ونساهم وابناوهم قال اين مالك اى وكان توافق معه ان لا يخالفه
فانه قال له انك تقاتل رجلا كريما قد اوطا العرب وخافته العجم واجلا يهود الحجاز
اى غالبهم اما قتلا واما اخراجا عن ذل وصغار فقال له لا تخالفك في امر تراه فقيل
له هذا مالك فقال يا مالك انك قد اصبحت رييس قومك وان هذا يوم كاين له ما
بعده من الايام ما لى اسمع رغا البعير ونهاق الحمير وبكا الصغير ويعار الشاء
وخوار البقر قال سقت مع الناس ابناوهم ونساهم واموالهم قال ولم قال اردت ان
اجعل خلف كل رجل اهله وماله يقاتل عنهم فانقض به قال ابو ذر اى زجره كما تزجر
الدابة وهو ان يلصق اللسان بالحنك الاعلى ويصوت به وهو معنى قول الاصل اى
صوت بلسانه في فيه ثم قال له راعي وفي لفظ رويعي ضان والله ما له وللحرب اى
ومن كان هذه صفته ما له وللحرب ثم اشار عليه برد الذرية والاموال وقال هل يرد المنهزم
شي ان كانت لك لم ينفعك الا رجل بسيفه ورمحه وان كانت عليك فضحت في اهلك
ومالك ثم قال ما فعلت كعب وكلاب قالوا لم يشهدها منهم احد قال غاب الحد والجد الاول

بفتح الحا المهملة والثاني بالمعجمة مكسورة ضد الهزل وبفتحها الحظ لو كان يوم
علاء ورفعة ما غابا ثم اشار عليه بامور لم يقبلها مالك منه وقال والله لا اطيعك
انك قد كبرت وضعف رايك فقال دريد لهوازن قد شرط يعني مالك ان لا يخالفني
فقد خالفني فانا ارجع الى اهلي فمنعوه وقال مالك والله لتطيعنني يا معشر هوازن
او لاتكين على هذا السيف حتى يخرج من ظهري وكره ان يكون لدريد فيها راى او ذكر
قالوا اطعناك اى ثم جعل النسا فوق الابل ورا المقاتلة صفوفا ثم جعل الابل والبقر
والغنم ورا ذلك ليلا يفروا وفي لفظ صفت الخيل ثم الرجالة المقاتلة ثم صف النسا
على الابل ثم صفت الغنم ثم صفت النعم ثم قال للناس اذا رايتموهم شدوا عليهم شدة
رجل واحد وبعث عيونا له اى وهم ثلاثة نفر ارسلهم لينظروا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم واصحابه فاتوه وقد تفرقت اوصالهم قال ويلكم ما شانكم قالوا راينا
رجالا بيضا على خيول بلق فوالله ما تماسكنا ان اصابنا ما ترى وان اطعتنا رجعنا بقومك
فقال اف لكم بل انتم اجبن العسكر فحبسهم عنده خوف ان يشيع ذلك في العسكر فلم
يرده ذلك ومضى على ما يريد ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باجتما
ارسل اليهم رجلا من اصحابه اى وهو عبد الله بن ابي حدرد الاسلمي وامره ان يدخل
فيهم ويسمع منهم ما اجمعوا عليه فدخل فيهم اى ومكث فيهم يوما او يومين وسمع ثم
اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره الخبر اى وجاء رجل فقال يا رسول الله اني
انطلقت بين ايديكم حتى طلعت جبل كذا فاذا انا بهوازن عن بكرة ابيهم بظعنهم ونعمهم
وشايهم اجتمعوا الى حنين فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال تلك غنيمة المسلمين غدا ان شا
الله تعالى فاجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم امر السير الى هوازن وذكر له ان عند صفوان
ابن امية ولم يكن اسلم يوميذ بل كان مومنا ادراعا وسلاحا فارسل صلى الله عليه وسلم
اليه فقال له يا ابا امية اعرنا سلاحك نلقى به عدونا غدا فقال صفوان اغصبا يا محمد
فقال بل عارية وهي مضمونة حتى نوديها اليك قال ليس بهذا باس وفي رواية الامام احمد
قال صفوان عارية موداة فقال النبي صلى الله عليه وسلم العارية موداة فاعطاه مائة
درع بما يكفيها من السلاح قيل وساله صلى الله عليه وسلم ان يكفيهم حملها ففعل وذكر ان
بعض تلك الادراع ضاع فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يضمنها له فقال
انا اليوم يا رسول الله في الاسلام ارغب قال واستعار صلى الله عليه وسلم من ابن عمه
نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ثلاثة الاف رمح فقال له كاني انظر الى رماحك هذه
تقصف ظهر المشركين انتهى اى وتقدم ان نوفل هذا فدى نفسه وكان في اسرى بدر بالف رمح *
وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في اثني عشر الفا الفان من اهل مكة والعشرة

الان الذين فتح الله تعالى بهم مكة اي على ما تقدم قال بعضهم وخرج اهل مكة ركبانا
ومشاة حتى النسا يمشين على غير دين يرجون الغنايم ولا يكرهون اي من لم يصدق
ايمانه ان الضيقة وفي لفظ الصدمة برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه اي
فقد خرج معه صلى الله عليه وسلم ثمانون من المشركين منهم صفوان بن امية وسهيل
ابن عمرو فلما قربوا من محل العدو صفهم ووضع الالوية والرايات مع المهاجرين والانصار
فلوا المهاجرين اعطاه عليا كرم الله وجهه واعطى سعد بن ابي وقاص راية واعطى
عمر بن الخطاب راية ولوا الخزرج اعطاه الحباب بن المنذر رضي الله عنه ولوا الاوس
اعطاه اسيد بن حضير رضي الله عنه وفي سيرة الدمياطي وفي كل بطن من الاوس
والخزرج لوا وراية يحملها رجل منهم وكذلك قبايل العرب فيها الالوية والرايات
يحملها رجال منهم وركب صلى الله عليه وسلم بغلته ولبس درعين والمغفر والبيضة
والدرعان هما ذات الفضول والسعدية بالسين المهملة والغين المعجمة وهي درع
داود عليه السلام التي لبسها حين قتل جالوت ومروا بشجرة سدرة كان المشركون
يعظمونها وينوطون بها اسلحتهم اي يعلقونها بها فقال الصحابة رضوان الله عليهم يا رسول
الله اجعل لنا ذات انواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر هذا كما قال قوم
موسى عليه السلام اجعل لنا الها كما لهم الهة قال انكم قوم تجهلون لتركبن سنن من
كان قبلكم فلما كان بحنين وانحدروا في الوادي اي وذلك عند غبش الصبح خرج
عليهم القوم وكانوا اكمنوا لهم في شعاب الوادي ومضايقه وذلك باشارة دريد
ابن الصمة فانه قال لمالك اجعل لك كمينا يكون لك عونا ان حمل القوم عليك جاءهم
الكمين من خلفهم وكررت انت بمن معك وان كانت الحملة لك لم يفلت من القوم احد
فحملوا عليهم حملة رجل واحد اي وكانوا رماة فاستقبلوهم بالنبل كانهم جراد منتشر
لا يكاد يسقط لهم سهم اي وعن البرا رضي الله عنه وساله رجل فقال افررتم عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال البرا ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر
واما ما روي عن سلمة بن الاكوع رضي الله عنه مررت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم منهزما حال من سلمة لا من النبي صلى الله عليه وسلم لانه صلى الله عليه وسلم لم
ينهزم في موطن من المواطن كما تقدم قال البرا كانت هوازن ناسا رماة وانا لما حملنا
عليهم انكشفوا فاكببنا على الغنايم فاستقبلونا بالسهام فاخذ المسلمون راجعين
منهزمين لا يلوي احد على احد ويقال ان الطلقا وهم اهل مكة قال بعضهم لبعض اي
من كان اسلامه مدخولا منهم اخذلوه هذا وقته فانهزموا فهم اول من انهزم وتبعهم
الناس وعند ذلك قال ابو قتادة لعمر رضي الله عنهما شان الناس قال امر الله وهذا

السياق يدل على انهم انهزموا مرتين الاولى في اول الامر والثانية بعد انكباب المسلمين
على اخذ الغنيمة والذي في الاصل الاقتصار على الاول وانحاز رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذات اليمين ومعه نفر قليل منهم ابو بكر وعمر وعلي والعباس وابنه الفضل وابو
سفيان بن اخيه الحارث وربيعة بن الحارث ومعتب بن عمه ابي لهب وفقيت عينه ولم
اقف على ايهما كان اي ووردت في عدد من ثبت معه روايات مختلفة فقيل مائة وقيل
ثمانون وقيل اثنا عشر وقيل عشرة وقيل كانوا ثلاثمائة ولا مخالفة لامكان الجمع وصار
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انا رسول الله انا محمد بن عبد الله انا عبد الله ورسوله وعن
العباس رضي الله عنه قال كنت اخذا بحكمة بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم اي وهي الشهبا
التي اهداها له فروة بن عمرو الجذامي صاحب البلقا وعامل ملك الروم على فلسطين
يقال لها فضة وقيل التي يقال لها دلدل التي اهداها المقوقس وفي البخاري
الذي اهداها له ملك ايلة قال بعضهم والاول اثبت ويدل للثاني ما اخرجه ابو نعيم
عن انس بن مالك رضي الله عنه قال انهزم المسلمون بحنين ورسول الله صلى الله
عليه وسلم على بغلته الشهبا وكان يسميها دلدل فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم
دلدل البدي فالزقت بطنها بالارض الحديث وابو سفيان بن الحارث اخذ
بركابه صلى الله عليه وسلم وهو يقول حين راى ما راى من الناس الى اين ايها الناس فلم
ار الناس يلوون على شي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عباس اصرخ يا معشر الانصار
يا اصحاب السمرة يعني الشجرة التي كانت تحتها بيعة الرضوان اي وفي لفظ يا عباس
اصرخ بالمهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة وبالانصار الذين اووا ونصروا اي
وانما خص العباس بذلك لانه كان عظيم الصوت كان صوته يسمع من ثمانية اميال
كان يقف على سلع وينادي غلمانه اخر الليل وهم بالغابة فيسمعهم وبين سلع
والغابة ثمانية اميال وغارت الخيل يوما على المدينة فنادى واصباحاه فلم
تسمعه حامل الا وضعت من عظم صوته وفي لفظ اخر نادى يا اصحاب البيعة
يوم الحديبية يا اصحاب سورة البقرة اي وخص سورة البقرة بالذكر لانها اول
سورة نزلت في المدينة ولان فيها كم من فية قليلة غلبت فية كثيرة باذن الله وفيها
واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وفيها ومن الناس من يشري نفسه ابتغا مرضات الله
وفي لفظ نادى يا انصار الله وانصار رسوله يا بني الخزرج خصهم بالذكر بعد
التعميم لانهم كانوا صبرا في الحرب او غلب فاجابوا لبيك لبيك وفي لفظ يا لبيك
يا لبيك اي وفي البخاري لما ادبروا عنه صلى الله عليه وسلم حتى بقي وحده فنادى
يومئذ ندائين التفت عن يمينه فقال يا معشر الانصار قالوا لبيك يا رسول الله ابشر

نحن معك ثم التفت عن يساره فقال يا معشر الانصار قالوا لبيك يا رسول الله
ابشر نحن معك ويجوز ان يكون هذا بعد ندا العباس وقربهم منه صلى الله عليه وسلم
وصار الرجل يلوى بعيره فلا يقدر على ذلك اى لكثرة الاعراب المنهزمين ه فياخذ
درعه فيقذفها فى عنقه وياخذ سيفه وترسه ويقتحم عن بعيره ويخلى سبيله ويؤم
الصوت حتى ينتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم فما شبهت عطفة
الانصار على رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عطفة الابل **وفى** لفظ عطفة
البقر على اولادها فلرماحهم اخوف عندى على رسول الله صلى الله عليه وسلم من
رماح الكفار حتى اذا انتهى اليه من الناس مائة استقبلوا الناس فاقتتلوا واشرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القوم وهم يجتلدون اى وكان شعارهم كيوم
فتح مكة فقال صلى الله عليه وسلم الان حمى الوطيس وهى حجارة توقد العرب تحتها
النار يشوون عليها اللحم والوطيس فى الاصل التنور وهى من الكلمات التى لم تسمع
الا منه صلى الله عليه وسلم وهو متكئ يضرب لشدة الحرب اى وصار يقول انا النبى لا كذب
انا ابن عبد المطلب **وهذا** السياق يدل على ان المائة انتهت اليه صلى الله عليه وسلم
بعد الهزيمة وهو يؤيد القول بان الذين ثبتوا معه صلى الله عليه وسلم لم يبلغوا المائة
وفى رواية لما انكشف الناس عنه يوم حنين قال لحارثة بالحا المهملة بن النعمان
يا حارثة كم ترى الناس الذين ثبتوا فحزرتهم مائة فقلت يا رسول الله مائة فلما كان
يوم من الايام مررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يناجى جبريل عند باب
المسجد فقال جبريل يا محمد من هذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حارثة بن النعمان
فقال جبريل هو احد المائة الصابرة يوم حنين لو سلم لرددت عليه السلام قال فلما اخبرنى
بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت له ما كنت اظنه الا دحية الكلبى واقفا
معك **وفى** رواية لما فر الناس يوم حنين عن النبى صلى الله عليه وسلم لم يبق معه الا
اربعة ثلاثة من بنى هاشم ورجل من غيرهم على بن ابى طالب والعباس وهما بين يديه
وابو سفيان بن الحارث اخذ بالعنان وابن مسعود من جانبه الايسر ولا يقبل
احد من المشركين جهته صلى الله عليه وسلم الا قتل **وذكر** بعضهم انه راى ابا سفيان
ابن الحارث حينئذ اخذ بزمام بغلته صلى الله عليه وسلم ولا ينافى ما تقدم ان الآخذ به ذلك
العباس وان ابا سفيان الحارث كان اخذا بركابه صلى الله عليه وسلم لجواز ان يكون اخذ
بزمامها بعد اخذه بركابه **وعن** ابى سفيان بن الحارث قال لما لقينا العدو بحنين
اقتحمت عن فرسى وبيدى السيف مصلتا والله يعلم انى اريد الموت دونه وهو ينظر
الى فقال له العباس يا رسول الله اخوك وابن عمك ابو سفيان فارض عنه فقال اغفر الله له

كل عداوة عادانيها ثم التفت الى وقال يا اخى فقبلت رجله فى الركاب وقال صلى الله
عليه وسلم فى حقه ابو سفيان بن الحارث من شبان اهل الجنة او من سيد فتيان
اهل الجنة وليس قوله صلى الله عليه وسلم انا النبى الخ من الشعر لان شرطه كما تقدم
فى بنا المسجد ان يكون وزنه عن قصد ورويته بناء على ان مشطور الرجز منهوكه شعر
وهو الصحيح خلافا للاخفش حيث رد على الخليل فى قوله ان الرجز شعر بانه وقع منه
صلى الله عليه وسلم فى قوله المذكور وقد قال الله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغى له ورد
بان ما يقع موزونا لا عن قصد لا يقال له شعر ولا يقال لقائله انه شاعر كما تقدم مع
زيادة وانما قال صلى الله عليه وسلم انا ابن عبد المطلب ولم يقل ابن عبد الله لان العرب
كانت تنسبه صلى الله عليه وسلم الى جده عبد المطلب لشهرته ولموت عبد الله فى حياته
كما تقدم فليس من الافتخار بالآبا الذى هو من عمل الجاهلية كما تقدم كليس من فى قوله
صلى الله عليه وسلم انا ابن العواتك والفواطم واخذ من هذا انه لا باس بالانتساب فى الحرب
وذكر الخطابى انه انما قال انا ابن عبد المطلب لا على سبيل الافتخار ولكن
ذكرهم صلى الله عليه وسلم بذلك رؤيا كان راها عبد المطلب ايام حياته وكانت القصة
مشهورة عندهم فعرفهم بها وذكرهم اياها وهى احدى دلايل نبوته صلى الله عليه وسلم
ثم نزل عن بغلته وقيل لم ينزل بل قال يا عباس ناولنى من الحصبا فانخفضت
به بغلته حتى كادت بطنها تمس الارض ثم قبض قبضة من تراب قال بعضهم كان الله
افهمها اى فهم البغلة كلامه صلى الله عليه وسلم اى علمت مراده **وفى** رواية كما تقدم
انه قال لها يا دلدل البدى فلبدت اى انخفضت **وفى** رواية قال رضى الله عنه اربضى دلدل
فربضت وقيل ناوله العباس ذلك وقيل ناوله على وقيل ابن مسعود رضى الله
عنهم فعن ابن مسعود قال حادت بى بغلته فمال السرج فقلت ارتفع رفعك الله فقال ناولنى كفا
من تراب فناولته ثم استقبل بها وجوههم فقال شاهت الوجوه اى **وفى** رواية حم
لا ينصرون وفى رواية جمع بينهما فما خلق الله منهم انسانا الا ملئت عيناه وفمه
ترابا بتلك القبضة وقال انهزموا ورب محمد فولوا مدبرين ه اى وقال بعضهم يخيل
الينا الان كل حجر او شجر فارس يطلبنا وحدث رجل كان من المشركين يوم حنين
قال لما التقينا نحن واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقوموا لنا حلبة شاة
ان كشفناهم قال فبينما نحن نسوقهم ونحن فى اثارهم اذ صاحب بغلة بيضاء واذا هو
رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان الوجوه
وقالوا شاهت الوجوه ارجعوا فانهزمنا من قولهم وركبوا اكتافنا فكانت اياها
والى رميته صلى الله عليه وسلم بالحصبا اشار صاحب الهمزية بقوله

ورمى بالحصا فاقصد جيشا ۞ ما العصا عنده وما الالقاء ۞

اى ورمى صلى الله عليه وسلم بالحصا فاهلك ذلك الجيش العظيم اى ما عصا موسى
عليه السلام عند ذلك الحصا فاى شىء القاء موسى لتلك العصا عند القاء ذلك
الحصا لشتان ما بينهما فلا يقاس هذا بذلك لان هذا اعظم لان انقلاب العصا
حية كان مشابها لانقلاب حبالهم وعصيهم حيات ولان ابتلاعها الحبال لهم وعصيهم
لم يقهر العدو ولم يشتت شملهم بل زاد بعدها طغيانهم وعتوهم على موسى عليه السلام
بخلاف هذا الحصى فانه اهلك العدو وشتت شمله **وذكر** انه عند القتال
انزل الله تعالى قوله ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا الى قوله والله غفور
رحيم **فقد جا** ان بعض اصحابه اى وهو ابو بكر رضى الله عنه كما فى سيرة الحافظ
الدمياطى قال يا رسول الله لن نغلب اليوم من قلة وشق ذلك على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وساءته تلك الكلمة وقيل بل قايل ذلك هو صلى الله عليه وسلم لما راى كثرة
المسلمين وقيل قال ذلك فتى من الانصار اى وهو سلمة بن سلامة بن وقش اى
وجا انه صلى الله عليه وسلم رفع يومئذ يديه وقال اللهم انشدك ما وعدتنى
اللهم لا ينبغى لهم ان يظهروا علينا اى واخرج البيهقى فى الاسما والصفات عن
الضحاك قال دعا موسى عليه الصلاة والسلام حين توجه الى فرعون ودعا رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين كنت وتكون وانت حى لا تموت تنام العيون
وتنكدر النجوم وانت حى قيوم لا تاخذه سنة ولا نوم يا حى يا قيوم وكان امام
المشركين رجل على جمل احمر بيده راية سودا فى راس رمح طويل وهوازن خلفه اذا
ادرك طعن برمحه واذا فاته رفع رمحه لمن وراه فاتبعوه فبينما هو كذلك اذ
اهوى اليه على بن ابى طالب ورجل من الانصار يريدانه فاتى على من خلفه وضرب
عرقوبى الجمل فوقع على عجزه ووثب الانصارى على الرجل فضربه ضربة اطن قدمه
بنصف ساقه واجتلد الناس فوالله ما رجعت راجعة المسلمين من هزيمتهم
حتى وجدوا الاسارى مكتفين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم **ولما** انهزم المسلمون
تكلم رجال من اهل مكة بما فى نفوسهم من الضغن ومنهم ابو سفيان بن حرب رضى
الله عنه قيل وكان اسلامه بعد مدخولا وكانت الازلام فى كنانته فقال لا تنتهى
هزيمتهم يعنى المسلمين دون البحر اى وقال والله غلبت هوازن فقال له صفوان
بفيك الكثكث اى الحجارة والتراب وقد وصلت الهزيمة الى مكة وسر بذلك قوم
من اهل مكة واظهروا الشماتة وقال قايل منهم ترجع العرب الى دين ابائها اى وقال
اخ اى وهو اخو صفوان لامه الا قد بطل الله السحر اليوم فقال له صفوان وهو يومئذ

مشرك

مشرك اسكت فض الله فاك اى اسقط اسنانك فوالله لان يربنى من الربوبية
اى يملكنى ويدبر امرى رجل من قريش احب الى من ان يربنى رجل من هوازن **وفى**
رواية مر رجل من قريش على صفوان بن امية فقال ابشر بهزيمة محمد واصحابه فوالله
لا يجبرونها ابدا فغضب صفوان وقال اتبشرنى بظهور الاعراب فوالله لرب رجل
من قريش احب الى من رجل من الاعراب وقال عكرمة بن ابى جهل وكونهم لا يجبرونها
ابدا هذا ليس بيدك الامر بيد الله ليس الى محمد منه شىء ان اديل عليه اليوم فان له
العاقبة غدا فقال له سهيل بن عمرو والله ان عهدك بخلافه لحديث فقال له يا ابا يزيد
انا كنا على غير شىء وعقولنا ذاهبة نعبد حجرا لا يضر ولا ينفع وعن شيبة الحجبى
اى حاجب البيت ويقال لبنيه بنو شيبة وهم حجبة البيت كما تقدم انه كان يحدث
عن سبب اسلامه قال ما رايت اعجب مما كنا من لزوم ما مضى عليه اباونا من الضلالات
فلما كان عام الفتح ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وسار الى حرب هوازن
قلت اسير مع حرب قريش الى هوازن بحنين فعسى ان اختلطوا ان اصيب من محمد
غرة فاقتله فاكون الذى قمت بثار قريش كلها اى **وفى** لفظ اليوم ادرك ثارى من محمد
اى لان اباه وعمه قتلا يوم احد قتلهما حمزة كما تقدم **واقول** لو لم يبق من العجم والعرب
احد الا اتبع محمدا ما تبعته لا يزداد ذلك الامر عندى الا شدة فلما اختلط الناس
ونزل صلى الله عليه وسلم عن بغلته اصلت السيف ودنوت منه اريد الذى اريد منه
ورفعت السيف حتى كدت اوقعه به فعل رفع الى شواظ من نار كالبرق كاد يمحكنى
فوضعت يدى على بصرى خوفا عليه **وفى** رواية لما هممت به حال بينى وبينه خندق
من نار وسور من حديد والتفت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتفت الى وتبسم
وعرف الذى اريد فنادانى يا شيبة ادن منى فدنوت منه فمسح صدرى ثم قال اللهم
اعذه من الشيطان قال شيبة فوالله لهو كان الساعة اذن احب الى من سمعى وبصرى
ونفسى واذهب الله ما كان فى ثم قال صلى الله عليه وسلم ادن فقاتل فتقدمت امامه
اضرب بسيفى الله يعلم انى احب ان اقيه بنفسى كل شىء ولو كان ابى حيا ولقيته
تلك الساعة لاوقعت به السيف فجعلت الزمه فيمن لزمه حتى تراجع المسلمون وكروا
كرة رجل واحد وقربت اليه صلى الله عليه وسلم بغلته فاستوى عليها قايما وخرج فى اثرهم
حتى تفرقوا فى كل وجه اى لا يلوى احد منهم على احد وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يقتل من قدر عليه واتبعهم المسلمون يقتلونهم حتى قتلوا الذرية فنهاهم النبى
صلى الله عليه وسلم عن قتل الذرية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا
فله سلبه وفى رواية من اقام بينة على قتيل قتله فله سلبه وفى الاصل فى غزوة

بعد المشهور ان قول النبي صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه انما كان يوم حنين
واما ما روى انه قال ذلك يوم بدر وفي يوم احد فاكثر ما يوجد في رواية من لا يحتج به
ومن ثم قال الامام مالك لم يبلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك الا يوم حنين
وتعقب ما في الاصل بانه وقع ذلك في غزوة موتة كما في مسلم وهي قبل الفتح وفي كلام
بعضهم كون السلب للقاتل امر مقرر من اول الامر وانما تجدد يوم حنين الاعلام
العام والمناداة الا شرعية وحدث انس ان ابا طلحة استلب وحده عشرين رجلا
اي قتلهم واخذ اسلابهم وقال ابو قتادة رأيت يوم حنين مسلما ومشركا يقتتلان واذا
رجل من المشركين يريد ان يعين المشرك على المسلم فاتيته وضربت يده فقطعتها فاعتنقني
بيده الاخرى فوالله ما ارسلني حتى وجدت ريح الموت ولولا ان الدم نزفه لقتلني فسقط
وضربته فقتلته واجهضني القتال عن اسلابه فلما وضعت الحرب اوزارها قلت
يا رسول الله لقد قتلت قتيلا ذا سلب واجهضني عنه القتال فما ادري من استلبه
فقال رجل من اهل مكة صدق يا رسول الله فارضه عني من سلبه فقال ابو بكر رضي الله عنه
لا والله لا يرضيه تعمد الى اسد من اسد الله يقاتل عن دين الله تقاسمه سلب قتيله **وفي**
لفظ قال ابو بكر اي للنبي صلى الله عليه وسلم كلا لا تعطيه اضيبع من قريش وتدع اسدا من اسد
الله يقاتل عن الله ورسوله والاضيبع تصغير ضبع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
صدق اردد عليه سلبه قال ابو قتادة فاخذته منه وابتعت بثمنه اي السلب الذي
جمعه بستانا وادرك ربيعة بن رفيع دريد بن الصمة فاخذ بخطام جمله وهو يظن
انه امرأة فاذا هو شيخ كبير اعمى ولا يعرفه الغلام فقال له دريد ماذا تريد فقال اقتلك
قال ومن انت قال انا ربيعة بن رفيع السلمي ثم ضربه بسيفه فلم يغن شيئا فقال له الشيخ
بئس ما سلحتك امك خذ سيفي هذا من مؤخر الرحل ثم اضرب به وارفع عن العظام
واخفض عن انك قتلت دريد بن الصمة فرب يوم قد منعت فيه نساءك فقتله فلما اخبر
ربيعة امه بقتله فقالت اما والله لقد اعتق اثنين بل ثلاثا وقالت له الا اكرمت عن
قتله لما اخبرك بمنه علينا فقال ما كنت لاتكرم عن رضى الله ورسوله اي وقيل القاتل
له دريد بن الصمة الزبير بن العوام وقيل عبد الله بن قبيع وكانت ام سليم مع
زوجها ابي طلحة وهي حازمة وسطها ببرد لها وفي حزامها خنجر وكانت حاملا بابنها
عبد الله فقال لها زوجها ابو طلحة ما هذا الخنجر معك يا ام سليم قالت ان دنى مني احد
من المشركين بعجته به فقال ابو طلحة الا تسمع يا رسول الله ما تقول ام سليم الرميصا
فاعادت عليه القول فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك اي وكان يقال
لها الغميصا والرميصا وهي التي تخرج القذى من عينها ومن ثم قال بعضهم قيل لها

الرميصا

الرميصا لرمص كان في عينيها **وعن** ولدها انس بن مالك رضي الله عنه وقد مات ابي
مالك عنها مشركا ثم خطبها عمي ابو طلحة وهو مشرك فابت ودعته الى الاسلام فاسلم
فقالت له اني اتزوجك ولا اخذ منك صداقا غيره فتزوجها قال انس قال النبي صلى
الله عليه وسلم دخلت الجنة فسمعت خشفة فقلت من هذا فقالوا هذه الغميصا بنت
ملحان ام انس بن مالك **وعنه** كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل على احد من النسا
الا ازواجه والا ام سليم فانه كان يدخل عليها فقيل له في ذلك فقال اني ارحمها
قتل اخوها معي ولعل المراد انه كان يكثر الدخول عليها كازواجه ولا ينافي انه صلى الله
عليه وسلم كان يدخل على غيرها من نسا الانصار لان من خصائصه صلى الله عليه وسلم
جواز الاختلاط بالاجنبية فكان يدخل على اخت ام سليم وهي ام حرام بالرا رضي الله
عنها وتفلي له راسه وينام عندها ويدخل على الربيع ثم كاتبه في الامتاع اشار الى
ذلك **وفي** مزيل الخفا ان ام سليم واختها خالتا النبي صلى الله عليه وسلم من جهة
الرضاع وعليه فلا دلالة في دخوله صلى الله عليه وسلم عليهما والخلوة بهما من جهة الرضاع
وعليه فلا دلالة في دخوله صلى الله عليه وسلم والخلوة بهما على جواز الخلوة بالاجنبية
وعن انس قال مات ابن لابي طلحة من ام سليم اي وهو ابو عمير الذي كان صلى الله
عليه وسلم يداعبه ويقول يا ابا عمير ما فعل النغير ذكره السيوطي في كتابه تبريد الاكباد
وفي كلام بعضهم ما يفيد انه غيره فقالت لاهلها لا تحدثوا ابا طلحة بابنه حتى
اكون انا احدثه قال فجا فقال لها ما فعل ابني قالت هو اسكن ما كان فقربت اليه عشا
فاكل وشرب ثم تصنعت له احسن ما كانت تصنع قبل ذلك فوقع بها فلما رات انه
قد شبع واصاب منها قالت يا ابا طلحة ارايت لو ان قوما اعاروا عاريتهم اهل بيت
فطلبوا عاريتهم الهم ان يمنعوا قال لا قالت فاحتسب ابنك فغضب ثم انطلق حتى
اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما كان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك
الله لكما في غابر ليلتكما قال فحملت اي بعبد الله المذكور قال **فلما** ولدته حملته وجئت به
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل معك تمر فقلت نعم فناولته تمرات فالقاهن
في فيه فلاكهن ثم فغر فا الصبي فمجه فيه فجعل الصبي يتلمظ فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم حب الانصار التمر وسماه عبد الله اي **وجا** لعبد الله هذا من جماع تلك
الليلة تسعة اولاد كلهم قد قروا القران ولما اخبر ابو طلحة النبي صلى الله عليه وسلم بما
تقدم عن ام سليم قال الحمد لله الذي جعل في امتي مثل صابرة بني اسرائيل فقيل يا رسول الله
ما كان من خبرها قال كان في بني اسرائيل امراة وكان لها زوج ولها منه غلامان وكان
زوجها امرها بطعام تصنعه ليدعو عليه الناس ففعل واجتمع الناس في داره فانطلق

الغلامان يلعبان فوقعا في بير كانت في الدار فكرهت ان تنقص على زوجها الضيافة
فادخلتهما البيت وسجتهما بثوب فلما فرغوا دخل زوجها فقال اين ابناي قالت هما
في البيت وانها كانت تمسحت بشي من الطيب وتعرضت للرجل حتى وقع عليها ثم قال اين
ابناي قالت هما في البيت فنادا بهما ابوهما فخرجا يسعيان فقالت المراة سبحان الله
والله لقد كانا ميتين ولكن الله احياهما ثوابا للصبري **ولما انهزم القوم** عسكر
بعضهم باوطاس فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في اثارهم ابا عامر الاشعري عمه
وسياتي في السرايا ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معسكره قال شيبة فدخل خباه
فدخلت عليه ما دخل عليه غيري حبا لروية وجهه وسرورا به فقال يا شيبة الذي اراد
الله خيرا مما اردت بنفسك ثم حدثني بكل ما اضمرت في نفسي مما لم اذكره لاحد قط فقلت
اني اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك رسول الله ثم قلت استغفر لي فقال غفر الله لك
اي وقالت له صلى الله عليه وسلم ام سليم بابي انت وامي يا رسول الله اقتل هولا الذين
انهزموا عنك فانهم لذلك اهل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد كفى واحسن
وعن عايذ بن عمرو قال اصابتني رمية يوم حنين في جبهتي فسال الدم على وجهي
وصدري فسلت النبي صلى الله عليه وسلم الدم بيده عن وجهي وصدري الى ترقوتي ثم دعا لي
فصار اثر يده صلى الله عليه وسلم غرة سايلة كغرة الفرس وجرح خالد بن الوليد فتفل
النبي صلى الله عليه وسلم في جرحه فلم يضره اي **فعن** بعض الصحابة قال رايت النبي صلى
الله عليه وسلم بعد ما هزم الله الكفار ورجع المسلمون الى رحالهم يمشي في المسلمين ويقول
من يدلني على رحل خالد بن الوليد حتى دل عليه فوجده قد اسند الى موخرة رحله لانه اثقل
بالجراحة فتفل صلى الله عليه وسلم في جرحه فبرا **وعن** جبير بن مطعم قال لقد رايت
قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون شيا اسود اقبل من السما حتى سقط بيننا وبين
القوم فنظرت فاذا نمل اسود مبثوث قد ملا الوادي لم اشك انها الملايكة ولم يكن الا
هزيمة القوم **وفي** سيرة الحافظ الدمياطي ان سيما الملايكة يوم حنين عمايم حمر ارخوها
بين اكتافهم اي نفر جمع من هوازن قالوا لقد راينا يوم حنين رجالا بيضا على خيل
بلق عليهم عمايم حمر قد ارخوها بين اكتافهم بين السما والارض كتايب لا نستطيع ان
نقاتلهم من الرعب منهم **ولما وقعت الهزيمة** اسلم ناس من كفار مكة
وغيرهم لما راوا نصر الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وعن شيبة الحجبي قال خرجت مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين والله ما خرجت اسلاما ولكن مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذ قلت يا رسول الله اني لارى خيلا بلقا قال يا شيبة انه لا يراها الا كافر فضرب
بيده صدري ثم قال اللهم اهد شيبة فعل ذلك ثلاثا فما رفع صلى الله عليه وسلم يده

عن

عن صدري الثالثة حتى ما احد من خلق الله احب الي منه ويحتاج الى الجمع بينه وبين
ما تقدم عنه على تقدير صحتهما وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسبي والغنايم ان تجمع
فجمع ذلك كله واحدروه الى الجعرانة اي بسكون العين وتخفيف الرا وكثير من اهل الحديث
يشددها وسمي المحل باسم امراة كانت تلقب بذلك قيل وهي التي نقضت غزلها
من بعد قوة فكان بها الى ان انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم اي من غزوة الطايف
وفي هذه الغزوة سمي طلحة بن عبيد الله طلحة الجود لكثرة انفاقه على العسكر

غزوة الطايف ولما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مالك بن عوف
وجمعا من اشراف قومه لحقوا بالطايف عند انهزامهم اه والطايف بلد كبير كثير
الاعناب والنخيل والفاكهة قيل سمي بذلك لان جبريل عليه السلام طاف بها حين
نقلها من الشام الى الحجاز بدعوة ابراهيم اي ان الله يرزقهم اي اهل مكة من الثمرات
اي وقيل لانهم بنوا حولها حايطا واطافوا به تحصينا لهم وقيل هي جنة اصحاب
الصريم كانت نواحي صنعا نقلها جبريل فسار بها الى مكة وطاف بها حول البيت
ثم انزلها في ذلك المكان اه ويقال له وج سمي بذلك باسم شخص من العمالقة اول من
نزله واذا اوليك القوم تحصنوا بحصن بها وادخلوا فيه ما يصلحهم سنة فخرج صلى
الله عليه وسلم من حنين وتوجه اليهم وترك السبي بالجعرانة اي **وفي** الامتاع
وبعث بالسبي والغنايم الى الجعرانة مع بديل ورقا الخزاعي **وفي** كلام السهيلي وكان
سبي حنين ستة الاف راس قد ولي صلى الله عليه وسلم ابا سفيان بن حرب امرهم وجعله
امينا عليهم هذا كلامه ولعل هذا بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من الطايف لان
ابا سفيان كان معه صلى الله عليه وسلم بالطايف كما سياتي فلا منافاة اي ومر
صلى الله عليه وسلم بحصن مالك بن النضر عوف فامر به فهدم ومر بحايط اي بستان
لرجل من ثقيف قد تمنع فيه فارسل اليه صلى الله عليه وسلم اما ان يخرج واما ان
يخرب عليك حايطك فابى ان يخرج فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم باحراقه
ومر صلى الله عليه وسلم بقبر فقال هذا قبر ابي رغال وهو ابو ثقيف اي وكان من ثمود قوم
صالح ○ اي وقد اصابته النقمة التي اصابت قومه بهذا المكان ثم دفن اي بعد ان
كان بالحرم ولم تصبه تلك النقمة فلما خرج من الحرم الى المكان المذكور اصابته
النقمة **فعن** بعض الصحابة حين خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطايف
فمررنا بقبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا قبر ابي رغال وهو ابو ثقيف وكان
من ثمود وكان بهذا الحرم يدفع عنه فلما خرج منه اصابته النقمة التي اصابت قومه
بهذا المكان فدفن فيه الحديث **وفي** العرايس عن مجاهد قيل له هل بقي من قوم

لوط احد قال لا الا الرجل بقي اربعين يومًا وكان بالحرم فجاه حجر ليصيبه في الحرم
فقام اليه ملايكة الحرم فقالوا للحجر ارجع من حيث جيت فان الرجل في حرم الله تعالى
فرجع فوقف خارجًا من الحرم اربعين يومًا بين السما والارض حتى قضى الرجل حاجته
وخرج من الحرم الى هذا المحل اصابه الحجر فقتله فدفن بمحله وابو رغال هذا هو الذي
كان دليلا لابرهة ليوصله الى مكة لما امر ابرهة بالطايف وتلقاه اهله واظهروا له
الطاعة وقالوا له نرسل معك من يدلك على الطريق فارسلوا ابا رغال معه دليلا
له كما تقدم وقال صلى الله عليه وسلم اية ذلك انه دفن معه غصن من ذهب ان انتم نبشتم
عنه اصبتموه فابتدروا الناس فنبشوه فاستخرجوا منه الغصن وقدم صلى الله
عليه وسلم خالد بن الوليد رضي الله عنه على مقدمته اي ومعه خيل بني سليم مايه فرس قدمها
من يوم خرج من مكة واستعمل عليهم خالد بن الوليد فلم يزل كذلك حتى وصل فلما وصل
نزل قريبًا من الحصن وعسكر هناك فرموا المسلمين بالنبل رميًا شديدًا حتى اصيبت
ناس من المسلمين بجراحات اي وممن اصيب ابو سفيان بن حرب اصيبت عينه فاتى
النبي صلى الله عليه وسلم وعينه في يده فقال يا رسول الله هذه عيني اصيبت في سبيل الله
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان شيت دعوت فردت عليك وان شيت فالجنة وفي لفظ
فعين في الجنة قال فالجنة ورمى بها من يده اي وقلعت عينه الثانية في القتال يوم اليرموك
عند مقاتلة الروم فان ابا سفيان رضي الله تعالى عنه كان في ذلك اليوم يحرض
المسلمين على قتال الروم والثبات لهم ويقول الله الله عباد الله انصروا الله ينصركم
اللهم هذا يوم من ايامك اللهم انزل نصرك على عبادك وذلك في اخر خلافة الصديق
فان الصديق مات وهم في الاستعداد للقتال باليرموك وكان الامير على العسكر خالد
ابن الوليد رضي الله عنه ولما ولي سيدنا عمر رضي الله عنه ارسل البريد بعزل خالد وولاية
ابي عبيدة بن الجراح على العسكر فجا البريد وقد التحم القتال بين المسلمين والروم واخذته
خيول المسلمين وسالوه عن الخبر فلم يخبرهم الا بخير وسلامة واخبرهم عن امداد تجي
اليهم واخفى موت ابي بكر وتامير ابي عبيدة فاتوا به الى خالد بن الوليد رضي الله عنه
فاسر اليه موت ابي بكر وولاية عمر رضي الله عنهما واخبره بما اخبر به الجند فاستحسن
ذلك منه واخذ منه الكتاب فجعله في كنانته وخاف ان هو اظهر ذلك تتخاذل
العسكر ثم لما هزم الله الروم وجمعوا الغنايم ودفنوا قتلى المسلمين وقد بلغوا ثلاثة
الاف دفع خالد بن الوليد الكتاب الى ابي عبيدة رضي الله عنهما فقبله ابو عبيدة ثم بعث
ابو عبيدة ابا جندل بشيرا الى سيدنا عمر رضي الله عنه بالفتح على المسلمين ولما عزل سيدنا
عمر رضي الله عنه خالد بن الوليد وولى ابا عبيدة خطب الناس فقال اني اعتذر اليكم من خالد

ابن الوليد

ابن الوليد اني نزعته واثبت ابا عبيدة بن الجراح فقام اليه عمرو بن حفص وهو ابن عم خالد
ابن الوليد وابن عم ام سيدنا عمر فقال والله ما عدلت يا عمر لقد نزعت عاملا استعمله رسول
الله صلى الله عليه وسلم وغمدت سيفا سله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطعت الرحم وحسدت
ابن العم فقال عمر رضي الله عنه انك قريب القرابة حديث السن مغضب لابن عمك ومات ممن
جرح بالطايف اثنا عشر رجلا فارتفع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى موضع مسجد الطايف
الان وكان معه صلى الله عليه وسلم من نسايه ام سلمة وزينب رضي الله عنهما فضرب لهما ❁
قبتين وكان يصلي بين القبتين الصلاة مقصورة مدة حصار الطايف وكانت ثمانية
عشر يومًا اي غير يومي الدخول والخروج وهذا هو المراد بقول بعضهم فقيه هنا لانه صلى الله
عليه وسلم اقام بمكة عام الفتح لحرب هوازن يقصر الصلاة وقيل في مدة حصاره غير ذلك
ودخل صلى الله عليه وسلم خيمة ام سلمة وعندها اخوها عبد الله ومخنث فقال المخنث يقول
يا عبد الله ان فتح الله عليكم الطايف غدا فعليك بابنة غيلان فانها تقبل باربع وتدبر
بثمان فلما سمعه صلى الله عليه وسلم قال لا يدخلن هذا عليكن واراد المخنث بالاربع التي تقبل
بهن عكن الاربع التي في بطنها ولكل عكنة طرفان فتكون ثمانية من خلفها فهي الثمانية
التي تدبر بهن اي وفي الامتاع كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مولى لخالته فاختة
بنت عمرو بن عايذ يقال له ماتع وكان يدخل بيوته صلى الله عليه وسلم لانه صلى الله عليه وسلم
كان يرى انه لا يفطن لشي من امر النسا ولا اربة له فسمعه صلى الله عليه وسلم وهو يقول لخالد
ابن الوليد ويقال لعبد الله اخي ام سلمة ان فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم الطايف
غدا عليك ببادية اي رضي الله عنها فانها اسلمت وبادية بالبا المثناة تحت لا بالنون بنت
غيلان فانها تقبل باربع وتدبر بثمان اذا قامت تثنت واذا جلست تبنت واذا تكلمت
تغنت بين رجليها مثل الانا المكفو ثغرها كانه الاقحوان فقال صلى الله عليه وسلم لا ارى
هذا الخبيث يفطن لما اسمع وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال له قاتلك الله لقد
امعنت النظر ما كنت اظن هذا الخبيث يعرف شيا من امر النسا وفي الاغاني ان
هيتا بكسر الها وقيل بفتحها واسكان التحتية بعدها مثناة والهيت الاحمق المخنث
قال لعبد الله بن امية ان فتح الله عليكم الطايف فاسال النبي صلى الله عليه وسلم بادية بنت
غيلان فانها رداح شموع نجلا ان تكلمت تغنت يعني من الغنة وان قامت تثنت حوره
قضيب بان وفي لفظ كانها خوط بانة قصفت تقبل باربع وتدبر بثمان وبين فخذيها
شي مخبو كانه الانا المكفو فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه قال لقد غلغلت
النظر يا عدو الله ثم نفاه من المدينة الى الحما وقال لا يدخل على احد من نسايكم فقيل له
صلى الله عليه وسلم انه يموت جوعا فاذن له ان يدخل المدينة كل جمعة يسال الناس وقيل

نفرصلى الله عليه وسلم كلاسما مانع وهيت الى الحما فشكيا الحاجة فاذن لهما ان ينزلا
كل جمعة يسالان الناس ثم يرجعان الى مكانهما فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم
دخلا المدينة فاخرجهما ابو بكر رضى الله عنه فلما توفى دخلا المدينة فاخرجهما عمر
فلما مات دخلا وغيلان ابو بادية هو الذى اسلم وعنده عشرة نسوة فامره صلى الله عليه
وسلم ان يمسك اربعا ويفارق سايرهن واختلف الفقها فى ذلك فقال فقها الحجاز
يختار اربعا وقال فقها العراق يمسك التى تزوج اولا ثم التى تليها الى الرابعة واحتج
فقها الحجاز بترك الاستفصال وغيلان هذا لما وفد على كسرى قال له اى ولدك احب
اليك فقال الغايب حتى يقدم والمريض حتى يبرا والصغير حتى يكبر وكان المخنثون
فى زمنه صلى الله عليه وسلم ثلاثة هيت ومانع وهدم وقيل لهم ذلك لانه كان فى كلامهم
لين وكانوا يختضبون بالحنا كخضاب النسا الا انهم ياتون الفاحشة الكبرى ويحتمل
ان يكون كل من مانع وهيت كان معه صلى الله عليه وسلم فى تلك الغزوة وقد سمع منهما
ما تقدم عنهما ويدل لهذا الاحتمال انه نفاهما **وفى** البخارى ان القايل لعبد الله ما
تقدم هو هيت ويحتمل ان يكون الذى كان معه صلى الله عليه وسلم احدهما وتكرر منه ذكر
ما تقدم وتسميته بالاسم الاخر غلط من بعض الرواة فليتامل **قال** واقبل خالد بن الوليد
رضى الله عنه فنادى من يبارز فلم يطلع اليه احد ثم كرر ذلك فلم يطلع اليه احد وناداه
عبد ياليل لا ينزل اليك منا احد ولكنا نقيم فى حصننا فان به من الطعام ما يكفينا سنين
فانا قمت حتى يذهب ذلك الطعام خرجنا اليك باسيافنا جميعا حتى نموت عن اخرنا انتهى
ونصب عليهم المنجنيق اى ورمى به كما فى كلام غير واحد من ايمتنا اى وهو اول منجنيق رمى
به فى الاسلام اى ارشده اليه سلمان الفارسى رضى الله عنه قال انا كنا بارض فارس
ننصب المنجنيقات على الحصون فنصيب من عدونا **ه** اى وقيل ان سلمان رضى الله عنه
هو الذى عمله بيده وفيه انه تقدم فى خيبر انه لما فتح حصن الصعب وجدوا فيه
الذخر دبابات ومنجنيقا الا ان يقال سلمان صنع هذا المنجنيق الذى بالطايف
لانه يجوز ان يكون الذى وجد فى خيبر لم يكن معهم فى الطايف وتقدم فى خيبر انه
صلى الله عليه وسلم لما حاصر الوطيح وسلالم اربعة عشر يوما ولم يخرج احد منهما هم
صلى الله عليه وسلم ان يجعل عليهم المنجنيق وتقدم عن الامتاع انه صلى الله عليه وسلم
نصب المنجنيق الا فى غزوة الطايف بانه يجوز ان يكون مراد هذا البعض لم يرم به
الا فى غزوة الطايف بانه يجوز ان يكون مراد هذا البعض لم يرم به الا فى غزوة الطايف
اى كما اشرنا اليه واول من صنع المنجنيق ابليس فان نمرود لما اراد ان يلقى ابراهيم
فى النار بنى المجنب للجبل جدارا طوله ستون ذراعا وملا الفول الحطب وجعلوا فيه

النار

النار ووصلت النار الى راس ذلك الجدار لم يدروا كيف يلقون ابراهيم فتمثل لهم
ابليس فى صورة نجار فصنع لهم المنجنيق ونصبوه على راس الجبل ووضعوه فيه
والقوه فى تلك النار فخرجوا من تحتها فرموهم بالنبل فقتل منهم رجالا اى والدبابة بفتح
الدال المهملة ثم موحدة مشددة وبعد الالف موحدة ثم تا التانيث وهى الة من الالات
تجعل من الجلود يدخل فيها الرجال فيدبون بها الى الاسوار لينقبوها وامر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بقطع اعنابهم اى ونخيلهم وتحريقها فقطع المسلمون قطعا ذريعا
فسالوه ان يدعها لله وللرحم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانى ادعها لله وللرحم
ونادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما عبد نزل من الحصن وخرج الينا فهو حر فخرج منهم
بضعة عشر اى وقيل ثلاثة وعشرون **ه** رجلا ونزل شخص منهم فى بكرة فقيل له
ابو بكرة وكان عبدا للحارث بن كلدة **ه** فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفع
كل رجل منهم الى رجل من المسلمين يمونه فشق ذلك على اهل الطايف مشقة شديدة *
قال واستاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن فى ان ياتى ثقيفا فى حصنهم
ليدعوهم الى الاسلام فاذن له فى ذلك فاتاهم فدخل حصنهم فقال لهم تمسكوا فى حصنكم
فوالله لنحن اذل من العبيد اى زاد بعضهم ولا تعطوا بايديكم ولا تستكانن اى لا يشق عليكم
قطع هذا الشجر فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ما قلت لهم يا عيينة قال
امرتهم بالاسلام ودعوتهم اليه وحذرتهم النار ودللتهم على الجنة فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم كذبت انما قلت لهم كذا وقص عليه القصة فقال صدقت يا رسول الله اتوب
الى الله واليك من ذلك انتهى فلم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى فتح الطايف
اى فان خولة بنت حكيم امراة عثمان بن مظعون قالت له يا رسول الله ما يمنعك ان تنهض
الى الطايف قال لم يؤذن لنا حتى الان فيهم وما اظن ان نفتحها الان وقال له عمر بن الخطاب
رضى الله عنه فى ذلك فقال لم يؤذن لنا فى قتالهم فقال فكيف نقيل فى قوم لم ياذن الله
فيهم **وفى** لفظ ان خولة قالت يا رسول الله اعطنى ان فتح الله عليك الطايف حلى بادية
بنت غيلان او حلى الفارعة بنت عقيل وكانتا من احلى نسا ثقيف فقال لها صلى الله
عليه وسلم وان كان لم يؤذن لنا فى ثقيف يا خولة فذكرت خولة ذلك لعمر بن الخطاب رضى
الله عنه فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما حديث حدثتنيه
خولة زعمت انك قلته لها قال قلته قال اوما اذن الله فيهم يا رسول الله قال لا قال اوذن
بالرحيل قال بلى واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الناس اى وهو نوفل بن معاوية
الديلى فى الذهاب او المقام فقال له يا رسول الله ثعلب فى جحر ان اقمت اخذته وان تركته
لم يضرك فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاذن فى الناس

بالرحيل فقبح الناس ذلك وقالوا نرحل ولم يفتح علينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاغدوا على القتال فغدوا فاصاب المسلمين جراحات فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انا قافلون ان شا الله تعالى فسروا بذلك واذعنوا وجعلوا يرحلون ورسول الله
صلى الله عليه وسلم يضحك اى تعجبا من سرعة تغير رايهم لانهم راوا ان رايه صلى الله عليه وسلم
ابرك وانفع من رايهم فرجعوا اليه وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله
الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده فلما ارتحلوا واستقبلوا
قال قولوا ايبون تايبون عابدون لربنا حامدون وقيل يا رسول الله ادع على ثقيف
اهل الطايف فقال اللهم اهد ثقيفا وايت بهم مسلمين ولعل صاحب الهمزية يشير
الى ذلك بقوله

جهلت قومه عليه فاغضا … واخو الحلم دابه الاغضاء
وسع العالمين حلما وعلما … فهو بحر لم يعيه الاعياء

اى اذاه صلى الله عليه وسلم قوم من قريش وغيرهم فارخى جفنه حيا وصاحب عدم الانتقام
شانه ارخا الجفن وسع علمه علوم العالمين من الانس والجن والملك ووسع حلمه كل من
صدر منه نقص فهو بسبب ذلك بحر واسع لم يتعبه الاحمال الثقيلة ومن جملة من جرح
سيدنا عبد الله بن ابى بكر الصديق رضى الله عنهما رماه بسهم ابو محجن وطاوله ذلك
الجرح الى ان مات به فى خلافة ابيه ورثته زوجته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل
وكان يحبها حبا شديدا مر عليه ابوه يوم جمعة وهو يلاعبها وقد صلى النبى صلى الله عليه وسلم الناس
فقال يا عبد الله اوجمع الناس فسمعه ابوه فقال اشغلتك عن الصلاة لاجرم لابد حتى
تطلقها فطلقها ثم تعب عبد الله بسبب طلاقها فاطلع عليه ابوه يوما فسمعه يقول
ابياتا من جملتها

فلم ار مثلى طلق اليوم مثلها … ولا مثلها فى غير جرم تطلق

فقال له يا عبد الله راجع عاتكة فقال لابيه قف مكانك وكان معه غلام مملوك له فقال
للغلام انت حر لوجه الله اشهد انى قد راجعت عاتكة فلما مات رضى الله عنه رثته
بقولها فى ابيات

اليت لا تنفك عينى حزينة … عليك ولا ينفك جلدى اغبرا

ثم تزوجها عمر بن الخطاب رضى الله عنه فلما اعرس بها قال له على كرم الله وجهه ائذن لى ان
اكلم عاتكة فقال لا غيرة عليك كلها فقال لها على كرم الله وجهه انت القايلة اليت

اليت لا تنفك عينى قريرة … عليك ولا ينفك جلدى اصفرا

قالت لم اقل هكذا وبكت وعادت الى حزنها فقال له عمر رضى الله عنه يا ابا الحسن ما اردت

الا

الا افسادها على فلما قتل عمر رضى الله عنه رثته بابيات منها

من لنفس عادها احزانها … ولعين شفها طول السهد
جسد لفف فى اكفانه … رحمة الله على ذاك الجسد

ثم تزوجها الزبير رضى الله عنه فلما استشهد رثته بابيات منها تخاطب قاتله

ثكلتك امك ان قتلت لمسلما … حلت عليك عقوبة المتعمد

ثم تزوجها خطبها سيدنا على كرم الله وجهه فقالت له لم يبق الاسلام غيرك وانا
انفس لك عن القتل ومن ثم قيل فى حقها من اراد الشهادة فعليه بعاتكة **وعند**
منصرفه صلى الله عليه وسلم من ذلك اى وبينما هو يسير ليلا بواد بقرب الطايف اذ غشى
سدرة المنتهى فى سواد الليل وهو فى وسن النوم فانفرجت السدرة له نصفين فمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بين نصفيها وبقيت منفرجة على حالها اى وعند انحداره صلى
الله عليه وسلم الى الجعرانة لقيه سراقة وهو واضع للكتاب الذى كتبه له صلى الله عليه
وسلم عند الهجرة بين اصبعيه وينادى انا سراقة وهذا كتابى فقال صلى الله عليه وسلم
هذا يوم وفاء ومودة ادنوه فادنوه منه صلى الله عليه وسلم وساق اليه الصدقة وساله
عن الضالة من الابل ترد حوضا الذى ملاه لابله فى ذلك من اجر فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم نعم فى كل ذات كبد حرا اجر **وعند** وصوله صلى الله عليه وسلم
الى الجعرانة احصى السبى فكان ستة الاف راس والابل اربعة وعشرين الفا والغنم
اكثر من اربعين الفا واربعة الاف اوقية فضة فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم
للمولفة اى من اسلم من اهل مكة فكان اولهم ابو سفيان بن حرب اعطاه اربعين اوقية
ومائة من الابل وقال ابنى يزيد ويقال له يزيد الخير فاعطاه كذلك وقال ابنى معاوية
فاعطاه كذلك فاخذ ابو سفيان ثلاثمائة من الابل ومائة وعشرين اوقية من الفضة
فقال بابى انت وامى يا رسول الله لانت كريم فى الحرب وفى السلم اى وفى لفظ لقد حاربتك
فنعم المحارب كنت ثم سالمتك فنعم المسالم انت هذا غاية الكرم جزاك الله خيرا
واعطى حكيم بن حزام مائة من الابل ثم ساله مائة اخرى فاعطاه اياها اى **وفى**
الامتاع وسال حكيم بن حزام مائة من الابل فاعطاه وقال له يا حكيم هذا المال خضر
حلو من اخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن اخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه
وكان كالذى ياكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى فاخذ حكيم المائة الاولى
وترك ما عداها اى وقال يا رسول الله والذى بعثك بالحق لا ارزا احدا بعدك شيئا
حتى افارق الدنيا فكان ابو بكر رضى الله عنه يدعو حكيما ليعطيه العطا فيابى ان يقبل
منه شيئا ثم ان عمر دعاه ليعطيه فابى ان يقبله فقال عمر يا معشر المسلمين انى اعرض عليه

حقه الذى قسم الله له من هذا الفيء فيأبى أن يأخذه واعطى صلى الله عليه وسلم الاقرع ابن حابس مائة من الابل واعطى عيينة مثله واعطى العباس بن مرداس اربعين من الابل فقال فى ذلك شعرا اى يعاتبه صلى الله عليه وسلم به حيث فضل الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن عليه وهو

أتجعل نهبى ونهب العبيد • يعنى فرسه • بين عيينة والاقرع •
فما كان حصن ولا حابس • يفوقان مرداس فى المجمع •
وما كنت دون امرء منهما • ومن تضع الان لا يرفع •

فاعطاه صلى الله عليه وسلم تمام المائة اى وفى رواية انه قال اقطعوا عنى لسانه وفى الكشاف انه صلى الله عليه وسلم قال يا ابا بكر اقطع لسانه عنى واعطه مائة من الابل هذا كلامه وتوقف فى قولهم فظن ناس انه صلى الله عليه وسلم امر ان يمثل به ٥ وفزع هو ايضا لذلك فاتى به الى الغنايم وقيل له خذ منها ما شئت فقال انما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقطع لسانى بالعطا فتكرم ان ياخذ منها شيئا فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلة وفى رواية فاتم له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وروى بدل فما كان حصن ولا حابس فما كان بدر ولا حابس وهو صحيح ايضا لان بدرا جد حصن ابو ابيه فانتسب تارة الى ابيه حصن وتارة الى جد ابيه بدر فان عيينة بن حصن بن حذيفة ابن بدر ويروى بدل مرداس شيخى بالافراد يعنى والده ويروى بالتثنية يعنى والده وجده وفى كلام بعضهم كانت المؤلفة ثلاثة اصناف صنف يتالفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسلموا كصفوان بن امية وصنف ليثبت اسلامهم كابى سفيان بن حرب وصنف لدفع شرهم كعيينة بن حصن والعباس بن مرداس والاقرع بن حابس لكن فى رواية قيل يا رسول الله اعطيت عيينة بن حصن والاقرع بن حابس مائة وتركت جعيل بن سراقة فقال اما والذى نفس محمد بيده لجعيل بن سراقة خير من طلاع الارض كلهم مثل عيينة والاقرع ولكن تالفتهما ووكلت جعيل بن سراقة الى الاسلام وتقدم ان جعيلا هذا كان من فقرا المسلمين وكان رجلا صالحا دميما قبيحا وهو الذى تصور الشيطان بصورته يوم احد وقال ان محمدا قد مات وجاء انى لاعطى الرجل وغيره احب الى منه خشية ان يكب فى النار على وجهه وقال صلى الله عليه وسلم ان من الناس ناسا نكلهم الى ايمانهم منهم خوات بن جبير واعطى صفوان بن امية ما تقدم ذكره وهو جميع ما فى الشعب من غنم وابل وكان مملوا وكان ذلك سببا لاسلامه كما تقدم اقول فى كلام ابن الجوزى اعلم ان من المؤلفة قلوبهم اقواما تالفهم فى بدو الاسلام ثم تمكن الاسلام فى قلوبهم فخرجوا بذلك عن حد المؤلفة وانما ذكرهم العلما فى المؤلفة اعتبارا بابتداء احوالهم ومنهم من لم يعلم منه حسن الاسلام والظاهر بقاؤه على حال التالف ولا يمكننا ان نفرق

بين من حسن اسلامه وبين من لم يحسن اسلامه لجواز ان يكون من ظننا به انه على خلاف ذلك اذ الانسان قد يتغير عن حاله ولا ينقل الينا امره فالواجب ان يظن بكل من نقل عنه الاسلام خيرا وقد جاء عن انس رضى الله عنه قال كان الرجل ياتى النبى صلى الله عليه وسلم فيسلم لشئ يعطاه من الدنيا فلا يمسى حتى يكون الاسلام احب اليه من الدنيا وما فيها هذا كلام ابن الجوزى والعباس بن مرداس اسلم قبل الفتح بيسير وكان ممن حرم الخمر على نفسه فى الجاهلية والله اعلم ولا زال صلى الله عليه وسلم يعطى الرجل ما بين مائة وخمسين من الابل اى وذلك من الخمس كما سياتى ثم امر صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت باحصاء الناس والغنايم اى ما بقى منها وهو الاربعة الاخماس الباقية بعد اعطاء من تقدم ما تقدم من الخمس وقسمها عليهم اى بعد ان اجتمعوا اليه وصاروا يقولون يا رسول الله اقسم علينا حتى الجاوه الى شجرة فاختطفت رداه فقال ردوا ردائى ايها الناس فوالله ان كان لى عدد شجر تهامة نعما لقسمته عليكم ثم ما الفيتمونى بخيلا ولا جبانا ولا كذوبا ثم قام صلى الله عليه وسلم الى جنب بعيره فاخذ وبرة من سنامه فرفعها ثم قال ايها الناس والله ما لى من فيئكم اى غنيمتكم ولا هذه الوبرة الا الخمس والخمس مردود عليكم فادوا الخياط والمخيط فان الغلول يكون على اهله عارا وشنارا ونارا يوم القيمة فجاءه شخص من الانصار بكبة من خيوط شعر وقال يا رسول الله اخذت هذه الكبة اعمل بها برذعة بعير لى دبر فقال اما نصيبى منها فلك قال اما اذ بلغت هذا فلا حاجة لى بها والقاها ويروى ان عقيلا كان دفع لامراته ابرة اخذها من الغنيمة اى فانها قالت له انى قد عرفت انك قد قاتلت فماذا اصبت من الغنيمة فقال دونك هذه الابرة تخيطين بها ثيابك فسمع منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اخذ شيئا فليرده حتى الخياط والمخيط فرجع واخذها منها والقاها فى الغنايم وفى كلام السهيلى ان ابا جهم بن حذيفة العدوى كان على الانفال يوم حنين فجاءه خالد بن البرصاء واخذ من الانفال زمام شعر فمانعه ابو جهم فلما تمانعا ضربه ابو جهم بالقوس فشجه منقلة فاستعدى عليه خالد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال خذ خمسين شاة ودعه فقال اقدنى منه فقال خذ مائة ودعه فقال اقدنى منه فقال خذ خمسين ومائة ودعه وليس لك الا ذلك ولا اقدك من وال عليك فقومت المائة وخمسون بخمس عشرة فريضة من الابل فمن هنا جعلت دية المنقلة خمس عشرة فريضة ولما قسم ما بقى خص كل رجل اربعا من الابل واربعين شاة فان كان معه اكثر من فرس لم يسهم له الا لفرس واحد ومن ثم لم يعط الزبير رضى الله عنه الا لفرس واحد وكان معه افراس وبه اخذ امامنا الشافعى رضى الله عنه فقال لا يعطى الا لفرس

واحد وقال بعض المنافقين قيل وهو معتب هذه القسمة ما عدل فيها وما اريد
بها وجه الله فاخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فتغير وجهه اى حتى صار
كالصرف بكسر الصاد المهملة وهو شئ احمر يصبغ به الجلد وفى رواية فغضب صلى
الله عليه وسلم غضبا شديدا واحمر وجهه وقال فمن يعدل اذا لم يعدل الله ورسوله رحمة
الله على اخى موسى لقد اوذى باكثر من هذا فصبر انتهى **ولعل** من ذلك ان قارون
وكان ابن خالة موسى عليه وسلم او ابن عمه حمله البغى والشره على ان احضر امراة بغيا
وجعل لها جعلا على ان ترمى موسى بنفسها واحضر بنى اسرائيل واعلمهم بذلك
ودعى موسى عليه السلام وقال له ان قومك اجتمعوا فاخرج اليهم لتامرهم وتنهاهم
فخرج عليه الصلاة والسلام اليهم وقال لهم يا بنى اسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى
جلدناه ومن زنا محصنا رجمناه حتى يموت ومن زنا ولم ينكح جلدناه مائة جلدة فقال
له قارون فان كنت انت قال وان كنت انا قال فان بنى اسرائيل زعموا انك فجرت بفلانة
فقال ادعها فان قالت فهو كما قالت فاتت فقال موسى يا فلانة انشدك بالذى انزل التورية
اصدق قارون فقالت اما اذ نشدتنى فانى اشهد انك برئ وانك رسول الله وان قارون
جعل لى جعلا على ان ارميك بنفسى فجاءت بخريطتين فيهما دراهم عليهما خاتمه
وقالت للملا ان قارون اعطانى هاتين وهذا خاتمه واعوذ بالله ان افترى على الله فنظر
القوم الى خاتمه فعلموا صدقها فخر موسى ساجدا فاوحى الله اليه ان ارفع راسك فانى امرت
الارض ان تطيعك فخسف به وهو يتجلجل فى الارض تخسف به فى كل يوم مقدار قامة
الى يوم القيمة **ولعل** من ذلك ايضا ان بنى اسرائيل قالوا لموسى اذ طايفة منهم
ان الله لا يكلك فخذ منا من يذهب معك ليسمعوا كلامه تعالى فيؤمنوا فاوحى الله تعالى
لموسى عليه السلام ان اختار سبعين من خيارهم واصعد بهم الجبل انت وهارون
واستخلف يوشع ففعل فلما سمعوا كلامه سبحانه وتعالى سالوه ان يريهم الله جهرة
ومن ذلك نسبته الى انه قتل اخاه هارون كما تقدم اى وقيل ان قايل هذه القسمة
ما عدل فيها ذو الخويصرة التميمى وهو غير ذى الخويصرة اليمانى الذى بال فى المسجد
فقد جا ان ذو الخويصرة التميمى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد
قد رايت ما صنعت فى هذا اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجل فكيف رايت
قال لم ارك عدلت فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ويحك اذا لم يكن
العدل عندى فعند من يكون فقال عمر الا نقتله وقيل قال خالد بن الوليد الا اضرب
عنقه قال لا ثم ادبر فقام اليه خالد فقال يا رسول الله الا اضرب عنقه قال لا لعله ان يكون
يصلى قال خالد رضى الله عنه وكم مصل يقول بلسانه ما ليس فى قلبه فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم انى لم اومر ان انقب عن القلوب الناس ولا اشق عن بطونهم **وفى**
مسلم عن ابى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال بعث على وهو باليمن بذهبة فى تربتها
انه لم تخلص من ترابها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين اربعة نفر الاقرع بن حابس وعيينة بن بدر وعلقمة بن علاثة وزيد الخير
فغضبت قريش فقالوا اتعطى صناديد نجد وتدعنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى
انما فعلت ذلك لاتالفهم فجا رجل فقال اتق الله يا محمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فمن يطع الله ان عصيته انا ايامننى على الارض ولا تامنونى **وفى** رواية الا تامنونى وانا
امين من فى السما ياتينى خبر السما صباحا ومسا فجا رجل فقال ما تقدم فقال له ويلك
اولست احق اهل الارض ان يتقى الله ولعل هذه القسمة غير قسمة غنايم حنين وان
الرجل الذى قال له ما ذكر يحتمل ان يكون واحدا منهما او من شيعة ذلك الرجل الذى قال له
فى احديهما **وذكر** بعضهم ان ذا الخويصرة اصل الخوارج وانه صلى الله عليه وسلم قال دعوه
فانه سيكون له شيعة يتعمقون فى الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية قال
عمر يا رسول الله دعنى فاقتل هذا المنافق فقال معاذ الله ان يتحدث الناس انى اقتل
اصحابى ان هذا واصحابه اى جماعة يخرجون من صلبه يقرؤن القران لا يجاوز حناجرهم
وفى لفظ تراقيهم لا تفقهه قلوبهم ليس حظهم منه الا تلاوة الفم وانهم يقتلون اهل
الاسلام ويدعون اهل الاوثان لئن ادركتهم لاقتلنهم قتل عاد وثمود اى قتلا مستاصلا
لعامتهم وفى رواية اذا لقيتموهم فاقتلوهم فان فى قتلهم اجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيمة
وبهذا استدل بجواز قتل الخوارج وقد قاتلهم على كرم الله وجهه وقد سئل صلى الله
عليه وسلم عن الخوارج اهم كفار فقال من الكفر فروا فقيل امنافقون فقال ان المنافقين
لا يذكرون الله الا قليلا وهم لا يذكرون الله كثيرا فقيل ما هم فقال اصابتهم فتنة فعموا
وصموا فلم يجعلهم صلى الله عليه وسلم كفارا لانهم تعلقوا بضرب من التاويل وحينئذ يكون
المراد بالدين فى وصفهم بالمروق من الدين الطاعة لا الملة ويبعده رواية بدل الايمان
الاسلام وكان مصداق ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ذا الخويصرة خرج منه حرقوص
المعروف بذى الثدية وهو اول من بويع من الخوارج بالامامة والخوارج قوم يكفرون
مرتكب الكبيرة ويحكمون بحبوط عمل مرتكبها وتخليده فى النار ويحكمون بان دار الاسلام
تصير بظهور الكباير فيها دار كفر ولا يصلون الجماعة ويسبب مقاتلة سيدنا على لهم انهم
انقموا عليه التحكيم الذى وقع بينه وبين معاوية فى صفين وقالوا لا حكم الا الله وانت
كفرت حيث حكمت الحكمين واستانفت التوبة والايمان نظرنا فيما بيننا من الرجوع
اليك وان تكن الاخرى فانا ننابذك على سوا ان الله لا يهدى كيد الخائنين فلما ايس

من رجوعهم اليه قاتلهم وحرقوص هذا اول مارق من الدين وكان رجلا اسود احدى
عضديه مثل ثدى المراة فقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم ان فيهم رجلا له عضد وليس له
ذراع على راس عضده مثل حلمة الثدى عليه شعرات بيض ولما قاتلهم على رضى الله
عنه وقتل غالبهم التمس ذلك الرجل فاتى به فاذا هو له ثدى كثدى المراة وفى رواية
التمسوه فى القتلى فلم يجدوه فقام على بنفسه فطاف فى القتلى فاخرجوه من بينهم
فكبر على ثم قال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته يقول ان فيهم رجلا له عضد وليس
له ذراع على راس عضده مثل حلمة الثدى عليه شعرات بيض فقام اليه عبيدة السلمانى
فقال يا امير المومنين الله الذى لا اله الا هو اسمعت هذا من رسول الله فقال اى والله الذى
لا اله الا هو حتى استحلفه ثلاثا وهو يحلف له وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال لما
اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اعطى من تلك العطايا فى قريش وقبائل العرب ولم
يكن فى الانصار منها شئ وجدوا فى انفسهم اى غضبوا حتى كثرت منهم القالة اى
القول الردى اى حتى قال بعضهم ان هذا لهو العجب يعطى قريشا وفى لفظ الا الطلقا
والمهاجرين وتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم اى وفى لفظ ان هذا لهو العجب ان سيوفنا
تقطر من دمائهم قريش وان غنائمنا ترد عليهم وفى رواية اذا كانت شديدة ندعى ويعطى
الغنيمة غيرنا وفى رواية سيوفنا تقطر من دمائهم وهم يذهبون بالمغنم فان كان من امر
الله صبرنا وان كان من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم استعتبناه فدخل عليه سعد بن
عبادة رضى الله عنه فقال يا رسول الله ان هذا الحى من الانصار قد وجدوا عليك فى انفسهم
اى غضبوا لما صنعت فى هذا الفئ الذى اصبت قسمت فى قومك واعطيت عطايا
عظاما ولم يكن فى هذا الحى من الانصار منها شئ قال فاين انت من ذلك يا سعد فقال
يا رسول الله ما انا الا من قومى قال فاجمع لى قومك فى هذه الحظيرة اى وهى قبة من ادم
اى وفى كلام بعضهم ان الحظيرة الزريبة التى تعمل للابل والغنم من الشجر لتقيها
من البرد والريح ولعل هذا باعتبار الاصل فلا مخالفة فلما اجتمعوا له اتى سعد اليه
صلى الله عليه وسلم فقال اجتمع لك هذا الحى من الانصار فاتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
اى فقال لهم افيكم احد من غيركم قالوا لا الا ابن اخت لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ابن اخت القوم منهم وفى رواية قال من كان هاهنا من غير الانصار فليرجع الى
رحله وذكر بعضهم فى سبب ايراد ابن اخت القوم منهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لعمر رضى الله عنه اجمع لى من هنا من قريش فجمعهم له ثم قال انخرج
اليهم ام يدخلون قال اخرج فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معشر قريش هل
فيكم من غيركم قالوا لا الا ابن اختنا فذكره ثم قال يا معشر قريش ان اولى الناس بى

المتقون

المتقون فانظروا لا ياتى الناس بالاعمال يوم القيمة وتاتون بالدنيا تحملونها فاصد
عنكم بوجهى انتهى فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله ثم قال يا معشر الانصار ما قالة بلغتنى
عنكم وجدة وجدتموها على فى انفسكم والقالة كما علمت الكلام الردى والجدة بالعتب
والمعروف انه الموجدة ومن ثم قال بعضهم الجدة فى المال والموجدة فى الغضب الم اتكم
ضلالا فهداكم الله بى وعالة فاغناكم الله واعداء فالف بين قلوبكم اى وفى لفظ وكنتم
متفرقين فجمعكم الله وفى لفظ يا معشر الانصار الم يمن الله عليكم بالايمان وخصكم
بالكرامة وسماكم باحسن الاسماء انصار الله وانصار رسوله صلى الله عليه وسلم قالوا بلى
الله ورسوله امن وافضل ثم قال صلى الله عليه وسلم الا تجيبونى يا معشر الانصار قالوا
بماذا نجيبك يا رسول الله لله ولرسوله المنة والفضل اى وفى لفظ قالوا يا رسول
الله وجدتنا فى ظلمة فاخرجنا الله بك الى النور ووجدتنا على شفا جرف من النار
فانقذنا الله بك ووجدتنا ضلالا فهدانا الله بك فرضينا بالله ربا وبالاسلام
دينا وبمحمد نبيا فافعل ما شئت فانت يا رسول الله فى حل قال اذن والله لو شئتم
لقلتم وصدقتم اتيتنا مكذبا فصدقناك ومخذولا فنصرناك وطريدا فاويناك
وعائلا فاغنيناك اى وخائفا فامناك قال فقال الانصار المن لله ولرسوله
والفضل علينا وعلى غيرنا فقال ما حديث بلغنى عنكم فسكتوا فقال ما حديث بلغنى
عنكم فقال فقهاء الانصار اما رؤسنا فلم يقولوا شيئا واما اناس منا حديثة اسنانهم قالوا
يغفر الله تعالى لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر
من دمائهم اى وفى رواية ما الذى بلغنى عنكم قالوا هو الذى بلغك لانهم لا يكذبون
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعطى رجالا حديثى عهد بكفر اتالفهم انتهى
اى وفى لفظ ان قريشا حديثو عهد بجاهلية ومصيبة وانى اردت ان اجبرهم واتالفهم
اوجدتم يا معشر الانصار فى انفسكم فى لعاعة اى بضم اللام وعينين مهملتين
اى شئ قليل من الدنيا العفنة تالفت بها قوما ليسلموا اى ليحسن اسلامهم وليسلم غيرهم تبعا
لهم ووكلتكم الى اسلامكم الثابت الذى لا يزلزل الا ترضون يا معشر الانصار ان يذهب
الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم الى رحالكم فوالذى نفس
محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار اى لا نتسبت الى المدينة ولو سلك الناس
شعبا اى بكسر الشين المعجمة وهو ما انفرج بين جبلين وسلك الانصار شعبا
لسلكت شعب الانصار اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار وفى لفظ فبكى القوم حتى
اخضلوا لحاهم وقالوا رضينا برسول الله صلى الله عليه وسلم قسما وحظا ثم انصرف رسول
الله صلى الله عليه وسلم وتفرقوا اى وقوله صلى الله عليه وسلم للانصار الم تكونوا ضلالا فهداكم

الله بل ليس من المن المذموم في قوله صلى الله عليه وسلم آفة السماحة المن بل هو من
التذكير بنعمة الله لكن يشكل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم للانصار الا تجيبوني الخ
فليتأمل اي وقد جاء في مدح الانصار اللهم اغفر للانصار ولابناء الانصار ولازواج
الانصار ولذراري الانصار الانصار كرشي وعيبتي وان الناس يكثرون ويقلون فاقبلوا
من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم وفي لفظ آخر اللهم صل على الانصار وعلى ذرية الانصار
وعلى ذرية ذرية الانصار انتم شعار والناس دثار اي والشعار الثوب الذي يلي الجسد
والدثار الثوب الذي يكون فوق ذلك الثوب فهم الصق به واقرب اليه من غيرهم وقال
الانصار حبهم ايمان وبغضهم نفاق اللهم اغفر للانصار ولابناء الانصار ولابناء ابنائهم
الانصار ولنساء ابناء الانصار ولنساء ابناء ابناء الانصار وفي لفظ اللهم اغفر للانصار
ولذراري الانصار ولذراري ذراريهم ولمواليهم ولجيرانهم لا يبغض الانصار رجل يؤمن
بالله واليوم الآخر وقال لا تؤذوا الانصار فمن آذاهم فقد آذاني ومن نصرهم فقد
نصرني ومن احبهم فقد احبني ومن ابغضهم فقد ابغضني ومن بغى عليهم فقد بغى
علي ومن قضى لهم حاجة كنت في حاجته يوم القيامة اسمع ان الله اختار دارهم لاعزاز
دينه واختارهم لنبيه انصارا وقال صلى الله عليه وسلم حب الانصار آية الايمان وبغضهم آية
النفاق وقال في الانصار لا يحبهم الا مؤمن ولا يبغضهم الا منافق من احبهم احبه الله
ومن ابغضهم ابغضه الله وقال لهم اللهم انتم احب الناس الي قالها ثلاثا قال وقال حسان
في مدح الانصار

سماهم الله انصارا بنصرهم ... دين الهدى وعوان الحرب تستعر
وسارعوا في سبيل الله واعترفوا ... للنائبات وما خافوا وما ضجروا

انتهى اي وقد وقع له صلى الله عليه وسلم نظير ذلك فعن عمرو بن تغلب انه صلى الله عليه
وسلم سبى فاعطى قوما ومنع قوما وقال انا لنعطي قوما نخشى هلعهم وجزعهم
ونكل قوما الى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير منهم عمرو بن تغلب فكان عمرو
يقول ما يسرني ان لي بها حمر النعم ولما اسرت اخته صلى الله عليه وسلم من
الرضاع الشيما بشين معجمة مفتوحة ومثناة تحتية ساكنة وميم بعدها ويقال الشما
بغير ياء واختلف في اسمها وهي صارت تقول والله اني لاخت صاحبكم ولا يصدقوها فاخذها
طائفة من الانصار حتى اتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا محمد اني اختك قال
وما علامة ذلك الحديث ثم قال لها ارجعي الى الجعرانة فكوني مع قومك فاني امضي الى
الطائف فرجعت الى الجعرانة فلما قدم صلى الله عليه وسلم الجعرانة جاءته فقالت يا رسول
الله اني اختك وانشدت ابياتا قال وما علامة ذلك بكسر الكاف لانه خطاب المؤنث

قالت

قالت عضة عضضتنيها في ظهري وفي رواية في وجهي وفي رواية في ابهامي وانا متورك
فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة وفي رواية قال لها ان تكوني صادقة فان
بك مني اثرا لن يبلى فكشفت عن عضدها ثم قالت نعم يا رسول الله حملتك وانت
صغير فعضضتني هذه العضة فليتأمل وعند ذلك قام صلى الله عليه وسلم لها قائما
وبسط لها رداءه واجلسها عليه اي ودمعت عيناه وسألها عن امه وابيه فاخبرته بموتهما
اي وقال لها سلي تعطي واشفعي تشفعي فاستوهبته السبي اي بعد ان قال لها قومها ان هذا
الرجل اخوك فلو اتيته فسألتيه في قومك لرجونا ان يجيبنا فاتته فقالت اتعرفني
قال ما انكرك من انت قالت انا اختك بنت ابي ذؤيب وآية ذلك اني حملتك ذات يوم
فعضضت كتفي عضة شديدة هذا اثرها فرحب بها ثم استوهبته السبي وهم ستة
آلاف فوهبهم لها فما عرفت مكرمة مثلها ولا امرأة هي ايمن على قومها منها وخيرها صلى
الله عليه وسلم وقال ان احببت فعندي محببة مكرمة وان احببت امتعتك وترجعي
الى قومك قالت بل تمتعني وتردني الى قومي فاعطاها غلاما يقال له مكحول وجارية
وقيل بل اعطاها ثلاثة اعبد وجارية ونعما وشاء وقيل ان القادمة عليه صلى الله
عليه وسلم امه من الرضاع التي هي حليمة وتقدم الكلام على ذلك قال بعضهم وهذا
العطاء الذي اعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤلفة من قريش انما كان من خمس الخمس
الذي هو سهمه صلى الله عليه وسلم لا من اربعة اخماس الغنيمة والا لاستأذن الغانمين
في ذلك لانهم ملكوها بحوزهم لها ثم قدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد هوازن وهم
اربعة عشر رجلا مسلمين ورأسهم زهير بن صرد وفي لفظ يكنى بابي صرد وابو
برقان بالموحدة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة اي فقالوا يا رسول الله
انا اصل وعشيرة وقد اصابنا من البلاء ما لم يخف عليك اي وفي رواية قالوا يا رسول
الله ان فيمن اصبتم الامهات والاخوات والعمات والخالات وهن مخازي الاقوام
ونرغب الى الله واليك يا رسول الله وقال زهير يا رسول الله انما في الحظائر
عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي يكفلنك اي لان مرضعته صلى الله عليه وسلم
حليمة كانت من هوازن ايضا وقال له ولو ملحنا اي ارضعنا للحارث بن ابي شمر
اي ملك الشام او للنعمان بن المنذر اي ملك العراق ثم نزل منا بمثل ما نزلت به
رجونا عطفه وعائدته علينا وانت خير المكفولين وانشده ابياتا يستعطفه
صلى الله عليه وسلم بها منها

امنن علينا رسول الله في كرم ... فانك المرء نرجوه وننتظر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها ... اذ فوك تملؤه من محضها الدرر

أي الدفعات من اللبن • انا لنشكر للنعما ان كفرت • اي جحدت •

• وعندنا بعد هذا اليوم مدخر • وفي لفظ انا لنشكر الالاء ان كفرت •

• انا نؤمل عفوا منك تلبسه • هذي البرية اذ تعفو وتنتصر •

• فالبس العفو من قد كنت ترضعه • من امهاتك ان العفو مشتهر •

فقال صلى الله عليه وسلم ان احسن الحديث اصدقه ابناؤكم ونساؤكم احب اليكم ام اموالكم اي وفي لفظ البخاري احب الحديث الي اصدقه فاختاروا احدى الطائفتين اما السبي واما المال وفي رواية وقد كنت استانيت بكم حتى ظننت انكم لا تقدمون اي لانه صلى الله عليه وسلم انتظرهم بعد ان قفل من الطايف بضع عشرة ليلة وفي لفظ انه قال لهم قد وقعت المقاسم مواقعها فاي الامرين احب اليكم اطلب لكم السبي ام الاموال وانما قال صلى الله عليه وسلم قد وقعت المقاسم اي لانه لا يجوز للامام ان يمن على الاسرى بعد القسم وانما يمن عليهم قبله كما وقع له صلى الله عليه وسلم في يهود خيبر ولا يخفى ان هذا في الرجال دون الذراري فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيا اردد علينا نساءنا وابناءنا فهو احب الينا ولا نتكلم في شاة ولا بعير فقال صلى الله عليه وسلم اما ما لي ولبني عبد المطلب فهو لكم اي وقال لهم فاذا انا صليت الظهر بالناس فقوموا فقولوا انا نستشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسلمين وبالمسلمين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ابنائنا ونسائنا اي بعد ان قال صلى الله عليه وسلم لهم اظهروا اسلامكم وقولوا نحن اخوانكم في الدين فسأسال لكم الناس فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر قاموا فتكلموا بالذي امرهم به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي بعد ان اثنى على الله بما هو اهله ثم قال اما بعد فان اخوانكم هؤلاء جاؤوا تائبين واني قد رايت ان ارد اليهم سبيهم فمن احب ان يطيب بذلك فليفعل ومن احب منكم ان يكون على حظه حتى يعطيه اياه من اول ما يفي الله علينا فليفعل كذا في البخاري وفي لفظ انه صلى الله عليه وسلم قال ولنا من تمسك منكم بحقه من هذا السبي فله بكل انسان ست فرايض من اول سبي اصيبه وفي رواية فمن احب منكم ان يعطي غير مكره فليفعل ومن كره ان يعطي وياخذ الفدا فعلي فداؤهم وقال صلى الله عليه وسلم اما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم فقال المهاجرون والانصار رضي الله عنهم ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الاقرع بن حابس اما انا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبنو تميم فلا وقال العباس بن مرداس اما انا وبنو سليم فلا وقال عيينة بن حصن اما انا وبنو فزارة فلا فقالت بنو سليم بلى ما كان لنا فهو لرسول الله وبنو فزارة فلا فقالت بنو سليم بلى ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال العباس بن مرداس

وهنتموني

وهنتموني اي اضعفتموني حيث صيرتموني منفردا وفي رواية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء القوم جاؤوا مسلمين وقد خيرتهم فلم يعدلوا بالابنا والنسا شيئا فمن كان عنده من النسا شي فطابت نفسه ان يرده فليرده ومن ابى فليرد عليهم ذلك فرضا علينا بكل انسان ست فرايض من اول ما يفي الله علينا قالوا رضينا وسلمنا فردوا عليهم نساءهم وابناءهم ولما فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم السبايا نادى مناديه الا لا توطا الحبالى حتى تضعن ولا غير الحبالى حتى يستبرين بحيضة وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال اصبنا سبايا يوم حنين فكنا نلتمس فداهن فسالنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العزل فقال اصنعوا ما بدا لكم فما قضى الله فهو كاين وليس من كل الما يكون الولد قال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه وكانت اليهود تزعم ان العزل الموودة الصغرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت يهود ولو اراد الله ان يخلقه لم يستطع احد ان يصرفه وجا لو ان الما الذي يكون منه الولد اهرقته على صخرة لاخرج الله منها ولدا وقد جا في الحديث ما قالته اليهود ففي مسلم وابن ماجه العزل الواد الخفي اي لان التحرز عن الولد بالعزل كدفنه حيا فليتامل وقد مر الكلام على ذلك مبسوطا والفريضة البعير يوخذ في الزكاة لانه فرض واجب على رب المال

واشار صاحب الهمزية الى عفوه عن هوازن بقوله •

• من فضلا على هوازن اذ كا • ن له قبل ذاك فيهم رباء •

• واتى السبي فيه اخت رضاع • وضع الكفر قدرها والسباء •

• فحباها برا توهمت النا • س به انما السباء هداء •

• بسط المصطفى لها من رداء • اي فضل حواه ذاك الرداء •

• فغدت فيه وهي سيدة النسوة والسيدات فيه اماء •

اي اعتق صلى الله عليه وسلم هوازن قبيلة امه من الرضاعة التي هي حليمة السعدية وكانوا ستة الاف ادمي وانما اعتقهم لاجل انه كان له صلى الله عليه وسلم وهو طفل فيهم ربا بفتح الرا والمد اي تربية فيهم ولاجل ان اخته من الرضاع اتت في ذلك السبي وتلك الاخت صغر كفرها وسباؤها قدرها الرفيع باخوته صلى الله عليه وسلم فاعطاها برا وفعل معها معروفا حتى وقع في وهم الحاضرين بسبب ذلك ان سباها هدا لها بكسر الها كالعروس التي تهدى لزوجها ومن بره صلى الله عليه وسلم لها انه بسط لها رداءه كالعروس لتجلس عليه اي شرف لذلك الردا شرفا عظيما لا غاية له بسبب ما مسته لجسده الشريف فصارت في ذلك السبي سيدة من فيه من النسا وصارت السيدات التي فيه اماء بالنسبة اليها وليتامل الجمع بين كون اخته المذكورة هي الشيما

فى السبى وقبل شفاعتها وبين كون السايل فيه وفد هوازن والاصل اقتصر على
سؤال الوفد ورد جميع السبى ولم يتخلف منه احد الا عجوز من عجايزهم كانت عند
عيينة بن حصن ابى ان يردها وقال حين اخذها ارى عجوزا انى لاحسب ان لها فى الحى
نسبا وعسى ان يعظم فداؤها ثم ردها بعد ذلك بعشرة من الابل اى وقيل بست
ه اخذ ذلك من ولدها بعد ان ساومه فيها بماية من الابل وقال له ولدها والله ما
ثديها بناهد ه ولا بطنها بوالد ه ولا فوها ببارد ه ولا صاحبها بواجد ه اى بحزن
لفراقها ولا درها بناكد بالنون اى غزير وهو من الاضداد وقيل قايل ذلك له زهير
وقد يقال لا مخالفة لجواز ان يكون زهير هو وقد يقال لا مخالفة لجواز ان يكون زهير
هو ولدها فقال لعيينة خذها لا بارك الله لك فيها قال وذلك ببركة دعائه صلى
الله عليه وسلم دعى على من ابى ان يرد من السبى شيا ان يخس اى يكسد ثمنه ه فان ولدها
دفع له فيها ماية من الابل فابى ثم غاب عنه ثم مر عليه معرضا فقال خذها بالماية
فقال لا ادفع الا خمسين فابى فغاب عنه ثم مر عليه معرضا عنه فقال خذها بالخمسين
فقال لا ادفع الا خمسة وعشرين فابى فغاب عنه ثم مر عليه معرضا عنه فقال خذها
بالخمسة والعشرين فقال لا اخذها الا بعشرة وفى رواية الا بستة فقال له لما تقدم
ولما اخذها ولدها قال لعيينة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كسى السبى قبطية
قبطية فقال لا والله ما ذاك لها عندى فما فارقه حتى اخذ لها منه ثوبا والقبطية
بضم القاف وهى ثوب ابيض من ثياب مصر منسوبة للقبط وهم اهل مصر وضم القاف
من التغيير فى النسب اى وفى كلام بعضهم وزعموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر
رجلا ان يقدم مكة يشترى للسبى ثياب المعقد فلا يخرج الحر منهم الا كاسيا
قال وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحبس اهل مالك بن عوف النصرى بمكة
عند عمتهم ام عبد الله بن ابى امية وكلمه الوفد فى ذلك فقالوا يا رسول الله اوليك سادتنا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما اريد بهم الخير ولم يجر ان تجر السهمان فى مال مالك
ابن عوف وقال صلى الله عليه وسلم لوفد هوازن ما فعل مالك بن عوف قالوا يا رسول
الله هرب فلحق بحصن الطايف مع ثقيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبروه
انه ان اتانى مسلما رددت عليه اهله وماله واعطيته ماية من الابل فلما بلغ مالكا
ما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قومه وان ماله واهله موفور وما وعد به
نزل من الحصن مستخفيا خوفا ان تحبسه ثقيف اذا علموا الحال وركب فرسه وركضه
حتى اتى الدهنا محل امعز وخا ركب راحلته ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فادركه
بالجعرانة واسلم ورد عليه اهله وماله واستعمله صلى الله عليه وسلم على من اسلم

من

من هوازن فكان لا يقدر على سرح لثقيف الا اخذه ولا على رحل الا قتله وكان صلى الله
عليه وسلم يرسل بالخمس مما يغنم لرسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى اى **وجا** اعرابى
الى النبى صلى الله عليه وسلم انتهى الى هذا المحل الذى هو الجعرانة وهو المراد بقول بعضهم
وهو بحنين لان المراد منصرفه من غزوة حنين وعلى ذلك الاعرابى جبة وهو متضمخ
بخلوق اى متضمخ لحيته وراسه وقد احرم بعمرة فقال افتنى يا رسول الله وفى رواية
قال له كيف ترى فى رجل احرم فى جبة بعد ما تضمخ بطيب فسكت ساعة فنزل عليه الوحى
فلما سرى عنه قال اين السايل عن العمرة اخلع عنك الجبة واغسل عنك اثر الخلوق وفى
رواية قال له صلى الله عليه وسلم ما كنت تصنع فى حجك قال كنت انزع هذه الجبة واغسل
هذا الخلوق فقال له النبى صلى الله عليه وسلم اصنع فى عمرتك ما كنت صانعا فى حجك واستند
لذلك من يقول بحرمة التطيب قبل الاحرام اذا بقى فيه بعد الاحرام والراجح عند ايمتنا
الشافعى رضى الله عنه استحباب ذلك وجاءه صلى الله عليه وسلم رجل فوقف على راسه
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان لى عندك موعدا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
صدقت فاحتكم فقال احتكم ثمانين ضانية وراعيها فقال صلى الله عليه وسلم هى لك ولقد
احكمت يسيرا ولصاحبة موسى عليه السلام التى دلته على عظام يوسف عليه السلام
كانت احزم منك واجزل حكما منك حين حكمها موسى فقالت حكمى ان تردنى شابة وادخل
معك الجنة كذا ذكره الغزالى قال السخاوى وهذا اخرجه ابن ماجه والحاكم وصحح اسنا ٥٥
وفيه نظر كما قال العراقى وهذا اصل فى عدم اخلاف الوعد بالخير ونقل الامام
النووى اجماع على انهم ذهبوا الى وجوب الوفاء بذلك ووجهه السبكى بان اخلاف الوعد
كذب والكذب حرام وترك الحرام واجب وذكر الغزالى ان اخلاف الوعد لا يكون
كذبا الا اذا عزم حين الوعد على عدم الوفاء اى ويدل لذلك ما جاء عن عبد الله بن ربيعة
قال جا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيتنا وانا صبى صغير فذهبت لالعب فقالت امى
يا عبد الله تعال اعطيك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اردت ان تعطيه قالت اردت
ان اعطيه تمرا قال لو لم تفعلى كتبت عليك كذبة واحرم صلى الله عليه وسلم من الجعرانة ودخل
مكة ليلا واستمر يلبى حتى استلم الحجر ثم رجع من ليلته واصبح بها كبايت وفى لفظ
اصبح بمكة كبايت وفيه نظر ولم يسق هديا فى هذه العمرة وحلق راسه وكان الحالق
لراسه الشريف ابو هند الحجام وقيل ابو خراش بن امية الذى حلق راسه صلى الله عليه وسلم
فى الحديبية واتى باعمال العمرة بعد ان اقام بالجعرانة ثلاث عشرة ليلة وقال اعتمر
منها سبعون نبيا **غزوة تبوك** بعدم الصرف للعلمية والتانيث
ووقع فى البخارى صرفها نظرا للموضع اه ويقال لها غزوة العسرة ويقال لها الفاضحة

لانها اظهرت حال كثير من المنافقين ففي شهر رجب سنة تسع اي بلا خلاف ووقع في البخاري
انها كانت بعد حجة الوداع قيل وهو من غلط النساخ **بلغ رسول الله** صلى الله عليه وسلم
ان الروم قد جمعت جموعا كثيرة بالشام وانهم قدموا مقدماتهم الى البلقاء المحل المعروف
اي وذكر بعضهم ان سبب ذلك ان متنصرة العرب كتبت لهرقل ان هذا الرجل الذي قد
خرج يدعي النبوة هلك واصابت اصحابه سنون اهلكت اموالهم فبعث رجلا من عظمائهم
وجهز معه اربعين الفا اي ولم يكن لذلك حقيقة ه اي وانما ذلك شيء قيل لمن يبلغ ذلك
للمسلمين ليرجف به وكان ذلك في عسرة من الناس وجدب في البلاد اي وشدة من الحر
وحين طابت الثمار والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ه اي وكونه عند طيب الثمار
يؤيد قول عروة بن الزبير رضي الله عنهما ان خروجه صلى الله عليه وسلم لتبوك كان في زمن
الخريف ولا ينافي ذلك وجود الحر في ذلك الزمن لان اوائل الخريف وهو الميزان يكون
فيه الحر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يخرج في غزوة الا كنى عنها وورى بغيرها الا
ما كان من غزوة تبوك لبعد المشقة وشدة الزمان اي وكثرة العدو ليأخذ الناس
اهبتهم وامر الناس بالجهاد وبعث الى مكة وقبائل العرب يستنفرهم وحض اهل
اهل الغنى على النفقة والحمل في سبيل الله تعالى اي اكد عليهم في طلب ذلك وهي
اخر غزوة غزاها صلى الله عليه وسلم وانفق عثمان بن عفان رضي الله عنه نفقة عظيمة لم
ينفق احد مثلها **قال** فانه جهز عشرة الاف انفق عليها عشرة الاف دينار غير الابل
والخيل وهي تسعمائة بعير ومائة فرس والزاد وما يتعلق بذلك حتى ما تربط به
الاسقية اي وفي كلام بعضهم انه اعطى ثلاثمائة بعير باحلاسها واقتابها وخمسين
فرسا وعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم اللهم ارض عن عثمان فاني عنه راض **وعن** ابي
سعيد الخدري رضي الله عنه رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم من اول الليل الى ان طلع
الفجر رافعا يديه الكريمتين يدعو لعثمان بن عفان يقول اللهم عثمان رضيت عنه
فارض عنه **وجاء** انه صلى الله عليه وسلم قال سألت ربي ان لا يدخل النار من صاهرته
او صاهرني وجاء رضي الله عنه بالف دينار فصبها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم فجعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقلبها بيده ويقول ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم يرددها
مرارا انتهى وفي رواية جاء بعشرة الاف دينار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصبت بين
يديه فجعل صلى الله عليه وسلم يقول بيده ويقلبها ظهرا لبطن ويقول غفر الله لك يا عثمان
ما اسررت وما اعلنت وما كان منك وما هو كائن الى يوم القيمة ما يبالي ما عمل بعدها اي
ولعل هذه العشرة الاف هي التي جهز بها العشرة الاف انسان وانها غير الالف التي صبها
في حجره صلى الله عليه وسلم وانفق غير عثمان ايضا من اهل الغنا **قال** وكان اول من جاء

بالنفقة

بالنفقة ابو بكر الصديق رضي الله عنه جاء بجميع ماله اربعة الاف درهم فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم هل ابقيت لاهلك شيئا قال ابقيت لهم الله ورسوله وجاء عمر بن الخطاب
رضي الله عنه بنصف ماله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل ابقيت لاهلك
شيئا قال النصف الثاني وجاء عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بمائتي اوقية اي ومن ثم
قيل عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما كانا خزانتين من خزائن الله في
الارض ينفقان في طاعة الله وجاء العباس رضي الله عنه بمال كثير وكذا طلحة رضي الله عنه
وبعث النساء بكل ما يقدرن عليه من حليهن وتصدق عاصم بن عدي رضي الله عنه
بسبعين وسقا من تمر انتهى وجاءه صلى الله عليه وسلم جمع اي سبعة انفس من فقراء
اصحابه يستحملونه اي يسألونه ان يحملهم فقال صلى الله عليه وسلم لا اجد ما احملكم عليه
وعند ذلك تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا ان لا يجدوا ما ينفقون اي ما يحملهم
ومن ثم قيل لهم البكاؤون منهم العرباض بن سارية ولم يذكره القاضي البيضاوي من
السبعة وحمل العباس رضي الله عنه منهم اثنين وحمل منهم عثمان رضي الله عنه بعد الجيش
الذي جهزه ثلاثة اي وحمل يامين بن عمرو النضري اثنين دفع لهما ناضحا له وزود كل
واحد منهما صاعين من تمر ه وعدهم مغلطاي ثمانية عشر وفي البخاري عن ابي موسى الاشعري
قال ارسلني اصحابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اسأله الحملان لهم فقلت يا نبي الله
ان اصحابي ارسلوني اليك لتحملهم فقال والله لا احملكم على شيء وفي رواية والله لا احملكم
ولا اجد ما احملكم عليه فرجعت حزينا الى اصحابي من منع النبي صلى الله عليه وسلم ومن مخا فة
ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم وجد في نفسه حيث حلف على ان لا يحملهم قال فرجعت
الى اصحابي فاخبرتهم الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم فلم البث الا سويعة اذ سمعت
بلالا ينادي اي عبد الله بن قيس فاجبته قال اجب رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك
فلما اتيته قال خذ هذه الستة ابعرة فانطلق بها الى اصحابك زاد بعضهم فعند ذلك قال
بعضهم لبعض اغفلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي حملناه على يمين الغلق وقد حلف
ان لا يحملنا ثم حملنا والله لا يبارك لنا في ذلك فاتوه فذكروه فقال عليه السلام انا ما حملتكم
الله حملكم ثم قال اني لا احلف يمينا فارى غيرها خيرا منها الا كفرت عن يميني واتيت
الذي هو خير اي فهو صلى الله عليه وسلم انما حلف ان لا يتكلف لهؤلاء الحملان بقرض ونحوه ما دام
لا يجد لهم حملا فلا حنث وفيه ان هذا لا يناسب قوله اني لا احلف الخ واجيب بان هذا
استئناف قاعدة لا انه دال على ان النبي صلى الله عليه وسلم حنث في يمينه بل خرج الكلام
على تقدير كانه قال ولو حنثت في يميني حيث كان الحنث خيرا وكفرت عنها لكان ذلك
شرعا واستعمال ندبا راجحا ويؤيده انه لم ينقل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كفر عن

هذه اليمين وحينئذ يحتاج الى الجمع بين هذا وما قبله وقد يقال ان حمل العطش اثنين
منهم الخ كان قبل وجود هذه الابعرة الستة او يدعى ان بولاء غير من تقدم فلما تجهز رسول
الله صلى الله عليه وسلم وسار بالناس وهم ثلاثون الفا اى وقيل اربعون الفا وقيل
سبعون الفا وكانت الخيل عشرة الاف فرس وقيل بزيادة الفين وخلف على المدينة
محمد بن مسلمة الانصارى على ما هو المشهور وقال الحافظ الدمياطى وهو اثبت عندنا
وقيل سباع بن عرفطة اى وقيل ابن ام مكتوم وقيل على بن ابى طالب قال ابن عبد
البر وهو الاثبت هذا كلامه وفى كلام ابن اسحاق وخلف عليا على اهله وامره بالاقامة
فيهم وتخلف عنه عبد الله بن ابى بن سلول ومن كان معه من المنافقين بعد ان خرج
بهم وعسكر عبد الله بن ابى على ثنية الوداع اى اسفل منها لان معسكره صلى الله عليه
وسلم كان على ثنية الوداع وكان عسكر عبد الله بن ابى اسفل منه قال ابن اسحاق وما
كان فيما يزعمون باقل العسكرين اى والتعبير عن ذلك بالزعم واضح لانه يبعد ان يكون
عسكر عبد الله مساويا لعسكره صلى الله عليه وسلم فضلا عن كونه اكثر منه قليلا ما وقال
عند تخلفه يغزو محمد بنى الاصفر مع جهد الحال والحر والبلد البعيد الى ما لا طاقة له به
يحسب محمد ان قتال بنى الاصفر معه اللعب والله لكانى انظر الى اصحابه مقرنين فى الحبال
يقول ذلك ارجافا برسول الله صلى الله عليه وسلم وباصحابه اى وقيل للروم بنى الاصفر
لانهم ولد روم بن العيص بن اسحاق نبى الله وكان يسمى الاصفر لصفرة به فقد ذكر العلماء
باخبار القدماء ان العيص تزوج بنت عمه اسماعيل فولدت له الروم وكان به صفرة فقيل
له الاصفر وقيل الصفرة كانت بابيه العيص ٥ ولما ارتحل رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن ثنية الوداع متوجها الى تبوك عقد الالوية والرايات فدفع لواءه الاعظم
لابى بكر ورايته للخزرج الى الحباب بن المنذر ودفع لكل بطن من الانصار ومن قبائل
العرب لواء وراية اى لبعضهم راية ولبعضهم لواء وكان قد اجتمع جمع من المنافقين اى
فى بيت سويلم اليهودى فقال بعضهم لبعض اتحسبون جلاد بنى الاصفر اى وهم الروم
كقتال العرب بعضهم بعضا والله لكانهم يعنى الصحابة غدا مقرنين فى الحبال يقولون
ذلك ارجافا وترهيبا للمؤمنين والجلاد الضراب بالسيوف فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم عند ذلك لعمار بن ياسر ادرك القوم فانهم قد احترقوا فاسالهم عما قالوا فان
انكروا فقل بلى قلتم كذا وكذا فانطلق اليهم عمار فقال ذلك لهم فاتوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم يعتذرون اليه وقالوا انما كنا نخوض ونلعب فانزل الله تعالى فيهم ولئن
سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب وقال صلى الله عليه وسلم للجد بن قيس يا جد هل
لك فى جلاد بنى الاصفر فقال يا رسول الله او تاذن لى اى فى التخلف ولا تفتنى فوالله

لقد

لقد عرف قومى انه ما من رجل باشد عجبا بالنساء منى وانى اخشى ان رايت نساء بنى الاصفر
لا اصبر فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد اذنت لك فانزل الله تعالى فيه
ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى الاية وفى لفظ انه صلى الله عليه وسلم قال اغزوا تبوك تغنموا
بنات الاصفر نساء الروم فقال قوم من المنافقين ائذن ولا تفتنا بالنساء فانزل الله تعالى
الاية الا فى الفتنة سقطوا اى الذى هو التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والرغبة عنه وفى
لفظ انه صلى الله عليه وسلم قال للجد بن قيس يا ابا قيس هل لك ان تخرج معنا لعلك تحقب
اى تردف خلفك من بنات الاصفر فقال ما تقدم وعند ذلك لامه ولده عبد الله رضى الله
عنه وقال له والله ما يمنعك الا النفاق وسينزل الله فيك قرانا فاخذ نعله وضرب
به وجهه فلما نزلت الاية قال له الم اقل لك فقال له اسكت يا لكع فوالله لانت اشد على من محمد
وفى رواية ان الجد بن قيس لما امتنع واعتذر بما تقدم قال للنبى صلى الله عليه وسلم ولكن
اعينك بمالى فانزل الله تعالى قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم وقد تقدم انه لم
يبايع بيعة الرضوان وتقدم انه تاب من النفاق وحسنت توبته وانه صلى الله عليه وسلم
قال لبنى ساعدة من سيدكم قالوا الجد بن قيس على بخل فيه فقال واى داء ادوى من البخل
قالوا يا رسول الله من سيدنا قال بشر بن البراء بن معرور وفى رواية سيدكم الجعد الابيض
عمرو بن الجموح وذكر ابن عبد البر ان النفس تميل الى الاول ومات الجد بن قيس فى خلافة
عثمان رضى الله عنه وكان قال بعض المنافقين لبعض لا تنفروا فى الحر فانزل الله تعالى
قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون اى يعلمون وجاء المعذرون من اى وهم الضعفاء
والمقلون من الاعراب ليؤذن لهم فى التخلف فاذن لهم وكانوا اثنين وثمانين رجلا وقعد
اخرون من المنافقين بغير عذر واظهار علة جراة على الله ورسوله وقد عناهم الله بقوله
وقعد الذين كذبوا الله ورسوله قال السهيلى واهل التفسير يقولون ان اخر براءة نزل
قبل اولها وان اول ما نزل منها انفروا خفافا وثقالا اى قيل معناه شبابا وشيوخا وقيل
اغنياء وفقراء وقيل اصحاب شغل وغير ذى شغل وقيل ركبانا ورجالا ثم نزل اولها
فى نبذ كل ذى عهد الى صاحبه كما تقدم وتخلف جمع من المسلمين منهم كعب بن مالك وهلال
ابن امية ومرارة بن الربيع من غير عذر وكانوا ممن لا يتهم فى اسلامه ولما خلف صلى الله عليه وسلم
عليا ارجف به المنافقون وقالوا ما خلفه الا استثقالا له وحين قيل فيه ذلك اخذ على
سلاحه ثم خرج حتى لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجرف فقال يا نبى الله زعم
المنافقون انك ما خلفتنى الا استثقلتنى وتخففت منى فقال كذبوا ولكنى خلفتك
لما تركت ورائى فارجع فاخلفنى فى اهلى واهلك افلا ترضى يا على ان تكون منى بمنزلة هارون
من موسى الا انه لا نبى بعدى اى فان موسى عليه السلام حين توجه الى ميقات ربه استخلف

يرون فى قومه فرجع على الى المدينة وعن على قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة
وخلف جعفرا فى اهله فقال جعفر والله لا اتخلف عنك فخلفنى فقلت يا رسول الله اتخلفنى
الى شئ تقول قريش اليس يقولون ما اسرع ما خذل ابن عمه وجلس عنه واخرى ابتغى به
الفضل من الله لانى سمعت الله يقول ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار الاية فقال اما قولك
ان تقول قريش ما اسرع ما خذل ابن عمه وجلس عنه فقد قالوا انى ساحر وانى كاهن
وانى كذاب واما قولك تبتغى الفضل من الله فلك بى اسوة اى حيث تخلفت عن بعض
مواطن القتال اما ترضى ان تكون منى بمنزلة هرون من موسى اى ولم يتخلف عنه على رضى الله
عنه فى شهود المشاهد الا فى هذه الغزوة وادعت الرافضة والشيعة ان هذا من
المشاهد النص التفصيلى على خلافة على قالوا لان جميع المنازل الثابتة لهرون من
موسى سوى النبوة ثابتة لعلى من النبى صلى الله عليه وسلم والا لما صح الاستثنا اى استثنا
النبوة بقوله الا انه لا نبى بعدى ومما ثبت لهم لهرون من موسى استحقاقه للخلافة
عنه لو عاش بعده اى دون النبوة ورد بان هذا الحديث غير صحيح كما قاله الاموى وعلى
تسليم صحته بل صحته هى الثابتة لانه فى الصحيحين فهو من قبيل الاحاد وكل من الرافضة
والشيعة لا يراه حجة فى الامامة وعلى تسليم انه حجة فلا عموم له بل المراد ما دل عليه
ظاهر الحديث ان عليا خليفة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى اهله خاصة مدة غيبته
بتبوك كما كان هرون خليفة عن موسى فى قومه مدة غيبته عنهم للمناجاة وعلى
تسليم انه عام لكنه مخصوص والعام المخصوص غير حجة فى الباقى او حجة ضعيفة وقد
استخلف صلى الله عليه وسلم فى مرار اخرى غير على فيلزم ان يكون مستحقا للخلافة وصار
بعد سيره صلى الله عليه وسلم يتخلف عنه الرجل فيقال له تخلف فلان فيقول دعوه فان يك
فيه خير فسيلحقه الله بكم وان يك غير ذلك فقد اراحكم الله منه وكان ممن تخلف عن مسيره
معه صلى الله عليه وسلم ابو خيثمة ولما ان سار صلى الله عليه وسلم اياما دخل ابو خيثمة على
اهله فى يوم حار فوجد امرأتين له فى عريشين لهما فى حائطه قد رشت كل منهما عريشها وبردا
فيه ما وهيأ اطعاما وكان يومئذ شديد الحر فلما دخل نظر الى امرأته وما صنعتا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحر وابو خيثمة فى ظل بارد وطعام مهيأ وامرأة حسنا
ما هذا بالنصف ثم قال والله لا ادخل عريش واحدة منكما حتى الحق برسول الله صلى الله
عليه وسلم فهيأ الى زادا ففعلتا ثم قدم ناضحه فارتحله واخذ سيفه ورمحه كما فى الكشاف
اى ثم خرج فى طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ادركه حين نزل بتبوك وقد كان
ابو خيثمة ادرك عمير بن وهب فى الطريق يطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فترافقا حتى
دنوا من تبوك فقال ابو خيثمة لعمير ان لى ذنبا فلا عليك ان تتخلف عنى حتى آتى رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم ففعل فلما دنى ابو خيثمة قال الناس هذا راكب مقبل فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم كن ابا خيثمة فقالوا يا رسول الله هو والله ابو خيثمة فلما اناخ اقبل فسلم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اولى لك يا ابا خيثمة
اى واولى لك كلمة تهديد وتوعد ثم اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير ولما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر ديار
ثمود سجى ثوبه على رأسه واستحث راحلته وقال لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا الا وانتم باكون
خوفا ان يصيبكم ما اصابهم اى لان البكا يتبعه التفكر والاعتبار فكانه صلى الله عليه وسلم
امرهم بالتفكر فى احوال توجب البكا من تقدير الله عز وجل على اوليك بالكفر مع تمكينه
لهم فى الارض وامهالهم مدة طويلة ثم ايقاع نقمته بهم وشدة عذابه وهو سبحانه مقلب
القلوب فلا يأمن المؤمن ان يكون عاقبته الى مثل ذلك ونهى صلى الله عليه وسلم الناس عن
ان يشربوا من مائها شيئا وان لا يتوضؤا به للصلاة وان لا يعجن به عجين ولا يحاس به
حيس ولا يطبخ به طعام وان العجين الذى عجن به او الحيس الذى فعل به يعلفونه الابل
وان الطعام الذى طبخ به يلقى ولا ياكلون منه شيئا اى ثم ارتحل بالناس اى لا زال سائرا
حتى نزل على البير التى كانت تشرب منه الناقة واخبرهم صلى الله عليه وسلم انها تهب عليهم
الليلة ريح شديدة اى وقال من كان له بعير فليشد عقاله ونهى الناس فى تلك الليلة
عن ان يخرج احد منهم وحده بل معه صاحبه فخرج شخص وحده لحاجته فخنق وخرج
اخر كذلك فى طلب بعير له ند فاحتملته الريح حتى القته فى جبل طى فاخبر بذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال الم انهكم ان يخرج احد منكم الا ومعه صاحبه ثم دعا للذى
خنق فشفى والذى القته الريح بجبل طى ارسلته طى له صلى الله عليه وسلم حين قدم
المدينة وفى سيرة الحافظ الدمياطى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستخلف على
عسكره ابا بكر الصديق رضى الله عنه يصلى بالناس واستعمل على حرس العسكر عباد بن
بشر فكان يطوف فى اصحابه على العسكر ثم اصبح الناس ولا ماء معهم اى وحصل لهم من
العطش ما كاد يقطع رقابهم حتى حملهم ذلك على نحر ابلهم ليشقوا اكراشها ويشربوا
ما فيها وعن عمر رضى الله عنه خرجنا فى حر شديد فنزلنا منزلا اصابنا فيه عطش حتى
ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقى على كبده وفى لفظ على صدره فشكوا
ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم اى قال له ابو بكر يا رسول الله قد عودك الله من الدعا خيرا
فادع الله لنا فقال اتحب ذلك قال نعم فدعا اى ورفع يديه فلم يرجعهما حتى ارسل الله سحابة
فمطرت حتى ارتوى الناس واحتملوا ما يحتاجون اليه قال وذكر بعضهم ان تلك
السحابة لم تتجاوز العسكر وان رجلا من الانصار قال لاخر متهم بالنفاق ويحك

تدرى فقال انما مطرنا بنوء كذا وكذا فانزل الله تعالى وتجعلون رزقكم اى بدل شكر رزقكم انكم تكذبون حيث تنسبونه للانواء وقيل انه قال له ويحك هل تعد هذا شيئا قال سحابة مارة انتهى وفى لفظ انهم لما شكوا اليه شدة العطش فقال لعلى لو استسقيت لكم فسقيتم قلتم هذا بنوء كذا وكذا فقالوا يا نبى الله ما هذا بحين انواء فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماء فتوضأ ثم قام فصلى فدعا الله تعالى فهاجت ريح وثار سحاب فمطر واحتى سال كل واد فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل يغترف بقدحه ويقول هذا نوء فلان فنزلت الآية وضلت ناقته صلى الله عليه وسلم فقال رجل من المنافقين الذين خرجوا معه صلى الله عليه وسلم ليس غرضهم الا الجهاد الغنيمة ان محمدا يزعم انه نبى وانه يخبركم بخبر السماء وهو لا يدرى اين ناقته فقال صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقول كذا وكذا وانى والله لا اعلم الا ما علمنى الله وقد دلنى الله عليها انها فى شعب كذا وكذا قد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتى تأتونى بها فذهبوا فوجدوها كذلك فجاءوا بها اى وتقدم لنا نظير هذا فى غزوة بنى المصطلق التى هى المريسيع ولا بعد فى تعدد الواقعة ويحتمل ان يكون من خلط بعض الرواة ولما سمع بذلك بعض الصحابة جاء الى رحله فقال لمن به والله لعجب فى شىء حدثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مقالة قائل اخبره الله عنه وذكر المقالة فقال له بعض من فى رحله هذه المقالة قالها فلان يعنى شخصا فى رحله ايضا فاقبل اى قبل انا لى بتبيير فقال يا عباد الله فى رحلى داهية وما اشعر اى عدو الله اخرج من رحلى ولا تصحبنى فيقال انه تاب ويقال انه لم يزل متهما بشر حتى هلك وتباطأ جمل ابى ذر لما به من الاعياء والتعب فتخلف عن الجيش فاخذ متاعه وحمله على ظهره ثم خرج يتبع اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا فادركه نازلا فى بعض المنازل اى وقيل بحيثيه قالوا له يا رسول الله تخلف ابو ذر وابطأ به بعيره فقال صلى الله عليه وسلم دعوه فان يك به خير فسيلحقه الله بكم وان يك غير ذلك فقد اراحكم الله منه فلما اشرف على ذلك المنزل ونظر شخص يمشى فقال يا رسول الله ان هذا الرجل يمشى على الطريق وحده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن ابا ذر فلما تأمله القوم قالوا يا رسول الله هو والله ابو ذر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله ابا ذر يمشى وحده ويموت وحده ويبعث وحده وكان كما قال صلى الله عليه وسلم انه يموت وحده فقد مات وحده بالربذة لما اخرجه عثمان رضى الله عنه اليها اى فانه بعد موت ابى بكر رضى الله عنه خرج من المدينة الى الشام فلما ولى عثمان شكاه معاوية اليه فانه كان يغلظ على معاوية فى بعض امور تقع منه فاستدعاه وغلامه فوصاهما عند موته ان غسلانى وكفنانى ثم اجعلانى على قارعة الطريق فاول ركب يمر بكم قولا له هذا ابو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم

فاعينونا

فاعينونا على دفنه فلما مات رضى الله عنه فعلا به ذلك واقبل عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فى رهط من اهل العراق فوجدوا الجنازة على ظهر الطريق قد كادت الابل تطؤها فقام اليهم الغلام وقال هذا ابو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعينونا على دفنه فاستهل عبد الله بن مسعود يبكى ويقول صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم تمشى وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك ثم نزل هو واصحابه فواروه ثم حدثهم عبد الله بن مسعود خبره اى وفى الحدائق عن ام ذر قالت لما حضرت ابا ذر الوفاة بكيت فقال ما يبكيك قلت ومالى لا ابكى كيف لا ابكى وانت تموت بفلاة من الارض ولا بد لنا من معين على دفنك وليس معنا ثوب يسعك كفنا فقال لا تبكى وابشرى فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنفر انا فيهم ليموتن رجل منكم بفلاة من الارض يشهده عصابة من المؤمنين وليس من اولئك النفر احد الا وقد مات فى قرية انى انا الذى اموت بالفلاة والله ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذبت وفى لفظ ما كذبت ولا كذبت فانظرى الطريق فقالت قد ذهب الحاج وتقطعت السبل فقال انظرى قالت فكنت اشتد الى الكثيب فاقوم عليه ثم ارجع اليه فامرضه فبينما انا كذلك اذا انا برجال على رواحلهم كانهم الرخم فالحت بثوبى فاسرعوا الى ووضعوا السياط فى نحورها يستبقون الى فقالوا ما لك يا امة الله فقلت امرؤ من المسلمين يموت تكفنونه قالوا ومن هو قلت ابو ذر قالوا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نعم فاسرعوا اليه حتى دخلوا عليه فسلموا عليه فرحب بهم وقال ابشروا فانكم عصابة من المسلمين وحدثهم الحديث وقال والله لو كان لى او لها ما يسعنى كفنا ما كفنت الا فيه وانى انشدكم الله والاسلام لا يكفننى منكم رجل كان اميرا ولا عريفا ولا بريدا او نقيبا ولم يكن منهم احد سلم من ذلك الا فتى من الانصار فقال والله اصب مما ذكرت شيئا انا اكفنك فى ردائى هذا او ثوبين معى من غزل امى فمات فكفنه الفتى الانصارى ودفنه فى النفر الذين معه **اقول** يحتاج الى الجمع بين هذا وما تقدم وقد يقال لا ينافى ذلك ما تقدم عن ابن مسعود رضى الله عنه لجواز ان يكون قدومه بعد ان كفن بكفن الانصارى ولا ينافى ذلك ما تقدم من قول الراوى فلما مات فعلا اى زوجته وغلامه ذلك اى غسله وتكفينه ولا ينافى ذلك قول الغلام لابن مسعود ومن معه اعينونا على دفنه ولا ينافى ذلك قول الراوى هنا ودفنه اى الفتى الانصارى فى النفر الذين معه لان ذلك يقال اذا اشتركوا مع غيرهم فى ذلك وابو ذر رضى الله عنه اسمه جندب وقيل اسمه سلمة بن جنادة وكان من اوعية العلم المبرزين فى الزهد

والورع والقول بالحق وقد قال صلى الله عليه وسلم في حقه ما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء من ذي لهجة اصدق من ابي ذر وكان رضي الله عنه من الاقدمين في الاسلام قال ابن عبد البر كان خامس رجل اسلم فليتامل وقال صلى الله عليه وسلم ابو ذر في امتي شبيه عيسى بن مريم في زهده وبعضهم يرويه من ينظر الى مواضع عيسى ابن مريم فلينظر الى ابي ذر والى وجود ما اخبر به صلى الله عليه وسلم عن ابي ذر من انه يموت وحده اشار الامام السبكي رحمه الله في تائيته بقوله

وعاش ابو ذر كما قلت وحده ۔ ومات وحيدًا في بلاد بعيدة

قال وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه انه قال لما كنا فيما بين الحجر وتبوك ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته بعد الفجر وتبعته باداوة فاسفر الناس بصلاتهم التي هي صلاة الفجر فقدموا عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم فانتهى صلى الله عليه وسلم بعد ان توضا ومسح خفيه لعبد الرحمن بن عوف وقد صلى ركعة فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عبد الرحمن ركعة وقام ليأتي بالركعة الثانية وقال لهم صلى الله عليه وسلم بعد فراغه احسنتم او اصبتم ثم قال صلى الله عليه وسلم لم يتوف نبي حتى يؤمه رجل صالح من امته انتهى اي ولعل هذا الاتيان بما تقدم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلف على عسكره ابا بكر الصديق رضي الله عنه لم يتوف نبي حتى يؤمه رجل صالح من امته يقتضي انه صلى الله عليه وسلم لم يصل خلف الصديق في هذه الغزاة حيث يصلي بالعسكر فليتامل اي وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن سيد من سادات المسلمين ولا يخالف هذا ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما لم يصل النبي صلى الله عليه وسلم خلف احد من امته الا خلف ابي بكر اي في مرض موته لان المراد صلاة كاملة او يكرر الصلاة هذا وفي الخصائص الصغرى ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم فيما حكى القاضي عياض انه لا يجوز لاحد ان يؤمه صلى الله عليه وسلم لانه لا يصح التقدم بين يديه في الصلاة ولا غيرها لا لعذر ولا لغيره وقد نهى الله المؤمنين عن ذلك ولا يكون احد شافعًا له وقد قال ائمتكم شفعاؤكم ولذلك قال ابو بكر ما كان لابن ابي قحافة ان يتقدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فليتامل ولما نزلوا تبوك وجدوا عينها قليلة الماء فاغترف رسول الله صلى الله عليه وسلم غرفة بيده من مائها فمضمض بها فاه ثم بصقه فيها ففارت عينها حتى امتلات وقال وعن حذيفة رضي الله عنه بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الماء قلة اي ماء عين تبوك وقد قال لهم انكم ستاتون غدًا ان شاء الله تعالى عين تبوك وانكم لن تنالوها حتى يضحى النهار فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئًا حتى اتي وامر صلى الله عليه وسلم مناديًا ينادي بذلك فجئناها فاذا العين مثل

الشراك تبض من ماء وقد سبق اليها رجلان اي من المنافقين ومسا من مائها فسبهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه ذلك وفي رواية سبق اليها اربعة من المنافقين ثم انهم غرفوا من تلك العين قليلًا حتى اجتمع شيء في شن فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه ويديه ومضمض ثم اعاده فيها فجرت العين بماء كثير وفي رواية فجعلوا فيها ما دفعها صلى الله عليه وسلم اليهم فجاشت بالماء اي والى ذلك اشار الامام السبكي في تائيته بقوله

فيومًا بوقع النبل جيت بشربهم ۔ ويومًا بوقع الوبل جدت بسقية

وحينئذ اي وحين اذ ثبت انه صلى الله عليه وسلم جعل السهام في عين تبوك ليسقط الاعتراض بان وقع النبل لم يكن بتبوك وانما كان بالحديبية على ان الذي كان بالحديبية انما هو غرز سهم واحد لا سهام فليتامل ثم قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ يا معاذ يوشك ان طالت بك حياة اي ترى هاهنا ملئ جنانا اي بساتين وذكر ابن عبد البر عن بعضهم قال انا رايت ذلك الموضع كله حوالى تلك العين جنانا خضرة نضرة وقيل قدومهم تبوك بليلة نام رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يستيقظ حتى كانت الشمس قيد رمح اي وقد كان صلى الله عليه وسلم قال لبلال اكلا لنا الفجر فاسند بلال ظهره الى راحلته فغلبته عيناه فقال الم اقل لك يا بلال اكلا لنا الفجر وفي رواية ان بلالًا قال لهم ناموا وانا اوقظكم فاضطجعوا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بلال اين ما قلت قال يا رسول الله ذهب بي مثل الذي ذهب بك اي وفي لفظ اخذ بنفسي الذي اخذ بنفسك وقال صلى الله عليه وسلم للصديق ان الشيطان صار يهدي بلالا للنوم كما يهدي الصبي حتى ينام ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا وسأله عن سبب نومه فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم الصديق فقال الصديق للنبي صلى الله عليه وسلم اشهد انك رسول الله فانتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزله غير بعيد ثم صلى وتقدم نحو خيبر اي في غزوة وادي القرى فانها كانت عند منصرفه من خيبر بالخلاف في اي غزوة كان وسار صلى الله عليه وسلم مسرعا بقية يومه وليلته فاصبح بتبوك وانا معه اذ خفق خفقة وهو على راحلته فمال على شقه فدنوت منه فدعمته فانتبه فقال من هذا فقلت ابو قتادة يا رسول الله خفت ان تسقط فدعمتك فقال حفظك الله كما حفظت رسوله ثم سار غير كثير ثم فعل مثلها فدعمته فانتبه فقال يا ابا قتادة هل لك في التعريس فقلت ما شئت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انظر من خلفك فنظرت فاذا رجلان او ثلاثة فقال ادعهم

فقلنا اجيبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاؤا فعرسنا وفي رواية قال ابو قتادة رضي
الله عنه فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير حتى ابهار الليل وانا الى جنبه فنعس
فمال عن راحلته فاتيته فدعمته من غير ان اوقظه حتى اعتدل على راحلته ثم سار حتى تهور
الليل مال عن راحلته فدعمته حتى اعتدل على راحلته ثم سار حتى اذا كان من اخر السحر
مال ميلة هي اشد من الميلتين الاولتين حتى كاد ينجفل فاتيته فدعمته فرفع رأسه
فقال من هذا قلت ابو قتادة قال متى كان هذا مسيرك مني قلت ما زال هذا مسيري
منذ الليلة قال حفظك الله بما حفظت به نبيه وهذا تقدم في منصرفه من خيبر ولا
مانع من التعدد ويحتمل ان هذا خلط وقع من بعض الرواة فليتامل ثم قال صلى الله
عليه وسلم هل ترى من احد يعني من الجيش قلت هذا راكب ثم قلت هذا راكب اخر حتى
اجتمعنا وكنا سبعة وفي رواية خمسة بر رسول الله صلى الله عليه وسلم فمال رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الطريق ثم قال احفظوا علينا صلاتنا وكان اول من استيقظ رسول
الله صلى الله عليه وسلم والشمس في ظهره فقمنا فزعين ثم قال اركبوا فركبنا فسرنا حتى
ارتفعت الشمس ثم دعا بميضاة كانت معي فيها شيء من ماء فتوضأ منها وبقي فيها شيء
وفي رواية من ماء ثم قال احفظ علينا ميضاتك وفي رواية ازدهر بها يا ابا قتادة
فسيكون لها نبأ الحديث وفي رواية ما ايقظنا الا حر الشمس فقلنا انا لله فاتتنا الصبح
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنغيظن الشيطان كما غاظنا فتوضأ من ماء
الاداوة اي التي هي الميضاة ففضل فضلة فقال يا ابا قتادة احتفظ بما في الاداوة
واحتفظ بالركوة فان لها شأنا فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر بعد
طلوع الشمس وفي رواية ان عمر رضي الله عنه هو الذي ايقظ النبي صلى الله عليه وسلم
بالتكبير **اقول** ظاهر هذه الرواية انهم صلوا بمحلهم ولم ينتقلوا وفي رواية قال
لهم صلى الله عليه وسلم تحولوا عن مكانكم الذي اصابكم فيه الغفلة وفي لفظ ارتحلوا
فان هذا منزل حضرنا فيه الشيطان وفي البخاري عن عمران بن حصين قال كنا في سفر مع النبي
صلى الله عليه وسلم وانا اسرينا حتى كنا في اخر الليل وقعنا وقعة ولا وقعة عند المسافر
احلى منها فما ايقظنا الا حر الشمس وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نام لم نوقظه حتى يكون
هو يستيقظ لانا لا ندري ما يحدث له صلى الله عليه وسلم في نومه اي من الوحي فكانوا يخافون
من ايقاظه قطع الوحي كما تقدم في غزوة بني المصطلق فلما استيقظ اولا ثم لا زال يسبح
ويكبر حتى استيقظ عمر ولا زال يكبر حتى استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما استيقظ
شكوا اليه الذي اصابهم اي من فوات صلاة الصبح قال لا ضير ارتحلوا فارتحلوا فسار
غير بعيد ثم نزل فدعا بالوضوء فتوضأ ونودي بالصلاة فصلى بالناس وهذا كما ترى

فيه

فيه التصريح بان هاتين القصتين وقعتا في غزوة تبوك الاولى عند ذهابهم لها
والثانية عند منصرفهم منها وفي دلائل النبوة للبيهقي عن بعض الصحابة فبعد ان
صلينا وركبنا جعل بعضنا يهمس الى بعض ما كفارة ما صنعنا تفريطا في صلاتنا
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا الذي تهمسون دوني فقلنا يا نبي الله تفريطنا في صلاتنا
قال اما لكم في اسوة ثم قال ليس في النوم تفريط انما التفريط على من لم يصل الصلاة حتى
يجيء وقت الاخرى **وفي** فتح الباري اختلف في تعيين هذا السفر ففي مسلم انه كان
في رجوعهم من خيبر قريب من هذه القصة وفي ابي داود اقبل النبي صلى الله عليه وسلم
من الحديبية ليلا فنزل فقال من يكلؤنا فقال بلال انا الحديث وفي مصنف عبد الرزاق
ان ذلك كان بطريق تبوك وقد اختلف العلماء هل كان ذلك اي نومهم عن صلاة
الصبح مرة او اكثر فجزم الاصيلي بان القصة واحدة وتعقبه القاضي عياض بان
قصة ابي قتادة مغايرة لقصة عمران بن حصين **ومما** يدل على تعدد القصة
اختلاف مواطنها في الطبراني قصة شبيهة بقصة عمران والذي كلأ لهم الفجر ذو مخبر
قال ذو مخبر فما ايقظني الا حر الشمس فجئت ادنى القوم فايقظته وايقظ الناس
بعضهم بعضا حتى استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم فليتامل **وتقدم** عن الامتاع
قال عطاء بن يسار ان ذلك كان في تبوك وهذا لا يصح والا فالاثار الصحاح على خلافه
قوله مسندة ثابتة والله اعلم واستشكل ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم لعائشة وقد
قالت له اتنام قبل ان توتر تنام عيني ولا ينام قلبي واجيب عنه باجوبة احسنها
ان القلب انما يدرك الحسيات المتعلقة به كالحدث والالم ولا يدرك ما يتعلق بالعين
كرؤية الشمس وطلوع الفجر ومن الاجوبة انه صلى الله عليه وسلم كان له نومان نوم تنام فيه
عينه وقلبه ونوم تنام فيه عينه فقط وينبغي ان يكون هذا الثاني اغلب احواله وان
كان الانبياء مثله في ذلك ويكون قوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء تنام اعيننا
ولا تنام قلوبنا اي غالبا ويكون هذا حالة دائما وابدا اذا كان متوضئا لقولهم انه لا ينتقض
وضوءه صلى الله عليه وسلم بالنوم وفي جعل العين محلا للنوم فيه نظر لان العين انما هي
محل السنة ومحل النعاس الراس ومحل النوم القلب قال الحافظ السيوطي وكون القلب
محلا للنوم دون العين لا يشكل عليه قوله صلى الله عليه وسلم تنام عيناي ولا ينام قلبي
لانه من باب المشاكلة وفيه بحث هذا كلامه واستشكل قوله صلى الله عليه وسلم ارتحلوا
فان هذا منزل حضرنا فيه الشيطان وفي لفظ ارتحلوا فان هذا واد به شيطان بانه
يقتضي تسلط الشيطان على النبي عليه الصلاة والسلام لان الظاهر ان وجود
الشيطان هو السبب في النوم عن الصلاة واجيب بانه على تسليم ذلك

فان تسلطه انما كان على من كان على الموكل بحفظ الفجر بلال او غيره وفي بعض الروايات
كما تقدم ان الشيطان اتى بلالا فلم يزل يهديه كما يهدى الصبي حتى نام ثم لحق صلى
الله عليه وسلم بالجيش وقيل لحوقه صلى الله عليه وسلم بهم قال لاصحابه ما ترون الناس يعني
الجيش فعلوا قالوا الله ورسوله اعلم فقال لو اطاعوا ابا بكر وعمر رشدوا وذلك ان ابا بكر
وعمر رضي الله عنهما ارادا ان ينزلا بالجيش على الماء فابوا ذلك عليهما فنزلا على غير ما بفلاة
من الارض لا ماء بها عند زوال الشمس وقد كادت اعناق الخيل والركاب تقطع عطشا
فدعى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اين صاحب الميضاة قيل هو هذا يا رسول الله قال
جئني بميضاتك فجاء وفيها شيء من ماء وفي رواية دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالركوة
فافرغ ما في الاداوة فيها ووضع اصابعه الشريفة عليها فنبع الماء بين اصابعه واقبل
الناس فاستقوا وفاض الماء حتى رووا ورووا خيولهم وركابهم وكان في العسكر
من الخيل اثنا عشر الف فرس اي على ما تقدم ومن الابل خمسة عشر الف بعير والناس
ثلاثون الف وقيل سبعون الف والواضح ان هذه العطشة غير المتقدمة التي دعا فيها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل المطر وفي كلام بعضهم انه لما حصل للقوم العطش
ارسل صلى الله عليه وسلم نفرا وفيهم عليا والزبير ليتعرضوا الطريق واعلمهم ان عجوزا
تمر بهم في محل كذا على ناقة معها سقاءان فقال لهم صلى الله عليه وسلم اشتروا منها بما عز
وهان واتوا بها مع الماء فلما بلغوا المكان اذا بالمرأة ومعها السقاء وفي رواية اذا نحن
بامرأة سادلة رجليها بين مزادتين فسالوها في الماء فقالت انا واهلي احوج اليه منكم
فسالوها ان تاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الماء فابت وقالت من هو رسول الله لعله
الساحر وفي رواية الذي يقال له الصابي وحلفت ان لا تاتيه فشدوها وثاقا واتوا
بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم خلوا عنها وفي رواية قلت لها اين الماء قالت بينكم
وبين الماء مسيرة يوم وليلة ثم قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم انا ناتين لك في الماء فتعجبين
ما لك لا جئت به فقالت شانكم فقال صلى الله عليه وسلم لابي قتادة هات الميضاة فقربت
اليه فحل السقاء وتفل فيه وصب في الميضاة ماء قليلا ثم وضع يده فيه ثم قال ادنوا فخذوا
فجعل الماء يفور ويزيد والناس ياخذون حتى ما تركوا معهم اناء الا ملاوه ورووا ابلهم
وخيلهم وبقي في الميضاة ثلثاها والميضاة هي الاداوة لانه يتوضا منها وفي الدلائل
للبيهقي فجعل في اناء من مزادتيها ثم قال فيه ما شاء الله ان يقول وزاد في رواية ثم مضمض
ثم رد الماء في المزادتين واوكا افواههما واطلق العزالي ثم امر الناس ان يملوا انيتهم
واسقيتهم ثم قال لها تعلمي والله ما رزانا من مائك شيئا ولكن الله عز وجل هو الذي سقانا
والعزالي جمع عزلة وهي المرادة بالمزادة وهذا السياق يدل على ان هذه عطشة

ثالثة

ثالثة لان الثانية وضع صلى الله عليه وسلم يده في الركوة التي صب فيها من الميضاة وهذه
وضع في الميضاة بعد ان لم يجد وانى الميضاة شيئا وفي رواية ان تلك المرأة اخبرتهم
انها موتمة اي لها صبيان ايتام فقال هاتوا ما عندكم فجمعنا لها من كسر وتمر وصرها صرة ثم
قال لها اذهبي فاطعمي هذا عيالك وفي رواية ايتامك وصارت تعجب مما رات ولما قدمت على
اهلها قالوا لها لقد احتبست علينا فما حبسك قالت رايت عجبا من العجب ارايتم مزادتي
هاتين فوالله لقد شرب منهما قريبا من سبعين بعيرا واحدة وابن الغرب والمزاد والمطاهر
ما لا احصي ثم هما الان اوفر منهما يومئذ فلبثت شهرا عند اهلها ثم اقبلت في ثلاثين راكبا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلمت واسلموا وفي مسلم لما كان يوم غزوة تبوك اصاب
الناس مجاعة بحيث صارت تمص التمرة الواحدة جماعة يتناوبونها فقالوا يا رسول الله
لو اذنت لنا فنحرنا نواضحنا فاكلنا وادهنا فقال له عمر يا رسول الله ان فعلت قل الظهر
ولكن ادعهم بفضل ازوادهم وادع الله لهم فيها بالبركة لعل الله ان يجعل في ذلك فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم نعم فدعا بنطع فبسط ثم دعاهم بفضل ازوادهم فجعل الرجل
ياتي بكف ذرة ويجيء الاخر بكف من تمر ويجيء الاخر بكسرة حتى اجتمع على النطع من
ذلك شيء يسير فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال لهم خذوا في اوعيتكم
فاخذوا حتى ما تركوا في العسكر وعاء الا ملاوه واكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله لا يلقى الله بهما
عبد غير شاك فيحجب عن الجنة وفي رواية الا وقاه الله النار وتقدم نظير ذلك
في الرجوع من غزوة الحديبية اي ولا مانع من التعدد او هو من خلط بعض الرواة
ولعل هذا كان بعد ان ذبح لهم طلحة بن عبد الله جزورا فاطعمهم واسقاهم فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم انت طلحة الفياض وسماه يوم احد طلحة الخير ويوم حنين
طلحة الجود لكثرة انفاقه على العسكر وعن بعض الصحابة قال كنت في غزاة تبوك
على نحي السمن فنظرت الى النحي وقد قل ما فيه وهيات للنبي صلى الله عليه وسلم طعاما
فوضعت النحي في الشمس ونمت فانتبهت بخرير النحي فقمت فاخذت راسه بيدي فقال لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد راى لو تركته لسال الوادي سمنا وعن العرباض بن
سارية قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك فقال ليلة لبلال هل من
عشاء فقال والذي بعثك بالحق لقد نفضنا جربنا فقال انظر عسى ان تجد شيئا فاخذ
الجراب ينفضها جرابا فتقع التمرة والتمرتان حتى رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
في يده سبع تمرات ثم دعا بصحفة فوضع التمر فيها ثم وضع يده عليها وقال كلوا بسم
الله فاكلنا ثلاثة انفس واحصيت اربعا وخمسين تمرة اعدها عدا ونواها في يدي

الاخرى وصاحباي يصنعان كذلك فشبعنا ورفعنا ايدينا فاذا التمرات السبع كما هي
فقال يا بلال ارفعها فانه لا ياكل منها احد الا نهل منها شبعا فلما كان من الغد دعا صلى الله
عليه وسلم بلالا بالتمرات فوضع صلى الله عليه وسلم يده عليهن ثم قال كلوا بسم الله فاكلنا
حتى شبعنا وانا لعشرة ثم رفعنا ايدينا واذا التمرات كما هي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لولا اني استحيي من ربي لاكلنا من هذه التمرات حتى نرد الى المدينة من اخرنا فاعطاهن
غلاما فولى وهو يلوكهن واتاه صلى الله عليه وسلم وهو بتبوك يحنة بضم المثناة تحت
وفتح الحاء المهملة ثم نون مشددة مفتوحة ثم تاء التانيث ابن رؤبة بالموحدة صاحب
ايلة اي وصحبته اهل جربا تانيث اجرب بها وهي قصر قرية بالشام واهل اذرح بالذال
المعجمة والراء المهملة المضمومة والحاء المهملة مدينة تلقاء السراة واهل ميناء واهدى
يحنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بغلة بيضاء فكساه رسول الله صلى الله عليه وسلم
بردا فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم على اعطاء الجزية اي بعد ان عرض عليه الاسلام
فلم يسلم وكتب له ولاهل ايلة كتابا صورته بسم الله الرحمن الرحيم هذا امنة من
الله ومحمد النبي رسول الله ليحنة بن رؤبة واهل ايلة سفنهم وسيارتهم في البر
والبحر لهم ذمة الله ومحمد النبي ومن كان معهم من اهل الشام واهل اليمن واهل
البحر فمن احدث منهم حدثا فانه لا يحول ماله دون نفسه وانه لطيبة لمن اخذه من الناس
وانه لا يحل ان يمنعوا ماء يردونه ولا طريقا يريدونه من بر او بحر وكتب صلى الله
عليه وسلم لاهل اذرح وجربا ما صورته بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب محمد النبي
صلى الله عليه وسلم لاهل اذرح وجربا انهم امنون بامان الله وامان محمد وان عليهم
مائة دينار في كل رجب وافية طيبة والله كفيل بالنصح والاحسان الى المسلمين وصالح
صلى الله عليه وسلم اهل ميناء على ربع ثمارهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال رايت ونحن
بتبوك شعلة من نار في ناحية العسكر اي ضوء شمعة كما صرح به الحافظ السيوطي
حيث اجاب من سال هل الشمع كان موجودا قبل البعثة فقد ذكر العسكري رحمه
الله في الاوائل ان اول من اوقده جذيمة الابرش اي وقد تقدم وهو قبل البعثة بدهر
وورد في حديث انه اوقد للنبي صلى الله عليه وسلم عند دفنه عبد الله ذا البجادين
قال وقد الفت في المسالة تاليفا سميته مسامرة الشموع في ضوء الشموع قال ابن مسعود
رضي الله تعالى عنه فاتبعتها انظر اليها فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر
واذا عبد الله ذو البجادين المزني قد مات واذا هم قد حفروا له ورسول الله صلى
الله عليه وسلم في حفرته وابو بكر وعمر يدليانه وهو يقول ادنيا الي اخاكما فادلياه اليه
فلما هياه لشقه قال اللهم قد امسيت راضيا عنه فارض عنه يقول ابن مسعود باليتني

كنت

كنت صاحب الحفرة اي وذا البجادين بالموحدة كالكساء الكساء المخطط الغليظ لانه
لم يكن لعبد الله المذكور الا بجاد واحد فشقه نصفين فاتزر بواحد وارتدى بالاخر
وقدم المدينة واسلم وقرا قرانا كثيرا وكان اسمه عبد العزى فسماه رسول الله صلى الله
عليه وسلم عبد الله ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك خرج معه
وقال يا رسول الله ادع الله لي بالشهادة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ائتني بلحا
شجرة اي بقشرها فاتاه بذلك فربطه على عضده وقال اللهم حرم دمه على الكفار
قال يا رسول الله ليس هذا ما اردت قال انك اذا اخذتك الحمى فقتلتك فانت شهيد
فاخذته الحمى بعد الاقامة بتبوك اياما ومات بها اه وهذا هو المشهور وروى عن الادرع
الاسلمي وكان في حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جئت ليلة احرس رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاذا رجل ميت فقيل هذا عبد الله ذو البجادين وتوفي بالمدينة وفرغوا
من جهازه وحملوه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارفقوا به رفق الله بكم فانه كان يحب الله
ورسوله قال ابن الاثير وهو حديث غريب لا يعرف الا من هذا الوجه وتقدم عن الحافظ
السيوطي لما ذكر انه اوقد للنبي صلى الله عليه وسلم الشمع عند دفنه عبد الله ذي البجادين
قال وقد دل ذلك على اباحة استعماله اي الشمع ولا يعد استعماله اسرافا فانه قيام غيره
من الادهان مقامه واقام صلى الله عليه وسلم بتبوك بضع عشرة ليلة وفي سيرة
الحافظ الدمياطي عشرين ليلة يصلي ركعتين لم يجاوز تبوك ويحتاج ائمتنا
للجواب عن ذلك على تقدير صحته قال وقد استشار النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه
في مجاوزتها فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان كنت امرت بالسير فسر فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لو امرت بالسير لا استشركم فيه فقال يا رسول الله ان للروم جموعا كثيرة
وليس بها احد من اهل الاسلام وقد دنونا وقد افزعهم دنوك فلو رجعنا هذه السنة
حتى نرى او يحدث الله امرا وهذا تصريح بان تبوك لم يقع بها قتال ولا حصل فيها غنيمة
وبه يرد ما ذكره الزمخشري في فضائل العشرة انه صلى الله عليه وسلم جلس في المسجد يقسم
غنائم تبوك فدفع لكل واحد سهما ودفع لعلي كرم الله وجهه سهمين فقام زائدة
ابن الاكوع وقال يا رسول الله اوحي نزل من السماء ام امر من نفسك فقال صلى الله عليه
وسلم انشدكم الله هل رايتم في راس ميمنتكم صاحب الفرس الاغر المحجل والعمامة الخضراء
لها ذوابتان مرخاتان على كتفيه بيده حربة فحمل بها على الميمنة فازالها وحمل بها
على الميسرة فازالها على القلب فازاله قالوا نعم لقد راينا ذلك قال ذلك جبريل وانه امرني
ان ادفع سهمه لعلي فقال زائدة هذا سهم سهم وخطب صلى الله عليه وسلم
خطبة قال فيها اما بعد فان احسن الحديث كتاب الله وخير الغنى غنى النفس وخير

الزاد التقوى وراس الحكمة مخافة الله عز وجل والنساء حبالة الشيطان والشباب شعبة من
الجنون والسعيد من وعظ بغيره ومن يغفر يغفر له ومن يعف يعف الله عنه ومن يصبر
على الرزية يعوضه الله استغفر الله لى ولكم **واهدى** له صلى الله عليه وسلم بعض اهل
الكتاب جبنة فدعى بالسكين فسمى الله وقطع واكل ثم انصرف صلى الله عليه وسلم قافلا الى
المدينة وكان فى الطريق ما يخرج من وشل قليل جدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من سبقنا الى ذلك الماء فلا يستقين منه شيا حتى ناتيه فسبق اليه نفر من المنافقين
فاستقوا ما فيه فلما اتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عليه فلم يجد فيه شيا فقال
من سبقنا الى هذا الماء فقيل له فلان وفلان وفلان فقال اولم انههم ان يستقوا منه
شيا حتى اتيه ثم لعنهم ودعا عليهم ثم نزل صلى الله عليه وسلم فوضع يده تحت الوشل
فصار يصب فى يده ما شاء الله ان يصب ثم نضحه به ومسحه بيديه ودعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بما شاء ان يدعو به فانخرق من الماء وصار له حس كحس الصواعق فشرب
الناس واستقوا حاجتهم منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن بقيتم او بقى
منكم احد لتسمعن بهذا الوادى وقد اخصب ما بين يديه وما خلفه اى وهذا خلاف
عين تبوك الذى تقدم له فيها ما يشبه هذا وقوله لمعاذ يا معاذ يوشك ان
طالت بك حياة ان ترى ما هاهنا ملئ جنانا الخ لان تلك العين كانت بتبوك وهذا
عند منصرفه من تبوك **قال** واجتمع ناس كان معه صلى الله عليه وسلم من المنافقين
وهم اثنى عشر رجلا وقيل اربعة عشر وقيل خمسة عشر رجلا على ان يفتكوا برسول
الله صلى الله عليه وسلم فى العقبة التى بين تبوك والمدينة فقالوا اذا اخذ فى العقبة
دفعناه عن راحلته فى الوادى فاخبر الله تعالى رسوله بذلك فلما وصل الجيش العقبة
نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد ان يسلك
العقبة فلا يسلكها احد واسلكوا بطن الوادى فانه اسهل لكم واوسع وسلك الناس
بطن الوادى وسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة فلما سمعوا بذلك استعدوا
وتلثموا وسلكوا العقبة وامر صلى الله عليه وسلم عمار بن ياسر ان ياخذ بزمام الناقة يقودها
وامر صلى الله عليه وسلم حذيفة بن اليمان ان يسوق من خلفه **وفى** الدلائل عن حذيفة
قال كنت ليلة العقبة اخذا بخطام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم اقود به وعمار
يسوقه او انا اسوقه وعمار يقوده اى يتناوبا ذلك فبينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم يسير فى العقبة اذ سمع حس سقط بعض متاعه فغضب رسول الله صلى
الله عليه وسلم وامر حذيفة ان يردهم فرجع حذيفة اليهم وقد راى غضب رسول الله صلى
الله عليه وسلم وامر حذيفة ان يردهم فرجع حذيفة اليهم وقد راى غضب رسول الله

صلى الله عليه وسلم ومعه محجن فجعل يضرب به وجوه رواحلهم وقال اليكم يا اعداء
الله فاذا هو بقوم ملثمين وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم صرخ بهم فولوا مدبرين
فعلموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع على مكرهم به فانحطوا من العقبة مسرعين
الى بطن الوادى واختلطوا بالناس فرجع حذيفة يضرب الناقة فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم هل عرفت احدا من الركب الذين رددتهم قال لا كان القوم متلثمين
والليلة مظلمة **وعن** حمزة بن عمرو الاسلمى رضى الله عنه انه كان يقول لما سقط متاع
النبى صلى الله عليه وسلم وارد تجمعه نورلى فى اصابعى الخمس فاضاءت حتى جمعت ما سقط
حتى ما بقى من المتاع شئ **وفى** لفظ ان حذيفة رضى الله عنه قال اعرف راحلة فلان
وراحلة فلان قال هل علمت ما كان من شانهم وما ارادوه قال لا قال انهم مكروا ليسيروا
معى فى العقبة فيزحمونى فيطرحونى منها ان الله اخبرنى بهم وبمكرهم وساخبركما بهم
واكتماهم فلما اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء اليه اسيد بن حضير فقال يا رسول
الله ما الذى منعك البارحة من سلوك الوادى فقد كان اسهل من العقبة فقال يا اسيد ما تدرى ما اراد المنافقون وذكر له القصة فقال يا رسول الله قد نزل الناس واجتمعوا
فمر كل بطن ان يقتل الرجل الذى هم بهذا فان احببت وان احببت بين باسمائهم والذى
بعثك بالحق لا ابرح حتى اتيك برؤسهم فقال انى اكره ان يقول الناس ان محمدا قاتل
بقوم حتى اذا اظهره الله تعالى بهم اقبل عليهم يقتلهم فقال يا رسول الله هولاء ليسوا باصحاب
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليس يظهرون الشهادة ثم جمعهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم واخبرهم بما قالوه وما اجمعوا عليه فحلفوا بالله ما قالوا ولا ارادوا الذى
ذكر فانزل الله تعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر الاية وانزل الله تعالى
وهموا بما لم ينالوا ودعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم ارمهم بالدبيلة
وهى سراج من نار يظهر بين اكتافهم حتى ينجم من صدورهم اى تخرج اى وفى لفظ شهاب
من نار يقع على نياط قلب احدهم فيهلكه **وفى** الامتاع ان النبى صلى الله عليه وسلم
وهو فى تبوك صلى الى النخلة فجاء ومر بينه وبين تلك النخلة بنفسه وفى رواية وهو
على حماره فدعا عليه صلى الله عليه وسلم فقال قطع صلاتنا قطع الله اثره فصار مقعدا
وكان يقال لحذيفة نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن راحلته فاوحى الله اليه وراحلته
باركة فقامت تجر زمامها فلقيتها فاخذت بزمامها وجئت الى قرب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فانختها ثم جلست عندها حتى قام النبى صلى الله عليه وسلم فاتيته بها فقال من
هذا قلت حذيفة فقال النبى صلى الله عليه وسلم انى مسر اليك امرا فلا تذكرنه انى نهيت
ان اصلى على فلان وفلان وعد جماعة من المنافقين فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خلافته اذا مات الرجل ممن يظن به انه من اولئك

الرهط اخذ بيد حذيفة رضي الله عنه يقاده الى الصلاة عليه فان مشى معه حذيفة
صلى عليه عمر رضي الله عنه وان انتزع يده من يده ترك الصلاة عليه وقال صلى الله
الله عليه وسلم للمسلمين عند انصرافهم ان بالمدينة لاقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم
واديا الا كانوا معكم قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة قال نعم حبسهم العذر ثم اقبل
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بذي اوان محل بينه وبين المدينة ساعة من نهار
اي وقال البكري اظن ان الراء سقطت من بين الهمزة والواو اي اروان منسوب الى البير
المشهورة وحين نزل صلى الله عليه وسلم اتاه خبر مسجد الضرار فانزل الله تعالى عليه والذين
اتخذوا مسجدا ضرارا الايذاء اي لاضرار اهل قبا اي فان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قبا
حسدهم اخوتهم بنوا غنم بن عوف وقالوا نصلي في مربط حمار لا لعمر والله اي لا نرى كان لامرأة
تربط حمارها فيه ولكنا نبني مسجدا ونرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيه ويصلي
فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام فيثبت لنا الفضل والزيادة على اخواننا وكان
المسلمون في تلك الناحية كلهم يصلون في مسجد قبا جماعة فلما بني هذا المسجد نصرفني عن
مسجد قبا جماعة وصلوا بذلك المسجد فكان فيه تفريقا للمؤمنين فكانوا يجتمعون فيه
ويعيبون النبي صلى الله عليه وسلم ويستهزؤن به اي ويقال ان ابا عامر الراهب الذي
سماه النبي صلى الله عليه وسلم الفاسق هو الامر لهم ببنائه فقال لهم ابنوا المسجد واستمدوا ما
استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر ملك الروم فاتي بجند من الروم
فاخرج محمدا واصحابه من المدينة وانهم لما فرغوا من بنائه ارسلوا الى النبي صلى الله عليه
وسلم ان يأتيهم ويصلي فيه كما صلى في مسجد قبا انهم ان يأتيهم فانزل الله تعالى الاية وفي
رواية اتوه صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله قد بنينا مسجدا
لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية وانا نحب ان تاتينا فتصلي
لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال اني على جناح سفر وحال شغل ولو قدمنا ان شاء الله تعالى
لاتيناكم فصلينا لكم فيه فلما قفل من السفر وسالوه اتيان المسجد جاءه صلى الله عليه وسلم
الخبر من السما فامر جماعة منهم وحشي قاتل حمزة رضي الله عنهم وقال لهم انطلقوا الى هذا
المسجد الظالم اهله فاحرقوه واهدموه على اصحابه ففعل به ذلك قال وكان ذلك بين
المغرب والعشا ووصل الهدم الى الارض واعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت
ابن ارقم يجعله بيتا فلم يولد في ذلك البيت مولود قط وحفر فيه بقعة فخرج منها الدخان
ولعل هذا اي جعله بيتا كان بعد امره صلى الله عليه وسلم ان يتخذه محلا لالقا الكناسة والجيف
وفي الكشاف ان مجمع بن جارية كان امامهم في مسجد الضرار فكلم بنوا عمرو بن عوف
اصحاب مسجد قبا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته ان ياذن لمجمع بن جارية ان يؤمهم

في مسجدهم

في مسجدهم فقال لا ولا نعمة عين اليس بامام مسجد الضرار فقال يا امير المؤمنين لا تعجل
علي فوالله لقد صليت بهم والله يعلم اني لا اعلم ما اضمروا فيه ولو علمت ما صليت معهم
فيه كنت غلاما قاريا للقران وكانوا شيوخا لا يقرؤن من القران شيا فعذره وصدقه
وامره بالصلاة بهم ولما اشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة قال هذه
طابة اسكنيها ربي تنفي خبث اهلها كما ينفي الكير خبث الحديد ولما راى رسول الله صلى
الله عليه وسلم جبل احد قال هذا احد جبل يحبنا ونحبه وتقدم ما في ذلك في غزوة احد
وعن عائشة رضي الله عنها فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة تلقاه النسا
والصبيان يقلن

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ... ما دعى لله داعي

قال البيهقي وهذا يذكره علماؤنا عند مقدمه المدينة من مكة لا انه عند مقدمه المدينة من
تبوك هذا كلامه ولا مانع من تعدد ذلك ولما دنى صلى الله عليه وسلم من المدينة تلقاه
عامة الذين تخلفوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه لا تكلموا رجلا منهم ولا تجالسوه
حتى اذن لكم فاعرض عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى ان الرجل ليعرض عن
ابيه واخيه انتهى اي وعن فضالة بن عبيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما غزا غزوة
تبوك جهد الظهر جهدا شديدا حتى صاروا يسوقونه فشكوا اليه صلى الله عليه وسلم ذلك ثم
وراهم يسوقونه فوقف صلى الله عليه وسلم في مضيق والناس يمرون فيه فنفخ في الظهر وقال
اللهم احمل عليها في سبيلك فانك تحمل على القوي والضعيف والرطب واليابس في البر
والبحر فما دخلنا المدينة الا وهي تنازعنا ازمتها وجاءت حية عارضتهم
في الطريق عظيمة الخلقة فانحاز الناس عنها فاقبلت حتى وقفت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو على راحلته طويلا والناس ينظرون اليها ثم التوت حتى اعتزلت الطريق
فقامت قائمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال
هذا احد الرهط الثمانية من الجن الذين وفدوا الي يستمعون القران اي نخلة عند منصرفه
صلى الله عليه وسلم من الطائف وتقدم الكلام عليهم فراى عليه من الحق حين الم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ببلده ان يسلم عليه وها هو يقرئكم السلام فقال الناس وعليه
السلام ورحمة الله وقد كان تخلف عنه صلى الله عليه وسلم رهط من المنافقين وكانوا
بضعة وثمانين رجلا وتخلف عنه ايضا كعب بن مالك وكان من الخزرج ومرارة بن
الربيع وهلال بن امية وكانا من الاوس فاما المنافقون فجعلوا يحلفون ويعتذرون
فقبل رسول الله منهم علانيتهم ووكل سرائرهم الى الله تعالى واستغفر لهم واما الثلاثة

لسوء

فعن كعب بن مالك الخزرجي انه قال لما جئته صلى الله عليه وسلم وسلمت عليه تبسم تبسم
المغضب وقال لي تعال فجئت حتى جلست بين يديه فقال لي ما خلفك فصدقته وقلت والله
ما كان لي من عذر والله ما كنت قط اقوى ولا ايسر مني حين تخلفت عنك وفي رواية
قلت يا رسول الله لو جلست عند غيرك من اهل الدنيا لرايت ان ساخرج من سخطه
بعذر ولقد اعطيت جدلا ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى
به عني ليوشكن الله ان يسخطك علي ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه اني لارجو
فيه عفو الله لا والله ما كان لي من عذر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هذا فقد صدق
فقم حتى يقضي الله فيك وقال الرجلان الاخران وهما مرارة بن الربيع وهلال بن امية
وكانا ممن شهد بدرا وهما من الاوس مثل قول كعب فقال لهم صلى الله عليه وسلم مثل ما قال
لكعب ونهى صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامهم فاجتنبهم الناس فاما الرجلان فمكثا
في بيوتهما يبكيان واما كعب فكان يشهد الصلاة مع المسلمين ويطوف بالاسواق فلا
يكلمه احد منهم قال ولما طال ذلك علي من جفوة الناس تسورت جدار حائط ابي قتادة
وهو ابن عمي واحب الناس الي فسلمت عليه فوالله ما رد علي السلام فقلت يا ابا قتادة
انشدك الله هل تعلمني احب الله ورسوله فسكت فعدت اليه فنشدته فسكت فعدت
له فنشدته فقال الله ورسوله اعلم ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار قال
وبينا انا امشي بسوق المدينة اذا نبطي من انباط اهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه
بالمدينة يقول من يدلني على كعب بن مالك فطفق اي جعل الناس يشيرون له حتى اذا
جاءني دفع الي كتابا من ملك غسان اي وهو الحارث بن ابي شمر او جبلة بن الايهم وكان
الكتاب ملفوفا في قطعة من الحرير فاذا فيه اما بعد فانه بلغني ان صاحبك قد جفاك
ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسيك فقلت لما قراته وهذا ايضا من
البلاء فتيممت اي قصدت بها التنور فسجرتها اي اوقدته فيها اي والانباط قوم يسكنون
البطايح بين العراقين قال حتى اذا مضت اربعون ليلة جاءني رسول رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ان رسول الله يامرك ان تعتزل امراتك فقلت اطلقها ام ماذا قال لا بل
اعتزلها ولا تقربها وارسل صلى الله عليه وسلم الى صاحبي اي وهما هلال بن امية ومرارة
ابن الربيع بمثل ذلك فقلت لامراتي الحقي باهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا
الامر فجاءت امراة هلال بن امية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان
هلال بن امية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره ان اخدمه فقال صلى الله عليه وسلم لا
ولكن لا يقربك قالت والله انه ما به حركة الى شيء والله ما زال يبكي منذ كان من امره ما كان
الى يومه هذا قال كعب فقال لي بعض اهلي قال في النور الظاهر ان القائل له امراة لان

النسا

النساء لم يدخلن في النهي لان في الحديث ونهى المسلمين وهذا الخطاب لا يدخل فيه النساء
فدل على ان المراد الرجال قال له لو استاذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امراتك
كما اذن لامراة هلال بن امية ان تخدمه فقلت لا استاذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما يدريني ما يقول لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استاذنته فيها وانا رجل شاب
ثم مضى بعد ذلك عشر ليال حتى كملت خمسون ليلة من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن كلامنا فلما كان صلاة الفجر صبح تلك الليلة سمعت صوتا فوق جبل سلع يقول باعلا
صوته يا كعب بن مالك ابشر فخررت ساجدا وعرفت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
اذن اي اعلم بتوبة الله علينا فلما جاءني الرجل الذي سمعت صوته يبشرني اي وهو حمزة
ابن عمرو الاوسي نزعت له ثوبي فكسوتهما اياه ببشارته والله ما املك غيرهما يومئذ واستعرت
اي من ابي قتادة رضي الله عنه ثوبين فلبستهما وانطلقت الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فتلقاني الناس فوجا فوجا اي جماعة جماعة يهنوني بالتوبة يقولون ليهنك توبة
الله عليك حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس
فقام الي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهناني والله ما قام الي رجل من المهاجرين
غيره ولا انساها لطلحة اي لانه صلى الله عليه وسلم كان اخى بينهما حين قدم المدينة
قال كعب فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور وكان
صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه كانه قطعة قمر فلما جلست بين يديه صلى الله عليه
وسلم قال ابشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك قلت امن عندك يا رسول الله ام
من عند الله عز وجل قال لا بل من عند الله فقلت يا رسول الله ان من توبتي ان انخلع من
مالي صدقة الى الله والى رسوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امسك عليك بعض مالك
فهو خير لك اي وكان المبشر لهلال بن امية اسعد بن اسد وكان المبشر لمرارة بن الربيع
سلكان بن سلامة او سلامة بن وقش ه اي وفي البخاري عن كعب فانزل الله تعالى
توبتنا على نبيه صلى الله عليه وسلم حين بقي الثلث الاخير من الليل ورسول الله صلى
الله عليه وسلم عند ام سلمة وكانت ام سلمة رضي الله عنها محسنة في شاني معينة في امري
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ام سلمة تيب على كعب قالت افلا ارسل اليه فابشره
قال اذا يحطمكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليلة حتى اذا صلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم صلاة الفجر اعلم بتوبة الله علينا وانزل الله تعالى لقد تاب على النبي والمهاجرين
والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة الى قوله وكونوا مع الصادقين وقال في حق من
اعتذر له صلى الله عليه وسلم سيحلفون بالله لكم الى قوله فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين
واستشكل نزول الوحي بالقران في بيت ام سلمة بقوله صلى الله عليه وسلم في حق عائشة

ما نزل علي الوحي في فراش امراة غيرها واجاب بعضهم بانه يجوز ان يكون ما تقدم في حق عايشة كان قبل هذه القصة او ان الذي خصت به عايشة رضي الله عنها نزول الوحي في خصوص الفراش لا في البيت **وعن** ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى واخرون اعترفوا بذنوبهم الاية قال كانوا عشرة ابو لبابة واصحابه تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فلما رجع صلى الله عليه وسلم اوثق سبعة منهم بسواري المسجد منهم ابو لبابة فلما مر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من هولاء قال ابو لبابة واصحابه له تخلفوا عنك حتى تطلقهم وتعذرهم قال صلى الله عليه وسلم وانا اقسم بالله لا اطلقهم ولا اعذرهم حتى يكون الله هو الذي يطلقهم رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين فلما بلغهم ذلك قالوا ونحن لا نطلق انفسنا حتى يكون الله هو الذي يطلقنا فانزل الله تعالى واخرون اعترفوا بذنوبهم الاية فعند ذلك اطلقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذرهم فجاوا باموالهم وقالوا يا رسول الله هذه اموالنا فتصدق بها عنا واستغفر لنا فقال صلى الله عليه وسلم ما امرت ان اخذ اموالكم فانزل الله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم الى قوله واخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم وهم الذين لم يربطوا انفسهم بالسواري وتقدم ان ابا لبابة رضي الله تعالى عنه ربط نفسه ببعض سواري المسجد في قصة بني قريظة وعلى هذا فقد تكرر منه ربط نفسه وقد ذكره ابن اسحاق فليتامل ذلك **ولما قدم** صلى الله عليه وسلم من تبوك وجد عويمر العجلاني امراته حبلى اي وهي خولة بنت عمه قيس فلاعن بينهما صلى الله عليه وسلم اي في المسجد بعد العصر وكان قد قذفها بشريك بن سحما ابن عمه وقال وجدته على بطنها واني ما قربتها منذ اربعة اشهر فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عويمرا وقال له اتق الله في زوجتك وابنة عمك فلا تقذفها بالبهتان فقال يا رسول الله اقسم بالله اني رايت شريكا على بطنها واني ما قربتها منذ اربعة اشهر ودعا صلى الله عليه وسلم بالمراة التي هي خولة وقال لها اتقي الله ولا تخبريني الا بما صنعت فقالت يا رسول الله ان عويمرا رجل غيور وانه راني وشريك يطيل السهر ويتحدث فحملته الغيرة على ان قال فدعا شريكا وقال له ما تقول فقال مثل قول المراة فانزل الله والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم الاية فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينادى بالصلاة جامعة فلما صلى العصر اي وقد نودي بذلك واجتمع الناس قال صلى الله عليه وسلم لعويمر قم فقام وقال اشهد بالله اني رايت شريكا على بطنها واني لمن الصادقين ثم قال في الثالثة اشهد بالله انها حبلى من غيري واني لمن الصادقين ثم قال في الرابعة اشهد بالله اني ما قربتها منذ اربعة اشهر واني لمن الصادقين ثم قال في الخامسة لعنة الله على عويمر ان كان من الكاذبين

يعني

يعني نفسه ثم امره بالقعود وقال لخولة قومي فقامت وقالت اشهد بالله ما انا زانية وان عويمرا لمن الكاذبين ثم قالت في الثانية اشهد بالله ما راى شريكا على بطني وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الثالثة اشهد بالله اني حبلى منه وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الرابعة اشهد بالله انه ما راني قط على فاحشة وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الخامسة ان غضب الله على خولة تعني نفسها ان كان من الصادقين ففرق صلى الله عليه وسلم بينهما اي وقال له لا سبيل لك عليها وهو دليل لامامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه القايل ان الفرقة بين الزوجين تحصل بنفس التلاعن وما جا في بعض الروايات انه طلقها ثلاثا قبل ان يامره رسول الله صلى الله عليه وسلم اي بعدم الاجتماع بها فهو محمول على انه ظن ان التلاعن لا يحرمها عليه فاراد تحريمها بالطلاق فقال هي طالق ثلاثا ومن ثم قال له صلى الله عليه وسلم عقب ذلك لا سبيل لك عليها اي لا املك لك عليها فلا يقع طلاقك ثم قال صلى الله عليه وسلم ان جا الولد على صفة كذا فعويمر صادق وان جا على صفة كذا فعويمر كاذب فجا على الصفة التي بصدق عويمرا فكان الولد ينسب الى امه **وفي البخاري** ان عويمرا اتى عاصم بن عدي وكان سيد بني عجلان فقال كيف تقولون في رجل وجد مع امراته رجلا ايقتله فتقتلونه ام كيف يصنع سل لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى عاصم النبي صلى الله عليه وسلم فسال فكره النبي صلى الله عليه وسلم تلك المسايل وعابها حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم فساله عويمر فقال له عاصم لم تاتني بخير فذكره صلى الله عليه وسلم المسالة التي لا يحتاج اليها اي التي لم تكن وقعت لاحتمال ان كان فيها هتك ستر مسلم او مسلمة قال عويمر لم يكن وقع له ذلك حينيذ ثم اتفق وجود ذلك له بعد فقال عويمر والله لا انتهي حتى اسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فجاء عويمر وهو وسط الناس فقال يا رسول الله ارايت رجلا وجد مع امراته رجلا ان تكلم جلد قوم او قتله قتلتموه او سكت سكت على غيظ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم افتح وجعل يدعو فنزلت اية اللعان وعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم لعويمر قد انزل الله فيك وفي صاحبك قرانا واذهب فاتني بها اي وذلك بعد ان ذكر له عويمر قصته وفي رواية قد قضي فيك وفي امراتك فتلاعنا وفيه ان هلال بن امية احد المتخلفين عن تبوك قذف امراته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحما اي وكانت حاملا فقال النبي صلى الله عليه وسلم البينة زاد في رواية او حد في ظهرك فقال يا رسول الله اذا راى احدنا على امراته رجلا ينطلق يلتمس البينة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول والا حد في ظهرك فقال هلال والذي بعثك بالحق اني لصادق فلينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد فنزل جبريل عليه السلام اي بعد ان قال صلى الله عليه وسلم اللهم افتح اي بين لنا الحكم

فانزل الله عليه والذين يرمون ازواجهم فارسل الى المراة فجاءت وتلاعنا وعند
الخامسة تلكات ونكصت حتى ظن انها ترجع اى لانه صلى الله عليه وسلم قال لها ان اللعنة
موجبة اى للعذاب فى الاخرة وعذاب الدنيا اهون من عذاب الاخرة ثم قالت والله لا افضح
قومى سائر الايام ومضت اى للخامسة اى وقال صلى الله عليه وسلم ان جاءت به كذا فهو
لهلال وان جاءت به كذا فهو لشريك فجاءت به على الصفة الذى ذكر انه يكون لشريك
فقال صلى الله عليه وسلم لولا ما سبق من كتاب الله تعالى لكان لى ولها شان وجمهور العلما
على ان سبب نزول اية اللعان قصة هلال بن امية وانه اول لعان وقع فى الاسلام
وذهب جمع الى ان سبب نزولها قصة عويمر العجلانى لقوله صلى الله عليه وسلم قد انزل
الله فيك وفى صاحبتك قرانا واجيب بان معناه ما نزل فى حق هلال لان ذلك عام
فى جميع الناس قال الامام النووى ويحتمل انها نزلت فيهما جميعا فلعلهما سالا فى وقتين
متقاربين اى وقال فى كل اللهم افتح فنزلت الاية فيهما وسبق هلال باللعان فكان اول
من لاعن وفى مسلم ان سعد بن عبادة قال يا رسول الله ارايت الرجل يجد مع امراته
رجلا يقتله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا قال سعد بلى والذى اكرمك بالحق
وفى رواية كلا والذى بعثك بالحق ان كنت لاعاجله بالسيف وفى لفظ لضربته بالسيف
من غير مصفح اى بل اضربه بحده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمعوا الى ما يقول
سيدكم وليس ذلك من سعد رضى الله عنه ردا عليه صلى الله عليه وسلم وانما هو اخبار
عن حاله ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم انه لغيور وانا اغير منه والله اغير منى فاخبر
صلى الله عليه وسلم عن سعد بانه غيور وانه صلى الله عليه وسلم اغير منه وان الله
اغير منه صلى الله عليه وسلم ومن ثم جا فى الحديث لا اغير من الله من اجل ذلك حرم
الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا احب اليه العذر من الله ومن اجل ذلك ارسل
الرسل مبشرين ومنذرين ولا احب اليه المدح من الله ومن اجل ذلك وعد الجنة
ليكثر سؤال العباد اياها والثنا منهم عليه وفى تفسير الفخر لا شخص اغير من الله
وبه استدل على جواز اطلاق الشخص على الله تعالى وفى الحلية لابى نعيم عن حذيفة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر ارايت لو وجدت مع ام رومان رجلا ما كنت صانعا
قال كنت فاعلا به شرا ثم قال صلى الله عليه وسلم يا عمر ارايت لو وجدت رجلا اى مع زوجتك
ما كنت صانعا قال كنت والله قاتله فقرا صلى الله عليه وسلم والذين يرمون ازواجهم ولم يكن
لهم شهدا الا انفسهم الاية وفى الام لامامنا الشافعى رضى الله عنه عن سعيد بن المسيب
ان رجلا من اهل الشام وجد مع امراته رجلا فقتله فرفع الامر الى معاوية فاشكل على
معاوية القضا فيها فكتب معاوية الى ابى موسى الاشعرى ان يسال عن ذلك على بن ابى

طالب

طالب فاستخبر على ابا موسى عن القصة فاخبره ابو موسى ان معاوية كتب اليه فى ذلك
فقال على كرم الله وجهه انا ابو الحسن ان لم يات باربعة شهدا اقتلناه فليتامل وفى
الخصائص الكبرى ان فى غزوة تبوك اجتمع صلى الله عليه وسلم بالياس فعن انس رضى
الله عنه سمعنا صوتا يقول اللهم اجعلنى من امة محمد صلى الله عليه وسلم المرحومة المغفور
لها المستجاب لها فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا انس انظر ما هذا الصوت قال انس رضى
الله عنه فدخلت الجبل فاذا رجل عليه ثياب بيض ابيض الراس واللحية طوله اكثر
من ثلاثماية ذراع فلما رانى قال انت رسول النبى صلى الله عليه وسلم قلت نعم قال ارجع
اليه واقراه السلام وقل له اخوك الياس يريد ان يلقاك فرجعت الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاخبرته فجاء صلى الله عليه وسلم يمشى وانا معه حتى اذا كنت منه قريبا تقدم
النبى صلى الله عليه وسلم وتاخرت انا فتحدثا طويلا فنزل عليهما من السما شبه السفرة
ودعانى فاكلت معهما قليلا فاذا فيها كماة ورمان وحوت وتمر وكرفس فلما اكلت قمت
فتنحيت ثم جاءت سحابة فاحتملته وانا انظر الى بياض ثوبه فيها قال الحافظ ابن كثير هذا
حديث موضوع يخالف للاحاديث الصحاح من وجوه واطال فى بيان ذلك والعجب من
الحاكم كيف يستدرك على الصحيحين وهذا ما يستدرك به على الحاكم وقال النووى لم
يجى فى حديث صحيح اجتماعه صلى الله عليه وسلم بالياس وفى الجامع الصغير الياس اخو
الخضر وفى تفسير البغوى اربعة من الانبيا احيا الى يوم القيمة اثنان فى الارض
وهما الخضر والياس اى والياس فى البر والخضر فى البحر يجتمعان كل ليلة على ردم ذى
القرنين يحرسانه واكلهما الكرفس والكماة واثنان فى السما ادريس وعيسى وعن
ابن اسحاق الخضر من ولد فارس والياس من بنى اسرائيل اى وقد يقال لا ينافى ذلك ما تقدم
انهما اخوان لجواز ان يكونا اخوين لام قال الحافظ ابن كثير لم ينقل بسند صحيح ولا
حسن تسكن اليه النفس ان الخضر عليه السلام اجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم
فى يوم من الايام ولو كان حيا فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم لكان اشرف احواله
اجتماعه به صلى الله عليه وسلم وفى الخصائص الكبرى عن انس رضى الله عنه انه قال خرجت
ليلة مع النبى صلى الله عليه وسلم احمل الطهور فسمع قائلا يقول اللهم اعنى على ما ينجينى مما
خوفتنى منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا انس ضع الطهور وائت هذا فقل له ادع
الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعينه على ما بعثه به وادع لامته ان ياخذوا ما اتاهم
به نبيهم من الحق فاتيته فقلت له فقال مرحبا برسول رسول الله صلى الله عليه وسلم انا كنت احق ان
اتيه اقرا على رسول الله صلى الله عليه وسلم منى السلام وقل له اخوك الخضر يقرا عليك
السلام ويقول لك ان الله فضلك على النبيين كما فضل شهر رمضان على الشهور

وفضل امتك على الامم كما فضل يوم الجمعة على سائر الايام فلما وليت سمعته يقول اللهم
اجعلني من هذه الامة المرحومة المتاب عليها قال بعضهم وهذا الحديث واه منكر الاسناد
سقيم المتن ولم يراسل الخضر عليه السلام نبينا صلى الله عليه وسلم ولم يلقه قال السيوطي
في اللآلي قلت قد اخرج هذا الحديث الطبراني في الاوسط وقال الحافظ ابن حجر في الاصابة
قد جاء من وجهين وقال في الخصائص الصغرى ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم انه جمعت
له الشريعة والحقيقة ولم يكن للانبياء الا احدهما بدليل قصة موسى مع الخضر عليهما الصلاة
والسلام والمراد بالشريعة الحكم بالظاهر والحقيقة الحكم بالباطن وقد نص العلما على ان
غالب الانبيا عليهم الصلاة والسلام انما بعثوا ليحكموا بالظاهر دون ما اطلعوا عليه من
بواطن الامور وحقائقها وبعث الخضر عليه السلام ليحكم بما اطلع عليه من بواطن الامور
وحقائقها ومن ثم انكر موسى على الخضر في قتله الغلام بقوله لقد جئت شيئا نكرا فقال له
الخضر وما فعلته عن امري ومن ثم قال الخضر لموسى اني على علم من علم الله لا ينبغي لك ان
تعلمه اي تعمل به لانك لست مامورا بالعمل به وانت على علم من الله لا ينبغي لي ان اعلمه اي
لا ينبغي لي ان اعمل به لاني لست مامورا بالعمل به وفي تفسير ابي حيان والجمهور على ان الخضر
نبي وكان علمه معرفة بواطن امور اوحيت اليه اي ليعمل بها وعلم موسى الحكم بالظاهر اي دون
الحكم بالباطن ونبينا صلى الله عليه وسلم حكم بالظاهر في اغلب احواله وحكم بالباطن
اي في بعضها بدليل قتله للسارق وللمصلي لما اطلع على باطن امريهما وعلم منهما ما يوجب
القتل وقد ذكر بعض السلف ان الخضر الى الآن ينفذ الحكم بالحقيقة وان الذين
يموتون فجاءة هو الذي يقتلهم فان صح ذلك فهو في هذه الامة بطريق النيابة عن
النبي صلى الله عليه وسلم فانه صار من اتباعه صلى الله عليه وسلم كما ان عيسى عليه
السلام لما ينزل يحكم بشريعته نيابة عنه لانه من اتباعه وقيل ان عيسى اجتمع به صلى
الله عليه وسلم اجتماعا متعارفا ببيت المقدس فهو صحابي وجاء في حديث مطعون فيه اي
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الخضر والياس عليهما الصلاة والسلام يجتمعان كل عام
اي في الموسم ويحلق كل منهما راس صاحبه ويفترقان عن هذه الكلمات بسم الله ما شاء
الله لا يسوق الخير الا الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله ما شاء الله ما يكون من نعمة
فمن الله ما شاء الله لا حول ولا قوة الا بالله قال ابن عباس رضي الله عنهما من قالهن حين يصبح
وحين يمسي عوفي من الغرق والحرق والسرق ومن السلطان ومن الشيطان ومن الحية
والعقرب وعن علي رضي الله عنه مسكن الخضر بيت المقدس فيما بين باب الرحمة الى باب
الاسباط والله اعلم **باب سراياه** صلى الله
عليه وسلم وبعوثه لا يخفى ان ما كان فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له غزاة وان

ماخلا

ما خلا عنه صلى الله عليه وسلم يقال له سرية ان كان طائفة اثنين فاكثر فان كان واحدا قيل
له بعث وربما سموا بعض السرايا غزاة كما في موتة حيث قالوا غزوة موتة وكما في سرية الرجيع حيث
عبر عنها السيوطي في الخصائص بغزوة الرجيع وعن سرية ذات السلاسل بغزاة ذات السلاسل
وعن سرية سيف البحر بغزاة سيف البحر وربما سموا الواحد سرية وهو في الاصل كثير وربما
سموا الاثنين فاكثر بعثا ومنه قول الاصل كالبخاري بعث الرجيع وظاهر كلامهم انه لا فرق
في ذلك بين ان يكون ارسال ذلك للقتال او لغير قتال كتجسس الاخبار او لتعليم الشرائع
كما في بير معونة والرجيع او للتجارة كما في سرية زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهما حيث ذهب
مع جمع بالتجارة الى الشام فلقيهم بنو فزارة فضربوه وضربوا اصحابه واخذوا ما كان معهم
كما سيأتي والسرية في الاصل الطائفة من الجيش تخرج منه ثم تعود اليه تخرج ليلا او نهارا
وقيل السرية هي التي تخرج ليلا والسارية هي التي تخرج نهارا وهي من مائة الى خمسمائة وقيل
الى اربعمائة اي وفي القاموس السرية من خمسة انفس الى ثلاثمائة او اربعمائة وعليه فما دون ذلك
لا يقال له سرية فما زاد على الثلاثمائة او الاربعمائة الى ثمانمائة يقال له منسر بالنون فان زاد على
ذلك الى اربعة آلاف قيل له جيش اي وقيل الجيش من الالف الى اربعة الاف فان زاد
على ذلك قيل له جحفل وجيش جرار اه الماتم عشرلنا والبعث في الاصل الطائفة
تخرج من السرية ثم تعود اليها وهو من عشرة الى اربعين يقال له حفيرة ومن اربعين
الى ثلثمائة يقال له مقنب وما زاد على ذلك يسمى جمرة فقال بعضهم والكتيبة ما
اجتمع ولم ينتشر وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم خير الاصحاب اربعة وخير السرايا اربعمائة وخير الجيوش اربعة الاف وما هزم
قوم بلغوا اثني عشر الفا من قلة اذا صبروا وصدقوا اي فلا يرد انهزام القوم المذكور يوم
حنين قاله في الاصل وكانت سراياه صلى الله عليه وسلم التي بعثها سبعا واربعين سرية
وهو في ذلك موافق لما ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب قال الشمس الشامي والذي
وقفت عليه من السرايا والبعوث لغير الزكاة يزيد على السبعين انتهى اي وكان صلى
الله عليه وسلم اذا امر اميرا على سرية اوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين
خيرا ثم قال اغزوا بسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله واغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا
تمثلوا ولا تقتلوا وليدا والوليد الصبي اي ما لم يقاتل كالنسا والا قتلوا وفي رواية لا تقتلوا
شيخا فانيا ولا طفلا صغيرا ولا امراة وهذا عند العهد فلا ينافي انه يجوز الاغارة على المشركين
ليلا وان لزم على ذلك قتل الصبيان والنسا والشيوخ فقد روى الشيخان انه سئل صلى
الله عليه وسلم عن المشركين يبيتون اي يغار عليهم ليلا فيصيبون من نسائهم وذراريهم فقال
هم منهم وكان يقول من اطاعني فقد اطاع الله ومن اطاع اميري فقد اطاعني ولا

سمع ولا طاعة في معصية الله وكان صلى الله عليه وسلم يعتذر عن تخلفه عن تلك السرايا
ويقول والذي نفسي بيده لولا ان رجالا من المؤمنين لا تطيب انفسهم ان يتخلفوا عني
ولا اجد ما احملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله والذي نفسي بيده لو
لوددت ان اقتل في سبيل الله ثم احيا ثم اقتل ثم احيا ثم اقتل ومن جملة وصيته صلى
الله عليه وسلم لمن يوليه على سرية واذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاثة خصال
فايتهن اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ادعهم الى الاسلام فان هم ابوا فاسألهم الجزية فان
هم ابوا فاستعن بالله وقاتلهم ومن جملة قوله صلى الله عليه وسلم للسرايا بشروا ولا تنفروا
ويسروا ولا تعسروا ولما بعث صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل وابا موسى رضي الله
تعالى عنهما الى اليمن قال لهما يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا ۞
سرية حمزة بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم حمزة في ثلاثين رجلا من المهاجرين قيل ومن الانصار وفيه نظر لانه صلى الله
عليه وسلم لم يبعث من الانصار الا بعد ان غزا بهم بدرا اه وذلك في شهر رمضان على راس
سبعة اشهر من الهجرة ه وعقد له صلى الله عليه وسلم لواء ابيض وهو اول لواء عقد في الاسلام
حمله ابو مرثد بفتح الميم واسكان الراء ثم مثلثة مفتوحة حليف حمزة رضي الله عنه ليعترض
عيرا لقريش جاءت من الشام تريد مكة وفيها ابو جهل لعنه الله في ثلاثمائة رجل وقيل
في مائة وثلاثين فساروا الى ان وصلوا سيف البحر اي بكسر السين المهملة واسكان المثناة
تحت ثم فاء ساحله من ناحية العيص ارض من جهينة فصادف العير هناك فلما تصافوا
للقتال حجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني وكان حليفا للفريقين فاطاعوه وانصرفوا ولم
يقع بينهم حرب قتال فلما عاد حمزة رضي الله تعالى عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
واخبره الخبر اي بان مجديا حجز بينهم وانهم راوا منه نصفة قال صلى الله عليه وسلم في
مجدي انه ميمون النقيبة اي مبارك النفس مبارك الامر وقال سعيدا او رشيد الامر
اي امور ناجحة ولم يقع له اسلام اي وفي الامتاع وقدم رهط مجدي على النبي صلى
الله عليه وسلم فكساهم **سرية عبيدة بن الحارث** بن عبد المطلب
رضي الله تعالى عنه بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على راس ثمانية اشهر من الهجرة
عبيدة بن الحارث رضي الله تعالى عنه في ستين او ثمانين راكبا من المهاجرين منهم سعد
ابن ابي وقاص رضي الله عنه وعقد له لواء ابيض حمله مسطح بن اثاثة رضي الله تعالى عنه
ليعترض عيرا لقريش وكان رئيسهم ابا سفيان وقيل عكرمة بن ابي جهل وقيل
مكرز بن حفص في مائتي رجل فوافوا العير ببطن رابغ اي ويقال له ودان فلم يكن بينهم
الا المناوشة برمي السهام اي فلم يسلوا السيوف ولم يصطفوا للقتال وكان اول من

رمى

رمى من المسلمين سعد بن ابي وقاص رضي الله تعالى عنه فكان اول سهم رمي به في الاسلام
اي كما ان سيف الزبير بن العوام رضي الله تعالى عنه اول سيف سل في الاسلام ففي كلام
ابن الجوزي اول من سل سيفا في سبيل الله الزبير بن العوام وقد ذكر ان سعدا تقدم امام اصحابه
ونثر كنانته وكان فيها عشرون سهما ما منها سهم الا ويجرح انسانا او دابة ه اي لو رمي به
لصدق رميه وشدة ساعده رضي الله تعالى عنه ثم انصرف الفريقان فان المشركين ظنوا ان
للمسلمين مددا فخافوا وانهزموا ولم يتبعهم المسلمون وفر من المشركين الى المسلمين المقداد
ابن عمرو اي الذي يقال له ابن الاسود وعتبة بن غزوان فانهما كانا مسلمين ولكنهما خرجا مع
المشركين ليتوصلا بهم الى المسلمين فعلم ان سرية عبيدة بن الحارث رضي الله عنه بعد سرية
حمزة بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه وقيل بل هي قبلها وكلام الاصل يشعر به ويؤيده
قول ابن اسحاق كانت راية عبيدة بن الحارث فيما بلغنا اول راية عقدت في الاسلام قال
بعضهم ومنشأ هذا الاختلاف ان بعث حمزة وبعث عبيدة كانا معا اي في يوم واحد
في محل واحد اي وشيعهما صلى الله عليه وسلم جميعا كما في بحار العقبى فاشتبه الامر
فمن قائل يقول ان راية حمزة رضي الله تعالى عنه اول راية عقدت في الاسلام وان بعثه اول
البعوث ومن قائل ان راية عبيدة اول راية عقدت في الاسلام وان بعثه اول البعوث
لكن يشكل على ذلك ان خروج حمزة كان على راس سبعة اشهر من الهجرة كما تقدم ۞
وخروج عبيدة كان على راس ثمانية اشهر كما تقدم وما ذكر من ان بعثهما معا الخ يرد ما
اجاب به بعضهم عن هذا الاشكال بانه يحتمل انه صلى الله عليه وسلم عقد رايتيهما معا وتأخر
خروج عبيدة الى راس الثمانية اشهر لامر اقتضى ذلك هذا كلامه الا ان يقال يجوز ان
يكون المراد ببعثهما معا امرهما بالخروج وان المراد بتشييعهما جميعا ان كلا منهما
وقع له التشييع منه صلى الله عليه وسلم وذلك لا يقتضي ان يكون ذلك في وقت واحد
فتامل وفي هذا اطلاق الراية على اللواء وهو الموافق لما صرح به جماعة من اهل اللغة انهما
مترادفان وتقدم انه لم يحدث اسم الراية الا في خيبر اي وكانوا لا يعرفون قبل ذلك الا
الالوية وما هنا يرده وفي كلام بعضهم كانت رايته صلى الله عليه وسلم سوداء ولواؤه
ابيض كما في حديث ابن عباس وابي هريرة رضي الله تعالى عنهما زاد ابو هريرة رضي الله عنه
مكتوب فيه لا اله الا الله محمد رسول الله **سرية سعد بن ابي وقاص** رضي
الله تعالى عنه الى الخرار اي بفتح الخاء المعجمة وراءين مهملتين وفي النور بفتح الخاء المعجمة
وتشديد الراء الاولى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على راس تسعة اشهر من الهجرة سعد
ابن ابي وقاص في عشرين من المهاجرين اي وقيل ثمانية وعقد له لواء ابيض حمله المقداد
ابن عمرو قال والخرار واد يتوصل منه الى الجحفة وقد عهد صلى الله عليه وسلم اليه ان لا يجاوزه

ليعترض عيرًا لقريش تمر بهم فخرجوا يمشون على اقدامهم يكمنون النهار ويسيرون بالليل
حتى صبحوا المكان المذكور في صبح خمس فوجدوا العير قد مرت بالامس فانصرفوا راجعين
الى المدينة انتهى اه وقد ذكر ابن عبد البر وابن حزم هذه السرية بعد بدر الاولى وفي السيرة
الشامية الباب السادس في سرية سعد بن ابى وقاص الى الخرار وساق ما تقدم وقال بعده
الباب السابع في سرية سعد بن ابى وقاص رضى الله تعالى عنه روى الامام احمد عنه قال لما
قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جاءت جهينة فقالوا انك قد نزلت بين اظهرنا
فاوثق لنا حتى نأتيك وقومنا فاوثق لهم فاسلموا وبعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا نكون مائة وكان ذلك في رجب على راس السنة الثانية ٥ وامرنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان نغير على حى من كنانة فاغرنا عليهم فكانوا كثيرًا فلجأنا الى جهينة فمنعونا وقالوا لم
تقاتلون في الشهر الحرام فقال بعضنا لبعض ما ترون فقال بعضنا نأتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنخبره وقال بعض اخر لا نقيم هاهنا وقلت انا في اناس معى بل نأتى عير
قريش فنقتطعها فانطلقنا الى العير وانطلق بعض اصحابنا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاخبروه الخبر فقام صلى الله عليه وسلم غضبان محمرًا وجهه فقال اجئتم من عندى جميعًا ورجعتم متفرقين
وانما اهلك من كان قبلكم الفرقة لابعثن عليكم رجلا ليس بخيركم اصبركم على الجوع والعطش
فبعث علينا عبد الله بن جحش اميرًا فامره علينا لنذهب الى الجهة التى بين مكة والطايف

سرية عبد الله بن جحش

رضى الله تعالى عنه الى بطن نخلة قال لما صلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم العشاء الاخرة قال لعبد الله بن جحش واف مع الصبح معك سلاحك
ابعثك وجها فوافاه الصبح ومعه قوسه وجعبته ودرقته فلما انصرف رسول الله صلى
الله عليه وسلم من صلاة الصبح وجده واقفًا عند بابه فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابى بن كعب فدخل عليه الكتاب فامره فكتب كتابا ثم دعا عبد الله بن جحش ودفع اليه
الكتاب وقال له قد استعملتك على هولاء النفر انتهى اى وكان قبل ذلك بعث عليهم
عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب فلما ذهب لينطلق بكى صبابة الى النبى صلى الله
عليه وسلم فبعث عليهم عبد الله وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم امير المومنين اى فهو
اول من تسمى في الاسلام بامير المومنين ثم تبعه عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ولكنه
ينافى ذلك قول بعضهم اول من تسمى في الاسلام بامير المومنين عمر بن الخطاب لان
المراد اول من تسمى بذلك من الخلفا او ان هذا امير جميع المومنين وذلك امير من معه
من المومنين خاصة فقد جاء ان عمر رضى الله تعالى عنه ارسل الى عامل العراق ان يبعث
اليه رجلين جلدين نبيلين ليسالهما عن اهل العراق فبعث اليه بلبيد بن ربيعة وعدى بن
حاتم الطائى فقدما المدينة ودخلا المسجد فوجدا عمرو بن العاص فقالا استاذن
لنا على امير المومنين فقال عمرو انتما والله اصبتما اسمه فدخل عليه عمرو وقال السلام
عليك يا امير المومنين فقال ما بدا لك في هذا الاسم فاخبره الخبر وقال انت الامير ونحن
المومنون فاول من سماه بذلك عدى بن ربيعة بن حاتم وقيل اول من سماه بذلك المغيرة
ابن شعبة وحينئذ صار يكتب من عبد الله عمر امير المومنين فقد كتب بذلك رضى
الله تعالى عنه الى نيل مصر فان عمرو بن العاص لما فتح مصر ودخل شهر بؤونة من شهور
العجم دخل اليه اهل مصر وقالوا ايها الامير اذا كان احد عشر ليلة تخلو من هذا الشهر
عمدنا الى جارية بكر بين ابويها وجعلنا عليها من الثياب والحلى ما يكون ثم القيناها في
هذا النيل اى ليجرى فقال لهم عمرو ان هذا لا يكون في الاسلام وان الاسلام يهدم
ما كان قبله فاقاموا مدة والنيل لا يجرى لا قليل ولا كثير حتى هم اهل مصر بالجلا
منها فكتب عمرو بذلك الى سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه فكتب اليه كتابا وكتب بطاقة
في داخل الكتاب وقال في الكتاب قد بعثت اليك ببطاقة في داخل كتابى فالقها في نيل
مصر فلما قدم الكتاب اخذ عمرو البطاقة ففتحها فاذا فيها من عبد الله عمر امير
المومنين الى نيل مصر اما بعد فان كنت تجرى من قبلك فلا تجرى وان كان
الله يجريك فاسال الله الواحد القهار ان يجريك فالقى البطاقة في النيل قبل
الصليب بيوم فاصبحوا وقد اجراه الله ستة عشر ذراعا في ليلة واحدة فقطع الله
تلك السنة عن اهل مصر الى اليوم وكان اولئك الثمانية اى وقيل اثنى عشر من
المهاجرين يعتقب كل اثنين منهم بعيرا منهم سعد بن ابى وقاص وعتبة بن غزوان
وكانا يعتقبان بعيرا ومنهم واقد بن عبد الله ومنهم عكاشة بن محصن وامره صلى
الله عليه وسلم عبد الله ان لا ينظر في ذلك الكتاب حتى يسير يومين اى قبل مكة ثم
ينظر فيه فيمضى لما امره ولا يستكره احدا من اصحابه اى على السير معه اى وقد
عقد له راية قال ابن الجوزى اول راية عقدت في الاسلام راية عبد الله بن جحش اى
بنا على ان الراية غير اللوا وحينئذ يعارض القول بترادفهما والقول بان اسم الراية
انما وجد في خيبر قال ابن الجوزى وهو اول امير امر في الاسلام وفيه انه مخالف لما
سبق الان يريد اول من سمى امير المومنين فلما سار عبد الله رضى الله تعالى عنه
يومين فتح الكتاب فاذا فيه اذا نظرت في كتابى هذا فامض حتى تنزل نخلة بين
مكة والطايف ولا تكره احدا من اصحابك على السير معك اى ولفظ الكتاب
سر بسم الله وبركاته ولا تكرهن احدا من اصحابك على السير معك وامض لامرى
حتى تاتى بطن نخلة فترصد عير قريش وتعلم لنا اخبارهم ٥ فلما قرا الكتاب على
اصحابه قالوا نحن سامعون مطيعون لله ولرسوله ولك فسر على بركة الله تعالى

ه اى وجعل البخارى دفعه صلى الله عليه وسلم الكتاب لعبد الله ليقراه ويعمل
بما فيه دليلا على صحة الرواية بالمناولة وهى ان الشيخ يدفع لتلميذه كتابا ويأذن
له ان يحدث عنه بما فيه وممن قال بصحة المناولة سيدنا مالك بن انس رضى الله عنه
وروى اسماعيل بن صالح عنه انه اخرج لهم كتبا مشدودة وقال لهم هذه كتبى صححتها
ورويتها فاروها عنى فقال له اسماعيل بن صالح نقول حدثنا مالك قال نعم وفى
لفظ ان عبد الله لما قرا الكتاب قال سمعا وطاعة اى بعد ان استرجع ثم اعلم اصحابه
وقال لهم من كان يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ومن كره ذلك فليرجع فاما انا
فماض الى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فمضوا لم يتخلف منهم احد حتى اذا كانوا
بحران بفتح المهملة وبضمها وسكون الحاء المهملة موضع اضل سعد بن ابى وقاص وعتبة
ابن غزوان بعيرا لهما فتخلفا فى طلبه فمضى عبد الله ومن معه من اصحابه حتى نزل بنخلة فمرت
عير لقريش اى تحمل زبيبا وادما اى جلودا من الطائف وامتعة للتجارة فى تلك العير
عمرو بن الحضرمى وعثمان بن المغيرة واخوه نوفل والحكم بن كيسان ونزلوا قريبا من
عبد الله واصحابه وتخوفوا منهم فاشرف عليهم عكاشة بن محصن وكان قد حلق راسه
اى وترأى لهم ليظنوا انهم عمار فيطمئنوا اى وذلك بارشاد عبد الله بن جحش فانه
قال لهم ان القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا راس رجل منكم فليتعرض لهم فحلقوا راس
عكاشة ثم اشرف عليهم فلما راوا راسه محلوقا قالوا عمار اى هولاء قوم معتمرون لا باس عليكم
منهم وكان ذلك اخر يوم من شهر رجب اى وقيل اول يوم منه ويدل للاول ما جاء
ان عبد الله تشاور مع اصحابه فيهم فقال بعضهم لبعض ان تركتموهم فى هذه الليلة دخلوا
الحرم فقد امتنعوا منكم به وان قتلتموهم فى هذا اليوم تقتلوهم فى الشهر الحرام اى وكان
ذلك قبل ان يحل القتال فى الشهر الحرام فان تحريم القتال فى الاشهر الحرم كان معمولا
به فى عهد ابراهيم واسماعيل عليهما السلام جعل الله ذلك مصلحة لاهل مكة فان سيدنا
ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما دعى لذريته بمكة ان يجعل الله افئدة من الناس تهوى
اليهم لمصلحتهم ومعاشهم جعل الاشهر الحرم اربعة ثلاثة سردا وواحدا فردا وهو
رجب اما الثلاثة فليامن الحجاج فيها واردين لمكة وصادرين عنها شهرا قبل شهر الحج
وشهرا اخر بعده قدر ما يصل الراكب من اقصى بلاد العرب ويرجع واما رجب فكان
للعمار يامنون فيه مقبلين ومدبرين وراجعين نصف الشهر للاقبال ونصفه الاخر
للادبار لان العمرة لا تكون من اقاصى بلاد العرب كالحج واقصى منازل المعتمرين
خمسة عشر يوما ذكره السهيلى ولم يزل تحريم القتال فى تلك الاشهر الحرم صدرا
من الاسلام وذلك قبل نزول براءة فان براءة كان فيها نبذ العهد العام وهو ان لا يصد

احد

احد عن البيت جاءه ولا يخاف احد فى الاشهر الحرم وبان لا يحج مشرك واباحة القتال
فى الاشهر الحرم اى مع بقاء حرمتها فانها لم تنسخ قال تعالى منها اربعة حرم ذلك الدين القيم
فلا تظلموا فيهن انفسكم فتعظيم حرمتها باقية لم تنسخ وانما نسخ حرمة القتال فيها
خلافا لما نقل عن عطاء ان حرمة القتال فيها باقية لم تنسخ ويدل للثانى ما فى
الكشاف وكان ذلك اليوم اول يوم من رجب وهم يظنون انه من جمادى الاخرة فتردد
القوم وهابوا الاقدام ثم شجعوا انفسهم عليهم ثم اجمع امرهم على قتل من لم يقدروا على
اسره اى واخذ ما معهم فقتلوا عمرو بن الحضرمى رماه واقد بن عبد الله بسهم فهو
اول قتيل قتله المسلمون واسروا عثمان والحكم فهما اول اسير اسره المسلمون وافلت
بفتح الهمزة باقى القوم اى وجاء الخبر لاهل مكة فلم يمكنهم الطلب لدخول شهر رجب
اى بناء على ما تقدم وساق عبد الله رضى الله عنه واصحابه رضى الله تعالى عنهم العير
حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وسموا ذلك غنيمة غنمها المسلمون فقال لهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما امرتكم بقتال فى الشهر الحرام وابى ان يستلم العير والاسيرين
فسقط بالبناء للمجهول فى ايديهم اى ندموا وعنفهم اخوانهم من المسلمين وصارت
قريش تقول استحل محمد واصحابه الشهر الحرام سفكوا فيه الدم واخذوا فيه الاموال
واسروا فيه الرجال اى وصارت قريش تعير بذلك من بمكة من المسلمين يقولون لهم
يا معشر الصباة قد استحللتم الشهر الحرام وقاتلتم فيه وزادوا فى التشنيع والتعيير
وصارت اليهود تتفاءل بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون القتيل عمرو
الحضرمى والقاتل واقد فيه عمرت بفتح العين المهملة وكسر الميم الحرب اى حضرت
الحرب ووقدت الحرب فكان ذلك الفال عليهم لعنهم الله وضاق الامر عليهم على عبد الله
واصحابه رضى الله عنهم فانزل الله تعالى يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال
فيه كبير اى عظيم الوزر وصد عن سبيل الله اى منع للناس عن دين الله وكفر به اى
بالله والمسجد الحرام اى ومنع للناس عن مكة واخراج اهله منه وهم النبى صلى الله
عليه وسلم ومن معه من المؤمنين اكبر عند الله اعظم وزرا والفتنة الشرك الذى
انتم عليه او حملكم من اسلم على الكفر بالتعذيب له اكبر من القتل لكم فيه اى صدهم
عنكم عن المسجد الحرام وكفرهم بالله واخراجكم من مكة وانتم اهلها وفتنة من اسلم بحيث
يرتد عن الاسلام ويرجع الى الكفر اكبر من قتل من قتلتم منهم ففرج عن عبد الله واصحابه
اى وهذا كما ترى يدل على انهم قتلوا مع علمهم بان ذلك اليوم من رجب ويضعف ما تقدم
عن الكشاف الموافق لما اخرجه ابن جرير وابن ابى حاتم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم
ان اصحاب محمد كانوا يظنون ان ذلك اليوم اخر جمادى وكان اول رجب ولم يشعروا

اى لان جمادى يجوز ان يكون ناقصا وفيه انه لو كان الامر كذلك لاعتذر عبد الله
واصحابه رضى الله تعالى عنهم بذلك وجاء ان المسلمين اختلفوا فى ذلك اليوم فمن قائل
منهم هذه غرة من عدو وغنم رزقتموه ولا ندرى امن الشهر الحرام هذا اليوم ام لا وقائل
قائل منهم لا نعلم اليوم الا من الشهر الحرام ولا نرى ان تستحلوه لطمع اشتملتم عليه
ويذكر انه صلى الله عليه وسلم عقل ابن الحضرمى اى اعطى ديته ويضعفه ما تقدم
فى غزاة بدر من ان اخاه طلب ثاره وكان سببا لاثارة الحرب وان عتبة بن ربيعة
اراد ان يتحمل ديته ويتحمل جميع ما اخذ من العير وان تكف قريش عن القتال وحينئذ
تسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والاسيرين وطمع عبد الله واصحابه فى حصول
الاجر وسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فانزل الله تعالى ان الذين امنوا
وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم اى فقد
اثبت لهم الجهاد فى سبيل الله ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم ذلك العير وخمسه
اى جعل خمسه لله واربعة اخماسه للجيش وقيل تركه حتى رجع من بدر وخمسه مع
غنائم بدر وقيل ان عبد الله هو الذى خمسها اى فانه قال لاصحابه ان لرسول الله صلى
الله عليه وسلم فيما غنمنا الخمس فاخرج خمس ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم اى
عزله له وقسم سائرها بين اصحابه رضى الله تعالى عنهم وحينئذ يكون ما تقدم
من قوله وابى ان يتسلم العير الظاهر فى ان العير لم تقسم المراد خمس ذلك العير وهو
اول غنيمة خمست فى الاسلام اى قبل فرضه ثم فرض على ما صنع عبد الله بن جحش
اول خمس سن الخمس من الغنيمة للنبى صلى الله عليه وسلم من قبل ان يفرض الخمس فانزل
الله تعالى بعد ذلك اية الخمس واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسه الاية وانما كان
قبل ذلك المرباع هذا كلامه والمرباع ربع المغنم وتقدم ان الفئ والغنيمة يطلق
احدهما على الاخر وفى كلام فقهائنا ان الغنيمة كانت فى صدر الاسلام له صلى الله
عليه وسلم خاصة ثم نسخ بعد ذلك بالتخميس وبعثت قريش الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى فداء عثمان والحكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نفديكموها حتى يقدم
صاحبانا يعنى سعد بن ابى وقاص وعتبة بن غزوان فانا نخشاكم عليهما فان قتلتموهما
نقتل صاحبيكم فان سعدا وعتبة لم يحضرا الواقعة بسبب انهما اضلا بعيرهما وقد
مكثا فى طلبه اياما ثم قدما ففادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسيرين اى كل واحد
باربعين اوقية ○ فاما الحكم فاسلم وحسن اسلامه واقام عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى قتل يوم بئر معونة شهيدا اى وعن المقداد اردت اسره يعنى عبد الله بن
جحش ان يقتل الحكم فقلت دعه نقدم به على رسول الله صلى الله عليه وسلم واما عثمان

فلحق

فلحق بمكة وقتل بها كافرا

بعث عمير بن عدى الخطمى

وفى الاصل تبعا لشيخه الدمياطى سرية
الضرير الى عصماء اى بالمدينة بنت مروان اليهودية
وكانت متزوجة فى بنى خطمة وكان زوجها مرثد بن زيد بن حصين الانصارى اسلم
بعد ذلك رضى الله عنه **بعث** رسول الله صلى الله عليه وسلم عمير بن عدى الخطمى وهو
اول من اسلم من بنى خطمة الى قتل عصماء بنت مروان لانها كانت تعيب الاسلام وتؤذى النبى
صلى الله عليه وسلم فى شعرها اى وتحرض عليه فجاءها عمير فى جوف الليل حتى دخل عليها بيتها
وحولها نفر من ولدها نيام وعلى صدرها صبى ترضعه فجسها بيده ونحى الصبى عن صدرها
ووضع السيف على صدرها وتحامل عليه حتى انفذه من ظهرها ثم صلى الصبح مع النبى
صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلت ابنة مروان
قال نعم فهل على فى ذلك من شئ فقال لا ينتطح فيها عنزان اى الامر فى قتلها هين لا يعارض
فى امرها معارض وهذه الكلمة من جملة الكلمات التى لم تسمع الا من النبى صلى الله عليه وسلم
وقد جمع ما يها فى النور فى هذا المحل **قال** وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم عميرا هذا
بالبصير لان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال انظروا الى هذا الاعمى الذى يسرى فى طاعة
الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقل الاعمى ولكنه البصير وفى رواية
انه صلى الله عليه وسلم لما قال الا رجل يكفينا هذه يعنى عصماء بنت مروان فقال عمير بن
عدى انا لها فاتاها وكانت تمارة اى تبيع التمر فقال لها اعندك اجود من هذا التمر [illegible]
[illegible] قالت نعم فدخلت الى البيت وانكبت لتاخذ شيئا من التمر فالتفت يمينا وشمالا
فلم ير احدا فضرب راسها حتى قتلها وليتامل هذا مع ما قبله ثم ان عميرا اتى المسجد
فصلى الصبح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرف صلى الله عليه وسلم من صلاته
نظر اليه فقال له اقتلت ابنة مروان قال نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا احببتم ان تنظروا الى رجل نصر الله ورسوله فانظروا الى عمير فلما رجع عمير الى منزل بنى
خطمة وجد بنيها فى جماعة يدفنونها فقالوا يا عمير انت قتلتها قال نعم فكيدونى جميعا ثم
لا تنظرون والذى نفسى بيده لو قلتم باجمعكم ما قالت لاضربنكم بسيفى هذا حتى
اموت او اقتلكم فيومئذ ظهر الاسلام فى بنى خطمة وكان يخفى اسلامه من اسلم منهم
لكن جاء فى رواية انها كانت تلقى خرق الحيض فى مسجد بنى خطمة فليتامل وفى رواية
انه صلى الله عليه وسلم لما اهدر دم عصماء نذر عمير ان رد الله رسوله صلى الله عليه وسلم من
بدر الى المدينة سالما ليقتلنها فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر الى المدينة
عدى عليها عمير رضى الله تعالى عنه فقتلها انتهى اه وفى كلام السهيلى ان الذى قتل عصماء
بعلها وقد يقال لا مخالفة لان عميرا جاز ان يكون كان بعلا لها قبل مرثد بن زيد وذكر

في الاستيعاب في ترجمة عمير رضي الله تعالى عنه انه قتل اخته لسبها رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولم يسمها **اقول** الظاهر انها غير عصماء لان نسب عصماء غير نسب عمير الا ان يقال
انها اخته لامه ويبعده ما تقدم من انه كان زوجها والله اعلم **بعث**
وفي الاصل تبعا للشيخ الحافظ الدمياطي سرية **سالم بن عمير** الى ابي عفك اي
والعفك بفتح العين المهملة وبالفاء وبالكاف اي الحمق اي الى الاحمق اليهودي قال
صلى الله عليه وسلم يوما من لي بهذا الخبيث يعني ابا عفك اي من ينتدب الى قتله وكان
شيخا كبيرا قد بلغ مائة وعشرين سنة وكان يحرض الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويسبه في شعره فقال سالم بن عمير رضي الله تعالى عنه اي وهو احد البكائين وقد
شهد بدرا علي نذر ان اقتل ابا عفك او اموت دونه فطلب له غرة اي غفلة فلما كانت
ليلة صائفة اي شديدة الحر نام ابو عفك بفناء بيته اي خارجه فعلم بذلك سالم رضي
الله عنه فاقبل نحوه فوضع السيف على كبده ثم تحامل حتى خش السيف في الفراش
وصاح عدو الله فتركه سالم رضي الله عنه وذهب فقام الى ابي عفك ناس من اصحابه
فاحتملوه وادخلوه داخل بيته فمات عدو الله وابن اسحاق قدم هذا البعث على بعث
عمير **سرية عبد الله بن سلمة** رضي الله عنه الى كعب بن الاشرف
الاوسي اي فان اباه اصاب دما في الجاهلية فاتى المدينة فحالف بني النضير فشرف
فيهم وتزوج عقيلة بنت ابي الحقيق فولدت له كعبا وكان طويلا جسيما ذا بطن وهامة
وكان شاعرا مجيدا وقد كان ساد يهود الحجاز بكثرة ماله وكان يعطي احبار اليهود
ويصلهم فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة جاءه احبار اليهود من بني
قينقاع وبني قريظة لاخذ صلته على عادتهم فقال لهم ما عندكم من امر هذا الرجل
يعني النبي صلى الله عليه وسلم قالوا هو الذي كنا ننتظر ما انكرنا من نعوته شيئا فقال
لهم قد حرمتم كثيرا من الخير ارجعوا الى اهليكم فان الحقوق في مالي كثير فرجعوا عنه
خائبين ثم رجعوا اليه وقالوا له انا عجلنا فيما اخبرناك به فلما استثبتنا علمنا
انا غلطنا وليس هو المنتظر فرضي عنهم ووصلهم وجعل لكل من تابعهم من الاحبار
شيئا من ماله وهذا اتى فيه قوله تعالى ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك
ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما استودعه شخص
دينارا فجحده كذا في تكملة الجلال السيوطي وفي الكشاف وغيره انها نزلت في فنحاص
ابن عازوراء وقد يقال لا مانع من تعدد الواقعة **ولما انتصر** رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم بدر وقدم زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة رضي الله تعالى عنهما مبشرين
لاهل المدينة بذلك وصارا يقولان قتل فلان وفلان واسر فلان وفلان من اشراف

قريش

قريش صار كعب يكذب في ذلك ويقول هؤلاء اشراف العرب وملوك الناس والله ان كان
محمد قتل هؤلاء القوم فبطن الارض خير من ظاهرها اي كما تقدم فلما تيقن عدو الله الخبر
خرج حتى قدم مكة وكان شاعرا فجعل يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين
ويمدح عدوهم ويحرضهم عليه وينشد الاشعار ويبكي من قتل ببدر من اشراف قريش
فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اكفني ابن الاشرف بما شئت ثم رجع الى المدينة اي بعد ان لم
يجد من ياوي رحله بمكة اي لانه لما قدم مكة وضع رحله عند عبد المطلب بن وداعة
واكرمته زوجة عبد المطلب وهي عاتكة بنت اسيد فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
حسان واخبره بذلك فهجا المطلب وزوجته فلما بلغهما هجاء حسان القت رحله
وقالت ما لنا ولهذا اليهودي واسلم المطلب وزوجته بعد ذلك رضي الله تعالى عنهما
وصار كلما تحول عند قوم من اهل مكة صار حسان يهجوهم فيلقون رحله اي ويقال انه
خرج في سبعين راكبا من اليهود الى مكة ليحالفوا قريشا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلوا على ابي سفيان فقال لهم ابو سفيان انكم اهل كتاب ومحمد صاحب كتاب ولا نأمن
ان يكون هذا مكرا منكم فان اردتم ان نخرج معكم فاسجدوا لهذين الصنمين وآمنوا
بهما ففعلوا فانزل الله تعالى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت
اي وحالفهم عند استار الكعبة على قتال المسلمين فخرج من مكة الى المدينة فلما وصل
الى المدينة وصار يشبب بنساء المسلمين اي يتغزل فيهن ويذكرهن بالسوء حتى آذاهن
اي وقيل ان كعب بن الاشرف صنع طعاما وواطأ جماعة من اليهود ان يدعو النبي صلى
الله عليه وسلم الى الطعام فاذا حضر يفتكون به ثم دعاه فجاء ومعه بعض اصحابه
فاعلمه جبريل عليه السلام بما اضمروه بعد ان جالسه فقام صلى الله عليه وسلم وجبريل
يستره بجناحه حتى خرج فلما فقدوه تفرقوا ولا مانع من تعدد الاسباب فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من ينتدب لقتل كعب بن الاشرف وفي لفظ من لنا بابن الاشرف
فقد استعلن بعداوتنا وهجائنا اي **وفي** رواية انه يؤذي الله ورسوله وفي اخرى فانه
قد آذانا بشعره وقوى المشركين علينا اي فان ابا سفيان قال لكعب انك تقرأ الكتاب
وتعلم ونحن اميون لا نعلم فاينا اهدى طريقا واقرب الى الحق انحن ام محمد فقال كعب اعرضوا
علي دينكم فقال له ابو سفيان نحن ننحر للحجيج الكوماء ونسقيهم الماء ونقري الضيف ونفك
العاني ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن اهل الحرم ومحمد فارق دين آبائه
وقطع الرحم وفارق الحرم وديننا قديم ودين محمد الحديث فقال كعب انتم والله
اهدى سبيلا مما هو عليه ۞ فقال له صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الاوسي انا لك به يا رسول
الله هو خالي لان محمد بن مسلمة ابن اخته انا اقتله واجمع اي عزم على ذلك هو واربعة

اى من الاوس عباد بن بشر وابو نائلة وكان رضى الله عنه اخا كعب بن الاشرف من الرضاعة والحارث بن عيسى والحارث بن اوس ومكث محمد بن مسلمة رضى الله تعالى عنه بعد قوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام لا ياكل ولا يشرب الا ما تقوم به نفسه خوفا من عدم وفائه بما ذكر ثم قال يا رسول الله لا بد لنا ان نقول اى نذكر ما نتوصل به اليه من الحيلة وحينئذ كان المناسب ان يقول لا بد لنا ان نقول اى نخترع ما نحتال عليه به فقال قولوا ما بدا لكم فانتم فى حل من ذلك فاباح صلى الله عليه وسلم لهم الكذب لانه من خدع الحرب كما تقدم وقيل انه صلى الله عليه وسلم امر سعد بن معاذ ان يبعث رهطا ليقتلوه والجمع ممكن فتقدمهم الى كعب ابو نائلة رضى الله تعالى عنه وكان يقول الشعر فتحدث معه ساعة وتناشدا اشعارا ثم قال له ويحك يا ابن الاشرف انى قد جئتك لحاجة اريد ان اذكرها لك فاكتم عنى قال افعل قال كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة فتقطعت عنا السبل حتى جاع العيال وجهدت الانفس اى وسالنا الصدقة ونحن لا نجد ما ناكل وسائر ما عندنا انفقناه على هذا الرجل وعلى اصحابه فقال كعب لقد كنت اخبرتك يا ابن سلامة ان الامر سيصير الى ما تقول اى ثم قال كعب اصدقنى ما الذى تريدون فى امره قال خذلانه والتنحى عنه قال شر تبين بان لكم ان تعرفوا ما انتم عليه من الباطل ٥ فقال ابو نائلة وقيل محمد بن مسلمة كما فى رواية صحيحة قال الحافظ ابن حجر ويحتمل ان كلا منهما قال له انى اريد ان تبيعنى واصحابى طعاما ونرهنك ونوثق لك فقال ترهنونى ابناءكم وفى رواية نساءكم قال اردت ان تفضحنا نرهنك من الحلقة اى السلاح كما تقدم وقيل الدروع خاصة ما فيه وفاء وقد اردت ان اتيك باصحابى اراد ابو نائلة رضى الله تعالى عنه ان لا ينكر كعب السلاح اذا جاء به هو واصحابه فقال ان فى الحلقة لوفاء اى وفى البخارى قال ارهنونى نساءكم قالوا كيف نرهنك نساءنا وانت اجمل العرب زاد فى رواية ولا نامنك علينا واى امراة تمتنع منك بجمالك فانك تعجب النساء قال فارهنونى ابناءكم قالوا كيف نرهنك ابناءنا فيسب احدهم فيقال رهن بوسق قالوا هذا عار علينا ولكنا نرهنك اللامة اى السلاح فرجع ابو نائلة رضى الله عنه الى اصحابه فاخبرهم الخبر وامرهم ان ياخذوا السلاح ثم جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرجوا من عنده متوجهين الى كعب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم يمشى الى بقيع الغرقد ثم وجههم وقال انطلقوا على اسم الله اللهم اعنهم ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيته اى وامر عليهم محمد ابن مسلمة وكانت تلك الليلة مقمرة فاقبلوا حتى انتهوا الى حصن كعب فهتف به ابو نائلة رضى الله تعالى عنه وكان كعب قريب عهد بعرس فوثب فى ملحفته فاخذت امراته

بناحيتها

بناحيتها اى طرفها وقالت انك امرؤ محارب وان اصحاب الحرب لا ينزلون فى مثل هذه الساعة قال انه ابو نائلة لو وجدنى نائما لا يقظنى فقالت والله انى لاعرف فى صوته الشر اى وفى البخارى فقالت له امراته اين تخرج هذه الساعة فانى اسمع صوتا كانه يقطر منه الدم وفى مسلم كانه صوت دم اى صوت طالب دم قال انما هو ابن اخى محمد بن مسلمة ورضيعى ابو نائلة ان الكريم لو دعى الى طعنة بليل لاجاب كذا فى البخارى وفى مسلم انما هو محمد ورضيعه قيل وصوابه انما هو محمد ورضيعه ابو نائلة فقد ذكر اهل العلم ان ابا نائلة كان رضيعا لمحمد فنزل اى ينفح منه ريح الطيب فتحدث معه هو واصحابه ساعة ثم تما شوا ثم ان ابا نائلة رضى الله عنه وضع يده على راس كعب ثم شم يده وقال ما رايت طيبا اعطر من هذا الطيب اى فقال وكيف وعندى اعطر نساء العرب واكمل العرب وفى لفظ واجمل بدل الكمل وفى اشبه فقال له يا ابا سعيد ادن منى راسك اشمه وامسح به وجهى وعينى ثم مشوا ساعة ثم عاد ابو نائلة لوضع يده على راسه واستمسك به وقال اضربوا عدو الله فضربوه فاختلفت عليه اسيافهم فلم تغن شيئا اى وقع بعضها على بعض ولصق عدو الله بابى نائلة وصاح صيحة لم يبق حصن الا اوقد عليه نار قال محمد بن مسلمة رضى الله تعالى عنه فوضعت سيفى فى ثنيته ثم تحاملت عليه حتى بلغ عانته فوقع اى ولما صاح اللعين صاحت امراته يا ال قريظة والنضير مرتين فخرجت اليهود فاخذوا على غير طريقهم ففاتوهم قال محمد بن مسلمة واصيب الحارث بن اوس ببعض اسيافنا فى رجله اى وراسه ونزف به الدم فتخلف عنا اى وناداهم اقرؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم منى السلام فعطفوا عليه واحتملوه ٥ وفى رواية تخلف عن اصحابه فافتقدوه ورجعوا اليه فاحتملوه قال محمد بن مسلمة رضى الله تعالى عنه فجئنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اخر الليل وهو قائم يصلى فسلمنا عليه فخرج الينا واخبرناه بقتل عدو الله وتفل على جرح صاحبنا فلم يؤلمه قال وفى رواية انهم حزوا راس كعب وحملوا ذلك الراس ثم خرجوا يشتدون فلما بلغوا بقيع الغرقد كبروا وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى تلك الليلة فلما سمع تكبيرهم بالبقيع كبر وعرف انهم قد قتلوا عدو الله وخرج الى باب المسجد فجاؤا فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا على باب المسجد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افلحت الوجوه فقالوا افلح وجهك يا رسول الله ورموا براسه بين يديه فحمد الله على قتله اى وعند ذلك اصبحت يهود مذعورين فاتوا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا قتل سيدنا غيلة فذكرهم النبى صلى الله عليه وسلم صنيعه من التحريض عليه واذيته للمسلمين فازدادوا خوفا

سرية عبد الله بن عتيك

رضى الله عنه لقتل ابى رافع سلام بالتخفيف ابن ابى الحقيق على وزن نضير بالتصغير

وبالحا المهملة الخزرجي اي وفي البخاري ابي رافع عبد الله بن ابي الحقيق ويقال له سلام
ابن ابي الحقيق كان بخيبر وكان تاجرا اهل الحجاز لما قتلت الاوس اي عبد الله بن مسلمة
وابو نائلة ومن تقدم معهما كعب بن الاشرف تذاكر الخزرج من يشابه كعب بن الاشرف
في العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الخزرج فذكروا ابا رافع سلام بن ابي الحقيق
اي لانه كان يوذي رسول الله صلى الله عليه وسلم اي وعن عروة انه كان ممن اعان غطفان
وغيرهم من مشركي العرب بالمال الكثير على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي حزب
الاحزاب يوم الخندق لان الاوس والخزرج كانا يتنافسان فيما يقرب الى رسول الله واي
الله لا تفعل الاوس شيئا من ذلك الا فعلت الخزرج نظيره بالعكس ويقولون والله لا يذهبون
بهذه فضلا علينا في الاسلام فانتدب لقتله خمسة من الخزرج منهم عبد الله بن عتيك
وعبد الله بن انيس وابو قتادة واستاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك اي
في ان يتكلموا بما يتوصلون به اليه من الحيلة فاذن لهم وامر عليهم عبد الله بن عتيك
وامرهم ان لا يقتلوا وليدا ولا امراة فخرجوا حتى اتوا خيبر فتسوروا دار ابي رافع ليلا
فلم يدعوا بيتا في الدار الا اغلقوه على اهله وكان ابو رافع في علية لها درجة اي سلم من
الخشب من نخل يصعد عليه اليها الى تلك العلية فطلعوا في تلك الدرجة حتى
قاموا على باب تلك العلية فلما دنوا خرجت اليهم امراته فقالت من انتم قالوا اناس
من العرب نلتمس الميرة **وفي** لفظ لما صعدوا قدموا عبد الله بن عتيك لانه كان يتكلم
بلسان يهود فاستفتح وقال جئت ابا رافع بهدية ففتحت له امراته وقالت ذاكم صاحبكم
فادخلوا عليه فلما دخلوا عليه اغلقوا عليهم وعليها باب الحجرة ووجدوه وهو على
فراشه ما دلهم عليه في الظلمة الا بياضه كانه قبطية بيضاء فابتدروه باسيافهم ووضع
عبد الله بن انيس سيفه في بطنه وتحامل عليه حتى انفذه وهو يقول قطني قطني اي
يكفيني يكفيني وعند ذلك صاحت المراة فقال بعضهم ولما صاحت المراة جعل
الرجل منا يرفع عليها سيفه ثم يتذكر نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكف يده
قال وفي رواية ان المراة لما رات السلاح ارادت ان تصيح فاشار اليها بعضنا بالسيف
فسكتت فابتدرناه باسيافنا **ه** وخرجنا من عنده وكان عبد الله بن عتيك رجلا
سيء البصر فوقع من الدرجة فوثبت رجله وثيا شديدا اي جرحت جرحا شديدا وفي
لفظ فانكسرت ساقه وفي اخرى فانخلعت رجله فعصبها بعمامته والجمع بين كسر ساقه
وخلع رجله واضح لان الانخلاع يكون من المفصل بعد ان انكسرت ساقه وانخلعت
من مفصلها ومع الكسر والانخلاع حصلت فيها جراحة ايضا واما قول ابن اسحاق
رحمه الله فوثبت يده فقيل وهم والصواب رجله كما تقدم وفي السيرة الهشامية فوثبت

يده

يده وقيل رجله وقد يقال لا مانع من حصولهما قال فحملناه حتى اتينا محلا استخفينا
فيه اي وذلك المحل من افنيتهم التي يلقون فيها كناستهم وفي لفظ انهم كمنوا في نهر
من عيونهم حتى سكن الكلب وقد يقال لا مخالفة لانهم اوقدوا النيران وتفرقوا
في كل وجه يطلبونهم اي وفي لفظ وخرج الحارث في ثلاثة الاف في اثارهم يطلبونهم
بالنيران حتى اذا يئسوا رجعوا الى عدو الله فاكتنفوه وهو بينهم يجود بنفسه فقال
بعضنا لبعض كيف نعلم ان عدو الله مات فقال رجل منهم انا اذهب فانظر لكم
فانطلق حتى دخل في الناس قال فوجدت امراته تنظر في وجهه وفي يدها المصباح
ورجال يهود حوله وهي تحدثهم وتقول اما والله لقد سمعت صوت ابن عتيك ثم اكذبت
نفسي **ه** اي وعلى الرواية الاتية انه اكذبها ثم اقبلت تنظر في وجهه ثم قالت فاظ
واله يهود اي خرجت روحه فما سمعت من كلمة كانت الذ الى نفسي منها ثم جئت واخبرت
اصحابي واحتملنا عبد الله بن عتيك وقدمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي لفظ
ان ابن عتيك لما عصب رجله انطلق حتى جلس على الباب وقال لا اخرج الليلة حتى اعلم
اني قتلته اولا فلما صاح الديك قام الناعي على السور فقال انعى ابا رافع تاجر
اهل الحجاز فانطلق يحجل الى اصحابه وقال قد قتل الله ابا رافع فاسرعوا وليتامل هذا
مع ما قبله وقوله انعى هو بفتح العين قيل والصواب انعوا لانه خبر الموت والا
الناعي ويقال له الناعية وكانت العرب اذا مات فيهم الكبير ركب راكب فرسا وسار
يذكر اوصافه ومآثره **وقد** نهى صلى الله عليه وسلم عن ذلك ولا منافاة بين كونه انطلق
يحجل الى اصحابه وكونهم حملوه لانه يجوز ان يكون عند وقوعه وحصول ما تقدم له
لم يحس بالالم لما هو فيه من الاهتمام وقدر على المشي يحجل ومن ثم جاء في بعض الروايات
فقمت امشي ما بي قلبة اي علة مهلكة فلما وصل الى اصحابه وعادى عليه المشي لحسن
بالالم فحمله اصحابه وهذا السياق يدل على ان الذي قتله عبد الله بن عتيك وحده
وهو ما في البخاري وفي لفظ ان الذي كسرت رجله ابو قتادة لانهم لما قتلوه وخرجوا
نسي ابو قتادة قوسه فرجع اليها واخذها فاصيبت رجله فشدها بعمامته فلحق
باصحابه وكانوا ياتينا وبون يحملونه حتى قدموا المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فبشرهم فرب ايمن لي لما رآنا افلحت الوجوه قلنا افلح وجهك يا رسول الله **ه** واخبرناه
بقتل عدو الله واختلفنا عنده صلى الله عليه وسلم في قتله كل منا ادعاه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هاتوا اسيافكم فجئناه بها فنظر اليها فقال لسيف عبد الله بن انيس
هذا قتله ارى فيه اثر الطعام **قال** واخبرناه بقتل عدو الله واختلفنا عنده واثنا
في الصحيح كما علمت ان عبد الله بن عتيك هو الذي انفرد بقتله وان عدو الله كان

عيص بارض الحجاز ولا منافاة لان خيبر من الحجاز اى من قراه وريفه فلما دنوا من خيبر وقد غربت الشمس وراح الناس لسرحهم قال عبد الله لاصحابه اجلسوا مكانكم فانى منطلق ومتلطف للبواب لعلى ان ادخل فاقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوبه كانه يقضى حاجته وقد دخل الناس فهتف به البواب ثم تقنع بثوبه كانه يقضى حاجته وقد دخل الناس فهتف به البواب يا عبد الله ناداه بذلك كما ينادى الشخص شخصا لا يعرفه وهو يظن انه من اهل الحصن ان كنت تريد ان تدخل فادخل فانى اريد ان اغلق الباب فدخل وكمن فلما اغلق الباب علق المفاتيح قال ثم اخذتها ففتحت الباب وكان ابو رافع يسمر عنده فلما ذهب عنه اهل سمره صعدت اليه فجعلت كلما فتحت بابا اغلقته على من داخل حتى انتهيت اليه فاذا هو فى بيت مظلم وسط عياله لا ادرى اين هو من البيت قلت ابا رافع قال من هذا فاهويت اليه نحو الصوت فضربته بالسيف فما اغنيت شيا وصاح فخرجت من البيت اى وعند ذلك قالت له امرأته يا ابا رافع هذا صوت عبد الله بن عتيك قال ثكلتك امك واين عبد الله بن عتيك قال ابن عتيك ثم عدت وقلت له ما هذا الصوت يا ابا رافع قال لامك الويل ان رجلا فى البيت ضربنى بالسيف فهويت اليه فضربته اخرى فلم تغن شيا فتواريت ثم جئت كهيئة المغيث وغيرت صوتى واذا هو مستلق على ظهره فوضعت السيف فى بطنه وتحاملت عليه حتى سمعت صوت العظم ثم جئت الى الدرجة فوقعت فانكسرت رجلى فعصبتها بعمامتى فانطلقت الى اصحابى وقلت النجاة قد قتل الله ابا رافع فانتهيت الى النبى صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال ابسط رجلك فمسحها فكانى لم اشتكها قط وعادت كاحسن ما كانت انتهى اى وهذا ما فى البخارى وفيه فى رواية اخرى ان ابن عتيك قال لما وضعت السيف فى بطنه وتحاملت عليه حتى سمعت صوت العظم خرجت دهشا حتى اتيت السلم اى الذى صعدت فيه اريد ان انزل فاسقطت منه فانخلعت رجلى فعصبتها فاتيت اصحابى احجل فقلت انطلقوا فبشروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانى لا ابرح حتى اسمع الناعية فلما كان فى وجه الصبح صعد الناعية فقال انعى ابا رافع فقمت امشى ما بى قلبة فادركت اصحابى قبل ان ياتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبشرته وفى سيرة الحافظ الدمياطى انهم مكثوا فى ذلك المحل الذى استخفوا فيه يومين حتى سكن عنهم الطلب وينبغى النظر الى وجه الجمع بين ما ذكر

سرية زيد بن حارثة رضى الله تعالى عنه الى القردة بفتح القاف والرا وقيل بالدال مفتوحة وقيل بكسرها وسكون الرا وقدمه فى الاصل على الاول اسم ما وسببها ان قريشا لما كانت وقعة بدر خافوا الطريق التى كانوا يسلكونها الى الشا

من على بدر فسلكوا طريقا اخرى من جهة العراق فخرج عير لهم فيها اموال لهم كثيرة جدا من تلك الطريق يريدون الشام واستأجروا رجلا يدلهم على الطريق وكان ذلك الرجل ممن هرب من اسارى بدر وفى ذلك العير من اشراف قريش ابو سفيان وصفوان بن امية وعبد الله بن ابى ربيعة وحويطب بن عبد العزى فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة فى مائة راكب وهى اول سرية لزيد بن حارثة خرج فيها اميرا فصادف تلك العير على ذلك الما فاصاب العير وافلت القوم واسروا دليلهم وقدم زيد رضى الله عنه بتلك العير على رسول الله صلى الله عليه وسلم فخمسها فبلغ الخمس قيمته عشرون الف درهم واتى بذلك الاسير الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له ان تسلم تترك اى من القتل فاسلم فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسن اسلامه بعد ذلك **سرية ابى سلمة عبد الله بن عبد الاسد** وهو ابن عمته صلى الله عليه وسلم برة بنت عبد المطلب واخوه من الرضاعة ارضعتهما ثويبة كما تقدم الى قطن اى وهو جبل وقيل ما من مياه بنى اسد وسببها انه بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان طليحة وسلمة ابنى خويلد قد سارا فى قومهما ومن اطاعهما الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم اى اخبره بذلك رجل من طى قدم المدينة لزيارة بنت اخته بها فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا سلمة المذكور وعقد له لوا وبعث معه مائة وخمسين رجلا من الانصار والمهاجرين وخرج الرجل المخبر له صلى الله عليه وسلم دليلا لهم وقال له صلى الله عليه وسلم سر حتى تنزل ارض بنى اسد فاغر عليهم قبل ان يتلاقى عليك جموعهم فاغذ السير اى بفتح الهمزة والغين المعجمة والذال المعجمتين اى اسرع ونكب اى بفتح الكاف المخففة عدل عن سنن الطريق وسار بهم ليلا ونهارا ليسبق الاخبار فانتهى الى ما من مياههم فاغار على سرح لهم واسر ثلاثة من الرعاة وافلت سايرهم ففرق ابو سلمة اصحابه ثلاث فرق فرقة بقيت معه وفرقتان اغارتا فى طلب النعم والشا والرجال فما اصابوا الا شا ولم يلقوا احدا فانحدر ابو سلمة بذلك كله الى المدينة **قال** وقيل انه اخرج صفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك عبدا اى لانه صلى الله عليه وسلم كان يباح له اخذ الصفى وهو ما يختاره او يختاره له امير السرية قبل القسمة من الفى او الغنيمة من جارية او غيرها كما تقدم واخرج الخمس ثم قسم ما بقى بين اصحابه فاصاب كل انسان سبعة ابعرة اى وطليحة هذا كان يعد بالف فارس قدم عليه صلى الله عليه وسلم فى بعض الوفود واسلم ثم ارتد وادعى النبوة وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقويت شوكته ثم اسلم بعد وفاة ابى بكر وحسن اسلامه وحج فى زمن عمر ولم يعرف لاخيه سلمة اسلام **بعث عبد الله بن انيس الى سفيان بن خالد**

الهذلي ثم اللحياني بكسر اللام وفتحها وسبب ذلك انه بلغه عليه الصلاة والسلام ان سفيان المذكور قد جمع الجموع لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث عبد الله بن انيس ليقتله فقال صفه لي يا رسول الله فقال اذا رايته هبته وفرقت اي خفت منه وذكرت الشيطان فقال عبد الله يا رسول الله ما فرقت من شيء قط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى انك تجد له قشعريرة اذا رايته فقال عبد الله فاستاذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اقول اي ما اتوصل به اليه من الحيلة فاذن لي اي قال لي قل ما بدا لك اي وقال انتسب الى خزاعة ه قال عبد الله بن انيس فسرت حتى اذا كنت ببطن عرنة وهو واد بقرب عرفة لقيته يمشي اي متوكئا على عصا يهد بها الارض ووراءه الاحابيش اي اخلاط الناس ممن انضم اليه فعرفته بنعت رسول الله صلى الله عليه وسلم لاني هبته وكنت لا اهاب الرجال فقلت صدق الله ورسوله اي وكان وقت العصر فخشيت ان يكون بيني وبينه محاولة تشغلني عن الصلاة فصليت وانا امشي نحوه اومئ براسي فلما انتهيت اليه قال لي من الرجل فقلت رجل من خزاعة سمعت بجمعك لمحمد فجئت لاكون معك قال اجل انى لاجمع له فمشيت معه بجمعكم لمحمد فجئت لاكون معك قال اجل انى لاجمع له فمشيت معه ساعة فحدثته فاستحلى حديثي اي وكان فيما حدثته به ان قلت له عجبت لما احدث محمد من هذا الدين المحدث فارق الآباء وسفه احلامهم فقال انه لم يلق احدا يشبهني ولا يجلس فناله فلما انتهى الى خبائه وتفرق عنه اصحابه قال لي يا اخا خزاعة هلم فدنوت منه فقال اجلس فجلست معه حتى اذا هدأ الناس وناموا اغتررته فقتلته واخذت راسه ثم دخلت غارا في الجبل وضربت العنكبوت اي نسجت على الغار وجاء الطلب فلم يجدوا شيئا فانصرفوا راجعين ثم خرجت فكنت اسير الليل واتوارى النهار حتى قدمت المدينة فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فلما راني قال افلح الوجه قلت افلح وجهك يا رسول الله فوضعت راسه بين يديه واخبرته خبري فدفع الي عصا وقال تخصر بهذه في الجنة اي توكأ عليها فان المتخصرين في الجنة قليل ه فكانت تلك العصا عنده فلما حضرته الوفاة اوصى اهله ان يدخلوها في كفنه يجعلوها بين جلده وكفنه ففعلوا اي وفي رواية القاموس ذو المخصرة اي كمكنسة بكسر الميم عبد الله بن انيس رضي الله عنه وهذه القصة وقصة كعب بن الاشرف ترد على الزهري قوله لم يحمل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة راس قط وحمل الى ابي بكر رضي الله تعالى عنه راس فكره ذلك ه واول من حملت اليه الرؤوس عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما وفيه انه لما قتل الحسين وجماعة من اهل بيته بعث ابن زياد قبحه الله تعالى برؤوسهم الى يزيد بن معاوية وابن الزبير رضي الله تعالى عنه لم يبايع بالخلافة الا بعد

موت

موت يزيد ومضي مدة خلافة ابنه معاوية رضي الله عنه الذي خلع نفسه وهي اربعون يوما ولعل ارسال راس الحسين ومن معه كان قبل راس عبد الله بن الحمق ملابسا في قول ابن الجوزي اول راس حمل في الاسلام اي من المسلمين راس عبد الله بن الحمق وذلك انه لدغ فمات فخشيت الرسل ان تتهم فقطعوا راسه فحملوه ثم رايت ابن الجوزي قال قال ابن حبيب نصب معاوية رضي الله تعالى عنه راس عمرو بن الحمق ونصب يزيد بن معاوية راس الحسين رضي الله تعالى عنه وقول الزهري الى المدينة لا يخالف ما في النور تقدم في غزوة بدر كم من راس حمل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم لان تلك الرؤوس لم تحمل اليه ذلك اليوم الا راس ابي جهل على ما تقدم

سرية الرجيع

وفي الاصل بعث الرجيع بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة وقيل ستة عيونا الى مكة يتجسسون اخبار قريش ليأتوه بها وامر عليهم عاصم بن ثابت الانصاري رضي الله تعالى عنه ويقال له ابن ابي الافلح بالفاء وقيل امر عليهم مرثد الغنوي رضي الله عنه حليف عمه صلى الله عليه وسلم حمزة رضي الله تعالى عنه ومرثد بفتح الميم واسكان الراء وبالمثلثة والغنوي بغين معجمة اي وكان مرثد هذا يحمل الاسرى ليلا من مكة حتى ياتي بهم المدينة فوعد رجلا من الاسرى بمكة ان يحمله قال فجئت حتى انتهيت الى حائط من حيطان مكة في ليلة مقمرة فجاءت عناق وكانت في جملة البغايا بمكة فرات ظلي في جانب الحائط فلما انتهت الي عرفتني فقالت مرثد قلت مرثد قالت مرحبا واهلا هلم بت عندنا الليلة فقلت يا عناق ان الله حرم الزنا فدلت علي حمزة في اسرى تاتيه رجال فتواريت في كهف بالخندمة فجاءوا على مخرجي وحتى وقفوا على راسي فاعماهم الله عني فلما رجعوا رجعت لصاحبي فحملته وكان رجلا ثقيلا حتى انتهيت الى بعل ففككت عنه قيده ثم جعلت احمله حتى قدمت المدينة ثم استشرته صلى الله عليه وسلم انكح عناقا فامسك عني حتى نزلت آية الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين فدعاني صلى الله عليه وسلم فتلاها علي ثم قال لي لا تتزوجها اي قطعها وفي تفسير الجلال المحلي ان الآية نزلت في بغايا المشركين لما هم فقراء المهاجرين ان يتزوجوهن وهن موسرات لينفقن عليهم فقيل التحريم خاص بهم وقيل عام ونسخ بقوله وانكحوا الايامى منكم الآية وفيه ان عند فقهائنا يحرم على المسلم نكاح من تعبد الاصنام وان لم تكن بغيا ومن جملة العشرة عبد الله بن طارق وخبيب بن عدي تصغير خب وهو المكار من الرجال الخداع وزيد بن الدثنة بفتح الدال المهملة وكسر الثاء المثلثة وقد تسكن ثم نون مفتوحة ثم تاء تانيث مقلوب من الدثن والدثن استرخاء اللحم فخرجوا اي يسيرون الليل ويكمنون النهار حتى اذا كانوا بالرجيع وهو ماء لهذيل بين مكة وعسفان لقيهم

قوم سفيان بن خالد الهذلي الذي قتله عبد الله بن انيس وجاء براسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم وقومه وهم بنو لحيان فانهم ذكروا لهم فنفروا اليهم بما يقرب من مائة رام اي ولا يخالف ما في الصحيح قريبا من مائة رجل فاقتفوا آثارهم حتى وجدوا نوى تمر اكلوه في منزل نزلوه اي فان منهم امراة كانت ترعى غنما فرات النوى فقالت هذا تمر يثرب فصاحت في قومها اتيتم فتبعوهم الى ان وجدوهم في المحل المذكور فلما احس بهم لجؤوا الى موضع من جبل هناك اي صعدوا اليه فاحاطوا بهم وقالوا لهم انزلوا ولكم العهد اي ان لا نقتل منكم احدا فقال عاصم رضي الله عنه اما انا فلا انزل على ذمة اي امان وعهد كافر فرموهم بالنبل فقتلوا عاصما اي وستة منهم وصار عاصم يرميهم بالنبل وينشد ابياتا منها

المون حق والحياة باطل ۝ وكلما قضى الاله نازل
بالمرء والمرء اليه آيل

ولا زال يرميهم حتى فنيت نبله ثم طاعنهم حتى انكسر رمحه ثم سل سيفه وقال اللهم اني حميت دينك صدر النهار فاحم لحمي آخره ونزل اليهم ثلاثة على العهد وهم خبيب وزيد وعبد الله بن طارق فلما استمكنوا منهم اطلقوا اوتار قسيهم فربطوا خبيبا وزيدا وامتنع عبد الله وقال هذا اول الغدر اي ترك الوفاء بالعهد والله لا اصحبكم ان لي بهؤلاء يعني القتلى اسوة فعالجوه فابى ان يصحبهم فقتلوه كما في الصحيح وقيل صحبهم الى ان كانوا بمر الظهران يريدون مكة انتزع عبد الله يده منهم ثم اخذ سيفه واستاخر عن القوم فرموه بالحجارة حتى قتلوه فانطلقوا بخبيب وزيد اي ودخلوا بهما مكة في ذي القعدة فباعوهما باسيرين من هذيل كانا بمكة اي وقيل بيع كل بخمسين من الابل ۝ اي وقيل بيع خبيب بامة سوداء فابتاع بنو الحارث بن عامر خبيبا قيل لانه قتل الحارث يوم بدر كما في البخاري وتعقب بان المعروف عندهم ان الذي قتله علي كرم الله وجهه وخبيب بن عدي هذا الاوسي لم يشهد بدرا عند احد من اصحاب المغازي اي وقيل في هذا تضعيف للحديث الصحيح ثم رايت الحافظ ابن حجر ذكر انه يلزم من هذا رد الحديث الصحيح ولو لم يقتل خبيب بن عدي الحارث بن عامر ما كان لاعتناء آل الحارث بشرائه وقتله به معنى الا ان يقال لكونه من قبيلة قاتله وهم الانصار وابتاع زيدا صفوان بن امية رضي الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك ليقتله بابيه فحبسوهما الى ان تنقضي الاشهر الحرم واستعار خبيب رضي الله تعالى عنه وهو محبوس موسى من بنت الحارث وفي الصحيح من بعض بنات الحارث ليستحد بها اي يحلق بها عانته فدرج ابن لها صغير وهي غافلة حتى اتى الى خبيب فاجلسه خبيب رضي الله تعالى عنه على فخذه والموسى بيده

فلما

فلما رات ابنها على تلك الحالة فزعت فزعة عرفها خبيب رضي الله تعالى عنه فقال اتخشين ان اقتله ما كنت لافعل ذلك ان شاء الله تعالى وذلك بكسر الكاف لانه خطاب للمؤنث وتروى انه اخذ بيد الغلام وقال هل امكن الله منكم فقالت المراة ما كان هذا ظني بك فرمى لها بالموسى وقال انما كنت مازحا ما كنت لاغدر وفي السيرة الهشامية ان تلك المراة قالت قال لي يعني خبيبا رضي الله تعالى عنه حين حضره القتل ابعثي الي بحديدة اتطهر بها للقتل اي وقد كان رضي الله عنه قال لها اذا ارادوا قتلي فاذنيني فلما ارادوا قتله آذنته فطلب منها تلك الحديدة قالت فاعطيت غلاما من الحي الموسى فقلت له ادخل بها على هذا الرجل البيت قالت فوالله لما دخل عليه الغلام قلت والله اصاب الرجل ثاره بقتل هذا الغلام ويكون الرجل برجل فلما ناوله الحديدة اخذها من يده ثم قال لعمرك ما خافت امك غدري حين بعثتك بهذه الحديدة الي ثم خلى سبيله ويقال ان الغلام ابنها ويرشد اليه قول خبيب ما خافت امك وكانت بنت الحارث تقول والله ما رايت اسيرا خيرا من خبيب والله لقد وجدته يوما اي وقد اطلعت عليه من شقوق الباب ۝ ياكل قطفا من عنب في يده اي مثل راس الرجل ۝ وانه لموثق بالحديد وما بمكة ثمرة وفي رواية ولا اعلم في ارض الله عنبا يوكل اي واستدل ايضا بقصة خبيب هذه على انه يستحب لمن اشرف على الموت ان يتعهد نفسه بتقليم اظفاره واخذ شعر شاربه وابطه وعانته ولعل ذلك كان بلغ النبي صلى الله عليه وسلم واقره فلما انقضت الاشهر الحرم بانقضاء ذي الحجة خرجوا بخبيب من الحرم ليقتلوه في الحل فلما قدم للقتل قال لهم دعوني اصلي ركعتين فتركوه فركع ركعتين وقال لهم والله لولا ان تحسبوا ان ما بي من جزع لزدت ثم قال اللهم احصهم عددا واقتلهم بددا اي متفرقين واحدا بعد واحد ولا تبق منهم احدا اي الكفار وقد قتلوا في الخندق متفرقين قال ذكر انهم لما خرجوا به ليقتلوه خرج النساء والصبيان والعبيد فلما انتهوا به الى التنعيم امروا بخشبة طويلة فحفروا لها فلما انتهوا بخبيب اليها وبعد صلاته الركعتين صلبوه على تلك الخشبة اي ليراه الوارد والصادر فيذهب بخبره الى الاطراف ثم قالوا له ارجع عن الاسلام نخل سبيلك وان لم ترجع لنقتلنك قال ان قتلي في سبيل الله لقليل اللهم انه ليس هنا احد يبلغ رسولك عني السلام فبلغه انت عني السلام وبلغه ما صنع بنا وعن اسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع اصحابه فاخذه ما كان ياخذه عند نزول الوحي فسمعناه يقول وعليه السلام ورحمة الله وبركاته فلما سري عنه صلى الله عليه وسلم قال هذا جبريل يقرئني من خبيب السلام خبيب قتلته قريش وقد جاء ان المشركين دعوا اربعين ولدا ممن قتل اباؤهم يوم بدر فاعطوا كل واحد رمحا وقالوا

هذا الذي قتل اباكم فطعنوه بتلك الرماح حتى قتلوه ووكلوا بتلك الخشبة اربعين
رجلا فارسل صلى الله عليه وسلم المقداد والزبير بن العوام رضي الله عنهما في انزال
خبيب عن خشبته وفي لفظ قال ايكم ينزل خبيبا عن خشبته وله الجنة فقال له الزبير
ابن العوام انا يا رسول الله وصاحبي المقداد بن الاسود فجاءا فوجدا عندها اربعين
رجلا لكنهم سكارى نياما فانزلاه وذلك بعد اربعين يوما من صلبه وموته وحمله
الزبير رضي الله تعالى عنه على فرسه وهو رطب لم يتغير منه شيء فشعر بهما المشركون وكانوا
سبعين رجلا فتبعوهما فلما لحقوا بهما قذفه الزبير رضي الله تعالى عنه فابتلعته الارض
انتهى ومن ثم قيل له بليع الارض اي وكشف الزبير رضي الله تعالى عنه العمامة عن
رأسه وقال لهم انا الزبير بن العوام وصاحبي المقداد بن الاسود اسدان رابضان يذبان
عن شبلهما فان شئتم ناضلتكم وان شئتم نازلتكم وان شئتم انصرفتم فانصرفوا عنهما
وقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكان عنده صلى الله عليه وسلم جبريل
عليه السلام فقال له جبريل يا محمد ان الملائكة تتباهى بهذين الرجلين من اصحابك ❊
فنزل فيهما ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله الاية وتقدم انه قيل انها
نزلت في علي كرم الله وجهه لما نام على فراشه صلى الله عليه وسلم ليلة ذهابه الى الغار
وقيل انها نزلت في حق صهيب لما اراد الهجرة ومنعه منها قريش فجعل لهم ثلث ماله
او كل ماله كما تقدم ورأيت بعضهم هنا قال انها نزلت في صهيب رضي الله تعالى عنه لما اخذه
المشركون ليعذبوه فقال لهم اني شيخ كبير لا يضركم امنكم كنت او من غيركم فهل لكم ان تأخذوا
مالي وتدعوني وديني ففعلوا وفي كلام ابن الجوزي ان عمرو بن امية هو الذي انزل خبيبا فعنه
رضي الله عنه قال جئت الى خشبة خبيب فرقيت فيها فحللته فوقع الى الارض ثم التفت فلم
ار خبيبا ابتلعته الارض وهذا هو الموافق لما في السيرة الهشامية وان ذلك كان حين
ارسله صلى الله عليه وسلم والانصاري لقتل ابي سفيان بن سنان كما سيأتي ان شاء الله اي
وكان خبيب رضي الله تعالى عنه تحرك على الخشبة فانقلب وجهه عن القبلة الى الكعبة
فقال اللهم ان كان لي عندك خير فحول وجهي نحو قبلتك فحوله الله وجهه نحوها فقال الحمد
لله الذي جعل وجهي نحو قبلته التي رضي لنفسه ولنبيه عليه الصلاة والسلام وللمؤمنين
ودعا عليهم خبيب رضي الله تعالى عنه فقال اللهم احصهم عددا واقتلهم بددا ولا
تغادر منهم احدا قال معاوية بن ابي سفيان رضي الله تعالى عنهما فالقى ابو سفيان ❊
بنفسه الى الارض على جنبه خوفا من دعوة خبيب رضي الله تعالى عنه لانهم كانوا يقولون
ان الرجل اذا دعي عليه فاضطجع لجنبه زالت عنه اي لم تصبه تلك الدعوة وقد
ولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه سعيد بن عامر رضي الله تعالى عنه على بعض اجناد

الشام فقيل له انه مصاب يلحقه غشي فاخذ فاستدعاه فلما قدم عليه وجد معه
مزودا وعكازا وقدحا فقال له عمر رضي الله تعالى عنه ليس معك الا ما ارى فقال له
وما اكثر من هذا يا امير المؤمنين مزودا اضع فيه زادي وعكازي احمل به ذلك
وقدحي آكل فيه فقال له عمر رضي الله تعالى عنه ابك لمم فقال لا قال فما غشية بلغني
انها تصيبك فقال والله يا امير المؤمنين ما بي من بأس ولكني كنت فيمن حضر خبيبا
ابن عدي حين قتل وسمعت دعوته فوالله ما خطرت على قلبي وانا في مجلس قط الا
وغشي علي فزاده ذلك عند عمر رضي الله تعالى عنه خيرا ووعظ عمر فقال له من يقدر
على ذلك فقال له انت يا امير المؤمنين انما هو ان يقال فتطاع فقال له عمر رضي الله
تعالى عنه ارجع الى عملك فابى فناشده الا عفاه فعفاه وكان خبيب رضي الله تعالى
عنه هو الذي سن لكل مسلم قتل صبرا الصلاة اي لانه صلى الله عليه وسلم بلغه ذلك
عنه فاستحسنه فكان سنة اي وهذا يدل على ان واقعة زيد بن حارثة متأخرة عن
قصة خبيب رضي الله تعالى عنه لكن في النور والمعروف ان زيد بن حارثة صلاهما
قبل خبيب بزمن طويل وفي الينبوع ان قصة زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهما
كانت قبل الهجرة اي وكان ابن سيرين رحمه الله اذا سئل عن الركعتين قبل
القتل قال صلاهما خبيب رضي الله عنه وحجر وهما فاضلان ويعني بحجر حجر بن
عدي رضي الله تعالى عنه فان زيادا والي العراق من قبل معاوية رضي الله تعالى عنه
وشى به الى معاوية فامر معاوية باحضاره فلما قدم على معاوية قال له السلام
عليك يا امير المؤمنين قال معاوية رضي الله تعالى عنه او امير المؤمنين انا اضربوا
عنقه فلما قدم للقتل قال دعوني اصلي ركعتين فصلاهما خفيفتين ثم قال رضي الله
عنه لولا ان يظنوا بي غير الذي بي لاطلتهما ثم قتل هو وخمسة من اصحابه **ولما**
حج معاوية رضي الله عنه وجاء المدينة زائرا استأذن على عائشة رضي الله تعالى
عنها فاذنت له فلما قعد قالت له اما خشيت الله في قتل حجر واصحابه قال انما قتلهم
من شهد عليهم **وقصة زيد** بن حارثة رواها الليث بن سعد قال بلغني
ان زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهما اكترى بغلا من رجل بالطائف فمال به ذلك الرجل
الى خربة وقال له انزل فنزل زيد رضي الله تعالى عنه فاذا في الخربة المذكورة قتلى كثيرة
فلما اراد ان يقتله قال له دعني اصلي ركعتين اي لانه رأى ان الصلاة خير ما ختم
به عمل العبد قال صل فقد صلى قبلك هؤلاء فلم تنفعهم صلاتهم شيئا وهذا يدل على ان
المقتولين كلهم كانوا مسلمين قال فلما صليت اتاني ليقتلني فقلت يا ارحم الراحمين
قال فسمع صوتا يقول لا تقتله فهاب ذلك فخرج يطلبه فلم ير شيئا فرجع الى فنادى

يا ارحم الراحمين فعل ذلك ثلاثا فاذا بفارس على فرس في يده حربة حديد في رأسها
شعلة نار فطعنه بها فانفذها من ظهره فوقع ميتا ثم قال لما دعوت الاولى يا ارحم الراحمين
كنت في السما السابعة فلما دعوت المرة الثانية يا ارحم الراحمين كنت في سما الدنيا
فلما دعوت الثالثة اتيتك **اقول** وقد وقع مثل ذلك لرجل من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الانصار يكنى ابا معلق وكان يتجر بمال له ولغيره يسافر به في الآفاق وكان ناسكا
ورعا فخرج مرة في بعض اسفاره فلقيه لص مقنعا في السلاح فقال له ضع ما معك فاني
قاتلك فقال له ما تريد من دمي فشانك والمال فقال اما المال فلي ولست اريد الا دمك فقال
ذرني اصلي ركعتين فقال صل ما شئت فتوضأ ثم صلى اربع ركعات ثم دعا في آخر سجدة
فقال يا ودود يا ذا العرش المجيد يا فعال لما تريد اسألك بعزك الذي لا يرام وملكك
الذي لا يضام وبنورك الذي ملا اركان عرشك ان تكفيني شر هذا اللص يا مغيث
اغثني وكرر ذلك ثلاث مرات فاذا هو بفارس قد اقبل بيده حربة وضعها بين اذني
فرسه فلما بصر به اللص اقبل نحوه فطعنه الفارس فقتله ثم اقبل الى ابي معلق فقال
قم فقال من انت بابي انت وامي فلقد اغاثني الله بك اليوم قال انا ملك من اهل
السما الرابعة دعوت بدعائك الاول فسمعت لابواب السما قعقعة ثم دعوت بدعائك
الثاني فسمعت لاهل السما ضجة ثم دعوت بدعائك الثالث فقيل لي دعا مكروب
فسألت الله ان يوليني قتله قال انس رضي الله عنه من فعل ذلك استجيب له مكروبا
كان او غير مكروب اي **وقد وقع نظير هذه المسألة** اي من
حيث اقراره صلى الله عليه وسلم على فعل غيره وهو انهم كانوا ياتون الصلاة وقد سبقهم
النبي صلى الله عليه وسلم ببعضها فكان الرجل يشير الى الرجل كم صلى فيقول واحدة
او اثنتين فيصليهما وحده ثم يدخل مع القوم في صلاتهم فجاء معاذ رضي الله تعالى
عنه فقال لا اجده صلى الله عليه وسلم على حال ابدا الا كنت عليها ثم قضيت ما سبقني فجاء
وقد سبقه النبي صلى الله عليه وسلم ببعضها فثبت معه فلما قضى رسول الله صلى الله
عليه وسلم صلاته قام فقضى ما عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد سن لكم
معاذ فهكذا فاصنعوا اي وكان هذا قبل قوله صلى الله عليه وسلم ما ادركتم فصلوا وما
فاتكم فاتموا **واخرج صفوان** بن امية رضي الله عنه زيدا رضي الله عنه الى الحل
مع مولى له ليقتله به واجتمع عند قتله رهط من قريش فيهم ابو سفيان بن حرب فلما
قدم للقتل قال له ابو سفيان رضي الله عنه انشدك الله يا زيد اتحب محمدا الآن عندنا
مكانك تضرب عنقه وانت في اهلك فقال والله ما احب ان محمدا الآن في مكانه الذي
هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه واني جالس في اهلي فقال ابو سفيان رضي الله تعالى عنه

ما رأيت

ما رأيت من الناس احدا يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا ونقل مثل ذلك عن خبيب
رضي الله تعالى عنه اي فانهم لما وضعوا السلاح في خبيب رضي الله تعالى عنه وهو مصلوب
ناشدوه وناشدهم اتحب ان محمدا مكانك قال لا والله ما احب ان يفديني بشوكة في قدمه
ثم قتل ذلك المولى اي طعنه برمح في صدره حتى انفذه من ظهره وقيل رمي بالنبل
وارادوا فتنته عن دينه فلم يزدد الا ايمانا **ولما قتل عاصم** رضي الله عنه
وزيد رضي الله عنه اي الذي هو امير هذه السرية على ما تقدم ارادت هذيل اخذ رأسه
ليبيعوه من سلافة بنت سعد ام مسافع وجلاس ابني طلحة بن ابي طلحة بن عبد الدار
وكلام بعضهم يقتضي انها اسلمت بعد فان عاصما هذا كما تقدم قتل يوم احد ولديها
كلاهما اشعره سهما وكان ياتي اليها اصابه السهم ويضع رأسه في حجرها فتقول يا بني
من اصابك فيقول سمعت رجلا يقول حين رماني خذها وانا ابن ابي الاقلح فنذرت ان
قدرت على رأسه لتشربن في قحفه الخمر وجعلت لمن يجيء برأسه مائة ناقة كما تقدم
فحالت الدبر بفتح الدال المهملة وسكون الباء الموحدة وهي الزنابير بينهم وبين عاصم
كلما قدموا على قطعه طارت في وجوههم ولدغتهم فقالوا دعوه حتى يمسي فناخذه فبعث
الله الوادي اي سال فاحتمل السيل عاصما فذهب به حيث اراد الله فسمي حمي الدبر وبعث
ناس من قريش لما بلغهم قتل عاصم في طلب جسده او شيء منه يعرفونه اي ليمثلوا به لانه
قتل عظيما من عظمائهم **قال** قال الحافظ ابن حجر لعله عقبة بن ابي معيط فان عاصما
قتله صبرا باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان انصرفوا من بدر اي كما تقدم
قال وكان قريشا لم تشعر بما جرى لهذيل من منع الزنابير لهم عن عاصم او شعروا بذلك
ورجوا ان الزنابير تركته اي ولم يشعروا بان السيل اخذه انتهى اي وقد كان عاصم
رضي الله عنه دعا الله ان لا يمس مشركا ولا يمسه مشرك في حياته وتقدم هنا انه دعا
الله ان يحمي لحمه فاستجاب الله له فلم يحصل له ذلك لا في حياته ولا بعد موته اي **وفي**
كلام بعضهم لما نذر عاصم ان لا يمس مشركا ووفى بنذره عصمه الله عن مساس سائر المشركين
اياه فصار بعاصم معصوما هذا وقيل ان هؤلاء العشرة لم يخرجوا ليأتوا بخبر قريش
وانما خرجوا مع رهط من عضل والقارة وهما بطنان من بني الهون قدموا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله ان فينا اسلاما فابعث معنا نفرا من اصحابك
يفقهونا في الدين ويقرئونا القرآن ويعلمونا شرائع الاسلام فبعث صلى الله عليه وسلم
اولئك النفر فساروا حتى اذا كانوا على الرجيع استصرخوا عليهم هذيلا فلم يشعروا
الا والرجال بايديهم السيوف فذعروهم فاخذوا اسيافهم ليقاتلوا القوم فقالوا
لهم والله لا نريد قتلكم ولكنا نريد ان نصيب بكم شيئا من اهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه

ان لا نشغلكم فابوا الحديث والحافظ الدمياطي رحمه الله تعالى اقتصر على هذا الثاني
وان اميرهم كان مرثد الغنوي رضي الله تعالى عنه فقال سرية مرثد الغنوي الى الرجيع قال
قدم رهط من عضل والقارة فقالوا يا رسول الله ان فينا اسلاما الحديث لكنه في سياق
القصة قال وامر عليهم عاصما وقيل مرثدا رضي الله تعالى عنهما واخر هذه السرية عن السرية
التي بعدها التي هي سرية القرا الى بير معونة **سرية القرا** رضي الله تعالى
عنه الى بير معونة لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو عامر بن مالك ملاعب
الاسنة اي ويقال له ملاعب الاسنة اي ويقال له ملاعب الرماح وهو راس بني عامر اي
ويقال له ايضا ابو برا بالمد لا غير وهو عم عامر بن الطفيل عدو الله اي واهدى للنبي صلى
الله عليه وسلم فرسين وراحلتين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اقبل هدية من
مشرك وفي رواية نهيت عن عطايا المشركين **اقول** وفي كلام السهيلي انه اهدى للنبي
فرسا وارسل اليه اني قد اصابني وجع فابعث الي بشي اتداوى به فارسل اليه صلى
الله عليه وسلم بعكة عسل وامره ان يستشفي به وقال نهيت عن زبد المشركين قال
السهيلي والزبد مشتق من الزبد لانه نهى عن مداهنتهم والملاينة لهم كان المداهنة مشتقة
من الدهن فرجع المعنى الى اللين كذا قال ولعل هذا كان بعد ما تقدم ويحتمل ان يكون
قبله وهو الاقرب والله اعلم فلما قدم عليه ابو عامر عرض عليه صلى الله عليه وسلم الاسلام
ودعاه اليه فلم يسلم ولم يبعد عن الاسلام اي وقال اني ارى امرك هذا امرا حسنا شريفا
اي ولم يسلم بعد ذلك على الصحيح خلافا لمن عده في الصحابة ثم قال يا محمد لو بعثت رجالا من
اصحابك الى اهل نجد اي وهم بنو عامر وبنو سليم فدعوتهم الى امرك رجوت ان يستجيبوا
لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني اخشى اهل نجد عليهم قال ابو برا انا لهم جار
وهم في جواري وعهدي فابعثهم فليدعوا الناس الى مثل امرك رجوت ان يستجيبوا لك وخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو برا الى ناحية نجد واخبرهم انه قد اجار اصحاب محمد فبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو رضي الله تعالى عنه في اربعين وقيل في سبعين
وعليه اقتصر الحافظ الدمياطي اي لانه الذي في صحيح البخاري وقيل في ثلاثين رجلا
من اصحابه من خيار المسلمين اي وذكر الحافظ ابن حجر ان هذا القيل وهم وانه يمكن
الجمع بين كونهم سبعين وكونهم اربعين ان الاربعين كانوا رؤسا وبقية العدة
كانوا اتباعا ويقال لهولاء القرا اي لملازمتهم قراءة القران فكانوا اذا امسوا اجتمعوا
في ناحية المدينة يصلون ويتدارسون القران فيظن اهلوهم انهم في المسجد ويظن اهل المسجد
انهم في اهاليهم حتى اذا كان وجه الصبح استعذبوا من الماء واحتطبوا فجاؤوا بذلك الى
حجر النبي صلى الله عليه وسلم وفي كلام بعضهم انهم كانوا يحتطبون بالنهار ويتدارسون القران

بالليل وكانوا يبيعون الحطب ويشترون به طعاما لاهل الصفة وقد يقال
لا منافاة لجواز انهم كانوا يفعلون هذا مرة وهذا اخرى او بعضهم يفعل احد الامرين
وبعضهم يفعل الاخر وكان فيهم عامر بن فهيرة رضي الله عنه وكتب صلى الله عليه وسلم
معهم كتابا فساروا حتى نزلوا بير معونة وهي بين ارض بني عامر وحرة بني سليم والحرة
ارض فيها حجارة سود فلما نزلوها بعثوا حرام بالحاء المهملة والراء ابن ملحان وهو خال
انس بن مالك بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عدو الله عامر بن الطفيل لعنه
الله اي وهو راس بني سليم وفي لفظ سيد بني عامر وابن اخي ابي برا عامر بن مالك كما تقدم
فلما اتاه لم ينظر في كتابه حتى عدا عليه فقتله اي بعد ان قال يا اهل بير معونة اني رسول
رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم فامنوا بالله ورسوله فجاءه رجل من خلفه فطعنه
بالرمح في جنبه حتى نفذ من جنبه الاخر فقال الله اكبر فزت ورب الكعبة وقال بالدم هكذا
ينضحه على وجهه وراسه ثم استصرخ عليهم اي استغاث بني عامر فابوا ان يجيبوه الى
ما دعاهم اليه وقالوا انا لن نخفر ابا برا اي لا نزيل خفارته وننقض عهده وقد عقد
لهم عقدا وجوارا فاستصرخ عليهم قبائل بني سليم قال الحافظ الدمياطي عصية
ورعلا وذكوان زاد بعضهم وبني لحيان قال بعضهم وليس في محله **اقول** كان قائله
سرى اليه ذلك من كونه صلى الله عليه وسلم جمع بني لحيان في الدعا عليهم مع من
ذكر قبله وسياتي انه انما جمعهم معهم لانه خبر اصحاب الرجيع واصحاب بير معونة
جاءه صلى الله عليه وسلم في يوم واحد وبنو لحيان اصحاب الرجيع فدعا عليهم دعا واحدا
والله اعلم فلما دعا تلك القبائل الثلاثة التي هي عصية ورعل وذكوان اجابوه الى
ذلك ثم خرجوا حتى احاطوا بهم في رحالهم فلما راوهم اخذوا اسيافهم فقاتلوهم حتى
قتلوا الى اخرهم الا كعب بن زيد فانه بقي به رمق وحمل من المعركة فعاش بعد ذلك
حتى قتل يوم الخندق شهيدا والا عمرو بن امية الضمري رضي الله تعالى عنه ورجلا
اخر كانا في سرح القوم ولما احاطوا بهم قالوا اللهم انا لا نجد من يبلغ رسولك منا
السلام غيرك فاقرئه منا السلام فاخبره جبريل بذلك فقال وعليهم السلام اي وفي
لفظ انهم قالوا اللهم بلغ عنا نبينا صلى الله عليه وسلم انا قد لقيناك فرضينا عنك
ورضيت عنا فلما جاءه الخبر من السما قام صلى الله عليه وسلم فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان
اخوانكم قد لقوا المشركين وقتلوهم وانهم قالوا ربنا بلغ قومنا انا قد لقينا ربنا ورضينا
عنه ورضي عنا ربنا وفي لفظ فرضي عنا وارضانا فانا رسولهم اليكم انهم قد رضوا عنه
ورضي عنهم وذكر انس رضي الله تعالى عنه ان ذلك اي قولهم المذكور كان قرانا يتلى ثم
نسخت تلاوته اي فصار ليس له حكم القران من التعبد بتلاوته وانه لا يمسه الا الطاهر

ولا يصلى في صلاة الى غير ذلك من احكام القرآن فلما راى عمرو بن امية والرجل الذي
معه الطير يحوم على محل اصحابهما اى وكانا في رعاية ابل القوم كما تقدم قالا والله ان
لهذا الطير لشانا فاقبلا ينظران فاذا القوم في دمائهم واذا الخيل التي اصابتهم واقفة
فقال الرجل الذي مع عمرو ماذا ترى فقال ارى ان نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره
فقال له لكني ما كنت لارغب بنفسي عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو فاقبلا فلقيا
القوم فقتل ذلك الرجل واسروا عمرو فاخبرهم انه من مضر فاخذه عامر بن الطفيل
وجز ناصيته واعتقه عن رقبة كانت على امه فخرج عمرو حتى جاء الى ظل فجلس فيه
فاقبل رجلان حتى نزلا به معه فسالهما فاخبراه انهما من بني عامر وفي لفظ من بني
سليم وكان معهما عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعلم به عمرو فامهلهما حتى
ناما فعدا عليهما فقتلهما وهو يرى اى يظن انه قد اصاب بهما ثارا من بني عامر فلما قدم عمرو على
رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبره الخبر واخبره بقتل الرجلين فقال له لقد قتلت
قتيلين لادينهما اى لادفعن ديتهما ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عمل ابي
براء قد كنت لهذا كارها متخوفا ولما بلغ ابا براء ان عامر بن الطفيل ولد اخيه ازال خفارته
شق عليه ذلك وشق عليه ما اصاب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه فعند
ذلك حمل ربيعة بن ابي براء على عامر بن الطفيل اى الذي هو ابن عمه فطعنه بالرمح فوقع
في فخذه ووقع عن فرسه وقال ان انا مت فدمي لعمي يعني ابا براء وان اعش فسأرى رايي
اى وفي لفظ نظرت في امري وفي الاصابة ان ربيعة جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله ايغسل عن ابي هذه الغدرة ان اضرب عامر بن الطفيل ضربة
او طعنة قال نعم فرجع ربيعة فضرب عامرا ضربة اشواه منها فوثب عليه قومه
فقالوا لعامر بن الطفيل اقتص فقال قد عفوت اى وعقب ذلك مات ابو براء اسفا
على ما صنع به ابن اخيه عامر بن الطفيل من ازالة خفارته وعاش عامر بن الطفيل
ولم يمت من هذه الطعنة بل مات بالطاعون بدعائه صلى الله عليه وسلم كما سياتي في
الوفود في وفد بني عامر ه اى وقال بعضهم قد اخطأ المستغفري في عده صحابيا
ولما قتل عامر بن فهيرة رضي الله تعالى عنه رفع الى السما فلما راى ذلك اسلم اى وهو جبار
ابن سلمى اى لا عامر بن الطفيل كما وقع في بعض الروايات كما علمت وقال صلى الله عليه
وسلم اى لما بلغه قتل عامر بن فهيرة ان الملائكة وارت جثة عامر بن فهيرة اى
في الارض اى بناء على انه لما رفع الى السما وضع كما في البخاري فقد جاء ان عامر بن الطفيل قال
لعمرو بن امية رضي الله عنه واشار الى قتيل من هذا فقال له عمرو هذا عامر بن فهيرة فقال
لقد رايته بعد ما قتل رفع الى السما حتى اني لانظر الى السما بينه وبين الارض ثم وضع

وفى

وفي بعض الروايات ان عامر بن فهيرة التمس في القتلى يومئذ اى فلم يوجد فيرون ان
الملائكة رفعته وظاهرها ان الملائكة لم تصعد في الاصل بل رفعته اى ويؤيد ان عامر
ابن الطفيل لعنه الله دخل بعمرو بن امية رضي الله عنه في القتلى وصار يقول له ما اسم
هذا ما اسم هذا ثم قال له هل من اصحابك من ليس فيهم قال نعم ما رايت فيهم عامر بن فهيرة
مولى ابي بكر الصديق رضي الله عنهما قال له عامر اى رجل هو فيكم قال من افضلنا واولى اى
ومن اول المسلمين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عامر لما قتل رايته
رفع الى السما وعن انس بن مالك رضي الله عنه انه قال ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجد على احد ما وجد على اصحاب بئر معونة ومكث يدعو عليهم ثلاثين صباحا **اقول**
وفي رواية الشيخين قنت شهرا اى متتابعا يدعو على قاتلي اصحاب بئر معونة اى بعد
الاعتدال في الصلوات الخمس من الركعة الاخيرة ويحتمل ان يكون المراد بالصباح اليوم وليلته
وذكر بعض اصحابنا انه صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه في الدعا المذكور وقاس عليه رفعهما
في قنوت الصبح وروى الحاكم انه صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه في قنوت الصبح واستدل
اصحابنا على استحباب القنوت للنازلة في سائر المكتوبات بقنوته ودعائه على قاتلي
اصحاب بئر معونة وفي بعض السير فدعا النبي صلى الله عليه وسلم شهرا عليهم في صلاة
الغداة وفي لفظ يدعو في الصبح وذلك بدو القنوت وما كان يقنت رواه الشيخان
وقد سئل الجلال السيوطي هل جمع صلى الله عليه وسلم على من قتل اصحابه كان
عقب فراغه من القنوت المعروف او كان الدعا هو قنوته فاجاب رحمه الله بانه لم
يقف على شيء من الاحاديث يدل على انه صلى الله عليه وسلم جمع بين القنوت والدعا قال بل
ظاهر الاحاديث انه اقتصر على الدعا اى فيكون قنوته هو الدعا وهو الموافق لقول اصحابنا
ويستحب القنوت في اعتدال اخرة صبح مطلقا واخر سائر المكتوبات اى باقيها للنازلة
وهو اللهم اهدنا الخ في النازلة في القنوت للتهجد والله اعلم وفي رواية انه يدعو على الذين
اصابوا الصحابة في الموضعين اى بئر معونة والرجيع دعاء واحدا لانه صلى الله عليه وسلم جاءه خبرهما
في وقت واحد كما تقدم وادخل البخاري رحمه الله بئر معونة مع بعث الرجيع لقربهما في الزمن
اى فقيد مكث صلى الله عليه وسلم يدعو على احياء العرب على رعل وذكوان وعصية وبني
لحيان اى وهو يقتضي انهما شيء واحد وليس كذلك وقد علمت ان بني لحيان قتلوا اصحاب
الرجيع ومن قبلهم قتلوا اصحاب بئر معونة **سرية محمد بن مسلمة** الى
القرطا بالقاف مفتوحة وبالطاء المهملة وهم بنو ابكر بن كلاب بعث صلى الله عليه وسلم
محمد بن مسلمة الى القرطا في ثلاثين راكبا اى وامره ان يسير الليل ويكمن النهار وامره ان
يشن عليهم الغارة فسار الليل وكمن النهار **قال** وصادف في طريقه ركبانا نازلين

فارسل رجلا من اصحابه يسال من هم فذهب الرجل ثم رجع اليه فقال قوم من محارب
فنزل قريبا منهم ثم امهلهم حتى عطنوا اى بركوا الابل حول الماء اغار عليهم فقتل نفرا منهم
اى عشرة وهرب سايرهم واستاق نعما وشاء ولم يتعرض للظعن اى للنساء انتهى ثم انطلق
حتى اذا كان بموضع يطلعه على بنى بكر بعث عباد بن بشير اليهم وخرج محمد بن مسلمة
رضى الله عنه فى اصحابه فشن عليهم الغارة فقتل منهم عشرة واستاقوا النعم والشاء
ثم انحدر رضى الله عنه الى المدينة فخمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء به وعدل الجزور
بعشرة من الغنم وكان النعم مائة وخمسين بعيرا والغنم ثلاثة الاف شاة ولحقت تلك
السرية ثمامة بن اثال الحنفى من بنى حنيفة اى سيد اهل اليمامة وهم لا يعرفونه فجاء به الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اتدرون من اخذتم هذا ثمامة بن اثال الحنفى فاحسنوا
اساره اى قيده ○ فربط بسارية من سوارى المسجد قال وقيل ان هذه السرية تاخذه
بل دخل المدينة وهو يريد مكة للعمرة فتحير فى المدينة وقد كان قد دال رسول الله صلى
الله عليه وسلم رسولا من عند مسيلمة واراد اغتياله صلى الله عليه وسلم فدعا ربه ان يمكنه منه
فاخذ وجىء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فربط بسارية من سوارى المسجد فدخل صلى
الله عليه وسلم على اهله فقال اجمعوا ما كان عندكم من طعام فابعثوا به اليه وامر له صلى الله
عليه وسلم بناقة ياتيه بلبنها صباحا ومساء وكان ذلك لا يقع عند ثمامة موقعا من كفايته
اى وجاء اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما لك يا ثمامة هل امكن الله منك فقال قد
كان ذلك يا محمد وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتيه فيقول ما عندك يا ثمامة فيقول
يا محمد عندى خير ان تقتل تقتل ذا كرم اى وفى لفظ ذا دم وان تعف تعف عن شاكر وان
كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فمكث كذلك معه ثلاثة ايام قال ابو هريرة رضى الله
تعالى عنه فجعلنا اى المساكين اى اصحاب الصفة نقول بيننا صلى الله عليه وسلم ما يصنع
بدم ثمامة والله لاكلة جزور سمينة من فدائه احب الينا من دم ثمامة وفى الاستيعاب انه
صلى الله عليه وسلم انصرف عن ثمامة وهو يقول اللهم اكلة لحم من جزور احب الى من دم ثمامة
ثم امر به فاطلق ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اليوم الثالث قال اطلقوا ثمامة
فقد عفوت عنك يا ثمامة فاطلق فانطلق الى ماء جار قريب من المسجد فاغتسل وطهر
ثيابه ثم دخل المسجد فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله اى وهذا
لا يخالف ما ذكره فقهاؤنا من الاسناد لا لا بقصة ثمامة على انه يستحب للمسلم ان يغتسل
لاسلامه ثم رايت بعض متاخرى اصحابنا اجاب بانه اسلم اولا ثم اغتسل اظهر اسلامه
وفى الاستيعاب فاسلم فامره النبى صلى الله عليه وسلم ان يغتسل كما فى رواية اخرى انه قال
يا محمد والله ما كان على الارض وجه ابغض الى من وجهك فقد اصبح وجهك احب الوجوه

كلها الى والله ما كان على الارض من دين ابغض الى من دينك فقد اصبح دينك احب
الدين كله الى والله ما كان من بلد ابغض الى من بلدك فاصبح بلدك احب البلاد الى
ثم شهد شهادة الحق فلما امسى جىء له بما كان ياتيه من الطعام فلم ينل منه الا قليلا ولم
يصب من حلاب اللقحة الا يسيرا فعجب المسلمون قال وقال يا رسول الله ان خيلك اخذتنى
وفى لفظ فى الصحيح فان خيلك اخذتنى وانا اريد العمرة فماذا ترى فامره ان يعتمر
فلما قدم بطن مكة لبى فكان اول من دخل مكة ملبيا فاخذته قريش فقالوا لقد اجترأت
علينا انت صبوت يا ثمامة قال اسلمت وتبعت خير دين دين محمد والله لا يصل اليكم حبة من
حنطة اى من اليمامة من ارض اليمن وكانت ريفا لاهل مكة حتى ياذن فيها رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقدموه ليضربوا عنقه فقال قايل منهم دعوه فانكم تحتاجون الى اليمامة فخلوا
سبيله فخرج ثمامة الى اليمامة فمنعهم ان يحملوا الى مكة شيئا حتى اضر بهم الجوع واكلت قريش
العلهز وهو الدم يخلط باوبار الابل يشوى على النار كما تقدم فكتبت قريش الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقد قتلت الاباء بالسيف والابناء
بالجوع انك تامر بصلة الرحم وانك قد قطعت ارحامنا فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى ثمامة رضى الله تعالى عنه ان يخلى بينهم وبين الحمل وفى لفظ خل بين قومى وبين ميرتهم ففعل
فانزل الله تعالى ولقد اخذناهم بالعذاب الاية هذا والذى فى الاستيعاب ان ثمامة دخل
مكة وقد سمع المشركون خبره فقالوا يا ثمامة صبوت وتركت دين ابائك قال لا ادرى ما
تقولون الا انى اقسمت برب هذه البنية يعنى الكعبة لا يصل اليكم من اليمامة شىء
تنتفعون به حتى تتبعوا محمدا من اخركم وكانت ميرة قريش ومنافعهم من اليمامة ثم خرج
رضى الله تعالى عنه فمنع عنهم ما كان ياتيهم منها فلما اضر بهم ذلك كتبوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان عهدنا بك وانت تامر بصلة الرحم وتحث عليها وان ثمامة قد قطع
علينا ميرتنا واضر بنا فان رايت ان تكتب اليه ان يخلى بيننا وبين ميرتنا فافعل فكتب
اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خل بين قومى وبين ميرتهم ولما عجب المسلمون
من اكله بعد اسلامه رضى الله عنه لكونه دون اكله قبل اسلامه قال لهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم مم تعجبون امن رجل اكل اول النهار فى معى كافر واكل اخر النهار فى معى مسلم
ان الكافر ليأكل فى سبعة امعاء وان المسلم ياكل فى معى واحد انتهى اى وقد وقع له صلى
الله عليه وسلم ذلك مع جهجاه الغفارى رضى الله تعالى عنه فانه اكل معه وقد اسلم فاكل
فقال النبى صلى الله عليه وسلم المؤمن ياكل فى معى واحد والكافر ياكل فى سبعة امعاء
ولعل المراد بالاكل ما يشمل الشرب ثم رايت فى الجامع الصغير ان الكافر ليشرب فى سبعة
امعاء والمسلم يشرب فى معى واحد والمراد انه ياكل ويشرب مثلى الذى ياكل ويشرب

في سبعة أمعا وكان رضي الله تعالى عنه سقيما باليمامة فلما ارتد اهل اليمامة ثبت ثمامة
في قومه على الاسلام وكان ينهاهم عن اتباع مسيلمة لعنه الله ويقول لهم اياكم وامرا مظلما
لا نور فيه وانه لشقا كتبه الله على من اتبعه منكم **سرية عكاشة بن**
محصن رضي الله عنه الى الغمر بفتح الغين المعجمة وسكون الميم والراء الى بني اسد اي جمع من
بني اسد ٥ وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عكاشة بن محصن الاسدي رضي الله عنه
في اربعين رجلا منهم ثابت بن ارقم رضي الله عنه وقيل ان ثابتا رضي الله عنه هو الذي
كان اميرا على هذه السرية فخرج يسرع في السير الى ان وصل الى الماء المذكور فوجدا القوم
علموا بهم فهربوا ولم يجد والي دارهم احدا فبعث شجاع بن وهب طليعة يطلب خبرا ويرى
اثرا فاخبر انه رأى اثر نعم قريبا فخرجوا فوجدوا رجلا نائما فسألوه عن خبر الناس
فقال واين الناس لقد لحقوا بعليا بلادهم قالوا فالنعم قال معهم فضربه احدهم بسوط
في يده فقال تؤمنوني على دمي واطلعكم على نعم لبني عم لهم لم يعلموا بمسيركم اليهم قالوا نعم
فامنوه فانطلقوا معه فامعن اي بالغ في الطلب حتى خافوا ان يكون ذلك غدرا منه
لهم فقالوا والله لتصدقنا او لنضربن عنقك فقال تطلعون عليهم من هذا المحل فلما اطلعوا
منه وجدوا نعما رائعا فاغاروا عليها فاستاقوها فاذا هي مائتا بعير وشردت الاعراب في كل وجه
فلم يطلبوهم وانحدروا الى المدينة بتلك الابل واطلقوا الرجل الذي امنوه والله اعلم
سرية محمد بن مسلمة رضي الله عنه لذي القصة بفتح القاف والصاد
المهملة المشددة وهو موضع قريب من المدينة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
محمد بن مسلمة في عشرة نفر لبني ثعلبة وبني عوال من ثعلبة بذي القصة فورد عليهم
ليلا فكمن القوم وهم مائة رجل لمحمد بن مسلمة واصحابه وامهلوهم حتى ناموا واحدقوا
بهم اي فما شعروا الا وقد خالطهم القوم ٥ فوثب محمد بن مسلمة فصاح في اصحابه السلاح
فوثبوا وتراموا ساعة ثم حمل القوم عليهم بالرماح فقتلوهم ووقع محمد بن مسلمة جريحا
فضربوا كعبيه فلم يتحرك فظنوا موته فجردوهم من الثياب وانطلقوا ومر بمحمد واصحابه
رجل من المسلمين فاسترجع فلما سمعه محمد رضي الله تعالى عنه يسترجع تحرك له
فاخذه وحمله الى المدينة فعند ذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا عبيدة
ابن الجراح في اربعين رجلا الى مصارعهم فلم يجدوا احدا ووجدوا نعما وشيا فانحدروا
به الى المدينة **سرية عبيدة بن الجراح** رضي الله عنه الى ذي القصة
ايضا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه في اربعين
رجلا الى من بذي القصة فانه بلغه صلى الله عليه وسلم انهم يريدون ان يغيروا على
سرح المدينة وهو يرعى يومئذ بمحل بينه وبين المدينة سبعة اميال فصلوا المغرب

ومشوا

ومشوا ليلتهم حتى وافوا ذا القصة مع عماية الصبح فاغاروا عليهم فاعجزوهم هربا
في الجبال واسروا رجلا واحدا واخذوا نعما من نعمهم ورثة اي شيئا باليا من متاعهم وقد
بذلك الى المدينة فخمسه رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلم الرجل فتركه صلى الله عليه وسلم
سرية زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه الى بني سليم بالجموح بفتح الجيم
وهو اسم لناحية من بطن نخل بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة الى بني
سليم بالجموح فسار حتى ورد ذلك المحل فاصابوا امرأة من مزينة فدلتهم على محلة من محال
القوم فاصابوا في تلك المحلة ابلا وشاء واسروا منها جماعة من جملتهم زوج تلك المرأة
وانحدروا بذلك الى المدينة فوهب رسول الله صلى الله عليه وسلم لتلك المرأة نفسها وزوجها
سرية زيد بن حارثة رضي الله عنهما الى العيص وهو محل بينه وبين المدينة
اربع ليال بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عيرا لقريش قد اقبلت من الشام فبعث
زيد بن حارثة في سبعين ومائة راكب ليعترضها اي وكان فيها ابو العاص بن الربيع وقدم
به وبتلك العير المدينة فاستجار ابو العاص بزوجته زينب رضي الله تعالى عنها فاجارته
ونادت في الناس حين صلى الله عليه وسلم الفجر اي دخل في الصلاة هو واصحابه فقالت ايها
الناس اني قد اجرت ابا العاص بن الربيع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي لما سلم
واقبل على الناس وقال هل سمعتم ما سمعت قالوا نعم قال اما والذي نفسي بيده ما
علمت بشيء من هذا اي ثم انصرف صلى الله عليه وسلم فدخل على ابنته وقال قد اجرنا
من اجرت **قال** وقال صلى الله عليه وسلم المؤمنون يد على من سواهم يجير عليهم ادناهم اي
وفي الصحيحين ذمة المسلمين واحدة يسعى بها ادناهم فمن اخفر مسلما اي ازال خفارته
اي نقض جواره وعهده فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ثم دخلت عليه صلى
الله عليه وسلم زينب رضي الله تعالى عنها فسألته ان يرد على ابي العاص ما اخذ منه فاجابها
الى ذلك وقال لها صلى الله عليه وسلم اي بنية اكرمي مثواه ولا يخلص اليك فانك لا تحلين
له اي لتحريم نكاح المؤمنات على المشركين كما تقدم في الحديبية وبعث صلى الله عليه وسلم
للسرية فقال لهم ان هذا الرجل منا حيث قد علمتم وقد اصبتم له مالا فان تحسنوا وتردوا
عليه الذي له فانا نحب ذلك وان ابيتم فهو فيء الله الذي افاء عليكم فانتم احق به فقالوا يا رسول
الله بل نرد عليه فردوا عليه ما اخذ منه وهذا السياق يدل على ان ذلك كان قبل صلح الحديبية
ووقوع الهدنة لان بعد ذلك لم تتعرض سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم لقريش لكن يخالف
قوله صلى الله عليه وسلم لا يخلص اليك لان تحريم المؤمنات على المشركين انما كان في الحديبية
وقد ذكر بعضهم ان ذلك كان قبيل الفتح سنة ثمان ومن ثم ذكر الزهري ومتبعه
ابن عقبة رحمهما الله تعالى ان الذين اخذوا هذه العير واسروا من فيها ابو بصير وابو جندل

واصحابه رضى الله عنهم لانهم كانوا فى مدة صلح الحديبية من شانهم ان كل عير مرت بهم لقريش اخذوها بغير معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم فلما اخذوا هذه العير خلوا سبيل ابى العاص لكونه صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل اعجزهم هربا وجا تحت الليل فدخل على زوجته زينب رضى الله تعالى عنها فاستجار بها فاجارته ثم كلمها فى اصحابه الذين اسروا فكلمت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك فخطب الناس وقال انا صاهرنا ابا العاص فنعم الصهر وجدناه وانه قد اقبل من الشام فى اصحاب له من قريش فاخذهم ابو جندل وابو بصير واسروهم واخذوا ما كان معهم وان زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سالتنى ان اجيرهم فهل انتم مجيرون ابا العاص واصحابه فقال الناس نعم فلما بلغ ابا جندل وابا بصير واصحابهما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ردوا الاسرى وردوا عليهم كل شى حتى العقال وصوب فى الهدى هذا الذى ذكره الزهرى اى لما علمت ان مما يؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لابنته زينب ولا يخلص اليك فانك لا تحلين له لان تحريم نكاح المومنات على المشركين انما كان بعد الحديبية وذكر ان المسلمين قالوا لابى العاص يا ابا العاص انك فى شرف من قريش وانت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم اى لانه يلتقى مع النبى صلى الله عليه وسلم فى جده عبد مناف فهل لك ان تسلم فتغتنم ما معك من اموال اهل مكة فقال بيسما امرتمونى افتتح دينى بغدر اى بالغدر وعدم الوفا ثم ذهب ابو العاص الى مكة فادى كل ذى حق حقه ثم قام فقال يا اهل مكة هل بقى لاحد منكم مال لم ياخذه هل وجب ذمتى فقالوا اللهم نعم فجزاك الله خيرا فقد وجدناك وفيا كريما فقال انى اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله والله ما منعنى من الاسلام عنده الا خشية ان تظنوا انى انما اردت ان اكل اموالكم ثم خرج حتى قدم المدينة على النبى صلى الله عليه وسلم فرد له رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب رضى الله عنها على النكاح الاول ولم يحدث نكاحا وذلك بعد ست سنين وقيل بعد سنة واحدة انتهى **اقول** وفى رواية بعد سنتين والمتبادر منها الستة او السنة او السنتين من اسلامها دونه وهو مخالف لما عليه اهل العلم من انه لابد ان يجتمع الزوجان فى الاسلام فى العدة ومن ثم قالت طايفة منهم الترمذى هذا حديث ليس باسناده باس ولكن لا يعرف وجهه وفى كلام بعض الحفاظ يمكن ان يقال قوله بعد ست سنين ولم يقل من اسلامها دونه صيره مجهول تاريخ الابتدا فلا يصح الاستدلال به وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رد ابنته زينب على ابى العاص بن الربيع بمهر جديد ونكاح جديد قال بعضهم وهذا فى اسناده مقال وقال غيره هذا حديث ضعيف وقال اخر لا يثبت والحديث الصحيح انما هو ان النبى صلى الله عليه وسلم اقرها على النكاح الاول وقال ابن عبد البر حديث انه صلى الله عليه وسلم

اقرها

اقرها على النكاح الاول متروك لا يعمل به عند الجميع وحديث ردها بنكاح جديد عندنا صحيح يعضده الاصول وان صح الاول اريد به على الصداق الاول وهو محمل حسن هذا كلامه قال بعضهم تصحيح ابن عبد البر لحديث انه ردها بنكاح جديد مخالف لكلام ايمة الحديث كالبخارى واحمد بن حنبل ويحيى بن سعيد القطان والدارقطنى والبيهقى وغيرهم هذا كلامه وفى كون زينب رضى الله تعالى عنها كانت مشركة واسلمت قبل زوجها المشعر به قول بعضهم ولم يعقل من اسلامها قطعا لانها اتبعت ما بعث به ابوها صلى الله عليه وسلم من غير تقدم شرك منها لا يقال يجى كانت مسلمة كيف زوجها من ابى العاص وهو كافر لانا نقول على فرض انه صلى الله عليه وسلم زوجها له بعد البعث فقد زوجها له قبل نزول قوله تعالى ولا تنكحوا المشركين حتى يومنوا لان تلك الاية نزلت بعد صلح الحديبية كما علمت على ان ابن سعد ذكر انه صلى الله عليه وسلم زوجها فى الجاهلية اى قبل البعثة والله اعلم **سرية زيد بن حارثة** رضى الله عنه الى بنى ثعلبة اى بالطرف كعنب اسم ما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة الى بنى ثعلبة فى خمسة عشر رجلا الى الطرف فاصاب عشرين بعيرا وشيا واقتصر الحافظ الدمياطى على النعم ولم يذكر الشا ولم يجد احدا لانهم ظنوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سار اليهم فصبح زيد رضى الله عنه بالنعم والشا المدينة اى وقد خرجوا فى طلبه فاعجزهم وكان شعارهم امت امت يتعارفون به فى ظلمة الليل امت امت **سرية زيد بن حارثة** رضى الله عنهما الى جذام بمحل يقال له حسمى بكسر الحا المهملة وسكون السين على وزن فعلى وهو موضع وراء وادى القرى يقال ان الطوفان اقام بذلك المحل بعد نضوبه اى ذهابه ثمانين سنة وسببها ان دحية الكلبى رضى الله تعالى عنه اقبل من عند قيصر ملك الروم اى وكان صلى الله عليه وسلم وجهه اليه كذا قيل ولعله من تصرف بعض الرواة او انه ارسله اليه بغير كتاب والا فارساله اليه بالكتاب كان بعد هذه السرية لانه كان بعد الحديبية ولما وصل رضى الله تعالى عنه اليه اجازه بمال وكساه فاقبل بذلك الى ان وصل ذلك المحل فلقيه الهنيد وابنه فى ناس من جذام فقطعوا عليه الطريق وسلبوه ما معه فلم يتركوا عليه الا ثوبا خلقا فسمع بذلك نفر من جذام من بنى الضبيب اى ممن اسلم منهم فنفروا اليهم واستنقذوا لدحية رضى الله تعالى عنه ما اخذ منه وقدم دحية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فبعث زيد بن حارثة فى خمسماية رجل ورد معه دحية وكان زيد رضى الله تعالى عنه يسير بالليل ويكمن بالنهار ومعه دليل من بنى عذرة فاقبل حتى هجم على القوم اى على الهنيد وابنه ومن كان معهم مع الصبح فقتلوا الهنيد وابنه ومن كان معهم واخذوا من النعم الف بعير ومن الشا خمسة الاف ومن السبى مائة من النسا والصبيان **قال** ولما سمع بنوا الضبيب ما صنع زيد رضى الله تعالى عنه ركبوا وجاوا

الى زيد وقال له رجل منهم انا قوم مسلمون فقال له زيد اقرا ام الكتاب فقراها ثم قدم منهم
جماعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبروه الخبر فقال له بعضهم يا رسول الله لا تحرم
علينا حلالا ولا تحل لنا حراما فقال كيف اصنع بالقتلى فقالوا اطلق لنا من كان حيا
ومن قتل فهو تحت قدمي هاتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق فقالوا ابعث معنا
رجلا لزيد رضي الله تعالى عنه فبعث صلى الله عليه وسلم معهم عليا كرم الله وجهه يامر زيدا
ان يخلي بينهم وبين حرمهم واموالهم اى فقال علي يا رسول الله ان زيدا لا يطيعني فقال خذ
سيفي هذا فاخذه وتوجه فلقي علي كرم الله وجهه رجلا ارسله زيد رضي الله تعالى عنه
مبشرا على ناقة من ابل القوم فردها علي كرم الله وجهه على القوم واردفه خلفه ولقي زيدا
فابلغه امر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وعند ذلك قال له زيد ما علامة ذلك فقال
هذا سيفه صلى الله عليه وسلم فعرف زيد السيف وصاح بالناس فاجتمعوا فقال من كان معه شيء فليرده
فهذا سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد الناس كافة كل ما اخذوه انتهى اقول وهذا
السياق يدل على ان جميع ما اخذ من النعم والشا والسبي كان لمن اسلم من جذام من بني الضبيب
وان بعض من قتل مع الهنيد وابنه كان مسلما وفي ذلك من البعد ما لا يخفى والله اعلم

سرية امير المؤمنين ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه لبني فزارة

كما في صحيح مسلم بوادي القرى عن سلمة بن الاكوع رضي الله تعالى عنه قال بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابا بكر رضي الله تعالى عنه الى فزارة وخرجت معه حتى اذا صلينا الصبح
امرنا فشنينا الغارة فوردنا الما فقتل ابو بكر اى جيشه من قتل ورايت طايفة منهم
الذراري فخشيت ان يسبقوني الى الجبل فادركتهم ورميت بسهم بينهم وبين الجبل فلما راوا
السهم وقفوا وفيهم امراة اى وهي ام قرفة عليها قشع من ادم اى فرو خلقة معها ابنتها من
احسن العرب فجئت بهم اسوقهم الى ابي بكر فنفلني ابو بكر رضي الله تعالى عنه ابنتها فلم اكشف
لها ثوبا فقدمنا المدينة فلقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي يا سلمة هب لي المراة
لله ابوك لله خالص صاحب انجب بك واتى بمثلك يقال ذلك في مقام المدح والتعجب وقد
كان وصف له صلى الله عليه وسلم جمالها فقلت هي لك يا رسول الله فبعث بها رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى مكة ففدى بها اسرى من المسلمين كانوا في ايدي المشركين وفي لفظ فدى بها
اسيرا كان في قريش من المسلمين كذا ذكر الاصل ان امير هذه السرية اى التي اصابت
ام قرفة ابو بكر رضي الله تعالى عنه وانه الذي في مسلم وذكر في الاصل قبل ذلك عن ابن اسحاق
وابن سعد ان امير المؤمنين هذه السرية التي اصابت ام قرفة زيد بن حارثة رضي
الله عنهما وانه لقي بني فزارة واصيب بها ناس من اصحابه وانفلت زيد من بين القتلى
اى احتمل جريحا وبه رمق فلما قدم زيد رضي الله تعالى عنه نذر ان لا يمس راسه غسل من الجنابة

حتى يغزو بني فزارة فلما عوفي ارسله صلى الله عليه وسلم اليهم فكمنوا النهار وساروا الليل
حتى احاطوا بهم وكبروا واخذوا ام قرفة وكانت ام قرفة في شرف من قومها كان يعلق
في بيتها خمسون سيفا كلهم لها محرم وكان لها اثنا عشر ولدا ومن ثم كانت العرب تضرب
بها المثل في العزة فتقول لو كنت اعز من ام قرفة فامر زيد بن حارثة ان يقتل ام قرفة
اى لانها كانت تسب النبي صلى الله عليه وسلم وجاء انها جهزت ثلاثين راكبا من ولدها وولد
ولدها وقالت لهم اغزوا المدينة واقتلوا محمدا لكن قال بعضهم انه خبر منكر ٥ فربط
برجليها حبلين ثم ربطا الى بعيرين وزجرهما اى وقيل الى فرسين وركضا فشقاها
نصفين وقرفة ولدها هذا الذي تكنى به قتله النبي صلى الله عليه وسلم وبقية اولادها
قتلوا مع اهل الردة في خلافة الصديق فلا خير فيها ولا في بنيها ثم قدموا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم بابنة ام قرفة وذكر له صلى الله عليه وسلم جمالها فقال له صلى الله عليه
وسلم لابن الاكوع يا سلمة ما جارية اصبتها قال يا رسول الله جارية رجوت ان افدي
بها امراة منا في بني فزارة فاعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الكلام مرتين او ثلاثا
فعرف سلمة انه صلى الله عليه وسلم يريدها فوهبها له فوهبها النبي صلى الله عليه وسلم لخاله حزن
ابن ابي وهب بن عمرو بن عايذ بمكة كان احد الاشراف فولدت له عبد الرحمن بن ابي حزن
وانما قيل لحزن خاله لان فاطمة ام ابي النبي صلى الله عليه وسلم هي بنت عايذ كما تقدم وعايذ
جد حزن لابيه وفي لفظ بنت عمرو بن عايذ وفي كلام رواية السهيلي ان رواية الفدا المكان
اسيرا بمكة اصح من رواية انه صلى الله عليه وسلم وهبها لخاله حزن وجمع الشمس الشامي بين
الروايتين حيث قال يحتمل انهما سريتان اتفق لسلمة بن الاكوع فيهما ذلك اى احدهما
لابي بكر والاخرى لزيد بن حارثة ويؤيد ذلك ان في سرية ابي بكر ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعث بنت ام قرفة الى مكة ففدى بها اسرى كانوا في ايدي المشركين اى وفي سرية
زيد وهبها لخاله حزن بمكة قال فلم ار من تعرض لتحرير ذلك انتهى اقول في هذا الجمع نظر
لانه يقتضي ان ام قرفة تعددت وان كلا كل واحدة كانت لها بنت جميلة وان سلمة بن
الاكوع اسرهما وانه صلى الله عليه وسلم اخذهما منه وفي ذلك بعد الا ان يقال لا تعدد
لام قرفة وتسمية المراة في سرية ابي بكر ام قرفة وهم من بعض الرواة ويدل عليه ان
بعضهم اوردها ولم يسم المراة ام قرفة بل قال فيهم امراة من بني فزارة معها ابنة لها
ثوبا فلقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم في السوق مرتين في يومين فقال يا سلمة
هب لي المراة فقلت هي لك فبعث بها الى مكة ففدى بها ناسا كانوا اسرى بمكة ثم لا يخفى
ان ما ذكره الاصل عن ابن اسحاق وابن سعد من انه صلى الله عليه وسلم ارسل زيد بن
حارثة الى وادي القرى اى غازيا لبني فزارة وانه لقيهم واصيب بها ناس من اصحابه

وافلت زيد من بين القتلى جريحا الخ يخالفه ما ذكره عن ابن سعد مما يقتضي ان زيد
حارثة في هذه لم يكن غازيا بل كان تاجرا وانه لم يرسل لبني فزارة وانما اجتاز بهم فقاتلوه
والمذكور عن ابن سعد ما نصه قالوا خرج زيد بن حارثة في تجارة الى الشام ومعه بضائع
لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان دون وادي القرى لقيه ناس من فزارة فضربوه
وضربوا اصحابه اي وظنوا انهم قد قتلوا واخذوا ما كان معهم فقدموا المدينة ونذر
زيد ان لا يمس راسه غسل من جنابة حتى يغزو بني فزارة فلما خلص من جراحته
بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية وقال لهم اكمنوا النهار وسيروا الليل فخرج
بهم دليل من بني فزارة وقد نذر بهم القوم فكانوا يجعلون لهم ناظورا حين يصبحون فينظر
على جبل مشرف على وجه الطريق الذي يرون ان المسلمين ياتون منه فينظر قدر مسيرة
يوم فيقول اسرحوا فلا باس عليكم فاذا امسوا اشرف ذلك الناظر على ذلك الجبل فينظر
مسيرة ليلة فيقول ناموا فلا باس عليكم في هذه الليلة فلما كان زيد بن حارثة واصحابه
على نحو مسيرة ليلة اخطا بهم الدليل الى الفزاري طريقهم واخذ بهم طريقا اخرى حتى امسوا
وهم على خطا فعاينوا الحاضر من بني فزارة فحمد الله والخطا فكمن لهم في الليل حتى
اصبحوا فاحاطوا بهم ثم كبر زيد وكبر اصحابه الى اخر ما تقدم ولما قدم زيد بن حارثة المدينة
جاء النبي صلى الله عليه وسلم وقرع عليه الباب فخرج اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عريانا
يجر ثوبه واعتنقه وقبله وساله فاخبره بما ظفره الله تعالى به وحينئذ يشكل قوله في الاصل
ثبت عن ابن سعد ان لزيد بن حارثة سريتين بوادي القرى احداهما في رجب والاخرى في رمضان
فانه بظاهره يقتضي انه ارسل غازيا في المرتين لبني فزارة بوادي القرى وقد
علمت ان كلام ابن سعد يدل على ان زيد بن حارثة في المرة الاولى انما كان تاجرا اجتاز
ببني فزارة بوادي القرى فقاتلوه هو واصحابه واخذوا امتعتهم ثم رايت الاصل
تبع في ذلك شيخه الحافظ الدمياطي حيث قال سرية زيد بن حارثة الى وادي القرى
في رجب قالوا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا رضي الله تعالى عنه اميرا ثم
قال سرية زيد بن حارثة الى ام قرفة بناحية وادي القرى في رمضان وفيه ما
علمت ثم لا يخفى ان في هذا اطلاق السرية على الطائفة التي خرجت للتجارة ولا يختص
ذلك بمن خرج للقتال او لتجسس الاخبار وقد تقدم **سرية عبد الرحمن بن عوف**
رضي الله عنه الى دومة الجندل بضم الدال المهملة وبفتحها وانكره ابن دريد لبني كلب
دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه فاقعده
بين يديه وعممه بيده **قال** اي بعد ان قال له تجهز فاني باعثك في سرية من يومك
هذا او من الغد ان شاء الله تعالى ثم امره ان يسري من الليل الى دومة الجندل في سبعمائة

وعسكر بخارج المدينة فلما كان وقت السحر جاء عبد الرحمن بن عوف الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال احببت يا رسول الله ان يكون اخر عهدي بك وكان عليه عمامة من
كرابيس اي غليظة قد لفها على راسه فنقضها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ثم عممه
بعمامة سوداء وارخى بين كتفيه منها اربع اصابع او نحوا من ذلك ثم قال هكذا يا ابن عوف
فاعتم فانه احسن واعرف ثم امر صلى الله عليه وسلم بلالا ان يدفع اليه اللواء فدفعه
اليه وقام صلى الله عليه وسلم فحمد الله ثم صلى على نفسه ثم قال خذه يا ابن عوف اتمهي وقال له
اغز بسم الله وفي سبيل الله فقاتل من كفر بالله ولا تغل اي لا تخن في المغنم ولا تغدر
اي لا تترك الوفاء ولا تمثل ولا تقتل وليدا **وفي** رواية لا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا
تغلوا ولا تقتلوا وليدا اي صبيا فهذا عهد الله وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم فيكم ثم
قال صلى الله عليه وسلم له ان استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم فسار عبد الرحمن بن
عوف حتى قدم دومة الجندل فمكث ثلاثة ايام يدعوهم الى الاسلام وهم يابون
ويقولون لا نعطي الا السيف وفي اليوم الثالث اسلم راسهم وملكهم الاصبغ بن
ابن عمرو الكلبي وكان نصرانيا قال في النور لم اجد احدا ترجمه والظاهر انه ما وفد
على النبي صلى الله عليه وسلم فهو تابعي واسلم معه ناس كثير من قومه صلى الله عليه وسلم
يعلمه بذلك وانه يريد ان يتزوج فيهم فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
يتزوج بنت الاصبغ اي فتزوجها رضي الله تعالى عنه وبنى بها عندهم وقدم بها المدينة
وهي ام ولده سلمة بن عبد الرحمن بن عوف اي ومن ولد كلبية نكحها قرشي فلم تلد غير
سلمة فطلقها عبد الرحمن في مرض موته ثلاثا ومتعها بجارية سوداء ومات وهي في العدة
وصولحت بعد انقضاء العدة فورثها عثمان رضي الله تعالى عنه **قال** وعن عبد الله بن عمر بن
الخطاب رضي الله تعالى عنهما انه قال سرت لاسمع وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد
الرحمن بن عوف رضي الله عنه فاذا فتى من الانصار اقبل فسلم على رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم جلس فقال يا رسول الله اي المؤمنين افضل قال احسنهم خلقا ثم قال
واي المؤمنين اكيس قال اكثرهم للموت ذكرا واحسنهم له استعدادا قبل ان ينزل
بهم اولئك الاكياس ثم سكت الفتى واقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معشر
المهاجرين خمس خصال اذا نزلت بكم واعوذ بالله ان تدركوهن انه لن تظهر الفاحشة
في قوم قط حتى يعلنوا بها الا ظهر فيهم الطاعون والاوجاع التي لم تكن في اسلافهم
الذين مضوا وما نقص المكيال والميزان في قوم الا اخذهم الله بالسنين ونقص من
الثمرات وشدة المؤنة وجور السلطان لعلهم يذكرون وما منع قوم الزكاة الا امسك
الله عنهم قطر السماء ولولا البهائم لم يسقوا وما نقض قوم عهد الله ورسوله الا سلط

الله عليهم عدوًا من غيرهم فاخذ ما كان بين ايديهم وما حكم قوم بغير كتاب الله الا جعل
الله تعالى باسهم بينهم **وفي** رواية الا البسهم الله شيعًا واذاق بعضهم باس بعض **وفي**
الاصل ذكر ابن اسحاق ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث ابا عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى
عنه الى دومة الجندل في سرية زاد في السيرة الشامية على ذلك قوله كما سيأتي **سرية**
زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهما الى مدين قرية سيدنا شعيب صلوات الله وسلامه
عليه وهي بجاه تبوك فاصاب سبيًا وفرقوا في بيعهم بين الامهات والاولاد فخرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهم يبكون فقال ما لهم فقيل يا رسول الله فرق بينهم اي بين
الامهات والاولاد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تبيعوهم الا جميعًا قال في الاصل
وكان مع زيد رضي الله تعالى عنه في هذه السرية ضميرة مولى علي بن ابي طالب كرم الله
وجهه وكذا اخوه رضي الله تعالى عنه واخ له وهو تابع في ذلك لابن هشام ورد بان مولى
علي هذا الذي هو ضميرة لم يذكر في كتب الصحابة وكذا اخوه **سرية امير المؤمنين**
علي بن ابي طالب كرم الله وجهه الى بني سعد بن بكر بفدك وهي قرية بينها وبين
المدينة ست ليال اي وفي لفظ ثلاث مراحل وهي خراب الان **وفي** الصحاح فدك قرية
بخيبر وسببه انه صلى الله عليه وسلم بلغه ان لبني سعد جمعًا يريدون ان يمدوا يهود
خيبر وان يجعلوا لهم تمر خيبر اي ما يوجد من غلتها فبعث عليهم عليًا كرم الله وجهه
في مائة رجل فسار بالليل وكمن النهار الى ان نزل محلا بين خيبر وفدك فوجدوا به
رجلا فسألوه عن القوم اي فقال لا علم لي فشدوا عليه فاقر انه عين لهم جاسوس لهم
وقال اخبركم على ان تؤمنوني فامنوه فدلهم فاغاروا عليهم واخذوا خمسمائة
بعير والفي شاة وهربت بنو سعد بالظعن فعزل علي كرم الله وجهه صفي رسول
الله صلى الله عليه وسلم لقوحًا تحلب **ه** قربة عهد بنتاج تدعى الحفذة بفتح الحاء
وكسر الفاء وفتح الدال المهملة لسرعة سيرها ومنه في الدعاء اليك نسعى ونحفد ثم عزل
الخمس وقسم الباقي على اصحابه **اقول** قوله يريدون ان يمدوا يهود خيبر يقتضي بظاهره
ان ذلك كان عند محاصرة خيبر او عند ارادة ذلك وفيه ما لا يخفى لما تقدم والله
اعلم **سرية عبد الله بن رواحة** رضي الله عنه الى اسير بضم الهمزة وفتح
السين ويقال اسير بن رزام اليهودي بخيبر لما قتل الله ابا رافع بن سلام بن ابي الحقيق
عظيم يهود خيبر كما تقدم امروا عليهم اسير بن رزام **قال** ولما امروه عليهم قال لهم اني
صانع بمحمد ما لم يصنعه اصحابي فقالوا له وما عسيت ان تصنع قال اسير في غطفان
فاجمعهم لحربه قالوا نعم ما رأيت وكان ذلك قبل خيبر انتهى فسار غطفان وغيرهم
يجمعهم لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم

فوجد

فوجد اليه عبد الله بن رواحة في ثلاثة نفر سرًا يسأل عن خبر اسير وغرته فاخبر بذلك فقدم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس لذلك
فانتدب له ثلاثون رجلًا وامر عليهم عبد الله بن رواحة رضي الله تعالى عنه وقيل عبد الله
ابن عتيك فقدموا على اسير فقالوا نحن امنون حتى نعرض عليك ما جئنا له قال نعم
ولي منكم مثل ذلك فقالوا نعم فقلنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا اليك لتخرج
اليه فيستعملك على خيبر ويحسن اليك فطمع في ذلك اي واستشار يهود في ذلك فاشاروا
عليه بعدم الخروج وقالوا ما كان محمد ليستعمل رجلا من بني اسرائيل قال بلى قد مل الحرب
قال في النور هذا الكلام لا يناسب ان يأتي قبل فتح خيبر فالذي يظهر انها بعد فتح خيبر
واقول يجوز ان يكون المراد باستعماله على خيبر المصالحة وترك القتال ومن ثم
اجاب بقوله انه صلى الله عليه وسلم قد مل الحرب والله اعلم فخرج وخرج معه ثلاثون
رجلا من يهود مع كل رجل منهم رديف من المسلمين قال عبد الله بن انيس كنت رديفًا
لاسير فكان اسير ندم على خروجه معنا فاهوى بيده الى سيفي ففطنت بفتح الطاء له
وقلت اغدرًا عدو الله اغدرًا عدو الله ثلاثًا فضربته بالسيف فاطحت عامة
فخذه وسقط وكان بيده مخرش من شوحط فضربني به على رأسي فشجني مامومة
وملنا على اصحابه فقتلناهم الا رجلا واحدًا اعجزنا ثم اقبلنا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فحدثناه الحديث فقال صلى الله عليه وسلم قد نجاكم الله من القوم الظالمين وبصق
في شجتي فلم تفتح علي ولم تؤذني **قال** وفي رواية زيادة على ذلك وهي وقطع لي قطعة
من عصاه فقال امسك هذه معك علامة بيني وبينك يوم القيامة اعرفك بها فانك
تاتي يوم القيامة متخصرًا فلما دفن عبد الله بن انيس جعلت معه على جلده دون ثيابه
انتهى **اقول** تقدم نظير ذلك لعبد الله بن انيس هذا لما ارسله صلى الله عليه وسلم لقتل
سفيان بن خالد الهذلي وجاء براسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحتمل ان هذا وهم
من بعض الرواة ويحتمل تعدد الواقعة اي اعطاه صلى الله عليه وسلم عصاه اولًا في
تلك واعطاه اخرى ثانيًا في هذه وجعل العصاتين بين جلده وكفنه ولا مانع منه
لكن ربما تتشوق النفس للسؤال عن حكمة تكرير ذلك لعبد الله بن انيس وتخصيصه
بهذه المنقبة دون بقية الصحابة والله اعلم **سرية عمرو بن امية**
الضمري رضي الله عنه وسلمة بن اسلم بن حريس بالحاء المهملة وكسر الراء وسين
مهملة وكل ما في الانصار حريس بالسين المهملة الا الحريش فانه بالشين المعجمة وقبله
بدل جبار بن صخر الى ابي سفيان بن حرب بمكة ليغتالاه وسببه ان ابا سفيان رضي الله
عنه قال لنفر من قريش الا احد يغتال لنا محمدًا فانه يمشي في الاسواق وحده فاتاه رجل

من الاعراب فقال له يعني نفسه قد وجدت اجمع الرجال قلبا واشدهم بطشا واسرعهم
عدوا فاذا انت فديتني خرجت اليه حتى اغتاله فان معي خنجرا يعني الخنجر المجهز كجناح
النسر وانا عارف بالطريق فقال له انت صاحبنا فاعطاه بعيرا ونفقة وقال له اطو
امرك وخرج ليلا الى ان قدم المدينة ثم اقبل يسال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فدل
عليه وكان صلى الله عليه وسلم في مسجد بني عبد الاشهل فعقل راحلته واقبل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما راه صلى الله عليه وسلم قال ان هذا يريد غدرا والله حائل بينه وبين ما يريد
فجاء ليجني على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجذبه اسيد بن حضير رضي الله تعالى عنه بداخله
ازاره اي بحاشيته من داخل فاذا بالخنجر فاخذ اسيد يخنقه خنقا شديدا فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم اصدقني قال وانا امن قال نعم فاخبره بامره فخلى عنه رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاسلم اي وقال يا رسول الله ما كنت اخاف الرجال فلما رايتك ذهب
عقلي وضعفت نفسي ثم اطلعت على ما هممت به فعلمت انك على الحق فجعل رسول الله صلى
الله عليه وسلم يتبسم فعند ذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن امية الضمري
ومن تقدم معه الى ابي سفيان بمكة اي وذلك بعد مقتل خبيب بن عدي رضي الله عنه وصلبه
على الخشبة ومضى عمرو بن امية رضي الله عنه يطوف بالبيت ليلا فراه معاوية بن ابي
سفيان رضي الله تعالى عنهما فعرفه فاخبر قريشا بمكانه فخافوه لانه كان فاتكا في الجاهلية
وقالوا لم يات عمرو بخير واشتدوا في طلبه **قال** وفي رواية لما قدما مكة حبسا جمليهما
ببعض الشعاب ثم دخلا ليلا فقال له صاحبه يا عمرو لو طفنا بالبيت وصلينا ركعتين
ثم طلبنا ابا سفيان فقال له عمرو اني اعرف بمكة من الفرس الابلق اي وان القوم
اذا تعشوا جلسوا على افنيتهم فقال كلا ان شاء الله قال عمرو فطفنا بالبيت وصلينا
ثم خرجنا لطلب ابي سفيان فلقيني رجل من قريش فعرفني وقال عمرو بن امية فاخبر
قريشا فهربت انا وصاحبي انتهى اي وصعدنا الجبل وخرجوا في طلبنا فدخلنا
كهفا في الجبل ولقي عمرو رجلا من قريش فقتله اي قتل ذلك عمرو فلما اصبحنا غدا رجل
من قريش يقود فرسا ونحن في الغار فقلت لصاحبي ان رانا صاح بنا فخرجنا اليه
ومعي خنجر اعددته لابي سفيان فضربته على يده فصاح صيحة اسمع اهل مكة فجاء
الناس يشتدون فوجدوه باخر رمق فقالوا له من ضربك قال عمرو بن امية وغلبه
الموت فاحتملوه فقلت لصاحبي لما امسينا النجا فخرجنا ليلا من مكة نريد المدينة
فمررنا بالحرس الذين يحرسون خشبة خبيب بن عدي رضي الله تعالى عنه فقال احدهم
لولا ان عمرو بن امية بالمدينة لقلت انه هذا الماشي فلما حاذينا الخشبة شددت عليها
فحملتها واشتددت انا وصاحبي فخرجوا وراءنا فالقيت الخشبة فغيبه الله عنهم كذا في السيرة

الهشامية

الهشامية وتقدم انه صلى الله عليه وسلم ارسل الزبير والمقداد لانزاله وان الزبير انزله
فابتلعته الارض وتقدم عن ابن الجوزي مثل ما هنا من ان الذي انزله عمرو بن امية رضي
الله تعالى عنه فيحتاج الى الجمع على تقدير صحة الروايتين ويقال ان عمرا قتل رجلا اخر سمعه
يقول ولست ۞ ولست بمسلم ما دمت حيا ۞ ولست ادين دين المسلمينا ۞
ولقي رجلين بعثتهما قريش الى المدينة يتجسسان لهم الخبر فقتل احدهما واسر الاخر
ثم قدم رضي الله تعالى عنه المدينة وجعل يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله
صلى الله عليه وسلم يضحك **سرية سعيد بن زيد** رضي الله تعالى عنه
وقيل كرز بن جابر رضي الله تعالى عنه وعليها الاكثرون ومن ثم اقتصر عليه الحافظ
الدمياطي اي وقيل جرير بن عبد الله البجلي ورد بان اسلام جرير بن عبد الله المذكور
كان بعد هذه السرية بنحو اربع سنين ۞ **الى العرنيين** وسببها انه قدم على رسول
الله صلى الله عليه وسلم نفر اي ثمانية من عرينة وقيل اربعة من عرينة وثلاثة من
عكل والثامن من غيرهما مسلمين نطقوا بالشهادتين كانوا مجهودين قد كادوا
يهلكون اي لشدة هزالهم وصفرة الوانهم وعظم بطونهم وقالوا يا رسول الله آوينا
واطعمنا ۞ فانزلهم صلى الله عليه وسلم عنده اي بالصفة ثم قالوا له اي بعد ان ذكروا له
صلى الله عليه وسلم ان المدينة وبئة وخمة وانهم اهل ضرع ولم يكونوا اهل ريف
لو خرجتم الى ذودنا اي لقاح وكانت خمسة عشر فشربتم من البانها وابوالها اي لان
في لبن اللقاح جلاء وتليينا وادرارا وتفتيحا للسدد فان الاستسقاء وعظم البطن
انما ينشا عن السدد وافة في الكبد ومن اعظم منافع الكبد لبن اللقاح لا سيما ان
استعمل بحرارته التي يخرج بها من الضرع مع بول الفصيل مع حرارته التي يخرج بها
ففعلوا ثم لما صحت اجسامهم كفروا بعد اسلامهم وقتلوا راعيها وهو يسار مولى النبي
صلى الله عليه وسلم ومثلوا به اي قطعوا يديه ورجليه وغرزوا الشوك في لسانه وعينيه
حتى مات واستاقوا اللقاح وفي لفظ انهم ركبوا بعضها واستاقوها فادركهم يسار
ومعه نفر فقاتلهم فقطعوا يديه ورجليه الحديث وبلغه صلى الله عليه وسلم الخبر فبعث
صلى الله عليه وسلم في اثارهم عشرين فارسا واستعمل عليهم من تقدم وارسل معهم
من يقص اثارهم فادركوهم فاحاطوا بهم فاسروا وربطوهم المدينة فامر بهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقطعت ايديهم وارجلهم وسملت اعينهم اي غورت بمسامير
محماة بالنار والقوا بالحرة اي وهي ارض ذات حجارة سود كانها احرقت بالنار ۞
يستسقون فلا يسقون قال انس رضي الله ولقد رايت احدهم يكدم الارض بفيه
من العطش ليجد بردها لما يجده من شدة العطش حتى ماتوا على حالهم ۞ وانزل

الله فيهم انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الاية فلم يقع بعد ذلك انه صلى
الله عليه وسلم سمل عينا وفي لفظ انهم لما اسروا ربطوهم واردفوهم على الخيل حتى
قدموا بهم المدينة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة فخرجوا بهم نحوه فلقوه
بمجمع السيول فامر بهم فقطعت ايديهم وارجلهم وسملت اعينهم وصلبوا هنالك
وانه صلى الله عليه وسلم فقد من اللقاح لقحة تدعى الحنا فسيل عنها فقيل نحروها
كذا في سيرة الحافظ الدمياطي وقدم فيها هذه السرية على سرية عمرو بن امية الضمري
رضي الله تعالى عنه **سرية امير المؤمنين عمر بن الخطاب** رضي الله
تعالى عنه الى الطايف من هوازن بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب
رضي الله عنه في ثلاثين رجلا الى عجز بفتح العين المهملة وبضم الجيم وبالزاي محل بينه
وبين مكة اربع ليال بطريق صنعا يقال له تربة بضم المثناة فوق وفتح الراء ثم موحدة
مفتوحة ثم تاء تانيث واسل معه صلى الله عليه وسلم دليلا من بني هلال فكان يسير الليل
ويكمن النهار فاتى الخبر لهوازن فهربوا وجاء عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه محالهم فلم
يجد منهم احدا فانصرف راجعا الى المدينة فلما كان بمحل بينه وبين المدينة ستة اميال
قال له الدليل هل لك في جمع اخر من خثعم فقال عمر رضي الله عنه لم يامرني رسول الله صلى
الله عليه وسلم بهم انما امرني بقتال هوازن **سرية ابي بكر الصديق** رضي الله
عنه الى بني كلاب عن سلمة بن الاكوع رضي الله تعالى عنه قال بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم ابا بكر وامره علينا فسبينا ناسا من المشركين فقتلناهم فقتلت بيدي سبعة
اهل ابيات من المشركين وما زاده الاصل على هذا من قوله ان سلمة بن الاكوع قال
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر رضي الله عنه الى فزارة الخ نسب فيه للوهم لان
ذلك كان في سريته لبني فزارة بوادي القرى وقد تقدمت فيما قبلها فيحتمل ان يكون جميع
بينهما اي وهذا الذي في الاصل تبع فيه شيخه الحافظ الدمياطي وفيه ما علمت
سرية بشير بن سعد الانصاري رضي الله تعالى عنه الى بني مرة
بفدك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بشير بن سعد في ثلاثين رجلا الى بني
مرة بفدك وتقدم انها قرية بينها وبين المدينة ست ليال فخرج فلقي رعاء الشاء فسال
عن الناس فقيل في بواديهم فاستاق النعم والشاء وانحدر الى المدينة فخرج الصريخ
اليهم فادركه منهم العدد الكثير عند الليل فباتوا يراموهم بالنبل حتى فني نبل اصحاب
بشير اي فلما اصبحوا حملوا على بشير واصحابه فقتلوا من قتلوا وولى منهم ٥
وقاتل بشير قتالا شديدا حتى ارتث اي جرح وصار ما به رمق وضرب كعبه اختبارا للحياة
فلم يتحرك فقيل مات فرجعوا بنعمهم وشائهم وجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم خبرهم ثم جاء

بشير

بشير رضي الله عنه بعد ذلك الى المدينة اي فانه استمر بين القتلى الى الليل فلما امسى
تحامل حتى انتهى الى فدك فاقام بفدك عند يهودي اياما حتى قوي على المشي وجاء
الى المدينة **اقول** وهذا يدل على ان بني مرة الذين توجه اليهم بشير لم يكونوا بفدك بل
بالقرب منها فيكون قوله وهم لبني مرة بفدك فيه تسمح وان بشيرا حصلت له هذه الحالة
مرتين فليتامل **سرية غالب بن عبد الله الليثي** رضي الله تعالى عنه الى
بني عوال وبني عبد بن ثعلبة بالميفعة اسم محل وراء بطن نخل بعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم غالب بن عبد الله الليثي رضي الله تعالى عنه في مائة وثلاثين رجلا لبني عوال وبني
عبد بن ثعلبة بالميفعة ودليلهم يسار مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهجموا عليهم جميعا
ووقعوا في وسط محالهم فقتلوا من اشرافهم واستاقوا نعما وشاء ولم ياسروا احدا
وفي هذه السرية قتل اسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما الرجل الذي قال لا اله الا الله
وهو مرداس بن نهيك وفي سيرة الحافظ الدمياطي نهيك بن مرداس والاول هو
الذي في الكشاف ٥ وقال له النبي صلى الله عليه وسلم هلا شققت عن قلبه فتعلم اصادق
هو ام كاذب فعن اسامة رضي الله عنه بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فصبحنا القوم
فهزمناهم ولحقت انا ورجل من الانصار رجلا منهم فلما غشيناه قال لا اله الا الله فكف
الانصاري وطعنته برمحي حتى قتلته فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا اسامة
اقتلته بعدما قال لا اله الا الله قلت انما قال متعوذا فما زال يكررها حتى تمنيت اني لم اكن اسلمت
قبل ذلك اليوم اي تمنيت ان اكون اسلمت اليوم فيكفر عني ما صنعت **قال** كذا وقع في
الاصل ان قتل اسامة للرجل الذي قال لا اله الا الله كان في هذه السرية بن زيد للحرقة من
جهينة فصبحناها فكان رجل يدعى مرداس بن نهيك اذا اقبل القوم كان من اشدهم
علينا واذا ادبروا كان حاميتهم فهزمناهم فتبعته انا ورجل من الانصار فرفعت
عليه السيف فقال لا اله الا الله وزاد في رواية محمد رسول الله فكف الانصاري فطعنته
برمحي حتى قتلته ثم وجدت في نفسي من ذلك موجدة شديدة حتى ما اقدر على اكل الطعام
حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلني واعتنقني قال بعضهم وكان صلى
الله عليه وسلم اذا بعث اسامة بن زيد يسال عنه اصحابه رجيب ان يثني عليه خيرا فلما
رجعوا لم يسالهم عنه فجعل القوم يحدثون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون يا رسول
الله لو رايت ما فعل اسامة ولقيه رجل فقال الرجل لا اله الا الله فشد عليه اسامة
فقتله وهو صلى الله عليه وسلم معرض عنهم فلما اكثروا عليه صلى الله عليه وسلم رفع راسه الشريف
لاسامة فقال يا اسامة اقتلته بعدما قال لا اله الا الله كيف تصنع بلا اله الا الله اذا
جاءت يوم القيمة فقال اسامة رضي الله عنه انما قالها خوفا من السلاح وفي رواية انما كان

متعوذا من القتل قال اسامة رضي الله عنه ولا زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكررها
علي حتى تمنيت اني لم اسلم الا يومئذ انتهى والذي في الكشاف في تفسير قوله تعالى ولا
تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا اصله ان مرداس بن نهيك رجل من اهل فدك
اسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عليها
غالب بن فضالة الليثي رضي الله تعالى عنه فهربوا وبقي مرداس لثقته باسلامه فلما
راى الخيل الجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله
الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد واستاق غنمه فاخبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بذلك فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه ثم قرأ
الاية على اسامة فقال يا رسول الله استغفر لي قال فكيف بلا اله الا الله فما زال يكررها
حتى وددت اني لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر لي وقال اعتق رقبة وفي سياق نحو
ذلك في سرية غالب بن عبد الله الليثي الى مصاب بشير بن سعد ويبعد تعدد هذه
الواقعة سيما في مواطن ثلاثة او اربعة وكون يسار مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان دليلا في هذه السرية يقتضي انها متقدمة على سرية العرنيين فقد تقدم انهم قتلوه
ثم رأيته في النور قال ولعل هذا عبد آخر لكن لم ار لغيره ذكرا في الموالي الا ان يكون
احد موالي اقاربه عليه الصلاة والسلام فنسب اليه ومن ثم لم يشهد اسامة رضي
الله تعالى عنه مع علي كرم الله وجهه قتالا وقال له لو دخلت يدك في فم تنين لادخلت
يدي معها ولكنك قد سمعت ما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قتلت ذلك
الرجل الذي شهد ان لا اله الا الله وقتلته اعطي الله عهدا ان لا اقتل رجلا يقول
لا اله الا الله والله اعلم **سرية بشير بن سعد الانصاري** رضي الله
عنه الى يمن بفتح اليا اخر الحروف وقيل بضمها ويقال امن بالهمزة مفتوحة وسكون
الميم وجبار بفتح الجيم واد قريب من خيبر لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
جمعا من غطفان واعدهم عيينة بن حصن اي قبل ان يسلم رضي الله تعالى عنه ليكون
معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشير بن سعد
فعقد له لواء وبعث معه ثلاثمائة رجل فساروا الليل وكمنوا النهار حتى اتوا المحل المذكور
فاصابوا نعما كثيرا وتفرق الرعا بكسر الراء فذهبوا الى القوم واخبروهم فتفرقوا
ولحقوا بعليا بلادهم وعليا بضم العين وسكون اللام مقصور نقيض السفلى ولم يظفر
باحد منهم الا برجلين اسروهما فرجع بالنعم والرجلين الى المدينة فاسلم الرجلان
فارسلهما صلى الله عليه وسلم **قال** والرجلان مع جمع عيينة فان المسلمين لما لقوا جمع
عيينة انهزموا امامهم وتبعوهم اخذوا منهم ذينك الرجلين انتهى اي وعيينة بن

حصن

حصن كان يقال له الاحمق المطاع لانه كان يتبعه عشرة الاف قناة وقيل له عيينة
قال في الاصل لان عينيه جحظت اي عظمت وكبرت فلقب بذلك رضي الله عنه **سرية
ابن ابي العوجا السلمي** رضي الله عنه الى بني سليم بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم ابن ابي العوجا رضي الله تعالى عنه السلمي في خمسين رجلا الى بني سليم فكان لهم جاسوس
مع القوم فخرج اليهم وسبق القوم وحذرهم فجمعوا لهم جمعا كثيرا فجاؤا لهم وهم معدون
لهم فدعوهم الى الاسلام فقالوا اي حاجة لنا بما تدعونا اليه فتراموا بالنبل ساعة
وجعلت الامداد تاتيهم واحدقوا بالمسلمين من كل ناحية فقاتل المسلمون قتالا شديدا
حتى قتل عامتهم واصيب ابن ابي العوجا جريحا مع القتلى ثم تحامل حتى اتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم **سرية غالب الليثي** رضي الله عنه الى بني الملوح بضم
الميم وفتح اللام وتشديد الواو مكسورة ثم حاء مهملة بالكديد بفتح الكاف وكسر الدال
المهملة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله الليثي في بضعة عشر رجلا
قال وما نقل عن الواقدي انهم كانوا مائة وثلاثين رجلا فذلك في سرية لغالب غير هذه
انتهى **اقول** وهي المتقدمة التي توجهت لبني عوال وبني عبد بن ثعلبة بالميفعة والله
اعلم وامر صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله واصحابه ان يشنوا الغارة على القوم فخرجوا
حتى اذا كانوا بقديد لحقوا الحارث الليثي فاسروه فقال انما خرجت الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم اريد الاسلام فقالوا له ان كنت مسلما لم يضرك ربطنا لك يوما وليلة وان
كنت غير ذلك استوثقنا منك فشدوه وثاقا وخلفوا عنده سويد بن صخر اي وفي
لفظ خلفوا عليه رجلا اسود منهم وقالوا له ان نازعك فاحتز راسه وساروا حتى
اتوا محل القوم عند غروب الشمس فكمنوا في ناحية الوادي قال جندب الجهني وارسلني
القوم جاسوسا لهم فخرجت حتى اتيت تلا مرتفعا مشرفا على الحاضر اي القوم المقيمين
بمحلهم فلما استويت على راسه انبطحت عليه لانظر اذ خرج رجل منهم فقال لامراته
اني لانظر على هذا الجبل سوادا ما رايته قبل انظري الى اوعيتك لا تكون الكلاب جرت
منها شيئا فنظرت فقالت والله ما فقدت منها شيئا فقال ناوليني قوسي ونبلي
فناولته قوسه وسهمين فارسل سهما فوالله ما اخطأ بين عيني فانتزعته وثبت مكاني
ثم ارسل اخر فوضعه في منكبي فانتزعته وثبت مكاني فقال لامراته لو كان جاسوسا
لتحرك لقد خالطه سهماي لا ابا لك اي بكسر الكاف اي لا كافل لك غير نفسك ونحو
هذا المعنى يذكر في معرض المدح وربما ذكر في معرض الذم وفي معرض التعجب بهذا
المعنى فاذا اصبحت فانظريهما لا تمضغهما الكلاب ثم دخل فلما اطمانوا وناموا شننا
عليهم الغارة واستقنا النعم والشاء نجد ان قتلنا المقاتلة وسبينا الذرية اي وسرنا

على الحارث الليثي فاحتملوه واحتملوا صاحبهم الذي تركوه عنده فخرج صريخ القوم
في قومهم فجاءنا ما لا قبل لنا به فصار بيننا وبينهم الوادي فارسل الله سحابا امطر الوادي
ما راينا مثله فسال الوادي بحيث لا يستطيع احد ان يجوز به فصادوا وقوفا ينظرون
الينا ونحن متوجهون الى ان قدمنا المدينة اى وفي لفظ اخر فقلنا القوم ينظرون الينا
اذ جاء الله بالوادي من حيث شاء لا اجنبية ما والله ما راينا يومئذ سحابا ولا مطرا فجاء الا
يستطيع احد ان يجوزه فوقفوا ينظرون الينا وقد وقع نظير ذلك اى سيل الوادي
لقطبة بن عامر حين توجه الى بني خثعم بناحية تبالة كما سياتي **سرية غالب بن
عبد الله الليثي** رضي الله تعالى عنهم اى في بني مرة بفدك لما قدم غالب من الكديد
مويدا منصورا بعثه صلى الله عليه وسلم في مائتي رجل الى حيث اصيب اصحاب بشير بن سعد
وذلك في بني مرة بفدك وكان قبل قدوم غالب هيا صلى الله عليه وسلم الزبير لذلك
وعقد له لوا فلما قدم غالب رضي الله تعالى قال صلى الله عليه وسلم للزبير اجلس فسار
غالب رضي الله عنه الى ان صبح القوم فاغاروا عليهم وكان غالب رضي الله تعالى عنه قد اوصاهم
بعد ما الفهم له ولخاين القوم فساقوا نعما وقتلوا منهم **قال** لما دنا غالب منهم
ليلا قام فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله ثم قال اما بعد فاني اوصيكم بتقوى الله تعالى
وحده لا شريك له وان تطيعوني ولا تخالفوا لي امرا فانه لا راى لمن لا يطاع **وفي**
رواية لا تعصوني فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يطع اميري فقد اطاعني
ومن عصاه فقد عصاني وانكم متى ما تعصوني فانكم تعصوا نبيكم صلى الله عليه وسلم
ثم الف رضي الله تعالى عنه بين القوم فقال يا فلان انت وفلان ويا فلان انت وفلان لا يفارق
رجل منكم زميله فاياكم ان يرجع الرجل منكم فاقول له اين صاحبك فيقول لا ادري فاذا
كبرت فكبروا فلما احاطوا بالقوم كبر غالب رضي الله تعالى عنه وكبروا معه وجردوا
السيوف فخرج الرجال فقاتلوا ساعة ووضع المسلمون فيهم السيف وكان شعار
المسلمين امت امت وكان في القوم اسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما وتفقده غالب رضي
الله عنه فلم يره وبعد ساعة اى من الليل اقبل ه فلامه غالب وقال الم تر الى ما عهدت اليك
فقال خرجت في اثر رجل منهم جعل يتهكم بي حتى اذا دنوت منه وضربته بالسيف فقال لا اله
الا الله فقال له الامير بيسما فعلت وما جئت به تقتل امرا يقول لا اله الا الله فندم
اسامة وساق المسلمون النعم والشاء والذرية فكان سهم كل رجل عشرة ابعرة وعدل
البعير بعشرة من الغنم انتهى وتقدمت الحوالة على هذه وتقدم ما فيه وقوله هنا حتى
اذا دنوت منه وضربته بالسيف قال لا اله الا الله يقتضي انه انما قال لا اله الا الله بعد
ضربه بالسيف الا ان يحمل على الارادة وتقدم انه طعنه برمحه فليتامل **سرية**

شجاع بن وهب الاسدي رضي الله تعالى عنه الى بني عامر بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب رضي الله تعالى عنه في اربعة وعشرين رجلا الى
جمع من هوازن اى يقال لهم بنو عامر وامره صلى الله عليه وسلم ان يغير عليهم وكان يسير
الليل ويكمن النهار حتى صبحهم وهم غافلون اى وقد نهى اصحابه ان يمنعوا في الطلب ه فاصابوا
نعما وشاء واستاقوا ذلك حتى قدموا المدينة فكان سهم كل رجل خمسة عشر بعيرا وعدل
البعير بعشرة من الغنم **سرية كعب بن عمير الغفاري** رضي الله تعالى عنه
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن عمير الغفاري الى ذات اطلاح من ارض الشام
وراء وادي القرى في خمسة عشر رجلا فوجدوا جمعا كثيرا اى لانه لما دنا كعب بن عمير رضي الله
تعالى عنه من القوم ذهب عين لهم فاخبرهم بقلة المسلمين ه فدعوهم الى الاسلام فلم
يستجيبوا ورشقوهم بالنبل فقاتلهم المسلمون اشد القتال حتى قتلوا عن اخرهم الا كعب
ابن عمير فانه ظن قتله فلما امسى تحامل حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق ذلك عليه
فهم بالبعث اليهم فبلغه انهم ساروا الى محل اخر فتركهم **اقول** لم اقف على السبب الذي
اقتضى البعث الى ذلك المحل والله اعلم **سرية عمرو بن العاص** رضي الله عنه
الى ذات السلاسل ارض بها ما يقال له السلاسل بضم السين الاولى وكسر الثانية اى
وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى المشهور انها بفتح الاولى قيل سمي المكان
بذلك لانه كان به رمل بعضه على بعض كالسلسلة يقال له ماء سلسل وسلسال
اذا كان سهل الدخول في الحلق لعذوبته وصفائه وتلك الارض وراء وادي القرى
وقيل لان المشركين ارتبط بعضهم الى بعض مخافة ان يفروا **اقول** ولخالد بن الوليد
رضي الله عنه في زمن الصديق غزاة مع اهل فارس يقال لها ذات السلاسل لكثرة من
تسلسل فيها من الشجعان خوف الفرار فقتلوا عن اخرهم لان السلاسل منعتهم من
الهزيمة وبعث بالسلاسل الى الصديق رضي الله تعالى عنه والله اعلم بلغ رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان جمعا من قضاعة قد تجمعوا يريدون المدينة فدعا رسول الله صلى الله
عليه وسلم عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه اى وذلك بعد اسلامه بسنة **وعقد**
له لوا ابيض وجعل معه راية سودا وبعثه في ثلثمائة من سراة المهاجرين والانصار
ومعهم ثلاثون فرسا وامره صلى الله عليه وسلم ان يستعين بمن مر عليهم فسار الليل
وكمن النهار حتى قرب من القوم فبلغه ان لهم جمعا كثيرا فبعث رافع بن كعب الجهني
رضي الله تعالى عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث اليه ابا عبيدة بن الجراح
في مائتين من سراة المهاجرين والانصار منهم ابو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما وعقد له
لوا وامره ان يلحق بعمرو وان يكونا جميعا ولا يختلفا فلحق بعمرو وابو عبيدة واراد

ابو عبيدة ان يؤم الناس فقال عمرو انا قدمت على مددا وانا الامير قال وعند ذلك قال
جمع من المهاجرين الذين مع ابي عبيدة لعمرو انت امير اصحابك وهو امير اصحابه
فقال عمرو لا انتم مدد لنا فلما راى ابو عبيدة الاختلاف قال لتعلم يا عمرو ان اخر ما عهد
الي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قال ان قدمت على صاحبك فتطاوعا ولا تختلفا
وانك والله ان عصيتني لاطيعنك قال فاني الامير عليك قال فدونك انتهى ه اى لان
ابا عبيدة رضى الله تعالى عنه كان حسن الخلق لين العريكة فكان عمرو يصلي بالناس وعن
عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه قال بعث الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرني ان
اخذ ثيابي وسلاحي فقال لي يا عمرو اني اريد ان ابعثك على جيش فيغنمك الله ويسلمك
فقلت اني لم اسلم رغبة في المال قال نعم المال الصالح للرجل الصالح ورا واجمعا كثيرا
تحمل عليهم المسلمون فتفرقوا قال واراد المسلمون ان يتبعوهم فمنعهم عمرو رضى الله
تعالى عنه وارادوا ان يوقدوا نارا ليصطلوا عليها من البرد فمنعهم عمرو اى وقال كل
من اوقد نارا الا قذفته فيها فشق عليهم ذلك لما فيه من شدة البرد فكلمه بعض سراة
المهاجرين في ذلك فغالظه عمرو في القول وقال له قد امرت ان تسمع لي وتطيع قال نعم
قال فافعل ولما بلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه غضب وهم ان ياتيه فمنعه
ابو بكر رضى الله تعالى عنه وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستعمله الا لعلمه بالحرب
فسكت واحتلم عمرو رضى الله تعالى عنه وكانت تلك الليلة شديدة البرد جدا فقال لاصحابه
ما ترون قد والله احتلمت فان اغتسلت مت فدعا بماء فغسل فرجه وتوضأ وتيمم ثم قام
وصلى بالناس انتهى ثم بعث عمرو عوف بن مالك مبشرا للنبي صلى الله عليه وسلم بقدومهم
وسلامتهم قال قال عوف بن مالك رضى الله تعالى عنه جئته صلى الله عليه وسلم وهو يصلي
في بيته فقلت السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته فقال اعوف بن مالك
فقلت نعم بابي انت وامي يا رسول الله قال اخبرني فاخبرته بما كان من مسيرنا وما
كان بين ابي عبيدة بن الجراح وبين عمرو من مطاوعة ابي عبيدة لعمرو فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله ابا عبيدة بن الجراح واخبرته بمنع عمرو رضى الله تعالى
عنه للمسلمين من اتباع العدو ومن ايقاد النار ومن صلاته باصحابه وهو جنب فلما
قدم عليه عمرو كلمه صلى الله عليه وسلم في ذلك فقال كرهت ان يوقدوا نارا فيرا عدوهم قلتهم
وكرهت ان يتبعوهم فيكون لهم مدد فيعطفون عليهم فحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
امره وقال يا عمرو وسالني عن صلاتي فقال يا عمرو صليت باصحابك وانت جنب فقلت والذي
بعثك بالحق اني لو اغتسلت لمت لم اجد بردا قط مثله وقد قال الله تعالى ولا تلقوا بايديكم
الى التهلكة فضحك صلى الله عليه وسلم انتهى اى يحتاج ايمتنا الى الجواب عن صلاة

الصحابة خلفه فاني لم اقف على انه صلى الله عليه وسلم امرهم بالقضا سرية الخبط
وهو ورق السمر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا عبيدة بن الجراح في ثلاثمائة
رجل من المهاجرين والانصار فيهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى حي من جهينة في
ساحل البحر وقيل ليرصدوا عيرا لقريش اي وعليه فتكون هذه السرية قبل الهدنة
الواقعة في الحديبية لما تقدم انه صلى الله عليه وسلم بعد الهدنة لم يكن يرصد عيرا
لقريش الى الفتح وتقدم سرية الخبط بعيد ذلك يجوز ان يكون سرية الخبط مرتين
مرة قبل الهدنة ومرة بعدها او من نحو ذلكم على هذا القول بانه وهم فاقاموا رضي
الله عنهم بالساحل نصف شهر واصابهم جوع شديد حتى اكلوا الخبط اي كانوا
يبلونه بالماء ويأكلونه حتى تقرحت اشداقهم فان ابا عبيدة رضي الله عنه
كان يعطي الواحد منهم في اليوم والليلة تمرة واحدة يمصها ثم يصر بها في ثوبه ه اي
وعن الزبير رضي الله عنه انه قيل له كيف كنتم تصنعون بالتمرة قال نمصها
كما يمص الصبي ثدي امه ثم نشرب عليها من الماء فتكفينا يومنا الى الليل لانه صلى
الله عليه وسلم زودهم جرابا من تمر فجعل ابو عبيدة رضي الله عنه يقوتهم اياه حتى
صار يعدّه لهم عدا حتى كان يعطي الواحد تمرة كل يوم ثم بعد التمر اكلوا الخبط د
ولما راى قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما ما بالمسلمين من جهد الجوع اي
مشقته اي قال قائلهم والله لو لقينا عدوا ما كان منا حركة من
الضعف لما بالناس من الجهد قال من يشتري مني تمرا اوفيه له بالمدينة بجزر يوفيها
الي هنا فقال له رجل من اهل الساحل انا افعل لكن والله ما اعرفك من
انت فقال انا قيس بن سعد بن عبادة فقال الرجل ما اعرفني بسعد ان بيني وبين
سعد خلة سيد اهل يثرب فاشترى خمس جزائر كل جزور بوسق من تمر والوسق بفتح
الواو وستون صاعا وجمع الاول اوسق والثاني اوساق فقال له الرجل اشهد
لي فقال اشهد من تحب فاشهد نفرا من المهاجرين والانصار من جملتهم عمر بن
الخطاب رضي الله عنهم وقيل ان عمر رضي الله عنه امتنع من ان يشهد وقال هذا
يدان ولا مال له انما المال لابيه فقال الرجل والله ما كان سعد ليخني بابنه اي
اي لا يوفي عن ابنه ما التزمه فكان بين قيس وعمر كلام حتى اغلظ له قيس
الكلام واخذ قيس رضي الله عنه الجزر فنحر لهم منها ثلاثة في ثلاثة ايام
ثم اراد ان ينحر لهم في اليوم الرابع فنهاه ابو عبيدة وقال له عزمت عليك ان
لا تنحر اتريد ان تخفر ذمتك اي لا يوفي لك بما التزمت ولا مال لك فقال
له قيس رضي الله عنه اتري ابا ثابت يعني والده سعد يقضي ديون الناس

الناس ويطعم في المجاعة ولا يبقي دينًا استدنته لقوم مجاهدين في سبيل الله
وفي البخاري ان قيسًا رضي الله عنه نحر لهم تسع جزاير كل يوم ثلاثًا ثم
نهاه ابو عبيدة اي ومما يؤيد ما ذكر من ان الجزر كانت خمسة وانه نحر لهم ثلاثة
ايام كل يوم جزورًا ما جاء في بعض الروايات انه بقي معه جزوران قدم بهما المدينة
يتعاقبون عليهما فلينظر الجمع ثم ان البحر القى لهم دابة مايلة يقال لها
العنبر بحيث ان ابا عبيدة رضي الله عنه نصب ضلعًا من اضلاعها وفي
لفظ من اضلاعه ومرّ تحته اطول رجل في القوم اي وهو قيس بن سعد بن عبادة
رضي الله عنهما راكبًا على اطول بعير لم يطاطي راسه وعن جابر رضي الله عنه
انه قال دخلت انا وفلان وفلان وعد خمسة نفر عينها ما رآنا احد اي وفي
لفظ ولقد اخذ منا ابو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فاقعدهم في وقب عينها
فاكلوا منها اياما اي نحو شهر وكانوا ثلاثمائة نفر بعضهم لما نفرحت اشد
اقنا من الخبط انطلقنا على ساحل البحر فرفع لنا كهيئة الكثيب الضخم
فاتيناه فاذا هي دابة تدعى العنبر فقال ابو عبيدة رضي الله عنه
ميتة ثم قال اضطررتم فكلوا فاقمنا عليه شهرًا ونحن ثلاثمائة حتى سمنا
ولقد رايتنا نغترف من وقب عينه الدهن بالقلال وفي رواية فاخرجنا
من عينه كذا وكذا ودك وحملوا من لحمها الى المدينة اي وقيل لها العنبر
لانها تبتلع العنبر فعن الامام الشافعي رضي الله عنه قال سمعت من يقول
رايت العنبر نابتًا في البحر ملتويًا مثل عنق الشاة وفي البحر دابة تاكله وهو
سم لها فيقتلها فيقذفها البحر فيخرج العنبر من جوفها وقيل العنبر اسم
لسمكة مخصوصة في البحر هايلة الخلقة طولا وعرضًا وقد اخبرني بعض
السفار انه جاء ماتت على شاطي البحر فالقي في البحر فابتلعته سمكة فوقفت
اخفافه بديه في حلقها فماتت سمكة فابتلعت تلك السمكة وفي زمن الحاكم
بامر الله وجدت سمكة بدمياط طولها ماية ذراع وعرضها مائة وستون
ذراعًا فكان يقف في فمها خمس رجال بالمجاريف يجرفون الشحم واقام اهل
دمياط ياكلون من لحمها نحو خمسة اشهر ولما بلغ سعد بن عبادة رضي الله
عنه ما حصل للمسلمين من المجاعة قبل قدومهم قال ان يكن قيسًا يعني
ولده كما اعهد فلينحر للقوم فلما قدم قيس قال له سعد ما صنعت في
مجاعة القوم قال نحرت قال اصبت ثم قال ماذا قال ثم نحرت قال اصبت
قال ثم ماذا قال ثم نحرت قال اصبت قال ثم ماذا قال ثم نهيت قال ومن

نهاك

نهاك قال اميري ابو عبيدة قال ولم قال زعم انه لا مال لي انما المال لا
بيك فقلت له ابي يقضي عن الاباعد ويحمل الكل ويطعم في المجاعة ولا يصنع هذا بي
فلولا ان الموافقني ذا يا عليه عمر بن الخطاب الا التصميم على المنع فقال سعد لولده
قيس لك اربع حوايط اي بساتين ادناها ما يحصل منها خمسون وستًا
ثم ان قيسًا رضي الله عنه وفي الرجل صاحب الجزر وحملة اي اعطاه ما يركبه
وكساه فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ما فعل قيس فقال انه في بيت جود ان الجود
لمن شيمة اهل ذلك البيت اي ومن ثم قال بعضهم لم يكن في الاوس والخزرج
مطعمون بيوا الدول في بيت واحد الا قيس وابوه سعد وابوه عبادة وابوه وليم
كان في كل يوم يقف شخص على اطم ينادي من يريد اللحم والشحم فعليه بدار ابي
شنين وليم اي وكان اصحاب الصفة اذا امسوا انطلق الرجل بالواحد والرجل بالا
والرجل بالجماعة واما سعد فينطلق بالثمانين وعن سعد بن عبادة زارنا النبي صلى
الله عليه وسلم في منزلنا فقال السلام عليكم ورحمة الله ثم قال
اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على ال سعد بن عبادة قال ويذكر
ان سعدًا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يعذرني من ابن الخطاب يتحل عليَّ
ابي انتهى ويذكر عن سعد بن عبادة رضي الله عنه انه كان شديد الغيرة
لم يتزوج الا بكرًا وما طلق امراة فقدر احد ان يتزوجها وعن جابر رضي الله
عنه فلما قدمنا المدينة ذكرنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر العنبر فقال
رزق اخرجه الله تعالى اليكم لعل معكم من لحمه شي فتطعمونا فارسلنا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم منه فاكله اي ولم يكن اروح بدليل انه صلى الله عليه
وسلم قال لو نعلم انا ندركه لم يروح لاحببنا لو كان عندنا منه قال ذلك اذ ردنا
منه سرية ابي قتادة رضي الله عنه الى غطفان ارض محارب بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم ابا قتادة في خمسة عشر رجلا الى غطفان وامره ان
يشن الغارة عليهم فصار رضي الله عنه يسير الليل ويكمن النهار حتى هجم
واحاط بهم فقتلوا من اشرف لهم واستاقوا الابل والغنم فكانت الابل مائتي
بعير والغنم الفي شاة وسبوا سبيًا كثيرًا فاصاب كل رجل بعد اخراج الخمس
اثني عشر بعيرًا وعدل البعير بعشر من الغنم ووقع في سهم ابي قتادة رضي الله
عنه جارية حسناء وضيئة فاستوهبها منه صلى الله عليه وسلم فوهبها له ثم
وهبها صلى الله عليه وسلم لمحمية بن جزء وفي بعج وعد بجارية من اول في يفي الله به
فجاء له الشخص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان ابا

قتادة قد اصاب جارية وضيئة وقد كنت وعدتني جارية من اول فيء يفيء الله
به عليك فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قتادة قال هب لي
الجارية فوهبها له الحديث سرية عبد الله بن ابي حدرد الاسلمي رضي الله
عنه الى الغابة وهي الشجر الملتف قال عبد الله المذكور تزوجت امراة من قومي
فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم استعينه على ذلك فقال كم اصدقت قلت
مائتي درهم فقال سبحان الله لو كنتم تاخذون الدراهم من بطن واديكم
هذا اي وفي لفظ لو كنتم تغرفونها من ناحية بطحان ما زدتم والله ما عندي
ما اعينك فلبثت اياما فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني رسول الله صلى
الله عليه وسلم ورجلين من المسلمين فقال اخرجوا الى هذا الرجل حتى تاتوني
بخبره ودفع لنا شارفا عجفاء اي ناقة مسنة وقال تبلغوا عليها واعتقبوها
فركبها احدنا فوالله ما قامت به ضعفا حتى ضربت فخرجنا ومعنا سلاحنا
النبل والسيوف حتى اذا جئنا قريبا من القوم عند غروب الشمس فكمنت
في ناحية وصاحبي في ناحية اخرى فقلت لهما اذا سمعتماني قد كبرت
فكبرا فوالله انا كذلك ننتظر غرة القوم الا ورفاعة بن قيس او قيس
ابن رفاعة الجمع للقوم خرج في طلب راع لهم ابطا عليهم وتخوفوا عليه
فقال له نفر من قومه نحن نكفيك ولا تذهب انت فقال
والله لا يتبعني احد منكم وخرج حتى مر بي فلما امكنني نفحته اي رميته
بسهم فوضعته في فؤاده فوالله ما تكلم ووثبت اليه فاحتززت راسه
وشددت في ناحية العسكر وكبرت وشد صاحباي وكبرا فهرب القوم
واستقنا ابلا وغنما كثيرة فجئنا بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من
تلك الابل بثلاثة عشر بعيرا في صداقي قال وبعضهم جعل هذه
السرية وسرية ابي قتادة الى غطفان بارض محارب التي قبل هذه واحدة ومن
ثم ذكرتها عقبها خلاف ما فعل في الاصل قال ويؤيد لكونهما واحدة
ما نقل عن عبد الله بن ابي حدرد قال لما طلبت منه صلى الله عليه وسلم
الاعانة في مهر زوجتي قال لي ما وافقت عندنا شيئا اعينك به ولكن قد
اجمعت ان ابعث ابا قتادة في اربعة عشر رجلا في سرية فهل لك ان تخرج
فيها فاني ارجو ان يغنمك الله مهر امراتك فقلت نعم فخرجنا حتى جئنا
الحاضر اي وهم القوم النزول على ماء يقيمون به ولا يرحلون عنه اي
كما تقدم فلما ذهبت فحمة العشاء اي اقباله واول سواده خطبنا ابو

قتادة

قتادة واوصانا بتقوى الله تعالى والف بين كل رجلين وقال لا يفارق
كل رجل زميله حتى يقتل اي يرجع ولا يجيء الى الرجل فاساله عن صاحبه فيقول
لا علم لي به واذا كبرت فكبروا واذا حملت فاحملوا ولا تمعنوا في الطلب فاحطنا
بالحاضر فجرد ابو قتادة سيفه وكبر وجردنا سيوفنا وكبرنا معه وقاتل رجال
من القوم واذا فيهم رجل طويل فاقبل علي وقال يا مسلم هلم الى الجنة يتهكم
فحملت عليه فذهب امامي اي وصار يقبل علي بوجهه مرة ويدبر عني
بوجهه مرة اخرى فتبعته فقال لي صاحبي لا تبعد فقد نهانا
اميرنا ان نمعن في الطلب ولا زال كذلك فقال ان صاحبكم لذو مكيدة
وان امره هو الامر فادركته فرميته فقتلته واخذت سيفه وجئت
صاحبي واخبرني انهم جمعوا الغنائم وان ابا قتادة تغيظ علي وعليك
فجئت ابا قتادة فلامني فاخبرته الخبر ثم سقنا الغنم وحملنا النساء
وجفون السيوف معلقة بالاقتاب ثم لما اصبحنا رايت في السبي امراة
كانها ظبي تكثر الالتفات خلفها وتبكي فقلت لها اي شيء تنظرين قالت
انظر والله الى رجل لئن كان حيا ليستنقذنا منكم فوقع في نفسي انه الذي
قتلته فقلت لها والله قد قتلته وهذا والله سيفه معلق بالقتب فقالت
فالق الي غمده فقلت هذا غمد سيفه فلما راته بكت ولبثت انتهى ولا يخفى
ان السياق في محل يبعد كونهما واحدة سرية ابي قتادة رضي الله عنه
الى بطن اضم اسم موضع او جبل لما هم رسول الله صلى الله عليه وسلم بغزو
مكة بعث ابا قتادة في ثمانية نفر من جملتهم محلم بن جثامة الليثي الى بطن
اضم ليظن ظان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توجه الى تلك الناحية
ولتنتشر الاخبار فمر عليهم عامر بن الاضبط الاشجعي فسلم عليهم بتحية
الاسلام فامسك عنه القوم وحمل عليه محلم فقتله اي لشيء كان بينه وبينه
وسلبه متاعه وبعيره وعند وصولهم الى ذلك المحل رجعوا فبلغهم ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه الى مكة فمالوا اليه حتى لقوه
قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمحلم اقتلته بعد
ما قال امنت بالله وفي رواية بعد ما قال اني مسلم اي اتى بما لم ياتي به
الا مؤمن امن بالله وكان مسلما فقال يا رسول الله انما قالها اي تحية
الاسلام متعوذا قال افلا شققت عن قلبه فقال يا رسول الله قال لنعلم اصادق
هو ام كاذب اي وفي رواية فقال يا رسول الله لو شققت عن قلبه اكنت

اعلم ما في قلبه فقال له فلا انت قبلت ما تكلم به ولا انت تعلم ما في قلبه فقال
استغفر لي يا رسول الله فقال لا اغفر الله لك فقام يتلقى دمعه ببرده انتهى د
وانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا
لمن القى اليكم السلام لست مومنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم
كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا الي اخر الاية وذكر ابن اسحاق
في خبر محلم ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بحنين ثم عمد الي ظل الشجرة د
فجلس تحتها فقام اليه الاقرع بن حابس وعيينة بن حصين يختصمان في
عامر بن الاضبط عيينة بن حصين يطلب دمه اي ويقول والله يا رسول الله
لا ادعه حتى اذيق نساءه من الحر مثل ما اذاق نسائي والاقرع يدافع عن محلم
وارتفعت الاصوات وكثرت الخصومة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
اي لعيينة ومن معه بل تاخذون الدية خمسين في سفرنا هذا وخمسين اذا
رجعنا وهو يابى عليه ولم يزل به حتى اتفقا علي الدية ثم قالوا ان محلما
يستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام محلم وهو رجل ادم طويل اي عليه
حلة قد كان تهيا للقتل فيها حتى جلس بين يدي رسول الله صلى الله د
عليه وسلم وعيناه تدمعان فقال صلى الله عليه وسلم له ما اسمك قال انا محلم
قد فعلت الذي بلغك واني اتوب الي الله تعالى واستغفر لي يا رسول الله
فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال اللهم لا تغفر لمحلم ثلاثا
بصوت عال فقام يتلقى دمعه بفضل ردائه فما مكث الا سبعا حتى مات
ولفظته الارض مرات حتى ضموا عليه الحجارة روواه اي فلما اخبروا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بذلك قال لهم ان الارض تقبل من هو شر من صاحبكم د
ولكن الله يعظكم اي وفي رواية ان الله احب ان يريكم تعظيم حرمة لا اله الا
الله اي حرمة من ياتي بها ولفظ الارض له يرد ما قيل ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم استغفر له بعد موته وبوافقه ما في بعض الروايات اراد الله
ان يجعله موعظة لكم لكيلا يقدم رجل منكم علي قتل من يشهد ان لا اله الا
الله او يقول اني مسلم اذ ذهبوا به الي شعب بني فلان فادفنوه فان الارض
مستقبلة فدفنوه في ذلك الشعب فيجوز ان يكون صلى الله عليه وسلم د
استغفر له حينئذ فقيل الذي لفظته الارض غير محلم لان محلما مات د
بحمص ايام ابن الزبير والذي لفظته الارض اسمه فليت سرية خالد بن الوليد
رضي الله عنه الي العزى ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي حين فتح مكة

خالد

خالد بن الوليد في ثلاثين فارسا من اصحابه الي العزى وهو صنم كان لقريش
وكان معظما جدا وفي لفظ العزى نخلات اي سمرات مجتمعة اي لانه كان يهدى
اليها كما يهدى الي الكعبة لان عمرو بن يحيى اخبرهم ان الرب عز وجل يشتي د
بالطايف عند اللات ويصيف عند العزى ه فلما وصل اي خالد اليها اي وكان
ذلك منسبا علي ثلاث سمرات فقطع السمرات وهدم ذلك البناء ه ثم رجع الي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فقال هل رايت شيئا قال لا قال
فارجع اليها فرجع خالد وهو متغيظ فجرد سيفه فخرجت اليه امراة عريانة ه
سوداء ثايرة الراس اي شعر راسها منتشر تحثوا التراب علي راسها فجعل الناس دن
يصيح بها اي يقول يا عزى عورتك يا عزى حبلتك فضربها خالد فقطعها
نصفين اي وهو يقول يا عزى كفرانك لا سبحانك اني رايت الله قد
اهانك ه ورجع الي رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم تلك العزى سرية عمرو
ابن العاص رضي الله عنه الي سواع بالعين المهملة اي سمي باسم سواع
ابن نوح وكان علي صورة امراة كان لقوم نوح ثم صار لهذيل كانوا يحجون اليه
اي قبل فتح مكة وبعد ذلك ه ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن
العاص في جماعة من اصحابه الي سواع ليكسره ويهدم محله قال عمرو فانتهيت
الي ذلك الصنم وعنده سادنه اي خادمه فقال لي ما تريد فقلت امرني
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهدمه قال لا تقدر قلت لم قال تمنع قلت
حتى الان انت علي الباطل ويحك وهل يسمع او يبصر فدنوت منه فكسرته
وامرت اصحابي فهدموا بيت خزانته فلم نجد فيه شيئا ثم قلت للسادن
كيف رايت قال اسلمت لله عز وجل سرية سعد بن زيد الاشهلي
الي مناة صنم كان للاوس والخزرج ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم د
سعد بن زيد الاشهلي في عشرين فارسا الي مناة ليهدم محله فلما وصلوا
الي ذلك الصنم قال السادن لسعد ما تريد قال هدم مناة قال
انت وذاك فاقبل سعد الي ذلك الصنم فخرجت اليه امراة عريانة سوداء
ثايرة الراس تدعوا بالويل وتضرب صدرها فقال لها السادن مناة
دونك بعض عصاتك فضربها سعد رضي الله عنه فقتلها وهدم
محلها سرية خالد بن الوليد الي بني جذيمة بناحية يلملم يدعوهم الي
الاسلام ولم يكن صلى الله عليه وسلم علم باسلامهم ولم يامرهم بقتالهم اي
اذا لم يسلموا ابعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد في ثلثماية

وخمسين رجلا من المهاجرين رجلا من المهاجرين والانصار ومن بني سليم اي
وهو صلى الله عليه وسلم مقيم بمكة الي بني جذيمة وكانوا في الجاهلية قد قتلوا ا
الفاكه ايضا وكانوا من اشد حي في الجاهلية وكانوا يسمون لعقة الدم و
قتلوا والد عبد الرحمن بن عوف فلما علموا به وعلموا ان معه بنو سليم وكا
قتلوا منهم مالك بن الشريد واخويه في موطن واحد خافوه فلبسوا السلا
فلما انتهى خالد اليهم تلقوه فقال لهم خالد اسلموا فقالوا نحن قوم مسلمون
قال فالقوا سلاحكم وانزلوا قالوا لا والله ما بعد وضع السلاح الا القتل
ما نحن بامنين لك ولا بمن معك قال خالد فلا امان لكم الا ان تنزلوا
فنزلت فرقة منهم فاسرهم وتفرقت بقية القوم وفي رواية لما انتهى خالد
الي القوم تلقوه فقال لهم ما انتم اي امسلمون ام كفار فقالوا مسلمون
قد صلينا وصدقنا بمحمد وبنينا المساجد في ساحاتنا واذنا فيها وفي
لفظ لم يحسنوا ان يقولوا اسلمنا فقالوا صبانا صبانا قال فما بال السلاح
عليكم قالوا ان بيننا وبين قوم من العرب عداوة فخفنا ان تكونوا منهم
فاخذنا السلاح قال فضعوا السلاح فوضعوا فقال استاسروا فامر
بعضهم فكتف بالتخفيف بعضا وفرقهم في اصحابه فلما كان في السحر
نادي منادي خالد من كان معه اسير فليقتله فقتل بنو سليم من
كان معهم وامتنع المهاجرون والانصار وارسلوا اسراهم فلما بلغ النبي
صلي الله عليه وسلم ما فعل خالد اي قال رجل انفلت من القوم جا الي النبي صلي
الله عليه وسلم فاخبره بما فعل خالد فقال له النبي صلي الله عليه
وسلم هل انكر عليه احد ما صنع قال نعم رجل اصفر ربعة ورجل طويل احمر
فقال عمر رضي الله عنه والله يا رسول الله اعرفهما اما الاول فهو ابني
وهذه صفته واما الاخر فهو سالم مولي ابي حذيفة فعند ذلك قال
صلي الله عليه وسلم اني ابرا اليك مما صنع خالد اي قال ذلك مرتين
وبعث رسول الله صلي الله عليه وسلم علي بن ابي طالب رضي الله عنه فودي
لهم قتلاهم قال قال صلي الله عليه وسلم له يا علي اخرج الي هولا القوم
فانظر في امرهم ودفع اليه مالا اي ابلا وورقا يدي به قتلاهم ويعطيهم
منه بدل ما تلف عليهم من اموالهم فودي قتلاهم واعطاهم عوض ما تلف
حتى ميلغة الكلب اي الاناء الذي يشرب فيه حتى اذا لم يبق لهم دم ولا مال
قال هل بقي لكم دم او مال قالوا لا قال اعطيكم ما بقي معي من المال احتياطا

بعد ما لا يعلمون اي مما تلف من اموالكم ثم رجع الي رسول الله صلي الله عليه وسلم
فاخبره الخبر فقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم اصبت واحسنت اي وزاد
في رواية والذي انا عبده لهي احب الي من حمر النعم ثم قام رسول الله صلي الله عليه
وسلم فاستقبل القبلة شاهرا يديه يقول اللهم اني ابرا اليك
مما صنع خالد بن الوليد ثلاث مرات انتهى ووقع بين خالد وبين عبد الرحمن
ابن عوف شر بسبب ذلك فقال له عبد الرحمن عملت بامر الجاهلية في الاسلام
فقال انما اخذت بثار ابيك فقال له عبد الرحمن كذبت انا قد قتلت قاتل
ابي اي وفي رواية كيف تاخذ مسلمين بقتل رجل في الجاهلية فقال خالد
ومن اخبركم انهم اسلموا فقال اهل السرية كلهم يخبرونك انا قد وجدناهم بنوا
المساجد واقروا بالاسلام فقال جاني امر رسول الله صلي الله عليه وسلم ان
اغير فقال له عبد الرحمن بن عوف كذبت علي رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا غير
فقال له عبد الرحمن بن عوف كذبت علي رسول الله صلي الله عليه
وسلم وانما اخذت بثار عمك فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم مهلا يا
خالد دع عنك اصحابي فوالله لو كان احد ذهبا ثم انفقته في سبيل الله
ما ادركت غدوة رجل منهم ولا روحته اي والغدوة السير من اول النهار
الي الزوال والروحة السير من الزوال الي اخر النهار والمراد باصحابه صلي
الله عليه وسلم هنا السابقون للاسلام ومنهم عبد الرحمن بن عوف كما هو
المراد كما تصرح به الرواية الاتية فقد نزل الصحابة غير السابقين
الذين وقع منهم الرد علي الصحابة السابقين لكون ذلك لا يليق بهم
منزلة غير الصحابة قال ولما عاب عبد الرحمن علي خالد الفعل المذكور
اعان عبد الرحمن عمر بن الخطاب وان رسول الله اعرض عن خالد وقال يا
خالد ذر اصحابي وفي رواية لا تسب اصحابي لو كان لك احد ذهبا
تنفقه قيراطا قيراطا في سبيل الله لم تدرك غدوة او روحة من غدوات
او روحات عبد الرحمن انتهى اي ولا يخفى انه يبعد ان خالد بن الوليد
انما قتلهم لقولهم صبانا ولم يقولوا اسلمنا الا ان يقال يجوز ان يكون
خالد فهم انهم قالوا ذلك علي سبيل الانفة وعدم الانقياد الي الاسلام
وانه صلي الله عليه وسلم انما انكر عليه العجلة وترك التثبت في امرهم
قبل ان يعلم المراد من قولهم صبانا ثم لا يخفي انه جا لا تسبوا اصحابي فلو
انفق احدكم مثل احد ذهبا ما ادرك مد احدهم ولا نصيفه ونقل الامام

السبكي عن سيدي الشيخ تاج الدين بن عطاء الله فانه كان يحضر مجلس
وعظه ان قوله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي كان خطابا لمن ياتي بعده
من امته لانه صلى الله عليه وسلم كان له تجليات فراى في بعضها ساير امته الاتين
من بعده فقال ـــ خطابا لهم لا تسبوا اصحابي وارتضى منه هذا
التاويل فالنهي والخطاب بلا تسبوا اصحابي لغير الصحابة تنزيلا للغائب
الذي لم يوجد منزلة الموجود الحاضر وفيه ان هذا لا يساعد عليه المقام
وفي هذا الحديث من التنويه برفعة الصحابة وعلو منزلتهم ما يقطع الاطماع
عن مداناتهم فان كون ثواب انفاقه مثل جبل احد ذهبا في وجوه الخير لا
يبلغ ثواب المتصدق بنصف المد الذي اذا طحن وعجن لا يبلغ الرغيف المعتاد
امر عظيم **اقول** ـــ ووقع لخالد رضي الله عنه نظير ذلك في
زمن خلافة الصديق فان العرب لما ارتدت بعد موته صلى الله عليه وسلم
عين خالد لقتال اهل الردة وكان من جملتهم مالك بن نويرة فاسر خالد
هو واصحابه وكان الزمن شديد البرد فنادى منادي خالد رضي الله
عنه ان ادفيوا اسراكم فظن القوم انه اراد ادفيوا اسراكم اي اقتلوهم
فقتلوهم وقتل مالك بن نويرة فلما سمع خالد بذلك قال اذا اراد الله
امرا امضاه وتزوج خالد زوجة مالك بن نويرة وكانت من اجمل النساء
ويقال ان خالدا استدعا مالك بن نويرة وقال له كيف ترتد عن الاسلام
وتمنع الزكاة الم تسمع ان الزكاة قرينة الصلاة فقال كان صاحبكم
يزعم ذلك فقال ـــ له اهو صاحبنا وليس بصاحبك يا ضرار اضرب
عنقه وامر براسه فجعل ثالث حجرين جعل عليها قدر يطبخ فيه لحم فعل ذلك
ارهابا لاهل الردة فلما بلغ سيدنا عمر ذلك قال للصديق اعزله فان
في سيفه رهقا كيف يقتل مالكا وياخذ زوجته فقال الصديق رضي
الله عنه لا اشيم سيفا سله الله على الكفار والمنافقين سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول نعم عبد الله واخو العشيرة خالد بن الوليد
سيف من سيوفه سله الله على الكفار والمنافقين وقال الصديق في
حق خالد عجزت النساء ان تلدن مثل خالد بن الوليد **قيل** واصل العداوة
بين خالد وبين سيدنا عمر على ما حكاه الشعبي رضي الله عنه انهما وهما
غلامان تصارعا وكان خالد ابن خال عمر فكسر خالد ساق عمر فعولجت
وجبرت ولما ولي سيدنا عمر الخلافة اول شي بدا به عزل خالد وقال

لا يلي لي عملا ابدا وقيل لكلام بلغه عنه وفي رواية ارسل الى ابي عبيدة ان
اكذب خالد نفسه فهو امير على ما كان عليه وان لم يكذب نفسه فهو معزول
فانزع عمامته وقاسمه ماله نصفين فلم يكذب نفسه فقاسمه ابو عبيدة
رضي الله عنه ماله حتى احدى نعليه وترك الاخرى وخالد يقول سمعا وطا عة
لامير المؤمنين وبلغه ان خالدا اعطى الاشعث بن قيس عشرة الاف وقد
قصده ابتغاء احسانه فارسل لابي عبيدة ان اصعد المنبر واوقف خالدا بين
يديه وانزع عنه عمامته وقلنسوته وقيده بعمامته لان العشرة الاف
ان كان دفعها من ماله فهو سرف وان كان من مال المسلمين فهي خيانة
فلما قدم خالد على عمر رضي الله تعالى عنهما قال له من اين هذا اليسار
الذي تجيز منه بعشرة الاف فقال من الانفال والسهمان قال فما زاد
على الستين الفا فلك فقوم امواله وعروضه واخذ منه عشرين الفا
ثم قال والله انك لحبيب ولن تعمل لي عملا بعد اليوم على شي وكتب عمر
الى الامصار اني لم اعزل خالدا عن سخطة ولا خيانة ولكن الناس فتنوا
به فاحببت ان تعلموا ان الله هو الصانع اي وان نصر خالد على من قاتله
من المشركين ليس بقوته وشجاعته بل بفضل الله فالصديق لم يعزل
خالد بن الوليد مع فعله ما ذكرناه تبعا لما وقع له في ذلك كما انه صلى الله
عليه وسلم لم يعزله مع فعله لما كرهه صلى الله عليه وسلم حيث رفع يديه الى
السماء وقال اللهم اني ابرا اليك مما صنع خالد لكونه كان شديدا على
الكفار لرجحان المصلحة على المفسدة وسيدنا عمر عزله خوف افتتان
الناس به فعزله وولى ابا عبيدة بن الجراح قال بعضهم كان الصديق
لينا وخالد بن الوليد شديدا وعمر كان شديدا وابو عبيدة لينا فكان
الاصلح لكل منهما ان يولي من ولاه ليحصل التعادل والله اعلم واخبر
النبي صلى الله عليه وسلم انه كان في القوم رجل قال لهم انا لست منكم ولا
ولكني عشقت امراة فتبعتها فدعوني انظر اليها ثم اصنعوا الي
ما بدا لكم فنظر الى نسوة مجتمعات غير بعيد قال بعضهم فقلت
والله ليسيه ما طلب فاخذت حقا وقفته عليهن فانشد ابياتا
ثم جيء به فقدمته فضربت عنقه فقامت امراة من بينهن فجاءت
حتى وقفت عليه فشهقت شهقة او شهقتين ثم ماتت
اي وفي رواية فاكبت عليه تقبله حتى ماتت عليه انتهى اي وفي

روايةٍ فانحدرت اليه من موجها فجثت عليه حتى ماتت فبعد ذلك قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اما كان فيهم رجل رحيم القلب **سرية ابي
عامر الاشعري الى اوطاس** لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من
حنين وانهزم المشركون عسكر منهم طايفة باوطاس فبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابا عامر الاشعري عم ابي موسى الاشعري في جماعة فيهم
ابو موسى الاشعري رضي الله عنه ووقع في الاصل ان ابا عامر ابن عم ابي موسى
الاشعري رضي الله عنه **قال** في النور وهو غلط
وانما ابو موسى ابن اخي ابي عامر فلحقوا بالقوم وتناوشوا القتال اي تكافوا
فيه وبارز ابو عامر تسعة وقيل انهم اخوة وهو يقتلهم واحدا بعد واحد
اي وصار كل من يبرز له منهم يدعوه الى الاسلام فيابى فيقول اللهم اشهد
ويحمل عليه فيقتله ٥ ثم برز له اخوهم العاشر فقتل ابا عامر اي فانه قال
اسلم فابى فقال اللهم اشهد فقال اللهم لا تشهد وكف يديه فظن ابو عامر
انه اسلم فكف عنه ثم عاد الى ابي عامر فقتله ثم اسلم وحسن اسلامه رضي
الله عنه وكان اذا راه صلى الله عليه وسلم يقول هذا شريد ابي عامر
قال وعن ابي موسى قال جئت لابي عامر وبه رمق فقلت يا عم من رماك فقال
ذلك واشار الى شخص من القوم فقصدته فلحقته فلما راني ولى فاتبعته
وجعلت اقول له الا تستحيي الا تثبت فثبت فاختلفنا ضربتين
فقتلته ثم قلت لابي عامر قد قتل الله صاحبك قال فانزع هذا السهم
فنزعته فقال يا ابن اخي بلغ النبي صلى الله عليه وسلم مني السلام وقل له
يستغفر لي وقال ادفع فرسي وسلاحي له انتهى فليتامل الجمع بين هذا
وما قبله **وقيل** اذ بموت ابي عامر استخلف ابن عمه ابا موسى
ودفع الراية له وفي لفظ ان ابا عامر رماه واحد فاصاب قلبه ورماه
اخر فاصاب ركبته فقتلاه وولي الناس ابا موسى فحمل عليهما ٥ فقتلهما
اي وفتح الله عليهم وانهزم المشركون وظفر المسلمون بالغنايم والسبايا
ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره بموت ابي عامر استغفر له
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اجعله من اعلى امتي في الجنة
اي وفي رواية اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك من الناس
٥ ودعا لابي موسى اي فقال اللهم اغفر ذنبه وادخله يوم القيامة
مدخلا كريما **سرية الطفيل بن عمرو** الدوسي الى ذي الكفين صنم

عمرو

صلى الله عليه وسلم

عمرو بن حممة الدوسي ليهدمه لما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم المسير الى
الطايف بعث الطفيل يهدم ذا الكفين وامره ان يستمد قومه ويوافيه صلى
الله عليه وسلم فخرج سريعا الى قومه فهدم ذا الكفين وجعل يحثي النار في وجهه
وانحدر معه من قومه اربعمائة سراعا فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطايف
بعد مقدمه باربعة ايام فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الازد
من يحمل رايتكم قال الطفيل من كان يحملها في الجاهلية النعمان بن الزواية قال
اصبتم **سرية عيينة بن حصن الفزاري الى بني تميم** اي
وسببها انه صلى الله عليه وسلم بعث بشر بن سفيان الى بني كعب لاخذ صدقا
وكانوا مع بني تميم على ما فاخذ بشر صدقات بني كعب فقال لهم بنو تميم وقد
استكثروا ذلك لم تعطوهم اموالكم فاجتمعوا وشهروا السلاح ومنعوا بشيرا
من اخذ الصدقة فقال لهم بنو كعب نحن اسلمنا ولا بد في ديننا من دفع الزكاة
فقال بنو تميم والله لا ندع يخرج بعير واحد فلما راى بشر ذلك قدم المدينة
واخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فعند ذلك بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم عيينة بن حصن الفزاري الى بني تميم في خمسين راكبا من العرب
ليس فيهم مهاجري ولا انصاري فكان يسير الليل ويكمن النهار فهجم عليهم
واخذ منهم احد عشر رجلا واحدى وعشرين امراة وفي لفظ احدى عشرة امراة
وثلاثين صبيا فجاء بهم الى المدينة فامر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فحبسوا في دار رملة بنت الحارث فجا في اثرهم جماعة من روسايهم منهم عطارد
ابن حاجب والزبرقان ابن بدر والاقرع بن حابس وقيس بن الحارث ونعيم بن سعيد
وعمرو بن الاهتم ورياح بكسر الراء وبالمثناة تحت بن الحارث فلما راوهم بكا
اليهم النسا والذراري فجاوا الى باب النبي صلى الله عليه وسلم اي بعد ان دخلوا
المسجد ووجدوا بلالا يوذن بالظهر والناس ينتظرون خروج النبي صلى الله
فاستبطوه فجاوا من ورا الحجرات فنادوا بصوت جاف اخرج الينا نفاخرك
ونشاعرك فان مدحنا زين وذمنا شين يا محمد اخرج الينا فخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم اي بعد ما تاذى من صياحهم واقام بلال الصلاة وتعلقوا
برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه فوقف معهم اي فقالوا له نحن ناس من تميم
جينا بشاعرنا وخطيبنا لنشاعرك ونفاخرك فقال لهم النبي صلى الله
عليه وسلم ما بالشعر بعثنا ولا بالفخار امرنا ثم مضى فصلى الظهر ثم جلس في صحن
المسجد اي بعد ذلك فقالوا ما نقدم ومنه ان مدحنا زين وان شتمنا لشين

نحن اكرم العرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم بل مدح الله عز وجل
الزين وشتمه الشين واكرم منكم يوسف بن يعقوب ثم قالوا فاذن لخطيبنا
وشاعرنا قال اذنت فليقم وفي لفظ اني لم ابعث بالشعر ولم اومر بالفخر
ولكن هاتوا ٥ فقد موا عطارد بن حاجب وفي لفظ قال الاقرع بن حابس د
لشاب منهم قم يا فلان فاذكر فضلك وفضل قومك فتكلم وخطب اي فقال
الحمد لله الذي له علينا الفضل وهو اهله الذي جعلنا ملوكا ووهب
لنا اموالا عظاما نفعل فيها المعروف وجعلنا اعز اهل المشرق واكثرهم عددا
فمن مثلنا في الناس السنا رؤس الناس واولي فضلهم فمن يفاخر فليعد
مثل ما عددنا وانا لو نشاء لاكثرنا وانما اقول هذا لان تاتوا
بمثل ما عددنا واذا لو نشاء لاكثرنا قولنا او امرا افضل من امرنا ثم جلس ٥
اي وفي رواية انه قال الحمد لله الذي جعلنا خير خلقه واعطانا اموالا عظاما
نفعل فيها ما نشاء نحن خير اهل الارض اكثرهم عددا واكثرهم سلاحا فمن انكر
علينا قولنا فليات بقول هو احسن من قولنا او بفعال هي افضل من فعالنا
فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس بن شماس ان يجيبه اي قال
له قم فاجب الرجل في خطبته فقام ثابت رضي الله عنه فقال الحمد لله
الذي السموات والارض خلقه قضى فيهن امره ووسع كرسيه علمه ولم يكن شيئا
قط الا من فضله ثم ان كان من فضله ان جعلنا ملوكا واصطفى من خلقه
رسولا اكرمه نسبا واصدقه قلبا وافضله حسبا فانزل الله عليه كتابه
وايتمنه على خلقه فكان خيرة الله من العالمين ثم دعي الناس الى الايمان فامن
برسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون من قومه وذوو رحمه اكرم الناس احسابا
واحسن الناس وجوها وخير الناس فعالا ثم كان اول الخلق اجابة واستجابة
لله حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن فنحن انصار الله ورسوله
نقاتل الناس حتى يومنوا بالله ورسوله فمن امن بالله ورسوله منع ماله ودمه
ومن كفر جاهدناه في الله وكان قتله علينا يسيرا اقول
قولي هذا واستغفر الله العظيم لي وللمومنين والمومنات والسلام عليكم
اي وفي رواية انه قال الحمد لله احمده واستعينه واومن به واتوكل عليه د
واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله دعا
المهاجرين من بني عمه احسن الناس وجوها واعظم الناس احلاما فاجابوه
والحمد لله الذي جعلنا انصاره ووزراء رسوله صلى الله عليه وسلم وعز

الدينة

الدينة فنحن نقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله فمن قالها منع منا
نفسه وماله ومن اباها قاتلناه وكان رغمه في الله علينا هينا اقول
قولي هذا واستغفر الله العظيم لي وللمومنين والمومنات ثم قال الزبرقان
لرجل منهم قم يا فلان فقل ابياتا تذكر فيها فضلك وفضل قومك فقال
ابياتا منها

نحن الكرام فلا حي يعادلنا ... نحن الرؤس وفينا يقسم الربع
اذا ابينا فلا يابى لنا احد ... انا كذلك عند الفخر نرتفع

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم على حسان بن ثابت
فحضر فقال له قم فاجبه فقال يسمعني ما قال فاسمعه فقال حسان
ابياتا منها

نصرنا رسول الله والدين عنوة ... على رغم عات من معد وحاضر
واحياونا من خير من وطي الحصا ... وامواتنا من خير اهل المقابر

وثابت بن قيس هذا كان يعرف بخطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم افتقده صلى
الله عليه وسلم يوما فقال من يعلم لي علمه فقال رجل انا يا رسول الله فذهب
فوجده في منزله جالسا منكسا راسه فقال له ما شانك قال احسبني ان
اكون من اهل النار لاني رفعت صوتي فوق صوت رسول الله صلى الله عليه
فرجع الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلمه فقال اذهب اليه فقل له
لست من اهل النار ولكنك من اهل الجنة وقال صلى الله عليه
نعم الرجل ثابت بن قيس بن شماس قتل يوم اليمامة وكان عليه درع نفيسة
فمر به رجل من المسلمين فاخذها فبينما رجل من المسلمين نائم اتاه ثابت
في منامه فقال له اني اوصيك بوصية فاياك ان تقول هذا حلم فتضيعه
اني لما قتلت مر بي رجل من المسلمين فاخذ درعي ومنزله في اقصى الناس د
وعند خبائه فرس وقد ركفا على الدرع برمة وفوق البرمة رحل وات
خالدا فمره فلياخذها فاذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم يعني ابا بكر رضي الله عنه فقل له ان علي من الدين كذا وكذا وفلان
من رقيقي عتيق فاستيقظ الرجل فاتى خالدا فاخبره فبعث الى الدرع
فاتي بها بعد ان وجدها على ما وصف وحدث ابا بكر برؤياه فاجاز وصيته
قال بعضهم ولا نعلم احدا اجيزت وصيته بعد موته سواه ووقعت مفاخرة
بين الزبرقان بن بدر وبين حسان بن ثابت رضي الله عنه كل واحد منهما يذكر

قصيدة يذكر فيها فخرًا من قصيدة الزبرقان بن بدر وهو مطلعها

نحن الكرام فلا حي يعادلنا
منا الملوك وفينا تنصب البيع

ومن قصيدة حسان رضي الله عنه وهو مطلعها

انا ابينا ولم يابى لنا احد
انا كذلك عند الفخر نرتفع

وفيه ان هذا البيت من قول بعض بني تميم وقد اسمعه حسان كما تقدم فليتأمل
ووقعت مفاخرة بين الاقرع بن حابس وبين حسان رضي الله عنه فقال
الاقرع بن حابس اني والله يا محمد قد قلت شعرًا فاسمعه فقال له رضي الله
عنه هات فانشد

اتيناك كيما يعرف الناس فضلنا
اذا خالفونا عند ذكر المكارم
وانا رؤس الناس في كل معشر
وان ليس في ارض الحجاز كدارم

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا حسان فاجبه

فقال بني دارم لا تفخروا ان فخركم
يعود وبالا عند ذكر المكارم
هبلتم علينا تفخرون وانتم
لنا خول من بين ظئر وخادم

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للاقرع لقد كنت غنيًا يا اخا
بني دارم ان تذكر ما كنت ترى ان الناس قد نسوه فكان هذا القول من رسول
صلى الله عليه وسلم اشد عليهم من قول حسان وحينئذ قال الاقرع بن حابس
لخطيبه يعني النبي صلى الله عليه وسلم اخطب من خطيبنا ولشاعره اشعر
من شاعرنا ولاصواتهم اعلا من اصواتنا اي تردي الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فقال النبي صلى
الله عليه وسلم ما يضرك ما كان هذا وراى النبي صلى الله عليه وسلم يقبل
الحسن رضي الله عنه فقال يا رسول الله ان لي من الولد عشرة ما قبلت واحدًا
منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لا يرحم لا يرحم قال ابن دريد اسم
الاقرع فراس وانما لقب الاقرع لقراع كان في راسه والقرع انحصاص الشعر
وكان رضي الله عنه شريفًا في الجاهلية والاسلام ونزل فيهم ان الذين ينادونك
من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرًا

لهم والله غفور رحيم ووقع ان عمرو بن الاهتم مدح الزبرقان للنبي صلى الله عليه
وسلم فقال انه المطاع في انديته سيد في عشيرته فقال الزبرقان لقد
حسدني يا رسول الله لشرفي ولقد علم افضل مما قال فقال عمرو انه لزمر المروءة
ضيق العطن لئيم الخال وفي لفظ انا الزبرقان قال يا رسول الله انا سيد تميم
والمطاع فيهم والمجاب منهم اخذ لهم بحقوقهم وامنعهم من الظلم وهذا يعلم ذلك
يعني عمرو بن الاهتم فقال عمرو انه لشديد العارضة مانع لجانبه
مطاع في ناديه مانع لما وراء ظهره فقال الزبرقان والله لقد كذب يا رسول الله وما
منعه ان يتكلم الا الحسد فقال عمرو انا احسدك والله انك للئيم الخال حديث
المال احمق الوالد مبغض في العشيرة فعرف عمرو الانكار في وجه رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال يا رسول الله والله لقد صدقت في الاولى وما كذبت في الثانية
رضيت فقلت احسن ما علمت وسخطت فقلت اقبح ما علمت وفي رواية والله
يا رسول الله صدقت فيهما ارضاني فقلت احسن ما علمت واسخطني فقلت
اسوا ما علمت فعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرًا وجاء ان من
البيان لسحرًا وان من العلم جهلا وان من الشعر حكمًا وان من القول عيا قال
بعضهم اما قوله ان من البيان سحرًا فان الرجل يكون عليه الحق وهو الحن بالحجج من
صاحب الحق فيسحر القوم بلسانه فيذهب بالحق واما قوله ان من العلم جهلا
فان العالم يكلف علم ما لا يعلم فيجهل ذلك واما قوله ان من الشعر حكمًا فهو هذه
المواعظ والامثال واما قوله ان من القول عيا فعرضك كلامك وحديثك على من
ليس من شانه هذا كلامه وفيه ان هذا بيان للسحر المذموم وليس المراد هنا
وانما هو من السحر الحلال ومن ثم اقر صلى الله عليه وسلم عمرو بن الاهتم عليه ولم
يسخطه منه فالسحر المذموم ان يصور الباطل في صورة الحق ببيانه ويخدع ع
السامع بتمويهه وهو المراد عند الاطلاق والسحر غير المذموم ما كان من
البيان على حق لان البيان بعبارة منقولة عذبة لا استكراه فيها يستميل
القلوب كما يستميل الساحر قلوب الحاضرين الى ما موه به ثم انه صلى الله عليه
وسلم رد عليهم الاسارى والسبي واحسن جوائزهم قال الحافظ بعد ان اسلموا واعطى
كل واحد اثنى عشرة اوقية فتبلا الا عمرو بن الاهتم فان القوم خلفوه في ظهورهم
لانه كان اصغرهم سنا فاعطاه خمس اواق وقد اختلف في عدد هذا الوفد د
فقيل كانوا سبعين رجلا وقيل كانوا ثمانين وقيل تسعين انتهى اي وللذي
في الاستيعاب ثم اسلم القوم وبقوا بالمدينة مدة يتعلمون الدين والقرآن

ثم ارادوا الخروج الى قومهم فاعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم ابناءهم ونساءهم
وقال اما بقي منكم احد وكان عمرو بن الاهتم في ركابهم فقال قيس بن عاصم
وكان مشاحنا له لم يبق منا الا غلام حدث في ركابنا وازرى به فاعطاه رسول
الله صلى الله عليه وسلم مثل ما اعطاهم وبلغ عمرو ما قال قيس في حقه
فانشد ابياتا تتضمن لومه على ذلك وكان عمرو خطيبا بليغا شاعرا محسنا
يقال ان شعره كان حللا منشورة وكان جميلا يدعى المكحل لجماله وهو القائل

لعمرك ما ضاقت بلاد باهلها
ولكن اخلاق الرجال تضيق

هذا كلامه وانزل الله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم
بعضا الآية معناه لا تجعلوا ندائه اياكم كدعاء بعضكم بعضا فتؤخروا اجابته
بالاعذار التي تؤخر بها بعضكم اجابة بعض ولكن عظموه بسرعة الاجابة

سرية قطبة ابن عامر الى حي من خثعم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
قطبة بن عامر في عشرين رجلا الى حي من خثعم وامره ان يشن الغارة فخرجوا
على عشرة ابعرة يعتقبونها فاخذوا رجلا فسالوه فاستعجم عليهم اي
سكت ولم يعلمهم بالامر فجعل يصيح بالحاضر اي وهم القوم النزول على
ما يقيمون به ولا يرتحلون عنه كما تقدم ويحذرهم فضربوا عنقه ثم امهلوا
حتى نام الحاضر فشنوا عليهم الغارة فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كثرت
الجرحى في الفريقين وساقوا النعم والشاء الى المدينة وجاء سيل حال بينهم
وبين القوم فلم يجد القوم اليهم سبيلا وتقدمت الحوالة على هذا

سرية الضحاك الكلابي في جمع الى بني كلاب فلقوهم ودعوهم الى
الاسلام فابوا فقاتلوهم وهزموهم وكان من جملة المسلمين شخص لقي اباه في
جملة القوم فدعاه الى الاسلام فسبه وسب الاسلام فضرب عرقوب فرس ابيه
فوقع فامسك اباه لين اتى بعض المسلمين فقتله اي وفي رواية انه صلى
الله عليه وسلم بعث الى بني كلاب وكتب اليهم في رق فلم يقبلوا الاسلام
وغسلوا الخط من الرق وخاطوه تحت دلوهم فلما بلغ رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذلك قال ما لهم اذهب الله عقولهم فصاروا لا يوجد احد منهم الا
مختل العقل مختلط الكلام عيينة لا يبين كلامه **سرية علقمة بن مجزز**
بضم الميم وفتح الجيم وزاي الاولى مكسورة مشددة المدلجي وهو ولد
القائف الذي قال في حق زيد بن حارثة واسامة ان بعض هذه الاقدام من بعض

فهو صحابي ابن صحابي الى جمع من الحبشة بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ناسا
من الحبشة تراءاهم اهل جدة اي في مراكب وجدة بضم الجيم وتشديد الدال
المهملة قرية سميت بذلك لبنائها على ساحل البحر لان الجدة شاطئ البحر فبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم علقمة بن مجزز في ثلاثمائة فخاض بهم البحر
حتى انتهى الى جزيرة في البحر فهربوا اي ورجعوا ولم يلق كيدا ثم لما كانوا في اثناء
الطريق اذن علقمة لجماعة ان يتعجلوا وامر عليهم احدهم فنزلوا ببعض الطريق
واوقدوا نارا يصطلون عليها فقال لهم اميرهم عزمت عليكم ان لا تواثبتم اي
وقعتم في هذه النار فقام بعض القوم فتحجزوا حتى ظن انهم واثبون فيها فقال
اجلسوا انما كنت اضحك معكم فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال من امركم بمعصية الله فلا تطيعوه قال وعن علي رضي الله عنه قال بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم سرية واستعمل عليهم رجلا من الانصار وامرهم ان يسمعوا
ويطيعوا فاغضبوه في شيء فقال اجمعوا الي حطبا فجمعوا له ثم قال اوقدوا
نارا ثم قال الم يامركم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تسمعوا لي وتطيعوا قالوا
بلى قال فادخلوها فنظر بعضهم الى بعض وقالوا انما فررنا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم من النار فكانوا كذلك حتى سكن غضبه وطفئت النار
فلما رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكروا له ذلك فقال لو دخلوها
ما خرجوا منها ابدا وقال لا طاعة في معصية الله انما الطاعة
في المعروف انتهى اي والضمير في دخلوها للنار التي اوقدت والضمير في منها
لدار الاخرة لان الدخول فيها معصية والعاصي يستحق النار فالمقصود
من ذلك الزجر وفي رواية من امركم منهم اي من الامراء بمعصية الله تعالى
فلا تطيعوه وفي لفظ لا طاعة في معصية الله والامام من نكر هذه الواقعة

سرية علي بن ابي طالب رضي الله عنه الى هدم الفلس بضم الفاء وسكون
اللام صنم طيء والغارة عليهم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي
طالب في خمسين ومائة رجل من الانصار على مائة بعير وخمسين فرسا ومعه
راية سوداء ولواء ابيض الى هدم الفلس والغارة عليهم فشنوا الغارة
عليهم مع الفجر فهدموا الفلس وحرقوه واستاقوا النعم والشاء والسبي
وكان في السبي اخت عدي بن حاتم الطائي اي واسمها سفانة بفتح السين
المهملة وتشديد الفاء وبعد الالف نون مفتوحة ثم تاء التانيث والسفانة
في الاصل هي الدرة وهذه اسلمت رضي الله عنها قال بعضهم ولا يعرف لحاتم

بنت الاسود ووجدوا رضي الله عنها قال بعضهم ولا يعرف لحاتم بنت
الا هذه ووجدوا في خزانة الصنم ثلاثة اسياف معروفة عند العرب وهي رسوب
والمخذم واليماني وثلاثة ادراع وجعل الرسوب والمخذم صفيا لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم صار اليه الثالث الذي هو اليماني قال ومر النبي صلى الله
عليه وسلم بها فقالت يا اخت عدي فقامت اليه وكانت امراة جزلة
اي ذات وقار وعقل وكلمته صلى الله عليه وسلم ان يمن عليها فمن عليها واسلمت
رضي الله عنها وخرجت الى اخيها عدي فاشارت عليه بالقدوم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم كما ياتي في الوفود وذكر انها قالت له صلى الله عليه وسلم
يا محمد ان رايت ان تخلي عنا ولا تشمت بنا احياء العرب فاني ابنة سيد قومي وان
ابي كان يحمي الذمار ويفك العاني ويشبع الجائع ويكسو العاري ويقري
الضيف ويطعم الطعام ويفشي السلام ولم يرد طالب حاجة قط انا ابنة حاتم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جارية هذه صفة المؤمنين حقا لو كان ابوك مسلما
لترحمنا عليه خلوا عنها فان اباها كان يحب مكارم الاخلاق اي وفي لفظ
قالت له صلى الله عليه وسلم يا محمد ارايت ان تمن علي ولا تفضحني في قومي فاني
بنت سيدهم وان ابي كان يطعم الطعام ويحفظ الجوار ويرعى الذمار ويفك
العاني ويشبع الجائع ويكسو العريان ولم يرد طالب حاجة قط انا بنت حاتم
الطائي فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم هذه مكارم الاخلاق
حقا ولو كان ابوك لترحمت عليه خلوا عنها فان اباها كان يحب مكارم الاخلاق
وان الله يحب مكارم الاخلاق وفي رواية انها قالت يا رسول الله هلك الوالد
وغاب الوافد فامنن علي من الله عليك قال من وافدك قالت عدي بن حاتم
قال الفار من الله ورسوله اي لانه هرب لما راى الجيش كما ياتي في الوفود
قالت ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركني حتى اذا
كان من الغد قلت له صلى الله عليه وسلم كذلك وقال لي مثل ذلك ففي
اليوم الثالث اشار الي رجل خلفه بان كلميه فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم قد فعلت فلا تعجلي حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة يبلغك
الى بلادك ثم اذنيني اي اعلميني وسالت عن الرجل الذي اشار علي بكلامه
صلى الله عليه وسلم فقيل لي انه علي بن ابي طالب قالت فصبرت حتى قدم
علي من اثق به فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد قدم رهط من
قومي لي فيهم ثقة قالت فكساني رسول الله صلى الله عليه وسلم وحملني

واعطاني

واعطاني نفقة فخرجت حتى قدمت الشام على اخي انتهى •

سرية علي بن ابي طالب

رضي الله عنه الى بلاد مذحج بفتح الميم واسكان الذال المعجمة ثم حاء مهملة
مكسورة ثم جيم كمسجد ابو قبيلة من اليمن بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم عليا رضي الله عنه الى بلاد مذحج من ارض اليمن في ثلاثمائة فارس
وعقد له لواء وعممه بيده وقال امض ولا تلتفت فاذا نزلت بساحتهم فلا
تقاتلهم حتى يقاتلوك فكانت اول خيل دخلت الى تلك البلاد ففرق
اصحابه فاتوا بنهب وغنائم واطفال ونساء ونعم وشاء وغير ذلك وجعل
على الغنائم بريدة بن الحصيب بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين ثم لقي
جمعهم فدعاهم الى الاسلام فابوا ورموا بالنبل والحجارة فصف اصحابه ودفع
لواءه الى مسعود بن سنان ثم حمل عليهم فقتل منهم عشرين رجلا
فانهزموا وتفرقوا فكف عن طلبهم ثم دعاهم الى الاسلام فاسرعوا الى اجابته
وتابعه نفر من رؤسائهم وقالوا نحن على من ورائنا من قومنا وهذه صد قاتنا
فخذ منها حق الله تعالى وجمع علي رضي الله تعالى عنه الغنائم فجزاها على
خمسة اجزاء فكتب في سهم منها لله واقرع عليها فخرج اول السهام سهم الخمس
وقسم الباقي على اصحابه ثم رجع رضي الله تعالى عنه فوافى النبي صلى الله عليه
بمكة قد قدمها للحج اي حجة الوداع وذكر بعضهم انه صلى الله عليه وسلم
بعث عليا في سرية الى اليمن فاسلمت همدان كلها في يوم واحد فكتب بذلك
في السرية الى اليمن فاسلمت همدان كلها في يوم واحد فكتب بذلك الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما قرا كتابه خر ساجدا ثم جلس فقال السلام
على همدان وتتابع اهل اليمن الى الاسلام قال في الاصل ان هذه السرية
هي الاولى وما قبلها السرية الثانية •

سرية خالد بن الوليد

رضي الله عنه الى اكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل وكان نصرانيا
بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد في اربعمائة وعشرين
فارسا في رجب سنة تسع الى اكيدر بدومة الجندل وقال له انك ستجده
يصيد البقر فخرج خالد حتى اذا كان من حصنه بمنظر العين وكانت ليلة
مقمرة صافية وهو على سطح له ومعه امراته فجاءت البقر تحك بقرونها باب
الحصن فقالت له امراته هل رايت مثل هذا قط قال لا والله قال فمن يترك

منه قال لاحد فنزل فامر بفرسه فاسرج ومعه نفر من اهله فيهم اخ له يقال له حسان فتلقتهم خيل خالد فاستاسر اكيدر وقتل اخوه حتى قتل واجار خالد اكيدر من القتل حتى ياتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان يفتح له دومة الجندل وكان على اكيدر قبا من ديباج مخوص اي فيها خطوط منسوجة بالذهب مثل خوص النخل فاستلبه خالد اياه وارسله لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتعجبت الصحابة منها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمناديل سعد بن معاذ في الجنة احسن من هذا اي ثم تقدم وصالح على اهل دومة الجندل بالفي بعير وثمانمائة راس واربعمائة رمح واربعمائة درع ثم خرج خالد باكيدر واخيه مصاد قافلا الى المدينة فقدم باكيدر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فصالحه على الجزية وحقن دمه ودم اخيه وخلى سبيلهما وكتب له كتابا فيه امانهم وختمه يومئذ بظفره اي ومن جملة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لاكيدر حين اجاب الى الاسلام وخلع الانداد والاصنام مع خالد بن الوليد سيف الله في دومة الجندل واكنافها الخ وهذا كما لا يخفى يدل على ان اكيدر اسلم اي وهو الموافق لقول ابي نعيم وابن منده باسلامه وانه معدود من الصحابة واهدى الى النبي صلى الله عليه وسلم حلة فوهبها لعمر بن الخطاب وذكر ابن الاثير في اسد الغابة ان القول باسلامه غلط فاحش فانه لم يسلم بلا خلاف بين اهل السير اي وحينئذ يكون قوله في الكتاب حين اجاب الى الاسلام اي انقاد اليه ويبعده قوله وخلع الانداد والاصنام فليتامل وانه صلى الله عليه وسلم لما صالحه عاد الى حصنه وبقي فيه على نصرانيته ثم ان خالدا حاصره في زمن ابي بكر رضي الله عنه فقتله لنقضه العهد قال ابن الاثير وذكر البلاذري ان اكيدر لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم عاد بعد موته صلى الله عليه وسلم ارتد ثم قتله خالد اي بعد ان عاد من العراق الى الشام قال وعلى هذا القول لا ينبغي ان يذكر في الصحابة والا لكان كل من اسلم في حياته صلى الله عليه وسلم ثم ارتد اي ومات مرتدا يذكر في الصحابة اي ولا قائل بذلك ثم رايت الذهبي قال في امارة ابن قيس بن الحارث المشيباني انه ارتد وقتل مرتدا في خلافة ابي بكر رضي الله تعالى عنه

وبهذا

وبهذا خرج عن ان يكون صحابيا بكل حال

سرية اسامة بن زيد

ابن حارثة رضي الله عنهما الى ابنى بضم الهمزة ثم موحدة ثم نون مفتوحة مقصور اسم موضع بين عسقلان والرملة وفي كلام السهيلي وهي قرية عند مؤتة التي قتل عندها زيد بن حارثة لما كان يوم الاثنين لاربع ليال بقين من صفر سنة احدى عشرة من الهجرة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لغزو الروم فلما كان من الغد دعا صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد فقال سر الى موضع قتل ابيك فاوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش فاغز صباحا على اهل ابنى وحرق عليهم واسرع السير لتسبق الاخبار فان ظفرك الله عليهم فاقل اللبث فيهم وخذ معك الادلا وقدم العيون والطلائع معك فلما كان يوم الاربعا بدئ به صلى الله عليه وسلم فحم وصدع فلما اصبح يوم الخميس عقد صلى الله عليه وسلم لاسامة لواء بيده ثم قال اغز بسم الله وفي سبيل الله فقاتل من كفر بالله فخرج بلوائه معقودا فدفعه الى بريدة وعسكر بالجرف فلم يبق احد من وجوه المهاجرين والانصار الا انتدب لذلك منهم ابو بكر وعمر وابو عبيدة بن الجراح وسعد بن ابي وقاص فتكلم قوم وقالوا ايستعمل هذا الغلام على المهاجرين الاولين والانصار اي لان سن اسامة رضي الله عنه كان ثماني عشرة سنة وقيل تسع عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة ويروى ان الخليفة المهدي لما دخل البصرة راى اياس بن معاوية الذي يضرب به المثل في الذكا وهو صبي وخلفه اربعمائة من العلما واصحاب الطيالسة فقال المهدي اف لهذه العثانين اما كان فيهم شيخ يتقدم غير هذا الحدث ثم التفت اليه المهدي وقال له كم سنك يا فتى فقال سني اطال الله بقا الامير سن اسامة بن زيد بن حارثة لما ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا فيه ابو بكر وعمر فقال تقدم بارك الله فيك وكان سنه سبع عشرة سنة ومما يوثر عنه من لم يعرف عيبه فهو احمق فقيل له ما عيبك يا ابا واثلة فقال كثرة الكلام ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالتهم وطعنهم في ولايته مع حداثة سنه غضب غضبا شديدا وخرج وقد عصب على راسه عصابة وعليه قطيفة فصعد المنبر فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال اما بعد ايها الناس فما مقالة

بلغني عن بعضكم في تأميري أسامة ولئن طعنتم في تأميري أسامة
لقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله وايم الله إن كان لخليقاً للإمارة
وإن ابنه من بعده لخليق للإمارة وإن كان لمن أحب الناس إلي وإنهما
مظنة لكل خير فاستوصوا به خيراً فإنه من خياركم وتقدم أنه كان
يقال له الحب ابن الحب وكان صلى الله عليه وسلم يمسح خشمه وهو صغير
بثوبه ثم نزل صلى الله عليه وسلم فدخل بيته وذلك في يوم السبت
لعشر خلون من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة وجاء المسلمون الذي
يخرجون مع أسامة يودعون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخرجون إلى
العسكر بالجرف وثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول
أنفذوا بعث أسامة واستثنى صلى الله عليه وسلم أبا بكر وأمره أن يصلي
بالناس أي فلا منافاة بين القول بأن أبا بكر كان من جملة الجيش وبين
القول بأنه تخلف عنه لأنه كان من جملة الجيش أولاً وتخلف لما أمره صلى
الله عليه وسلم بالصلاة بالناس وبهذا يرد قول بعض الرافضة طعنا
في أبي بكر أنه تخلف عن جيش أسامة لما علمت أن تخلفه كان بأمر منه صلى
الله عليه وسلم لأجل صلاته بالناس **وقول** هذا الرافضي
مع أنه صلى الله عليه وسلم لعن المتخلف عن جيش أسامة مردود لأنه لم يرد
اللعن في حديث أصلاً فلما كان يوم الأحد اشتد برسول الله صلى الله
عليه وسلم وجعه فدخل أسامة رضي الله عنه من معسكره والنبي صلى الله
عليه وسلم مغمور فطأطأ رأسه فقبله أي وهو صلى الله عليه وسلم لا يتكلم فجعل
يرفع يديه إلى السماء ثم يضعهما على أسامة **قال** أسامة
فعرفت أنه صلى الله عليه وسلم يدعو لي ورجع أسامة إلى معسكره ثم دخل
عليه صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين فقال له اغد على بركة الله تعالى فودعه
أسامة وخرج إلى عسكره وأمر الناس بالرحيل فبينما هو يريد الركوب
إذا رسول أمه أم أيمن رضي الله عنها قد جاءه يقول إن
رسول الله صلى الله عليه وسلم يموت وفي لفظ فسار حتى بلغ الجرف فأرسلت
إليه امرأته فاطمة بنت قيس رضي الله عنها تقول لا تعجل فإن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيل فأقبل وأقبل معه عمر وأبو عبيدة
ابن الجراح فانتهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يموت فتوفي رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين زاغت الشمس أي وفي لفظ أخرى أنه لما نزل لدى

خشب قبض النبي صلى الله عليه وسلم فدخل المسلمون الذين عسكروا بالجرف إلى
المدينة ودخل بريدة بلواء أسامة معقوداً حتى أتى به إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فغرزه عنده فلما بويع لأبي بكر رضي الله عنه أمر بريدة أن يذهب باللواء
فلما ارتدت العرب أي فإنه لما اشتهرت وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ظهر
النفاق وقويت نفوس أهل النصرانية واليهودية وصار المسلمون كالغنم
المطيرة في الليلة الشاتية وارتدت طوائف من العرب وقالوا نصلي
ولا ندفع الزكاة وعند ذلك كلم أبو بكر في منع أسامة أي قالوا له كيف
يتوجه هذا الجيش إلى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة فأبى
أي وقال والذي لا إله إلا هو لو جرت الكلاب بأرجل أزواج النبي صلى الله عليه
وسلم ما أرد جيشاً وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حللت
لواء عقده وفي لفظ والله لأن تخطفني الطير أحب إلي من أن أبدأ بشيء قبل
أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم **أقول** ذكر
بعضهم أن أسامة رضي الله عنه وقف بالناس عند الخندق وقال لسيدنا
عمر ارجع إلى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم واستأذنه لي أن أرجع
بالناس فإن معي وجوه الناس ولا آمن على خليفة رسول الله صلى الله عليه
وثقله وأثقال المسلمين أن يتخطفهم المشركون وقالت له الأنصار رضي
الله عنهم فإن أبا بكر إلا أن يمضي أي الجيش فأبلغه منا السلام واطلب إليه
أن يولي أمرنا رجلاً أقدم سناً من أسامة فقدم عمر على أبي بكر رضي الله
عنهما فأخبره بما قال أسامة فقال أبو بكر والله لو تخطفني الذئاب والكلاب
لم أرد قضاء قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر رضي الله عنه فإن
الأنصار أمروني أن أبلغك أنهم يطلبون أن تولي أمرهم رجلاً أقدم سناً من
أسامة فوثب أبو بكر رضي الله عنه وكان جالساً وأخذ بلحية عمر وقال ثكلتك
أمك وعدمتك يا ابن الخطاب استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرني
أن أنزعه فخرج عمر إلى الناس فقال امضوا ثكلتكم أمهاتكم ما
لقيت اليوم بسببكم من خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً هذا
كلامه وفيه أن هذا يخالف لما تقدم من صعوده صلى الله عليه وسلم المنبر
وإنكاره على من طعن في ولاية أسامة إذ يبعد عدم بلوغ ذلك للأنصار
إلا أن يقال لعل من قال لسيدنا عمر هذه المقالة جمع من الأنصار لم يكونوا
سمعوا ذلك ولا بلغهم أو جوزوا أن الصديق يوافق على ذلك حيث رأى

بنيه للصلحة وسيدنا عمر رضي الله عنه جوزن لك حيث لم يتكفل بالرد عليهم
بانه صلى الله عليه وسلم انكر على من طعن في ولاية اسامة بن زيد فليتامل ذ
والله تعالى اعلم وكلم ابو بكر رضي الله عنه اسامة في عمر رضي الله عنه ان يخلي
في عمر رضي الله عنه ان يأذن له في التخلف ففعل ولعل ذلك كان تطيبا لخاطر
اسامة ومن ثم كما بحث فلما كان مستهل شهر ربيع الاخر سنة احدى عشرة خرج ذ
اسامة اي في ثلاثة الاف فيهم الف فرس وودعه سيدنا ابو بكر بعد
ان سار الى جانبه ساعة ماشيا واسامة راكبا وعبد الرحمن بن عوف يقود
براحلة الصديق فقال ـــــ اسامة يا خليفة رسول الله ذ
اما ان تركب واما ان انزل فقال والله لست بنازل ولست براكب ثم
قال له الصديق استودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك وقد وقع
نظير ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا الى اليمن شيعه
وهو يمشي تحت راحلة معاذ وهو يوصيه ثم ان اسامة سار الى ابنى
فشن عليهم الغارة اي فرق الناس عليهم وكان شعارهم يا منصور امت
من اسر وحرق منازلهم وحرث ارضها فازال نخلها واجال الخيل في عرصا تهم
ولم يقتل من المسلمين احد وكان اسامة على فرس ابيه وقتل قاتل ابيه
رضي الله عنها واسهم للفرس سهمين وللفارس سهما واخذ لنفسه
مثل ذلك فلما امسى امر الناس بالرحيل واسرع السير وبعث مبشرا
الى المدينة بسلامتهم وخرج ابو بكر في المهاجرين والانصار لمن لم يكن في
تلك السرية يتلقون اسامة ومن معه وسروا بسلامتهم ودخل اسامة
واللواء بين يديه حتى انتهى الى باب المسجد فدخل فصلى ركعتين ثم ذ
انصرف الى بيته اي وكان في خروج هذا الجيش نفع عظيمة فانه كان
سبب لعدم ارتداد كثير من طوائف العرب ارادوا ذلك فقالوا لولا
قوة اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ما خرج مثل هولاء من عندهم فثبتوا
على الاسلام اي وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى بعد ان ولي الخلا فة
اذا راى اسامة قال السلام عليك ايها الامير فيقول ـــــ اسامة غفر
الله لك يا امير المؤمنين تقول لي هذا فيقول لا ازال ادعوك ما عشت
بالامير مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت علي امير وفي السيرة
الشامية سرايا اخر تركنا ذكرها تبعا للاصل وفي السنة الثامنة امر
صلى الله عليه وسلم عتاب ابن اسيد ان يحج بالناس وهو بمكة وقد كان

استعمله

استعمله عليها لما اراد الخروج الى حنين وقيل لما رجع من حنين واستمر
اميرا على مكة حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقره الصديق الى
ان توفي وكانت وفاته يوم وفاة الصديق اي لانه اطعم سم في اليوم الذي
اطعم فيه الصديق ذلك وكان ذلك الحج على ما كانت عليه العرب في الجا هلية
بمزج الكفار مع المسلمين لكن كان المسلمون بمعزل عنهم في الموقف ولما
دخلت سنة تسع استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر الصديق رضي
الله على الحج فخرج في ثلثماية رجل من المدينة وبعث معه صلى الله عليه وسلم
بعشرين بدنة قلدها واشعرها بيده الشريفة وساق ابو بكر رضي الله ذ
عنه خمس بدنات ثم تبعه علي رضي الله عنه على ناقة رسول الله صلى الله
عليه وسلم القصواء اي بفتح القاف والمد وقيل بالضم والقصر وينسب
للخطا فقال ـــــ له ابو بكر استعملك رسول الله صلى الله
عليه وسلم على الحج قال لا ولكن بعثني اقرا براءة على الناس وانبذ الى كل ذي
عهد عهده وكان العهد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين
عاما وخاصا فالعام ان لا يصد احدا عن البيت جاء ولا يخاف احد في الا
الحرم والخاص بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قبائل العرب الى
اجال مسماة وفي كلام السهيلي لما اراد ابو بكر بعلي فرجع ابو بكر للنبي صلى
الله عليه وسلم وقال يا رسول الله هل انزل في قران قال لا ولكن اردت ان
يبلغ عني من هو من اهل بيتي فمضى ابو بكر فحج بالناس اي في ذي الحجة لا في
ذي القعدة كما قيل من اجل النسي الذي كان في الجاهلية يوخرون
له الاشهر الحرم اي فان براءة نزلت اي صدرها والا فقد نزل منها قبل ذلك
في غزوة تبوك انفروا خفافا وثقالا الايات وكان نزول صدرها بعد سفر
ابي بكر فقيل له صلى الله عليه وسلم لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يودي
عني الا رجل من اهل بيتي ثم دعى عليا فقال اخرج بصدر براءة واذن في الناس
يوم النحر اذا اجتمعوا بمنى فقرا علي بن ابي طالب رضي الله عنه براءة يوم
النحر اي الذي هو يوم الحج الاكبر عند الجمرة وقال لا يحج بعد اليوم مشرك
ولا يطوف بالبيت عريان وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال امرني علي ان
اطوف في المنازل من منى ببراءة فكنت اصيح حتى صحل حلقي فقيل له بم كنت
تنادي فقال باربع الا لا يدخل الجنة الا مؤمن وان لا يحج بعد العام مشرك
وان لا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عهد فله اجل اربعة اشهر واول ـــــ

تلك الاربعة يوم النحر من ذلك العام ومن لا عهد له فمهلة الى انقضاء المحرم
ثم لا عهد له وكان المشركون اذا سمعوا النداء ببراءة يقولون لعلي رضي الله عنه
سترون بعد الاربعة الاشهر فانه لا عهد بيننا وبين ابن عمك الا الطعن
والضرب لانهم كانوا يحجون مع المسلمين ويرفعون اصواتهم بقولهم لا
شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك اي وتقدم سببا لاتيان بذلك وبطوف
رجال منهم عراة ليس على رجل منهم ثوب بالليل يقول الواحد منهم اطوف
بالبيت كما ولدتني امي ليس علي شيء من الدنيا خالطه الظلم اي وفي لفظ التي
قارفنا فيها الذنوب وكان لا يطوف الواحد منهم بثوب الا بثوب من ثياب الحمس
وهم قريش يستعيره او يكتريه واذا طاف بثوب من ثيابه القاه بعد
طوافه فلا يمسه هو ولا احد غيره ابدا فكانوا يسمون تلك الثياب اللقى
وفي الكشاف كان احدهم يطوف عريانا ويدع ثيابه وراء المسجد وان طاف
وهي عليه ضرب وانتزعت منه لانهم قالوا لا نعبد الله في ثياب اذنبنا
فيها وقيل تفاؤلا بان يعروا من الذنوب كما يعروا من الثياب وكانت
النساء يطفن كذلك وقيل كانت الواحدة تلبس درعا مفرجا وقد طافت
امراة عريانة ويدها على قبلها وهي تقول اليوم يبدو بعضه او كله فما بدا
منه فلا احله وانزل الله تعالى يا بني ادم خذوا زينتكم عند كل مسجد قل من
حرم زينة الله التي اخرج لعباده فابطلت ذلك براءة في تلك السنة
اي وقيل الزينة المشط وقيل الطيب وكانوا بنو عامر في ايام
الحج لا ياكلون الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما يعظمون بذلك حجهم
فقال المسلمون فانا احق ان نفعل ذلك فقيل
لهم كلوا واشربوا ولا تسرفوا ويحكى عن بعض الاطباء الحذاق من النصارى قال
لبعض العلماء ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الابدان وعلم
الاديان فقال له قد جمع الله الطب كله في بعض اية من كتابه قال وما
هي قال قوله تعالى وكلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني
ولا يوثر عن رسولكم شيء من الطب قال قد جمع رسول الله صلى الله عليه
الطب في الفاظ يسيرة قال وما هي قال قوله صلى الله عليه وسلم المعدة
بيت الداء والحمية راس كل دواء واعط كل بدن ما عودته فقال
ذلك الطيب ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس شيئا وبينت براءة ان من
كان له عهد فعهده الى مدته ومن لم يكن له عهد فاجله الى اربعة اشهر

وفي لفظ لما الحق عليا ابا بكر رضي الله عنهما قال له ابو بكر اميرا او مامورا قال
بل مامورا وزعمت الرافضة انه صلى الله عليه وسلم عزل ابا بكر عن امارة الحج وفي
عبارة بعض الرافضة ولما تقدم ابو بكر بسورة براءة رده صلى الله عليه
وسلم بعد ثلاثة ايام بوحي من الله تعالى وكيف يرضى العاقل امامة من لا
يرتضيه النبي صلى الله عليه وسلم بوحي من الله لاداء عشرة ايات من براءة هذا
كلامه قال الامام ابن تيمية وهذا من ابين الكذب فان من المعلوم المتواتر ان
ابا بكر لم يعزل وانه حج بالناس وكان علي من جملة رعيته في تلك السفرة
يصلي خلفه كسائر المسلمين ولم يرجع الى المدينة حتى مضى الحج في ذلك
العام وانما اردف صلى الله عليه وسلم ابا بكر بعلي لنبذ العهود وكان من عادة
العرب لا ينبذ العهد الا المطاع او رجل من اهل بيته اي فلو تلا
ابو بكر ما فيه نقض عهد عاهد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما قال لو
فقال قائلهم هذا خلاف ما نعرف فازاح الله عليهم بكون
ذلك على يد رجل من بني ابي رسول الله صلى الله عليه وسلم الادنين لمنزلة ذريته
وهو عبد المطلب قال وهذا غير بعيد من افتراء الرافضة وبهتانهم اي
وعلى عادة العرب بما ذكر جاء قوله صلى الله عليه وسلم لا يبلغ عني الا رجل من
اهل بيتي كما تقدم وفي لفظ الا رجل مني اي لا يبلغ عني نقض العهود الا رجل
الا رجل مني اي من بني ابي الادنين ولا اب له ذرية ادنين اليه من عبد المطلب
ولا يجوز حمل ذلك على تبليغ القران والاحكام اذ كل احد مامور له في ان يبلغ
ذلك عنه صلى الله عليه وسلم وفي هذه السنة التي هي سنة تسع تتابعت
الوفود على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قيل لها سنة الوفود

باب يذكر فيه ما يتعلق بالوفود التي وفدت

عليه صلى الله عليه وسلم اي غير من تقدم فقد تقدم انه قدم عليه صلى الله عليه
وسلم وفد هوازن بالجعرانة وكذا وفد عليه بها مالك بن عوف النضري وذلك
في اواخر سنة ثمان اي ووفد نصارى نجران اي قبل الهجرة ووفد بني تميم
في سرية عيينة بن حصن وذكر ابن سعد ان ذلك كان في المحرم سنة تسع
ووفد عليه وفد نصارى نجران ايضا بعد الهجرة وكانوا تسعين راكبا
ودخلوا المسجد النبوي اي وعليهم ثياب الحبرات واردية الحرير مختمين
بخواتم الذهب اي ومعهم هدية وهي بسط فيها تماثيل ومسوح فصار الناس
ينظرون للتماثيل فقال صلى الله عليه وسلم اما هذه البسط فلا حاجة لي

فيها رأينا هذه المسوح فان فقطوها لا اخذها فقالوا نعم نعطيها فلما رأى فقراء
المسلمين ما عليهم من الولاء من الزينة والزي الحسن تشوفت نفوسهم الى الدنيا
فانزل الله تعالى قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من
تحتها الانهار الايات فارادوا أن يصلوا بالمسجد بعد ان حان وقت صلاتهم
وذلك بعد العصر فاراد الناس منعهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعوهم
فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم فعرض عليهم الاسلام وتلى عليهم
عليهم القرآن فامتنعوا وقالوا قد كنا مسلمين قبلك فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم كذبتم يمنعكم من الاسلام ثلاث عبادتكم الصليب
واكلكم الخنزير وزعمكم ان لله ولدا اي لان احدهم قال له صلى الله عليه وسلم
المسيح بن الله لانه لا اب له وقال ـــــ اخر المسيح هو الله لانه
احيي الموتي واخبر عن الغيوب وابرأ من الادواء كلها وخلق من الطين طيرا
وقال ـــــ له افضلهم نحو لام نشتمه وتزعم انه عبد فقال
صلى الله عليه وسلم هو عبد الله وكلمته القاها الى مريم فغضبوا وقالوا
رضينا ان تقول انه اله وقالوا ان كنت صادقا فارنا عبدا لله يحيي
الموتى ويشفي الاكمه والابرص ويخلق من الطين طيرا فينفخ فيه فتطير
فسكت صلى الله عليه وسلم عنهم فنزل الوحي بقوله تعالى لقد كفر
الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقوله تعالى ان مثل عيسى عند الله
كمثل ادم ثم قال صلى الله عليه وسلم لهم ان الله امرني ان لم تنقادوا للاسلام
ان اباهلكم اي ندعوا ونجتهد في الدعاء باللعنة على الكاذب فقالوا له
يا ابا القاسم نرجع فننظر في امرنا ثم ناتيك فخلا بعضهم ببعض فقال
بعضهم والله علمتم ان الرجل نبي مرسل وما لاعن قوم نبيا الا استؤصلوا
الى اخرهم وان انتم ابيتم الا دينكم فوادعوه وصالحوه وارجعوا
الى بلادكم وفي لفظ انهم ذهبوا الى بني قريظة اي بني عمهم وبني
النضير وبني قينقاع واستشاروهم فاشاروا عليهم ان يصالحوه ولا
يلاعنوه وفي لفظ انهم واعدوه على الغد فلما اصبح صلى الله عليه وسلم
اقبل ومعه حسن وحسين وفاطمة وعلي رضي الله تعالى عنهم وقال
اللهم هؤلاء اهلي وعند ذلك قال لهم الاسقف اني لارى وجوها لو
سألوا الله ان يزيل لهم جبلا لازاله فلا تباهلوه فتهلكوا ولا يبقى على وجه
الارض نصراني فقالوا لا نباهلك وعن عمر رضي الله عنه انه قال للنبي

صلى

صلى الله عليه وسلم لو لاعنتهم يا رسول الله بيد من كنت تأخذ قال بيد علي
وفاطمة والحسن والحسين وعائشة وحفصة وهذا اي زيادة عائشة
وحفصة في هذه الرواية دل عليه قوله تعالى ونساءكم وصالحوه على الجزية
صالحوه صلى الله عليه وسلم الف حلة في صفر والف في رجب ومع كل حلة اوقية
من الفضة وكتب لهم كتابا وقالوا ارسل معنا امينا فارسل معهم ابا
عبيدة ابن الجراح وقال لهم هذا امين هذه الامة وفي رواية هذا القوي
الامين وكان كذلك يدعى في الصحابة ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال اما والذي نفسي بيده لقد تدلى العذاب على اهل نجران ولو لاعنوني
لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم الوادي عليهم نارا ولاستأصل الله نجران
واهله حتى الطير على الشجر ولا حال الحول على النصارى حتى هلكوا
وفد عليه صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة الداريون ابو هند الداري
وتميم الداري واخوه نعيم واربعة اخرون وسألوا رسول الله صلى الله
عليه ان يعطيهم ارضا من ارض الشام فقال لهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان يعطيهم ارضا من ارض الشام فقال لهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم سلوا حيث شئتم قال ابو هند فنهضنا من عنده نتشاور
في اي الارض ناخذ فقال تميم نسأله بيت المقدس وكورتها فقال له ابو
هند هذا محل ملك العجم وسيصير ملك العرب فاخاف ان لا يتم لنا
قال ـــــ تميم رضي الله عنه نسأله بيت جبرون وكورتها
فنهضنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا له فدعا بقطعة من
ادم وكتب لهم كتابا نسخته بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب ذكر فيه
ما وهب محمد صلى الله عليه وسلم للداريين اذا اعطاه الله الارض وهب
لهم بيت عينون وجبرون والمرطوم وبيت ابراهيم عليه السلام الى
الى ابد الابد شهد عباس بن عبد المطلب وخزيمة بن قيس وشرحبيل
ابن حسنة وكتب ثم اعطانا كتابا وقال انصرفوا حتى تسمعوا اني
قد هاجرت قال ـــــ ابو هند فانصرفنا فلما هاجر
صلى الله عليه وسلم الى المدينة قدمنا عليه وسألناه ان يجدد لنا
كتابا اخر فكتب لنا كتابا نسخته بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما انطى
محمد صلى الله عليه وسلم لتميم الداري واصحابه اني انطيتكم بيت عينون
وجبرون والمرطوم وبيت ابراهيم عليه السلام وجميع ما فيهم نطية

بث وتفرقت وسلمت ذلك لهم في اعقابهم من بعدهم ابدا الا بد فمن ذلك انهم
فيه اداه شهد ابو بكر بن ابي قحافة وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان و
وعلي بن ابي طالب ومعاوية بن ابي سفيان وكتب نقل ذلك في المواهب
وافره وخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة قال فيها حدثني
تميم الداري وذكر خبر الجساسة اي فان تميم الداري اخبره صلى الله
عليه وسلم انه ركب البحر فتاهت به سفينته فسقطوا الى جزيرة فخرجوا و
اليها يلتمسون الماء فلقي انسانا يجر شعره فقال له صلى الله عليه وسلم
قال انا الجساسة قالوا فاخبرنا قال لا اخبركم ولكن عليكم بهذه الجزيرة
فدخلناها فاذا رجل مقيد فقال من انتم قلنا ناس من العرب قال ما
فعل هذا النبي خرج فيكم قلنا قد امنا به وامن به الناس واتبعوه وصدقوه
قال ذلك خير لهم قال افلا تخبروني عن عين زغر ما فعلت فاخبرناه
عنها فوثب وثبة ثم قال ما فعل نخل بيسان هل اطعم بعد فاخبرناه
انه قد اطعم فوثب مثلها ثم قال اما لو قد اذن لي في الخروج لوطئت
البلاد كلها غير طيبة فاخرجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدث
الناس فقال هذه طيبة وذاك الدجال قال ابن عبد البر وهذا اولى
ما يخرجه المحدثون في رواية الكبار عن الصغار ووفد عليه وهو في
خيبر الاشعريون صحبة ابي موسى الاشعري وصحبوا جعفر بن ابي
طالب من الحبشة وقال فيهم اتاكم اهل اليمن هم ارق افئدة والين قلوبا
الايمان يمان والحكمة يمانية وقال في حق اهل اليمن يريد اقوام ان يضعوهم
ويابى الله الا ان يرفعهم والاشعري نسبة الى اشعر واسمه نبت بن ادد
ابن يشجب وانما قيل له اشعر لان امه ولدته والشعر على بدنه قال
ولما فتحت مكة ودانت له صلى الله عليه وسلم قريش عرفت العرب انه
لا طاقة لهم بحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بعداوته لان قريشا
كانت قادة العرب ودخلوا في دين الله افواجا قال في النهاية الوفد
القوم يجتمعون ويردون البلاد واحدهم وافد وانتهى والوفد
رسول الى القوم يتقدمهم وقد يراد به ما هو اعم من ذلك فمنهم من
تقدم على رسول الله وحينئذ فيكون من ذلك كعب بن زهير فانه و
قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبب ذلك ان اخاه بجير بن
زهير خرج يوما هو وكعب في غنم لهما فقال لاخيه كعب اثبت في الغنم

حتى

حتى اتي هذا الرجل يعني النبي صلى الله عليه وسلم فاسمع كلامه واعرف ما عنده
فاقام كعب ومضى بجير فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع كلامه وامن
به وذلك ان اباهما زهيرا كان يجالس اهل الكتاب ويسمع منهم انه قد ان
مبعثه صلى الله عليه وسلم وراى زهير انه قد مد بسبب من السماء وانه
مد يده ليتناوله ففاته فاوله بالنبي صلى الله عليه وسلم الذي يبعث في اخر
الزمان وانه لا يدركه واخبر بنيه بذلك واوصاهم ان ادركوا النبي صلى
الله عليه وسلم ان يسلموا ولما اتصل خبر اسلام بجير باخيه كعب اغضبه
ذلك فلما كان منصرفه صلى الله عليه وسلم من الطائف كتب بجير لاخيه
كعب بن زهير وكان ممن يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره بفتح مكة
وانه صلى الله عليه وسلم قتل بها رجالا ممن كان يهجوه من شعراء قريش
وهرب بعضهم في كل وجه كابن الزبعرى وهبيرة بن ابي وهب وانه قال
من لقي منكم كعب بن زهير فليقتله فان كان لك في نفسك حاجة فطر
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا يقتل احدا جاءه تائبا ولا يطا لبه
بما تقدم الاسلام وان انت لم تفعل فانج الى نجاتك وفي تصحيح الانسا
لابن ابي الفوارس ان زهير بن ابي سلمى قال لابنيه انه ستاتي فاولته انه
النبي الذي يبعث في هذا الزمان وانا لا ادركه فمن ادركه منكم فليصدقه
وليتبعه ليهتدي به فلما بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم امن
به ابنه بجير واقام ابنه كعب على الشرك والتشبيب بام هانئ بنت ابي
طالب فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فقال لئن وقع كعب
في يدي لاقطعن لسانه الحديث اي ولا مانع ان يكون ضم الى هذا هجا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما بلغ كعب الكتاب ضاقت به الارض و
وارجف به اعداؤه وصاروا يقولون هو مقتول لا محالة فلم يجد بدا من
مجيئه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعمل القصيدة التي مدح بها رسول الله
صلى الله عليه وسلم وذكر فيها ارجاف اعدائه التي مطلعها بانت سعاد فقلبي
اليوم متبول ثم خرج حتى قدم المدينة فنزل على رجل كان بينه وبينه
معرفة فغدا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى الصبح فاشار
اليه ذلك الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقم اليه واستامنه و
فقام الى ان جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وضع يده في يده وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ومن حضره لا يعرفه فقال يا رسول الله

ان كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائبا مسلما فهل انت قابل منه ان
انا جئتك به قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فقال انا يا رسول الله
كعب بن زهير فوثب رجل من الانصار فقال يا رسول الله دعني وعدو الله
اضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه عنك فانه قد جاء تائبا
نازعا فلما انشد القصيدة المذكورة ومدح فيها المهاجرين ولم يتعرض
للانصار قيل حمله على ذلك ما سمعه من الانصاري مما اغاظه ولم يسمع من
المهاجرين شيئا يغيظه وفيه ان هذا واضح اذا كان انشاد ذلك في الوقت
واما اذا كان عمله قبل مجيئه كما هو ظاهر مما تقدم انه عمل تلك القصيدة
التي من جملتها ما ذكر فلا عند ذلك غضبا للانصار فمدحهم بالقصيدة التي
مطلعها من سره كرم الحياة فلا يزل في مقنب من صالحي الانصار اي ويقال
انه صلى الله عليه وسلم هو الذي حضه على مدحهم فقال له لما انشد بانت
سعاد ورآها مشتملة على مدح المهاجرين دون الانصار لولا اي هلا ذكرت
الانصار بخير فان الانصار اهل لذلك اي ولما انشده صلى الله عليه
وسلم بانت سعاد وقال ان الرسول لنور يستضاء به
مهند من سيوف الله مسلول
القى عليه بردة كانت عليه صلى الله عليه وسلم وقد اشتراها معاوية بن ابي
سفيان رضي الله عنه من كعب بمال كثير اي بعد ان دفع لكعب رضي الله
عنه فيها عشرة الاف فقال ما كنت لاوثر بثوب رسول الله صلى الله
عليه وسلم احدا فلما مات كعب رضي الله عنه اخذها من ورثته بعشرين
الفا وتوارثها الخلفاء بنو امية ثم خلفاء بني العباس اشتراه السفاح
اول خلفاء بني العباس بثلاثمائة دينار اي بعد انقراض دولة بني امية
وكانوا يطرحونها على اكتافهم جلوسا وركوبا وكانت على المقتدر حين
قتل وتلوثت بالدم ويقال ان التي كانت عند بني العباس بردته صلى الله
عليه وسلم التي اعطاها لاهل ايلة مع كتابه الذي كتب لهم امانا وذلك
في غزوة تبوك وحينئذ تكون بردة كعب فقدت عند زوال بني امية
واما هذه البردة فلعل فقدها كان في فتنة التتار ثم رأيت ابن كثير
قال ان معاوية اشترى البردة التي عند الخلفاء من اهل كعب باربعين الف
درهم ثم توارثها الخلفاء الامويون والعباسيون حتى اخذها التتر سنة
اخذ بغداد وقال هذا من الامور المشهورة جدا ولكن لم ار ذلك في شيء من

الكتب

الكتب المشهورة باسناد ارتضيه وصار كعب من شعرائه الذين يذبون عن
الاسلام كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت الانصاري ولما قدم صلى
الله عليه وسلم المدينة من تبوك في رمضان قدم عليه في ذلك الشهر وفد
ثقيف وكان من خبرهم انه لما انصرف صلى الله عليه وسلم عن محاصرتهم تبع
اثره عروة بن مسعود حتى ادركه قبل ان يصل الى المدينة فاسلم وسأله
ان يرجع الى قومه بالاسلام فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم انهم قاتلوك فقال عروة يا رسول الله انا احب اليهم من ابكارهم اي اول
اولادهم وفي رواية من ابصارهم فخرج يدعو قومه الى الاسلام رجاء ان لا يخالفوه لقوه
لمنزلته فيهم اي لانه كان فيهم محببا مطاعا فلما اشرف لهم على علية
ودعاهم الى الاسلام واظهر لهم دينه رموه بالنبل من كل جانب فاصابه سهم
فقتله وفي لفظ انه قدم الطائف عشاء فجاءته ثقيف يسلمون عليه
فدعاهم الى الاسلام ونصح لهم فعصوه واسمعوه من الاذى ما لم يكن يخشاه
منهم فخرجوا من عنده حتى اذا كان السحر وطلع الفجر قام على غرفة في داره
وتشهد فرماه رجل من ثقيف بسهم فقتله فقيل له ان يموت ما ترى
في دمك قال كرامة اكرمني الله تعالى بها وشهادة ساقها الله الي فليس
في الا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل ان يرتحل عنكم فادفنوني معهم فدفنوه معهم وقال في حقه صلى الله
عليه وسلم ان مثله في قومه مثل صاحب يس انه قال لقومه اتبعوا الايات
فقتله قومه اي المذكور في سورة يس وهو حبيب بن مري وقال
السهيلي يحتمل ان المراد به صاحب الياس فان الياس يقال في اسمه يس
ايضا وقد قال صلى الله عليه وسلم مثل هذه المقالة في حق شخص يقال
له عروة بن حنين او ابن الحارث بعثه النبي صلى الله عليه وسلم الى بني هلال
ابن عامر يدعوهم الى الاسلام فقتلوه فقال صلى الله عليه وسلم مثله
مثل صاحب يس ثم ان ثقيفا اقامت بعد قتل عروة شهرا ثم انهم
ائتمروا بينهم ورأوا انهم لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد اسلموا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فكلموا عبد ياليل بن عمرو وكان
في سن عروة بن مسعود في ذلك فابى ان يفعل لانه خشي ان يفعل به كما فعل
بعروة وقيل كلموا مسعود بن عبد ياليل وهو قائله للخلط فقال
لست فاعلا حتى ترسلوا معي رجالا فبعثوا معه خمسة انفار منهم شرحبيل

ابن غيلان أحد أشراف ثقيف وممن أسلم على عشرة نسوة أيضًا أسلم غيلان
بالغين المعجمة على عشرة نسوة وممن أسلم على عشرة نسوة أيضًا عروة بن
مسعود وكذلك مسعود بن معتب ومسعود بن عمرو وسفيان بن عبد الله وأبو
عقيل مسعود بن عامر وكلهم من ثقيف وقيل وفد عليه صلى الله عليه
عشر رجلًا هم أشراف ثقيف فيهم كنانة بن عبد ياليل وهو رأسهم يومئذ
وفيهم عثمان بن أبي العاص وهو أصغرهم فلما قربوا من المدينة لقوا المغيرة
ابن شعبة الثقفي فذهب فذهب مسرعًا عليه فلقيه أبو بكر رضي الله
عنه فأخبره فقال له أبو بكر أقسمت عليك لا تسبقني إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى أكون أنا أحدثه ففعل فدخل أبو بكر رضي الله
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بقدومهم عليه ثم خرج المغيرة
إلى وعلمهم رضي الله عنه كيف يحيون رسول الله صلى الله عليه وسلم ف
فأبوا إلا تحية الجاهلية ه وهي عم صباحًا ثم قدم بهم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فضرب لهم قبة في ناحية المسجد أي ليسمعوا ا
لقرآن ويروا الناس إذا صلوا ه وكانوا يغدون إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويخلفون عثمان بن أبي العاص عند أسبابهم فكان عثمان إذا
رجعوا ذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن الدين ويستقرئه القرآن
وإذا وجد النبي صلى الله عليه وسلم نائمًا ذهب إلى أبي بكر وكان يكتم ذلك
من أصحابه فأعجب ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحبه وكان فيهم
رجل مجذوم فأرسل صلى الله عليه وسلم فأخبره وكان يقول له إنا بايعناك
فارجع وفي المرفوع لا تديموا النظر إلى المجذومين وجاء كلم المجذوم وبينك
وبينه قدر رمح أو رمحين وهذا معارض بقوله صلى الله عليه وسلم لا عدوى
ولا طيرة وبما جاء في حديث أخرجه أنه صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا
أكل مع المجذوم طعامًا وأخذ بيده وجعلها معه في القصعة وقال
كل باسم الله ثقة بالله وتوكلًا عليه وأجيب بأن الأمر باجتناب
المجذوم إرشادي ومؤاكلته لبيان الجواز أو جواز المخالطة محمولة في حق
من قوي إيمانه وعدم جوازها على من ضعف إيمانه ومن ثم باشر صلى الله
عليه وسلم الصورتين ليقتدي به فيأخذ القوي الإيمان بطريق التوكل
والضعيف الإيمان بطريق التحفظ والاحتياط وعند انصرافهم د
قالوا يا رسول الله أمر علينا رجلًا يؤمنا فأمر عليهم عثمان بن أبي العاص

لما رأى من حرصه على الإسلام وقراءة القرآن وتعلم الدين ولقول الصديق
رضي الله عنه له يا رسول الله إني رأيت هذا الغلام من أحرصهم على التفقه
في الإسلام وتعلم القرآن وفي رواية أن عثمان بن أبي العاص قال قلت
يا رسول الله اجعلني إمام قومي قال أنت إمامهم وقال لي إذا أممت بهم فاخف
بهم الصلاة واتخذ مؤذنًا لا يأخذ على أذانه أجرًا فكان خالد بن سعيد
ابن العاص هو الذي يمشي بينهم وبينه صلى الله عليه وسلم حتى كتب
لهم كتابًا وكان الكاتب له خالد المذكور ومن جملته بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد النبي رسول الله إلى المؤمنين إن عضاه وج وصيده حرام لا يعضد
من وجد يفعل شيئًا من ذلك فإنه يجلد وتنزع ثيابه ووج واد بالطائف
وقيل هو الطائف والعضاة كل شجر له شوك واحده عضة كشفة
وروى أبو داود والترمذي ألا إن صيد وج وعضاهه حرام محرم وكانوا
لا يطعمون طعامًا يأتيهم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ي
يأكل منه خالد حتى أسلموا وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدع
لهم الصلاة فقال لا خير في دين لا صلاة فيه وفي لفظ لا
ركوع فيه وأن يترك لهم الزنا والربا وشرب الخمر فأبى ذلك وسألوه
صلى الله عليه وسلم أن يترك لهم الطاغية التي هي صنمهم وهي اللات
أي وكانوا يقولون لها الربة لا يهدمها إلا بعد ثلاث سنين من مقد
له فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا زالوا يسألونه سنة وهو
يأبى عليهم حتى سألوه شهرًا واحدًا بعد قدومهم وأرادوا بذلك د
ليدخل الإسلام في قلوبهم ولا يرتاع سفهاؤهم ونساؤهم وذراريهم د
بهدمها فأبى عليهم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أي وعند
خروجهم قال لهم سيدهم كنانة أنا أعلمكم بثقيف اكتموا إسلامكم
وخوفوهم الحرب والقتال وأخبروهم أن محمدًا سألنا أمورًا أعظمناها
أبينا عليه سألنا أن نهدم الطاغية وأن نترك الزنا والربا وشرب
الخمر فلما جاءتهم ثقيف وسألوهم قالوا جئنا رجلًا فظًا غليظًا
قد ظهر بالسيف ودان له الناس فعرض علينا أمورًا شدادًا وذكروا ما
تقدم قالوا والله لا نطيعه ولا نقبل هذا أبدًا فقال لهم أصلحوا
السلاح وتهيئوا للقتال ورموا حصنكم فمكثت ثقيف كذلك يومين
أو ثلاثة ثم ألقى الله الرعب في قلوبهم وقالوا والله ما لنا به من

بن طاقة فارجعوا اليه واعطوه ما سال فعند ذلك قالوا لهم قد قاضينا
واسلمنا فقالوا لهم لم كتمتمونا قالوا اردنا ان ينزع الله من قلوبكم نخوة
الشيطان فاسلموا ومكثوا اياما فقدم عليهم رسل رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعث ابا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة لهدم الطاغية
نخرجا مع القوم حتى اذا قدموا الطايف اراد المغيرة ان يقدم ابا سفيان
فابى ذلك ابو سفيان عليه وقال ادخل انت على قومك فلما دخل
المغيرة علاها ليضربها بالمعول اي الفاس العظيمة التي يقطع بها
الحجر وخرج نساء ثقيف حسرا اي مكشوفات الروس حتى العواتق من الحجال يبكين على الطاغية
قال وفي رواية يظنون انه لا يمكن هدمها لانها تمنع من ذلك واراد
المغيرة ان يسخر بثقيف فقال لاصحابه لاضحكنكم من ثقيف فالقى
نفسه لما علا عليها للطاغية بهدمها وفي لفظ اخذ يرتكض به فصاحوا
صيحة واحدة فقالوا ابعد الله المغيرة قتلته الربة وقالوا والله
لا يستطيع هدمها وفي رواية لما اخذ المعول وضرب به اللات ضربة
صاح وخر لوجهه فارتج الطايف بالصياح سرورا بان اللات قد
صرعت المغيرة واقبلوا يقولون كيف رايت يا مغيرة دونكها ان
استطعت الم تعلم انها تهلك من عاداها فقام المغيرة يضحك منهم
ويقول لهم يا خبثا والله ما قصدت الا الهزو بكم وفي رواية فوثب
وقال لهم قبحكم الله انما هي لكاع حجارة ومدر فاقبلوا عافية الله
واعبدوه ثم اخذ في هدمها انتهى فهدمها ثم بعد ان بدا بكسر بابها حتى
هدموا اساسها واخرج ترابها لما سمع سادنها يقول ليغضبن الاساس
فليخسفن بهم واخذا مالها وحليها فلما قدما على رسول الله صلى الله
عليه وسلم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا سفيان ان يقضي دين
عروة والاسود اخوه من مال الطاغية فقضاه فان ابا المليح بن عروة بن
مسعود وقارب ابن عم الاسود اخو عروة بن مسعود سالا رسول
الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وكانا قدما على رسول الله صلى الله عليه
وسلم مسلمين لما قتلت ثقيف عروة بن مسعود قبل ان تسلم ثقيف
كما تقدم وكان قد اجاب ابا المليح فقال له نعم فقال له ابن عمه قارب
ابن الاسود وعن الاسود يا رسول الله فان عروة والاسود اخوان
لاب وام فقال صلى الله عليه وسلم الاسود مات مشركا فقال قارب يا رسول

الله انما الدين علي وانا الذي اطلب به **ومن الوفود** وفد بني تميم وتقدم
ذكره اي في الكلام على سرية عيينة بن حصن الفزاري الى بني تميم وفي
ذلك الوفد عطارد بن حاجب وعمرو بن الاهتم والاقرع بن حابس والزبرقان
ابن بدر وذكر في الاستيعاب انه كان مع وفد تميم قيس بن عاصم فاسلم
وذلك في سنة تسع فلما راه صلى الله عليه وسلم قال هذا سيد اهل الوبر
وكان عاقلا حليما مشهورا بالحلم قيل للاحنف بن قيس **وكان احلم الناس**
ممن تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم رايته يوما قاعدا بفناء داره
محتبيا بحمايل سيفه يحدث قومه فاتي برجل مكتوف واخر مقتول فقيل له
هذا ابن اخيك قتل ابنك قال فوالله ما حل حبوته ولا قطع كلامه فلما
اتمه التفت الى ابن اخيه فقال يا ابن اخي بيس ما فعلت اثمت بربك وقطعت
رحمك وقتلت ابن عمك ورميت نفسك بسهمك ثم قال لابن له اخر قم يا
بني فوار اخاك وحل كتاف ابن عمك وسق الى امك مائة ناقة دية ابنها فانها
غريبة وكان قيس بن عاصم ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية وسبب
ذلك انه سكر يوما فغمز عكنة ابنته وسب ابويها وراى القمر فتكلم بشيء
يخاطبه واعطى الخمار مالا كثيرا فلما افاق اخبر بذلك فحرمها على
نفسه وقال في ذمها ابياتا كثيرة ولما حضرته الوفاة
دعا بنيه فقال يا بني احفظوا عني فلا احد انصح لكم مني فسودوا اكبركم
ولا تسودوا اصغاركم فتسفه الناس كباركم وتهونوا عليهم وعليكم
باصلاح المال فانه منبهة للكريم ويستغنى به عن اللئيم واياكم
ومسالة الناس فانها اخر كسب الرجل فاذا مت فلا تنوحوا علي فان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينح عليه وقد قيل فيه من جملة ابيات
عند موته فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما
وتقدم انهم نادوه صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات يا محمد اخرج الينا
ثلاث مرات فخرج اليهم الى اخر ما تقدم ومنها وفد بني عامر فيهم عامر
ابن الطفيل واربد بن قيس وجبار بن سلمى بضم السين وبفتحها وكان
هولاء الثلاثة روسا القوم وكان عامر بن الطفيل عدو الله سيدهم
كان مناديه ينادي بسوق عكاظ هل من راجل فنحمله او جايع فنطعمه او
خايف فنومنه وكان من اجمل الناس وكان مضمرا الغدر بالنبي صلى الله
عليه وسلم فقال لاربد اذا قدمنا على هذا الرجل

فاني شاغل عنك وجهه فاذا فعلت ذلك فاعله بالسيف وقد قال له
قومه يا عامر ان الناس قد اسلموا فاسلم فقال والله لقد اليت اي حلفت
ان لا انتهي حتى تتبع العرب عقبي فانا اتبع عقب هذا الفتى من قريش فلما
قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر بن الطفيل يا محمد خالني
اي اجعلني خليلا او صديقا لك قال لا والله حتى تؤمن بالله وحده لا
شريك له قال يا محمد خالني وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم وينتظر من
اربد ما كان امره به فجعل اربد لا يأتي بشيء وفي رواية لما اتاه صلى الله
عليه وسلم على رأي القوم القى له وسادة ليجلس عليها ثم قال له صلى الله عليه
وسلم يا عامر فقال ـــ عامر ان لي اليك حاجة قال فاقرب مني
فقرب منه حتى حنى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا يدل على ان د
قوله خالني اي اجعل لي منك خلوة وهو المناسب لقول عامر لاربد اني
شاغل عنك وجهه قال ـــ وذكر ان عامر بن الطفيل قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد دعاه للاسلام يا عامر فقال اتجعل لي الامر بعدك ان اسلمت
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك لك ولا لقومك اي انما
ذلك الى الله يجعله حيث يشاء اي وقال له يا محمد اسلم على ان لي الوبر
ولك المدر فقال لا فقال فما لي ان اسلمت فقال لك ما للمسلمين د
وعليك ما عليهم فقال اما والله لاملأنها عليك خيلا ورجالا فقال
السهيلي وجعل اسيد بن حضير يضرب في روسهما ويقول اخرجا ايها
الهجرسان اي القردان فقال له عامر ومن انت فقال اسيد بن حضير
فقال احضير بن سماك قال نعم قال ابوك كان خيرا منك قال بل انا خير
منك ومن ابي لان ابي كان مشركا وانت مشرك ومكث صلى الله عليه وسلم اياما
يدعو الله عز وجل ويقول اللهم اكفني عامر بن الطفيل بما شئت وابعث
له داء يقتله انتهى اي ثم قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو اسلم
واسلمت بنو عامر لزاحمت قريشا على منابرها ثم دعى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال يا قوم امنوا ثم قال اللهم اهد بني عامر واشغل عني عامر بن الطفيل
كيف شئت وانى شئت وفي البخاري انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم اخيرك
بين ثلاث خصال يكون لك اهل السهل ولي اهل الوبر او اكون خليفتك من
بعدك او اغزوك من غطفان بالف اشقر والف شقراء فلما خرجوا من عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر لاربد ويلك يا اربد اين ما كنت

امرتك

امرتك به والله ما كان على ظهر الارض رجل على نفسي منك وايم الله لا اخافك
بعد اليوم ابدا فقال ـــ لا ابا لك لا تعجل علي والله ما هممت بالذي
امرتني به الا دخلت بيني وبين الرجل حتى ما ارى غيرك افاضربك بالسيف اي وفي
رواية الا رأيت بيني وبينه سورا من حديد وفي رواية لما وضعت يدي على
قائم السيف يبست فلم استطع احركها وفي رواية لما اردت سل سيفي نظرت
فاذا فحل من الابل فاغر فاه بين يديك يهوي الي فوالله لو سللته لخفت ان
يبتلع رأسي ويمكن الجمع بان ما في الرواية الاولى كان بعد ان تكرر منه الهم
وما في الرواية الثانية كان بعد ان حصل منه هم اخر وكذا يقال في الثالثة
وخرجوا راجعين الى بلادهم حتى اذا كانوا ببعض الطريق بعث الله على عامر
ابن الطفيل الطاعون في عنقه اي وفي لفظ في حلقه اي واوى لبيت امرأة
من بني سلول وكانوا موصوفين باللوم وفي كلام السهيلي انما اختص بالذكر
لغرب نسبه منها لانها منسوبة الى سلول بن صعصعة والطفيل من بني عامر
ابن صعصعة اي فهي تاسف عليه فصار يأسف الذي كان موته في بيتها فصار
يمس الطاعون ويقول ـــ يا بني عامر غدة اي اغدة كغدة
البعير وموتا في بيت امرأة من بني سلول اي في بيتها ثم ركب فرسه واخذ
رمحه وصار يجول حتى سقط عن فرسه ميتا ه اي ويذكر انه صار يقول ابرز
يا ملك الموت وفي لفظ يا موت ابرز لي اي لاقاتلك وهذا يدل على ان
موت عامر لم يكن على فرسه وقد جاء في رواية فخرج حتى اذا كان بظهر
المدينة صادف امرأة من قومه يقال لها سلولية فنزل عن فرسه ونام
في بيتها فاخذته غدة في حلقه فوثب على فرسه واخذ رمحه واقبل يجول وهو
يقول ـــ غدة البكر وموت في بيت سلولية فلم يزل على تلك د
الحالة حتى سقط عن فرسه ميتا ويحتاج للجمع بينه وبين قول الاوزاعي
قال يحيى فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو على عامر بن الطفيل ثلاثين
صباحا وقدم صاحباه اي قومهما فقالوا لاربد ما وراءك يا اربد قال
لا شيء والله لقد دعانا الى عبادة شيء لوددت انه عندي الآن فارميه
بالنبل حتى اقتله فخرج بعد مقالته هذه بيوم او يومين معه جمل له يتبعه
فارسل الله عليه وعلى جمله صاعقة احرقتهما اي وذلك في يوم صحو
قائظ وانزل الله تعالى قوله تعالى ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء
واما جبار بن سلمى الذي معهما فانه اسلم مع من اسلم من بني عامر

ومنها وفود ضمام بن ثعلبة اي وقيل وفد في سنة خمسين نبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصحابه متكيا جاءه رجل من اهل البادية قال في رواية طلحة بن عبيد الله جاءنا اعرابي من اهل نجد ثائر الراس يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول ــــــ الحديث اي جاء على جمل فاناخه في المسجد ثم عقله ثم قال ايكم ابن عبد المطلب اي وفي رواية ايكم محمد قالوا هذا الامغر المرتفق اي الابيض المشرب بحمرة المتكي على مرفقه فدنا منه فقال اني سائلك فمشدد عليك في المسئلة قال سل عما بدا لك اي وفي رواية لمغلظ عليك في المسئلة فلا تجد علي في نفسك ما لا اجد في نفسي فقال سل عما بدا لك فقال يا محمد جاءنا رسولك فذكر لنا انك تزعم ان الله ارسلك قال صدق ٥ فقال انشدك بفتح الهمزة بربك من قبلك ورب من بعدك اي وفي رواية بالذي خلق السموات والارض ونصب هذه الجبال ٥ قال اللهم نعم قال وفي رواية انه قال له فبذلك الله امرك ان تامرنا ان نعبده وحده ولا نشرك به شيئا وان نخلع هذه الانداد التي كان اباؤنا يعبدون قال اللهم نعم انتهى قال قال انشدك بالله الله امرك ان نصلي خمس صلوات في كل يوم وليلة قال اللهم نعم قال وانشدك بالله الله امرك ان تاخذ من اموال اغنيائنا فترد على فقرائنا قال اللهم نعم قال وانشدك بالله الله امرك ان نصوم هذا الشهر من اثني عشر شهرا قال اللهم نعم قال وانشدك بالله الله امرك ان نحج هذا البيت من استطاع اليه سبيلا قال اللهم نعم قال فاني قد امنت وصدقت وانا ضمام بن ثعلبة **اقول** ــــــ وهذا السياق يدل على ان وفوده كان بعد فرض الحج وهو يخالف ما سبق انه كان في سنة خمس وممن استبعده ابن القيم وقال والظاهر ان هذه اللفظة مدرجة من كلام بعض الرواة وفيه ان الذي جزم به ابن اسحاق وابو عبيدة انه وفد في سنة تسع وصوبه الحافظ ابن حجر ومن ثم جاء ذكر الحج في مسلم ويؤيد ذلك قول ابن عباس بعثت بنو سعد ابن بكر ضمام بن ثعلبة وافدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم علينا الحديث لان ابن عباس انما قدم المدينة بعد الفتح ثم لما ان ولى ضمام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقه الرجل اي بضم القاف صار فقيها ويكسرها فهم وفي لفظ لئن صدق ليدخلن الجنة وكان عمر

رضي

رضي الله عنه يقول ــــــ ما رايت احدا احسن مسئلة ولا اوجز من ضمام بن ثعلبة اي وفي لفظ عن ابن عباس رضي الله عنهما فما سمعنا بوافد قط كان افضل من ضمام ولما رجع ضمام الى قومه قال لهم ان الله تعالى قد بعث رسولا وانزل عليه كتابا استنقذكم به مما كنتم فيه قال وفي رواية ان اول شي تكلم به ان سب اللات والعزى فقال له قومه مه يا ضمام اتق البرص اتق الجذام اتق الجنون فقال ويلكم انهما والله لا يضران ولا ينفعان ان الله قد بعث رسولا الى اخر ما تقدم واني اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله وقد جيتكم من عنده بما امركم به ونهاكم عنه فلم يبق في القوم رجل ولا امراة الا واسلم ومنها وفد عبد القيس وفيهم الجارود وكان نصرانيا اي قد قرا الكتب فقال ابياتا يخاطب بها النبي صلى الله عليه وسلم منها هذين البيتين

يا نبي الهدى اتاك رجال ــــــ

قطعت فدفدا والا فالا

تتقي وقع يوم عبوس

اوجل القلب ذكره ثم هالا

والفدفد المفازة والال ما يرفع الشخوص في اول النهار وفي اخره وقيل السراب ٥ قيل وكانوا ستة عشر فعرض عليه صلى الله عليه وسلم الاسلام فقال ــــــ يا محمد اني كنت على دين واني تارك ديني لدينك فتضمن لي ديني فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم انا ضامن ان قد هداك الله الى ما هو خير منه فاسلم واسلم اصحابه ثم سال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحملهم فقال والله ما عندي ما احملكم عليه فقال يا رسول الله يحال بيننا وبين بلادنا ضوال من ضوال المسلمين اي من الابل او من البقر مما يحمي نفسه افنتبلغ عليها اي نركبها الى بلادنا قال لا اياك واياها فانما تلك حرق النار اي لهبها كذا في الاصل وفي السيرة الشامية ان الجارود هذا انما وقع خلف له فقال له سلمة بن عياض الاسدي ان الجارود قال لسلمة ان خارجا خرج بتهامة يزعم انه نبي فهل لك ان نخرج اليه فان رايت خيرا دخلنا فيه واني ارجو ان يكون هو النبي صلى الله عليه وسلم الذي بشر به عيسى بن مريم لكن ليضمر كل واحد منا ثلاث مسائل يسالها عنها لا يخبر بها صاحبه فلعمري ان اخبرنا بها انه لنبي يوحى اليه فلما قدما عليه صلى

الله عليه وسلم قال له الجارود بم بعثك ربك يا محمد قال بشهادة ان لا اله
الا الله واني عبد الله ورسوله والبراءة من كل ند او وثن يعبد من دون
الله وباقام الصلاة لوقتها وايتاء الزكاة لحقها وصوم رمضان وحج البيت
بغير الحاد من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد
قال الجارود يا محمد اذ كنت اخبرتنا عما اضمرنا عليه فخفق رسول الله صلى
الله عليه وسلم خفقة كانها سنة ثم رفع راسه والعرق يتحدر عنه فقال
اما انت يا جارود فاضمرت ان تسالني عن دما الجاهلية وعن حلف الجاهلية
وعن المنيحة الا وان دم الجاهلية موضوع وحلفها مردود ولا حلف في الاسلام
الا وان افضل الصدقة ان تمنح اخاك ظهر دابة او لبن شاة فانها تغدو
برفده وتروح بمثله واما انت وعن يوم السباسب فقد اعقب الله ليلة خيرا
وعن عقل الهجين واما عبادة الاوثان فان الله تعالى يقول انكم وما
تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون واما يوم السباسب فقد
اعقب الله ليلة خيرا من الف شهر فاطلبوها في العشر الاواخر من شهر رمضان
فانها ليلة بلجة سمحة لا ريح فيها تطلع الشمس في صبيحتها لا شعاع لها
واما عقل الهجين فان المؤمنين اخوة تتكافأ دماؤهم يجير اقصاهم على ادناهم
اكرمهم عند الله اتقاهم فقالوا نشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك
له وانك عبد الله ورسوله انتهى وذكر في السيرة الشامية في وفد عبد
القيس انه كان قبل فتح مكة وذكر ما حاصله انه صلى الله عليه وسلم بينا هو
يحدث اصحابه اذ قال لهم سيطلع عليكم من هاهنا ركب هم خير اهل المشرق
وفي رواية ليأتين ركب من المشرق لم يكرهوا على الاسلام قد انضوا اي
اهزلوا الركائب وافنوا الزاد اللهم اغفر لعبد القيس فقام عمر رضي
الله عنه فتوجه نحو مقدمهم فلقي ثلاثة عشر راكبا وقيل كانوا عشر
راكبا وقيل كانوا اربعين رجلا فقال من القوم قالوا من بني عبد القيس
فقال اما ان النبي صلى الله عليه وسلم قد ذكركم انفا فقال خيرا ثم مشى معهم
حتى اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضي الله عنه للقوم هذا صاحبكم
الذي تريدون فرمى القوم بانفسهم عن ركائبهم بباب المسجد بثياب
سفرهم وتبادروا يقبلون يده صلى الله عليه وسلم ورجله وكان فيهم
عبد الله بن عوف الاشج وهو راسهم وكان سنا فتخلف عن الركائب حتى
اناخها وجمع المتاع وذلك بمرأى من النبي صلى الله عليه وسلم واخرج ثوبين

ابيضين

منه

ابيضين فلبسهما ثم جاء يمشي حتى اخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان ما
فقال يا رسول الله انه لا يستقي ان يشرب في مسوك اي جلود الرجال
انما يحتاج من الرجل اصغريه لسانه وقلبه فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان فيك خلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والاناة فقال يا رسول الله
اتخلق بهما ام الله جبلني عليهما قال بل الله تعالى جبلك عليهما فقال
الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله ورسوله صلى الله عليه وسلم
والاناة التؤدة وقد جاء التؤدة والاقتصاد والسمت الحسن جزء من
اربعة وعشرين جزءا من النبوة وفي رواية انهم لما قدموا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من القوم قالوا من ربيعة اي وهو المراد
بما في بعض الروايات فانه من التعبير عن البعض بالكل وفي البخاري في
الصلاة ان هذا الحي من ربيعة اي ان هذا الحي حي من ربيعة وهو في الاصل
اسم لمنزل القبيلة سميت به القبيلة لان بعضهم يحيى ببعض فالحي
ربيعة عبد القيس مرحبا بالقوم اي صادفتم رحبا اي سعة بضم الراء السعة
واول من قال مرحبا سيف بن ذي يزن وقد تكررت هذه الكلمة منه صلى
الله عليه وسلم قالها لابنة عمه ام هانئ رضي الله تعالى عنها وقال لعكرمة
ابن ابي جهل مرحبا بالراكب المهاجر وقال لابنته فاطمة رضي الله عنها مرحبا
بابنتي وقال لشخص دخل عليه مرحبا وعليك السلام ثم قال
لهم غير خزايا ولا ندامى اي حالة كونهم سالمين من الخزي والندم وفي
لفظ مرحبا بالوفد الذين جاءوا غير خزايا ولا ندامى انا حجيج من ظلم عبد
القيس فقالوا يا رسول الله انا نأتيك من شقة بعيدة اي من سفر بعيد
لان مساكنهم بالبحرين وما والاها من اطراف العراق وانه يحول بيننا
وبينك هذا الحي من كفار مضر وانا لا نصل اليك الا في شهر حرام اي
وفي لفظ الا في هذا الشهر الحرام وهو كمسجد الجامع ونساء المؤمنات
وهو رجب للتصريح به في بعض الروايات وقال بعضهم وفي هذا دليل
على ان الاعمال الصالحة تدخل الجنة اذا قبلت وقبولها انما يقع برحمة الله
تعالى لان مضر كانت تبالغ في تعظيم شهر رجب زيادة على بقية الاشهر
الحرم ومن ثم قيل رجب مضر فمرنا بامر فصل اي فاصل بين الحق والباطل
فقال امركم باربع اي بخصال اربع او جمل اربع وفي بعض الروايات قالوا
حدثنا بجمل من الامر ونهاكم عن اربع امركم بالايمان بالله اتدرون ما الايمان

بالله شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله اي وفيه ان القوم كانوا
مؤمنين مقرين بكلمتي الشهادة ووقع في البخاري الزكاة زيادة واو قيل انها
وهي زيادة شاذة لم يتابع عليها راويها واقام الصلاة وايتاء الزكاة و
صوم رمضان وان تعطوا من المغنم الخمس اي لانهم كانوا بصدد محاربة
كفار مضر وهذا زائد على الاربع ومن ثم قال بعضهم هو معطوف على قوله باربع
اي امركم باربع وبان تعطوا ومن ثم غاير في الاسلوب وفي مسلم امركم باربع و
اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا واقيموا الصلاة واتوا الزكاة وصوموا
رمضان واعطوا الخمس من الغنائم ولم يذكر الحج لانه لم يكن فرض على الصحيح
كما قال الحافظ الدمياطي ومشينا على الاصح انه فرض سنة ست وقول
الواقدي ان قدوم عبد القيس كان في سنة ثمان ليس بصحيح لكن ذكر
بعضهم ان لعبد القيس وفدتين واحدة كانت قبل فرض الحج وواحدة
بعده ومن ثم جاء ذكر الحج في مسند الامام احمد وهي وان تحجوا البيت وانه
لم يفرض في هذه الرواية لعدد اي لقوله اربع ثم قال لهم وانهاكم عن اربع
عن الدباء اي القرع اي عما ينبذ فيها والحنتم وهو جرة مدهونة بدهان
اخضر اي عما ينبذ فيها اي وقيل الحنتم جرار كانت تعمل من طين وشعر
ودم والنقير اصل النخلة ينقر وينبذ فيه التمر اي ما ينبذ في ذلك
والمزفت ما طلي بالزفت اي عما ينبذ فيه وفي رواية زيادة على
ذلك والمقير ما طلي بالقار وهو نبت يحرق اذا يبس ويطلى به السفن
كما تطلى بالزفت زاد في رواية واخبروا بهن من وراءكم اي من جئتم من
عندهم ومن يحدث من الاولاد قالوا فيما نشرب يا رسول الله قال اشربوا
في اسقية الادم اي الجلود التي يلاث اي يربط على افواهها قالوا يا رسول
الله ان ارضنا كثيرة الجرذان اي الفيران اي لا تبقى بها اسقية
الادم قال وان اكلتها الجرذان قال ذلك مرتين او ثلاثا فقال له
الاشج يا رسول الله ان ارضنا ثقيلة وخمة وانا اذا لم نشرب هذه الاشربة
عظمت بطوننا فرخص لنا في مثل هذه واومأ رضي الله عنه بكفيه فقال
يا اشج اذا رخصت لك في مثل هذه شربته في مثل هذه وفرج بين يديه و
بسطهما يعني اعظم منها حتى اذا ثمل اي سكر احدكم من شرابه قام الى
ابن عمه فضرب ساقه بالسيف وكان في القوم رجل وقع له ذلك اي وهو
جهم بن قثم قال لما سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلت

اسدل

اسدل ثوبي لاغطي الضربة وقد ابداها الله لنبيه صلى الله عليه وسلم اي
وفي كلام السهيلي فعجبوا من علم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك واشار نزرا في
ذلك الرجل هذا كلامه وفي رواية انهم سألوه صلى الله عليه وسلم عن النبيذ
فقالوا يا رسول الله ان ارضنا ارض وخمة لا يصلحنا الا النبيذ قال فلا
تشربوا في النقير فكاني بكم اذا شربتم في النقير قام بعضكم الى بعض بالسيوف
فضرب رجلا منكم ضربة لا يزال يعرج منها الى يوم القيامة فضحكوا فقال لما
يضحككم فقالوا والله لقد شربنا في النقير فقام بعضنا الى بعض بالسيوف
فضرب هذا ضربة بالسيف فهو اعرج كما ترى ثم ذكر لهم انواع تمر بلدهم فقال
لكم تمرة تدعونها كذا وتمرة تدعونها كذا فقال له رجل من القوم بابي
انت وامي يا رسول الله لو كنت ولدت في جوف هجر ما كنت باعلم منك الساعة
اشهد انك رسول الله فقال لهم ان ارضكم رفعت لي منذ قعدتم اي فنظرت
من ادناها الى اقصاها فقال لهم خير تمركم البرني يذهب بالداء ولا داء معه
وانما اقتصر في المناهي على شرب الانبذة في الاوعية المذكورة مع ان في المناهي
ما هو اشد في التحريم لكثرة تعاطيهم لها قال الحافظ ابن حجر ومعنى
النهي عن الانتباذ في هذه الاوعية بخصوصها لانه يسرع فيها الاسكار
فربما يشرب منها من لا يشعر بذلك وكان العبسي ابو الوازع بن عامر وابن
اخته مطر بن هلال ولما ذكروا للنبي صلى الله عليه وسلم انه ابن اختهم قال
ابن اخت القوم منهم وكان فيهم ابن لابي الوازع وكان شيخا كبيرا مجنونا
جاء به الوازع معه ليدعو له صلى الله عليه وسلم فمسح ظهره ودعا له فبرأ
لحيته وكسي شبابا وجها لا حتى كان وجهه العذرا وجا انه رود منهم الا انك
يتبشا كول به وذكر انه كان فيهم غلاما ظاهر الوضاءة امرد فاجلسه
النبي صلى الله عليه وسلم خلف ظهره وقال انما كانت خطيئة داود عليه السلام
النظر ومنها وفد بني حنيفة ومعهم مسيلمة الكذاب قيل جاءت بنو حنيفة
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم مسيلمة الكذاب يسترونه بالثياب
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في اصحابه معه عسيب من
عسب النخل في راسه خويصات فلما انتهى مسيلمة الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهم يسترونه بالثياب كلمه وسأله ان يشركه معه في النبوة
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لو سألتني هذا العسيب ما اعطيتك
وقيل بني حنيفة خلفوه في رحالهم فلما اسلموا ذكروا مكانه فقالوا يا رسول

يا رسول الله انا قد خلفنا صاحبنا في رحالنا يحفظها لنا فامر له صلى الله
عليه وسلم بمثل ما امر به لواحد من القوم وهو خمس من اواق من فضة وقال اما انه
ليس بشركم مكانا فلما رجعوا اليه اخبروه بما قال عنه فقال انما قال ذلك
لانه عرف ان لي الامر من بعده فلما رجعوا ارتد عدو الله وتنبا وتكذب
وادعى انه اشرك معه صلى الله عليه وسلم في النبوة وقال لمن وفد معه الم
يقل لكم حين ذكرتموني اما انه ليس بشركم مكانا ذاك الا لما كان يعلم اني
اشركت معه في الامر اي وهو صلى الله عليه وسلم انما اراد بذلك انه حفظ
ضيعة اصحابه وهذا وفي الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم اقبل
ومعه ثابت بن قيس بن شماس وفي يد النبي صلى الله عليه وسلم قطعة من جريد
حتى وقف على مسيلمة في اصحابه فقال ان سالتني هذه القطعة ما اعطيتكها
اي فانه بلغه عنه انه قال ان جعل لي محمد الامر من بعده اتبعته واني لاراك
الذي منه ما رايت وهذا قيس يجيبك عني ثم انصرف والذي راه منه
صلى الله عليه وسلم انه راى في المنام انه في يده سوارين من ذهب قال
فاهمني شانهما فاوحى الله الي في المنام ان انفخهما فنفختهما فطارا فاولتهما
كذابين يخرجان من بعدي اي وهما طليحة العبسي صاحب صنعا
ومسيلمة صاحب اليمامة فان كلا منهما ادعى النبوة في حياته صلى
الله عليه وسلم وكان طليحة العبسي يقول ان ملكا يقال له ذو النون
ياتيني كما ياتي جبريل محمدا فلما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك قال
لقد ذكر ملكا في السماء يقال له ذو النون وجمع بعضهم بين هذا الذي
في الصحيحين وما هنا بانه يجوز ان يكون مسيلمة قدم مرتين الاولى
كان تابعا ومن ثم قام في حفظ الرحال والثانية كان متبوعا ولم
يحضر انفة منه واستكبارا وعامله صلى الله عليه وسلم معاملة الاكرام
على عادته صلى الله عليه وسلم في الاستيلاف فاتى اليه قومه وهو فيهم
كذا قيل ولا يخفى ان قوله ولم يحضر يقتضي انه لم يجي الى النبي صلى الله
عليه وسلم في المرتين وتقدم انه جاء اليه وهم يسترونه بالثياب
وهذا الى ستره بالثياب وهذا الى ستره بالثياب هو المناسب لكونه
متبوعا ثم صار يتكلم مسيلمة بالهذيانات ليباهي بها القران فمن ذلك
قوله فبحه الله لقد انعم الله على الحبلى اخرج منها نسمة تسعى من بين شغاف
وحشا وقال والطاحنات طحنا والعاجنات عجنا والخابزات خبزا والثاردات

ثردا واللاقمات لقما ومع ذلك منعهم الصلاة واحل لهم الخمر والزنا وقيل انه طلب
منه ان يتفل في بير كما فعل صلى الله عليه وسلم فغار ماؤها ومسح راس صبي فصار اقرع قرعا
فاحشا ودعا لرجل في ابنين له بالبركة فبينما رجع الرجل الى منزله فوجد
احدهما قد سقط في بير والاخر اكله الذيب ومسح على عيني رجل للاستشفا
بمسحه فابيضت عيناه فعل ذلك مضاهاة للنبي صلى الله عليه وسلم اي
وهذا السياق يرشد الى انه كان براس ذلك الصبي قرع فبسبب مسحه عليه
للاستشفا ثم اظهر معجزة بزعمه وهو انه ادخل بيضة في قارورة وافتضح
بان البيضة تنقع يوما اذا القيت في الخل والنوشادر يوما وليلة فانها
تمتد كالخيط فتجعل في القارورة ويصب عليها فتجمد وبهذا يرد على من
رثا من بني حنيفة بقوله لهفي عليك ابا ثمامة لهفي على ركني شمامة كم اية لك
فيهم كالشمس تطلع من غمامة فيقال له كذبت بل كانت اياته معكوسة
قال وكتب مسيلمة الى النبي صلى الله عليه وسلم كتابا فقال من مسيلمة
رسول الله الى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم اما بعد فاني قد اشركت
في الامر معك وان لنا نصف الامر وليس قريش قوما يعدلون وبعث رجلين
فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول
الله الى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى اما بعد فان الارض لله
يورثها من يشا من عباده والعاقبة للمتقين ثم قال للرجلين انتما
تقولان مثل ما يقول قالا نعم قال اما والله لولا ان الرسل لا تقتل لضربت
اعناقكما فلما انتهى **ومنها وفد طي** فيهم زيد الخيل رضي الله عنه وفد عليه
صلى الله عليه وسلم وفيهم قبيصة بن الاسود وسيدهم زيد الخيل قيل
له ذلك لخمسة افراس كانت له اي ولو كان وجه التسمية يلزم المراد
لقيل للزبرقان بن بدر زبرقان الخيل فقد قيل انه وفد على عبد الملك
ابن مروان وقاد اليه خمسة وعشرين فرسا ونسب كل واحدة من الافراس
الى ابائها وامهاتها وحلف على كل فرس يمينا غير اليمين التي حلف بها على
غيرها فقال ـــــــــــ عبد الملك عجبي من اختلاف ايمانه اشد
من عجبي من معرفته بانساب الخيل وكان زيد الخيل شاعرا خطيبا
بليغا جوادا فعرض عليهم صلى الله عليه وسلم الاسلام فاسلموا وحسن
اسلامهم وقال صلى الله عليه وسلم في حق زيد الخيل ما ذكر لي رجل من العرب
بفضل ثم جاءني الا رايته دون ما قيل فيه الا زيد الخيل فانه لم يبلغ اي

ما قيل فيه كل ما فيه وسماه صلى الله عليه وسلم زيد الخير اي فانه صلى الله
عليه وسلم قال له وهو لا يعرفه الحمد لله الذي اتى بك من سهلك وحزنك د
وسهل قلبك للايمان ثم قبض على يده فقال من انت فقال انا زيد الخيل بن د
مهلهل انا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وانك عبد الله ورسوله
فقال له بل انت زيد الخير ثم قال يا زيد ما اخبرت عن رجل قط شيئا الا
رايته دون ما اخبرت عنه غيرك اي واجاز صلى الله عليه وسلم كل واحد منهم
خمس اواق واعطى زيد الخيل اثني عشر اوقية ونشا اي واقطعه محلين من
ارضه وكتب له بذلك كتابا ولما خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
متوجها الى قومه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينجو زيد من حمى د
المدينة اي من ينجو منها معي اثنا الطريق اصابته الحمى اي وفي لفظ انه
قال له يا زيد تقتلك ام ملدم يعني الحمى وفي رواية ان زيد الخيل لما قام
من عنده متوجها الى بلاده قال صلى الله عليه وسلم اي فتى ان لم تدركه
ام كلبة يعني الحمى والكلبة الرعدة وفي رواية ما قدم علي رجل من العرب
بفضيلة قومه الا رايته دون ما يقال فيه الا ما كان من زيد الخيل
فان ينج زيد من حمى المدينة فلا امر ما هو قال ولما مات اقام قبيصة
ابن الاسود المناحة عليه سنة ثم وجه براحلته ورحله وفيه كتاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي اقطعه فيه محلين بارضه فلما
رات امراته الراحلة ضربتها بالنار فاحترقت واحترق الكتاب
انتهى وفي كلام السهيلي وكتب له كتابا على ما اراد واقطعه قرى كثيرة
منها فدك وكتب له كتابا على ما اراد واقطعه قرى كثيرة منها فدك هذا
كلامه انتهى وقيل بقي الى اخر خلافة عمر رضي الله عنه ومنه وفد عدي
بن حاتم الطائي حدث عدي قال كنت اميرا شريفا في قومي اخذ الربع من
الغنائم كما هو عادة سادات العرب في الجاهلية اي وهو ربع الغنيمة كما د
تقدم فلما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم كرهته ما من رجل من
العرب كان اشد كراهية لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به مني
فقلت لغلام كان راعيا لابلي لا ابا لك اعزل لي من ابلي اجمالا ذللا سمانا
فاحبسها قريبا مني فاذا سمعت بجيش لمحمد قد وطئ هذه البلاد فاذني
ففعل ثم انه اتاني ذات يوم فقال يا عدي ما كنت صانعا اذا غشيتك
خيل محمد فاصنعه الان فاني قد رايت رايات فسالت عنها فقالوا هذه جيوش

محمد

محمد فقلت له قرب لي اجمالي فقربها فاحتملت اهلي وولدي ثم الحقت باهل ديني
من النصارى بالشام وخلفت بنتا لحاتم في الحاضر فاصيبت اي سبيت
فيمن اصيب من الحاضر فلما قدمت في السبايا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم هربي الى الشام من عليها رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكساها وحملها واعطاها نفقة وخرجت الى ان قدمت
على الشام فوالله اني لقاعد في اهلي اذ نظرت الى ظعينة تؤمنا فقلت
ابنة حاتم فاذا هي فلما وقفت علي قالت القاطع الظالم احتملت باهلك
وولدك وقطعت بقية والدك وعورتك فقلت اي اخية لا تقولي الا
خيرا فوالله ما لي من عذر ولقد صنعت ما ذكرت ثم نزلت واقامت عندي
فقلت لها وكانت امراة حازمة ماذا ترين في امر هذا الرجل قالت ارى والله
ان تلحق به سريعا فان يكن نبيا فللسابق اليه فضله وان يكن ملكا د
فانت انت فقلت والله هذا الراي اي ولعلها لم تظهر له اسلامها لئلا
ينفر طبعه من قولها ان لم يكن نبيا اي في الغرض والمنزل تحريضا على
اللحوق به صلى الله عليه وسلم فخرجت حتى اذا جئته بالمدينة فدخلت
عليه صلى الله عليه وسلم فقال من الرجل فقلت عدي بن حاتم الطائي فقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانطلق بي الى بيته فوالله انه لعامد بي
اليه اذ لقيته امراة كبيرة ضعيفة فاستوقفته فوقف لها صلى الله
عليه وسلم طويلا تكلمه في حاجتها فقلت ما هو بملك ثم مضى رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى اذا دخل بيته تناول وسادة من ادم محشوة
ليفا فقذفها الي وقال اجلس على هذه فقلت بل انت فاجلس عليها قال
بل انت فجلست عليها وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالارض فقلت
والله ما هذا بامر ملك ثم قال له ما معناه يا عدي بن حاتم اسلم تسلم
قالها ثلاثا فقلت اني على دين قال انا اعلم بدينك منك فقلت انت اعلم بديني
قال نعم الست من الركوسية الست من القوم الذين لهم دين لانه كما تقدم كان
نصرانيا فقلت بلى فقال الم تكن تسير في قومك بالمرباع اي تاخذ ربع د
الغنيمة كما هو شان الاشراف من اخذهم في الجاهلية ربع الغنيمة قال
بلى قال فان ذلك لم يحل لك في دينك قلت اجل والله وعرفت انه نبي
مرسل يعلم ما يجهل ثم قال لعلك يا عدي انما يمنعك من الدخول في هذا د
الدين ما ترى فقول انما اتبعه ضعفة الناس ومن لا قوة له وقد رمتهم د

العرب مع حاجتهم ثم والله ليوشكن المال ان يفيض فيهم حتى لا يوجد من
ياخذه ولعلك انما يمنعك من الدخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة
عددهم اتعرف الحيرة قلت لم ارها وقد سمعت بها قال فوالله وفي لفظ
والذي نفسي بيده ليتمن الله هذا الامر حتى تخرج الظعينة من الحيرة
حتى تطوف بالبيت من غير جوار احد وفي رواية ليوشكن ان تسمع بالمرأة
تخرج من القادسية اي وهي قرية بينها وبين الكوفة نحو مرحلتين على
بعيرها حتى تزور البيت اي الكعبة لا تخاف ولعلك انما يمنعك من الدخول
فيه انك ترى ان الملك والسلطان في غيرهم وايم والله ليوشكن ان
تسمع بالقصور البيض من ارض بابل قد فتحت عليهم قال عدي ولقد رأيت
المرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تحج البيت وايم الله لتكونن الثالثة
ليفيض المال حتى لا يوجد من ياخذه ومنها وفود فروة بن مسيك المرادي
وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فروة مفارقا لملوك كندة وكان
بين قومه مراد وبين همدان قبيل الاسلام وقعة اصاب فيها همدان
من مراد ما ارادوا في يوم يقال له الردم فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم هل ساءك ما اصاب قومك يوم الردم قال يا رسول الله من ذا
يصيب قومه مثل ما اصاب قومي يوم الردم ولا يسوءه فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم اما ان ذلك لم يزد قومك في الاسلام الا خيرا
واستعمله على مراد وزبيد وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة
فكان معه في بلاده الى ان توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
فروة عند توجهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

لما رأيت ملوك كندة اعرضت
كالرجل خان الرجل عرق نسائها
قربت راحلتي اؤم محمدا
ارجو فواضلها وحسن ثرائها

ومنها وفد بني زبيد بضم الزاي وفتح الموحدة وفد بني زبيد على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفيهم عمرو بن معدي كرب الزبيدي وكان فارس العرب
مشهورا بالشجاعة شاعرا مجيدا قال لابن اخيه قيس المرادي انك سيد
قومك وقد ذكر لنا ان رجلا من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز يقول
انه نبي فانطلق بنا اليه حتى نعلم علمه فان كان نبيا كما يقول فانه لن

يخفى عليك اذا لقيناه اتبعناه وان كان غير ذلك علمنا علمه فابى عليه
قيس ذلك وسفه رأيه فركب عمرو حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
مع قومه فاسلم فلما بلغ ذلك قيسا قال لخالفني وترك امري ورأيي وتوعد
عمرا فقال عمرو في قيس ابياتا منها من البيتين

من ذا عاذري من ذي سفاه
يرد بنفسه شر المرادي
اريد حباءه ويريد قتلي
عذيرك من خليلك من مرادي

اي وبعد موته صلى الله عليه وسلم ارتد عمرو فيمن ارتد مع الاسود العنسي ثم اسلم
وحسن اسلامه وشهد فتوحات كثيرة في ايام الصديق وايام عمر رضي الله
تعالى عنهما وعن ابن اسحاق قيل ان عمرو بن معدي كرب لم يأت النبي صلى الله
عليه وسلم واسلم قبل بعد ذلك قيل له صحبة وقيل لا ومنها وفد كندة
اي وله صلى الله عليه وسلم جدة منهم وهي ام جده كلاب وفد عليه صلى
الله عليه وسلم ثمانون اي وقيل ستون من كندة فيهم الاشعث بن قيس وكان
وجيها مطاعا في قومه وفي الامتناع ومنهم صغيرهم فلما ارادوا الدخول عليه
صلى الله عليه وسلم رجلوا اي سرحوا جممهم اي شعور الجبهة اي بولك جبته
برود اليمن المخططة قد كففوها اي سجفوها بالحرير فلما دخلوا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم اي وعند ذلك قالوا ابيت اللعن فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لست ملكا انا محمد بن عبد الله قالوا لا
نسميك باسمك قال انا ابو القاسم فقالوا يا ابا القاسم انا اخبأنا لك
خبأ فما هو وكانوا خبأوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عين جرادة
في ظرف سمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله انما
يفعل ذلك بالكاهن وان الكاهن والكهانة والمتكهن في النار فقالوا كيف
نعلم انك رسول الله فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من حصباء
فقال هذا يشهد اني رسول الله فسبح الحصا في يده فقالوا نشهد انك
رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بعثني
بالحق وانزل علي كتابا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقالوا
اسمعنا منه فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم والصافات صفا حتى
بلغ ورب المشارق ثم سكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسكن بحيث

لا يتحرك منه شي ودموعه تجري على لحيته فقالوا له ما الذي يبكيك فمن مخافة
من ارسلك تبكي قال ان خشيتي منه ابكتني بعثني على صراط مستقيم
في مثل حد السيف ان زغت عنه هلكت ثم تلا ولئن شئنا لنذهبن
بالذي اوحينا اليك الاية ثم قال لهم ان تسلموا قالوا بلى قال فما بال
هذا الحرير في اعناقكم فعند ذلك شقوه منها والقوه وفيه ان هذا
يخالف قول فقهائنا معاشر الشافعية من جواز التسجيف بالحرير الا
ان يقال الجواز مخصوص بان لا يجاوز الحد اللائق بالشخص ونقل سجفهم
جاوزت الحد اللائق بهم ووفد وقال الاشعث له صلى الله عليه وسلم نحن
بنوا اكل المرار وانت ابن اكلة المرار يعني جدته ام كلاب منهم فقد تقدم
انها من كندة وقيل انما قال ذلك الاشعث لان عمه العباس بن عبد
المطلب كان اذا دخل حيا من احيا العرب لانه كما تقدم كان تاجرا سئل
من انت قال انا ابن اكل المرار ليعظم يعني انتسب الى كندة لان كندة كانوا
ملوكا فاعتقدت كندة ان قريشا منهم لقول العباس المذكور فقال
له صلى الله عليه وسلم لا نحن بنو النضر بن كنانة لا ننتفوا امنا ولا
ننتفي من ابينا اي لا ننتسب الى الامهات ونترك النسب الى الابا
والاشعث هذا ممن ارتد بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ثم عاد الى
الاسلام في خلافة ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه اي فانه حوصر
وجي به اسيرا فقال للصديق حين اراد قتله استبقني لحربك
وزوجني اختك فزوجه اخته ام فروة فدخل سوق الابل بالمدينة واخترط
سيفه فجعل لا يرى جملا الا عرقبه فصاح الناس كفر الاشعث فلما فرغ
طرح سيفه وقال والله ما كفرت الا ان الرجل يعني ابا بكر زوجني اخته
ولو كنا ببلادنا كانت لي وليمة غير هذه وقال يا اهل المدينة انحروا
وكلوا واعطي اصحاب الابل اثمانها قال وقال صلى الله عليه وسلم
للاشعث هل لك من ولد فقال له غلام ولد عند مخرجي اليك لوددت
اني لي به سبعة فقال انهم لمجبنة مبخلة محزنة وانهم لقرة العين
وثمرة الحيز ومثرة الفواد انتهى ومنها وفد ازد شنوءة ووفد الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع من الازد وفيهم صرد بن عبد
الله الازدي اي وكان افضلهم فامره على من اسلم من قومه وامره
ان يجاهد بمن اسلم من كان يليه من اهل الشرك من قبائل اليمن فخرج

حتى نزل بجرش بضم الجيم وفتح الراء وبالشين المعجمة وهي مدينة بها قبائل
اليمن وحاصرها المسلمون قريبا من شهر ثم رجعوا عنها حتى اذا كانوا بجبل يقال
له شكر بالشين المعجمة والكاف المفتوحتين وقيل باسكان الكاف فلما ولوا
ذلك الجبل ظن اهل جرش ان المسلمين رضي الله عنهم انما رجعوا عنهم منهزمين
فخرجوا في طلبهم حتى اذا ادركوهم عطفوا عليهم فقتلوهم قتلا شديدا وقد
كان اهل جرش بعثوا رجلين منهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة
يرتادان اي ينظران الاخبار فبينما هما عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم باي بلاد الله شكر فقام
الرجلان فقالا يا رسول الله ببلادنا جبل يقال له كشر فقال انه ليس
بكشر ولكنه شكر فقالا فما شانه يا رسول الله قال ان بدن الله لتنحر عنده
الان واخبرهما الخبر فخرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين
الى قومهما فوجدا قومهما قد اصيبوا في اليوم وفي الساعة التي قال فيها رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما قال وعند اخبارهما لقومهما بذلك وفد
وفد جرش على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلموا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم مرحبا بكم احسن الناس وجوها واصدقهم لقا واطيبهم
كلاما واعظمهم امانة انتم مني وانا منكم وحمى لهم حمى حول بلدهم ومنها
وفود رسول ملوك حمير وحاملا كتابهم وقدم على رسول الله صلى الله عليه
وسلم رسول ملوك حمير وحاملا كتابهم الى النبي صلى الله عليه وسلم باسلام
الحارث بن كلال بضم الكاف وقد اختلف في كون الحارث له وفادة فهو
صحابي او لا والنعمان ومعافر بالفاء مكسورة وهمدان اي باسكان الميم
وفتح الدال المهملة وهي قبيلة واما همذان بفتح الميم والذال المعجمة
فبلد بالعجم فكتب اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن
الرحيم من محمد رسول الله الى الحارث بن كلال والى النعمان ومعافر وهمدان
اما بعد فاني احمد الله اليكم الذي لا اله الا هو اما بعد فانه قد وقع بنا
رسولكم مقفلنا من ارض الروم اي رجوعنا من غزوة تبوك فلقينا بالمدينة
فبلغ ما ارسلتم به وخبر ما قبلكم وانبانا باسلامكم وقتلكم المشركين
وان الله قد هداكم بهداه وان اعطيتم من الغنايم خمس الله وسهم النبي
وصفيه وما كتب على المومنين من الصدقة اما بعد فان محمدا النبي ارسل
الى زرعة ذي يزن وفي الاستيعاب زرعة بن ذي يزن وفي كلام الذهبي

[illegible]
اذا اصلحتم واطعتم الله ورسوله واتيتم

زرعة بن سيف بن ذي يزن ان اذا اتاكم رسلي فاوصيكم بهم خيرا معاذ بن جبل
وعبد الله بن زيد ومالك بن عبادة وعقبة بن نمر ومالك بن مرارة واصحابهم
وان اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخاليفكم بالخاء المعجمة جمع
مخلاف وابلغوها رسلي وان اميرهم معاذ بن جبل فلا ينقلبن الا راضيا اما
بعد فان محمدا يشهد ان لا اله الا الله وانه عبده ورسوله ثم ان مالك بن
كعب بن مرارة حدثني انك قد اسلمت من اول حمير وقتلت المشركين د
فابشر بخير وامرك بحمير خيرا ولا تخونوا ولا تخاذلوا بضم التاء المثناة فوق
وكسر الذال ويجوز ان يكون بفتح المثناة وفتح الذال محذوف احدى
التائين فان رسول الله هو مولى غنيكم وفقيركم وان الصدقة لا تحل لمحمد
ولا لاهل بيته انما هي زكاة يزكى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل وان
مالكا قد بلغ الخبر وحفظ الغيب وامركم به خيرا وان السلام عليكم ورحمة الله
ومنها وفد رسول فروة بن عمرو الجذامي وفد فروة الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بخبره باسلامه واهدى له بغلة بيضاء اي يقال لها فضة د
وحمارا يقال له يعفور وفرسا يقال له الظرب وثيابا وقباء مرصع د
بالذهب وكان فروة عاملا للروم على ما يليهم من العرب فلما بلغ الروم
اسلامه اخذوه وحبسوه ثم ضربوا عنقه وصلبوه اي بعد ان قال
له الملك ارجع عن دين محمد ونحن نعيدك الى الملك قال لا افارق دين محمد
فانك تعلم ان عيسى بشر به ولكنك تضن بملكك ومنها وفد بني الحارث
بن كعب بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد الى بني الحارث
بن كعب بنجران وامره ان يدعوهم الى الاسلام قبل ان يقاتلوهم وقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استجابوا فاقبل منهم وان لم يفعلوا
فقاتلهم فخرج خالد رضي الله عنه الى ان قدم عليهم فبعث الركبان
يضربون في كل وجه ويدعون الى الاسلام ويقولون ايها الناس اسلموا د
تسلموا فاسلموا فاقام فيهم خالد بن الوليد يعلمهم الاسلام اي شرائعه
وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فكتب له رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان يقبل ويقبل معه وفدهم فاقبل واقبل معه وفدهم فيهم
قيس بن الحصين ذو الغصة بالغين المعجمة اي لانه كان في حلقه غصة
لا يكاد يبين الكلام منها وهي صفة لابيه الحصين وربما وصف بها
قيس فان في النور ويحتمل ان يقال له ذو الغصة وابن ذي الغصة لانه ربما

كانت بهما الغصة وفيه بعد وحين اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم قال لهم بم كنتم
تغلبون من قاتلكم في الجاهلية قالوا كنا نجتمع ولا نتفرق ولا نبدا احدا
بظلم قال صدقتم وامر عليهم قيس بن حصين ولم يمكثوا بعد رجوعهم الى قومهم
الا اربعة اشهر حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها انه وفد عليه
رفاعة بن زيد الخزاعي وفد رفاعة بن زيد الخزاعي بالخاء المعجمة والزاي د
على رسول الله صلى الله عليه وسلم واهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما
فاسلم وحسن اسلامه وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا الى قومه
بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله صلى الله لرفاعة بن زيد اني بعثته
الى قومه عامة ومن دخل فيهم يدعوهم الى الله والى رسوله فمن اقبل منهم ففي
حزب الله وحزب رسوله ومن ادبر فله امان شهرين فلما قدم رفاعة على
قومه اجابوا واسلموا ومنها وفد همدان وفد على رسول الله صلى الله عليه
وسلم جمع من همدان فيهم مالك بن نمط وكان شاعرا مجيدا فلقوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم مرجعه من تبوك عليهم مقطعات الحبرات بكسر الحاء المهملة
ثياب قصار وقيل مخططة من برود اليمن والعمائم العدنية نسبة الى
عدن مدينة باليمن سميت بذلك لان تبعا كان يحبس فيها ارباب الجرائم
فوفدوا اليه صلى الله عليه وسلم على الرواحل المهرية والارحبية والمهرية
نسبة الى قبيلة يقال لها مهرة باليمن والارحبية نسبة الى ارحب
وصار مالك بن نمط يرتجز اي يقول الرجز بين يدي رسول الله صلى الله
عليه وسلم

اليك جاوزنا سواد الريف
في هبوات الصيف والخريف
مخطمات بحبال الليف

ومن شعره

حلفت برب الراقصات الى منى
صوادر بالركبان من هضب قردد
بان رسول الله فينا مصدق
رسول اتى من عند ذي العرش مهتد
فما حملت من ناقة فوق رحلها
اشد على اعدائه من محمد   وقد امره صلى الله عليه وسلم على من اسلم من قومه وامره

بقتال ثقيف فكان لا يخرج لهم سرح الا اغار عليه كذا في الاصل وفي الهدي
روى البيهقي باسناد صحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن
الوليد الى من ذكر يدعوهم الى الاسلام فاقام ستة اشهر يدعوهم الى الاسلام فلم
يجيبوه ثم انه صلى الله عليه وسلم بعث عليا كرم الله وجهه وامر خالد بن الوليد
بالرجوع اليه وان من كان مع خالد ان شاء بقي مع علي وان شاء رجع مع خالد فلما
دنى علي من القوم خرجوا اليه فصف علي اصحابه صفا واحدا ثم تقدم بين
ايديهم وقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلموا جميعا وكتب
بذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم
الكتاب خر ساجدا لله تعالى ثم رفع راسه ثم قال السلام على همدان السلام
على همدان وهذا اصح لان همدان لم تكن تقاتل ثقيفا فان همدان
باليمن وثقيفا بالطايف اي وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال نعم الحي همدان
ما اسرعها الى النصر واصبرها على الجهد وفيهم ابدال وفيهم اوتاد الاسلام
ومنها وفد تجيب اي بضم المثناة فوق وتحت ويجوز الفتح وهي قبيلة
من كندة وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد تجيب وكانوا ثلاثة
عشر رجلا وقد ساقوا معهم صدقات اموالهم التي فرض الله عليهم فسر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم واكرم مثواهم وقالوا يا رسول الله انا
سقنا اليك حق الله في اموالنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ردوها
فاقسموها على فقرائكم قالوا يا رسول الله ما قدمنا عليك الا بما فضل عن
فقرائنا اي وفضل بفتح الضاد المعجمة وكسرها فقال ابو بكر رضي الله
عنه يا رسول الله ما قدم علينا وفد من العرب بمثل هذا الوفد فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الهدى بيد الله عز وجل فمن اراد به
خيرا شرح صدره للاسلام وجعلوا يسالونه عن القرآن والسنن فازداد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم رغبة وارادوا الرجوع الى اهليهم فقيل لهم
ما يعجلكم قالوا نرجع الى من وراءنا فنخبرهم برؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم
وملاقاتنا اياه وما رد علينا ثم جاؤوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فودعوه
فارسل اليهم بلالا فاجازهم بارفع ما كان يجيز به الوفود ثم قال لهم صلى الله
عليه وسلم هل بقي منكم احد قالوا غلام خلفناه على رحالنا وهو احدثنا سنا
قال فارسلوه الينا فارسلوه فاقبل الغلام حتى اتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال يا رسول الله انا من الرهط الذين اتوك انفا فقضيت حوائجهم

فاقض

فاقض حاجتي قال وما حاجتك قال تسال الله ان يغفر لي ويرحمني وان يجعل غناي
في قلبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر له وارحمه واجعل غناه
في قلبه ثم امر له بمثل ما امر به لرجل من اصحابه ثم انهم بعد ذلك وافوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بمنى في الموسم لا ذلك الغلام فقال لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما فعل الغلام الذي اتاني معكم قالوا يا رسول الله ما راينا
مثله قط ولا حدثنا باقنع منه بما رزقه الله لو ان الناس اقتسموا الدنيا ما
نظر نحوها ولا التفت اليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله
اني لارجو ان يموت جميعا فقال رجل منهم اوليس يموت الرجل جميعا يا رسول الله
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تتشعب اهواؤه وهمومه في اودية
الدنيا فلعل اجله يدركه في بعض تلك الاودية فلا يبالي الله عز وجل
في ايها هلك ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجع من رجع من اهل اليمن
عن الايمان قام ذلك الغلام في قومه فذكرهم الله والاسلام فلم يرجع منهم
احد وجعل ابو بكر رضي الله عنه يذكر ذلك الغلام ويسال عنه ولما بلغه
ما قام به كتب الى زياد بن لبيد اي وكان واليا على حضرموت يوصيه به
خيرا ومنها وفد بني ثعلبة وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من
الجعرانة اربعة نفر من بني ثعلبة اي مقرين بالاسلام قالوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد خرج من بيته وراسه يقطر ما قال بعضهم فرمى ببصره
الينا فاسرعنا اليه وبلال يقيم الصلاة فسلمنا عليه وقلنا يا رسول الله
انا رسل من خلفنا من قومنا ونحن مقرون بالاسلام وقد قيل لنا ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول لا اسلام لمن لا هجرة له فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم حيثما كنتم واتقيتم الله فلا يضركم اي ثم صلى بنا الظهر ثم
انصرف الى بيته فلم يلبث ان خرج الينا فدعا بنا فقال كيف بلادكم فقلنا
مخصبون فقال الحمد لله فاقمنا اياما وضيافته صلى الله عليه وسلم بلادكم
فقلنا مخصبون فقال الحمد لله فاقمنا اياما وضيافته تجري علينا ه
ثم لما جاؤوا يودعونه صلى الله عليه وسلم قال لبلال اجزهم فاعط كل واحد
منهم خمس اواق فضة اي والاوقية اربعون درهما ه ومنها وفد بني سعد
هذيم من قضاعة عن النعمان قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وافدا
في نفر من قومي وقد اوطا رسول الله صلى الله عليه وسلم البلاد اي جعلها
موطاة قهرا وغلبة ه واداخ العرب اي استولى عليها ه والناس صنفان

اما داخل في الاسلام راغب فيه واما خائف السيف فنزلنا ناحية من المدينة
ثم خرجنا نؤم المسجد حتى انتهينا الى بابه فنجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصلي على جنازة في المسجد اي وهو سهيل بن البيضا لانه صلى الله عليه وسلم
لم يصل في مسجده على جنازة الا عليه رضي الله عنه وما وقع في مسلم صلى
على سهيل واخيه نظر فيه مع ان فيهما ذكروه وافروه فقمنا خلف ناحية ولم
ندخل مع الناس في صلاتهم وقلنا حتى يصلي رسول الله صلى الله عليه
ونبايعه ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الينا فدعا بنا فقال
من انتم فقلنا من بني سعد بن بكر فقال امسلمون انتم فقلنا نعم فقال
هلا صليتم على اخيكم قلنا يا رسول الله ظننا ان ذلك لا يجوز لنا حتى نبايعك
فقال رسول الله اينما اسلمتم فانتم مسلمون قال فاسلمنا وبايعنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام ثم انصرفنا الى رحالنا وقد كنا خلفنا
عليها اصغرنا فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبنا فاتينا اليه
فتقدم صاحبنا فبايعه على الاسلام فقلنا يا رسول الله انه اصغرنا وانه خادمنا
فقال اصغر القوم خادمهم بارك الله عليه قال النعمان فكان والله خيرنا
واقرانا للقران بدعائه صلى الله عليه وسلم ثم امره رسول الله صلى الله عليه
وسلم علينا فكان يؤمنا فلما اردنا الانصراف امر بلالا فاجازنا باواقي من
فضة لكل رجل منا فرجعنا الى قومنا ومنها وفد بني فزارة وفد عليه صلى الله
عليه وسلم بضعة عشر رجلا من بني فزارة فيهم خارجة بن حصن اخو عيينة
ابن حصن وابن اخيه الحر بن قيس بن حصن وهو اصغرهم مقرين بالاسلام
وهم مسنتون اي توالى عليهم الجدب ه على ركاب عجاف اي مهزال فسالهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بلادهم فقال رجل منهم اي وهو خارجة ه
يا رسول الله اسنتت بلادنا وهلكت مواشينا واجدب جنابنا اي ما حولنا
وغرثت عيالنا اي جاعت عيالنا فادع لنا ربك يغيثنا واشفع لنا الى
ربك وليشفع لنا ربك اليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان
الله ويلك هذا انا اشفع الى ربي عز وجل فمن ذا الذي يشفع ربنا اليه لا
اله الا هو العلي العظيم وسع كرسيه اي علمه كذا قيل وقيل موضع قدميه د
السموات والارض اي احاط بالسموات والارض وهو دون العرش لاجاته
به الاثار في نيط اي تصوت من عظمته وجلاله كما يئط الرحل بالحاء المهملة
الجديد اي من ثقل الحمل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل

ليضحك

ليضحك من شفعكم اي شدة ضيقكم وجدبكم وقرب غياثكم فقال الاعرابي لن نعدم
من رب يضحك خيرا فضحك النبي صلى الله عليه وسلم من قوله وصعد المنبر فتكلم د
بكلمات وكان لا يرفع يديه اي الرفع البالغ ه في شيء من الدعاء الا في الاستسقا
فرفع يديه صلى الله عليه وسلم حتى رؤي بياض ابطيه اي وفي النور قد جوزت
وجه ما رواه عليه الصلاة والسلام كان يرفع يديه في الاستسقا يقتضي د
ظهور كفيه الى السماء كما في مسلم اي فيكون التقدير لا يرفع ظهور كفيه الى
السماء الا في الاستسقا واقول ــــــ فيه ان هذا يقتضي انه يفعل
ذلك وان كان استسقاؤه لطلب حصول شيء كما في دعائه صلى الله عليه وسلم
في هذا الاستسقا فانه متضمن للحصول وقد ذكر في النور انه كان
الدعا فيه لطلب شيء كان بطون الكفين الى السماء والظاهر ان مستند
ذلك استقرار حالته صلى الله عليه وسلم في الدعاء في الاستسقا وغيره
فليتامل والله اعلم ومما حفظ من دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم اسق
بقطع الهمزة ووصلها بلادك وبهائمك وانشر رحمتك واحيي بلادك
الميت اللهم اسقنا غيثا اي مطرا مغيثا مريعا بضم الميم واسكان
الرا وبالموحدة مكسورة وبالعين المهملة مريعا لاخراج الربيع مرتقا بالتا
المثناة فوق من رتقت الدابة اذا اكلت ما شاءت طبقا اي مستوعبا د
للارض منطبقا عليها واسعا عاجلا غير اجل نافعا غير ضار اللهم اسقنا
رحمة ولا تسقنا عذابا ولا هدما ولا غرقا ولا محقا اللهم اسقنا الغيث
وانصرنا على الاعداء فقام ابو لبابة فقال ــــــ يا رسول الله التمر
في المرابد اي وتكرر ذلك منه صلى الله عليه وسلم ومن ابي لبابة ثلاث مرات
ه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اسقنا حتى يقوم ابو لبابة د
عريانا يسد ثعلب مربده اي المحل الذي يخرج منه ما المطر ه بازاره
فطلعت من وراء سلع سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت
ثم امطرت فوالله ما راينا الشمس سبتا اي من السبت الى السبت الاخر
وقام ابو لبابة عريانا يسد ثعلب مربده بازاره لئلا يخرج التمر منه وفي
بعض الروايات فامطرت السما وصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
طاف الانصار بابي لبابة رضي الله عنهم يقولون له يا ابا لبابة ان السماء
لن تقلع حتى تقوم عريانا تسد ثعلب مربدك بازارك كما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقام ابو لبابة رضي الله عنه عريانا يسد ثعلب مربده

بازاره فانقلعت السماء وحينئذ يكون قول الراوي فيلا يخرج التمر منه
بحسب ما فهم ويكون قول الصحابة ثم والله ما رأينا الشمس سبتا كان في
قصة غير هذه تخلط بعض الرواة فجاء ذلك الرجل او غيره والذي في الصحيح
انه الرجل الاول وذكر بعض الحفاظ انه خارجة بن حصين فقال يا رسول الله
هلكت الاموال وانقطعت السبل فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
المنبر فدعا ورفع يديه حتى روي بياض ابطيه وهو اي بياض الابط معدود
من خصائصه صلى الله عليه وسلم ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم
على الاكام بكسر الهمزة جمع اكمة وهي التل المرتفع والظراب بكسر الظاء المثلثة
جمع ظرب بفتحها الروابي الصغيرة وبطون الاودية ومنابت الشجر د
فانجابت السحابة اي انقلعت عن المدينة انجياب الثوب اقول
لعل هذا المطر كان عاما المدينة وما حولها حتى وصل الى محالهم ولا الوفد
والا انهم انما طلبوا حصول المطر لمحالهم ولا يلزم من وجوده بالمدينة وجود
بمحالهم الا اذا كان قريبا من المدينة بحيث اذا وجد المطر بها يوجد بمحالهم
غالبا وقد اشار صاحب الهمزية الى هذه القصة بقوله

ودعى للانام اذ دهمتهم ... سنة من محولها شهباء
فاستهلت بالغيث سبعة ايام ... عليهم سحابة وطفاء
تتحري مواضع الرعي والسقي ... وحيث العطاش توهي السقاء
واتى الناس يشتكون اذاها ... ورخاء يؤذي الانام غلاء
فدعى فانجلى الغمام فقل ... في وصف غيث اقلاعه استسقاء
ثم اثرى الثرى وقرت عيون ... بقراها واحييت احياء
فترى الارض غب ما سح فيها ... كسماء اشرقت من نجومها الظلماء
يجلا الدر واليواقيت من نور ... رميا بها البيضاء والحمراء

ثم رأيت في الحدائق لابن الجوزي عن انس رضي الله عنه قال اصابت الناس سنة
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب
على المنبر يوم الجمعة فقام اعرابي فقال يا رسول الله هلك المال وجاع العيال
فادع الله لنا ان يسقينا فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وما في
السماء قزعة فثار السحاب امثال الجبال ثم لم ينزل عليه الصلاة والسلام
عن المنبر حتى رأينا المطر يتحادر على لحيته قال فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد
ومن بعد الغد والذي يليه الى الجمعة الاخرى فقام ذلك الاعرابي او غيره فقال
يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يديه فقال اللهم حوالينا ولا علينا قال فما جعل صلى الله عليه
وسلم يشير بيده الى ناحية من السماء الا انفرجت حتى صارت المدينة مثل
الجوبة حتى سال الوادي شهرا ولم يجئ احد من ناحية الا حدث بالجود ثم رأيت
بعضهم قال احاديث الاستسقاء ثابتة في الصحيحين وظاهرها انه
متعدد ففي بعضها انه وقع وهو في خطبة الجمعة وفي بعضها انه صعد المنبر حين
شكى اليه فخطب ودعى وفي بعضها انه خرج الى المصلى بعد ان وعد الناس
يوما يخرج فيه ونصب له منبر واستسقى واجيبت دعوته ونزل المطر
وجاء اليه صلى الله عليه وسلم اعرابي فقال يا رسول الله اتيناك وما لنا من
بعير يئط ولا صبي يغط ثم انشد شعرا يقول

وليس لنا الا اليك فرارنا ... واين فرار الناس الا الى الرسل

فقام صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر فدعا فسقي ثم قال لو كان ابو
طالب حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقام علي فقال يا رسول الله كانك
اردت قوله

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للارامل

الابيات فقال صلى الله عليه وسلم اجل وفي رواية لما جاءه المسلمون وقالوا
يا رسول الله قحط المطر ويبس الشجر وهلكت المواشي واسنت الناس د
فاستسق لنا ربك فخرج صلى الله عليه وسلم والناس معه يمشون بالسكينة
والوقار حتى اتوا المصلى فتقدم صلى الله عليه وسلم فصلى بهم د
ركعتين يجهر فيهما بالقراءة وكان يقرأ في العيدين والاستسقاء في الركعة

الاولى بفاتحة الكتاب وهل اتاك حديث الغاشية فلما قضى صلاته
استقبل الناس بوجهه وقلب رداءه لكن ينقلب التحطاي الخصب ثم جثى على
ركبتيه ورفع يديه وكبر تكبيرة ثم قال اللهم اسقنا واغثنا غيثا مغيثا رحيا
وسيعا واحدا طبقا مغدقا عاما مريا مريعا مرتعا وابلا شاملا مسيلا
مجللا دائما دارا نافعا غير ضار عاجلا غير رائث غيثا اللهم تحيي به البلاد
وتغيث به العباد وتجعله بلاغا للحاضر منا والباد اللهم انزل في ارضنا
زينتها وانزل علينا سكينتها اللهم انزل علينا من السماء ماء طهورا
تحيي به بلدة ميتا واسقه مما خلقت انعاما واناسي كثيرا فما برحوا حتى اقبل
قزع من السحاب فالتأم بعضه الى بعض ثم امطرت سبعة ايام ولياليهن لا
تقلع عن المدينة فاتاه المسلمون فقالوا قد غرقت الارض وتهدمت
البيوت وانقطعت السبل فادع الله يصرفها عنا فضحك النبي صلى الله
عليه وسلم وهو على المنبر حتى بدت نواجذه تعجبا لسرعة ملالة ابن ادم ثم رفع
يديه ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على رؤوس الظراب ومنابت
الشجر وبطون الاودية وظهور الاكام فتقشعت عن المدينة ثم قال
لله در ابي طالب لو كان حيا قرت عيناه من الذي ينشدنا قوله فقام
علي رضي الله عنه فقال يا رسول الله كانك اردت قوله فقال الابيات
ومنها وفد بني اسد وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم رهط من بني اسد اي
فيهم ضرار بن الازور ووابصة بن معبد وطلحة بن عبيد الله الذي ادعى النبوة
بعد ذلك ثم اسلم وحسن اسلامه وفيهم نقادة بن عبد الله بن خلف وقد استهدى
رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ناقة تكون جيدة للركوب والحلب
من غير ان يكون لها ولد معها فطلبها فلم يجدها الا عند ابن عم له فجاء بها
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلبها فشرب منها ثم سقاه ثم قال اللهم
بارك فيها وفيمن منحها فقال يا رسول الله وفيمن جاء بها قال وفيمن جاء
بها وفيهم حضرمي بن عامر ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد
مع اصحابه فسلموا عليه وقال شخص يا رسول الله انا نشهد ان لا اله الا
الله وحده لا شريك له وانك عبده ورسوله وجئناك يا رسول الله
ولم تبعث الينا بعثا ونحن لمن وراءنا اي وفي لفظ ان حضرمي بن عامر
قال اتيناك نسري الليل البهيم في سنة شهباء اي ذات قحط ولم تبعث
الينا ه وفي رواية يا رسول الله اسلمنا ولم نقاتلك كما قاتلك العرب

فانزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا
علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين وسألوه
صلى الله عليه وسلم عما كانوا يفعلونه في الجاهلية من العيافة وهي زجر
الطير والتخرص على الغيب والكهانة وهي الاخبار عن الكائنات في المستقبل
وضرب الحصى فنهاهم عن ذلك فقالوا يا رسول الله خصلة بقيت قال
وما هي قالوا الخط اي خط الرمل ومعرفة ما يدل عليه ه قال علمه نبي
من الانبياء فمن صادف مثل علمه علم اي وفي رواية في مسلم فمن وافق خطه اي علم موافق
خطه فذاك اي مباح له والا فلا يباح الا بتيقن الموافقة اي وفي شرح
مسلم ان محصل مجموع كلام العلماء فيه الاتفاق على النهي عنه الآن لانه لا طريق
لنا الى العلم اليقيني بالموافقة وكانه صلى الله عليه وسلم قال لو علمتم
موافقته لكن لا علم لكم بها واقاموا اياما يتعلمون الفرائض ثم جاءوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فودعوه وامر لهم بجوائز ثم انصرفوا الى اهليهم
ومنها وفد بني عذرة قبيلة باليمن وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا
عشر رجلا من بني عذرة اي وسلموا بسلام اهل الجاهلية ه فقال لهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم من القوم فقالوا انا من بني عذرة اخو قصي لامه نحن
الذين عضدوا قصيا وازاحوا من بطن مكة خزاعة وبني بكر فلنا قرابات
وارحام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مرحبا بكم واهلا وسهلا ما ابي
لقيتم رحبا واتيتم اهلا فاسلموا ولا تستوحشوا ما اعرفني بكم قال
فما يمنعكم من تحية الاسلام قالوا يا محمد كنا على ما كان عليه اباؤنا فقدمنا
مرتادين لانفسنا ولقومنا وقالوا الى ما تدعو فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ادعوا الى عبادة الله وحده لا شريك له وان تشهدوا
اني رسول الله الى الناس كافة فقال متكلمهم فما وراء ذلك فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس تحسن طهورهن وتصليهن
لمواقيتهن فانه افضل الاعمال ثم ذكر لهم باقي الفرائض من الصيام والزكاة
والحج انتهى فاسلموا وبشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بفتح الشام
عليهم وهرب هرقل الى ممتنع بلاده ونهاهم عن سؤال الكاهنة اي فقد
قالوا له يا رسول الله ان فينا كاهنة قريش والعرب يتحاكمون اليها
اوسألها عن امور فقال لا تسألوها عن شيء ونهاهم عن الذبائح التي كانوا
يذبحونها الى اصنامهم وقالوا نحن اعوانك وانصارك ثم انصرفوا وقد

اجيزوا او كسي احدهم بردا ومنها وفد بلي على وزن بكر وهو حي من قضاعة
وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع من بلي منهم وهو شيخهم ابو
الضبيب تصغير الضب الدابة المعروفة نزلوا على رويفع بن ثابت البلوي
وقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له هؤلاء قومي فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم مرحبا بك وبقومك فاسلموا وقال لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداكم للاسلام فمن مات
منكم على غير الاسلام فهو في النار قال وفي رواية عن رويفع رضي الله
عنه قال قدم وفد قومي فانزلتهم علي ثم خرجت بهم حتى انتهينا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في اصحابه فسلمنا عليه
وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ارويفع فقلت لبيك قال من هؤلاء القوم
قلت قومي قال مرحبا بك وبقومك قلت يا رسول الله قدموا وافدين عليك
مقرين بالاسلام وهم على من وراءهم من قومهم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من يرد الله به خيرا يهديه للاسلام فتقدم شيخ الوفد ابو
الضبيب فجلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
انا وفدنا عليك لنصدقك ونشهد انك نبي حق ونخلع ما كنا نعبد
وكان اباؤنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداكم
للاسلام فكل من مات على غير الاسلام فهو في النار ثم قال له ابو
الضبيب يا رسول الله ان لي رغبة في الضيافة فهل لي في ذلك اجر قال
نعم وكل معروف صنعته الى غني او فقير فهو صدقة فقال يا رسول الله ما وقت
الضيافة قال ثلاثة ايام فما بعد ذلك فصدقة ولا يحل للضيف
ان يقيم عندك فيحرجك اي يضيق عليك اي وفي لفظ فيؤثمك
اي يعرضك للاثم اي تتكلم بسببه القول فقال يا رسول الله ارايت الضالة
من الغنم اجدها في الفلاة من الارض قال هي لك او لاخيك او للذئب
قال فالبعير قال ما لك وله دعه حتى يجده صاحبه قال رويفع ثم
قاموا فرجعوا الى منزلي فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتي منزلي
يحمل تمرا فقال استعينوا بهذا التمر فكانوا ياكلون منه ومن غيره
فاقاموا ثلاثة ايام ثم ودعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واجازهم
ورجعوا الى بلادهم ومنها وفد بني مرة وفد عليه صلى الله عليه وسلم ثلاثة
عشر رجلا من بني مرة راسهم الحارث بن عوف فقال يا رسول الله انا قومك

وعشيرتك

وعشيرتك نحن قوم من بني لؤي بن غالب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
قال للحارث اين تركت اهلك فقال بسلاح وما والاها فقال وكيف البلاد
قال والله انا لمسنتون وما في المال مخ اي صوت يردده فادع الله لنا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اسقهم الغيث فاقاموا اياما ثم ارادوا
الانصراف الى بلادهم فجاؤوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مودعين له فامر
بلالا ان يجيزهم فاجازهم بعشر اواق من فضة وفضل الحارث بن عوف فاعطاه
اثنتي عشرة اوقية اي وهذا يقتضي ان كل واحد اعطي عشر اواق ورجعوا الى
بلادهم فوجدوا البلاد مطيرة فسالوا قومهم متى مطرتم فاذا هو ذلك اليوم
الذي دعا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه واخصبت بعد ذلك بلادهم
ومنها وفد خولان وهي قبيلة من اليمن وفد على رسول الله صلى الله عليه
وسلم عشرة من خولان فقالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم من خولان فقالوا
يا رسول الله نحن على من وراءنا من قومنا ونحن مؤمنون بالله عز وجل مصدقون
برسوله صلى الله عليه وسلم وقد ضربنا اليك اباط الابل وركبنا حزون
الارض وسهولها وحزون كفلوس وهو ما غلظ منها والمنة لله ولرسوله
علينا وقدمنا زائرين لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ما ذكر
من مسيركم الي فان لكم بكل خطوة خطاها بعير احدكم حسنة واما قولكم
زائرين لك فانه من زارني بالمدينة كان في جواري يوم القيامة قالوا
يا رسول الله هذا السفر الذي لا توى عليه اي والتوى بفتح المثناة
فوق وفتح الواو مقصورا هو هلاك المال ثم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما فعل عم انس وهو صنم خولان الذي كانوا يعبدونه قالوا
ابشر بدلنا الله تعالى به ما جئت به وقد بقيت منا بقايا من شيخ
كبير وعجوز كبيرة متمسكون به ولو قدمنا عليه هدمناه ان شاء الله
تعالى فقد كنا منه في غرور وفتنة فقال لهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم وما اعظم ما رايتم من فتنته قالوا لقد رايتنا بضم المثناة
فوق واسنتنا حتى اكلنا الرمة فجمعنا ما قدرنا عليه وابتعنا مائة
ثور ونحرناها لعم انس قربانا في غداة واحدة وتركناها يرد بها السباع
ونحن احوج اليها من السباع فجاءنا الغيث من ساعتنا ولقد رايتنا
العشب يواري الرجال ويقول قائلنا انعم علينا عم انس وذكروا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما كانوا يقسمون لهذا الصنم من انعامهم

من انعامهم وحرثهم فقالوا كنا نزرع الزرع فنجعل له وسطه فنسميه
له ونسمي زرعا آخر حجرا اي ناحية لله فاذا مالت الريح بالذي سميناه
له اي لله جعلناه لصنمنا فان لم نجعله لله فذكر لهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله تعالى انزل عليه في ذلك وجعلوا لله مما ذرأ
من الحرث والانعام نصيبا الاية قالوا وكنا نتحاكم اليه فنكلم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الشياطين تكلمكم وسألوه عن
فرائض الدين فاخبرهم بها صلى الله عليه وسلم وامرهم بالوفاء بالعهد
واداء الامانة وحسن الجوار لمن جاوروا وان لا يظلموا احدا فان الظلم
ظلمات يوم القيامة ثم ودعوه صلى الله عليه وسلم بعد ايام واجازهم
اي اعطى كل واحد اثني عشر اوقية ونشا ورجعوا الى قومهم فلم يحلوا
عقدة حتى هدموا صنمهم اش ومنها وفد بني محارب ووفد على رسول الله
الله صلى الله عليه وسلم عشرة من بني محارب وفيهم خزيمة بن سواء وهم
وكانوا اغلظ العرب اشدهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ايام عرض
نفسه على القبائل في المواسم يدعوهم الى الله تعالى فجلسوا عنده
يوما من الظهر الى العصر وادام صلى الله عليه وسلم النظر لرجل منهم
وقال له قد رأيتك فقال له ذلك الرجل اي والله لقد
رأيتني وكلمتك باقبح الكلام ورددتك باقبح الرد بسوق عكاظ وانت
تطوف على الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ثم قال
يا رسول الله ما كان في اصحابي اشد عليك يومئذ ولا ابعد عن الاسلام
مني فاحمد الله الذي جئت حتى صدقت بك ولقد مات اولئك النفر
الذين كانوا معي على دينهم فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان هذه القلوب بيد الله عز وجل فقال يا رسول الله استغفر لي
من مراجعتي اياك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاسلام
يجب ما قبله من الكفر اي ومسح رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه
خزيمة بن سواء بن الحارث فصارت له غرة بيضاء واجازهم كما
يجيز الوفود ثم انصرفوا الى اهليهم ومنها وفد صداء من عرب اليمن
وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة عشر رجلا من صداء وسبب
ذلك انه صلى الله عليه وسلم هيأ بعثا اربعمائة من المسلمين استعمل
قيس بن سعد بن عبادة ودفع له لواء ابيض ودفع اليه راية سوداء

وامره

وامره ان يطأ ناحية من اليمن كان بها صداء فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل
منهم وعلم بالجيش فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله جئتك وافدا
على من ورائي فاردد الجيش وانا لك بقومي فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم
قيس بن سعد وخرج الصدائي الى قومه ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه
وسلم باولئك القوم فقال سعد بن عبادة يا رسول الله دعهم ينزلون علي فنزلوا
عليه فحباهم اي بالموحدة اعطاهم واكرمهم وكساهم ثم ذهب بهم الى النبي صلى
الله عليه وسلم فبايعوه على الاسلام وقالوا نحن لك على من وراءنا من قومنا
فرجعوا الى قومهم ففشى فيهم الاسلام فوافى رسول الله صلى الله عليه وسلم
منهم مائة رجل في حجة الوداع وسمي ذلك الرجل الذي كان سببا في رد
الجيش ومجيء الوفد زياد بن الحارث الصدائي وذكر زياد انه صلى الله عليه وسلم
قال يا اخا صداء انك لمطاع في قومك قال فقلت بل من الله عز وجل
ومن رسوله صلى الله عليه وسلم قال وفي رواية بل الله هداهم للاسلام
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افلا اومرك عليهم فقلت بلى يا رسول
الله فكتب لي كتابا بذلك فقلت يا رسول الله مر لي بشيء من صدقاتهم قال
نعم فكتب لي كتابا آخر انتهى قال زياد وكنت معه صلى الله عليه وسلم في بعض
اسفاره وكنت رجلا قويا فلزمت غرزه اي ركابه وجعل اصحابه يتفرقون
عنه فلما كان السحر قال اذن يا اخا صداء فاذنت على راحلتي ثم سرنا حتى
نزلنا فذهب لحاجته ثم رجع فقال يا اخا صداء هل معك ماء قلت معي شيء في اداوة
ومعي انا من جلد صغير وفي رواية لا الا شيء قليل لا يكفيك ٥ قال هاته
فجئته به قال صب فصببت ما في الاداوة في القعب وهو القدح الكبير
وجعل اصحابه صلى الله عليه وسلم يتلاحقون ثم وضع كفه على الاناء فرأيت
بين كل اصبعين من اصابعه صلى الله عليه وسلم عينا تفور ثم قال يا اخا
صداء لولا اني استحي من ربي عز وجل لسقينا واستقينا اي من غير احتياج
توضينا وقال اذن في اصحابي من كان له حاجة بالوضوء بفتح الواو فليرد قال
فورد الناس عن آخرهم ثم جاء بلال يقيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان اخا صداء اذن ومن اذن فهو يقيم فاقمت ثم تقدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فصلى بنا فلما اسلم يعني من صلاته قام رجل يشتكو من عامله
فقال يا رسول الله انه اخذنا بذحول كان بيننا وبين قومه في الجاهلية
٥ اي وفي رواية اخذنا بكل شيء كان بيننا وبين قومه في الجاهلية

٥ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير في الامارة لرجل مسلم ثم قام رجل
اخر فقال يا رسول الله اعطني من الصدقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله لم يكل قسمها الى ملك مقرب ولا نبي مرسل حتى جزاها على ثمانية اجزاء
فان كنت جزاء منها اعطيتك وان كنت غنيا عنها فانما هو صداع في الراس
وداء في البطن فقلت يا رسول الله هذان كتاباك فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لم قلت اني سمعتك تقول لا خير في الامارة لرجل مسلم وانا
رجل مسلم وسمعتك تقول من سال الصدقة وهو عنها غني فانما هو صداع
في الراس وداء في البطن وانا غني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما
ان الذي قلت كما قلت ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دلني على رجل من
قومك استعمله فدللته على رجل منهم فاستعمله قلت يا رسول الله ان لنا بئرا
اذا كان الشتاء كفانا ماؤها واذا كان الصيف قل علينا فتفرقنا على د
المياه والاسلام اليوم فينا قليل ونحن نخاف فادع الله عز وجل لنا في بئرنا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ناولني سبع حصيات فناولته فعركهن
بيده الشريفة ثم دفعهن الي وقال اذا انتهيت اليها فالق فيها حصاة حصاة
وسم الله تعالى قال ففعلت فما ادركنا لها قعرا حتى الساعة ومنها
وفد غسان اسم ماء نزل عليه قوم من الازد فنسبوا اليه ومنهم بنو حنيفة
وقيل غسان قبيلة وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة نفر من
غسان فاسلموا وقالوا لا ندري هل يتبعنا قومنا ام لا وهم يحبون بقا
ملكهم وقرب من قيصر فاجازهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بجوائز د
وانصرفوا راجعين الى قومهم فلما قدموا عليهم ولم يستجيبوا لهم كتموا ا
اسلامهم ومنها وفد سلامان بفتح السين وتخفيف اللام وفي العرب
بطون ثلاثة منسوبون اليه بطن من الازد وبطن من طي وبطن من قضاعة
ومنهم هولاء وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة نفر من سلامان
فيهم حبيب بن عمرو السلاماني فاسلموا قال وعن حبيب صادفنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم خارجا من المسجد الى جنازة دعي لها فقلنا د
السلام عليك يا رسول الله فقال وعليكم السلام من انتم قلنا نحن من سلامان
قدمنا اليك نبايعك على الاسلام ونحن على من وراءنا من قومنا فالتفت
الى ثوبان غلامه فقال انزل هولاء وسالنا عن اشياء انتهى قال حبيب
قلت يا رسول الله ما افضل الاعمال قال الصلاة في وقتها وصلوا معه

صلى الله عليه وسلم يومئذ الظهر والعصر ثم شكوا اليه جدب بلادهم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اللهم اسقهم الغيث في دارهم فقلت يا رسول الله ارفع يديك
فانه اكثر واطيب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع يديه حتى رايت
بياض ابطيه ثم قام وقمنا معه واقمنا ثلاثة ايام وضيافته تجري علينا
ثم ودعناه وامر لنا بجوائز فاعطينا خمس اواق فضة لكل واحد واعتذر د
الينا بلال وقال ليس عندنا اليوم مال فقلنا ما اكثر هذا واطيبه ثم
رحلنا الى بلادنا فوجدناها قد مطرت في اليوم الذي دعا فيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومنها وفد بني عبس وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلاثة من بني عبس فقالوا يا رسول الله قدم علينا قراؤنا فاخبرونا انه لا
اسلام لمن لا هجرة له ولنا اموال ومواشي هي معاشنا فان كان الاسلام
لمن لا هجرة له بعناها وهاجرنا من اخرنا فقال رسول الله صلى الله عليه
اتقوا الله حيث كنتم فلن يلتكم اي ينقصكم ٥ من اعمالكم شيئا وسالهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن خالد بن سنان هل له عقب فاخبروه انه لا
عقب له كانت له ابنة فانقرضت وانشا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحدث اصحابه عن خالد بن سنان وقال انه نبي ضيعه قومه وجاء ليس
بيني وبين عيسى عليه السلام نبي اي واذا صح شي من الاحاديث التي
فيها ذكر خالد بن سنان او غيره يكون معناه لم يكن بينه وبين عيسى نبي
مرسل ٥ اي وتقدم ما في ذلك ومنها وفد النخع اي بفتح النون والخاء
المعجمة قبيلة من اليمن وهم اخر الوفود وكان قدومهم سنة احدى عشرة
في النصف من المحرم وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم مائتا رجل من
النخع مقرين بالاسلام وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل رضي الله عنه فقال
رجل منهم يقال له زرارة بن عمرو يا رسول الله اني رايت في سفري هذا عجبا
اي وفي رواية رايت رويا هالتني ٥ قال وما رايت قال رايت اتانا تركتها
في الحي ولدت جديا اي وهو ولد المعز اسفع احوى اي والاسفع الذي د
سواده مشرب بحمرة والاحوى الذي ليس شديد السواد ومن ثم فسره
بالاخضر فقال ـــــ رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تركت امة
لك مصرة على حمل قال نعم قال فانها قد ولدت غلاما وهو ابنك قال
يا رسول الله فما له اسفع احوى قال ادن مني فدنا منه فقال هل بك من
برص تكتمه قال والذي بعثك بالحق ما علم به احد ولا اطلع عليه غيرك

قال يوذاك قال يا رسول الله ورأيت النعمان بن المنذر اي وهو ملك
العرب وعليه قرطان والقرط ما يكون في شحمة الاذن ودملجان بضم الدال
المهملة وضم اللام وفتحهما وسكون الميم وسكون السين المهملة
قال ذلك ملك العرب رجع الي احسن زيه وبهجته قال يا رسول الله ورأيت
عجوزا شمطا اي يخالط شعر راسها الابيض شعر اسود خرجت من الارض
قال تلك بقية الدنيا قال ورأيت نارا خرجت من الارض فحالت بيني وبين
ابن لي يقال له عمرو وهو فال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك فتنة
تكون في اخر الزمان قال يا رسول الله وما الفتنة قال يقتل الناس
امامهم ويشتجرون اشتجار اطباق الراس ويشتجرون بالشين المعجمة
وبالجيم اي يشتبكون في الفتنة اشتباك اطباق الراس وخالف
رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصابعه يحسب المسيء فيها انه
محسن ويكون دم المؤمن عند المؤمن اسهل اي وفي لفظ احلاه من شرب
الماء وان مات ابنك ادركت الفتنة وان مت انت ادركها ابنك قال
يا رسول الله ادع الله ان لا ادركها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللهم لا تدركها فمات وبقي ابنه عمرو ولم يجتمع به صلى الله عليه وسلم فهو تابعي
وكان ممن خلع عثمان رضي الله عنه قال وفي رواية ان النخع رجلين منهم
الي رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامهم ارطاة بن شرحبيل من بني حارثة
والارقم من بني بكر فلما قدما علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرض
عليهما الاسلام فقبلاه فبايعوه علي قومهما واعجب رسول الله صلى الله
عليه وسلم شانهما وحسن هيئتهما وقال لهما هل خلفتما وراءكما من قومكما
مثلكما قالا يا رسول الله قد خلفنا من قومنا سبعين رجلا كلهم افضل
منا وكلهم يقطع الامر وينفذ الاشياء ما يشاورنا فدعى لهما رسول الله صلى
الله ولقومهما بخير وقال صلى الله عليه وسلم اللهم بارك في النخع وعقد
صلى الله عليه وسلم لارطاة لواء علي قومه فكان في يده يوم الفتح وشهد رضي
الله عنه بها القادسية وقتل يومئذ انتهي وقوله وكان في يده يوم
الفتح لا يناسب ما تقدم ان وفد النخع كان قدومه في سنة احدي عشرة
الا ان يقال ان منهم من وفد قبل وفود ذلك الجمع وقد ترك الاصل البعض
الجملة من الوفود ذكرت في السيرة العراقية والسيرة الشامية تركنا
تبعا للاصل منها ان عمرو بن مالك وفد علي النبي صلى الله عليه وسلم ثم رجع

الي

الي قومه فدعاهم الي الاسلام فقالوا حتى نصيب من بني عقيل مثل ما اصابوا
منا فكان بينهم وبين بني عقيل مقتلة وكان عمرو بن مالك هذا ممن حمله
من قاتلهم فقتل رجلا من بني عقيل قال عمرو فشددت يدي في غل
واتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغه ما صنعت فقال صلى الله عليه
وسلم لئن اتاني لاضربن ما فوق الغل من يده فلما جئت سلمت فلم يرد علي السلام
واعرض عني فاتيته عن يمينه فاعرض عني فاتيته عن يساره فاعرض
عني فاتيته من قبل وجهه فقلت يا رسول الله ان الرب عز وجل ليترضى
فيرضى فارض عني رضي الله عنك قال رضيت وتقدم انه قد جاء في
الصحيح لا احد احب اليه العذر من الله من اجل ذلك ارسل الرسل مبشرين
ومنذرين ولا احد احب اليه المدح من الله من اجل ذلك مدح نفسه ولا
احد احب اليه اغير من الله من اجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما
بطن والله اعلم

باب بيان كتبه صلى الله عليه وسلم

التي ارسلها الي الملوك يدعوهم للاسلام اي في الغالب والا
فمنها ما ليس كذلك وهذه غير كتبه التي كتبها بالامان المتقدم
ذكرها اي ولما اراد ان يكتب للملوك قيل له يا رسول الله لا يقرءون
كتابا الا اذا كان مختوما اي ليكون في ذلك اشعار بان الاحوال
المعروضة عليهم ينبغي ان تكون مما لا يطلع عليها غيرهم وفيه ان هذا
واضح اذا كان الختم عليها بعد طيها ويجعل عليها نحو شمع ويختم فوق ذلك
والظاهر ان ذلك لم يكن وحينئذ يكون الغرض من ذلك الامن للتزوير
الختم
لبعده مع الختم فاتخذ صلى الله عليه وسلم خاتما من فضة اي بعد ان
اتخذ خاتما من ذهب فاقتدي به ذوو اليسار من اصحابه فصنعوا خواتيم
من ذهب ولما لبس رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك لبس اصحابه
خواتيمهم فجاء جبريل بان لبس الذهب حرام علي ذكور امته فطرح
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الخاتم فطرح اصحابه خواتيمهم
وكان نقش خاتمه الفضة ثلاثة اسطر محمد سطر ورسول سطر والله
سطر وفي حديث موضوع كان نقش خاتمه صدق الله وفي رواية شاذة
انه بسم الله محمد رسول الله والاسطر الثلاثة تقرا من اسفل الي فوق
كذا قال بعض ائمتنا قال في النور والذي يظهر ان هذه الكتابة كانت
مقلوبة حتى اذا ختم بها تخرج علي الاستواء كما في خواتيم الكبرا اليوم وختم

صلى الله عليه وسلم بذلك الخاتم الكتب فكان في يده ثم في يد ابي بكر ثم في يد عمر رضي الله تعالى عنهم حتى وقع في بير اريس في السنة التي توفي فيها عثمان فالتمسوه ثلاثة ايام فلم يجدوه وذكر ان هذا الخاتم الذي كان في يده ثم في يد ابي بكر ثم في يد عمر ثم في يد عثمان كان الخاتم من الحديد الذي كان ملويا عليه الفضة وانه الذي كان في يد خالد بن سعيد فرآه صلى الله عليه وسلم فقال له ما نقش هذا الخاتم قال محمد رسول الله قال اطرحه الي فاخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبسه فكان في يده ثم في يد ابي بكر الحديث وعن انس انه صلى الله عليه لبس خاتما من فضة حبشيا اي من جزع لانه يؤتى به من بلاد الحبشة وقيل صنف من الزبرجد وان الذي نقش فيه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي لفظ فصه منه وفي لفظ فصه من عقيق اي ولا ينافي ذلك وصفه بانه حبشي لان العقيق يؤتى به من بلاد الحبشة وفي الحديث تختموا فانه مبارك تختموا بالعقيق فانه ينفي الفقر قيل وكان خاتما في خنصر يده اليسرى وهو المروي عن عامة الصحابة والتابعين وقيل كان في خنصر يمينه وهو قول ابن عباس وطايفة منهم عايشة قالت كان النبي صلى الله يتختم في يمينه وقبض صلى الله عليه وسلم والخاتم في يمينه وهذا رواه عبيد بن القاسم وهو كذاب اي وهو يخالف ما جمع به البغوي بانه تختم اولا في يمينه ثم تختم في يساره وكان ذلك اخر الامرين وروى اشعب الطامع عن عبد الله بن جعفر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتختم في اليمنى قال الامام النووي التختم في اليمنى او اليسار كلاهما صح نقله عن النبي صلى الله عليه وسلم لكنه في اليمين افضل لانه زينة واليمين اولى بها هذا كلامه اي ولان ابن ابي حاتم نقل عن ابي زرعة انه كان في يمينه صلى الله عليه وسلم اكثر منه في يساره وكان صلى الله عليه وسلم يجعل فصه مما يلي كفه وتقدم ان الخاتم الذي لبسه يوما ثم القاه كان من الذهب وقيل كان ذلك الخاتم من حديد وقد قال صلى الله عليه وسلم للابس خاتم الحديد ما لي ارى عليك حلية اهل النار فطرحه ولعله لكونه من سلاسل اهل النار واغلالهم وقيودهم من حديد اي ثم جاءه وعليه خاتم من صفر اي نحاس فقال له ما لي اجد منك رايحة الاصنام ولعل الاصنام كانت تتخذ من النحاس غالبا ثم اتاه

وعليه

وعليه خاتم من صفر اي نحاس ذهب فقال ما لي ارى عليك حلية اهل الجنة اي المغيض اباحتها لاهل الجنة في الجنة اي المخيض اباحتها لاهل الجنة في الجنة قال يا رسول الله من اي شيء اتخذه قال من ورق ولا تتمه مثقالا اي وزن مثقال لكن في رواية ابي داود ولا تتمه مثقالا ولا قيمة مثقال وهي تفيد ان الخاتم اذا كان دون مثقال وزنا لكن بلغ بالصنعة قيمة مثقال كان منهيا عنه وفي الحديث ما طهر الله كفا فيه خاتم من حديد وهو يفيد كراهة لبس الخاتم الحديد وفي كلام الشمس العلقمي ولا يكره كونه من نحو حديد ونحاس لحديث التمس ولو خاتما من حديد فليتامل اي وعند عزمه صلى الله عليه وسلم على ارسال الكتب وتكلم مع اصحابه في ذلك خرج على اصحابه يوما فقال ايها الناس ان الله بعثني رحمة وكافة فادوا عني يرحمكم الله ولا تختلفوا علي كما اختلفت الحواريون على عيسى بن مريم عليه السلام فقال اصحابه وكيف اختلف الحواريون على عيسى يا رسول الله قال دعاهم لمثل ما دعوتكم له فاما من بعثه مبعثا قريبا فرضي واما من بعثه مبعثا بعيدا فكره وابى فشكى ذلك عيسى الى ربه فاصبحوا وكل رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذي وجه اليهم

ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم

الى قيصر المدعو هرقل ملك الروم على يد دحية الكلبي والدحية بلسان اليمن الرييس رضي الله تعالى عنه وقيصر معناه في اللغة البقير لان شق عنه لان ام قيصر ماتت في المخاض فشق عنها واخرج فسمي قيصر وكان يفتخر بذلك ويقول لم اخرج من فرج اي لان كل من ملك الروم يقال له قيصر كتب صلى الله عليه وسلم كتابا لقيصر يدعوه الى الاسلام وبعث به دحية الكلبي رضي الله عنهم وامره ان يدفعه الى قيصر ففعل كذلك اي بعد ان قال صلى الله عليه وسلم من ينطلق بكتابي هذا الى قيصر الى هرقل وله الجنة وقيل امره صلى الله عليه وسلم دحية ان يدفعه الى عظيم بصرى وهو الحارث ملك غسان ليدفعه الى قيصر ولما انتهى دحية الى الحارث ارسل معه عدي بن حاتم يوصله الى قيصر فذهب به اليه فقال لدحية اذا رايت الملك فاسجد له ثم لا ترفع راسك ابدا حتى ياذن لك قال دحية لا افعل هذا ابدا ولا اسجد لغير الله

تعالى قالوا دحية لا نفعل هذا ابدا حتى ياذن لك فقال دحية لا نفعل
هذا ابدا ولا اسجد لغير الله قالوا اذن لا يوخذ كتابك فقال له رجل
منهم انا ادلك على امر يوخذ فيه كتابك ولا تسجد له فقال دحية وما
هو فقال ان له على كل عتبة منبرا يجلس عليه فضع صحيفتك تجاه
المنبر فان احدا لا يحركها حتى ياخذها هو ثم يدعو صاحبها ففعل فلما
اخذ قيصر الكتاب وجد عليه عنوان كتاب العرب فدعى الترجمان الذي
يقرا العربية ثم قال انظروا الينا من قومه احدا نسأله عنه وكان
ابو سفيان رضي الله عنه ابن حرب بالشام اي بغزة مع رجال من قريش
في تجارة لهم زمن مدة الحديبية اي وكان اولها في ذي القعدة سنة
ست وقيل كتب صلى الله عليه وسلم اليه من تبوك وذلك في السنة
التاسعة وجمع بينهما بانه كتب لقيصر مرتين والاول هو ما في الصحيح
والثاني قاله السهيلي واستدل له بخبر في مسند الامام احمد اي
واعرف من قال ان الكتابة له كان سنة خمس قال ابو سفيان
فاتانا رسول الله فتبصر هو والى الشرطة فانطلق بنا حتى قدمنا
عليه اي في بيت المقدس فاذا هو جالس وعليه التاج وعظما الروم
حوله فقال لترجمانه وهو المعبر عنه لغة بلغة وهو بفتح وفي غير
سلهم ايهم اقرب نسبا لهذا الرجل الذي يزعم انه نبي وفي لفظ لتسأل
الرجل الذي خرج بارض العرب يزعم انه نبي فقال ابو سفيان
انا اقربهم نسبا لانه لم يكن في الركب يومئذ من بني عبد مناف غيري اي
لان عبد مناف هو الاب الرابع له صلى الله عليه وسلم وكذا لابي سفيان
اي زاد في لفظ ما قرابتك منه قلت هو ابن عمي فقال له ادنوه مني ثم
امر باصحابي فجعلوا خلف ظهري ثم قال لترجمانه قل لاصحابه انما قدمت
هذا امامكم لاسأله عن هذا الرجل الذي يزعم انه نبي وانما جعلتكم خلف
كتفيه لتردوا عليه كذبا ان قاله اي حتى لا تستحيوا ان تشافهوه
بالتكذيب اذا كذب قال ابو سفيان فوالله لولا الحيا يومئذ ان يردوا
علي كذبا لكذبت ولكني استحييت فصدقت وانا كاره اي وفي رواية
لولا مخافة ان يوثر علي الكذب لكذبت اي لولا خفت ان ينقلوا عني
الكذب الى قومي ويتحدثوا به في بلادي لكذبت عليه لبغضي اياه وحبي
نقصه وهو يعلم ان الكذب من القبائح جاهلية واسلاما ثم قال

لترجمانه

640

لترجمانه قل له كيف نسب هذا الرجل فيكم قلت هو فينا ذو نسب فقال قل له
هل قال هذا القول احد منكم قبله قلت لا فقال قل له هل كنتم تتهمونه
بالكذب على الناس قبل ان يقول ما قال قلت لا اي وفي رواية هل كان
خلافا كذابا مخادعا في امره لعله يطلب ملكا وشرفا كان لاحد من اهل
بيته قبله قلت لا فقال هل كان من ابائه ملك قلت لا اي وفي رواية كيف
عقله ورايه قال لم نعب عليه عقلا ولا رايا قط قال فاشراف الناس
يتبعونه ام ضعفاؤهم قلت بل ضعفاؤهم اي والمراد باشراف الناس اهل
النخوة والتكبر لا من مثل ابي بكر وعمر وحمزة رضي الله عنهم ممن اسلم
قبل هذا السوال وعندنا من استحقاق تبعه من الضعفاء والمساكين و
الاحداث وانما ذووا الانساب والشرف فما تبعه منهم احد وهو محمول
على الاكثر الاغلب اي الاكثر الاغلب ان اتباعه ضعفاء قال فهل يزيدون
او ينقصون قلت بل يزيدون قال فهل يرتد احد منهم سخطة لدينه
اي كراهة له وعدم رضى به بعد ان يدخل فيه قلت لا اي ولا يرد لا
هذا منقوض بما وقع لعبد الله بن جحش حيث ارتد ببلاد الحبشة
لانه لم يرتد كراهة للاسلام بل لغرض نفساني كما تقدم قال فهل يغدر
اذا عاهد قلت لا ونحن الان منه في ذمة ما ندري ما هو فاعل فيها
قال فهل قاتلتموه قلت نعم قال فكيف حربكم وحربه قلت دول
وسجال يدال علينا مرة اي كما في احد ويدال عليه اخرى اي كما في
بدر وقد تقدم في احد ان ابا سفيان قال في يوم احد يوم بيوم
بدر والحرب بدور سجال اي نوب ه وفي لفظ قال ابو سفيان انتصر
علينا مرة يوم بدر وانا غائب ثم غزوتهم في بيوتهم نبقر البطون
ونجدع الاذان والانوف والفروج واشار بذلك الى يوم احد قال
فما يامركم به قلت يامرنا ان نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئا والذي
في البخاري يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا وينهانا عما
كان يعبد اباونا ويامرنا بالصلاة والصدقة وفي لفظ والزكاة وفي
لفظ جمع بين الصدق والصدقة والعفاف اي ترك المحارم وخوارم
المروة والوفا بالعهد واداء الامانة فقال للترجمان قل له اني سالتك
عن نسبه فزعمت انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في نسب
قومها وسالتك هل قال هذا القول احد منكم قبله فزعمت ان لا فلو

كان احد منكم قال هذا القول قبله لقلت هو يأتم بقول قيل قبله وسا لتك
هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال فزعمت ان لا فقد عرفت
انه لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله وسألتك هل كان
من اباءه ملك فقلت لا لو كان من اباءه ملك لقلت رجل يطلب ملك ابيه
وسألتك هل اشراف الناس يتبعونه ام ضعفاؤهم فقلت ضعفاؤهم وهم
اتباع الرسل اي لان الغالب ان اتباع الرسل اهل الاستكانة لا اهل
الاستكبار وسألتك هل يزيدون او ينقصون فزعمت انهم يزيدون
وكذلك الايمان حتى يتم وسألتك هل يرتد احد سخطة لدينه بعد
ان يدخل فيه فزعمت ان لا وكذلك الايمان تخالط بشاشته القلوب
اذا حصل به انشراح الصدر والفرح به لا يسخطه احد وسألتك هل
قاتلتموه فقلت نعم وان حربكم وحربه دول وسجال يدال عليكم مرة وتدال
عليه اخرى وكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة وسألتك ماذا
يأمركم به فزعمت انه يأمركم بالصلاة والصدقة والعفاف والوفاء
بالعهد واداء الامانة اي وفي البخاري اي وسألتك هل يغدر فذكرت
ان لا وكذلك الرسل لا تغدر اي لانها لا تطلب حظ الدنيا الذي لا
يبالي طالبه الا بالغدر فعلمت انه نبي وقد كنت اعلم انه خارج ولكن
لم اظن انه فيكم وان كان ما حدثتني به حقا فيوشك اي يقرب ان
يملك موضع قدمي هاتين اي وذكر بعضهم ان هذا يدل على ان هذه الاشيا
التي سأل عنها هرقل كانت عنده في الكتب القديمة من علامات
نبوته صلى الله عليه وسلم وفيه ان هذا لا يأتي مع قوله ما تقدم اذ هو
يقتضي ان ذلك علامة على رسالة كل رسول ثم قال قيصر ولو اعلم اني
اخلص اي اصل اليه لتجشمت اي تكلفت مع المشقة اي لقيه اي وفي
لفظ اخر لا استطيع ان افعل ان فعلت ذهب ملكي وقتلني الروم قال
الامام النووي رحمه الله ولا عذر له في هذا لانه قد عرف صدق النبي
صلى الله عليه وسلم وانما شح بالملك وطلب الرياسة واثرها على الاسلام
ولو اراد الله تعالى هدايته لوفقه كما وفق النجاشي وما زالت عنه
الرياسة وقال الحافظ ابن حجر لكن لو تفطن هرقل لقوله صلى
الله عليه وسلم في الكتاب اليه اسلم تسلم وحمل الجزاء على عمومه في الدنيا
والاخرة لسلم لو اسلم من كل ما يخافه ولكن التوفيق بيد الله عز وجل ثم قال

ولو

ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه اي مبالغة في خدمته والتعبد له ولا
اطلب منه ولاية ولا منصبا قال ابو سفيان ثم دعا بكتاب النبي صلى الله
عليه وسلم فقرئ فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد
ابن عبد الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى اي ومن لم يتبع الهدى
فلا سلام عليه فليس في هذا بداية الكافر بالسلام اما بعد فاني ادعوك
بدعاية الاسلام اي بالكلمة الداعية للاسلام وهي كلمة التوحيد اي
الشهادة الى ان موضع الى اسلم تسلم اي وفي لفظ اسلم تسلم يؤتك الله اجرك
مرتين اي لايمانك بنبيك ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم او لايمان اتباعك
بسبب ايمانك فان توليت فانما عليك اثم الاريسيين اي الفلاحين
اي ومن ثم جاء في رواية اثم الفلاحين وفي رواية اثم الاكارين والاكار
الفلاح لان اهل السواد هم والامم اهل فلاحة والمراد اثم رعاياك الذين
يتبعونك وينقادون لامرك وخص هؤلاء بالذكر لانهم اسرع انقيادا
من غيرهم لان الغالب عليهم الجهل والجفا وقلة الدين والمراد عليك
مع اثمك اثم رعاياك لانه اذا اسلم اسلموا فاذا امتنع امتنعوا فهو
متسبب في عدم اسلامهم والفاعل للمعصية المتسبب في ارتكاب غيره
لها عليه الاثم من جهتين جهة فعله وجهة تسببه ويا اهل الكتاب تعالوا
الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا
ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا
بانا مسلمون والواو في قوله صلى الله عليه وسلم ويا اهل الكتاب
عاطفة على مقدر معطوف على قوله ادعوك والتقدير ادعوك بدعاية
الاسلام واقول لك ولاتباعك يا اهل الكتاب وقيل وهذه
الاية كتبها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نزولها لانها انما نزلت
في وفد نجران وذلك في سنة تسع وهذه القصة كانت في سنة ست
وقيل بعد نزولها لان نزولها كان في اول الهجرة في شان اليهود وقال
الحافظ ابن حجر وجوز بعضهم نزولها مرتين وهو بعيد كذا قال قلت
قال ابو سفيان فلما قضى مقالته وفرغ من الكتاب علت اصوات
الذين حوله وكثر لغطهم اي اصواتهم التي لا تفهم وفي البخاري كثر
عنده الصخب وارتفعت الاصوات والصخب اختلاط الاصوات
عند المخاصمة زاد البخاري ولا ادري ماذا قالوا وامر بنا فاخرجنا

فلما خرجت انا واصحابي وخلصنا قلت لهم لقد امر امر ابن ابي كبشة اعظم
امره هذا ملك بني الاصفر يخافه فما زلت موقنا انه سيظهر حتى ادخل الله
علي الاسلام اي فاظهرت ذلك اليقين لا انه ارتفع وفي لفظ فما زلت
مرعوبا من محمد صلى الله عليه وسلم حتى اسلمت وقد تقدم الكلام على
كبشة وهو ان جد وهب لامه ابو امية ام النبي صلى الله عليه وسلم كان
يكنى ابا كبشة قال في شرح مسلم هو الذي كان يعبد الشعرى
وابو سلمة ام جدة عبد المطلب كان يكنى ابا كبشة وزوج مرضعته صلى
الله عليه وسلم كان يكنى ابا كبشة وتقدم الكلام ايضا على بني الاصفر
ويروى ان ابا سفيان قال لقيصر لما سأله هل تتهمونه بالكذب فقال
لكن اخبرك عنه ايها الملك خبرا تعرف به انه قد كذب قال وما هو
قلت انه يزعم لنا انه خرج من ارضنا ارض الحرم في ليلة فجاء مسجدكم
هذا ورجع الينا في تلك الليلة قبل الصباح فقال بطريق فانه من
قواد الملك كان واقفا عند راس قيصر صدق ايها الملك فنظر اليه
قيصر فقال وما علمك بهذا قال اني كنت لا انام ليلة ابدا حتى اغلق
ابواب المسجد فلما كانت تلك الليلة اغلقت الابواب كلها غير بابا
واحدا غلبني فاستعنت عليه بعمالي ومن يحضرني فلم نستطع ان نحركه
كانما نزاول جبلا فدعوت النجارين فنظروا اليه فقالوا لا نستطيع
ان نحركه حتى نصبح فلما اصبحت جئت اليه فاذا الحجر الذي بزاوية
المسجد مثقوب قال في النور الذي يظهر انه الصخرة اي المراد
بالصخرة في بعض الروايات كما قدمناه واذا فيه اثر مربط الدابة فقلت
لاصحابي ما حبس هذا الباب الليلة الا لهذا الامر فقال قيصر لقومه
الستم تعلمون ان بين يدي الساعة نبيا بشركم به عيسى بن مريم ترجون
ان يجعله الله فيكم قالوا بلى قال فان الله قد جعله في غيركم وهي رحمة
الله عز وجل يضعها حيث يشاء اي وامر بانزال دحية واكرامه وذكر
ان ابن اخي قيصر اظهر الغيظ الشديد وقال لعمه قد ابتدأ بنفسه وسماك
صاحب الروم ولم يسمه يعني الكتاب فقال له والله انك لضعيف الراي
اترى ارمي بكتاب رجل ياتيه الناموس الاكبر هو احق ان يبدأ بنفسه
ولقد صدق انا صاحب الروم والله مالكي ومالكه اي وفي لفظ ان ابن اخي
قيصر لما سمع الترجمان يقرأ من محمد رسول الله الى قيصر صاحب الروم ضرب

في صدر الترجمان ضربة شديدة ونزع الكتاب من يده واراد ان يقطعه
فقال له قيصر ما شأنك فقال تنظر في كتاب رجل بدأ بنفسه قبلك
وسماك قيصر صاحب الروم وما ذكر لك ملكا فقال له قيصر انك احمق
صغيرا ومجنون كبيرا اتريد ان تمزق كتاب رجل قبل ان انظر فيه ولعمري لئن
كان رسول الله كما يقول لنفسه احق ان يبدأ بها مني ولئن
سماني صاحب الروم لقد صدق ما انا الا صاحبهم وما املكهم ولكن الله
سخرهم لي ولو شاء لسلطهم علي كما سلط فارس على كسرى فقتلوه ولما جاء
صلى الله عليه وسلم الخبر عن قيصر قال ثبت ملكه وفي لفظ سيكون لهم بقية
تلف تصدق الله ورسوله فقد ذكر الحافظ ابن حجر ان الملك المنصور
قلاوون ارسل بعض امرائه الى ملك المغرب بهدية فارسله ملك المغرب
الى ملك الفرنج في شفاعة فقبله واكرمه وقال له لاتحفنك بتحفة
سنية فاخرج له صندوقا مصفحا بالذهب واخرج منه مقلمة وفي لفظ
قصبة بالذهب فعن السهيلي قال بلغني ان هرقل وضع الكتاب في قصبة
من ذهب تعظيما له فاخرج منها كتابا قد زالت اكثر حروفه وقد التصق عليه
خرقة حرير فقال هذا كتاب نبيكم لجدي قيصر ما زلنا نتوارثه
الى الان وذكر لنا اباؤنا عن اباؤهم انه ما دام هذا الكتاب عندنا لا يزول
الملك عنا فنحن نحفظه غاية الحفظ ونعظمه ونكتمه عن النصارى ليدوم
الملك فينا اي ولا ينافيه ما جاء اذا هلك قيصر فلا قيصر بعده لان المراد
اذا زال ملكه عن الشام لا يخلفه فيه احد وكان كذلك وملكه لم يبق
الا ببلاد الروم ويروى ان قيصر اي لما رجع من بيت المقدس الى محل دار
ملكه وهي حمص اي قاعدتها ظهر على الفرس واخرجهم من بلاده نذر ان يأتي
بيت المقدس ماشيا له البسط وطرح عليها الرياحين ولا زال يمشي على
ذلك الى ان وصل الى بيت المقدس كما سيأتي فلما رجع الى حمص كان لقيه
قيصر عظيم الروم فاغلق ابوابه وامر مناديا ينادي الا ان هرقل قد امن
بمحمد واتبعه فدخلت الاجناد في سلاحها وطافت بقصره تريد قتله فارسل
اليهم اني اردت ان اختبر صلابتكم في دينكم فقد رضيت فرضوا عنه
في البخاري ان قيصر لما سار الى حمص اذن لعظماء الروم في دسكرة له ثم امر
بابوابها فغلقت ثم اطلع فقال يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وان
يثبت ملككم فتتابعوا هذا النبي فحاصوا حيصة حمر الوحش الى الابواب

نوحيدوا اذا غلقت فلما رأى قيصر نفرتهم وايس من الايمان منهم اي وقال
لهم انما اردت ان اختبر كيف صلابتكم على دينكم فقد رأيت فسجدوا
على ذلك قال الحلبي قلت معنا اني اختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيت فسجدوا
له ورضوا عنه وعند ذلك كتب كتابا وارسله مع دحية الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول فيه اني مسلم ولكني مغلوب وارسل بهدية فلما
قرئ عليه صلى الله عليه وسلم الكتاب قال كذب عدو الله ليس بمسلم وقبل هديته
وقسمها بين المسلمين ومصداق قوله صلى الله عليه وسلم ان قيصر بعد هذه
القصة بدون سنتين قاتل المسلمين في غزوة مؤتة وفي صحيح ابن حبان
عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب اليه ايضا من تبوك يدعوه وانه قارب
الاجابة ولم يجب وفي مسند الامام احمد انه كتب من تبوك الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم كذب بل هو على نصرانيته وفي
لفظ كذب عدو الله ليس بمسلم قال الحافظ ابن حجر فعلى هذا اطلاق صاحب
الاستيعاب انه امن اي اظهر التصديق لكنه لم يستمر عليه ولم يعمل د
بمقتضاه بل شح بملكه وآثر الفانية على الباقية لعنة الله عليه اي لانه
تحقق كفره اي وقد ذكر حامل كتابه اليه صلى الله عليه وسلم قال جئت تبوك
فاذا هو جالس بين ظهراني اصحابه محتبيا فقلت اين صاحبكم فقيل ها هو
هذا فاقبلت امشي حتى جلست بين يديه فناولته كتابي فوضعه في
حجره ثم قال ممن انت قلت انا احد تنوخ قال هل لك في الاسلام دين
الحنيفية ملة ابيك ابراهيم قلت اني رسول قوم وعلى دين قوم لا ارجع
عنه حتى ارجع اليهم فضحك صلى الله عليه وسلم وقال انك لا تهدي من
احببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدين فلما فرغ من كتابي
قال ان لك حقا وانك رسول فلو وجدت عندنا جائزة جوزناك بها انا قوم
سفر فقال رجل انا اجوزه فاتى بحلة فوضعها في حجري فسألت
عنه فقيل لي انه عثمان رضي الله تعالى عنه ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم
الى كسرى ملك فارس على يدي عبد الله بن حذافة لانه كان يتردد د
عليه كثيرا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن حذافة السهمي
وقيل اخيه خنيس وقيل اخيه خارجة وقيل شجاع بن وهب وقيل عمر بن
الخطاب الى كسرى وبعث معه كتابا مختوما فيه بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن

بالله

بالله ورسوله واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله
ادعوك بدعاية الله فاني انا رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حيا
ويحق القول على الكافرين اسلم تسلم فان ابيت فعليك اثم المجوس اي الذين د
هم اتباعك قال عبد الله بن حذافة فانتهيت الى بابه وطلبت الاذن د
عليه حتى وصلت اليه فدفعت اليه كتاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقرئ عليه فاخذه ومزقه اي وفي رواية ان كسرى لما اعلم بكتاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن لحامل الكتاب ان يدخل عليه فلما
دخل امر كسرى ان يقبض منه الكتاب فقال لا حتى ادفعه اليك كما امرني
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كسرى ادنه فدنا فناوله
الكتاب فدعا من يقرؤه فقرأه فاذا فيه من محمد عبد الله ورسوله الى كسرى
عظيم فارس فاغضبه حيث بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه فصاح
ومزق الكتاب قبل ان يعلم ما فيه وامر باخراج حامل ذلك فاخرج فلما رأى
ذلك قعد على راحلته وسار فلما ذهب عن كسرى سورة غضبه بعث يطلب
حامل ذلك الكتاب فلم يجده فلما وصل اليه صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر
قال مزق كسرى ملكه وفي لفظ مزق ملكه وفي رواية فلما بلغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال مزق الله ملكه وفي رواية اللهم مزق ملكه
كل ممزق وكتب كسرى الى بعض امرائه باليمن يقال له باذان انه بلغني ان
رجلا من قريش خرج بمكة يزعم انه نبي فسر اليه فاستتبه فان تاب والا
فابعث والا فابعث الي براسه الى هذا الكتاب اي الذي بدأ فيه بنفسه
وهو صدى اي وفي رواية انه قال له ان لم تكفني رجلا خرج بارضك يدعوني
الى دينه والا فعلت فيك كذا يتوعده فابعث اليه برجلين جلدين فليأتياني
به فبعث باذان بكتاب كسرى الى النبي صلى الله عليه وسلم مع قهرمانه
وبعث معه رجلا آخر من الفرس وكتب معهما الى رسول الله صلى الله عليه
يامره ان ينصرف معهما الى كسرى فخرجا فقدما الطائف فوجدا رجلا
من قريش في ارض الطائف فسألوه عنه صلى الله عليه وسلم فقال هو
بالمدينة فلما قدما عليه المدينة قالا له شاهنشاه ملك الملوك كسرى
بعث الى الملك باذان يامره ان يبعث اليك فان ابيت اهلك واهلك
قومك وخرب بلادك وكانا على زي الفرس من حلق لحاهم واعفاء شواربهم
فكره صلى الله عليه وسلم النظر اليهما ثم قال لهما ويلكما من امركما بهذا

قال الا امر نا ربنا يغضبان لكسري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن ربي
امرني باعفا لحيتي وقص شاربي ثم قال لهما ارجعا حتى تاتياني غدا واتي د
رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بان الله قد سلط على كسري ابنه
يقتله في شهر كذا في ليلة كذا فلما كان الغد دعاهما واخبرهما الخبر وكتب
رسول الله صلى الله عليه وسلم الي باذان ان الله قد وعدني ان يقتل كسري
في يوم كذا من شهر كذا فلما اتي باذان الكتاب توقف وقال ان كان د
نبيا فسيكون ما قال فقتل الله كسري في اليوم الذي قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم على يد ولده سرويه فيت قتله ليلا بعد ما مضي من
الليل سبع ساعات فيكون المراد باليوم في تلك الرواية مجرد الوقت
اي في رواية قال صلى الله عليه وسلم لرسول باذان اذهب
الي صاحبك فقل له ان ربي قد قتل ربك الليلة ثم جاء الخبر بان كسري قتل
تلك الليلة فكان كما اخبر صلى الله عليه وسلم فلما مات صلى الله عليه وسلم د
هلاك كسري فقال لعن الله كسري اول الناس هلاكا فارس ثم العرب وعن د
جابر بن سمرة انه صلى الله عليه وسلم قال لتفتحن عصابة من المسلمين او
من المومنين او رهط من امتي كنوز كسري التي في القصر الابيض فكنت انا
واني فيهم واصبنا من ذلك الف درهم وقدم على باذان كتاب شيرويه فيه اما
بعد فقد قتلت كسري ولم اقتله الا غضبا لفارس فانه قتل اشرافهم فتفرق
الناس فاذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك وانظر الرجل الذي
كان كسري يكتب اليك فيه فلا تزعجه حتى ياتيك امري فيه فبعث باذان
باسلامه واسلام من معه الي رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا وفي رواية
انه قيل له صلى الله عليه وسلم ان كسري قد استخلف ابنته فقال لا يفلح قوم
تملكهم امراة •

• ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم •

للنجاشي ملك الحبشة على يد عمرو بن امية الضمري بعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم عمرو بن امية الضمري الي النجاشي وبعث معه كتابا فيه د
بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الي النجاشي ملك الحبشة سلم انت
سلم لان السلم باني بمعني السلامة فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا
هو الملك القدوس السلام المومن المهيمن واشهد ان عيسى بن مريم روح
الله وكلمته القاها الي مريم البتول اي المنقطعة عن الرجال التي لا شهوة

لها فيهم والمنقطعة عن الدنيا اي المنقطعة عن الرجال التي لا شهوة لها
فيهم والمنقطعة عن الدنيا وزينتها ومن ثم قيل لفاطمة بنت رسول الله صلى
الله عليه وسلم البتول والبتول الطيبة الحصينة اي العفيفة اي المنقطعة
عن الرجال الذي لا شهوة لها فيهم والمنقطعة عن الدنيا وزينتها ومن ثم
قيل لفاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم البتول فحملت بعيسى حملته من روحه
ونفخه كما خلق ادم بيده واني ادعوك الي الله وحده لا شريك له والموالاة
على طاعته وان تتبعني وتومن بالذي جاءني فاني رسول الله واني ادعوك
وجنودك الي الله عز وجل وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام
على من اتبع الهدي فلما وصل اليه الكتاب وضعه على عينيه ونزل عن سريره
وجلس على الارض ثم اسلم ودعي بحق من عاج اي وهو عظم الفيل فجعل فيه كتاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لن تزال الحبشة بخير ما كان
هذا الكتاب بين اظهرهم اي وفي كلام بعضهم بعث عمرو بن امية الضمري
الي النجاشي فكان اول رسول وكتب اليه كتابين يدعوه في احدهما الي الاسلام
وفي الاخر يامره ان يزوجه ام حبيبة فاخذ الكتابين وقبلهما ووضعهما
على راسه وعينيه ونزل عن سريره تواضعا ثم اسلم وشهد شهادة الحق د
وكتب اليه النجاشي اي جواب الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم الي محمد رسول
الله من اصحمة النجاشي السلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركاته
الله الذي لا اله الا هو الذي هداني للاسلام اما بعد فقد
بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من امر عيسى فورب السماء والارض
ان عيسى لا يزيد على ما ذكرت وقد عرفنا ما بعثت به الينا وقد قربنا ابن
عمك واصحابه يعني جعفر بن ابي طالب ومن معه من المسلمين فاشهد انك
رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك اي جعفر
ابن ابي طالب واسلمت على يديه لله رب العالمين اي وعند ذلك قال النبي
صلى الله عليه وسلم اتركوا الحبشة ما تركوكم وذكر ان عمرو بن امية قال للنجاشي
اي عند اعطائه الكتاب يا اصحمة ان علي القول وعليك الاستماع انك
كانك في الرقة علينا منا وكانا في الثقة بك منك لانا لم نظن بك خيرا قط
الا نلناه ولم نخفك على شيء قط الا امناه وقد اخذنا الحجة عليك من قبل
٥ الانجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد وقاض لا يجور وفي ذلك موقع الخير
واصابة الفضل والا فانت في هذا النبي الامي كاليهود في عيسى بن مريم

وقد عرف النبي صلى الله عليه وسلم ارسله الى الناس فرجاك لما لم يرحم له وانك
على ما اخا انهم عليه لخير سالف راجل ينتظر فقال النجاشي اشهد بالله انه
للنبي الذي ينتظره اهل الكتاب وان بشارة موسى براكب الحمار كبشارة
عيسى براكب الجمل وان العيان ليس باشفى من الخبر وان بعضهم ولكن اعواني
من الحبشة قليل فانظرني حتى اكثر الاعوان والين القلوب ٥

اقول كذا في الاصل وهو صريح في ان هذا المكتوب اليه هو الذي
هاجر اليه المسلمون سنة خمس من النبوة ونعاه النبي صلى الله عليه وسلم يوم توفي
وصلى عليه بالمدينة منصرفه من تبوك وذلك في السنة التاسعة والذي قاله
غيره كابن حزم ان هذا النجاشي الذي كتب اليه الكتاب وبعث به عمرو بن امية
لم يسلم وانه غير النجاشي الذي صلى عليه وسلم الذي امن به واكرم اصحابه وفي
صحيح مسلم ما يوافق ذلك ففيه عن انس ان النجاشي الذي كتب اليه صلى الله
عليه وسلم ويرده بانه يجوز ان يكون كتب للنجاشي الذي صلى عليه وللنجاشي
الذي تولى بعده على يد عمرو بن امية فلا مخالفة ومن ثم قال في النور والظاهر
ان هذه الكتابة متاخرة عن الكتابة لاصحمة الرجل الصالح الذي امن به
واكرم اصحابه هذا كلامه وفيه ان رد الجواب على النبي صلى الله عليه وسلم
بالكتاب المذكور ورده على عمرو بن امية بقوله اشهد بالله انه النبي الذي
ينتظره اهل الكتاب الخ انما يناسب الاول الذي هو الرجل الصالح ويكون
جواب الثاني لم يعلم وقد تقدم عن ابن حزم انه لم يسلم وقال بعضهم ان الظاهر
وحينئذ يكون الراوي خلط فوهم ان المكتوب اليه ثانيا هو المكتوب اليه
اولا وكما اشار اليه في الهدي والله اعلم ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم للمقوقس
ملك القبط اي وهم اهل مصر والاسكندرية وليسوا من بني اسرائيل على يد
حاطب بن ابي بلتعة رضي الله عنه بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطب
ابن ابي بلتعة الى المقوقس اي وانه عند منصرفه من الحديبية قال ايها
الناس ايكم منطلق بكتابي هذا الى صاحب مصر واجره على الله فوثب
اليه حاطب وقال انا يا رسول الله قال بارك الله فيك يا حاطب قال حاطب فاخذت
الكتاب وودعته صلى الله عليه وسلم وسرت الى منزلي وشددت على راحلتي
وودعت اهلي وسرت وذكر السهيلي وانه ارسل مع حاطب جبرا مولى ابي
رهم الغفاري فان جبرا هو الذي جاء بمارية من عند المقوقس واعترض
بان هذا لا يلزمه ان يكون صلى الله عليه وسلم ارسل جبرا مع حاطب للمقوقس

الجواد

لجواز ان يكون المقوقس ارسل جبرا مع حاطب والمقوقس لقب وهو لغة المطول
للبناء واسمه جريج بن مينا وبعث معه كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد
الله الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوك
بدعاية الاسلام اسلم تسلم واسلم يؤتك الله اجرك مرتين فان توليت فانما
عليك اثم القبط اي الذين هم رعاياك ويا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة
سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا
بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون وختم
الكتاب وجاء به حاطب حتى قدم على المقوقس بالاسكندرية اي بعد ان ذهب
الى مصر فلم يجده فذهب الى الاسكندرية فاخبر انه في مجلس مشرف على البحر
فركب حاطب سفينة وحاذى مجلسه واشار بالكتاب اليه فلما رآه امر
باحضاره بين يديه فلما جيء به اليه نظر الى الكتاب وفضه وقرأه وقال
لحاطب ما منعه ان كان نبيا ان يدعو على من خالفه اي من قومه واخرجوه من
بلده الى غيرها ان يسلط عليه فاستعاد منه الكلام مرتين ثم سكت
فقال له حاطب الست تشهد ان عيسى بن مريم رسول الله فما له حيث اخذه
قومه فارادوا ان يقتلوه ان لا يكون دعى عليهم ان يهلكهم الله تعالى حتى
رفعه الله اليه قال احسنت انت حكيم جئت من عند حكيم ثم قال له حاطب انه
كان قبلك رجل يزعم انه الرب الاعلى يعني فرعون فاخذه الله نكال الاخرة
والاولى فانتقم به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك ولا يعتبر غيرك بك ان هذا
النبي صلى الله عليه وسلم دعى الناس فكان اشدهم عليه قريش واعداهم له يهود
واقربهم منه النصارى ولعمري ما بشارة موسى بعيسى الا كبشارة عيسى
بمحمد صلى الله عليه وسلم وما دعاؤنا اياك الى القرآن الا كدعائك اهل التوراة
الى الانجيل وكل نبي ادرك قوما فهم امته فالحق عليهم ان يطيعوه فانت ممن ادرك
هذا النبي صلى الله عليه وسلم ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكنا نامرك به
فقال اني قد نظرت في امر هذا النبي فوجدته لا يامر بمزهود فيه ولا ينهى عن
مرغوب فيه ولم اجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكذاب ووجدت معه آلة
النبوة باخراج الخبء بفتح الخاء المعجمة وهمزة في آخره اي الشيء الغائب المستور
والاخبار بالنجوى اي يخبر بالمغيبات وسانظر واخذ كتاب النبي صلى الله
عليه وسلم وجعله في حق عاج وختم عليه ودفعه الى جارية له ثم دعا كاتبا يكتب
بالعربية وكتب الى النبي صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد

الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك اما بعد فقد قرأت كتابك
وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو اليه وقد علمت ان نبيا قد بقي وقد كنت اظن
انه يخرج بالشام وقد اكرمت رسولك اي فانه قد دفع له مائة دينار وخمسة
اثواب وبعثت لك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم اي وهما مارية
وسيرين بالسين المهملة مكسورة وثياب اي وهي عشرون ثوبا من قباطي
مصر قال بعضهم وبقيت تلك الثياب حتى كفن صلى الله عليه وسلم في بعضها
وفي كلام هذا البعض وارسل له صلى الله عليه وسلم عمايم وقباطي وطيبا
وعودا وندا ومسكا مع الف مثقال من الذهب ومع قدح من قوارير فكان
صلى الله عليه وسلم يشرب فيه اي لانه سأل حاطبا فقال اي طعام احب
الى صاحبكم قال الدباء يعني القرع ثم قال له في اي شيء يشرب قال في قعب من
خشب قال واهديت اليك بغلة لتركبها والسلام عليك ولم يزد عليه في
ذلك ولم يسلم ولا يخفى انه سيأتي انه اهدى اليه صلى الله عليه وسلم زيادة
على الجاريتين جارية اخرى اسمها قيسر وهي اخت مارية ولعله انما اقتصر
على ذكر الجاريتين دون الثالثة مع انها اخت مارية لانها دونهما في الحسن
وذكر بعضهم ان سيرين ايضا اخت مارية فالثلاثة اخوات وفي ينبوع
الحياة لابن ظفر فاهدى اليه المقوقس جواري اربعا اي وهو موافق لكلام
بعضهم وارسل اليه صلى الله عليه وسلم جارية سوداء اسمها بريرة وفي كلام
بعضهم انه صلى الله عليه وسلم اهدى الجاريتين لابي جهم بن حذيفة العبدي
اي وفي لفظ لجهم بن قيس العبدي وهي ام زكريا ابن جهم الذي كان
خليفة عمرو بن العاص على مصر واخرى اهداها لحسان بن ثابت وهي
ام عبد الرحمن بن حسان كما تقدم في قصة الافك واهدى اليه صلى الله
المقوقس زيادة على ذلك خصيا اي مجبوبا اي غلاما اسود يقال له مابور
باثبات الراء وقيل بحذفها وقيل هابو اي بابدال الميم هاء واسقاط الراء
ويقال انه ابن عم مارية وكونه كان مجبوبا عند ارساله المهدي له صح
ابن سينا القبطي الذي كان على مصر من قبل هرقل وانه لم يكن حال الارسال مجبوبا
وانه قدم مع مارية فاسلم وحسن اسلامه وكان يدخل عليها وانه رمي من مكانه
من دخوله على سرية النبي صلى الله عليه وسلم انه جب نفسه فقطع ما بين رجليه
حتى لم يبق معه شيء فليتأمل وسيأتي ما وقع له واهدى اليه صلى الله
عليه وسلم المقوقس زيادة على البغلة الدلدل والدلدل في اللغة اسم

للقنفذ

للقنفذ العظيم وكانت شهباء وكانت انثى ولا يستدل بلحوق التاء لها لانها
للوحدة وفي كلام بعضهم اجمع اهل الحديث على ان بغلة النبي صلى الله عليه وسلم
كانت ذكرا لا انثى واول من استنتج البغال قارون قالوا والبغل اشبه
لامه منه بابيه قيل ولم يكن يومئذ في العرب بغلة غيرها وقد قال له
سيدنا علي رضي الله تعالى عنه لو حملنا الحمر على الخيل لكان لنا مثل هذه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما يفعل ذلك الذين لا يعلمون
قال ابن حبان اي الذين لا يعلمون النهي عنه وفيه ان الله تعالى امتن
بها كالخيل والحمير ولا يقع الامتنان بالمكروه وحمارا اشهب يقال له عفير
بالعين المهملة مضمومة وضبطه القاضي عياض بالمعجمة وغلط في ذلك
ماخوذ من العفرة وهو لون التراب وفرسا وهو اللزاز فان المقوقس
سأل حاطبا ما الذي يحب صاحبك من الخيل فقال له حاطب الاشقر وقد
ترك عنده فرسا يقال له المرتجز فانتخب له فرسا من خيل مصر الموصوفة
فاسرج والجم وهو فرسه الميمون واهدى عسلا من عسل بنها بكسر الباء
الموحدة قرية من قرى مصر واعجب به صلى الله عليه وسلم ودعا في عسل بنها
بالبركة لانه حين اكل منه قال ان كان عسلكم اشرف فهذا احلى ثم دعا فيه
بالبركة واهدى اليه مربعة يضع فيها المكحلة وقارورة الدهن والمشط
والمقص والسواك ومكحلة من عيدان شامية ومرآة ومشطا اي فان
المقوقس سأل حاطبا عن النبي صلى الله عليه وسلم هل يكتحل فقال له نعم وينظر
في المرآة ويرجل شعره ولا يفارق خمسا في سفر كان او حضر وهي المرآة والمكحلة
والمشط والمدرى والسواك والمدرى شيء كالمسلة تفرق بها شعر الرأس
ويحك به لان حكه بالاصبع يشوش الشعر ويلوى بها قرون شعر الرأس
وعن عائشة رضي الله عنها سبع لم تفارق رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سفر ولا حضر القارورة التي يكون فيها الدهن والمشط والمكحلة
والمقراض اي المقص والسواك والمرآة زاد بعضهم والابرة والخيط
ولعل عدم ذكر ذلك في الكتاب انه لم ير شيئا ينبغي ذكره اي وقال بعضهم
ان المقوقس ارسل مع الهدية طبيبا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ارجع
الى اهلك نحن قوم لا ناكل حتى نجوع واذا اكلنا لا نشبع ثم رأيت بعضهم
سمى الحمار الذي اهداه عابرا فيحتمل عفيرا من خلط الرواة فلا منافاة وفي
هذا قبول هدايا المشركين وقد تقدم رده صلى الله عليه وسلم لهداياهم

وقال لا اقبل زبد المشركين ومما يشكل عليه ايضا انه صلى الله عليه وسلم في مدة هدنة الحديبية اهدى صلى الله عليه وسلم لابي سفيان عجوة واستهداه ابو سفيان ادما وهو على شركه وذكر ان المقوقس قال لحاطب ان القبط لا يطاوعوني في اتباعه ولا احب ان تعلم بمحاورتي اياك وانا اضن بملكي ان افارقه وسيظهر على البلاد وتنزل بساحتنا هذه اصحابه من بعده اي وكان كذلك فان المسلمين فتحوا مصر سنة عشرين ونزلها الصحابة فارجع الى صاحبك وارحل من عندي ولا اسمع منك القبط حرفا واحدا قال حاطب فرحلت من عنده اي وبعث معه جيشا الى ان دخل جزيرة العرب ووجد قافلة من الشام تريد المدينة فرد الجيش وارتفق بالقافلة قال حاطب وذكرت قوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضن الخبيث بملكه ولا بقا لملكه ومن ثم ذكر بعضهم ان هرقل لما علم ميل المقوقس الى الاسلا عزله ويخالفه قول بعضهم وبعث ابو بكر رضي الله تعالى عنه حاطبا هذا ايضا الى المقوقس بمصر فصالح القبط الا ان يقال يجوز ان يكون المقوقس عاد لملكه بعد عزله وذكر بعضهم انه يا في الاسكندرية لما اراد بناءها قال ابني مدينة فقيرة الى الله غنية عن الناس فدامت وبنى اخوه مدينة قال عند ارادة بنائها ابني مدينة فقيرة الى الناس غنية عن الله فسلط الله عليها الخراب في اسرع وقت ولما فتح عمرو بن العاص مصر وقف على بعض ما بقي من اثار تلك المدينة فسال عن ذلك فاخبر بهذا الخبر

ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم للمنذر بن

ساوي العبدي بالبحرين على يد العلاء ابن الحضرمي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم العلاء ابن الحضرمي الى المنذر بن ساوي وبعث معه كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى المنذر بن ساوي سلام الله عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله اما بعد فاني اذكر الله عز وجل فانه من ينصح فانما ينصح لنفسه وانه من يطع رسلي ويتبع امرهم فقد اطاعني ومن نصح لهم فقد نصح لي وان رسلي قد اثنوا عليك خيرا واني قد شفعتك في قومك فاترك للمسلمين ما اسلموا عليه وعفوت عن اهل الذنوب وانك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ومن اقام على يهودية او مجوسية فعليه الجزية اي وهذا جوابه

كتاب ارسله المنذر جوابا بالكتاب ارسله له رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك يدعوه الى الاسلام فاسلم وحسن اسلامه **اقول** ولم اقف على ذلك الكتاب ولا على حامله والظاهر انه العلاء المذكور فقد ذكر السهيلي ان العلاء قدم على المنذر بن ساوي فقال له يا منذر انك عظيم العقل في الدنيا فلا تصغرن في الاخرة ان هذه المجوسية شر دين ينكح فيها ما يستحيي من نكاحه وتاكلون ما تتكرم عن اكله وتعبدون في الدنيا نارا تاكلكم يوم القيامة ولست بعديم عقل ولا راي فانظر هل ينبغي لمن لا يكذب في الدنيا ان لا نصدقه ولمن لا يخون ان لا نامنه ولمن لا يخلف ان لا نثق به فان كان هذا هكذا فهذا هو النبي الامي الذي والله لا يستطيع ذو عقل كيف ما امر به نهي عنه او ما نهي عنه امر به فقال ابن المنذر قد نظرت في هذا الذي في يدي فوجدته للدنيا دون الاخرة ورايت في دينكم فرايته للاخرة والدنيا فما يمنعني من قبول دين فيه امنية الحياة وراحة الموت ولقد عجبت امس ممن يقبله وعجبت اليوم ممن يرده وان من اعظام من جاء به ان يعظم رسوله وسانظر والله اعلم ومن جملة كتاب ابن المنذر اي الذي هذا الكتاب جوابه اما بعد يا رسول الله فاني قرات كتابك على اهل البحرين فمنهم من احب الاسلام واعجبه ودخل فيه ومنهم من كرهه وبارضي مجوس ويهود فاحدث الي في ذلك امرك وذكر ابن قانع ان المنذر المذكور وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو من الصحابة قال ابو الربيع ولا يصح ذلك

ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى جيفر

وعبد ابني الجلندي ملكي عمان اي بضم العين المهملة وتخفيف الميم بلدة من بلاد اليمن على يد عمرو بن العاص رضي الله عنه بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص رضي الله عنه الى جيفر وعبد ابني الجلندي وبعث معه كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله الى جيفر وعبد ابني الجلندي سلام على من اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوكما بدعاية الاسلام اسلما تسلما فاني رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين وانكما ان اقررتما بالاسلام وليتكما وان ابيتما ان تقرا بالاسلام فان ملككما زائل عنكما وخيلي تحل بساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما وختم رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب قال عمرو ثم خرجت

حتى انتهيت الى عمان فعمدت الى عبد وكان احلم الرجلين واسهلهما خلقا
فقلت اني رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك والى اخيك فقال اخي المقدم رسول
علي بالسن والملك وانا اوصلك اليه حتى يقرا كتابك ثم قال وما تدعوا
اليه قلت ادعوك الى الله وحده لا شريك له وتخلع ما عبد من دونه وتشهد
ان محمدا عبده ورسوله قال يا عمرو انك ابن سيد قومك فكيف صنع ابوك
يعني العاصي بن وائل فان لنا فيه قدوة قلت مات ولم يؤمن بمحمد صلى الله
عليه وسلم ووددت له لو كان امن وصدق به وقد كنت قبل على مثل رايه حتى
هداني الله عز وجل للاسلام قال فمتى تبعته قلت قريبا فسالني اين كان
اسلامي فقلت عند النجاشي واخبرته ان النجاشي قد اسلم قال
فكيف صنع قومه بملكه قلت اقروه واتبعوه قال والاساقفة اي رؤسا
دين النصرانية والرهبان قلت نعم قال انظر يا عمرو ما تقول انه ليس من
خصلة في رجل افضح اي اكثر فضيحة من كذب قلت وما كذبت وما نستحله
في ديننا ثم قال ما ارى هرقل علم باسلام النجاشي قلت بلى قال باي شيء
علمت ذلك يا عمرو قلت كان النجاشي يخرج له خراجا فلما اسلم وصدق بمحمد
صلى الله عليه وسلم قال لا والله ولو سالني درهما واحدا ما اعطيته فبلغ
هرقل ذلك فقال له اخوه اتدع عبدك لا يخرج لك خراجا
ويدين دينا محدثا فقال هرقل رجل رغب في دين واختاره لنفسه ما اصنع
به والله لولا الضن بملكي لصنعت كما صنع قال انظر ما تقول يا عمرو قلت
والله صدقتك قال عبد واخبرني ما الذي يامر به وينهى عنه قلت يامر
بطاعة الله عز وجل وينهى عن معصيته ويامر بالبر وصلة الرحم وينهى
عن الظلم والعدوان وعن الزنا وشرب الخمر وعن عبادة الحجر والوثن والصليب
فقال ما احسن هذا الذي تدعو اليه لو كان اخي يتابعني لركبنا
حتى نؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ونصدق به ولكن اخي اضن بملكه ان يدعه
ويصير ذنبا اي تابعا قلت انه ان اسلم ملكه رسول الله صلى الله
عليه وسلم على قومه فاخذ الصدقة من غنيهم فردها على فقيرهم قال ان هذا
لخلق حسن وما الصدقة فاخبرته بما فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الصدقات في الاموال اي ولما ذكرت المواشي فقال يا عمرو ويؤخذ
من سوائم مواشينا التي ترعى في الشجر وترد المياه فقلت نعم فقال
والله ما ارى قومي في بعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون بهذا قال

عمرو

عمرو فمكثت اياما ببابه وهو يصل الى اخيه فيخبره كل خبري ثم انه دعاني فدخلت
عليه فاخذ اعوانه بضبعي اي عضدي قال دعوه فارسلت فذهبت لاجلس
فابوا ان يدعوني اجلس فنظرت اليه فقال تكلم بحاجتك فدفعت
اليه الكتاب مختوما ففض خاتمه فقراه حتى انتهى الى اخره ثم دفعه الى اخيه
فقراه ثم قال الا تخبرني عن قريش كيف صنعت فقلت تبعوه اما راغب
في الدين واما راهب مقهور بالسيف قال ومن معه قلت الناس قد رغبوا
في الاسلام واختاروه على غيره وعرفوا بعقولهم مع هدى الله تعالى اياهم
انهم كانوا في ضلال فما اعلم احدا بقي غيرك في هذه الحرجة وانت ان لم تسلم
اليوم وتتبعه توطئك الخيل وتبيد خضراك اي جماعتك فاسلم تسلم
ويستعملك على قومك ولا يدخل عليك الخيل والرجال قال دعني يومي هذا
وارجع الي غدا فلما كان الغد اتيت اليه فابى ان ياذن لي فرجعت الى اخيه
فاخبرته اني لم اصل اليه فاوصلني اليه فقال اني فكرت فيما دعوتني اليه
فاذا انا اضعف العرب ان ملكت رجلا ما في يدي وهو لا تبلغ خيله ههنا
وان بلغت خيله الفت اي وجدت قتالا ليس كقتال من لاقى قلت وانا خارج غدا
فلما ايقن بمخرجي خلا به اخوه فاصبح فارسل الي فاجاب الى الاسلام هو واخوه
جميعا وصدقا وخليا بيني وبين الصدقة وبين الحكم وكانا لي عونا على
من خالفني ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى هوذة بالذال المعجمة وقيل
بالدال المهملة قال في النور ولا اظنه الا سبق قلم صاحب اليمامة اي وزاد د
بعضهم والي ثمامة بن اثال الحنفيين ملكي اليمامة وفيه نظر لان ثمامة
رضي الله عنه كان مسلما حينئذ على يد سليط بفتح السين المهملة
ابن عمرو العامري اي لانه كان يختلف الى اليمامة وبعث معه كتابا فيه
بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هوذة بن علي سلام على من اتبع
الهدى واعلم ان ديني سيظهر الى منتهى الخف والحافر اي حيث ينقطع الابل
والخيل فاسلم تسلم واجعل لك ما تحت يديك فلما قدم عليه سليط بكتاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم مختوما انزله وحياه وقرا عليه الكتاب
فرد ردا دون رد وكتب الى النبي صلى الله عليه وسلم ما احسن ما تدعو اليه
واجمله وانا شاعر قومي وخطيبهم والعرب تهاب مكاني فاجعل الي بعض
الامر اتبعك واجاز سليطا بجائزة وكساه اثوابا من نسج هجر فقدم
بذلك كله على النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره وقرا النبي صلى الله عليه وسلم

كتابه وقال ـــــ والله لو سالني سيابة اي بفتح السين المهملة وتخفيف
المثناة من تحت وموحدة مفتوحة اي قطعة من الارض ما فعلت ما دوبا دما في
بيه فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفتح جاه جبريل فاخبره
بان هوذة قد مات فقال صلى الله عليه وسلم اما ان اليمامة سيخرج بها
كذاب يتنبا يقتل بعدي اي وهو مسيلمة الكذاب فقال قايل يا رسول الله
من يقتله فقال ـــــ رسول الله صلى الله عليه وسلم انت واصحابك د
فكان كذلك **اقول** ـــــ هذا يدل على ان القايل له صلى الله
عليه وسلم ذلك هو خالد بن الوليد فان ابا بكر رضي الله عنه وجهه اميرا
على الجيش الذي ارسله لمقاتلة مسيلمة وتقدم الخلاف في قاتله والمشهور
انه وحشي قاتل حمزة وكان سن هوذة ماية وخمسين سنة ويذكر ان هوذة
كان عنده عظيم من عظما النصارى جبي قال للنبي صلى الله عليه وسلم د
ما قال فقال له لم لا تجيبه قال انا ملك قومي ولين اتبعته لم املك فقال
بلى والله لين اتبعته ليملكنك وان الخيرة لك في اتباعه وانه للنبي العربي
الذي بشر به عيسى بن مريم وانه لمكتوب عندنا في الانجيل محمد رسول الله
الحديث اي وذكر السهيلي ان سليطا قال له يا هوذة انه سودتك اعظم
حايلة اي بالية وارواح في النار يعني كسرى لان هذا الذي كان توجه وانما
السعيد من نفع الايمان ثم تزود والشقي وان قوما سعدوا برايك فلا
تشقين به واني امرك بخير مامور به وانهاك عن شر منهي عنه امرك بعبادة
الله تعالى وانهاك عن عبادة الشيطان فان في عبادة الله الجنة وفي
عبادة الشيطان النار فان قبلت نلت ما رجوت وامنت ما خفت وان
ابيت فبيننا وبينك الغطا وهول المطلع فقال هوذة يا سليط سودني
من لو سودك تشرفت به وقد كان لي راي اختبر به الامور ففقدته د
فاجعل لي فسحة ليرجع الي رايي فاجيبك به ان شاء الله تعالى

ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى الحارث

ابن شمر الغساني اي وكان بدمشق بغوطتها اي وهو محل معروف كثير المياه
والشجر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب الى الحارث
ابن ابي شمر وبعث معه كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله
الى الحارث بن ابي شمر سلام على من اتبع الهدى وامن به وصدق واني ادعوك

ان تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك وختم الكتاب قال شجاع
فخرجت حتى انتهيت الى بابه فاقمت يومين او ثلاثة فقلت لحاجبه اني رسول
الله صلى الله عليه وسلم اليه فقال لا تصل اليه حتى يخرج يوم كذا وجعل
حاجبه يسالني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدعو اليه فكنت احدثه
فيرق حتى يغلبه البكا ويقول اني قرات في الانجيل واجد صفة هذا النبي
صلى الله عليه وسلم بعينه فكنت اراه اي اظنه يخرج بالشام فاراه قد خرج
فاراه قد خرج بارض القرظ اي مورق او شجر السلم فانا او من به واصدقه
وانا اخاف من الحارث بن ابي شمر ان يقتلني فكان هذا الحاجب يكرمني د
ويحسن ضيافتي ويخبرني عن الحارث بالياس منه ويقول هو يخاف قيصر
فخرج الحارث يوما وعلى راسه التاج واذن لي عليه فدفعت اليه كتاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقراه ثم رمى به ثم قال من ينزع مني ملكي انا سائر اليه
ولو كان باليمن جيته على بالناس فلم يزل جالسا يعرض عليه حتى الليل
وامر بالخيل ان تنعل ثم قال لي اخبر صاحبك بما ترى وكتب الى قيصر يخبره د
الخبر وصادف ان كان عند قيصر دحية الكلبي بعثه اليه صلى الله عليه
وسلم فلما قرا قيصر كتاب الحارث كتب له لا تسر اليه واله عنه اي
لا تذكره واشتغل بايليا اي بيت المقدس وتسمى ايليا بالعبرانية بيت الله
والمراد باشغاله بذلك ان يجي لقيصر لا تراك الى بيت المقدس فانه
نذر المشي من حمص قيل من قسطنطينية الى بيت المقدس ماشيا شكرا لله
تعالى حيث كشف عنه جنود فارس واظهر الله تعالى الروم على فارس ففرشوا
له بسطا ونثروا عليها الرياحين وهو يمشي عليها حتى بلغ بيت المقدس
فجا اليه كتاب قيصر الذي فيه انه يلهه عنه ولا يذكره واتا منتهم فدعاني
وقال متى تريد ان تخرج الى صاحبك قلت غدا فامر لي بماية مثقال ذهبا
ووصلني حاجبه بنفقة وكسوة وقال لي ذلك الحاجب اقرا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم مني السلام واخبره اني متبع دينه قال شجاع فقدمت
على النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته بما كان من الحارث فقال باد اي هلك
ملكه واقراته السلام من الحاجب واخبرته بما قال فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم صدق وفي كلام بعضهم وبعض اهل السير على ان الحارث
اسلم ولكن قال اخاف ان اظهر اسلامي يقتلني قيصر وذكر ابن هشام وغيره
ان شجاع بن وهب انما توجه الى جبلة بن الايهم ويقال انه شجاع وهب ارسل

الى الحارث والى جبلة بن الايهم وان شجاع قال له يا جبلة ان قومك نقلوا هذا
النبي الامي من داره الى دارهم يعني الانصار فاووه ومنعوه ونصروه وان
هذا الدين الذي انت عليه ليس بدين ابائك ولكنك ملكت الشام وجاورت
الروم ولو جاورت كسري دنت بدين الفرس فان اسلمت اطاعتك الشام
وهابتك الروم وان لم يفعلوا كانت لهم الدنيا وكانت لكم الاخرة وقد
كنت استبدلت المساجد بالبيع والاذان بالناقوس والجمع بالشعانين وكان
ما عند الله خير وابقى فقال ـــــ جبلة والله لوددت ان الناس اجتمعوا
على هذا النبي اجتماعهم على من خلق السموات والارض وقد سرني اجتماع
قومي له وقد دعاني قيصر الى قتال اصحابه يوم مؤته فابيت عليه ولكني
لست ارى حقا ولا باطلا وسانظر وفي كلام بعضهم انه اسلم ورد جواب
كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واعلمه باسلامه وارسل الهدية وكان
ثابتا على اسلامه لزمن عمر رضي الله عنه وانه حج في خلافته اي وفي كلام
بعضهم ولما اسلم جبلة بن الايهم في ايام عمر رضي الله عنه كتب اليه يخبره
باسلامه ويستاذنه في القدوم عليه فسر عمر رضي الله عنه بذلك واذن
له فخرج في خمسين ومائتين من اهل بيته حتى اذا قارب المدينة عمد الى اصحابه
فحملهم على الخيل وقلدها قلائد الفضة والذهب والبسها الديباج وسرق
الحرير ووضع تاجه على راسه فلم يبق بكر ولا عانس الا خرجت تنظر اليه
والى زيه وزينته فلما دخل على عمر رضي الله عنه رحب به وادنى مجلسه
واقام بالمدينة مكرما فخرج عمر حاجا فخرج معه وحين نطوف بالبيت
وطي رجل من فزارة ازاره فانحل فلطم الفزاري لطمة فهشم انفه
وكسر ثناياه اي ويقال فقا عينيه فشكي الفزاري ذلك الى عمر فاستدعاه
اي فقال له لم هشمت انفه او قال لم فقات عينه فقال يا امير المؤمنين
انه حل ازاري ولولا حرمة البيت لضربت عنقه بالسيف فقال له عمر اما
انت فقد اقررت اما ان ترضيه والا اقدته منك وفي رواية وحكم اما
بالعفو او بالقصاص فقال ـــــ جبلة فتصنع بي ماذا قال مثل ما صنعت
به وفي رواية ايقتص له مني سواء وانا ملك وهذا سوقة فقال له
عمر رضي الله عنه الاسلام سوى بينكما ولا فضل لك عليه الا بالتقوى
فقال اذن كنت وهذا الرجل سواء في الدين فانا انتصر فاخبث كنت اظن
يا امير المؤمنين اني اكون في الاسلام اعز مني في الجاهلية فقال له عمر

رضي الله عنه اذا تنصرت اضرب عنقك فقال فامهلني الليلة حتى انظر في
امري فقال ذلك الى خصمك فقال ـــــ الرجل امهلته يا امير المؤمنين
فاذن له عمر في الانصراف فركب في بني عمه وهرب الى القسطنطينية اي فقدم
على هرقل وتنصر هناك ومات على ذلك وقيل عاد الى الاسلام ومات مسلما
وكان جبلة رجلا طوالا طوله اثني عشر شبرا وكان يمسح الارض برجليه وهو
راكب فسر هرقل به وزوجه ابنته وقاسمه الملك وجعله من سماره وبنى له مدينة
بين طرابلس واللاذقية سماها جبلة باسمه يقال ان فيها قبر ابراهيم بن ادهم
وقيل المخاصمة كانت عند ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه اي فقد
ذكر بعضهم ان جبلة لم يزل مسلما حتى كان في زمن عمر بن الخطاب رضي الله
عنه فبينما هو في سوق دمشق اذ وطي رجلا من مزينة فوثب المزني فلطم
جبلة فارسله مع جماعة من قومه الى ابي عبيدة بن الجراح فقالوا هذا لطم
جبلة قال فليلطمه قالوا اما يقتل قال لا يقتل قالوا اما تقطع يده قال
لا انما امر الله بالقود فلما بلغ جبلة ذلك قال اترون اني جاعل وجهي ندا
لوجه بئس الدين هذا ثم ارتد نصرانيا وترحل بقومه حتى دخل ارض الروم
على هرقل حجة الوداع ويقال لها حجة البلاغ وحجة الاسلام لانه صلى
الله عليه وسلم ودع الناس فيها ولم يحج بعدها ولانه ذكر لهم ما يحل وما يحرم
وقال لهم هل بلغت ولانه صلى الله عليه وسلم لم يحج من المدينة غيرها قيل
لاخراج الكفار الحج عن وقته لان اهل الجاهلية كانوا يؤخرون الحج في كل
عام احد عشر يوما حتى يدور الدور الى ثلاث وثلاثين سنة فيعود الى
وقته ولذلك قال عليه الصلاة والسلام في هذه الحجة ان الزمان قد
استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض فان هذه الحجة كانت
في السنة التي عاد فيها الى وقته وكانت سنة عشر قال الجمهور فرض الحج كان
سنة ست من الهجرة اي وصححه الرافعي في باب السير وتبعه النووي وقيل
فرض سنة تسع وقيل سنة عشر انتهى وبه قال ابو حنيفة ومن ثم قال انه
على الفور وقيل فرض قبل الهجرة واستغرب خرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم يريد الحج واعلم الناس بذلك ولم يحج منذ هاجر الى المدينة غير هذه الحجة
قال ـــــ واما بعد النبوة قبل الهجرة فحج ثلاث حجات اي وقيل حجتين
وهما اللتان بايع فيهما الانصار عند العقبة وفي كلام ابن الاثير كان
صلى الله عليه وسلم يحج كل سنة قبل ان يهاجر انتهى اي وفي كلام ابن الجوزي حج

صلى الله عليه وسلم قبل النبوة وبعدها حججا لا يعلم عددها اي وكان قبل
النبوة يقف بعرفات ويفيض منها الى مزدلفة مخالفا لقريش توفيقا له
صلى الله عليه وسلم من الله تعالى فانهم كانوا لا يخرجون من الحرم فانهم قالوا
نحن بنوا ابراهيم واهل الحرم وولاة البيت وقاطنوا مكة فليس لاحد من العرب
مثلنا فلا تعظموا شيئا من الحل كما تعظمون الحرم فانكم ان فعلتم ذلك استخفت
العرب بحرمكم وقالوا قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم فليس لنا
ان نخرج من الحرم نحن الحمس فتركوا الوقوف بعرفة والافاضة منه الى
مزدلفة ويرون ذلك لسائر العرب قال بعض الصحابة لقد رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم قبل ان ينزل عليه الوحي وانه لواقف على بعير له
بعرفات مع الناس من بين قومه حتى يدفع معهم توفيقا من الله عز وجل وبعد
خروجه صلى الله عليه وسلم للحج اصاب الناس بالمدينة جدري بضم الجيم وفتح
الدال المهملة وبفتحهما او حصبة منعت كثيرا من الحج معه صلى الله عليه
ومع ذلك كان معه جموع لا يعلمها الا الله تعالى قيل كانوا اربعين الفا
وقيل كانوا سبعين الفا وقيل كانوا تسعين الفا وقيل كانوا مائة
الف واربعة عشر الفا وقيل اكثر من ذلك وقد قال صلى الله عليه
اي عند ذلك عمرة في رمضان تعدل حجة او قال حجة معي اي قال ذلك
تطييبا لخواطر من تخلف وصوب بعضهم ان هذا انما قاله صلى الله عليه
وسلم بعد رجوعه ٥ اي الى المدينة قاله لام سنان الانصارية لما قالت
لما منعك ان تكوني حججت معنا وقالت لنا ناضحان حج ابو فلان تعني
زوجها وولدها على احدهما وكان الاخر نستقي عليه ارضا لنا وقال
صلى الله عليه وسلم ذلك ايضا لغيرها من النسوة قاله لام سليم ولام
طليق ولام الهيثم ولا مانع من ان يكون قال ذلك مرتين مرة عند ذهابه
ومرة بعد رجوعه لمن ذكر وكان خروجه صلى الله عليه وسلم يوم الخميس لست
بقين من ذي القعدة اي وقيل يوم السبت لخمس بقين من ذي القعدة
٥ ورجحه بعضهم واطال في الاستدلال له وذلك سنة عشر نهارا
بعد ان ترجل وادهن وبعد ان صلى الظهر بالمدينة وصلى عصر ذلك اليوم
بذي الحليفة ركعتين وطاف تلك الليلة على نسائه اي فانهن كن معه
في الهوادج وكن تسعة ثم اغتسل ثم صلى الصبح اي والظهر ثم طيبته
عائشة رضي الله عنها بذريرة هي نوع من الطيب مجموع من اخلاط وبطيب

فيه

فيه مسك ثم احرم اي وذلك بعد ان اغتسل ٥ لاحرامه غير غسله الاول
وتجرد في ازاره وردائه اي فقد روى الشيخان انه صلى الله عليه وسلم احرم في
ازار ورداء ولم يغسل الطيب اي بل كان يرى وبيص المسك في مفارقه صلى الله
عليه وسلم اي وهو محرم في اثار ولحيته الشريفة اي فانه صلى الله عليه وسلم لبد
شعر راسه بما يلزق بعضه ببعض فلا يتشعث وعن عائشة رضي الله عنها طيبت
رسول الله صلى الله عليه وسلم لحرمه ولحله وعنها رضي الله عنها قالت كنت
اطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحرامه قبل ان يحرم ولحله قبل ان يطوف
بالبيت رواه الشيخان وعنها قالت كنت اطيب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم يطوف على نسائه ثم يصبح محرما ينضح طيبا وبه رد على ابن عمر قوله
لانه اصبح مطيبا بقطران احب الي من ان اصبح محرما انضح طيبا وبه يعلم ما قاله له
ابن عمر رضي الله عنه ما تقدم في الحديبية من امره صلى الله عليه وسلم من تطيب
قبل احرامه بغسل الطيب وتقدم ما فيه اي وصلى كما في الصحيحين عن
ابن عمر ركعتين اي قبل ان يحرم وبه يرد قول ابن القيم بنقل عنه صلى الله عليه وسلم
انه صلى الله عليه وسلم صلى للاحرام ركعتين غير فرض الظهر ٥ واهل حين
انبعثت به راحلته اي وهي في القصوى ٥ اي وهو يرد ما روي عن ابي سعيد
رضي الله عنه حج النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه مشاة من المدينة الى
مكة قد ربطوا اوساطهم ومن ثم قال ابن كثير انه حديث منكر ضعيف لانه
انما كان راكبا وبعض اصحابه مشاة ولم يحج صلى الله عليه وسلم في شيء من عمره
ماشيا واحواله صلى الله عليه وسلم اشهر من ان تخفى على الناس بل هذا الحديث
منكر شاذ لا يثبت مثله وكان صلى الله عليه وسلم على راحلة رحل رث يساوي
اربعة دراهم وفي رواية حج على رحل وقطيفة تساوي او لا تساوي اربعة
دراهم وقال اللهم اجعله حجا مبرورا لا رياء فيه ولا سمعة
وذلك عند مسجد ذي الحليفة واحرم بالحج والعمرة معا فكان قارنا قاله وقيل
احرم بالحج فقط اي فكان مفردا وقيل بالعمرة فقط اي ثم احرم بالحج بعد فراغه
من اعمال العمرة فكان متمتعا فقط اخذا من قول الصحابة وقيل اطلق احرامه
وفي كلام السهيلي اختلفت الروايات في احرامه صلى الله عليه وسلم هل كان
مفردا او قارنا او متمتعا وكلها صحاح الاسناد قال كان متمتعا واراد انه
اهل بعمرة قال الامام النووي وطريق الجمع اي بين من يقول احرم قارنا ومن
يقول احرم مفردا ومن يقول احرم متمتعا انه احرم اولا مفردا ويدل لذلك

حديث البخاري انه صلى الله عليه وسلم اهل بالحج فلما كان بالعقيق اتاه ات
من ربه فقال له صل بهذا الوادي المبارك وقل لبيك بحج وعمرة معا فصار
قارنا بعد ان كان مفردا اي بالحج ثم ادخل العمرة اي وذلك اي دخول الاضعف
وهي العمرة على الاقوى الذي هو الحج من خصائصه صلى الله عليه وسلم فصار
قارنا فمن روى القران اعتمد اخر الامرين ومنه قول سيدنا انس رضي الله
عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ـــــ لبيك عمرة وحجا
ومن روى التمتع اراد التمتع اللغوي وهو الانتفاع والارتفاق بالقران انتهى
اي بالقران المذكور الذي هو ادخال العمرة في الحج لانه يكتفي فيه بالاقتصار
على عمل واحد في النسكين اي فلا ياتي بطوافين ولا بسعيين اي وليس
مراده التمتع الحقيقي بان يحرم بالعمرة فقط ثم بعد فراغه من اعمالها احرم بالحج
كما هو حقيقة التمتع ومن ثم قال بعضهم اكثر السلف يطلقون المتعة على
القران ومن روى الافراد اعتمد اول الامر ومنه قول ـــــ ابن عمر وقد سئل عن
ذلك لبى بالحج وحده فان ابن عمر سمعه صلى الله عليه وسلم يقول لبيك بحج ولم
يسمع قوله وعمرة فلم يحك الا ما سمع وانس سمع ذلك اي مع الحج والعمرة اي فان
ابن عمر قيل له عن انس بن مالك انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يلبي بالحج والعمرة
فقال ـــــ ابن عمر لبى بالحج وحده فقيل لانس عن ابن عمر ذلك فقال
انس ما تعدونا الا صبيانا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
لبيك عمرة وحجا اي فصرح بهما جميعا وفي لفظ لرديفه لابي طلحة وان ركبتي
تمس ركبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يلبي بالحج والعمرة وذلك مثبت
لما قاله ابن عمر وزائد عليه فليس منافضا له اي ودليل من قال انه احرم
مطلقا ما رواه امامنا الشافعي رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم خرج
هو واصحابه مهلين اي محرمين احراما مطلقا ينتظرون القضاء اي نزول
الوحي لتعيين ما يصرفون حرامهم المطلق اليه اي بافراد او تمتع او قران
اي فجاءه صلى الله عليه وسلم الوحي ان يامر صلى الله عليه وسلم من لا هدي معه
ان يجعل احرامه عمرة فيكون متمتعا ومن معه هدي ان يجعله حجا اي فيكون
مفردا لان من معه هدي افضل لمن لا هدي معه والحج افضل من العمرة
ويدل لكون الصحابة اطلقوا احرامهم ما رواه الشيخان عن عائشة
خرجنا نلبي لا نذكر حجا ولا عمرة لكن اجيب عن ذلك بانهم لا يذكرون
ذلك مع التلبية وان كانوا سموه حال الاحرام وهذا وفي مسلم عن عائشة

رضي الله عنها قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من اراد منكم ان
يهل بحج وعمرة فليفعل ومن اراد ان يهل بعمرة فليفعل فلينظر الجمع بين هذا وما
قبله وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال لهم من لم يكن معه هدي واحب ان يجعلها
عمرة فليفعل ومن كان معه هدي فلا اي فلا يجعلها عمرة بل يجعل احرامه حجا
ولم يذكر القران وجاء في بعض الطرق انه صلى الله عليه وسلم امر من كان معه هدي
ان يحرم بالحج والعمرة معا وفي بعض الروايات خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
من المدينة لا يسمي حجا ولا عمرة ينتظر القضاء فنزل عليه القضاء وهو بين
الصفا والمروة فامر اصحابه من كان منهم اهل بالحج ولم يكن معه هدي ان
يجعله عمرة وفي الهدي الصواب انه صلى الله عليه وسلم احرم بالحج والعمرة
معا من حيث انشاء الاحرام فهو قارن ولم يحل حتى حل منهما جميعا وطاف لهما
طوافا واحدا وسعيا واحدا كما دلت عليه النصوص المستفيضة التي لا
تواترت تواترا يعلمه اهل الحديث وما ورد انه صلى الله عليه وسلم طاف طوافين
وسعى سعيين لم يصح قال ـــــ وغلط من قال لبى بالحج وحده ثم ادخل
عليه العمرة اي الذي تقدم في الجمع بين الروايات عن النووي ومن قال
لبى بالعمرة ثم ادخل عليها الحج هذا لم يتقدم ومن قال احرم احراما مطلقا
لم يعين فيه نسكا ثم عينه بعد احرامه اي وهو ما تقدم عن امامنا الشافعي
رضي الله عنه ومن قال افرد الحج اراد به انه اتى باعمال الحج ولم يفرد العمرة
اعمالا ومن هذا يحمل ما في بعض الروايات وافرد رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحج ولم يعتمر على ان بعض الحفاظ قال انه حديث غريب جدا وفيه نكارة
شديدة ثم لبى رسول الله صلى الله عليه وسلم اي بعد ان استقبل القبلة
ه فقال ـــــ لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد
والنعمة لك والملك لا شريك لك وروي انه صلى الله عليه وسلم زاد في ذلك
لبيك اله الخلق لبيك اي وروي انه زاد لبيك حقا تعبدا ورقا في تلبيته
المذكورة والناس معه صلى الله عليه وسلم يزيدون فيها وينقصون لم ينكر عليهم
وبه استدل ائمتنا على عدم كراهية الزيادة على التلبية المشهورة المتقدمة
فكان ابن عمر يزيد فيها لبيك لبيك وسعديك والخير في يديك لبيك والرغبا
اليك والعمل واتاه صلى الله عليه وسلم جبريل وامره ان يامر اصحابه ان يرفعوا
اصواتهم بالتلبية فعن زيد بن خالد الجهني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال جاءني جبريل فقال مر اصحابك فليرفعوا اصواتهم بالتلبية فانها من

شعاير الحج اي واستعمل على المدينة ابا دجانة رضي الله عنه وقيل سباع بن
عرفطة ٥ وولدت اسماء بنت عميس زوج ابي بكر رضي الله عنهما ولدها محمد بن
ابي بكر رضي الله عنه في ذي الحليفة وارسلت اليه صلى الله عليه وسلم ان
تغتسل وتستثفر اي بخرقة عريضة اي بعد ان تحتشي بنحو قطن وتربط طرفا
تلك الخرقة في شي تشده في وسطها لتمتنع بذلك سيلان الدم كما تفعل الحائض
وتحرم ثم حاضت سيدتنا عائشة رضي الله عنها اي في اثنا الطريق بمحل
يقال له سرف بكسر الراء وكانت قد احرمت بعمرة ففي البخاري انها قالت
وكنت فيمن اهل بعمرة فامرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تغتسل وتدخل
الحج على العمرة اقول ______ وقد جا انها رضي الله عنها قالت دخل
علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابكي فقال ما لك يا عائشة وفي لفظ
ما يبكيك يا هنتاه لعلك نفست اي حضت قلت نعم والله لوددت
اني لم اخرج عامي هذا في هذا السفر فقال صلى الله عليه وسلم لا تقولين
ذلك فهذا شي كتبه الله على بنات ادم اي واستدل البخاري بهذا
على ان الحيض كان في جميع بنات ادم وانكر به على من قال ان الحيض اول ما وقع
في بني اسرايل وفي لفظ قال صلى الله عليه وسلم ما شانك قلت لا اصلي
قال لا يضير عليك انما انت امراة من بنات ادم كتب الله عليك ما كتب
عليهن اهلي بالحج وفي رواية ارفض عمرتك اي لا تستمري في بقية اعمالها
واحرمي بالحج فانك تقضين كما يقضي الحاج اي تفعلين كما يفعل
الحاج وانت حايض الا انك لا تطوفين بالبيت ففعلت ذلك اي
ادخلت الحج على العمرة ووقفت المواقف فوقفت بعرفة وهي حايض
حتى اذا طهرت اي وذلك يوم النحر وقيل عشية عرفة طافت بالبيت
وبالصفا والمروة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حللت من
حجك وعمرتك جميعا وذكر بعضهم ان في هذه الحجة كان جمل عائشة سريع
المشي مع خفة حمل عائشة وكان جمل صفية بطي المشي مع ثقل حملها فصار
يتاخر الركب بسبب ذلك فامر صلى الله عليه وسلم ان يجعل حمل صفية
على جمل عائشة وحمل عائشة على جمل صفية فجاء صلى الله عليه وسلم لعائشة
رضي الله عنها يستعطف خاطرها فقال يا ام المومنين يا ام عبد الله حملك
خفيف وجملك سريع وجمل صفية ثقيل وحملها بطي فابطى ذلك بالركب
فنقلنا حملك على جملها وحملها على جملك ليسير الركب فقالت له انك

ترعم

ترعم انك رسول الله فقال ______ صلى الله عليه وسلم افي شك انت انا
رسول الله انت يا ام عبد الله قالت فما لك لا تعدل قالت وكان ابو بكر رضي
الله عنه فيه حدة فلطمني على وجهي ولامه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
اما سمعت ما قالت فقال دعها فان المراة الغيرا لا تعرف اعلا الوادي من
اسفله قال ولما نزلوا بمحل يقال له العرج فقد البعير الذي عليه زاملته
صلى الله عليه وسلم وزاملة ابي بكر اي زادهم وكان ذلك البعير مع غلام
لابي بكر فقال ابو بكر للغلام اين بعيرك قال ضللته البارحة فقال ابو
بكر وقد اعتراه حدة بعير واحد تضله واخذ يضربه بالسوط ورسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول انظروا الى هذا المحرم ما يصنع ويتبسم لا يزيد
على ذلك فلما بلغ بعض الصحابة ان زاملة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
ضلت جا بحيس ووضعه بين يديه صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه
وسلم لابي بكر هون عليك يا ابا بكر فان الامر ليس
لك ولا الينا وقد كان الغلام حريصا على ان لا يضل بعيره وهذا خلف طيب
فقد جا الله به ثم وجد خلف ما كان معه فاكل صلى الله عليه وسلم وابو بكر ومن
كان ياكل معهما حتى شبعوا فاقبل صفوان ابن المعطل رضي الله عنه وكان
على ساقة القوم هذا كان شانه كما تقدم في قصة الافك والبعير معه
وعليه الزاملة حتى اناخه على باب منزله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لابي بكر انظر هل تفقد شيئا من متاعك فقال ما فقدت
شيئا الا قعبا كنا نشرب فيه فقال ______ الغلام هذا القعب معي ولما
بلغ سعد بن عبادة وابنه قيس ان زاملته صلى الله عليه وسلم ضلت جا بزاملة
وقال اي كل واحد منهما يا رسول الله بلغنا ان زاملتك ضلت الغداة
وهذه زاملة مكانها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء الله
بزاملتنا فارجعا بزاملتكما بارك الله لكما انتهى ثم نزل صلى الله عليه وسلم
بذي طوى فبات بها تلك الليلة وصلى بها الصبح اي بعد ان اغتسل
٥ اي ثم سار ونزل بالمسلمين ظاهر مكة ودخل مكة نهارا اي وقت
الضحى ٥ من الثنية العليا التي هي ثنية كدا بفتح الكاف والمد قال ابو
عبيد لا يصرف وهي التي ينزل منها الى الصلاة مقبرة مكة وهي التي يقال
لها الان الحجون التي دخل صلى الله عليه وسلم منها يوم فتح مكة كما تقدم ودخل
المسجد الحرام صبحا من باب عبد مناف وهو باب بني شيبة المعروف

الا بباب السلام وكان صلى الله عليه وسلم اذا ابصر البيت قال اللهم زد
هذا البيت تشريفا وتعظيما ومهابة وبرا وزد من شرفه وكرمه ممن حجه او اعتمره
تشريفا وتكريما وتعظيما وبرا وفي مسند امامنا الشافعي رضي الله عنه انا
سعيد بن سالم عن ابن جريج ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا راى البيت
رفع يديه وقال اللهم زد هذا البيت الخ وفي رواية كان صلى الله
عليه وسلم اذا دخل مكة فراى البيت رفع يديه وكبر وقال اللهم انت السلام
ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام اللهم زد هذا البيت الخ وعند دخول المسجد
طاف بالبيت سبعا ماشيا فعن جابر بن عبد الله قال دخلنا مكة عند ارتفاع
الشمس فاتى النبي صلى الله عليه وسلم باب المسجد فاناخ راحلته ثم دخل المسجد
فبدا بالحجر الاسود فاستلمه وفاضت عيناه بالبكا ثم رمل ثلاثا ومشى اربعا فلما فرغ
قبل الحجر ووضع يديه عليه ومسح بهما وجهه رواه البيهقي في السنن الكبرى باسناد
جيد وتبيك طاف صلى الله عليه وسلم على راحلته الجذعا اي لانه رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم مكة وهو يشتكي فطاف على راحلته
فلما اتى على الركن استلمه بمحجن فلما فرغ من طوافه اناخ فصلى ركعتين رواه
ابو داود ورد بان هذا الحديث تفرد به يزيد بن ابي زياد وهو ضعيف على
ان ابن عباس لم يذكر ان ذلك كان في حجة الوداع ولا في الطواف الاول من
طوفاته الثلاثة التي هي طواف القدوم وطواف الافاضة وطواف
الوداع فينبغي ان يكون ذلك في غير الطواف الاول بان يكون في طواف
الافاضة او طواف الوداع فلا ينافي ما تقدم عن جابر ولا ما في مسلم
عنه انه قال طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع على
راحلته بالبيت لتراه الناس فيسالوه وقوله رمل في ثلاث منها اي
اسرع المشي مع تقارب الخطا ومشى اي على هينته في اربع يستلم الركن
اليماني والحجر الاسود في كل طوفة وابتدا الرمل كان في عمرة القضاء لما
قال المشركون غدا يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حمى يثرب فامرهم صلى
الله عليه وسلم بذلك ليرى المشركون جلدهم ومن ثم قال بعضهم لبعض هؤلاء
الذين زعمتم ان الحمى قد وهنتهم هؤلاء اجلد من كذا وكذا كما تقدم
فلما كانت هذه الحجة فعلوا كذلك فصار سنة قال وثبت انه صلى الله
عليه وسلم قبل الحجر الاسود وثبت انه استلمه بيده ثم قبلها وثبت استلمه
بمحجنه فقبل المحجن ولم يثبت انه قبل الركن اليماني ولا قبل يده حين استلمه

انتهى

انتهى وعند امامنا الشافعي رضي الله عنه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال
استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجر فاستلمه ثم وضع شفتيه عليه طويلا
وكان اذا استلم الحجر قال بسم الله والله اكبر وقال بينهما اي بين الركن اليماني
والحجر ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار ولم
يثبت عنه صلى الله عليه وسلم شيء من الاذكار في غير هذا المحل حول الكعبة
ولم يستلم الركنين المقابلين للحجر لانهما ليسا على قواعد ابرهيم وقال
لعمر رضي الله عنه انك رجل قوي لا تزاحم على الحجر اي الاسود تؤذي الضعيف
ان وجدت خلوة فاستلمه والا فاستقبله وهلل وكبر ه واخذ منه بعض
فقهائنا ان من شق عليه استلام الحجر يسن له ان يهلل ويكبر ثم بعد الطواف
صلى ركعتين عند مقام سيدنا ابرهيم عليه الصلاة والسلام وجعل
المقام لانه هو المراد خلف المقام فقرا فيهما مع ام القران قل يا ايها الكافرون
وقل هو الله احد ودخل زمزم فنزع له دلو فشرب منه ثم مج فيه ثم افرغها
في زمزم قال لولا ان الناس يتخذون نسكا لنزعت اي وتقدم في فتح مكة انه
صلى الله عليه وسلم قال لولا ان تغلب بنو عبد المطلب لانتزعت منها دلوا
وانتزع له العباس رضي الله عنه دلوا ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى الحجر
الاسود فاستلمه ثم خرج الى الصفا وقرا ان الصفا والمروة من شعائر
الله ابدا بما بدا الله به فسعى بين الصفا والمروة سبعا راكبا على بعيره
وعن امامنا الشافعي رضي الله عنه ان سعيه الذي طاف لقدومه كان
على قدميه لا على بعيره اي فذكر البعير في هذا السعي غلط من بعض الرواة
ثم رايت بعضهم قال بعض الروايات عن جابر وغيره يدل على انه كان ماشيا
بين الصفا والمروة ولعل بين الصفا والمروة مدرجة او انه عليه السلام
سعى بين الصفا والمروة بعض المرات على قدميه فلما ازدحم الناس عليه صلى
الله عليه وسلم ركب في الباقي ويدل لذلك انه قيل لابن عباس رضي الله عنهما
ان قومك يزعمون ان السعي بين الصفا والمروة راكبا سنة فقال صدقوا
وكذبوا فقيل كيف صدقوا وكذبوا فقال صدقوا في ان السعي سنة وكذبوا
في ان الركوب سنة فان السنة المشي فان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مشى في السعي فلما كثر عليه الناس يقولون هذا محمد هذا محمد حتى خرج
العواتق من البيوت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تضرب الناس
بين يديه فلما كثر عليه الناس ركب اي وبهذا يحصل الجمع بين الاحاديث

الدالة على انه صلى الله عليه وسلم مشى في السعي بين الصفا والمروة والاحاديث
الدالة على انه ركب فيه وصار صلى الله عليه وسلم يخب ثلاثا ويمشي اربعا ويرقى
الصفا ويستقبل الكعبة ويوحد الله ويكبره ويقول لا اله الا الله والله
اكبر لا اله الا الله وحده انجز وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده اي من غير
قتال ثم يفعل على المروة مثل ذلك واعترض بان كونه صلى الله عليه وسلم كان
يخب ثلاثا ويمشي اربعا كان في الطواف بالبيت لا في السعي بين الصفا والمروة
ومنها السياق يقتضي انه صلى الله عليه وسلم سعى بعد طواف القدوم وقد
جاء انه صلى الله عليه وسلم حج فاول شيء بدا به حين قدم مكة انه توضا ثم طاف
بالبيت ولم يذكر السعي اي وفي مسلم في سبب نزول قوله تعالى ان الصفا
والمروة من شعائر الله ان المهاجرين في الجاهلية كانوا يهلون لصنمين على
شط البحر يقال لهما اساف ونائلة ثم يجيئون فيطوفون بين الصفا
والمروة فلما جاء الاسلام كرهوا ان يطوفوا بين الصفا والمروة يريد ان
ذلك من امر الجاهلية فانزل الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله
وقيل ان سبب نزولها ان الانصار كانوا في الجاهلية يهلون لمناة وكان
من احرم بمناة لا يطوف بين الصفا والمروة وانهم سالوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن ذلك حين اسلموا فانزل الله تعالى ان الصفا والمروة
من شعائر الله الاية ثم امر صلى الله عليه وسلم من لا هدي معه بالاحلال
اي ان لم يكن احرم بالعمرة بان لم من لا هدي معه يحرم بالعمرة فاحرم
بالحج قارنا او مفردا قال السهيلي ولم يكن ساق الهدي معه من اصحابه
الا طلحة بن عبيد الله وكذا علي رضي الله عنه جاء من اليمن وقد ساق
الهدي ويأتي ما فيه اي وامره صلى الله عليه وسلم من ذكر بالاحلال كان
بعد الحلق او التقصير لانه اتى بعمل العمرة فحل له كل ما حرم على المحرم
من وطي النساء والطيب والمخيط وان يبقى كذلك الى يوم التروية الذي
هو يوم الثامن من ذي الحجة يهل اي يحرم بالحج وقيل له يوم التروية لانهم
كانوا يتروون فيه الماء ويحملونه معهم في ذهابهم من مكة الى عرفات لعدم
وجدان الماء بها في ذلك الزمن وامر من معه الهدي ان يبقى على احرامه
اي بالحج قارنا او مفردا حتى قال بعضهم لو استقبلت من امري ما استدبرت
ما سقت الهدي اقول ـــــ ويروى ان القائل لذلك هو النبي صلى الله
عليه وسلم فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم لما اخر

سعيه

سعيه قال لو اني استقبلت من امري ما استدبرت لم اسق الهدي وجعلتها
عمرة قال ذلك جوابا لقول بلغه عن جمع من الصحابة فنطلق الى منى وذكر
احدنا يقطر اي لفظ وفرجه يقطر منيا اي قد جامع النساء اي وفيه انهم
لا ينطلقون الى منى الا بعد الاحرام بالحج لانهم يحرمون من مكة الا ان يقال
مرادهم انا كيف نجامع النساء بعد احرامنا بالحج وكيف نجعلها عمرة بعد
الاحرام بالحج كما سياتي في بعض الروايات وعن عائشة رضي الله عنها
قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غضبان فقلت من
اغضبك يا رسول الله ادخله الله النار فقال او ما شعرت اني امرت الناس بامر
فاذا هم يترددون وقوله صلى الله عليه وسلم لو استقبلت الخ تاسف على
فوات امر من امور الدين ومصالح الشرع كذا قال الامام احمد لانه يرى ان
التمتع افضل وانما تاسف لكونه يشق على اصحابه في ابقائه صلى الله
عليه وسلم على احرامه وامره لهم بالاحلال وقوله صلى الله عليه وسلم في
الحديث الصحيح لو تفتح عمل الشيطان محمول على التاسف على فوات حظ
من حظوظ الدنيا فلا مخالفة ويروى انه صلى الله عليه وسلم لما بلغته
تلك المقالة قام خطيبا فحمد الله فقال اما بعد فتعلمون ايها الناس
لانا والله اعلمكم بالله واتقاكم له ولو استقبلت من امري ما استدبرت
ما سقت هديا ولاحللت وفي رواية قالوا كيف نجعلها عمرة وقد سمينا
الحج فقال افعلوا ما امرتكم به واجعلوا اهلالكم بالحج عمرة فلولا اني
سقت الهدي لفعلت مثل الذي امرتكم ففعلوا واحلوا فنسخوا الحج
الى العمرة وكان من جملة من ساق الهدي ابو بكر وعمر وطلحة وعلي رضي الله
عنهم اجمعين اي فان عليا رضي الله عنه قدم الى مكة من اليمن ومعه
هدي وعن جابر رضي الله عنه لم يكن احد معه هدي غير النبي صلى الله
عليه وسلم وطلحة ه وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لعلي رضي الله عنه انطلق فطف بالبيت وحل كما حل اصحابك فقال
يا رسول الله اهللت كما اهللت فقال له ارجع فاحل كما احل اصحابك قال
يا رسول الله اني قلت حين احرمنا اللهم اني اهل بما اهل به نبيك وعبدك
ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم فقال فهل معك من هدي قال لا فاشركه رسول
الله صلى الله عليه وسلم في هديه وثبت على احرامه ومنها صريح في ان احرامه صلى
الله عليه وسلم كان بالحج وفي الجمع بين رواية ان عليا قدم من اليمن ومعه هدي

وبرواية انه لم يكن معه هدي بان الهدي تاخر مجيئه بعده لانه تعجل الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم واستخلف في الجيش رجلا من اصحابه وتوفيق ذلك
قول بعضهم كان الهدي الذي قدم به علي رضي الله عنه
من اليمن والذي اتى به النبي صلى الله عليه وسلم مائة اي والا فالذي اتى به
صلى الله عليه وسلم ثلاثة وستين بدنة والذي قدم من اليمن لعلي كان
سبعة وثلاثين بدنة ولا يخالف ذلك اشراكه صلى الله عليه وسلم لعلي في
ذلك لاحتمال تلف ذلك الهدي وعدم مجيئه وفي البخاري لما قدم
علي من اليمن قال له بما اهللت يا علي قال بما اهل به النبي صلى الله عليه وسلم
قال فاهد وامكث حراما كما انت اي فانه صلى الله عليه وسلم كان ارسل خالد بن
الوليد الى اليمن لهمدان يدعوهم الى الاسلام قال البراء فكنت فيمن خرج مع
خالد فاقمنا ستة اشهر يدعوهم الى الاسلام فلم يجيبوا ثم ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعث علي بن ابي طالب فامره ان يقفل خالد بن الوليد ويكون
مكانه وقال مر اصحاب خالد من شاء منهم ان يعقب معك
فليعقب ومن شاء فليقفل فكنت ممن اعقب مع علي فلما دنونا من القوم خرجوا
الينا وصلى بنا علي ثم صفنا صفا واحدا ثم تقدم بين ايدينا وقرا عليهم
كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلمت همدان جميعا فكتب علي الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم باسلامهم فلما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم
الكتاب خر ساجدا ثم رفع راسه فقال السلام على همدان السلام على همدان
وكان من جملة من لم يسق الهدي ابو موسى الاشعري رضي الله عنه اي فانه
لما قدم من اليمن قال له بم اهللت قال اهللت كاهلال النبي صلى الله عليه
وسلم قال له هل من هدي قال فقلت لا فامرني فطفت بالبيت والصفا
والمروة وفي رواية الشيخين عن ابي موسى انه صلى الله عليه وسلم قال له بم
اهللت فقلت لبيك باهلال كاهلال النبي صلى الله عليه وسلم قال فقد
احسنت طف بالبيت وبالصفا والمروة واحل اي بعد الحلق والتقصير وفيه
انه صلى الله عليه وسلم كان محرما بالحج فقط او مع العمرة الا ان يقال يجوز لابي
موسى النسخ من الحج الى العمرة كما فعل ذلك مع غيره من الصحابة الذين احرموا بالحج
ولا هدي معهم ومن جملة من لم يسق الهدي امهات المومنين فاحللن اي لانهن
احرمن احراما مطلقا ثم صرفنه للعمرة او احرمن متمتعات اي بالعمرة الا عائشة
رضي الله تعالى عنها فانها لم تحل اي لانها ادخلت الحج على العمرة كما تقدم لما اخذ

سيدتنا

سيدتنا فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم اي لانه لم يكن معهما هدي ه واسماء
بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما وشكى علي رضي الله تعالى عنه فاطمة رضي
الله تعالى عنها للنبي صلى الله عليه وسلم اذ احلت اي فانه وجدها لبست صبيغا
واكتحلت فانكر عليها فقالت امرني اي بذلك فذهب الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم محرشا له عليها رضي الله عنها ه فصدقها عليه الصلاة والسلام
في انه امرها بذلك اي فانه قال له صدقت صدقت صدقت انا امرتها
بذلك يا علي ه وسال سراقة بن مالك رضي الله عنه فقال يا رسول
متعتنا هذه لعامنا هذا ام للابد فشبك عليه الصلاة والسلام
اصابعه فقال بل للابد الابد دخلت العمرة في الحج هكذا الى يوم القيامة
اي وفي رواية فشبك اصابعه صلى الله عليه وسلم واحدة في اخرى وقال
دخلت العمرة في الحج هكذا مرتين بل لابد ابد بالاضافة اي لاخر الدهر
وهذا الجواب بقوله دخلت العمرة في الحج يدل على انه مراد السائل بالتمتع
القران لا حقيقته الذي هو الاحرام بالحج بعد الفراغ من افعال العمرة لكن قول
بعضهم لما كان اخر سعيهم صلى الله عليه وسلم على المروة قال لو اني استقبلت
من امري ما استدبرت لم اسق الهدي وجعلتها عمرة فمن كان منكم ليس معه
هدي فليحل وليجعلها عمرة فقام سراقة فقال يا رسول الله العامنا هذا
ام للابد الحديث يدل على ان مراده بالتمتع حقيقته لكن لا يحسن الجواب
بقوله دخلت العمرة في الحج الا ان يقال المراد حصلت العمرة مع الاحرام
بالحج لقلب الاحرام بالحج الى العمرة لا بهذا كما يدل عليه انه امر من احرم بالحج
ممن لا هدي معه ان يقلب احرامه عمرة واجاب عنه ائمتنا بان ذلك
اي فسخ الحج للعمرة كان من خصائص الصحابة في تلك السنة ليخالفوا
ما كان عليه الجاهلية من تحريم العمرة في اشهر الحج ويقولون انه من افجر
الفجور وبهذا قال ابو حنيفة ومالك وامامنا الشافعي وجماهير العلماء
من السلف والخلف وفي مسلم عن ابي ذر لم يكن فسخ الحج الى العمرة الا لاصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم وخالف احمد وطائفة من اهل الظاهر فقالوا هذا
ليس خاصا بالصحابة في تلك السنة بل باق اي لكل احد الى يوم القيامة
فيجوز لكل من احرم بالحج وليس معه هدي ان يقلب احرامه عمرة ويتحلل
باعمالها وبعضهم قال ان قول سراقة معناه ان جواز العمرة في اشهر الحج
خاصة بهذه السنة او جائزة الى يوم القيامة وفيه انه لا يحسن الجواب

عنه بما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم دخلت العمرة في الحج ثم نهض رسول
الله صلى الله عليه وسلم ونهض معه الناس يوم التروية الذي هو اليوم الثامن
الى منى واحرم بالحج كل من كان احل فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر بمنى
والعصر والمغرب والعشاء وبات بها تلك الليلة اي وكانت ليلة الجمعة
وصلى بها الصبح ثم نهض بعد طلوع الشمس الى عرفة وامر صلى الله عليه وسلم
الذي يضرب له قبة من شعر بنمرة فاتى عليه السلام عرفة ونزل في تلك
القبة حتى اذا زالت الشمس امر بناقته القصوى بفتح القاف والمد وقيل
بضم القاف والقصر وهو خطأ، وفي كلام الاصل ان القصوى والعضبا
والجدعا اسم لناقة واحدة وفيه ما لا يخفى اتى بطن الوادي على
راحلته خطبة ذكر فيها تحريم الدما والاموال والاعراض ووضع ربا الجاهلية فخطب
واول ربا وضعه ربا عمه العباس رضي الله عنه ووضع الدما في الجاهلية
واول دم وضعه دم ابن عمه ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب قتلته هذيل
فقال ــــــــ هو اول دم ابدا به من دما الجاهلية موضوع ولا يطالب
به في الاسلام واوصى بالنساء خيرا واباح ضربهن غير المبرح اذا اتين بما لا يحل
وقضى لهن بالرزق والكسوة بالمعروف على ازواجهن وامر صلى الله عليه
وسلم بالاعتصام بعده بكتاب الله عز وجل اي وبسنة رسوله صلى
الله عليه وسلم واخبر انه لا يضل من اعتصم به واشهد الله عز وجل على
الناس انه قد بلغهم ما يلزمهم فاعترف الناس بذلك وامر ان يبلغ ذلك الشاهد
الغايب ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم ان دماكم واموالكم حرام عليكم كحرمة
يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا الا كل شي من امر الجاهلية تحت
قدمي موضوع وربا الجاهلية موضوع واول ربا اضع ربا العباس بن عبد
المطلب فاتقوا الله في النساء فانكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم
فروجهن بكلمة الله لهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وانتم تسالون
عني فما انتم قايلون قالوا نشهد انك قد بلغت واديت ونصحت فقال
باصبعه السبابة يرفعها الى السماء وينكتها الى الناس اللهم فاشهد ثلاث
مرات وجا انه صلى الله عليه وسلم امر مناديا ينادي بكلما قاله من ذلك
وهو اي ربيعة بن امية بن خلف اخو صفوان بن امية وكان صيتا وصار
صلى الله عليه وسلم يقول له يا ربيعة قل يا ايها الناس ان رسول الله يقول
كذا لما تقدم فيصرح به وهو واقف تحت يد ناقة رسول الله صلى الله عليه

وسلم وربيعة هذا ارتد زمن عمر رضي الله عنه فانه شرب الخمر فهرب منه الى
الشام ثم هرب الى قيصر فتنصر ومات عنده وعن عبد الرحمن بن عوف رضي
الله عنه انه طاف ليلة هو وعمر رضي الله عنهما للحرس بالمدينة فرا نورا
في بيت فانطلقوا يومونه فاذا باب مجاف على قوم لهم فيه اصوات مرتفعة
ولغط فقال ــــــــ عمر لعبد الرحمن اتدري بيت من هذا قال لا قال
هذا بيت ربيعة بن امية وهم الان شرب فما ترى فقال ارى انا اتينا ما نهى الله
عنه ولا تجسسوا فانصرفوا ثم ان عمر غرب ربيعة الى خيبر وكان ما تقدم
وقد راي ربيعة قبل ذلك في المنام كانه في ارض معشبة مخصبة وخرج
منها الى ارض مجدبة كالحة وراي ان ابا بكر رضي الله عنه في جامعة من
حديد عند سرير الى الحشر فقص ذلك على ابي بكر رضي الله عنه فقال
له ان صدقت رؤياك تخرج من الايمان الى الكفر واما انا فان ذلك ديني جمع
لي في اشد الاشيا الى يوم الحشر وبعثت الى النبي صلى الله عليه وسلم ام الفضل
زوجة عمه العباس ام عبد الله بن عباس رضي الله عنهم لبنا في قدح فشربه
امام الناس فعلموا انه صلى الله عليه وسلم لم يكن صايما ذلك اليوم الذي
هو اليوم التاسع اي لانهم تماروا عندها في صيامه صلى الله عليه وسلم
ذلك اليوم الذي هو يوم عرفة وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه نهى عن صوم يوم عرفة بعرفة اي وبهذا استدل
ايمتنا على انه لا يستحب للحاج صوم يوم عرفة الذي هو التاسع من ذي
الحجة فلما اتم صلى الله عليه وسلم خطبته امر بلالا فاذن ثم اقام فصلى الظهر
ثم اقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيا فصلاهما مجموعتين في وقت
الظهر باذان واحد واقامتين اي لانه صلى الله عليه وسلم لم يقم بمكة اقامة
تقطع السفر لانه دخلها في اليوم الرابع وخرج يوم الثامن فقد صلى بها
احدى وعشرين صلاة من اول ظهر يوم الرابع الى عصر الثامن يقصر تلك
الصلوات فالجمع للسفر كما يقول ايمتنا كالجمهور لا للنسك كما يقول غيرهم
اقول ــــــــ وفيه انه فهم مما ذكروا انه صلى الله عليه وسلم لم يصل الجمعة
في حجة الوداع مع عزمه على الاقامة ايام تقطع السفر لعدم استيطانه
ويرد بانه من اين انه صلى الله عليه وسلم عزم على الاقامة بمكة المدة التي تقطع
السفر هذه دعوى تحتاج الى دليل وايضا عزمه صلى الله عليه وسلم على
ذلك انما هو بعد عوده الى مكة بعد فراغه من الوقوف والرمي ولا ينقطع

سفره الا بوصوله الي مكة والاولي اسند لان فقهائنا علي وجوب الاستيطان
في اقامة الجمعة انهم غير مسافرين لعدم استيطانهم لمحل فاذ يتاليه
امامنا رضي الله عنه انا الجمع للسفر لا للنسك في محاله وقد رايت ان مالكا
رضي الله عنه سال ابا يوسف وقد كان حج مع هارون الرشيد وذلك بحضرة
الرشيد فقال له ما تقول في صلاة النبي صلي الله عليه وسلم بعرفات يوم
الجمعة اصلي ظهرا مقصورا فقال ابو يوسف صلي جمعة لانه خطب لها قبل الصلاة
فقال مالك اخطات لانه لو وقف يوما لسبت لخطب قبل الصلاة فقال
له ما تقول في صلاة النبي صلي الله عليه وسلم بعرفات يوم الجمعة اصلي جمعة
ام صلي ظهرا مقصورة فقال ابو يوسف صلي جمعة لانه خطب لها قبل الصلاة
فقال مالك اخطات لانه لو وقف يوما لسبت لخطب صلي الظهر مقصورة
لانه اسر بالقراءة فصوبه هارون في احتجاجه علي ابي يوسف والله اعلم
ثم ركب صلي الله عليه وسلم راحلته الي ان اتي الموقف فاستقبل القبلة
ولم يزل واقفا للدعاء من الزوال للغروب وفي الحديث افضل الدعاء
يوم عرفة وافضل ما قلت انا والنبيون من قبلي اي في يوم عرفة كما في
بعض الروايات لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو علي
كل شيء قدير وجاء ان من جملة دعائه صلي الله عليه وسلم في ذلك اليوم اللهم
اني اعوذ بك من عذاب القبر ومن وسوسة الصدر ومن شتات الامر ومن
شر كل ذي شر وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان فيما دعي به رسول
الله صلي الله عليه وسلم في حجة الوداع اللهم انك تسمع كلامي وتري
مكاني وتعلم سري وعلانيتي لا يخفي عليك شيء من امري انا البايس
الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المقر المعترف بذنبه اسالك
مسئلة المسكين وابتهل اليك ابتهال المذنب الذليل وادعوك دعاء
الخايف الضرير من خضعت لك رقبته وفاضت لك عبرته وذل جسده
ورغم لك انفه اللهم لا تجعلني بدعايك رب شقيا وكن بي رؤوفا رحيما
يا خير المسئولين ويا خير المعطين واستمر كذلك حتي غربت الشمس وذهبت
الصفرة اي وخطب صلي الله عليه وسلم علي ناقته في ذلك المحل فعن
شهر بن حوشب عن عمرو بن خارجة قال بعثني عتاب بن اسيد الي رسول الله
صلي الله عليه وسلم في حاجة ورسول الله صلي الله عليه وسلم واقف بعرفة
فبلغته ثم وقفت تحت ناقة رسول الله صلي الله عليه وسلم وان لعابها ليقع

علي راسي فسمعته يقول ايها الناس ان الله قد ادي الي كل ذي حق حقه وانه لا يجوز
وصية لوارث والولد للفراش وللعاهر الحجر ومن ادعي الي غير ابيه او تولي غير
مواليه فعليه لعنة الله والملايكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا
ولا عدلا وجاءه صلي الله عليه وسلم جماعة من نجد فسالوه كيف الحج فامر مناديا
ينادي الحج عرفة من جاء ليلة جمع اي المزدلفة قبل طلوع الفجر فقد ادرك الحج
وجمع بفتح الجيم وسكون الميم ايام مني ثلاثة فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه
ومن تاخر فلا اثم عليه اي وقال صلي الله عليه وسلم وقفت
هنا وكل عرفة موقف زاد مالك في الموطا وارفعوا عن بطن عرنة وفي كلام
بعضهم نزلت اليوم اكملت لكم دينكم يوم الجمعة بعد العصر والنبي صلي الله
عليه وسلم واقف بعرفات علي ناقته العضبا فكاد عضد الناقة يندق
من ثقل الوحي قال ابن عباس رضي الله عنهما اتفق ذلك اليوم اربعة
اعياد عيد للمسلمين وهو يوم الجمعة وعيد لليهود وعيد للنصاري
وعيد للمجوس ولم يجتمع اعياد لاهل الملل في يوم قبله ولا بعده ولما
نزلت بكي عمر رضي الله عنه فقال له النبي صلي الله عليه وسلم ما يبكيك
يا عمر فقال ابكاني انا كنا في زيادة اما اذا كمل فانه لم يكمل شيء الا نقص
قال صدقت فكانت هذه الاية نعي رسول الله صلي الله عليه وسلم
فانه لم يعش بعدها الا ثلاثة اشهر وثلاثة ايام ولم ينزل بعدها شيء
من الاحكام ثم اردف صلي الله عليه وسلم اسامة بن زيد خلفه ودفع الي
مزدلفة وقد ضم زمام راحلته القصوا التي خطب عليها في نمرة حتي
ان راسها ليصيب طرف رحله يسير العنق فاذا وجد فجوة سار
النص وهو فوق العنق يامر الناس بالسكينة في السير فلما كان في
الطريق عند الشعب الايسر نزل فيه فبال ثم توضا وضوءا خفيفا ثم ركب
حتي اتي المزدلفة اي التي هي جمع اي وتقدم ان وقوفه بعرفات وانتهاءه
الي مزدلفة قبل ان يبعث كان مخالفا في ذلك لقومه وصلي المغرب والعشاء
مجموعتين في وقت العشاء مقصورتين باذان واحد واقامتين ثم
اضطجع واذن للنساء والضعفة اي الصبيان ان يرموا الليلا اي
الذين مشوا من مزدلفة الي مني بعد نصف الليل بساعة ليرموا جمرة
العقبة قبل الزحمة وعن ابن عباس رضي الله عنه فجعل يوصيهم ان لا
يرموا جمرة العقبة حتي تطلع الشمس فلينا لذلك وعن عايشة رضي

الله عنها ان سودة افاضت في النصف الاخير من مزدلفة باذن النبي صلى الله
عليه وسلم ولم يامرها بالدم ولا النفر الذي كان معها وعن ابن عباس رضي الله
عنهما قال انا ممن قدم النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المزدلفة في ضعفة اهله
رواه الشيخان ولم ياذن للرجال في ذلك الا لضعفائهم ولا
لغير ضعفائهم اي فالمراد بالضعفة الصبيان كما تقدم وبهذا استدل
ائمتنا على انه يستحب تقديم النسا والضعفة بعد نصف الليل الى منى
وان يبقى غيرهم حتى يصلوا الصبح مغلسين وفي البخاري عن عايشة
رضي الله عنها انها قالت فلان اكون استاذنت رسول الله صلى الله
عليه وسلم كما استاذنت سودة احب الي من مفروح به اي لارمي الجمرة قبل
ان ياتي الناس وفي لفظ قبل حطمة الناس لان سودة رضي الله عنها
كانت امراة ضخمة ثبطة فاستاذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان تفيض من مزدلفة مع الضعفا والنسا وفي مسلم مضت ام حبيبة
من جمع بليل اي بعد نصف الليل وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ارسلني
رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ضعفة اهله فصلينا الصبح بمنى
ورمينا الجمرة فلما كان وقت الفجر قام رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصلى بالناس اي بمزدلفة الصبح مغلسا ثم اتى المشعر الحرام فوقف
به اي وهو صلى الله عليه وسلم راكب ناقته واستقبل القبلة ودعا الله
وكبر وهلل ووحد ولم يزل واقفا حتى اسفر جدا وجا انه صلى الله عليه
وسلم دعا بالمغفرة يوم عرفة فاجيب بانه يغفر لهم ما عدا المظالم ثم
دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك اي بالمغفرة لامته بالمزدلفة
فاجيب الى ذلك اي الى غفران المظالم فجعل ابليس يحثو التراب
على راسه فضحك صلى الله عليه وسلم من فعله وجا ما يبين ان المراد بالامة
من وقف بعرفة ثم انه صلى الله عليه وسلم دفع من المشعر الحرام قبل
ان تطلع الشمس اي قال جابر وكان المشركون لا يدفعون حتى تطلع
الشمس واردف خلفه الفضل بن العباس رضي الله تعالى عنهما وجاءته
صلى الله عليه وسلم امراة تساله فقالت يا رسول الله ان فريضة الله
على عباده الحج ادركت ابي شيخا كبيرا لا يستطيع ان يثبت على الراحلة
فاحج عنه قال نعم فجعل الفضل ينظر اليها وتنظر اليه فجعل صلى الله عليه
وسلم يصرف وجه الفضل الى الشق الاخر وفي لفظ اخر فوضع صلى الله عليه وسلم

يده على وجه الفضل فحول الفضل وجهه الى الشق الاخر وفي لفظ انه لوى عنق
الفضل فقال ابوه العباس يا رسول الله لويت عنق ابن عمك فقال رايت شابا
وشابة فلم امن عليهما الشيطان فلما وصل صلى الله عليه وسلم الى محسر
حرك ناقته قليلا وسلك الطريق التي تسلك على جمرة العقبة ترمى بها
من اسفلها سبع حصيات التقطها له عبد الله بن عباس رضي الله تعالى
عنهما من موقفه الذي رمى فيه مثل حصى الخذف بفتح الخا المعجمة واسكان
الذال المعجمة وهذا لا يخالف ما عليه ائمتنا من ان الاولى ان يلقط حصى
الرمي من مزدلفة ويكره اخذه من المرمى لجواز ان يكون التقط له ذلك
من مزدلفة ثم سقط منه عند جمرة العقبة فامر ابن عباس رضي الله
عنهما بالتقاطه لكن في مسلم انه صلى الله عليه وسلم لما دخل محسرا
اي الوادي المعروف وهو واد بمنى قال عليكم بحصى الخذف الذي ترمى به
الجمرة وهو يدل على انه اخذ الحصى من ذلك اولى الا ان يقال يجوز ان يكون قال
ذلك لجماعة تركوا اخذ ذلك من مزدلفة واستمر صلى الله عليه وسلم يلبي حتى رمى اكبرها
وقطع التلبية عند الرمي وصار يكبر عند رمي كل حصاة وهو صلى الله
راكب ناقته وفي رواية على بغلته قال بعضهم وهو غريب جدا وبلال
واسامة احدهما اخذ بخطامها والاخر يظله بثوبه لا ضرب ولا طرد ولا
اليك اليك وفي رواية فرايت بلالا يقود راحلته صلى الله عليه وسلم واسامة
ابن زيد رافع عليه ثوبه يظله من الحر حتى رمى جمرة العقبة وخطب صلى
الله عليه وسلم على بغلته شهبا وقيل على بعير بمنى خطبة فذكر فيها تحريم الدما
والاموال والاعراض وذكر حرمة يوم النحر وحرمة مكة على جميع البلاد فقال
ايها الناس اي يوم هذا قالوا يوم حرام قال فاي بلد هذا قالوا بلد حرام
قال فاي شهر هذا قالوا شهر حرام قال فان دماءكم واموالكم واعراضكم
عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا اعادها مرارا
ثم رفع راسه وقال اللهم قد بلغت اللهم قد بلغت فليبلغ الشاهد
الغايب لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وامرهم
باخذ مناسكهم عنه صلى الله عليه وسلم لعله لا يحج بعد عامه ذلك وكان
وقوفه صلى الله عليه وسلم بين الجمرات والناس بين قايم وقاعد وجا
انه صلى الله عليه وسلم خطب في اليوم الاول واليوم الثاني من ايام
التشريق وهو اوسط ايام التشريق ولهذا قال بعضهم وهذا يشكل على

من لا يجوز الإعادة وعورض هذا بأنه صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم
رمى جمرة العقبة ونحر ثلاثا وستين بدنة ونحر علي بقية المائة وأخذ
من كل بدنة بضعة ووضعت في قدر وطبخت حتى نضجت فأكلا من ذلك
اللحم وشرب من مرقه وحلق رأسه ولبس وتطيب وخطب فكيف يمكن أن يكون
صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بمكة أول الوقت ويعود إلى منى في وقت
الظهر على أن عائشة رضي الله عنها قالت أفاض رسول الله صلى الله
عليه وسلم من آخر يومه حتى صلى الظهر ثم رجع إلى منى رواه أبو داود وأجيب
بأن النهار كان طويلا وإن لم يتيسر صدور أفعال منه صلى الله عليه وسلم كثيرة
في صدر ذلك اليوم على أن ابن كثير قال لست أدري أن خطبته صلى الله
عليه وسلم ذلك اليوم كانت قبل ذهابه أو بعد رجوعه إلى منى وأما
رواية عائشة المقتضية لكونه صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بمنى قبل
أن يذهب إلى البيت فأجاب بعضهم عنه بأنه ليس نصا في ذلك بل
يحتمل فليتأمل فإن قيل روى البخاري وأهل السنن الأربعة أن النبي صلى
الله عليه وسلم أخر الزيارة إلى الليل وفي لفظ زار ليلا قلنا المراد
بالزيارة زيارة مخصوصة لا طواف الزيارة الذي هو طواف الإفاضة فقد
روى البيهقي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يزور البيت كل ليلة من ليالي
منى وقول عروة بن الزبير إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخر
الطواف يوم النحر إلى الليل فقد أخذ من حديث عائشة رضي الله تعالى
عنها المتقدم وقد علمت ما فيه وقد قال بعضهم الصحيح من الروايات
وعليه الجمهور أنه صلى الله عليه وسلم طاف يوم النحر بالنهار والأشبه أنه
كان قبل الزوال هذا كلامه وطافت أم سلمة في ذلك اليوم على بعيرها
من وراء الناس قالت وطفت ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي إلى
جانب البيت وهو يقرأ والطور وكتاب مسطور أي وعورض ذلك بأنه
صلى الله عليه وسلم أرسل أم سلمة ليلة النحر فرمت جمرة العقبة قبل الفجر
ثم مضت فأفاضت فكيف يلتئم هذا مع طوافه صلى الله عليه وسلم قبل
الظهر لأنه صلى الله عليه وسلم لم يكن ذلك الوقت بمكة ويجاب بأنه يجوز أن تكون
أم سلمة أخرت طوافها لذلك الوقت وإن كانت قدمت مكة قبل الفجر
وعورض بأنه صلى الله عليه وسلم لم يقرأ في ركعتي الطواف بالطور ولا جهر
في القراءة في النهار بحيث تسمعه أم سلمة من وراء الناس هذا من المحال

ويجاب

ويجاب بأنه يجوز أن تكون أم سلمة أخرت طوافها لذلك الوقت وإن كانت
قدمت مكة قبل الفجر وعورض بأنه صلى الله عليه وسلم لم يقرأ في ركعتي الطواف
بالطور ولا جهر في القراءة في النهار بحيث تسمعه أم سلمة من وراء الناس
هذا من المحال ويجاب بأن كونه صلى الله عليه وسلم لم يقرأ في ركعتي الطواف
بالطور شهادة نفي على من يثبت وأم سلمة لم تدع أنها سمعت قراءته صلى الله
عليه وسلم صلاة الصبح يومئذ أي عند قدومه مكة لطواف الوداع عند الكعبة
بأصحابه وقرأ في صلاته والطور كما قال ويؤيد ذلك ما روي عن أم
سلمة رضي الله تعالى عنها قالت شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
أني أشتكي قال طوفي من وراء الناس وأنت راكبة فطفت ورسول الله
صلى الله عليه وسلم يصلي إلى جانب البيت وهو يقرأ والطور وكتاب مسطور
أي وحينئذ يكون ما تقدم من قول الراوي وطافت أم سلمة في ذلك اليوم
الذي هو يوم النحر وقوله في الرواية الأخرى أرسل أم سلمة ليلة النحر فرمت
جمرة العقبة قبل الفجر ثم مضت فأفاضت أي طافت طواف الإفاضة ومما
جاء عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرها أن توافي معه صلاة
الصبح يوم النحر بمكة قال بعضهم ذكر يوم النحر غلط من الراوي أو من
الناسخ وإنما هو يوم النفر وقال بعضهم مثل ذلك فيما قبله فليتأمل
فإنه سيأتي في بعض الروايات أنه صلى الله عليه وسلم طاف طواف الوداع ع
سحرا قبل صلاة الصبح إلا أن يقال إنه مكث بعد الطواف لصلاة
الصبح حتى صلاها وفيه أن بعضهم ذكر أنه صلى الله عليه وسلم طاف
بالبيت أي طواف الوداع بعد صلاة الصبح والله أعلم وطافت في ذلك
اليوم الذي هو يوم النحر عائشة رضي الله عنها بعد أن طهرت من حيضها
وكانت حائضا يوم عرفة أي كما تقدم وطافت أيضا صفية في ذلك
اليوم رضي الله عنها وسئل صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم عما
تقدم بعضه على بعض من الرمي والحلق والنحر والطواف فقال لا حرج
أي لا إثم ففي مسلم عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال وقف رسول
الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بمنى على راحلته للناس يسألونه
فجاء رجل فقال يا رسول الله لم أشعر أن النحر قبل الحلق فحلقت قبل
أن أنحر فقال اذبح ولا حرج ثم جاءه رجل آخر فقال يا رسول الله لم أشعر
أن الرمي قبل النحر فنحرت قبل أن أرمي فقال ارم ولا حرج وجاء آخر

احر فقال يا رسول الله لم اشعر ان الرمي قبل النحر فنحرت قبل ان ارمي فقال
ارم ولا حرج وجاء اخر فقال اني افضت الى البيت قبل ان ارمي فقال ارم
ولا حرج قال فما سئل عن شيء قدم ولا اخر الا قال افعل ولا حرج وكذلك قال
صلى الله عليه وسلم ايضا في تقديم السعي بين الصفا والمروة قبل الطواف
بالكعبة اي لمن شاء قدم السعي عقب طواف القدوم ومن شاء اخره عن
طواف الافاضة وقد تقدم انه صلى الله عليه وسلم اتى بالسعي بعد طواف
القدوم واقام صلى الله عليه وسلم بمنى ثلاثة ايام يرمي الجمار اي ماشيا في تلك
الايام وامر مناديا ان ينادي في الناس بمنى انها ايام اكل وشرب وباه ورمى
لكل جمرة من الجمرات الثلاث بعد الزوال اي قبل صلاة الظهر سبع حصيات
يبدا بالتي تلي مسجد منى اي مسجد الخيف ويقف عندها للدعا ثم بالتي
تليها وهي الوسطى ثم يقف للدعا ثم جمرة العقبة ولم يقف عندها للدعا
اي وكان ازواجه صلى الله عليه وسلم يرمين بالليل وخطبهم الناس في
اليوم الاول من ايام منى كما تقدم ويقال لذلك اليوم يوم القر لانهم
كانوا يقرون فيه بمنى وهو يوم الرؤس اي لاكلهم الرؤس في ذلك اليوم
وفي اليوم الثاني من ايام منى وهو يوم النفر الاول اي ويقال له يوم
الاكارع اي لاكلهم الاكارع في ذلك اليوم واوصى بذوي الارحام خيرا
فقد خطب صلى الله عليه وسلم في الحج خمس خطب الاول يوم السابع من
ذي الحجة بمكة والثانية يوم عرفة والثالثة يوم النحر بمنى والرابعة
يوم النفر بمنى والخامسة يوم النفر الاول بمنى ايضا ثم نهض صلى الله
عليه وسلم من منى في اليوم الثالث الذي هو يوم النفر الاخر ونفر معه
المسلمون بعد الزوال اي وبعد الرمي واستاذنه عمه العباس في
عدم المبيت بمنى في الليالي الثلاث من اجل السقاية فرخص له في
ذلك وضربت له صلى الله عليه وسلم قبة بالمحصب وهو الابطح اي
ضربها له ابو رافع وكان على ثقله ولم يامره صلى الله عليه وسلم بذلك فعن
ابي رافع لم يامرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان انزل الابطح ولكني
جيت فضربت قبته فجا فنزل وكان صلى الله عليه وسلم قال لاسامة غدا
ننزل بالمحصب وهو المحل الذي تحالف فيه قريش وكنانة على
بني هاشم وبني المطلب حتى يسلموا اليهم النبي صلى الله عليه وسلم ليقتلوه
وكان ذلك سببا لكتابة الصحيفة وفيما تقدم في فتح مكة انه

صلى الله عليه وسلم نزل الحجون عند شعب ابي طالب المكان الذي حصر
فيه بنو هاشم وبنو المطلب وانه خيف بني كنانة الذي تقاسمت قريش
فيه على كفرهم وفي مسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال منزلنا
ان شاء الله اذا فتح الله الخيف حيث تقاسموا على الكفر ولما نزل صلى
الله عليه وسلم بالمحصب صلى به الظهر والعصر والمغرب والعشاء ورقد رقدة
ثم ان عائشة رضي الله عنها قالت له يا رسول الله ارجع بحجة ليس معها عمرة
فدعى عبد الرحمن بن ابي بكر فقال اخرج باختك من الحرم ثم افرغا من طوافكما حتى
تاتياني هاهنا بالمحصب قالت فقضى الله العمرة وفي لفظ فاعتمرت
من التنعيم مكان عمرتي التي فاتتني وفرغنا من طوافها في جوف الليل فاتينا
صلى الله عليه وسلم بالمحصب فقال فرغتما قلنا نعم فاذن في الناس بالرحيل
وفي رواية فلقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مصعد من مكة وانا
منهبطة عليها او انا مصعدة وهو منهبط منها واعترض كيف ياتي بها عمرتي
التي فاتتني مع قوله صلى الله عليه وسلم قد حللت من حجك وعمرتك وكيف
اقرها صلى الله عليه وسلم على ذلك اجيب بانها ارادت ان صواحبها اتين بعمرة ثم
بحج وهي لم تات الا بحج احبت ان تاتي بعمرة اخرى زايدة على الحج وان كانت العمرة
مندرجة فيه واقرها صلى الله عليه وسلم تطييبا لخاطرها لانه صلى الله
عليه وسلم كان مهما اذا هويت الشيء الذي لا مخالفة فيه للشرع تابعها عليه
وبهذا استدل ائمتنا على جواز الاحرام بالعمرة قبل طواف الوداع وامر النا ٣
الناس ان لا ينصرفوا اي الى بلادهم حتى يكون اخر عهدهم الطواف بالبيت
اي الذي هو طواف الوداع ورخص في ترك ذلك للحائض التي قد طافت طواف
الافاضة قبل حيضها كصفية ام المومنين رضي الله عنها فانها حاضت بعد
طواف الافاضة ليلة النفر من منى فقالت ما اراني الا حابستكم لانتظار
طهري وطواف الوداع فقال لها صلى الله عليه وسلم اوما كنت طفت يوم النحر
وفي لفظ ما كنت طفت طواف الافاضة يوم النحر قالت بلى قال لا باس انفري
معنا وفي رواية قال يكفيك ذلك اي لانه هو طواف الركن الذي لا بد لكل
احد منه بخلاف طواف الوداع لا يجب على الحائض ولا يلزمها الصبر لتطهر
به ولا دم عليها في تركه قال الامام النووي رحمه الله تعالى وهذا مذهبنا
ومذهب العلماء كافة الا ما حكي عن بعض السلف وهو شاذ مردود ثم انه صلى
الله عليه وسلم دخل مكة في تلك الليلة فطاف طواف الوداع سحرا قبل

صلاة الصبح ثم خرج من الثنية السفلى ثنية كدي بضم الكاف والقصر وهي
عند باب شبيكة متوجها الى المدينة التي خرج منها لما فتح مكة كما تقدم وكان
خروجه صلى الله عليه وسلم من المسجد من باب الحزورة ويقال له باب الحناطين
وجاء عن جابر رضي الله عنه ان خروجه صلى الله عليه وسلم من مكة كان عند
غروب الشمس فلم يصل حتى اتى سرف قال بعضهم لعل هذا كان في غير حجة
الوداع فانه صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت بعد صلاة الصبح فما اخره
الى وقت الغروب هذا غريب جدا هذا كلامه وما روي انه صلى الله عليه
وسلم رجع بعد طواف الوداع الى المحصب غير محفوظ اقول ــــــ هذا جمع
به الامام النووي بين الروايات المتقدمة عن عائشة رضي الله عنها حيث
قال ووجه الجمع انه صلى الله عليه وسلم بعث عائشة مع اخيها بعد نزوله المحصب
وواعدها ان تلحقه بعد اعتمارها ثم خرج هو صلى الله عليه وسلم بعد ذهابهما فقصد
البيت ليطوف طواف الوداع فلقيها وهو صادر وهي داخلة لطواف عمرتها ثم لما
فرغت لحقته وهو في المحصب قال واما قولها فاذن في اصحابه فخرج فمر بالبيت
وطاف فيتأول بان في الكلام تقديما وتاخيرا والاصل انه كان بعد خروجها
الى العمرة وقبل رجوعها وانه فرغ قبل طوافها للعمرة هذا كلامه فليتامل
والله اعلم فكانت مدة دخوله صلى الله عليه وسلم الى مكة وخروجه منها
عشرة ايام وهذا السياق يدل على انه صلى الله عليه وسلم لم يات بعمرة
بعد حجته وهو لا يناسب القول بانه احرم مفردا بالحج بل يدل للقول بانه احرم
قارنا او متمتعا بعد اطلاق الاحرام او ادخل الحج على العمرة وفي كلام بعضهم لم يعتمر
صلى الله عليه وسلم تلك السنة عمرة مفردة لا قبل الحج ولا بعده ولو جعل حجه مفردا
لكان خلاف الافضل لانه لم يقل احد وحرم من غير اعتمار في سنته افضل من القران
وفي كلام بعض اخر اجمعوا على انه لم يعتمر عليه الصلاة والسلام بعد الحج
فيتعين ان يكون متمتعا تمتع قران وقد يطلق الافراد على الاتيان باعمال الحج فقط
وان كان احرم بهما معا كما ان القران قد يطلق على الاتيان بطوافين وسعيين
فمن روي عنه انه افرد الحج اراد به انه اتى باعمال الحج ولم يفرد للعمرة اعمالا وللاتفاق
على انه دخل الكعبة في هذه الحجة التي هي حجة الوداع اي ولما طاف صلى الله عليه
وسلم بالبيت سبعا وقف في الملتزم بين ركن الحجر وبين باب الكعبة فدعا الله تعالى
والزق جسده اي صدره ووجهه بالملتزم ولما وصل الى محل بين مكة والمدينة
يقال له غدير خم بقرب رابغ جمع الصحابة وخطبهم خطبة بين فيها فضل علي رضي

الله عنه وبراءة عرضه مما تكلم فيه بعض من كان معه بارض اليمن بسبب ما كان
صدر منه اليهم من المعدلة التي ظنها بعضهم جورا وبخلا والصواب كان معه
رضي الله عنه فقال صلى الله عليه وسلم ايها الناس انما انا بشر مثلكم يوشك ان
ياتيني رسول ربي فاجيب اي وفي لفظ قال ايها الناس انه قد نبأني
اللطيف الخبير انه لم يعمر نبي الا نصف عمر الذي يليه من قبله واني لاظن ان
يوشك ان ادعى فاجيب واني مسؤول وانكم مسؤولون فماذا انتم قائلون
قالوا نشهد انك بلغت وجهدت ونصحت فجزاك الله خيرا فقال اليس
تشهدون ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وان جنته حق وناره
حق وان الموت حق وان البعث حق بعد الموت وان الساعة اتية لا ريب
فيها وان الله يبعث من في القبور قالوا بلى نشهد بذلك قال اللهم اشهد ثم
حض على التمسك بكتاب الله تعالى ووصى باهل بيته اي فقال اني تارك
فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض
وقال في حق علي رضي الله عنه لما كرر عليهم الست اولى بكم من انفسكم ثلاثا
وهم يجيبونه صلى الله عليه وسلم بالتصديق والاعتراف ورفع يد علي وقال من كنت
مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه واحب من احبه وابغض من
بغضه وانصر من نصره واعن من اعانه واخذل من خذله وادر الحق معه حيث
دار وهذا اقوى ما تمسك به الشيعة والامامية والرافضة على ان عليا
رضي الله تعالى عنه اولى بالامامة من كل احد وقالوا هذا نص على خلافته
سمعه ثلاثون صحابيا وشهدوا به قالوا فلعلي عليهم من الولاء ما كان له صلى
الله عليه وسلم عليهم بدليل قوله الست اولى بكم وهذا حديث صحيح ورد
باسانيد صحاح وحسان ولا التفات لمن قدح في صحته كابي داود وابي
حاتم الرازي وقول بعضهم ان زيادة اللهم وال من والاه الخ موضوعة
مردود فقد ورد ذلك من طرق صحح الذهبي كثيرا منها وقد جاء ان عليا رضي
الله عنه قام خطيبا فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال انشد الله من يشهد
غدير خم الا قام ولا يقوم رجل يقول نبئت او بلغني الا رجل سمعت اذناه ووعاه
قلبه فقام سبعة عشر صحابيا وفي المعجم الكبير ستة عشر صحابيا وفي رواية
رواية اثنا عشر فقال هاتوا ما سمعتم فذكروا الحديث ومن جملته من كنت مولاه
فعلي مولاه وفي رواية فهذا مولاه وعن زيد بن ارقم وكنت ممن كتم فذهب بصري
وكان علي رضي الله عنه دعا على من كتم قال بعضهم ولما شاع قوله صلى الله عليه

وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه في سائر الامصار وطار في جميع الاقطار فبلغ ذلك
الحارث بن النعمان الحميري فقدم المدينة فاناخ راحلته عند باب المسجد فدخل
والنبي صلى الله عليه وسلم جالس وحوله اصحابه فجاء حتى جثى بين يديه ثم قال
يا محمد انك امرتنا ان نشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فقبلنا ذلك
منك وانك امرتنا ان نصلي في اليوم والليلة خمس صلوات ونصوم شهر
رمضان ونزكي اموالنا ونحج البيت فقبلنا ذلك منك ثم لم ترض بهذا حتى
رفعت بضبعي ابن عمك وفضلته وقلت من كنت مولاه فعلي مولاه فهذا شيء
من الله او منك فاحمرت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال والله الذي
لا اله الا هو انه من الله وليس مني قالها ثلاثا فقام الحارث وهو يقول
اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك وفي رواية اللهم ان كان ما يقول محمد حقا
فارسل علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم فوالله ما بلغ باب المسجد
حتى رماه الله بحجر من السماء فوقع على راسه فخرج من دبره فمات وانزل الله
تعالى سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع الاية وكان ذلك اليوم
الثامن عشر من ذي الحجة وقد اتخذت الروافض هذا اليوم عيدا فكانت
تضرب فيه الطبول ببغداد في احد الاربعمائة في دولة بني بويه وما جاء من
صام يوم ثامن عشر من ذي الحجة كتب الله له صيام ستين شهرا قال
بعضهم قال الحافظ الذهبي هذا حديث منكر جدا اي بل كذب فقد ثبت
في الصحيح ما معناه ان صيام شهر رمضان بعشرة اشهر فكيف يكون صيام
يوم واحد يعدل ستين شهرا هذا باطل وقد رد عليهم في ذلك مما بسطته
في كتابي المسمى بالقول المطاع في الرد على اهل الابتداع لخصت فيه الصواعق
للعلامة ابن حجر الهيتمي وذكرت انا الرد عليهم في ذلك من وجوه احدها
ان هولاء الشيعة والرافضة اتفقوا على اعتبار التواتر فيما يستدلون
به على الامامة من الاحاديث وهذا الحديث مع كونه احادا طعن في صحته
جماعة من ائمة الحديث كابي داود وابي حاتم الرازي كما تقدم فهذا منهم
مناقضة ومن ثم قال بعض اهل السنة ما سبحان الله من امر الشيعة
والرافضة اذا اسند الناس عليهم بشيء من الاحاديث الصحيحة قالوا هذا
خبر واحد لا يغني واذا ارادوا ان يستدلوا على ما زعموه اتوا باخبار باطلة
كاذبة لا تصل الى درجة الاحاديث الضعيفة التي هي ادنى مراتب الاحاديث
منها انه قال لعلي انت اخي ووصيي وخليفتي في ديني بكر الدال خبر انه سيد

هذا كالانه فليتامل

المرسلين

المرسلين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين وخبر سلموا على علي بامرة الناس
فانها احاديث كاذبة مفتراة عليه الصلاة والسلام ثانيها ان اسم المولى
يطلق على عشرين معنى منها السيد الذي ينبغي محبته ويجتنب بغضه ويويد
ارادة ذلك ان سبب ايراد ذلك ان عليا تكلم فيه بعض من كان معه باليمن
من الصحابة وهو ابو بريدة لما قدم هو واياه عليه صلى الله عليه وسلم في تلك
الحجة التي هي حجة الوداع وجعل يشكوه له صلى الله عليه وسلم منه لانه حصل له
منه جفوة فجعل يتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا بريدة لا تقع
في علي فان عليا مني وانا منه الست اولى بالمومنين من انفسهم قال نعم يا رسول
الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فقال ذلك لبريدة
خاصة ثم لما وصل الى غدير خم احب ان يقول ذلك للصحابة عموما اي
فكما عليهم ان يحبوني فكذلك ينبغي ان يحبوا عليا وعليا تسليم انه اولى
بالامامة فالمراد في المال لا في الحال قطعا والا لكان هو الامام مع وجوده
صلى الله عليه وسلم والمال لم يتعين له وقت فمن اين انه عقب وفاته صلى
الله عليه وسلم والمال لم يتعين له وقت فمن اين انه عقب وفاته صلى الله
عليه وسلم فجاز ان يكون بعد ان تعقد له البيعة ويصير خليفة ويدل
لذلك انه لم يحتج بذلك الا بعد ان آلت اليه الخلافة ردا على من نازعه
فيها كما تقدم فسكوته عن الاحتجاج بذلك الى ايام خلافته قاض على كل من
له ادنى عقل وفضل وفهم بانه لا نص في ذلك امامته وانه صلى الله
عليه وسلم ثالثها انه تواتر النقل عن علي رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم
لم ينص عند موته على خلافة احد لا هو ولا غيره فقد قيل له كما تقدم حدثنا
فانت الموثوق به والمامون على ما سمعت فقال لا والله لئن كنت اول من صدق
به لا اكون اول من كذب عليه لو كان عندي من النبي عهد في ذلك ما تركت
القتال على ذلك ولو لم اجد الا بردي هذا وفي رواية ما تركت اخا بني تيم
وعدي يعني ابا بكر وعمر بن الخطاب يثوبان على منبره صلى الله عليه وسلم
ولقاتلتهما بيدي رابعها انه لو كان هذا الحديث نصا على امامته لم
يسعه الامتناع من متابعة عمه العباس لما قال له العباس اذهب بنا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان هذا الامر فينا علمناه وايضا
لو كان الحديث نصا لكان لما قالت الانصار منا امير ومنكم امير واحتج
عليهم ابو بكر بان الائمة من قريش لقالوا له قد ورد النص بخلافة علي ولم

وَلَم يكن بين ذكر الحديث في غدير خم وبين ذلك الا نحو شهرين فاحتمال
النسيان على علي والعباس وعلى جميع الانصار بعيد بعيد على انه ورد
انه لما قال لعلي ان الانصار قالوا منا امير ومنكم امير قال هلا ذكرتم
الانصار قول النبي صلى الله عليه وسلم يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم
فكيف يكون الامر فيهم مع الوصاية بهم ودعوى الرافضة والشيعة ان
الصحابة علموا هذا الامر ولم يعملوا به عنادا غير مسموعة اذ هي ظاهرة
البطلان لان في ذلك تضليلا لجميع الصحابة وهم معصومون عن ان
يجتمعوا على ضلالة ومن العجب ان بعض غلاة الرافضة يقول بتكفير الصحابة
رضي الله عنهم بسبب ذلك وان عليا رضي الله تعالى عنه انما ترك
النزاع في امر الخلافة تقية وامتثالا لوصيته صلى الله عليه وسلم ان لا يوقع
بعده فتنة ولا يسل سيفا فكذب وافترا اذ كيف يجعله اماما على الامة
ويمنعه ان يسل سيفا على من امتنع من قبول الحق وكيف منع سل السيف عن
ابي بكر وعمر وعثمان مع قلة اتباعهم وكثرة اتباعه وسله على معاوية مع وجود
ما مر من الالوف ولما ساغ له ان يقول كما تقدم لو كان عندي من النبي صلى الله
عليه وسلم عهد في ذلك ما تركت اخا بني تيم وعمر بن الخطاب رضي الله عنه
عنهما يثوبان على منبره صلى الله عليه وسلم ولما بين سبب تركه لمقاتلة ابي بكر
وعمر وعثمان ومقاتلته لمعاوية لان ابا بكر رضي الله عنه اختاره صلى الله عليه
لديننا فبايعناه ثم ولاها عمر فبايعناه واعطيت ميثاقي لعثمان فلما مضوا
بايعني اهل الحرمين واهل المصرين البصرة والكوفة فوثب فيها من ليس مثلي
ولا قرابته كقرابتي ولا علمه كعلمي ولا سابقته كسابقتي وكنت احق بها
منه يعني معاوية كما سيأتي ومن ثم قيل للحسن المثنى بن الحسن السبط ان
خبر من كنت مولاه فعلي نص في امامة علي قال اما والله لو يعني النبي صلى الله
عليه وسلم الامارة والسلطان لافصح ولقال لهم يا ايها الناس هذا والي
بعدي والقائم عليكم بعدي والقائم عليكم بعدي فاسمعوا له واطيعوا
والله لو كان رسول الله عهد اليه في ذلك ثم تركه كان اعظم الناس
خطيئة وقد سئل الامام النووي هل يستفاد من قوله صلى الله عليه
وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه انه اولى بالامامة من ابي بكر وعمر فاجاب
بانه لا يدل على ذلك بل معنى ذلك عند العلماء الذين هم اهل هذا الشأن
وعليهم الاعتماد في تحقيق ذلك من كنت ناصره ومواليه ومحبه ومصافيه

تعالى

تعالى كذلك وقد قيل في سبب ذلك ان اسامة بن زيد قال لعلي لست
مولاي انما مولاي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذلك ولما وصل صلى الله عليه وسلم الى ذي الحليفة بات بها لانه
كره ان يدخل المدينة ليلا ولما راى المدينة كبر ثلاث مرات وقال لا اله
الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون
عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده
وهزم الاحزاب وحده ثم دخل عليه الصلاة والسلام المدينة نهارا من
طريق المعرس بفتح الرا المشددة

باب ذكر عمره صلى الله عليه وسلم

قد اعتمر صلى الله عليه وسلم لم تزد على اربع اي كلهن في ذي القعدة مخالفا
للمشركين فانهم كانوا يكرهون العمرة في اشهر الحج ويقولون هي من افجر
الفجور اي كما تقدم واول تلك العمر الاربعة عمرة الحديبية اي وكانت
في ذي القعدة التي صده فيها المشركون عن البيت وثانيها عمرته صلى الله
عليه وسلم من العام المقبل اي وهي عمرة القضا وكانت في ذي القعدة كما
تقدم وعن قتادة كان المشركون فخروا عليه حين ردوه في الحديبية
وكان في ذي القعدة فاقتصه الله تعالى منهم وادخله مكة في ذلك
الشهر الذي ردوه في العمرة وانزل الله تعالى الشهر الحرام بالشهر الحرام
والحرمات قصاص وثالثها عمرته صلى الله عليه وسلم حين قسم غنائم
حنين وكانت من الجعرانة وكانت في ذي القعدة دخل صلى الله عليه وسلم
مكة ليلا فقضى عمرته ثم خرج من ليلته فاصبح بالجعرانة كبائت بها ومن ثم
خفيت على الناس كما تقدم ورابعها عمرته صلى الله عليه وسلم مع حجة الوداع
اي التي دخلت في الحج بناء على انه احرم قارنا او التي ادخلها على الحج بناء على انه
احرم بالحج خصوصية له او عقبه بناء على انه احرم مطلقا على ما تقدم فانه
احرم بالحج لخمس بقين من ذي القعدة وقد قالت عائشة رضي الله عنها اعتمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا سوى التي قرنها بحجة الوداع واخرج
البخاري ومسلم اعتمر صلى الله عليه وسلم اربع عمر كلها في ذي القعدة الا
التي في حجته اي فانه لم يوقعها في ذي القعدة بل اوقعها في ذي الحجة
تبعا للحج وانما احرامه بها فكان في ذي القعدة في خمس بقين منه كما
تقدم واخرجا ايضا ان عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال كنت انا وابن

عمر مستند الى حجرة عائشة وانا نسمع صوتها بالسواك تستن فقلت
يا ابا عبد الرحمن اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في رجب قال نعم فقلت
لعائشة اي امتاه الا تسمعين ما يقول ابو عبد الرحمن قالت وما يقول
قلت يقول اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في رجب فقالت يغفر
الله لابي عبد الرحمن ما اعتمر عمرة الا وهو شاهدها وفي رواية الا وهو معه
وما اعتمر في رجب قط اي وانما اعتمر في ذي القعدة لكن روى الدارقطني
عنها انها قالت خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمرة في رمضان
فافطر وصمت وقصر واتممت قال في الهدي انه غلط اما عليها واما عنه
لا ظهر فانه ما اعتمر في رمضان قط **اقول** وزاد
بعضهم انه صلى الله عليه وسلم اعتمر ايضا عمرة مع عمرة في رجب وعمرة
في شوال فيكون اعتمر ستة الا ان يقال يجوز ان يكون مستند القائل
بانه اعتمر في رجب قول ابن عمر وقد تقدم رده وجاز ان يكون قوله اعتمر
في شوال اي خرج للعمرة في شوال وهي العمرة التي كانت ضمن حجة الوداع
والله اعلم

باب ذكر نبذة من معجزاته

صلى الله عليه وسلم التي يكون التحدي بها سواء تحدى بها بالفعل كالقرآن
وتمني اليهود الموت او لا وتلك المعجزة اصطلاحا هي الحاصلة له صلى
الله عليه وسلم بعد البعثة اي ورسالته واما الامور الخارقة له صلى الله عليه
بين يدي مولده وبعثته وقبل ذلك من الامور الخارقة للعادة الغريبة
المومنة للكفرا التي يعجز عن بلوغها قوى البشر ولا يقدر عليها الا خالق القوى
والقدر فانها في الاصطلاح يقال لها ارهاصات وتاسيسات للرسالة
ولا تسمى في الاصطلاح معجزات وهي اذا انكشفت على قلب المومن زادته ايمانا
واذا تفكر فيها ذو البصيرة واليقين زادته ايقانا فان كل من ارسله
الله عز وجل لم يخله من اية ايده بها مخالفة للعادات لكون ما يدعيه
من الرسالة مخالفا لها فيستدل بتلك الاية على صدقه فيما يدعيه
لان اقترانها بدعواه الرسالة تصديق له فيها وقد كانت الانبياء عليهم
الصلاة والسلام اي الرسل معجزات مختلفة اي وهو صلى الله عليه وسلم
اكثر الرسل معجزة واعظمهم اية واظهرهم برهانا اي فقد جاء من الانبياء من
نبي الا وقد اعطي من الآيات ما آمن عليه البشر اي امنوا بسبب اظهاره وانما

كان

٤٣

كان الذي اوتيته وحيا اوحى الله عز وجل الي وهو القرآن لانه الذي تحدى
به فارجو ان يكون اكثرهم تبعا يوم القيامة اي فانه لما غلب السحر في
زمن موسى عليه الصلاة والسلام جاءهم بجنسه في معجزاته فالقى العصى
وتلقف البحر ولما غلب الطب في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام جاءهم
بجنسه فاحيى الموتى وابرأ الاكمه ولما غلب الفصاحة وقول الشعر في زمن
علي ان المعجزة خاصة بالرسل ويوافق ذلك قول المواقف وشرحه وهي اي المعجزة
بحسب الاصطلاح عبارة عما قصد به اظهار صدق من ادعى انه رسول الله
لكنه قال في شروط المعجزة الرابع ان يكون اي الامر الخارق للعادة
ظاهرا على يد مدعي النبوة ليعلم انه تصديق له انتهى ويحتمل انه اراد بالنبوة
الرسالة ويحتمل انه اراد بالرسالة ما يعم الرسالة للشخص نفسه لان النبي
صلى الله عليه وسلم غير الرسول مرسل لنفسه ودعواه النبوة متضمنة لدعوى
الرسالة لنفسه فهو رسول الله الى نفسه فتكون المعجزة عامة في حق الرسول
والنبي الذي ليس برسول ومما يؤيد هذا الثاني قول النسفي في عقائده
وايدهم قال السعد اي الانبياء بالمعجزات الناقضات للعادات ثم قال
وقد روي بيان عددهم في بعض الاحاديث فالمشهور ما روي ان النبي صلى
سئل عن عدد الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا وفي رواية
مائتا الف واربعة وعشرون الفا ويؤيده ايضا قول الامام السنوسي
في شرح عقائده الكبرى ان معجزة النبي غير الرسول صلى الله عليه وسلم يجوز
ان تتاخر بعد موته بخلاف معجزة الرسول فان فيها خلافا الى اخر ما ذكر
ومما يؤيد هذا الثاني ايضا ما نقله في الخصائص الصغرى عن بعضهم
وافترض الله على الانبياء اظهار المعجزات ليؤمنوا بها وفرض على الاولياء
كتمان الكرامات لئلا يفتتنوا بها فقد فارق بين المعجزة والكرامة وفيه
تصريح بانه يجب على النبي غير الرسول اظهار المعجزة وعن القرافي المالكي
انه يجب على النبي ان يخبر بنبوته وذكر في الاصل ان الغرض ذكر نبذة من
معجزاته صلى الله عليه وسلم والا فمعجزاته صلى الله عليه وسلم كالبحر الذي
بالامواج وقد ذكر بعض العلماء ان معجزاته صلى الله عليه وسلم لا تنحصر
وفي كلام بعض ان معجزاته صلى الله عليه وسلم اعطي ثلاثة الاف معجزة
اي غير القرآن فان فيه ستين وقيل سبعين الف معجزة تقريبا
قال في الخصائص قال الحليمي ليس في شيء من معجزات غيره ما ينحو نحو اد

اختراع الاجسام فانما ذلك في معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم خاصة ه
هذا كلامه وفيه ان هذا معارض بقوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام
اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير الاية والغرض ذكر نبذة مجموعة
وان كان اكثرها قد سبق لكنه مفرق اي وانبه على ما تقدم بقولي اي كما تقدم
واسكت عن ذلك فيما لم يتقدم من معجزاته صلى الله عليه وسلم وهو اعظمها
القران اي لانه اتي به مشتملا على اخبار الامم السالفة وسير الانبيا
الماضية التي عرفها اهل الكتاب وهو امي لا يقرا ولا يكتب اي ولا عرف
بمجالسة الاحبار والكهان لانه صلى الله عليه وسلم قد نشا بين اظهرهم في
بلد ليس بها عالم يعرف اخبار القرون الماضية والامم السالفة التي
اشتمل عليها اي من العرب من كان يكتب ويقرا ويجالس الاحبار يدرك
علم ما اخبر به القران خصوصا عن المغيبات المستقبلة الدال على صدقه
لوقوعها على ما اخبر به وقد اعجز البلغا الى حسن تاليفه والتيام كلماته
بهرت العقول بلاغته وظهرت على كل قول فصاحته احكمت اياته وفصلت
كلماته تحارت فيه عقولهم وتبلدت فيه احلامهم وهم رجال النظم والنثر
وفرسان السجع والشعر وقد جاء على وصف مباين لاوصاف كلامهم النثر
لان نظمه لم يكن كنظم الرسايل والخطب ولا الاشعار واسجاع الكهان وقد
تحداهم ودعاهم صلى الله عليه وسلم الى معارضته والاتيان باقصر سورة ه
منه اي وهو دليل قاطع على انه لم يتقول لهم ذلك الا وهو واثق متيقن انهم
لا يستطيعون ذلك لكونه من عند الله عز وجل اذ يستحيل ان يقول
ذلك وهو عليه الصلاة والسلام يعلم انه الذي تولى نظمه ولم ينزل عليه
من عند الله اذ لا يامن ان يكون في قومه من يعارضه وهم اهل الفصاحة وشعر
وخطابة قد بلغوا الدرجة العليا في البلاغة وهو من جنس كلامهم فيصير
صلى الله عليه وسلم كذابا ولو كان في استطاعة احدهم ذلك لما عدلوا
عن ذلك الى المحاربة التي فيها قتل صناديدهم وسبي ذراريهم ونهب
اموالهم اي لان النفوس اذا قرعت بمثل هذا استفرغت الوسع في المعارضة
فهو ممتنع في نفسه عن المعارضة خلافا لمن قال انما لم تقع منهم المعارضة
لان الله تعالى صرفهم عنها مع وجود قدرتهم عليها لانه وان كان صرفهم عنها
فيه اعجاز لكن الاعجاز في الاول اكمل واتم وهو اللائق بعظيم فضل القران
ومن ثم لما جاءه الوليد بن المغيرة وكان المقدم في قريش فصاحة وكان

يقال

يقال له ريحانة قريش كما تقدم وقال له اقرا علي فقرا صلى الله عليه وسلم ان الله
يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي
يعظكم لعلكم تشكرون تذكرون وقال له اعد فاعاد ذلك قال والله ان
له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وما يقول
هذا بشر وانه ليعلو وما يعلى وفي رواية قرا عليه حم تنزيل الكتاب من الله
العزيز العليم غافر الذنب الايات فانطلق حتى اتى مجلس اهله بني مخزوم
فقال والله كلام محمد ما هو من كلام الانس ولا من كلام الانس ولا
من كلام الجن الى اخر ما تقدم ثم انصرف الى منزله فقالت قريش قد صبا الو لبيد
والله لتصبان قريش كلها فقال ابو جهل انا اكفيكموه فقعد عليه كهيئة
الحزين فمر به الوليد فقال له ما لي اراك كئيبا قال وما يمنعني ان احزن
وهذه قريش قد جمعوا لك نفقة ليعينوك على امرك وزعموا انك انما
زينت قول محمد لتصيب من فضل طعامه فغضب الوليد وقال اوليس
قد علمت قريش انه من اكثرهم مالا وولدا وهل يشبع محمد واصحابه من د
الطعام فانطلق مع ابي جهل حتى اتى مجلس بني مخزوم فقال تزعمون ان
محمدا كذاب فهل رايتموه كذب قط قالوا اللهم لا قال فتزعمون انه مجنون
فهل رايتموه خرف قط اي اتى بالخرافات من القول قالوا اللهم لا
قال تزعمون انه كاهن فهل سمعتموه يخبر بما تخبر به الكهنة قالوا اللهم
لا نعهد ذلك قالت له قريش فما هو يا ابا المغيرة فقال ان هذا الا
سحر يوثر وقد سمع اعرابي رجلا يقرا فاصدع بما تومر فسجد فقيل له في
ذلك فقال سجدت لفصاحة هذا الكلام وسمع اخر رجلا يقرا فلما د
استيأسوا منه خلصوا نجيا فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا
الكلام اي ولما سمع الاصمعي من جارية خماسية او سداسية فصاحة تعجب
منها فقالت له اويعد هذا فصاحة بعد قوله تعالى واوحينا الى ام موسى
ان ارضعيه الاية فجمع فيها بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين ولما
اراد بعضهم معارضة بعض سورة وقد اوتي من الفصاحة والبلاغة
الحظ الاوفى فسمع صبيا في المكتب يقرا وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سما
اقلعي وغيض الما وقضي الامر فرجع عن المعارضة ومحى ما كتبه وقال اشهد
ما هذا من كلام البشر قال بعضهم ولم يتحد صلى الله عليه وسلم بشي من
معجزاته الا بالقران قال بعضهم كل جملة من القران معجزة وحفظ من

من التبديل والتحريف على ممر الدهور اي زمانه لا يمله وسامعه لا يمجه بل
يزداد مع تكريره وترديده غضا طريا تتزايد حلاوته وتتضاعف محبته
وغيره من الكلام ولو بلغ الغاية في البلاغة يمل مع الترديد ويعادي اذا
اعيد يونس به في الخلوات ويستراح بتلاوته من شدايد الازمان واشتمل
على جميع ما اشتملت عليه جميع الكتب الالهية وزيادة وقد قال بعض
بطارقة الروم لما اسلم رضي الله تعالى عنه ان اية ومن يطع الله ورسوله
ويخش الله ويتقه جمعت ما انزل على عيسى من احوال الدنيا والاخرة
قال الحليمي في منهاجه ومن عظيم قدر القران ان الله تعالى خصه بانه
دعوة وحجة ولم يكن هذا النبي قط انما يكون لكل منهم دعوة ثم
يكون له حجة غيرها وقد جمعهما الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم
في القران فهو دعوى بمعانيه حجة بالفاظه وكفى الدعوة شرفا
ان يكون حجتها معها وكفى حجتها شرفا ان لا تنفصل الدعوة عنها وجمع كل
شيء اي خصوصا الاخبار بالمغيبات وتوجد على طبق ما اخبر به والاخبار
عن القرون السالفة كقصة موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام
وقصة اهل الكهف وقصة ذي القرنين والامم الماضية كقصص الانبيا
مع اممهم وتيسيره للحفظ ولا تنقضي عجايبه ولا تشبع منه العلما و لا
تزيغ به الاهوا ومنها شق صدره الشريف والمنام من غير حصول ضرر
ولا مشقة مع تكرر ذلك اربعا او خمسا كما تقدم ومنها اخباره صلى الله
عليه وسلم عن صفة بيت المقدس اي لما اخبر قريشا بانه اسري به الى بيت
المقدس كما تقدم ومنها اخباره صلى الله عليه وسلم بموت النجاشي يوم
موته وصلاته عليه مع اصحابه فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على
علج نصراني اي لم يره قط فانزل الله تعالى وان من اهل الكتاب لمن يومن
بالله وما انزل اليكم الاية ومنها انشقاق القمر كما تقدم ومنها ان
الملا من قريش لما تعاقدوا على قتله صلى الله عليه وسلم في دار الندوة
وجاوا الى منزله وقعدوا على بابه فخرج عليهم وقد خفضوا ابصارهم
وسقطت ذقونهم في صدورهم واقبل صلى الله عليه وسلم حتى قام على
روسهم فقبض قبضة من تراب والقبضة بضم القاف الشي المقبوض
وبفتحها فقال شاهت الوجوه اي قبحت والقاها على روسهم فكان من اصابه
شي من ذلك قتل يوم بدر كما تقدم ومنها انه رمى صلى الله عليه وسلم القوم

يوم حنين بقبضة من تراب ورمى بها في وجوههم كما تقدم وتقدم له في بدر
مثل ذلك ومنها نسج العنكبوت عليه صلى الله عليه وسلم في الغار اي وعلى
بعض اتباعه كما تقدم ومنها ما وقع لسراقة من غوص قوايم فرسته في الارض
الجلد في خبر الهجرة ومنها ادرار الشاة التي لم ينز الفحل عليها كما تقدم
وفي قصة شاة ام معبد اي وفي قصة اخرى عن ابي العالية قال بعث
النبي صلى الله عليه وسلم الى ابياته لتسعة يطلب طعاما وعنده ناس من
اصحابه فلم يجد فنظر الى عناق في الدار ما نتجت قط فمسح مكان
ضرعها فدفقت بضرع مدلى بين رجليها فدعى بقعب فحلب فيه فبعث
به الى ابياته قعبا قعبا ثم حلب فشرب وشربوا ومنها دعوته صلى الله
عليه وسلم لعلي ان يذهب عنه الحر والبرد فلم يشتك واحدا منهما وكان
رضي الله عنه يلبس ثياب الشتا في الصيف وثيابا الصيف في الشتا
في الصيف وثياب الصيف في الشتا اي ومن ذلك ما حدث
به بلال قال اذنت في غداة باردة فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فلم ير
في المسجد احدا فقال اين الناس فقلت حبسهم البرد فقال اللهم اذهب
عنهم البرد قال فلقد رايتهم يتروحون في الصلاة ومنها دعاوه صلى
الله عليه وسلم لعلي رضي الله تعالى عنه وقد اصابه مرض واشتد به وسمعه يقول
اللهم ان كان اجلي قد حضر فارحني وان كان متاخرا فاشفني وان كان بلا
فصبرني فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كيف قلت فاعاد ذلك عليه
فمسح بيده المباركة الشريفة ثم قال اللهم اشفه فما عاد ذلك المرض
اليه ومنها انه صلى الله عليه وسلم تفل في عيني علي رضي الله عنه وهو ارمد
فعوفي من ساعته كما تقدم في فتح خيبر اي ومنها دعاوه صلى الله عليه وسلم
لحذيفة رضي الله عنه في الخندق ليلة انهزام الاحزاب بان الله يذهب
عنه البرد فكانه يمشي في حمام كما تقدم اي ومنها انه صلى الله عليه وسلم
بصق في جرح كلثوم بن الحصين وقد رمي فيه بسهم يوم احد فبرا كما تقدم
ومنها انه صلى الله عليه وسلم تفل على اثر سهم في وجه ابي قتادة رضي
الله عنه في غزاة ذي قرد فما ضرب عليه ولا قاح كما تقدم ومنها انه صلى
الله عليه وسلم تفل على شجة عبد الله بن انيس فلم تقح كما تقدم ومنها انه صلى
الله عليه وسلم نفث على ضربة بساق سلمة بن الاكوع رضي الله عنه يوم
خيبر فبرات كما تقدم اي ومنها انه صلى الله عليه وسلم نفث على رجل ورأس

زيد بن معاذ حين أصابهما السيف عند قتل كعب بن الأشرف فبرا كما تقدم
ومنها أنه صلى الله عليه وسلم نفث على ساق علي بن الحكم يوم الخندق وقد
انكسرت فبرا مكانه ولم ينزل عن فرسه كما تقدم ومنها أنه صلى الله عليه وسلم
نفث على يد معوذ بن عفراء وقد قطعها عكرمة بن أبي جهل يوم بدر وجاء
يحملها فألصقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتصقت كما تقدم ومنها
أن محمد بن حاطب يحدث عن أمه أنها ولدته بأرض الحبشة وأنها خرجت
به قالت حتى إذا كنت من المدينة على ليلة أو ليلتين طبخت لك طعاما
ففني الحطب فذهبت أطلب فتناولت القدر فانكفت على ذراعك فقدمت
المدينة فأتيت بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هذا
محمد بن حاطب وهو أول من سمي بك أي بعد الإسلام قال فتفل رسول
الله صلى الله عليه وسلم في فيك ومسح على رأسك ودعا لك ثم تفل على يدك
ثم قال أذهب الباس رب الناس اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك لا
يغادر سقما قالت فما قمت من عنده صلى الله عليه وسلم حتى برئت يدك اهـ ومنها
أنه صلى الله عليه وسلم نفث في عاتق خبيب وقد أصيب يوم بدر بضربة
على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانه
كما تقدم ومنها رد عين قتادة بعد أن سالت على خده فكانت أحسن
عينيه كما تقدم ومنها أن شريكا اشتكى إليه ذهاب بصره وأنه لا قائد
له فقال له توضأ وصل ركعتين وعلمه دعاء فدعا به فأبصر لوقته
أي ومنها أن رجلا ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيئا فنفث
رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فأبصر قال بعضهم رأيته
وهو ابن ثمانين سنة يدخل الخيط في الإبرة ومنها أن عتبة بن فرقد
السلمي كان يشم منه رائحة الطيب ولا يمس طيبا لكونه صلى الله
عليه وسلم نفث في يده الشريفة ومسح بها على جسده قال بعض نساء عتبة
كنا أربع نسوة ما منا امرأة إلا وهي تجتهد في الطيب لتكون أطيب
وإذا خرج إلى الناس قالوا ما شممنا ريحا أطيب من ريح عتبة فقلت
له يوما إنا لنجتهد في الطيب ولأنت أطيب ريحا منا فمم ذاك قال أخذ
الشرى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكوت إليه ذلك فأمرني
أن أتجرد فتجردت وقعدت بين يديه وألقيت ثوبي على فرجي فنفث في يده
ودلك بها الأخرى ثم مسح ظهري وبطني بيديه فعبق هذا الطيب من يومئذ

وإلى ذلك أشار صاحب الأصل بقوله

وعتبة لما شمه راح عاطرا

بضوع الشذا منه بأعطر ما يجدي

ومنها دعوته صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما بأن الله
عز وجل يعلمه التأويل ويفقهه في الدين فعن ابن عباس رضي الله عنهما
ضمني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صدره فقال اللهم علمه الكتاب
وفي لفظ الحكمة وعنه رضي الله عنه قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم الخلاء
فوضعت له وضوءا فلما خرج قال من وضع هذا فأخبر فقال اللهم فقهه
في الدين وعلمه التأويل وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال دعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عباس فقال اللهم بارك فيه
وانشر منه فكان كما دعا ومنها دعاؤه صلى الله عليه وسلم لجمل جابر فصار
سابقا بعد أن كان مسبوقا كما تقدم ومنها دعاؤه صلى الله عليه وسلم
لأنس بطول العمر وكثرة المال والولد فكان كما دعا فقد ذكر أنه رضي الله
عنه عاش فوق المائة وأخبر عن نفسه أنه أكثر الأنصار مالا ولم يمت
حتى رأى مائة ولد من صلبه وقد كان دفن مائة وعشرين من أولاده
حتى قدم الحجاج البصرة وولد له بعد ذلك اهـ ومنها دعاؤه صلى الله
عليه وسلم لأم أبي هريرة رضي الله عنه بالإسلام فأسلمت فعن أبي هريرة
رضي الله عنه قال كنت أدعو أمي للإسلام وهي مشركة فدعوتها يوما
فأسمعتني في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكره فأتيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأنا أبكي فقلت يا رسول الله قد كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى علي فدعوتها
اليوم فأسمعتني فيك ما أكره فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اللهم اهد أم أبي هريرة للإسلام فخرجت مستبشرا
بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم فلما جئت فصرت إلى الباب فإذا هو
مجاف أي مردود فسمعت أمي خشف قدمي فقالت مكانك يا أبا هريرة
وسمعت خضخضة الماء فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها
ففتحت الباب ثم قالت يا أبا هريرة أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد
أن محمدا عبده ورسوله فخرجت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته
وأنا أبكي من الفرح فقلت يا رسول الله أبشر فقد استجاب الله دعوتك
وهدى أم أبي هريرة فحمد الله تعالى وقال خيرا اهـ ومنها دعاؤه صلى الله

عليه وسلم في تمر حايط جابر رضي الله عنه بالبركة فاوفى منه ما عليه وهو ثلاثون
وسقا بسبب دين استدانه والده من يهودي وفضل بعد ذلك ثلاثة
عشر وسقا وفي رواية سبعة عشر وسقا اي مع قلة ما كان فيه من التمر
حتى قال جابر حتى كنت اود ان يودي الله دين والدي ولا ارجع الى اخوتي
بتمرة واحدة فان النخل ذلك العام لم يحمل الا القليل وصار رسول
الله صلى الله عليه وسلم يكلم اليهودي في ان يصبر الى عام قابل وهو يابى
ويقول يا ابا القاسم لا انظره فقام رسول الله صلى الله
فطاف في النخل ثم قال يا جابر جد اي اقطع واقض فاخذت في الجداد
ووفيته ثلاثين وسقا وفضل سبعة عشر وسقا فجيته صلى الله عليه وسلم
فاخبرته فضحك وقال اخبر بذلك عمر بن الخطاب فذهبت فاخبرته
فقال لقد علمت حين مشى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليباركن
فيها وفي لفظ اخر عن جابر رضي الله عنه توفي ابي وعليه دين فعرضت
على غرمايه ان ياخذوا النخل بما عليه فابوا ولم يروا ان فيه وفا فاتيت
النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال اذا جددته ووضعته
في المربد فاعلمني فجددته فلما وضعته في المربد اذنت رسول الله صلى
الله عليه وسلم فجا ومعه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فجلس عليه ودعى
بالبركة اي فهذا محمل رواية ودعى في تمر جابر بحذف حايط وقد يجوز
ان يكون صلى الله عليه وسلم طاف في النخل اولا ودعا ثم لما قطع التمر
ووضع في المربد جا وجلس عليه ودعى ولا مخالفة ثم قال صلى الله
عليه وسلم ادع غرماك فما تركت احدا له دين الا قضيته وفضل مثله
فجيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبشرته فقال اشهد اني رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومنها استسقاوه صلى الله عليه وسلم فامطرت السماء اسبوعا
ثم شكي له من كثرة المطر فاستصحى لهم فانجاب السحاب كما تقدم ومنها
انه صلى الله عليه وسلم دعى على عتيبة بن ابي لهب بان يسلط
عليه كلب فافترسه الاسد من بين القوم كما تقدم اي والاسد انما
سمي كلبا لانه يشبه الكلب في انه اذا بال رفع رجله ومن ثم قيل
ان كلب اهل الكهف كان اسدا وحكي انه كان رجلا سمي بالكلب لملازمته
للحراسة ويرده ما جا ليس في الجنة من الدواب الا كلب اهل الكهف
وحمار العزير وناقة صالح وتقدم ذلك مع زيادة واما عتبة مكبرا

فقد اسلم يوم فتح مكة هو واخوه معتب هذا هو المشهور وبعضهم عكس فقال
عتبة المكبر عتيبة الاسد وعتيبة المصغر هو الذي اسلم يوم الفتح ومنها
شهادة الشجرة له صلى الله عليه وسلم بالرسالة في خبر الاعرابي الذي دعاه
الى الاسلام فقال له هل من شاهد على ما تقول قال نعم هذه الشجرة ثم
دعاها فاقبلت فاستشهدها فشهدت انه صلى الله عليه وسلم كما قال
ثلاثا ثم رجعت الى منبتها ومنها امره صلى الله عليه وسلم للشجرتين اللتين
كانتا بشاطي الوادي ان يجتمعا ليستتر بهما عند قضا حاجته فاجتمعا
ثم افترقتا وذهبتا الى محلهما كما تقدم في غزاة خيبر ومنها امره صلى الله
عليه وسلم انسانا ان ينطلق الى نخلات يقول لهن امركن رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان تجتمعن ليقضي حاجته بينكن فلما قضى صلى الله عليه وسلم
حاجته امره ان يامرهن بالعود الى اماكنهن فعدن كما تقدم ومنها مجي الشجرة
اليه صلى الله عليه وسلم لتظله وتسلم عليه فقد جا انه صلى الله عليه وسلم نام
اي في الشمس فجات شجرة تشق الارض حتى قامت عليه صلى الله عليه وسلم
فلما استيقظ ذكر له فقال هي شجرة استاذنت ربها في ان تسلم علي
فاذن لها ومنها حنين الجذع اليه صلى الله عليه وسلم كما تقدم ومنها تسبيح
الطعام بين اصابعه الشريفة صلى الله عليه وسلم ومنها اعلام الشاة
المسمومة له صلى الله عليه وسلم بانها مسمومة كما تقدم ومنها شكوى البعير
له صلى الله عليه وسلم مالكه قلة العلف وكثرة العمل كما تقدم اي
ومنها شكوى بعض الطيور له صلى الله عليه وسلم بسبب اخذ بيضه او
فراخه فقد جا ان حمامة جات فوق راسه صلى الله عليه وسلم فقال ايكم
فجع هذه فقال رجل من القوم انا اخذت بيضها فقال رده رده رحمة لها
وفي لفظ من فجع هذه بفرخيها فقلنا نحن يا رسول الله فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ردوهما ردوهما الى موضعهما ولا مانع من وجود البيض
مع الفراخ ومنها سجود البعير له صلى الله عليه وسلم الذي استصعب
على اهله وصار كالكلب الكلب لا يقدر احد على ان يقرب منه كما تقدم
ومنها سجود الغنم له صلى الله عليه وسلم في بعض حوايط الانصار رضي
الله عنهم ومنها تكليم الجمل له صلى الله عليه وسلم كما تقدم ومنها الحمار
له صلى الله عليه وسلم كما تقدم ومنها شهادة الجمل عنده صلى الله عليه
وسلم انه لصاحبه الاعرابي دون من ادعاه ففي المعجم الكبير للطبراني

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فبصرنا بأعرابي آخذ بخطام بعيره حتى وقف على النبي صلى الله عليه وسلم وجاء
رجل آخر كأنه حرسي فقال الحرسي يا رسول الله هذا الأعرابي سرق البعير فرغا
البعير ساعة وحن فأنصت له رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة يسمع
رغاه وحنينه فلما هدأ البعير أقبل النبي صلى الله عليه وسلم فقال للرجل
انصرف عنه فإن البعير شهد عليك أنك كاذب فانصرف وأقبل النبي
صلى الله عليه وسلم على الأعرابي فقال أي شيء قلت حين جئتني قال قلت
بأبي أنت وأمي اللهم صل على محمد حتى لا تبقى صلاة اللهم وبارك على محمد حتى
لا تبقى بركة اللهم وسلم على محمد حتى لا يبقى سلام اللهم وارحم محمدا حتى لا تبقى
رحمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل أبدى لي
أن البعير ينطق بعذرك وأن الملائكة قد سدوا الأفق ومنها سؤال الظبية
له صلى الله عليه وسلم أن يخلصها لترضع ولدها وتعود فخلصها وعادت
وتلفظت بالشهادتين فعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال
مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ظبية مربوطة إلى خباء فقالت يا رسول
الله خلني حتى أذهب فأرضع خشفي ثم أرجع فتربطني فقال لها صيد
قوم وربيطة قوم ثم استحلفها أن ترجع فحلفت له صلى الله عليه وسلم فخلاها
فمكثت قليلا ثم جاءت وقد نفضت ما في ضرعها فربطها رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم أتى خباء أصحابها فاستوهبها منهم فوهبوها له فخلاها وعن
زيد بن أرقم نحو هذا وزاد فأنا والله رأيتها تسبح في البرية وتقول لا إله
إلا الله محمد رسول الله وذكر بعضهم أن حديث الغزالة موضوع أي ومنها
شهادة الذئب له صلى الله عليه وسلم بالرسالة ومنها شهادة الضب له صلى
الله عليه وسلم بالرسالة كما تقدم ومنها أخباره صلى الله عليه وسلم عن مصارع
المشركين ببدر فلم يعد أحد منهم مصرعه كما تقدم ومنها أخباره صلى الله عليه
بأن طائفة من أمته يغزون البحر وأن أم حرام بالراء المهملة بنت ملحان منهم
فكان كذلك كما تقدم ومنها أخباره صلى الله عليه وسلم لعثمان بن عفان رضي
الله عنه بأنه تصيبه بلوى شديدة فأصابته وقتل فيها ومنها قوله صلى الله عليه
وسلم لقيس بن خرشة العبسي رضي الله عنه وقد قال له يا رسول الله
أبايعك على ما جاءك من الله وعلى أن أقول الحق فقال يا قيس عسى أن مر بك الدهر
أن يليك ولاة لا تستطيع أن تقول معهم الحق فقال قيس لا والله لا أبايعك

على شيء إلا وفيت به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لا
يضرك بشر وكان قيس يعيب زيادا وابنه عبيد الله بن زياد من بعده فبلغ
ذلك عبيد الله بن زياد فأرسل إليه فقال له أنت الذي تفتري على الله و
على رسوله صلى الله عليه وسلم فقال لا ولكن من هو قال من ترك العمل بكتاب الله وسنة
رسوله صلى الله عليه وسلم قال ومن ذاك قال أنت وأبوك ومن أمركما قال وأنت
الذي تزعم أنك لا يضرك بشر قال نعم قال لتعلمن اليوم أنك كاذب ائتوني
بصاحب العذاب فمال قيس عند ذلك فمات ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم
للأنصار إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني والأثرة بضم الهمزة
وسكون الثاء المثلثة أي يستأثر عليكم غيركم بأمور الدنيا فكان ذلك مما وقع في زمن
معاوية في وقعة الجمل وصفين وفي زمن ولده يزيد في وقعة الحرة كما تقدم
ومنها أخباره صلى الله عليه وسلم لا يبقى أحد من أصحابه بعد المائة أي من
الهجرة أي والذي ينبغي أن تكون المائة من حين وفاته صلى الله عليه وسلم
لأن أبا الطفيل آخر من مات من الصحابة رضي الله تعالى عنهم فكان موته
بعد المائة من الوفاة وعن أبي الطفيل رضي الله عنه ومسح رسول الله صلى
الله عليه وسلم بيده على رأسي وقال يعيش هذا الغلام قرنا فعاش مائة سنة
ومنها أخباره صلى الله عليه وسلم بالمغيبات وهذا باب واسع جدا فمن ذلك
أنه جيء إليه صلى الله عليه وسلم برجل سرق فقال اقتلوه فقيل له إنه سرق
فقال اقطعوه ثم أتي به بعد إلى أبي بكر رضي الله عنه وقد سرق فقطع ثم
ثانية وثالثة ورابعة إلى أن قطعت قوائمه ثم جيء به إلى أبي بكر وقد سرق
فقال له أبو بكر رضي الله عنه لا أجد لك شيئا إلا ما قضى فيك رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم أمر بقتلك فإنه كان أعلم بذلك ثم أمر بقتله
ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لزوجاته رضي الله عنهن أيتكن تنبحها
كلاب الحوأب وأيتكن صاحبة الجمل الأديب بالدال المهملة أي الفك لغة
في الأدب بالإدغام وهو كثير الشعر يقتل حولها قتلى كثير وتنجو بعد
ما كادت فكانت تلك عائشة رضي الله عنها فإنها لما قتل عثمان بن عفان
رضي الله تعالى عنه كانت عائشة رضي الله تعالى عنها بمكة لأنها خرجت
إلى مكة وهو محاصر وكلمها مروان بن الحكم في عدم الخروج وقال لها لا تخرجي
ثم أتاها فجاء إليها طلحة والزبير رضي الله عنهما إذ بايعا عليا رضي الله
عنه على كره واستأذنا عليا في العمرة فأذن لهما فقدما مكة وخرجت

بنو امية من المدينة ولحقت بمكة قبل المبايعة لعلي مروان وغيره من اهل المدينة
وجاء الى عايشة يعلي بن امية وكان عاملا لعثمان باليمن فلما بلغه حصار
عثمان توجه لنصرته فسقط من بعيره في اثنا الطريق فكسر فخذه وبلغه
قتل عثمان فلم يزل بعايشة حتى وافقت على الخروج الى العراق في طلب
دم عثمان ودفع لها ذلك الجمل يعلي بن امية اشتراه بمايتي دينار
واعان الزبير باربعمائة الف دينار وصار يقول من خرج في طلب دم عثمان
فعلي جهازه فجهز سبعين رجلا من قريش وطلبت عايشة رضي الله عنها
عبد الله بن عمر ان يكون معهما فقال نعوذ بالله ان ندخل في الفتنة
وقيل ان طلحة والزبير دعوا عبد الله بن عمر الى الخروج معهم
فقال اما تخافون الله ايها القوم وقد عرفت هذه الاباطيل عنكم وكيف
اضرب في وجه علي بن ابي طالب بالسيف وقد عرفت فضله وسابقته
ومكانته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وانكما بايعتماه ونكثتماه
القيام بهذا الامر ثم نكثتما بعد ان جعل الله عليكما شهيدا وانه ما دل
ولا غير والقاتل لعثمان اخوكم وابن عمكم وريسكم يعني عايشة واخاها محمد
بن ابي بكر فاخذ بلحيته فضربه حتى تعلقت اضراسه وضربه بالمشقص فلما
كانت عايشة في اثنا الطريق سمعت كلابا تنبح فسالت عن ذلك المحل فقيل
لها ماء الحواب فارادت الرجوع لما تذكرت قول رسول الله صلى الله عليه
اي فانها صرخت واناخت بعيرها وقالت والله انا صاحبة الحوب ردوني
ردوني نحو ذلك فقال ان طلحة والزبير احضرا خمسين رجلا
يشهدوا ان هذا ليس بالحوب وان المخبر لها كذاب قال الشعبي وهي اول
شهادة زور اقيمت في الاسلام فقال لها الزبير رضي الله عنه كيف ترجعين
ولعل الله ان يصلح بك بين الناس فلما بلغ عليا رضي الله عنه توجه
عايشة ومن ذكر معها الى العراق توجه الى العراق بعد ان كان اراد الذهاب
الى الشام واقام في الناس وقال الا ان طلحة والزبير وام المومنين قد تمالوا
على سخط امارتي وانا خارج اليهم ثم جاءه الخبر ان ستين الف شيخ
تبكي تحت قميص عثمان وهو منصوب على منبر دمشق ومعلق فيه اصابع زوجة
عثمان فقال اني يطلبون دم عثمان ولما اراد الخروج جاءه عبد الله بن سلام
وقال يا امير المومنين لا تخرج منها يعني المدينة فوالله لين خرجت منها لا
ترجع اليها سلطان المسلمين فسبوه وقالوا له يا ابن اليهودية ما لك

ولهذا

ولهذا قال له الحسن اتبكين وقد كنت تجرعه ما تجرعه فقال الى كنت
افعل ذلك الى احلم من هذا ومن ثم قال لما وقع بين الحسن والحسين بعض الشي
تهاجرا ثم اقبل الحسن على الحسين فاكب على راسه يقبله فقال له الحسين ان الذي
منعني من ابتدايك بهذا انك احق بالفضل مني فكرهت ان انازعك ما انت
احق به كما تقدم ومن شعر الحسن رضي الله عنه

من ظن ان الناس يغنونه
فليس بالرحمن بواثق

ومن ذلك اخباره صلى الله عليه وسلم بقتل الاسود العنسي الكذاب الذي ادعى
ادعى النبوة ليلة قتله بصنعا ومن قتله كما تقدم اي ومنها اخباره صلى
الله عليه وسلم بان رجلا من امته يتكلم بعد الموت فكان كذلك وهو زيد بن
حارثة رضي الله تعالى عنه وتكلم غيره ايضا فعن ابن عباس ابن المسيب ان
رجلا من الانصار توفي فلما كفن اتاه القوم يحملونه تكلم فقال محمد رسول
الله فلعل المراد بالرجل جنس الرجال ومنها اخباره صلى الله عليه وسلم بان
امته تتخذ الخصيان وامرهم بان يستوصوا بهم خيرا فهو يقتضي ان الخصا
لم يكن في غير هذه الامة ومن ذلك اخباره صلى الله عليه وسلم بذهاب الامانة
والعلم والخشوع وعلم الفرايض اي قرب قيام الساعة ومن ذلك قوله
صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس تعيش حميدا وتقتل شهيدا فقتل يوم
اليمامة في قتال مسيلمة الكذاب واخباره صلى الله عليه وسلم بالمغيبات
باب واسع منه الاخبار بالحوادث الكاينة بعده الى اخر الزمان والاخبار
عن احوال القيامة عن القضا والحشر والحساب والاخبار عن الجنة والنار
فعن حذيفة رضي الله عنه قال لقد حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بما
يكون حتى تقوم الساعة وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يكون حتى
تقوم الساعة يوما الصبح وصعد المنبر فخطب حتى حضرت الظهر فنزل
فصلى الظهر ثم صعد المنبر فخطب حتى غربت الشمس فاخبر بما كان وبما هو كاين
ومن ذلك ايضا قوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه لما بعثه الى اليمن
في جماعة من المهاجرين والانصار يا معاذ انك عسى ان لا تلقاني بعد عامي
هذا ولعلك ان تمر بمسجدي هذا وقبري وكان كذلك توفي رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومعاذ باليمن ولم يقدم الا في خلافة ابي بكر رضي الله
عنه ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم ستفتح عليكم مصر فاستوصوا

بابنها فان لهم رحماً وصهراً او المراد بالرحم ام اسمعيل بن ابرهيم جد صلى الله فانها كانت قبطية والمراد بالصهر ام ولده ابرهيم عليه الصلاة والسلام لانها كانت قبطية كما علمت ومنها اجابة دعائه صلى الله عليه وسلم غير ما تقدم من ذلك دعاؤه صلى الله عليه وسلم لثعلبة بن حاطب الانصاري اي غير البدري لان ذاك قتل باحد ومنها تأخر الى زمن عثمان كما ياتي خلافاً لمن وهم في ذلك لان من شهد بدراً لا يدخل النار وكثيراً ما يقع الاشتراك في الاسم واسم الاب كما قال بعض الصحابة وهو طلحة بن عبيد الله لئن مات محمد صلى الله عليه وسلم لاتزوجن عائشة من بعده فانزل الله تعالى قوله وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله الاية ظن بعضهم ان المراد بطلحة هذا احد المبشرين بالجنة وحاشاه من ذلك مع اجلال مقامه من ان يصدر منه مثل ذلك ولما قال ثعلبة ابن حاطب له يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالاً فقال له صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم اتاه مرة اخرى فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالاً فقال له صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة اما ترضى ان تكون مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو سألت ربي عز وجل ان يسير الجبال معي ذهباً وفضة لسارت فقال والذي بعثك بالحق نبياً لئن دعوت الله ان يرزقني مالاً لاعطين كل ذي حق حقه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالاً فاتخذ غنماً فنمت كما تنمي الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل وادياً من اوديتها فكان يصلي الظهر والعصر في جماعة ويترك الجماعة فيما سواهما ثم نمت وكثرت حتى ترك الجماعة فيما سوى الجمعة فانه كان يشهدها مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم ترك الجمعة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما فعل ثعلبة فاخبروه بخبره فقال صلى الله عليه وسلم ويح ثعلبة قالها ثلاثاً فلما نزل قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة الاية بعث النبي صلى الله عليه وسلم رجلين على الصدقة وكتب لهما فرائض الصدقة واسنانها وقال لهما مرا بثعلبة فخرجا حتى اتيا ثعلبة فسألاه الصدقة واقرآه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الي فانطلقا ثم مرا عليه فقال لهما اریاني كتابكما فنظر فيه فقال ما هذه الا اخية الجزية انطلقا حتى ارى رأيي فانطلقا حتى اتيا النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآهما قال قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة فلما اخبراه بالذي صنع ثعلبة انزل الله تعالى ومنهم من عاهد

الله

الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون الايات وكان عند النبي صلى الله عليه وسلم رجل من اقارب ثعلبة فارسل اليه بان قد انزل الله فيك قرآناً وهو كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى اتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله ان يقبل منه الصدقة فقال ان الله منعني ان اقبل صدقتك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم هذا عملك وقد امرتك فلم تطعني وابى ان يقبل منه شيئاً ثم اتى ابا بكر رضي الله عنه حين استخلف فسأله قبول صدقته فقال لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا لا اقبلها ثم فعل كذلك مع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ثم مع عثمان رضي الله عنه وكل ابى ان يقبل صدقته ومات في خلافة عثمان ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في رجل ارتد ولحق بالمشركين اللهم اجعله آية فعن انس رضي الله تعالى عنه قال كان منا رجل من بني النجار حفظ البقرة وآل عمران وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فارتد ولحق باهل الكتاب وكان يقول ما يدري محمد الا ما كتبت له فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعله آية فاماته الله فدفنوه فاصبح وقد لفظته الارض فقالوا هذا فعل محمد واصحابه لما هرب منهم نبشوه والقوه فحفروا له واعمقوا له ما استطاعوا فاصبح وقد لفظته الارض فقالوا مثل الاول فحفروا واعمقوا فلفظته الارض المرة الثالثة فعلموا انه ليس من الناس ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لرجل يأكل بشماله كل بيمينك فقال لا استطيع اي قال ذلك تكبراً وعناداً فقال صلى الله عليه وسلم له لا استطعت فلم يطق ان يرفعها الى فيه بعد ذلك ومن ذلك المرأة التي خطبها صلى الله عليه وسلم فقال ابوها ان بها برصاً ولم يكن بها برص وانما قال ذلك امتناعاً من خطبته صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم فلتكن كذلك فبرصت ومن ذلك ان فاطمة رضي الله تعالى عنها جاءت اليه صلى الله عليه وسلم فنظر اليها وقد ذهب الدم من وجهها وغلبت الصفرة على وجهها من شدة الجوع فقال لها ادني مني يا فاطمة فدنت منه صلى الله عليه وسلم فرفع يده ووضعها على صدرها وفرج بين اصابعه وقال اللهم مشبع الجاعة ورافع الوضيعة ارفع فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم فذهبت الصفرة عنها حالاً ولم تشتك بعد ذلك جوعاً ومن ذلك ما حدث به واثلة

ابن الاسقع قال حضر رمضان ونحن في اهل الصفة فصمنا فكنا اذا
افطرنا اتى كل رجل منا رجل من اهل السعة فاخذه فانطلق به فعشاه
فاتت علينا ليلة فلم يأتنا احد فاصبحنا صياما ثم اتت علينا القابلة
فلم يأتنا احد فانطلقنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرناه
بالذي كان من امرنا فارسل صلى الله عليه وسلم الى كل امرأة من نسائه
يسألها هل عندها شيء فما بقيت امرأة الا ارسلت تقسم ما امسى في
بيتها ما يأكله ذو كبد فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
اجتمعوا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اني اسألك
من فضلك ورحمتك فانهما بيدك لا يملكهما احد غيرك فلم يكن الا
مستأذن يستأذن فاذا بشاة مصلية ورغيف فامر بها رسول الله صلى
الله عليه وسلم فوضعت بين ايدينا فاكلنا حتى شبعنا ومنها تساقط
الاصنام التي كانت حول الكعبة باشارته صلى الله عليه وسلم اليها او طعنه
فيها بقضيب كان في يده قائلا جاء الحق وزهق الباطل كما تقدم ومنها تكثير
الطعام وقد وقع له صلى الله عليه وسلم ذلك في مواطن كثيرة من ذلك
اطعام الف من صاع شعير في حفر الخندق فشبعوا والطعام اكثر مما كان
كما تقدم ومن ذلك اطعام الف من صاع شعير في حفر الخندق فشبعوا
والطعام مما كان كما تقدم ومن ذلك اطعام الخندق من تمر يسير كما تقدم
ومن ذلك جمع ما فضل من الازواد ودعاؤه فيها بالبركة وقسمتها في
العسكر فقامت بهم كما تقدم في الحديبية وتبوك ومن ذلك دعاؤه صلى
الله عليه وسلم لابي هريرة بالبركة في تمرات قد صفهن في يده وقال ادع
لي فيهن بالبركة اي فدعا له بذلك قال ابو هريرة فاخرجت من ذلك
التمر كذا وكذا وسقا في سبيل الله وكنا نأكل منه ونطعم حتى انقطع
في زمن عثمان اي بانقطاع المزود الذي امره صلى الله عليه وسلم ان يكون
به التمر والمزود وعاء من جلد يجعل فيه الزاد وقال له اذا اردت شيئا
فادخل يدك ولا تكفأ فيكفأ عليك قال ابو هريرة وكان لا يفارق حقوي
فلما قتل عثمان انقطع حقوي فسقط وفي رواية كان معلقا خلف رحلي
فوقع في زمن عثمان اي زمن محاصرته لقتله فذهب وفي رواية فلما قتل
عثمان انتهب بيتي وانتهب المزود اي بعد سقوطه من حقوه فلا يخالف ما سبق
وقد جاء في بعض الروايات عن ابي هريرة رضي الله عنه اتيت النبي صلى

الله عليه وسلم بتمرات فقلت يا رسول الله ادع لي فيهن بالبركة فصفهن ثم دعا
فيهن بالبركة وقال خذهن واجعلهن في مزود كلما اردت منهن اي اذا اردت
اخذ شيء منهن ادخل فيه يدك فخذه ولا تنثره نثرا وفي لفظ غزونا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاصاب الناس مجاعة فقال النبي صلى الله عليه وسلم
يا ابا هريرة هل من شيء قلت نعم شيء من تمر في المزود فقال ائتني به فاتيته به
فادخل يده فاخرج قبضة فبسطها ثم قال ادع لي عشرة فدعوت عشرة
فاكلوا حتى شبعوا فما زال يصنع ذلك حتى اطعم الجيش كلهم ثم قال خذ ما جئت
به ثم اكلت منه حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحياة ابي بكر واطعمت
وحياة عمر واطعمت وحياة عثمان واطعمت فلما قتل عثمان انتهب مني ٥ ومن
ذلك تكثير الطعام الذي وضعه صلى الله عليه وسلم على اصابعه فقد جاء انه
صلى الله عليه وسلم دعا باهل الصفة لقصعة ثريد فاكلوا حتى لم يبق الا
اليسير في نواحيها فجمعه صلى الله عليه وسلم فصار لقمة فوضعها على اصابعه
وقال لابي هريرة اي كان من الصفة كل بسم الله قال ابو هريرة فوالذي نفسي
بيده ما زلت آكل منها حتى شبعت كما تقدم قيل وكان اصحاب الصفة حينئذ
سبعين ثم بلغوا مائة ونيفا وقيل اربعمائة ومن ذلك تكثير الطعام الذي جاء به
انس نعمة رضي الله تعالى عنه قال تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل
باهله فصنعت امي ام سليم حيسا فجعلته في تور فقالت يا انس اذهب
بهذا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان امي تقرئك السلام وتقول
لك ان هذا منا لك قليل فقال صلى الله عليه وسلم ضعه ثم قال اذهب
فادع لي فلانا وفلانا ومن لقيت فدعوت من سمى ومن لقيت قيل لانس كم
كانوا قال زهاء ثلاثمائة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتحلق عشرة
عشرة وليأكل كل انسان مما يليه فاكلوا حتى شبعوا كلهم ثم قال لي يا انس
ارفع فما ادري حين وضعت كان اكثر او حين رفعت ومن ذلك تكثير
الطعام الذي صنعه ابو ايوب الانصاري نعمة رضي الله تعالى عنه قال
صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولابي بكر طعاما قدر ما يكفيهما
فاتيتهما به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب فادع لي ثلاثين
من اشراف الانصار قال فشق ذلك علي ما عندي ما ازيده فقال اذهب
فادع لي ثلاثين من اشراف الانصار قال ابو ايوب فدعوتهم فقال لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعموا فاكلوا حتى صدروا ثم شهدوا انه

رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يخرجوا ثم قال اذهب فادع لي ستين
من اشراف الانصار فدعوتهم فاكلوا حتى صدروا ثم شهدوا انه رسول الله صلى
الله عليه وسلم قبل ان يخرجوا ثم قال اذهب فادع لي تسعين من الانصار
فدعوتهم فاكلوا حتى صدروا ثم شهدوا انه رسول الله قبل ان يخرجوا ثم قال اذهب
فادع لي تسعين من الانصار فدعوتهم رسول الله قبل ان يخرجوا فاكلوا من طعامي
ذلك مائة وثمانون رجلا كلهم من الانصار قال ومنها تكثير اللبن في القدح
فعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه انه اشتد به الجوع يوما قال فمر علي ابو بكر
فقمت اليه وسالته عن اية من كتاب الله لنستتبعني فمر ولم يفعل ثم مر علي
عمر ففعلت معه وفعل معي كذلك ثم مر صلى الله عليه وسلم فتبسم حين راني
وعرف ما في نفسي ثم قال يا ابا هريرة وفي لفظ يا ابا هر قلت لبيك
يا رسول الله قال الحق فتبعته صلى الله عليه وسلم الى ان دخل بيته واذن لي
فدخلت فوجدت لبنا في قدح فقال لاهله من اين هذا اللبن فقيل اهدي
اليك فقال يا ابا هر قلت لبيك يا رسول الله قال ادع لي اهل الصفة
فساءني ذلك فقلت ما هذا اللبن في اهل الصفة وما اظن ان ياتيني
من هذا اللبن شيء اي لانهم كانوا اربعمائة على ما تقدم فدعوتهم فاقبلوا
حتى اخذوا مجالسهم من البيت فقال يا ابا هريرة قلت لبيك يا رسول الله
قال خذ فاعطهم فاخذت القدح فجعلت اعطيه الرجل فيشرب حتى يروى
حتى لم يبق الا انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي اشرب فشربت
فما زال يقول لي اشرب فاشرب حتى قلت لا والذي بعثك بالحق ما اجد له
مسلكا فاعطيته صلى الله عليه وسلم القدح فحمد الله عز وجل وسمى وشرب
الفضلة انتهى اي وقد تقدم ذلك وفي لفظ حتى لم يبق الا انا وهو
فاخذ القدح على يده ونظر الي وتبسم فقال يا ابا هريرة قلت لبيك يا رسول
الله قال بقيت انا وانت قلت صدقت يا رسول الله قال اقعد فاشرب
الحديث وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم لما قال لابي هريرة يا ابا هر
قال انما انا ابو هريرة فقال صلى الله عليه وسلم الذكر خير من الانثى ولما وقع
القتال بين معاوية وعلي رضي الله تعالى عنهما كان يصلي خلف علي ويحضر
طعام معاوية وعند القتال يصعد على تل فقيل له في ذلك فقال
الصلاة خلف علي اتم وطعام معاوية ادسم والقعود على هذا التل اسلم
ومن ذلك ما حدثت به بنت خباب بن الارت قالت خرج خباب في سرية فكان رسول

الله صلى الله عليه وسلم يتعهدنا وكان لنا عنز فكان يحلبها فيملا حلابها جفنة
لنا فلما جاء خباب عاد حلابها الى ما كان عليه اولا فقلت لابي كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحلبها فتمتلئ جفنتنا فلما حلبتها رجع حلابها ومن ذلك
ما حدث به بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم قال كنا زمنا اربعمائة
في موضع ليس فيه ما نستقي فشق ذلك على اصحابه فجاءت شويهة لها قرنان فقامت
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلبها فشرب حتى روي وسقى اصحابه
حتى رووا ثم قال املكها الليلة وما اراك تملكها فاخذتها فوتدت لها
وتدا ثم ربطتها بالحبل ثم قمت في بعض الليل فلم ار الشاة ورايت الحبل مطروحا
فجئت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال ذهب بها الذي جاء بها ومنها
ان امراة كانت اهدت للنبي صلى الله عليه وسلم سمنا في عكة فقبله وترك في
العكة قليلا ونفخ فيه ودعا بالبركة فكان ياتيها بنوها يسالونها الادم
فتعمد الى تلك العكة فتجد فيها سمنا فما زالت تقيم بها ادم بيتها بقية
حياته صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمان حتى كان امر علي ومعاوية وفي
رواية انها عصرتها فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها
عصرتها قالت نعم قال لو تركتها ما زال دائما ويحتمل ان الواقعة تعددت
وعن ام سليم ام انس رضي الله تعالى عنه قالت كانت لي شاة فجمعت
من سمنها ما ملات به عكة وارسلتها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلها
وامر ففرغوها وردوها فارغة وكنت غائبة عن المنزل فلما جئت رايت
العكة مملوءة سمنا قالت فقلت للتي ارسلتها معها كيف الخبر فاخبرتني
الخبر فاصدقتها وذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالته وقلت
له يا رسول الله وجهت اليك عكة سمن قال قد وصلت فقلت والذي بعثك
بالهدى ودين الحق لقد وجدتها مملوءة سمنا تقطر قال افتعجبين ان اطعمك
الله كما اطعمت نبيه صلى الله عليه وسلم اذهبي فكلي واطعمي الحديث اي
ومنها دعاؤه صلى الله عليه وسلم لفرس جعيل الاشجعي فعنه رضي الله تعالى
عنه قال خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته وانا على فرس
عجفاء ضعيفة فكنت في اخر الناس فلحقني رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال سر يا صاحب الفرس فقلت يا رسول الله عجفاء ضعيفة فرفع صلى الله
عليه وسلم مخفقة كانت معه فضربها بها وقال اللهم بارك له فيها فلقد
رايتني ما املك راسها قدام القوم ولقد بعت من بطنها باثني عشر الفا

ومنها ان جليبيب على وزن قنديل الانصاري كان قصيرا دميما اراد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يزوجه فقال يا رسول الله اذا تجدني كاسدا فقال
انك عند الله لست بكاسد فخطب له جارية من اولاد الانصار فكره ابو
الجارية وامها ذلك فسمعت الجارية بما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتلت وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان تكون
لهم الخيرة من امرهم وقالت رضيت وسلمت لما رضي به رسول الله صلى الله عليه
وسلم فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اصبب عليها الخير
صبا ولا تجعل عيشها كدا فكانت من اكثر الانصار نفقة ومالا مع كونها
ايما فانه رضي الله عنه قتل عنها في بعض غزواته معه صلى الله عليه وسلم
بعد ان قتل سبعة من المشركين ووقف عليه صلى الله عليه وسلم ودعا
له فقال ——— هذا مني وانا منه وحمله على ساعديه ما له سرير
غير ساعديه صلى الله عليه وسلم ثم حفروا له فوضعه في قبره ولم يغسله
ولم يصل عليه ومنها نبع الماء من بين اصابعه الشريفة حتى شرب القوم
وتوضؤا وهم الف واربعمائة وقال وفي رواية الف وخمسمائة وفي رواية
فشربوا وسقوا وملؤا قربهم وكان في العسكر اثنا عشر الف بعير والناس
ثلاثون الفا والخيل اثنا عشر الف فرس اي وذلك في غزوة تبوك وقد
تكرر ذلك منه صلى الله عليه وسلم في عدة مواطن عظيمة تعددت وتكررت
الروايات بحسب تكرار الوقائع وهو اشرف المياه كما قاله السراج البلقيني
ولم يسمع بمثل هذه المعجزة التي هي خروج الماء من بين الاصابع عن غير نبينا
صلى الله عليه وسلم وهي ابلغ من نبع الماء من الحجر الذي ضربه موسى عليه
الصلاة والسلام لان خروج الماء من الحجر معهود بخلاف خروجه من بين
الما واللحم والدم والعظم والعصب انتهى كما تقدم ومنها ان الماء فار
بغرز سهم من كنانته في محله وقد وقع ذلك له في الحديبية وفي تبوك
فقد جاء انه ورد في منصرفه صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك على ماء
قليل لا يروي واحدا وشكوا اليه العطش فاخذ سهما وامر ان يغرز فيه
ففار الماء وارتوى القوم وكانوا ثلاثين الفا كما تقدم وكذلك ومنها
ما تقدم له مع عمه ابي طالب بذي المجاز من ضربه الارض او صخرة برجله
حين عطش فخرج الماء كما تقدم ومنها ركوبه صلى الله عليه وسلم الجمل الذي
قطع الطريق على من يمر لما سافر مع عمه الزبير بن عبد المطلب الى اليمن كما

تقدم

تقدم ومنها انقلاب الماء المالح عذبا ببركة ريقه الشريف فقد جاء ان قوما
شكوا اليه صلى الله عليه وسلم ملوحة في ماء بيرهم فجاء في نفر من اصحابه حتى
وقف على ذلك البير فتفل فيه فتفجر بالماء العذب المعين ومنها انه كان
باليمن ماء يقال له زعاق من شرب منه مات فلما بعث النبي صلى الله
عليه وسلم وجه اليه ايها الماء اسلم فقد اسلم الناس فكان بعد ذلك من شرب
منه حم ولا يموت ومنها زوال القراع بمرور يده الشريفة فقد جاء ان امراة
اتته بصبي لها اقرع فمسح على راسه فاستوى شعره وذهب داؤه ومنها
احيا الموتى له صلى الله عليه وسلم وسماع كلامهم فمن ذلك انه صلى الله عليه وسلم
دعا رجلا للاسلام فقال لا اومن بك حتى تحيي لي بنتي فقال ارني قبرها
فاراه قبرها فقال ——— صلى الله عليه وسلم يا فلانة فقالت لبيك
وسعديك فقال صلى الله عليه وسلم اتحبين ان ترجعي الى الدنيا فقالت
لا والله يا رسول الله اني وجدت الله خيرا لي من ابوي ووجدت الاخرة خيرا
من الدنيا ومنها ابرا الابرص فقد روي ان امراة معاوية بن عفراء كان بها
برص فشكت ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح عليها بعصي
فاذهبه الله ومنها ابرا الرئة واللقوة والقرحة والسلعة والحرارة
والدميلة والاستسقا فان ابن ملاعب الاسنة اصابه استسقا
فبعث الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخذ بيده الشريفة حثوة من الارض فتفل
عليها ثم اعطاها رسوله فاخذها متعجبا يرى انه قد هزي به فاتاه بها
وهو على شفا فشربها فشفاه الله وقد اشار الى ذلك صاحب الاصل
بقوله وبكف من تربة الارض من يشتكي من مولم استسقا ومنها ان اخت
اسحاق الغنوي هاجرت من مكة تريد المدينة في واخوها اسحاق المذ
حتى اذا كانت في بعض الطريق قال لها اخوها اجلسي حتى ارجع الى مكة
فاخذ نفقة انسيتها فقالت له اني اخشى عليك الفاسق ان يقتلك
تعني زوجها فذهب اخوها الى مكة وتركها فمر عليها راكب جاء من مكة
فقال لها ما يقعدك هنا قالت انتظر اخي قال لها لا اخ لك قد
قتله زوجك بعد ما خرج من مكة قالت فقمت وانا استرجع وابكي حتى
دخلت المدينة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ في
بيت حفصة رضي الله تعالى عنها فاخبرته بالخبر فاخبرته الخبر فاخذ
ملء كفه ماء فضربني به فمن يومئذ لم ينزل من عيني دمعة وكانت تصيبني

كود

المصايب العظام غايته أن يبقوا الدمع على مقلتي ولا يسيل على وجنتي
ومنها ابرا الجراحة كما تقدم ومنها ابراء المكسر فقد مسح صلى الله عليه وسلم
على رجل ابن عتيك رضي الله عنه وقد كسرت فكانها لم تنكسر قط كما
تقدم ومنها ابرا الجنون اذ ومنها ان امراة جاته صلى الله عليه وسلم بابن
لها لا يتكلم وقد بلغ اوان الكلام فاتي بما فتمضمض وغسل يديه واعطاه
اياه وامرها ان تسقيه وتمسه به ففعلت ذلك فبرا وعقل عقلا لا
يفضل عقول الناس ومنها ان بعض الصحابة نبتت في كفه سلعة تمنعه
القبض على السيف وعنان الدابة فشكى ذلك له صلى الله عليه وسلم فما
زال يطحنها بكفه الشريفة حتى زالت ولم يبق لها اثر ومنها انه صلى الله
عليه وسلم اعطى جدلا لابن الحطب فصار سيفا ونحو ذلك لعكاشة بن محصن
يوم بدر كما تقدم ووقع لعبد الله الرحمن بن جحش يوم احد كما تقدم اي ومنها
انقلاب الما لبنا وزبدا ومنها انه عرضت كدية بالخندق ولم يقدر احد على
ان ينال شي منها فضربها فصارت كثيبا كما تقدم اي ومن اجابة دعائه صلى
الله عليه وسلم ما روي عن النابغة الجعدي رضي الله عنه قال انشدت رسول
الله صلى الله عليه وسلم ابياتا منها

فلا خير في علم اذا لم يكن له
بوادر تحمي صفوه ان يكدرا
ولا خير في جهل اذا لم يكن له
حليم اذا ما اورد الما اصدرا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجدت لا يفضض الله فاك ثم منه اشارة الى
اسنانه قال النابغة فلقد اتت علي نيف ومائة سنة وما ذهب لي سن قيل
عاش مائة واثني عشر سنة وقيل بمائة وثمانين سنة اي كما تقدم وفي لفظ
كان من احسن الناس ثغرا وكان اذا سقطت له سنة نبتت له اخرى اي
فعلى هذا الاخير فالمراد لا اخلى الله فاك من الاسنان ومن ذلك اي ان
امراة جاءت بابن لها فقالت يا رسول الله ان ابني هذا به جنون وانه ياخذه
عند غدائنا وعشائنا فيفسد علينا فمسح رسول الله صلى الله عليه
وسلم راسه ودعا له فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود فشفي ومنها ابرا وجع
الضرس فقد جاء ان بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم شكا اليه صلى
الله عليه وسلم وجع ضرسه فقال ادن مني والذي بعثني بالحق لادعون لك

بدعوة لا يدعو بها مؤمن مكروب الا كشف الله عنه كربته فوضع رسول الله صلى
الله عليه وسلم يده على الخد الذي فيه الوجع وقال اللهم اذهب عنه سوء ما يجد
وفحشه بدعوة نبيك المبارك المكين عندك سبع مرات فشفاه الله تعالى
قبل ان يبرح هذا ما يتعلق ببعض معجزاته صلى الله عليه وسلم التي يكون التحدي
اي طلب المعارضة لها •

باب في نبذة من خصائصه صلى الله عليه وسلم

اي ما اختص به عن سائر الناس من الانبيا وغيرهم وما اختص به عن غير الانبيا
وفيما اختصت به امته عن سائر الناس من الانبيا وغيرهم وفيما اشترك به
نبيه مع الانبيا دون اممهم لا يخفى ان ذكر خصائصه صلى الله عليه وسلم مندوب
قال في الروضة ولا يبعد القول بوجوب ذلك ليعرف ولا يتاسى به جاهل في
ذلك نظرا لا يخفى ان الذي من خصائصه صلى الله عليه وسلم اما ان يكون من
اختص بوجوبه عليه لان الله عز وجل علم انه صلى الله عليه وسلم اقوى به واصبر
عليه من غيره ولان ثواب الفرض افضل من ثواب النفل غالبا وقد جاء ما تقرب
الي عبدي بشي احب الي مما افترضت عليه او اختص بتحريمه عليه لان الله
عز وجل علم انه صلى الله عليه وسلم اصبر على تركه والمزيد فضل تركه او اختص
باباحته له تسهيلا عليه او اختص باتصافه لمزيد شرفه فمن القسم الاول
صلاة الضحى اي بما لو اقلها وهو ركعتان وركعتا الفجر وصلاة الوتر قال
صلى الله عليه وسلم ثلاث على فرائض ولكم تطوع الوتر وركعتا الفجر وركعتا
الضحى اي وفي الامتاع ان هذا الحديث ضعيف من جميع طرقه ومع ذلك ففي
ثبوت خصوصية هذه الثلاثة برسول الله صلى الله عليه وسلم نظر وان الذي
ينبغي ولا يعدل عنه الى غيره انه لا تثبت خصوصية الا بدليل صحيح وفي
البخاري عن عايشة رضي الله عنها ما سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم
سبحة الضحى قط واني لاسبحها وفي الترمذي عن ابي سعيد الخدري
رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى
حتى نقول لا يدعها ويدعها حتى نقول لا يصليها وهذا يدل بظاهره
ويقتضي عدم الوجوب اذ لو كانت واجبة لكان هذا او منه طلبها اشهد
من ان تنفي هذا كلامه وفيه انه جاء انه صلى الله عليه وسلم ما صلى الضحى يوم
الفتح في بيت ام هاني وواظب عليها الى ان مات وانه عليه الصلاة والسلام
صلى ثمان ركعات وجاء في حديث مرسل كان صلى الله عليه وسلم يصلي ركعتين

وأربعا وستا وثمانيا وهل المراد بالوتر أقله أو أكثره أو أدنى كماله والسواك
قال في الإقناع بل هو بالنسبة إلى الصلاة المفروضة أو في الأحوال المؤكدة
في حقنا أو فيهما هو أعم من ذلك وغسل الجمعة والأضحية واستدل على وجوبهما
عليه الصلاة والسلام بقوله تعالى إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله
رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت قال في الإقناع والأمر على الوجوب
هذا كلامه وفيه نظر لأن الأمر للوجوب والندب والذي للوجوب إنما
هو صيغة افعل قال ــــــ في الإقناع أن الآمدي وابن الحاجب عدا
ركعتي الفجر من خصائصه صلى الله عليه وسلم ولا سلف لهما في ذلك إلا حديث
ضعيف عن ابن عباس واعترض كون الوتر واجبا عليه بأنه صلى الله عليه
كما في الصحيحين صلاه على البعير إذ لو كان واجبا لما صلاه على الراحلة
وأجاب النووي بأن جواز هذا الواجب على الراحلة من خصائصه صلى
الله عليه وسلم وأجاب القرافي المالكي بأن الوتر لم يكن واجبا عليه صلى الله
عليه وسلم إلا في الحضر ووافقه على ذلك الحليمي والعز بن عبد السلام
والعقيقة وأنه صلى الله عليه وسلم يجب عليه أن يؤدي فرض الصلاة
كاملة لا خلل فيها وأنه يجب عليه صلى الله عليه وسلم أن يصلي في كل يوم
وليلة خمسين صلاة على وفق ما كان ليلة الإسراء كذا في الخصائص
الصغرى للسيوطي والمشاورة في أمر الدين والدنيا لذوي الأحلام من الأمور
الاجتهادية وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ما رأيت أحدا أكثر مشورة
لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما لما نزلت هذه الآية وشاورهم في الأمر قال النبي صلى الله عليه وسلم أما إن
الله ورسوله غنيان عنها ولكن جعلها الله رحمة في أمتي فمن شاورهم منهم
لم يعدم رشدا ومن ترك المشورة منهم لم يعدم غيا وقد قيل الاستشارة
حصن من الندامة ومصابرة العدو وإن كثر وفي الحاوي للماوردي أنه
صلى الله عليه وسلم كان إذا بارز رجلا لا ينفك عنه قبل قتله هذا
كلامه ولم أقف على أنه صلى الله عليه وسلم بارز أحدا وقضاء دين من مات
معسرا من المسلمين وأداء الجنايات والكفارات عمن لزمته وهو معسر
وتخيير نسائه بين الدنيا والآخرة أي بين زينة الدنيا ومفارقته
وبين اختيار الآخرة والبقاء في عصمته وأن من اختارت الدنيا بانت
لأن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم يا أيها النبي قل لأزواجك

ان

إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا
وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات
منكن أجرا عظيما قيل اختلف سلف هذه الأمة في سبب نزول هذه الآية على
تسعة أقوال فقد قيل نزلت لما طلبن منه صلى الله عليه وسلم زيادة في
النفقة فاعتزلهن شهرا ثم أمر بتخييرهن فيما ذكر فعن جابر رضي الله
تعالى عنه قال جاء أبو بكر رضي الله عنه يستأذن على النبي صلى الله
عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه لم يؤذن لهم فأذن لأبي بكر فدخل
ثم أقبل عمر فاستأذن له فوجد النبي صلى الله عليه وسلم جالسا حوله نساؤه
أي يسألنه النفقة وهو واجم ساكت لا يتكلم فقال عمر رضي الله تعالى
عنه لأقولن شيئا أضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو رأيت فلانة يعني زوجته سألتني النفقة فقام أبو بكر رضي الله تعالى
عنه فوجأ وقام عمر رضي الله تعالى عنه إلى حفصة فوجأ عنقها وكان
يقول تسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده ثم أقسم رسول
الله صلى الله عليه وسلم أن لا يجتمع بهن شهرا فعن عمر رضي الله تعالى عنه
أنه ذكر أن بعض أصدقائه من الأنصار جاء إليه ليلا ودق عليه بابه وقال
قال عمر فخرجت إليه فقال حدث أمر عظيم فقلت ماذا أجاءت غسان
لأنا كنا حدثنا أن غسان تنعل الخيل لغزونا فقال لا بل أعظم من ذلك
وأطول طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه فقلت خابت حفصة
وخسرت كنت أظن هذا كائنا حتى إذا صليت الصبح شددت علي ثيابي
ودخلت على حفصة وهي تبكي فقلت أطلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالت لا أدري هو هذا معتزل في هذه المشربة أي لأن نساءه صلى الله عليه
لما اجتمعن عليه في طلب النفقة أقسم أن لا يدخل عليهن شهرا من شدة
موجدته عليهن قال عمر رضي الله تعالى عنه لأقولن من الكلام شيئا
أضحك به النبي صلى الله عليه وسلم فأتيت غلاما له أسود فقلت استأذن
لعمر فدخل الغلام ثم خرج إلي وقال قد ذكرتك له فصمت فانطلقت
حتى أتيت المسجد فجلست قليلا ثم غلبني ما أجد فأتيت الغلام
فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج إلي فقال قد ذكرتك له فصمت
فلما كان في المرة الرابعة وقال لي مثل ذلك وليت مدبرا فإذا الغلام
يدعوني فقال ادخل فقد أذن لك فدخلت فسلمت على النبي صلى الله عليه

وسلم فاذا هو متكئ على رمل حصير قد اثر في جنبه فقلت اطلقت يا رسول الله نساك قال فرفع راسه الي وقال لا فقلت الله اكبر ثم قلت كنا معاشر قريش بمكة تتغلب على النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن منهن فكلمت ثلاثة يعني زوجته فراجعتني فانكرت عليها فقالت تنكر علي ان اراجعك فوالله ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وتهجره احداهن اليوم الى الليل فقلت قد خاب من فعل ذلك وخسر افتامن احداهن ان يغضب الله عليها بغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تراجعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تساليه شيئا واساليني ما بدا لك ولا يغرنك ان كانت جارتك احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك يعني عائشة فتبسم اخرى فقلت استانس يا رسول الله قال نعم فجلست وقلت يا رسول الله قد اثر في جنبك رمل هذا الحصير وفارس والروم قد وسع عليهم وهم لا يعبدون الله فاستوى جالسا وقال افي شك انت يا ابن الخطاب اولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت استغفر الله يا رسول الله فلما مضى تسع وعشرون يوما انزل الله تعالى ان يخير نساءه في قوله يا ايها النبي قل لازواجك الاية فنزل ودخل على عائشة رضي الله عنها فقالت له يا رسول الله اقسمت ان لا تدخل علينا شهرا وقد دخلت وقد مضى تسع وعشرون وفي رواية يكون هكذا وهكذا يشير باصابع يديه وفي الثالثة حبس ابهامه ثم قال يا عائشة اني ذاكر لك امرا فلا عليك ان لا تعجلي وفي رواية اني اعرض عليك امرا واحب ان لا تعجلي فيه حتى تستامري ابويك قالت وما هو يا رسول الله فقرا يا ايها النبي قل لازواجك الاية قلت افي هذا استامر ابوي فاني اريد الله ورسوله والدار الاخرة وفي رواية افيك يا رسول الله استشير ابوي بل اريد الله ورسوله والدار الاخرة قالت ثم قلت له لا تخبر امراة من نسائك بالذي قلت فقال صلى الله عليه وسلم لا تسالني امراة منهن الا اخبرتها ان الله لم يبعثني متعنتا ولكن بعثني معلما ميسرا ثم ثم فعل ازواجه صلى الله عليه وسلم مثل ما فعلت عائشة رضي الله تعالى تعالى وقد ذكر الاقوال المنسخة في الامتاع ذكر فيه ان التخيير كان بعد فتح مكة لان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لم يقدم المدينة الا بعد

الفتح مع ابيه العباس وذكر انه حضر الواقعة ومن القسم الثاني اكل الصدقة واجبة او مندوبة وكذا الكفارة والمنذور والموقوف عليه الا على جهة عامة كالابار الموقوفة على المسلمين ويشاركه في الصدقة الواجبة اله صلى الله عليه وسلم دون صدقة التطوع على الجهة الخاصة دون الجهة العامة والصدقة الواجبة في المعينة بقوله صلى الله عليه وسلم ان الصدقة لا تنبغي لال محمد انما هي اوساخ الناس ولما سال عمه العباس ان يستعمله على الصدقات قال ما كنت لاستعملك على غسالة ذنوب الناس ولما اخذ الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما تمرة من تمر الصدقة وجعلها في فيه قال له النبي صلى الله عليه وسلم كخ كخ ارم بها اما علمت انا لا ناكل الصدقة واختلف علماء السلف هل الانبياء عليهم الصلاة والسلام تشارك النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فذهب الحسن الى ان الانبياء تشاركه في ذلك وذهب سفيان بن عيينة الى اختصاص بذلك دونهم وان يعطي شيئا لاجل ان ياخذ شيئا اكثر منه وان يتعلم الكتابة او الشعر وانشاده وروايته لا التمثل به وانه اذا لبس لامة

منه
ركة

للقتال لا يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه وهذا الاخير مما يشاركه فيه الانبياء وخائنة الاعين وهي الايماء الى مباح من قتال او ضرب على خلاف ما يظهر كما تقدم وامساك من كرهته ونكاح الكتابية قيل والتسري بها والاصح خلافه ونكاح الامة المسلمة لانه لا يخشى العنت الى الزنا ومن القسم الثالث القبلة في الصوم مع وجود الشهوة فقد كان صلى الله عليه وسلم يقبل عائشة رضي الله عنها وهو صائم ويمص لسانها ولعله صلى الله عليه وسلم لم يكن يبلع ريقه المختلط بريقها والخلوة بالاجنبية وانه اذا رغب في امراة خلية كان له ان يدخل بها من غير لفظ نكاح او هبة ومن غير ولي ولا شهود كما وقع له صلى الله عليه وسلم في زينب بنت جحش رضي الله عنها كما تقدم ومن غير رضاها وانه اذا رغب في امراة متزوجة يجب على زوجها ان يطلقها له صلى الله عليه وسلم وانه اذا رغب في امة وجب على سيدها ان يهبها له وله ان يزوج المراة لمن يشاء من غير رضاها وله ان يتزوج في حال احرامه ومن ذلك ميمونة على ما تقدم وان يصطفي من الغنيمة ما شاء قبل القسمة من جارية او غيرها ومن صفاياه صلى الله عليه وسلم صفية رضي الله عنها وذو الفقار كما

تقدم وان يتزوج من غيرهم كما وقع لصفية رضي الله عنهما وقد قال المحققون
معنى ما في البخاري وغيره انه صلى الله عليه وسلم جعل عتقها صداقها انه اعتقها
بلا عوض وتزوجها بلا مهر فقول الناس امهرها نفسها انه لما لم يصدقها شيئا كان
العتق كانه المهر وان لم يكن في الحقيقة كذلك وان يدخل مكة بغير احرام اتفاقا
وان يقضي بعلمه ولو في حدود الله تعالى قال القرطبي في تفسيره اجمع العلما
انه ليس لاحد ان يقضي بعلمه الا النبي صلى الله عليه وسلم قال الجلال السيوطي
في الخصايص الصغرى وجمع له صلى الله عليه وسلم بين الحكم بالظاهر والباطن
معا وجمعت له الشريعة والحقيقة ولم يكن للانبيا عليهم الصلاة والسلام
بدليل قصة موسى مع الخضر عليهما الصلاة والسلام وقوله اني على علم لا ينبغي
لك ان تعلمه وانت على علم لا ينبغي لي ان اعلمه هذا كلامه كتب عليه الشهاب
القسطلاني هذه غفلة كبيرة وجراة على انبيا الله عليهم الصلاة والسلام
اذ يلزم منه خلو اولي العزم عليهم الصلاة والسلام عن الحقيقة الذي
لا يجوز خلو بعض احاد الاوليا عنه واخلا الخضر بل يقتضيه بعض الانبيا عن
علم الشريعة واعجب من ذلك انه تبين له وجه الخطا فاجاب بقوله مرادي
الجمع بين الحكم والقضا هذا كلامه واقول قد ذكر الجلال السيوطي في كتابه
الباهر في حكم النبي صلى الله عليه وسلم بالباطن والظاهر بل يقول مسلم
ان الذي اختص به نبينا صلى الله عليه وسلم اي عن سائر الانبيا يورث نقصا
في حق سائر الانبيا معاذ الله وكل مسلم يعتقد ان نبينا صلى الله عليه
وسلم افضل من سائر الانبيا على الاطلاق وذلك لا يورث نقصا في حق
احد منهم صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وهذا الاعتراض مما كان
يحتاج الى جواب عنه لكن خشيت ان يسمعه جاهل فيوديه ذلك الى انكار د
خصايص النبي صلى الله عليه وسلم التي فضل بها على سائر الانبيا عليهم الصلاة
والسلام توهما منه ان ذلك يورث نقصا فيهم فيقع والعياذ بالله في الكفر
والزندقة هذا كلامه ومما حكم فيه صلى الله عليه وسلم بالباطن والظاهر
معا قوله صلى الله عليه وسلم في ولد وليدة زمعة والد سودة ام المومنين
رضي الله عنها لما اختصم سعد بن ابي وقاص وعبد بن زمعة فقال سعد
يا رسول الله هذا ابن اخي عتبة بن ابي وقاص عهد الي انه ابنه انظر الى شبهه
به وقال عبد بن زمعة هذا اخي يا رسول الله ولد على فراش ابي من وليدته
فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شبهه فراى شبها بينا بعتبة ثم قال

هو لك يا عبد الولد للفراش واحتجبي منه يا سودة بنت زمعة زاد في رواية
فليس لك باخ فقد جعله اخا لسودة على الظاهر الشرع ونفى اخوته عنها بمقتضى
الباطن فقد حكم في هذه القضية بالظاهر والباطن معا واما حكمه صلى الله
عليه وسلم بالباطن فقد جا في امور متكاثرة من ذلك قتله صلى الله عليه وسلم
الحارث بن سويد بقتله المجذر بن زياد غيلة من غير دعوى الوارث ولا قيام
بينة ولا قبول الدية ومن ذلك انه صلى الله عليه وسلم قال لرجل ان اخوه ان
اخاك محبوس بدينه فاقض عنه فقال يا رسول الله اديت عنه الا دينارين
ادعتهما امراة وليس لها بينة قال اعطها فانها محقة ومن ذلك ان امراة
جات الى اخرى وقالت لها فلانة وهي ذات نسبة فاعارتها اياه فمكثت مدة
جات المراة تطلب حليها فقالت لم اطلب حليك فجات المراة التي اخذته
فانكرت اخذه فجات النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته القضية فدعاها د
فقالت والذي بعثك بالحق ما استعرت منها شيئا فقال صلى الله عليه
وسلم اذهبوا فخذوه من تحت فراشها فاخذوه فامر بها فقطعت وان يقضي د
لنفسه ولولده وان يشهد لولده وان يقبل الهدية ممن يريد الحكومة د
عنده وان يقضي في حال غضبه وان يقطع الارض قبل ان يفتحها ومما شارك
صلى الله عليه وسلم فيه الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين في
هذا القسم ان له ان يصلي بعد نومه غير متمكن الى النوم الذي تنام
فيه عينه وقلبه بناء على انه كان له صلى الله عليه وسلم نومان وحينيذ يكون
قوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبيا تنام اعيننا ولا تنام قلوبنا
المراد غالبا اذ يبعد ان يكون بقية الانبيا ليس لهم الا نوم واحد وله
نومان واباحة ترك اخراج الزكاة اي زكاة المال لانه صلى الله عليه وسلم
كبقية الانبيا لا ملك لهم مع الله وما في ايديهم من المال وديعة الله عز
وجل عندهم يبذلونه في محله ويمنعونه في غير محله ولان الزكاة مطهرة وهم
مبرون من الدنس كذا في الخصايص الصغرى نقلا عن الشيخ تاج الدين بن
عطا الله نفعنا الله به وفيها بعد ذلك انه صلى الله عليه وسلم اختص بان ما
باق بعد موته على ملكه ينفق منه على اهله في احد الوجهين وصححه امام الحرمين
والذي صححه النووي الوجه الاخر وهو خروجه عن ملكه لكنه صدقة
على المسلمين لا يختص به الورثة وما قاله ابن عطا الله بناه على مذهب
امامه سيدنا ومذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه خلافه ففي الخصايص

الصفري في يلي هذا وذكر مالك من خصائصه صلى الله عليه وسلم انه كان لا
يملك الاموال وانما كان له الاخذ والتصرف بقدر كفايته وعند الشافعي
وغيره يملك هذا كلام الخصائص ومن القسم الرابع انه اول من اخذ عليه
الميثاق يوم الست بربكم وانه اول من قال بلى وانه خص بالبسملة وفيه
ما تقدم وان ذلك على وجه وان الاصح خلافه كما في القران في سورة النمل
وفي الموضوع انزل علي اية لم تنزل على نبي بعد سليمان غيري بسم الله الرحمن الرحيم
وجاء بسم الله فاتحة كل كتاب وفيه ان الانجيل من جملتها وهو كتاب عيسى
وهو بعد سليمان وقد قدمنا ذلك عند الكلام على اوايل البعث وبفاتحة
الكتاب وخواتيم سورة البقرة امن الرسول الى ختامها واية الكرسي اعطاها
من كنز تحت العرش وكذا الفاتحة والكوثر فقد جاء اربع نزلت من كنز تحت
العرش ولم ينزل منه شي غير من ام الكتاب واية الكرسي وخواتيم البقرة
والكوثر وذكر الجلال السيوطي في الخصايص الصغرى انما اختص به صلى
الله عليه وسلم انه اعطي من كنز العرش ولم يعط منه احد غيره والسبع الطوال
والمفصل وان دار هجرته صلى الله عليه وسلم التي هي المدينة اخر الدنيا خرابا
وان جميع ما في الكون خلق لاجله وانه تعالى كتب اسمه على العرش وعلى كل سما
وما فيها كما تقدم وعلى بعض الاحجار وورق الاشجار وبعض الحيوانات
كما تقدم قال بعضهم بل وعلى ساير ما في الملكوت وذكر الملايكة له صلى الله
عليه وسلم في كل ساعة وذكر اسمه في الاذان في عهد ادم وفي الملكوت الاعلى
على ما تقدم ومما اختص به صلى الله عليه وسلم عن الانبيا عليهم الصلاة
والسلام انه يحرم نكاح ازواجه صلى الله عليه وسلم بعد موته حتى على الانبيا
بخلاف زوجات الانبيا بعد موتهم لا يحرم نكاحهن على المومنين قال شيخنا
الشمس الرملي والاقرب عدم حرمتهن على الانبيا من امته وفيه انه اذا
يحرمن على احاد المومنين فعلى الانبيا بطريق الاولى الا ان يقال الفرق
ممكن يدل عليه قوله والاقرب والا فهذا مما يتوقف فيه على النقل قيل
ومن ذلك انه يجب على ازواجه صلى الله عليه وسلم من بعده الجلوس في
بيوتهن ويحرم عليهن الخروج منها ولو لحج او عمرة والراجح خلافه فلذلك
فقد حججن رضي الله عنهن مع عمر رضي الله تعالى عنه الا سودة وزينب
وخرجن في الهوادج عليهن الطيالسة الخضر وعثمان رضي الله تعالى
يسير امامهن فيقول اذا دنا منهن احد اليك اليك وعبد الرحمن بن

عوف

عوف رضي الله تعالى عنه خلفهن يقول مثل ذلك ولا يرى منهن احد
الا مد البصر وكان ولي عثمان حج بهن ايضا الا سودة وزينب وانه يحرم روية
اشخاص زوجاته صلى الله عليه وسلم في الازر وسوالهن متنقبات اي من
غير حجاب ولا يجوز كشف وجوههن لشهادة بلا خلاف وان الله تعالى
اخذ الميثاق على ساير النبيين ادم فمن بعده ان يومنوا به وينصروه
ان ادركوه وان ياخذوا العهد على اممهم بذلك كما تقدم وانه يحشر
على البراق فقد جا تبعث الانبيا على الدواب ويبعث صالح على ناقته
ويحشر ابنا فاطمة على ناقتي العضبا والقصوا ويبعث بلال على ناقة
من نوق الجنة وان في كل يوم ينزل على قبره الشريف سبعون الف ملك
يضربونه باجنحتهم ويحفون به ويستغفرون له ويصلون عليه الى ان
يمسوا عرجوا وهبط سبعون الف ملك كذلك حتى يعرجوا لا يعودون
الى ان تقوم الساعة وانه صلى الله عليه وسلم شق صدره الشريف عند
ابتدا الوحي وانه تكرر له ذلك خمس مرات على ما تقدم وان خاتم النبوة
بظهره بازا قلبه حيث يدخل الشيطان لغيره وخاتم الانبيا كلهم في
يمينهم كما تقدم وتقدم ما فيه وان له صلى الله عليه وسلم الف اسم
وقيل عن تفسير الفخر الرازي ان له اربعة الاف اسم وانه صلى الله عليه
وسلم راى جبريل عليه الصلاة والسلام في الصورة التي خلق عليها
وغيره لم يره كذلك كما تقدم وانه عليه الصلاة والسلام يحكم بالظاهر
والباطن كما تقدم وانه صلى الله عليه وسلم احلت له مكة ساعة من نهار
وانه حرم ما بين لابتي المدينة كما تقدم وانه لم تر عورته قط وان من راها
طمست عيناه كما تقدم وانه اذا مشى في الشمس او في القمر لا يكون له ظل
لانه صلى الله عليه وسلم كان نورا وانه اذا وقع شي من شعره في النار لا يحترق
وان وطيه اثر في الصخر على ما تقدم وان الذباب لا يقع على ثيابه فضلا
عن جسده الشريف ولا يمص نحو البعوض والقمل دمه كما تقدم ومن هذا
لا ينافي كون القمل يكون في ثوبه ومن ثم جا كان صلى الله عليه وسلم يفلي ثوبه
وان عرقه صلى الله عليه وسلم اطيب من ريح المسك كما تقدم وكان صلى
الله عليه وسلم اذا ركب دابة لا تبول ولا تروث وهو راكبها ولو بني مسجده
مسجده صلى الله عليه وسلم الى صنعا كان مسجده اي في المضاعفة عند
خلافا لجمع منهم ابن حجر الهيتمي وفقا للحافظ السيوطي للعلما على

ان المسجدين اي المكي والمدني ولو وسعا لم يختلف احكامهما الثابتة لهما
وروي عن عمر رضي الله تعالى عنهما انه قال لو مد مسجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى ذي الحليفة لكان منه فهذا الاثر مصرح بان احكام مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثابتة له في التوسعة لا تمنع استمرار الحكم وتقدم
ما في ذلك وانه يجب على امته صلى الله عليه وسلم ان تصلي وتسلم عليه في
التشهد الاخير وعند كل ما يذكر عند بعضهم وان القمر شق له كما تقدم
وان الحجر والشجر سلم عليه وشهادة الشجر له بالنبوة واجابتها دعوته
وكلام الصبيان وشهادتهم له بالنبوة كما تقدم وان الجذع اليابس
حن اليه كما تقدم وانه ارسل الى الناس كافة الانس والجن اجماعا معلوما
من الدين بالضرورة فيكفر جاحد ذلك وقد يتوقف في كفر الغالي في
جحد ارساله للجن والى الملائكة على ما هو الراجح كما تقدم وقال بعضهم
والقول بمقابله مبني على تفضيل الملائكة على الانبياء وهو قول مرجوح
ذهب اليه المعتزلة والفلاسفة وجماعة من اهل السنة الاشاعرة
واستدلوا بامور كلها مردوده وتقدم عن البارزي انه ارسل الى الحيوانات
والجمادات لكن استدل له بشهادة الضب والشجر له صلى الله عليه وسلم
بالرسالة وقد يتوقف في الاستدلال بذلك وتقدم عن الحافظ السيوطي
انه ارسل الى نفسه وتقدم الفرق بين عموم رسالته صلى الله عليه وسلم
وعموم رسالة نوح وانه بعث رحمة للبر والفاجر ورحمة للكفار بتاخير
العذاب وعدم معاجلتهم بالعقوبة بنحو الخسف والمسخ والغرق كما
للامم المكذبة كما تقدم وان الله تعالى لم يخاطبه باسمه كما خاطب غيره
من الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين بل خاطبه بيا ايها النبي
يا ايها الرسول يا ايها المزمل يا ايها المدثر وقال يا ادم يا نوح يا ابراهيم • يا
داود • يا زكريا • يا يحيى • يا عيسى • وان الله تعالى اقسم بحياته قال
الله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون وروى ابن مردويه عن ابي هريرة
رضي الله تعالى عنه ما حلف عز وجل بحياة احد الا بحياة محمد صلى الله
عليه وسلم واقسم الله على رسالته بقوله يس والقران الحكيم انك لمن
المرسلين وان اسرافيل هبط اليه صلى الله عليه وسلم ولم يهبط الى نبي
قبله كما تقدم وانه اكرم الخلق على الله وانه يحرم نكاح موطوته من
الزوجات والسراري الا من باعها او وهبها من السراري في حياته ال

فرض

فرض ذلك وذهب الماوردي الى تحريمهما وفي كلام بعضهم وتحرم زوجاته
صلى الله عليه وسلم على غيره ولو قبل الدخول ولو مختارة للفراق خلافا لما
في الشرح الصغير للرافعي من حل المختارة للفراق وانه يحرم التزوج على
بناته صلى الله عليه وسلم وقيل على فاطمة خاصة واما التسري عليهن فلم
اقف على حكمه ولما علل به منع التزوج حاصل في التسري الا ان يفرق وانه اوتي
صلى الله عليه وسلم قوة اربعين رجلا من اهل الجنة في الجماع وقوة الرجل من
اهل الجنة كمائة من اهل الدنيا فيكون صلى الله عليه وسلم اعطي قوة اربعة
الاف وسليمان صلوات الله وسلامه عليه اعطي قوة مائة رجل وقيل
الف رجل اي من رجال الدنيا وان فضلاته صلى الله عليه وسلم طاهرة كما
تقدم وانه صلى الله عليه وسلم كان له ان يخص من شاء بما شاء من الاحكام
كجعله عليه الصلاة والسلام شهادة خزيمة بشهادة رجلين لان
النبي صلى الله عليه وسلم ابتاع فرسا من اعرابي فاستتبعه النبي صلى الله
عليه وسلم ليقضيه ثمن فرسه فاسرع النبي صلى الله عليه وسلم وتباطى الاعرابي
والفرس معه فساومه في الفرس رجال لا يعرفون ان النبي صلى الله عليه وسلم
اشتراه بزيادة عما اشتراه به صلى الله عليه وسلم فقال الاعرابي للنبي
صلى الله عليه وسلم ان كنت مبتاعا لهذا الفرس فابتعه والا بعته فقال
النبي صلى الله عليه وسلم وقد سمع نداء الاعرابي اوليس قد ابتعته منك فقال
الاعرابي لا فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلى قد ابتعته منك فقال الاعرابي
شهيدا يشهد اني بعتك فلما سمع خزيمة ذلك قال انا اشهد انك قد
بعته فقال النبي صلى الله عليه وسلم لخزيمة كيف تشهد ولم تكن معنا فقال
يا رسول الله انا نصدقك بخبر السماء ولا نصدقك بما تقول فجعل شهادته
بشهادة رجلين ومنه اخذ جواز الشهادة له صلى الله عليه وسلم بما ادعاه
وترخيصه صلى الله عليه وسلم لام عطية وخولة بنت حكيم في النياحة
لجماعة مخصوصين ولاسماء بنت عميس في عدم الاحداد لما قتل زوجها
سيدنا جعفر ابن ابي طالب قال لها تسلبي ثلاثا ثم اصنعي ما شئت
وتجويزه التضحية بالعناق لابي بردة ولعقبة بن عامر وزاد بعضهم ثلاثة
اخرين وتزويجه صلى الله عليه وسلم امراة على سورة من القران وقال لا
لاحد غيرك مهرا ولعل المراد سورة مجهولة فلا يخالف ذلك ما عند
ائمتنا من جواز ذلك على معين من السور القرانية وتزويجه صلى الله

عليه وسلم ام سليم اباطلحة على اسلامه كما تقدم واعادة امراة ابي ركانة
اليه بعد ان طلقها ثلاثا من غير محلل وتخصيصه صلى الله عليه وسلم نساء
المهاجرين بان يرثن دور ازواجهن دون بقية الورثة وقد الغز بعضهم في
ذلك بقوله ما

سلم على مفتي الانام وقل له
هذا سؤال في الفرائض مبهم
قوم اذا ماتوا تحوز ديارهم
زوجاتهم ولغيرها لا تقسم
وبقية المال الذي قد خلفوا
يجري على اهل التوارث منهم

وانه صلى الله عليه وسلم اول من تنشق عنه القبر فعن ابن عمر رضي الله تعالى
عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا اول من تنشق عنه الارض
ثم ابو بكر ثم عمر ثم اهل البقيع فيخرجون معي ثم انتظر اهل مكة اي وفي رواية
وانا اول من تنشق عنه الارض ثم ابو بكر ثم عمر ثم اهل البقيع فيخرجون معي
ثم انتظر اهل مكة اي وفي رواية وانا اول من تنشق عنه الارض فاكون
اول من رفع راسه فاذا انا بموسى عليه الصلاة والسلام اخذ بقائمة من
قوائم العرش فلا ادري ارفع راسه قبلي او كان ممن استثنى الله عز وجل
وفيه الاستثناء انما هو من نفخة الفزع التي هي النفخة الاولى التي
يفزع بسببها اهل السموات والارض وتمر الجبال مر السحاب وترتج الارض
باهلها ارتجاجا فتكون كالسفينة في البحر تضربها الامواج المعنية بقوله
تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة والمعنية بقوله تعالى يا ايها
الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم الاية قال صلى الله عليه وسلم
والاموات يومئذ لا يعلمون بشيء من ذلك قلنا يا رسول الله فمن استثنى
الله في قوله الا من شاء الله قال اولئك الشهداء وانما يصل الفزع احياء
عند ربهم يرزقون وقاهم الله فزع ذلك اليوم وامنهم منه وفيه ان هذا
يقتضي ان الانبياء يفزعون لانهم احياء ولم يذكرهم صلى الله عليه وسلم مع
الشهداء والقياس قد يمنع لانه يوجد في المفضول ما لا يوجد في الفاضل
وانه اول من يكسى في الموقف اعظم الحلل من الجنة وانه صلى الله عليه وسلم اول
من يقوم في المقام المحمود على يمين العرش وانه الذي يشفع في فصل القضاء بين

اهل

اهل الموقف وان له صلى الله عليه وسلم شفاعات في ذلك اليوم وهي احدى عشرة
ذكرها في سيرة الحلبي وانه صلى الله عليه وسلم صاحب لواء الحمد في ذلك اليوم ادم
فمن دونه تحت لوائه صلى الله عليه وسلم وانه عليه الصلاة والسلام خطيب
الانبياء وامامهم في ذلك اليوم كما تقدم واول من يؤذن له في السجود واول من
ينظر الى الرب عز وجل وانه صلى الله عليه وسلم يسجد اولا فيقول له الرب
جل جلاله ارفع راسك يا محمد قل تسمع وسل تعط واشفع تشفع ثم ثانيا ثم ثالثا
كذلك فيشفع وانه صلى الله عليه وسلم اول من يفيق من الصعقة وفيه ان
نفخة الصعق هي النفخة الثانية التي هي نفخة الموت لاهل السماء والارض
فقط الا ان يقال المراد بالصعقة هنا نفخة رابعة اثبتها ابن حزم وقد قال الحافظ
السيوطي واغرب ابن حزم فادعى ان النفخ في الصور يقع اربع مرات فعليه تكون
هذه النفخة ليست هي المذكورة في القران وانما تكون في الموقف بعد
النفخة الثالثة التي هي نفخة البعث التي بسببها يكون القيام من القبور
الى المحشر المعنية بقوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وهذه
النفخة الرابعة تسمى الصعق ايضا لانه بها يحصل لجميع اهل السماء والارض
في ذلك الوقت غشي وهو شبيه بالموت ويكون اول من يفيق من تلك
الصعقة هو صلى الله عليه وسلم وحينئذ يجد موسى عليه الصلاة والسلام
اخذ بقائمة من قوائم العرش ويكون قوله صلى الله عليه وسلم انا اول من تنشق
عنه الارض فاكون اول من رفع راسه فاذا انا بموسى عليه الصلاة والسلام
اخذ بقائمة من قوائم العرش من تخليط بعض الرواة وحينئذ لا يحتاج الى
الجواب بانه صلى الله عليه وسلم اخبر بقوله لا ادري قبل ان اعلمه الله تعالى
بانه اول من تنشق عنه الارض على الاطلاق وان موسى عليه الصلاة
والسلام سبقه الى العرش لانه بعد خروجه من الارض ينتظر خروج اهل البقيع
ويجيء اهل مكة فلعله ذلك واول من يمر على الصراط واول من يدخل الجنة
ومعه فقراء المسلمين وان له صلى الله عليه وسلم الوسيلة وهي اعلى درجة
في الجنة وقيل هي في الجنة لا يحصل شيء الا بواسطته وانه صلى الله عليه وسلم
لا يبقى في الجنة الا كنانة ولا يتكلم في الجنة الا بلسانه وما شارك صلى
الله عليه وسلم فيه الانبياء عليهم الصلاة والسلام في هذا القسم ان
من دعاه في الصلاة تجب عليه الاجابة قولا وفعلا ولو كثيرا ولا تبطل
صلاته بالنسبة لنبينا صلى الله عليه وسلم بخلاف غيره من الانبياء صلوات

الله وسلامه عليهم اجمعين فانها تبطل ومنه ايضا العصمة من الذنب
مطلقا كبيرا وصغيرا سهوا او عمدا وعدم التثاوب والاصلام لان كلا من
الشيطان ولم يدا اي لقضا حاجته صلي الله عليه وسلم بل كانت الارض تبتلعه
ويشم من مكانه رايحة المسك فالد وانه صلي الله عليه وسلم كان ينظر بالليل
في الظلمة كما يري في النهار في الضوء واستشكال بما جا انه صلي الله عليه
وسلم الما ابتني بام سلمة رضي الله تعالي عنها دخل عليها دخل عليها في ظلمة فوطي
صلي الله عليه وسلم علي ابنتها زينب فبكت فلما كانت الليلة القابلة د
دخل عليها صلي الله عليه وسلم في ظلمة ايضا فقال انظروا ربائبكم لا اطا
عليها و زينب هذه ولدتها ام سلمة رضي الله تعالي عنه بالحبشة د
ودخلت علي رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو يغتسل وهي اذ ذاك طفلة
فنفح صلي الله عليه وسلم وجهها بالما فلم يزل ما الشباب بوجهها حتي
عجزت وقاربت المائة سنة وكان صلي الله عليه وسلم ينظر من خلفه كما ينظر
امامه اي وعن يمينه وشماله فقد جا اني لانظر الي وراء ظهري كما انظر الي
امامي فقيل كان له صلي الله عليه وسلم بين كتفيه عينان كسم الخياط يبصر
بهما لا يحجبهما الثياب وقيل كانت تنطبع صورة المحسوسات التي خلف في
حائط قبلته صلي الله عليه وسلم كما تنطبع الصورة في المراة وهذا يدل
علي ان ذلك خاص بالصلاة وهو ظاهر اكثر الروايات اي وكانت تلك
الصلاة الي حائط فليتامل وكان صلي الله عليه وسلم ينظر في الثريا
اثني عشر نجما وغيره لا يزيد علي تسعة ولو امعن النظر واختصت في
الثريا اثنا عشر نجما وغيره لا يزيد علي تسعة هذه الامة المحمدية بامور
لم يشاركها فيه من قبلهم من الامم وهي انها خير الامم واكرم الخلق علي الله
عز وجل قال تعالي كنتم خير امة اخرجت للناس وفي الحديث ان الله عز
وجل اختار امتي علي ساير الامم وان الله ينظر اليها في اول ليلة في رمضان
واعطيت الاجتهاد في الاحكام وان الله ذكرها في الكتب القديمة د
كالتوراة والانجيل واثني عليها واعطيت الصلوات الخمس اي جمعت
لهم علي ما تقدم واعطيت صلاة العشا فقد اخرج ابو داود والبيهقي عن
معاذ بن جبل رضي الله عنه انه صلي الله عليه وسلم قال انكم فضلتم بها اي
بصلاة العشا علي ساير الامم ولم تصلها امة قبلكم وعليه ما تقدم د
واعطيت افتتاح الصلاة بالتكبير واعطيت التامين اي قول امين عقب

الدعا

الدعا فقد جا اعطيت امين ولم يعطها احد ممن كان قبلكم الا ان يكون الله
عز وجل اعطاها هارون فان موسي عليه الصلاة والسلام كان يدعو
ويومن هارون عليه الصلاة والسلام وتقدم امين عقب الفاتحة ليس
من القران اتفاقا واعطيت الاستنجا بالحجر واعطيت الاذان والاقامة
والركوع في الصلاة واما قوله تعالي لمريم اركعي مع الراكعين فالمراد د
بالركوع الخشوع تقدم ويلزمه انها اعطيت في الرفع منه سمع الله لمن حمده
وفي الاعتدال اللهم ربنا لك الحمد الخ واعطيت تحريم الكلام في الصلاة
دون الصوم عكس من قبلهم واعطيت الجماعة في الصلاة واعطيت الاصطفا
فيها كصفوف الملايكة واعطيت صلاة العيدين والكسوفين والاستسقا
والوتر واعطيت قصر الصلاة في السفر والجمع بين الصلاتين فيه علي
ما تقدم وفي المطر وفي المرض علي قول اختاره جمع من العلما ومنهم النووي
النووي رحمه الله واعطيت صلاة الخوف وصلاة شدته واعطيت شهر
رمضان علي ما تقدم واعطيت فيه امورا منها تصفيد الشياطين وقد
وقد سلت ما فايدة تصفيد الشياطين في رمضان مع وجود المعاصي
والشر وقتل الانفس فيه واجبت عنه باربعة اجوبة حاصلها ان قلة يدة
ذلك قلة الشر لا نفيه بالكلية وقد ذكرت ذلك في كتابي اسعاف
الاخوان في شرح غاية الاحسان وهو كذا في الفتح في الصوم وما يتعلق
به ومنها صلاة الملايكة عليهم حتي يفطروا ومنها ان ريح فمهم بعد
الزوال اطيب عند الله من ريح المسك وفيه ان هذا لا يختص بصوم
رمضان ومنها ان الجنة تزين فيه من راس الحول الي راس الحول وتفتح د
ابواب الجنة وتغلق ابواب وتفتح ابواب السما في اول ليلة منه ومنها
انه يغفر لهم في اخر ليلة منه واعطيت العقيقة عن الانثي واعطيت
العذبة في العمامة واعطيت الوقف والوصية بالثلث عند الموت
واعطيت غفران الذنوب بالاستغفار وجعل الندم توبة واعطيت
صلاة الجمعة واعطيت ساعة الاجابة في يومها واعطيت ليلة القدر
واعطيت السحور وتعجيل الفطر واعطيت الاسترجاع عند المصيبة د
واعطيت الحوقلة اي لا حول ولا قوة الا بالله واعطيت رفع الاصر عنها
ومنه وجوب القصاص في الخطا والمواخذة بحديث النفس والنسيان و
وقع عليه الاكراه واجماعها حجة لانها لا تجتمع علي ضلالة اي محرم واعطيت

ان اختلاف علمائها رحمة وكان اختلاف من قبلهم عذابا والمراد بعلماء
الامة المجتهدون كما ان المراد ذلك بما روى البيهقي عن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلاف
اصحابي رحمة اي ويقاس باصحابه غيرهم ممن بلغ رتبة الاجتهاد قال
بعضهم وكما ذكره بعض الاصوليين والفقهاء انه صلى الله عليه وسلم قال
اختلاف امتي رحمة لا يعرف من خرجه بعد البحث الشديد وانما يعرف
عن القاسم بن محمد بلفظ اختلاف امة محمد رحمة قال الحافظ السيوطي
ولعله خرج في بعض كتب الحفاظ التي لم تصل الينا وان الطاعون لهم
رحمة وكان على من قبلهم عذابا واعطيت الاسناد للحديث قال ابو حاتم
الرازي لم يكن في امة من الامم منذ خلق الله تعالى امة يحفظون
اثار الرسل اي ويأخذها واحد عن احد الا في هذه الامة اي حتى ان الواحد
منهم يكتب الحديث الواحد من ثلاثين طريقا فاكثر وان فيها الاقطاب
والانجاب والاوتاد ويقال لهم العمد والابدال والاخيار والعصب
فالابدال بالشام واختلفت الروايات في عددهم فاكثر الروايات
انهم اربعون رجلا وفي بعض الروايات اربعون رجلا واربعون امراة
كلما مات رجل ابدل الله تعالى مكانه رجلا وكلما ماتت امراة ابدل
الله تعالى مكانها امراة فاذا جاء الامر قبضوا كلهم فعند ذلك تقوم
الساعة وعن فضل بن فضالة قال الابدال بالشام في حمص خمسة
وعشرون رجلا وفي دمشق ثلاثة عشر وفي بيسان اثنان وفي رواية
عن حذيفة بن اليمان الابدال بالشام ثلاثون رجلا على منهاج
ابرهيم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
الابدال اربعون رجلا قلوبهم على قلب ابرهيم يدفع الله بهم عن اهل
الارض يقال لهم الابدال وعن الحسن البصري لن تخلوا الارض عن سبعين
صديقا وهم الابدال اربعون بالشام وثلاثون في ساير الارضين
وعن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو من الابدال الذين بهم قوام الدنيا واهلها
الرضا بالقضا والصبر عن محارم الله والغضب في ذات الله وجاء في
وصف الابدال انهم لم يبلغوا ما بلغوا بكثرة صلاتهم ولا صيام ولا
صدقة ولكن بسخا النفس وسلامة القلوب والنصيحة لائمتهم

وفي

وفي لفظ لجميع المسلمين وعن ابي سليمان الابدال بالشام والنجبا بمصر وفي لفظ
الابدال من الشام والنجبا من اهل مصر وفي رواية عن علي رضي الله تعالى عنه
النجبا بالكوفة والعصب باليمن والاخيار بالعراق وفي لفظ والعصب بالعراق
وعن بعضهم النقبا ثلثمائة وسبعون والبدلا اربعون والاخيار سبعة
والعمد اربعة والغوث اي والذي هو القطب واحد فمسكن النقبا المغرب
ومسكن النجبا مصر ومسكن الابدال الشام والاخيار سايحون في الارض والعمد
في زوايا الارض ومسكن الغوث مكة واذا عرضت الحاجة من امر العامة
ابتهل فيها النقبا ثم الابدال ثم الاخيار ثم العمد فان اجيبوا والا ابتهل الغوث
فما تتم مسئلته حتى يجاب وجاء عن علي رضي الله تعالى عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لم يكن نبي الا اعطي سبعة نجبا ووزرا ورفقا واني اعطيت
اربعة عشر حمزة وجعفر وابو بكر وعمر وعلي والحسن والحسين وعبد الله بن
ابن مسعود وسلمان وعمار بن ياسر وحذيفة وابو ذر والمقداد وبلال ومصعب
واسقط الترمذي حذيفة واباذر والمقداد وانهم اي امته صلى الله عليه
وسلم يخرجون من قبورهم بلا ذنوب يمحو الله عنهم باستغفار المؤمنين لهم غناهم
وانها اول من تنشق الارض وانها في الموقف تكون على مكان عال مشرف على جميع
الامم وانها اول من يحاسب وانها اول من يدخل الجنة من الامم وان لكل امتها
نورين كالانبيا وانها على الصراط كالبرق الخاطف وانها تشفع في بعضها
وان لها ما سعت وما سعي لها وانها اختصت من الامم ما عدا الانبيا بوصف
الاسلام على الراجح كما تقدم لانه لم يوصف بالاسلام احد من الامم السالفة
سوى الانبيا فقد شرفت بان وصفت بالوصف الذي توصف به الانبيا
تشريفا لها وتكريما فقد قال ابن زيد بن اسلم احد ايمة السلف العالمين بالقران
والتفسير لم يذكر تعالى بالاسلام غير هذه الامة اي وما ورد مما يوهم خلاف
ذلك مأول وقد خصت هذه الامة بخصايص لم تكن لاحد سواها الا
الانبيا فقط من ذلك الوضوء فانه لم يكن احد يتوضا الا الانبيا فعن ابن
مسعود رضي الله تعالى عنه مرفوعا في التوراة والانجيل في وصف هذه
الامة انهم يوضون اطرافهم وفي بعض الاثار افترضت عليهم ان يتطهروا
في كل صلاة كما افترضت على الانبيا لكن تقدم في الحديث انه صلى الله
عليه وسلم توضا مرة مرة فقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة الا به
ثم توضا مرتين مرتين فقال هذا وضوء الامم من قبلكم من توضا مرتين اتاه الله

اجره الله اجره مرتين ثم توضأ ثلاثا ثلاثا فقال هذا وضوئي ووضوء الانبيا
قبلي ووضوء خليلي ابرهيم صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وهذا الحديث
كما ترى مقتضي مشاركة الامم لهذه الامة في اصل الوضوء والاختصاص
انما هو بالتثليث اي والغسل من الجنابة فيما اوحى الله الى داود في
وصف هذه الامة وامرتهم بالغسل من الجنابة كما امرت الانبيا قبلهم
وان منها سبعين الفا مع كل الف من هولاء السبعين الفا سبعون الفا يدخلون
الجنة بغير حساب اي وباجلال الله توقير المشايخ منهم وانهم اذا حضروا
القتال في سبيل الله حضرتهم الملايكة لنصرة الدين وان الملايكة تنزل
عليهم في كل سنة ليلة القدر تسلم عليهم واكل الصدقة فانهم في بطونهم
واثابتهم عليها وتعجيل الثواب في الدنيا مع ادخاره في الاخرة كصلة
الرحم فانها تزيد في العمر ويثاب عليها في الاخرة ومما دعوا به استجيب
لهم روى الترمذي اعطيت هذه الامة ما لم يعط احد بقوله تعالى وقال
ربكم ادعوني استجب لكم وانما كان ذلك للانبيا اوحى الله الى داود على
وعلى نبينا افضل الصلاة والتسليم في وصف هذه الامة ان دعوني
استجبت لهم فاما ان تره عاجلا واما ان اصرف عنهم سوءا واما ان ادخر
لهم في الاخرة ومخالطة الحايض سوى الوطي وانما الحرمة مباشرة ما بين
سرتها وركبتها وفقد وضعهم في الكتب الفقهية بما لا ينبغي اعادته هنا
لطوله

باب ذكر اولاده صلى الله عليه وسلم

من خديجة قبل البعثة القاسم وهو اول اولاده صلى الله عليه وسلم وبه كان
يكنى قيل عاش سنتين وقيل سنة ونصف وقيل حتى بلغ ركوب الدابة وقيل
عاش سبع ليال وهو اول من مات من ولده صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ثم ولد
له صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ايضا زينب ثم رقية ثم فاطمة ثم ام كلثوم
وقيل اكبر بناته رقية ثم زينب ثم ام كلثوم ثم فاطمة وقيل بناته زينب
ثم رقية ثم ام كلثوم ثم فاطمة وبعض الناس ذكر رقية بعد فاطمة وبعد البعثة
ولد له عبد الله ويسمى الطيب والطاهر وقيل الطيب والطاهر غير
عبد الله ويسمى الطيب والطاهر وقيل الطيب والطاهر عبد الله المذكور
ولدا في بطن واحدة قبل البعثة اي وقيل الذاذ ولدا في بطن واحدة قبل
البعثة الطاهر والمطهر وقيل ولد له ايضا قبل البعثة في بطن واحد

الطيب

الطيب والمطيب وقيل ولد له صلى الله عليه وسلم قبل البعثة عبد مناف وهم قبل
البعثة وهم يرضعون واما عبد الله الذي ولد بعد البعثة كان اخر الاولاد من
خديجة وبهذا يظهر التوقف في قول السهيلي كلهم ولد وابعد النبوة واجاب
بعضهم بان المراد بعد ظهور دلايل النبوة وفيه ان دلايل النبوة وجدت
قبل تزوجه صلى الله عليه وسلم بخديجة وعند موت عبد الله هذا قال العاص
ابن وايل والد عمرو بن العاص وقيل ابو لهب قد انقطع ولده اي لا ولد له ذكر
لان ما عدا الذكر عند العرب لا يذكرونه ابتر فانزل الله تعالى ان شانيك هو
الابتر اقول ———— في مسلم عن انس رضي الله تعالى عنه قال بينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا اغفا اغفاءة ثم رفع راسه متبسما فقلنا ما اضحكك
يا رسول الله قال انزل الله على انفا سورة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم انا
اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانيك هو الابتر ولا يخفى ان هذا
يقتضي ان السورة المذكورة مدنية لا مكية ثم رايت الامام النووي رح
ذلك لما ذكر وقد يقال يجوز ان يكون ان شانيك هو الابتر نزل بمكة وما
عداه نزل بالمدينة وقد عبر عن معظم السورة ثم رايته في الاتقان
ذكر ان مما نزل دفعة واحدة سورا منها الفاتحة والاخلاص والكوثر ثم
رايت الرافعي قال فهم فاهمون من الحديث ان السورة نزلت في تلك
الاغفاءة وقالوا من الوحي ما كان ياتيه في النوم لان رؤيا الانبيا وحي وهذا
غير صحيح لكن الاشبه ان يقال القران كله نزل يقظة وكان خطر له في النوم
سورة الكوثر المنزلة عليه في اليقظة اي قبل ذلك وفيه ان قوله انفا
لا يناسبه قال او يحمل الاغفا على الحالة التي كانت تعتريه عند نزول
الوحي ثم رايت الجلال السيوطي في الاتقان نظر في جواب الرافعي الاول
بما ذكرته واستحسن الجواب الثاني في المواهب ان العاص بن وايل اجتمع هو ورسول
الله صلى الله عليه وسلم في باب من ابواب المسجد فتحدثا وصناديد قريش
جلوس في المسجد فلما دخل العاص المسجد قالوا له من ذا الذي كنت
تتحدث معه قال ذاك الابتر يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقد كان توفي
اولاده صلى الله عليه وسلم من خديجة اي الذكور فرد الله تعالى عليه وتولى
جوابه بقوله ان شانيك هو الابتر اي عدوك ومبغضك هو الذليل الحقير
اي يا عصك هو الابتر اي المقطوع عن كل خير والمقطوع رحمه بينه وبين هو
الابتر اي المقطوع عن كل خير والمقطوع رحمه بينه وبين ولده لان الاسلام

حجرهم عنه فلا توارث بينهم فلا نقطاع العاصب وابو لهب لهما اولاد ذكور فالاول
له عمرو ومستأمر رضي الله عنهما والثاني له عتيبة ومعتب رضي الله عنهما
نبتل وكان بين كل ولدين لخديجة سنة وكانت تعق عن الغلام بشاتين
وعن الجارية بشاة وكانت تسترضع لهم وذكر ابن عباس وغيره في قوله تعالى
يهب لمن يشاء اناثا كلوط فانه عليه السلام كان له اناث ولم يكن له ذكور
ويهب لمن يشاء الذكور كابرهيم فانه عليه الصلاة والسلام كان له
الذكور ولم يكن له بنت او يزوجهم ذكرانا واناثا كنبينا صلى الله عليه وسلم د
ويجعل من يشاء عقيما كيحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام فانه
لم يولد لهما ولد اما زينب رضي الله تعالى عنها فتزوجها ابن خالتها هالة
بنت خويلد اخت خديجة شقيقتها وهو ابو العاص بن الربيع كما تقدم وذكر
بعضهم بدلهما له تالد وما له صحابية ومنه لا اعرف لها اسلاما د
ويحتمل ان يكون احدهما اسما والاخر لقبا فهما واحد وفي سنة ثمان
من الهجرة اي في ذي الحجة ولدت له صلى الله عليه وسلم مارية القبطية
رضي الله عنها وكان معجبا بها لانها كانت بيضاء جميلة ولده ابرهيم وعق
عنه بكبشين يوم سابعه وحلق راسه وتصدق بزنة شعره فضة على
المساكين وامر بشعره فدفن في الارض اي وغارت نساؤه صلى الله
عليه وسلم من ذلك ولا لعايشة رضي الله عنها حتى انه صلى الله عليه
وسلم قال لها انظري الى شبهي فقالت ما ارى شبها فقال الا ترى
الى بياضه ولحمه وكانت قابلتها سلمى مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكانت قبل ذلك مولاة عمته صلى الله عليه وسلم صفية ومنتها اليه وسلمى
زوجة ابي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان لعمه العباس قبل
ذلك ووهبه له صلى الله عليه وسلم واسمه ابرهيم وكان قبطيا وقيل غير
ذلك اعتقه صلى الله عليه وسلم لما اخبره باسلام عمه العباس وزوجه
مولاته سلمى المذكورة وقيل كان مولى لسعيد بن العاص فورثه د
بنوه وهم ثمانية فاعتقوه كلهم الا رجل خالد فانه لم يعتق نصيبه
منه فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في ان يعتق نصيبه او يبيعه
او يهبه منه فوهبه منه صلى الله عليه وسلم فاعتقه قبل ان اسلم ابو رافع
في ذلك وبقي عقبه منه من اشراف المدينة وكان ولده عبيد الله كاتبا
وخازنا لعلي رضي الله تعالى عنه ايام خلافته فخرجت الى زوجها ابي رافع

فاخبرته

فاخبرته انها مارية قد ولدت غلاما فجاء ابو رافع الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فبشره فوهب له عبدا وروى ابو رافع ان النبي صلى الله عليه وسلم فبشره
فوهب له عبدا انه طاف على نسائه فاغتسل عند كل واحدة منهن غسلا قال
ابو رافع فقلت له يا رسول الله لو جعلته غسلا واحدا فقال هذا ازكى واطيب
وسمى صلى الله عليه وسلم ابنه يومئذ اي يوم ولادته وقيل سماه سابع
ولادته ودفعه لام بردة خولة بنت المنذر بن الانصار زوجة البراء بن اوس
لترضعه واعطاها قطعة نخل كانت ترضعه في بني مازن وترجع به الى
المدينة وكان صلى الله عليه وسلم ينطلق اليها فيدخل البيت فياخذه
فيقبله ثم يرجع ولما احتضر جاء صلى الله عليه وسلم فوجده في حجر امه فاخذه
صلى الله عليه وسلم في حجره وقال ـــــ يا ابرهيم انا لن نغني عنك د
من الله شيئا ثم ذرفت عيناه وقال انا بك يا ابرهيم لمحزونون تبكي العين
ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب ونهانا عن الصياح وفي لفظ
تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب ولولا انه وعد د
صادق وموعود جامع فان الاخر منا يتبع الاول لوجدنا عليك يا ابرهيم
وجدا اشد مما وجدنا اي وفي لفظ ولولا انه امر حق ووعد صدق د
وانها سبيل مأتية لحزنا عليك اشد من هذا وانا بك يا ابرهيم لمحزونون
وفي لفظ وانا بفراقك يا ابرهيم لمحزونون وعن سيرين لما نزل بابرهيم د
الموت صرت كلما صحت انا واختي نهانا صلى الله عليه وسلم عن الصياح
اي ولما بكى صلى الله عليه وسلم قال له ابو بكر وعمر رضي الله عنهما انت احق
من علم الله حقه قال تدمع العين وقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله د
عنه اولم تكن نهيت عن البكاء قال لا ولكني نهيت عن صوتين احمقين د
واحد بين صوت عند مصيبة وخمش وجوه وشق جيوب ورنة شيطان وصوت
عند نغمة لهو وهذه رحمة من لا يرحم لا يرحم وذكر انه لما مات كان صلى الله عليه
وسلم مستقبلا للجبل فقال يا جبل لو كان بك مثل ما بي لهدك ولكن انا
لله وانا اليه راجعون وصرخ اسامة رضي الله عنه فنهاه رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال قد رايتك تبكي فقال البكاء من الرحمة والصراخ من الشيطان
ولما مات ولد سليمان بن عبد الملك التفت الى وليه عمر بن عبد
العزيز وقال له اني لاجد في كبدي جمرة لا يطفيها الا عبرة فقال له عمر
اذكر الله يا امير المؤمنين فاحد لك ابن عباس فقد دمعت عينا رسول الله

صلى الله عليه وسلم على ولده ابرهيم فارسل سليمان عينه تبكي حتى تقضي ربا ثم
اقبل عليهما فقال لولا ارق من العبرة لانصدعت كبدي ثم لم يبك بعد
ذلك قيل في اقامتنا الكئيب لدمعته سايلة من لوعته وفي ارسال العبرة
رابعينه على سلوته ومات سنة عشرة من الهجرة واختلف في سنه فقيل
سنة وعشرة اشهر وستة ايام وقيل ثمانية عشر شهرا ومات عند ظيرة ام
بردة وغسلته وحملته بين يديها على سرير وفي رواية غسله الفضل
ابن العباس ورسول الله صلى الله عليه وسلم على سرير وفي كلام ابن الاثير قيل
ان الفضل بن عباس غسل ابرهيم ونزل في قبره هو واسامة بن زيد وجلس
رسول الله صلى الله عليه وسلم على شفير القبر قال الزبير ورش على قبره ما
وعلم على قبره بعلامة وهو اول قبر رش عليه الما وفيه انه رش على قبر عثمان
ابن مظعون بالماء وهو سابق على ابرهيم كما تقدم وصلى عليه صلى الله عليه
وسلم وكبر اربعا اي وقيل لم يصل عليه وفي كلام النووي القول بالصلاة
عليه قول جمهور العلما وهو الصحيح وما جا عن عائشة انه لم يصل عليه
قال ابن عبد البر انه غلط قال فقد اجمع جماهير العلما على الصلاة على
الاطفال اذا استهلوا عملا مستفيضا عن السلف والخلف وقال الامام
احمد في خبر عائشة انه خبر منكر جدا اي وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم
الطفل يصلى عليه وجا صلوا على اطفالكم فانه من افراطكم وجاء في المرفوع
اذا استهل المولود صلي عليه وورث وجا احق ما صليتم على اطفالكم ومن
المقرر انه اذا تعارض الاثبات والنفي قدم الاثبات ولما كسفت الشمس
في ذلك اليوم قالوا انما كسفت لموت ابرهيم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تنكسف لموت احد ولا لحياته وفي لفظ ان الشمس والقمر آيتان
من آيات الله يخوف الله بهما عباده ولا ينكسفان لموت احد ولا لحياته الـ
الحديث ودفن بالبقيع وقال صلى الله عليه وسلم الحق بسلفنا الصالح
عثمان بن مظعون ولقنه صلى الله عليه وسلم قال الامام السبكي وهو غريب
وقد احتج به بعض ائمتنا على استحباب تلقين الطفل وفي التتمة
للمتولي من ائمتنا والاصل في التلقين ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما
دفن ابرهيم قال قل الله ربي ورسول الله ابي والاسلام ديني فقيل له
يا رسول الله انت تلقنه فمن يلقننا فانزل الله تعالى يثبت الله الذين
آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة اي وفي رواية انه صلى

الله عليه وسلم لما دفن ولده ابرهيم وقف على قبره فقال يا بني القلب يحزن والعين
تدمع ولا نقول ما يسخط الرب انا لله وانا اليه راجعون يا بني
قل الله ربي والاسلام ديني ورسول الله ابي فبكت الصحابة رضوان الله
عليهم ومنهم عمر رضي الله عنه حتى ارتفع صوته فالتفت النبي صلى الله عليه
وسلم فقال ما يبكيك يا عمر فقال يا رسول الله هذا ولدك وما
بلغ الحلم ولا جرى عليه القلم ويحتاج الى مثلك يلقنه التوحيد في مثل هذا
الوقت فما حال عمر وقد بلغ الحلم وجرى عليه القلم وليس له ملقن مثلك فبكى
النبي صلى الله عليه وسلم وبكت الصحابة معه ونزل جبريل بقوله تعالى يثبت
الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة يريد بذلك وقت
الموت اي عند وجود الفتانين وعند السؤال في القبر فتلا صلى الله عليه
وسلم الآية فطابت الانفس وسكنت القلوب وشكروا الله تعالى وفيه
ان هذا يقتضي انه صلى الله عليه وسلم لم يلقن احدا قبل ولده ابرهيم وهذا
الحديث استند اليه من يقول بان الاطفال يسألون في القبر فيسن تلقينهم
وذهب جمع الى انهم لا يسألون وان السؤال خاص بالمكلف وبه افتى الحافظ
ابن حجر فقال الذي يظهر اختصاص السؤال بمن يكون مكلفا ويوافقه قول
النووي في الروضة وشرح المهذب والتلقين انما هو في حق الميت المكلف
اما الصبي ونحوه فلا يلقن قال الزركشي وهو مبني على ان غير المكلف لا
يسأل في قبره وذكر القرطبي ان الذي تقتضيه ظواهر الاخبار ان الاطفال
يسألون وان العقل يكمل لهم وذكر ان الاحاديث مصرحة بسؤال الكافر
وهذه الآية ويخالفه قولهم حكمة السؤال تمييز المؤمن المنافق الذي كان
يظهر الاسلام في الدنيا واما الكافر الجاحد فلا يسأل قال العلما في
ان الملائكة لا يسألون قال بعضهم ووجهه ظاهر فان الملائكة انما يموتون
عند النفخة الاولى اي فلم يبق منهم من يقع منه السؤال وانما عذاب القبر
فعام للمسلم والكافر والمنافق فعلم الفرق بين فتنة القبر وعذابه وهو
ان الفتنة تكون بامتحان الميت بالسؤال وانما العذاب فعام يكون
ناشئا عن عدم جواب السؤال ويكون عن غير ذلك وقد اختص نبينا صلى
الله عليه وسلم بسؤال امته عنه بخلاف بقية الانبيا صلوات الله وسلامه
عليهم اجمعين وما ذاك الا ان الانبيا قبل نبينا كان الواحد منهم اذا اتى
امته وابوا عليه اعتزلهم وعوجلوا بالعذاب وان نبينا صلى الله عليه وسلم

فبعث رحمة بتاخيرا لعذاب ولما اعطاه الله السيف فدخل في دينه لو درد
مخافة من السيف فيقيض الله تعالى فتاني القبر ليستخرجا بالسوال ما كان
في نفس الميت فيثبت المومن ويزل المنافق وفي بعض الاثار تكرار السوال في
المجلس ثلاث مرات وفي بعضها ان المومن يسال سبعة ايام والمنافق اربعين
يوما اي فيقع ذلك وفي بعض الاثار ان فتاني القبر اربعة منكر ونكير
وسيدهم رومان وفي بعضها ثلاثة انكر وناكير ورومان وقيل منكر وقيل
منكر ونكير يكونان للمنافق ومبشر وبشير للمومن ونقل الحافظ السيوطي
عن شيخه الجلال البلقيني ان السوال يكون بالسريانية واستغربه
وقال لم اره لغيره وفي كلام الحافظ السيوطي لم يثبت في التلقين حديث
صحيح ولا حسن بل حديثه ضعيف باتفاق المحدثين ولهذا ذهب جمهور
الايمة الي ان التلقين بدعة واخر من افتي بذلك العز بن عبد السلام د
وانما استحبه ابن الصلاح وتبعه النووي نظرا الي ان الحديث الضعيف
يعمل به في فضايل الاعمال وحينيذ فقول الامام السبكي حديث تلقين
النبي صلى الله عليه وسلم لابنه ليس له اصل اي صحيح او حسن وروي ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما دفن ابرهيم قال صلى الله عليه وسلم في حق ابرهيم ان له
ظيرا تتم رضاعه وفي رواية ان له ظيرين يكملان رضاعه في الجنة د
وقال صلى الله عليه وسلم لو عاش لوضعت الجزية عن كل قبطي وفي لفظ
لاعتقت القبط وما استرق قبطي قط وفي لفظ ما رق له خال قال بعضهم
معنى الاول لو عاش قرابة اخواله القبط لاسلموا فرحا به وتكرمة له لوضعت
الجزية عنهم لانها لا توضع على مسلم ومعنى الثاني اذا اسلموا وهم احرار لم
يجر عليهم الرق لان الحر المسلم لا يجري عليه الرق وذكر ان الحسن بن علي كلم معاوية
في ان يضع الخراج على اهل بلد مارية وهي حفنا بالحا المهملة واسكان الفا
والنون قرية من قرى الصعيد ففعل معاوية ذلك رعاية لحرمتهم اي د
وقال النووي واما ما روي عن بعض المتقدمين لو عاش ابرهيم لكان نبيا
فباطل وجراة على الكلام في المغيبات ومجازفة وهجوم على عظيم الزلات
قال الحافظ ابن حجر وهو عجيب مع وروده عن ثلاثة من الصحابة وكانه
لم يظهر له وجه تاويله وهو ان القضية الشرطية لا تستلزم الوقوع اي
وكان اللايق به ان يكون نبيا وان لم يكن ذلك ثم رايت الجلال
السيوطي رحمه الله نقل عن الاستاد ابي بكر بن فورك وانه قال انه صلي

الله عليه وسلم لما دفن ولده ابرهيم وقف على قبره وقال يا بني ان القلب يحزن د
والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب انا لله وانا اليه راجعون وبكى صلى
الله عليه وسلم فقد جا الي جبريل عليه السلام فقال السلام عليك يا ابا ابرهيم
ان الله قد وهب لك غلاما من ام ولدك مارية وامرك ان تسميه ابرهيم
فبارك الله لك فيه وجعله قرة عين لك في الدنيا والاخرة قال الحافظ
الدمياطي فاطمان رسول الله صلى الله عليه وسلم الي ذلك اقول ـــــــ
وسبب الطمانينة انه ان مابورا كان ياوي اليها وياتيها بالماء والحطب فاتهمت
وقال المنافقون علج يدخل على علجة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فبعث
عليا رضي الله تعالى عنه وكرم وجهه ليقتله فقال علي كرم الله وجهه يا رسول
الله اقتله او ارى فيه راي قال بل ترى رايك فيه فلما راى السيف بيد
علي كرم الله وجهه تكشف وفي لفظ فاذا هو في ركي يتبرد فقال له علي كرم الله
وجهه قم ناولني يدك فاخرجه فاذا هو مجبوب اي ممسوح فكف عنه علي ورجع
الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال اصبت ان الشاهد يرى ما لا يرى
الغايب اي وتكون هذه القضية متقدمة على قول جبريل المذكور فالمراد
مزيد الاطمينان وفي كلام بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على سارية
رضي الله عنها فوجد عندها ما ترى ذكر فوقع في نفسه شي فخرج وهو متغير اللون
فلقيه عمر رضي الله تعالى عنه فعرف الغيظ في وجه رسول الله صلى
الله عليه وسلم فسال فاخبره فاخذ عمر السيف ودخل على مارية وهو عند
فاوى اليه بالسيف فلما راى ذلك كشف عن نفسه فاذا هو مجبوب فلما
راه عمر رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال الا اخبرك يا عمر
ان جبريل اتاني فاخبرني ان الله برا مارية وقريبها مما وقع في نفسي د
وبشرني ان في بطنها غلاما مني وانه اشبه الخلق بي وامرني ان اسميه ابرهيم
وكناني بابي ابرهيم ولولا اني اكره ان احول كنيتي التي تكنيت بها لتكنيت
بابي ابرهيم والله اعلم اي وفي النور لا اعرف في الصحابة خصيا الا
هذا وشخصا اخر يقال له سندر اه مولى يقال جارية له فخصاه وجدعه
واتى النبي صلى الله عليه وسلم فاعتقه سيده وفي كلام بعضهم عد بن سدرة
وابو نعيم مابورا في الصحابة وقد غلط في ذلك فانه لم يسلم ومات
نصرانيا وهذا اي بسببه فتح المسلمون مصر في خلافة عمر رضي الله تعالى
عنه باب ـــــ ذكر اعمامه وعماته صلى الله عليه وسلم اعمامه

وعماته صلى الله عليه وسلم اعمامه صلى الله عليه وسلم اثني عشر وهم الحارث وهو اكبر
اولاد عبد المطلب وبه كان يكنى وشقيقه قثم وقد هلك صغيرا و
وابو طالب والزبير وعبد الكعبة وهؤلاء الثلاثة اشقا لعبد الله والد
النبي صلى الله عليه وسلم وقيل الحارث لا شقيق له وحمزة وشقيقاه
المقوم بفتح الواو وكسرها مشددة وحجل بتقديم الجيم على الحا واسمه المغيرة
والحجل السقا الضخم اي وقيل بتقديم الحا مفتوحة على الجيم وهو في الاصل
الخلخال والعباس وشقيقه ضرار وقد تقدم ان ام العباس اول من كسى
الكعبة الحرير وابو لهب واسمه عبد العزى والغيداق واسمه مصعب
وقيل نوفل ولقب بالغيداق لكثرة جوده اي لانه كان اجود قريش
واكثرها طعاما وما لا وذكر بعضهم في اعمامه صلى الله عليه وسلم العوام
وعماته صلى الله عليه وسلم ستة وهي ام حكيم وعاتكة وبرة واروى واميمة
وهؤلاء الخمسة اشقا لعبد الله والده صلى الله عليه وسلم وصفية اي وهي شقيقة
حمزة ولم يسلم من اعمامه الذين ادركوا البعثة الا حمزة والعباس وحكي اسلام ابي طالب
وقد تقدم ولم يسلم من عماته اللاتي ادركن البعثة من غير خلاف الا صفية
اي وهي ام الزبير بن العوام اسلمت وهاجرت اي وماتت في خلافة عمر رضي الله تعالى
عنه وقيل واسلمت عاتكة التي هي صاحبة الرؤيا يوم بدر وقيل واروى وانكر ذلك
بعضهم والمشهور ان عاتكة لم تسلم

باب ذكر ازواجه وسراريه صلى الله عليه وسلم

لا يخفى ان ازواجه صلى الله عليه وسلم المدخول بهن اثنتا عشرة امرأة خديجة بنت
خويلد رضي الله عنها وهي اول نسائه صلى الله عليه وسلم وكانت قبله تحت
ابي هالة بن زرارة التيمي وقيل كانت تحت عتيق بن عائذ المخزومي اولا
ثم تحت ابي هالة كما تقدم وجاء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر ان يبشرها
ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب اي ليس فيه رفع صوت ولا تعب
اي من درة مجوفة وقد جاء انها قالت لرسول الله ما بيت في الجنة من قصب فقال
انه من لؤلؤة مجباة بالجيم والموحدة المشددة اي مجوف وجوزيت رضي الله
تعالى عنها بهذا البيت لانها اول من بنى بيتا في الاسلام بتزوجها لرسول
الله صلى الله عليه وسلم كما جاء من كسى في عرى كساه الله من حلل الجنة ومن سقى
مسلما على ظمأ سقاه الله من الرحيق جزاء وفاقا وعن عائشة رضي الله تعالى
عنها ما غرت على احد ما غرت على خديجة ولقد هلكت قبل ان يتزوجني رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم فقالت له صلى الله عليه وسلم يوما وقد مدح خديجة مما تذكر
من عجوز حمراء الشدقين قد ابدلك الله خيرا منها فغضب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال لا والله ما ابدلني خيرا منها آمنت بي حين كذبني الناس وواستني بمالها
حين حرمني الناس ورزقت منها الولد وحرمته من غيرها واتفق له صلى الله
عليه وسلم انه ارسل الى الاحباء فتناوله صلى الله عليه وسلم ودفعه لاخر يدفعه
لها فقالت له عائشة رضي الله عنها الم تجز يدك فقال ان خديجة اوصتني
بها فقالت عائشة لكانها ليس في الارض امرأة الا خديجة فقام رسول الله صلى
الله عليه وسلم مغضبا فلبث ما شاء الله ثم رجع فاذا ام رومان ام عائشة اي
رضي الله تعالى عنها فقالت يا رسول الله ما لك ولعائشة انها حدثة وانت
احق من تجاوز عنها فاخذ بشدق عائشة رضي الله تعالى عنها وقال الست
القائلة كانها ليس في الارض امرأة الا خديجة والله لقد آمنت بي اذ كفر بي قومك
ورزقت مني الولد وحرمتموه ثم سودة بنت زمعة رضي الله تعالى عنها
اي وامها من بني النجار لانها بنت اخي سلمى ام عبد المطلب كما تقدم ثم ام
عبد الله عائشة رضي الله تعالى عنها بنت ابي بكر الصديق اكتنت بابن
اختها اسماء عبد الله بن الزبير باذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك
فصار يقال لها ام عبد الله وفي لفظ ان عبد الله بن الزبير لما ولد وحنكه
صلى الله عليه وسلم سماه عبد الله كما تقدم وقال لعائشة هو عبد الله وانت
ام عبد الله قالت فما زلت اكنى به اي وكانت تدعى بها ابدا لانه تربى في حجرها
وقيل انها اسقطت منه صلى الله عليه وسلم سقطا اي وسمي عبد الله قال الحافظ
الدمياطي ولم يثبت كما تقدم وتزوجها صلى الله عليه وسلم بمكة في شوال على راس
ثمانية اشهر من الهجرة على الصحيح كما تقدم وروى الشيخان عن عائشة رضي
الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها اريتك في النوم مرتين
ارى ملكا يحملك في سرقة اي شقة حرير فيقول هذه امرأتك فاكشف فاراك
فاقول ان كان من عند الله يمضه وقبض صلى الله عليه وسلم عنها وهي بنت ثمان
عشرة سنة ولم يتزوج بكرا غيرها وقبض صلى الله عليه وسلم وراسه في حجرها
ودفن في بيتها كما سيأتي وماتت وقد قاربت سبعا وستين سنة في شهر
رمضان سنة ثمان وخمسين وصلى عليها ابو هريرة بالبقيع وقيل سعيد بن زيد
ودفنت به ليلا وذلك في زمن ولاية مروان بن الحكم على المدينة من خلافة
معاوية وكان مروان استخلف على المدينة ابا هريرة لما ذهب الى العمرة في

في تلك السنة ثم **حفصة** بنت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما وهي
شقيقة عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما واسن منه وامهما زينب اخت
عثمان بن مظعون كانت قبله تحت خنيس بن حذافة رضي الله عنه فتوفي
عنها بجراحات اصابته ببدر وقيل باحد وهو خطا لما سيأتي ثم تزوجها
صلى الله عليه وسلم في شعبان على راس ثلاثين شهرا من الهجرة قبل
احد بشهرين **اقول** وكانت ولادتها قبل النبوة بخمس
سنين وقريش تبني البيت وماتت بالمدينة في شعبان سنة خمس واربعين
وصلى عليها مروان بن الحكم وهو امير المدينة يومئذ وحمل سريرها وحمله ايضا
ابو هريرة وقد بلغت ثلاثا وستين سنة وقيل ماتت لما بويع معاوية
سنة احدى واربعين والله اعلم وطلقها صلى الله عليه وسلم وقيل في سبب
طلاقها انه صلى الله عليه وسلم كان في بيتها فاستاذنته في زيارة
ابيها اي وقيل في زيارة عائشة لانهما كانتا متصادقتين اي بينهما
المصافاة فاذن لها فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مارية وادخلها
في بيت حفصة وواقعها فرجعت حفصة فابصرت مارية في بيتها مع
النبي صلى الله عليه وسلم فلم تدخل حتى خرجت مارية ثم دخلت وقالت له اني
رايت من كان معك في البيت وغضبت وبكت اي وقالت يا رسول الله لقد
جئت الي شيئا ما جئته الى احد من نسائك في يومي وفي بيتي وعلى فراشي فلما راى رسول الله
صلى الله عليه وسلم في وجهها الغيرة قال لها اسكتي فهي علي حرام ابتغي بذلك
رضاك اي وفي رواية اما ترضين ان احرمها على نفسي ولا اقربها ابدا قالت
بلى وحلف ان لا يقربها اي فقال انها حرام وفي رواية فذكرتها علي ومع ذلك اخبرك
ان اباك الخليفة بعد ابي بكر فاكتمي علي وفي رواية قال لها لا تخبري بما
اسررت اليك فاخبرت بذلك عائشة فقالت لها قد اراحنا الله من
مارية فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرمها على نفسه وقصت عليها
القصة وقيل خلا بمارية في يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها
اكتمي علي قد حرمت مارية على نفسي فاخبرت بذلك عائشة وكانتا متصادقتين
بينهما المصافاة كما تقدم فطلقها وانزل الله تعالى يا ايها النبي لم تحرم
ما احل الله لك الى قوله قد فرض لكم تحلة ايمانكم اي اوجب عليكم كفارة
ككفارة ايمانكم ولا ذنب منا ليس من الايمان اي واطلع الله رسوله صلى الله
عليه وسلم على ان حفصة قد نبات عائشة بما اسره اليها في امر مارية وامر

الخلافة

الخلافة فلما اخبر صلى الله عليه وسلم عائشة ببعض ما اسرته لها من امر مارية
واعرض عن بعضه وهو ما اسره اليها من امر الخلافة خوفا ان يشيع ذلك في الناس
قالت عائشة من انباك هذا قال نباني العليم الخبير ومن ثم كان ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما يقول والله ان خلافة ابي بكر وعمر لفي كتاب الله عز وجل
ثم يقرأ هذه الاية ولما افشت حفصة سره صلى الله عليه وسلم طلقها كما تقدم
فجاء جبريل بامر مراجعتها لانها صوامة قوامة وانها احدى زوجاته في الجنة
وفي رواية اتاني جبريل فقال راجع حفصة رحمة لعمر وقيل انه هم بتطليقها ولم يفعل وقد
جاء عن عمار بن ياسر انه اراد ان يطلقها فقال له جبريل انها صوامة قوامة
وانها زوجتك في الجنة وعليه فيراد بالمراجعة المصالحة والرضا عنها
قال في الينبوع وهذا هو المشهور وسيأتي ما يدل على صحته اي والذي سيأتي
قول عمر للنبي صلى الله عليه وسلم لما اعتزل نساءه يا رسول الله اطلقتهن قال
قال لا والله وقيد انه هذا كان عند طلبهن منه النفقة وهذه الواقعة
غير تلك الواقعة وقيل في سبب نزول الاية غير ذلك وفي البخاري في
نزول الاية عن عائشة رضي الله عنها انها قالت كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يشرب عسلا عند زينب ابنة جحش فلن اعود له وقد
حلفت لا تخبري احدا لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يحب ان يظهر منه
ريح كريهة لان المغافير من شجر الثمام كريهة الريح وعن عمر رضي الله عنه ان
امراته راجعته في شيء فانكر عليها مراجعته فقالت عجبا لك يا ابن الخطاب
ما تريد ان تراجع وان ابنتك لتراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يظل
يومه غضبان فقام عمر رضي الله عنه فدخل على حفصة رضي الله عنها
فقال لها يا بنية انك لتراجعي رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتراجعين
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يظل يومه غضبان فقالت له حفصة
رضي الله عنها والله انا لنراجعه فقلت تعلمين اني احذرك عقوبة الله
وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بنية لا يغرنك هذه التي اعجبها
حسنها حب رسول الله صلى الله عليه وسلم اياها يريد عائشة قال ثم
دخلت على ام سلمة لقرابتي منها فكلمتها فقالت يا ابن الخطاب دخلت
في كل شيء حتى تبتغي ان تدخل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وازواجه
فاخذتني والله اخذا كسرتني عن بعض ما كنت اجد فخرجت من عندها وانا في
منزلي فجاءني صاحب لي من الانصار واخبرني ان رسول الله صلى الله عليه

وسلم اعتزل نساءه فقلت رغم انف حفصة وعايشة فاخذت ثوبي وجيت الي رسول الله صلي الله عليه وسلم فاذا هو في مشربة له يرقي اليها بعجلة وهو جذع يرقي عليه رسول الله صلي الله عليه وسلم الي المشربة وينحدر منها عليه وغلام له اسود يقال له رباح علي راس الجذع فقلت له قل له هذا عمر بن الخطاب فاذن لي اي بعد ان قال له رباح استاذن لي رسول الله صلي الله عليه وسلم ثلاث مرات وفي كل مرة ينظر رباح الي المشربة ولا يرد له جوابا وفي الثالثة رفع عمر صوته فاومي اليه ان ارقي قال فدخلت علي رسول الله صلي الله عليه وسلم فقصصت عليه القصة فلما بلغت حديث ام سلمة تبسم رسول الله صلي الله عليه وسلم وتقدم ان هذا كان عند اجتماعهن في النفقة لا لاجل ما انباه الله اياه بسبب الحديث الذي افشته حفصة ويحتمل انه لاجتماع الامرين وفي رواية عن ابن عباس رضي الله تعالي عنهما قال لم ازل حريصا علي ان اسال عمر بن الخطاب رضي الله تعالي عنه عن المراتين من ازواج النبي صلي الله عليه وسلم اللتين قال الله تعالي ان تتوبا الي الله فقد صغت قلوبكما فقال واعجبا لك يا ابن عباس هما عايشة وحفصة اي فان الله خاطبهما بقوله ان تتوبا الي الله اي فهو خير لكما فقد صغت قلوبكما اي مالت عما يجب عليكما من طاعة رسول الله صلي الله عليه وسلم وابتغا مرضاته ثم استقبل الحديث قال كنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة علي الانصار اذا قوم تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا ياخذن من ادب نسايهم فصخبت علي امراتي فراجعتني فانكرت ان تراجعني فقالت ولم تنكر ان اراجعك فوالله ان ازواج النبي صلي الله عليه لتراجعنه وان احداهن لتهجره اليوم حتي الليل فافزعني ذلك فدخلت علي حفصة فقلت لها اتغاضب احداكن رسول الله صلي الله عليه وسلم اليوم حتي الليل قالت نعم فقلت قد خبت وخسرت افتامنين ان يغضب الله بغضب رسوله صلي الله عليه وسلم فتهلكي لا تستكثري النبي صلي الله عليه وسلم ولا تراجعيه في شي ولا تهجريه واسأليني ما بدا لك ولا يغرنك ان كانت جارتك اوضا منك واحب الي النبي صلي الله عليه وسلم يريد عايشة فاخبرت ان النبي صلي الله عليه وسلم طلق نساءه فقلت خابت حفصة وخسرت وقد كنت اظن هذا فدخلت علي حفصة فاذا هي تبكي فقلت ما يبكيك الم اكن حذرتك هذا اطلقكن رسول الله صلي الله عليه وسلم قالت لا ادري

ها هو معتزل في المشربة اي الغرفة فانه صلي الله عليه وسلم لما عاتبه سبحانه وتعالي بسبب الحديث الذي افشته حفصة الي عايشة حلف لا يدخل علي نسايه شهرا فصار يتغدي ويتعشي وحده في تلك المشربة فجيت المشربة فقلت لغلام اسود استاذن لعمر فدخل الغلام فكلم النبي صلي الله عليه وسلم ثم رجع فقال كلمته وذكرتك له فصمت فانصرفت ثم غلبني ما اجد فجيت الغلام فقلت استاذن لعمر فدخل ثم رجع الي فقال ذكرتك له فصمت فرجعت ثم غلبني ما اجد فجيت للغلام استاذن لعمر فدخل ثم رجع الي فقال ذكرتك له فصمت فلما وليت منصرفا فاذا الغلام يدعوني فقال قد اذن لك النبي صلي الله عليه وسلم فدخلت علي رسول الله صلي الله عليه وسلم فاذا هو مضطجع علي رمال حصير ليس بينه وبينه فراش قد اثر الرمال في جنبه متكيا علي وسادة من ادم حشوها ليف فسلمت عليه ثم قلت وانا قايم يا رسول الله لو رايتني ودخلت علي حفصة فقلت لها لا يغرك ان كانت جارتك اوضا منك واحب الي النبي صلي الله عليه وسلم فتبسم النبي صلي الله عليه وسلم تبسمة اخري فجلست حين رايته تبسم وفي رواية ان عمر رضي الله تعالي عنه بلغه ان النبي صلي الله عليه وسلم طلق حفصة حثي علي راسه التراب وقال ما يعبا الله بعمر وابنته بعدها فنزل جبريل علي النبي صلي الله عليه وسلم من الغد وقال ان الله يامرك ان تراجع حفصة رحمة لعمر وقد يراد بالمراجعة المصالحة والرضي بها فلا ينافي ما تقدم من انه لم يطلقها وانما اراد ذلك ويدل له ما جا عن عمار بن ياسر انه اراد ان يطلقها فقال له جبريل انها صوامة قوامة وانها زوجتك في الجنة ومن هذا وما ياتي يعلم انه صلي الله عليه وسلم الي من نسايه شهرا وان الظاهر انه لم يطلق ابدا خلافا لمن زعمه اي وجاء عن ابن عباس رضي الله تعالي عنهما في سبب اعتزاله لنسايه في المشربة انه شجر بين النبي صلي الله عليه وسلم وبين حفصة امر فقال لها اجعلي بيني وبينك رجلا قالت نعم قال فابوك اذا فارسل الي عمر فجاء فلما دخل عليهما قال لها النبي صلي الله عليه وسلم تكلمي فقالت بل انت يا رسول الله ولا تقل الا حقا فرفع عمر يده فوجا بها في وجهها ثم رفع يده فوجا بها في وجهها فقال له النبي صلي الله عليه وسلم كف فقال عمر يا عدو الله رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول الا الحق والذي بعثه بالحق لولا مجلسه ما رفعت يدي حتي تموتي فقام النبي صلي الله عليه وسلم فصعد الي الغرفة فمكث بها شهرا لا يقرب شيا من نسايه ونزلت اية التخيير وقد يقال

لا مانع من اجتماع هذا السبب مع ما تقدم ويروى أن سبب نزول آية التخيير أن
نساءه صلى الله عليه وسلم اجتمعن عليه يسألنه النفقة ولم يكن عنده شيء ان لا
يجتمع بهن شهرا وصعد المشربة الحديث ثم زينب رضي الله عنها بنت خزيمة وهي
اخت ميمونة كانت تدعى في الجاهلية ام المساكين لرأفتها واحسانها
اليهم اي كما سمي صلى الله عليه وسلم جعفر بن ابي طالب بابي المساكين لحبه لهم
وجلوسه عندهم وتحدثه معهم واحسانه اليهم كانت قبله تحت الطفيل بن
الحارث فطلقها فتزوجها اخوه عبيدة بن الحارث فقتل يوم بدر شهيدا
فخطبها صلى الله عليه وسلم فجعلت امرها اليه فتزوجها رسول الله صلى الله عليه
وسلم واصدقها اثنتي عشرة اوقية ونشا اي وذلك على رأس احد وثلاثين
شهرا من الهجرة قبل احد بشهر وفي لفظ ان عبيدة بن الحارث قتل يوم احد شهيدا
فخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي لفظ انها كانت تحت عبد الله
ابن جحش قتل عنها يوم احد فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في المو
رهو امع وعن انس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عروسا
بزينب فعمدت امي ام سليم الى تمر وسمن واقط فصنعت حيسا فجعلته
في تور فقالت يا انس اذهب بهذا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل بعثت
بهذا اليك امي وهي تقرئك السلام فقال صلى الله عليه وسلم ادع لي فلانا
وفلانا رجالا سماهم وادع لي من لقيت فدعوت من سمى ومن لقيت فرجعت
فاذا البيت غاص باهله قيل لانس ما عددهم قال كانوا ثلثمائة فرأيت
النبي صلى الله عليه وسلم وضع يده على تلك الحيسة وتكلم بما شاء الله ثم جعل
يدعو عشرة عشرة يأكلون منه ويقول لهم اذكروا اسم الله عليه
وليأكل كل رجل مما يليه فأكلوا حتى شبعوا كلهم ثم قال لي يا انس ارفع
فرفعت فما ادري حين وضعت كان اكثر ام حين رفعت فمكثت عنده صلى
الله عليه وسلم ثمانية اشهر وقيل شهرين او ثلاثة ثم توفيت وصلى عليها رسول
الله صلى الله عليه وسلم ودفنها بالبقيع وقد بلغت ثلاثين سنة او نحوها
ولم يمت في حياته صلى الله عليه وسلم من ازواجه الا هي وخديجة ثم تزوج بعد
زينب هند ام سلمة رضي الله عنها واسمها هند وكانت قبله عند ابي سلمة
عبد الله بن عبد الاسد ابن عمته صلى الله عليه وسلم برة بنت عبد المطلب
واخوه من الرضاعة وكانت هي وهو اول من هاجر الى الحبشة على ما تقدم
فلما مات ابو سلمة قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم سلي الله ان يؤجرك

في

في مصيبتك ويخلفك خيرا فقالت ومن يكون خيرا من ابي سلمة ولما اعتدت ام سلمة
ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبها مع حاطب بن ابي بلتعة اي وكان خطبها
ابو بكر رضي الله تعالى عنه فابت وخطبها عمر رضي الله تعالى عنه فابت فلما
جاءها حاطب قالت مرحبا برسول الله صلى الله عليه وسلم فقول له اني امرأة
مسنة واني ام ايتام اي لانها كان معها اربع بنات برة وسلمة وعمرة ودرة
واني شديدة الغيرة فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها
اما قولك اني امرأة مسنة فانا اسن منك ولا يعاب على المرأة ان تتزوج اسن
منها واما قولك اني ام ايتام فان كلهم على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم
واما قولك اني شديدة الغيرة فاني ادعو الله ان يذهب عنك ذلك
اي وفيه انهم قالوا يا رسول الله الا تتزوج من نساء الانصار قال ان فيهن
غيرة شديدة وفي لفظ انها قالت زيادة على ما تقدم ليس لي ها هنا
احد من اوليائي فيزوجني فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما ما
ذكرت من غيرتك فاني ادعو الله ان يذهبها عنك واما ما ذكرت من صبيتك
فان الله سيكفيهم واما ما ذكرت من اوليائك فليس احد من اوليائك يكرهني
فقالت لابنها ادفع رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجه اي على متاع منه
رحى وجفنة وفراش حشوه ليف قيمة ذلك المتاع كله عشرة دراهم
وقيل اربعون درهما قالت فتزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم وادخلني
بيت زينب ام المساكين اي بعد موتها فاذا جرة فيها شيء من شعير واذا رحى
وبرمة وقدر وكعب اي ظرف للادم فاخذت ذلك الشعير فطحنته ثم عصدته
في البرمة واخذت الكعب فادمته فكان ذلك طعام رسول الله صلى الله
عليه وسلم وطعام اهله ليلة عرسه عليه الصلاة والسلام وماتت ام
سلمة رضي الله عنها في ولاية يزيد بن معاوية وكان عمرها اربعا وثمانين
سنة ودفنت بالبقيع وصلى عليها ابو هريرة وقيل سعيد بن زيد وغلطا
قائله وذكر بعضهم ان تزويج ولدها لها انما كان بالعصوبة لانه كان ابن
ابن عمها ثم تزوج بعد ام سلمة زينب بنت جحش رضي الله عنها فكان اسمها
برة فسماها صلى الله عليه وسلم بزينب اي حتى لا يقال خرج من عند برة بنت
عمته صلى الله عليه وسلم اميمة بنت عبد المطلب وكانت قبله صلى الله عليه
وسلم عند مولاه زيد بن حارثة ثم طلقها فلما انقضت عدتها زوجه الله
اياها اي لانه صلى الله عليه وسلم ارسل زيد بن حارثة يخطبها له قال زيد رضي

الله عنه قد ثبت اليها فجعلت ظهري الى الباب فقلت يا زينب بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك فقالت ما كنت لاحدث شيئا حتى اوامر
ربي عز وجل فانزل الله عز وجل فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها فدخل
عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذن فكانت تفتخر بذلك على نساء
صلى الله عليه وسلم وتقول ان الله انكحني اياه من فوق سبع سموات ومما يرد ما
قيل ان اخاها ابا احمد بن جحش زوجها منه صلى الله عليه وسلم قال في المورد
ويمكن تاويل تزويج اخيها اياها اي وقد ذكر مقاتل ان زيد بن حارثة لما
اراد ان يتزوج زينب جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول
الله اخطب علي فقال له من قال زينب بنت جحش قال لا اراها تفعل انها
اكرم من ذلك شيئا فقال يا رسول الله اذا كلمتها انت وقلت زيد اكرم الناس ص
علي فعلت قال انها امراة لسنا فذهب زيد الى علي رضي الله عنه فحمله
على ان يكلم له النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق معه علي الى النبي صلى الله
عليه وسلم فكلمه فقال اني فاعل ذلك ومرسلك يا علي اليها لتكلمهم ف
ففعل ثم عاد فاخبره بكراهتها وكراهة اخيها لذلك فارسل اليهم
النبي صلى الله عليه وسلم يقول قد رضيته لكم واقضي ان تنكحوه فانكحوه
وساق اليهم عشرة دنانير وستين درهما ودرعا وخمارا وملحفة
وازارا وخمسين مدا من الطعام وعشرة امداد من التمر اعطاه كله رسول
الله صلى الله عليه وسلم واولم عليها واطعم المساكين خبزا ولحما اي وتزوجها
في ذي القعدة سنة اربع من الهجرة في الصحيح وهي بنت خمس وثلاثين
سنة وفيها نزلت اية الحجاب فانه لما دعا القوم وطعموا تهيأ صلى الله
عليه وسلم للقيام فلم يقوموا فلما راى ذلك قام وقام من قام وقعد
ثلاثة نفر فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ليدخل فاذا القوم جلوس فلم يدخل
فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الاية وتكلم في
ذلك المنافقون وقالوا محمد حرم نساء الاولاد وقد تزوج امراة ابنه
اي لان زيد بن حارثة كان يقال له زيد بن محمد اي لانه صلى الله عليه وسلم
كان تبناه كما تقدم فانزل الله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم وانزل
ادعوهم لابائهم فمن حينئذ كان يقال له زيد بن حارثة كما تقدم وهي اول
نسائه صلى الله عليه وسلم لحوقا به ماتت بالمدينة سنة عشرين ودفنت
بالبقيع ولها من العمر ثلاث وخمسون سنة وصلى عليها عمر بن الخطاب اي

فان عمر ارسل الى زينب بالذي لها من العطاء فسترته بثوب وامرت بتفرقته
فكان خمسة وثمانين درهما ثم قالت اللهم لا تدركني عطاء لعمر بعد عامي
هذا فماتت وهي اول من جعل على نعشها قبة اي بعد فاطمة رضي الله عنها
فلا يخالف ما سبق مما ظاهره انه فعل لها ذلك وفي كلام بعضهم ان
زينب هذه اول من حمل على نعش وقيل ان اول من حمل على نعش فاطمة كانت
عائشة رضي الله تعالى عنها تقول ـــــ في حقها هي التي كانت ت
تساويني في المنزلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وما رايت امراة
قط خيرا في الدين واتقى الله واصدق الحديث واوصل للرحم واعظم صدقة
من زينب رضي الله عنها وقال صلى الله عليه وسلم انها لاواهة فقال
رجل في حقها يا رسول الله ما الاواه قال الخاشع المتضرع وهي اول
نسائه صلى الله عليه وسلم لحوقا به كما تقدم ولقد قال له صلى الله عليه
وسلم بعض نسائه اينا اسرع بك لحوقا قال اطولكن يدا فاخذن قصبة
يذرعونها وفي لفظ عن عائشة فكنا اذا اجتمعنا في بيت احدانا بعد
وفاة النبي صلى الله عليه وسلم نمد ايدينا في الجدار نتطاول فكانت سودة
رضي الله عنها فلما ماتت زينب رضي الله عنها اي وكانت امراة قصيرة
رحة علموا ان المراد طول اليد بالصدقة لانها كانت تعمل وتتصدق لا انجا
وما في البخاري من انها سودة قال ابن الجوزي غلط من بعض الرواة والعجب
من البخاري كيف لم ينبه عليه ولا علم بفساد ذلك الخطا فانه قال
لحوق سودة به صلى الله عليه وسلم من اعلام النبوة وكل ذلك وهم وانما
هي زينب فانها كانت اطولهن يدا بالطعام وجمع المطيبي بانه يمكن
ان يقال ان سودة رضي الله عنها اول نسائه موتا اللاتي اجتمعن ت
عند موته وكانت زينب غائبة وفيه ان في رواية ان نساء النبي صلى
الله عليه وسلم اجتمعن عنده لم يغادر منهن واحدة اي فقد قال له ذ
بعضهن وفي لفظ قلن له صلى الله عليه وسلم اينا اسرع لحوقا بك وقد
قال الامام النووي اجمع اهل السير على ان زينب اول من مات من ازواجه
صلى الله عليه وسلم ثم جويرية رضي الله تعالى عنها بنت الحارث بن ابي ض
المصطلق سبيت في غزوة بني المصطلق ووقعت في سهم ثابت بن قيس
فكاتبها على تسع اواق فادى عليه الصلاة والسلام عنها
ذلك وتزوجها وقيل ابوها فافتداها ثم انكحها رسول الله صلى الله

عليه وسلم قالت فحملوني على بعير ليس تحتي شيء ثم تركوني ثلاثًا لا يطعموني ولا
يسقوني وكانوا اذا نزلوا منزلًا اوقفوني في الشمس واستظلوا فبينما هم قد
نزلوا منزلًا اوقفوني في الشمس فاذا انا ببرد شيء على صدري تناولته فاذا هو
دلو من ماء فشربت منه قليلًا ثم نزع مني ورفع ثم عاد فتناولته فشربت منه ثم
رفع ثم عاد ثم رفع مرارًا فشربت منه حتى رويت ثم افضت سائره على جسدي وثيابي
فلما استيقظوا اذا هم باثر الماء على ثيابي فقالوا انحللت فاخذت سقاءنا فشربت
فقلت لا والله وروي اليه اربعًا عائشة وزينب وام سلمة وحفصة وهولاء
التسع مات عنهن صلى الله عليه وسلم وقد نظمهن بعضهم فقال

توفي رسول الله عن تسع نسوة ... اليهن تعزى المكرمات وتنسب
فعائشة ميمونة وصفية ... وحفصة تتلوهن هند وزينب
جويرية مع رملة ثم سودة ... ثلاث وست ذكرهن مهذب

ومن جملة من لم يدخل بها النبي امرأة من بني الفرج لما علمت انه تزوج بها صلى الله عليه
وسلم عن اخت دحية الكلبي انها ماتت قبل دخوله بها صلى الله عليه وسلم ومن
جملتهن سودة القرشية التي خطبها فاعتذرت بنيها وكانوا خمسة او ستة
فقال لها خيرًا ومن جملتهن التي تعوذت منه فقالت اعوذ بالله منك
فقال لها صلى الله عليه وسلم لقد عذت بمعاذ وقد اعاذك الله مني وفي
لفظ عذت بعظيم وفي لفظ عائذ الله وفي كلام بعضهم ان نساء النبي صلى الله
عليه وسلم خفن ان تغلبهن عليه لجمالها فقلن لها انه تعجبه اذا دنا ان تقولي
له اعوذ بالله منك فلما دنا منها قالت اعوذ بالله منك وفي رواية قلن
لها ان اردت ان تحظي عنده فتعوذي بالله منه فلما دخل عليها قالت له اعوذ
بالله منك فصرف وجهه عنها وقال لها تقدم وطلقها وامر اسامة فمتعها
بثلاثة اثواب وفي لفظ اتى ابو اسيد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجونية
اي اسماء بنت النعمان بن ابي الجون الكندية فلما دخل عليها رسول الله صلى الله
عليه وسلم دعاها فقالت تعال انت وفي رواية هبي نفسك فقالت هل تهب
الملكة نفسها للسوقة فاهوى بيده اليها لتسكن فقالت اعوذ بالله منك
قال لقد عذت بمعاذ فخرج صلى الله عليه وسلم وقال يا ابا اسيد اكسها رازقيتين

والحقها باهلها وهذا هو المشهور وروي هذا الخبر عن اسيد بن ابي اسيد قال
بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأة تزوجها من بلجون اي من بني الجون
فجئت بها فانزلتها بالشعب في اجم ثم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
يا رسول الله جئتك باهلك فاتاها فاهوى اليها ليقبلها فقالت اعوذ بالله
منك الحديث ومن جملتهن التي اختارت الدنيا وقيل التي كانت تلتقط
البعر هي المستعيذة ومن جملتهن قتيلة بضم القاف وفتح التاء المثناة
فوق بنت قيس اخت الاشعث بن قيس الكندي زوجه اياها اخوها وهي في
حضرموت وماتت صلى الله عليه وسلم قبل قدومها عليه واوصى صلى الله
عليه وسلم بان تخير فان شاءت ضرب عليها الحجاب وكانت من امهات المؤمنين
وان شاءت الفراق فتنكح من شاءت فاختارت الفراق فتزوجها عكرمة بن
ابي جهل بحضرموت فبلغ ذلك ابا بكر رضي الله تعالى عنه فقال هممت
ان احرق عليهما بيتهما فقال له عمر رضي الله عنه ما هي من امهات المؤمنين
ما دخل بها صلى الله عليه وسلم ولا ضرب عليها الحجاب قال صلى الله عليه وسلم
ما تزوجت شيئًا من نسائي ولا زوجت شيئًا من بناتي الا بوحي جاءني به جبريل من
ربي عز وجل اي وعنه صلى الله عليه وسلم ان خديجة تزوجها قبل نزول الوحي
اي وقد الف في ازواجه صلى الله عليه وسلم الحافظ الدمياطي جزءًا فليطلب
واما سراريه صلى الله عليه وسلم فاربع مارية القبطية ام ولده سيدنا ابرهيم
وريحانة ماتت مقدمه من حجة الوداع ونفيسة وهبتها له زينب بنت جحش واخرى اسمها
ريحانة القرظية

باب ذكر المشاهير ممن خدمه صلى الله

عليه وسلم من الاحرار من الرجال انس بن مالك الانصاري رضي الله تعالى عنه
كان من اخص امة صلى الله عليه وسلم خدمه حين قدم المدينة الى حين وفاته
صلى الله عليه وسلم عشر سنين كما تقدم فعن انس رضي الله عنه لما قدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم المدينة اخذ ابو طلحة يعني زوج امه فانطلق بي الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان انسًا غلام كيس فليخدمك فخدمته
في السفر والحضر وتقدم في بعض الروايات ان ابتداء خدمته له صلى الله
عليه وسلم عند خروجه الى خيبر ومنهم عقبة بن عامر وذا الماية وعبد الله بن مسعود
رضي الله عنه كان صاحب سواكه ونعليه صلى الله عليه وسلم اذا قام
البسه اياهما فاذا جلس جعلهما في ذراعيه حتى يقوم وكان يمشي بالعصا

امامه حتى يدخل الحجرة أي ومعيقيب الروسي رضي الله عنه كان صاحب
خاتمه صلى الله عليه وسلم وعقبة بن عامر الجهني كان صاحب بغلته يقوده
في الاسفار وكان عالما بكتاب الله تعالى وبالفرايض فصيحا شاعرا عقيها
ربابي انه ولي مصر لمعاوية رضي الله عنه وتوفي بها وصرف عنها بمسلمة
ابن مخلد رضي الله عنه واسقع بن شريك رضي الله عنه صاحب راحلته
كان يرحل ناقته صلى الله عليه وسلم وعنه رضي الله عنه صاحب راحلته
كان يرحل ناقته صلى الله عليه وسلم قال له ذات يوم يا اسقع قم فارحل فقلت
يا رسول الله قد اصابتني جنابة اي ولا ما فسكت صلى الله عليه وسلم وجاه جبريل باية
التيمم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا اسقع فتيمم فاراني التيمم
ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين فقمت وتيممت ثم رحلت له
ثم سرت حتى مررنا فقال لي يا اسقع امس هذا احلك وتقدم ان سبب نزول
اية التيمم ضياع عقد عايشة في بعض الغزوات وبلال رضي الله عنه
موذنه صلى الله عليه وسلم وكان على نفقاته وهو مولى ابي بكر رضي الله عنه
تعالى عنه لانه الذي اشتراه وهو يعذب في الله ومن النسا امة الله
بنت رزينة وخولة ومارية ام الرباب ومارية جدة المثنى بن صالح وتقدم
التي قبلها

باب ذكر المشاهير من مواليه صلى الله

من الرجال زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه تقدم ان خديجة رضي الله عنها وهبته له صلى
الله عليه وسلم قبل النبوة فتبناه وكان يقال له ابن محمد فلما نزل ادعوهم
لابائهم اي وقوله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم قيل له زيد بن حارثة كما
تقدم وكان حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنه اسامة واخو اسامة لامه
ايمن ابنا ام ايمن بركة الحبشية وابو رافع رضي الله عنه كان قبطيا كان للعباس
فوهبه للنبي صلى الله عليه وسلم ولما اسلم العباس وبشر ابو رافع رسول الله
صلى الله عليه وسلم باسلام العباس اعتقه وشقران كان حبشيا وقيل
فارسيا وكان لعبد الرحمن بن عوف فوهبه للنبي صلى الله عليه وسلم وثوبان
وانجشة اشتراه منصرفه من الحديبية واعتقه وكان يحدو بالنسا
قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حدا بهن رويدك رويدك يا
انجشة رفقا بالقوارير يعني النسا لان الحدا اذا سمعته الابل اسرعت
في المشي فتزعج الراكب والنسا يضعفن عن شدة الحركة وشبههن صلى الله

طلبه

عليه وسلم في ضعفهن بالقوارير وهي الاواني من الزجاج ورباح كان اسود ونبيا
كان نوبيا كان على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي قتله العرنيون
وقد تقدم ان هذا غير يسارا الذي كان دليلا لسرية غالب بن عبد الله
الليثي على الميفعة وسفينة رضي الله عنه وكان اسود وكان لام سلمة
زوج النبي صلى الله عليه وسلم فاعتقته واشترطت عليه ان يخدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما عاش وكان اسمه مهران وقيل رومان وقيل غير ذلك
وانما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سفينة لانه حمل امتعة الصحابة
ثقلت عليهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم احمل فانما انت سفينة
قال فلو حملت يومئذ وقر بعير او بعيرين او خمسة او ستة ما ثقل علي وقيل
لانه انكسرت به السفينة في البحر فركب لوحا من الواحها فنجي وذكر ان
البحر القاه على اجمة فيها سبع فاقبل نحوه فقال يا ابا الحارث انا مولى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فجا الي وضربني بمنكبيه ثم مشى امامي حتى اقامني
على الطريق ثم همهم وضربني بذنبه فرايت انه يودعني وقيل انما وقع له
ذلك لما اضل الجيش الذي كان فيه بارض الروم وسلمان الفارسي رضي
الله تعالى عنه اي لانه صلى الله عليه وسلم هو الذي ادى عنه نجوم
كتابته وفي كونه كان رقيقا ما تقدم اي والخصي الذي اهداه له المقوقس
الذي هو مابور المتقدم ذكره واختلف له سند وفي كلام بعضهم ان
اعتق رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه اربعين رقبة ومن النسا
ام ايمن واميمة وسيرين التي اهديت له مع مارية اي وتقدم انها اختها
وذكر بعضهم ان سيرين هذه وهبها عليه الصلاة والسلام لحسان
ابن ثابت رضي الله تعالى عنه وتقدم ان المقوقس اهدى معهما اخت لهما
اخت مارية وسيرين فهم الثلاثة اخوات وتقدم انه اهدى صلى الله عليه
وسلم اليه رابعة

باب ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم

فقد ذكر بعضهم ان كتابه صلى الله عليه وسلم كانوا ستة وعشرين كاتبا
على ما ثبت عن جماعة من ثقات العلما وفي الفية السيرة للعراقي انهم
كانوا اثنين واربعين منهم عبد الله بن سعد بن ابي سرح العامري وهو اول
من كتب له صلى الله عليه وسلم من قريش بمكة ثم ارتد وصار يقول كنت اصرف
محمدا حيث اريد كان يملي علي عزيز حكيم فاقول او عليم حكيم فيقول نعم كل

صواب وفي نقط كان يقول اكتب كذا فاقول اكتب كذا فيقول
اكتب كيف شئت ونزل فيه ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا الآية ثم لما كان
يوم الفتح وامر صلى الله عليه وسلم بقتله فر الى عثمان لانه كان اخاه من
الرضاعة ارضعت امه عثمان فغيبه عثمان ثم جاء به بعد ما اطمان اهل مكة
واستامن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فصمت رسول الله صلى الله عليه
طويلا ثم قال نعم فلما انصرف عثمان قال النبي صلى الله عليه وسلم لمن حوله
ما صمت الا لتقتلوه اي اخرنا تقدم ثم اسلم وحسن اسلامه ورضي
الله الذي ختم عمره بالصلاة مات ساجدا في صلاة الصبح وقيل بعد
التسليمة الاولى وقيل الثانية وابو بكر وعمر وعثمان وعلي وعامر بن فهيرة
رضي الله تعالى عنهم اجمعين اي وعبد الله بن ارقم وكان يكتب الرسائل
للملوك وغيرهم قال عمر في حقه ما رايت اخشى لله منه وابي بن كعب رضي
الله تعالى عنه وهو اول من كتب له صلى الله عليه وسلم من الانصار بالمدينة
كان في اغلب احواله يكتب الوحي ومنهم احد الفقهاء الذين كانوا يكتبون
في عهده عليه الصلاة والسلام وثابت بن قيس بن شماس وزيد بن
ثابت ومعاوية بن ابي سفيان اي واخوه يزيد قال بعضهم كان معاوية وزيد
بن ثابت ملازمين للكتابة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في
الوحي وغيره لا عمل لهما غير ذلك قال زيد بن ثابت امرني رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان اتعلم بالسريانية وقال اني لا امن يهود على كتابي فما مر بي نصف
شهر حتى تعلمت وحذقت فيه فكنت اكتب له اليهم واقرا له كتبهم
والمغيرة بن شعبة والزبير بن العوام وخالد بن الوليد والعلاء بن الحضرمي وعمرو
بن العاص وعبد الله بن رواحة رضي الله تعالى عنهم اجمعين اي ومحمد بن
سلمة وعبد الله بن عبد الله بن ابي سلول •

باب يذكر فيه حراسه صلى الله عليه وسلم

قبل ان ينزل والله يعصمك من الناس سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه
حرسه صلى الله عليه وسلم ليلة بدر اي الليلة التي في صبيحتها ذلك
اليوم وفي ذلك اليوم لم يحرسه الا ابو بكر رضي الله عنه شاهرا سيفه
حتى نام بالعريش وفي كلام بعضهم ان سعد بن معاذ كان مع ابي بكر
في العريش يحرسانه صلى الله عليه وسلم في بدر ومحمد بن مسلمة رضي الله

عنه حرسه صلى الله عليه وسلم يوم احد والزبير بن العوام رضي الله عنه حرسه
صلى الله عليه وسلم يوم الخندق والمغيرة بن شعبة رضي الله عنه حرسه صلى
الله عليه وسلم ليلة بني بصفية رضي الله عنها ببعض طرق خيبر وبلال
وسعد بن ابي وقاص وذكوان بن عبد القيس رضي الله عنهم حرسوه صلى الله
عليه وسلم بوادي القرى اي وحرسه صلى الله عليه وسلم ابن ابي مرثد الغنوي
في الليلة التي كانت في صبيحتها وقعة حنين اي حيث قال النبي صلى
الله عليه وسلم الا رجل يحرسنا الليلة فقال انا يا رسول الله فدعا له وبعد
نزول الاية والله يعصمك من الناس ترك الحرس •

باب يذكر فيه من ولي السوق في زمنه صلى

صلى الله عليه وسلم وتعرف هذه الولاية الان بالحسبة ومتوليها بالمحتسب
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل سعيد بن سعيد بن العاص بعد
الفتح على سوق مكة واستعمل عمر بن الخطاب على سوق المدينة •

باب يذكر فيه من كان يضحكه صلى الله عليه

وسلم منهم نعيمان رضي الله تعالى عنه كان صلى الله عليه وسلم اذا نظر
الى نعيمان لا يتمالك نفسه ان يضحك لانه كان مزاحا وتقدم عنه ما
وقع بينه وبين سنبط او سويبط ومنهم الذي كان يجلد في الخمر واسمه
عبد الله ويلقب بالحمار

باب يذكر فيه امناؤه صلى الله عليه وسلم

منهم عبد الرحمن بن عوف كان امينه صلى الله عليه وسلم على نسائه
وكذا ابو اسيد الساعدي كان امينه صلى الله عليه وسلم على امنائه وهو
اخر من مات من اهل بدر وكان ممن ابصر الملائكة يوم بدر وكف بصره
وبلال المؤذن كان امينه على نفقاته ومعيقيب كان امينه صلى الله عليه
على خاتمه

باب يذكر فيه شعراؤه صلى الله عليه

وسلم الذين كانوا ينافحون عنه صلى الله عليه وسلم بشعرهم ويهجون كفار
قريش حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك رضي الله عنهم
اجمعين **باب** يذكر فيه من كان يضرب الاعناق بين يد

يديه صلى الله عليه وسلم وهو علي كرم الله وجهه والزبير والمقداد ومحمد بن مسلمة رضي الله عنهم وعاصم بن ثابت اي والضحاك بن سفيان ولعل المراد من كان يتكرر منه فعل ذلك فلا ينافي ما تقدم في قصة الحارث بن سويد انه قال لعويم بن ساعدة اضرب عنقه فضرب عنقه •

باب يذكر فيه مؤذنوه صلى الله عليه وسلم

وهم بلال وابن ام مكتوم بالمدينة وسعد القرظ مولى عمار بن ياسر بقبا وقيل له القرظ لاتجاره فيه ومن قال القرظي فقد اخطا وابو محذورة بمكة اي واذن بين يديه صلى الله عليه وسلم زياد بن الحارث الصدائي كما تقدم وقد يقال المراد الاصل من تكرر اذانه فلا يرد هذا وكذا لا يرد عبد العزيز ابن الاصم فانه اذن ايضا بين يديه صلى الله عليه وسلم مرة واحدة •

باب يذكر فيه العشرة المبشرين بالجنة ومنهم الخلفا الاربعة ابو بكر

وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة عامر بن الجراح وقد نظم ذلك بعضهم في بيت فقال تعالى

لقد بشرت بعد النبي محمد • بجنة عدن زمرة سعدا •
سعيد وسعد والزبير وعامر • وطلحة والزهري والخلفا •

اي وربما اسقط بعضهم ابا عبيدة عامر بن الجراح وذكر بدله ابن مسعود وهو غريب جدا •

باب يذكر فيه حواريه صلى الله عليه وسلم

بالحا المهملة اي انصاره الذين اشتهروا بهذا الوصف وهم الخلفا الاربعة وحمزة وجعفر وابو عبيدة وعثمان بن مظعون وعبد الرحمن بن عوف وسعد ابن ابي وقاص وطلحة والزبير وهو اكثرهم شهرة بهذا الوصف بل هو المراد عند اطلاق حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم

باب

يذكر فيه اسيافه صلى الله عليه وسلم كان لنبي الله صلى الله عليه وسلم من السيوف تسعة ومن الدرع سبعة ومن القسي ستة ومن الاتراس ثلاثة ومن الرماح اثنان ه ومن الحراب ثلاثة ومن الخوذ اثنتان فاما السيوف فسيف يقال له ماثور بهمزة

ساكنة

ساكنة ثم ثا مثلثة ورثه من ابيه وقدم به المدينة اي ويقال انه من عمل الجن وسيف يقال له العضب اي القاطع ارسل به اليه سعد بن عبادة رضي الله عنه عند توجهه الى بدر وسيف يقال له ذو الفقار كان في وسطه مثل فقرات الظهر غنمه يوم بدر كان للعاص بن وايل قتل يوم بدر كافرا وكانت قائمته وقبيعته بفتح القاف وكسر الموحدة ثم يا مثناة تحت ساكنة ثم عين مهملة مفتوحة وحلقته باسكان اللام وفتحها وعلاقته بكسر العين فضة وكان لا يفارقه في حرب من الحروب ويقال ان اصله من حديدة وجدت مدفونة عند الكعبة وسيف يقال له الصمصامة بفتح الصاد المهملة واسكان الميم كان مشهورا عند العرب وهو سيف عمرو بن معدي كرب اهداه صلى الله عليه وسلم خالد بن سعيد بن العاص حين استعمله النبي صلى الله عليه وسلم على اليمن وسيف يقال له القلعي بفتح اللام نسبة الى مرج القلعة موضع بالبادية وسيف يقال له البتار وسيف يقال له الحيف بفتح الحا المهملة ثم مثناة تحت ساكنة وهو الموت وهذه الثلاثة من سلاح بني قينقاع مثلثة النون وسيف يقال له الرسوب بفتح الرا وضم السين المهملة ثم واو ساكنة ثم موحدة اي يرسب ويستقر في الضربة وهو احد السيوف التسعة التي اهدتها بلقيس لسليمان عليه السلام وسيف يقال له المخذم بكسر الميم ثم خا ساكنة ثم ذال مفتوحة معجمة القاطع وهما كانا معلقين على صنم طي الذي يقال له الفلس وسيف يقال له القضيب من قضب الشي قطعه فعيل بمعنى فاعل اي قاطع واما الدروع فدرع يقال له ذات الفضول بضم الفا وبالضاد المعجمة لطولها ارسل اليه بها سعد ابن عبادة حين سار الى بدر اي وكانت من حديد وهي التي رهنها عند ابي الشحم اليهودي على ثلاثين صاعا من شعير وكان الدين الى سنة ه ودرع يقال له ذات الوشاح بكسر الواو وبالشين المعجمة مخففة وفي اخره حا مهملة ودرع يقال لها ذات الحواشي ودرع يقال لها السغدية بالغا والسغد موضع يصنع به الدروع ه قال في النور والذي احفظه في هذه الدرع السعدية بضم السين المهملة وبالغين المعجمة الساكنة ثم دال مهملة ودرع يقال لها الفضة ويقال لها السعدية بالعين المهملة مفتوحة وهما من دروع بني قينقاع فيقال انها درع داود التي لبسها لقتال جالوت كما تقدم ودرع يقال لها البترا بفتح الموحدة ثم مثناة

نون ساكنة ممدودة قيل لها ذلك لقصرها ودرع يقال لها الخرنق بالخا
المعجمة ثم را ساكنة ثم نون مكسورة ثم قاف قيل لها ذلك لنعومتها واما
القسي فقوس يقال لها البيضا من شوحط وهو من شجر الجبال يتخذ منه
القسي وهو من سلاح بني قينقاع وقوس يقال لها الروحا وقوس يقال
لها الصفرا من نبع وهو شجر يتخذ منه القسي ومن اغصانه السهام وكسرت
يوم احد لها البيضا وقوس يقال لها الزورا ويقال لها الكتوم لانخفا ض
صوتها اذا رمي عنها قيل وهي التي اندقت بسببها يوم احد اي وقوس
يقال له السداد ٥ واما الاتراس فترس يقال لها الزلوق لان السلاح
تزلق عنه وترس يقال لها فتق بضم الفا وفتح المثناة فوق وبالقاف
وترس عليها تمثال عقاب او كبش فوضع يده صلى الله عليه وسلم فذهب واما
الرماح فرمح يقال لها المثني ورمح يقال لها المثوي بضم الميم واسكان
الثا المثلثة وكسر الواو من الثوي وهو الاقامة لان المطعون به يقيم
موضعه ولا ينتقل اي وثلاث رماح اصابها من سلاح بني قينقاع ٥ يقال
لاحدها المثني بضم الميم واسكان الثا المثلثة ثم نون مفتوحة وفي الاصل
المثني بتقديم النون على الثا واما الحراب فحربة يقال لها النبعة وحربة
يقال لها البيضا وحربة صغيرة تشبه العكاز يقال لها العنزة بفتح
النون قال جا بها الزبير من ارض الحبشة اعطاها له النجاشي وقاتل فيها
بين يدي النجاشي عدوا للنجاشي وظفر النجاشي على ذلك العدو وشهد
بها الزبير بدرا واحدا وخيبر ثم اخذها منه صلى الله عليه وسلم منصرفه من
خيبر فكانت تحمل بين يديه يوم العيد يحملها بلال ثم تركز بين يديه ويصلي
اليها وكذا يصلي اليها في اسفاره اي وكان يمشي بها وهي في يده ورا نبعة
يقال لها الهر وخامسة يقال لها النمر وكان له محجن طوله قدر ذراع
واكثر يمشي به ويعلق بين يديه على بعيره يسمى الدفن وكان له
راس معقفة كالصولجان وكان له قضيب من شوحط يسمى الممشوق
قيل وهذا القضيب هو الذي كانت تتداوله الخلفا انتهى اي وكان له ٥
مخصرة بكسر الميم واسكان الخا المعجمة وفتح الصاد وهي ما يمسكه بيده
من عصا او مقرعة تسمى العرجون ويقال لها العسيب واما الخود جمع
خوذة وهو ما يجعل في الراس من الزرد مثل القلنسوة فخوذة يقال
لها الموشح بالميم والشين المعجمة مشددة مفتوحة والحا المهملة وخوذة

يقال

يقال لها السبوغ بالسين المهملة وبالغين المعجمة او ذات السبوغ

باب يذكر فيه افراسه صلى الله عليه وسلم

كان له صلى الله عليه وسلم سبعة افراس وكان له بغال ست وكان له من الحمر
اثنان وكان له من الابل المعدة للركوب ثلاثة فاما افراسه صلى الله عليه وسلم
ففرس يقال لها السكب شبه بسكب الما وانصبابه لشدة جريه وهو اول
فرس ملكه صلى الله عليه وسلم اشتراه من اعرابي بعشرة اواق وكان اسمه
عند الاعرابي الضرس اي بفتح الضاد وكسر الرا وبالسين المهملة الصعب
السيء الخلق وكان اغر له غرة وهي بياض في وجهه محجلا طلق اليمين كميتا
اي بين السواد والحمرة وقال ابن الاثير كان ادهم اسود وفرس له يقال
المرتجز اي سمي به لحسن صهيلة ماخوذ من الرجز الذي هو ضرب من الشعر
وكان ابيض وهو الذي شهد له فيه خزيمة بانه صلى الله عليه وسلم اشتراه
من صاحبه بعد ان انكر بيعه وقال له ائت بمن يشهد لك فجعل شهادة
خزيمة بشهادتين بعد ان قال له صلى الله عليه وسلم كيف شهدت ولم
تحضر فقال لتصديقي اياك يا رسول الله وان قولك كالمعاينة فقال له
انت ذو الشهادتين فسمي ذو الشهادتين ثم قال صلى الله عليه وسلم من
شهد له خزيمة او شهد عليه فهو حسبه لكن جا انه صلى الله عليه وسلم
رد الفرس على الاعرابي وقال لا بارك الله لك فيها فاصبحت من الغد شائلة
برجليها وفرس يقال له اللحيف بالحا المهملة واللام المفتوحة بفعيل بمعنى
فاعل لانه كان يلحف الارض بذنبه لطوله اي يغطيها وقيل هو بضم اللام
مصغرا وقيل بالخا المعجمة مع فتح اللام مصغرا وقيل بالخا المعجمة مع فتح
اللام وهو الاكثر وهذا الفرس اهداه له فروة بن عمرو من ارض البلقا بالشام
بالشام وفرس يقال له لزاز اي اهداه له المقوقس كما تقدم ماخوذ من قو لهم
لاززته لاصقته فكانه يلحق بالمطلوب لسرعته وقيل غير ذلك وفرس
يقال له الطرف اي بكسر الطا المهملة واسكان الرا وبالفا الكريم الجيد
من الخيل ٥ وفرس يقال له الورد وهو ما بين الكميت والاشقر اهداه له
تميم الداري واهداه صلى الله عليه وسلم لعمر وفرس يقال له سبحة اي بفتح السين
واسكان الموحدة وفتح الحا اي سريع الجري هذا هو المشهور وعد بعضهم
في خيله صلى الله عليه وسلم غير ذلك فاوصلها الى خمسة عشر بل الى

عشرين وقد ذكر الحافظ الدمياطي أسماء الخمسة عشر في سيرته وقال فيها
نسانا وشرحنا ما في كتابنا كتاب الخيل وكان سرجه صلى الله عليه وسلم
دفتان من ليف قال لم يكن شيء أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد النساء
من الخيل وجاء أنه صلى الله عليه وسلم مسح وجه فرسه ومنخريه وعينيه بكم د
قميصه فقيل يا رسول الله تمسح بكم قميصك فقال صلى الله عليه وسلم إن جبريل
عاتبني في الخيل وفي رواية في الفرس أي في امتهانها وفي رواية في سياستها
وقال صلى الله عليه وسلم الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة د
وأهلها معانون عليها فخذوا بنواصيها وادعوا بالبركة انتهى أي وقد ذكر
أنه صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قام إلى فرسه الظرب فعلق عليه شعيره
وجعل يمسح ظهره بردائه فقيل يا رسول الله تمسح ظهره بردائك قال نعم وما
يدريك لعل جبريل أمرني بذلك وعن بعضهم قال دخلت على تميم الداري
رضي الله عنه فوجدته ينقي لفرسه شعيرا فقلت أيها الأمير ما كان لهذا
غيرك فقال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نقى لفرسه
شعيرا ثم جاء به حتى يعلفه عليه كتب الله له بكل شعيرة حسنة وكان صلى
الله عليه وسلم يضمر الخيل للسباق فيأمر بإضمارها بالحشيش اليابس شيئا
بعد شيء وما يسقيها غدوة وعشيا ويأمر أن يقودها كل يوم مرتين ويؤخذ
منها من الجري الشوط والشوطان وأما بغاله صلى الله عليه وسلم فبغلة
شهباء يقال لها دلدل أهداها له المقوقس كما تقدم والدلدل في الأصل
القنفذ وقيل ذكر القنافذ وقيل عظيمها وهي أول بغلة ركبت في
الإسلام وفي لفظ رؤيت في الإسلام وكان صلى الله عليه وسلم يركبها في المدينة
وفي الأسفار وعاشت حتى ذهبت أسنانها فكان صلى الله عليه وسلم يدق لها
الشعير وعميت وقاتل عليها علي رضي الله عنه الخوارج بعد أن ركبها عثمان
ثم ركبها بعد علي ابنه الحسن ثم الحسين ثم محمد بن الحنفية رضي الله عنه
وسئل ابن الصلاح هل كانت أنثى أو ذكرا والتاء للوحدة أجاب بالأول د
قال بعضهم وإجماع أهل الحديث على أنها كانت ذكرا ورماها رجل بسهم
فقتلها وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعثني إلى زوجته أم سلمة فأتيته بصوف وليف ثم فتلت أنا ورسول
الله صلى الله عليه وسلم لدلدل رسنا وعذارا ثم دخل البيت فأخرج
عباءة فثناها ثم ربعها على ظهرها ثم سمى وركب ثم أردفني خلفه وبغلة

يقال لها فضة أهداها له عمرو بن عمرو الجذامي كما تقدم ووهبها صلى الله د
عليه وسلم لأبي بكر وأوصلها بعضهم إلى سبعة ه وفي شرح الشفا وفي سيرة
مغلطاي كان له صلى الله عليه وسلم من البغال دلدل وفضة والتي أهداها
ابن العلماء أي بفتح العين المهملة وإسكان اللام وبالمد في غزوة تبوك د
والأيلية وبغلة أهداها له كسرى وأخرى من دومة الجندل وأخرى من عند
النجاشي هذا كلامه وعقبة بن عامر رضي الله عنه كان صاحب بغلة د
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوده في الأسفار وتوفي بمصر ودفن بقرافتها
وقبره معروف وكان واليها من قبل معاوية بعد عتبة بن أبي سفيان ثم صرف
عنها بمسلمة بن مخلد وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال قدت برسول الله
حلقة صلى الله عليه وسلم وهو على راحلته مرة من الليل فقال أنخ فأنخت فنزل عن راحلته
ثم قال اركب فقلت سبحان الله أعلى مركبك يا رسول الله وعلى راحلتك فأمرني
فقال اركب فقلت له مثل ذلك ورددت ذلك مرارا حتى خفت أن أعصي رسول
الله صلى الله عليه وسلم فركبت راحلته ذكره في الإمتاع وأما حمره صلى الله عليه
وسلم فحمار يقال له يعفور وحمار يقال له عفير بالعين المهملة وقيل بالمعجمة
وغلط قائله وكان أشهب ومات في حجة الوداع والأول أهداه له فروة
ابن عمرو الجذامي وقيل المقوقس والثاني أهداه له المقوقس وقيل فروة
ابن عمرو وكذا في سيرة الحافظ الدمياطي رحمه الله والمغفرة من الجيرة
أي وأوصلها بعضهم حمره صلى الله عليه وسلم إلى أربعة ه وتقدم أن يعفورا
عا وجده في خيبر وأنه يوم مات النبي صلى الله عليه وسلم طرح نفسه في بئر جزعا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات وتقدمت قصته ومرائيه وأما
إبله صلى الله عليه وسلم التي كان يركبها فناقة يقال لها القصواء وناقة
يقال لها الجدعاء وناقة يقال لها العضباء وهي التي كانت لا تسبق د
فسبقت فشق ذلك على المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إن حقا على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه وفي رواية أن الناس
لم يرفعوا شيئا من الدنيا إلا وضعه الله عز وجل ويقال إن هذه
العضباء لم تأكل بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تشرب حتى
ماتت وقيل إن هذه التي كانت لا تسبق ثم سبقت هي القصواء وكانت
العضباء يسبق بها صاحبها التي كانت عنده الحاج ومن ثم قيل لها سابقة
وقيل إن هذه الثلاثة اسم لناقة واحدة وهو المعلوم من الأصل وعود

موافق في ذلك لابن الجوزي حيث قال ان العضواء وهي العضباء وهي
الجدعاء وقيل العضواء واحدة والعضباء والجدعاء واحدة وفي كلام بعضهم
واما البقر فلم ينقل انه صلى الله عليه وسلم ملك منها شيئا اي للقنية
فلا ينافي انه ضحى عن نسائه بالبقر واما غنمه صلى الله عليه وسلم فقيل
مائة وقيل سبعة اعنز كانت ترعاهن ام ايمن وجاء اتخذوا الغنم فانها
بركة وكان له شاة يختص بشرب لبنها وماتت له شاة فقال ما فعلتم
باهابها فانها ميتة قال دباغها طهورها واقتنى صلى الله عليه وسلم
الديك الابيض وكان يبيت معه في البيت وقال الديك الابيض صديقي
وصديق صديقي وعدو عدوي والله يحرس دار صاحبه وعشرا عن يمينها
وعشرا عن يسارها وعشرا من بين يديها وعشرا من خلفها وقد جاء
اتخذوا الديك الابيض فان دارا فيها ديك ابيض لا يقربها شيطان
ولا الدويرات حولها واتخذوا هذا الحمام المقاصيص في بيوتكم فانها
تلهي الجن عن صبيانكم وفي العرايس ان ادم عليه السلام قال يا رب
شغلت بطلب الرزق وصرت لا اعرف ساعات التسبيح من ايام الدنيا
فاهبط الله اليه ديكا واسمعه اصوات الملائكة بالتسبيح فهو اول
داجن اتخذه ادم عليه السلام من الخلق فكان الديك اذا سمع التسبيح
ممن في السماء سبح في الارض فيسبح ادم بتسبيحه

باب في ذكر صفاته صلى الله عليه وسلم الظاهرة

واي شاركه فيها غيره قال قد خلق الله اجساد الانبياء عليهم الصلاة
والسلام سليمة من العيب حتى صلحت لحلول الانفس الكاملة وهم في
ذلك متفاوتون ونبينا صلى الله عليه وسلم اصح الانبياء مزاجا واكملهم
جسدا وعن انس رضي الله تعالى عنه ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه
حسن الصوت وكان نبينا صلى الله عليه وسلم احسنهم وجها وصوتا
انتهى وكانت صفاته الظاهرة لا تدرك حقايقها والى ذلك يشير
صاحب الهمزية بقوله انما مثلوا صفاتك للناس كما مثل النجوم الماء
وتقدم بعض صفته صلى الله عليه وسلم في خبر ام معبد ووصف صلى
الله عليه وسلم بانه كان ضخم الهامة اي الراس ووصف صلى الله عليه
وسلم بانه كان فخما مفخما اي عظيما في الصدور والعيون يتلألأ

وجهه

وجهه كالقمر ليلة البدر قال كان في وجهه تدوير ليس بالمطهم ولا المكلثم
وعن ابي هريرة رضي الله عنه ما رايت احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان الشمس تجري في وجهه وفي رواية تخرج من وجهه وعن ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما لم يقم رسول الله صلى الله عليه وسلم مع شمس قط الا غلب
ضوءه ضوء الشمس ولم يقم مع سراج قط الا غلب ضوءه ضوء السراج انتهى اقصر
من المشذب بضم الميم وفتح الشين والذال المعجمتين ثم موحدة فهو الرجل
معظم البائن الطويل في نحافة واطول من المربوع قال وعن علي رضي الله
عنه لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطويل الممغط ولا بالقصير
المتردد وكان ربعة القوم والممغط المتناهي في الطول والمتردد المجتمع
الخلق اي القصير جدا لم يكن يماشيه صلى الله عليه وسلم احد من الناس
ينسب الى الطول الا طاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فارقه
رسول الله صلى الله عليه وسلم نسب للربعة اي لا طويل ولا قصير عظيم
الهامة وفي رواية ضخم الراس رجل الشعر ان انفرقت عقيصته
وفي لفظ عقيقته وهي الشعر المعقوص فرق اي اذا انفرقت من ذات
نفسها فرقها والا تركها معقوصة اي ابقاها معقوصة اي تركها على حالها
لم يفرقها ما يجاوز شعره شحمة اذنيه اذا هو وفره قال اي جعله وفرة
وحاصل الاحاديث ان شعره صلى الله عليه وسلم وصف بانه جمة وبانه
وفرة وبانه لمة وفسرت اللمة بالشعر الذي ينزل عن شحمة الاذن والوفرة فرة
بالذي يبلغ شحمة الاذن والجمة بالذي ينزل عن المنكبين قال بعضهم
كان شعره يقصر ويطول بحسب الاوقات فاذا غفل عن تقصيره
وصل الى منكبيه واذا قصره تارة ينزل عن شحمة اذنه وتارة لا ينزل
عنها وجاء في وصف شعره صلى الله عليه وسلم ليس بجعد قطط اي
بالغ في الجعودة ولا رجل سبط اي بالغ في السبوطة فلا ينافي ما جاء
عن علي رضي الله تعالى عنه كان شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم
سبطا وعن ام هانئ رضي الله عنها كان له صلى الله عليه وسلم اربع غداير
اي ضفاير تخرج اذنه اليمنى من بين ضفيرتين واذنه اليسرى كذلك
قال ابن القيم لم يحلق صلى الله عليه وسلم راسه الشريف الا اربع مرات
انتهى اي كان ابيض مشرب بحمرة اي وهي المراد بالسمرة في
رواية كان اسمر ومن ثم جاء في رواية كان بياضه الى السمرة لان العرب

قد تطلق على من كان كذلك اي بياضه الى الحمرة اسمر ومن ثم جاء ليس بالابيض الامهق اي شديد البياض الذي لا يخالطه حمرة كلون الجص وعن علي رضي الله تعالى عنه ابيض شديد الوضح وفي رواية شديد البياض ولا معارضة لان هذا محمول على ما كان من جسده تحت الثياب ومن ثم جاء انور المتجرد يوما كشف عنه الثوب من البدن وقيل المراد بالامهق الاخضر فقد قيل ان الامهق خضرة الماء ولا بالآدم اي شديد الادمة ٥ واسع الجبين اي وفي رواية معاض الجبين اي واسعه وفي رواية كان جبين رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلى الجبين كأنه السراج المتوقد يتلالا ازج الحاجبين سوابغ في غير قرن اي بين حاجبيه فرجة وهو البلج اي القرن بالتحريك انضمام شعر الحاجبين وفي رواية مقرون الحاجبين اي شعرهما متصل بالاخر لا حاجز بينهما ولا منافاة لان ذلك يجوز ان يكون بحسب الرائي لان الفرجة التي كانت بين حاجبيه يسيرة لا تتبين الا لمن دقق النظر ٥ بينهما عرق يدره الغضب اي اذا غضب امتلا ذلك العرق دما فيظهر ويرتفع ٥ اقنى العرنين اي سايل مرتفع وسطه اي في وسطه احديداب وفي رواية دقيق العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتامله اشم اي مرتفع ادعج العينين اي شديد سواد العينين وفي كلام بعضهم الدعج سواد العين وتفايله الاشهل وهو ان في سواد عينيه حمرة وقد جاء اشهل العينين واشكل العين اي في بياض عينيه حمرة فكانت في الكتب القديمة من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم كما تقدم اي وفي رواية انجل العينين اي واسعهما اهدب الاشفار اي طويل هدب العينين اي وعن ابي هريرة رضي الله عنه اكحل العينين والكحل سواد هدب العين خلقة وعن جابر رضي الله عنه اذا نظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت اكحل اي في عينيه كحل وليس باكحل سهل الخدين اي وفي رواية اسيل الخدين اي ليس في خديه نتوء وارتفاع ضليع الفم اي واسعه اشنب اي في ريقه برد وعذوبة مفلج الاسنان اي مفرق ما بين الثنايا كما في رواية افلج الثنيتين لا الفلج تباعد ما بين الثنايا والرباعيات وفي رواية براق الثنايا كان صلى الله عليه وسلم اذا تكلم رئي كالنور يخرج من بين ثناياه عن مثل حب الغمام اي اذا ضحك بانت اسنانه صلى الله عليه وسلم كالبرد

وعن

وعن ابي هريرة رضي الله عنه حسن الثغر وعن انس رضي الله عنه شممنا العطر كله فلم نشم نكهة اطيب من نكهته صلى الله عليه وسلم كث اللحية اي كثير شعرها وفي رواية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيف اللحية وكان يسرحها بالماء وكانت له مشط من العاج وهو الذبل وقيل شيء يتخذ من ظهر السلحفاة البحرية ويقال لعظم الفيل عاج ايضا اي وليس من اداهما وكان صلى الله عليه وسلم له مقراض اي مقص يقط به اطراف شاربه وفي المشكاة عن زيد بن ارقم ان رسول الله صلى الله عليه قال من لم يأخذ من شاربه فليس منا اي وكان صلى الله عليه وسلم يأخذ بالمقراض من عرض لحيته وقص شاربه وقال عليه الصلاة والسلام من من الفطرة قص الاظفار والشارب وحلق العانة وكان صلى الله عليه يكثر دهن راسه حتى كان ثيابه ثياب زيات او دهان اي وفي لفظ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر التقنع حتى يرى حاشية ثوبه كأنه ثوب او دهان وليس في شعر راسه صلى الله عليه وسلم ولحيته عشرون شعرة بيضاء وعن انس رضي الله عنه ان شيب لحيته كان عنفقته وصدغيه متفرقا قال الحافظ ابن حجر عرف من مجموع الروايات ان الذي شاب من عنفقته صلى الله عليه وسلم اكثر مما شاب في غيرها وقال صلى الله عليه وسلم شيبتني هود واخواتها فقال له ابو بكر رضي الله تعالى عنه ما اخواتها قال الواقعة والقارعة وسأل سائل واذا الشمس كورت وفي رواية شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت وفي رواية شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت واقتربت الساعة وقال صلى الله عليه وسلم من شاب شيبة في الاسلام كانت له نورا يوم القيامة ولعل شيبته لم يخضب وقد كان يخضب بالحنا والكتم وقال عليه الصلاة والسلام احسن ما غير به الشيب الحنا والكتم ونهى صلى الله عليه وسلم عن الخضاب بالسواد وقد تقدم ضليع الفم اي واسعه وهو مما يتمادح به العرب وتذم بصغر الفم غاض الطرف نظره الى الارض اطول من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة دقيق المسربة بضم الميم واسكان السين المهملة ثم راء مضمومة وهي الخيط الشعر الذي بين الصدر والسرة كأن عنقه جيد دمية في صورة تتخذ من العاج في صفاء الفضة اي وعن

على كان عنقه ابريق فضة ٥ معتدل الخلق بادن متماسك اي ذو لحم د
متماسك يمسك بعضه بعضا ليس بمسترخ اللحم سوا البطن والصدر اي
مستويهما عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس وهي
روس العظام اي ملتقى كل عظمين كالمرفقين والمنكبين والركبتين
موصول ما بين اللبة بفتح اللام وتشديد الموحدة المفتوحة هو المنحر
والسرة بشعر يجري كالخيط وهو المعبر عنه فيما سبق بدقيق المسربة
عاري الثديين والبطن وما سوى ذلك اشعر الذراعين والمناكب
واعالي الصدر طويل الزندين اي عظيم الزراعين رحب الراحة اي
واسعها قال انس ما مسست حريرا ولا ديباجا الين من كف رسول الله
صلى الله عليه وسلم ٥ سايل الاصابع اي طويلها شثن الكفين والقدمين
اي يميلان الى الغلظ وذلك ممدوح في الرجال مذموم في النساء اي
وكانت سبابة يديه اطول من الوسطى قال ابن دحية وهذا باطل بيقين
ولم ينقله احد من ثقات المسلمين اي وانما كان ذلك في اصابع قدميه
وهو في ذلك كغيره من الناس وفي رواية منهوس بالمهملة والمعجمة د
العقب اي قليل لحم القدمين بسط العظام اي ممتدهما لا نتو فيهما
وفي رواية بسط العصب وهو كل عظم فيه مخ خمصان الاخمصين د
ينبو عنهما الماء اي متجافي اخمص القدم وهو وسطه اي شديد التجافي
عن الارض مسيح القدمين اي املسهما وهذا يوافق ما جاء في رواية اذا
وطئ بقدميه وطئ بكلها ليس له اخمص اذا زال زال تقلعا اي يرفع د
رجليه بقوة ويخطو تكفؤا اي يتمايل الى قدام وقيل يمينا وشمالا لا
كالمختال ولا يذم الا من تكلفه لا من كان ذلك خلقة له ويمشي هونا
اي برفق ووقار دون عجلة ذريع المشية اي واسعها اذا مشى كانما
ينحط من صبب اي وذكر في سفر السعادة ان هذه المشية مشية
اصحاب الهمم العالية ومن قلبه حي وان هذا النوع من المشي يسمى د
مشي الهون المذكور في قوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض
هونا وهو احد لانواع المشي لان الماشي اما متماوت بالمشي كالخشبة
او طايش منزعج وهذان النوعان في غاية القبح لان الاول يدل على
الخمول وموت القلب والثاني يدل على خفة الدماغ وقلة العقل
ثم قال وانواع المشي عشرة هذه الثلاثة منها وذكر باقيها وكان صلى

الله عليه وسلم

الله عليه وسلم اذا التفت التفت جميعا اي بسائر جسده ولا يلوي عنقه
كما يفعله اهل الخفة والطيش يفتتح الكلام ويختمه باشداقه لا يقال
تقدم وصفه صلى الله عليه وسلم المتشدقين لانا نقول المراد بهم من يكثر الكلام
من غير احتياط ولا احتراز ومن يلوي اشداقه استهزاء بالناس وكان صلى
الله عليه وسلم يتكلم بجوامع الكلم اي بالكلام القليل الالفاظ الكثير المعاني
فصلا لا فضول فيه ولا تقصير قال صلى الله عليه وسلم اعطيت جوامع د
الكلم واختصر لي الكلام اختصارا قال ومن تلك الكلمات لا خير في صحبة
من لا يرى لك مثل ما ترى له ما هلك امرؤ عرف قدر نفسه رحم الله عبدا
قال خيرا فغنم او سكت فسلم ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها
خير الامور اوساطها السعيد من وعظ بغيره انتهى اذا اشار اشار بكفه
كلها واذا تعجب قلبها واذا تحدث قارب يده اليمنى من اليسرى فضرب
بابهام اليمنى راحة اليسرى اي وربما سبح عند التعجب وربما حرك
راسه وعض شفتيه وربما يضرب بيده على فخذه وربما نكت الارض بعود
واذا غضب اعرض بوجهه اي وكان صلى الله عليه وسلم اذا غضب احمر
وجهه الشريف وكان عليه الصلاة والسلام اذا اشتد وجده اكثر
من مس لحيته وفي رواية اذا اشتد غمه مسح بيده على راسه ولحيته د
وتنفس الصعدا اي تنفس طويلا وقال حسبي الله ونعم الوكيل ٥ جل
اي معظم ضحكه التبسم ويكون معظم ضحكه صلى الله عليه وسلم ذلك لا
ينافي انه ضحك غير مرة حتى بدت نواجذه وكان اذا جرى به الضحك
وضع يده على فيه قال وكان صلى الله عليه وسلم اكثر احواله يمشي متنعلا
وربما مشى حافيا وكان صلى الله عليه وسلم لا ياكل من هدية اهديت
اليه حتى ياكل منها صاحبها اي بعد ان اهديت اليه الشاة المسمومة
وكان صلى الله عليه وسلم ياكل بثلاث اصابع ويلعقهن اذا فرغ يلعق الوسطى
ثم التي تليها ثم الابهام وقال ان لعق الاصابع بركة وكان صلى الله عليه
يامر بلعق الصحفة ويقول انكم لا تدرون في اي طعامكم البركة انتهى د
ونحن نوضح بعض هذه الصفات الظاهرة بعبارات واضحة قريبة د
للافهام فنقول كان صلى الله عليه وسلم عظيما في الصدور والعيون
كبير الراس لان كبر الراس يدل على كثرة العقل غالبا وجهه كالقمر ليلة
البدر لون جسده الذي ليس تحت الثياب ابيض مشرب بحمرة طويل الحاجبين

مع دقة ما بينهما خال من الشعر وهو البلج وضد القرآن وهو ان يتصل شعر
احدهما بالآخر بين حاجبيه عرق اذا غضب انتفخ طويل الانف مع حدب في
وسطه ودقة في طرفه ليس في حذوه ارتفاع لان العرب تذمه في عينيه
شكلة وهي بياض وحمرة شديد سواد العينين مع اتساعهما واسع الفم لان
سعة الفم تدل على الفصاحة بين ثناياه والرباعيات فرجة رقيقة ذلك الفلج
كثير شعر اللحية شثن قليل عنقه كالابريق الفضة اذا مشي مالا في
امامه صلى الله عليه وسلم

باب ذكر صفاته صلى الله عليه وسلم

الباطنة وان شاركه فيها غيره كان صلى الله عليه وسلم سهل الخلق لين
الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مزاح اي كثير
المزح ولا ينافي ما روي كان صلى الله عليه وسلم يمازح اصحابه قال وقد
جاء في لا مزح ولا اقول الا حقا لكن جاء عن عائشة رضي الله تعالى عنها
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مزاحا وكان يقول ان الله لا يؤاخذ الصادق
في مزاحه وجاء عن بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم ما رأيت احدا اكثر مزاحا
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
كان في النبي صلى الله عليه وسلم دعابة وعن بعض السلف كان للنبي صلى الله
عليه وسلم مهابة وكان يبسط الناس بالدعابة قال عليه الصلاة والسلام
لعمته صفية رضي الله عنها لا يدخل الجنة عجوز فبكت فقال لها وهو
يضحك الله تعالى يقول انا انشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا عربا
اترابا وهن العجائز الرمص اي والعروب المتحببة لزوجها التي تقول
وتفعل ما يهيج شهوته اياها واترابا كأنهن ولدن في يوم واحد لانهن
يكن بنات ثلاث وثلاثين سنة وجاءه صلى الله عليه وسلم رجل وطلب
منه ان يحمله على بعير فقال عليه الصلاة والسلام اني حاملك على
ولد الناقة فقال يا رسول الله ما اصنع بولد الناقة فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهل تلد الابل الا النوق وقد اتى انه زاهر في
لفظ زاهر كان يهدي للنبي صلى الله عليه وسلم الهدية من البادية
فكان كلما قدم من البادية يأتي معه بطرف وهدية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فيجهزه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد
ان يخرج وكان صلى الله عليه وسلم يقول زاهر باديتنا ونحن حاضروه وفي

رواية

رواية لكل حاضر بادية وبادية آل محمد زاهر وكان صلى الله عليه وسلم يحبه جاءه
يوما وهو يبيع متاعه في السوق وكان رجلا دميما فاحتضنه من خلفه فقال
ارسلني من هذا فلما عرف انه رسول الله صلى الله عليه وسلم صار يلزق ظهره عليه
الصلاة والسلام وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يشتري العبد
فقال يا رسول الله تجدني كاسدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولكن عند الله لست بكاسد او قال انت عند الله غال ويجوز ان يكون صلى الله
عليه وسلم جمع بين هذين اللفظين وكل روى ما سمع منهما وعن عائشة رضي
الله عنها قالت خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره وانا
جارية لم احمل اللحم فقال صلى الله عليه وسلم للناس تقدموا ثم
قال تعالي حتى اسابقك فسابقته فسبقته فسكت عني حتى اذا حملت
اللحم وكان في سفرة اخرى فقال صلى الله عليه وسلم للناس تقدموا فتقدموا
ثم قال لي حتى اسابقك فسابقته فسبقني فجعل عليه الصلاة والسلام
يضحك ويقول هذه بتلك وعن انس رضي الله عنه قال دخل صلى الله عليه
على امي فوجد اخي ابا عمير حزينا فقال يا ام سليم ما بال ابا عمير حزينا فقالت
يا رسول الله مات نغيره تصغير طيرا كان يلعب به فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا ابا عمير ما فعل النغير وكان كلما رآه قال له ذلك وعن
عائشة رضي الله عنها قالت اتيت النبي صلى الله عليه وسلم بحريرة طبختها
فقلت لسودة والنبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينها كلي فابت فقلت لها
كلي او لالطخن وجهك فابت فوضعت يدي فيها فطليت وجهها فضحك
صلى الله عليه وسلم وارخى فخذه لسودة وقال الطخي وجهها فلطخت وجهي
فضحك النبي صلى الله عليه وسلم اي وقال صلى الله عليه وسلم يوما لعايشه ما
اكثر بياض عينيك انتهى وكان صلى الله عليه وسلم يتغافل عما لا يشتهي قد
ترك نفسه من ثلاث الرياء والاكبار وما لا يعنيه وترك الناس من ثلاث كان
لا يذم احدا ولا يعيره ولا يطلب عورته وكان عليه الصلاة والسلام لا
يقابل السيئة بالحسنة ولا يذم ذواقا ولا يمدحه والذواق الشيء يقال
ما ذقت ذواقا اي شيئا من طعام او شراب وعن عبد الله بن ابي بكر رضي
الله عنهما عن رجل من العرب قال زحمت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم حنين وفي رجلي نعل كثيفة فوطئت بها على رجل رسول الله صلى
الله عليه وسلم فنفحني نفحة بسوط في يده وقال بسم الله اوجعتني قال

فبت لنفسي لا ايما اقول ـــــ اوجعت رسول الله صلي الله عليه وسلم
فلما اصبحنا اذا رجل يقول اين فلان فانطلقت وانا متخوف فقال لي رسول
الله صلي الله عليه وسلم انك وطيت بنعلك علي رجلي بالامس فاوجعتني
فنفحتك بالسوط فهذه ثمانون نعجة فخذها بما نالك قوله تعالي خذ العفو
وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين قال له جبريل عليه السلام اي بعد
ان ساله في ذلك ان ربك عز وجل يامرك ان تصل من قطعك وتعطي من
حرمك وتعفو عمن ظلمك وفي الحديث لا ينال عبد صريح الايمان حتي
يكون كذلك وفي الحديث ان ذلك افضل اهل الدنيا والاخرة وكان صلي
الله عليه وسلم لا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه ويصبر للغريب علي الجفوة في
المنطق والمسالة لا يقطع علي احد حديثه ولا يتكلم في غير حاجة يعظم النعمة
وان دقت لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها وانما يغضب اذا تعرض
للحق بشي وعند غضبه لذلك لا يثنيه شي عن الانتصار له ويكرم كريم كل
قوم ويوليه عليهم ويتفقد اصحابه ويسال عنهم فان كان غايبا دعي
له وان كان شاهدا زاره وان كان مريضا عاده ويسال الناس عما
الناس فيه افضل الناس عنده اعمهم نصيحة واعظمهم عنده منزلة
احسنهم مواساة لا يجلس ولا يقوم الا عن ذكر واذا انتهي الي قوم جلس حيث
ينتهي به المجلس ويامر بذلك ويعطي كلا من جلسايه نصيبه حتي لا يحسب
جليسه ان احدا اكرم عليه منه من جالسه او فاوضه لحاجة صابره حتي
يكون هو المنصرف عنه من ساله صلي الله عليه وسلم حاجة لم يرده الا
بها او بميسور من القول عنده الناس في الحق سواء مجلسه مجلس حلم وحيا
لا ترفع فيه الاصوات ولا يتنازعون عنده الحديث اذا تكلم اطرق جلساوه
كانما علي رووسهم الطير اي علي غاية من السكون والوقار لان الطير لا
يكاد يقع الا علي ساكن واذا تكلم عنده احد انصتوا له حتي يفرغ من حديثه
اي لا يقطع بعضهم علي بعض حديثه يضحك مما يضحكون ويعجب
مما يعجبون وقد ذكر ان ابا بكر رضي الله تعالي عنه خرج تاجرا الي بصري ومعه
نعيمان بن عمرو الانصاري رضي الله تعالي عنه وسويبط بن حرملة الانصاري
وكلاهما بدري وكان سويبط علي زاد ابي بكر فجاءه نعيمان فقال له اطعمني
قال لا حتي ياتي ابو بكر وكان نعيمان رجلا مضحاكا مزاحا فيه دعابة وله
اخبار طريفة في دعابته فقال لسويبط لاغيظنك فذهب الي ناس وفي رواية

خز

مروا بقوم فقال ـــــ نعيمان تشترون عبدا لي قالوا نعم قال انه عبد
له كلام وهو قايل لكم لست بعبد انا رجل حر فان كان اذا قال لكم هذا تركتموه
فلا تشتروه ولا تفسدوا علي عبدي قالوا لا بل نشتريه ولا ننظر في قوله
فاشتروه منه بعشر قلايص فاقبل بها يسوقها واقبل بالقوم حتي عقلها
ثم قال دونكم هذا هو فجاء القوم له وقالوا قد اشتريناك فقال هو كاذب
انا رجل حر وفي رواية انهم وضعوا غاشية في عنقه فقال لهم انه يتهزا بكم
واني لست بعبد فقالوا قد اخبرنا بخبرك فطرحوا الحبل في عنقه وذهبوا
به ولم يسمعوا كلامه فجاء ابو بكر فاخبروه خبره فذهب هو واصحابه واتبعوا
القوم واخبروهم انه يمزح وردوا عليهم القلايص فلما قدموا علي رسول
الله صلي الله عليه وسلم اخبروه الخبر فضحك من ذلك رسول الله صلي
الله عليه وسلم حولا كاملا لان سفر ابي بكر كان قبل وفاته صلي الله عليه وسلم
بعام ووقع لنعيمان هذا انه مر بمخرمة بن نوفل وقد كف بصره وهو
يقول ـــــ الا رجل يقودني حتي ابول فاخذ بيده نعيمان فلما بلغ
موخر المسجد قال له ها هنا فبال فصاح الناس به فقال من قادني قيل
نعيمان فقال ـــــ لله علي اذا ضربته بعصاي هذه فبلغ نعيمان فاتاه
فقال له هل لك في نعيمان قال نعم فقام فاتي به عثمان بن عفان
رضي الله عنه وهو اذ ذاك امير المومنين وهو يصلي فقال دونك الرجل
فجمع يديه في العصا ثم ضربه فقال الناس امير المومنين فقال من قادني
قيل نعيمان قال لا اعود الي نعيمان ابدا وجاء اعرابي الي رسول الله
صلي الله عليه وسلم فدخل المسجد واناخ ناقته بفنايه فقال بعض
الصحابة لنعيمان لو نحرتها فاكلناها فانا قد قرمنا الي اللحم ويغرم
رسول الله صلي الله عليه وسلم ثمنها فنحرها نعيمان فخرج الاعرابي فراي
راحلته فصاح واعقراه يا محمد فخرج النبي صلي الله عليه وسلم فقال من فعل
هذا قالوا نعيمان فاتبعه النبي صلي الله عليه وسلم يسال عنه فوجده
في دار ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب قد اختفي في خندق وجعل عليه الجريد
فاشار اليه رجل ورفع صوته ما رايته يا رسول الله واشار باصبعه حيث
هو فاخرجه رسول الله صلي الله عليه وسلم وقد تغير وجهه بالتراب
فقال له ما حملك علي ما صنعت قال الذين دلوك علي يا رسول الله هم الذين
امروني فجعل رسول الله صلي الله عليه وسلم يمسح عن وجهه ويضحك ثم

عزمتهما صلى الله عليه وسلم وكان رضي الله عنه اذا دخل المدينة طرفة اشتراها
في ذمته ثم جاء بها الى النبي صلى الله عليه وسلم ويقول يا رسول الله هذه
هدية فاذا جاء صاحبها يطلب ثمنها جاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال
له اعطي هذا ثمن ما جيئت به اليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اولم تهده ذلك لي فيقول يا رسول الله لم يكن عندي ثمنه واحببت
ان يكون لك فيضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ويامر لصاحبه بثمنه
وكان صلى الله عليه وسلم دايم البشر ضحوك السن اي كثيرا ما له ذلك بحسب
ما راه هذا الخبير فلا ينافي انه صلى الله عليه وسلم كان متواصل الاحزان دايم
التبشر ضحوك السن الفكرة ليست له راحة فانه بحسب ما كان عنده ذلك
الخبير وفي كلام ابن القيم قد صانه الله عن الحزن في الدنيا واسبابها
ونهاه عن الحزن على الكفار وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فمن
اين ياتيه الحزن بل كان صلى الله عليه وسلم دايم البشر ضحوك السن
كذا قال وفي كلام الامام ابي العباس بن تيمية ليس المراد الحزن الذي هو
الالم على فوات مطلوب او حصول مكروه فان ذلك منهي عنه وانما المراد
هو الاهتمام والتيقظ لما يستقبله صلى الله عليه وسلم من الامور
وهذا مشترك بين القلب والعين وسيلت عايشة رضي الله عنها
عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت خلقه القران اي ما ذكره القران
وانك لعلى خلق عظيم وانه تادب بادابه وتخلق بمحاسنه وقد قال صلى الله
عليه وسلم بعثت انا والساعة لاتمم مكارم الاخلاق ومحاسن الافعال
قال في عوارف المعارف في قول عايشة رضي الله عنها خلقه القران
رمز غامض حيث عدلت الى ذلك عن قولها كان متخلقا باخلاق الله ستر
الحال بلطف المقال استحياء من سبحات الجلال انتهى اي فكان صلى
الله عليه وسلم متصفا بما فيه من الاجتهاد في طاعة الله والخضوع له والانقياد
لامره والشفقة على اعدايه والتواضع لاوليايه ومواساة عباده وارادة
الخير لهم والحرص على كل امر والاحتمال لاذاهم والقيام بمصالحهم وارشادهم
الى ما يجمع لهم خير الدنيا والاخرة مع التعفف عن اموالهم الى غير ذلك
من الاخلاق الفاضلة والصفات الكاملة وكان صلى الله عليه وسلم اشد
الناس خوفا وخشية من الله اي ومن ثم كان يقول انا اتقاكم لله تعالى
واخوفكم منه وعن عايشة رضي الله عنها قالت اتاني رسول الله صلى

الله عليه وسلم يا عايشة متى عهدتني فحاشا ان شر الناس عند الله منزلة يوم
القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه قال ابن بطال هذا الرجل عيينة بن حصن
كان يقال له الاحمق المطاع وهو صلى الله عليه وسلم انما انطلق في وجهه بالعطا
له ليسلم قومه لانه كان المطاع فيهم وانما ذمه صلى الله عليه وسلم لانه يعلم
ما يقع منه بعد فانه ارتد في زمن الصديق وحارب ثم رجع واسلم اي وقد
قيل انه في سبب نزول قوله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا الاية
ان عيينة هذا قال للنبي صلى الله عليه وسلم وقد قال له اسلم فقال له
على ان تبني لي مقصورة في مسجدك اكون انا وقومي فيها وتكون انت
معي ومن تامل سيرته صلى الله عليه وسلم مع اهله واصحابه وغيرهم من الفقرا
والايتام والارامل والضعفا والمساكين علم انه صلى الله عليه وسلم بلغ الغاية
في التواضع ورقة القلب ولين الجانب وعن انس رضي الله عنه قال ارسلني
رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاجة يوما فقلت والله لا اذهب
وفي نفسي اني اذهب فخرجت على صبيان يلعبون في السوق واذا رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد قبض بقفاي من ورايي فنظرت اليه وهو يضحك
فقال يا انس اذهب حيث امرتك فقلت نعم انا اذهب يا رسول الله انتهى وكان
رسول الله انتهى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا وارجح
الناس حلما واعظم الناس عفوا واسخى الناس كفا فكان اجود بالخير من الريح
المرسلة وقال عليه الصلاة والسلام يوما لاصحابه وقد اضطروه
الى شجرة فخطفت رداه فوقف ثم قال اعطوني ردايي لو كان لي عدد هذه العضاه
نعما لقسمته بينكم وفي رواية لو كان لي مثل جبال تهامة ذهبا لقسمته
بينكم وفي رواية لو كان لي مثل جبال تهامة ذهبا لقسمته بينكم ثم لا
تجدوني كذوبا ولا بخيلا ولا جبانا كما تقدم وكان صلى الله عليه وسلم اسجح
قلبا واشد الناس باسا واشد الناس حياء من البنت البكر في خدرها
الى بيتها او سترها وكان اذا فرح غض طرفه واذا اخذه العطاس وضع
يده او ثوبه على فيه وخفض صوته وربما غطا وجهه بيديه او ثوبه
وكان يحب الفال الحسن ويغير الاسم القبيح بالحسن وربما غير الحسن
بالقبيح كما تقدم وكان صلى الله عليه وسلم يقول لاصحابه اذا ارسلتم
الي رسولا فليكن حسن الاسم حسن الوجه من ذلك ان شخصا كان سادنا
اي خادما لصنم وكان يسمى غاويا بن ظالم فبينما هو عند صنمه اذ اقبل

ثعلبان إلى الصنم ورفع كل واحد منهما رجله وبال على رأس الصنم فلما
رأى ذلك كسر ذلك الصنم وأنشد يقول شعر

أرب يبول الثعلبان برأسه

لقد ذل من بالت عليه الثعالب

وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له كيف اسمك فقال
غاوي ابن ظالم فقال لا بل أنت راشد بن عبد ربه ومن هذا القبيل ق
يقال إن الثعلبان بفتح الثاء المثلثة مثنى ثعلب لا بضمها كما ذكره الثعالبي
كما نبه ومن تغيير الاسم القبيح بالحسن ما وقع له صلى الله عليه وسلم في
غزوة ذي قرد أنه مر على ماء فسأل عنه فقيل له هذا اسمه د
بيسان وهو مالح فقال صلى الله عليه وسلم بل اسمه نعمان وهو طيب فانقلب
عذبا واشتراه طلحة بن عبيد الله ثم تصدق وأخبره بذلك فقال له د
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنت يا طلحة إلا فياض فسمي طلحة الفياض
وكان صلى الله عليه وسلم يشاور أصحابه في الأمر قالت عائشة ما رأيت
رجلا أكثر مشاورة للرجال من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان إذا
حلف قال لا ومقلب القلوب وربما قال في يمينه لا وأستغفر الله وإذا
اجتهد في اليمين قال والذي نفس أبي القاسم بيده وربما قال والذي
نفس محمد بيده وربما قال في يمينه لا وأستغفر الله والذي نفسي بيده ه
وكان صلى الله عليه وسلم أكثر الناس إغضاء عن العورات وكان إذا كره شيئا
عرف في وجهه ولم يشافه أحدا بمكروه حتى إذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم
يقل ما بال فلان يقول .... أو يفعل كذا بل يقول ما بال أقوام يقولون
أو يفعلون كذا لا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وكان صلى
الله عليه وسلم أوسع الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وألينهم عريكة
وأكرمهم عشيرة ما دعاه أحد من أصحابه وأهل بيته إلا قال لبيك يخالط
أصحابه ويحادثهم ويداعب أي يمازح صبيانهم ويجلسهم في حجره أي
فقد كان صلى الله عليه وسلم يصف أولاد عمه العباس عبد الله وعبيد الله
وغيرهما رضي الله عنهم ويقول من سبق إلي فله كذا وكذا فيستبقون
إليه فيقعون على صدره فيقبلهم ويلتزمهم ويجيب دعوة الحر والعبد
والأمة والمسكين ويعود المرضى من أقصى المدينة ويشهد الجنائز ويقبل
عذر المعتذر وما وضع أحد فمه في أذنه إلا استمر صاغيا له حتى يفرغ

من

من حديثه ويذهب وما أخذ أحد بيده فيرسل يده منه حتى يكون الآخذ هو
الذي يرسلها وكان صلى الله عليه وسلم يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه
بالمصافحة لم ير قط مادا رجليه بين أصحابه يكرم من يدخل عليه وربما بسط
له رداءه ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه بالجلوس عليها إن أبى ويدعو
أصحابه بأحب أسمائهم تكنية لهم ولا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف
صلاته وسأله عن حاجته فإذا فرغ عاد إلى صلاته وطعن في الحديث الذي
ورد بذلك وإذا سمع بكاء الصغير وهو يصلي تجوز فيها أي خففها أكثر الناس
شفقة على خلق الله تعالى وأرأفهم بهم وأرحمهم بهم قال الله تعالى في
وصفه بالمؤمنين رؤوف رحيم وقال .... تعالى وما أرسلناك إلا
رحمة للعالمين ومن ثم رغب إلى الله تعالى أن يجعل سبه ولعنه لأحد من د
المسلمين رحمة لهم أي إذا كان لا يستحق ذلك السب في باطن الأمر
ويستحقه في ظاهر الأمر وقال من لا يرحم لا يرحم وأوصل الناس للرحم د
وأقومهم بالوفاء وحسن العهد وكان عليه الصلاة والسلام يركب الحمار
أي وربما ركبه عريانا ويردف خلفه فعن أنس رضي الله عنه رأيته صلى الله
عليه وسلم يوما على حمار خطامه ليف أي وقد جاء أن ركوب الحمار براءة
من الكبر وكان صلى الله عليه وسلم يجلس في الأرض وكان يشرب قائما وقاعدا
ويتنفل قائما وقاعدا ويمشي منتعلا وحافيا وفي لفظ كان أكثر صلاته
في نعليه وكان عليه الصلاة والسلام يحب التيامن في شأنه كله في
طهوره وترجله وتنعله وكان يحب السواك حتى لقد أحفى لثته وكان
يكتحل بالإثمد عند النوم ثلاثا في كل عين وفي لفظ ثلاثا في اليمين ومرتين
في اليسرى وقال عليكم بالإثمد فإنه يجلو البصر وينبت الشعر وإنه
من خير أكحالكم وكان يعود المساكين ويجالس الفقراء ويجلس بين أصحابه
وحج عليه الصلاة والسلام على رحل رث عليه قطيفة تساوي أربعة
دراهم وقال اللهم اجعله حجا مبرورا لا رياء فيه ولا سمعة كما تقدم
وأهدى في حجه ذلك مائة بدنة كما تقدم وكان صلى الله عليه وسلم يفلي د
ثوبه أي وإن كان مرحضا ينقيه صلى الله عليه وسلم إنما لعل لا يؤذيه ويحلب
شاته ويخصف نعله ويرقع ثوبه ويخدم نفسه ويعلف ناضحه ويحمل
الذي يشتري عليه الحاجة ويقم البيت قال وعن عائشة رضي الله عنها
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل عمل البيت وأكثر ما يعمل الخياطة

لا يرى فارغا قط في بيته اما يخصف نعلا لرجل مسكين او يخيط ثوبا لارملة
انتهى وياكل مع الخادم ويحمل بضاعته من السوق ويحب الطيب ويأمر به وكان
يتطيب بالمسك والغالية ويتبخر بالعود والعنبر والكافور ويأمر اصحابه
بالمشي امامه ويقول خلوا ظهري للملائكة زاهدا في الدنيا
ما ترك دينارا ولا درهما توفي عليه الصلاة والسلام ودرعه مرهونة
اي وتقدم انها ذات الفضول عند يهودي وتقدم انه ابو الشحم على
نفقة عياله وتقدم ان ذلك كان ثلاثين صاعا من شعير وكان لاجل
سنة وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا ما شبع
صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام متتابعة من خبز البر حتى فارق الدنيا وعن
النعمان بن بشير رضي الله عنه قال لقد رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم
وما يجد من الدقل ما يملأ به بطنه وفي رواية ما شبع يومين من خبز
شعير اي ولعل ذلك انما كان لتناسيه به صلى الله عليه وسلم امته
من الاعراض عن الدنيا قالت عائشة رضي الله عنها قال لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم اني عرض علي ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت
لا يا رب اجوع يوما واشبع يوما فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك
وادعوك واما اليوم الذي اشبع فيه فاحمدك واثني عليك قال قال
عليه الصلاة والسلام ما لي وللدنيا انما انا في الدنيا كرجل سار
في يوم صائف فاستظل تحت شجرة حتى مال الفيء فتركها ولم يرجع اليها وقال
صلى الله عليه وسلم ما ابالي بما رددت به عني الجوع ولم ينخل له دقيق
الشعير قال وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت والذي بعث محمدا
بالحق ما رأى منخلا ولا اكل خبزا منخولا منذ بعثه الله تعالى الى ان
انقبض قيل كيف تصنعون بالشعير قالت كنا نقول اف اف اي ننفخ فيطير
ما طار وما بقي عجناه ولا خبز له مرقق ولا اكل النقي من الخبز وعن انس رضي
الله عنه جاءت فاطمة بكسرة خبز الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه
الكسرة يا فاطمة قالت قرص خبزته فلم تطب نفسي حتى اتيتك بهذه الكسرة
فقال صلى الله عليه وسلم اما انه اول طعام دخل فم ابيك منذ
ثلاثة ايام اي فانه كان يبيت الليالي المتتابعة طاويا ولا اكل على خوان
قط انما كان ياكل على السفرة وربما وضع صلى الله عليه وسلم طعامه على
الارض اي وخطب صلى الله عليه وسلم يوما فقال والله ما امسى في بيت

محمد

محمد صاع من طعام وانها لتسعة ابيات فقال الحسن والله ما قالها استقلالا لا
لرزق الله ولكن اراد صلى الله عليه وسلم ان تتاسى به امته وعن ابي هريرة رضي
الله عنه كان يمر هلال لا يوقد في بيت من بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم
نار لا لخبز ولا لطبخ فقيل له باي شيء كانوا يعيشون يا ابا هريرة قال يا لا
سودين الماء والتمر وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال والله لقد كان ياتي
على آل محمد صلى الله عليه وسلم الليالي ما يجدون فيها عشاء وعن عائشة رضي
الله عنها اهدى لنا ابو بكر رجل شاة قالت اني لاقطعها مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم في ظلمة البيت فقال لها قائل اما كان لكم سراج فقالت لو
كان لنا ما نسرج به اكلناه وكان صلى الله عليه وسلم لا يجمع في بطنه
بين طعامين ان اكل لحما لم يزد عليه وان اكل تمرا لم يزد عليه واذا اكل خبزا
لم يزد عليه ولم يكن له صلى الله عليه وسلم الا ثوب واحد من قطن قصير الكمين
كمه الى الرسغ وكان له جبة ضيقة الكمين وكان له رداء طوله اربعة اذرع ع
وعرضه ذراعان وشبر من نسج عمان وكان له بردة يمانية طولها ستة اذرع
في عرض ثلاثة اذرع وشبر كان يلبسها يوم الجمعة والعيدين ثم يطويان
وكان له رداء احضر طوله اربعة اذرع وعرضه ذراعان وشبر ذا ولنه
الخلقا وكان له عمامة تسمى السحاب كساها علي بن ابي طالب كرم الله وجهه
فكان ربما طلع عليه علي فيقول صلى الله عليه وسلم اتاكم علي في
السحاب يعني عمامته التي وهبها له صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه
وسلم اذا اعتم يرخي عمامته بين كتفيه وكان يلبس القلنسوة الملاطية
اي اللاصقة بالراس وذات الاذان كان يلبسها في الحروب والقلانس س
الطوال انما حدثت في ايام الخليفة المنصور وكان يقول فرق ما بيننا وبين
المشركين العمائم على القلانس اي فانه كان يلبس القلانس تحت العمائم
ويلبس القلانس بغير عمائم ويلبس العمائم بغير قلانس وكان صلى الله
عليه وسلم له عمامة سوداء دخل يوم فتح مكة لابسها وعن جابر رضي
الله عنه كان للنبي صلى الله عليه وسلم عمامة سوداء يلبسها في العيدين
ويرخيها خلفه وجاء ان جبريل كانت عمامته يوم غرق فرعون سوداء ومقدار
عمامته الشريفة لم تثبت في حديث قال بعض الحفاظ والظاهر انها كانت
نحو العشرة اذرع او فوقها بيسير وكان له خرقة اذا توضأ تمسح بها اذا
وفي سفر السعادة لم يكن ينشف اعضاءه بعد الوضوء بمنديل ولا منشفة

وان احضروا شيئا من ذلك بعده والحديث المروي عن عائشة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم نشافة ينشف بها بعد الوضوء وحديث معاذ رضي الله عنه في معناه كلاهما ضعيف وقال [illegible] تنشيف الاعضاء من الوضوء لم يصح فيه حديث وكان له ملحفة مورسة اذا اتاه ان يدور على نسائه رشها بالماء اي لتظهر رائحتها وكان يصبغ قميصه ورداءه وعمامته بالزعفران اي وفي لفظ كان يصبغ ثيابه كلها بالزعفران حتى العمامة وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه قميص اصفر ورداء اصفر وعمامة صفراء وعن ابن ابي اوفى رضي الله عنه قال كان احب الصبغ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفرة قال الحافظ الدمياطي ويعارض هذه الاحاديث ما ورد في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن التزعفر وفي لفظ نهى ان يتزعفر الرجل اي وقد يقال على تقدير صحة تلك الاحاديث فهي منسوخة او كان ذلك من خصوصياته صلى الله عليه وسلم وقد صح انه صلى الله عليه وسلم اشترى السراويل واختلف هل لبسها فقيل نعم ففي الاوسط للطبراني ومسند ابي يعلى عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال دخلت يوما السوق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس الى البزازين فاشترى سراويل باربعة دراهم وكان لاهل السوق وزان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اوزن وارجح واخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السراويل فذهبت لاحمله عنه فقال صاحب الشيء احق بشيئه ان يحمله الا ان يكون ضعيفا يعجز عنه فيعينه اخوه المسلم قلت يا رسول الله انك لتلبس السراويل قال اجل في السفر والحضر وبالليل وبالنهار فاني امرت بالستر فلم اجد شيئا استر منه وفي سنده ضعيف وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم توفني فقيرا ولا توفني غنيا واحشرني في زمرة المساكين وفي لفظ آخر اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين فان اشقى الاشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الاخرة اتتني الدنيا خضرة حلوة ورفعت الي راسها وتزينت فقلت اني لا اريدها لا حاجة لي فيك ولو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء انتهى وعن ابن عباس رضي الله عنهما [illegible] المتتابعة طاويا لا يجدون عشاء قال وكان يقول لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا الفاقة احب الي من اليسار وعن عائشة رضي الله عنها كنت ابكي له من الجوع واقول نفسي لك الفداء لو تبلغت

من

لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنع عنك الجوع فيقول عليه الصلاة والسلام يا عائشة ان اخواني من اولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرمهم واجزل ثوابهم احشى ان ترفعت في معيشتي ان يقصر بي دونهم فاصبر اياما يسيرة احب الي من ان ينقص حظي غدا في الاخرة وما من شيء احب الي من اللحوق باخواني قال وقال صلى الله عليه وسلم يا عائشة ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله لم يرض من اولي العزم من الرسل الا بالصبر وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل والله لاصبرن جهدي ولا قوة الا بالله انتهى وكان صلى الله عليه وسلم يقول لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى بن مريم فانما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وكان على غاية من الاعراض عن الدنيا وكان يصلي على الحصير وعلى الفروة المدبوغة وربما نام على الحصير فاثرت في جسده وكان صلى الله عليه وسلم نائما على شيء من ادم حشوه ليف فقيل له في ذلك فقال ما لي وللدنيا وعن عائشة رضي الله عنها دخلت امراة من الانصار فرات ذلك اي الادم وفي لفظ فرات فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم عباءة مثنية فانطلقت فبعثت اليه بفراش حشوه صوف فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا فقلت يا رسول الله فلانة الانصارية دخلت علي فرات ذلك الادم وفي لفظ فرات فراشك فذهبت فبعثت بهذا فقال رديه فلم ارده واعجبني ان يكون في بيتي حتى قال ذلك ثلاث مرات فقال والله يا عائشة لو شئت لاجرى الله معي جبال الذهب والفضة وعنها رضي الله عنها انها كانت تفرش تلك العباءة مثنية طاقين ففي بعض الليالي ربعتها فنام صلى الله عليه وسلم ثم قال يا عائشة ما للفراش الليلة ليس كما يكون قلت يا رسول الله ربعته قال فاعيديه كما كان وكان صلى الله عليه وسلم اذا استجد ثوبا قال اللهم لك الحمد انت كسوتنيه اسالك من خيره وخير ما صنع له واعوذ بك من شره وشر ما صنع وكان يقول اذا لبس احدكم ثوبا فليقل الحمد لله الذي كساني ما اواري به عورتي واتجمل به في حياتي قال وكان ارجح الناس عقلا العقل مائة جزء تسعة وتسعون في النبي صلى الله عليه وسلم وجزء في سائر الناس وعن وهب بن منبه قرات في احد وسبعين كتابا انه صلى الله عليه وسلم ارجح الناس عقلا وافضلهم رايا وفي رواية وجدت في جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا

الى ضله نتصابها بين العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة بين رمال
الدنيا ومما يتفرع على العقل فتنشا الفضائل واجتناب الرذائل واصابة
الراي وجودة الفطنة وحسن السياسة والتدبير وقد بلغ من ذلك صلى الله
عليه وسلم الغاية التي لم يبلغها بشر سواه ومما لا يكاد يقضي منه العجب حسن
تدبيره للعرب الذين هم كالوحوش الشاردة كيف ساسهم واحتمل جفاءهم وصبر
على اذاهم الى ان انقادوا اليه واختاروه على انفسهم وقاتلوا دونه اهلهم و
اباءهم وابناءهم وهجروا في رضاه اوطانهم انتهى والله اعلم

باب يذكر فيه مدة مرضه وما وقع فيه ووفاته

صلى الله عليه وسلم التي هي مصيبة الاولين والاخرين من المسلمين ذكر انه صلى الله
عليه وسلم خرج الى البقيع من جوف الليل فاستغفر لهم فعن ابي مويهبة مولى رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له في جوف الليل
اني قد امرت ان استغفر لاهل البقيع فانطلق معي قال فانطلقت معه
فلما وقف بين اظهرهم قال السلام عليكم يا اهل المقابر ليهن لكم ما اصبحتم فيه
مما اصبح الناس فيه لو تعلمون ما نجاكم الله منه اقبلت الفتن كقطع الليل
المظلم يتبع اخرها اولها الاخيرة شر من الاولى ثم اقبل علي فقال يا ابا مويهبة
هل علمت اني قد اوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة وخيرت
بين ذلك وبين لقاء ربي فاخترت لقاء ربي والجنة اي وفي رواية ان ابا مويهبة
قال له صلى الله عليه وسلم بابي انت وامي فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها
ثم الجنة قال لا والله يا ابا مويهبة لقد اخترت لقاء ربي والجنة ثم رجع الى
اهله فلما اصبح ابتدا بوجعه من يومه ذلك اي ابتداه الصداع اي وفي رواية
ذهب بعد ذلك الى قتلى احد فصلى عليهم ورجع معصوب الراس فكان ذلك
بدء الوجع الذي مات فيه في الصحيح وفي فيه صلى الله عليه وسلم وفي رواية رجع
من جنازة بالبقيع قالت عائشة رضي الله عنها لما رجع رسول الله صلى الله
من البقيع وجدني وانا اجد صداعا في راسي وانا اقول وا راساه فقال صلى
الله عليه وسلم بل انا وا راساه قال لو كان ذلك وانا حي فاستغفر لك وادعو
لك واكفنك وادفنك وفي لفظ وما يضرك لو مت قبلي فقمت عليك و
كفنتك وصليت عليك ودفنتك فقلت واثكلاه والله انك لتحب
موتي فلو كان ذلك لظللت يومك معرسا ببعض ازواجك قالت فتبسم
رسول الله صلى الله عليه وسلم بل انا وا راساه لقد هممت ان ارسل الى ابيك

اما الى احبك فاقض بعدي امري واعهد عهدي فلا يطمع في الدنيا طامع وفي لفظ ثم قلت
يابى الله ويدفع المؤمنون او يدفع الله ويابى المؤمنون وفي رواية قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم في مرضه ادعي لي ابا بكر واخاك حتى اكتب كتابا فاني اخاف ان
يتمنى متمن او يقول قائل انا اولى ويابى الله والمؤمنون الا ابا بكر وفي رواية ان
لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن بن ابي بكر ايتني بكتف
او لوح حتى اكتب لابي بكر كتابا لا يختلف عليه فلما ذهب عبد الرحمن ليقوم
قال ابى الله والمؤمنون ان يختلف عليك يا ابا بكر قال ابن كثير وقد خطب
عليه الصلاة والسلام خطبة عظيمة بين فيها فضل الصديق من بين الصحابة
رضوان الله عليهم اجمعين ولعل خطبته هذه كانت عوضا عما اراد صلى الله
عليه وسلم ان يكتبه في الكتاب وفي رواية اجتمع عنده صلى الله عليه وسلم رجال
فقال هلموا اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده فقال بعضهم اي وهو
سيدنا عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع وعندكم
القران اي وانما قال ذلك تخفيفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فارتفعت
اصواتهم فامرهم بالخروج من عنده وجاء ان العباس قال لعلي رضي الله عنهما لا ارى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصح من مرضه هذا فاني اعرف وجوه بني عبد
المطلب عند الموت اي وفي رواية خرج علي بن ابي طالب من عند رسول الله صلى
الله صلى الله عليه وسلم يصح من مرضه هذا فاني اعرف وجوه بني عبد
المطلب عند الموت اي وفي رواية خرج علي بن ابي طالب من عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو في مرضه الذي مات فيه فقال الناس له يا ابا
الحسن كيف اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اصبح بحمد الله بارئا فاخذ
بيده عمه العباس وقال له والله انت بعد ثلاث عبد العصا واني لا ارى
رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجعه هذا بعد ثلاث الا ميتا فاني رايت
في وجهه ما كنت اعرفه في وجوه بني عبد المطلب عند الموت فاذهب
بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنساله فيمن هذا الامر فان كان
فينا علمنا ذلك وان كان في غيرنا كلمناه فاوصى بنا فقال علي رضي الله
عنه والله لا اسالها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة رضي الله
عنها وصار يدور على نسائه فاشتد به المرض عند ميمونة وقيل في بيت
زينب وقيل في بيت ريحانة قالت عائشة رضي الله تعالى عنها فدعا
صلى الله عليه وسلم نساءه فاستاذنهن ان يمرض في بيتي فاذن له وفي رواية

قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه ادعي لي ابا بكر اباك واخاك
حتى اكتب كتابا فاني اخاف ان يتمنى متمن او يقول قائل انا اولى ويابى الله والمؤمنون
الا ابا بكر وفي رواية لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن بن ابي
بكر ائتني بكتف او لوح حتى اكتب لابي بكر كتابا لا يختلف عليه فلما ذهب عبد
الرحمن ليقوم قال ابى الله والمؤمنون ان يختلف عليك يا ابا بكر قال
ابن كثير وقد خطب عليه الصلاة والسلام خطبة عظيمة بين فيها فضل د
الصديق من بين الصحابة ثم صار صلى الله عليه وسلم يقول وهو في بيت ميمونة
اين انا غدا اين انا غدا يريد بيت عائشة وفي البخاري يقول اين انا اليوم اين
غدا استبطاء ليوم عائشة فاذن له ازواجه ان يكون حيث شاء فكان في
بيت عائشة وفي رواية عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى
النساء في مرضه فاجتمعن فقال اني لا استطيع ان ادور بينكن فان رايتن
ان تاذن لي فاكون عند عائشة فعلتن فاذن له قالت فخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم يمشي بين رجلين من اهله معتمدا عليهما الفضل ابن د
العباس ورجل اخر وفي رواية بين عباس بن عبد المطلب وبين رجل اخر وفي
لفظ بين اسامة ورجل اخر عاصبا راسه الشريف تخط قدماه الارض حتى دخل
بيتي قال ابن عباس الرجل الاخر الذي لم تسمه علي بن ابي طالب رضي الله عنه اي
فانه كان بينها وبين علي ما يقع بين الاحماء وقد صرحت بذلك لما ارادت
ان تتوجه من البصرة بعد انقضاء وقعة الجمل وخرج الناس ومن جملتهم علي رضي
الله تعالى عنه لتوديعها حيث قالت والله ما كان بيني وبين علي في القديم
الا ما يكون بين المراة واحمائها فقال علي ايها الناس صدقت والله وبرت
والله ما كان بيننا وبينها الا ذلك وانها لزوجة نبيكم في الدنيا والاخرة
وتقدم ذلك ثم غمر رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد به وجعه فقال
هريقوا علي من سبع قرب [illegible] حتى اخرج الى الناس فاعهد اليهم فاقعدناه
في مخضب لحفصة ثم صببنا عليه الماء حتى طفق يقول حسبكم حسبكم
وفي لفظ حتى طفق يشير لنا بيده اي قد فعلتن اي وصبت المياه المذكورة
لما دخل في دفع السم اي فانه صلى الله عليه وسلم صار يقول لعائشة يا عائشة
ما زال اجد الم الطعام الذي اكلته بخيبر فهذا اوان انقطاع ابهري
من ذلك السم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عاصبا راسه الشريف
حتى جلس على المنبر ثم كان اول ما تكلم به ان صلى على اصحاب احد اي دعا لهم

فاكثر

فاكثر الصلاة عليهم واستغفر لهم ثم قال ان عبدا من عباد الله خيره الله
بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله ففهمها ابو بكر
رضي الله عنه وعرف ان نفسه صلى الله عليه وسلم يريد اي فبكى ابو بكر فقال
نفديك بانفسنا وابنائنا فقال صلى الله عليه وسلم على رسلك
يا ابا علي في صحبته وماله ابو بكر وهذا حديث صحيح جاء عن بضعة عشر
صحابيا ولكثرة طرقه عد من المتواتر وفي اخرى ان اعظم الناس علينا في د
صحبته وذات يده ابو بكر وفي اخرى فاني لا اعلم امرا افضل عندي يدا
في الصحابة من ابي بكر وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما من نبي يموت حتى يخير بين الدنيا والاخرة اي وفي الحديث
حياتي خير لكم ومماتي خير لكم تعرض علي اعمالكم فان رايت شرا استغفرت لكم
اي وهذا بيان للثاني لاستغناء الاول عن البيان ومعلوم ان خيرا او شرا انما
ليسا افعل تفضيل الذي يوصل بمن حتى يلزم التنافي بل المراد ان ذلك د
فضيلة ثم قال انظروا هذه الابواب اللاصقة في المسجد اي وفي لفظ هذه
الابواب الشوارع في المسجد فسدوها الا باب ابي بكر اي وفي لفظ الا ما كان
من باب ابي بكر فاني وجدت عليه نورا وفي لفظ سدوا عني كل خوخة في هذا
المسجد الا خوخة ابي بكر فان المراد بالابواب الخوخ فاني لا اعلم احدا كان د
افضل في الصحبة عندي يدا منه اي وفي لفظ ابو بكر صاحبي ومؤنسي في
الغار سدوا كل خوخة في المسجد غير خوخة ابي بكر وفي لفظ لا تؤذوني في
صاحبي ولولا ان الله سماه صاحبا لاتخذته خليلا الا فسدوا كل خوخة الا
خوخة ابن ابي قحافة اي وجاء في الحديث لكل نبي خليل من امته وان خليلي
ابو بكر وان الله اتخذ صاحبكم خليلا وفي رواية وان خليلي عثمان بن عفان
وجاء لكل نبي خليل وخليلي سعد بن معاذ وفي اسباب النزول للثعلبي عن
ابي امامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله د
اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا وانه لم يكن نبي الا وله خليل الا وان
خليلي ابو بكر وفي رواية الجامع الصغير خليلي من هذه الامة اويس القرني
ولعل هذا كان قبل ان يقول في مرض موته قبل موته بخمسة ايام اني ابرا الى
الى الله ان يكون لي منكم خليل فان الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم
خليلا ولو كنت متخذا من امتي خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا لكن خلة الاسلام
افضل وفي رواية ولكن اخوة الاسلام ومودته وفي رواية لكن اخي وصاحبي

وجمع بان الاول اي اثبات الخلة لغير الله محمول على نوع منها ونفيهما عن غيره
الله محمول على كمالها ثم لا يخفي ان قوله لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر
خليلا لا يدل على ان مقام الخلة ادني من مقام المحبة وان المحبة والخلة ليستا
سواء خلافا لمن زعم ذلك اي ولا مانع ان يوجد في المفضول ما لا يوجد في
الفاضل ولا حاجة لما تكلفه بعضهم بما يدل على ان مقام المحبة ارقى من مقام
الخلة اي الذي يدل عليه ما جاء الا وان ابراهيم خليل الله
وموسى صفي الله وانا حبيب الله وانا سيد ولد ادم يوم القيامة وعند
اغلاق الابواب قال الناس اغلق ابوابنا وترك باب خليله فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد بلغني الذي قلتم في باب ابي بكر واني ارى على باب
ابي بكر نورا وارى على ابوابكم ظلمة لقد قلتم كذبت وقال ابو بكر صدقت
وامسكتم الاموال وجاد لي بماله وخذلتموني وواساني واتبعني ولعل قولهم
وترك باب خليله لا ينافي ما تقدم من عدم اتخاذه خليلا وروي انه صلى
الله عليه وسلم لما امر بسد الابواب الا باب ابي بكر قال عمر يا رسول الله دعني افتح
كوة انظر اليك حين تخرج الى الصلاة فقال رسول الله صلى الله عليه
لا وقال العباس بن عبد المطلب يا رسول الله ما بالك فتحت ابواب رجال
في المسجد يعني ابا بكر وما بالك سددت ابواب رجال في المسجد فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عباس ما فتحت عن امري ولا سددت عن امري
وفي لفظ ما سددتها ولكن الله سدها وجاء عن ابن عباس رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بسد الابواب الا باب علي قال الترمذي
حديث غريب وقال ابن الجوزي هو موضوع وضعته الرافضة ليقابلوا به
الحديث الصحيح في باب ابي بكر وجمع بعضهم بان قصة علي متقدمة
على هذا الوقت وان الناس كان لكل بيت باب يفتح للمسجد وباب
يفتح خارجه الا بيت علي كرم الله وجهه فانه لم يكن له الا باب من المسجد
وليس له باب من خارج فامر صلى الله عليه وسلم بسد الابواب اي التي تفتح
للمسجد اي بتضييقها وصيرورتها خوخا الا باب علي كرم الله وجهه
فان عليا لم يكن له الا باب واحد ليس له طريق غيره كما تقدم فلم يأمر بجعله
خوخة ثم بعد ذلك امر صلى الله عليه وسلم بسد الخوخ الا خوخة ابي بكر
وقول بعضهم حتى خوخة علي كرم الله وجهه فيه نظر لما علمت ان عليا
كرم الله وجهه لم يكن له الا باب واحد فالباب في قصة ابي بكر ليس المراد

به حقيقته بل الخوخة وفي قصة علي المراد به حقيقته اقول ومما يدل
على تقدم قصة علي رضي الله عنه قال ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى ابي بكر ان سد بابك قال سمعا وطاعة فسد بابه ثم ارسل الى العباس
بمثل ذلك ففعل ثم امر الناس ففعلوا وامتنع حمزة فقلت يا رسول الله
قد فعلوا الا حمزة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل لحمزة فليحول
بابه فعلمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك ان تحول بابك فحوله
وعند ذلك قالوا يا رسول الله سددت ابوابنا كلها الا باب علي فقال
ما انا سددت ابوابكم ولكن الله سدها وفي رواية ما انا سددت ابو
ابكم وفتحت باب علي ولكن الله فتح باب علي وسد ابوابكم وجاء انه صلى الله
عليه وسلم خطب الناس فحمد الله واثنى عليه فقال اما بعد فاني امرت بسد
هذه الابواب غير باب علي فقال فيه قائلكم واني والله ما سددت شيئا
ولا فتحته ولكني امرت بشيء فاتبعته انما انا عبد مأمور ما امرت به فعلت
ان اتبع الا ما يوحى الي ومعلوم ان حمزة قتل يوم احد فقصة علي متقدمة جدا
على قصة ابي بكر وفي كون المراد بسد الابواب تضييقها وجعلها خوخا
يشكل انما جاء امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسد الابواب كلها غير باب
علي فقال العباس يا رسول الله قدر ما ادخل انا وحدي واخرج قال ما امرت
بشيء من ذلك فسدها كلها غير باب علي تعالى تقدير صحة ذلك يحتاج الى
الجواب عنه وعلى هذا الجمع يلزم ان يكون باب علي استمر مفتوحا في المسجد مع
خوخة ابي بكر لما علم انه لم يكن لعلي باب اخر من غير المسجد وحينئذ قد يتوقف
في قول بعضهم في سد الخوخ الا خوخة ابي بكر اشارة الى استخلاف ابي بكر لانه
يحتاج الى المسجد كثيرا دون غيره لكن في تاريخ ابن كثير وهذا اي سد
جميع الابواب الشارعة في المسجد الا باب علي لا ينافي ما ثبت في صحيح البخاري
من امره صلى الله عليه وسلم في مرض الموت بسد الابواب الشارعة الى المسجد
الا باب ابي بكر لان في حال حياته كانت فاطمة رضي الله عنها تحتاج الى المرور
من بيتها الى بيت ابيها فابقى صلى الله عليه وسلم باب علي لذلك رفقا بها واما
بعد وفاته زالت هذه العلة فاحتيج الى فتح باب الصديق لاجل خروجه الى
المسجد ليصلي بالمسلمين لانه الخليفة بعده عليه الصلاة والسلام اه
هذا كلامه وهو يفيد ان باب علي سد مع الخوخ ولم يبق الا خوخة ابي بكر و
وجعل للبيت علي باب من الخارج وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي يا علي لا يحل لاحد جنب في المسجد غيري
وغيرك وعن ام سلمة رضي الله عنها انها قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
في مرضه حتى انتهى الى فرجة المسجد فنادى يا علي صوته انه لا يحل المسجد لجنب
ولا لحايض الا لمحمد وازواجه وعلي وفاطمة بنت محمد الا هل بينت لكم ان لا تضلوا
قال الحافظ ابن كثير وهذا اي الثاني اسناده غريب وفيه ضعف هذا كلامه
والمراد المكث في المسجد لا المرور به والاستطراق فان ذلك لكل احد ثم رايت
الحافظ السيوطي اشار الى ذلك وذكر ان مثل علي فيما ذكر لذاه الحسن والحسين
حيث قال وكذا علي ابن ابي طالب والحسن والحسين حيث قال وكذا علي ابن ابي طالب
والحسن والحسين اختصوا بجواز المكث في المسجد مع الجنابة والله اعلم ثم قال
صلى الله عليه وسلم يا معشر المهاجرين استوصوا بالانصار خيرا انهم كانوا عيبتي
التي اويت اليهم فاحسنوا الى محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ثم نزل رسول
الله صلى الله عليه وسلم وروي انه قال صلى الله عليه وسلم وروي انه قال صلى
الله عليه وسلم في خطبته هذه ايها الناس من احس من نفسه شيئا فليقم ادعو الله
له فقام اليه رجل فقال يا رسول الله اني لمنافق واني لكذوب واني لنؤوم فقال
عمر بن الخطاب ويحك ايها الرجل لقد سترك الله لو سترت على نفسك فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن الخطاب فضوح الدنيا اهون من فضوح الاخرة
اللهم ارزقه صدقا وايمانا واذهب عنه النوم اذا شاء قال ابن كثير في اسناده
ومتنه غرابة شديدة وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه ابا بكر ان يصلي
بالناس قال وكانت تلك الصلاة صلاة العشا الاخرة وقد اذن بلال
فقال صبوا الي ماء في المخضب اي وهو شبه الاجانة من نحاس فاغتسل اي وهذا
مع ما سبق يدل على انه كان له صلى الله عليه وسلم مخضب من حجر ومخضب من نحاس ثم
اراد صلى الله عليه وسلم مخضب من حجر ومخضب من نحاس ثم اراد صلى الله عليه وسلم د
ان ينهض فاغمي عليه ثم افاق فقال اصلى الناس قلنا لا هم ينتظرونك وعنده
قال صبوا الي ماء في المخضب فاغتسل ثم اراد ان ينهض فاغمي عليه ثم افاق فقال
اصلى الناس قلنا لا هم ينتظرونك يا رسول الله والناس عكوف في المسجد ينتظرون
النبي صلى الله عليه وسلم لصلاة العشا الاخرة فارسل صلى الله عليه وسلم الى ابي بكر
بان يصلي بالناس فاتاه الرسول فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرك ان
تصلي بالناس فقال ابو بكر لعمر يا عمر صل بالناس فقال له عمر انت احق بذلك وفي رواية
ان بلالا دخل عليه صلى الله عليه وسلم فقال الصلاة يا رسول الله فقال لا استطيع

الصلاة

الصلاة خارجا مر عمر بن الخطاب فليصل بالناس فخرج بلال رضي الله عنه وهو يبكي
فقال له المسلمون ما وراءك يا بلال فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا
يستطيع الصلاة خارجا فبكوا بكاء شديدا وقال لعمر ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يامرك ان تصلي بالناس قال ما كنت لاتقدم بين يدي ابي بكر ابدا فادخل
على النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره ان ابا بكر على الباب فدخل عليه بلال فاخبره
بذلك فقال نعم ما رأي مر ابا بكر فليصل بالناس فخرج الى ابي بكر فامره ان يصلي
بالناس فصلى بالناس وفي رواية فقال مروا ابا بكر فليصل بالناس فقالت
عايشة فقلت ان ابا بكر رجل اسيف اي رقيق القلب اذا قام مقامك لم يسمع
الناس من البكا فقال مروا ابا بكر فليصل بالناس فعاودته فقال مروا ابا بكر
فليصل بالناس فقلت لحفصة قولي له ان ابا بكر اذا قام مقامك لم يسمع الناس
من البكا فمر عمر فليصل بالناس ففعلت حفصة فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لحفصة مه انكن صواحب يوسف اي وفي لفظ انكن لانتن صواحب
يوسف فقالت حفصة لعايشة ما كنت لاصيب منك خيرا مروا ابا بكر فليصل
بالناس اي مثل صاحبة يوسف وهي زليخا اظهرت خلاف ما تبطن اظهرت للنسا
التي جمعتهن انها تريد اكرامهن بالضيافة ولما قصدها ان ينظرن لحسن يوسف
فيعذرنها في محبته والنبي صلى الله عليه وسلم فهم من عايشة انها تظهر كراهة د
ذلك مع محبته باطنا فكذا يتعين ظاهر اللفظ والمنقول عن عايشة
انها قصدت بذلك خوف ان ابا بكر فيكون هو حيث قام مقامه صلى الله عليه
وسلم فقد جاء عنها رضي الله عنها قالت ما حملني على كثرة مراجعتي له صلى الله
عليه وسلم الا انه لم يقع في قلبي ان يحب الناس بعده رجلا قام مقامه صلى الله
عليه وسلم ابدا ولا كنت ارى انه يقوم احد مقامه وفي رواية ان الانصار لما
راو رسول الله صلى الله عليه وسلم يزداد وجعا اطافوا بالمسجد واشفقوا من
موته صلى الله عليه وسلم فدخل عليه الفضل فاخبره بذلك ثم دخل عليه علي
رضي الله عنه فاخبره بذلك ثم دخل عليه العباس فاخبره بذلك فخرج صلى
الله عليه وسلم متوكيا على علي والفضل والعباس امامه والنبي معصوب الراس
يخط برجليه حتى جلس على اسفل مرقاة من المنبر وثار الناس اليه صلى الله
عليه وسلم فحمد الله واثنى عليه وقال ايها الناس بلغني انكم تخافون من موت نبيكم
هل خلد نبي قبلي فيمن بعث اليه فاخلد فيكم الا واني لاحق بربي وانكم لاحقون به
فاوصيكم بالمهاجرين الاولين خيرا واوصي المهاجرين فيما بينهم فان الله تعالى

يقول والعصر ان الانسان لفي خسر السورة وان الامور تجري باذن الله ولا
يحملكم استبطاء امر على استعجاله فان الله عز وجل لا يعجل لعجلة احد ومن غالب
الله غلبه ومن خادع الله خدعه فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض
وتقطعوا ارحامكم واوصيكم بالانصار خيرا فانهم الذين تبوءوا الدار والايمان
من قبلكم ان تحسنوا اليهم الم يشاطروكم في الثمار الم يوسعوا لكم في الدنيا
الم يوثروكم على انفسهم وبهم الخصاصة الا فمن ولي ان يحكم بين رجلين
فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم الا ولا تستاثروا عليهم الا واني
فرطكم وانتم لاحقون بي الا وان موعدكم الحوض الا فمن احب ان يرده علي غدا
فليكفف يده ولسانه الا فيما ينبغي يا ايها الناس ان الذنوب تغير النعم فاذا
بر الناس برتهم ائمتهم واذا فجر الناس عقوا ائمتهم وفي الحديث حياتي خير لكم
وموتي خير لكم اي في كل منهما خير لكم وقد اشار صلى الله عليه وسلم الى خيرية
الموت بانه فرط لخير صفة لا انه فضيلة حتى يشكل بانه يقتضي ان حياته
خير لكم من مماتي ومماتي خير لكم من حياتي ثم لا زال ابو بكر يصلي بالناس سبعة
عشر صلاة وصلى النبي صلى الله عليه وسلم مؤتما به ركعة ثانية من صلاة الصبح
ثم قضى الركعة الثانية اي اتى بها منفردا وقال صلى الله عليه وسلم لم يقبض
نبي حتى يؤمه رجل من قومه اي وقد وقع له صلى الله عليه وسلم ذلك لما صلى خلف
عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه في تبوك كما تقدم وقال وفي رواية عن
عائشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم وجد خفة اي وابو بكر في
الصلاة فخرج بين رجلين احدهما العباس لصلاة الظهر فلما راه ابو بكر
رضي الله عنه ذهب ليتاخر فاوما اليه ان لا يتاخر وامرهما فاجلساه الى
جنب ابي بكر عن يساره وفي رواية عن يمينه وانه صلى الله عليه وسلم دفع في
ظهر ابي بكر وقال ــــ صل بالناس اي ومنعه من التاخر فجعل ابو بكر رضي
الله عنه يصلي قائما كبقية الصحابة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي
قاعدا انتهى وهذا صريح في انه صلى الله عليه وسلم يصلي قاعدا انه صلى مقتديا
بابي بكر رضي الله عنه وحينئذ لا يحسن التفريع على ذلك بما جاء في لفظ
فكان ابو بكر يصلي وهو قائم بصلاة النبي صلى الله عليه وسلم والناس يصلون
بصلاة ابي بكر وفي لفظ يقتدي ابو بكر بصلاة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ويقتدون بصلاة ابي بكر وهذا انما يدل على ان الصحابة صلوا خلف
ابي بكر وابو بكر يصلي خلف النبي صلى الله عليه وسلم وصار يسمع الصحابة التكبير

وقد بوب على ذلك البخاري باب من اسمع الناس تكبير الامام وقال بعد ذلك
باب الرجل ياتم بالامام وياتم الناس بالماموم ثم ان منعه صلى الله عليه وسلم ابا بكر
من التاخر مع صلاته على يسار ابي بكر او على يمينه يدل على ان ابا بكر لم يقتد بالنبي
صلى الله عليه وسلم بل استمر اماما اذ لا يجوز عندنا ان يقتدي ابو بكر بالنبي صلى
الله عليه وسلم مع تقدم ابي بكر عليه في الموقف وحينئذ يخالف ذلك قول
فقهائنا ان الصحابة رضي الله عنهم اقتدوا به صلى الله عليه وسلم بعد
اقتدائهم بابي بكر وجعلوه دليلا على جواز الصلاة بامامين على التعاقب
انه لا يحسن ذلك الا ان يكون ابو بكر تاخر ونوى الاقتداء به صلى الله عليه
الا ان يقال يجوز ان تكون صلاته صلى الله عليه وسلم خلف ابي بكر تكررت
ففي مرة منعه صلى الله عليه وسلم من التاخر واقتدى به وفي مرة تاخر ابو بكر
عن موقفه واقتدى بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد اقتدائهم بابي بكر وصار
ابو بكر يسمع الناس التكبير ولا ينافي ذلك قول البخاري الرجل ياتم بالامام
وياتم الناس بالماموم لجواز ان يكون المراد يقتدون ويتبعون تكبير الماموم
ثم رايت الترمذي صرح بتعدد صلاته صلى الله عليه وسلم خلف ابي بكر حيث
قال ثبت انه صلى الله عليه وسلم صلى خلف ابي بكر مقتديا به في مرضه الذي
توفي فيه ثلاث مرات ولا ينكر هذا الا جاهل لا علم له بالرواية هذا كلامه
وبه يرد قول البيهقي والذي دلت عليه الروايات ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى
خلفه في تلك الايام التي كان يصلي بالناس مرة وقال صلى الله عليه وسلم في
مرضه ذلك يوما لعبد الله بن زمعة بن الاسود مر الناس فليصلوا اي صلاة
الصبح وكان ابو بكر غائبا فقدم عبد الله عمر يصلي بالناس فلما سمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم صوته اخرج راسه حتى اطلعه للناس من حجرته ثم قال
لا لا لا ثلاث مرات ليصلي بهم ابن ابي قحافة فانتقضت الصفوف وانصرف
عمر اي من الصلاة فما برح القوم حتى طلع ابن ابي قحافة فتقدم وصلى بالناس
الصبح وفي رواية انه لما سمع صوت عمر قال ليس هذا صوت عمر فقالوا
بلى يا رسول الله فقال يابى الله ذلك والمؤمنون وفي لفظ يابى الله والمسلمون
الا ابا بكر قال ذلك ثلاثا قال في السيرة الشامية فبعثنا الى ابي بكر فجاء
بعد ان صلى عمر تلك الصلاة فصلى بالناس وقد يقال المراد فصلى عمر
تلك الصلاة يعني تلك الصلاة ودخل فيها ولا يخالف ما تقدم من انتقاض
الصفوف وانصراف عمر من الصلاة وقال عمر لعبد الله بن زمعة ويحك ماذا

صنعت يا ابن زمعة والله ما ظننت حين امرتني الا ان رسول الله صلى الله عليه
امرك بذلك قال ——— عبد الله ما امرني بذلك ولكن حين لم ار ابا بكر
رايتك احق من حضر بالصلاة وفي اخر يوم اخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
راسه من خلف الستارة والناس خلف ابي بكر فاراد الناس ان يتحرفوا فاشار
اليهم ان امكثوا وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما راى من هيئة
المسلمين في صلاتهم سرورا بذلك وذلك يوم الاثنين يوم موته صلى الله
عليه وسلم ثم القى الستارة وفي السيرة الشامية لما كان يوم الاثنين
الذي قبض الله تبارك وتعالى فيه رسوله صلى الله عليه وسلم وخرج الى الناس
وهم يصلون فرفع الستر وفتح الباب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام
على باب عائشة رضي الله عنها فكاد المسلمون يفتتنون في صلاتهم برسول
الله صلى الله عليه وسلم حين راوه فرحا به فاشار اليهم ان اثبتوا على صلاتكم
ثم رجع صلى الله عليه وسلم وانصرف الناس وهم يرون ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد افاق من وجعه فرجع ابو بكر رضي الله عنه الى اهله بالسنح وفيها
في رواية انه لما كان يوم الاثنين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عاصبا
راسه الى صلاة الصبح وابو بكر يصلي بالناس فلما خرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم تفرج الناس فعرف ابو بكر ان الناس لم يصنعوا ذلك الا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فنكص عن مصلاه فدفع رسول الله صلى الله عليه
وسلم في ظهره وقال صل بالناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى جنبه عن يمين ابي بكر فصلى قاعدا فلما فرغ من الصلاة اقبل على الناس
رافعا صوته حتى خرج من باب المسجد يقول ايها الناس سعرت النار واقبلت
الفتن كقطع الليل المظلم اني والله ما تمسكون علي بشيء اني لم احل الا ما احل
القران ولم احرم الا ما حرم القران ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من
كلامه قال له ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله قد اراك اصبحت بنعمة الله
وفضل كما نحب واليوم يوم بنت خارجة افاتيها قال نعم ثم دخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم وخرج ابو بكر الى اهله بالسنح فتوفي رسول الله صلى
الله عليه وسلم حين اشتد الضحى من ذلك اليوم فلينظر ما الجمع بين هذه الرو
وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر ان يصلي بالناس قبل مرضه فانه
صلى الله عليه وسلم خرج الى قبا بعد ما صلى الظهر وقد وقع بين طائفتين من
بني عمرو بن عوف تشاجر حتى تراموا بالحجارة ليصلح بينهم فقال لبلال ان حضرت

صلاة

صلاة العصر ولم ات فمر ابا بكر فليصل بالناس فلما حضرت صلاة العصر اذن
بلال ثم اقام ثم امر ابا بكر فتقدم وصلى بالناس فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
يشق الناس حتى قام خلف ابي بكر فصفح الناس اي صفقوا فلما كثر ذلك التفت
ابو بكر فراى رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه فاراد ان يتاخر فاوما اليه ان
يكون على حاله فلم يثبت في مكانه بل تاخر وتقدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فصلى بالناس فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته قال
يا ابا بكر ما منعك اذ اومات اليك ان لا تكون ثبتت فقال ابو بكر ما
لم يكن لابن ابي قحافة ان يؤم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال للناس اذا
نابكم في صلاتكم شيء فليسبح الرجال وليصفق النساء وهذا استدل به القاضي
عياض على انه لا يجوز لاحد ان يؤمه صلى الله عليه وسلم لانه لا يصح التقدم
بين يديه عليه الصلاة والسلام في الصلاة ولا في غيرها لا لعذر ولا لغيره
وقد نهى الله المؤمنين عن ذلك ولا يكون احد شافعا له صلى الله عليه وسلم
وقد قال ائمتكم شفعاؤكم وحينئذ يحتاج للجواب عن صلاته صلى الله عليه
خلف عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ركعة وسياتي الجواب عن ذلك ولعل
هذه المرة كانت في اليوم الذي توفي فيه صلى الله عليه وسلم فقد جاء انه صلى الله
صلى بالناس الغداة وراى المسلمون انه قد برا عليه الصلاة والسلام
ففرحوا فرحا شديدا حتى جلس في مصلاه بعد ثم حتى اضحى ثم قام الى بيته
فلم يتفرق الناس من مجالسهم حتى سمعوا صياح النساء يقلن [illegible]
انه صلى الله عليه وسلم وابتدر المسلمون الباب فسبقهم العباس رضي الله
عنه واغلق الباب دونهم فلم يلبث ان خرج اليهم فنعى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا يا عباس ما ادركت منه صلى الله عليه وسلم فقال ادركته وهو
يقول جلال ربي الرفيع فقد بلغت ثم قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم نحبه
فكان هذا اخر شيء تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رايته في الامتاع
نقل هذا الذي ترجمته عنه عن البيهقي وذكر في رواية اخرى لم يزل ابو بكر
يصلي بالناس حتى كانت ليلة الاثنين فاقلع عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم الوعك واصبح مفيقا فغدا الى صلاة الصبح يتوكا على الفضل بن عباس
وعلى غلام له يدعى ثوبان ورسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقد سجد
الناس مع ابي بكر من صلاة الصبح وقام ليأتي بالركعة الاخرى فخلص اليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم يفرجون حتى قام الى جنب ابي بكر فاستاخر

حتى قام الى جنب ابي بكر فاستأخر ابو بكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بثوبه فقدمه في مصلاه وجلس صلى الله عليه وسلم فلما فرغ ابو بكر من صلاته وسلم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الركعة الاخيرة ثم انصرف الى جذع من جذوع المسجد فجلس الى ذلك الجذع واجتمع اليه المسلمون يسلمون عليه صلى الله عليه وسلم ويدعون له بالعافية ثم قام عليه الصلاة والسلام فدخل بيت عائشة رضي الله عنها وقال الحمد لله قد اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم مفيقا وارجو ان يكون الله عز وجل قد شفاه ثم ركب فلحق باهله بالسنح وانقلبت كل امراة من نسائه صلى الله عليه وسلم الى بيتها فلما دخل اشتد عليه الوعك فرجع اليه من كان ذهب من نسائه واخذ في الموت فصار يغمى عليه ثم يفيق ويشخص ببصره الى السماء ويقول في الرفيق الاعلى وكان عنده صلى الله عليه وسلم وقد جاء ان الانسان يدفن في التربة التي خلق منها ويدل على انه صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر رضي الله عنهما خلقوا من تربة واحدة لانهم دفنوا ثلاثتهم في تربة واحدة فقد روي ان ابا بكر رضي الله عنه لما حضرته الوفاة قال لمن حضره اذا انا مت وفرغتم من جهازي فاحملوني حتى تقفوا الى باب البيت الذي فيه قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقفوا بالباب وقولوا السلام عليك يا رسول الله هذا ابو بكر يستاذن فان اذن لكم بان فتح الباب وكان الباب مغلقا بقفل فادخلوني وادفنوني وان لم يفتح الباب فاخرجوني الى البقيع وادفنوني به فلما وقفوا على الباب وقالوا ما ذكر سقط القفل وانفتح الباب وسمعوا هاتفا من داخل البيت ادخلوا الحبيب الى الحبيب فان الحبيب الى الحبيب مشتاق ولما احتضر عمر رضي الله عنه قال لابنه عبد الله رضي الله عنهما يا عبد الله ائت ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقل لها ان عمر يقرأ عليك السلام ولا تقل امير المؤمنين فاني لست اليوم بامير المؤمنين وقل لها يستاذن ان تدفنيه مع صاحبيه فان اذنت فادفنوني وان ابت فردوني الى مقابر المسلمين فاتاها عبد الله وهي تبكي فقال ان عمر يستاذن ان يدفن مع صاحبيه فقالت لقد كنت ادخرت ذلك المكان لنفسي ولاوثرنه اليوم على نفسي فلما رجع عبد الله الى ابيه واقبل عليه قال عمر اقعدوني ثم قال لعبد الله ما وراءك قال قد اذنت لك قال الله اكبر ما من شيء اهم الي من ذلك المضجع وقد ذكر ان الحسن رضي الله عنه لما سقي السم ورأى كبده تقطع ارسل الى عائشة رضي الله عنها ان يدفن عند جده صلى الله عليه وسلم فاذنت له

فلما

فلما مات منع من ذلك مروان وبنو امية فدفن بالبقيع وفي ذكرانه رضي الله عنه قال لاخيه الحسين رضي الله عنه قد كنت طلبت الى عائشة اذا مت ان ادفن في بيتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت نعم ولا ادري لعلها كان ذلك منها حياء فاذا انا مت فاطلب ذلك منها فان طابت نفسها فادفني في بيتها وما اظن القوم الا سيمنعونك فان فعلوا فلا تراجعهم في ذلك وادفني في بقيع الغرقد فان لي فيمن فيه اسوة فلما مات الحسن رضي الله عنه جاء الحسين رضي الله عنه الى عائشة رضي الله عنها فطلب ذلك منها فقالت نعم وكرامة فبلغ ذلك مروان فقال كذب وكذبت والله لا يدفن هنالك ابدا منعوا عثمان ان يدفن هنالك ويريد ان يدفن حسن فبلغ ذلك الحسين رضي الله عنه فلبس الحديد هو ومن معه وكذلك مروان لبس الحديد هو ومن معه فبلغ ذلك ابو هريرة رضي الله عنه فانطلق الى الحسين وناشده الله وقال له اليس اخوك قد قال لك ما قال فلم يزل به حتى رضي بدفنه بالبقيع فدفن بجانب امه رضي الله عنها ولم يشهد جنازته احد من بني امية الا سعيد ابن العاص لانه كان امير على المدينة فقدمه الحسين فصلى اماما وقال هي السنة قال ابن كثير رحمه الله والذي نص عليه غير واحد من الائمة سلفا وخلفا انه صلى الله عليه وسلم توفي يوم الاثنين قبل ان ينتصف النهار ودفن يوم الثلاثاء قبل وقت الضحى والقول بانه مكث ثلاثة ايام لا يدفن غريب والصحيح انه صلى الله عليه وسلم مكث بقية يوم الاثنين ويوم الثلاثاء بكماله ودفن يوم الاربعاء فمكث بقية يوم الاثنين وليلة الثلاثاء ويوم الثلاثاء وبعض ليلة الاربعاء وكان السبب في تاخيره صلى الله عليه وسلم ما علمت من اشتغالهم ببيعة ابي بكر رضي الله عنه حتى تمت وقيل لعدم اتفاقهم في موته صلى الله عليه وسلم وكان اخر من طلع من قبره الشريف ابن العباس رضي الله عنهما وقيل المغيرة بن شعبة رضي الله عنه لانه القى خاتمه في القبر الشريف وقال لعلي يا ابا الحسن خاتمي قال وانما طرحته عمدا لامس رسول الله صلى الله عليه وسلم واكون اخر الناس عهدا به قال انزل فخذه وقيل القى الفاس في القبر وقال الفاس الفاس فنزل واخذها ويقال ان عليا كرم الله وجهه لما قال له المغيرة ذلك وناوله الخاتم او الفاس او امر من نزل وناوله ذلك وقال انما فعلت ذلك لتقول انا اخر الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم واعترض بان المغيرة رضي الله عنه لم يكن

حاضرا الدفن وقد روي ان جماعة من العراق قدموا على علي كرم الله وجهه فقالوا
يا ابا الحسن جئناك لنسالك عن امر نحب ان تخبرنا عنه فقال لهم اظن ان
المغيرة بن شعبة يحدثكم انه كان احدث عهدا برسول الله صلى الله عليه
وسلم قالوا اجل عن هذا جئنا نسالك فقال احدث الناس عهدا برسول الله
صلى الله عليه وسلم قثم ابن عباس رضي الله عنهما وقام الاجماع على ان هذا
الموضع الذي ضم اعضاءه الشريفة صلى الله عليه وسلم افضل بقاع الارض حتى
موضع الكعبة الشريفة قال بعضهم وافضل من بقاع السماء ايضا
حتى من العرش وعن انس بن مالك رضي الله عنه ما نفضنا الايدي من دفن
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انكرنا قلوبنا قال بعضهم واظلمت الدنيا
حتى لم ينظر بعضنا الى بعض وكان احدنا يبسط يده فلا يراها وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا فرط لامتي لن يصابوا بمثلي وفي مسلم انه صلى
الله عليه وسلم قال ان الله سبحانه وتعالى اذا اراد بامة خيرا قبض نبيها
قبلها فجعله لها فرطا وسلفا بين يديها فيا له من خطب جل عن
الخطب ومصاب علم دمع العيون كيف يصوب وطارق بهجوم الليل
وحادث هد كاهل القوى والجلد لشدة استعظامه عليه صلى الله عليه وسلم
الذي كان يركبه القى نفسه في حفيرة لما تقدم وتركت ناقته الاكل والشرب
حتى ماتت انتهى

باب بيان ما وقع من الحوادث من عام ولادته

صلى الله عليه وسلم الى وفاته على سبيل الاجمال وبيان زمن ولادته صلى الله
عليه وسلم عاما وشهرا ويوما ومكانا صلى الله عليه وسلم اعلم ان الاكثر على انه صلى
الله عليه وسلم ولد عام الفيل وحكى بعضهم الاجماع عليه قال وكل قول خالفه
فهو وهم وقيل بعد الفيل بخمسين يوما وقيل بزيادة خمسة ايام وقيل
بشهر وقيل باربعين يوما وقيل بشهرين وعشرة ايام وقيل بعشرين سنة
وقيل بثلاثين وقيل بخمسة عشر سنة وكانت ولادته صلى الله عليه
وسلم يوم الاثنين في شهر ربيع الاول لعشرة خلون منه وقيل لليلتين
وقيل لثمان خلت واختاره الحميدي ونقله عن شيخه ابن حزم وحكى القضاعي
رحمه الله تعالى في عيون المعارف اجماع اهل التاريخ عليه وقيل لاثنتي
عشرة ليلة وهو المشهور وقيل لتسع عشرة وقيل لثمان بقين منه
وذلك في النهار عند طلوع الفجر وقيل ولد ليلا وعليه عمل اهل مكة في

زيارة

زيارة موضع مولده الشريف صلى الله عليه وسلم وكونه في شهر ربيع الاول هو قول
الجمهور من العلماء وحكى ابن الجوزي رحمه الله الاتفاق عليه وقيل في صفر وقيل في
صفر وقيل في ربيع الاخر وقيل في رجب وقيل في شهر رمضان واختلف
في مكان ولادته صلى الله عليه وسلم فقيل بمكة وعليه الجمهور وقيل بالدار التي
كانت لمحمد بن يوسف اخي الحجاج وقيل بالشعب شعب بني هاشم وذلك
المحل يزار الان وقيل بالردم وقيل ولد صلى الله عليه وسلم بعسفان وفي
السنة الثالثة من مولده صلى الله عليه وسلم بعسفان وفي السنة الثالثة
شق صدره الشريف عند ظئره حليمة رضي الله عنها وقيل كان في الرابعة
وفيها ولد ابو بكر الصديق رضي الله عنه وفي السنة السادسة من مولده
صلى الله عليه وسلم كانت وفاة امه امنة ودفنت بالابواء وقيل بشعب
ابي ذئب بالحجون مقابر اهل مكة وقيل في دار رابعة بالمعلاة وفيها
ولد عثمان بن عفان رضي الله عنه وفي السنة السابعة من مولده صلى الله
عليه وسلم استقل بكفالة جده عبد المطلب وفيها اصابه صلى الله عليه وسلم
رمد شديد وفيها استسقى عبد المطلب وهو صلى الله عليه وسلم معه بسبب
رؤيا رقيقة وفيها خرج عبد المطلب لتهنية سيف ابن ذي يزن الحميري بالملك
باليمن وفي السنة الثامنة من مولده صلى الله عليه وسلم كانت وفاة جده
عبد المطلب وكفالة عمه ابي طالب له صلى الله عليه وسلم وفي هذه السنة
مات حاتم الطائي الذي يضرب به المثل في الجود والكرم ومات كسرى انوشروان
وفي السنة التاسعة من مولده صلى الله عليه وسلم قيل سافر به عمه ابو طالب
الى بصرى من ارض الشام وهي مدينة حوران وفي السنة العاشرة من مولده
صلى الله عليه وسلم كانت حرب الفجار الاول وفي السنة العاشرة وقيل الحادي
الحادي عشر من مولده صلى الله عليه وسلم كان شق صدره الشريف وفي السنة
الثانية عشر من مولده صلى الله عليه وسلم كان حرب الفجار الثاني وكان سفر
عمه ابي طالب به الى بصرى من ارض الشام على ما عليه الاكثر وفي السنة
الثالثة عشر من مولده صلى الله عليه وسلم ولد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه
وفي السنة الرابعة عشر من مولده صلى الله عليه وسلم كانت حرب الفجار الثاني
وقيل كان عمره صلى الله عليه وسلم عشرين سنة وفي السنة السابعة عشر
من مولده صلى الله عليه وسلم كان سفر عمه الزبير ابن عبد المطلب والعباس
ابن عبد المطلب لليمن للتجارة وصحبتهما النبي صلى الله عليه وسلم وفي السنة

الخامسة والعشرين من مولده صلى الله عليه وسلم كان سفره صلى الله عليه
وسلم الى الشام مع ميسرة غلام خديجة رضي الله عنها وتزوج صلى الله عليه وسلم
خديجة رضي الله عنها وفي سنة ثلاثين من مولده صلى الله عليه وسلم ولد علي
ابن ابي طالب كرم الله وجهه في الكعبة وفي السنة اربع وثلاثين من مولده صلى
الله عليه وسلم ولد معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنهما ومعاذ بن جبل رضي
الله عنه وفي سنة خمس وثلاثين من مولده صلى الله عليه وسلم هدمت قريش
الكعبة وبنتها وفي سنة سبع وثلاثين من مولده صلى الله عليه وسلم راى صلى
الله عليه وسلم الضوء والنور وكان صلى الله عليه وسلم يسمع الصوت وفي ا
لسنة الاولى من النبوة كان نزول الوحي عليه صلى الله عليه وسلم في اليقظة
بعد ان مكث صلى الله عليه وسلم اشهر يوحى اليه صلى الله عليه وسلم في المنام وفي
السنة الثالثة من النبوة قيل توفي ورقة بن نوفل وفي السنة الرابعة من
النبوة كان اظهار الدعوة وفي السنة الخامسة من النبوة ولدت عائشة
رضي الله عنها وقيل ولدت في الرابعة وفي السنة الخامسة كانت الهجرة
الاولى الى ارض الحبشة وفيها ماتت سمية ام عمار بن ياسر رضي الله عنهم وهي
اول شهيدة في الاسلام وفي السنة السابعة من النبوة تقاسمت قريش
وتواعدت قريش وتعاهدت على معاداة بني هاشم وبني المطلب وقيل كان
ذلك في السادسة وقيل في الخامسة وقيل في الثامنة وذلك في خيف
بني كنانة بالابطح ويسمى محصبا وهو باعلى مكة شرفها الله تعالى عند
المقابر وفي السنة التاسعة من النبوة كان انشقاق القمر له صلى الله
عليه وسلم وفي السنة العاشرة من النبوة مات ابو طالب وماتت خديجة
رضي الله عنها وكان صلى الله عليه وسلم يسمي ذلك العام عام الحزن وفي
جاه صلى الله عليه وسلم جن نصيبين واسلموا وفيها تزوج صلى الله عليه وسلم
سودة بنت زمعة رضي الله عنها ودخل عليها في مكة وفيها عقد صلى الله عليه
وسلم على عائشة رضي الله عنها ولم يدخل صلى الله عليه وسلم عليها الا في المدينة
وفي السنة الحادية عشر من النبوة كان ابتداء اسلام الانصار رضي الله عنهم
وفي السنة الثانية عشر من النبوة كان الاسراء والمعراج وفيها وقعت
بيعة العقبة الاولى وفي السنة الثالثة عشر من النبوة كانت بيعة
العقبة الثانية التي هي الكبرى وبعضهم يسميها العقبة الثالثة ويسمي
اسلام الانصار عقبة مع انه لا مبايعة فيه وفي هذه السنة اراد ابو بكر

رضي

رضي الله عنه الى ان هاجر للحبشة فلما بلغ برك الغماد رده ربيعة ابن الدغنة
سيد القارة وفي السنة الرابعة عشر من النبوة وهي السنة الاولى من
الهجرة الى المدينة وكانت الهجرة فيها في صفر وفي غرة ربيع الاول فيها
كان بناء المسجد ومساكنه صلى الله عليه وسلم ومسجد قباء والمواخاة بين
المهاجرين والانصار رضي الله عنهم قيل وكان ابتداء خدمة انس بن مالك
رضي الله عنه له صلى الله عليه وسلم فقد جاء انه صلى الله عليه وسلم لما قدم
المدينة صارت الانصار يبعثون اليه صلى الله عليه وسلم بالهدايا رجالهم
ونساؤهم وكانت ام انس رضي الله عنهما لا شيء لها تهديه له صلى الله عليه
وسلم كانت تتاسف فاخذت يوما بيد ابنها انس رضي الله عنه وقالت يا رسول الله
هذا يخدمك وجاء ان زوجها ابا طلحة رضي الله عنه جاء به الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله ان انسا غلام كيس فليخدمك ويجمع بان امه
جاءت به اولا ثم جاء به ابو طلحة ثانيا لانه وليه وعصبته قال في الخميس
وهذا غير مجيئه به لخدمته صلى الله عليه وسلم في غزوة خيبر وفيها كمل الا
وقيل في السنة الثانية زيد في صلاة الحضر ركعتان وتركت صلاة
الفجر وصلاة المغرب لانها وتر النهار واقرت صلاة السفر وتركت على الفرض
الاول كذا قيل وفي هذه السنة مات من مشركي مكة الوليد بن المغيرة
ولما احتضر خرج فقال له ابو جهل لعنه الله يا عم ما جزعك
قال والله ما بي جزع من الموت ولكن اخاف ان يظهر دين ابي كبشة بمكة قال
ابو سفيان رضي الله عنه لا تخف اني ضامن ان لا يظهر وفيها مات سعد ابن
زرارة رضي الله عنه وفيها ابتداء الغزوات وكان فيها غزوة الابواء وغزوة
ودان وهي الاصل وفي هذه السنة بنى صلى الله عليه وسلم بعائشة رضي
الله عنها وفيها شرع الاذان وفيها صلى صلى الله عليه وسلم الجمعة في طريقه حين
ارتحل صلى الله عليه وسلم من قباء الى المدينة وهي اول جمعة صلاها واول
خطبة خطبها في الاسلام وفيها اسلم عبد الله بن سلام رضي الله عنه وكان
فيها بعث عمه حمزة رضي الله عنه يتعرض عير القريش وبعث ابن عمه عبيدة
ابن الحارث رضي الله عنه الى بطن رابغ وبعث سعد ابن ابي وقاص رضي الله
عنه الى الخرار يعترض عيرا لقريش وفي السنة الخامسة عشر من النبوة
والثانية من الهجرة تزوج علي كرم الله وجهه بفاطمة رضي الله عنها وتكنيته
بابي تراب وغزوة بواط وغزوة العشيرة وسرية عبد الله بن جحش رضي الله

٨

عنه الى بطن نخلة وتحويل القبلة وتجديد بنا مسجد قبا وفرض رمضان
وغزوة بدر الكبرى ووفاة رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله
عنها وقتال عصما وفرض زكاة الفطر وشروع عيد وفرض زكاة الاموال
وغزوة قرقرة الكدر وسرية سالم ابن عمير رضي الله عنه وغزوة بني قينقا ع
وغزوة السويق وموت عثمان بن مظعون رضي الله عنه والتضحية وصلاة
عيديها وفي السنة السادسة عشر من النبوة والثالثة من الهجرة سرية
محمد بن مسلمة رضي الله عنه لقتل كعب بن الاشرف لعنه الله تعالى وتزوج
عثمان رضي الله عنه ام كلثوم رضي الله عنها وغزوة غطفان وغزوة
نجران وسرية زيد بن حارثة رضي الله عنهم الى قردة حفصة رضي الله عنها
وتزوج زينب بنت خزيمة رضي الله عنها وولادة الحسن وغزوة احد وغزوة
حمرا الاسد وعلوق فاطمة بالحسين رضي الله عنهما وفي السنة الرابعة
عشر من النبوة والرابعة من الهجرة سرية ابي سلمة رضي الله عنه الى قطن
ووفاته وسرية عبد الله بن انيس رضي الله عنه الى عرنة لقتل سفيان بن
خالد وسرية القرا رضي الله عنهم الى بير معونة وقصة الرجيع وسرية عمرو
ابن امية الضمري رضي الله عنه الى مكة لقتل ابي سفيان رضي الله عنه
وغزوة بني النضير ووفاة زينب بنت خزيمة وغزوة ذات الرقاع وصلاة
الخوف وولادة الحسين رضي الله عنه وغزوة بدر الصغرى وتزوج ام
سلمة رضي الله عنها وتحريم الخمر عند بعضهم وفي السنة الخامسة
عشر من النبوة والخامسة من الهجرة غزوة دومة الجندل وغزوة المريسيع
ونزول ـــــــ اية التيمم وتزوج جويرية رضي الله عنها وقصة
الافك وغزوة الخندق وغزوة بني قريظة وقصة اولاد جابر رضي الله عنهم
وتزوج زينب بنت جحش رضي الله عنها ونزول اية الحجاب وفرض الحج وفي
السنة السادسة عشر من النبوة والسادسة من الهجرة سرية محمد بن مسلمة
رضي الله عنه الى القرطا وقصة ثمامة وغزوة بني لحيان وغزوة الغابة
وسرية عكاشة رضي الله عنه الى الغمر وسرية محمد بن مسلمة رضي الله عنه
الى ذي القصة وسرية ابي عبيدة ابن الجراح رضي الله عنه الى مصارع اصحاب
محمد بن مسلمة رضي الله عنهم وسرية زيد بن حارثة ابن حارثة رضي الله عنهما الى
بني سليم بالجموم وسرية زيد بن حارثة رضي الله عنهما الى العيص وسرية
زيد ابي حارثة رضي الله عنهما الى الطرف وسرية زيد بن حارثة رضي الله عنهما

الى

الى وادي القرى وسرية زيد بن حارثة رضي الله عنهما الى ام قرفة وسرية عبد
الله ابن عتيك رضي الله عنه لقتل ابي رافع وسرية عبد الله ابن رواحة رضي
الله عنه الى اسير ابن رزام اليهودي بخيبر وسرية زيد بن حارثة رضي الله عنهما الى
مدين وغزوة الحديبية ونزول حكم الظهار وتحريم الخمر وتزوجه صلى الله عليه
وسلم ام حبيبة رضي الله عنها وفي سنة عشرين من النبوة والسابعة من الهجرة
كان اتخاذ الخاتم وارسال الرسل الى الملوك ووقوع المسحورية صلى الله عليه
وسلم وغزوة خيبر وفتح وادي القرى والدخول بام حبيبة رضي الله عنها وسرية
عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى طايفة من هوازن وعمرة القضا وتزوج ميمونة
رضي الله عنها وسرية ابن ابي العوجا رضي الله عنه الى بني سليم وفي الحادية
والعشرين والثامنة من الهجرة كان اسلام خالد بن الوليد رضي الله عنه وعمرو
ابن العاص رضي الله عنه وعثمان بن طلحة رضي الله عنه وسرية غالب بن عبد الله
الليثي رضي الله عنه الى بني الملوح وسرية الى مصاب اصحاب بشير بن سعد رضي
الله عنه الى بني الملوح وسرية الى مصاب اصحاب بشير بن سعد رضي الله عنهم
بعد ذلك واتخاذ المنبر الشريف وسرية شجاع بن وهب رضي الله عنه الى بني عامر
وسرية كعب بن عمير الغفاري الى ذات اطلاح وسرية موتة وسرية عمرو بن العاص
رضي الله عنه الى ذات السلاسل وسرية ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه
الى سيف البحر وسرية ابي قتادة رضي الله عنه الى بطن اضم وسرية عبد الله
ابن ابي حدرد رضي الله عنه الى الغابة وغزوة فتح مكة شرفها الله تعالى
وسرية خالد بن الوليد رضي الله عنه الى العزى بنخلة وسرية عمرو بن العاص
رضي الله عنه الى سواع صنم هذيل وسرية سعد بن زيد الاشهلي رضي الله عنه
الى مناة صنم للاوس وسرية خالد بن الوليد رضي الله عنه الى بني خزيمة وغزوة
حنين وسرية ابي عامر رضي الله عنه الى اوطاس وسرية الطفيل الى ذي الكفين
وغزوة الطايف وولادة ولده ابرهيم عليه السلام وقدوم اول الوفود عليه
صلى الله عليه وسلم وهو وفد هوازن ووفاة زينب بنت رسول الله صلى الله
عليه وسلم ورضي الله عنها وفي السنة الثانية والعشرين من النبوة وهي
التاسعة من الهجرة بعث عيينة ابن حصن الفزاري الى بني تميم وبعث
الوليد بن عقبة بن ابي معيط الى بني المصطلق وسرية قطبة بن عامر رضي الله
عنه الى خثعم وسرية الضحاك الكلابي رضي الله عنه الى بني كلاب وسرية
علقمة رضي الله عنه ابن مجزز الى اهل الحبشة وبعث علي بن ابي طالب

الفلانة م

719

كرم الله وجهه إلى الفلس وبعث عكاشة رضي الله عنه بن محصن إلى الجناب وإسلام
كعب بن زهير رضي الله عنه وهجره صلى الله عليه وسلم نساءه وغزوة تبوك وسرية
خالد بن الوليد رضي الله عنه من تبوك إلى أكيدر وإرساله كتابا من تبوك إلى هرقل
وهدم مسجد الضرار وقصة كعب بن مالك وصاحبيه رضي الله عنهم وقصة
اللعان وإسلام ثقيف ورجم الغامدية ووفاة النجاشي ووفاة أم كلثوم رضي
الله عنها وموت عبد الله بن أبي بن سلول وحج أبو بكر رضي الله عنه وفي السنة
الثالثة والعشرين وهي العاشرة من الهجرة قدوم عدي بن حاتم رضي الله عنه
وبعث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه إلى اليمن وبعث جرير بن عبد الله البجلي
رضي الله عنه إلى تخريب ذي الخلصة وبعث جرير بن عبد الله رضي الله عنه أيضا
إلى الكلاع وبعث أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه إلى أهل نجران وقصة بديل وتميم
الداري ووفاة ولده إبراهيم صلى الله عليه وسلم وخروجه صلى الله عليه وسلم للحج وفي
السنة الرابعة والعشرين وهي الحادية عشرة من الهجرة قدوم وفد النخع وسرية
أسامة بن زيد رضي الله عنهما إلى أبنى وقصة الأسود العنسي ومسيلمة الكذاب وسجاح
وطليحة وما وقع في ابتداء مرضه صلى الله عليه وسلم ومدة مرضه صلى الله عليه وسلم ووقت
موته وغسله وتكفينه والصلاة والسلام عليه ودفنه صلى الله عليه وسلم وشرف
وكرم وعظم والله أعلم اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك اللهم أقفال
قلوبنا بذكرك وأتمم علينا نعمتك من فضلك واجعلنا من عبادك الصالحين
اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا اللهم ألهمنا رشدنا وأعذنا من شر
نفوسنا اللهم ارزقنا نفسا طيبة تؤمن بلقائك وترضى بقضائك
وتقنع بعطائك اللهم إنا مقصرون في طلب رضاك
فأعنا عليه بحولك وقوتك والحمد لله وحده وصلى
الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم تسليما كثيرا والحمد لله رب
العالمين تم على يد الفقير
محمد بن الشيخ أحمد
المنوفي [بلدا]
غفر الله
له
آمين

وكان الفراغ من نسخ النسخة المباركة يوم الاثنين جمادى الأول ثامن عشر سنة ١١٥٤



